المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كليّة اللغة العربية

قسم الدراسات العليا

فرع اللغة

المصْطَلَحَاتُ الصَّوتيَّةُ

في التُّرَاثِ اللُّغَويِّ عِنْدَ العَرَب

(دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ تَأصِيليَّةٌ من القَرْنِ الأَوَّلِ إلى القَرْنِ السَّادِسِ الهِجْرِيّ)

رسالة مقدَّمة لنيل درجة الدكتوراه في اللُّغة العربية وآدابها

تخصُّص لغويات

إعداد الطالب

عادل إبراهيم عبد الله أبو شعر

الرقم الجامعيّ: 41887045

إشراف

د. محمّد العُمَريّ

العام الدِّراسيّ

1424 - 1425 هـ

ملخَّص لبحث: المصطلحات الصوتية في التراث اللُّغويّ عند العرب

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمُّ التسليم على سيدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذا بحثٌ تأصيليٌّ يَكشف عن لغة الصوتيّين الأوائل، ويُظهِر ما لهم من معارفَ ومصطلحات صوتيةٍ ضِمن مرحلةٍ زمنيّة واسعة، من القرن الأول إلى القرن السَّادس الهجريّ، موظِّفاً معطياتِ العصرِ التقنيَّة في خدمته من رسوماتٍ توضيحيَّة، وتحليلاتٍ طيفية، وغير ذلك من الوسائل المعاصرة.

ويَرجِعُ اختياري له إلى غَيرةٍ على كتُبِ التراث الصوتيّ من فَقْدِ التواصلِ معها بسبب لغتها ومصطلحاتها، وإلى لفتِ الأنظار إلى إمكانيَّة إرساءِ علمٍ صوتيّ عربيٍّ أصيلٍ، خالٍ من الشَّوائبِ، ناءٍ عن التشويه، بعيدٍ عن الاستسقاء والاستشفاء من ثقافةٍ غربيَّةٍ جعلَتْ من أهدافِها أن تَجمعَ ثقافات العالَم على ثقافتِها.

ولا شكَّ أن معرفةَ المتقدِّمين الموسوعيَّة، ومشاركتَهم في أكثرَ من علم جعلَت المعلوماتِ الصوتيةَ متفرِّقةً في علوم مختلفة، كما أنَّ عَصْرَ التخَصُّصِ الحاضِر حجَب عنَّا علمَهم الصَّوْتيّ، وجَزَّأَ الحُكْم عليه، وإنَّ تَلاقِي ذلك يَكُونُ في النَّظْرَةِ الكُلِّية لمجْمَل تراثنا.

وقد انتظمتْ أبوابُ البحث وفصوله كالتالي:

1 . التمهيد وتناولتُ فيه:

المصطلح الصوتيّ: نشأته، وتعريفاته، ودلالته، وخصائصه، ومشكلاته. ثمَّ مقدِّمةٌ موجَزةٌ عن تاريخ العلم العربيّ، وهو مدخلٌ رئيسٌ للكشفِ عن تأثير العلوم النَّقلية والعقلية في المصطلح الصوتي.

2 . الدراسة التاريخية للمصطلحات الصوتية: وذلك من خلال بابين:

الباب الأوَّل: التأثير في المصطلح الصوتيّ:

هذا الباب يتناوَلُ العلاقات التي تَربِطُ بين العلوم المختلفة التي أثَّرت في المصطلحِ الصوتيّ من خلال دراسة أشهرِ العلماءِ الذين ساهموا في المعارفِ الصَّوتيَّة، مُظْهِراً بشكلٍ جليٍّ وواضحٍ أن المعارفَ والمعلومات التي توصَّلوا إليها هي التي أفرزت عدداً كبيراً من المصطلحات.

وتناولتُ فيه رحلة العلم الصوتيّ عند مدرَسَتَين اثنتين شكَّلتا العلم الصوتيّ عند العرب، هما المدرسة النقليَّة والمدرسة العقليَّة، واستعرضتُ في هذا الباب الجهود والمصطلحات والآراء الصوتية لعلماء هاتين المدرستين.

البابُ الثاني: المصطلحاتُ الصَّوتيَّة، ويتضمَّن ستة فصول:

الفصل الأوَّل: أعضاء الصَّوت والنُّطق والاستعمالُ الصوتيّ لها.

الفصل الثاني: الأسس الفيزيائيَّة والنُّطقية للصَّوت والحرف.

الفصل الثالث: صفات الحروف.

الفصل الرابع: تركيب الحروف.

الفصل الخامس: العيوب الصوتية والنطقية والاحترازات عنها.

الفصل السادس: الألقاب الصوتية للحروف الأصلية والفرعيَّة.

الخاتمة، وتتضمن: نتائج البحث، وتوصياته، والفهارس والملاحق.


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى سيّدى الوالد حفظه الله تعالى

وإلى روح والدتي الطاهرة رحمها الله تعالى...

إلى شيوخي وأساتذتي ورُفَقائي على درب العلم...

إلى زوجتي الصابرة على لأواء العلم ومشاقِّه...

إلى أولادي غياث ورغد ومحمد وعدنان وأيمن...

إلى أشقائي وشقيقاتي وأحبائي...

إلى كلِّ هؤلاء أهدي هذا العمل

عادل

شكر وثناء

قال تعالى: [**وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ**]

ياربَّنا لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهِك ولعظيم سلطانك، سبحانكَ لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسِك.

الحمدُ لله حمداً يُوَافِي نِعَمَهُ ويُكَافِئُ مَزِيدَهُ..

الحمد لله حمدَ الشاكرين الأبرار..

الحمد لله حمدَ الذاكرين الأخيار..

اللهمَّ إنِّي عاجزٌ عن شكر نِعَمِك العظيمة، وآلائك الجسيمة.

اللهمَّ إن أحسنتُ فبفضلك وبمنَّتك، وإن أسأتُ فبتقصيري وسوء حالي.

اللَّهم إنك دعوتَنا لمكافأة من أسدى إلينا معروفاً أو نصيحة.

أتوجَّه بالشُّكر العميم إلى مقام صاحب السُّمُوِّ الملكيِّ الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله تعالى، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدِّفاع والطيران، والمفتِّشِ العام الذي كان سبباً في مواصلةِ دراستي العلميَّة في مرحلَتي الماجستير والدكتوراه.

ومن ثمَّ إلى جامعة أمِّ القرى وكلِّية اللُّغة العربية التي احتَضَنَتني ورعَتني طوال هذه الفترة.

ثمَّ أتوجَّه بالشُّكر والدُّعاء إلى سعادة الدكتور محمد العُمَري . حفظه الله تعالى . مشرِفي وموجِّهي وأستاذي ورفيق رحلتي، الذي كنتُ آتي له وأفكاري مشوشةٌ، فيَنظمُها لي بعِقْدٍ من فهمه وعلمه وسعةِ أُفُقِهِ، وكان يُشفِق عليَّ بقلبِه وحنانه وعطفه، فله الشكرُ الجميل والثناء الجليل.

وأتوجَّه بالشكر والدُّعاء إلى شيخي وأستاذي الدكتور أيمن رشدي سُويد . حفظه الله تعالى . صاحبِ فكرة هذا البحث، ومتابعِه، وممِدِّه بالعون من كلِّ وجه، وخاصَّةً فيما يتعلَّقُ بالجانبِ القرآنيِّ منه، أسأل الله أن يُحقِّقَ له سؤلَه وطِلْبَتَه، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وأتوجَّه بالشكر العميق إلى شقيقي المهندس عبد الله أبو شعر، مهندسِ هذا البحث، حيث قام بعملِ برنامجٍ حاسوبيٍّ ينظِّمُ معلوماتِه وموضوعاتِه التي بلغَتْ أكثر من عشرين ألف معلومةٍ، ويرتِّب سلاسله التاريخية بدءاً من الأقدم إلى الأحدث، وأشياء أخرى كثيرة، فله مني كاملَ التقدير والاحترام.

وأتوجه بالشكر الجزيل أيضاً إلى كلٍّ من الدكاترة الكرام:

1 . الدكتور محمد عبد الرَّازق استشاري أمراض الأنف والأذن والحنجرة بمستشفى بقشان العام بجدة.

2 . الدكتور محمد أمين الكسم استشاري أمراض الأنف والأذن والحنجرة بمشفى الرازي بدمشق الشام.

3 . الدكتور محمد رياض عرفة، رئيس قسم الفيزياء في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

4 . الدكتورة وفاء فؤاد الخطيب، الأستاذة في كلية الطبِّ قسم الفيزياء الحيويَّة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

على حلِّهم غامضَ كلام المتقدِّمين فيما يتعلَّق بالجانب التشريحيّ والفيزيائيّ في هذه الدِّراسة . وأشكرُ مَن كان سبباً في الوصولِ إليهم، والدّلالة عليهم.

وأدعو الله في الختام أن يجزيَ خيراً كلَّ مَن ساهم في هذا البحث بكلمةٍ أو دعاءٍ أو نصيحة، والحمد لله ربِّ العالمين.

الفهرسُ التفصيليُّ للبحث

مقدّمة البحث 13

خطة استخلاص مصطلحات الدّراسة ومراجع البحث 16

الدّراسات السابقة على هذا البحث 18

أبوابُ البحث وفصوله 19

ملاحظات هامة حول أبواب الدراسة 20

التمهيد 23

المصطلح الصوتيّ 23

أوّلاً: اللُّغة والمواضعة 23

ثانياً: أدوات توصيل المعاني 25

ثالثاً: المصطلح العلميّ والتحوُّلُ الدّلاليّ 26

رابعاً: أسبابُ وضع المصطلحات 29

خامساً: المواضَعةُ الصَّوتيَّة والتغيُّر 32

سادساً: أنواعُ الألفاظِ من حيث الدّلالة على المعاني 34

سابعاً: أنواع الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات الصوتيَّة 35

ثامناً: مُشْكِلاتٌ في فهم المصطلح 36

تاريخ موجَزٌ للعلم العربيّ 41

الباب الأول: التأثير في المصطلح الصوتيّ 48

المبحث الأوَّل : تأثير العلوم النقلية 49

المدرسةُ النقليَّة: 49

1 . العلمُ الصَّوتيّ في المشرق 49

أهمُّ العلماءِ في المشرق 53

الخليل بن أحمد الفراهيديّ شيخ مذهبي البصرة والكوفة (100 – 170 هـ) 53

سيبويه شيخ المذهب البصريّ (148 – 180 هـ) 55

الفرَّاء شيخ المذهب الكوفيّ (144 – 207 هـ) 58

الجَاحِظُ مؤسّس علم البلاغة والأدب (163 . 255 هـ) 60

المبرّدُ خاتمة البصريّين (210 – 285 هـ) 62

ابن دُرَيدٍ (223 – 321 هـ) 63

ابنُ مجاهدٍ (254 – 324 هـ) 64

أبو سعيد السيرافيُّ (280 – 368 هـ) 67

أبو عليٍّ الفارسيُّ (288 – 377 هـ) 69

الرمَّانيُّ (276 – 384 هـ) 71

ابنُ جنيّ (321 – 392 هـ) 73

2 . العلمُ الصَّوتيّ في المغرب والأندلس 75

أهمُّ العلماءِ في المغرب والأندلس 75

مكيٌّ بن أبي طالب القيسيُّ (355 – 437 هـ) 76

الدانيُّ (371 – 444 هـ) 79
عبد الوهَّاب القرطبيُّ (403 – 461 هـ) 81
ابن الطحَّان الأندلسيّ (498 – ت حوالي 560 هـ) 83
المبحث الثاني: تأثير العلوم العقلية 87
المدرسة العقليَّة: 87
أهمُّ علماء هذه المدرسة 91
فيلسوف العرب: الكنديّ (... . 260 هـ) 91
المعلّمُ الثاني أبو نصرٍ الفارابيُّ: (260 – 339 هـ) 92
الطبيبُ الفيلسوف الرَّئيس أبو عليّ ابن سينا (370 . 428 هـ) 95
الفيلسوف القاضي الطبيبُ ابن رُشد (520 . 595 هـ) 99
الباب الثاني: المصطلحات الصَّوتية 103
هذا البابُ هو لبُّ الرسالة، وهو الثمرة الحقيقية للجهد المضني الذي استغرق فترة البحث الأكاديمية، ورتَّبتُ فيه المصطلحات ترتيباً موضوعيّاً، ووزَّعتُ هذه الموضوعات على فصوله الستة، وكان منهجي في عرض المصطلحات يتَّبع الخطوات التالية: 103
الفصل الأوَّل: أعضاء الصَّوت والنطق والاستعمال الصوتي لها 105
الألفاظ المستعملة لأعضاء التصويت: 106
أولاً : الألفاظ الخاصَّة بجسمِ هذه الأعضاء 106
ثانياً الألفاظ الخاصَّة بالوظيفة 109
الألفاظ الخاصَّة بالأجزاء 113
الألفاظ المستعملة للتجويفات 116
الأعضاء المستعملة في التصويت 123
العُضوُ الأوَّل من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الصَّدر 123
العُضوُ الثاني من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الحِجاب الحاجِز 126
العُضوُ الثالث من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الرئتان 128
العُضوُ الرَّابع من أعضاء الصَّوت والنُّطق: القصبة الهوائيَّة 130
العُضوُ الخامسُ من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الحنجرة 132
العُضوُ السَّادس من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الوتران الصَّوتيَّان 136
العُضوُ السَّابعُ من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الحلق 140
العُضوُ الثَّامنُ من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الفم 152
العُضوُ التاسع من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الشفتان 217
العُضوُ العاشر من أعضاء الصَّوت والنُّطق: التجويف الأنفيّ 222
العُضوُ الحادي عشر من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الأذن 228
الفصل الثاني: الأسس الفيزيائية والنطقية للصوت والحرف 233
1 . كيفيَّةُ حدوث الصَّوت وإدراكه 233
2 . نوعيَّة الأجسام المتصادمة في الطبيعة 236
3 . الألفاظ الفيزيائيَّة المتعلِّقة بالصَّوت وحدوثه 237
أوَّلاً: الألفاظ العامَّة التي استُعمِلَت في التعبير عن القُوَّة الضاغطَة لإحداثِ الصَّوْت 238
ثانياً: الألفاظ التي عبَّرَتْ عن ضَغطِ عُضوَي النُّطق لإحداثِ الصَّوْت اللُّغويّ 249
ثالثاً: الألفاظ التي عبَّرتْ عن المقاومة التي تحدث بين الجسمَين المتقاوِمَين 295

رابعاً: الالفاظ التي عَبَّرت عن المَوْجاتِ الصَّوْتيَّة 302
خامساً: الألفاظ التي عبَّرتْ عن التغيير في الموجةِ الصَّوتيَّة 304
المصطلحاتُ الصوتيَّة المتعلِّقة بالأصوات اللُّغويَّة 319
الألفاظ المتعلِّقة بالصَّوت المجرَّد المسموع 320
المخارجُ النُّطقيَّة الرَّئيسة وعدد المخارج الفرعيَّة 327
الألفاظ المستعملة في المخارج 328
الميزانُ الصَّوتيُّ للحروف العربيَّة: 349
ترتيب الحروف العربية 349
عدد الحروف العربية 351
الألفاظ المستعملة لأصوات الحروف 352
الانفعالات المصاحبة للكلام من صوتٍ وحركة وألفاظها 359
نتائجُ الفصل الثاني: 365
الفصل الثالث: صفات الحروف 368
الألفاظ المستعملة لصفات الحروف 368
مدخل عام إلى صفات الحروف 371
الصفتان المتعلِّقتان بالوضوح والخفاء في السَّمع 372
(الجهر والهمس) 372
الصفات المتعلِّقة بمرور الصَّوت في المخرج 387
الحالة الأولى: الصفات الدالَّة على الاحتباس الكامل للصَّوت 388
الحالة الثانية: الصفات الدالَّةُ على الاحتباس الجزئيّ للصَّوت 394
الحالة الثالثة: الصفات الدالَّة على ما بين الحالتَين 399
4 . الحالة الرابعة: الصفات الدالَّة على حرّية مرور الصَّوت 403
الصفات المتعلِّقة باتجاه الصَّوت وانحصاره وما يَتبَع ذلك من أثر تفخيميّ: 411
أولاً: الصفتان المتعلِّقتان باتجاه الصَّوت: الاستعلاء والاستفال 411
ثانياً: الصفتان المتعلِّقتان بحَصرِ الصَّوت بين اللِّسان والحنك: (الإطباق والانفتاح) 425
ثالثاً: الصفتان المتعلقتان بالأثر: (التفخيم والترقيق) 435
الصِّفتان المتعلِّقتان بأبنية الكلام العربيّ: (الإذلاق والإصمات) 465
الصفاتُ الخاصَّة بمتمِّمات الحروف: 469
(الإشراب) 469
الصِّفة الأولى من متمِّمات الحروف: (القَلْقَلة) 473
الصِّفة الثانية: (نَحْوُ النَّفخة) أو (شِبهُ النَّفخ) 476
الصِّفة الثالثة: (النَّفخ) 477
الصِّفة الرَّابعة المُلْحَقة بمتمِّمات الحروف: (المُسْتَوي من الحروف) 479
ملاحظة مهمَّة حول متمِّمات الحروف في بقائها عند الوصل 479
الصفات الخاصة ببعض الأصوات: 481
(المنحرف، الانحراف) 481
المصطلح الأوَّل: (الغنَّة، حرفا الغنة، الأغنّ) 484
(المكرَّر، التكرير) 490

الصِّفات الخاصَّة ببعض فضائل الحروف: 495
(الصفير)..... 495
(التفَشِّي) 498
(الاستطالة) 503
الصِّفات الخاصة بقوة الحرف وضعفه..... 506
الصفات الخاصة بقوَّة الحرف 506
الصِّفات الخاصَّة بضعف الحرف..... 511
نتائج الفصل الثالث: 523
الفصل الرابع: تركيب الحروف 525
الألفاظ المستعملة للتلاقي بين الحروف: 525
أنواعُ التلاقي بين الحروف: 526
النوع الأوَّل من أنواع تلاقي الحروف: الحرفان المتَّحِدان في المخرج والصِّفة 527
النوعُ الثاني من أنواع تلاقي الحروف: الحرفان المتقاربان من مخرج واحد أو من مخرجين أو بالصفة..... 530
النَّوع الثالث من أنواعِ تلاقي الحروف: الحرفان المتباعدان في المخرج والصِّفة 533
الألفاظ المستعملة في التأليف بين الحروف وتحقيق الانسجام:..... 536
الجُمَلُ المستعملة في التعبير عن الانسجام بين الأصوات..... 547
الألفاظ المستعملة في التنافر بين الحروف وامتناع الانسجام 550
قوانين وقواعد التأليف والانسجام النُّطقيّ بين أصوات الحروف..... 551
الألفاظ المستعملة في التأثيرات والتجاذبات بين أصوات الحروف 554
ظواهر طلب التخفيف: 561
الظاهرة الأولى من ظواهر طَلَب التخفيف بين الحروف: الإدغام: 561
الجهة الأولى: الألفاظ المستعملة للإدغام..... 561
الجهة الثانية للإدغام: تعريفاتُ الإدغام..... 578
الجهة الثالثة: التعبيرات المستعملة لتحقيق الانسجام بين الصَّوتَين في الإدغام 579
الجهة الرابعة: قوانين وقواعد الإدغام 580
الجهة الخامسة لظاهرة الإدغام: أنواع الإدغام 582
الظاهرة الثانية من ظواهر طَلَب التخفيف: نَقْلُ الحرَكة..... 600
الظاهرة الثالثة من ظواهر طلب التخفيف: العلاقةُ بين الحركات وحروف المد..... 616
الجهة الأولى: الألفاظ المستعملة لإشباع الحرَكةِ حتى يتولَّدَ حرفُ مدٍّ 617
الجهة الثانية: الألفاظ المستعملة لتقصير حرفِ المدِّ ليَرجِع حركةً قصيرةً..... 634
الظاهرة الرابعة من ظواهر طَلَب التخفيف: تقريب الحركات وحروف المدّ من بعضِها 640
المصوِّتات المعيارية عند الفارابيّ 640
المصوِّتات العربية 643
الألفاظ العامَّة المستعملة في تقريبِ الحركات وحروف المدّ إلى بعضها:..... 646
الألفاظ المستعملة للفتح ضد الإمالة..... 671
الألفاظ المستعملة للإمالة الصغرى..... 682
الألفاظ المستعملة للإمالة الكبرى..... 685
الألفاظ المستعملة لإمالة الياء إلى الواو أو إشمام الكسرة الضمَّة..... 686

الألفاظ المستعملة لإمالة الألف إلى الواو 686
الفصل الخامس: العيوب الصوتية والنطقية والاحترازات عنها 689
عيوب النطق وأمراض الكلام 689
الألفاظ العامَّة التي تدلُّ على الخطأ والعيب في الكلام 693
الألفاظ التي تدلُّ على أمراض الكلام 696
أوَّلاً: الألفاظُ التي تدلُّ على العَجز عن الكلام والحُبسة في اللِّسان 696
ثانياً: الألفاظ التي تدلُّ على اللُّثغة في بعض الحروف 704
ثالثاً: الألفاظ التي تدلُّ على الكلام من الأنف 710
رابعاً: الألفاظ التي تدلُّ على العُجمة وعدم البيان 711
خامساً: الألفاظ التي تدلُّ على التقعُّر والتشدُّق في الكلام 715
الألفاظ التي تدلُّ على عيوب النُّطق في الأداء القرآنيّ 717
أوَّلاً: الألفاظ العامَّة التي تدلُّ على عيوب الهيئات الجسديَّة وعيوب الأصوات 718
ثانياً: الألفاظ التي تدلُّ على عيوب الحروف من حيث التجويد 719
ثالثاً: الألفاظ التي تدلُّ على التطريب والتلحين ممَّا نهى القراء عنه 728
التدريباتُ النُّطقية وتصحيحُ الكلام 734
الألفاظ المستعملة لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ 735
المصطلحات المرتبطة بعمليَّة التعليم 747
نتائج الفصل الخامس: 749
الفصل السادس: الألقاب الصوتية للحروف الأصلية والفرعية 751
الحروف العربية: 751
الألفاظ العامَّة الدالَّة على الحروف الأصلية والفرعية 752
الألفاظ المستعملة لبعض حروف الهجاء 756
الحروف الأصليَّة الجامدة 770
الحروف الأصليَّة الذائبة 775
خاتمة البحث ونتائجه وتوصياته: 786
الفهارس والملاحق 791
الفهرس الهجائيّ للمصطلحات 791
مسرد وفيات الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث 810
فهرس مصطلحات المشترك اللفظي 820
إجازة الباحث بالقراءات العشر المتواترة 821
المراجع العلمية من المخطوطات والمطبوعات 823

المقدِّمة

مقدِّمة البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمُّ التسليم على سيدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا بحثٌ تأصيليٌّ يَكشف عن لغة الصوتيّين الأوائل، ويُظهِر ما لهم من معارفَ ومصطلحات صوتيةٍ ضِمن مرحلةٍ زمنيّة واسعة، من القرن الأول إلى القرن السَّادس الهجريّ، موظِّفاً معطياتِ العصرِ التقنيَّة في خدمته من رسوماتٍ توضيحيَّة، وتحليلاتٍ طيفية، وغير ذلك من الوسائل المعاصرة.

وما مثَلي فيه إلا كمثَل مستكشفٍ قام برحلةٍ بحريَّة شاقَّة مع ملاحين مهَرة، يَمخُرون به بحارَ الصَّوت، بدءاً من كونِه مادَّةً أساسيةً (خام)، إلى كيفية حدوثه، ثم تشكُّلِه وتقطِيعه في مخارجِ النُّطق، ثمّ إدراكِه. ويوقِفونه على الهيئاتِ التي يكون عليها الصوتُ في تلك الأماكن، ثم إلى وصفِ أوضاعِه مع جيرانه الذين قرُبوا منه أو بعُدوا عنه، هل يأتلِفُ معهم، ويقبل جيرتَهم أم يتباعَد منهم وينفر عنهم؟ ويُرشِدونه إلى المعالِم والقواعد والقوانين الصَّوتية التي رسَموها لإدارة دفَّة هذه الرِّحلَة الطَّويلة، ويَهدونه إلى المصطلحاتِ التي عبَّروا عنها في كل مرحلة.

فإذا استقام للمستكشف هذا كلُّه عدَّه نجاحاً لرحلته، وإذا كانت الأخرى فما مصيرُه إلا الغرَق؛ أسأل الله التوفيق والنجاة.

وتَكمُن خطورةُ المصطلحاتِ عموماً، والعِلْمِيَّة منها على وجهِ الخصوص، في أهميتِها البالِغةِ في ربط ثقافةِ الماضي بالحاضر، وفي تلاحُم الشعوب ذات اللِّسان الواحد، وإنَّ أيَّ فهمٍ خاطئ لمصطلحٍ مَّا، ربَّما يوقِع في طامّات كانت تَحتاج إلى قليلٍ من التثبُّت والتروّي، تماماً كما فعل بعضُ دارسي الأصوات من المعاصِرين مع مصطلح: (الهمس) المتوارَث في تراثنا، حيث أعطَوه المفهومَ الغربيَّ للصوت غير المجهور، والذي يُطلَق على كلِّ ما لا تهتزُّ الأوتار الصوتية معه (Unvoiced).

هذا المفهوم، ونتيجةً لتطبيقه على مفهوم الهمس عند المتقدمين من أئمة العربية والتجويد أوصلَت بعضهم إلى تقرير أن القرآن الكريم قد أصاب بعضَ أصواته التطورُ والتغير، وأنَّ ما وصَفه المتقدِّمون بالأمس عن الحروف العربية قد تغيَّر نطقُه من خلال ما نَسمعه من أفواه القراء المجِيدين. وهو قولٌ، لو تَمَعَّنَ أصحابُه فيه، لعلموا أنَّ فيه اجتراءً كبيراً على الوعد الإلهيّ المطْلَق القاضي بحفظ الكتاب المنزَّل دون تقييدٍ لهذا الحفظ بنصٍّ مكتوبٍ أو صوتٍ منطوق . ومنشأُ هذا الوهم يَرجِعُ في أساسِه إلى تحريفٍ كبيرٍ لدلالة الهمس، وسيأتي تفصيل ذلك . ومن هنا تكمن أهمية معرفة دلالة المصطلحات وفهمها على وجهها الصحيح الذي أراده لها واضعوها.

ويَرجِعُ اختياري لهذا البحث إلى غَيرةٍ على كتُبِ التراث الصوتيّ من فَقْدِ التواصلِ معها بسبب لغتها

ومصطلحاتها، وإلى لفتِ الأنظار إلى إمكانيَّة إرساءِ علمٍ صوتيّ عربيّ أصيلٍ، خالٍ من الشَّوائبِ، نقيٍّ عن التشويه، بعيدٍ عن الاستسقاء والاستشفاء من ثقافةٍ غربيَّةٍ جعلَتْ من أهدافِها أن تَجمعَ ثقافات العالَم على ثقافتِها، يقولُ المستشرقُ (برنارد لويس) بالنِّيابةِ عن مثقَّفي عصره من الغربيّين: "إنَّ ما تَعَوَّدْنا عليه في الغربِ هو أن يَزدادَ تمسُّكُنا بمثُلِنا الغربية كلَّما ازدادَ اتجاهُ الشرقيّين إلينا وذلك بجَعْلِ أنفسِنا مثالاً للفضيلةِ والتقدُّمِ الحضاريّ، فإذا تَشَبَّهَ الشرقيُّون بنا فذلك جَيِّدٌ، والعكسُ يُعَدُّ عندنا شرًّا . فالتقدُّمُ هو في مُحاكاتِنا، والتقَهْقُرُ والسُّقُوطُ هو في عدمِ التشبُّهِ بنا"[1].

إنَّ هذه الدِّراسةَ لا تَكْرَهُ التجديد، كيف.. وهي تدعو إليه في كلِّ أجزائها، "لكنَّها تُفضِّلُ التجديد القائمَ على القُدرةِ، لا التجديد الذي يَحتالُ للضَّعفِ والعَجز"[2].

والكلُّ يَعلمُ أنَّنا تعوَّدْنا منذ أوائل القرن الماضي أن نَسْتَقِي تقييمَ تراثنا الصوتيّ من خلال ما كتبه المستشرقون عن علمائنا وتاريخنا، وأن نُسلِّمَ لهم ما يتوصَّلُون إليه من أحكام، حتى قال قائلُنا كلمتَه العجيبة:"**ويكفي العربَ فَخْراً** في مجالِ الأصواتِ أن يشهد لهم عالمان غربيَّان كبيران..."[3].

إنَّنا لن نستطيع أن نفهم الحاضرَ ونُقيِّمَ ثقافتَه وننطلِق منه إلى المستقبل حتى نستقرئ الماضي ونَعرِف حدودَه العلميَّة المعرفيَّة، وغايةَ ما وصل إليه، ولا أدَّعي أن هذه الدِّراسة قد قامتْ بتغطية ذلك، بل أقول: إنَّ هذه الدِّراسة محاولةٌ على الطريق أرجو أن يُكتب لها التوفيق.

والتنازعُ بين القديم والجديد أو الأصالة والمعاصَرة معادَلةٌ أزليّة وصراعٌ قديمٌ، ويَبقى البقاءُ للصالح دَوماً.

ومن هنا يَصِحُّ لنا أن نقول: إنَّ دراسةَ أيِّ تفكيرٍ علميٍّ منظَّم ينشأ عنه مقولاتٌ واصطلاحاتٌ إنَّما هو دراسةٌ لانفعالاتِ أذكياء الناس إزاءَ ما يَرَونه من ظواهرَ تحيطُ بهم، وما يستفيدونه من تجارب الأمم التي سبقَتهم، وقد تتَّفق هذه المقولاتُ عبر تاريخ العلم الطويل، وقد تتباين، تبعاً لتنوُّع الرؤى وتطور التفكير، وتبعاً للمنحى العلميّ العام، ممَّا يُحتِّمُ على دارسِ تاريخ أيِّ علمٍ أن يَكشِف عن الوشائجِ والصِّلاتِ التي تَربِطُ ثقافةَ الحاضِر بثقافةِ الماضي حتى يكونَ النَّظَرُ إلى العِلم الحاضرِ عادلاً موضوعيًّا، دون تهويلٍ يجعلُه فوق كلِّ علمٍ، ودون إنقاصٍ يحُطُّه عمَّا له من فَضْل.

وتَكْمُنُ فائدةُ علمِ اللُّغةِ المعاصر في طريقةِ ترتيبِهِ الفكريّ، ونَظْرَتِه إلى العُلُومِ بالمنظارِ الكاشِفِ، أي بتَجَاوُزِهِ لحدودِ العلمِ الخاصِّ، واشتراكِ أكثرَ مِن عِلْمٍ في قَضَايَاهُ مِمَّا هو مُناسِبٌ للمَنحَى الفِكريّ العامّ في العالَم أعني به الاتجاه إلى التقارُبِ الثقافيّ بين الشُّعوب.

(1) الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 34 – 35 .

(2) من مقالة للدكتور علي الزبيدي بعنوان"الخليل الموسيقار" مجلَّة المورد 1395 – 1975 مج 4 عدد 4 ص 29 .

(3) أحمد مختار عمر: البحثُ اللغويُّ عند العرب ص 101 .

غيرَ أنَّ الاتجاهَ إلى التقارُبِ لا يعني أبداً الذوبانَ في ثقافات الغَيْرِ دون اختِبارِها ونَقدِها وتَمحِيصِها، والتأكُّدِ من نتائجها، فبعضُ القَضَايَا التي تَنَاوَلَها علمُ اللُّغةِ المعاصِر يَحْكُمُها أكثرُ من طريقةٍ للتفكير، وربما عبَّرتْ عن وِجهَةِ نظَر أصحابِها الخاصّة فتَبَنِّي مثلِ هذه الطرائق التي هي قابلةٌ للتغيير دون التأكد من صلاحيتها في خدمةِ لغَتِنا جرياً وراءَ كلِّ جديدٍ لحَرِيٌّ أن يَخلِقَ مشكلاتٍ لسانيةً وأزَمَاتٍ ثقافيةً لدى الدارس، فهو عبثاً يُلاحِقُ كلَّ جديد.

يَحتَاجُ الأمرُ منَّا أن نَقِفَ وقفةً واعيةً غيورةً كما وَقَفَ علماؤنا الأوائل الذين استفادوا من معارفِ مَن قبْلَهم، غيرَ أنهم لم ينسَوا هويَّتَهم الأصيلةَ التي صَبَغُوا بها علومَهُم ومعارِفَهم؛ استَثْمَرُوا معارفَ الأممِ التي سبَقَتْهُم، ونَبَّهُوا على أخطائها، وكوَّنوا حضارةً هي أسُّ الحضارة الحديثة .. يَشهَدُ بذلك القاصي والداني.

إنَّ السَّببَ الذي دَعَاني إلى تقديمِ هذه المقدِّمة هو كثرةُ التَّطَابُقِ العَجِيبِ في المعلوماتِ بين ما بحَثَهُ الصَّوتيُّون المتقدِّمونَ وما قدَّمَه علم الأصواتِ المعاصِر مِمَّا يَستَحِثُّ هِمَم الباحثين للخوضِ في هذا الميدانِ الخصب والكشف عن السَّبق العلميِّ الذي وصَل إليه أسلافُنا.

ولا شكَّ أن معرفةَ المتقدِّمين الموسوعيَّة، ومشاركتَهم في أكثرَ من علم جعلَت المعلوماتِ الصوتيةَ متفرِّقةً في علوم مختلفة، كما أنَّ عَصْرَ التخَصُّصِ الحاضِر حجَب عنَّا علمَهم الصَّوْتِيّ، وجَزَّأَ الحُكْم عليه، وإنَّ تَلاَفِي ذلك يَكُونُ في النَّظْرَةِ الكُلِّية لمجْمَل تراثنا.

وقد اقتضى نمطُ التفكيرِ في عصرِ التخصُّصِ الحاضرِ أن تُفْرَدَ الأفكارُ الجزئيَّةُ ببحوثٍ مستقلَّةٍ، وليس كذلك التراثُ، ومن هنا كان الفرقُ بين الحاضِرِ والماضي، فليس على المتقدِّمين جِنَايةٌ في أنَّهم لم يَعْمَلُوا بمقتَضَياتِ العصرِ الحديثِ؛ إذ إنَّ طبيعةَ الموسُوعِيَّة عندهم فرَضَتْ عليهم نمطاً مُعَيّناً من التفكيرِ، أدَّى بهم إلى عَرْضٍ كثيرٍ من الأفكارِ الصوتية في ثنايا كتبِهم، فالواجبُ على الباحثين استخلاص هذه الأفكار وإبرازُها وتحديثُها حتى تُناسِبَ نَمَطِيَّةَ هذا العصر .

كتُبُ الطبِّ . مثلاً . تَكشِف عن معرفة العرب الطبية والتشريحية في أعضاء النطق ووظائفها.

وكتبُ علم الكلام والمنطِق والفلسفة والموسيقى يُستشفُّ منها معرفتُهم الفيزيائية للصَّوت، وكيفيةِ حدوثه وإدراكه، والتعرُّفِ على خصائص الحدث الكلاميِّ عموماً، وقوانينِ وضعِ الألفاظ ودلالتها، وموسيقيةِ اللَّفظ، والأخذِ بالوجوه[1].

وكتبُ النحو والصَّرف والتجويد والقراءات يُقيَّم من خلالها معرفتُهم في مخارج الحروف وصفاتها، وأحكامِ تركيبها وتألُّفها.

(1) هو رفعُ الصَّوت وخفضُه دلالةً على بعض معاني الكلام، وهو مسمّىً قديم أطلق عليه هذا المصطلح أبو الوليد ابن رشد (ت 595 هـ) ويسمَّى "التنغيم" حديثاً.

وكتبُ المعاجم واللُّغة والبلاغة والتجويد يُستقرأُ فيها مدى معرفتهم للاحترازات والعيوب النطقية.

هذا التنوُّعُ في المصادر شكَّل عبئاً كبيراً على الباحثِ اللُّغويّ، إذ إنَّ استقراءَ المعارفِ الصوتية في هذه العلوم، لا يُمكِن أن يضطلع به الباحثُ اللغويّ في عصر التخصُّص الدَّقيق، ولا بدَّ لمن يريد أن يخوض في هذه العلوم من الاستعانة بأهل الاختصاص في كل فنٍّ تجنُّباً للمزالق الحتميَّة إن اتُّكِئ على الفهم الخاصّ والاجتهاد الشخصيّ[1]، هذا مع التيقُّن الشديد أنه لا يمكنُ الإحاطةُ بمصنَّفات العلوم بَلْه بالفنِّ الواحد، فمهما بلَغَ الإنسانُ الغايةَ في الاستقصاء، فلا بدَّ أن يكون قد فاته شيءٌ كثيرٌ في العلم، لكن حسبي أني أخذتُ من كل فنٍّ يختَصُّ بموضوعي أهمَّ ما فيه من الكتب.

خطة استخلاص مصطلحات الدِّراسة ومراجع البحث

كانت خطتي في استخلاص مصطلحات الدِّراسة يقوم على قراءة المصادر من أوَّلِها إلى آخرها، من الجِلدة إلى الجلدة، واستخلاص المصطلحات منها، ووضعها في مكانها من الحاسب الآليّ؛ لأنَّ المصطلحات ليست معروضةً مبذولةً في هذه الكتب، فمن الكتب التي قرأتها ـ بفضل الله تعالى ـ كاملةً:

من كتب معاني القرآن وإعرابه: معاني القرآن للفراء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، وإعراب القرآن للنحَّاس، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه.

من كتب القرآن والرسم والوقف والابتداء: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وفضائل القرآن ولغات القرآن كلاهما لأبي عبيد، ولغات القرآن لابن حسنون، وإيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ، والقطع والائتناف لأبي جعفر النحَّاس، والمكتفى في الوقف والابتدا، والمقنع في رسم مصاحف الأمصار كلاهما للدانيّ.

من كتب التجويد: منظومة الإمام الخاقانيّ في الأداء، والرعاية لمكيّ، والتحديد للدانيّ، والموضح لعبد الوهَّاب القرطبيّ، والتمهيد لأبي العلاء الهمَذانيّ، ومرشد القارئ لابن الطحَّان الأندلسيّ، وبيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء لابن البناء البغداديّ وغيرها.

من كتب القراءات وتوجيهها: السبعة لابن مجاهد، وإدغام القراء وما ذكره الكوفيون من الإدغام كلاهما للسيرافيّ، ومعاني القراءات للأزهريّ، والحجج الثلاثة في القراءات للفارسيّ، وابن خالويه، وابن زنجلة، والغاية والمبسوط كلاهما لابن مهران، والاستكمال لعبد المنعم بن غلبون، والمحتسب لابن جنيّ، والتذكرة لطاهر بن غلبون، والمنتهى لأبي الفضل الخزاعيّ، والهادي لابن سفيان القيروانيّ، والتبصرة لمكي

(1) انظر مخاطرَ ترك باحثي اللُّغة يعملون لوحدهم في هذا النوع من العلوم في كتاب: العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ لألدوميلي ص 12.

القيسيّ، والروضة للمالكيّ، والتيسير وجامع البيان والموضح لمذاهب القرَّاء ثلاثتها للدانيّ، والعنوان لابن خلف، والتلخيص لأبي مَعْشَر الطبريّ، وتلخيص العبارات لابن بلِّيمة، وغيرها.

من المعاجم: العَين للخليل، والغريب المصنَّف لأبي عبيد، والجمهرة لابن دريد، ومقاييس اللُّغة لابن فارس، والبارع للقالي، وأساس البلاغة للزمخشريّ.

من الرسائل اللُّغوية: المقصور والممدود للفراء، ونوادر أبي زيد، وإصلاح المنطق لابن السِّكيت، والأضداد لأبي حاتم، والملاحن لابن دريد، والأضداد لابن الأنباريّ، والزينة للرازيّ، ومجالس العلماء لثعلب والزجاجيّ وغيرها.

من كتب النحو: كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرِّد، والأصول لابن السرَّاج، والجمل للزجَّاجيّ، والإنصاف وأسرار العربية كلاهما لابن الأنباريّ، ونتائج الفكر للسهيليّ وغيرها.

من كتب الصَّرف: الإبدال لابن السِّكيت، وما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافيّ، والتكملة لأبي علي الفارسيّ، وسر صناعة الإعراب والمنصف كلاهما لابن جني.

من كتب الأدب والبلاغة والنقد وفقه اللُّغة: البيان والتبيين للجاحظ، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والبديع لابن المعتزّ، والخصائص لابن جنيّ، والصاحبي لابن فارس، والأمالي والنوادر وذيلها للقالي، وسر الفصاحة للخفاجيّ، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة كلاهما للجرجانيّ، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، والعمدة لابن رشيق القيروانيّ، والصناعتين للعسكريّ، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي.

من كتب العَروض والشعر: العروض والقوافي كلاهما للأخفش، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحيّ، وما يحتمل الشعر من الضرورة للسيرافيّ.

من كتب الطبّ: في هذه الكتب اخترتُ منها ما يناسِبُ بحثي فقط:

من الحاوي في الطب للرازيّ، ومن كامل الصناعة الطبية للمجوسيّ، ومن المعالجة البقراطية للطبريّ، ومن التصريف لمن عجَز عن التأليف للزهراويّ، ومن زاد المسافر لابن الجزَّار، ومن القانون في الطب لابن سينا، ومن المعتبر في الحكمة لابن مَلْكا البغداديّ.

من كتب الفلسفة والمنطق: الحروف للفارابيّ، ومن رسائل إخوان الصفاء، ومعيار العلم للغزالي، وتلخيص كتاب النفس وتلخيص كتاب الخطابة كلاهما لابن رشد.

من كتب الموسيقى: في خُبْر صناعة التأليف، وفي أجزاء خُبرية في الموسيقى كلاهما للكنديّ، والموسيقى الكبير للفارابيّ، وحاوي الفنون وسلوة المحزون لابن الطحَّان الموسيقيّ.

من كتب المعارف العامة والتراجم: مراتب النحويّين لأبي الطيِّب اللُّغويّ، وأخبار النحويين البصريين

للسيرافيّ، وطبقات اللغويين للزبيديّ، ومفاتيح العلوم للخُوارزميّ، وإحصاء العلوم للفارابيّ.

هذا ناهيك عن الكتب التي قرأتها ـ بفضل الله تعالى ـ أجزاءً أو مفرَّقة.

والدِّراسةُ التاريخية للمصطلح ودلالتِه ولَّد صعوبةً أخرى في الكَشْفِ عن أقدَمِ من استعمله من العلماء، ومن تابعَه فيه. وكذلك فُقدان كثيرٍ من كتب الأوائل، وروايةُ المتأخِّر عنهم، أغمضَ دلالةَ بعضِ مصطلحاتهم. وستأتي أمثلةٌ لذلك في البحث.

الدِّراسات السابقة على هذا البحث

أربعة، وهي:

1 ـ كتاب: "المصطلح الصَّوتيّ في الدِّراسات العربية"، للدكتور عبد العزيز الصِّيغ، طبعة دار الفكر بدمشق سنة 1421 هـ، أصلُه رسالة ماجستير نوقِشت في جامعة بغداد سنة 1988م. وهو كتابٌ نافع، انتَقى مصنِّفُه سبعةً وثمانين مصطلحاً صوتياً تراثيّاً، دار حولها الكتاب، كما أنه أشرك بعضَ مصطلحات دارسي علم الأصوات الغربيّ المعاصر وآرائهم. وجاء كتابه خالياً من الرسومات التوضيحيَّة إلا فيما ندَر. وقد خرج بنتائج مهمَّةٍ، منها: أنَّ الدراسات المعاصرة في علم الأصوات تُغفِل المصطلحات الصوتية عند العرب، وتَستعمِل مصطلحات مترجمةً من اللُّغات الأخرى، ولذلك تتعدَّد المصطلحات بتعدُّد المترجمين، وبالتالي ينشأ خلافٌ حول المصطلح لا طائل تحته.

2 ـ كتاب: "المصطلح الصوتيّ عند علماء العربيَّة في ضوء علم اللُّغة المعاصر"، للدكتور عبد القادر مرعي خليل، طبع جامعة مؤتة سنة 1413 هـ، انتقى مصنِّفُه ما يقرُب من أربعين مصطلحاً صوتياً، شكَّلت مجمل الكتاب، في مقارنةٍ بين أقوال المتقدِّمين من علماء العربية، وأقوال المستشرقين، وأقوال دارسي الأصوات المعاصِرين من المؤلِّفِين العرب، وجاء ببعض الرُّسومات التوضيحيَّة فيما يخصُّ أعضاء النُّطق، ويصلُح هذا الكتابُ كدراسةٍ مقارنةٍ حول الظاهرة الصَّوتية أكثر منها حول المصطلح، والله أعلم.

3 ـ كتاب:"التفكير اللِّسانيّ في الحضارة العربية" للدكتور عبد السَّلام المسدِّي، طبع الدار العربية للكتاب بتونس، سنة 1981م. أصله رسالة دكتوراه نوقِشت في الجامعة التونسية سنة 1979 م. وهو كتابٌ عظيمٌ في مضمونه وقضاياه، معقَّد في لغته؛ لاستعماله أساليب لم تألفْها عاداتُ الناس اللُّغوية، كشَف فيه مصنِّفُه عن الجوانب الصوتيَّة البديعة في التراث الفلسفيّ عند العرب، وصدَّره بكلام مهمٍّ مفادُه أنَّ النهضةَ اللاَّتينية قامَتْ أساساً على مُسْتَخْلَصاتِ الحضارة العربية بعد أن أقبلت على ترجمة أمهات التراث فيها، وقد عمَد الغربُ إبَّان نهضته إلى نقل علوم العرب، وذلك في ميدان العلوم الصحيحة أولاً: من رياضيات وفلك وفيزياء وكيمياء، وفي ميدان الطبِّ ثانياً، ثم في ميدان الفلسفة حتى كان ابنُ رُشْد مفتاحَ النهضة الأوروبية إلى تراث اليونان، وخاصة المعلِّم أرسطو، فبرَزَتْ هكذا أعلامُ الحضارة العربية ركائزَ للغرب

في علومه ومعارفه.

وقد استفدتُ من هذا الكتاب كثيراً، وخاصَّةً عند الحديث عن نشأة المصطلح ودلالته.

4 ـ كتاب: "الدِّراسات الصوتيَّة عند علماء التجويد"، للدكتور غانم قدُّوري الحمَد، مطبعة الخلود ببغداد، سنة 1406 هـ، أصلُه رسالة دكتوراه نوقِشت في جامعة بغداد، سنة 1985 م. اشتَمل على عدد كبيرٍ من المصطلحات ضمن ثناياه، وهو من عيون البحوث الصوتية في تراث العرب التجويديّ، ورافقَني طوال رحلتي العلميَّة، وأهمُّ نتائجه الكشفُ عن علم التجويد كمصدرٍ أصيل من مصادر الدِّراسة الصوتيَّة العربية.

أبوابُ البحث وفصوله

انتظمتْ أبوابُ البحث وفصوله كالتالي:

التمهيد ويتضمَّن ما يلي:

1 ـ المصطلح الصوتيّ: نشأة المصطلح، وتعريفاته، وخصائصه.

2 ـ دلالةَ المصطلح التاريخية: نموّها وتطورها، توسعها وضيقها، وضوحها وغموضها مع ضرب الأمثلة على ذلك من خلال ما استقرأته في الكتب.

3 ـ مقدِّمةٌ موجَزةٌ عن تاريخ العلم العربيّ، وهو مدخلٌ رئيسٌ للكشفِ عن تأثير العلوم النَّقلية والعقلية في المصطلح الصوتي.

الدراسة التاريخية للمصطلحات الصوتية:

الباب الأول: التأثير في المصطلح الصوتيّ:

المبحث الأول: تأثير العلوم النقلية:

تناولتُ في هذا المبحث رحلة العلم الصوتيّ عند أصحاب هذه المدرسة من أوَّل ظهوره في المشرق ثم اكتمال حلقاته في المغرب والأندلس.

واستعرضتُ في هذا المبحث الجهود المصطلحات والآراء الصوتية لـ:

1. أهمِّ علماء العلوم المعجمية ومصنفاتهم.

2. أهمِّ علماء العلوم النحوية والصرفية والبلاغية ومصنَّفاتهم.

3. أهمِّ علماء علوم القراءات والتجويد ومصنفاتهم.

وترتَبطُ هذه العلوم فيما بينها ارتباطا وثيقاً، ويَجمع مصطلحاتِها ومعارفَها وعلماءها وحدةٌ ثقافيةٌ، وإن

اختلفت نوعيةُ مصنَّفاتها بحسب ما يَخدم أهدافها.

وشكَّلت هذه العلومُ النقليَّة أساساً متيناً للمصطلح الصوتيّ ما زلنا نَلحظ آثاره إلى هذا اليوم.

المبحث الثاني: تأثير العلوم العقلية:

ويمثل هذه الجهود المصطلحات والآراء الصوتية لـ:

1. أهمِّ علماء علم الكلام والمنطق ومصنفاتهم.
2. أهمِّ علماء علم الطب ومصنفاتهم.
3. أهمِّ علماء علم الموسيقى ومصنفاتهم.

وتعتمد هذه العلوم في ركائزها الأساسية على العلوم والمعارف القديمة من يونانية وهندية وفارسية، كما أنَّ آثارَها امتدَّت إلى الدرس الصوتيِّ المعاصر، فلا نعجَب إذا ما وجدنا أصولَ أكثرِ القضايا والمصطلحات التي يستعملها علماءُ الأصوات اليوم عند علماء هذه العلوم. وسيُشار إلى هذا ضمن ثنايا البحث.

البابُ الثاني: المصطلحاتُ الصَّوتيَّة

ويتضمَّن ستة فصول:

الفصل الأوَّل: أعضاء الصوت والنُّطق والاستعمالُ الصوتيّ لها.

الفصل الثاني: الأسس النُّطقية والفيزيائية للصَّوت والحرف.

الفصل الثالث: صفات الحروف.

الفصل الرابع: تركيب الحروف.

الفصل الخامس: العيوب الصوتية والنطقية والاحترازات عنها.

الفصل السادس: الألقاب الصوتية للحروف الأصلية والفرعيَّة.

الخاتمة، وتتضمن:

1. نتائج البحث.
2. التوصيات.
3. الفهارس والملاحق.

ملاحظات هامة حول أبواب الدراسة

1. العنوان: إن استخدام كلمة: (التراث اللغويّ) هو من باب التغليب لأن أكثر المصطلحات في هذه

الدراسة هي لعلماء العربية والقراءات والتجويد.

2 ـ إن الغرض الأساسيَّ من الباب الأول هو الحديث عن العلاقات التاريخية المتشابكة بين العلوم المذكورة، والتي أعدّها المدخل الصحيح لفهم الرِّحلة التاريخية للمصطلح الصوتي؛ لأن هدف الدراسة ليس مجرَّد تعداد مصطلحات ذُكِرت في التراث وإنما هو الكشف عن اللغة الصوتية التي كانوا يكتبون ويعبّرون بها، ولا شكَّ أن تاريخ العلمِ الصَّوتيّ الذي تناولَه البابُ الأوَّل هو الذي أفرز تلك المصطلحات.

3 ـ قد يخالِفُ منهج هذه الدِّراسة وتقسيماتُها بعضاً مما ألفه الدارِسون من مناهجَ وتقسيمات، وخاصَّةً لمجوِّدي القرآن الكريم، لأنني توخَّيتُ جمعَ النظير إلى النظير، وأظنُّ أنَّ القضيَّة قضيةُ إلفٍ ذهنيٍّ لمنهجٍ من المناهج لا أكثر ولا أقلّ، وسيجد هؤلاء أن التقسيم الذي اتبعتُه هو المناسب لمصطلحات الدِّراسة، والله الموفِّق.

4 ـ هذه الدِّراسةُ ليست في ضوء علم الأصوات المعاصِر ولا في ظلِّه، والمصطلحاتُ والألفاظ التي أستَعمِلُها في إدارتِها لا تَلتزِمُ بمصطلحاته، كمثل التفريق بين الصَّوتِ والحرفِ؛ لأنَّ هذين المصطلحين هما من قبيل المشترك اللَّفظيّ، فاستُعمِل الحرفُ للتعبير عن الرَّسمِ الكتابيّ والصَّوت، واستُعمل الصَّوتُ للتعبير عن الصَّوت المجرَّد المسموع والصَّوتِ اللُّغويّ[1]، وكما أنَّ المعاصرين عنَوا بالصَّوتِ الصوتَ اللُّغويَّ، كذلك المتقدِّمون عرَّفوا الحروف بأنَّها مقاطع تعرضُ للصَّوت أو هيئةٌ عارضةٌ للصَّوت، فليس ذا أوْلى من ذا، ولهذا راوَحتُ بين استعمال المصطلحَين. ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ السَّوادَ الأعظمَ من دارسي علم التجويد والقراءات وكثيراً من غيرهم ـ وما أنا إلا من قومي ـ يستعمِلون مصطلح الحرف تعبيراً عن صوته، وسيأتي في التمهيد أنَّ تغيير المواضعَة الصَّوتيَّة يَحصُلُ بمصادقَةِ الجماعةِ المتحدِّثة باللَّفظ على التغيير، وهذا التغييرُ لم يتعدَّ بعدُ دائرةَ دارسي علم الأصوات المعاصِر، والله أعلم .

(1) انظر مصطلحَي: (الحرف والصَّوت).

التمهيد

التمهيد

المصطلح الصوتيّ

يعدُّ الحديثُ عن اللُّغةِ ونشأةِ ألفاظِها مدخلاً طبيعياً للحديث عن المصطلح الصوتي ودلالته، لأن المصطلح عموماً ما هو إلا لفظٌ من ألفاظ اللُّغة قد يكون ارتجالياً في أوَّل الأمر من أحد الأفراد، ثم تَرْتَضِيهِ الجماعةُ المتحدِّثةُ به ليُصْبِحَ من ثَوَابِتِ العِلْم ولوازمه، تماماً كما هو الحال مع مصطلحات سيبويه التي ضمَّنَها كتابَه، حيث كانت ارتجاليَّةً منه ـ رحمه الله تعالى ـ لكن أذعَن لها العلماءُ بالقَبول حتى أصبحَتْ جُزءاً من العِلْم الصوتيّ، وأصبح الخروجُ عنها شذوذاً عن العِلْم نفسِه.

ومن ناحيةٍ أخرى فإن بعضَ المصطلحات يمرُّ بذات المراحلِ التي مرَّتْ بها ألفاظُ اللُّغة من وضعٍ وتحوُّلٍ دلاليٍّ وغير ذلك من التغيُّرات الطارئة عليها.

وهذا التمهيدُ الذي أتناولُ فيه وضعَ ألفاظِ اللُّغةِ ومصطلحاتِها يَكشِف بشكلٍ فلسفيٍّ مختصرٍ عن خُلاصةِ التفكير اللِّسانيّ لمنظِّري علماء المسلمين من أصوليِّين وبلاغيِّين ومتكلِّمين وفلاسِفة، ومدى قدرتهم على تحليل المصطلح، ونظرَتِهم العَميقة إلى كيفيَّة نشأتِه ودلالته. ويُبرِزُ بشكلٍ خاصٍّ مفهوم الاصطلاح والمواضَعة عندهم، عسى أن تَكُونَ صُوىً ومعالم للعاملين في مجال المصطلحات.

وسأوجِز ذلك في نقاط، تمثِّلُ كلُّ نقطةٍ عنواناً ينضوي تحته عدَّةُ أفكار، مُدَعِّماً ذلك بالنُّصوص المناسِبة[1]:

أوَّلاً: اللُّغة والمواضعة

وَضْعُ الألفاظِ للمعاني إنَّما هو مرتبطٌ بشكلٍ أساسيٍّ بالتَّواضُع والاصطلاح من أهل اللُّغة على أن يجعَلوا هذا اللَّفظ لهذا المعنى، لا أنَّ هناك تلازماً حتميًّا أكيداً بين اللَّفظ والمعنى، ولْيَعْذُرْنا ابنُ جنيّ[2]، **فتركيبُ الألفاظِ اصطلاحٌ وارتجالٌ من أهلِ اللُّغة، وليس بالضَّرورةِ أن يَتْبَعَ المعاني**، قال الفارابيُّ: "فمحاكاةُ تركيبِ المعاني بتركيب اللَّفظ هي مصطلحٌ عليه، فكأنه اصطُلح على أن يكون محاكياً له، لا على أنه في طِبَاعِ الأمرِ أن يَكُونَ تركيبُهُ مُشَابِهاً لتركيبِ اللَّفظِ بالطَّبْعِ، لكن بالاصطلاحِ، فإنَّ محاكاةَ الأمورِ المتَشَابهةِ بعضِها بعضاً هي محاكاةٌ بالطَّبْع، ومحاكاةُ التركيبِ في اللَّفظ للتركيبِ المشارِ إليه في المعنى هو

(1) أكثر أفكار هذا التمهيد ونصوصِه مستَخلَصٌ من كتاب التفكير للِّسانيّ في الحضارة العربية للدكتور عبد السلام المسدّي.

(2) يعدُّ ابن جنيّ رائدَ القائلين بتلازمِ اللَّفظ والمعنى في الوضع، وقد اصطلح على تسمية ذلك باسم : الاشتقاق الأكبر، وحشَد لتأييد فرضيَّتِه عدداً من الأمثلة. انظر: باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وبابٌ في إمساس الألفاظ أشباه المعاني في الخصائص 2/ 145 - 168 .

بالاصطلاح"[1].

ويمثِّل عبدُ القاهر الجرجانيُّ لذلك بكلمتَي: ضرَب وربَض، حيثُ يَصِحُّ بالمواضَعَةِ أن تَجْعَلَ (رَبَضَ) مكان: (ضَرَبَ)، قال:"نظمُ الحروف هو تَوَالِيها في النُّطق فقط، وليسَ نظمُها بمقتضىً عن معنى، ولا الناظمُ لها بِمُقتفٍ في ذلك رسماً من العقلِ اقتَضَى أن يَتَحَرَّى في نظمِه لها ما تحرَّاهُ، فلَو أنَّ واضعَ اللُّغةِ كان قد قالَ (رَبَضَ) مكان (ضَرَبَ) لَمَا كان في ذلك ما يؤدِّي إلى فساد"[2].

ويُعَمِّق ابن سينا هذا المفهومَ بقوله:"وذلك أن اللَّفظَ بنفْسِهِ لا يَدُلُّ البتَّة، ولولا ذلك لكان لِكُلِّ لفظٍ حقٌّ من المعنى لا يُجَاوِزُهُ، بل إنما يَدُلُّ بإرادةِ اللاَّفِظِ، فكما أن اللاَّفِظَ يُطلِقُهُ دالاً على معنًى، كالعَينِ على الدِّينارِ، فيكون ذلك دلالتَه، كذلك إذا أخْلاَهُ . في إطلاقه . عن الدلالةِ بقِي غيرَ دالّ"[3].

ويَتَجَاوَزُ الشهرستانيُّ حدودَ الألفاظ بقوله:"الكلامُ ليس جنساً ونوعاً في نفسِه ذا حقيقةٍ عقليّةٍ كسائرِ المعاني، بل هو مختلِفٌ بالمواضَعة والاصطلاح والتواطؤ، حتى لو تواطأ قومٌ على نقَرات وإشارات ورمَزات لحصل التفاهمُ بها كما حصَل التفاهمُ بالعبارات"[4].

وهكذا يقولُ علمُ اللُّغة المعاصِر: اللُّغةُ تتألَّفُ"من إشاراتٍ أوعلاماتٍ (signes , signs) لا يَرْبِطُ بينها وبين الشيءِ الذي تُشيرُ إليه أيُّ رابطٍ عُضويٍّ أو تشابهيّ. فليس في الشجرة (الشيء الخارجيّ) أيةُ علاماتٍ أو خصائص تَجْعَلُ المتكلِّمَ العربيَّ يتلفَّظُ بكلمة "شَجَرة" ليدلَّ عليها. كما أنَّ هذه الكلمة بحدِّ ذاتِها لا تَمْلِكُ عناصر أو تراكيب تدلُّ بشكلٍ مَّا على هذا الشيء الخارجيّ (كالشين مثلاً للدَّلالة على الأوراق الخضراء، أو الجيم للدلالة على الجذعِ والأغصان... الخ).

فاستعمالُ كلمة "شجرة" يَنتُجُ عن اصطلاحٍ جماعيٍّ اتَّفَقَ عليه مجموعٌ من النَّاس متكلِّمين. وهكذا، فإنَّ العلاقةَ التي تَرْبِطُ بين الإشارةِ اللُّغويَّة والشيء الخارجيّ الذي تدلُّ عليه هي نتيجةُ اتِّفاقِ رهطٍ من النَّاسِ حول استِعمالاتها (هذا الاتِّفاق يَتِمُّ بالطَّبْع خلال فترةٍ طويلةٍ من الزَّمن تَخْضَعُ خلالَها الإشاراتُ اللُّغويةُ إلى عواملَ عديدةٍ)"[5].

ومِن الأمور المهمَّة التي ذكَرَها المتقدِّمونَ في الاصطلاح والمواضَعةِ أنَّ **الاصْطِلاَحَ عَلَى الشَّيءِ فَرْعٌ عن تَصَوُّرِهِ وإدرَاكِه**، قال القاضي عبد الجبار:"المعتَبَرُ في صحَّةِ المواضعَةِ على الأسماءِ بأن يَكُونَ المسَمَّى مَعْلُوماً أو في حُكْمِ المعْلُوم، عُلِمَ باضطرارٍ أو باكتسابٍ، ولذلك صَحَّ من طوائفِ أهلِ العِلْم عند معرفتهم بأمورٍ

(1) شرح العبارة ص 50 - 51.

(2) دلائل الإعجاز ص 40 نسخة رضا، وص 49 نسخة شاكر.

(3) انظر: التفكير اللساني للمسدّي ص 111 .

(4) نهاية الإقدام في علم الكلام ص 323. وانظر التفكير اللساني ص 133 .

(5) علم الأصوات العام لبسام بركة ص 18 .

هُدِيَتْ لهم دون مُتَقَدِّميهم المواضعةُ على أسماءٍ لها، كما يصحُّ ذلك في الأمور المشاهَدة"[1].

وقال عبد القاهر الجرجانيُّ:"المواضعةُ لا تَكُونُ ولا تُتَصوَّرُ إلا على معلومٍ، فمحالٌ أن يوضَع اسمٌ أو غيرُ اسمٍ لغيرِ معلومٍ، لأنَّ المواضَعةَ كالإشارةِ، فكَمَا أنَّكَ إذا قُلْتَ: خُذْ ذاكَ، لم تَكُن هذه الإشارةُ لتُعرِّفَ السامعَ المشارَ إليه في نفسِه، ولكن ليُعلَم أنه المقصودُ من بين سائر الأشياء التي تراها وتُبصِرُها، وكذلك حكمُ اللَّفظِ معَ ما وُضِعَ له"[2].

وهذا الفهمُ السابقُ ذو أهمِيَّةٍ بالِغةٍ في وضعِ مصطلحاتِ العلوم في عصرنا الحاضِر؛ إذ هي تُلزِمُ المشرِّعين اللُّغويّين من أصحاب المجامعِ أن يضمُّوا إلى جانبِهم المتخصِّصين في العلومِ الأخرى حتى يكونوا مشاركين في وضع المصطلحِ العلميّ؛ لأنَّهم أقدَرُ الناس على تصوُّرِه وإدراكِه.

ثانياً: أدوات توصيل المعاني

ذكَر المتقدِّمون خمس أدوات تستطيع أن توصِل فيها ما في نفسِك إلى الآخرين، وهي: اللَّفظُ، والخطُّ، والرَّمزُ، والعددُ، ودلالةُ الحال.

1 ـ اللَّفظ: وهو أعلاها رتبةً، قال الخفاجيُّ: "وإنَّما فَزِعَ العقلاءُ إلى الحروفِ في المواضَعة؛ لأنها أسهلُ وأوسع، ومع التأمُّل لا يوجَد ما يقوم مقامها"[3].

2 ـ الخَطُّ: قال الفارابيُّ: " فكلُّ ما يُمكِنُ أن يُقَالَ في الألفاظ فإنه ممكِنٌ أن يُقَالَ بِعَينِهِ في الخُطُوطِ، فلمَّا كانت الخطوطُ دلالتُها على الألفاظ باصطلاح، كذلك دلالةُ الألفاظ على المعقولات التي في النَّفْس باصطلاح ووضعٍ وشريعة "[4].

ومن المصطلحات التي استُعملت فيها دلالة الخطّ مصطلح: (الياء) استُعمل للتعبير عن الهمزة المرسومة على ياء، وسيأتي.

3 ـ الإشارة، أو الرَّمز: منه قولُ الله تعالى لزكريّا عليه السلام: [قَالَ ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا]، وقوله تعالى: [فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ، قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا] فجعَل ـ سبحانه ـ الإشارةَ والرَّمز كلاماً.

وقال الجاحظ:"وقد يتهدَّد رافعُ السيف والسَّوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً.

(1) المغني 5/ 186. وانظر التفكير اللساني ص 125 .

(2) دلائل الإعجاز ص 540 .

(3) سر الفصاحة ص 40 .

(4) شرح العبارة ص 25 – 26. وانظر التفكير اللساني ص 73 .

والإشارةُ واللَّفظ شريكان، ونِعم العونُ هي له، ونِعمَ الترجُمَان هي عنه، وما أكثرَ ما تَنُوبُ عن اللَّفظِ وما تُغْنِي عن الخطّ... وفي الإشارة بالطَّرْف والحاجبِ وغير ذلك من الجوارحِ مَرفقٌ كبيرٌ، ومعونةٌ حاضرة، في أمورٍ يَسترُها بعضُ الناس من بعض، ويُخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارةُ لم يتفاهم الناسُ معنى خاصّ الخاصّ، ولجهِلوا هذا البابَ البتّة "[1].

4 ـ العَقْد، هو الحساب، فمنه معرفة الأيام واللَّيالي والشهور[2].

5 ـ الحال، أو النَّصْبة: هي الحال الناطقةُ بغير اللَّفظ، والمشيرةُ بغير اليد، ومتى دلَّ الشيءُ على معنىً فقد أخبَر به، وإن كان صامتاً، فمنه قول بعضهم: سَل الأرضَ فقل: مَن شَقَّ أنهارَكِ، وغرَس أشجارَك، وجنَى ثمارَك ؟ فإن لم تُجبكَ حواراً أجابَتكَ اعتباراً[3].

وبعضُ هذه الخمسة يدرسُها علم اللُّغة المعاصر تحت اسم:"عِلْمِ العَلاَمَات"، أو "السِّمْيُولُوجيا"[4].

ثالثاً: المصطلح العلميّ والتحوُّلُ الدّلاليّ

لكي يكون هناك دلالة يجب توافرُ عنصرَين، أحدهما يدلُّ على الآخر، الأوَّل يسمَّى بـ: (الدالّ)، والثاني يسمّى بـ: (المدلول)، **والدَّلالة تعني أن العلمَ بوجود شيءٍ يَفترِض استتباعَ العلم بوجود شيءٍ آخرَ في الذِّهن ملازمٍ له،** قال الجرجانيّ: "الدلالة: هي كَون الشيء بحالةٍ يلزمُ من العلم به العلمُ بشيء آخَر. والشيءُ الأوَّل هو الدالّ، والثاني هو المدلول"[5].

والتحوّل الدّلاليُّ هو استعمالٌ جديدٌ لألفاظ اللُّغة، كدهشة ذلك الأعرابيّ لما"وقَف على مجلس الأخفش، فسمِع كلامَ أهله في النحو، وما يَدخُل معه، فحارَ وعجِب، وأطرق ووَسوَس، فقال له الأخفش: ما تسمعُ يا أخا العرب ؟ قال: أراكم تتكلَّمون بكلامنا في كلامِنا بما ليس من كلامِنا!!"[6]

هذا التحوّل الدلالي هو المولِّد للمواضَعات الجديدة، ومنها المواضَعة الصوتيّة، ويسمّيه المتقدِّمون: مجازاً واتساعاً في المعنى.

وإذا رجعنا إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلَّم، فإننا نجده مارس توسيع الدَّلالة في أكثر من موطِن، فمن ذلك قولُه للصَّحابة ـ رضي الله عنهم ـ يوماً:"أتدرون ما المفلِس ؟"، فأحالَهُ الصحابةُ ـ رضي الله عنهم ـ إلى المعنى الذي تواضَعوا عليه من الإفلاس، قالوا: المفلسُ فينا من لا دِرْهَمَ له ولا متاع، فقال ـ عليه الصَّلاةُ

(1) البيان والتبيين 1/ 57.

(2) انظر: البيان والتبيين 1/ 58 – 59.

(3) من تفسير الجاحظ لها. البيان والتبيين 1/ 59.

(4) انظر: علم اللغة لمحمود سعران ص 63، واللغة لفندريس ص31 وما بعدها.

(5) التعريفات ص 104.

(6) الإمتاع والمؤانسة 2/ 139.

والسلام ـ محيلاً لهم على حقيقة المفلس: "إن المفلس من أمَّتي يأتي يومَ القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتَم هذا، وقذَف هذا، وأكَل مال هذا، وسفَك دم هذا، وضرَب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنِيَتْ حسناتُه قبل أن يُقضَى ما عليه أُخِذ من خطاياهم، فطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِح في النار"(1)، فالنبي صلى الله عليه وسلم وسَّع معنى الإفلاس من الدِّرهم والدِّينار إلى الإفلاس من الحسنات.

وأَورد ابنُ جني باباً سمَّاه: (بابٌ في إيراد المعنى المراد بغير اللَّفظ المعتاد) ذكَر فيه أن هذا مَوضِعٌ استعملَته العربُ، واتَّبعَتها فيه العلماء. والسَّبَب في هذا الاتساع أن "المعنى المرادَ مُفادٌ من الموضِعَين جميعاً، فلمَّا آذنا به وأدَّيا إليه سامَحوا أنفسَهم في العبارة عنه؛ إذ المعاني عندهم أشرف من الألفاظ"(2).

وضرَب ابنُ جنيٍّ أمثلةً على ذلك من المصطلحات، فقال:"وكما يعبّرون بالفتح عن النصب، وبالنصْب عن الفتح، وبالجزم عن الوقف، وبالوقف عن الجزْم. كلُّ ذلك لأنه أمرٌ قد عُرِف غرضُه والمعنى المعنيُّ به"(3).

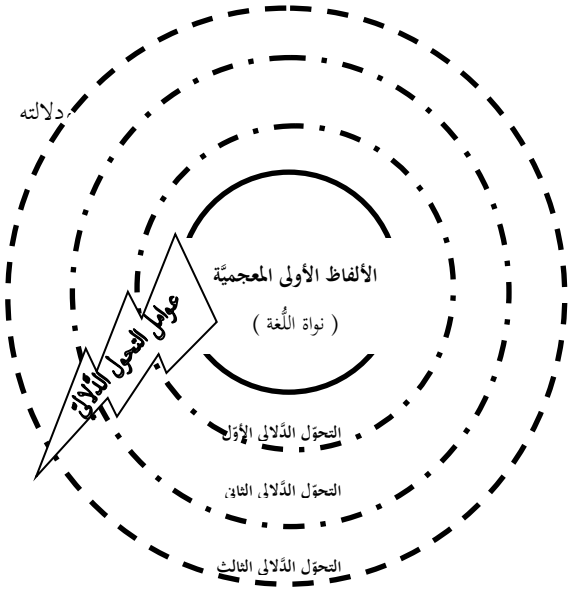
واشترَطَ المتقدِّمون وجودَ القرينةِ والدَّليلِ لمعرفةِ هذا التحوُّل الدَّلاليّ، **فتَحويلُ الدَّلالةِ عن المعنى الأصليّ لا بدَّ له من دليل أو قرينة تدلُّ عليه،** قال ابن حزم:"المجاز: هو في اللُّغة ما سُلِك عليه من مكان إلى مكان، وهو الطريق الموصِل بين الأماكن، ثم استُعمِل فيما نُقِل عن موضِعه في اللُّغة إلى معنىً آخَر، ولا يُعلَم ذلك إلا من دليلٍ من اتفاقٍ أو مشاهَدة"(4).

وقد نبَّه المتقدِّمون إلى أنَّ **التحوّلَ الدَّلاليَّ يَجعل من اللُّغة سلسلةً من المواضَعات، حتى لربَّما يُنسي أصل الاستعمال،** وفي ذلك يقولُ السُّهيليّ: "رُبَّ مَجازٍ كَثُر واستُعمِل حتى نُسِي أصلُه وتُرِكت حقيقتُه"(5).

ويمكنُ تمثيل ذلك على الرسم، حيث توضَعُ الألفاظ المعجمية التي استُعْمِلَتْ وقْتَ نزول القرآن الكريم، وسجَّلها اللُّغويون في معاجمهم ضِمنَ دائرةٍ نَعدُّها بمثابة نواة للغة، ثم نضعُ دائرةً أكبرَ منها تُحيط بها تكون بمثابة التحوُّل الدلاليّ الذي يحصل لألفاظ اللغة الأمّ على خطِّ الزمن، نتيجة عوامل متعددة منها: التيسير، وكثرةُ الاستعمال، وازديادُ المعرفة، والحاجة والاضطرار، والتغيّرات الحياتية، غير أنَّ هذه الدائرة مهما اتَّسعت فإنَّها في الغالب تَرتبطُ برابطٍ دلاليّ دقيقٍ مع الألفاظ المعجميَّة الأولى في نواةِ اللُّغة.

وممَّا نبَّه عليه المتقدِّمون أيضاً أنَّ **وَضْعَ المصطلحِ العلميّ يكونُ باختراعِ ألفاظٍ لم تُستعمل قبل ذلك، أو بتحويل الدَّلالة من ألفاظٍ استُعمِلت في معنىً إلى معنى آخَر طارئٍ عليها،** فبَعْد أن يُتِمَّ العالمُ جمعَ المادَّة العلميَّة، ويضمَّ النظير إلى النظير، ويَصِلَ إلى قوانين ذلك وضوابطِه تكونُ الحاجةُ ماسّةً إلى ألفاظٍ تعبّر

(1) صحيح مسلم: كتاب البرّ، 4/ 1997، رقم الحديث (2581).
(2) الخصائص 2/ 466.
(3) الخصائص 2/ 469.
(4) الإحكام في أصول الأحكام 1/ 47.
(5) نتائج الفكر ص 292.



عن هذه القوانين والضوابط، حتى يسهل تعلُّمُها وتعليمُها.

قال الفارابيُّ:"فيَعمَلُ عند ذلك أحدَ شيئَين، إما أن يَخترِع ويركِّب من حروفهم ألفاظاً لم يُنطَق بها أصلاً قبل ذلك، وإما أن يَنقُل إليهم ألفاظاً من ألفاظهم التي كانوا يَستعمِلونها قبل ذلك في الدَّلالة على معان أُخَرَ غيرِها، إمّا كيف اتَّفق لا لأجل شيءٍ، وإمَّا لأجل شيءٍ مَّا.

وكلُّ ذلك ممكِنٌ شائع، لكنَّ الأجود أن تُسمَّى القوانينُ بأسماء أقرب المعاني شبَهاً بالقوانين، بأن يَنظُر أيَّ معنىً من المعاني الأُوَل يوجَدُ أقربُ شبَهاً بقانون من قوانين الألفاظ، فيُسمِّي ذلك الكلِّيَّ وذلك القانونَ باسم ذلك المعنى، حتى يؤتى من هذا المثال على تسمية جميع تلك الكلِّياتِ والقوانين بأسماءِ أشباهِها من المعاني الأوَل التي كانت لها عندهم أسماء"[1].

وفي ضوءِ كلام الفارابيّ قدَّم الجرجانيُّ عدَّةَ تعريفاتٍ لمعنى الاصطلاح العلميّ، قريبٌ بعضُها من بعض، فقال:

"1 . الاصطلاحُ: عبارةٌ عن اتفاق قومٍ على تسمية الشيءِ باسم ما يُنقَل عن موضعه الأول.

2 . الاصطلاحُ: إخراجُ اللَّفظِ من معنىً لغويٍّ إلى آخَر لمناسبَةٍ بينهما.

3 . الاصطلاحُ: اتفاقُ طائفةٍ على وضعِ اللَّفظ بإزاء المعنى.

4 . الاصطلاح: إخراجُ الشيء عن معنىً لغويٍّ إلى معنىً آخَر لبيان المراد.

5 . الاصطلاح: لفظٌ معيَّن بين قومٍ معيَّنين"[2].

وقد عبَّر بعضُ المتقدِّمين عن المصطلح بـ: (الترجمة)، كالسيرافيّ[3]، والفارسيّ[4]، ومكّيّ[5] والدانيّ[6].

وتكلَّم المتقدِّمون عن جملةٍ من القوانينِ والقواعدِ الصوتيةِ، رافَقَتْ حديثَهُم عن المصطلح، ومن أمثلة

(1) الحروف ص 147 - 148.
(2) التعريفات ص 28 بتصرُّف.
(3) إدغام القراء ص 5.
(4) الحجة 4/ 314.
(5) التبصرة ص 227.
(6) جامع البيان 3/ 838.

ذلك: قانون كثرة الاستعمال، وقاعدة: تدرُّج الحكم. وكثيرٌ من هذه القواعد مبثوثٌ تحت مصطلحات هذا البحث.

وهذه القواعدُ والقوانينُ التي استُخلِصَتْ من عددٍ كبيرٍ من الكتبِ يُمكِنُ الاستفادة منها نحو بناء نظريَّة صوتيَّة للعلم العربيّ الصوتيّ.

رابعاً: أسبابُ وضع المصطلحات

هي أربعةٌ: الحاجةُ والاضطرارُ، والتيسيرُ، وزيادةُ المعرفة والظروفُ المتغيِّرة، وكثرةُ الاستعمال:

1 . الحاجة والاضطرار:

وضعُ المصطلحات الجديدة بالاختراع أو بالنقل تَفرضُه الحاجة إلى ذلك، قال الغزاليّ:"أما المنقولُ فيُستعمَل في العلوم كلِّها **لمسيس الحاجة إليها**؛ إذ واضعُ اللُّغة لما لم يتحقَّق عنده جميع المعاني،لم يُفرِدها بالأسامي، فاضطرَّ غيرُه إلى النقل، فـ: (الجَوهَر) وضعَه واضعُ اللُّغة لـ (حجَرٍ) يَعرفُه الصَّيرفيّ، والمتكلِّم [صاحب علم الكلام] نقَله إلى معنىً حصَّله في نفسِه، وهو أحدُ أقسام الموجودات. وهذا ممّا يكثُر استعمالُه في العلوم والصِّناعات"[1].

ويُعلِّلُ قدامةُ بن جعفر الحاجةَ إلى اختراع المصطلحات بقوله: "ومع ما قدَّمتُه فإنّي لما كنتُ آخذاً في استنباط معنىً لم يسبِق إليه من يضعُ لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماءً تدلُّ عليها **احتجتُ** أن أضع لما يَظهَر من ذلك أسماءً أخترعُها . وقد فعلتُ ذلك . والأسماءُ لا منازعةَ فيها، إذ كانت علامات، فإن قُنِع بما وضعتُه، وإلا فليَخترِع لها كلُّ من أبَى ما وضعتُه منها ما أحبَّ، فليس ينازَع في ذلك"[2].

2 . التيسير:

قال الفارابيُّ عن واضعي المصطلحات، ويسمِّيهم المدبِّرون: "فهؤلاء هم الذين يتأمَّلون ألفاظَ هذه الأمَّة، ويُصلِحون المختلَّ منها، وينظُرون إلى ما كان النطقُ به عسيراً في أوَّل ما وُضِع **فيسهِّلونه**، وإلى ما كان بشِع المسموع فيَجعلونه لذيذَ المسموع، وإلى ما عرَض فيه عُسْر النطق عند التركيبات الذي لم يكن الأوَّلون يشعُرون به، ولا عرَض في زمانهم فيَعرِفونه أو يشعُرون فيه بشاعةَ المسموع؛ فيَحتالون في الأمرَين جميعاً، حتى **يُسهِّلوا** ذلك، ويَجعلوا هذا لذيذاً في السَّمع. ويَنظُرون إلى أصناف التركيبات الممكِنة في ألفاظهم والترتيبات فيها، ويتأمَّلون أيُّها أكملُ دلالةً على تركيب المعاني في النفْس وترتيبِها فيتحرَّون تلك، وينبِّهون عليها، ويترُكون الباقيةَ فلا يَستعمِلونها إلا عند ضرورةٍ تدعو إلى ذلك، فتصيرُ عندها ألفاظُ تلك الأمَّة أفصحَ مما

(1) معيار العلم في المنطق ص 57.

(2) نقد الشعر ص 6 - 7.

كانت، فتتكمَّل عند ذلك لغتُهم ولسانُهم"[1].

3. زيادة المعرفة والظروف المتغيّرة:

عاملان أساسيّان في استحداث المصطلحات، قال القاضي عبد الجبار الهمَذانيّ: " وقد بيّنا في غير موضع أنه لا بدَّ في كلِّ فرقة من أنَّها إذا انتهت في المعرفة إلى ما لم ينته أهلُ اللُّغة أن تضعَ للاسم المنقولِ عنهم لذلك على ما عرفْتَه من التفصيل، فمتى فُعِل ذلك لا يكون مخالفاً لأهل اللُّغة، بل يكون جارياً على طريقتهم، لكنَّهم لما عرَفوا ما لم يعْرِفه القومُ جعَلوا الاسمَ متناوَلاً له من حيث نعلمُ أن الذي عرَفوه لو عرَفه أهلُ اللُّغة لما جعَلوا الاسمَ إلا له"[2].

وهذا كلامٌ على غايةٍ كبيرةٍ من الخطورة والدِّقة، فالمواضَعاتُ المستحدَثة في حقل العلوم لا تحتاج إذناً من المشرّع اللُّغويّ إذا كانت تسيرُ وفق أنظمة اللُّغة، قال أبو هاشم الجبّائي: "لأن كلَّ طائفةٍ استَحدَثَتْ آلةً في صناعتِها، أو وقفَتْ على أمورٍ فيما تتعاطاه من العلم يُستَحسَن وضعُ أسماءٍ مُستحدَثةٍ لها في كلِّ عصرٍ وكلِّ حال"[3].

4. كثرة الاستعمال:

وهو أصلٌ كبير، وقانون عظيم في اللُّغة، وهو من القوانين الصوتيَّة المهمَّة وإليك ما يفعلُه في اللُّغة كما نبَّه عليه المتقدِّمون:

أ. يؤدِّي إلى الحذف: نبَّه عليه كثير من العلماء[4].

ب. يؤدِّي إلى التغيير: سيبويه[5]، والفارسيُّ[6]، وابن جنيّ[7]، والدانيّ[8].

ج. يؤدِّي إلى الإضمار لعلم المخاطب بالمضمر: سيبويه[1].

---

(1) الحروف ص 143 - 144.

(2) المغني 16/ 96.

(3) أورده القاضي عبد الجبار في المغني 5/ 175.

(4) منهم: أبو عمرو بن العلاء، نقل عنه ذلك سيبويه في الكتاب 3/ 506، والخليل في العين 4/ 319 و 8/ 192، وسيبويه في الكتاب 1/ 295 و 2/ 162، والفرَّاء معاني القرآن 1/ 1، والأخفش في معاني القرآن 1/ 214، والمازني في المنصف 2/ 227، وابن قتيبة في أدب الكاتب ص 613، والمبرد في المقتضب 2/ 144، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه 1/ 148، وابن السراج في الأصول 1/ 431، وذكر في 3/ 343 أنه ليس مطرداً، والنحاس في إعراب القرآن 2/ 183، والزجاجي في الجمل ص241، والسيرافي في المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 93، وابن الأنباري في أسرار العربية ص 211، وقال في الإنصاف 1/ 73: إن أمثلته لا تحصى. والسهيليّ في نتائج الفكر ص 99.

(5) الكتاب 2/ 414.

(6) الحجة 3/ 137.

(7) المنصِف 1/ 143، والمحتسب 1/ 37.

(8) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة 24/ أ، وجامع البيان 3/ 905.

د . يؤدِّي إلى الإسكان: سيبويه[2].

هـ . يُعطي الشيئين حُكمَ الشيء الواحد: الفرَّاء[3].

و . يؤدي إلى تخفيف المشدَّد: الفرَّاء[4]، والأخفش[5].

ز . يُلجئُ إلى استعمال الأخفّ: الزجاج[6]، والسيرافي[7]، والرمَّاني[8].

ح . يؤدِّي إلى تغيير الحركات: الزجاج[9].

ط . يؤدِّي إلى الإمالة من غير قياس: ابن خالويه[10]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[11].

ي . يؤدِّي إلى مخالفة الأصول: ابن جنيّ[12].

ك . يَستبدِل الأصيل بالخفيف: ابن جنيّ[13].

ل . يؤدِّي إلى التلعُّب بالكلمة، يعني تغييرَها، وتقديمَ بعضِ حروفِها وقلبَها: ابن جنيّ[14].

ومن الأشياء التي نبَّه عليها المتقدِّمون أن **يخاطَبَ كلُّ أهل علمٍ بما يَعرِفُونَهُ من مصطلحات عِلْمِهِم**، قال الخفاجيُّ:"ومن وَضْعِ الألفاظ موضعَها ألا يُستعمَل في الشعر المنظوم والكلام المنثور من الرسائل والخطَب ألفاظُ المتكلِّمين والنحويِّين والمهندِسين ومعانيهم، والألفاظُ التي تَختصُّ بها أهلُ المِهَن والعلوم؛ لأن الإنسان إذا خاض في علمٍ، وتكلَّم في صناعة وجَب عليه أن يَستعمِل ألفاظَ أهلِ ذلك العلم، وكلامَ أصحاب تلك الصِّناعة"[15].

وذكَروا أيضاً **أنَّهُ يتفاوَتُ فهمُ الناس للمصطلحِ حسب رصيدهم المعرفيّ**، قال الخفاجيُّ: "لأن في

(1) الكتاب 2/ 293.
(2) الكتاب 4/ 343.
(3) معاني القرآن 1/ 94.
(4) معاني القرآن 2/ 16.
(5) معاني القرآن 1/ 297.
(6) معاني القرآن وإعرابه 3/ 183.
(7) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 107.
(8) شرح كتاب سيبويه 197/ ب
(9) نقل عنه ذلك ابن خالويه في الحجة ص 164.
(10) الحجة ص93.
(11) الإنصاف 1/ 398.
(12) سر صناعة الإعراب 1/ 427.
(13) المحتسب 1/ 294.
(14) المحتسب 1/ 170.
(15) سرّ الفصاحة ص 158.

الألفاظ مواضعةً واصطلاحاً يختلف الناس في المعرفة بهما بحسب اختلافهم في معرفة اللُّغة، وفهم الاصطلاح والمواضعة"[1].

وبعضُ العبارات و المصطلحات مهما بلغَت من الدِّقة، لا تستطيع أن تُعبِّر عن صفة النطق، ما لم يكن هناك كيفيةٌ أدائية تساعِد على التصوُّر، كقول الدانيّ عن تعبيرهم عن الهمزة المسهَّلة بـ:"الإشارة إلى الهمزة بالصَّدر: وهذا لا يَضبطه الكتاب"[2]، وكالأصل الذي وضَعه ابن الطحَّان الموسيقيّ بقوله:" قد يتعذَّرُ وصفُ الشيء بالأخبارِ فضلاً عن السَّماع"[3].

خامساً: المواضَعةُ الصَّوتيَّة والتغيُّر

لاحَظَ المتقدِّمون أنَّ **أساليبَ الكلامِ تتغَيَّرُ في كلِّ زَمَان**، بحسب ما يَطرأ عليه من مستجِدَّات، وفي ذلك يقولُ ابنُ رشيقٍ القيروانيُّ:"قد يُخالَف القديمُ إلى ما هو أَلْيَقُ بالوقت وأشْكَلُ بأهله"[4].

وذكَرُوا أنَّ **الاصطلاحَ والمواضَعةَ قابلان للنَّقض**، وهذا يَنفِي قُدْسيَّةَ أيِّ مصطلحٍ قديمٍ أو حديثٍ، لكنَّهم جعَلُوا إبطالَهُ ونقضَه مشروطاً بالقَبُول بذلك النقضِ من الجماعةِ المتحدِّثةِ بهِ، فلو اتفقتْ الجماعةُ اللُّغويَّة الصَّوتيَّةُ على عدم جدوى مصطلحِ: (الإدغام)، وأحلَّتْ محلَّهُ مصطلح: (الإدخال) لصحَّ لهم ذلك، قال القاضي عبد الجبار:"فإذا صَحَّ ما قدَّمْناهُ لم يَمْتَنِعْ أن يُواضِعَ زيدٌ عَمْراً ويواطئَهُ على أنَّ الاسمَ المخصوصَ لا يَستعمِلانِه إلاَّ ويَقْصِدانِ به مُسَمًّى مخصوصاً، فيَصيرُ بمواضعتِهما اسماً له، ويرادُ بذلك أنَّه مع بقاءِ المواضَعةِ والمواطَأَةِ متى أَطلَق أحدُهما ذلك، فالمعلومُ أو المظْنُونُ من حالِه أنَّه يريد به الأمرَ الأوَّل؛ إذ كانت المواضعةُ مُطْلَقَةً في الأوقات من غير تخصيص، **ولذلك يصحُّ منهما نقضُ هذه المواضَعة وتبديلُها بأخرى**، وذلك يبيِّنُ أن ما تواضَعوا عليه يثبُتُ مع بقاء حُكم المواضَعة، وأن نقضَ ذلك وإبطالَه يَصِحُّ"[5].

وإذا افترَضْنا أنَّ زيداً من النَّاس أرادَ أن يَستبدِلَ بمصطلح: (الإظهار) مصطلحَ: (الوُضوح)، فإنَّ هذه **المواضَعةَ الفرديّةَ تُصبِحُ من اللُّغةِ والعِلْمِ إذا رضِيَتها الجماعةُ، وحصَلَتِ المصادَقةُ عليها منهم**، وذلك بتداولِه بينهم على خطِّ الزَّمن، قال القاضي عبد الجبّار:"ومتى صَحَّ أن يُواضِعَ زيدٌ عمراً على جَعْلِ الكلمةِ المخْصُوصَةِ اسماً لمسَمًّى مخصوصٍ لم يمتنع أن يَعرِفَ ذلك من حالِهما غيرُهما، فيتبعَهُما في المواضَعةِ ويصيرَ لغةً للجماعَة"[6].

(1) سر الفصاحة ص 226.

(2) جامع البيان 2/ 599. والكتاب هنا بمعنى الكتابة، وهو استعمالٌ قديم.

(3) حاوي الفنون وسلوة المحزون ص 89.

(4) العمدة 1/ 301.

(5) المغني 5/ 160 - 161.

(6) المغني 5/ 161.

ومن الأمثلة الشَّهيرةِ على المواضعةِ الفرديَّة التي أصبحتْ لغةً صوتيَّةً جماعيَّةً مصطلحاتُ سيبويه في الكتاب التي شكَّلتْ مُعظَمَ علمِ التجويد القرآنيّ في القرن الخامس الهجريّ وما يليه إلى يومنا هذا.

وقد نبَّه المتقدِّمون إلى أنَّ بقاءَ أيّ لفظٍ، قديمٍ كان أو جديدٍ مرهونٌ بالممارسةِ الفعليَّة لهذا اللَّفظ، وإلا سيَفْقِدُ هذا اللَّفظُ دلالتَه ويموتُ، أويُصبِحُ من الألفاظ العَصِيَّة الفَهْم، فيدخلُه التحريف الدَّلاليّ، ويؤول ذلك أيضاً إلى أن يكون نَسْياً مَنسيّاً.

وهذه الممارسةُ الفعليَّة للألفاظ والمصطلحاتِ أطْلَقَ عليها المتقدِّمون لفظ: **(القَصْد)**، قال ابن حزم:"وأما الصوتُ الذي يدلُّ بالقصْد، فهو الكلامُ الذي يتخاطَبُ الناسُ به فيما بينهم، ويتراسَلون بالخطوط المعبِّرة عنه في كتبهم لإيصال ما استقرَّ في نفوسهم من عند بعضِهم إلى بعض"[1]، **فالقَصْدُ من المتكلِّم شرطٌ لقَبُولِ المواضَعَةِ واستِمرارِها**، ويوضِّح الخفاجيُّ مفهوم المواضعة بالقَصْد أنه بمثابة تشغيل الآلات، قال عن الكلام: "وهو بعد وقوع التواضُعِ يَحتاج إلى قصْد المتكلِّم له واستعمالِه فيما قرَّرَته المواضَعة، ولا يَلزم على هذا أن تكون المواضَعةُ لا تأثير لها؛ لأن فائدةَ المواضَعة تمييزُ الصِّيغة التي متى أردنا مثلاً أن نأمُر قصَدْناها، وفائدةُ القَصد أن تتعلَّق تلك العبارةُ بالمأمور، وتؤثرَ في كَونه أمراً به، فالمواضَعةُ تجري مجرى شَحْذ السكّين وتقويمِ الآلات، والقَصدُ يجري مجرى استعمال الآلات بحسب ذلك الإعداد"[2].

وهذه الدِّراسةُ قدَّمت عدداً من الألفاظِ والمصطلحاتِ التي فُقِدَ فيها شَرْطُ القَصْدِ والممارسةِ الفعليَّة، فما كان منها إلاَّ أن ذابتْ واضمَحَلَّتْ دلالاتُها.

فبقاءُ المصطلحِ إذن مرهونٌ بالممارسةِ الفعليَّة له، وهذا هو شرطُ استمراريَّةِ التواصُلِ بين أفراد الجماعةِ، قال ابن حزم الأندلسيُّ:"والوجه الثالث: إيقاعُ كلماتٍ مؤلَّفاتٍ من حروف مقطَّعات مَكَّن الحكيمُ القادرُ لها المخارجَ من الصَّدر، والحلقِ، وأنابيبِ الرئة، والحنك، واللِّسان، والشفتَين، والأسنان، وهيّأ لها الهواءَ المندفِعَ بقَرع اللِّسان إلى صِماخ الآذان، فيُوصِل بذلك نفسُ المتكلِّم مثلَ ما قد استبانَتْه واستقرَّ منها إلى نفس المخاطَب، وينقلُها إليه بصوتٍ مفهومٍ بقَبول الطَّبع منها للغةٍ اتَّفقا عليها، فيَستبينُ من ذلك ما قد استبانَته نفْسُ المتكلِّم، ويَستقِرُّ في نفس المخاطَب مثلَ ما قد استقرَّ في نفس المتكلِّم"[3].

وهذا هو مبدأ التواصل اللُّغويّ الذي تَحتَفِلُ به كتبُ علم اللُّغة المعاصر في أوَّل مباحثِها، إذ عيَّن ابنُ حزمٍ المرسِل (أو المتكلِّم)، وقناة الاتصال، والمرسَل إليه (أو المخاطَب).

وأختِمُ هذا الحديث عن وضعِ المصطلح بأمرٍ هامٍّ ذكرَه المتقدِّمون عن ثمرةِ الممارسَةِ الفعليَّة للمصطلحات والألفاظِ بأنَّها سياجٌ حصينٌ يَحميها من أيّ عبثٍ في دلالاتها، **فالتعاقدُ الضِّمنيُّ بين أفرد اللُّغة على**

(1) التقريب لحدِّ المنطق ص 12.

(2) سر الفصاحة ص 33.

(3) التقريب لحدِّ المنطق ص 4.

الألفاظِ والمصطلحات يحمي من العبثيّة في الكلام.

قال القاضي عبد الجبار الهمَذانيّ: "ولا يَحْسُنُ استِعْمَالُ العبارةِ المفِيدَةِ إلاَّ عَلَى الوَجْهِ الذي وُضِعَتْ لهُ في سائرِ ما تَنقَسِمُ إليهِ مِن الكلامِ، وإلاَّ كانَ المتَكَلِّمُ بها عَابِثاً أو في حُكْمِ العَابِثِ، ولذلك لا يَحسُنُ اتّباعُ أهلِ اللُّغةِ في مُوَاضَعاتِهِم إلا بعدَ العِلْمِ بمقاصدِهم فيما وضَعُوهُ من اللُّغةِ، فثبَتَ بذلكَ أن إجراءَهم الاسمَ المفِيدَ لا يَحسُنُ إلا بعدَ العلمِ بفائدَتِه، كما أنَّ ما عُلِم فيه فائدةُ الاسم يَحسُنُ إجراءُ الاسم عليه"[1].

ويُعَمّقُ ابنُ حزم هذا المفهومَ بقوله:" قد علِمنا ضرورةً أن الألفاظ إنَّما وُضِعت ليعبَّر بها عما تقتضيه في اللُّغة، وليعبَّر بكلِّ لفظةٍ عن المعنى الذي عُلِّقَتْ عليه، فمن أحالها فقد قصَد إبطال الحقائق جملةً، وهذا غاية الإفساد"[2].

وهذا الفهم الدقيقُ من المتقدِّمين فيه تنبيهٌ إلى خطَرِ مَن يتلاعَبُ بالألفاظ فيما نُشاهِدُ ونرى ونَسمَع، ومن يَعبَثُون بدلالات اللُّغة لإفقاد الأمَّة هويَّتَها وثقافتَها، وقد يَنجَحون في ذلك. لا سمح الله. مع الضعف الشديد الذي نراهُ من أبناء اللُّغة، والله هو المغُيِّرُ لأحسن حال.. آمين.

سادساً: أنواعُ الألفاظِ من حيث الدّلالة على المعاني

ألفاظ اللُّغة من حيث دلالتُها أربعة أنواع: مشتركة، ومتواطئة، ومترادِفة، ومتباينة أو متزايلة.

1. المشتركة: هي اللَّفظ الواحد يُطلَق على موجودات مختلفة، كلفظ: (العَين)، تُطلَق على: العين التي تُبصِر، وينبوع الماء، وقرص الشمس. ومثالُهُ من المصطلحات مصطلح: (الفتح) استُعمِل في أكثر من معنى، منها: الفتحُ المعروف، والتفخيم، والفتح ضدّ الإمالة، والمدّ.

2. المتواطئة: هي التي تدلُّ على أعيان متعدِّدة بمعنىً مشترك بينهما، ومنه أسماء الأجناس، كدلالة اسم (الإنسان) على: (زيد) و (عمرو).

3. المترادفة: هي الأسماء المختلفة الدالَّة على معنى يتدرَّجُ تحت تعريف واحد، ك: (الخمر) و (الراح) و (العقار)، فإن المسمَّى بهذه يجمعُه تعريفٌ واحد، وهو: "المائعُ المسكِر المعتصَر من العنب"، والأسامي مترادفةٌ عليه.

وهذا الفهمُ مهمٌّ جداً في المصطلحات الصَّوتيَّة؛ إذ لكلِّ مصطلحٍ معنىً خاصٌّ في نفسه، لكن يجمعُه مع نُظَرَاءَ له معنىً عامٌّ، كمثل التعبير عن مخرج الحرف بـ: المَوْضِع، والحيِّز، والمخْرَج، والمقْطَع، كلُّ هذه الألفاظ لها معانٍ في أنفسها، لكن تَنْدَرِجُ تحت معنىً عامٍّ هو مخرج الحرف.

(1) المغني 5/ 187.

(2) الإحكام 1/ 58.

4 ـ المتباينة أو المتزايلة: وهي الألفاظُ المختلِفةُ التي تَدُلُّ على مَعَانٍ مختلِفة، كـ: (الفرس) و (الذهب) و (الثياب)، فليس بينها شيءٌ من النِّسَب التي مَرَّتْ في الثلاثة السابقة[1].

وقد وضَع الإمام الشافعيُّ[2] (ت 204 هـ) أصولاً عامَّة ـ يمكن مراجعتُها ـ تحدَّث فيها عن اتساع الدّلالة وتخصيصها، والمترادف، والمشترك اللفظيّ، وكلُّ ذلك يَصلُح في فهم الدَّلالة التاريخيّة للمصطلحات، خاصّةً في المراحل المبكِّرة منها، أعني: زمن الاحتجاج بكلام العرب.

سابعاً: أنواع الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات الصوتيَّة

1. **الألفاظ المفردة:** هي التي تستقلُّ بنفسها، وتحدَّدُ دلالتها بلفظٍ واحدٍ، كالهمس والجهر والاستعلاء والإطباق ... الخ.

2 ـ **الألفاظ المركَّبة:** هي المصطلحات التي لا تحدَّدُ دلالتُها بنفسها، بل بحسب ما تُضافُ إليه، ومن هذه المصطلحات، تلقيبهم الحنجرة بـ: (آلة التصويت)، فأنت ترى أن كلاًّ من اللَّفظين (آلة ـ التصويت) يفقد دلالتَه على المراد إذا استقلَّ، قال السُّهيليُّ:"اللُّغاتُ ضَاقَتْ عن وَضْعِ ألقابٍ لجميعِ أنواعِ الأعراضِ، فرَجَعَتْ إلى وَصْفِها بما هو مَجَازٌ في حقِّها، أو **بتَمييزِ بعضِها من بعضٍ بالإضافةِ إلى جَواهِرِها** كقَوْلِهم: رَائحة مِسكٍ، ورائحة تفَّاحٍ"[3].

3 ـ **الألفاظ المثبَتة والمنفيَّة:** من المصطلحات ما تحدَّد دلالته بطريق النفي والإثبات، كـ:(الهمز)، و(ترك الهمز)، فالأوَّل يدلُّ على تحقيق الهمز، والثاني يدلُّ على تخفيفها، وهذه يكشف دلالتَها السياقُ غالباً.

4 ـ **ضمن جمل:** قد يأتي المصطلحُ في صيغةِ المصْدَر، أو صيغة الفعل (الماضي والمضارع والأمر)، أو كاسم مشتقٍّ، أو ضمن عبارةٍ، أو باستعمالِ أداة، أو غير ذلك، وغالباً ما تكونُ هذه العبارات والألفاظ بمثابةِ إرهاصاتٍ لولادةِ المصطلحات.

مثال ذلك: ذكَر المبرِّدُ (ت 285 هـ) أنَّ الميمَ **تَرجِعُ** إلى الخَياشيمِ بما فيها من الغُنَّة، فلذلك تَسْمَعُها كالنُّون[4].

ومِن كلام المبرِّد لقَّب مكيُّ بنُ أبي طالبٍ القيسيُّ (ت 437 هـ) الميمَ بـ: (الحرف الرَّاجِع)، قال:"الحرفُ الرَّاجِعُ، وهو الميمُ السَّاكِنة، سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّها تَرْجِع في مخرجِها إلى الخَياشيم، لِما فيها من الغُنَّة، ويَجِبُ أن يُشارِكَها في هذا اللَّقب النُّون الساكِنةُ؛ لأنَّها تَرْجِعُ أيضاً إلى الخياشيمِ للغُنَّةِ التي فيها"[5].

(1) انظر هذه الأنواع في كتاب معيار العلم للإمام الغزاليّ ص 52 – 53.
(2) انظر: الرسالة ص 51.
(3) نتائج الفكر ص 205 .
(4) المقتضب 1/ 330 .
(5) الرعاية ص 138 .

ومن ذلك أيضاً تلقيبُ عبد الوهَّاب القرطبيّ الميمَ والنُّونَ والعَينَ بـ: **المُسْتَعِينَة**[1].

أخَذ الميم مِن قول سيبويه عنها:"**لاستعانتها** بصوت الخياشيم"[2].

وأخذ العَين والنُّون من قولِ المبرِّد عنهما:"كالعَيْنِ التي **يَسْتَعِينُ** المتَكَلِّمُ عند اللَّفظة بها بصَوْتِ الحَاء... وكالنُّونِ التي **تَستَعِينُ** بصَوت الخَيَاشِيمِ لِمَا فيهَا من الغُنَّة"[3].

وهذا النوع يصعب تتبُّعه تاريخياً؛ إذ ليس من السَّهْل الاطِّلاعُ على كلِّ ألفاظ العلماء الأصليَّة.

ومن أمثلة الأدوات التي استُعمِلت، وكان لها دورٌ كبيرٌ في التعبير عن المصطلح أداة (**بَيْنَ**) استَعملها المتقدِّمون جزءاً مشاركاً في أكثر من معنى صوتيّ، وبدونها لن تتحدَّدَ دلالةُ المصطلح، فمن ذلك استعمالُها:

1 . في وصفِ مخرجِ صَوت الحرف عند التقاء عُضْوَي النُّطق، نحو: (**ممَّا بين...**، ومن **بين...**، و ما **بين...**).

2 . وصف الحروف المتوسِّطة: (**بين** الشَّديد والرِّخو).

3 . الحروف الفرعيَّة، نحو: (**بين** القاف والكاف)، و(**بين** الصَّاد والزَّاي).

4 . تسهيل الهمزة، نحو استعمالِهم: (**بينَ بينَ**).

5 . مرتبة التوسُّط في سرعة التلاوة، نحو استعمالِهم: (**بين** الحَدرِ والتحقيق).

6، 7 . الترقيق، والإمالة الصغرى، نحو استعمالِهم: (**بين** اللَّفظَين).

8 . الزِّيادة على المدِّ الطبيعيّ، نحو استعمالِهم: (**بين** المدِّ والقَصْر).

9 . إشمام الحركات في مثل: [قيل]، نحو استعمالِهم: (**بين** الضَّمِّ والكسر).

10 . اختلاسُ الحركة في مثل راء: [يأمُرُكُم]، نحو استعمالِهم: (**بين** الكَسْرِ والإسكان).

ثامناً: مُشْكِلاتٌ في فهم المصطلح

1 . اشتراكُ اللَّفظ بين مذهبَين بدلالتَين مختلفتَين:

مِن أظهر الأمثلةِ على ذلك عند المتقدِّمين مصطلح: (الإخفاء) في النُّون والميم، واختلاف دلالته بين المذهبَين: البصريّ والكوفيّ.

ومن أظهر الأمثلة على ذلك في العصر الحديث مصطلح: (الهمس) الذي اختلفت دلالته بين أصحاب

(1) الموضح ص97.

(2) الكتاب 4/ 461 .

(3) المقتضب 1/ 331.

علم الأصوات المعاصِر وبين المتقدِّمين من أهل العربيَّة والتجويد.

وسيأتي ذكر ذلك جميعاً في مظانِّه.

2 . الخطأ في النقل، حتى وإن كان من إمام معتبَر

كوهمِ ابن جريرٍ الطبريّ المفسِّر في النَّقْلِ عن شيخِه يونسَ بن عبد الأعلى (ت264 هـ) تعبيرَه عن قراءة ورش في الكلمة القرآنية [فَتَخطَفُه] من قوله تعالى: [ومن يُشرك بالله فَكَأنَّما خرَّ من السَّماء فتخطَفُه الطَّيرُ..]، فأخفى هذا الوهمُ دلالة المصطلح :

"قال محمد بن جرير: حدَّثنا يونس عن ورش: [فَتَخْطفُه]: مثقَّلةُ الطاء، مسكَّنةُ الخاء، مدغمةُ الطاء".

قال الدانيُّ معلِّقاً: يعني الجمعَ بين الساكنَين.

وهذه الترجمةُ خطأٌ؛ لأن هذه الكلمةَ ليست فيها تاءٌ مدغَمةٌ أصلاً؛ لأن الفعل في وزن: تَفَعَّل، مثل: تكلَّم، والأصل: تَتَخطَّف وتتكلَّم، بتاءَين، فحُذِفت إحداهما تخفيفاً، وإنما يكون بالمدغَمة في هذا الفعل، إذا كان في وزن (تَفْتَعِل)، فيكون الأصل: فتختطِفُه، فتدغَم التاءُ في الطاء، وتكون الطاءُ مكسورةً، لا بدَّ من ذلك؛ دلالةً قاطعةً على أن الفعل ليس في زنة (تَفْتَعِل)، وأنه في زنة (تَفَعَّل). فلا يجوز ما حكاه ابنُ جريرٍ عن يونسَ عن ورش بِوَجه.

والغلطُ في ذلك عندي من ابن جرير لا مِن يونس؛ لأن فارسَ بن أحمد قال: حدَّثنا جعفر بن أحمد، قال: حدَّثنا محمَّد بن الربيع (ح)، وحدَّثَنا الخاقانيُّ قال: حدَّثَنا أحمد بن أسامة، قال: حدَّثنا أبي، قالا: حدثَنا يونس عن ورش عن نافع: [فَتَخَطَّفُه]: مثقَّلة، وعن ابن كيسة عن سُلَيم عن حمزة: مخفَّفة، لم يَزِد على قوله (مخففة ومثقَّلة) شيئاً؛ يدلُّ على موافقة الجماعة من أصحاب نافع، وأن الزيادةَ من ابن جرير، وهو خطأ"[1].

والخلاصةُ أنَّ ورشاً يقرأ كلمة: [فَتَخْطَفُه] بسكون الخاء وتحريكِ الطاء لا غير، لأنَّ لفظَ: (مثقَّلة الطاء) معناه أن الطاء متحرِّكة، وهذا هو أحدُ معاني التثقيل، وإنَّ زيادةَ ابنِ جرير الطبريّ للفظ: (مدغمة الطاء) أوهمتْ تشديدَ الطاء، وأضاعتْ فرصة فهمِ لفظ: (مثقَّلة الطاء) فضلاً عن إضاعةِ كيفيَّة قراءةِ ورشٍ لهذه الكلمة.

3 . المشترك اللَّفظيّ يوقِعُ في غموض المعنى نتيجة كثرة استعمال المصطلح في معنىً دون معنىً

من أمثلة ذلك: مصطلحُ "التشديد"، إذ الشائع استعمالُه بمعنى الإدغام، لكن بعضَ المتقدِّمين قد استعملَه بمعنى المتحرّك من الحروف.

(1) جامع البيان ل 194/ ب - 195/ أ.

حكى الدانيُّ في الكلمة القرآنية: [وَتَعِيَهَا]:"وروى سليمانُ بنُ منصورٍ عن سُلَيم: التاءُ: نصبٌ، والعينُ: خفضٌ، والياءُ: نَصْبٌ **مشدَّدَة**.

قال الدانيُّ: والتشديدُ الذي هو إدخالُ حرفٍ ساكنٍ في حرف متحرّك، ورفعُ اللّسان بهما رفعةً واحدةً لحنٌ. وقد يَجوز أن يُراد به ههنا تحريكُ الياء، على الاتساع والمجاز، كما قال يونسُ عن وَرْشٍ عن نافع في قوله: [أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً] و [يَوْمَ ظَعَنِكُمْ]: **مشدَّدة**.

وقال هشامٌ عن ابن عامر: [أَحَدَ عَشَرَ] و [تِسْعَة عَشَر]: **مشدَّدَة**، يريدان: حركةَ العين. وإذا أريد به ذلك صار اختلافاً في العبارة لا اختلافاً في القراءة"(1).

ومن أجل هذا الاختلاف في العبارات وغيرها نبَّه الدانيُّ على ذلك بقوله:"وذلك كلُّه من الاتّساعِ الذي قد يَغْلَطُ في تأويلِهِ وكيفيَّةِ حقيقَتِهِ كثيرٌ من الناسِ، لخُروجِهِ عن الاستعمالِ والعادَةِ، فلا يَنبَغِي لذي لُبٍّ وفَهْمٍ أن يَجعَل اختلافَ ألفاظِ النَّاقِلين في هذا ونحوِه اختلافاً في القراءة، ولا سِيَّما إذا احتَمَل التأويلَ، بل يَلْزَمُ رَدُّهُ إلى الإجماع، وبالله التوفيق"(2).

فحدَّد الدانيُّ أنَّ غيابَ الممارسة الفعليَّة للمصطلح يُفقِدُه دلالته، وهو شرط: (القصد) الذي تقدَّم.

4. خفاءُ دلالة العبارة على العالم المبرّز.

فمن ذلك ما ذكره ابن مجاهد عن مراد مَن عبَّر بـ: (**الجزم ورفع الهاء**) في: [يَرْضَه] في قراءة ابن عامر، أي: بقَصْر صلة هاء الضمير، قال:"وهذا ـ **والله أعلم** ـ كأنه يُشِمُّ الهاءَ فيه الضمَّ من غير مبالَغَةٍ"(3).

ومن ذلك ما نقَلَه الدانيُّ من تعليق أبي طاهر بن أبي هاشم حين أَشكَل عليه معنى (الإدغام) في عبارة أحد الأئمة.

قال الدانيُّ عمَّن قرأ (عادلُّولى) في قوله تعالى [عَادًا الأولى]: "وقال ابنُ جُبيرٍ في مختصره عن اليزيديّ عن أبي عمرو أنَّه أدْغَمَ همزةَ فاء الفعلِ". قال أبو طاهر بنُ أبي هاشم تعليقاً على هذه العبارة: "وهذا مِمَّا لا يُعقَل".

بيَّن الدانيُّ ـ بعد أن نقَل العبارة والتعليقَ ـ أنَّ المرادَ بالإدغام هنا هو حذف الهمزة من اللَّفظ بجامع عدم الظهور في كليهما (4).

5. نَقْلُ العالِمِ عبارةَ مَن تَقَدَّمَهُ بألْفَاظِه:

(1) جامع البيان ل 238/ أ.

(2) جامع البيان ل 238/ أ.

(3) انظر: السبعة ص 210.

(4) نقل الدانيُّ هذا التعبير عنه والتعليق عليه في المخطوط من جامع البيان ل 230/ ب – 231/ أ.

وهذا من المواضع المشْكِلَةِ جداً والتي توهِمُ قِدَم بعضِ الألفاظ، وهذا راجعٌ إلى نقل العالم معنى عبارةِ مَن تقدَّمهُ دون نصِّها، فمن ذلك قولُ المبرِّد عن سيبويه فيما تُدغمُ فيه النُّون الساكنة:"وزَعَم سيبويه أنَّها مع ما تُدغَمُ فيه مخرجُها من الفَم لا من الخياشيم؛ لأنها لو كانت تُدغَمُ في حروفِ الفمِ وهي من الخياشيم ـ مع تباعُد ما بينهما ـ لجازَ أن يُدغَمَ الأبعدُ في الأبعَدِ، وهذا نَقْضُ البابِ والخروجُ من المعقول"[1].

وعبارةُ سيبويه في الكتاب:"وهي مع الرَّاء واللاَّم والياءِ والواوِ إذا أدْغَمْتَ بغُنَّةٍ، فليس مخرجُها من الخياشيم، ولكنْ صوتُ الفم أُشْرِبَ غُنَّةً. ولو كان مُخْرَجُها من الخياشيم لَمَا جاز أن تُدْغِمَها في الواوِ والياءِ والرَّاءِ واللاَّم حتى تَصير مِثْلَهُنَّ في كلِّ شيء"[2].

ومثلُ ذلك ما استَعمله أبو جعفر النحَّاس في وصف الضَّاد، ناسباً ذلك إلى الخليل وسيبويه، قال:"وزعَم الخليلُ وسيبويه أنَّ الضادَ تَخرُجُ من الشِّقِّ اليمين، ولبعضِ الناسِ من الشِّقِّ الشِّمال"[3].

وهذا القول أصلُه لا ألفاظُه في كتاب سيبويه[4]، ومن عادة أبي جعفر النحاس أن يَجْمَعَ اسمَ الخليلِ مع سيبويه إذا كان القولُ لسيبويه على اعتبار أنَّ الكتاب من علم الخليل. وسيبويه لم يَستعمل أبداً في وصفه للضاد لفظَ: (الشِّق) بل استعمل: (الحافَّة والجانب).

6 ـ عيوب طبعات الكتب التراثيَّة:

عيوبُ الطبعاتِ التي تَخرُج بها كتبُ التراث، وخطر الطبعات التجارية، يُوهِمُ ويُحَرِّف المصطلح، وأذكُر مثالاً على ذلك أنِّي وجدتُ في أحد الكتب المطبوعة قولاً منسوباً إلى التابعيِّ الجليل الإمام إبراهيم النَّخَعيّ (ت 96 هـ): (أنَّ الفتحةَ نِصفُ الألف)، وأذكُر أنِّي احتَفَلْتُ بهذا النصِّ جداً، وعَجِبْتُ من هذا الفهمِ الدَّقيق في تلك المرحلةِ المبَكِّرة، ولَكَم خاب أملي حين راجعتُ النصَّ على طبعةٍ أخرى، فإذا هو مكان (نصف): بِنَصْبِ الألف، يعني بفتح الهمزة، وهو مصطلحٌ قديمٌ مشهورٌ للتعبير عن الفتحة.

قال الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد في مقدِّمة كتاب العمدة لابن رشيق القيروانيّ:"وهذه العيوبُ فاشيةٌ في مطبوعاتنا العربية وقلَّما يخلو منها ـ مع الأسفِ الذي يَقْطَعُ نِيَاطَ قلوبنا ـ كتابٌ من كتبِ هذه اللُّغةِ المسكينة، وبخاصةٍ كتبُ أسلافِنا المتقدِّمين، وليس من عِلَّةٍ لانصرافِ الناشئةِ العربيةِ ـ فيما نعتقد ـ عن هذا التراثِ الثمين إلا هذا التشويهُ الغريبُ الذي يُظْهِرُ الناشرون عليه كتبَ آبائنا الذين لم يُقَصِّروا في تَوريثِنا أعظمَ تراثٍ علميٍّ، ولم يَأْلُوا جهداً في تبرئة أنفسهم مما جعل الله في أعناقهم من ميثاق العلم أن يُبَيِّنُوه

(1) المقتضب 1/ 356 .
(2) انظر: الكتاب 4/ 454 .
(3) إعراب القرآن 4/ 171.
(4) الكتاب 4/ 432 .

للنَّاسِ ولا يَكتُمُوه"[1].

(1) (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1/ 6).

تاريخ موجَزٌ للعلم العربيّ

التأريخُ الحقيقيُّ للعلم عند العرب يبدأ من بعثةِ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ونزول القرآن، وما انبثق عن ذلك من علومٍ عربيَّة أصيلةٍ عُرِفتْ فيما بعدُ بالعلوم النقليَّة أو علوم الشَّريعة. وهذا لا يعني ـ بالضَّرورة ـ أن العلوم الأخرى لم تكن موجودة، كالطبِّ والرِّياضيَّات وغيرها، لكنَّها كانت عند أفرادٍ قلائلَ من العرب.

وأهمُّ تطورين سياسيَّين أثَّرا على العلم بعد ذلك في تاريخ الإسلام هما:

تزامنُ قيام الدَّولة العبَّاسية على يد أبي العباس السفاح سنة 132 هـ، واستقرارِ أمرها عهدَ أبي جعفرٍ المنصور سنة 137 هـ، مع قيام الدَّولة الأمويَّة ثانيةً في الأندلس على يد عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ، وإن تأخَّر أثرُها الخطيرُ في العلم إلى عهد عبد الرحمن الثاني في القرن الثالث الهجري (206 ـ 238هـ).

هذان التطوران أدَّيا إلى حصول نهضة علميَّة شاملة في كلِّ فنون المعرفة: النقليَّة منها والعقليَّة.

وانقسمت الثقافةُ ـ منذ العصرِ العباسيِّ ـ إلى نوعَين رئيسين هما: الثقافةُ في علومِ الشَّريعة، والثقافةُ في علومِ العجم، كما يسمِّيهما الخُوارزميُّ[1]، أو العلوم النقليَّة والعقليَّة، كما يسمِّيهما الشهرستانيّ[2].

والعلوم النقليَّة أو علوم الشَّريعة هي: العلوم والفنون التي استحدثها المسلمون خدمةً لكتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم من تفسير، وحديث، ولغة ، ونحو، وصرف، وتجويد وقراءات... الخ[3].

أما علوم العجم أو العلوم العقليَّة فهي: العلوم التي استفادها المسلمون نتيجة احتكاكهم بثقافات الأمم المجاورة، كالطبّ، والرياضيات، والهندسة، والفلسفة، والموسيقى... الخ.

وشكَّلتْ العلومُ النقليَّة والعقليَّةُ رصيداً معرفيًّا حضارياً فريداً عنوانُه: الحضارة الإسلاميَّة.

وقد مرَّت هذه الحضارةُ في نَقْلِها لعلومِ الغَير بمرحلتين أساسيَّتين متزامنتَين هما:

1 ـ مرحلةُ الترجمة ونقلُ معارف الأمم السابقة التي عُنيت بالعلم، وهي سبعُ أمم: الهند، والفُرْس، والكِلْدانيون (البابليون)، والعِبْرانيون، والرُّوم، وأهل مصر، وأمة اليونان[4]، التي كان لها التأثير الخطير في العلوم عند العرب.

---

(1) مفاتيح العلوم ص13 .

(2) انظر: الشهرستاني: الملل والنِّحَل على هامش الفصل لابن حزم 1/ 32 و 2/ 45 - 46 .

(3) العلوم النقليَّة: علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والأدب. انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص 13 وتاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن 2/ 323.

(4) للتوسع في معارف هذه الأمم يراجع كتاب: تاريخ العلم لـ: جورج سارتون (1884 - 1956 م)، ويعدُّونه في الغرب الأب الحقيقي لتاريخ العلوم. وانظر عن مكانة العلم العربيّ في تاريخ العلوم في كتاب: (العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ) ص 10.

2 ـ مرحلةُ التطوير، والتجريب، والإبداع[1].

ويمكن تلخيصُ طريقةِ تعامل الحضارة الإسلامية مع الثقافات الأخرى في أربع نقاط[2]:

1 ـ التفسيرُ المباشِر، أو غيرُ المباشر لآثار العصرِ القديم.

2 ـ تنميةُ النظريَّات، والأفكارِ المأخوذةِ من الآثار القديمة، أو من شروحها، بل وتصحيح ما فيها من أخطاء، كاستدراكِ ابن رشد على أرسطو[3]، وتقييم أبي الحسن عليّ بن العباس لكتاب أبقراط: الفصول[4]. ويعدُّ عمل البتاني مثالاً مميزاً للحضارة الإسلامية في تصحيح القديم، وأنها لم تكتف بنقل العلوم بشهادة الغربيين أنفسهم[5].

3 ـ إنشاء صنوف الشروح، كشروح ابن رشد والفارابيّ على كتب أرسطو[6].

4 ـ توسيع المبادئ والنظريات القديمة وبَسْطُها، مع عرضِها غالباً في صورةٍ أكثر وضوحاً وحِذقاً، وأعظم دقةً وعمقاً، كما هي أكثر إطناباً، كشرح الفارابيّ لكتاب أرسطو، بعْدَ غُمُوضِ أصلِه على ابنِ سينا، وقراءتِه له أكثر من مائة مرة.

أما خطواتُ التنميةِ والإنتاج التي خَطَوْها فقد ضاعَت وتفرَّقَت في الحَشْد الكبير من الكتب التي تركوها، وهذا حافزٌ كبيرٌ لبَعث كتبِ التراث من مَرقدها، فما يزال أغلبه مخطوطاً، والمنشورُ منه لا يتعدَّى سبعة في المائة فقط[7]. كما أن المراجع التي أرَّخَت للعلم العربيّ ودرَسَتْهُ ضئيلةٌ جداً، وإلى الآن لا توجَدُ ـ بشهادة المؤرِّخين للعلم ـ دراسةٌ مفصَّلةٌ يتَّجِه اهتمامُها بشكلٍ خاصٍّ نحو المعارفِ الفعليَّة التي وصل إليها العلماءُ العرب، ونحو تطوُّر النظريَّات التي وجَّهوها، وإنَّما جلُّ الدِّراسات تتناولُ الجوانبَ الخارجية، دون دراسةِ المعارف ذاتها[8].

(1) كذلك الحضارة الحديثة مرَّت بمرحلتين أساسيَّتين: مرحلة النقل عن العرب، ومرحلة التطوير والإبداع، فهما كالدَّين والوفاء، لكن الفرق أن العربَ لم يُنكروا فضلَ الحضارات السَّابقة على علومهم، فهذا الزَّهراوي في كتابه العظيم: التصريف لمن عجز عن التأليف ل 54/ أ يعترفُ بمنزلة أبقراط وجالينوس في الطبِّ العربيِّ، بخلاف الأوربيِّين الذين أنكَروا فضلَ العرب على العلم، هذا مع سَطْوِهم على علمهم ومعارفِهم، ولولا المنصِفون منهم لما عرفنا ذلك.

(2) العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ لألدوميلي ص 143 بتصرُّف كبير.

(3) انظر كتاب: تلخيص النفس لابن رشد ص 99.

(4) انظر كتاب: كامل الصناعة الطبية 1/ 3 و 6.

(5) انظر دور البتَّاني الرياديّ في علم الفلك في كتاب: العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ لألدوميلي ص 168.

(6) انظر كتاب تلخيص الخطابة لابن رشد، فقد صهَر فيه معارفَ أرسطو في قالَبٍ عربيٍّ أصيل، وانظر مصطلح: (الأخذ بالوجوه) كمثالٍ من أمثلة ذلك.

(7) من كلام الدكتور يوسف زيدان خبير المخطوطات المصريّ من موقعه على الإنترنت: (http://www.ziedan.com/awham/3.asp).

(8) ذكر ألدوميلي في كتابه: العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ ص563: أنَّ أهمَّ من بحث في المعارف الفعليَّة للعلم العربيّ جورج سارتون في كتابه: (المدخل إلى تاريخ العلوم). ويوسف هيرتل في كتابه: (المؤثرات العربية والعبرية في فن التشريح)، وهو يبحث في اصطلاحات

ومن المميزات التي أدَّت إلى تلك النهضة الشاملة للحضارة الإسلامية أنَّ توحيدَ الإسلام بين الأمم المتباينَة الممالك التي ما كان لها أن تجتمع قبل مجيئه[1] كان له الأثرُ الكبيرُ في إبقاء الحضارات، وازدهار العلوم، والمزجِ بين الشعوب[2]، كما أنَّ الروحَ التجريبيَّة، والنزعة العقلية كانا سببَين مهمَّين في إذكاء علوم المسلمين.

تأثير الحضارة الإسلاميَّة في الحضارة الحديثة :

تُمَثِّلُ الحضارةُ الإسلاميَّة بعلومِها المتنوِّعة الرَّكيزةَ الأساسيَّة للحضارة الحديثة التي نَشهدُها اليوم، على الرَّغم من إخفاء بعض المستشرقين لهذه الحقيقة، ومحاولة الإيهام أن دَور الحضارة الإسلاميَّة يَكْمُنُ ـ فقط ـ في حفظه مصنَّفات الأوَّلين، أو جزءاً منها[3]، كمصنَّفات أرسطو وجالينوس، وغيرهما من المتقدِّمين[4]، على أن هذه المزاعم ما لَبِثَتْ أن تَكَشَّفتْ، على ألسنة المنصِفين منهم،"فقد ذكَر (برنارد لويس) في أكثرَ من مكانٍ في مؤلَّفاته: أن الحضارةَ الإسلامية لم تكن مجرَّدَ جَمعٍ آليٍّ للثقافات القديمة؛ بل خلقٌ جديدٌ، انبعثت فيه جميعُ هذه العناصر لتُكَوِّنَ حضارةً جديدة.

وقال المستشرق الأوروبيّ سيديو: لقد حاول الأوربيُّون أن يقلِّلوا من شأن العرب، ولكنَّ الحقيقةَ ناصعةٌ، وليس هناك من مفرٍّ إلا أن نَرُدَّ للعرَب ما يستحقُّون من عدلٍ، إن عاجلاً أم آجلاً.

أما (دريبر) فيُدينُ الحقدَ والزَّيف بوضوح حين يقول: ينبغي عليَّ أن أَنْعي الطريقةَ المحكَمةَ التي تَحامَل بها الأوربيون لإخفاء مآثرِ المسلمين العِلميَّة علينا. ويَقيني أن هذه المآثرَ سوف لا تظلُّ كثيراً بعدَ الآن مخفيةً عن الأنظار. إن الجَوْر المبنيَّ على الحقدِ الدينيّ والغرور، لا يُمكن أن يستَمرَّ إلى الأبد"[5].

مميِّزات الحضارة الإسلاميَّة:

تميَّزت الحضارةُ الإسلامية عن الحضارة الغربية في أمور ثلاثة هي:

فنِّ التشريح الموجودة في الترجمات اللاتينية من العصور الوسطى وفي اصطلاحات عصر النهضة، وعلاقتها بالألفاظ العربية والعبرية. وقد صدر حديثاً كتابٌ بعنوان: موسوعة تاريخ العلوم العربيَّة، فيه عددٌ من المقالات المترجمة لعلماء أوروبيين يتناوَلون فيه بعض المعارف العلميَّة عند العرب في علوم مختلفة. وانظر أيضاً: موقع: (http://www.islamset.com) على الإنترنت، ففيه مقالات متخصِّصة عن دور علماء المسلمين في مجالات المعرفة وخاصة الطبّ. كما أن مكتبات العالم تزخر بآلاف المخطوطات التي تطلب من ينشرها (168 فهرساً في كتاب: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 1/ 66 – 90).

(1) الموسيقى الكبير للفارابي ص 110 و 182 بتصرف.

(2) بشهادة الغربيّين أنفسهم، انظر: العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ لألدوميلي ص 121 و 145 و339 و453.

(3) العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ لألدوميلي ص 23.

(4) العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ لألدوميلي ص 52. وحول هذا الزَّعم ألقى الدكتور عبد الرحيم حجازي محاضرةً أمام المؤتمر العالمي للطبّ الإسلاميّ، فنَّد فيها مزاعم المستشرقين والأوربيين، مبيّناً بالشواهدِ العلميَّة فضلَ الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية. انظر موقع: (http://www.islamset.com) على الإنترنت.

(5) الاستشراق والتاريخ الإسلامي للدكتور فاروق عمر فوزي ص 168 وص 186.

1 . تنظيمُ علاقةِ الإنسانِ مع خالقِه.

2 . تنظيم علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان.

3 . تنظيم علاقة الإنسان مع الكون من حوله.

فشِلَت الحضارة الغربية في تحقيق أيٍّ من هذه التوازنات الثلاثة، فقد أفسدت علاقتَها مع ربِّها، بل حتى أنكرَتْ وُجُودَه.

وبالتالي أفسدت علاقةَ الإنسان مع أخيه الإنسان، فلم تحقِّق للإنسانية العدلَ المرجوّ من أيّ حضارة، بل العلاقةُ في مُجمَلِها تدور حول تحقيق المصالح وإشباع الرغبات.

وأدَّى هذا إلى فساد علاقة الإنسان مع الكون بتسخير كثيرٍ من طاقاته لمزيد من شقاء وعبث البشرية.

أهمُّ العوامل المؤثرة في نهضة العلم العربي:

1 . الأعمالُ التنظيميَّةُ للدَّوْلَة، كتَعريبِ الدَّوَاوين، وبناءِ وتخطيطِ المدُنِ التي غَدَتْ . فيما بعدُ . عواصم علميَّة كالبصرة والكوفة وبغداد.

2 . بناء المكتبات وتداوُلُ الكتُب: ومن أمثلةِ ذلك دارُ الحكمة ببغداد، وابتياعُ الكتُب واستنساخُها من قِبَل الحكَم الثاني[1].

3 . المناظراتُ العلميّةُ التي كانت تُذْكِي العلم، فيما يُعرَفُ بمجالس العلماء، ومن أمثلة ذلك المناظَرَةُ التي حَدَثَتْ بين السيرافيّ وأبي بشر متَّى بن يونس[2].

4 . تشجيعُ الخلَفَاءِ والأغنياء للعلماءِ وإحاطتُهم بالرِّعاية، ممَّا ينعكِسُ بأثرٍ إيجابيٍّ على العلمِ، ومتى حَصَل تشجيعٌ للعلماءِ في بيئةٍ مَّا وكان بها استقرارٌ تَذِيعُ شهرةُ العالِمِ ويَعْلُو صيتُه. ومن أمثلة ذلك حمايةُ الأميرِ مجاهدٍ العامريّ للعلماءِ المبرّزين كالمهدَوِيّ، والدانيّ، وابنِ سِيدَه، وابنِ عبدِ البَرّ حيث عاشوا في كنفه في دانية من بلادِ الأندلس[3].

5 . التَّزَاوُجُ بين المسلمين والشعوبُ المغْلُوبةُ مهَّد للتلاقُحِ بين الثقافات[4].

6 . الفُتُوحَاتُ الإسلاميةُ واتِّساعُ رُقْعَةِ البلاد الإسلامية أدَّى إلى تكوين حضارة عالميَّةٍ واحدة شاسعةِ الأطراف[5].

(1) العلم العربي وأثره في تطور العلم العالميّ ص 345.

(2) انظر: أبو حيان التوحيديّ: الإمتاع والمؤانسة 1/ 107 .

(3) انظر: مقدمة المحقِّق لشرح الهداية للمهدوي ص 52، ومقدمة التحقيق لكتاب: الأمصار ذوات الآثار للإمام الذهبي.

(4) انظر: العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ ص 339.

(5) انظر: العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ ص 76 .

أسباب قوة العلم العربي العالمي:

1 .كثرةُ الكُتُبِ المؤَلَّفَة في الفَنِّ الوَاحد، بَل في الموضُوع الواحد.

2 . الدِّينُ في الإسلام يَنْشُرُ ظلالَهُ على الحَيَاةِ المدَنِيَّة والفِكْرِيَّة، مِمَّا يُرسِّمُ العِلمَ، ويَجْعَلُ له حدوداً لا يَتَجاوزُها، فيستشعِرُ العالمُ أنَّه تحت ظلِّ الرَّقابة السماويَّة، ويَحْمِي ذلك العلمَ من أن يُستَعمَل في أغراضِ الشرِّ والعَبَثِ الذي نشاهدُ أمثلتَه اليوم، كالتفنُّن في اختراع أسلحةِ الدَّمار الهائلة، والاستِنْسَاخِ وتغييرِ خَلْقِ الله[1].

3 . الوحدة الإسلامية متماسِكَةٌ بين الشُّعوب بالرَّغم من الانفصالات السياسيَّة أو الجغرافيَّة[2].

4 . التسامح الإسلامي كان له أثرُه في ازدهار العلوم، وإبقاء الحضارات، والمزج بين ثقافات الشُّعوب[3].

(1) من أمثلة الفرق الشاسع بين الغرضِ من صنع السِّلاح عند المسلمين وصنعِه الحاضر قال إبراهيم بن أحمد في مقدِّمة كتابه: (العزُّ والرِّفعة والمنافعُ للمُجاهدين في سبيل الله بالمدافعِ) الذي يعود للقرن العاشر الهجريّ:"ما قَصَدتُ به نفعاً دُنيويًّا، بل الإخلاص لله تعالى راجياً أن يَصِلَ إلى جميعِ بلاد المسلمينَ؛ ليَحصُلَ به النَّفعُ، ويَحصُلَ لهم الأجرُ عند الله سبحانه وتعالى بتَفريجِ المسلمينَ بإتقانِ أعمالِهِم، وتخويفِ أعدائهم الكافرين". من موقع: (www.kuwait.net/~ioms/arabic/asc/fangry3.html).

(2) انظر: العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ ص 338.

(3) انظر: العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ ص 121، و 339، و453 .

الباب الأوَّل:

التأثير في المصطلح الصوتي

1 . تأثير العلوم النقلية

2 . تأثير العلوم العقلية

المبحث الأول: تأثير العلوم النقلية

الباب الأول: التأثير في المصطلح الصوتيّ

هذا الباب يتناوَلُ العلاقات التي تَربِطُ بين العلوم المختلفة التي أثَّرت في المصطلحِ الصوتيّ من خلال دراسة أشهرِ العلماءِ الذين ساهموا في المعارفِ الصَّوتيَّة، مُظْهِراً بشكلٍ جليٍّ وواضحٍ أن المعارفَ والمعلومات التي توصَّلوا إليها هي التي أفرزت عدداً كبيراً من المصطلحات. فيكون هذا البابُ ـ على صِغَر حجمه مقارنةً بالباب الثاني ـ بمثابةِ إرهاصةٍ وتَقْدِمةٍ لما وراءه من مصطلحاتٍ.

المدرستان الكبريان في المصطلحات وعلومهما:

أ ـ المدرسة النَّقلِيَّة، وتُمَثِّلُها:

1. العُلومُ المعجَمِيَّة.
2. العلومُ النَّحْوِية والبلاغية.
3. علومُ القراءاتِ والتجويد.

وأشهرُ علمائها الصَّوتيِّين: الخليلُ بن أحمد، وسيبويه، والفرَّاءُ، والجاحظُ، والمبرِّدُ، وابن دُريدٍ، وابنُ مجاهدٍ، وأبو سعيدٍ السيرافيُّ، وأبو عليٍّ الفارسيُّ، وأبو عليٍّ الرُّمانيُّ، وابن جنيّ، ومكيُّ بن أبي طالبٍ القيسيُّ، والدانيُّ، وعبد الوهَّاب القرطبيّ، وابن الطحَّان الأندلسيُّ .

ب ـ المدرسة العقليَّة (الفلسفية) المعتمدة على معارف الأممِ السَّابقة، وتمثلها :

1. المدرسة المنطقية .
2. المدرسة الطبية .
3. المدرسة الموسيقية .

وأشهرُ علمائها الصوتيِّين: الكنديُّ، والفارابيُّ، وابنُ سينا، وابنُ رُشدٍ.

ولا بد من التنبيه أيضاً إلى أن العلماء الذين ينضوون تحت هاتين المدرستَين وفروعهما يمكن تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف:

1. مخترعٍ مبتكرٍ .
2. منظِّمٍ مستفيدٍ وشارحٍ لمعلومات من تقدَّمَهُ .
3. مقلِّد مردِّد .

هذه التقسيماتُ السابقةُ افتراضيةٌ وهميةٌ لتسهيل عرضِ المعلومات، والأمرُ أعقدُ من هذا، فالتداخل الثقافي موجودٌ قائمٌ بين المدرستين، ومن أمثلةِ ذلك استعانةُ ابنِ جنيّ في مقدِّمته الصَّوتية بما قاله الموسيقيُّون من أصحاب المدرسة العقليَّة ومصطلحاتِهم كالعَرَض، وتبنِّي ابنِ سينا لترتيب الخليل الصوتيّ وبعض مصطلحات سيبويه كالإطباق. وسيكشف البحث إن شاء الله هذه النقطة من خلال المصطلحات .

المبحث الأوَّل : تأثير العلوم النقلية

المدرسةُ النقليَّة:

بدأت إرهاصاتُ العلمِ الصَّوتيّ لهذه المدرسة منذ عهدِ النبيّ ρ في تلقينهِ الدَّقائقَ الصوتيَّة لصحابته ψ، ونقلِهم ذلك إلى من بعدَهم، فعَن جبَلة بن سُحَيم (ت 125 هـ) قال: "قرأتُ على عبد الله بن عمر τ: [لِلْفُقَرَاء والْمَسَكِينَ] قال: فأخَذَها عليَّ بالمدِّ، ثمَّ قال: قرأتُها على رسول الله ρ كما قرأتَها، فأخذَها عليَّ كما أخذْتُها عليك، وفَغَر فاه"[1].

غدا نَقلُ القرآن صوتياً سُنَّةً يأخذُها الآخِرُ عن الأوَّل جيلاً بعد جيلٍ، وقام لحراسةِ هذا النقلِ علومٌ كثيرة، منها علومُ النَّحو والصَّرفِ والبلاغة والتجويد والقراءات، وفي ظلِّ هذه العلوم نشأ العلمُ الصوتيُّ عند أصحاب هذه المدرسة.

وقد اقتضت حركةُ تاريخِ هذا العلمِ أن يَظهَرَ في المشرقِ أوَّلاً كحلقةٍ أولى ضِمن مباحثِ العلومِ التي تقدَّمت، ثم اكتَمَلَت الحلقةُ الثانية في المغربِ والأندلس، وذلك بظهور علم التجويد القرآنيّ كعلمٍ مستقلٍّ، جُلُّ مباحثِهِ تتعلَّقُ بأصوات الحروف في أحوالها المتعدِّدة.

1 . العلمُ الصَّوتيّ في المشرق

تنازَع العلمَ الصوتيَّ في المشرقِ مذاهبُ متعدِّدةٌ أشهرُها مذهبَا البصرة والكوفة. وسيكون كلامي فيهما مركَّزاً فيما يخدُم الجانبَ الصوتيَّ منهما، فقد لاحظْتُ من خلالِ دراستي للمصطلحات الصَّوتيَّة في الكتبِ المنتَقَاةِ أنَّهُ مِن التحكُّمِ التحديدُ لبدايةِ حرَكَةٍ فِكْرِيَّةٍ أو نهايةِ أُخرى، وأنَّ التحقيقَ لمعنى الانتسابِ لمذهبِ أهلِ البصْرةِ أوالكوفةِ إنَّما هو بالنَّظَرِ إلى اتِّجاه العالِم في كتبِه، فإذا كانَ العالِمُ قد تَعَلَّمَ من مَذْهَبٍ مَّا وأخَذَ بمصطلحاتِه، وتَكَلَّمَ بآرائه حتى ولو خالَفَهُ في مسائلَ تابَعَ فيها المذهبَ الآخَرَ، كابن السرَّاجِ في أصوله حيث استَعمَل مصطلحات الكوفيّين مع اصطباغ الكتاب بمذهَبِ أهل البصرة وآرائهم، أو كانت له استقلاليَّتُه كالأخفش في كتبه، والمبرِّدِ في مقتَضَبِه، فهذا لا يُخْرِجُهُ عن بصريَّتِه أو كوفيته.

(1) الهمَذانيّ: التمهيد في معرفة التجويد ص 161.

أما إذا كانَ العالِمُ يَخْلِطُ آراءَ المدرسَتَينِ من غَير تغليبٍ، ويَستَعْمِلُ مصطلَحاتِ الفريقَينِ بلا ترجيحٍ، فهذا الذي يَخْلِطُ فعلاً بين المذهَبَين.

وقد استمرَّ حالُ العلماءِ في مَيْلِهِمْ إلى أحدِ المذهَبَين في كثيرٍ من العصورِ حتى بعْدَ أن فَقَدَتْ كلٌّ من البصرةِ والكوفةِ مكانَتَها العلْمِيةَّ والسِّياسيَّةَ، وانتَقَلَ العلمُ إلى بغداد والقاهرة والأندلس والشَّام، بل ومن المتأخِّرين مَن تَعَصَّب لمذهبٍ مُعيَّن، وبالغ في ردِّ رواية المذهبِ الآخَر، والتشَنيعِ عليه إلى درجةِ الطعنِ في دين علمائِه، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم[1].

وقد لخَّصَ ابنُ ولاَّدٍ الخلافَ بين المذهَب البصريِّ والكوفيِّ بشكلٍ عام، فذكَرَ أنَّ أنماطَ الخلاف تتلخَّصُ في فرعٍ أو عبارةٍ أو مسألةٍ مُركَّبةٍ، وما عدا ذلك فهم متَّفِقُون[2]، ولذلك لا أرى داعياً إلى تعميقِ وتهويل الخلاف بين المذهَبَين؛ لأنَّ التبادلَ الثقافيَّ قائمٌ بين المذهَبَين، ولا تجدُ حاجزاً يَمْنَعُ البصريَّ أن يتعلمَّ من الكوفيِّ أو العكس[3].

ولاحَظْتُ من خلال تتبُّعي لكتب النَّحو والقراءاتِ أنَّ أكثرَ كتبِ النُّحاة قد استأثَرَت بمصطلحات البصريِّين على حين أن أكثر كتب القراءات العراقيَّة قد استأثرتْ بمصطلحات الكوفيِّين، وقد صَرَّح بذلك ابن الباذش في كتابه حيث يقول:"وتجيءُ عبارةُ القرَّاء على قولِ الكوفيِّين، وهو أكثرُ ما يُوجَدُ لهم"[4].

وقد يكونُ السَّببُ في ذلك الرَّابطةُ الوثيقةُ بين شُيوخِ الكُوفةِ وشيوخِ القراءة، فابنُ مجاهدٍ يَرْوِي عن ثعلب عن سَلَمَةَ عن أبي الحارثِ عن الكسائيِّ[5].

وهذا قبل ظهور كتبِ أهل مصر والأندلس كالتذكرة لابن غَلْبون وكتب مكيّ والدانيّ وابن الباذش التي تعتمدُ في غالب أحكامِها وتعليلاتِها على علم البصريِّين وخاصةً عِلْم سيبويه والأخفش والمبرِّد وأبي عليٍّ الفارسيّ وتلميذه ابن جنيّ.

(1) انظر تشنيع النحاس على الفرَّاء في إعراب القرآن 1/ 364، و1/ 458 و3/ 60 و 4/ 166. ومن خلال قراءتي لإعراب القرآن للنحَّاس تبيَّن لي أنَّ أكثرَ المواضع التي تتبَّع النحَّاسُ فيها الكوفيِّين إنَّما تتبَّعَها مِن قبلِهِ شيخُه الزجَّاجُ في معاني القرآن وإعرابه فحَذا النحَّاسُ حَذْوَه.

(2) الانتصار لسيبويه على المبرِّد ص 130 . وللتوسُّع في معرفة أنماط الخلاف بين البصريين والكوفيين انظر: سيد رزق الطويل: الخلاف بين النحويين ص 27 .

(3) لاحظْتُ أنَّ الخلافَ بين المذهبَين هو خلافٌ في الآراء ووجهاتِ النَّظَر، كما يختلفُ العالِمُ مع زميلِه في الرأي، ولا يَمنعُه ذلك من أن يأخُذ من علمه ويستفيدَ منه، على الرُّغم من شُهرةِ أنَّ البصريِّين يَرفُضون الأخذَ عن الكوفيِّين، كما تذكر بعض كتب التراجم (أخبار النحويين البصريين للسيرافيّ ص71 و أبو الطيِّب اللُّغويّ في مراتب النحويين ص143). وقد وُجِدَ من البصريين من نقَل عن الكوفيين كسيبويه في الكتاب 4/ 408، وابن السراج في الأصول 1/ 115، و1/ 290 و2/ 235. وتتلمذ ابنِ جنيّ على ابن مِقْسَم، وسؤالُ السيرافيّ عن مذهب أبي طاهر بن أبي هاشم، كما ذكَر الدانيُّ في جامع البيان 3/ 863 .

(4) الإقناع 1/ 366 .

(5) انظر: التذكرة لابن غلبون 1/ 52 .

والذي يُهِمُّنا من ذلك في الجانب الصوتيّ أنَّ هذا التعدُّدَ كوَّنَ نسيجاً علميًّا رائعاً تمثَّل في ما كتَبَهُ علماءُ التجويدِ والقراءات في مصنَّفاتِهم ابتداءً من القرنِ الخامس، وحتى نهايةِ الفترةِ، وستَكشِفُ مصطلحاتُ البحثِ هذا الأمر.

ومن الملاحَظِ على الكوفيين أنهم لا يُشَنِّعُون على البصريين رأيَهم بخلاف البصريين[1].

ووجدتُ أنَّ لفظَ: (البغداديّين) عند العلماء المتقدِّمين يُطلَقُ في الغالبِ على الذين تبنَّوا رأي الكوفِيّين لا على الذين خَلَطوا بين المذهبَين[2].

ونظراً لأنَّ الخلافَ بين علماء البصرييّن والكوفييّن هو الذي انعكَسَتْ آثارُه على مَن جَاءَ بعدَهم، فإنَّني أعرِضُ في عُجالةٍ أبرزَ الفروقِ الصَّوتيَّة بين الفريقَين.

يتركَّزُ الخلاف الصوتيّ بين المذهبَين البصريّ والكوفيّ في عدَّة نقاط، من أهمِّها:

1 ـ المصْطَلَحَات، مِمَّا يدلُّ على ذلك ما ذَكَرهُ السيرافيُّ أنَّ الكوفيّين لم يُلَقِّبُوا الحروف كتلقيبِ سيبويه[3]، وقولُ الزجَّاجيّ:"وإنَّما نَذكُرُ هذه الأجوبةَ عن الكوفيّين، على حسب ما سمِعْنا مِمَّا يَحْتَجُّ به عنهم مَن يَنصُرُ مذهبَهُم من المتأخِّرين، وعلى حسبِ ما في كُتُبِهم إلا أنَّ العبارةَ عن ذلك بغير ألفاظهم، والمعنى واحدٌ؛ لأنَّا لو تَكَلَّفْنا حكايةَ ألفاظِهم بأعيانِها لكان في نقلِ ذلك مَشَقَّةٌ علينا من غيرِ زيادةٍ في الفائدةِ، بل لعلَّ ألفاظَهم لا يَفْهَمُها مَن لم يَنْظُرْ في كتُبِهم.

وكثيرٌ من ألفاظِهم قد هَذَّبَها مَن نَحكي عنه مذهبَ الكوفيّين، مثل ابن كَيْسان، وابنِ شقير، وابنِ الخَيَّاط، وابن الأنباريّ، فنحنُ إنَّما نَحكي عِللَ الكوفيّين على ألفاظِ هؤلاء ومَن جَرَى مجراهم، مع أنَّه لا زيادةَ في المعنى عليهم، ولا بَخْسَ حظٍّ يَجِبُ لهم"[4].

2 ـ الجمعُ بين ساكِنَين في وسَطِ الكلِمَة: منَعَهُ البصريُّون وأجَازَهُ الكُوفيُّونَ[5].

3 ـ إدغامُ الرَّاءِ في اللاَّم: منَعَهُ البصريُّون وأجَازَهُ الكُوفيُّونَ[6]، مع أنَّ أبا عمرو بنِ العَلاء رأسَ المدرسةِ البصريةِ هو الذي رُوِيَ عنه الإدغام في ذلك[7].

(1) انظر أمثلةً لذلك في: إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 417 . وانظر التشنيع على الكوفيّين في حكاية أبي عليٍّ الفارسيّ مع أصحابِ أبي بكرٍ الخياط في الخصائص 3/ 300 ، ونقد أبي الطيب اللغويّ للكوفيين في مراتب النحويين ص51 .

(2) انظر : أدب الكاتب ص 365، والمقتضب 1/ 300، والأصول 1/ 289، والمحتسب 1/ 166 و 2/ 166 وقد صرَّح ابن جني بذلك في سر صناعة الإعراب 2/ 549 .

(3) ما ذكرَه الكوفيُّون من الإدغام ص 59 .

(4) إيضاح علل النَّحو للزجَّاجيّ ص 131 – 132 .

(5) انظر: إدغام القراء للسيرافيّ ص 4 و 30 و 37 وما ذكره الكوفيون من الإدغام له ص 83.

(6) انظر: معاني القرآن للفراء 1/ 206 .

(7) انظر: إدغام القراء للسيرافيّ ص 40.

4 ـ الهمزةُ المسَهَّلَةُ: مُتَحَرِّكَةٌ عندَ البصريِّنَ، ساكنةٌ عند الكوفيِّين[1]، اللهمَّ إلا عند أحمد بن يحيى الملقَّب بثَعْلَب فهي لا سَاكِنَة ولا متحرِّكة[2].

5 ـ أصلُ حرَكَةِ همزةِ الوَصْلِ: الأصلُ عند الكوفيِّين الإتباعُ، وعند أكثرِ البصريِّين الكَسْرُ، وعند بعضِهِم كابنِ جنيّ الإسكان[3].

6 ـ أحكامُ النون الساكنة والتنوين: أربعةٌ عند البصريِّن: الإظهارُ، والإدغامُ بغُنَّةٍ وبلا غُنَّةٍ، وقَلْبُ النُّون ميماً عند الباء، والإخفاء. وثلاثةٌ عند الكوفيِّن: الإظهار، والإدغام المحْضُ (بلا غُنَّة)، والإخفاء (ويشمَلُ: الإدغامَ بغنَّة، والقَلْبَ، والإخفاءَ) .

7 ـ القياسُ حَاكِمٌ عند البصريِّين ـ كما يقولُ المبرِّدُ[4] ـ وله سلطانٌ عندهم حتى وصَلَ الأمرُ بأحد علمائهم أن لَحَّنَ العربيَّ الصَّريحَ في لغتِه ولَقَّنَهُ القياس[5]، لكنَّنا لا نجِدُ ذلك الأمرَ عند الكوفيِّين، قال الزبيديُّ عن الإمام ثعلب:"لم يَكُن ثَعْلَبُ مُستَخرِجاً للقِيَاسِ، ولا مُطَالِباً لَهُ"[6]، غيرَ أنَّ عنايةَ البصريِّن بالقياس وجَمْعِ النَّظيرِ إلى النَّظيرِ، جعَلتْ علمَهُمُ الصَّوتيَّ مجموعاً منظَّمَ المسائلِ بخلافِ الكوفيِّنَ، وشَيخُ الصَّنعةِ في ذلك سيبويه بلا منازعٍ[7].

8 ـ مذهبُ الكوفيِّين الصوتيُّ عامٌّ لا يَلْتَفِتُ لخصائصِ الحروف[8]، بخلاف مذهب البصريِّين الذي يتناوَلُ الدَّقائق الصوتيَّة لأصوات الحروف.

9 ـ مذهبُ الكوفيِّين في الإدغامِ قليلٌ لا يَسْتَوعِبُ الحُرُوف[9].

10 ـ لم يُصَنِّف الكوفيُّون الحروفَ على ما صنَّفَه سيبويه، ولم يَعْرِضُوا لما قسَّمَهُ وهذَّبَهُ[10].

11 ـ لا تجدُ عند متقدِّمي الكوفيِّين كالكسائيِّ والفرَّاء شيئاً من صفات الحروف، كالجهرِ والهمسِ والاستعلاءِ والاستفالِ وغيرِها، إنَّما وُجِدَت هذه الصِّفات عند متأخِّري الكوفيِّين بعد ظهور كتاب

(1) انظر: الإقناع 1/ 366 .

(2) انظر: مجالس العلماء ص 90، وإعراب القرآن للنحَّاس 5/ 295 .

(3) انظر مذهب الإتباع والكسر في الإنصاف في حلِّ مسائل الخلاف لابن لأنباريّ 2/ 737 . وانظر رأي ابن جني في سر صناعة الإعراب 1/ 112.

(4) المقتضب 2/ 173 . وانظر قولَ ابن أبي إسحاق ليونس بن حبيب بتركِ اللُّغاتِ والتزامِ القياس في طبقات فحول الشعراء لابن سلام 1/ 15 . وانظر عدم اعتدادهم بالشواذِّ في العَروض للأخفش ص 128 والحجة للفارسيّ 2/ 377 .

(5) القوافي للأخفش ص 53 .

(6) طبقات النحويين واللغويين ص141.

(7) انظر مصطلح: (التقريب) مثالاً على ذلك.

(8) انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي ص71 .

(9) انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي ص59 .

(10) انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافي ص59 ، والموضح في التجويد ص77 .

سيبويه[1].

أهمُّ العلماءِ في المشرق

هم أصحابُ هذا الفنِّ وواضعو أسسِه، وإليك أبرزَ علمائهم:

الخليل بن أحمد الفراهيديّ شيخ مذهبي البصرة والكوفة (100 – 170 هـ)

أبو عبد الرحمن الخليلُ بن أحمد الفَراهيديُّ، أعظمُ علماء العرب من الصَّوتيّين، وتُخْبِرُنا كتبُ التَّراجِم إجماعَ أهلِ الأمصَار على أنَّ الخليلَ هو مفتاحُ العُلومِ ومُصَرِّفُها، وأنَّه لم يَكُن للعربِ بعد الصَّحابة أذكى منه ولا أجمعَ، وأنَّهُ مُنقطعُ القرينِ، وأنَّه من شهرتِه ضَرَبَ العلماءُ والشُّعراءُ به الأمثالَ[2].

كان ـ رحمه الله ـ مطَّلِعاً على عدَّةِ علومٍ؛ الرِّياضيَّات والطبِّ والموسيقى ناهيك عن النَّحو والصَّرف واللُّغة والعَروض، مِمَّا يدلُّ على ثقافتِه الواسِعَةِ، وقد وَرَدَتْ في مُعجَمه شذَراتٌ تدلُّ على ذلك[3].

ألَّف الخليل معجمَ العَين بعيداً عن البصرةِ في خراسان، عند تلميذِه اللَّيث بن المظفَّر بن نصرِ بن سيار، راوي الكتاب، وظلَّ هذا المعجَم مَطويًّا مُحَبَّأً لم يَرَ النُّور، وتأخَّرَ ظُهُورُه في البصرة إلى سنة 243 هـ، أي بعْدَ وفاةِ الخليلِ وسيبويه بما يَقْرُبُ من ستِّين سنةٍ.

كانت الدَّوْلَةُ عند ظُهور معجَم العَين لكتابِ سيبويه الذي أرْسَى منهجاً كاملاً شاملاً للُّغةِ العربية بأصْوَاتِها ونَحْوِها وصَرْفِها.

وتُخْبِرُنا كتبُ التَّراجِم أنَّ البَصْرِيّين ـ مِمَّن هُم على مَنهَجِ سيبويه ـ قد دَفَعُوهُ أشدَّ الدَّفعِ، وأنكَرُوا أن يكونَ هذا المعْجَمُ للخَلِيل، وكان مِن حُجَجِهم أنَّ في العَين من القضايا والآراء والمصطلحات ما يُخَالِفُ ما عندهم من كتاب سيبويه[4].

كانَ هذا الإنكارُ من علماء البصريّين ضربةً مؤلمةً وُجِّهَتْ للعَيْنِ حَجَبَتِ الناسَ زمناً من الاستفادة منه، غيرَ أنَّه لقيمتِه العلميَّة الكبيرة استعاد مكانتَهُ من جديدٍ فاتَّخَذَه بعضُ كبارِ اللُّغويّين أصلاً كابن دُرَيدٍ في الجمهرة، والأزهريّ في تهذيب اللُّغة، وابن فارس في مقاييس اللُّغة.

قال ابنُ دُرَيدٍ:"ولم أجْرِ في إنشاءِ هذا الكتاب إلى الإزراءِ بعلمائِنا، ولا الطَّعْنِ في أسلافِنا، وأنَّى يكونُ

(1) يُعَدُّ أبو بكر ابن الأنباريّ من علماء الكوفيّين المتأخّرين الذين استفادوا من معارفِ البصريين والكوفيين معاً، ففي كتابِه إيضاح الوقف والابتدا استعمل مصطلحات صوتيَّة انفرد بها البصريون دون الكوفيّين، كالجهرِ والهمس. أما الشرحُ والتعليلُ للظواهرِ الصَّوتية فلا نجِدُ أنَّه متعصبٌ لأهل الكوفة على أهل البصرة .كما هو مشهورٌ في كتبِ التراجم . وتظهرُ شخصيته المستقلة في الكتاب كإمام متميز معتَبَر.

(2) انظر: مراتب النحويين ص 55 و 67 – 68.

(3) انظر: العين 3/ 409 و 4/ 468 و 5/ 306 و 6/ 3 و 48 و 115.

(4) انظر: الخصائص 3/ 288 و 197 ، وسر صناعة الإعراب 2/ 568 .

ذلك ؟! وإنَّما على مثالِهِمْ نَحْتَذِي، وبِسُبُلِهِمْ نَقْتَدِي، وعلى ما أصَّلُوا نبتَنِي.

وقد ألَّفَ أبو عبد الرَّحمن الخليلُ بن أحمدَ الفَرْهُوديُّ ـ رضوانُ الله عليه ـ كتاب العَين، فأتْعَبَ مَن تَصَدَّى لغايتِه، وعَنَّى مَنْ سَمَا إلى نهايتِه، فالمنصِفُ لهُ بالغَلَبِ مُعترِفٌ، والمعانِدُ مُتكلِّفٌ، وكُلُّ مَن بعْدَهُ تَبَعٌ، أقرَّ بذلك أم جَحَد، ولكنَّهُ ـ رحمه الله ـ ألَّفَ كتاباً مُشاكِلاً لثُقوبِ فَهْمِهِ، وذكاءِ فِطْنَتِه، وحِدَّةِ أذهانِ أهل دَهرِه"[1].

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ ترتيبُ الخليل للأصواتِ استفاد منه سيبويه في الكتاب، وابنُ دُريدٍ في الجمهرة، والرازيُّ في الزِّينة، وابن جنيّ في كتابه: (سرّ صناعة الإعراب) حيث زاوَجَ بين كلام الخليلِ ومصطلحاتِهِ وألقابِه وما ذكَرَه سيبويه في كتابه، وتبِعَ ابنَ جنيٍّ بعد ذلك أهلُ التجويد كمكيٍّ في الرِّعاية، والدانيّ في التحديد، والقرطبيّ في الموضح، وأبي العلاء الهمَذانيّ في التمهيد. وستَكشِف مصطلحات البحث هذا التسلسلَ التاريخيّ.

2 ـ اختَرَعَ علمَ العَروضِ، ووضعَ نظامَه وألقابَهُ، ذكَرَ الزجَّاجُ أنَّ ابنَ دُرَيدٍ أخبرَهُ عن أبي حاتمٍ عن الأخفَشِ قال:"سألْتُ الخليلَ بعْدَ أن عمِل كتاب العَرُوضِ: لم سمَّيتَ الطويلَ طويلاً ؟ قال: لأنَّه طال بتمام أجزائه، قلتُ: فالبسيط؟ قال: لأنّهُ انبَسَطَ عن مدى الطَّويل وجاء وسطُهُ: فَعِلُن وآخرُه: فَعِلُن... الخ"[2].

3 ـ تبدِيلُ النِّظام العلاميّ النّقَطِيّ الذي وضعَه أبو الأسودِ الدُّؤليُّ بنظامٍ أسهلَ منه وأكثرَ تطوُّراً، لعلَلٍ صوتيَّةٍ اتَّخذَها لذلك، فعلامةُ الهمزةِ، والحركات، والتشديدِ، والرَّومِ، والإشمام كلُّها مِن وضعِ الخليل[3].

4 ـ تَضَمُّن معجَم العَين لمصطلحاتٍ وشُروحاتٍ تَكشِفُ عن أصولِ مصطلحات سيبويه الصَّوتيَّةِ في الكتاب، كـ: (الحروف المشْرَبة)، و(الاعتماد). وهذا يُبَيِّنُ العلاقةَ الوثيقةَ بينَ كلامِ سيبويه في الكِتَابِ وبين كلامِ الخليلِ في العَين، مِمَّا يؤكِّدُ ضرورةَ أن يُدرَس الكتابان معاً إذا أريد معرفةَ أسرار العمل المعرفيّ المنظَّم بكامل مستوياتِه المعجَمِيَّة، والصوتيَّة، والنحويَّةِ، والصرفيَّة، والدلاليَّة عند المتقدِّمين.

5 ـ الخليلُ شَقَّ طُرُقاً في الاشتقاقِ وعلاقةِ الصَّوت بالمعنى، بَنَى عليها مَن بَعْدَهُ[4].

6 ـ وضَع الخليلُ رسالَتَين في النَّغَم والإيقاعِ، كما يقولُ ابن النَّديم[5]، وإلى الآن لم يُدْرَس هذا الجانب

(1) الجمهرة 1/ 3 .

(2) انظر هذا الخبر، وتمامَ الألقاب في العمدة لابن رشيق 1/ 136 .

(3) انظر: المقنع للدانيّ ص 129 .

(4) انظر من أمثلة علاقة الصوت بالمعنى في العين 1/ 55، و 3/ 341، و 4/ 107، و 5/ 70. وقد استفاد من ذلك ابن جنيّ في بابين عملهما في الخصائص 2/ 152 و 168.

(5) انظر: الفهرست ص 66 . وانظر أيضاً شهادة إسحاق الموصلي شيخ الموسيقيّين في عصره للخليل بمعرفته بهذه الصناعة (طبقات النحويين واللغويين ص 49).

عند الخليل، ويَدخُلُ ضِمنَهُ"الكشفُ عن العلاقاتِ الوثيقةِ أو الجسور التي تَصِلُ علمَ العَروضِ الذي اختَرَعَهُ بالدِّراسات المنَظَّمَة التي قامَ بها في الموسيقى والغِناء، وبالأصولِ التي وضَعَها في هذا المِضمار، وكيفَ استَفَادَ مِن خبرتِهِ ومعرفتِهِ وتجاربِه العمليَّة والنظَريَّةِ لخدمة كلا العِلْمَين، أعني العروضَ والموسيقى، وإعدادِ أوَّلِ وأقدمِ الدِّراساتِ عن أصولِهما وأحوالِهما"[1].

7 . أشار الخليلُ إلى أنَّ اللُّغة العربيَّةَ تعتَمِدُ النِّظامَ المقطعِيَّ في نُطقِ أصواتِها، أي لا يُنطَقُ صوتٌ صحيحٌ مجرَّداً عن حركةٍ أو حرف مدّ، وهذا النِّظامُ هو الذي استُعمِلَ في وصفِ الأصوات[2].

8 . من منهجِ العَين أنَّ الخليلَ كانَ يَستَخْدِمُ أكثرَ مِن مُصْطَلَحٍ للشَّيءِ الوَاحِد، فهو دَائِمُ الاختراعِ والتجريبِ، ويَرجِعُ ذلك إلى معرفَتِهِ الواسِعَةِ باللُّغَةِ، إضافةً إلى عَبْقَرِيَّتِهِ وذَكَائِهِ النَّادِرِ في وضعِ كلِّ شيءٍ في مَوضعِه، ومن أمثلة ذلك: (الإدغام) استَخْدَمَ له الخليلُ: (الانْحِشَاءَ، واللَّفِيفَ، والإدغام)، وكذلك في الإمالة استخدَمَ مصطلحَ : (الإجناح، والإمالة)، وفي المخارجِ استَعمل: (المخَارِجَ، والمَوَاضِعَ، والأحيَازَ، والمَبَادِئَ، والمَدَارِجَ).

9 . في العَين من الدَّقَائِقِ الصَّوتيَّةِ ما لا تَجِدُهُ في غَيْرِهِ اللهمَّ إلا عند سيبويه، كتعريفِه للهمس الذي قارَبَ فيه من مفهوم الهمس عند المعاصِرين.

سيبويه شيخ المذهب البصريّ (148 – 180 هـ)

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبَر الملقَّب بسيبويه، أعظمُ علماءِ العربية وصاحبُ السَّبق فيها، ومؤسِّس علْمِ البصريّين.

بَلَغ من مكانةِ كلامِه أنَّ بعضَ العلماءِ كان يتحرَّجُ من مخالفةِ مذهبِه إلى غيرِه، فمن ذلك قولُ السُّهيليّ:"ولولا الوَحْشَةُ مِن مخالَفَةِ الإمامِ أبي بِشْرٍ لَنَصَرْتُ قولَ الأخفَشِ نَصْراً مُؤَزَّراً، وجَلَوْتُ مذهبَهُ في مِنَصَّةِ التحقيقِ مُفَسِّراً، ولكنَّ النفسَ إلى نُصرَةِ سيبويه أميَلُ، والله المُوَفِّق للصَّواب"[3].

كان لكِتَابِ سيبويه ومصطلحاتِه تأثيرٌ طاغٍ على غالِبِ النَّحْوِيِّين والقرَّاء، وعلى الرُّغم من أنَّ الغرضَ من تأليف كتابه هو إحياءُ علم الخليل[4] إلا أنَّه كان يتمتَّعُ بشخصيَّةٍ مستقلَّةٍ، وقدرةٍ لغويَّةٍ فائقةٍ مكَّنَتْهُ أن يضعَ لكلِّ مسمًّى ما يُناسِبُهُ من ألفاظٍ.

ومن الملفتِ للنَّظَر أنَّ مؤسِّسي المذهَب الكوفِيّ وكُبَرَاءَهُ قد درَسُوا كتابَه، فالكسائيُّ قرأه على الأخفشِ،

(1) من مقالةَ الدكتور علي الزبيدي بعنوان"الخليل الموسيقار" مجلَّة المورد 1395 - 1975 مج 4 عدد 4 ص 23 .
(2) انظر مصطلحَي: (الاعتماد)، و(المقطع).
(3) نتائج الفكر ص 236 .
(4) طبقات النحويين واللغويين ص 75 .

وماتَ الفرَّاءُ والكتابُ تحتَ وِسَادَتِه[1]، وثعلبُ كان مُطَّلِعاً عليه، ومُتمكِّناً منه، وله منه نسخةٌ بخطِّ يده[2]، فإذا كان هذا حالُ مؤسِّسِي المذْهَبِ الكُوفِيِّ وكبرائِهِ، فكيف بمَن دُونَهُم ؟!

انتشرَ الكتابُ في العواصمِ العلميَّةِ انتشاراً واسعاً، ولم يَعُدْ محدوداً ببلدِهِ التي وُجِدَ فيها، وخَرَجَ مِن حُدُودِ المذْهَبِ البَصْرِيِّ، ورضِيَ عنه العلماءُ على مرِّ العُصورِ، واتَّخَذوهُ إماماً ودُستوراً؛ بل وكُتِبَتْ له العالميَّةُ، وأصبَحَ تراثاً إنسانيّاً استَفادت بعضُ الأممِ الأخْرى مِنهُ في إحياءِ مَا مَاتَ مِن نَحْوِهَا[3].

قال صَاعِدُ بن أحمد القرطبيُّ (ت 462 هـ) أحدُ مؤرِّخي العلم المشهورين من أهل الأندلسِ:"ولا أَعْرِفُ كتاباً أُلِّفَ في عِلْمٍ من العُلُومِ، قديمِها وحديثِها، فاشتَمَلَ على ذلك العلمِ، وأحَاطَ بجميعِ أجزاءِ ذلك الفَنِّ غيرَ ثلاثةِ كتُبٍ: أحدُهَا: كتابُ: (المِجِسْطِي)، هذا في علم هَيئةِ الفَلَكِ وحركاتِ النُّجُوم[4]. والثاني: كتابُ أرِسْطاطاليس في علمِ صناعةِ المنطقِ. والثالثُ: كتابُ سيبويه البصريِّ في علمِ النَّحْوِ العربيِّ، فإنَّ هذه الكتبَ الثلاثةَ لا يَشِذُّ عن كلِّ وَاحِدٍ مِنها مِن أصولِ عِلْمِهِ، ولا مِن فُرُوعِهِ إلاَّ ما لا خَطْبَ له. ولله تعالى وحْدَهُ مزيدُ الإحاطةِ، وفضيلةُ التَّمَامِ، لا رَبَّ غيرَهُ"[5].

ومن عجيب الأمرِ أنَّه مع ما كتَبه الله لسيبويه على خطِّ الزَّمن من هذه المكانة والتوفيق، والإجماع والقَبُول من جهابِذَةِ العلماء، فإنَّنا نَجِدُ من المعاصِرين مَن يُزْرِي به ويتطاوَلُ عليه، ويَرْمِيه تارةً بالعُجْمَة، وتارةً بالاضطرابِ في منهجِه، ولا نَعْلَمُ لذلك سبباً علميّاً وجيهاً يَدْعُو إلى ذلك[6]!!

وإذا كان شيخُه الخليل، وهو من صميم العروبة يقول عندما يَدخُلُ عليه سيبويه: "مرحباً بزائرٍ لا يُمَلُّ"[7]، فهل ذلك إلا لثقتِه العِلميَّة بهذا الشابِّ الذي سيَنقُلُ علمَ كلامِ العرب بكلِّ أمانةٍ ودقَّة.

قال ابن جنيّ عن فضلِ سيبويه الفارسيِّ على اللُّغة العربيَّة:"وإنَّ إنساناً أحاطَ بقاصِي هذه اللُّغاتِ المنتشرةِ، وتَحَجَّرَ أذْرَاءَها المتَرَامِية، على سعةِ البلادِ، وتَعادِي ألسنتِها اللِّدادِ، وكثرةِ التَّواضُعِ بين أهلِها مِن حاضرٍ وبادٍ، حتى اغتَرَقَ جميعَ كلامِ الصُّرَحاءِ والهُجَناءِ، والعبيدِ والإماءِ، في أطرارِ الأرضِ، ذاتِ الطُّولِ والعَرْض، ما بينَ مَنثورٍ إلى منظومٍ، ومَخْطُوبٍ بهِ إلى مَسْجُوع، حتى لغاتِ الرُّعاةِ الأجلافِ، والرَّواعي ذَواتِ صِرارِ الأخلافِ، وعُقَّلائهم والمِدْحُولين، وهُذاتِهم المَوَسْوِسين، في جِدِّهِمْ وهَزْلِهم، وحَرْبِهِم وسِلْمِهِم، وتَغَايُرِ

(1) طبقات النحويين واللغويين ص 71 – 72 .

(2) انظر: الأصول لابن السرَّاج 3/ 221، ومجالس العلماء للزجاجي ص 86 ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيديّ ص 145 .

(3) انظر مقالة للدكتور حسن ظاظا بعنوان: (أثر سيبويه في نشأة النَّحو العبريّ) أعطى فيه من الأدلَّة التاريخيَّة الموثَّقة على أثر كتاب سيبويه في إحياء النَّحو العبريّ. (مجلَّة اللِّسان العربيّ مج 12/ ج1 ص 91 – 106).

(4) للفلكيّ الإغريقيّ بطليموس.

(5) طبقات الأمم ص 676 .

(6) الأصوات عند سيبويه لعبد الرحمن أيوب ص 25 .

(7) طبقات النحويّين واللغويّين ص 67 .

الأحوالِ عليهمْ، فَلَمْ يُخْلِلْ مِن جميعِ ذلك ـ على سعتِهِ وانبثاثِهِ، وتَناشُرِهِ واختلافِه ـ إلاَّ بأحرُفٍ تافِهَةِ المقدار، مُتَهافِتَةٍ على البَحْثِ والاعتبار، ولَعَلَّها أو أكثرَها مأخوذةٌ عمَّن فسَدَتْ لُغتُهُ، فلمْ تَلْزَم عُهْدَته، لجديرٌ أن يُعْلَمَ بذلك توفيقُهُ، وأن يُخَلَّى لهُ إلى غايتِهِ طريقُه"[1].

والأعمالُ الصَّوتيَّةُ التي قامَ بها سيبويه، وكان لها تأثيرٌ على المصطلحِ الصَّوتيّ لا يُمْكِنُ تلخيصُها في نقاطٍ؛ لأنَّ منهجَه في الأصوات ومصطلحاتِه، وآراءَه وتعليلاتِه الصوتيَّة المبثوثة في الكتاب تُمثِّلُ ـ في غالبِها ـ العلمَ الصَّوتيَّ عند أصحاب المدرسة النقليَّة.

فمن أمثلة ذلك ترتيبُه لمخارج الحروف وصفاتِها، قال ابن جنيّ:"فهذا هو ترتيبُ الحروفِ على مَذاقِها وتَصَعُّدِها... مِمَّا رتَّبه سيبويه وتلاه أصحابُه عليه، وهو الصَّوابُ الذي يَشْهَدُ له التأمُّلُ بصحَّتِه"[2].

وقال الدانيُّ:"اعلموا أنَّ قُطْبَ التجويدِ ومِلاكَ التحقيقِ معرفةُ مخارجِ الحروفِ وصفاتِها التي بها يَنفَصِلُ بعضُها من بعضٍ وإن اشتركَ في المخرج. وأنا أذكُر ذلك على مَذْهَب سيبويه خاصَّةً؛ إذ هو الصَّحيح المعَوَّلُ عليه، إن شاء الله تعالى"[3].

وقال القرطبيُّ:"أمَّا تحقيقُ ذواتِها وذِكْرُ مخارجِها، وتبيينُ أجناسِها، وذِكرُ مراتِبها في الاطِّرادِ فنذكُرُهُ على ما ذكَرَهُ سيبويه ـ رضي الله عنه ـ ورتَّبه... وتلاهُ أصحابُه وغيرُهم من المتأخِّرينَ عليه؛ لأنَّه المعتمَدُ"[4].

وهذه النُّصوص توحي بأنَّ هناك نظماً أخرى في ترتيب المخارجِ لم يعتمدها أكثرُ العلماء كترتيبِ الخليل في العين، والكنديّ في اللُّثغة.

ومِمَّا تميَّزَ به سيبويه في الجانبِ الصَّوتيّ أيضاً قدرتُه الفائقةُ على جمعِ النَّظير إلى النظير، ورَبْطِ الأمثلة بعضِها ببعضٍ. ومن الأمثلة الصَّوتيَّة التي تدلُّ على ذلك: (مصطلح التقريب)، ومن الأمثلة النحويَّة مسألة (العشرون درهماً)[5].

وقد سار سيبويه على نهجِ الخليلِ بالتغيير في المصطلحاتِ، فمن ذلك تعبيرُه عن الصَّوتين المتماثلَين بـ: (المثلان)، و(الحَرْفُ الذي هُو مثلُ ما بعدَه)، و(الحرفان اللَّذان تَضَعُ لهما مَوضعاً واحداً لا يَزولُ عنه)، و(الحرفان اللَّذان هما سواء)، وسيأتي ذِكْرُ ذلك في مظانِّه.

(1) الخصائص 3/ 186 .

(2) سر صناعة الإعراب 1/ 45 - 46 .

(3) التحديد ص 102 .

(4) الموضح ص77 .

(5) في مصطلح: (التقريب) بين الأصوات، ربَطَ سيبويه سبعةَ مواضع من كتابه بمصطلح الإدغام بجامعِ الخفَّة والانسجام. ولمراجعة مسألة: (العشرون درهماً) انظر: مقالة في مجلة المورِد مج 16/ ع1 1987م ص 119 - 128، بعنوان: (عشرون درهماً في كتاب سيبويه) للمستشرق الإنجليزيّ ميخائيل جورج كارتر، ترجمة وتعليق عبد اللطيف الجميلي وحاتم الضامن. دلَّل المستشرق من خلال اثنين وعشرين موضعاً في الكتاب استَعمل فيها سيبويه عبارة: (عشرون درهماً) لتكون مثلاً قياسيّاً لمختلفِ السِّمات النحويَّة التي تُحَسِّدُها.

الفرَّاء شيخ المذهب الكوفيّ (144 – 207 هـ)

أبو زَكَرِيا يَحيى بنُ زيادٍ الدَّيْلَمِيُّ الملقَّبُ بالفَرَّاء، من شيوخِ المذهبِ الكوفيّ إن لم يكن الأبرزَ فيه، وأشهرُ تلامذة الكسائيّ[1]. سَمِع من يونس بنِ حبيب الضبيّ (شيخ سيبويه)[2].

ذكَر الزَّبيديُّ أنَّه لولا الفرَّاءُ ما كانتْ عربيةٌ؛ لأنه حَصَّنَهَا وضَبَطَهَا، وأنَّ كتُبَه لا يُوازَى بها كتابٌ[3]، ومدحَه الزجَّاجيُّ بأنَّه حسن النَّظَر، وأورد عنه حكايةً في ذلك[4].

وتعرَّض للنَّقد من أبي حاتم السجستانيّ[5]، والنحَّاس[6]. وزعم أبو الطيب اللُّغويّ أنَّه كان زائدَ العصبيَّة على سيبويه[7].

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 . ذكَر بعضُ العلماء أنَّه جعَل مخارجَ الحروف أربعةَ عشر مخرجاً، وذلك بجعْل اللاَّم والنون والرَّاء من مخرجٍ واحدٍ، ولم يُخبِرْنا العلماءُ هل تابَع سيبويه في ترتيب الحروف الأخرى أم لا ؟[8]

لكنَّ الملفتَ للنَّظَر أنَّه في كتابه جعَل اللامَ والنُّونَ قريبتَي المخرج[9]، وهو قولٌ يَنقُضُ الكلامَ المنقولَ عنه اللهمَّ إلا إذا لاحظَ المخارجَ الجزئيَّة، أي: لكلِّ حرفٍ مخرجٌ خاصٌّ به، بدليل قوله في موضعٍ آخَر أنَّ الطاءَ أقربُ إلى التاء في المخرج من الظاء والذال والثاء، مع العلم أنَّ الطاء والتاء والدالَ من مخرجٍ واحد، فهذا نظيرُ ذاك[10].

2 . إشارته الواضحة إلى مخارجِ الحركات[11].

3 . ملاحظاتُ الفرَّاءِ الصوتيةِ في معاني القرآن تُركِّزُ على التناسُبِ بين الأصوات، وقد استَعمل مصطلحاتٍ لذلك، مثل: (الحرف العَدْلِ بين الحرفين)[12]، نحو إبدالِ التاءِ دالاً في مدَّكر أصلُها: مُذْتَكِر،

(1) انظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 51، ومراتب النحويين لأبي الطيب اللُّغويّ ص 139 .
(2) انظر: معاني القرآن 1/ 127 .
(3) طبقات النحويين ص 132 – 133 .
(4) مجالس العلماء ص 191 .
(5) ذكر ذلك النحاس في القطع والائتناف 1/ 100 .
(6) انظر إعراب القرآن 1/ 273 و 3/ 91 .
(7) مراتب النحويين ص 139 .
(8) يُنسَب هذا القول إلى ابن كيسان ، انظر: التحديد للدانيّ ص 104، والموضح للقرطبيّ ص 79.
(9) انظر: معاني القرآن 2/ 353 .
(10) انظر: معاني القرآن 1/ 172 .
(11) انظر: معاني القرآن 2/ 12 .
(12) انظر: معاني القرآن 1/ 215 و 379 .

فالدالُ هو الحرفُ الوسيطُ العَدْلُ الذي يُقرّبُ بين التاءِ والذالِ.

4 ـ قدَّم الفرَّاء عدداً من النُّصوص النادرة ذكَر فيها كيف كان الصحابةُ والتابعون ψ يُعبّرون عن قراءاتهم، فمن أمثلة ذلك: (تَطْوِيلُ الألف)، وهو من أقدم ما استُعمِل للتعبيرِ عن المدِّ، ويَرجع إلى القرن الأوَّل الهجريّ، قال الفرَّاء:"حدَّثَني عدَّةٌ، منهم: المفَضَّلُ الضبِّيُّ، وقَيسٌ، وأبو بكرٍ، كلُّهم عن جَحشِ بنِ زيادٍ الضبِّيّ عن تميمِ بنِ حَذْلَمَ (ت 98 هـ)، قال: قرأتُ على عبدِ الله بن مسعودٍ: [وَكُلٌّ آتُوهُ دَٰخِرِينَ] [النمل: 87]، بتَطْوِيلِ الألِف. فقال: [وَكلٌّ أَتَوْهُ] بغير تَطْويل الألِفِ"[1].

وهذا يُفيد في الكشف عن الإرهاصات المبكِّرة للمصطلحات، وستأتي عدة أمثلةٍ أخرى في البحث.

5 ـ قدَّم الفرَّاء عدداً من القواعدِ الصَّوتيّة المهمَّة، فمن ذلك قاعدتُه الدقيقةُ في الإدغام والإظهار: (يُدْغَمُ ما يَثْقُلُ على اللِّسانِ إظهارُهُ، ويُظْهَرُ ما يَسهُلُ فيه الإظهار)[2].

6 ـ قدَّمَ الفراءُ عدداً من المصطلحاتِ الصَّوتيَّة استعملها عددٌ من الذين جاؤوا بعدَهُ من القرَّاء في كتبهم كابن مجاهدٍ وأصحابه، فمن ذلك مصطلح الإخفاء في النُّون حيث عنَى فيه كلَّ ما يَبقى معه غُنَّة، فدخَل فيه: الإدغامُ بغنَّة[3]، وقَلْبُ النون الساكنة ميماً عند الباء[4]، وإخفاءُ النُّون عند الخمسة عشر حرفاً، وزاد مَن بعدهُ إخفاءَ الميم السَّاكنة عند الباء[5]، على حين أنَّ سيبويه لم يَعنِ بـ: (الإخفاء) إلا إخفاء مخرج النُّون من اللِّسان عند الخمسة عشر حرفاً.

وترتَّب من جرَّاءِ ذلك أن حمَل بعضُ القرَّاء ـ ممَّن لم يَطَّلعوا على مفهوم عبارات الفرَّاء ومن تابعَه ـ العباراتِ التي عُبِّر فيها عن هذه المعاني الأربعة بهذا المصطلحِ على ما أراده سيبويه من الإخفاء، فوقَعوا في الوهْمِ، وصاروا يُخفُون ذات الميم في نحو: [مِنۢ بَعْد] و [تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ] كإخفائهم النُّون عند الخمسة عشر. حَصَل هذا في القرن السَّادس الهجريّ، وما زِلْنا نَلْحَظُ آثارَهُ إلى اليوم في نُطقِ بعضِ القرَّاء.

7 ـ عِلْمُ الفرَّاء بسعة اللُّغة جعَلَته لا يُنكِرُ شيئاً من اللُّغة حتى لو لم يَسْمَعه، قال:"وإن لم تَسْمَعْهُ فلا تُنكِرَنَّهُ إن أتَى"[6].

وهذا يُبَرِّرُ ما أجازه الكوفيُّون دون البصريّين من إدغامِ الرَّاء في اللاَّم، والجمعِ بين ساكنَين في وسط الكلمة في نحو: [شَهْر رَّمضَان] في قراءة أبي عمرو، والله أعلم.

(1) معاني القرآن 2/ 301. والقراءتان متواترتان: قرأ بالقصر حفص وحمزة وخلف، وقرأ الباقون بالمدِّ .

(2) معاني القرآن 2/ 353 .

(3) معاني القرآن 3/ 172 .

(4) نقَل ذلك التعبير عنه السيرافيّ في: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 67 .

(5) انظر: الإقناع لابن الباذش 1/ 179 وما بعدها .

(6) معاني القرآن 2/ 149 .

8 ـ تنبيه الفرَّاء إلى أهمية الترسُّل والتأني في قراءة القرآن، فمن ذلك قوله:"والعربُ تُدْغِمُ اللاَّمَ مِن (هل) و(بل) عند التاءِ خاصة، وهو في كلامهم عالٍ كثيرٌ، يقول: (هل تدري وهتَّدْرِي)، فقَرَأَها القُرَّاءُ على ذلك، وإنَّما أستَحِبُّ في القراءةِ خاصةً تبيانَ ذلك؛ لأنَّهما منفصلان لَيْسا من حرفٍ واحدٍ، وإنَّما بُنِيَ القرآنُ على الترَسُّلِ والترتيلِ وإشباعِ الكلام، فتِبيَانُهُ أحبُّ إليَّ مِن إدغامه، وقد أَدْغَمَ القُرَّاءُ الكِبَارُ، وكلٌّ صَوَابٌ"[1].

وهذا يُساعِدُ على تفسير بعض الظواهرِ الصَّوتيَّة التي تعتمِد على التأنِّي وتحقيق ذوات الحروف في الأداء القرآنيّ كمثل إظهارِ القَلْقَلَةِ في وسط الكلمة، والسَّكْتِ على الساكنِ قبل الهمزة في بعض الكلمات.

9 ـ توضيحه الفرق بين من قرأ القرآن بالتعلُّمِ وبين مَن قرأهُ بالطَّبع، أي مَن نشأ في أكناف اللُّغة، قال:"لأنَّ القراءَةَ من المولَّدِين مصنوعةٌ، لم يأخُذوها بطِبَاعِ الأعرابِ، إنَّما أخَذُوها بالصَّنعةِ. فالأعرابيُّ ذلك جَائزٌ لهُ لِمَا يَجري على لسانِه من خَفيفِ الكلامِ وثَقِيله.

ولو اقْتَسْتَ في القراءةِ على ما يَخِفُّ على ألْسُنِ العربِ فيُخَفِّفُونَ أو يُدْغِمُون لخَفَّفْتَ قولَه: [قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً]، فقلتَ: (أيْشٍ اكْبَرُ شَهَادَة)، وهوكلامُ العرب. فليسَ القراءةُ على ذلكَ، إنما القراءةُ على الإشباعِ والتمكين"[2].

ولهذا سُمِّي علمُ التجويد ـ في مرحلةٍ مبكِّرةٍ ـ عِلْمَ التكلُّفِ، وهذا قبل ظهور مصطلح: (التجويد)، وانظر مصطلح: (التكلُّف).

الجَاحِظُ مؤسِّس علم البلاغة والأدب (163 ـ 255 هـ)

أبو عثمان عمرو بنُ بحرٍ الملقَّب بالجاحظ، من أعظمِ علماء البلاغة والأدب، يُعَدُّ كتابُهُ أحدَ الكتب الأربعة التي هي أصول فنِّ الأدب وأركانِه كما ذكَر ابن خلدون[3].

أهم كتبه: البيان والتبيين.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ قدَّم الجاحظُ عدداً من المصطلحات الصَّوتيَّة نقَلَها مَن جاء بعده، فهو صاحبُ التعبير المشهور: (إعطاءُ الحروفِ حقوقَها)[4]، الذي نقَلهُ كبارُ أئمَّة التجويد والقراءات كالخاقانيّ[5]، وابن مجاهدٍ[6]،

(1) معاني القرآن 1/ 441 .
(2) معاني القرآن 2/ 353 .
(3) المقدِّمة ص 554 .
(4) البيان والتبيين 1/ 14 .
(5) منظومة الخاقانيّ ص 19 .
(6) نقل ذلك عنه الداني في التحديد ص 89 .

والسعيديّ[1]، ومكيّ[2]، والدانيّ[3]، والقرطبيّ[4]، وصار التجويدُ يُعرَّفُ به إلى يومنا هذا .

2 . من الأوائل الذين أشاروا إلى أهميَّة التدريبِ النُّطقيّ في تصحيح الكلام، وعبَّر عن هذا التدريب الذي يَحتاجُ إلى جهدٍ بـ: (التكلُّف)، فذكَر أنَّه بطول استِعمال التكلُّف تَذِلُّ الجوارح، ومتى ترَكَ الإنسانُ شَمائِلَهُ على حَالِها، ولِسانَهُ على سَجِيَّتِهِ كان مقصوراً بعادَةِ المِنشَأِ على الشَّكْلِ الذي لم يَزَل فيه[5].

ولعلَّ هذا النصَّ هو إرهاصةٌ لكلام الدانيّ الذي أصبح فيما بعدُ ركناً من أركانِ علم التجويد، أعني قوله:"وليس بين التجويدِ وتركِه إلا رياضةُ من تَدَبَّرَه بِفكِّه"[6].

وهو يَكشِفُ عن العلاقةِ بين حديث البلاغيّين وما قاله أهلُ التجويد في كتبِهم؛ حيث تعلَّقا بالاحترازات الأدائيَّة وتصحيح النُّطق في الكلام العربيّ عموماً والأداء القرآنيّ خاصةً، كما يؤدِّي إلى التأريخ الحقيقيّ والبداية الصَّحيحة لعلم التجويد الذي سُجِّلَتْ ظهورُ أوَّل مصنَّفاته في أواخر القرن الرابع الهجريّ وأوائل الخامس[7].

3 . ذكَر أنَّ الميمَ والباءَ أوَّلُ حرفين ينطقُهما الطِّفلُ؛ لرؤيته عمَلَ الشفتين بهما، قال:"والميمُ والباءُ أوَّلُ ما يَتَهَيَّأُ في أفواهِ الأطفال، كقَولِهِمْ: (مَامَا) و (بَابَا)؛ لأنهما خَارِجَان مِن عَمَلِ اللِّسَانِ، وإنَّما يَظْهَرَانِ بالتقاءِ الشَّفَتَين"[8].

4 . يُعَدُّ الجاحظُ أحدَ الرُّوَّادِ الأوائل الذين تَعرَّضوا لعيوب النُّطق سواء أكانت عيوباً فطريَّة كاللُّثغة التي تَعرِضُ للصِّبيان إلى أن يكبَروا[9]، أو خَلْقيَّة كالتأتأة والفأفأة[10]، أو بِحُكْم العادة النُّطقيَّة والمنشأ كتعلُّم الأجنبيّ لغةً غير لغته[11]، أو عُيوباً يأتي النَّهي عنها من باب تجميل النُّطق وتحسينه، كالنَّهي عن التشديق والتقعير والتقعيب في الكلام[12].

5 . نبَّه إلى قصور الكتابةِ في تصوير النُّطق تصويراً صحيحاً فضلاً عن تصوير عُيوبه، قال عن اللُّثغة

(1) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص 1 .
(2) الرعاية ص 50 و 53 و 144 و 221.
(3) التحديد ص 70 و 135 و141.
(4) الموضح ص 61 و 101 و 132 و 179 و 215.
(5) البيان والتبيين 1/ 52 .
(6) التحديد ص 68 . وانظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم قدوري الحمد ص 60 .
(7) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 68 .
(8) البيان والتبيين 1/ 47 .
(9) البيان والتبيين 1/ 51 - 52 .
(10) البيان والتبيين 1/ 5 و 12 و 32
(11) البيان والتبيين 1/ 53 - 54 .
(12) البيان والتبيين 1/ 12 .

بالشِّين:"فأمَّا التي هي على الشِّين المعْجَمَة، فذلك شيءٌ لا يُصَوِّرُهُ الخطُّ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفةِ، وإنما هو مخرجٌ من المخارجِ، والمخارجُ لا تُحصى ولا يوقَفُ عليها"[1]. وقال عن اللُّثغة بالراء التي كانت لواصل بن عطاء أحد أئمَّة المعتزلة:"وأمَّا اللُّثغة الخاصَّة التي كانت تَعرِضُ لواصل بن عطاء... فليس إلى تصويرِها سبيلٌ. وكذلك اللُّثغة التي تَعرِضُ في السِّين... فإنَّ تلك أيضاً ليست لها صورةٌ في الخطِّ تُرَى بالعَين، وإنَّما يُصَوِّرُها اللِّسانُ وتتأدَّى إلى السَّمْع"[2].

وهو بهذا يُسجِّلُ سبقاً على الصوتيِّين المعاصِرين الذين يعدُّون الأشكال الكتابيَّة ثانويَّةً بالنِّسبة إلى رموز الكلام الملْفُوظة[3].

المبرِّدُ خاتمة البصريِّين (210 – 285 هـ)

أبو العباس محمّدُ بن يزيد الأزديُّ الملقَّب بالمبرِّد، خاتمة النحويِّين من البصريِّين وأحدُ أئمَّة الأدب المبرِّزين.

يُعَدُّ كتابُه المقتضب شرحاً لكتاب سيبويه[4]، وإن كان خالَفَه في مسائل يسيرة ردَّ أكثرَها بعضُ العلماء[5]، وهو أحدُ المراجعِ الهامَّة التي اعتَمَد عليها كثيرٌ من العلماء في الجانب الصَّوتيّ، كابن جنيّ، ومكيّ، والدانيّ، وعبد الوهَّاب القرطبيّ.

أهم كتبه: المقتضب والكامل.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 . قدَّم عدداً من الرُّؤى الصوتيَّة تبنَّاها عددٌ من العلماء الذين جاؤوا بعده، فمن ذلك ما ذكَره عن الحروف المتوسِّطة أنَّها أصواتٌ شديدةٌ يَجري فيها النَّفَسُ [الصَّوت] لاستعانتها بصوت مجاورها. وهو أوَّلُ مَن أدخَل حروفَ المدِّ واللِّينِ ضِمنَها[6].

ومن ذلك إدخالُهُ الكافَ ضِمنَ حروفِ القلقلة[7]، ونُسِب ذلك خطأً إلى سيبويه. وسيأتي ذِكْرُ ذلك في مظانِّه.

(1) البيان والتبيين 1/ 28 .

(2) البيان والتبيين 1/ 30 .

(3) انظر: علم اللغة لمخمود سعران ص 55.

(4) جزى الله خيراً محقِّق كتاب المقتضب الشيخ عبد الخالق عضيمة . رحمه الله تعالى . فلقد دعَّم تحقيقه بأقوال سيبويه، ولا تكاد تخلو صفحة من المقتضب من نقل كلام سيبويه، ولا يَعني هذا إغفال تمتُّع المبرِّد بشخصيَّته العلميَّة المستقلَّة.

(5) انظر: كتاب الانتصار لسيبويه على المبرِّد لابن ولاَّد. وذكَر ابن جنيّ في الخصائص 1/ 205 أن المبرِّدَ رجع عن هذه المسائل. وانظر: الخصائص 3/ 287 .

(6) المقتضب 1/ 331 .

(7) المقتضب 1/ 332 .

2 ـ قدَّم عدداً من القواعدِ الصَّوتيَّة الهامَّة، منها قوله عن الإدغام:"الإدغامُ لا يُبْخِسُ الحروفَ ولا يُنقِصُها"[1]. والقاعدةُ الأخرى التي ذكَرها أنَّ مِن شرطِ الإدغامِ أن لا يَنقُضَ معنىً ولا يَلْتَبِس بلَفظٍ[2].

3 ـ قدَّم عدداً من المصطلحات الصَّوتيَّة، كالتعبير عن صفات الحروف بـ: مصطلح: (الأعراض)، وتلقيبه الحروف اللِّثويَّة، وهي الظاء والذال والثاء، بـ: (حروف النَّفث)، وسيأتي ذِكْرُ ذلك وغيره.

4 ـ ذكَر أنَّ صورَ الحروف ثمانيةٌ وعشرون صورةً كتابيةً تُعبِّرُ عن تسعةٍ وعشرين تصويتاً[3]، لكنَّ العلماء الذين جاؤوا بعدَه لم يذكروا إلاَّ أنَّه جعل الحروف ثمانيةً وعشرين، ذكَر ذلك ابنُ جنيّ[4]، وتتابَعَ العلماءُ في نقلِ ذلك دون تمحيصٍ[5].

ابن دُرَيدٍ (223 – 321 هـ)

أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدِ بنِ عَتَاهِية الأزديُّ[6]، أشهرُ لغويِّي عصرِه، ذكَر أبو الطيِّب اللُّغويّ أنَّ عِلْمَ لغة البصريِّين انتهى إلى ابن دُرَيد[7]، وذكر الزبيديُّ أنَّه كان أعلمَ الناس باللغة وأيام العرب[8].

وعلى الرُّغم من تعرُّض ابن دريدٍ وكتابه الجمهرة للنقدِ[9] إلا أنَّ هذا لم يَمْنَع كبارَ علماءِ عصره من الاستفادةِ منه، فسَمِع منه السيرافيّ[10]، والفارسيّ[11]، وابن خالويه[12]، وأبو عليّ القالي[13].

أهم كتبه: الجمهرة في اللغة.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ يُعَدُّ ابنُ دُرَيدٍ أوَّلَ لغويٍّ قدَّمَ مذْهَبَين لمخارجِ الحُرُوف؛ مذهباً مُسْتقًى من معجم العَين، ومذهباً

(1) المقتضب 1/ 346 .

(2) المقتضب 1/ 333 .

(3) انظر: كلام الشيخ عبد الخالق عضيمة على هامش المقتضب 1/ 328 حيث بيَّن أنَّ المبرِّد لا يُخَالِفُ البصريِّين في جَعْل أصواتِ الحروف تسعةً وعشرين صوتاً.

(4) انظر: سر صناعة الإعراب 1/ 41 .

(5) انظر: التمهيد لأبي العلاء الهمذاني ص 273 .

(6) انظر ترجمته في: مراتب النحويِّين ص 135 و طبقات النحويين واللغويين ص 183 .

(7) مراتب النحويين ص 135 .

(8) طبقات النحويين واللغويين ص 184 .

(9) انظر نقد الأزهريّ له في معاني القراءات 1/ 134، وتهكم ابن فارس به في مقاييس اللغة 4/ 307 و 482 ، وانظر النَّقدَ لكتابه في الخصائص لابن جنيّ 3/ 197 و 288 ودعا إلى إصلاحه في سر صناعة الإعراب 2/ 568.

(10) انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 82، وأخبار النحويين البصريين ص 69 .

(11) ذكر ذلك ابن جني في الخصائص 3/ 202 .

(12) انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص 28 .

(13) انظر: طبقات النحويين واللغويين ص 187 والأمالي والنوادر 2/ 102 .

آخَرَ مستقىً من كتابِ سيبويه[1].

2 . ضَمَّنَ كتابَهُ بعضَ الألقاب التي ذكَرها الخليلُ كالحروف المذلَقَة[2].

3 . كانت له رؤية في المخارجِ، فهو بعد ترتيبِ حروفِ الحلْقِ . حسب الترتيب المعروف . لا يَلْتَزِمُ ترتيباً في المخارج، فمن ذلك أنَّه أوردَ الياء، ثم السين والصاد والزاي، ثمَّ النون والراء، ثم التاء والدال والطاء، ثم الفاء، ثم الواو والباء والميم، ثم النون الخفيَّة، ثم الظاء والذال والثاء، وبعد ذلك الضاد[3].

4 . استَعمل مصطلحات سيبويه في الصفات كالحروف الرخوة والشديدة، والمجهورة والمهموسة وإن كان مخالفاً له في بعض تعريفاتِها، فمن ذلك تعليله للحروف المطبَقة بقوله:"لأنَّك إذا لَفَظْتَ بها أطبَقتَ عليها حتى تَمنع النَّفَسَ أن يَجرِيَ معها"[4].

وهذا مخالِفٌ لما ذكَره سيبويه عن الإطباق، كما سيأتي.

5 . انفرَد ببعض المصطلحات الصوتية، كتعبيره عن صفات الحروف بـ: أجناس الحروف، وعن المخارج بـ: مجاري الحروف[5].

6 . قدَّم عدداً من التعريفات والملاحظات الصوتيَّة . بغضِّ النظَر عن صحَّتِها . نقَلَها مَن بعدَه، كمثل تعريفه للخيشوم الذي تابعه عليه مَن بعده، ومثل أنَّ اللام تنقطِعُ بغُنة[6]، وسيأتي ذِكْرُ ذلك في مظانِّه.

ابنُ مجاهدٍ (254 – 324 هـ)

أبو بكر أحمدُ بنُ موسى بن العباس بنِ مجاهدٍ التميميُّ البغداديُّ، إمامُ القرَّاء وشيخُ صنعةِ القراءة ومُسبِّعُ السَّبعةِ، ذكَر ابنُ النَّديم أنَّ ابنَ مجاهدٍ كان واحدَ عصرِه غيرَ مدافَع[7]. قال عنه ابن الجزريّ:"ولا أعلمُ أحداً من شيوخِ القراءاتِ أكثر تلاميذ منه، ولا بَلَغَنا ازدحامُ الطلبةِ على أحدٍ كازدِحامِهم عليه"[8]، وقال عنه شيخُه ثعلب:"ما بقِيَ في عصرنا هذا أعلمُ بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد"، وهذه من شهادة الشيخِ لتلميذِه، والاعتراف بفضله.

وتُخبِرُنا كتبُ التراجم أنَّ الذي منَعه من التتلمُذِ على المبرِّد شيخِ المذهب البصريِّ في زمنه وفاؤُهُ لحقِّ

(1) انظر: الجمهرة 1/ 6 وما بعدها.
(2) الجمهرة 1/ 7 .
(3) الجمهرة 1/ 8 .
(4) الجمهرة 1/ 8 .
(5) انظر: الجمهرة 1/ 6 و 8 .
(6) انظر: الجمهرة 1/ 7 و 9.
(7) الفهرست ص 31 .
(8) غاية النهاية 1/ 142 .

شيخِه ثعلب، وعِلْمُه بأنَّ ذلك يؤذيهِ حيث كان بينهما من المنافرة ما لا خفاءَ به[1]. لكنَّ هذا لم يمنع ابن مجاهدٍ أن يطَّلِع على علم البصريّين، ونَلْحَظُ ذلك في كتابِه حيث ضمَّنَه بعضَ مصطلحاتِهم وتعليلاتِهم.

وقد بلَغَ من قدْرِه وعُلُوِّ مكانته أن تَتَلْمَذَ عليه كبارُ علماءِ المذهبِ البصريّ في زمنه، فسمِع منه السيرافيُّ، وأبو عليٍّ الفارسيُّ، وأبو عليٍّ القاليُّ، وابن خالويه ناهيك عن أصحابه من القراء: أحمدَ بنِ نصرٍ الشذائيّ، وأبي طاهر بن أبي هاشم، ومحمد بن عبد الله بن أشتة، وغيرهم من جهابذة القرَّاء.

أهم كتبه: السبعة.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ شكَّل مذهبُ ابنِ مجاهدٍ مذهباً وسطاً بين علمِ البصريّين والكوفيّين، فهو من جهةٍ امتدادٌ لمذهبِ الفرَّاء الصَّوتيّ، ومن جهةٍ أخرى مذهَبٌ هضَمَ كلام سيبويه، واستَعمل تعليلاتِه الصَّوتيَّة[2]، ويدورُ في حناياه القياسُ والترجيحُ والموازَنَةُ بين الآراء، ومن أمثلة متابعتِه لمذهب الخليل وسيبويه أنَّه رجَع ـ اختياراً واستحساناً ـ عن إدغام الراء في اللاَّم إلى الإظهار قبل موته بستِّ سنين[3].

وهو بهذا قد شكَّل جسراً بين علم البصريّين والكوفيّين استفاد مِنه علماءُ الأندلس من أهل التجويد كمكيّ والدانيّ والقرطبيّ حيث ظهَر علمُ الكوفيّين في بعض أبحاثِهم.

2 ـ مصطلحاتُ ابن مجاهدٍ الصوتيَّة في غالبِها مصطلحاتٌ كوفيَّة، والتعبير عن القراءات في كتب العراقيّين إنَّما هو بلغة الكوفيّين كما قدَّمتُ في قول ابن الباذش، وهذا الجانبُ بشكلِه الكلّيّ لم يُدرَس إلى الآن، وأرجو أن تكون هذه الدراسة قد غطَّتْ شيئاً من هذا الجانب.

3 ـ قدَّم ابنُ مجاهدٍ عدَّة آراء تَنمُّ عن حسٍّ صوتيّ دقيقٍ، فمن ذلك تفضيلُه وجهاً على وجهٍ في القراءة لعلَّة السهولة والتخفيف[4].

4 ـ ابن مجاهد صاحب فكرة تقسيم اللَّحنِ إلى جليٍّ وخفيٍّ، فالجليُّ لحنُ الإعراب، والخفيُّ: تركُ إعطاء الحروف حقَّه من تجويد لفظه[5]. وقد نَقَل هذا التقسيم أكثرُ علماء التجويد الذين جاؤوا بعدَه، وكان أصلاً كبيراً في عِلْمِهم[6].

5 ـ من مميِّزات كتاب السبعة المهمَّة جداً نقلُه تعبيرات مَن سَبَقه من القرَّاء في نقلِهم الصَّوتيّ للقرآن

(1) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 108 – 109 .
(2) انظر: السبعة ص 107 .
(3) انظر: جامع البيان للدانيّ 2/ 692 .
(4) السبعة ص 138.
(5) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 50 .
(6) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 51 وما بعدها.

المجيد، وهي تعبيراتٌ لا نجدُها في كتب العربية، وهذه التعبيرات في غالبِها ترجِع إلى عهدِ التابعين وتابِعِيهم، بل ربَّما بعضُها يصِلُ إلى عصر الصَّحابة رضي الله عنهم أجمعين، وأمثلةُ ذلك مبثوثةٌ في البحث.

6 ـ قدَّم ابن مجاهدٍ عدداً من القواعد الصَّوتيَّة، منها قاعدته في الانسجام بين الأصوات: (لا يُفَرُّ من ثقيلٍ إلى ما هو أثقَل منه)[1]، وقد استَعملَها الدانيّ في أحد كتبه[2].

7 ـ كان ابن مجاهدٍ رائداً في الاستنباط واستخراج دقائق المسائل من نصوصِ الأئمَّة السابقين، فمن ذلك ما استنبطه من قواعدِ الهمز الساكن عند أبي عمرو بن العلاء فيما رواه أصحاب أبي عمرو عنه، قال الدانيُّ عن عمل ابن مجاهدٍ:"وقد كان ابنُ مجاهد يَخُصُّ بالهمزِ ـ اختياراً ـ ما كان سكونُه علامةً للجزم أو للبناء، وما تَرْكُ همزِهِ يُوجِبُ الثِّقَلَ والاشتباهَ بما لا يُهْمَزُ أصلاً، والخروجُ من لغةِ من يَهْمِزُ إلى لغةِ من لا يَهْمِز... لأنه ـ رحمه الله ـ بَنَاهُ على نَصِّ ما اجتَمَعَ عليه الرُّواةُ عن اليزيديّ عن أبي عمرو... فقاسَ ببرَاعَةِ فَهْمِهِ، ولطيفِ حِسِّهِ، وَوُفُورِ مَعرِفَتِه ـ على ما وَرَدَ النصُّ فيه ـ ما جَرَى مَجراهُ، ودخَل في معناهُ، وجعل الهمزة فيه مطردا"[3].

8 ـ كان ابنُ مجاهد إماماً مدقِّقاً في الأخذ على النَّاس ألفاظَهم، فقد نَقَلَ الدانيُّ بسنده إلى الشذائيّ قولَه:"كان ابنُ مجاهدٍ ـ رحمه الله ـ لعلْمِه بتفاوُتِ الناس في العلْمِ بالقراءةِ وقُصور أفهامِهم يَسْتَثْبِتُ كثيراً مِمَّن يَقرأ عليه في قوله: [قَمْطَرِيرًا] [76/ 10] وأشباهِه؛ لأنَّ منهم مَن يَجْعَلُ الميم نوناً"[4].

9 ـ قدَّم ابنُ مجاهدٍ عدداً من المصطلحاتِ الصَّوتيَّة، فمن ذلك جمعُه: دالَ قد، ولامَ هل وبل، وتاءَ التأنيث، تحت لفظ: (الحروف التي لا حركةَ لها)[5].

10 ـ ابنُ مجاهدٍ من أقدم الذين قدَّروا زمنَ المدودِ بالألفات، وتلاهُ أصحابه على ذلك، منهم: أحمد بن يعقوب التائب، وأبو طاهر ابن أبي هاشم[6].

11 ـ قدَّم ابنُ مجاهدٍ عدَّة آثار عن الصحابة والتابعين في تَمسُّكِهم بالرِّواية وعدمِ مخالفة الأثر، وذكَر أنَّه لا يجوز مخالفةُ الرِّواية بوجهٍ جائزٍ من العربيَّة، وخرجَ بأصلٍ في ذلك هو أنَّه لا قياس في القراءة[7].

12 ـ يُعَدُّ ابنُ مجاهدٍ أحدَ الأئمَّة الذين نَهوا عن الإقراء بالألحان، قال القرطبيُّ:"وأمَّا الإقراء به فلا يَجُوزُ،

(1) السبعة ص 138.
(2) جامع البيان 2/ 525 .
(3) جامع البيان 2/ 572 .
(4) التحديد ص 117 .
(5) السبعة ص 119 و122 .
(6) انظر: التبصرة لمكيّ ص 206 وجامع البيان 2/ 454 - 455 .
(7) انظر: السبعة ص 46 و 87 و 150 .

ولا بالتطريبِ ولا بالترقيص ولا بالتحزين ولا بالترعيد، قال الأهوازيُّ ـ رضي الله عنه ـ: على ذلك وجدتُ علماءَ القراءةِ في سائرِ الأمصار، قال: وسَمِعتُ أبا الفرجِ مُعافَ بنَ زكريا الحلوانيَّ يقول: حضَرتُ يوماً عند ابن مجاهدٍ وقرأ عليه قارئٌ فَطَرَّبَ، فقال له ابنُ مجاهدٍ: ما أطْيَبَ هذا.. أخْبِئْهُ لِبَيْتِكُم"[1].

أبو سعيد السيرافيُّ (280 – 368 هـ)

أبو سعيد الحسنُ بن عبد الله بن المرزبان السيرافيُّ القاضي، أحدُ أئمَّة الأعلام من البصريّين، سمِع من ابن السرَّاج، وابن دُريدٍ، وابن مجاهدٍ، وأبي مزاحم الخاقانيّ[2].

قال عنه أبو حيان التوحيديُّ:"أبو سعيد السيرافيُّ، شيخُ الشيوخِ، وإمامُ الأئمَّة، معرفةً بالنَّحو والفقه واللُّغة والشِّعر والعَروضِ والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة"[3]، ويَشْهَدُ بذلك مناظرتُه الشهيرة لإمام وَقْتِهِ في المنطق متَّى بن يونس[4]،

وبلَغ من مكانتِه أنَّ ابنَ مجاهدٍ شيخَه كان يسأله عن توجيه بعض الكلمات القرآنية[5].

وكان من منهجه أنَّه لا يَطْعَنُ في القراءات بل يُدافِعُ عنها[6].

أهمُّ كتبه: شرح كتاب سيبويه، وإدغام القرَّاء، وما ذكره الكوفيون من الإدغام.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ كان شارحاً لدقائقِ كلامِ سيبويه في الكتاب، ومضيفاً إليها، وهذا سبَّبَ غَيرةَ أبي عليٍّ الفارسيّ، كيف تسنَّى للسيرافيّ أن يَشرحَ الكتاب من أوَّلِهِ إلى آخرِه مع أنَّ الفارسيَّ هو من أعنى النَّاس بكتاب سيبويه[7].

2 ـ نقَل نصوصاً على غايةٍ من الأهمِّيّة في شرح مُرَادِ سيبويه في بعضِ المواضع الصَّوتيَّة، فمن ذلك حديثُ سيبويه مع الأخفش حينما سأله عن الفرقِ بين المجهور والمهموس، وسيأتي ذِكْرُ ذلك في مظانِّه.

3 ـ ذكَر بأنَّ سيبويه هو أوَّل من فرَّق بين حركات البناء والإعراب، قال:"اعلم أن سيبويه لقَّب الحركات والسُّكون هذه الألقاب الثمانية..."[8].

(1) الموضح ص 213 .
(2) أخبار النحويين البصريين ص 59 .
(3) بغية الوعاة 1/ 507.
(4) انظر: الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيديّ 1/ 107 .
(5) انظر: جامع البيان 3/ 863 و الموضح لمذاهب القراء ل 45/ ب .
(6) انظر: المطبوع من شرح كتاب سيبويه 2/ 131 .
(7) انظر: الإمتاع والمؤانسة 1/ 131 .
(8) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 65 .

4 ـ شرَح بعض مصطلحات الكوفيّين، كلفظَي: (المصَوِّت، والأخرس)، وهما من مصطلحات الفرَّاء، وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

5 ـ استفاد من شرْحِه للكتاب بعضُ أئمَّة علم التجويد كالقرطبيّ، فنقَل كلامَه في عدَّة مواضع[1].

6 ـ قدَّم بعض التعريفات الصوتيَّة، فمن تعريفه لحروفِ المدِّ بأنَّها حركاتٌ مُشْبَعة[2]، وتقسيمه الكلامَ العربيّ إلى مَلْحونٍ وغير ملحونٍ[3].

7 ـ قدَّم بعضَ المصطلحات الصوتيَّة كتلقيبه ألف الإمالة بـ: (ألف الترخيم) [4]، وجمعه الحروف التي تُدغَمُ فيها النُّون بـ: (وَيَرْمُل)[5].

8 ـ قدَّم عدَّة آراء صوتيَّة، فمن ذلك ما ذكره عن وجهِ اختيار الضمّة في الفاعل، والفتحة في المفعول به، فذكَر أنَّ الضمَّ اختير في الفَاعِلِ لقُوَّةِ النَّفَسِ في أوَّلِ النُّطقِ، فاستُعمِل له أقْوَى الحرَكاتِ، وجُعِل للمفعولِ به أخفُّ الحركات[6]. ومن ذلك ما ذكره مِن أنَّ جريانَ الغُنَّة في الخيشوم يُعادِلُ جريانَ حروف المدِّ[7].

9 ـ مناقشته لآراء الكوفيّين، فمن ذلك مناقشتُه لتسميةِ الفرَّاءِ قَلْبَ النُّونِ ميماً عند الباءِ إخفاءً[8]، ومناقشته لحُجَّةِ ثَعْلب على سيبويه في منع إدغام المستطيل وحرف الصفير[9].

10 ـ تَتَلْمُذه على ابن مجاهد في القراءة جعله لا يَرُدُّ إدغام الراء في اللاَّم ـ كما هو مذهبُ البصريّين ـ بل علَّل لها صوتياً بخفة اللام وصعوبة الرَّاء[10].

11 ـ قدَّم بعض القواعدِ المهمَّة في المصطلح، فذكَر أنَّه لا سبيلَ إلى إحداثِ لغةٍ في لغةٍ مُقَرَّرَةٍ بين أهلِها[11].

وهو يعني أن تغيير المواضعة لا يَتِمُّ إلا بقَبول الجماعة اللُّغويَّة بذلك، وقد تقدَّم ذِكْرُ ذلك.

(1) انظر: الموضح ص 81 - 83 .
(2) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 110 .
(3) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 2/ 92 .
(4) نقَل ذلك عنه القرطبي في الموضح دون أن يذكر اسمه ص 82 .
(5) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 64 .
(6) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 2/ 265 .
(7) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 70 .
(8) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 67 .
(9) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 64 .
(10) إدغام القراء ص 40.
(11) نقَل ذلك عنه أبو حيان التوحيديّ في الإمتاع والمؤانسة 1/ 122 .

12 . قدَّم بعض القواعد الصوتيَّة، فمن ذلك قاعدتُه في كثرةِ الاستعمال: (الحرفُ على مقدار كثرةِ استعمالِهِ تُختَارُ خِفَّتُه وتُؤثَر سهولته)[1].

أبو عليٍّ الفارسيُّ (288 – 377 هـ)

الحسنُ بنُ أحمد بنِ عبد الغفَّار بن سليمان بن أبان الفسويّ، أبو عليٍّ الفارسيُّ النحويُّ اللُّغويّ.

من أئمَّة الأعلام من البصريّين، وألْصَقُ الناس بكتاب سيبويه.

أخذ عن الزجَّاج، وابن السرَّاج، وابن دُرَيدٍ، وأبي الحسن عليّ بن سليمان الأخفش.

بلَغ من مكانته أنَّ عضد الدولة البويهيّ، حاكم بغداد في زمانِه، كان يقول:"أنا غلامُ أبي عليّ النحويّ الفسويّ في النَّحو"[2].

وبلَغ من مكانته ـ أيضاً ـ أنَّ ابنَ دُرَيدٍ امتَنع من تقريئه مقدِّمةَ كتابِهِ الخاصَّة بمخارجِ الحروف، وقد ذكَرتُ من قبلُ أنَّ ابن دُرَيد قد أوْرَدَ فيها مذهبَي الخليل وسيبويه، قال أبو عليّ:"لما هَمَمْتُ بقراءةِ رسالةِ هذا الكتاب على محمدِ بن الحسن قال لي: يا أبا عليّ: لا تَقْرأْ هذا الموضِعَ عليَّ، فأنتَ أعلَمُ به منّي"[3].

ومن مميّزات الفارسيّ أنَّه كان مُنصِفاً في تعاملِه مع مخالفي مذهب سيبويه، فمن ذلك استحسانُه هو وتلميذه ابن جنيّ رأيَ الكسائيّ[4]. وقوله عن توجيه الفرَّاء لبعض القراءات:"فإذا اتَّجَهَ قراءتُهُ على وجهٍ صحيحٍ لم يَجُزْ أن يُنسَبَ إليه الخطأ، وقد قال عُمَرُ ـ رحمه الله ـ: لا تَحْمِلْ فِعْلَ أخيك على القبيح ما وجَدتَ له في الحَسَن مذهباً"[5]. ومِن ذلك استشهادهُ بأقوال ثعلب في الصَّرْف[6]. وهذا كلُّه يدلُّ على تَجَرُّدِه وعدم عصَبيَّتِه اللَّهمَّ إلاَّ في بعضِ المواقف[7].

أهم كتبه: الحجة والتكملة.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 . انفرَد بتلقيبه حروف طرف اللسان مع الثنايا بـ: (حروف أصول الثنايا)، مخالِفاً بذلك تلقيب سيبويه: (حروف طرف اللسان مع الثنايا)، وهذا يدلُّ على أن أبا عليٍّ الفارسيَّ ـ ومع كَونه ألْصَقَ العلماء بكتاب سيبويه ـ لم يعترِف بتقسيم سيبويه للثنايا، بل جعلَها كلَّها تحت لفظٍ واحدٍ هو: (أصول الثنايا) ،

(1) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 107 .
(2) مجلة المجمع العلمي بدمشق 4/ 747 المجلد 58 .
(3) الخصائص 3/ 288 .
(4) انظر: المحتسب 1/ 52 .
(5) الحجة 2/ 332 - 333 .
(6) الحجة 3/ 80.
(7) من ذلك موقِفُه من شعر المتنبّي، واستهزاؤه بأصحاب أبي بكر الخيَّاط. (الإمتاع والمؤانسة 1/ 131، والخصائص 3/ 300).

وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

2 ـ وضَع بعضَ المصطلحات الصَّوتيَّة، فمن ذلك تعبيره بـ: (**الخَلَّة**) عن صفة الحرف[1].

3 ـ انفرَد ببعض الآراء الصوتيَّة، فمن ذلك ما ذكَره مِن أنَّ زمن الإخفاء في النُّون أكثر من زمن استطالة الضاد، وإن كانا يُعَدَّان في الوزنِ حرفاً واحداً. وأنَّ زمن المدِّ في الواو والياء اللِّينتَين أقلّ منه في الواو والياء المدّيتَين[2].

4 ـ قدَّم بعض القواعد الصوتيَّة المهمَّة، منها قاعدته: (لا يُدْغَمُ الحرفُ المزيدُ بالصِّفات فيما هو أنقصُ منه)[3]، وقاعدتُه الأخرى: (تُنَزَّلُ الحركاتُ في التقريبِ منزِلةَ الحروفِ في المجاوَرَة)[4].

ويُعَدُّ أبو عَلِيّ من المكْثِرين في صياغة كلام مَن تقدَّمَه على هيئة قواعد، وهذا ما حدا بابن جني أن يَمْدحَ قوَّةَ قياسه وجمعَه النَّظير إلى النَّظير[5]، وحكى عنه ابنُ جنيّ قولَه:"أُخطِئ في مائة مسألةٍ لغويَّة ولا أُخطِئ في واحدةٍ قياسيَّة"[6]. وسيأتي عددٌ من الأمثلة في مظانِّه.

5 ـ من أوائل من بحَثَ أنَّ الحركة قبل الحرف أو معه أو بعده، مرجِّحاً أن تكون معه، ذكَر ذلك ابن جنيّ[7]. وتابعه مكيّ[8]، والقرطبيّ[9].

6 ـ ذكَر أموراً مهمَّة في الأداء يَختلِف بعضُ القرَّاء عليها اليوم، فمن ذلك قولُه عن إشمام نون: [لا تأمنَّا] إنَّها تُعادِلُ إشمامَ نون (مَعن) في الوقف[10]. وهذا يدلُّ على أن تحريكَ الشفتَين بالضمِّ يكون بعد إسكان الحرف لا مَعَه، والله أعلم.

7 ـ استعار بعضَ مصطلحاتِ الخليل في التعبير عن الإمالة بـ: (الإجناح)[11]. بل واستَثْمَرَهُ فعبَّر عن الإمالة الكبرى بـ: (المبالغة في الإجناح) أو (الإجناح الشديد)[12].

(1) الحجة 6/ 49 .
(2) الحجة 3/ 191 .
(3) الحجة 6/ 49 .
(4) الحجة 4/ 170 .
(5) الخصائص 1/ 276 .
(6) انظر: بغية الوعاة 1/ 497 .
(7) انظر: الخصائص 2/ 423 .
(8) الرعاية ص 98 .
(9) الموضح ص 74 .
(10) الحجة 1/ 212 و 4/ 400.
(11) انظر: الحجة 1/ 399 و406 .
(12) انظر: الحجة 1/ 406 و 6/ 229 .

8 ـ تتلْمُذُه على ابن مجاهد في القراءة جعلَه بستَعمل بعض مصطلحات القرَّاء، كتعبيرهم عن الفتح ضد الإمالة بـ: (التفخيم)[1].

9 ـ من أوائل الذين قالوا بِتَجويزِ الابتداءِ بالسَّاكنِ في لغة العجَم، وامتناع ذلك في لغة العرَب من جهةِ أنَّ نظامَها يَفْرِضُ ذلك[2].

10 ـ لخَّصَ أوجُهَ الخلافِ بين النُّحاة والقراء بقوله: القُرَّاءُ تُؤْثِرُ الآثارَ على ما يَجُوزُ في العربية[3]، لكنَّه في المقابل ذكَر أصلاً دقيقاً، وهو أنَّ الضَّبطَ والقياسَ ومُوافَقةَ الأشْباهِ أركانٌ عند الاختلاف[4].

11 ـ قدرتُه الفائقة على تنظيم معلومات سيبويه الصوتيَّة، فمن ذلك تلخيصُه باب الإدغام عند سيبويه في عدَّة وريقات[5].

الرمَّانيُّ (276 – 384 هـ)

عليُّ بنُ عيسى بنِ عليٍّ بن عبد الله الرُّمانيُّ أبو الحسنِ الورَّاقُ، أخذ من ابن السرَّاج، وابن دُرَيدٍ، والزجَّاج.

وهو من طبقةِ السيرافيّ وأبي عليٍّ الفارسيّ، وكان يقال عنهم:"النَّحْويُّون ثلاثة: واحِدٌ لا يُفهَمُ كلامُه وهو الرُّمانيُّ، وواحدٌ يُفهَمُ بعضُ كلامِه وهو أبو عليٍّ الفارسيُّ، وواحدٌ يُفهَمُ جميعُ كلامِه بلا أستاذٍ وهو السيرافيُّ"[6].

شرَحَ كتابَ سيبويه، ويختلِف تفسيرُه عن تفسير السيرافيّ في أنَّه ـ بعقله المنطقيّ ـ يُلخِّصُ أبواب كتاب سيبويه في نقاطٍ، فهو لا يُفسِّر كلامه حرفياً بل يُعطيك نتيجة الباب، وماذا يُريدُ سيبويه منه، على حين أنَّ السيرافيّ ـ بعقله النحويّ التعليميّ ـ يُفسِّر كلام سيبويه حرفاً حرفاً وكلمةً كلمة وجملةً جملة. ولكلٍّ من الشرحَين فوائدُه.

أهم كتبه: شرح كتاب سيبويه.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ براعتُه في تنظيم كلام سيبويه، فمن ذلك تقسيمه لمخارجِ الحروف إلى ستَّة أقسام، ثم تفريع هذه

(1) انظر: الحجة 1/ 52 .
(2) نقَل ذلك ابن جني عنه في الخصائص 1/ 91 .
(3) الحجة 3/ 246 .
(4) الحجة 1/ 288 .
(5) انظر: التكملة ص 273 .
(6) انظر: معجم الأدباء 14/ 75 .

الأقسام، كحروف اللِّسان تنقسِمُ إلى أربعة أقسام: أقصى ووسط وحافة وطرف[1]. وتابعَه الدانيُّ في ذات التقسيم[2]، وهو من المتأثِّرين به في تقسيماته في باب الإدغام بدءاً من مخارج الحروف... الخ[3]، وقد لاحظْتُ ذلك في بعض كتبه. وستأتي أمثلة من ذلك في البحث.

2 ـ كان يَمْزِج كلامَه بالمنطِقِ وهذا أثَّر في مصطلحاتِه الصوتيَّة، فمن ذلك تعبيرُه عن صفات الحروف بـ: (الخواصّ)، وهو من المصطلحات المنطقيَّة[4]، وقد استعمل بعضُ علماءِ التجويد مصطلحاتِه، كالقرطبيّ في الموضح، وستأتي أمثلةٌ من ذلك في البحث.

3 ـ قدَّم بعضَ الألقاب الصوتيَّة، فمن ذلك تلقيبُه الحروفَ التي يشترِكُ في إخراجها طرفُ اللِّسان مع الحنك بـ: (الحروف المفْرَدة)، والحروفَ التي يشترِكُ في إخراجِها طرفُ اللِّسان مع الأسنان بـ: (الحروف المتناسبة)، وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

4 ـ من أوائلِ مَن جمَع الحروفَ المهموسةَ في عبارة: (ستشحثك خصفه)، وتابعه عليها ابن جنيّ وأهلُ التجويد، وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

5 ـ قدَّم عدَّة آراء صوتيَّة، من ذلك قولُه عن القاف إنَّها أقوى حروف الاستعلاء؛ لأنَّها تستعلي بالمخرج والصِّفة على حين أن الباقية تستعلي بالصِّفةِ فقط[5].

6 ـ قدَّم عدَّة تعليلاتٍ صوتيَّة، منها ما ذكَره عن علَّة الحروف التي وصفها سيبويه بأنَّها غير مستحسنة في تلاوة القرآن والأشعار بأنَّها تَجري مُجرى اللُّثغة، والعجزِ عن إخراج الحرف على حقِّه[6].

7 ـ ذكَر أنَّ علَّة إدغامِ المتقارِبَين والمتماثِلَين هو لتعديلِ الحروف والتشاكُل؛ لِما فيه من الحُسنِ المنافي للتنافُر[7].

وهو بهذا قد قدَّم أصلاً دقيقاً في الانسجام النُّطقيّ بين الأصوات.

8 ـ كشَف عن مرادِ سيبويه في بعض المواضعِ التي يُحيطُها الغموض، ويَختلِفُ عليها بعضُ أهل الأداء اليوم، من ذلك وضعُ اللِّسان عند إخفاء النُّون وما يَستتبِع ذلك من اختلافِ درجاتِ الغُنَّة، قال عن النُّونِ المخْفَاة:"ووجَدُوا لها مخرجاً من الخياشيمِ يَخِفُّ إخراجُها منه على نحو الخِفَّةِ بالإدغام؛ لأنَّ اللِّسان يَرتفِعُ رفعةً

(1) شرح كتاب سيبويه ل 201/ أ .
(2) الإدغام الكبير ص 54 .
(3) انظر: التحديد ص 102 .
(4) انظر: التعريفات للجرجانيّ ص 95 .
(5) شرح كتاب سيبويه ل 208/ ب .
(6) شرح كتاب سيبويه ل 190/ ب .
(7) شرح كتاب سيبويه ل 203/ ب .

واحدةً للحرفِ في المدغَم وفي النُّون التي تَخرجُ من الخياشيمِ؛ لأنَّه ليس له عملٌ إلا في الحرفِ الذي بعدَها، فالإخفاءُ فيها كالإدغام في رفعِ اللِّسان مرَّةً واحدةً"[1].

ومعنى: (يَرتَفِعُ رفعةً واحدةً): هو تعبيرٌ عن انقلاعِ عُضْوَي النُّطق عن مخرجِ الحرف المدغَم فيه ومخرج المخْفَى فيه انقلاعاً واحداً بدلاً من انقلاعَين إذا لم يُدغَما أو يُخْفَيا، وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

9 ـ قدَّم عدداً من المصطلحات الصوتيَّة، منها تعبيره عن الانسجام بين الحروف بـ: (تعديل الحروف)، وقد نقله الدانيُّ منه في بعض كتبه[2]. ومنها تعبيره عن الحرف الذي يُقرِّب بين الحرفَين المتباعِدَين بـ: (الحرف الوسط بين الحرفَين)، وسيأتي ذِكْرُ ذلك في مظانِّه.

ابنُ جنيّ (321 – 392 هـ)

خاتمةُ المبتكرين المجدِّدين، ألَّف عدداً من الكتبِ احتوتْ على معلوماتٍ صوتيَّةٍ هامَّةٍ استفادَ منها عددٌ كبيرٌ من العلماء، منهم: القرطبيُّ[3]، والخفاجيُّ[4]، وأبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة[5].

ويُعَدُّ كتابُه: (سرّ صناعة الإعراب) أوَّلَ كتابٍ لأصحاب المدرسة النقليَّة يتعرَّضُ فيه صاحبُه للصَّوتِ وكيفيَّة حدوثه، ولعلَّه قد استَفَادَ من أصحاب المدرسةِ العقليَّة؛ لأنَّ تشبيهَهُ جريانَ الصَّوت في الحَلْق بآليَّي العود والنَّاي هو ذاتُهُ الموجود في كتاب الموسيقى الكبير للفارابيّ، وقد صَرَّح بذلك في مقدِّمته حيث ذكَر أنَّ حدوث الصَّوت والتشبيه الذي ذكَرَه مرجِعُهما إلى علم الموسيقى، قال:"وإنَّما أردنا بهذا التمثيلِ الإصابةَ والتقريب، وإن لم يَكُن هذا الفنُّ مِمَّا لنا، ولا لهذا الكتاب به تعلُّقٌ، ولكن هذا القبيل من هذا العلم ـ أعني: علمَ الأصواتِ والحروف ـ له تعلُّقٌ ومشاركةٌ للموسيقى، لِما فيه من صنعةِ الأصواتِ والنَّغَم"[6].

وقد تحدَّث أكثرُ أصحاب المدرسة النَّقليَّة عن مخارج الحروف وصفاتها، وضمَّنوا ذلك الحديثَ عن آلات الكلام من حلقٍ ولسانٍ وشفةٍ وخيشومٍ، ولم يفصِّلوا في أعضاء الصوت، على حين أن أكثر أصحاب المدرسة العقليَّة تحدَّثوا عن الصوت وأعضاء التصويت، ولم يذكروا الحروف ومخارجها، ممَّا حدا بالخفاجيّ أن ينبِّه على ذلك بقوله:"وذلك أن المتكلِّمين وإن صنَّفوا في الأصوات وأحكامها وحقيقة الكلام (ما هُوَ؟)، فلم يبيِّنوا مخارجَ الحروف، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها.

وأصحابُ النحو وإن أحكموا بيان ذلك، فلم يذكُروا ما أوضحه المتكلِّمون الذي هو الأصلُ والأسُّ.

(1) شرح كتاب سيبويه ل 199/ أ .
(2) الإدغام الكبير ص 54 .
(3) انظر: الموضح ص 71 و 72 و 74 و76 .
(4) انظر: سر الفصاحة ص16 .
(5) الحجة ص 474 .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 9 .

وأهلُ نقد الكلام، فلم يتعرَّضوا لشيءٍ من جميع ذلك، وإن كان كلامهم كالفرع عليه"[1].

ويعدُّ ابنُ جنيّ أوَّلَ النحويِّين جمعاً بين المذهبَين[2] من أصحاب المدرسة النقليّة، وكذا الكنديُّ وابن سينا من أصحاب المدرسة العقليّة[3].

أهم كتبه: الخصائص، وسرُّ الصناعة، والمنصِف، والمحتسَب.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 . براعتُهُ في ابتكارِ الأبواب وتَنظيم المفرقات، فهو يَجْمَعُ القَضَايا المُفَرَّقَة التي أشار إليها مَن قبلَهُ ضِمنَ أبوابٍ، ويَضَعُ لها ألفاظاً من اختراعِهِ، فمن ذلك: (بابُ هُجُومِ الحركات على الحركات)[4]، و(باب تَصَاقُبِ الألفاظِ لتَصَاقُبِ المعاني)[5]، مِمَّا يَدُلُّ على عقليَّةٍ مُنَظَّمَةٍ هَضَمَتْ مَعَارِفَ مَن قبلَه. وقد أشار ابنُ جني إلى هذا الجمعِ الذي قام به في بعضِ المواضع[6].

2 . قدَّم معياراً للحركات العربية في باب: (كِمِّية الحركات)[7]، تناولَ فيه الحركات العربيَّة الأصليَّة والفرعيَّة، وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

3 . جمَعَ التقريبات الصَّوتيَّة بين الحروف في ظلِّ بابٍ أطْلَقَ عليه: (بابٌ في الإدغام الأصغر)[8].

4 . يُعَدُّ ابنُ جنيّ أحدَ الرُّوَّادِ الذين بحثوا علاقةَ الصَّوتِ بالمعنى وتوسَّعوا فيها، فبعْدَ أن أوْرَدَ الخليلُ عدداً من الأمثلة في حكاية الصَّوت، جاء ابنُ جنيّ ليَضَعَ منهجاً متميّزاً في عددٍ من الأبواب اختارَها لذلك[9]. وذكَرَ أنَّ أمثلة تقارُبِ الألفاظِ لتقارُبِ المعاني لو جُمِعَتْ لبَلَغَتْ أكثرَ من ألفِ مَوضع[10].

5 . قدَّم ابن جني عدداً من القواعدِ الصَّوتيَّة، فمن ذلك قاعدة: (تَدَرُّجُ الحُكْم)[11]، وقاعدة: (تَنَاهِي الحرْفَينِ في البُعْدِ طريقٌ إلى تَلاَقِيهِما في الحُكْم)[12].

(1) سر الفصاحة ص 5. وأهل نقد الكلام هم أهل البلاغة.

(2) في كتابه الشهير سرّ صناعة الإعراب.

(3) في كتابه الشهير: أسباب حدوث الحروف.

(4) الخصائص 3/ 136 .

(5) الخصائص 2/ 145 .

(6) الخصائص 1/ 162، وسر صناعة الإعراب 1/ 56 و 368، والمنصف 1/ 127 .

(7) الخصائص 3/ 120 .

(8) الخصائص 2/ 139 .

(9) الخصائص 2/ 133 و 145 و 152.

(10) المحتسب 2/ 55 .

(11) الخصائص 1/ 351 . ومن أمثلتِها أنَّ قَلْبَ ذال: مُذْتَكر دالاً: مدَّكر، درَّجَهم إلى قلب ذال: الذكر: الدِّكر.

(12) المحتسب 2/ 41 . و ذكَرَها ابنُ جني في كسر جيم: [جِنِباً] إتباعاً لكسرة النون، وتشبيهاً لها بـ: شِعِير. فشُبِّهت النونُ بالحرف الحلقيّ للقاعدة التي ذكرها فوق.

6 ـ أشار إلى نظريَّات صوتيَّة مُعاصِرةٍ، فمن ذلك: (نظرية الهَدَف أو التوقُّع النُّطقيّ)، وتَقْضي هذه النَّظَريَّة بأنَّ"الجِهازَ العصبيَّ لا يُحرِّكُ أعضاءَ النُّطقِ لإنتاجِ صوتٍ مَّا، ثمَّ إنتاج ما يَليه، وما يَلِيه، باعتِبار كلٍّ منهما عمليةً مستقلَّةً، ولكنَّهُ يأخذُ الكلَّ النُّطقيَّ في الاعتبار، ويُحدِّدُ هدفاً مُسبقاً لحركةِ كلِّ عُضوٍ"[1]. أشار ابن جنيّ إلى هذه النظريَّة في قَلْبِ النون ميماً عند الباء، وفي ضمِّ همز الوصلِ إتباعاً، قال:"وذلك أنَّه لا يُنكَرُ أن يُؤثِّرَ الشيء فيما قَبلَه من قبلِ وجودِهِ؛ لأنَّه قد عُلِم أن سَيَرِدُ فيما بَعدُ، وذلك كثيرٌ... ومِمَّا غُيِّرَ متقدِّماً لتَوَقُّعِ ما يَرِدُ مِن بعدِهِ متأخِّراً ضمُّهم همزةَ الوَصْلِ لتوقُّعِهم الضمَّةَ بعدَها؛ نحو: اُقْتُل..."[2].

7 ـ قدَّمَ ابنُ جنيّ عدداً من الأمثلة تستعينُ فيها العربُ بنغمةِ الصَّوتِ لتفهيم معنى الكلام[3].

8 ـ على الرُّغم من اعترافِهِ بفضل أبي عليّ عليه إلا أن هذا لم يَمْنَعْهُ من مناقَشَةِ بعضِ آرائه الصَّوتيَّة، فمن ذلك مناقشتُه في أنَّ الحركة تحدُثُ مع الحرف وإبطالُه ذلك بكونِها تَحْدُثُ بعْدَ الحرفِ[4].

2 ـ العلمُ الصَّوتيّ في المغرب والأندلس

هذه هي الحلقة الثانية والأخيرة من اكتمال العلم الصَّوتيّ عند أصحاب المدرسة النقليَّة، وذلك على يد علماء المغربِ والأندلس، فقد أسلمَتْ آراءُ وجهودُ ومصطلحاتُ علماءِ اللُّغة والنَّحو والبلاغةِ والقراءات في المشرق إليهم فبشَّرتْ وآذنتْ بولادة علمٍ صوتيٍّ خالصٍ هو علمُ التجويدِ الذي ظهَرَت أوَّلُ ملامحه في المشرق في منظومة الإمام أبي مزاحم الخاقانيّ (325 هـ)، وكتاب التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ للإمام السعيديّ (410 هـ) غير أنَّهما لا يَبْلُغان مصنَّفات أهل المغربِ والأندلسِ "الذين قاموا باستخلاصِ المادَّة الصوتيَّة من مؤلَّفات النحويِّين واللُّغويِّين وعلماء القراءة، وصاغوا منها هذا العلمَ الجديدَ الذي اختاروا له اسم: (علم التجويد)، وواصَلوا أبحاثَهم الصوتيَّة مستنِدين إلى تلك المادَّة، وأضافوا إليها خلاصةَ جُهدِهم حتى بَلَغَ علمُ التجويد منزلةً عالية من التقدُّمِ في دراسة الأصوات اللُّغوية"[5].

والذي يتميَّز به علماءُ التجويد عن سابقِيهم هو تنبيهُهُم على العيوبِ النُّطقيَّة التي تَجري بها عاداتُ الناس اللُّغويَّة عند قراءتِهم لكتاب الله تعالى، وكذا تنبيهُهُم على الاحترازات النُّطقية التي يَجبُ استعمالُها حتى لا يَقَع الإنسانُ في تلك العيوب، ومن هنا كانت حياةُ علم التجويد إلى عصرنا هذا، فكلُّ عالمٍ كان يَرصُدُ الأخطاءَ الأدائيَّة التي تَجري في عصرِه مِن قِبَلِ متعلِّمي القراءة، ويَصِفُ الدَّواء الشَّافِيَ لها.

أهمُّ العلماءِ في المغرب والأندلس

(1) الكلام إنتاجه وتحليله لعبد الرحمن أيوب ص 195 .

(2) الخصائص 2/ 324 – 325 .

(3) انظر: الخصائص 2/ 370، والمحتسب 1/ 55، و 146، و 258، و 2/ 208 .

(4) سر صناعة الإعراب 1/ 32 والخصائص 2/ 324 .

(5) الدراسات الصوتيَّة عند علماء التجويد ص 20 . وهو مرجعٌ هامٌّ في تاريخ التجويد.

مكيٌّ بن أبي طالب القيسيُّ (355 – 437 هـ)

أبو محمَّد مكّيُّ بنُ أبي طالبٍ القيسيُّ القيروانيُّ ثمَّ الأندلسيُّ القرطبيُّ، أحدُ أئمَّة القراءات والقرآن والمنظورُ إليهم في هذا الشأن، لقَّبَه ابن الجزريّ بـ: أستاذِ القرَّاء والمجوِّدين. أكثرُ مروياتِه يَرويها عن أبي الطيِّب عبد المنعم بن غَلْبُون الحلبيّ نزيلِ مصر.

ويُعَدُّ كتاب الرِّعاية لمكيّ من أوائلِ مصنَّفات علم التجويد وأحدُ أركانِه، قال صاحبُهُ في أوَّل الكتاب:"وما عَلِمتُ أنَّ أحداً من المتقدِّمين سبَقَني إلى تأليفِ مثلِ هذا الكتاب، ولا إلى جَمْعِ مثلِ ما جَمَعتُ فيه من صفات الحروف وألقابِها ومعانيها، ولا إلى ما أتبَعْتُ فيه كلَّ حرفٍ منها مِن ألفاظِ كتاب الله تعالى، والتنبيهِ على تجويدِ لَفظِه، والتحفُّظِ به عند تلاوتِه"[1].

أهم كتبه: الرِّعاية، والكشف في القراءات السبع، ورسالته في تمكين المدّ.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 . توضيحُه أهميَّة الصِّفات إضافة إلى مخارجِ الحروف، فمن ذلك ما ذكَرَه بأنَّ الصِّفَات هي التي تُفَرِّقُ بين الحُرُوف التي من مَخرَجٍ واحد، وأنَّه لا يُوجَدُ حرفان اتَّفقا في الصِّفاتِ والمخارج، وإلا اشتَرَكا في السَّمع[2].

وهو عينُ كلام المعاصِرين حيث يُقرِّرون أنَّ"أيَّ حرفين في النِّظام التشكيليَّ في أيّ لغةٍ لا بدَّ أن تكون بينهما جهةُ اختلافٍ واحدةٍ على الأقلِّ، وهذه الجهةُ إمَّا أن تكون مخرجاً أو صفةً، ولو اتَّفَقَ حرفان في المخرج والصِّفة لَمَا صحَّ أن يُسَمَّيا حرفَين، بل إنَّما يكونان حرفاً واحداً"[3].

2 . قدَّم عدداً كبيراً من الصِّفات والألقاب وصَلتْ إلى اثنين وأربعين لقباً، أكثرُها مأخوذٌ من ألقاب الخليل كالحروف الشَّجْريَّة والأسليَّة والهوائيَّة والصُّتم... إلخ، ومصطلحات سيبويه كحروف الجهر والإطباق والاستعلاء والاستفال، وبعضُها مجموعٌ من ألفاظ سيبويه كالحروف الخفيَّة، وبعضُها مستلٌّ من ألفاظ المبرِّد في المقتضب كالحرفِ الرَّاجع والمتَّصِل، وبعضُها لا أدري هل هي مِن ألفاظه أم مِن غيره كالحرف الجرسيّ، وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

3 . انفرَد باستعمَال عدَّة ألفاظٍ في بعض التعريفات، فمن ذلك استعمالُه لـ: (طائفة من اللِّسان) و

(1) الرعاية ص 52 .

(2) الرعاية ص 155- 156 .

(3) مناهج البحث في اللغة لتمام حسان ص 155 .

(الرِّيح) في تعريفه للإطباق [1].

4 ـ كان رائداً في وضعِ مقاييس القوَّة والضَّعف بين الحروف، "فهو أقدمُ مَن تكلَّم عن هذا الموضوع وأفاضَ في الحديث عنه وعرَضَ تفصيلاتِه في أكثر من كتاب من كتبِه، ويكادُ كلام الذين جاؤوا مِن بعدِه يكون اقتباساً منه"[2]. وكذا المفاضَلةُ بين صفات الحروف إذ أسرَف فيه إسرافاً كبيراً[3].

5 ـ كان رائداً في الحديث عن درجات التشديد في الحروف[4]. وهو نوعٌ من أنواع الارتكاز (stress) الذي يدرسه علم الأصوات المعاصِر.

6 ـ من فوائد كتابه الرعاية تثبيت دلالة أكثر مصطلحات التجويد التي نَعرِفُها في شكلها الحاضر، فمثلاً كان مصطلحا: (التفشي والاستطالة) يُطلَقان على الشِّين والضاد، فخصَّ التفشي بالشِّين، والاستطالة بالضَّاد، وكذا تثبيتُه لمصطلح اللِّين وجعْلُه خاصاً بالواو والياء الساكنتَين بعدَ فتحٍ بعد أن كانا يشملان حروف المدِّ جميعاً بأحوالها المتعدِّدة.

7 ـ قدَّم مكيّ بعض التعريفات الصَّوتيَّة هي التي عُرِفت في كتب التجويد اليوم.

8 ـ حروف التفخيم عنده أربعة فقط هي حروف الإطباق. وبعض الحروف له حالات يُفخَّم فيها.

9 ـ انفرَد ببعض التعريفات الصَّوتيَّة كتعريفه للغنَّة بأنها حرفٌ مجهورٌ شديدٌ لا عمل للِّسان فيها.

10 ـ أرسى مكيٌّ منهجَ علم التجويد ومباحِثه التي تبدأ بمقدمة عن القرآن وفضله وثوابِ قراءته وتصحيحِه، ثم حديث عن مخارج الحروف وصفاتها على مستوى الإفراد، ثمَّ دراسة الأصوات على مستوى التركيب، ثم تبيين العيوب والاحترازات النُّطقيَّة. وقد تُتبَع هذه المباحث بمبحث عن الوقف والابتداء. وهذه المباحثُ ـ في غالبِها ـ هي التي يَدرسُها علمُ الأصوات المعاصر.

والمبحثُ الذي أغفلَه مكيٌّ ومن بَعدَهُ من علماء التجويد هو الحديث عن الصَّوت وكيفيَّة حدوثه وإدراكه.

11 ـ مِن أوائل مَن ذكَر أنَّ الكوفيّين يُسمُّون الرَّومَ إشماماً والإشمامَ رَوْماً[5].

وهذا فيه نظَرٌ، فمن خلال تتَبُّعي للمصطلحات وجدتُّ أنَّ القرَّاء من قَبْلِ سيبويه، والكوفيّين مِن بَعْده إلى عصر محمد بن كيسان كانوا يُعَبِّرون عن الرَّوم والإشمام بلفظٍ واحد، وأنَّ التفريق بينهما أتى على يد

(1) الرعاية ص 122 .

(2) الدراسات الصوتية ص 328 . وانظر الكشف 1/ 137 و141 .

(3) انظر أمثلة على ذلك في الرعاية ص 164 و 169 و و184 و 201 و 224 وغير ذلك .

(4) الرعاية ص 245.

(5) الكشف 1/ 122 والتبصرة ص 105 .

سيبويه الذي وضع لفظَ: (الرَّوم) للتعبير عن ضَعفِ الصوت بالحركة، وأبقى لفظ: (الإشمام) للتعبير عن الإشارة بالشفتين إلى الضمة من غير صوتٍ يُسمَع، حتى أستاذه الخليل كان يَستَعمل مصطلح الإشمام. وقد بيَّن الدانيُّ أنَّ الكوفيّين المتأخرين ـ بعد سيبويه ـ ومعهم ابن كيسان إنَّما ينقُدون وضْعَ سيبويه مصطلح الرَّوم للكيفية المسموعة، والإشمامَ للكيفيَّة المنظورة، ويَرَوْنَ أنَّ العكسَ كان أَوْلى [1].

12 ـ أوَّلُ من طالبَ بإخفاءِ التكرير في الرَّاء [2]. ونشأ خلافٌ حول عبارتِه بين القرَّاء المتأخِّرين: هل يَقْصِدُ إخفاء التكريرِ جملةً، أم يَقصِدُ النهي عن المبالغة في تكريرِ الرَّاء ؟ [3]

13 ـ أوَّل من تبنَّى أنَّ حرفَيِ الانحراف هما اللاَّمُ والرَّاء من علماء التجويد[4]، وتابعَه المتأخِّرون منهم خلافاً للدانيّ والقرطبيّ وأبي العلاء الهمَذانيّ. وكان سيبويه قد ذكَر انحراف الراء إلى اللام، لكنَّه لما عرَّف الحرفَ المنحرفَ لم يجعلْه إلاَّ للاَّم وتابعَه أكثرُ العلماء على ذلك، وسيأتي ذِكْرُه.

14 ـ ذكَر في رسالته في تمكين المدِّ أنَّ الزمنَ لا يُضبطُ، وأنَّ تقديرَ المدِّ بالألفات إنَّما هو تقريبٌ للمبتدئين، قال:"والتقريبُ عندنا للمدِّ بالألفات، إنَّما هو تقريبٌ على المبتدئين، وليس على الحقيقة؛ لأنَّ المدَّ إنَّما هو فتحُ الفمِ بخروجِ النَّفَس مع امتداد الصَّوتِ، وذلك قَدْرٌ لا يَعْلَمُهُ إلا الله، ولا يَدري قَدْرَ الزَّمانِ الذي كان فيه المدُّ للحرفِ ولا قَدْرَ النَّفَس الذي يَخرُجُ مع امتداد الصَّوتِ في حيِّز المدِّ إلاَّ الله تعالى.

فمن ادَّعى قَدْراً للمدِّ حقيقةً فهو مُدَّعي عِلْمِ الغَيبِ، ولا يَدَّعي ذلك مَن له عَقْلٌ وتمييزٌ. وقد وقَعَ في كتبِ القرَّاء التقديرُ بالألف والألِفَين والثلاثة، على التقريبِ للمتعلِّمين. ألا ترى أنَّهم حين أرادوا التحقيقَ للمدِّ ذكَروا أنَّه لا يَحكُمُهُ إلاَّ المشافَهة. وقسَّمَه بعضُهم على خمسِ رُتَبٍ، وعلى أربعِ رُتَبٍ، وبعضُهم على ثلاثِ رُتَب" [5].

14 ـ نبَّه على أهمِّيّة الدِّراية إضافةً إلى الرِّواية، وأنَّه لا يَكفي القارئ أن يقول: هكذا قرأتُ حتى يكون كلامُه صواباً، بل لا بدَّ أن يُساعِدَهُ النصُّ في ذلك، قال:"وما نُقِلَ بتلاوةٍ ولم يُؤَيِّدْهُ نصُّ كتابٍ، فالوهْمُ والغَلَطُ مُمْكِنٌ مِمَّن نقَلَهُ، إذ هو بَشَرٌ، وإنَّما تَعَلَّقَ القُرَّاءُ بنصوصِ الكتب؛ لأنَّها عندهم أثبَتُ في الحِفظ، لأنَّ الحِفظَ يَدْخُلُه الوهمُ والشكُّ، فليس روايةٌ يَصْحَبُها النَّقْلُ والنصُّ في الكتبِ من تأليف المتقدِّمين والمتأخِّرين مثلَ روايةٍ لا يَصْحَبُها غير أن يقولَ ناقِلُها: كذلك قرَأتُ، ولا يَدْخُلُ قَولُهُ بنصِّ كتاب" [6].

(1) انظر: جامع البيان 3/ 950 .
(2) الرعاية ص 196.
(3) انظر تفصيل ذلك في الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 316 .
(4) الرعاية ص 131 .
(5) رسالة تمكين المدّ ص 36 .
(6) تمكين المدّ ص 48 – 49 .

وسيَكشِفُ البحثُ في أكثرَ من موضعٍ مدى إسهامات مكيّ في الجانب الصوتيّ.

الدانيُّ (371 – 444 هـ)

عثمانُ بنُ سعيدِ بن عثمان أبو عمرو الدانيُّ القرطبيُّ المعروف في زمانِه بابن الصَّيرفيّ. قال عنه ابنُ الجزريّ:"الإمامُ العلاَّمةُ الحافِظُ، أستاذُ الأستاذِين وشيخُ مشايخِ المقرئين... ومَن نَظَر كتبَهُ عَلِمَ مِقدارَ الرجُل وما وهَبَه الله تعالى فيه، فسبحان الفتَّاح العليم، ولا سيَّما كتابُ جامع البيان فيما رواه في القراءات السبع"[1].

من الأمثلة على القيمة العلِمية لكتُبِهِ أنَّ كتابَيْه التيسير في القراءات السَّبع، والمقْنِع في رسم المصاحف هما اللَّذان نظَمَهما الإمام الشاطبيُّ في منظومتَيه: الشاطبيَّة، وعقيلة أتراب القصائد، ولا يَستغني طالبُ القراءات عنهما.

ويُعَدُّ كتابه التحديد من أهمِّ مصنَّفات علم التجويد وأحدِ أركانِه بعد كتاب الرِّعاية لمكيّ.

أهمُّ كتبه: جامع البيان، والتحديد في الإتقان والتجويد، والإدغام الكبير، والموضح لمذاهب القرَّاء في الفتح والإمالة.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ نَقلُه مصطلحات القرَّاء الأوائل، وكيف كانوا يُعَبِّرون عن قراءتهم، والأهمُّ من ذلك حلُّ عُقَدِها وكَشْفُ مغلَقاتِها، ولولا تعليقاتُه لاستَعصى كثيرٌ منها على الفهم، بل ربَّما أوهمَتْ خلافَ ما يُريده القارئ، فمن ذلك تعبيرُ بعضِ القُرَّاء عن إشمامِ: [قيل] بلفظ: (الضمّ).

هذا لو تُرِك بغير تعليقٍ لأوْهَمَ أن بعضَ القرَّاء ينطق: (قُولَ) بضمّ القاف، وهي لغةٌ جائزة، وهنا يَبْرُزُ دَورُ الدانيّ حيث يقولُ عن استعمال لفظ: (**الضمّ**) للتعبير عن الإشمام:"والعِبارةُ عن ذلك بالرَّفعِ والضمِّ، كالعبارةِ عن الإمالة بالكسرةِ والإمالةِ والإضجاعِ، وهي مجازٌ واتِّساعٌ"[2].

2 ـ مناقشتُه لآراء مَن سبَقَه من أئمَّة كبار، كمثل مناقشته لابن مجاهد في إظهار اللام من قوله: [ءالَ لوطٍ] لقلَّةِ حروفه، فحاجَّه الدانيُّ بأنَّ القرَّاء أدغَمتْ: [لَكَ كيدًا]، وهو أقلُّ حروفاً منه. ورأيُ الدانيُّ هو المذكور في الشاطبيَّة[3].

3 ـ قدَّم الدانيُّ عدداً من القواعد الصوتيَّة، منها قاعدتُه المهمَّة في الإدغام:"الحَرْفَانِ في الإدغامِ لارتفاع

(1) غاية النهاية 1/ 503 .

(2) جامع البيان ل 112/ ب ، وانظر له أيضاً: الموضح في الإمالة ل 1/ ب .

(3) انظر: جامع البيان 2/ 395 .

اللِّسانِ بهما ارتفاعةً وَاحِدَةً بِمَنْزِلَةِ حرفٍ واحدٍ مُتَحَرِّكٍ"[1]. وقاعدته في كثرة الاستعمال:"يَكثُر تغيير ما كَثُر استعماله لِيَخِفَّ"[2].

4 .كان لبعضِ أقوالِه التأثير الواضح في عِلم التجويد، فمن ذلك قولُه عن التجويد:"فتجويدُ القرآن هو إعطاءُ الحروف حقوقَها، وترتيبُها مراتبَها، وردُّ الحرفِ من حروفِ المعجَم إلى مخرجِه وأصلِه، وإلحاقُه بنظيرِه وشَكْلِه، وإشباعُ لفظِه، وتمكينُ النُّطقِ به على حال صيغتِه وهيئتِه، مِن غير إسرافٍ ولا تَعَسُّفٍ، ولا إفراطٍ ولا تَكَلُّفٍ، وليس بَينَ التجويدِ وتَرْكِه إلاَّ رياضةُ مَن تَدَبَّرَه بِفَكِّه"[3].

هذا التعريفُ الطويلُ الدَّقيق للتجويد نظَمَه ابن الجزريّ في الجزريَّة، وأعاد صياغتَه شعراً، فقال:

وهو إعطاءُ الحروفِ حقَّها من صِفةٍ لَها ومستحقَّها

وَرَدُّ كلِّ واحدٍ لأصلِهِ واللَّفظُ في نظيرِهِ كَمِثْلِه

مُكَمَّلاً من غَيْرِ ما تَكَلُّفِ بِاللُّطْفِ في النُّطْقِ بِلا تَعَسُّفِ

ولَيْسَ بَيْنَهُ وبَين تَرْكِهِ إلاَّ رِيَاضَةُ امرئٍ بِفَكِّه[4]

والعبارةُ الأخيرة من تعريفِه: (وليس بين التجويد وتركه...) هي أحد أسسِ منهج عِلْمِ التجويد، فهو يقوم على أربعة أركان: معرفة مخارج الحروف، ومعرفةُ صفاتها، ومعرفة أحكام التركيب، ورياضةُ اللِّسان وكثرة التدريب[5].

5 . شارك في تثبيت دلالة أكثر المصطلحات الصوتية التي وصَلَتْ إلينا في كتب علم التجويد، وأكثرها مصطلحات سيبويه.

6 . أورَدَ في كتابه التحديد مذهبَين لأحكام النون الساكنة والتنوين: مذهبَ سيبويه الذي يَجْعَل الأحكام أربعة: إظهار وإدغام بغنة وبلا غنة، وقَلْب، وإخفاء، وهو المذهَبُ الذي سار عليه أكثر النحويين والقراء، ومذهبَ الفرَّاء الذي يَجْعَلُ الأحكام ثلاثة: إظهارٌ، وإدغام محض، وإخفاء، ويشمل الإدغام بغنة وإخفاء النُّون وقلب النون ميماً، وهو المذهَبُ الذي سار عليه الكوفيون وابن مجاهد وأصحابه من القرَّاء. وقد تقدَّم الحديث عنه وما حصَل فيه من الوهم من بعض القرَّاء نتيجة اختلاف الدَّلالة.

(1) جامع البيان 2/ 410، و 3/ 881 .

(2) جامع البيان 3/ 905 .

(3) التحديد ص 68 .

(4) انظر:منظومة المقدمة الجزرية ص 3 – 4 .

(5) انظر: الدراسات الصوتية ص 60 .

7 ـ قدَّم بعضَ المصطلحات الصَّوتية، منها تعبيرُه عن الحروف الصَّحيحة بـ: (الجامدة والسَّاكنة)[1].

8 ـ حلَّ أموراً مهمَّة في الأداء يَختلِف بعضُ القرَّاء عليها اليوم، فمِن ذلك حُكْمُ الميمِ والنُّون عند الباء هل يَتِمُّ بإظهارِ ذاتِ الميم بإطباق الشفتَين أم بإخفائها بانفراجٍ بين الشفتَين، مع جَرْيِ الغُنَّة في الحالتَين ؟

ذكَر الدانيُّ أنَّ الميمَ "أقوى من النُّون؛ لأنَّ لفظَها لا يَزُول، ولفظُ النُّونِ قد يزولُ عنها، فلا يَبْقى مِنها إلا غُنَّة"[2].

ونقَل القرطبيُّ عبارتَه[3].

ومعنى هذه الملاحظة أنَّ إطباق الشفتَين في الميمِ ملازمٌ لها في كلِّ أحوالِها بخلاف النُّون التي يَنفصِلُ فيها اللِّسان عن مخرجِها في الإخفاء. وهذا النصُّ فيه ردٌّ بليغٌ على مَن يُباعِدُ بين الشفتَين في الميمِ عند الباء، أعني في الإخفاء الشفويّ.

وذكَر أيضاً أن أحد أحوال النون الساكنة والتنوين"أن **يُقلَبا ميماً خالِصةً** من غير إدغام، وذلك عند الباء خاصّةً، وسواء كانت النونُ معها في كلمة أو كلمتَين، نحو قوله:[وَيُؤْمِنْ بِاللهِ]، و[مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ]، و[مِنْ بَيْنِهِمْ]، و[أَنبِهُمْ]، و[أَنبِونِي]، و[أَنبَتَكُمْ]"[4].

9 ـ أثبَتَ التفاوُتَ في إخفاءِ النُّونِ عند الحروف الخمسة عشر، بحسبِ قُرْبِ الحرف من النُّون وبُعْدِه عنه[5].

10 ـ عقليَّته المنظَّمة وتلخيصاتُه لمذاهب القراء المتشعِّبة، فمِن ذلك تلخيصُه لأحكام الرَّاء عند القراء من حيث التفخيم والترقيق[6].

عبد الوهَّاب القرطبيُّ (403 – 461 هـ)

أبو القاسمُ عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الوهَّاب الأنصاريّ القرطبيّ. وصَفه ابنُ الجزريِّ بأنه"مقرئٌ مُحَرِّرٌ أستاذٌ كامِلٌ مُتقِنٌ كبيرٌ رحَّالٌ"[7].

من شيوخِه أبو عليٍّ الأهوازيُّ شيخ القراء في عصره المتوفَّى سنة 446 هـ .

(1) المطبوع من جامع البيان 2/ 639 – 640 . وانظر : 2/ 424.
(2) التحديد ص109 .
(3) الموضح ص 97 .
(4) جامع البيان 2/ 734. وفي قول الدانيّ: (ميماً خالصةً) ردٌّ واضِحٌ على الذين يقرؤون بلا إطباقٍ للشفتَين في النون عند الباء.
(5) انظر: جامع البيان 2/ 735 والتحديد ص 115 .
(6) انظر: التحديد ص 152 .
(7) غاية النهاية 1/ 482 .

وعلى الرُّغم من اعتماد القرطبيّ على مَن سبقه، وبالأخصّ كتاب الرعاية لمكي والتحديد للدانيّ إلاَّ أن كتابَه جاء مُميَّزاً في كثيرٍ من أبحاثه.

وقد اعتمَد ابن الجزريّ في بعض أبحاث كتابِه التمهيد على الموضح للقرطبيّ[1].

أهمُّ كتبه: الموضح في التجويد.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها[2]:

1 ـ نَجِدُ للمؤلِّف نظراتٍ عميقةً في فهمِ الظواهر الصَّوتيَّة، فكلامُهُ عن ظواهر المدِّ والتشديد والتليينِ والإظهار والإخفاء جاء واضحاً وعميقاً، وكذلك ذِكْرُه الشوائب الصَّوتيَّة التي تَدْخُل على الحروف بالتجاوُر في التركيب، وتنبيهه إلى ما يَمتنِع منها وما يَجُوز، وهي مِن دقائق عِلم الأصوات اللُّغويَّة، وسيأتي ذِكرُ أمثلة على ذلك.

2 ـ أَوْلَى القرطبيُّ الحركاتِ عنايةً كبيرةً، وهو شيءٌ يكادُ يَنفرِدُ به من بين علماء التجويد حتى وقته، وهو حين يتحدَّثُ عنها كان يَستنِدُ إلى فهمٍ دقيقٍ لهذه الأصوات، وإدراك صحيحٍ للعلاقة بينها، فمِن ذلك قولُه:"فنقولُ: الذي ينبغي أن يَعتمِده القارئُ من ذلك أن يَحفَظَ مقاديرَ الحركات والسكَنات، فلا يُشبِعُ الفتحةَ بحيث تصيرُ ألفاً، ولا الضمَّةَ بحيث تَخرُجُ واواً، ولا الكسرةُ بحيث تَتَحوَّلُ ياءً، فيكون واضعاً للحرفِ مَوضِع الحركة، ولا يُوهِنَها ويَختلِسَها ويُبالِغَ فيَضعُفَ الصَّوتُ عن تأديَتِها ويتلاشى النُّطقُ بها وتَتَحوَّل سكوناً[3].

3 ـ أعطى عنايةً خاصةً بالسُّكون، فقال:"وكذلك السُّكونُ ينبغي ألاَّ تَستَوفِيَهُ إشباعاً فيَخرُجَ إلى التشديدِ أو السكوتِ ومساواة حالِ قَطعِ الكلامِ بِوَصْلِهِ، ولا يُزعِجَهُ ويَنفِرَهُ فيصيرَحركةً أو بعضَها، بل يَجْعَلُ الحركاتِ والسَّكَناتِ وزناً واحداً وقدراً معْلوماً وكَيْلاً سواءً، حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ والقُذَّةِ بالقُذَّة"[4].

4 ـ قدَّم القرطبيُّ عدداً من المصطلحات الصَّوتية أوردها عن شيخِه أبي عليٍّ الأهوازيّ، ولم أجِدْها مجموعةً عند غيره، فقد نَقَلَ عنه روايةً جعَل فيها القراءةَ على عشرة أساليب، قال:"اعلم أنَّ القرآنَ يُقرأ على عشرةِ أضربٍ من القراءة: خمسةٍ منها نَهَى أئمَّةُ القراءةِ عن الإقراء بها، وهي: **الترعيدُ، والترقيصُ، والتطريبُ، والتلحينُ، والتحزين**، إذ ليس فيها أثرٌ ولا نقلٌ عن أحدٍ مِنَ السَّلَف ψ بل ورَد عن بَعْضِهِم أنَّه كَرِه القراءةَ بذلك... وخمسةٍ منها أجاز الأئمَّةُ الإقراء بها، ونُقِلَتْ عنهم على اختلافٍ فيها، وهي:

(1) انظر مقدمة محقِّق التمهيد ص 36 – 37 . ط مؤسسة الرسالة 1407هـ – 1986م.

(2) هذه الأعمال الصوتيَّة أكثرها مستقىً من مقدمة المحقق ص 34 .

(3) الموضح 191 .

(4) الموضح 191 .

التحقيق، واشتقاقُ التحقيق، والتجويد، والتمطيطُ، والحَدْرُ"[1].

5 ـ إنَّ المقدِّمة التي كتبها عبد الوهَّاب القرطبيّ لكتاب الموضَح والمتمثِّلة في الفصول الخمسة التي تحدَّث فيها عن اللَّحنِ في اللُّغة والاصطلاح، وعن اللَّحن الخفيّ والجليّ، والأسباب التي أدَّتْ إلى ظهور اللَّحنِ الخفيّ شيءٌ تَميَّزَ به كتابُ الموضَح، فالبحثُ عن أسباب الانحرافات الصوتيَّة المتمثِّلة بظاهرةِ اللحن الخفيّ لم يتناولْها الباحثون قبله، ولم يُدخِلُوها في كتبِهم.

6 ـ قدَّم عدَّةَ آراء تدلُّ على فهمه الدَّقيق للأصوات، فمن ذلك ما ذكَرَه عن طبيعة الواو والياء في حال المدِّ وغيره، قال:"وذلك لأنَّ الواو والياء حرفا مدٍّ والصَّوتُ يَمْتَدُّ بهما، وبالتشديد تَخْرُجانِ عن المدِّ واللِّين ويَتَحيَّزُ مخرجُهُما، فيكونُ الواوُ من الشفتَين والياءُ من الشَّجْرِ، وبالتحَيُّزِ يَبْطُلُ المدُّ ويَلتَحِقان بغيرِهما من الحروف الصِّحاح"[2].

قولُه: (ويَتَحيَّز مخرجهما... ويَلتَحِقان بغيرِهما من الحروف الصِّحاح) فيه إدراكٌ حقيقيٌّ لطبيعة هذين الصَّوتَين.

ابن الطحَّان الأندلسيّ (498 – ت حوالي 560 هـ)

أبو حُمَيد (وأبو الأصبغ) عبد العزيز بنُ عليّ بن محمَّدٍ السماتيّ الأندلسيُّ المعروفُ بابن الطحَّان.

قال ابن الجزريّ عن كتابه مرشد القارئ:"لا يَعرِفُ قَدْرَه إلاَّ مَن وقَفَ عليه"[3].

وقد اعتمَد عليه ابن الجزريّ في بعض أبحاث كتابِه التمهيد، وصرَّح بذلك[4].

أهمُّ كتبه: مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ[5].

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ جَعَلَ للحروف خمسةَ عشرَ مخرجاً، ولم يعتدَّ بالنون الخفيَّة كمخرجٍ سادسَ عشرَ كما اعتدَّ بها غيره[6].

2 ـ قدَّم عدداً من المصطلحات مع تعريفاتِها في أوَّل كتابه مرشد القارئ، فمن ذلك تعريفُه للتغليظ بأنَّه

(1) الموضح ص 211 . وقد دلَّنا ابنُ الباذش على أنَّ أبا عليٍّ الأهوازيّ هو صاحبُ هذا التقسيم. (انظر: الإقناع 1/ 554 – 562).

(2) الموضح ص 142 .

(3) غاية النهاية 1/ 395 .

(4) انظر: غاية النهاية لابن الجزريّ 1/ 395، ومقدمة محقِّق التمهيد ص 36 – 37 . ط مؤسسة الرسالة 1407هـ – 1986م.

(5) صدَر كتابٌ لابن الطحان الأندلسيّ بعنوان مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق الدكتور محمد يعقوب تركستاني، وتبيَّن أنَّه جزءٌ من كتاب مرشد القارئ.

(6) مخارج الحروف وصفاتها ص 114 .

سِمَنٌ يَعتري الحرفَ فيمتلئ الفمُ بصداه. والترقيق عكسُه، وهو نحولٌ يَدخُلُ على جسمِ الحرف فلا يَملأُ صداه الفم[1].

وهذان التعريفان هما اللَّذان تذكرُهما بعض كتبُ التجويد المتأخِّرة للتفخيم والترقيق[2].

3 ـ فرَّق بين السكون الحيّ والسكون الميّت، فالسُّكون الحي جعَله للحروف الصحيحة التي تتحيَّز في مخارجِها وتَقبَل التحريك، أمَّا السكون الميّت فجعلَه لحروف المدِّ[3]. وهو بهذا يُخالِفُ سيبويه ومَن تابَعَهُ من علماء العربية؛ لأنَّ سيبويه جَعَلَ كلَّ سُكُونٍ ميّتاً، وكلَّ حرفٍ متحرّكٍ حيّاً بالحركة.

4 ـ أضاف إلى الصفات صفة النَّفخ مستلهِماً تعريفَها من كلام سيبويه، وسيأتي ذِكْرُ هذه الصِّفة.

5 ـ انفَرَد بوضعِ درجاتٍ لتفخيم الحرف حسب ما يُجاوِرُه من الحركات، فذكَر أنَّ أعلى مرتبةٍ هي للمفتوح، ثم للمضموم، ثم للمكسور. وفرَّع ابن الجزريّ على هذه المراتب مرتبتين أُخْرَيَين حيث جَعَلَ المفتوحَ مرتبتَين: مع ألفٍ (قال)، ومن غير ألفٍ (قد)، ثم المضموم، ثم الساكن، ثمَّ المكسور فتصير خمس مراتب للحرف المفخَّم[4]. والمذهبان مذكوران في كتب المتأخِّرين من أهل التجويد .

الخاتمة:

هذه باختصارٍ رحلة العلمِ الصَّوتيّ عند أصحاب المدرسة النقليَّة من القرنِ الأوَّل إلى القرنِ السادس الهجريّ، بَدَأَتْ بإرهاصةٍ من تعليم النبيّ ρ حتى غَدَتْ عِلماً ناضجاً محدَّدَ المعالِمِ والأركان، فهي رحلةٌ بدأتْ وخُتِمتْ بالقرآن الكريم، فهو النصُّ الوحيد الذي تكفَّل الله بحفظِه وأقسَمَ على ذلك، وهو النصُّ الحيُّ المنقولُ نقلاً صوتياً على مَرِّ العُصور من بدءِ نزولِه إلى عصرِنا هذا، من غيرِ أن يُصِيبَ هذا النَّقلَ غائلةٌ من فسادِ لسانٍ أو تحريفِ نُطقٍ، نُشهِدُ الله على ذلك وندِينُ به، فكان طبعيّاً أن تُصْرَف اهتماماتُ العلماءِ إليه وتُصَبَّ الجهودُ فيه.

ولا أجِدُ كلاماً أختِمُ به هذا الحديثَ سوى ما قاله صاحب الدراسات الصَّوتية عن أهمِّيةِ علم التجويد في حياتنا اللُّغويَّة المعاصِرة:"إنَّ ارتباطَ عِلْمِ التجويدِ بالقرآنِ الكريم قد أعطاهُ قوَّةً معنويَّةً تَجْعَلُ المشتَغِلينَ به يُقبِلُونَ على البَحْثِ فيه دون كلَلٍ، ويَصبِرون على متاعبِ البحثِ والتعليم حتى يتحقَّقَ لدى المتعلِّمِ المستوى النُّطقيَّ المطلوبَ، ويَحتسِبون ذلك الجهدَ عند الله تعالى، وقد أثمَرَتْ تلك الجهودُ التي حظِيَ بها علمُ التجويد في ترسيخِ النُّطقِ العربيّ الفصيحِ على مدى العصورِ التي أعقَبتْ نزولَ القرآن الكريم حتى عصرِنا الحاضر، ولولا ذلك الارتباط بين اللُّغة العربية والقرآن، وبالتحديد بين علمِ التجويد والقرآن لكان حالُ

(1) مرشد القارئ ل 8/ ب .

(2) انظر: التمهيد لابن الجزري ص 72 .

(3) مرشد القارئ ل 9/ ب .

(4) انظر: التمهيد لابن الجزري ص 127 – 128 .

اللُّغةِ العربية اليوم على غير ما هي عليه.

وثباتُ العربية الفصحى المستمرّ ـ خلاف كل اللغات الأخرى ـ لم يَتَحقَّق إلاَّ بفضلِ تلك العلاقة بين علم التجويد، ممثلاً لجَوهر النُّطقِ العربيّ الأصيلِ ـ وبين نصّ القرآن.

وإنَّ الواقِع اليومَ ليَشْهَدُ أنَّه حيثما أُهمِل عِلْمُ التجويد انتَكَس نُطْقُ العربية الفصحى، ولو كان ذلك في قَلْبِ بلاد العرب، وحيثما نال هذا العلمُ العنايةَ الكافيةَ دَرْساً وتطبيقاً صَفا ذلك النُّطقُ وسَما، ولو كان ذلك في أطراف آسيا أو في قلْبِ أفريقيا. إنَّها حقيقةٌ كبيرةٌ ومُهِمَّةٌ في حياتِنا اللُّغويَّة المعاصِرة، ولكنَّنا نَغْفَلُ عنها في كثيرٍ من الأحيان"[1].

(1) الدراسات الصوتيَّة عند علماء التجويد ص 86 .

المبحث الثاني: تأثير العلوم العقلية

المبحث الثاني: تأثير العلوم العقلية

المدرسة العقليَّة:

بدأت إرهاصات هذه المدرسة من عهد أبي جعفر المنصور حين أمَرَ بترجمة علوم الأمم الأخرى إلى العربية، كالطبّ، والرياضيات، والهندسة، والفلسفة، والموسيقى... وغير ذلك من علوم الأمم الأخرى التي كانت ليست للعرب ، كما تقدَّم في تاريخ العلم العربيّ، ثمَّ منافسة الأندلس في المغرب لنظيرتِها بغداد في المشرقِ في إكمال مسيرتِها العلميَّة، مثلما حدَث في المدرسة النقليَّة، واختتامُ ذلك بأن كانت الأندلسُ هي بوابة العِلْمِ العربيّ إلى أوروبا[1].

ودراسةُ المعارفِ الصوتيَّة لهذه المدرسةِ تَحتاجُ إلى بحثٍ أطولَ مِن هذا بكثيرٍ؛ لأنها تَتَطَلَّبُ عدَّة أشياء، منها:

1 . دراسةُ المعارِفِ السَّابقةِ على الحضارةِ الإسلاميَّة بِدِقَّةٍ وتفصيلٍ.

2 . دراسةُ ما أضافَتْهُ المعَارِفُ العربية الإسلاميَّة على المعارفِ السَّابقة.

3 . مقارنةُ ذلك بالمعارف الحديثة.

أي على ثلاثِ مراحل، وهذا فوقَ طاقةِ الباحثِ في الوقت الحاضِرِ، فالكشفُ عن هذه المعارفِ تَحتاجُ إلى متخصِّصين جادِّين في فروعٍ شتَّى من العلم؛ في الطبِّ والموسيقَى والمنطقِ والفلسفة والتاريخِ القديمِ والفيزياءِ، قال ألدوميلي، وهو من الباحثين في تاريخ العلوم:"إنَّ مقام العلمِ العربيّ (الذي نُطلِقُ عليه هذا الاسم على وجهٍ غيرِ دقيقٍ...) لهو بالمكانة الأولى من الأهمِّية في تاريخ العلوم؛ لأنَّ هذا العلمَ العربيّ يُكَوِّن حلقة الاتِّصال والاستمرار بين الحضارة القديمة وبين العالَم الجديد. وإذا نحنُ لم نُواجِه ذلك العلم العربيَّ ولم نَتفهَّمْه فسنَجِدُ فراغاً يتعذَّرُ تفسيرُه بين الحضارات القديمة وبين حضارتنا الحديثة. وإذاً ينبغي أن نَجتَهِد في دراسته بعناية"[2].

ودراسةُ حركةِ العلمِ الصوتيّ لهذه المدرسة على خطِّ الزَّمن من الأقدَمِ إلى الأحدَثِ يَصْعُبُ عليَّ جداً للاعتبارات السابقة، لكن حسبي أنَّني سأُلْمِحُ إلى جانبٍ من هذه المعرفةِ في هذه الدِّراسة، عسى أن تكون فاتِحةَ خَيرٍ لمن يريد أن يَدرُس هذا الجانب، والله الموفِّق .

ويَجِبُ أن أشير هنا إلى أنَّ علماءَ هذه المدرسة تميَّزوا بالموسوعيَّة العلميَّة في شتى أنواع المعرفة النقليَّة منها

(1) انظر: تاريخ العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ لألدوميلي ص 345 و 423 وما بعدها.

(2) انظر: تاريخ العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ لألدوميلي ص 10 - 11 .

والعقلية، ومن هنا كانت عالميَّتهم[1]. وسنَجِدُ من خلال مصطلحات الدِّراسة أنَّ الموضوعات الأساسيَّة التي بحثَها أصحابُ هذه المدرسة هي بعَينها الموضوعات التي يَدْرُسُها علمُ الأصوات المعاصر في أوَّل مباحثِه، من كيفيَّة حدوث الصَّوت وإدراكه، وشدَّته ودرجته، وما يتعلَّق منها بالنَّواحي التشريحية والفيزيائيَّة على السَّواء.

وسأعطي ملامحَ عامَّة إلى الأفكار الأساسيَّة التي تقوم عليها هذه المدرسة، والتي انعكستْ آثارُها على الجانب الصَّوتيّ، وذلك من خلال عدَّة نقاط:

1 ـ نظريَّة العناصرِ الأربعة: وهي من النظريَّات الأساسيَّة التي قامت عليها فكرةُ الطبِّ العربيّ ومداواتُه وعلاجاته، سواء في عيوب النُّطق أو غيرها من الأمراض، وهي نظريَّةٌ قديمةٌ جداً، ترجِع إلى ما قبل اليونانيين، وتأثَّر بها اليونانيون، ونَقَلَها أطبَّاءُ المسلمين منهم، واستمرَّ القولُ بها حتى القرن التاسع عشر، إلى أن أبطلَها علمُ الكيمياء المعاصر.

وهي تقومُ على النَّظرةِ الكلّية للأشياء، وتستنِدُ إلى أن الإنسان هو جزء من ناموسٍ كلّيٍّ في هذا العالَم، وأنَّ ما يحدث من حركاتٍ في الكواكبِ والأفلاكِ يؤثِّرُ على الكائناتِ الموجودةِ على سطحِ البسيطةِ فيتأثَّرُ به، ولذلك طُبِعَتِ العلومُ، ومنها العلوم الطبيَّة، عند أصحاب هذه المدرسة بالمذهب الفلسفيّ.

وتقتضي هذه النظريَّة: أنَّ العالَمَ الذي نراهُ يتكوَّن كلُّهُ من أربعةِ عناصر أساسية هي: الماءُ والنارُ والهواءُ والترابُ، تَمتَزِجُ هذه الأربعةُ بِنِسَبٍ متفاوِتةٍ لتكوِّنَ هذا العالَمَ وما فيه، فإذا تَسَاوَتْ هذه النِّسَبُ الأربعة في جسمٍ مَّا وُصِف بأنَّه: معتدِلُ المزاج، وإذا اختَلَفَتْ وُصِف بأنه: خارجٌ عن الاعتدال، ومن هنا تكوَّنتْ نظريةُ الطبائعِ الأربعِ المتمِّمة للعناصر الأربعة، أعني: الحرارةَ، والبرودةَ، والرُّطوبةَ، واليبوسةَ، إذا غَلَبَ أحدُ هذه العناصر الأربعة على الباقين سمِّيَ باسمه، فالمزاجُ الحارُّ من غَلَبَةِ العنصرِ الناريّ، والبارِدُ من غلبةِ العنصرِ المائيّ، والرَّطْبُ من الهوائيّ، واليابسُ من الأرضيّ، وربَّما يتغلَّبُ عنصران، فيوصَفُ المزاج بأنَّه: حارٌّ رَطْبٌ، أو حارٌّ يابسٌ، أو باردٌ رَطْبٌ، أو باردٌ يابس.. وهكذا.

وتتفاوتُ هذه النِّسَبُ من جسمٍ لآخَر بحسب امتزاجِ هذه العناصِر، ومن هنا تكوَّنتْ نظريةُ الأخلاطِ الأربعة: البَلْغَمُ، والدمُ، والمرارةُ السوداءُ، والمرارةُ الصفراءُ.

كانت مهمَّةُ الطبيبِ في الماضي أن يُصَنِّفَ الجسمَ إلى أيِّ الفئات ينتمي، بدلائل يَعْرِفُها من ذاتِ الجِسْمِ، ثمَّ يصِف له ما يُناسِبُه من العلاج، حتى يردَّه إلى طبعه الذي هو عليه، فالعافيةُ اعتدالٌ، والمرضُ خروج عن الاعتدال.

(1) تعرَّضَت هذه المدرسة لكثيرٍ من النَّقد والهجوم في جانبها العقائديّ الفلسفيّ، ورُمِي أصحابُها بالزندقة والإلحادِ لكونِهم أتَوا بأمور تُخالِف ما في ثوابت العقيدة الإسلامية من نظرةٍ للإنسان والكون والحياة، أخذوها من مطالعاتِهم في الجانب العقديّ للأمم السابقة. وأهتمُّ بهذه المدرسة في جانبِها الصوتيّ البحت، ولا علاقة للبحث بغير ذلك من الجوانب.

ونلاحِظُ أثرَ هذه النظريَّة في كلامنا في قول أحدِنا: إنَّ مِزَاجي ليسَ معتدلاً اليوم[1].

2 . في عيوب النُّطق اهتمَّ أطبَّاءُ العرب بالعوامل العضويَّة التي تُصيبُ أعضاءَ النُّطق، وكيفية مداواتها العلاجية، فمنها عيوبُ الجهاز السمعيّ والجهاز الكلامي، كالأمراضِ التي تُصيبُ اللِّسان واللَّهاة والحنجرة والرئتَين، من تشنُّجٍ للعصب أو خللٍ في أصل الخِلْقة، أو أورام أو قروحٍ، أو استرخاءٍ أو تشنُّجٍ، أو قِصَر الوتَرة التي تحت اللِّسان، أو تَشَوُّهِه (عِظَمه أو قِصَره)، ويُضمِّنون في هذه الفئة من الاضطرابات: اللجلجةَ، واللَّعثمة، واضطراباتِ القراءة.

أما الموسيقيون منهم، فقد اهتمُّوا بعيوب الحنجرة والحلوق والنَّفَس لتأثيرها المباشر على الصَّوت.

ولا شكَّ أنَّ هذا الجانب من العيوب النُّطقية قد أفرَزَ عدداً كبيراً من المصطلحات والألفاظ والتعبيرات التي تَستَحقُّ الدِّراسة والبحث مِمَّا هو مذكورٌ في الفصل الخامس من الباب الثاني.

3 . الأطباءُ تناولوا هيئةَ الصوت بحثاً عن السَّبب الذي يَجْعَلُ بعضَ أصوات النَّاسِ خشنةً وصافية، ورفيعةً وغليظة، وعظيمةً وصغيرَة، وذاتَ بحَّةٍ طبيعيَّةٍ ومرَضيَّة، ووجدوا أنَّ أكثرَ ما يُمثِّلُ الرِّئةَ والقصبةَ الهوائيَّةَ والحَنجَرةَ في الطبيعة هو آلة المزمار الموسيقيَّة، حيثُ تُمثِّلُ الرئةُ القوَّةَ الدافعةَ للهواء، و يُقابِلُها في المزمار قوةَ النَّفخ من الزامرِ، والقصبةُ الهوائيَّةُ تُمثِّلُ قصبَة الزامرِ، والأوتارُ الصَّوتيَّة في الحنجَرةِ تُمثِّلُ اللِّسانَ الذي يقتطِعُ الهواءَ في المزمار، ولذلك شُبِّهَت به فقيل لها: (الجسمُ الشبيهُ بلِسَانِ المِزْمَار).

ومن الأمثلة على تشبيه القصبة الهوائيَّة بالمِزْمار أنَّ الأعراضَ والعِللَ التي تُصيبُ آلةَ الزَّامِرِ وتؤثِّرُ على نوعية الصَّوتِ جعَلُوها نَفْسَها الأعراضَ التي تُصِيبُ الصَّوتَ الإنسانيَّ، فالمزمارُ إذا كان خشبُهُ رطباً، فإنَّ تَوَزُّعَ الصَّوتِ على سَطْحِهِ يكونُ بطيئاً، فيكون اهتزازُهُ بطيئاً، وصوتُه مكتوماً. أما إذا كان خشبُهُ جَافًّا فإنَّ تَوَزُّعَ الصَّوتِ على سطحِه يكونُ سريعاً، ويكونُ اهتزازُ جسمِهِ سريعاً، وصوتُه صافياً، وهكذا علَّل بعضُ الأطباء لتركيب القصبة الهوائيَّة، فقال أبو عليّ المجوسيّ عن القصبة الهوائيَّة: "وجُعِلَ جَوهَرَ أجزائها جَوهرٌ غُضروفيٌّ صُلبٌ؛ ليكونَ إذا قَرَعَهُ الهواءُ الخارجُ كانَ الصَّوتُ لذلك صافياً؛ إذ كان الصَّوتُ الأبحُّ إنَّما يكونُ من رُطُوبَةِ قصَبَةِ الرِّئةِ"[2].

4 .كشَف الأطباءُ المسلمون عن دَور الأوتار الصَّوتية في عمليَّة التصويت، وهو أمرٌ ما زال مجهولاً لدى كثيرٍ من الباحثين اليوم، "وهو يَكشِفُ لنا عن عظمة الطبيبِ العربيّ المسلِم الذي استطاعَ هَضْمَ العِلْمِ اليونانيّ، وتَمَثُّل ذلك في عرضِهِ الحسنِ للمادَّة العلميةِ وإتقانِ تصنيفِها، وكذلك في إغناءِ هذه المادَّةِ العلميَّة بجهودِهِ الشخصيَّة وإسهاماته العبقرية الكثيرة. ولا أدلَّ على ذلك التقديرِ مِنْ أنه حينَما عرَفَتْ أوربا الطبَّ

(1) انظر للاستزادة عن هذه النظريَّة: كامل الصناعة الطبية للمجوسي 1/ 17، والتصريف لمن عجَز عن التأليف لابن زهر 1/ 4، وتاريخ العلم لجورج سارتون 2/ 221 – 222

(2) كامل الصناعة الطبية للمجوسيّ 1/ 119.

العربيَّ والطبَّ اليونانيَّ في نهايةِ العصُورِ الوُسطى وبداية عصر النهضة وَضَعَت المؤلِّفين العربَ في مصافِّ المؤلِّفين اليُونان.

وتُشيرُ إحدى الرسومِ الأوروبِّية القديمة إلى الأساتذَةِ الأربعةِ العِظام في الطبِّ: أبقراط وجالينوس وحُنَين بن إسحاق وابنِ سينا.

وتُشيرُ وثائقُ أخرى كثيرةٌ يَعُودُ تاريخُها إلى العصورِ الوُسطى إلى المكانةِ الرَّفيعةِ التي كان يَحْتَلُّها بعضُ المؤلِّفين العربِ في عالَمِ التدريسِ الطبِّي، كابنِ ماسَوَيه، وابن سَرَابيون، وأبي بكرٍ الرازيّ، والمجوسيّ، وابنِ الجزَّار، والزَّهراويّ، وابن سينا وغيرهم .

إنَّ سببَ زُهدِ الغَرْبِ الأوروبيِّ الحديثِ في التراثِ الطبِّيِّ العربيِّ يَرجِعُ إلى أنَّ كثيراً من مؤرِّخي الطبِّ الأوروبيِّين قد أتْقَنُوا اللُّغتَين اليونانيَّة واللاتينيَّة، وبالتالي عرَفوا إسهاماتِ اليونانِ فيه، وجَهِلُوا اللُّغةَ العربيَّةَ فلم يَعْرِفوا كيف يَتَعامَلُون مع المخطوطِ الطبِّيِّ العربيِّ، ويَرجِعُ أيضاً إلى مَوقفِ الحضارةِ الغربيةِ من الحضارة العربيةِ، وقد يَرْجِعُ إلى اعتباراتٍ أخرى أيضاً"[1].

5 ـ عرَف المتقدِّمون الحدَّة والثِّقَل في الأصوات بمفهومٍ مغايرٍ لمفهومِ المعاصِرين، فالمعاصِرون يَعنُونَ بالحدَّةِ والثِّقلِ التغيُّرَ في طبقةِ الصَّوت (**PITCH**)، والتي تعتمدُ بشكلٍ أساسيٍّ على التَّغَيُّرِ في التردُّد، أمَّا نظرةُ المتقدِّمين للحدَّةِ والثِّقل في الأصوات فهي نظرةٌ عامَّةٌ تتناوَلُ كلَّ ما يُحْدِثُ تغييراً في الموجة الصَّوتيَّة، وهذه النَّظرة تَرمي إلى البحثِ عن الأسباب التي تجعَلُ الموجات الصَّوتيَّة ذات تردُّدات عالية أومنخفضة، والخاصّة بطبقاتِ الصَّوت، وذات سعةٍ اهتزازيَّةٍ أكبر أو أقل الخاصّة بشدَّة الصَّوت، وممَّا يدخُل فيها أيضاً قوَّةُ الصَّدم، ونوعيةُ الجسمِ المصدوم، وقابليَّته لنقل الموجات الصَّوتيَّة، والمقاومة التي تحدُثُ بين الجِسمَين المتقاوِمَين، وسرعة انتقال الموجة الصوتية في الوسطِ الناقلِ للصَّوت، وانعكاس الموجات الصوتيَّة أو امتصاصها ممَّا يعتمد على نوعيَّة السُّطوح في الأجسام، وتجاوب الأجسام بالاهتزاز مع أجسام أخرى مهتزَّة، ممَّا يُعرَفُ بظاهرةِ الرَّنين، وسيأتي الحديث عن ذلك كلِّه ضِمْنَ مصطلحاتِ البَحْثِ.

6 ـ فرَّق الأطباء المسلمون بين الأعضاء المسؤولة عن التنفس والتصويت، وبين الأعضاء المسؤولة عن الكلام وتقطيع الحروف، فذكَر أبو الحسن عليّ بن العباس المجوسيّ أن العضوَ الواحدَ يُستعمَل آلةً لفعلَين أو ثلاث، ليُستغنَى به عن كثرةِ الآلات[2].

ومثَّل ابنُ رشد لذلك باللِّسان والهواء، حيث استُعمل اللِّسان في الذَّوق والكلام، والهواءُ في التنفُّس

(1) انظر: مقالة بعنوان: نظرة حديثة لفهم تاريخ الطب العربي للدكتور نشأت حمارنة (بتصرُّف)، من مجلة التراث العربي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ص 93 – 112 من العدد 76 ربيع الأول 1420هـ الموافق تموز ـ يوليو 1999م . السنة: 19، ناقَشَ فيه صاحبُها المقولةَ التي تقول: إنَّ الطبَّ العربيَّ ما هو إلا الطبّ اليونانيّ القديم مكتوباً باللُّغة العربية.

(2) كامل الصناعة الطبية 1/ 118 بتصرف.

والتصويت. وبيَّن أن استعمال الكلام والتصويت إنما هو من جهة الأفضل، يستطيعُ الإنسانُ العيشَ بدونهما[1].

وهذا بعينِه الذي تذكرُه كتبُ الدِّراسات الصوتية المعاصرة من تعدُّدِ الوظائف للعُضو الواحِد، وأن عملية الكلام ثانويةٌ[2].

7 ـ علم النغمات التوافقية (Harmonics) علمٌ عَرفَه العربُ قبل الغربِ بألف سنةٍ، وقد سمَّاه الفارابيُّ عِلْمَ الاصطحاب، وسمَّاه ابن سينا في كتابه الشِّفاء: "التضعيف" و "التركيب على التناظُر"[3].

قال الفارابيُّ:"ونَعني بعلم الاصطحابِ اشتراكَ نغمتَين، أي صوتَين أو أكثرَ تُنقَرُ في آنٍ واحدٍ. واشتراكُ الأصواتِ المتآلِفة بحسبِ وصولِها إلى الأذن. واتِّفاقُ الاصطحابِ والمؤالِفة متوقِّفٌ على نسبةِ الأصواتِ بين بعضِها"[4]. يقول الدكتور يوسف شوقي في أوَّل تحقيقه لرسالة ابن المنجِّم في الموسيقى:"ويَكشِفُ (فارمر) لأوَّل مرَّة، سنة 1925 هـ عن دَور العرب في تَطَوُّر فنِّ الهارمونيَّة الذي يَشيعُ الاعتقادُ، حتى يومِنا هذا، بأنَّ العربَ لم يَعْرِفوه، ولم تَكُن لهم يدٌ في تَطوُّرِه... ولعلَّ أهمَّ ما يَكشِفُ عنه فارمر من تأثير العرب في الفنونِ الموسيقيَّة بأوروبا هو دَورُهم في إبداع نظام التدوين الجدوليّ للآلات الوتريَّة"[5].

8 ـ طُبِعت علوم هذه المدرسة وآراؤها بالمنهج الفلسفيّ الذي يقوم على تعليل كلِّ شيءٍ، والبحث عن أجوبةٍ وتفسيراتٍ لكلِّ شيءٍ، وهذا الجانب امتدَّ أثرُه إلى العلوم النَّقليَّة، كمثل العلل الثواني والثوالث في النَّحو. وهذا المنهج أخذه أصحاب هذه المدرسة من رائد علم المنطق أرسطاليس.

أهمُّ علماء هذه المدرسة

فيلسوف العرب: الكنديّ (... ـ 260 هـ)

أبو يوسفُ يعقوبُ بن إسحاق الكنديُّ، "جدُّه الأشعثُ بن قيس، صحابيٌّ جليلٌ، وبقيَّةُ أجدادِه ملوكٌ في الجاهليَّة وأمراءُ في الإسلام.

تعلَّم الرياضيات والطبيعيَّات، وأجاد معرفةَ الطبِّ والمنطِقِ والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك، وأحاط بالثقافتَين اليونانيَّة والفارسيَّة. وقد تعمَّق في معرفةِ اليونانيَّة حتى تخيَّرَه المأمونُ بين حكماء العرب الذين قاموا

(1) تلخيص كتاب النفْس ص 83 و 152 و 153.

(2) انظر: علم اللغة لمحمود سعران ص 61 و 131، وعلم الأصوات العام لبسام بركة ص 59.

(3) رسالة ابن المنجم في الموسيقى ص 18 .

(4) نقَل نصَّ الفارابيّ دون أن يُحدِّد مصدرَه الأستاذ سليم الحلو في كتابه تاريخ الموسيقى الشرقية ص 237 .

(5) رسالة ابن المنجِّم في الموسيقى ص 18 و 25 .

بترجمة المكتبة اليونانيَّة وما اشتَملَت عليه من علومٍ وفنون.

وقد عُدَّ الكنديُّ في صدر أربعةٍ هم حُذَّاقُ الترجمة وحملةُ لوائها"[1].

كان الكنديُّ عالماً موسوعياً جمَّاعاً للعلوم، وكثيرٌ من كتبِه يتَّصِل بالعلوم اتِّصالاً مباشراً، وقد أثَّرتْ كتبُه المترجمة تأثيراً عميقاً في الشعوب اللاتينية[2].

أهمُّ كتبه: رسالة في اللُّثغة، وخُبر صناعة التأليف، وفي أجزاء خُبريَّة في الموسيقى.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 . من أوائلِ من اعتمَد الترتيب الأبجديّ في وصفِه للأصوات في رسالته في اللُّثغة.

2 . تُعَدُّ رسالتُه في اللُّثغة من أوائل الرسائل المتخصِّصة التي بحثتْ في عُيوبِ النُّطق، وقد نَهَجَ فيها نهجاً فريداً في وصفِ حروف العربيَّة، وتتَبَّع هيئات النُّطق بها، ومِمَّا يدلُّ على أهمِّيّة هذه الرسالة أنَّ المجموع الذي وجِدت فيه عليه تملُّكٌ منسوبٌ إلى الشيخ الرئيس أبي عليّ ابن سينا، مِمَّا يُوضِّح لنا مدى الصِّلة بين كِلا الرجلَين[3].

3 . قدَّم الكنديُّ عدداً لا يُستَهان به من المصطلحات الصَّوتيَّة، فمن ذلك المصطلحات التي قدَّمها في أعضاء النُّطق ومخارج الحروف، ولم يَسبِقه إليها أحد، وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

4 . أشار الكنديُّ إلى دَوْرِ عضلات اللِّسان في التسبُّبِ في اللُّكنة في الكلام، قال:"وذلك أن العضَل المحَرِّكةَ لهذا العُضوِ لا تُطِيقُ حملَهُ، وتُحَرِّكُه وتَنْقُلُه عن الأماكنِ الواجبَةِ للنُّطْقِ، فيَعْرِضُ مِن ذلك اللَّكَنُ في الكلام"[4].

5 . جاء وصفُ الكنديّ كاملاً للحرف من حيث الهيئةُ التي يكونُ عليها وما يُصاحبُها عند نطق الحرف، فجاء الحديثُ عن المخارجِ والصِّفات معاً ضِمنَ وصْفِ الهيئة، وتابعَه في ذلك ابنُ سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف. واختار المعاصرون الصَّوتيُّون هذه الطريقة.

6 . كشَفَ في رسالتِه: (في أجزاء خُبرية في الموسيقى) عن العلاقة بين الوزنِ الشعريّ والإيقاع النَّغميّ، مِمَّا يَستدعي دراسةً خاصةً حول هذا الجانب[5].

المعلِّمُ الثاني أبو نصرٍ الفارابيُّ: (260 – 339 هـ)

(1) انظر: تاريخ الموسيقى الشرقية ص 247 .

(2) انظر: تاريخ العلم العربيّ وأثره في تطور العلم العالميّ لألدوميلي ص 149 .

(3) انظر: مقدمة تحقيق رسالة الكندي ص 516 .

(4) رسالة في اللُّثغة ص530 .

(5) في أجزاء خُبرية في الموسيقى ص 261 – 262 .

محمدُ بنُ محمدِ بن طَرْخان بن أوزلغ أبو نصرٍ الفارابيُّ، أكبرُ فلاسفةِ المسلمين.

كان يُعرَف بالمعلِّم الثاني لِشَرحه مؤلَّفات أرسطو (المعلِّم الأوَّل). وكان يُحسنُ اليونانيَّة وأكثر اللُّغات الشرقيَّة المعروفة في عصره، ويقال إنَّ آلة القانون الموسيقيَّة هي من اختراعِه.

وهو أوَّلُ مَن ألَّف دائرة معارف ـ بالمعنى العلميّ للكلمة ـ تمثَّلتْ في كتابه: إحصاء العلوم.

أهمُّ كتبه: الموسيقى الكبير، وإحصاء العلوم، والحروف.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ كشف الفارابيُّ عن كيفيَّة انتقالِ الموجات الصَّوتيَّة عبر الهواء حتى تصِل إلى الأذن بمثلِ مفهوم المعاصِرين له، حتى إنَّك لتَتَساءَلُ عن نَوعِ المعرفةِ التي كانت سائدةً في تلك العُصور المتقدِّمة، على الرَّغم من عدمِ وجودِ أيِّ أجهزةٍ قياسيَّةٍ دقيقة، وسيأتي ذِكْرُ ذلك.

2 ـ أشار إلى تجويفات أعضاء النُّطق كغُرَفٍ رنينيَّة تؤدِّي إلى تضخيم الصَّوت، قال:"قد يتَّفِقُ أن تكون الآلةُ التي فيها الأوتار لها في نفسِها استعدادٌ لأن تُسمَع منها نغَمٌ عندما تُهَزُّ أوتارُها، إمّا بأن يكون لها اهتزازٌ، أو أن يكون لها تَجويفاتٌ قد انحصَر فيها هواءٌ ولها منافذُ من خارج، فمتى تموَّج الهواءُ الذي حول الأوتار عندما تَهتَزُّ، تأدَّى ذلك من المنافذ إلى تجويفاتها فيَحدُثُ من الهواءِ المنحَصرِ فيها دَويٌّ "[1].

3 ـ ذكَر أنَّ الحُلوق الإنسانية هي أكمل الآلات الموسيقيَّة، قال عنها:"وليس ها هنا ما هو أكمَلُ من الحُلوق، فإنَّها تَجمَعُ جُلَّ فُصُولِ الأصوات[2]، وسائرُ ما توجَد فيه النغَمُ من الآلات تَنقُصُ عنها نُقصاناً كبيراً، وهذه كلُّها إنما جُعِلَتْ تكثيراتٍ وتفخيماتٍ وتزييناتٍ ومحاكِياتٍ وحافِظاتٍ لنغَم الحلوق الإنسانية"[3].

4 ـ يُعَدُّ الفارابيُّ رائدَ نظرية الحدَّة والثقل في الأصوات، وما يتعلَّق فيها من درجة الصَّوت وشدته، قال الفارابيُّ عن السَّبب الكلّيّ العام فيهما:"وأمَّا حِدَّةُ الصَّوتِ وثِقَلُهُ، فإنَّما يكون بالجُمْلَةِ متى كان الهواءُ النابِي شديدَ الاجتِماع، أو كان في الحالِ الدُّونِ [الأقلّ] من الاجتماعِ. فإنَّه إن كان شديدَ الاجتماعِ كان الصَّوتُ أحدَّ، ومتى كان أقلَّ اجتماعاً وتراصًّا كان الصَّوتُ أثقلَ، وجميعُ ما يَفْعَلُ الاجتماعَ الأشدَّ في الهواء هو السَّببُ في أن يَفْعَلَ الصَّوتَ الأحدَّ، وما يَفْعَلُ الاجتماعَ الدُّونَ فهو السَّببُ في أن يَفْعَلَ الصَّوتَ الأثقلَ"[4].

(1) الموسيقى الكبير ص 584.

(2) فصول الأصوات: مقاطعُها وأجزاؤها المصوّتة.

(3) الموسيقى الكبير 79 – 80.

(4) الموسيقى الكبير ص 216 - 217 .

5 ـ أشار الفارابيُّ إلى حقل السَّمع الذي تَسمعُه الأذن، يعني التردُّدات الطبيعيَّة التي تدركُها الأذن الإنسانية، قال:"ونجِدُ في طبَقَاتِ الحِدَّةِ طبقاتٍ ليستْ طبيعيَّةً للسَّمع، وكذلك في الثِّقَل وطبقاتِه، ونَجِدُ فيها طبقاتٍ طبيعيَّةً للحِسِّ، فالنَّغَمُ التي هي في طبَقاتٍ من الحِدَّةِ والثِّقَلِ طبيعيَّةٌ للإنسانِ هي بين أوَّل طبقةٍ من الحدَّةِ غَيرِ طبيعيَّةٍ وبين أوَّل طبَقَةٍ من الثِّقَل غير طبيعيَّةٍ، فإذ هو كذلك، فبيّنٌ أنَّ النَّغَمَ المختلِفةَ الطبقاتِ، أمَّا في أنفسِها، فإنَّها يُمكِنُ أن تَتَزَيَّدَ تَزَيُّداً بلا نهايةٍ، وأمَّا بحسب قياسِها إلى سَمْعِ الإنسان فهي متناهِيةٌ"[1].

6 ـ قسَّمَ الفارابيُّ الأجسامَ المؤهَّلةَ لنقل الموجة الصَّوتيَّة إلى خمسةِ أنواع: مهتزة، ويزحف على وترها، ومجوَّفة نفخية، ورنَّانة، وعاكسة للموجات[2].

7 ـ اشترط الفارابيُّ الملاسَةَ في الأجسامِ العاكِسةِ للصَّوتِ والرنَّانة، وهذا فيه إدراكٌ خَطيرٌ ودقيقٌ لظاهِرَتَي الرَّنين والصَّدَى، فمهندسو الصَّوت يَعْلَمون جيداً أنَّ"أكثرَ الأسطُحِ فعاليَّةً لعَكْسِ الصَّوتِ هي الأجسامُ الصُّلْبَةُ المْلساءُ ذاتُ المْلمَسِ القاسِي، مثل الجُدران والأسْقُفِ والأرضيَّات الصُّلْبَة. أمَّا الأجسامُ الطريَّةُ، وتلك التي تكونُ ذاتَ مَسَامٍّ كثيرةٍ مثل السُّجَّاد والسَّتائر وغيرها، فإنَّها تُعتَبَرُ عاكِساتٍ رديئةٍ للصَّوْتِ، فهي تَمْتُصُّ نسبةً عاليَةً من الصَّوْتِ عبر مَسَامِّها"[3].

8 ـ حلَّ الفارابيُّ إشكالاً كبيراً يجده المعاصرون عن تسمية حروف المدِّ بالساكنة مع أنَّها حركات طويلةٍ، حيثُ بيَّن كلامُه أنَّ هذه التسمية لها علاقة بالوزن الشعريّ العروضيّ والإيقاع النَّغميّ، فقد عدَّ الخليلُ الحرفَ المتحرِّكَ المتلوّ بساكنٍ يُعادِلُ في العَروض الحرفَ الممدودَ المتلوّ بحرفِ مدٍّ (أَنْ = نَا، نُو ، نِي)، وهكذا عَدَّهُ شيخُ الموسيقيِّين الفارابيُّ في الإيقاعِ الموسيقيّ حيث يقول:"وكلُّ مقطعٍ طويل، فإن قوَّتَه قوَّةُ السبَب الخفيف، فلذلك يُعَدُّ في الأسباب الخفيفة، وكلُّ ما لحِق الأسبابَ الخفيفة لحِق المقاطِع الطويلة... وكلُّ سبَبٍ خفيفٍ، فإنَّه يَقُومُ مقامَ نَقْرَةٍ تامَّةٍ تعقُبُها وقفةٌ، وكذلك كلُّ مَقْطَعٍ طَوِيل"[4].

فالعلاقةُ بين السَّاكن والمتحرِّك في علم العَروضِ علاقةٌ عروضيَّةٌ إيقاعيَّةٌ مقطعيَّةٌ بحتةٌ.

9 ـ فرَّق بين الأصواتِ الانفعاليةِ التي تخرجُ بالطبع وبعفويَّة من الإنسان والحيوان على السَّواء، كالأصوات التي تخرجُ عند الطرَب والخَوف والغضَب، وبين تلك التي تخرجُ بقصدٍ إرادةَ الإفهام، وتوصيل ما في الأذهان، وهي الحروفُ التي منها يتألَّفُ الكلام، وتخصُّ الإنسان، قال:"فإن الإنسانَ وسائرَ الحيوان المصوِّتة، لها بالطِّباع في كلِّ حال من أحوالِها اللَّذيذةِ أو المؤذِيَةِ نَغَمٌ تَستَعْمِلُها، وهذه سوى الأصوات التي

(1) الموسيقى الكبير ص 112 - 113 .
(2) الموسيقى الكبير ص 214 - 215 .
(3) الفيزياء للأدباء ص227 .
(4) الموسيقى الكبير ص 1075 - 1079.

يَسْتَعْمِلُها الحيوانُ علاماتٍ يُؤْذِنُ بها بعضُها بعضاً بأمرٍ من الأمور، وأكثرُ هذه هي في الإنسان، وهي الأصواتُ التي يُرَكِّبُ الإنسانُ منها الألفاظ، وهذه خاصَّةٌ بالإنسان"[1].

وما قاله الفارابيُّ والتقسيم الذي أَوْرَدَهُ من أصوات لغويَّة واعتباطيَّة انفعاليَّة هو الذي تذكرُه كتب علم اللُّغة الغربيّ المعاصر في مقدِّمات حديثِها في التفريق بين الأصوات اللُّغوية والأصوات الاعتباطيَّة[2].

10 ـ كان رائداً في حديثه عن المقطع الصوتيّ بمفهومه المعاصر كوحدة صوتية تتكون من صحيحٍ وحركة، قال عن المقطعِ القصيرِ والطَّويل:"وكلُّ حرفٍ غيرِ مُصَوِّتٍ أُتْبِعَ بمُصَوِّتٍ قصيرٍ قُرِنَ به، فإنَّهُ يُسمَّى: (**المَقْطَعَ القَصِيرَ**)، والعربُ يُسَمُّونَهُ: (الحرف المتحرّك)، من قِبَلِ أنَّهم يُسَمُّونَ المصَوِّتاتِ القَصِيرةَ حَرَكاتٍ. وكُلُّ حرفٍ غيرِ مُصَوِّتٍ قُرِنَ به مُصَوِّتٌ طويلٌ، فإنَّا نُسَمِّيهِ: (**المَقْطَعَ الطَّوِيلَ**)"[3]، وسيأتي ذِكر ذلك في المصطلحات.

11 ـ استَعمل الفارابيُّ لفظ: (**الأخذِ بالوُجُوه**)، وَعَزَاهُ إلى أرِسْطُو، ويَقْصِدُ به الأشياء المصاحبةَ التي تُساعِدُ الشاعرَ أو الخطيب أو المغنّي على توصيل معاني ما يؤدُّونَه بواسطةِ الانفعالات الحركيةِ الجسديَّة، أو التغيير في الطبقة الصوتيَّة، فيما يُعرَف عند علم الأصوات المعاصِر في هذا الأخير بـ: (التنغيم INTONATION). وسيأتي تفصيل ذلك في مظانِّه .

12 ـ قدَّم عدداً من المصطلحات المهمَّة، فمن ذلك تعبيره عن أعضاء النُّطق بـ: (آلات التصويت الإنسانيّ)، (والمقطع القصير والطويل)، و(الأخذ بالوجوه)، و(المصوتات الطويلة والقصيرة) إلى غير ذلك من المصطلحات التي سيكشفها هذا البحث.

13 ـ بشكل فريد جداً تحدَّث عن الحركات المعيارية التي لا تخلو منها لغةٌ إنسانية، وجعلها اثنتي عشرة حركة، وهو بهذا يسبق دانيال جونز في مقياسه المعياريّ للحركات بحوالي ألف سنة، وسيكشف البحث هذه النقطة.

الطبيبُ الفيلسوف الرَّئيس أبو عليّ ابن سينا (370 ـ 428 هـ)

الحسينُ بن عبد الله بن سينا، شَرَفُ الملك: الفيلسوف الرَّئيسُ، صاحبُ التصانيف في الطبِّ والمنطقِ والطبيعيَّات والإلهيات.

أشهرُ كتبه: القانون في الطبِّ، يُسمِّيه علماءُ الفِرَنج: (Canonmedicina)، بقِي مُعوَّلاً عليه في الطبِّ ستَّةَ

(1) الموسيقى الكبير ص 62.

(2) انظر: علم اللغة لمحمود سعران ص 58 وما بعدها .

(3) الموسيقى الكبير ص 1075 .

قرون، وترجمَه الفِرَنجُ إلى لغاتِهم، وكانوا يتعلَّمونه في مدارسهم[1].

"ولئن كان ابن سينا لُقِّب في الشرق بالشيخ الرئيس، فقد لُقِّب في الغرب بأمير الأطباء.

وبلَغ من مكانة ابن سينا أن شهِد له الأطباءُ الغربيُّون بأنَّ حلقةَ الطبِّ قد اكتملَتْ على يديه، قال الطبيب الأوروبي "دي بور" في تقييم الأطباء المسلمين وتقديرهم: "كان الطبُّ معدوماً فَأَوجَدَهُ أبقراط، ومَيِّتاً فأحْيَاهُ جالينُوس، ومُشَتَّتاً فجمَعَه الرازيُّ، وناقصاً فَأَتَمَّهُ ابن سينا"[2].

وإذا أردنا أن نعلمَ مكانة ابن سينا، فلْنستَعرِض البرنامج الدِّراسيّ لمدرسة مونبِلْييه الطبيَّة في فرنسا (من سنة 1489 إلى سنة 1500م)، وتُعدُّ هذه المدرسة من المدارس الكبرى التي قامتْ عليها النَّهضة الطبّية الغربيّة الحديثة.

	1489	1490	1491	1492	1493	1494	1495	1496	1497	1498	1499	1500
ابن سينا	4	3	4	4	6	5	5	4	6	5	4	3
جالينوس	2	-	2	-	3	2	4	2	2	2	1	4
أبقراط	1	-	-	1	2	1	1	1	-	1	1	1

ويُمثِّل الجدولُ السابق الحصصَ المعطاة للكتب الطبّية في هذه المدرسة، لاحِظْ أنَّ كتبَ ابن سينا كانت تحتلّ مركز الصَّدارة من بين كتب الأطباء الآخرين، وكانت لها حصَّة الأسد في برنامج الدُّروس، حتى إنَّها في بعض السنوات كانت تُشكِّلُ المادَّة الوحيدة للدِّراسة كسنة 1490م[3].

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 . وَصْفُ ابنِ سينا للحَنجرَة فَاقَ كلَّ ما قَبْلَهُ في الصحَّة والدقة، حيثُ أعطَاها صورةً تشريحيةً لا تفترقُ كثيراً عما نعرِفُه اليوم عنها، حيث وصَفَ غضاريفَها وعضلاتِها والأربطةَ التي تَضُمُّها، وتَعَرَّضَ لوظائفِ كلِّ جزءٍ منها، عند الكلامِ، والتنفسِ والبَلْعِ، وغير ذلك مما يعرف في يومنا هذا بعِلْمِ وَظَائف الأعضاء[4]، وسيأتي تفصيل ذلك بالرُّسومات التوضيحية التي تُبيِّن عظمة هذا الرَّجُل.

2 . يُعتَبَرُ ابنُ سينا أوَّلَ مَن وظَّف الرطوبة واليبوسة (المرونة وغير المرونة) هاتَين الخاصِّيتَين الفيزيائيَّتَين في شرحِه لأسباب حدوث الحروف، إمَّا بذكرِه للأعضاء المرنةِ، كاللِّسانِ، وغيرِ المرنةِ كالأسنان. وإمَّا بذِكْرِه

(1) انظر: الأعلام للزركليّ 2/ 241 - 242 .

(2) انظر موقع: (http://www.islamset.com) على الإنترنت.

(3) انظر موقع: (http://www.islamset.com) على الإنترنت.

(4) انظر موقع: (http://www.islamset.com) على الإنترنت، فيه مقالة للدكتور مصطفى أحمد شحاته عن الحنجرة وأمراضها في الطبِّ الإسلاميّ.

لمرُونةِ الهَوَاءِ الفَاعِلِ للصَّوت، المنضَغِطِ بين عُضوي النُّطق في محاولتِهِ الانفِلاَتَ وإحداثَ الصَّوتِ اللُّغويّ. وسيأتي ذِكْرُ ذلك في مصطلح: (الرُّطوبة).

3 ـ إنَّ تحديدَ ابن سينا لعضلات اللِّسان وجَعْل بعضها مسؤولاً عن بعض الأصواتِ أمرٌ فريدٌ لم أعرف إلى الآن مَن تحدَّث عنه أو قام بدراسته، وسيكشف البحث هذه النقطة في شرحِ عضلات اللِّسان.

4 ـ وَظَّفَ ابنُ سينا معرفتَهُ التشريحيَّة والفيزيائية والموسيقية في رسالته لشرح حدوث الحروف، حيث تَنَاوَلَ الأعضاءَ في ذاتِها، والهيئةَ التي تكونُ عليها بعد التقاءِ عُضوَي النُّطق، فيما يُسَمّيهِ بهيئاتِ المخارجِ، والأجزاءَ الحابسةَ للصَّوتِ والمحبوسةَ، ونوعيةَ الحبسِ والإطلاقِ، وعلى هذه الستَّة المتقابلةِ بعضِها أو كلِّها جَرَى في وصفِ الحروف .

وبهذا يكون قد وَصَفَ الصَّوتَ في مراحلِه بدءاً من إنتاجِه، ثم مرورِهِ بالمخرج ثم إطلاقِه، فانضغاطُ عضوَي النُّطق وحَصْرُ الهَوَاء المدفوعِ من عَضَلِ الصَّدرِ والحِجابِ الحَاجز بينهما يُحْدِثُ مقاومةً هي العلَّةُ الأوَّليةُ لحدوث الصوت عنده .

وقد تكونُ هذه المقاومةُ عبارةً عن هواءٍ قابلٍ للانخراق يَقِفُ حاجزاً في تيَّار الهواء المدفوعِ من الرِّئتَين، فيَحدُثُ اهتزازٌ للهواء الفاعلِ للصَّوت أو قَسْرٌ أو تَفَقُّعٌ أو تفقؤٌ أو غيرُ ذلك. وقد يكون هناك مقاومةٌ من خلال أحدِ عضوَي النُّطقِ كحبسٍ تَامّ للهَواء ثم إطلاقٍ كالهمزةِ، حيث يقاوم العُضرُوفان الطِّرْجِهَاليَّانِ الهواءَ المدفوع.

والخلاصةُ أنَّ النظريةَ الصوتيةَ لابن سينا عن كيفية حدوث الحروف تتلخص في ثلاث نقاط:

أ- قارع ومقروع .

ب- انضغاط الهواء وانفلاته بينهما.

ج- مقاومةُ أحدِهما للآخَر، وهي العلَّةُ الأولى لحدوث الصَّوت.

5 ـ قدَّم ابن سينا عدداً من المصطلحات الصوتيَّة، كتعبيره عن صفة الشدَّة بـ: (الحبس التامّ) وتلقيب أصواتِها بـ (المفردة)، وعن الرخاوة بـ: (الحبس غير التامّ) وتلقيب أصواتها بـ (المركَّبة) إلى غير ذلك من المصطلحات التي سيذكرها البحث.

6 ـ إنَّ تقريبَ ابن سينا لوصفِه للحروف بما يحاكيها من الأشياء الحسّية والطبيعيَّة ـ كتشبيه حدوث القاف بانشقاق الأجسام ـ فيه حِرصٌ ومعرفةٌ على الواجبِ التعليميّ الذي يُحاوِل فيه المعلِّمُ تقريبَ المعلومات الصَّوتية إلى طلاَّبِه؛ لأنَّ الرسالةَ أساسُها قام على جوابٍ عن سؤالٍ.

وهو يريد أن يَصِل إلى أنَّ ما يسمعُه الإنسانُ من تصويتاتٍ في جهاز النُّطق الكلاميّ وما علَّلَ لها به

مِن كيفية الحدوث، يُمكِن أن يوجَد له نظيرٌ . من حيثُ علَّةُ الحدوث . في ما يتعاملُ به الإنسانُ من أشياء، لا أنَّك تَسمَع الصَّوتَ نفسَه كما ظنَّ بعضُ المعاصِرين[1]؛ لأنَّ ابنَ سينا مُدركٌ بطبيعة الحال للتجويفات وأثرها في تغيير سمات الصَّوت.

7 . من الأمور المهمَّة التي ذكرها أصحابُ هذه المدرسة، ومنهم ابن سينا تعدُّدُ وظائف الأعضاء، فمن ذلك اللِّسانُ بيَّن ابنُ سينا وظيفتَه الأساسية في الطَّعام، ثمَّ وظيفته الثانويَّة في الكلام، مبيّناً أنواع الألسنة القادرة على الكلام، قال:"هو من آلاتِ تَقليبِ المَضْوغ، وتَقطيعِ الصَّوْت وإخراجِ الحروف، وإليه تمييزُ الذَّوْق... وأفضلُ الألسنة في الاقتدار على جَوْدة الكلام: المعتدِلُ في طولِه وعَرْضه، المستدِقُّ عند أسَلته. وإذا كان اللِّسانُ عظيماً عريضاً جداً، أو صغيراً كالمتشنِّج لم يكن صاحبُه قديراً على الكلام"[2].

8 . أدرك ابن سينا دور الحنك اللَّحميّ في كونه بوابةً للصَّوت وفي تعديل الهواء، قال ابنُ سينا عن اللَّهاة بمعناها الواسع:"وأمَّا اللَّهاةُ، فهي جَوهرٌ لحميٌّ معلَّقٌ على أعلى الحَنْجَرة كالحِجاب. ومنفعَتُه: تَدريجُ الهواء؛ لئلاَّ يَقْرَعَ ببردِهِ الرِّئةَ فجأةً، ولِيَمْنَعَ الدُّخانَ والغبارَ، ولِيَكُونَ مقرعةً للصَّوْت يُقَوَّى بها. ويَعظُمُ كأنَّهُ بابٌ مُوصَدٌ على مخرجِ الصَّوْتِ بِقَدْرِه"[3].

كلامُ ابن سينا هذا أحدُ الأمثلة التي تُبيِّنُ إدراكَ المتقدِّمين لدَورِ الفراغاتِ الرَّنينيَّة في تقويةِ الصَّوت وتضخيمه، وإلى وظيفةِ اللَّهاةِ (الحنك اللَّحميّ) التي تؤدِّي دَور البوَّابة للصَّوْتِ الخارج من الحَنْجَرة. وهو بعينه ما تذكره كتب علم الأصواتِ المعاصر.

9 . حدَّد ابن سينا بدقَّةٍ مكان خروج الهمزةِ والهاء حيث جعلهما من الحَنجَرة، ووصف كيفية حدوثهما بشكلٍ لافتٍ للأنظار.

10 . جاء وصفُ ابن سينا دقيقاً لحروف الإطباق حين ذكَر التفاوُتَ في انطباق اللِّسان على الحنك في هذه الأصوات على حين أنَّ عبارةَ سيبويه جاءتْ عامَّةً، ولم تُحدِّد لنا مقدارَ هذا الانطباق، وسيأتي تفصيل ذلك.

11 . يَلْتَقي ابن سينا مع المدرسة النقلية في بعض المصطلحات، فمن ذلك: مصطلحا الإطباق والصَّفير حيث استعملَهُما بنفس مفهومهم لهما مع اتساعٍ في حروفهما.

12 . إنَّ معرفةَ ابنِ سينا لكيفيَّة تولُّد الصَّوت الحادِّ والثقيل في الحَنجَرَةِ في قوله:"إذا تَقَارَبَ غُضْرُوفُ الذي لا اسمَ لهُ من الدَّرَقيِّ وضامَّه حدَثَ منه تضيُّق الحَنجَرة، وإذا تنحَّى عنه وباعَدَهُ حدَث منه اتساعُ

(1) انظر: الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص 149 وما بعدها.
(2) القانون في الطب ص 1061 .
(3) القانون في الطب 2/ 1103 .

الحَنجَرة، ومن تَقَارُبِهِ وتَبَاعُدِهِ يحدُثُ الصَّوتُ الحادُّ والثقيلُ"[1]، فيه إدراكٌ صوتيٌّ دقيق لعمليَّة شدِّ الوترَين الصَّوتيَّين وإرخائهما اللَّذين يُسبِّبان التغييرَ في الصَّوت.

13 . تحدَّث ابن سينا عن كمِّية الهواء في الحروف، فمن ذلك ما ذكره بأنَّ كميةَ الهواءِ مع الخاءِ هي هي مع القافِ[2]، وأنَّ كمية الهواء مع الغين هي هي مع الكاف[3]. وهذا يستحِثُّ الباحثين إلى اختبار تدفُّق الهواء في كل الأصوات التي تحدَّث عنها، وبواسطة الأجهزة الصوتيَّة المعَدَّة لذلك.

الفيلسوف القاضي الطبيبُ ابن رُشد (520 . 595 هـ)

محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ رُشْدٍ الأندلسيُّ، أبو الوليد: أعظمُ فلاسفة العرب الأندلسيّين وأبعدهم ذِكْراً. من أهل قرطبة. يُسمِّيه الإفرنج (Averroes). واشتُهِر عندهم بأنَّه أعظمُ شرَّاح أرسطاليس، أو كما يقول دانتي: كان الشارح الأكبر.

عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة، وصنَّف نحو خمسين كتاباً. قال ابنُ الأبار:"كان يُفزَع إلى فتواه في الطبِّ كما يُفزَعُ إلى فتواه في الفقه". ويُلقَّبُ بابن رُشدٍ "الحفيد" تمييزاً له عن جَدِّه أبي الوليد محمَّد بن أحمد[4].

"ولابن رشدٍ ثلاثة أنواعٍ من الكتبِ تناول فيها مؤلَّفات أرسطو:

1 . "جوامع صِغار" فيها يتحلَّلُ من نصِّ أرسطو ويتحدَّثُ بنفسه.

2 . "تلخيصات"، يبدأ الكلامُ فيها في كلِّ فِقرةٍ بقوله: "قال" ثمَّ يُورِد بضع كلماتٍ من أوائل الفقرة، ويَمضي بعد ذلك في الشرح دون أن يتميَّز ما لأرسطو ممَّا لابن رُشدٍ، ويَستَطرِدُ أحياناً، ويأتي بكثيرٍ من الأمثلة من عنده؛ ولكنَّه في هذا كلِّه يُتابِع النصَّ الأصليَّ لأرسطو ويتقيَّدُ به.

3 . "تفسيرات" أو "شروح" فيها يُورِدُ ابن رشدٍ نصَّ كلامِ أرسطو فِقرةً فقرة بحروفها، ثمَّ يأخذ في تفسير عبارات هذه الفقرة عبارة عبارة. وكلامُ ابن رشدٍ متميِّزٌ بوضوح عن نصِّ أرسطو"[5].

وقد تُرجِمتْ كتبُه كلُّها إلى العبريَّة واللاَّتينيَّة، وكان لها تأثيرٌ هامٌّ جديرٌ بالاعتبار، وقد أُدخِلَتْ كتب أرسطاليس في الغرب المسيحيّ . عن طريق العرب . مع شروح ابنِ رشدٍ في وقتٍ واحدٍ، فكانت من مفاتيح النَّهضة الأوروبية الحديثة[6].

(1) أسباب حدوث الحروف ص 65 - 66.

(2) أسباب حدوث الحروف ص 72 .

(3) أسباب حدوث الحروف ص 73 .

(4) انظر ترجمته في الأعلام 5/ 318 .

(5) مقدمة عبد الرحمن بدوي على تلخيص الخطابة لابن رشد ص (ج).

(6) العلم العربي لألدوميلي ص 373 .

وعلى الرَّغم من شهرة ابن رشد العالميَّة إلا أنَّه ـ في الجانب الصوتيّ ـ لم يأت بشيءٍ جديدٍ متميّزٍ يُذكَرُ له كأسلافه الكنديّ والفارابي وابن سينا اللهمَّ إلا في زيادة شرحٍ لبعض الظواهر كظاهرة رفع الصَّوت وخفضه للدَّلالة على معاني الكلام، ويبدو أن احتفاء العالَم المسيحيّ به هو من حيث ارتباطه بأرسطو وكتبه. ولولا أنَّه يُعدُّ من النَّاقلين للعلمِ العربيّ إلى أوروبا عن طريق شروحه التي تُعَدُّ خيطاً من خيوط علم الأصوات المعاصر لما ذكَرتُه هنا.

أهمُّ كتبه: الكلّيات في الطبّ، وتلخيص الخطابة، وتلخيص كتاب النَّفْس، وتهافت التهافت.

ومن أهمّ الأعمال الصوتيَّة التي قدَّمها:

1 ـ فسَّر ابن رشدٍ بعض الظواهر الصَّوتية الفيزيائيَّة كظاهرة انعكاسِ الصَّوت بقوله:"وأمَّا **الصَّدى** فيَحدُثُ عن الهواء الواحدِ بعينه إذا انحَصَر في الشيء الذي يَحويه، ومنَعَه من الخروجِ فيتردَّدُ مندفِعاً في جوانبِ ذلك الشيء بمنزلة الكرةِ اندفاعاً متشابِهاً، فيتكرَّرُ الصَّوتُ الواحِدُ بعينِه على عددِ ذلك الاندفاعِ، ويَعُودُ كأنَّهُ مجاوبٌ للصَّوتِ الأوَّل. وذلك يَعرِضُ كثيراً في المنازلِ التي لا تُسكَن"[1].

2 ـ جاء حديثُه متميّزاً في شرحه للعواملِ المساعِدة التي تُصاحبُ عمليَّة الكلام من أفعالٍ حركيَّة ونغَماتٍ صوتيَّة، وجاء حُكمه حاسماً ـ وهو الخبيرُ ـ بأنَّ عادة العرب في استعمال هذا اللَّون قليلٌ. وهو بهذا يُبْطِلُ مزاعمَ كلِّ مَن يحاوِل اليوم في أن يَجعَل لهذه الظاهرة أصلاً من نُطقِ القراء، بل يدَّعي التواترَ في ذلك، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن هذه الظاهرة.

3 ـ من مميّزات ابن رشد أنَّه صهَر معارف أرسطو في قالبٍ عربيٍّ أصيلٍ ، وانظر الأمثلة التي أتى بها في مصطلح (الأخذ بالوجوه).

4 ـ قدَّم ابن رشدٍ عدداً من المصطلحات الصَّوتيَّة، فمن ذلك تعبيره عن القصبة الهوائيَّة بأنَّها: (آلة التنفُّس والتصويت) إلى غير ذلك من المصطلحات التي ستَرِدُ في البحث.

5 ـ أشار إلى أنَّ خروجَ هواءِ الزَّفير أثناء عمليَّة التَّصويت يختَلِفُ عنه في عمليَّة التنفُّس[2]، وهو عينُ ما تذكُرُه الكتب الصوتية المعاصرة[3].

الخاتمة:

هذه باختصارٍ أهمُّ معالمِ العلمِ الصَّوتيّ عند أصحاب المدرسة العقليَّة من القرنِ الأوَّل إلى القرنِ السادس الهجريّ، بَدَأَتْ بترجمة علوم الأمم السابقة ومعارفها، ثمَّ استُثْمِرتْ هذه المعارف حتى غدت عِلماً ناضجاً

(1) تلخيص كتاب النفس ص 79 .

(2) تلخيص كتاب النفس ص 82 .

(3) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص 103 .

نلاحِظُ آثارَه فيما سجَّله المسلمون في كتبهم ومصنَّفاتهم، وفي امتداد فروعِهِ. لا شكَّ في ذلك. إلى علم الأصوات المعاصِر.

ولئن كانت هذه المدرسة لم توفَ حقَّها في عصرنا الحديث فيرجِع ذلك إلى عدَّة أمور، منها أنَّ أغلبَ ما كُتِب عن هذه المدرسة هو كتاباتٌ عامة لم تَبحث في المعارفِ الفعليَّة لها. وأنَّ أغلب ما كُتِبَ عنها هو بلسان المستشرقين الذين تَتَجمَّع أهدافُهم في خدمة ثقافتهم الغربيَّة، وادِّعاؤهم بأن الحضارة العربية الإسلاميَّة إن كان لها من فضلٍ على العلم، فهو دَورٌ يَقتصِرُ على حِفظ مصنَّفات العلم الإغريقيّ اليونانيّ، وتوصيله إلى أوروبا الحديثة، ليُسْلِموك في النِّهاية . من غير أن تَشْعُر. إلى نتيجةٍ مفادُها أنَّ المعارفَ الإنسانيَّة ما هي إلا نتاج ثقافةٍ غربيَّة وعقل غربيّ. وثالثاً هو شعور أبناء الحضارة الإسلاميَّة بعُقْدَة النَّقصِ والعجْز عن إحياء تراثهم والكشف عن الجوانب المضيئة فيه في قالبٍ عربيّ أصيلٍ.

الباب الثاني: المصطلحات الصوتية

الفصل الأول

أعضاء النُّطق والاستعمال الصوتيّ لها

الباب الثاني: المصطلحات الصَّوتية

هذا البابُ هو لبُّ الرسالة، وهو الثمرة الحقيقية للجهد المضني الذي استغرق فترة البحث الأكاديمية، ورتَّبتُ فيه المصطلحات ترتيباً موضوعيّاً، ووزَّعتُ هذه الموضوعات على فصوله الستة، وكان منهجي في عرض المصطلحات يتَّبع الخطوات التالية:

1 . اتَّبعتُ في عرضِ المصطلحات منهج تفكيكِ الجمل والتعبيرات والمصطلحات الصَّوتيَّة؛ لأنَّني على قناعةٍ تامَّة أنَّ غموض كثيرٍ من التعريفات الصوتيَّة ناتجٌ عن عدم فهم مفرداتِ التعريف، مثال ذلك:

قولُ الكنديّ عن وصفِه لمخرج العين والياء والنون من كلمة: عَين، قال"تَحتاجُ إلى نَغْمَةٍ مع نفَسٍ يَمْتَدُّ إلى اللَّهاة ويقِفُ معها، فهمزةُ اللِّسان إلى اللَّهوات، وفتحةٍ بالغَلْصَمَة، وكسرةٍ، وردّ اللِّسان إلى صَدْرِ الحنك"[1].

نلاحِظُ غموضَ أغلبِ مفرداتِ التعريف، ولا يُمْكِنُ تبيُّن معنى كلام الكنديّ دون شرحٍ لهذه الألفاظ التي تحتها خطٌّ.

كان منهجي في مثل هذه العبارة أن آخذ هذه الألفاظ، وأشرحَ معناها لغوياً واصطلاحياً، ثمَّ أنظرَ إن كان أحد من العلماء استَعمل أحد هذه الألفاظ في غير هذا المعنى فيما يُعرَفُ بالمشترك اللَّفظيّ، أو من استعمَل لها لفظاً آخر بذات المعنى فيما يعرف بالمترادف، وأضمُّ النظيرَ إلى النَّظير، للخروج بفكرةٍ كاملةٍ عن المصطلح واستعمالاته.

فمَن غمَض عليه مفردةٌ من تعريفٍ مَّا فليرجِع إلى الفهرسِ الهجائيّ الخاصّ بمصطلحات البحث وليَبحث عنها هناك فسيَجِد مبتغاهُ إن شاء الله تعالى .

2 . التزمتُ في كل مصطلحٍ صوتيٍّ ذِكرَ أوَّلِ من نصَّ عليه ثم أشهرِ مَن تابَعَه ضمن ما اختير من مراجع البحث.

3 . وفي تفسير المصطلحات لغوياً، حاولتُ أن أوفِّق بين المعاجم على طريقة التلفيق في توضيح المعنى اللُّغويّ، غيرَ مشترطٍ الترتيبَ الزمنيَّ المحدَّد في البحث (القرن السادس الهجريّ)، وكان اعتمادي الأكبر على كتاب مقاييس اللُّغة لابن فارس، لأهمِّيته في جمع المادَّة اللُّغوية الواحدة تحت أصولٍ كبرى تمثِّل المعنى العام، وهذا له أهمِّيته الكبرى في مجال المصطلح.

وإذا قلتُ في المصطلح: (يدلُّ أصله اللُّغويّ على...)، فمعناه أن له دلالةً لغويَّة واحدة.

وإذا قلتُ فيه: (من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على...)، فمعنى ذلك أن له أكثر من دلالة لغويَّة، لكنَّني

(1) رسالة في اللُّثغة ص 526 .

اخترتُ منها ما يُناسِبُ المصطلح، وأهملتُ الباقي.

4 . وإذا كان للمصطلح عدَّة ألفاظ مترادفة قلت: (استُعمل له عدة ألفاظ، منها: ...)

5 . وإذا كان المصطلح من قبيل المشترك اللَّفظيّ قلتُ: (من المشترك اللَّفظيّ، ...، استُعمِل في أكثر من معنى، منها: ...).

ويجبُ التنويهُ هنا إلى أنَّني أذكرُ المصطلح ذا المشترك اللَّفظيّ هو ومعانيه في أوَّل مكانٍ يَرِدُ ذِكْرُهُ فيه، لاكتشاف التسلسل التاريخيّ والتحوُّل الدلاليّ له بدءاً من الأقدَمِ إلى الأحدَثِ، وهو أحد أهداف الدِّراسة الأساسيَّة، وسأُحيلُ على الموضع الأوَّل عند وروده في المواضعِ الأخرى مكتفياً بقول: (...: من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم)، ويكون من السَّهل الرجوع إليه في الفهرس الهجائي للمصطلحات الموجود في آخر البحث.

وجَمْعُ المعاني في موضعٍ واحدٍ سيكشِفُ رحلةَ المصطلح على محور الزَّمن والخيوطَ الدلاليَّة الدقيقة التي تَربِطُ بين معانيه، وإنَّ نثرَ المصطلح في أماكن متفرّقة سيُضَيّعُ هذا التصوُّر الكبير، وانظر من أمثلة هذا الارتباط مصطلح: الاعتماد.

كما أنَّ هذه الطريقة ستُحقِّق التسلسل المعجميّ والموضوعيّ معاً، وتمنعُ من التكرار وتضخيم عدد الصفحاتِ، فمثلاً مصطلح: (الضمّ) وجدتُّ له ثلاثة عشرَ استعمالاً صوتياً، فلا يكونُ مناسباً أن أذكُرَ في كلِّ موضعٍ ورَد فيه الأصلَ اللُّغويَّ والثلاثةَ عشرَ استعمالاً.

وأستثني من هذه النقطة الظواهر الكبرى التي ترتبطُ مع نظائر لها كظاهرة الإطباق والانفتاح لأهمِّيّة أن يُتحدَّث عنهما جميعاً في موضعٍ واحدٍ، ولا يَصِحُّ التفريق بينهما.

6 . وإذا كان المصطلح مركَّباً من كلمتين أو أكثر، قلتُ: (استعمِل كجزء مشارك في: ...).

مثال ذلك: تعبيرهم عن اختلاس الحركة بـ: (لا جزمٌ ولا تَثْقِيل)، فالجزمُ والتثقيلُ جزءآن مشاركان في التعبير عن الاختلاس.

7 . وإذا كان المصطلحُ له دلالةٌ واحدةٌ، غير أنه استُعمِل في أكثر من مكان، قلتُ: (استُعمِل في أكثر من موطنٍ صوتيّ، منها: ...).

8 . وإذا كان المصطلحُ يُمثِّل باباً كبيراً أو ظاهرةً صوتيَّةً كالإدغام والإمالة قلت: (تناول المتقدِّمون: (...) من عدَّة جهات، منها: ...)، وتُمثِّلُ هذه الجهات مجملَ المعرفة التي ذكرها المتقدِّمون عن هذه الظاهرة.

9 . ووضعتُ خلاصةً عن المصطلح العامّ، أو المصطلح الذي له أكثر من استعمال في بدء الحديث

عنه، وجعلْتُها ضمن إطارٍ لمن أراد أن يأخذَ فكرةً مجملةً عن المصطلح، ثم فصَّلتُ بعد ذلك فيمن استعمله من العلماء، ومن تابعَهم، وفي أيّ شيءٍ استُعمِل هذا المصطلح .

10 . وإذا وَضَعْتُ علامتَي تنصيصٍ هكذا "..." فأنا أنقُلُ قولَ العالِم حرفياً مع ذِكر الإحالة بعد هاتَين العلامتَين. أمَّا إذا اكتفيتُ بذكر الإحالة دونهما فأنا أنقُل النَّصَّ، لكن مع تقديم وتأخير وزيادة ونقصان حسب ما يخدُم السياق الذي قيل فيه هذا النصّ.

11 . وإذا وضعتُ معقوفتَين هكذا [...] فأنا أشرحُ لفظةً غامضةً يحتاج النصُّ إلى شرحِها دون أن أزيدَ ثقلاً على الحاشية في تفسيرها.

12 . وراعيتُ في كل ذلك الاختصارَ والتركيز في عرضِ المعلومات إلا إن كان المقام يقتضي التطويل.

13 . واستعنتُ بالصُّوَر في توضيحِ بعضِ المصطلحاتِ؛ فرُبَّ إشارةٍ أبلغُ من عبارة.

14 . وأشرتُ إلى رأي علم الأصواتِ المعاصر في بعض المصطلحات، واضطُرِرتُ في بعض الأحيان إلى وضعِ مرادفٍ أجنبيّ بين قَوسَين لزيادة التفهيم، ولرفع اللَّبس على القارئ خاصةً إذا كان المرادِف العربيّ متعدِّداً، وهذا مِن مُشْكِلاَتِ المصطلح الصوتيّ واللُّغويّ في العالِم العربيّ، كما سيأتي في خاتمة البحث.

15 . ونظراً لأن بحثي يتبع المنهج الوصفيّ التاريخي، فقد آثرتُ وضعَ جدولٍ في آخر البحثِ يتضمَّن تاريخ وفاة العلماء المذكورين فيه؛ حتى يُتَبيَّنَ السابق واللاحق، ولأُظهِر تدرُّج المصطلح تاريخياً، ولِكَي لا أثقل النصَّ والحاشية بسبب تكرار وفَيات العلماء.

16 . وإذا كان العالِمُ مجهولَ الوفاة، وورَد عنه مُصطلَحٌ مَّا، فأنظُرُ إلى سنةِ وَفَاتَي شيخِه وتلميذِه، وأقدِّرُ له وفاةً بينهما. وإذا كانت وفاة العالم استُخدِمتَ له عبارات نحو: بضع أو في حدود أو بعد أو قبل ونحو ذلك قدَّرتُ له وفاة بحسب الرقم الأوسط، يعني لو قيل بضعٌ وثمانون قدَّرتُ له وفاة بـ: 85 وهكذا وذلك لأن الحاسب لا يعرف إلا الأرقام حتى يَتَسَنَّى له ترتيبها.

الفصل الأوَّل: أعضاء الصَّوت والنطق والاستعمال الصوتي لها

أعضاءُ الصَّوت والنطق وأجزاؤهما هي الأساس لدارسي أصوات الحروف العربيَّة، وهي الفاعلةُ في عمليَّتَي التصويت والكلام، ولن أخوضَ كثيراً في التفصيلات التشريحية التي ذكرها الأطباءُ العرب عن أعضاء النطق . مع قيمتها التاريخيّة . إلا فيما يَخدم الاستعمال الصوتيَّ لها[1].

(1) استعنتُ في الجانب التشريحيّ في هذا الفصل بطبيبَين فاضلَين هما: الدكتور محمد عبد الرازق، استشاريّ الأنف والأذن والحنجرة في مستشفى بقشان العام بجدة، والدكتور أمين الكسم، استشاري الأنف والأذن والحنجرة في مستشفى الرازيّ بدمشق الشام.

الألفاظ المستعملة لأعضاء التصويت:

استَعمل العلماءُ لأعضاء الصَّوتِ والنُّطق مصطلحاتٍ عدَّةً نَاظِرينَ إلى أمرَين في تكوين الصوت:

أولاً ـ الجسم، استعملوا له: 1 ـ (العُضْو، والأعضاء)، 2 ـ (الآلة، والآلات)، 3 ـ (الجِرْم، والأجرام).

ثانياً ـ الوظيفة، واستعملوا لها: 4 ـ (المِحَابِسُ، الحَابِسُ والمِحْبُوس)، 5 ـ (القارع، والمقروع)، 6 ـ (القالِع والمِقْلُوع)، 7 ـ (الزَّاحِمُ والمزْحُوم).

ملاحظة: استُعمِل أكثرُ هذه المصطلحات أيضاً للتعبير عن الأجسام في الطبيعة وحركتِها.

أولاً : الألفاظ الخاصَّة بجسمِ هذه الأعضاء

1، 2 ـ المصطلح الأوَّل والثاني لأعضاء الصَّوت والنُّطق: (العُضو والآلة)

العُضو في اللُّغة: واحدُ الأعضاء[1]، يدلُّ على تجزئة الشيء[2].

والآلةُ: الأداة، والجمع: الآلات[3]. وعند المناطقة: هي الواسطةُ بين الفاعل والمنفعِل في وصول أثره إليه، كالمِنشار للنجَّار[4].

استعمَل العلماء مصطلحَي: **العضوِ والآلةِ** مفردَين ومُرَكَّبَين:

فالمفْرَد يُوضِّحُه سياق النصِّ، كقول الكنديّ:"الحروف التي تَعرِض فيها اللُّثغة من قِبَل زيادة **العُضو**"[5]، يعني **بالعضو** اللِّسانَ. وكقول القرطبيّ:"الفتحُ من الألِف، ولا **آلةَ** للألِف يُدْرِكُها النظَر"[6]، يعني **بالآلة** عضوَ النطق من لسان وشفة. وكقول السُّهَيليّ: "الحركة عبارةٌ عن تحريك **العضوِ** الذي هو الشفتان عند النُّطق بالصَّوت الذي هو الحرف"[7].

والمرَكَّب يوضِّحُه في الغالب السِّياقُ والنِّسبةُ إلى الشيء، **كآلات الكلام، وأعضاء التنفس، وآلات الصوت والتصويت، وآلة السَّمع.**

وإليك أمثلةً من استعمالاتهم:

(1) تاج العروس للزَّبيدي 19/ 683 (ع ض و).
(2) معجم مقاييس اللُّغة ص757.
(3) لسان العرب 11/ 39 (أ و ل).
(4) التعريفات للجرجانيّ ص 34.
(5) رسالة في اللُّثغة ص 529.
(6) الموضح في التجويد ص 209.
(7) نتائج الفكر ص 83.

في النُّطق: سمَّى الكنديُّ عضوَ النطق: (**العُضو الذي هو آلة للنُّطق**)[1]، أو: (**العُضو المنطقيّ**)[2]، أو: (**آلة النطق**)[3].

وذاع هذا الأخير، فاستعمَلَه: أبو بكر ابنُ الأنباريّ[4]، وإخوان الصفاء[5]، وابن جنيّ[6]، وعبد الوهَّاب القرطبيّ[7].

وفي الكلام: عبَّر أبو بكر الرازيّ بـ: (**آلات الكلام**) عن اللِّسان والأسنان والشفتَين والمِنْخِرين[8].

وفي النَّفَس والتنفُّس: عبَّر أبو الحسن عليّ بن العباس المجوسيُّ بـ: (**آلات النفَس**) وبـ: (**أعضاء التنفُّس**)[9]، عن اللَّهاة، والحَنجرة، والرئة، والقصبة الهوائيّة، والقَلْب، والحِجاب[10].

واستَعمل ابن سينا: (**أعضاء النَّفَس**) في التعبير عن الحَنجرة، والرئة، والقصَبة، والعروق الخشنة، والشرايين، والحِجاب، وعضَلِ الصدر، والصدْر نفسه[11].

وفي الصَّوت والتَّصْويت: عبَّر ابن ماسَوَيه بـ: (**الآلة التي يكون بها القرعُ**)، وبـ: (**آلات الصَّوت**) عن الحَنجرة، والعضَل المحرِّك لها، والجسمِ الشبيه بلِسان المِزمار [الوترين الصوتيَّين]، والعصَبِ الراجِع إلى فوق[12].

واستعمل الفارابيُّ: (**آلات التصويت الإنسانيّ**)[13]، أو (**آلات التصويت**)[14] و (**أعضاء الصَّوت**)[15] للتعبير عن كلِّ عضوٍ يصوَّت به.

(1) رسالة في اللُّثغة ص 521.
(2) رسالة في اللُّثغة ص 529 و 531.
(3) رسالة في اللُّثغة ص 521 و 529.
(4) الأضداد ص 295.
(5) الرسائل 3/ 118 في قولهم: آلة المنطق.
(6) الخصائص 2/ 454. استعملها بلفظ الجمع: آلات النطق.
(7) الموضَح في التجويد ص 139 و 157 و 172 .
(8) الحاوي 3/ 216. ولا أدري إن كان هذا المصطلح من كلام (اليهوديّ) آخر مذكور في النصِّ الذي أورده الرازيّ أم هو له ؟
(9) كامل الصناعة الطبية 1/ 15.
(10) كامل الصناعة الطبية 1/ 118. وجعْل القلب من أعضاء التنفُّس مفهومٌ قديم لجالينوس (الطبيب اليونانيّ)، تابعه عليه بعض علماء المسلمين، ونقَّضَه الطبُّ المعاصر.
(11) القانون في الطب 2/ 1127.
(12) الحاوي 3/ 170.
(13) الموسيقى الكبير ص 52.
(14) إحصاء العلوم ص 60.
(15) الموسيقى الكبير ص 1068.

واستعمل ابنُ الجزَّار: (**آلات الصَّوت**) للحُلقوم والحَنجرة والحلق[1].

واستعَمل الكنديُّ: (**آلة الطبيعة**) للتعبير عن أعضاء النطق المسؤولة عن الكلام[2].

واستعمل الفارابيُّ: (**الآلةَ الطبيعيّة**) في التعبير عن الحَنجرة، واللَّهاة وما فيها، ثم الأنف[3].

3 . المصطلح الثالث لأعضاء الصَّوت والنُّطق: (الجِرم والأجرام)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصله اللُّغويُّ على القَطْع، ويقال لصِرام النَّخْل: الجَِرام، وقد جاء زمنُ الجِرام.

والجَسَدُ جِرْمٌ؛ لأن له قدْراً وتقطيعاً. ورجلٌ جَرِيمٌ، وامرأةٌ جَرِيمَةٌ، أي: ذاتُ جِرْمٍ أي جِسْمٍ.

وجِرْمُ الصَّوْتِ: جَهارَتُه تقول: ما عَرَفْته إلاّ بِجِرْمِ صَوْتِه. فأما قولُهم لصاحب الصَّوت: إنَّه لحسَن الجِرْم، فقال قوم: الصَّوت يقال له الجِرْم، وأصحُّ من ذلك قولُ أبي بكر بن دُرَيد: إن معناه حسنُ خروج الصَّوت من الجِرْم[4].

استعمل: (الجِرْمُ) بمعنَى الجِسم، في أكثر من موطنٍ صوتيّ، منها:
1 . في تعريفِ الصَّوْت. 2 . في التعبير عن عُضْوِ النُّطْق.

1 . الموطنُ الأوَّل لـ: (الجِرْم) = مشاركٌ في تعريف الصَّوت:

استعملَه إخوان الصَّفاء، وابن سينا[5] في تعريف الصَّوْت، قال إخوان الصفاء:"وكلُّ هذه الأصوات، مفهومِها وغير مفهومِها، حيوانِها وغير حيوانِها، إنَّما هي قرعٌ يَحْدُث في الهواءِ من تَصادمِ **الأجرام**"[6].

2 . الموطنُ الثاني لـ: (الجِرْم) = عضو النُّطق:

استَعمل ابن سينا: (**الجِرْم، الأجرام**) كنايةً عن أعضاء النُّطق أو أحدها، وجعَل منها أجراماً رَطْبةً، ويابسةً، ولَيِّنَةً، وصُلْبةً، قال عن اختلافِ أصواتِ الحُروف بسبَبِ اختلافِ الأعضاء وأنواعِها:"فقد تَخْتَلِفُ بسبب اختلاف **الأجرامِ** التي يقعُ عندها، وبها الحبسُ والإطلاق، فإنَّها ربَّما كانتْ ألْيَنَ، وربَّما كانتْ أصلَبَ،

(1) زاد المسافر ص 171.

(2) رسالة في اللُّثغة ص 531. والطَّبيعةُ عند المناطقة: صفاتٌ موجودةٌ في الشيء يوجَدُ بها على ما هو عليه، ولا تَعدَم منه إلا بفَسَاده، وسقوط ذلك الاسم عنه. (الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 1/ 45).

(3) إحصاء العلوم ص 105. والمشكِل جعلُه اللَّهاةَ من أعضاء الصوت، وربَّما يقصِد بها الحنكَ اللَّحميَّ؛ إذ هو المشارِكُ في عملية النطق، والله أعلم.

(4) انظر: العين 6/ 118، وإصلاح المنطق لابن السكيت ص15، ومعجم مقاييس اللُّغة ص 193 - 194 (ج ر م).

(5) أسباب حدوث الحروف ص56 - 57.

(6) الرسائل 3/ 102 . وانظر: 3/ 123.

وربَّما كانتْ أيْبَسَ، وربَّما كانتْ أرطَب"[1].

واليبوسة والرُّطوبة متعلِّقان بمرونةِ الجسم، والصلابة واللُّيونة متعلِّقان بمقاومةِ سطوحِ الأجسامِ للضَّغط.

وَصَفَ ابنُ سينا انفصالَ طرفِ اللِّسان عن الأسنان، عند انفتاح مخرجِ الطَّاءِ والدَّالِ والتاء بقولِه:"والثَّلاثةُ تشترِكُ في أنَّ القَلْعَ **بِجِرْمٍ** رَطْبٍ لَيِّنٍ عن **جِرْمٍ** صَلْبٍ"[2].

فـ: (**الجِرمُ الرَّطبُ اللَّيِّن**) كنايةٌ عن اللِّسان أو جزءٍ منه، فرطُوبتُه من أجل قَبُوله الضَّغطَ إلى باطنه عند ملاقاته أصول الأسنان، ثمَّ رجوعِه إلى شكِله بعد الانفصالِ عنها، فهو يُشبه الجسمَ الاسفنجيّ. وتأتي ليونتُه من أجل ضعفِ مُقَاوَمَته لذلك الضغط.

و(**الجِرْم الصَّلْب**) كنايةٌ عن الأسنان أو جزءٍ منها، وممانعتها الغمزَ إلى الباطن، لخِلْقَتِها العظْميَّة الصَّلْبة.

ثانياً الألفاظ الخاصَّة بالوظيفة

1 . المصطلح الأوَّل لأعضاء الصَّوت والنُّطق الخاصَّة بالوظيفة: (المَحَابِسُ، الحابس، المحبوس)

يدلُّ الأصلُ اللُّغويُّ على المنْع، حَبَسْتُه حبْساً، وهو حابسٌ ومحبوسٌ[3].

استعمَل ابن سينا لفظ: (**المحابِس**) للتعبير عن أعضاء النُّطق التي تحبسُ الصَّوْت في نقطةٍ مَّا، ليَتولَّدُ الحرف، قال:"وأمَّا حالُ المتموِّج من جهةِ الهيئاتِ التي يستفيدُها من المخارجِ **والمَحَابس** في مسْلَكِه فيَفْعَلُ الحرف"[4]. وهذه النقطة التي يَنْحَبس فيها الصَّوتُ سمَّاها: (**المَحْبِس**)[5]، وهو مرادفٌ للمَخْرَجِ والمقْطَع.

واستعمَل ابن سينا أيضاً لفظَي: (**الحابِس والمحبوس**) على اعتبار أنَّ التقاء أحد عضوَي النُّطق بالآخر أو أجزائهما يحبِسان الصَّوْت عند مروره. وتختلِفُ درجةُ الحَبْس بمقدار مقاومةِ أحدِهما للآخَر.

كما بَيَّنَ ابنُ سينا أنَّ من الحروف ما يكون حبسُ الصَّوت فيها بجزءٍ كبيرٍ من عضو النُّطق كالطاء، حيث "تحدُث عن انطِباق سَطْح اللِّسان أكثرِه مع سَطْح الحنَك"[6]، يعني بالإطباق الذي فيها.

ومنها ما يكونُ بجزء أقلّ من اللِّسان كالتاء إذ هي مثلُ الطاء في الحبس لكن بطرفِ اللِّسان فقط[7].

(1) أسباب حدوث الحروف ص62 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص122. وانظر من أمثلة ذلك أيضاً مخرج الباء ص125 .
(3) المصباح المنير ص118، ولسان العرب 6/ 44 (ح ب س).
(4) أسباب حدوث الحروف ص 60.
(5) أسباب حدوث الحروف ص 78 و 115 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص 79 .
(7) أسباب حدوث الحروف ص 79 .

ونظيرُ ذلك أيضاً: السينُ والصَّاد[1].

2، 3 . المصطلح الثاني والثالث لأعضاء الصَّوت والنُّطق الخاصَّة بالوظيفة: (القارع والمقروع)، (القالع والمقْلُوع):

القرعُ والقَلْعُ مصطلحان كبيران من مصطلحات المدرسةِ العقليَّة، ولعلَّهما رأس المصطلحات التي استُعمِلتْ للتعبير عن كيفيَّة حُدُوثِ الصَّوْت، وما يتعلَّق بذلك. القارعُ عكسُ القالع، والمقروعُ عكْسُ المقلوع.

يدلُّ الأصلُ اللُّغويُّ للقارع والمقروع على ضَرْبِ الشَّيء، يقال: قَرَعتُ الشَّيءَ أقْرَعُه: ضَرَبْتُهُ. ومقارعةُ الأبطال: قَرْعُ بَعْضِهم بعضاً[2].

أمَّا القالعُ والمقلُوع فيدلُّ أصلُهما اللُّغويُّ على انتِزاع شيءٍ من شيءٍ، ثمَّ يُفرَّع منه ما يُقارِبُه. تقولُ: قَلَعتُ الشيءَ قَلْعاً، فأنا قالِعٌ وهو مقلُوع[3].

استُعمِلتْ هذه المصطلحاتُ في وصفِ كيفية حدوث الصَّوت، إذ يشترَطُ لحدوثه وجود قوَّة صادِمة، ومصدومة مع مقاوَمةٍ ووسطٍ بينهما، وكلُّ أعضاء النُّطقِ تصلُح لذلك، لكن هذه المصطلحات بالإضافة إلى مصطلح: (المحابس) تُعبِّرُ عن هذا التحرُّك.

والحديث عن القارع والمقروع والقالع والمقلوع هو حديثٌ عن القَرع والقَلْع، وسأبحثهما في النقطة التالية:

استُعمِل مصطلحا: (القَرْع والقَلع) تعبيراً عن القوَّة الضَّاغطة لإحداث الصَّوت في أكثر مِن مَوطنٍ صوتيّ، منها:

1 . تعريف الصَّوت وحُدُوثِه. 2 . في وصف خروج بعض أصوات الحروف.

1 . المَوطنُ الأوَّل لـ: (القَرْعِ والقَلْع) = تعريف الصَّوت وحدوثه:

تقدَّم أنَّ ابن ماسَوَيه عبَّرَ بـ: (الآلة التي يكون بها **القَرْعُ**)، عن الحَنجرة، والعضَل المحرِّك لها، والجسمِ الشبيه بلِسان المزمار [الوترين الصوتيَّين]، والعصَبِ الراجِع إلى فوق[4]. وهو يَعني بشكلٍ أكيدٍ عمليَّةَ التصويت التي تحدُثُ في الحنجَرَة، وما يصاحِبُ ذلك.

(1) أسباب حدوث الحروف ص 77 . وانظر: ص122 .
(2) معجم مقاييس اللُّغة ص 850 (ق ر ع).
(3) معجم مقاييس اللُّغة ص 830 (ق ل ع).
(4) الحاوي 3/ 170.

واستعمله أبو بكر الرازيُّ الطبيب، وذكَر أنَّ **القَرْعَ** يكون بانضِغاطِ الرِّيح في الحَنْجَرة[1].

وعرَّفَ الفارابيُّ: (القَرعَ)، فقال:"**والقَرْعُ** هو مُمَاسَّةُ الجِسمِ الصُّلْب جِسماً آخَرَ صُلْباً مُزَاحِماً له عن حركة"[2].

وذكَر الفارابيُّ أنَّ مقاوَمَةَ **المقروعِ للقَارِعِ** مع تَمَاسُكِ أجزائِهِ تُحدِثُ الصَّوتَ[3].

وعرَّفَ إخوانُ الصَّفاء الصَّوتَ بأنَّه: **قَرْعٌ** يَحْدُثُ من الهَوَاء إذا صَدَمَتِ الأجسامُ بعضَها بعضاً، فتَحْدُثُ بين ذَينِكَ الجِسْمَينِ حركةٌ عرَضِيَّةٌ تُسَمَّى صوتاً، بأيِّ حركةٍ تحرَّكَتْ، ولأيِّ جسمٍ صَدَمَتْ، ومن أيِّ شيءٍ كانتْ"[4].

وعرَّفَ ابنُ سينا القَرْعَ والقَلْعَ، فقال:"**القرعُ**: هو تقريبُ جِرْمٍ مَّا إلى جِرْمٍ مقاوِمٍ له لمزَاحمَتِه؛ تقريباً تَتْبَعُهُ مُمَاسَّةٌ عنيفةٌ لسُرْعةِ حركةِ التقريب وقوَّتِها. **ومُقابِلُ هذا** تَبْعيدُ جِرْمٍ مَّا عن جِرْمٍ آخَر مُماسٍّ له، منطَبِقٍ أحدُهما على الآخَر، تبعيداً ينقلِعُ عن مُمَاسَّتِه انقلاعاً عنيفاً لسرعةِ حركةِ التَّبْعيد، وهذا يتْبعُه صوتٌ من غير أن يكون هناك قَرْعٌ "[5].

والقَرْعُ والقَلْعُ عند ابنِ سينا علَّتَا حدوث الموجات الصَّوتيَّة، قال:"وللتَّمَوُّجِ علَّتان: **قَرعٌ وقَلْعٌ**"[6].

وبيَّن ابنُ سينا تأثيرَ القرعِ والقَلْعِ في الضَّغط على الوسطِ النَّاقل للصَّوت، وهو الهواء هنا، قال:" ولكنَّه إنَّما يَلْزَمُ في كلا الأمرَين شيءٌ واحدٌ، وهو تموُّجٌ سَريعٌ في الهواء، أمَّا في **القَرْع** فلاضطرارِ **القارِعِ** الهواءَ إلى أن يَنضَغِطَ وينفلِتَ من المسافةِ التي يسلُكُها **القارعُ** إلى جَنبَتَيها بعنفٍ وقوَّة، وشدَّةٍ وسرعة، وأمَّا في **القَلْعِ** فلاضطرارِ **القالعِ** الهواءَ إلى أن يندفِعَ إلى المكان الذي أخلاهُ **المَقْلُوعُ** منهما دُفعةً بعنفٍ وشدَّة، وفي الأمرَين جميعاً يَلْزَمُ المتباعِد من الهواءِ أن ينقادَ للشَّكْل والمَوْجِ الواقِع هناك"[7].

وذكَر ابن الطحَّان الموسيقيُّ أنَّه لا يَكُونُ صَوتٌ إلا **بِقَرْعٍ**[8].

وذكَر ابن رشدٍ أنَّ الصَّوتَ يحدُثُ عن **القَارِعِ** بضَغْطِهِ وعن **المَقْرُوعِ** بمُقَاوَمَته[9].

(1) الحاوي في الطب 3/ 166.
(2) الموسيقى الكبير ص 212 .
(3) الموسيقى الكبير 213 .
(4) الرَّسائل 3/ 95 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص57 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص58 .
(7) أسباب حدوث الحروف ص57 .
(8) حاوي الفنون ص 183 .
(9) تلخيص كتاب النفْس ص81 وانظر: ص 78 .

2 . المَوطنُ الثاني لـ: (القرع والقَلع) = وصفُ خروج بعض أصوات الحروف

فمن ذلك ما ذكَره ابنُ سينا من أنَّ الباء المشدَّدة (P)"تحدثُ بشدٍّ قويٍّ للشفتَين عند الحَبس، **وقَلْعٍ** بعنفٍ، وضغطٍ للهواءِ بعُنْف"[1].

وأنَّ الواو تَتِمُّ هيئتُها **بالقَلْع**[2]. وفي اللاَّمِ يكونُ حبسٌ بطرفِ اللِّسان رَطْبٌ جِدّاً ثم **قَلْعٌ**[3].

وأنَّ الطاءَ من الحُرُوفِ الحَادِثَةِ عن **القَلْعِ** دُونَ **القَرْعِ**. يعني بتباعدِ عُضوي النُّطق[4].

وتأثَّر بعض أصحاب المدرسة النقليَّة بهذا المصطلح، فاستعمله الدانيُّ في وصف الإشمام في الحرف السَّاكن[5]، وفي الرَّوم[6].

واستعمله ابنُ الطحَّان الأندلسيُّ في تعريف السُّكون الحيّ[7].

4 . المصطلح الرَّابع لأعضاء الصَّوت والنُّطق الخاصَّة بالوظيفة: (الزَّاحِم والمَزْحُوم)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على الدَّفعِ بشدَّة، وأكثرُ ما يَكُونُ ذلك في مَضِيقٍ. وزَحَمَ القومُ بعضُهمْ بعضاً، تَضَايَقُوا في المجَالِس[8].

استُعمِلت ألفاظُ: (الزَّحْمُ والتزَاحُمُ والمزَاحَمَةُ)، في أكثر من معنى، منها:

1 . القوةُ الضَّاغطةُ من أحد الجِسْمَين على الآخَر. 2 . تَقاربُ الحرفين في المخرج الواحد كالطاء والتاء. 3 . أخْذُ حُكمٍ مكانَ حُكْمٍ.

المعنى الأوَّل لـ: (الزَّحْمُ والمُزاحمةُ) = القوةُ الضَّاغطةُ من أحد الجِسْمَين على الآخَر:

كما ساغ لبعض العلماء أن يستعمل القارع والمقروع في وصف القوة الصادمة والمصدومة في وصفِ كيفية حدوث الصَّوت استَعمل بعضٌ آخر (الزاحمَ والمزحوم) للتعبير عن ذلك أيضاً، فاستَعمل الفارابيُّ ألفاظَ: **(الزَّحْمِ)** في التعبير عن نوعيَّة الجسمين اللَّذين يصْدِمُ أحدهما الآخَر، مشترِطاً لحُدُوث الصَّوت فيهما صلابةَ الجسمِ المقاوِمِ، قال:"إنَّ مِنَ الأجسامِ ما إذا **زَحَمَهُ** جِسمٌ آخَرُ لم يُقَاوِمِ **الزَّاحِمَ** وانقادَ لهُ، إمَّا

(1) أسباب حدوث الحروف ص 92.
(2) أسباب حدوث الحروف ص 124 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 81 . وانظر ص 122 .
(4) أسباب حدوث الحروف ص 79 .
(5) التحديد ص 169 وجامع البيان ل 183/ أ .
(6) انظر: المطبوع من جامع البيان 2/ 429 .
(7) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل 9/ ب .
(8) المصباح المنير ص 252 .

أن يَندَفِعَ إلى عُمْقِ نَفْسِه مِثْل الأجسامِ الجامِدَةِ اللَّيِّنة، أو أن يَنْخَرِق **للزَّاحِمِ** مثل الأجسامِ الرَّطْبَة، أو أن يَنْتَحِيَ إلى الجهةِ التي إليها كانت حركةُ **الزَّاحِمِ** مِن غيرِ مُقَاوَمةٍ أصلاً، فمتى كان كذلك لم يُوجَدْ في الجِسمِ الذي **زُحِمَ** صَوتٌ أصلاً.

ومنها ما إذا **زُحِمَ** بجسمٍ آخَرَ قَاوَم **الزَّاحِمَ**، فلم يَنْخَرِق له، ولم يَندَفِع لا إلى عُمْقِ نَفْسِهِ ولا إلى الجهة التي إليها حركةُ **الزَّاحم**، وذلك مثل جميع الأجسامِ الصّلبةِ، متى كانت قُوَّةُ **الزَّاحِمِ** دونَ قُوَّةِ الذي **زُحِم**، وحينئذٍ يُمكِنُ متى قُرِعَ أن يُوجَدَ له صَوْتٌ"[1].

وتابعَه: ابنُ سينا، لكنْ بألفاظ: (**المزاحمة**)، ووظَّفه في شرحه لأسبابِ حدُوث الحروف، فمن ذلك: ما ذكَره أنَّ الألفَ المصوّتةَ والفتحةَ مخرجُهُما مع إطلاقِ الهواء سَلِساً غيرَ **مُزَاحَمٍ**[2]، وأنَّ الواوَ المدِّيَّةَ والضمَّةَ يخرُجان مع **أدنى مُزَاحَمَةٍ** وتضييقٍ للشفتَين... وأن الياءَ المدِّيَّةَ والكسرةَ تكونُ **المُزاحَمَةُ** فيهما بالاعتِمادِ على ما يَلِي أسْفَلَ قليلاً[3].

المعنى الثاني لـ: (التَّزاحُمُ والمُزاحَمَةُ) = تقاربُ الحرفين في المخرج الواحد كالطاء والتاء:

استَعمَل السَّعيديُّ لفظ: (**التَّزاحُم**) في تعليلِه للإخفاء والإدغام، قال:"ولا يَكُونُ الإخفاءُ والإدغامُ إلاَّ لمقارَبَةِ الحرفَين، أو **لِتَزَاحُمِهما** في المخرجِ الواحِدِ"[4]. جعَلَ الحرفَين من مخرجٍ واحدٍ مُتَضايِقَين في مخرجِهما.

وتابعَه: القرطبيُّ، واستَعملَه في مَوْطنِ النُّصْح لمتَعَلِّمِ التجويد بِتَرْوِيضِ نفْسِه في الأحكام، قال:"فمَن كانَ ذا نفسٍ ساميةٍ إلى التبحُّرِ في هذا الفنّ، والاتِّسامِ بهذا العِلم، فَلْيَرُضْ نفْسَهُ في قَصْرِ كلِّ حرْفٍ من الحروفِ الأصولِ على مخرجِهِ وحدَهُ، وقَطْعِهِ عَنْ **مُزَاحِمِه** وضِدِّه..."[5].

المعنى الثالث لـ: (المُزاحَمَةُ) = أخْذُ حُكمٍ مكانَ حُكْمٍ:

نبَّه القرطبيُّ على العناية بِتَشْدِيدِ الواو والياء المشدَّدتَين، وعدم تلْيينهما في نحو قوله تعالى: [بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ] و[بِالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ]، قال:"فوَجَبَ المبَالَغَةُ في التشديدِ؛ لئلاَّ **يُزَاحِمَهُ** التلْيين"[6].

الألفاظ الخاصَّة بالأجزاء

استُعمِل لأجزاءِ الأعضاء المستعمَلة في التصويت عدة مصطلحات، منها:

(1) الموسيقى الكبير ص212 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص 84 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 126 ، وانظر: ص 73.
(4) اختلاف القراء في اللام والنون ص 64 .
(5) الموضح ص 99 .
(6) الموضح ص 144 .

1 . (الجُزْءُ، والأجْزاءُ)، 2 . (الطَّائفة).

1 . المصطلح الأوَّل لأجزاء أعضاء النُّطق: (الجُزْء والأجْزَاء)

من المشترك اللَّفظيّ.

في اللُّغة الجُزْءُ والجَزْء: البَعْض، والجمعُ أجْزَاء. وهو ما يتركَّبُ الشَّيء منه ومن غيرِه، جَزَأَ الشيءَ جَزْءاً وجَزَّأه، كِلاهما: جعَلَه أجزاء، وكذلك التَّجْزِئة[1].

استُعمِل: (الجُزْءُ والأجْزَاء) في أكثرَ من معنى، منها:

أ . بعضُ الشيء، واستعمِل بهذا المعنى في أكثر من مَوطنٍ صوتيٍّ، منها:

1 . أعضاء النُّطق 2 . الحركات.

ب . الجُزَيْئَات = جُزَيئات: الهواء، الصَّوت، الموادّ.

أ . المعنى الأوَّل لـ: (الأجزاء) = بعضُ الشيء:

وذلك في موطنَين:

1 . الموطنُ الأوَّل لـ: (الأجزاء) = أبعاضُ أعضاء النُّطق للتعبير عن تأثيرها المباشر في التَّصْويت:

استعملَ الفارابيُّ: **(الأجزاء)** تعبيراً عن صَدم الهواء المصَوِّت جُدْرَان تجويفات أعضاء النُّطق وأجزائها، قال:"والتصويتُ الإنسانيُّ يَحدثُ بسلوك الهواء في الحُلُوق، وقرعِهِ مقعَّراتِ **أجزاءِ** الحُلُوق، **وأجزاءِ** سائرِ الأعضاء التي يَسلك فيها، مِثْلَ **أجزاءِ** الفَم، **وأجزاءِ** الأنف"[2].

واستعمل ابن سينا: **(الجزء والأجزاء)** بإسرافٍ كبيرٍ عند شرحه لكيفية حدوث أصوات الحروف[3].

واستَعْمَل الدانيُّ: **(الأجزاء)** في تعريف صوت الألف، قال:"وهي: صَوتٌ لا يَعْتَمِدُ اللِّسانُ فيها على شَيءٍ مِن **أجْزَاءِ** الفَم"[4].

وكذا استَعمله ابنُ الطحَّان الأندلسيُّ[5].

واستَعمَلَه أيضاً في شرح إخفاء النُّون حيث يُلغى مخرج النُّون اللسانيّ ويبقى مخرجُها الخَيْشُوميّ،

(1) التعريفات للجرجانيّ ص75، ولسان العرب لابن منظور 1/ 45 (ج ز أ).

(2) الموسيقى الكبير 1066.

(3) انظر: أسباب حدوث الحروف ص79، و75، و77، و82... الى غير ذلك من المواضع .

(4) التحديد ص102 . وانظر ص: 120 .

(5) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل 9/ ب.

قال:"حَقيقةُ الإخفاء أن يَبْطُلَ عِند النُّطق بالنُّونِ **الجُزْءُ** المعْمَلُ لَها من اللِّسان عند التَّحريك والبَيَان، فَلاَ يُسْمَعُ إلا صَوْتٌ مُرَكَّبٌ عَلَى الخَيْشُوم"(1).

2 . الموطنُ الثاني لـ: (الأجزاء) = أبعاضُ الحركات:

قال ابنُ جنيّ عن علاقةِ الحركة بحرف المدِّ:"الحركاتُ أوَائِل لحُرُوفِ المدِّ **وأجزاء** مِنها"(2).

وذكَر القرطبيُّ أنَّ الإشمامَ، الذي هو ضمُّ الشفتَين بعد سكون الحرف،"يُشارِكُ الرَّوْمَ في أنَّه إبْقاءُ **جُزْءٍ** من الحركةِ، لكن بعْدَ قَطْعِ الصَّوت قَبْلَ الإتيانِ بهذا **الجُزْء**"(3).

ب . المعنى الثاني لـ: (الأجزاء) = جُزَيئات: الهواء، الصَّوت، المَوادّ:

استَعمل الفارابيُّ: (**الأجْزاء**) بمعنى الجُزَيئات في حديثه عن الرَّوابط التي تَربِطُ بين هذه الجزيئات، وتأثير ذلك على الصَّوت، فمتى كانت الرَّوابِط بين الجُزَيْئَات (هواء، صوت، موادّ) قويَّةً متماسِكةً خرَج الصَّوْتُ . بعد الصَّدْم . أجودَ، وإذا كانت الرَّوابِطُ بين الجُزَيْئات مُتَخَلْخِلةً ضعيفةً خَرَج الصَّوتُ أقلَّ جودةً، قال الفارابيُّ:"ومتى نَبَا [ابتَعدَ بسُرْعةٍ وحركةٍ] الهواءُ من بَين القارِع والمقروعِ مجتمِعاً مُتَّصِلَ **الأجزاءِ**، حدَثَ حينئذٍ صوتٌ، وكلَّما كان الهواءُ النَّابي من بينهما أشدَّ اجتماعاً، فحدوثُ الصَّوْت فيه أمكنُ وأجْوَدُ، وذلك مثلُ ما يَنْبُو متى قُرِعَت الأجسامُ الصُّلْبَةُ المِلْسُ المتراصَّةُ **الأجزاءِ**، مِثْل النُّحاسِ والحديد، ومتى كان المقروعُ خَشِناً أو مُتَخَلْخِلَ **الأجزاءِ**، كان ذلك فيه أقلَّ إمكاناً، وأقلُّ ذلك إمكاناً الصُّوفُ والإسفنج"(4).

ويعنى ذلك فيزيائيّاً أنَّ قوَّةَ الارتباط بين الأجزاء أو الجُزَيئات تَسَبَّبَ في زيادةِ ذبذبات الصَّوت (Frequency)، وضعفُ الارتباط بين الجزيئات تَسَبَّبَت في نقصانِ الذَّبْذَبات.

وقد استَعمَل ابن سينا: (**الأجزاء**) أيضاً في وصفِه لكيفيَّة حدوثِ الحاء، وأنَّها عبارةٌ عن احتكاكٍ لجُزَيْئَاتِ الهَوَاءِ المقَاوِم بجُدران تَجويفِ الحَلْق، قال:"والحاءُ مثلُها [مثل: العَين] إلاَّ أنَّ فَتْحَ الذي لا اسمَ له أضْيَقُ [الغُضروفُ الحَلَقيّ]، والهَواءُ ليس يُحْفَزُ [يُدْفَعُ] على الاستقامةِ حَفْزاً، بل يَمِيلُ إلى خَارِج، حتى يَقْسِرَ [يَغْلِبَ] الرُّطوبةَ [الهواءَ المقَاوِم]، ويَهُزَّها إلى قُدَّام، فتَحْدُثُ من انزِعَاجِ [إزالةِ] **أجْزائِها** إلى قُدَّام هيئةُ الحاء"(5).

2 . المصطلح الثاني لأجزاء أعضاء النُّطق: (الطائفة)

(1) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل 7/ أ.

(2) سر صناعة الإعراب 1/ 23 .

(3) الموضح ص209.

(4) الموسيقى الكبير ص213، وانظر: ص1070.

(5) أسباب حدوث الحروف ص73 .

في اللُّغة أن كلَّ جَماعةٍ يُمكِنُ أن تَخُفَّ بشيءٍ فهي عندهم طائفةٌ، ولا يكاد يكون هذا إلا في اليسير. ثم يتوسَّعون في ذلك من طريق المجاز فيقولون: أخَذْتُ طائفةً من الثَّوْب، أي: قِطْعةً مِنه، وهذا على المجاز؛ لأن الطائفةَ من الناس كالفِرْقَة والقِطْعَة منهم[1].

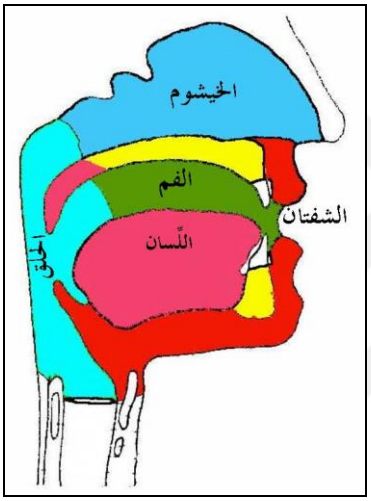
استَعمل مكِّيّ بن أبي طالبٍ القيسيُّ لفظ: (**الطائفة**) في تعليلِه لتسميةِ حروف الإطباق، قال:"وإنَّما سُمِّيَتْ بحروفِ الإطباق، لأنَّ **طائفةً** من اللِّسان تَنْطَبِق مع الرِّيح إلى الحنك عند النُّطقِ بهذه الحروفِ، وتَنْحَصِرُ الرِّيحُ بين اللِّسانِ والحنَكِ الأعلى"[2].

وتابعَه ابن الطحَّان الأندلسيّ[3].

الألفاظ المستعملة للتجويفات

استُعملت عدَّةُ ألفاظٍ للدَّلالة عليها، منها:

1 . (الجَوْفُ) 2 . (الهَوَاءُ) 3 . (الخَرَقُ) 4 . (التَّجْوِيفُ والتَّجْوِيفَاتُ) 5 . (الفَضَاءُ) 6 . (المقَعَّرَاتُ) 7 . (المجْرَى والمجَارِي). ويبيّن شكل رقم (1) تجويفات أعضاء النُّطق.



شكل رقم (1) تجويفات أعضاء النُّطق

1 . المصطلح الأوَّل من تجويفات أعضاء النُّطق: (الجَوف)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الخَلاءِ، قال الخليل:"**والجَوْفُ**: خَلاءُ الجَوْف، كالقَصَبةِ الجَوْفاءِ"[4]. وجوفُ كلِّ شيءٍ: قعرُه وداخلُه وباطنُه، واستُعمِل في كلِّ ما يَقْبَلُ الشُّغْلَ والفراغ[5]، وعلى هذا كلُّ تجويفٍ من تجويفات أعضاء النُّطق هو جَوْفٌ، فمن ذلك استعمالُ الخليل لَفظ: (حِجَاب **الجَوف**) تعبيراً عن الحجاب الحاجِز، وعلى ذلك يصِحُّ أن نَعُدَّ المجرى الهوائيَّ جَوفاً كلِّيًّا، والله أعلم.

نسَب الخليلُ حروفَ المدِّ والهمزة إلى **الجَوْف**؛ لأنَّه لم يَجد اعتراضاً حقيقياً من أعضاء النُّطق على صوت هذه الحروف على طول مجرى النُّطق؛ فنسبَها إليه، قال:" في العربية تسعةٌ وعشرون حرفاً: منها خمسةٌ وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحيازٌ ومدارج، وأربعةُ أحرفٍ جُوف، وهي: الواوُ والياء والألف اللَّينة والهمزة،

(1) معجم مقاييس اللُّغة ص 604 (ط و ف).
(2) الرِّعاية ص122.
(3) مخارج الحروف وصفاتها ص131 .
(4) العين 6/ 189.
(5) ابن دُرَيد في الجمهرة 2/ 108 و 3/ 226 والمصباح المنير ص 115.

وسُمِّيتْ جُوفاً؛ لأنها تَخرج من **الجَوف**، فلا تَقَعُ في مَدْرَجَةٍ مِن مَدَارج اللِّسان، ولا مِن مدارج الحلق، ولا مِن مَدرَج اللَّهاة، إنما هي هاويةٌ في الهَوَاء، فلَم يَكُن لها حَيِّزٌ تُنْسَبُ إليه إلا **الجَوْف**"[1] .

وفي مَوضعٍ آخر من كتابه لقَّب هذه الحروف الأربعة بـ: (الحروف **الجَوْفِيَّة**)[2].

وجَعْلُ الخليلِ الهمزةَ من **الجَوْفِ** يكونُ فقط عند إبدالها حرفَ مدٍّ؛ إذ أدرك الخليلُ مستويَين لنطق الهمزة: محقَّقةً، ومخفَّفة، بدليل قوله في موضِعَين آخَرَين:"وأما الهمزةُ فمُخرجها من أقصى الحلق مهتوتةً مَضغوطةً، فإذا رُفِّه عنها لانَتْ فصارت الياءَ والواوَ والألفَ عن غير طريقة الحروف الصِّحاح"[3]، وقال:"ويقال: الهمزُ صوتٌ مهتوتٌ في أقصى الحلق؛ فإذا رُفِّه عن الهمز صار نفَساً، تحوّل إلى مخرج الهاء"[4]. فالخليل أدرك بحسِّه الصوتيّ الدَّقيق أنَّه قد يُتخلَّص من ضغط الهمزة بتحويلها نفَساً إلى مخرج الهاء، أو تحويلها حرفَ مدٍّ، ولذلك جعلَها في الهواء. ووصَف الخليلُ أيضاً حرفَ اللِّين بأنه "خوَّارٌ **أجْوَف**"[5].

تابَع مكِّيّ الخليلَ في التلقيب، لكن لحروف المدِّ فقط، جاعلاً زيادة الهمزة ليس من عمل الخليل[6].

ولقَّب الدانيُّ حروفَ المدِّ والهمزة بـ: (حروف **الجَوْف**)[7].

واستعمل أبو حاتم الرازيُّ: (**جوف** الحَنَك) للتعبير عن خروج حروف المدِّ منه[8].

2 . المصطلح الثاني من تجويفات أعضاء النُّطق: (الهَواء)

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصله اللُّغويُّ على خلوٍّ وسقوط، أصله: الهواء بين الأرض والسماء، سمِّي لخلوّه، قالوا: وكلُّ خالٍ هواءٌ[9].

استُعمِل: (الهَواءُ) في أكثر من معنىً، منها:
1 . الفَرَاغ. 2 . الهَوَاء الذي يُحْدِثُ الصَّوْت. 3 . هواء التنفُّس.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الهواء) = الفَرَاغ والشيء الخالي:

(1) العين 1/ 57. وقال في 1/ 58: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلَّق بها شيء.

(2) العين 8/ 91 .

(3) العين 1/ 52.

(4) العين 3/ 349.

(5) العين 3/ 352.

(6) الرعاية ص 142، قال: سمَّاهن الخليل بذلك؛ لأنه آخرُ انقطاع مخرجهنّ، وهو الجَوف، وزاد غيرُه معهنّ الهمزةَ؛ لأن مخرجها من أقصى الحلق، وهو يتَّصِل بالجَوف اهـ.

(7) التحديد ص 109.

(8) الزينة ص 64.

(9) مقاييس اللغة ص 1017.

نسَب الخليلُ حروفَ المدِّ إلى الهَواء، وهو الفراغ؛ لاتِّساع مخارجِها، ولقَّبَها بـ: **(الهوائيَّة)**.

نقَل اللَّيثُ عن الخليل:"وكان يقول كثيراً: الألفُ اللَّينة، والواو، والياء **هوائية**، أي: أنها في **الهَواء**"[1].

وفي موضعٍ آخر أضاف الهمزة[2]، وقد تقدَّم أن الهمزة تُنْسب إلى الفراغ في حالتها المخفَّفة .

وتابعَه: مكِّيّ[3].

ولقَّب الهمَذانيّ حروفَ المدِّ بـ: **(الجُوفِ الهوائيَّة)**[4].

وذكَر الخليلُ ـ أيضاً ـ أن الألفَ هافِيَةٌ في **الهَواء**[5].

واستعمل الجاحظُ: **(الهَواء)** في حديثه عن اللِّسانِ، وأهمِّيَّة حَجْمِه في عمليَّة الكلام، قال:"وإذا وَجَدَ اللِّسَانُ من جَميعِ جِهَاته شيئاً يَقْرَعُه ويَسُكُّهُ، ولم يَمُرَّ في **هَوَاءٍ** وَاسِع المجَال، وكان لِسانُه يَمْلأُ جَوْبَةَ فَمِه، لم يَضُرُّهُ سُقوطُ أسنانه إلا بالمِقْدَارِ المغْتَفَرِ والجُزْءِ المحْتَمَل"[6].

وكلامُ الجاحظ يَحتاجُ إلى اختبار، وسؤال مُختَصِّي التَّخاطُب عن ذلك.

واستعمل السَّعيديُّ: **(هواء الجَوف)** لوصف الواو والياء، قال:"وهما هوائيتان يخرجان من **هواءِ الجَوف**"[7].

واستَعمل مكِّيّ: **(هواء الحلق)**[8] و **(هواء الفم)**[9] للتعبير عن خروج الألف منهما.

وتابعه السُّهيليُّ على هذا الأخير[10].

واستعمل مكِّيّ ـ أيضاً ـ **(هواء الفم)** للتعبير عن جريان حروف المدِّ فيه[11].

وتابعَه الهمَذانيّ[12].

(1) العين 1/ 57.
(2) قال في 1/ 58: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلَّق بها شيء.
(3) الرعاية ص 126.
(4) التمهيد في معرفة التجويد ص 279.
(5) العين 4/ 95 . وفسَّر الخليل الهُفْوَ هناك بـ: الذَّهَابِ في الهَوَاء.
(6) البيان والتبيين 1/ 46 .
(7) اختلاف القراء في اللام والنون ص 66.
(8) الرعاية ص 94.
(9) الرعاية ص 139 و 160.
(10) نتائج الفكر ص 180.
(11) الرعاية ص 126.
(12) التمهيد في معرفة التجويد ص 279.

وهكذا الأمرُ عند المحْدَثين يَعُدُّون فَراغَ الفَم مخرجاً لحروف المدِّ لكن بشرط اتخاذ اللِّسان وضعاً معيَّناً في كلِّ حرف منها[1].

وذكر الدانيُّ عن الألف أنَّها صوتٌ في **الهواء**[2].

2 . المعنى الثاني لـ: (الهواء) = الهواء الذي يُحْدِثُ الصَّوْت:

استَعمَل سيبويه: (**هَواءَ الصَّوْت**) للتعبير عن حرِّيَّة مرور صوتِ حروف المدِّ في مخارجِها المتَّسِعة له[3].

وتابعَه: الدانيُّ[4].

واستَعمل ابن سينا: (**الهَواء**) بمعنى الهواء المحْدِث للصَّوت في كلِّ حديثه عن الحروف، وكيفيَّة خروجِها[5]، ونبَّه على أنَّ المقصود من الهواء في حديثه هو: (**الهَواءُ الفَاعِلُ للصَّوْت**)[6].

3 . المعنى الثالث لـ: (الهواء) = هواءُ التنفُّس:

استُعمِل: (**الهواء**) في شرح عمليَّتي التنفس[7] التي تتِمُّ بهواء الشهيق، وأطلقوا عليه: (**الهواء** البارد)، وهواءِ الزَّفير وأطلقوا عليه: (البخار الدخانيُّ، أو: (الفضل الدخانيُّ)[8].

3 . المصطلح الثالث من تجويفات أعضاء النُّطق: (الخَرْق)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على مَزْقِ الشيء وجَوْبِه، واختَرَقَتِ الريحُ الأرضَ، إذا جابَتْها، والمخْتَرَقُ: الموضِعُ الذي يَخترِقُه الرِّياح[9].

استعمل الفرَّاء (**خَرْقَ الفم**) كتعبيرٍ عن التجويفِ الفمويّ في مخرجِ الفتحة، قال:"والفتحةُ تَخرجُ من **خَرْقِ الفَم** بلا كُلْفة"[10].

واستعمله الهمَذانيّ كمخرجٍ لحروف المدِّ، قال:"والهاوي: الألف، والياء والواو إذا سكنتا بعد حركتَيهما،

(1) انظر : دراسة السَّمع والكلام لسعد مصلوح ص235 وما بعدها .
(2) التحديد ص 120.
(3) انظر: الكتاب 4/ 176، و 435 .
(4) التحديد ص 108 .
(5) انظر أمثلة من ذلك في رسالة أسباب حدوث الحروف ص72، و 74 ، و 77 ... الخ .
(6) أسباب حدوث الحروف ص60 .
(7) انظر: كامل الصناعة الطبية للمجوسي 1/ 123، والتصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي 1/ 15، والقانون في الطب لابن سينا 2/ 1103 ، والمعتبر في الحكمة لابن ملكا 2/ 262 ، وتلخيص كتاب النفس ص 82 .
(8) انظر: الحاوي في الطب للرازي 3/ 282 ، وكامل الصناعة الطبية للمجوسي 1/ 118 و 123 .
(9) مقاييس اللُّغة ص 293.
(10) معاني القرآن 2/ 12.

سمِّيتْ بذلك لأنها تَهوي في **خَرق الفم** إلى ما بين الهمزة والهاء "[1].

واستَعمل ابن فارس: **(خَرْق الأذن)** في تعريفه للصِّماخ[2].

واستَعمَل الدانيُّ: **(خَرْقَ الأنف)** كتعبيرٍ عن التجويفِ الفمويّ في تعريفه للخَيشوم، قال:"الخَيْشُومُ: **خَرْقُ الأنفِ** المُنْجَذِبُ إلى دَاخِلِ الفَمِ"[3].

4 . المصطلح الرابع من تجويفات أعضاء النُّطق: (التَّجْوِيفُ والتَّجْوِيفَاتُ)

استَعمل الفارابيُّ: **(التجويفات)** للتعبير عن غُرَفِ الرَّنين التي تُقرعُ بالصوت، وتؤدِّي إلى تضخيم الصَّوت، فقال: "وأما الذي يَقرعه العضوُ الدافِعُ لهواء التنفُّس، فهو إما المزاميرُ، وإما **تجويفاتُ الحُلوقِ** وآلاتُ التصويتِ الإنسانيِّ"[4].

وقال:"قد يتَّفِقُ أن تكون الآلةُ التي فيها الأوتار لها في نفسِها استعدادٌ لأن تُسمَع منها نغَمٌ عندما تُهَزُّ أوتارُها، إمّا بأن يكون لها اهتزازٌ، أو أن يكون لها **تَجويفاتٌ** قد انحصَر فيها هواءٌ ولها منافذُ من خارج، فمتى تموَّج الهواءُ الذي حول الأوتار عندما تَهتَزُّ، تأدَّى ذلك من المنافذ إلى تجويفاتها فيَحدُثُ من الهواءِ المنحَصرِ فيها دَويٌّ "[5].

وهذا بعينه هو الذي تذكره كتب الأصوات المعاصرة من أنَّ وظيفة تجويفات أعضاء النُّطق أن تكون بمثابة غرفٍ رنينيَّةٍ للصَّوت[6].

واستَعمل ابن سينا: **(تجويف آخر المَنْخِر)** للتعبير عن التجويف الأنفيّ[7].

واستَعمل الطبيبُ ابنُ مَلْكا البغداديّ: **(تجويف الأذن)** للتعبير عن "الصِّماخ المغَشَّى بالعَصَبَة الحاملة للقوَّة الحسَّاسة"[8] التي بها يُسمع الصوت.

5 . المصطلح الخامس من تجويفات أعضاء النُّطق: (المقعَّرات)

يدلُّ أصلُها اللُّغويُّ على غَمزٍ وكَسْرٍ في الشيء ذاهبٍ سُفْلاً[9].

(1) التمهيد في معرفة التجويد ص 282.
(2) مقاييس اللغة ص553 (ص م خ) .
(3) التحديد ص109 و 115 .
(4) الموسيقى الكبير ص 52.
(5) الموسيقى الكبير ص 584.
(6) انظر: دراسة السَّمع والكلام لسعد مصلوح ص 173 .
(7) أسباب حدوث الحروف ص 92.
(8) المعتبر في الحكمة 2/ 329.
(9) مقاييس اللُّغة ص 865 و 1031.

استَعمل الفارابيّ لفظَ: (**المقعَّرات**) تعبيراً عن تجويفات أعضاء النُّطق ذات الطبيعة الرنينيَّة للصَّوت، قال:"والتصويتُ الإنسانيُّ يَحدثُ بسلوك الهواء في الحُلُوق، وقرعِهِ **مقعَّراتِ أجزاءِ الحُلُوق**، وأجزاءِ سائرِ الأعضاء التي يَسلك فيها، مِثْلَ أجزاءِ الفَم، وأجزاءِ الأنف"[1].

6 . المصطلح السادس من تجويفات أعضاء النُّطق: (الفَضَاء)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على انفِساحٍ في شيءٍ واتِّساع. من ذلك: الفَضاء: المكان الواسِع[2].

استَعمل ابن سينا: (**فَضَاء الخَيْشوم**) تعبيراً عن التجويف الأنفيّ الذي يحدث فيه رنينُ الغنة، قال عن كيفية حدوث الميم: "وأما إذا كان حبسٌ تامٌّ غير قويٍّ، وكان ليس الحبسُ كلُّه عند المخرج بين الشفتَين، ولكن بعضُه إلى ما هناك، وبعضُه إلى ناحية الخيشوم حتى يُحْدِث الهواءُ عند اجتيازه بالخَيْشُوم **والفَضَاءِ** الذي في داخِلِه دوياً حَدَث الميم"[3].

وكذلك استَعمل (**الفضاء**) في تعريف الحلق، كما سيأتي.

7 . المصطلح السابع من تجويفات أعضاء النُّطق: (المجرى والمجاري)

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصله اللُّغويّ على انسِيَاحِ الشَّيء، يقال: جَرَى الماء يَجْري جَرْيَة وجَرْياً وجَرَيَاناً[4]، والمِجْرى: مكانُ الجَرْي.

استُعمِل: (المجرى والمجاري) في أكثر من معنًى، منها:

1 . مجرَى النُّطْقِ والطَّعَامِ والشَّرَاب. وهو المقصود هنا. 2 . أَوَاخِرُ الكَلِمَات التي هي أماكنُ للحركات. 3 . قياسُ الشَّيءِ عَلَى الشَّيْءِ. 4 . مَخَارِجُ الحُرُوف.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (المجرى والمجاري) = مجرَى النطق والطَّعام والشَّراب:

استعمَله كثيرٌ من العلماء، منهم: الخليل[5]، والأصمعيُّ[6]، والكنديُّ[7]، وابن دُرَيد[8]، والخُوارِزْميُّ[9]،

(1) الموسيقى الكبير 1066.
(2) مقاييس اللُّغة ص 819.
(3) أسباب حدوث الحروف ص 83.
(4) مقاييس اللُّغة ص 195 (ج ر ي).
(5) العين 5/ 68، و 8/ 299.
(6) الغريب المصنف لأبي عبيد ل 1/ أ .
(7) رسالة في اللُّغة ص531 .
(8) الجمهرة 1/ 236 .
(9) مفاتيح العلوم ص152 .

والمجوسيُّ[1]، وابن فارس[2]، وابن سينا[3].

2 . المعنى الثاني لـ: (المجرى والمجاري) = أواخر الكلِمات التي هي أماكنُ للحركات:

استَعمل الخليل: (المجرَى) في الشِّعْر، بمعنى حركةِ حرفِ الرَّويّ المطْلَق في قافيةِ الشِّعْر (أي: حركة المتحرّك الذي يَعقُبه حرفُ مدٍّ)[4]، قال ابن جنيّ:"سُمِّيَ بذلك، لأنَّ الصَّوْتَ يبتدئُ بالجَرَيان في حروف الوَصْلِ منه، ألا ترَى أنَّكَ إذا قُلتَ:

قَتِيلاَنِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعَا

فالفتحةُ في العَين هي ابتداءُ جرَيان الصَّوْت في الألف"[5]. وهي علَّةٌ صَوتيَّة.

واستعمَل سيبويه: (**المَجارِي**)، لتبيين أحوال أواخر الكلمات، فيما اصطُلِح عليه بعد ذلك بـ: علامات الإعراب والبناء، قال سيبويه:"هذا بابُ **مجَاري** أواخرِ الكلِم من العربيَّة، وهي تَجري على ثمانيةِ مجارٍ: على النَّصْب والجرّ والرَّفع والجَزْم، والفتحِ والضَّمّ والكسر والوَقف"[6].

واستعملَه الكسائيُّ بمعنى آخر الكلمة، الذي هو محلُّ الإعراب والصَّرْف. ذكَر الفرَّاء أنَّ الكسائيَّ نوَّن: (ثَمُود) في كلِّ القرآن إذا كانت منصوبةً، ومنَع المرفوعة والمجرورةَ إلا في موضعٍ واحدٍ، من قولِه تعالى: [ألاَ إنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِثَمُودٍ] ، فلمَّا سألوه عن سبب صَرْفِها أجَابَ:"قَرُبَتْ . في الخَفْضِ . من **المُجْرَى**، وقبيحٌ أن يَجتمِع الحرفُ مرَّتَيْن في مَوْضِعَين ثمَّ يَختَلِفُ، فأجريْتُه لقُرْبِه منه"[7].

3 . المعنى الثالث لـ: (المجرى) = قِيَاسُ الشَّيءِ على الشَّيء:

أن يجريَ الشَّيءُ مُجْرَى الشَّيء، استَعمله بهذا المعنى كثيرٌ من العلماء، منهم: الخليل[8]، وسيبويه[9]، والأخفش[10]، والمازنيُّ[1]، والفارسيُّ[2]، والرمانيُّ[3]، وابن جنيّ[4]، والقرطبيّ[5].

(1) كامل الصناعة الطبية 1/ 120.
(2) مقاييس اللُّغة ص180 (ج ر ي).
(3) القانون في الطبّ 2/ 1121.
(4) العين 3/ 348 .
(5) لسان العرب 14/ 141 .
(6) الكتاب 1/ 13.
(7) معاني القرآن 2/ 20 . وقد أُثْبِتَ في المطبوع مكان (قَرُبَتْ): (قُرِئتْ)، ولا معنى له. وانظر: إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ ص1/ 366 . وقال الدانيُّ في جامع البيان ل 168/ أ تنبيهاً على اختيارِ الكسائي:"وذلك بعد أن روى الإجراءَ عن سلَفِه، وتلَقَّاه عن أئمَّتِه" اهـ. والسَّبب في تنبيه الدانيّ حتى لا يتوهَّم متوهِّمٌ أنَّ الكسائيَّ يَقرأ بالتشهِّي. ولا بدَّ أنَّ الكسائيَّ قد وصَل إليه القراءة بصَرْفِ (ثمود)، فاختَاره للعلَّة التي ذكَرها، والله أعلم .
(8) العين 8/ 197 .
(9) الكتاب 4/ 446 و 451 .
(10) القوافي ص78 ، ومعاني القرآن 1/ 235 .

4 . المعنى الرابع لـ: (المجرى والمجاري) = مخارج الحروف:

استَعمل ابنُ دُرَيد: (**المَجْرَى**)، و (**المَجَارِي**)، و (**مَجَارِي** الحُرُوف)، للتعبير عن المخارج، قال:"ذَكَر قومٌ من النحويّين أنَّ هذه التسعة والعشرين حرفاً لها ستَّةَ عَشَرَ **مجرىً**... فهذا جميعُ **مَجَارِي** الحُرُوف... وإنَّما عرَّفتُكَ **المَجَارِي**، لتَعرِفَ ما يأتَلِفُ منها ممَّا لا يأتلِفُ"[6].

وتابعه: الهمَذانيّ[7].

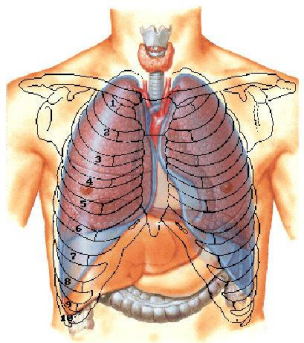
الأعضاء المستعملة في التصويت

الأعضاء المستعملة في التصويت هي:

1 . الصَّدر 2 . الحجاب الحاجز 3 . الرئتان 4 . القصبة الهوائيَّة 5 . الحَنجرة 6 . الوتران الصوتيَّان 7 . الحلق 8 . الفم (ويَضُمُّ: الحنك، واللِّسان، والأسنان) 9 . الشفتان 10 . الخيشوم 11 . الأذن.

العُضوُ الأوَّل من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الصَّدر

في اللُّغة: الصَّدْرُ من الإنسان وغيره معروفٌ، وصَدْرُ النَّهار: أولُّه. وصَدْرُ المجْلِس: مُرتَفَعُهُ. وصَدْرُ الطريق: مُتَّسَعُه. وصَدْرُ السَّهْمِ: ما جاوَزَ مِن وَسَطِه إلى مُسْتَدَقِّه، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه المتقدِّمُ إذا رُمِيَ به[8].



شكل رقم (2) تجويفُ الصَّدر

المواطن الصوتية التي استعمل فيها الصَّدر

استُعمل: (الصَّدر) صوتياً في أكثر من موطنٍ صوتيٍّ، منها:

1 . تجويفٌ رنينيٌّ للصوت، 2 . مخرجٌ لبعض الأصوات، 3 . في التعبير عن تسهيل الهمزة. ويُمثِّل شكل رقم (2) تجويفُ الصَّدر بما يحتويه من الرئتَين والحجاب الحاجز والقصبة الهوائية.

1. الموطنُ الأوَّل لـ: الصَّدر = تجويفٌ رنينيّ للصَّوت

(1) المنصف لابن جني 2/ 254 .
(2) الحجة 4/ 412، و 6/ 31 و 460 .
(3) شرح كتاب سيبويه ل190/ ب .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 26، والخصائص 2/ 316 ، و3/ 93 ، والمنصف 2/ 122، و3/ 150 .
(5) الموضح في التجويد ص 60 و 153 .
(6) الجمهرة 1/ 8 .
(7) التمهيد في معرفة التجويد ص273 .
(8) المصباح المنير ص 335 (ص د ر) .

نَسبَ الخليلُ وسيبويه إليه الرنينَ الذي يُحدِثه اهتزازُ الأوتارِ الصوتيَّة في عمليَّة الجهر، وسمَّياه: (صوتَ **الصَّدر**)[1].

وتابَع العلماءُ سيبويه فيما قاله عنه، كابن جنيّ[2]، والقرطبيّ[3].

وسمَّاه ابن جنيّ في مَوضعٍ آخَر: (الصَّدى المنبعثَ من **الصَّدر**)[4].

2. المَوطنُ الثاني: الصَّدرُ مخرجٌ لبعض الأصوات، ومشاركةُ عَضَلِه في ذلك:

فمن ذلك مخرج الهمزة والهاء والألف، فنسَبَ سيبويه إليه مخرجَ الهمزة المحقَّقة في قوله: "نبرةٌ في **الصَّدر** تَخرجُ باجتهادٍ"[5].

وتابَعه: المبرِّد[6]، وابن جنيّ[7]، وأبو زرعة[8]، والمالكيُّ[9]، والقرطبيّ[10]، والزمخشريّ[11]، والسُّهَيليّ[12].

ونبَّه السعيديُّ على إخراج الهمزة إخراجاً سهلاً من **الصَّدر**[13].

وذكَر ابنُ سينا أنَّ الدَّفْع القويَّ للهواء من الحِجاب الحاجز وعضَلِ الصَّدر يُحدِث الهمزةَ[14].

ولقَّب مكّيّ الهمزةَ بـ: (الحرف المهْتُوف) لخروجها من **الصَّدر** كالتهوُّع، فتحتاجُ إلى ظهور صوت قويٍّ شديد[15].

ونبَّه ابن ذكوان على إخراج الهاء من **الصَّدر**[16].

(1) العين 4/ 10 والكتاب 4/ 174. ويعدُّ الدكتور إبراهيم أنيس ـ رحمه الله تعالى ـ أوَّل من نبَّه إلى ذلك في كلام سيبويه. انظر: الأصوات اللغوية ص 122.

(2) سر صناعة الإعراب 1/ 63.

(3) الموضح في التجويد ص 93.

(4) سر صناعة الإعراب 1/ 8.

(5) الكتاب 3/ 548.

(6) المقتضب 1/ 292.

(7) سر صناعة الإعراب 1/ 43.

(8) الحجة ص 85.

(9) الروضة 1/ 269.

(10) الموضح في التجويد ص 124 .

(11) أساس البلاغة ص 708.

(12) نتائج الفكر ص 219 .

(13) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفي ص 10.

(14) أسباب حدوث الحروف ص 72.

(15) الرعاية ص 137. والهَتْف: الصوتُ الشديد، وسيأتي في فصل: الألقاب الصوتيَّة.

(16) نصَّ على ذلك السخاويُّ في كتابه: (جمال القراء وكمال الإقراء) 2/ 526.

وتابعَه القرطبيُّ[1].

وأرجَع الدانيُّ إليه صوتَ الألف، في قوله:" الألفُ صوتٌ يَهوي إلى **الصَّدْر**، ولا مُعتَمَد لها في الفم"[2].

وذكَر إخوان الصفاء أن **الصَّدر** من مخارج الصوت[3].

واستعملَه عددٌ من العلماء في تحديد مخرج أوَّل الأصوات كإخوان الصفاء[4]، ومكِّيّ[5]، والدانيّ[6]، وابن الطحَّان الأندلسيّ[7]، وأبي البركات الأنباريّ[8].

واستَعمل مكِّيّ أيضاً لفظ:(**آخر الصَّدر الأعلى**)[9] للتعبير عن ذلك.

ونسب ابن الطحَّان الموسيقيُّ (الصوتَ الجَهير) إلى الحنجَرة، و(الدَّقيقَ) إلى **الصَّدر**، وعبَّر بـ: (**الأصوات الصدريّة**) عن بعض الأصوات التي تخرج من الرئة[10]. ولعلَّه لاحظ أثر اهتزاز الأوتار الصوتيَّة في المجهور دون المهموس .

وعدَّ ابنُ حزم **الصَّدر** من المخارج الرئيسة[11].

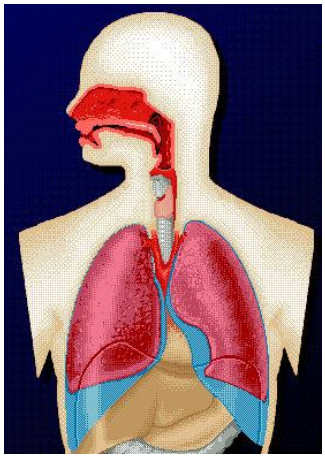
3. المَوطنُ الثالث: الصَّدرُ مشاركٌ في التعبير عن تسهيل الهمزة:

استعملَه الفرَّاء في التعبير عن تسهيل الهمزة المفتوحة في أوَّل إرهاصةٍ للمصطلح المشهور في كتب القراءات: (الإشارةُ إلى الهمزة **بالصَّدر**)، قال:"وقوله:[إنَّا بُرَءاؤا مِنكُم]، إن تَرَكْتَ الهمزَ من [بُرَءاؤا] أشرتَ إليه **بصَدرك**، فقلتَ: (بُرَااا)"[12] .

وذاع هذا المصطلحُ عند علماء القراءات، فممَّن استعمله: ابنُ مجاهد[13]، وأبو عليٍّ الفارسيّ[14]،وعبد

(1) الموضَح في التجويد ص 66.
(2) الإدغام الكبير ص 49.
(3) الرسائل 3/ 101.
(4) الرسائل 3/ 114.
(5) الرعاية ص 145.
(6) التحديد ص 102.
(7) مخارج الحروف وصفاتها ص 114.
(8) أسرار العربية ص 208.
(9) الرعاية ص 50.
(10) حاوي الفنون ص 22.
(11) التقريب لحدّ المنطق ص 4.
(12) معاني القرآن 3/ 149. والمعنى: بهمزة مسهَّلة مفتوحة بعدها ألفٌ.
(13) السبعة 3/ 329.
(14) الحجة 4/ 314.

المنعم ابن غلبون[1]، وابنه طاهر[2]، وأبو الفضل جعفرُ بن محمد المدنيّ[3]، وأبو طاهر ابن أبي هاشم[4]، وأبو الفضل الخزاعيّ[5]، والدانيّ[6]، والقرطبيّ[7]، وأبو مَعْشَرٍ الطبريّ[8]، وابن بلّيمة[9].


شكل رقم (3) الحجاب الحاجز

وهنا ملاحظة توفيقيةٌ بين مخرجَي الهمزة والألف المنسوبين إلى **الصَّدر** ـ فيما تقدَّم ـ وبين مصطلح: (الإشارة إلى الهمزة **بالصَّدر**)، وهي: إذا كانت الهمزةُ من **الصدر**، والألفُ التي لا مخرج لها على الحقيقة قد نسِبت أيضاً إلى **الصدر**، والفتحة جزءٌ منها، فطبيعيٌّ أن يُنسب تسهيل الهمزة المفتوحة إلى ذات المنطقة، ويؤيِّدُه قولُ الدانيُّ: "والهمزةُ إذا سهِّلت وجُعِلتْ بينَ بينَ أشيرَ إليها **بالصّدر** إن كانت مفتوحةً، وإن كانت مكسورةً جُعِلتْ كالياء المختلَسة الكسرةِ، وإن كانت مضمومةً جُعِلتْ كالواو المختلَسة الضمةِ من غير إشباع"[10].

العُضوُ الثاني من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الحِجاب الحاجِز

يدلُّ أصله اللُّغوي على المنِع، يقال: حجَبتُه عن كذا، أي: منَعتُه[11].

اتفق اللُّغويون والأطباء على أنه يَفصل بين تجويف الصَّدر الذي يضمُّ القلبَ والرئة، وبين تجويف البطن الذي يضمُّ أحشاءً كالمعدة والكبد والكلى والمرارة، غير أنهم اختلفوا في وصفه.

فعند الخليل أنه جلدة[12]، أو عضوٌ شبيه بالجلد عند الخوارزمي[13]، أو جُلَيدة لَحْم عند ابن فارس [14].

(1) الاستكمال ص 401.
(2) التذكرة 1/ 175.
(3) المنتهى لأبي الفضل الخزاعي ص 178.
(4) نقل ذلك الدانيُّ في جامع البيان 2/ 599، والموضح ل 42/ ب.
(5) المنتهى ص 218 و 507.
(6) التحديد ص 97.
(7) الموضح في التجويد ص 82.
(8) التلخيص ص 350.
(9) تلخيص العبارات ص 130.
(10) التحديد في الإتقان والتجويد ص 97.
(11) مقاييس اللُّغة ص 280 (ح ج ب).
(12) العين 3/ 86.
(13) مفاتيح العلوم ص 152.
(14) كتاب مقالة في أسماء أعضاء الإنسان ص 20.

وعند الأطباء، كعليّ بن العباس المجوسيّ[1]، وابن سينا[2]، وابن مَلْكا[3] هو عضلة، وهو الصحيح طبيّاً.

وذكَر بعضُ الأطباء[4] أن للحجاب منفعتين:

إحداهما: أنه يبسط الصَّدر ويَقبضُه مع سائر العضَل المحرِّك للصَّدر في عمليتَي الشهيق والزَّفير.

والأخرى: أنه يَفْصِل بين أعضاء التنفُّس وأعضاء الهضم.

ويبين شكل رقم (3) الحجاب الحاجز باللَّون الأزرق.

وذكَر ابنُ سينا أنَّ الدَّفْع القويَّ للهواء من الحِجاب وعضَلِ الصَّدر يُحدِث الهمزةَ، وقد تقدَّم.

وفي نصٍّ دقيقٍ له وصَف الدَّورَ الخطيرَ الذي يقومُ به الحجابُ الحاجز، وما يَستعينُ به من عضلات أعضاء النُّطق، بدءاً من التنفُّس ثم التصويت، فالكلام، قال:"وحركةُ النَّفَس المعتدلِ الطبيعيّ الخالي عن الآفة، يتمُّ بحركة الحجاب.

فإن احتيجَ إلى زيادة قوَّة لما ليس يدخُل إلا بمشقَّة[5]، أو لتَقوِّي النفَس لتَخرُج نفخةٌ، شارك الحجابَ في هذه المعونةِ عضلُ الصدر كلُّها حتى أعاليها، أو لا بدَّ فبعضُ السَّافلة منها فقط.

فإن احتيج إلى أن يكون صوتاً لم يكن بدٌّ من استعمال عضَل الحنجرة.

فإن احتيج إلى أن يُقَطِّع حروفاً، ويؤلِّف منه كلامٌ، لم يكن بدٌّ من استعمال عضل اللِّسان. وربَّما احتيج إلى استعمال عضَل الشَّفة"[6].

الألفاظ المستعملة للحجاب الحاجز

استُعمل للحجاب الحاجز عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (حِجَابُ الجَوْف)، 2 . (الحِجَابُ)، 3 . (الحِجَابُ الحَاجِزُ)، 4 . (الحِجَابُ الفَاصِل).

أطلَق الخليلُ عليه: (**حجابَ الجَوف**)[7]. وتابعه: ابن فارس[8].

واستعملَ الخوارزميُّ[1]، وعليّ بن العباس المجوسيّ[2]، وابن سينا[3]، وابن ملكا البغداديُّ[4] لفظ:

(1) كامل الصناعة الطبية 1/ 125.
(2) القانون في الطبّ 1/ 66.
(3) المعتبر في الحكمة 2/ 262.
(4) انظر: عليّ بن العباس المجوسيّ في كامل الصناعة الطبية 1/ 126، وابن سينا في القانون 1/ 67.
(5) صعوبة التنفس تحتاج إلى جهد كبير في استشاق الهواء. وانظر: (القانون لابن سينا 2/ 1128).
(6) القانون في الطبّ 2/ 1127.
(7) العين 3/ 86.
(8) مقاييس اللُّغة ص 280.

(الحِجاب).

وذكَر المجوسيُّ أنه **(يحجزُ)** بين آلات التنفُّس وآلات الغذاء[5]. وكذلك عرَّفه ابن فارس: أنه جُلَيدة لحمٍ **(يَحجِز)** بين الصدر والبطن[6]. فاشتقَّ ابن سينا لفظَ: **(الحجاب الحاجز)**[7].

وسمَّاه الزهراويُّ: **(الحجاب الفاصِل)**[8].

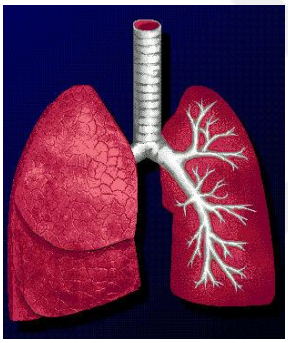
العُضوُ الثالث من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الرئتان

هي المولِّد لهواء النَّفس الفاعل في عمليتَي التنفّس والتصويت، وشبَّهها المتقدِّمون بفم نافخ النَّاي الذي يَدفَعُ الهواء في آلة المزمار، وذكَروا أنَّها خلِقتْ من"لحمٍ رخوٍ متخلخل هوائيّ، خُلِق من أرقِّ دمٍ وألطفه، وذلك أيضاً غذاؤها، وهو كثير المنافذ لونه إلى البياض... وخلِق متخلخلاً، ليتَّسِع الهواءَ، وينضجَ فيه، ويندفعَ فضلُه عنه "[9]. انظر شكل رقم (4).

الألفاظ المستعملة للرئتين

استعمِل لـ: (الرئتَين) عدَّة ألفاظ منها:

1 . (الرئة)، 2 . (مَوضِع الرِّيح والنفَس)، 3 . (آلة النفَس والصَّوت)، 4 . (آلة النفَس).



شكل رقم (4) الرئتان

وصَف الخليلُ الرِّئة بأنها: **(موضعُ الريح والنفَس)**[10].

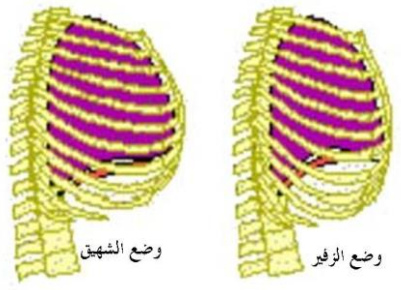
وجعَلها عليّ بن العباس المجوسيّ من **(أعضاء التنفُّس)**، ومن **(آلات النفَس)**، و **(آلة النفَس والصَّوت)**.

وتابعه ابن جني على تسمية الرئة بـ: **(آلة النفَس)**، وابنُ سينا على جعْلها مع القصَبة من: **(أعضاء النَّفَس)**، وعلى الوظيفة.

(1) مفاتيح العلوم ص 152.
(2) كامل الصناعة الطبية 1/ 125.
(3) أسباب حدوث الحروف ص 67.
(4) المعتبر في الحكمة 2/ 262.
(5) كامل الصناعة الطبية 1/ 126.
(6) كتاب: مقالة في أسماء أعضاء الإنسان ص 20.
(7) القانون في الطبّ 1/ 66.
(8) التصريف لمن عجَز عن التأليف 1/ 15.
(9) القانون في الطب 2/ 1122.
(10) العين 8/ 301.

وتقدَّمت هذه المصطلحات جميعاً في أعضاء النُّطق.

وشبَّه المجوسيُّ الرئةَ "بالخزَّان يجتمع فيها الهواء"[1]، ويخرج في"حركتَين متضادتَين، وهما: حركةُ الانبساط الذي به يكون اجتذابُ الهواء البارِدِ، وحركةُ الانقباض الذي به يكون خروج البُخَار الدُّخانيّ"[2].



شكل رقم (5) الشهيق والزفير

قال الزهراويُّ يصِفُ هاتَين العمليَّتَين:"الصَّدرُ إذا انبَسَطَ بما جُعِلَ فيه من العضَل جذَبَ الرِّئةَ وبَسَطَها، فإذا انبَسَطَت الرِّئةُ اجتَذَبت الهواءَ مِن خارجٍ، وكان ذلك أحدَ جُزْءَي التنفُّس. ثمَّ إنَّ الصَّدْرَ يَنقَبِضُ فتَنْقَبِضَ الرئةُ، فيكونَ بانقباضِها إخراجُ التنفُّس، وهو الجُزءُ الثاني"[3]، وشبَّهَهُما بِكِير الحدَّاد،"فإنه إذا بَسَطَهُ امتلأ من الهواء، ثمّ إذا قبضَه تفرَّغ منه"[4].

ويمثِّلُ شكل رقم (5) الشهيق والزفير .

وقد نسَب إليها بعضُ المتقدِّمين بعضَ الأصواتِ، فذكَر الكنديُّ أن الهاء نفَسٌ يَخرُج من عُمْقِ الرئة[5]، وعدَّ إخوان الصفاء الرئةَ من (مخارِجِ الصَّوت)[6].

عمليَّة التنفُّس واستعمالُ هواءِ الزَّفير في التَّصْويت:

نبَّه المتقدِّمون إلى أنَّ التَّصويتَ يَحدُثُ بهواء الزَّفير، قال أبو الحسن المجوسيُّ الطبيب:"وجعَلَتِ الهواءَ الدَّاخِلَ بالاستِنشاقِ لِتُرَوِّحَ به الحرارةَ الغريزيَّة عن القَلْبِ، وجعَلَتْ خروجَه لمنفعتَين: لِدَفْعِ الفُضول الدُّخانيَّة التي تَجتَمِع في القَلْب، **والثانية: جعَلَتهُ مادَّةً للصَّوت**"[7].

وكذلك ذكَر علمُ الأصواتِ المعاصِرِ أنَّ التصويتَ والكلامَ يحدُثان بهواء الزَّفير إلا في بعضِ أصوات انفعاليَّة، أو في أصواتٍ لغويَّةٍ قليلةٍ في بعض اللُّغات استُخدِم فيها هواءُ الشَّهيق، لكنَّ هذه الحالات تبقى

(1) كامل الصناعة الطبية 1/ 123.

(2) كامل الصناعة الطبية 1/ 123. وهو يتحدَّث عن الشهيق والزَّفير، فالهواء البارد هواءُ الشهيق (الأكسجين)، والبخار الدخانيّ هواء الزفير (ثاني أكسيد الكربون).

(3) التصريف لمن عجَز عن التأليف 1/ 15 .

(4) التصريف لمن عجز عن التأليف 1/ 15.

(5) رسالة في اللُّثغة ص 524.

(6) الرسائل 3/ 101.

(7) كامل الصناعة الطبية 1/ 119. وجعْل القلب من أعضاء التنفُّس مفهومٌ قديم لجالينوس (الطبيب اليونانيّ)، تابعه عليه بعض علماء المسلمين، ونقَضَه الطبُّ المعاصر.

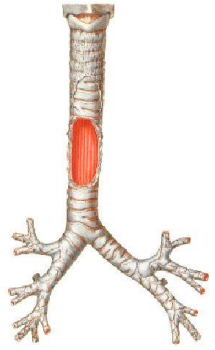
استثناءً من القاعدة العامَّة، وهي أنَّ الكلامَ في جَوهره نوعٌ من الاستغلال لهواءِ الزَّفير والتحكُّم فيه[1].

ونبَّه المتقدِّمون أيضاً إلى أنَّ خروجَ هواءِ الزَّفير أثناء عمليَّة التَّصويت يختَلِفُ عنه في عمليَّة التنفُّس، وأشار الفارابيُّ إلى ذلك بقولِه:"وهذا الهواءُ الذي يَجْذِبُه الإنسانُ إلى رِئَتَيْهِ وداخِلِ صَدْرِه مِن خارجٍ لِيُرَوِّحَ به عن القَلْبِ، ثمَّ يَدْفعُه منها إذا سَخُنَ إلى خارجٍ، فإذا دَفَع الإنسانُ هواءَ التنفُّس إلى خارجٍ جُملةً واحدةً وترفَّقَ لم يَحْدُثْ صوتٌ محسوسٌ، **وإذا حصَرَ الإنسانُ هذا الهواءَ في رئتَيْهِ وما حوْلَها مِن أسفلِ الحلْقِ، وسَرَّبَ أجزاءَه إلى خارجٍ شيئاً فشيئاً على اتِّصالٍ، وزَحَمَ به مُقَعَّر الحَلْقِ وصَدَمَ أجزاءَهُ حدَثَتْ حينئذٍ نَغَمٌ بمنزلَةِ ما تَحْدُثُ في سُلُوكِ الهواءِ في المزاميرِ**"[2]. وأشار ابنُ رشدٍ إلى ذلك أيضاً[3].

وهكذا ذكَر علمُ الأصوات المعاصر أنَّ "حدوثَ الكلام في طَورِ الزَّفير يقتضي ضرورةَ التحكُّم في عمليَّة الزَّفير، وذلك بأن تنشَطَ عضلاتُ البَطْنِ لِتُنظِّمَ عمليَّةَ التصَرُّفِ في الهواء ، بحيثُ تَحتفظُ بقدْرٍ من الضَّغْطِ تحتَ الحنجرةِ يَكفي لإتمام عمليَّة التصويت"[4].

العُضوُ الرَّابع من أعضاء الصَّوت والنُّطق: القصبة الهوائيَّة

خُلِقتْ القصبة الهوائيَّة على هيئة المزمار، ويَجري على جميعِها من باطنٍ غشاءٌ صلْبٌ أملس للتصويت، كما ذكَر ابن ملْكا البغداديّ[5].



شكل رقم (6) القصبة الهوائية

وذكر عليُّ بن العباس المجوسيّ أن منفعةَ تركيبِ القصَبة من غضاريف تَكْمُنُ في أن الغضروفَ "دون العظمِ في الصلابة، ودون سائر أعضاء البدن في اللّين، وذلك أنَّه أوفق فيما يُحتاج إليه من الصَّوت[6].

وتابعه ابن سينا على ذلك، وذكَر أن "تأليفها من غضاريف كثيرة مربوطةٍ بأغشية، ليُمْكِنها الامتدادُ والاجتماع عند الاستنشاق والنَّفَس"[7].

وقال عليّ بن العباس المجوسيّ أنه "لو كانت القصبةُ من غضروف واحدٍ لم يُمكِن فيها الحركةُ؛ إذ كانت الحركة تحتاجُ إلى أن يتمدَّد معها العضو، ولذلك جعِل مع الغضروف أغشيةٌ، لتتحرَّك القصَبةُ بالحركات التي ذكرناها"[8].

(1) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص 101 .
(2) الموسيقى الكبير ص 1066.
(3) تلخيص كتاب النفس ص 82 .
(4) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص 103 .
(5) المعتبر في الحكمة ص 13.
(6) كامل الصناعة الطبية 1/ 122.
(7) القانون في الطب 2/ 1121.
(8) كامل الصناعة الطبية 1/ 122.

ويوافق الطبّ المعاصر على هذا.

الألفاظ المستعملة للقصبة الهوائية

واستعمِلت للقصبة الهوائيَّة عدَّة ألفاظ[1]، منها:

1 . قصَبةُ الرئة، 2 . الحلقوم، 3 . أنابيب الرئة.

1 . المصطلحُ الأوَّل: قصبة الرئة:

القَصَبُ في أصله اللُّغويّ يدلُّ على امتدادٍ في أشياء مجوَّفة[2].

عرَّف الخليلُ (**قصبةَ الرئة**) بأنَّها: مخارجُ النَّفَس ومجاريه[3].

واستُعمِل ذاتُ اللَّفظ عند عليّ بن العباس المجوسيّ[4]، والزهراويّ[5]، وابن الطحّان الموسيقيّ[6]، وابن ملْكا البغداديّ[7].

وذكر أبو الحسن المجوسيُّ أن "الحاجة كانت إليها في الرَّقبة بسبب استنشاقِ الهواء وإخراجِه بالتنفُّس، وبسبَب الصَّوت والنَّفخ"[8].

ويُمثِّلُ شكل رقم (6) القصبة الهوائية.

2 . المصطلحُ الثاني: الحُلْقُوم:

يدلُّ أصلُه اللُّغويّ على شيءٍ من الآلات مستديرٍ[9].

اختلَف أهل المعاجم في تحديد المراد بـ: (**الحلقوم**)، فجعله بعضهم لـ: القصبة[10]، وآخَرون مرادفاً

(1) من الألفاظ اللُّغوية الشائعة للقصبة الهوائية مصطلح: الرُّغامى، وهو مصطلح لا يُعرَف أصلُه كما ذكَر ابن فارس في مقاييس اللُّغة ص 391 (رغ م). وانظر: الصحاح 5/ 1934، والمحكم 5/ 308، ولسان العرب 12/ 248 والعجيب أن يكون هذا اللَّفظ هو المستخدَم في المعاجم الطبية العربية اليوم.

(2) مقاييس اللغة ص 859 (ق ص ب).

(3) العين 5/ 68.

(4) كامل الصناعة الطبية 1/ 34.

(5) التصريف لمن عجز عن التأليف 1/ 15.

(6) حاوي الفنون وسلوة المحزون ص 22.

(7) المعتبر في الحكمة 2/ 264.

(8) كامل الصناعة الطبية 1/ 121.

(9) مقاييس اللُّغة ص 261 (ح ل ق)، و ص 281 (ح ل ق م).

(10) الخليل في العين 3/ 48 و 8/ 299، والخوارزميُّ في مفاتيح العلوم ص 152، وابن فارس في أسماء أعضاء الإنسان ص 17.

لـ:الحلق[1]، وآخرون لمجموعهما، فيكون حدُّه الأدنى عند هؤلاء في الرئة، وحدُّه الأعلى في أصل اللِّسان[2].

استعمل ابن رُشدٍ لفظَ (**الحُلقوم**) للتعبير عنها. ووصفه أنه: (**آلة التنفُّس والتصويت**)[3].

3. المصطلحُ الثالث: أنابيبُ الرئة:

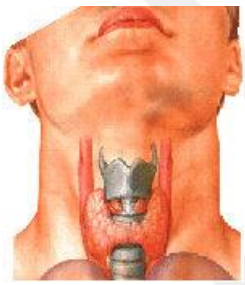
الأنبوب في أصله اللُّغويّ يدلُّ على ما بين كلِّ عُقْدتَين[4].

استعمل ابن حزم الأندلسيّ لفظ: (**أنابيب الرئة**)، للتعبير عن القصبة الهوائية، وعدَّها من المخارج المشاركة في العملية النطقية[5].

العُضوُ الخامسُ من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الحنجرة

الحَنجرة في أصلها اللُّغويّ تدلُّ على المنع، والإحاطة على الشيء[6].

وهي تقع في أعلى القصبة الهوائيَّة، نقَلَ الرازيُّ عن أبقراط (الطبيب اليونانيّ المشهور) قولَه: الحَنجرة: طرَف قصبة الرئة. وطرفُ المريء يتَّصل بها إلى ناحية القفا... فإذا فتحتَ الفم نَعْماً، وغمزتَ [ضَغَطتَ] اللِّسانَ ظهَر لك طرفُ الحَنجرة والمريء"[7].



شكل رقم (7) مَوقِع الحنجرة من العنق

ويمثِّل شكل رقم (7) مَوقِع الحنجرة من العنق.

وذكَر ابنُ مَلْكا البغداديُّ أنَّ الحنجرة هي منفذ القصبة الهوائية، قال:"ويُفْضِي الفَمُ إلى مَنفَذَين:

أحدهما: قصَبةُ الرِّئةِ للهواء.

والآخر: المريءُ للغِذاء.

ورأسُ قصَبَة الرِّئةِ يتَلَقَّى الهواءَ من الأنفِ، وينتَهي به إليها، ويُسَمَّى: الحَنجرة"[8].

(1) الجوهريّ في الصِّحاح 5/ 1904، والفيوميّ في المصباح المنير ص 146، وابن منظور في لسان العرب 12/ 150.

(2) ابن سيده في المحكم 4/ 34، قال: "والحُلقوم: مَجرى النفَس والسُّعال من الجَوف، وهو أطباقٌ غراضيفُ، ليس دونه من ظاهر باطن العنُق إلا جِلْدٌ، وطرفُه الأسفل في الرئة، وطرفُه الأعلى في أصل عَكَدة اللِّسان، ومنه مخرج النفَس والريح والبُصاق والصَّوت " اهـ.

(3) كلاهما في تلخيص كتاب النفس ص 83.

(4) ابن فارس في مقاييس اللُّغة ص 75 (أ ن ب).

(5) التقريب لحدِّ المنطق ص 4.

(6) مقاييس اللُّغة ص 278 (ح ج ر) لأنها على وزن: فَنْعَلة، النون زائدة.

(7) الحاوي في الطبّ 3/ 254.

(8) المعتبر في الحكمة 2/ 262 .

ومن حيث تركيبُها:

ذكَر الأطباء أنها رُكِّبت من ثلاثة غضاريف رئيسة هي:

1 ـ الغضروف الشبيه بالتُّرس، والذي لا اسم له، والشبيه بالطِّرْجِهالة، عند عليّ بن العباس المجوسيّ[1].

واستعمَل ابن سينا للأول: التُّرسيّ والدَّرَقيّ.

وللثاني: عديم الاسم.

وللثالث: الطِّرْجِهاليّ والمِكبيّ[2].

أما الغضروف المسمَّى حديثاً بلسان المزمار، فسمَّاه ابن سينا: (الغضروف المتكئ على المجرى)[3]. وذكر من وظيفته تسهيل عملية البلع كما هو معروف طبياً. وسمَّاه ابن مَلكا البغداديُّ: (الغضروف المكبيّ)، قال عن الحَنجرة: "وهي آلة التصويت كرأس المزمار... ويَنطبقُ عليها غضروفٌ مَكْبِيٌّ عند البَلع حتى لا يَدخُل إليها شيءٌ مما يُبتلَع من الطَّعام والشراب"[4].

وذكر المجوسيُّ أن حاصل تركيب هذه الثلاثة مجوَّفٌ كتجويف المزمار[5].

وقال الزهراويُّ:"الحنجرة مؤلفةٌ من ثلاثة غضاريف تأليفاً موافقاً للصَّوت"[6].

(1) كامل الصناعة الطبية 1/ 100 و 119.

(2) ابن سينا في أسباب حدوث الحروف ص 64.

(3) القانون في الطبّ 2/ 1121.

(4) المعتبر في الحكمة 2/ 264.

(5) كامل الصناعة الطبية 1/ 119.

(6) التصريف لمن عجَز عن التأليف 1/ 15.

ويمثِّل شكل رقم (8) غضاريف الحَنجرة عند ابن سينا بألفاظه، وما يقابلُها في اللَّفظ الأجنبيّ.

وذكَر ابن سينا أنَّه "إذا تقارَب غضروف الذي لا اسم له من الدَّرَقيّ وضامَّه حدَثَ منه تضيُّق الحَنجَرة.



شكل رقم (8) غضاريف الحَنجرة

وإذا تنحَّى عنه وباعَدَهُ حدَث منه اتساعُ الحَنجَرة. ومن تقاربه وتباعده يحدُث الصَّوت الحادُّ والثقيلُ.

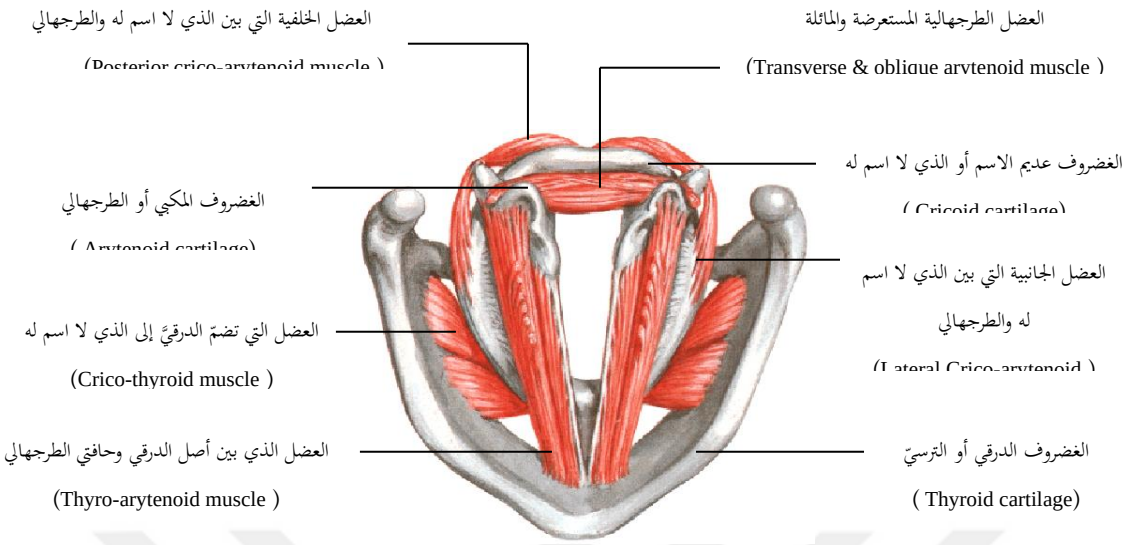
وإذا انطبَق الطِّرْجِهاليّ على الدَّرَقيّ حصَر النَّفَس وسدَّ الفُوَّهة، وإذا انقلَع عنه انفتحت الحَنجرةُ"[1].

وطبيعيٌّ أن يكون هذا الانفتاح والانطباق بواسطة عضلات في الحنجَرة تقوم بهذا الدَّور، وعددها ست عشرة عضلة عند الأطباء[2].

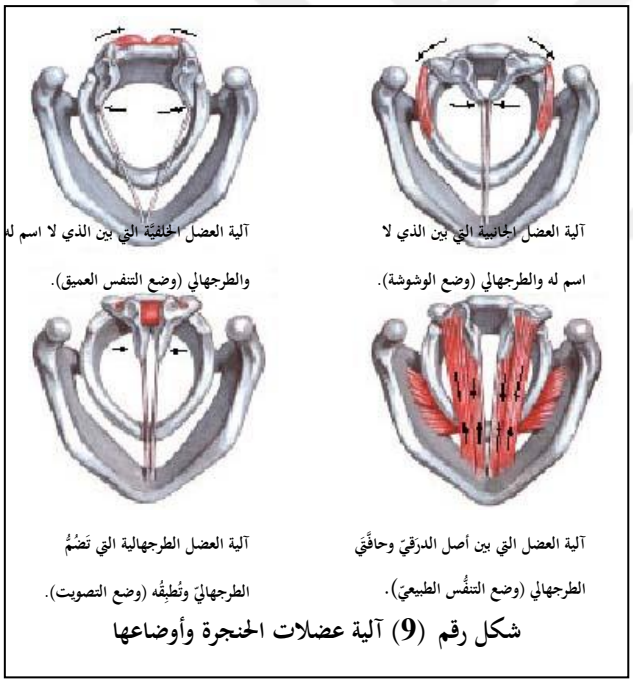
وخروجاً عن التطويل، فقد اكتفيتُ بشرح العضلات الفاتحة والمطبِقة للحنجرة التي ذكرها ابن سينا في كتابَيه "أسباب حدوث الحروف، والقانون في الطبّ " على الرسم، ويمثِّل شكل رقم (10) غضاريف الحنجرة وعضلاتها عند ابن سينا.

(1) أسباب حدوث الحروف ص 65 - 66.

(2) انظر: كامل الصناعة الطبية للمجوسيّ 1/ 100، والتصريف لمن عجَز عن التأليف للزهراويّ 1/ 12.



شكل رقم (10) غضاريف الحنجرة وعضلاتها عند ابن سينا



شكل رقم (9) آلية عضلات الحنجرة وأوضاعها

من ملاحظات الطبيبَين على كلام ابن سينا أنَّه جعَل للحَنجرة ستَّ عضلاتٍ فاتحةٍ لها هي:

1 . العضل الخلفية التي بين الذي لا اسم له والطرجهالي (Posteriorh cricoarytenoid)

2 . العضل الجانبية التي بين الذي لا اسم له والطرجهالي (Lateral cricoarytenoid)

3 . العضلات المائلة والمستعرضة الطرجهالية (Transverse & oblique arytenoid muscle)

أما في الطبِّ الحديثِ فالعضلاتُ الخلفِيَّة فقط هي الفاتحة للحنجرة، والعضلاتُ الأربعةُ الأخرى مُطْبِقَةٌ لها عكس ما ذكر. ويُمَثِّل شكل رقم (9) آلية عضلات الحنجرة وأوضاعها في الطبِّ الحديث.

الألفاظ المستعملة للحَنجرة

استعمِلت عدَّة ألفاظ للتعبير عنها، منها:

1 . (الحَنْجَرَةُ)، 2 . (الآلَةُ التي يَكُونُ بِهَا القَرْعُ)، 3 . (آلَةُ الصَّوت)، 4 . (الآلةُ المصَوِّتَةُ)، 5 . (آلَةُ التَّصْوِيت).

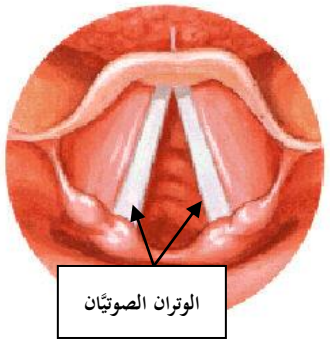
وصَف ابن ماسَوَيه الحنجرةَ بـ: (الآلة التي يكون بها القرعُ)، وعدَّها من: (آلات الصَّوت)[1].

ووصَفها الخوارزميُّ بـ: (آلة الصَّوت)[2].

وابنُ الطحَّان الموسيقيُّ بـ: (الآلة المصوِّتة)[3].

وابنُ مَلكا بـ: (آلة التصويت)[4].

العُضوُ السَّادس من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الوتران الصَّوتيَّان



شكل رقم (11) الوتران الصوتيَّان

كشَف المتقدِّمون عن دَورِ الوترَين الصوتيَّين في عملية التصويت، وجاء وصفهم لهما دقيقاً للغايةِ، ولا أعلمُ أحداً من الدارسين المعاصِرين قد تناوَل هذا الأمر من قبل؛ بل نفى بعضُهم معرفةَ المتقدِّمين لهذا الدَّور، ويَرجِع السببُ في ذلك إلى النظرةِ الجزئيَّةِ للتراث التي ذكرتُها في أوَّل الدراسة.

وسأسوق نصوصَهم لقيمتها العلميَّة:

قال عليّ بن العباس المجوسيّ:" فأما صفةُ تجويف الحنجرة الذي يخترقُه الهواءُ إلى داخل وإلى خارج، فإنَّ فيه جسماً شبيهاً في شكله بلسان المزمار... وهذا الجسمُ في جَوهره ليس يُشبه شيئاً من أعضاء البدن. وذلك أن جوهرَه كأنَّه ممتزجٌ من الشَّحم والغشاء والغُدَد.

وهذا الشَّحم يسمَّى (**طبقُ الحنجرة ولسانها**)، وهو الآلة الأولى من آلات الصوت...

فإذا انطَبَق مجرى الهواء، وبقِي محصوراً اندَفع الهواء إلى جانبَي طبَق الحَنجرة، ففَتح الثُّقبَين اللَّذَين كانا مُطبقَين بانضمام شفاههما بعضِهما إلى بعض.

وهذان الثقبان اللَّذان في جانبَي طبَق الحَنجرة ممدودان بالطُّول من فوق إلى أسفل، كأنهما خطَّان صغيران شبيهان بالغِشاءين مُطبَقَين لازمي التجويف"[5].

(1) الحاوي 3/ 170. هذا كلام ابن ماسويه، وانظر بداية كلامه في 3/ 168، وآلات الصوت ذكرها أبقراط لكن اللَّفظ للرازيّ، وانظر أيضاً 3/ 161.

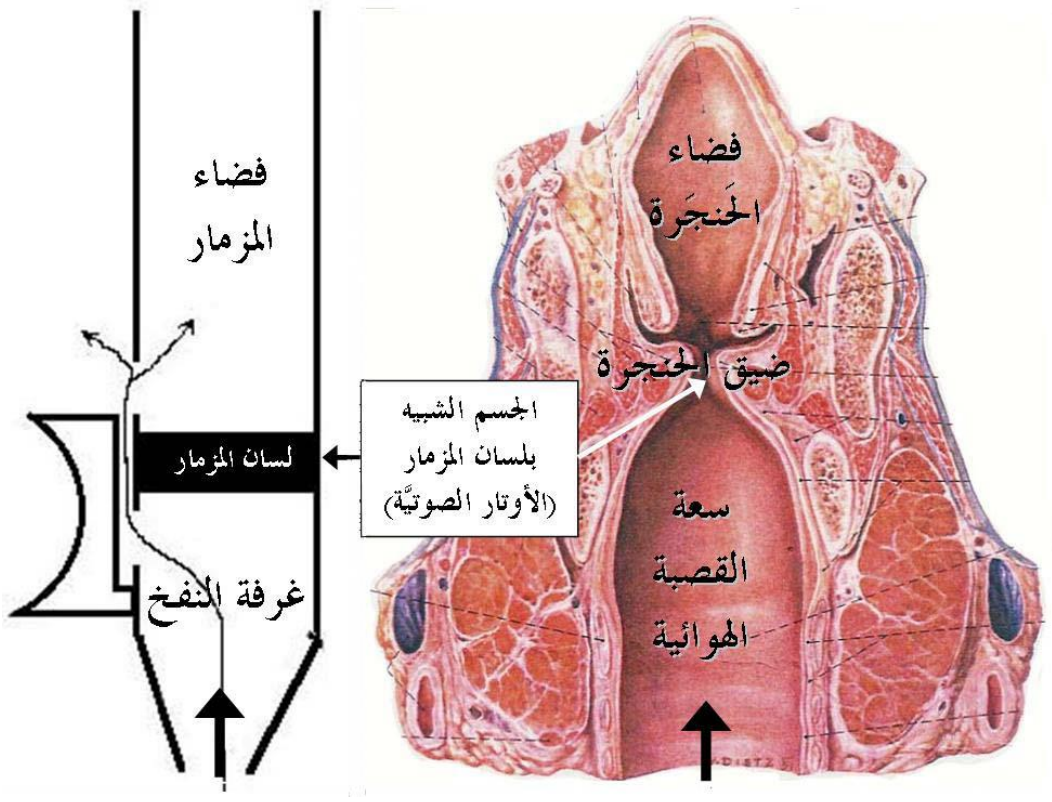
(2) مفاتيح العلوم ص 152.

(3) حاوي الفنون وسلوة المحزون ص 22.

(4) المعتبَر في الحكمة ص 13 .

(5) كامل الصناعة الطبية 1/ 120. وذكر الدكتور محمد عبد الرازق استشاري طب الأنف والأذن والحنجرة عند قراءة هذا الموضع أن أبا

وقال ابن سينا:"وخُلِق لأجل التصويت الشيءُ الذي يسمَّى: (لسان المزمار)، يتضايَق عنده طرفُ القصَبة ثمَّ يتَّسع عند الحنجرة، فيبتدئ من سَعةٍ إلى ضِيق، ثم إلى فضاءٍ واسع، كما في المزمار، فلا بدَّ



شكل رقم (12) مقارنة بين قطاع طوليّ للحنجرة والقصبة وبين آلة المزمار

للصَّوت من تضييق المحْبِس. وهذا (الجِرمُ الشبيه بلسان المزمار) من شأنه أن ينضمَّ وينفتحَ؛ ليكون بذلك قرعُ الصَّوت"[1].

انظر: شكل رقم (11) الوتران الصوتيَّان.

ولتقريب وصفِ ابن سينا الدَّقيق يمثِّل شكل رقم (12) مقارنة بين قطاع طوليّ للحنجرة والقصبة وبين آلة المزمار الهوائية.

وقال ابن مَلْكا البغداديُّ عن الحَنجرة والأوتار الصوتيَّة:" وهي آلةُ التصويت كرأس المزمار، ولها لسانٌ

الحسن المجوسي إنما يتكلَّم بشكل أكيد عن الطيات الصوتية الحقيقية والكاذبة معاً ولا يتكلَّم عن الغضروف المعروف طبياً بـ: (لسان المزمار). وإثبات أن حديثه ليس عن لسان المزمار مأخوذ من قوله: (وهذا الجسم في جوهره ليس يشبه شيئاً من أعضاء البدن وذلك أن جوهره كأنه ممتزج من الشحم والغشاء والغدد)، ولسان المزمار عضوٌ غضروفي يشبه غضاريف الحنجرة الأخرى.

(1) القانون في الطب 2/ 1121 – 1122. ومع وضوح النصّ، فقد استشرتُ طبيبَين استشاريَّين، وأجمعا أن ابن سينا إنما يتحدَّث عن الأوتار الصوتيَّة. أما الغضروف الذي يسمَّى حديثاً " لسان المزمار "، فقد سمَّاه ابن سينا: الغضروف المتكئ على المجرى، وذكر من وظيفته تسهيل عملية البلع كما هو معروف طبياً. (انظر القانون لابن سينا 2/ 1121).

كلسان المِزمار؛ ليَقْتَطِع الهواءَ في التصويت"[1].

هذه الأوصاف الدَّقيقة لا نستطيع أن نقيّمها حقَّ التقييم حتى نتعرَّف على ما قاله أطباء اليونان كأبقراط وجالينوس وغيرهما، ممَّن اعتمَد عليهم أطباءُ المسلمين في أصولِ مادَّتهم العلميَّة، وهذا متعذّرٌ في الوقت الحاليّ.

ووصف عليّ بن العباس المجوسيّ ثلاثَ هيئات تكون عليها الأوتار الصوتية، هي:

1 . وَضْع التنفس العادي.

2 . وَضْع التنفس العميق.

3 . وَضْع التصويت.

قال عن هذه الأوضاعِ الثلاثة:"والصَّوتُ لا يُمكِنُ أن يَكُونَ حتى يَنطَبِقَ مجرى الحَنجرة، ولذلك متى كان مجرى الحَنجرة مفتوحاً لم يُمكِن أن يكون صوتٌ البتة؛ بل إن كان خروجُ الهواء قليلاً قليلاً كان من ذلك النَّفَسُ الذي لا يكون معه صوتٌ.

وإن كان خروجه شديداً دفعةً كان منه النفَسُ الشديدُ الذي يُقالُ له الصُّعَداء.

فأما كَونُ الصوت فيَحتاجُ فيه إلى أن يَصعَدَ من الصّدر هواءٌ كثيرٌ دفعةً، وأن يكون مسلكُه في الحَنجرةِ مع ضِيقٍ؛ يَبتدِئُ من سَعةِ المجرى إلى ضيقٍ، ثم إلى سعةٍ، قليلاً قليلاً"[2].

وهذه الأوضاع هي التي تذكرها الكتبُ الطبيّة المعاصرة وتضيفُ إليها وضعاً رابعاًلم يشِر إليه عليّ بن العباس المجوسيّ، هو وضعُ الوشوشة.

ويمثل شكل رقم (9) آلية عضلات الحنجرة وأوضاعها الأربعة.

ويَبقى في نهاية الحديث عن الأوتار الصوتية ملاحظةٌ جديرةٌ بالانتباه، أن هذه المعرفةَ لم تُستثمر في معرفة الجهر والهمس إلا عند الخليل بن أحمد وتلميذه النجيب سيبويه حيث أدركا الأثرَ الصوتيَّ لاهتزاز الأوتار الصوتيَّة مع الصوت المجهور وانعدامه في الصوت المهموس.

الألفاظ المستعملة للوترين الصوتيَّين

استُعمِل للوترين الصوتيَّين عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (الجِسْمُ الشَّبيهُ بِلِسَانِ المِزْمَار)، 2 . (الآلَةُ الأُولَى للصَّوْت)، 3 . (الآلَةُ التي يَكُونُ بِها الصَّوْت)، 4 .

(1) المعتبر في الحكمة 2/ 264.

(2) كامل الصناعة الطبية 1/ 120.

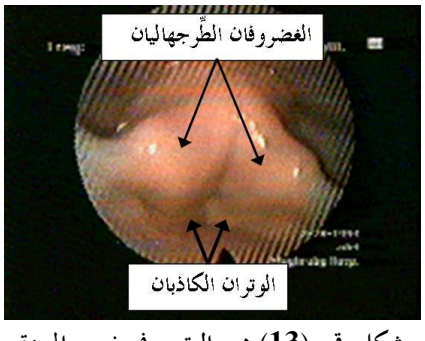
(طَبَقُ الحَنْجَرَة ولِسَانُها)، 5 ـ (لِسَانُ المِزْمَار).

استعمَل الرازيُّ لفظ: (**الجِسم الشبيه بلسان المزمار**) للتعبير عن الأوتار الصوتيّة. ووصفها بأنّها: (**الآلةُ الأولى للصَّوت**)[1].

وسمَّاها عليّ بن العباس المجوسيّ: (**طبقُ الحنجرة ولسانُها**)[2].

وتابعه ابن مَلكا على تسميتها بـ: (**لسان المزمار**)[3].

ووصفها الزهراويُّ بـ: (**الآلة التي يكون بها الصوتُ**)، وعدَّها: (**أشرفَ آلات الصَّوت**)[4].



شكل رقم (13) دور الوترين في خروج الهمزة

وأمَّا من حيث دَوْر الحَنْجَرة في مخارج الحروف:

فذكَر ابن سينا أن الهمزة والهاء يَحدُثان في الحَنجرة، فالهمزةُ"تحدُث من حَفْزٍ[5] قويٍّ من الحجاب وعضَل الصَّدر لهواءٍ كثيرٍ، ومن مقاومة الطِّرْجِهَاليّ الحاصِر زماناً قليلاً لحَفْز الهواء، ثمَّ اندفاعه إلى الانقلاع بالعضَل الفاتحة وضغط الهواء معاً"[6].

وأظهر منظارُ الحَنجرة أنَّ الهمزة هي الحرفُ الوحيد من بين حروف النُّطق الأخرى التي تشتركُ في نطقِها الأوتار الصوتيَّة الحقيقيَّة والكاذبة مع الغضروفَين الطِّرْجِهاليَّين حيث تقوم هذه الثلاثة بغَلْقِ فتحةِ الحَنجرة تماماً مسبّبةً الجهد العضليَّ الذي نَعرِفه في نُطقِ الهمزة، ومن هنا كانت أشق الحروف في النُّطق، وخفِّفت بأنواع التخفيف من إبدال وحذفٍ وتسهيلٍ، وجاء النَّهي من القراء عن المبالغة في إخراجِها. انظر شكل رقم (13) دور الوترين في خروج الهمزة.

وقال ابن سينا عن الهاء:"وأما الهاء فإنها تحدُث عن مثل ذلك الحَفز في الكمّ والكَيْف [يعني: الذي في الهمزة] إلا أن الحَبْس لا يكون حبساً تامّاً، بل تفعلُه حافَّات المخرَج، وتكونُ السبيلُ مفتوحةً، والاندفاع يُماسُّ حافاته بالسَّواء غيرَ مَائلٍ إلا إلى الوسَط"[7].

(1) الحاوي 3/ 162. ولا أدري إن كان المصطلحُ للرازيّ أم لـ: (تياذوق). طبيبِ الحجَّاج المتوفى سنة 90 هـ كما في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص 162؛ لأنه آخر مذكور في نص الكتاب.

(2) كامل الصناعة الطبية 1/ 120.

(3) المعتبر في الحكمة 2/ 264.

(4) التصريف لمن عجز عن التأليف ل 15/ أ.

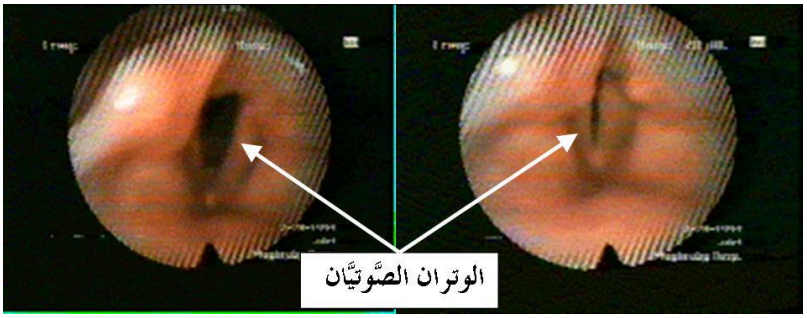
(5) مادة (ح ف ز) في اللُّغة تدلُّ على الحثِّ وما قرُب منه، فالحَفز: حثُّك الشيءَ من خلفه. (مقاييس اللغة ص 256).

(6) أسباب حدوث الحروف ص 72.

(7) أسباب حدوث الحروف ص 72.

وأظهر منظارُ الحنجرة أن هناك اختلافاً في شكلِ الوترَين الصَّوتيَّين بين نُطقِ القراء للهاء عند تلاوة القرآن ـ حسب ما تلقَّوْه أداءً ـ وبين ما اعتاده النَّاسُ من نُطقها، على الرُّغم من تدفُّق الهواء فيها في كِلا النُّطقَين:

في نُطقِ القرَّاء يكادُ الوتران الصَّوتيان يَقْتَرِبان مِن وضع الجهرِ؛ بل تَهتزُّ الأوتار الصوتيَّة، ومن هنا كان وضوح الهاء السَّمعيّ في نُطق القرَّاء[1].



شكل رقم (14) دور الوترين الصوتيَّين في خروج الهاء

أمَّا في النُّطق الاعتياديّ للهاء فإنَّ الأوتار الصَّوتية تكونُ مفتوحةً، ويندفِع الهواءُ بكلِّ راحةٍ، ومن هنا كانت الهاء أضعفَ الحروف وأهشَّها في النُّطق، ولذلك نبَّه القرَّاء على تقويتها.

ويُمثِّل شكل رقم (14) دور الوترين الصوتيَّين في خروج الهاء في النُّطق الاعتياديّ وعند القرَّاء.

وجَعْلُ الهمزة والهاء تحديداً من الحنجرة هو الذي تذكره كتب الدِّراسات الصوتية المعاصرة اليوم[2].

العُضوُ السَّابعُ من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الحلق

يدلُّ أصله اللغويُّ على شيءٍ من الآلات مستديرٍ[3].

واختلف أصحابُ المعاجم في تحديده: فمنهم مَن جعلَه مرادفاً للحُلْقُوم، ومنهم مَن حدَّه بـ: مجرى

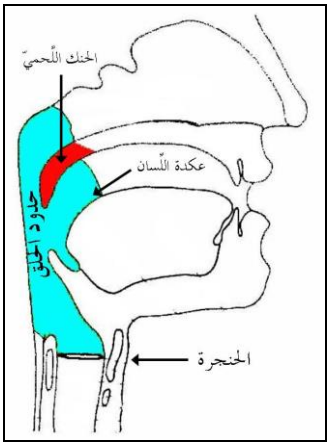
(1) هذا الصَّوتُ محيِّرٌ في تصنيفه إلى مجهور أو مهموس ، فتدفّق النفَس يجعله في دائرة المهموسات، واهتزاز الأوتار يُقرِّبه إلى دائرة المجهورات، ولك أن تحكم عليه بالجهر أو الهمس من حيث الجهةُ التي تَنظُر إليها. وفي اللغة الانجليزية صوتٌ شبيهٌ بالهاء التي يَنطِقها القراء، وذلك حينما تقعُ / h / بين حركتين في نحو الكلمتَين الانجليزيتين: (ahead & behined)، قال لادي فوجد (Ladefoged):"ولدى معظمُ المتحدِّثين الذين أخضَعْتُهم للمراقبة؛ حرف / h / في هاتين الكلمتَين يُلْفَظُ على نحوٍ تكون فيه الأوتارُ الصوتيةُ منفصلةً عن بعضها انفصالاً طفيفاً على طولِ حافَّتِها، ولكنَّها تُواصِلُ الاهتزاز، كما لو كانت تلوح في النَّسيم. مصطلح (الهاء المجهورة) يُستَخدمُ في بعض الأحيان للتعبير عن هذا الصَّوت، ولكنَّه يُحيِّرُ إلى حدٍّ ما بالنَّظَر لعدم وجودِ أيِّ جهرٍ بالمعنى المعتاد للكلمة، ومصطلح (الهاء المهموسة) يُفضَّل استعماله" (ACOURSE IN PHONETICS ص128- 129).

(2) انظر: الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص 89 - 90، وعلم اللغة لسعرن ص 178- 179، ومناهج البحث في اللغة لتمام حسان ص131.

(3) ابن فارس في مقاييس اللُّغة ص 261 (ح ل ق)، و ص 281 (ح ل ق م).

الغِذاء ومخرج النفَس من القصبة الهوائية، فيَشمل الحَنجرةَ عندئذ؛ لأن النفَس يَخرج عبر فتحتها، وهذا هو حدُّ أقصى الحلق[1].

وحدُّه الأعلى عند من جعلَه مرادفاً للحلقوم إلى أصل عَكَدة اللِّسان، يعني الجزء الخلفيَّ منه[2]، ويقابلُه من فوق الحنكُ اللَّحميّ، والذي يدلُّ على ذلك هو تسمية مكِّيّ بن أبي طالب للحنك: (غارَ الحلق الأعلى)[3].



شكل رقم (15) الحلق عند المتقدمين

وهكذا حدودُه عند الأطباء، فقد ذكَر أبو الحسن أحمد الطبريّ أن "الحلقَ: اسمٌ **لجميع الحَنجرةِ**، والحلقوم، والمريء، والعضلاتِ الموضوعة عليه **حتى يتصل ذلك باللَّوزتَين، وأصولِ اللِّسان**، والعضلات الموضوعةِ على الحلق من خارج، وأصول الأذنَين من داخِلٍ وخارجٍ.

وكلُّ مرَضٍ يَحدث في هذه المواضع سُمِّيَ وجعُ الحَلق"[4].

وقال ابن سينا:"الحلق: الفضَاء الذي فيه مجريا النفَس والغذاء، ومنه الزوائدُ التي هي اللَّهاةُ واللَّوزتان، والغلصَمة[5]. وقد عرفتَ تشريحَ المريء وتشريحَ الحَنجرة. وأما اللَّهاة... "[6].

فالحاصِلُ المتفَق عليه ممَّا سبَق أنَّ **منطقةَ الحَلْق تبدأ من الحَنجرة، وتنتهي في الفم عند الحنك اللَّحميّ**. ويُمثِّل شكل رقم (15) الحلق عند المتقدمين باللَّون الأزرق.

ومن المعلوم أنَّ الحنك اللَّحميّ (الملوَّن باللَّون الأحمر في الرسم) من وظيفته قَفْلُ مجرى الغذاء والصَّوت إلى الخيشوم برجوعه إلى الخلف، ولذلك لوَّنتُ ما فوقَه ليَشمل الحلقُ جزءاً من الخياشيم.

المواطن الصوتية التي استعمل فيها

استُعمِل الحَلْق في أكثرَ مِن موطنٍ صوتيٍّ، منها: 1 . مخرجٌ رَئيس من مخارج النطق. 2 . مخرجٌ خاصٌّ لبعض الأصوات. 3 . تجويفٌ رنينيٌّ للصَّوت. 4 . آلةٌ موسيقيَّة مصوِّتة للغِناء.

(1) انظر : العين 3/ 48، والجوهريّ في الصِّحاح 4/ 1462، وابن سيده في المحكم 3/ 2، والفيوميّ في المصباح المنير ص 146.
(2) ابن سيده في المحكم 4/ 34.
(3) الرعاية ص 240.
(4) المعالجات البقراطيَّة 2/ 38.
(5) قال ابن سينا في القانون 2/ 1103:"أما الغَلصمة: فهي لحمٌ صِفاقيٌّ لاصِقٌ بالحنك تحت اللَّهاة، متدلٍّ منطبقٌ على رأس القصَبة اهـ. قال الدكتور محمد عبد الرازق استشاريّ أمراض الأنف والأذن والحنجرة: إن وصفَ ابن سينا للغلصمة ينطبق على الحنك اللَّين.
(6) القانون في الطب 2/ 1103.

1 . الموطنُ الأوَّل: الحَلْقُ مَخْرَجٌ رَئيسٌ من مخارج النُّطق:

انظر المخارج الرئيسة للنُّطق .

2 . الموطنُ الثاني: الحَلْقُ مخرجٌ خاصٌّ لبعض الأصْوات.

لقَّب الخليلُ الحروف التي تخرج منه بـ: (الحلقية)، قال:"لأنَّ مبدأها من الحَلْق"[1]. ونقل ذلك مكِّيّ[2]، والهمَذانيّ[3].

ولقَّبها سيبويه بـ: (حروف الحلق)[4]. وتابعه عليه كثيرٌ من العلماء، منهم:

ابن السِّكِّيت[5]، وابن قتيبة[6]، والمبرِّد[7]، وثعلب[8]، والزجَّاج[9]، وابن السَّرَّاج[10]، وابن دُرَيد[11]، والخاقانيّ[12]، وابن خالويه[13]، والفارسيّ[14]، وطاهر بن غَلْبون[15]، ومكِّيّ[16]، وأبو مَعْشَرٍ الطبريُّ[17]، وغيرهم.

نسَب الخليل حروف الحلق الستة إليه، مرتِّباً إيَّاها، قال:"فأقصى الحروف كلّها: العين ثمَّ الحاء... ثمَّ الهاء... فهذه ثلاثةُ أحرفٍ في حيّزٍ واحدٍ، بعضُها أرفعُ مِن بعض، ثمَّ الخاءُ والغَينُ في حيّزٍ واحد، كلُّهنَّ حلقيَّة" [18].

وأشار سيبويه إلى حرِّية مرور الصَّوت في حروف المدِّ، وأنَّ أعضاء النُّطق، ومنها الحلق، لا تعترضُ

(1) العين 1/ 58 .
(2) الرعاية ص 139.
(3) التمهيد ص278 و 291.
(4) الكتاب 4/ 454، و480.
(5) إصلاح المنطق ص217.
(6) أدب الكاتب ص482 .
(7) المقتضب 1/ 209، و236، و350.
(8) مجالس ثعلب 2/ 360 .
(9) معاني القرآن وإعرابه 1/ 362 ، و3/ 411 .
(10) الأصول 1/ 111.
(11) الجمهرة 1/ 6.
(12) منظومة الخاقانيّ ص27.
(13) الحجة في القراءات السبع ص195 .
(14) التكملة ص212 .
(15) التذكرة في القراءات الثمان 1/ 187 .
(16) الرعاية ص116.
(17) التلخيص ص135 .
(18) العين 1/ 57 – 58 . وسيأتي ذكر الهمزة في: (أقصى الحلق).

طريقَه[1].

أقسام الحلق

قسِّم الحلق إلى ثلاثة أجزاء:

أ ـ أقصى الحلق، وهي أبعد نقطة فيه عند الحنجرة.

ب ـ وسط الحلق، وهي تقع عند الغضروف المسمَّى حديثاً بلسان المزمار.

ج ـ أدنى الحلق، وهي تقع في الجزء الخلفيّ من اللِّسان وما يقابلها من الحنك اللَّحميّ.

أولاً: الألفاظ المستعملة لأبعد نقطة فيه

أ ـ أقصى الحَلْق:

استُعمِلَت أبعدُ نُقْطةٍ في الحَلْق مخرجاً للهمزة، والهاء باتفاقٍ، والألف والفتحة عند أكثرهم، واستُعمِل لها خمسةُ ألفاظ:

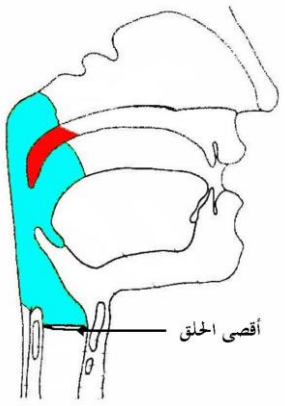
1 ـ أقصى = (أقصى الحَلْق)، (أقصى مخارج الحلْق)، (أقصى الحلق ممَّا يلي أعلى الصَّدْر)، (أقصى الحلق ممَّا يلي الصَّدْر)، (أقصى مخارجِ الصَّوت).

2 ـ أسفل: (أسفل الحَلْق).

3، 4 ـ أوَّل، آخر = (أوَّل الحَلْق)، (المخرجُ الأوَّل)، (أوَّل الصَّدر وآخِرُ الحَلْق)، (آخِرُ الحَلْق)، (آخِرُ الحَلْق ممَّا يلي الصَّدْر).

5 ـ (مُنتَهَى الصَّوْت).

ويمثل شكل رقم (16) أقصى الحلق عند المتقدِّمين حسب ما تقدَّم من حدود منطقة الحلق.



شكل رقم (16) أقصى الحلق

1. المصطلحُ الأوَّل: أقصى:

استَعمل الخليل لفظ: (**أقصى الحلق**) كمخرجٍ للهمزة المحقَّقة، قال:"وأمَّا الهمزةُ فمخرجُها من **أقصى** الحلق مهتوتةً مضغوطةً" [2].

وتابعَه على اللَّفظ: المبرِّدُ[3]، والزجَّاج[1]، وابن جنيّ[2]، والسَّعيديُّ[3]، ومكِّيّ[4]، والخفاجيّ[5]، وأبو

(1) الكتاب 4/ 176.
(2) العين 1/ 52.
(3) المقتضب 1/ 328.

البركات ابن الأنباريّ[6].

وتابع هؤلاء سيبويه في نسبة الهمزة والألف والهاء إلى هذه المنطقة.

واستَعمل سيبويه : (**أقصى الحروف مخرجاً**) لتعيين مخرج الهمزة والألف والهاء[7].

وتابعَه: ابن السرَّاج[8]، والزجَّاجيُّ[9]، والرُّمانيُّ[10]، والدانيُّ[11].

ورتَّب سيبويه الهمزة والألف والهاء في هذا المخرج، قال:"لأنَّ الهمزةَ **أقصَى** الحُروف وأشدُّها سُفولاً، وكذلك الهاءُ؛ لأنَّه ليس في الستَّة الأحرفِ أقربُ إلى الهمزةِ مِنها، وإنَّما الألفُ بينهما"[12].

وذكر الأخفشُ أن الهمزة والهاءَ مع الألف لا قبلَها ولا بعدَها[13].

وأشار سيبويه إلى أنَّ مخرجَ الفتحةِ من مخرجِ الألِف، قال عَن سبَبِ فَتْحِ عَيْنِ الفِعْلِ المضَارِعِ إن كان حرفاً حلقيّاً:"وإنَّما فتَحوا هذه الحروفَ، لأنَّها سَفلَتْ في الحلقِ، فكَرِهوا أن يتَناوَلوا حركةَ ما قبلَها بحركَة ما ارتفَعَ من الحروفِ، فجعَلوا حركتَها من الحرف الذي في حيّزِها، وهو الألف"[14].

وتابعَه: المبرِّدُ[15]، والسيرافيُّ[16]، والرمَّانيُّ[17]، وابن جنيّ[18]، وأبو البركات الأنباريُّ[19]. وصرَّحوا أنَّ مخرج الفتحة من مخرج الألف، وهي من الحلْق.

---

(1) معاني القرآن وإعرابه 1/ 50 و 126 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 46.
(3) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص13 .
(4) الرعاية ص 142.
(5) سر الفصاحة ص 19.
(6) أسرار العربية ص34 .
(7) الكتاب 4/ 433 .
(8) الأصول 3/ 400 .
(9) شرح جمل الزجاجي ص445 .
(10) شرح كتاب سيبويه 191/ أ .
(11) التحديد ص 102.
(12) الكتاب 4/ 102 .
(13) نقل ذلك ابن جنيّ في سر صناعة الإعراب 1/ 46 .
(14) الكتاب 4/ 101 .
(15) المقتضب 1/ 292، و2/ 110 .
(16) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 2/ 265 .
(17) معاني الحروف ص41 .
(18) سر صناعة الإعراب 1/ 53، والخصائص 2/ 143 .
(19) أسرار العربية ص 32 و 48 .

وأشار إخوانُ الصفاء إلى أنَّ أبعدَ مخارجِ الحروف هو: (**أقصى الحلق مما يلي أعلى الصدر**)[1].

واستَعمَل ابن خالويه: (**أقصى مخارج الحروف**)[2].

وابن فَوْرَك: (**أقصى مخارجِ الصَّوْت**)[3].

وابن الأنباري: (**أقصى الحلق مما يلي الصَّدر**)[4].

وتقدَّم كيفية حدوث الهمزة والهاء في الحنجرة عند ابن سينا.

وينسبُ علمُ الأصواتِ المعاصر الهمزةَ والهاءَ إلى الحنجرة .كابن سينا . والألفَ إلى منطقة الفم بحيث لا يتدخَّلُ اللِّسانُ في إنتاجِ هذا الصَّوتِ، بل يكون في وضع الرَّاحة[5]. ويعيبُ بعضُهم على سيبويه جَعْلَه الألفَ من أقصى الحَلْق[6].

ولا حُجَّةَ لهم في ذلك، لأنَّ خِلافَهُم معه خلافُ نسبةٍ لا وصف؛ إذ أكَّد سيبويه في أكثر من موضعٍ أنَّ الألف بمنزلة النَّفَس، وأنَّ اللِّسان لا يَتدخَّلُ في إنتاجِها[7]، وأنَّه لا يُعترَض فيها على صوتِها على طولِ المجرَى الهوائيّ[8]، ولذلك سمَّاها: الحرف الهَاوِي، فنسبَها إلى بدء تصويتِها من أقصى الحلق، أي: الحَنجَرة.

2 . المصطلحُ الثاني: أسفل:

استَعمل ابن جنيّ: (**أسفل الحلق**)[9].

3، 4 . المصطلحُ الثالث والرَّابع: أوَّل وآخِر:

استَعمَل المبرِّد لفظ: (**أوَّل الحلْق**)[10]. وتابعَه: ابن جنيّ[11]، ومكّيّ[12].

واستَعمل أبو بكر ابن الأنباريّ: (**أوَّل المخارج**)[13].

(1) رسائل إخوان الصفاء 3/ 114.
(2) الحجة في القراءات السبع ص152 .
(3) نقَل ذلك السهيليُّ عنه في نتائج الفكر ص225.
(4) أسرار العربية ص 208.
(5) انظر: الكلام إنتاجه وتحليله لعبد الرحمن أيوب ص 91، ودراسة الصَّوت اللُّغويّ لأحمد مختار عمر ص345 .
(6) انظر: دراسة الصوت اللُّغوي 346 .
(7) الكتاب 4/ 335 - 336 .
(8) الكتاب 4/ 176 .
(9) سر صناعة الإعراب 1/ 46.
(10) المقتضب 1/ 341 .
(11) سر صناعة الإعراب 1/ 43 .
(12) الرعاية ص 160.
(13) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 406 .

واستعمل مكّيّ أيضاً: (**آخر الحلق**)[1] أو (**آخر الحلق مما يلي الصَّدر**)[2].

واستعمل الدانيُّ لفظَي:(**أوَّل الصَّدر وآخر الحلق**)[3]، و(**المخرج الأوَّل**)[4].

ولَفظُ: (**آخر الحلق**) من المشترك اللَّفظيّ، استُعمِل بمعنى أقصى الحلق إذا نظرْتَ إلى مخرجِ أقصى الأصوات، وبمعنى أقرب مخارج الحلق إلى الفم إذا نظرتَ إلى اللِّسان كما سيأتي.

5 . المصطلح الخامس: منتهى:

استعمل السُّهَيليّ له لفظ: (**منتهى الصَّوت**)[5].

ثانياً : الألفاظ المستعملة للوسط

ب . وسط الحلق:

استُعمِل وَسطُ الحلق مخرجاً لصوتَي العين والحاء، واستُعمِلَت له عدَّةُ ألفاظ، منها:

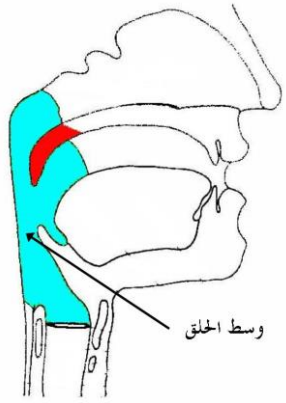
1 . (أوْسَطُ الحَلْق)، (وسَطُ الحَلْق).

2 . (المخرجُ الثاني من الحلق)، (المخرج الثاني من الحلقِ ممَّا يَلي الفَم).

3 . (الموضِع الذي ينالُه هواء التَّهَوُّع).

4 . (الموضِع الذي ينالُه هواء التنَحْنُح).

ويمثِّل شكل رقم (17) وسط الحلق عند المتقدِّمين بالنَّظَر إلى أنَّها منطقةٌ واقعةٌ بين أقصى الحلق وأدنى الحلق.



شكل رقم (17) وسط الحلق

استعملَ سيبويه لفظَي: (**أَوْسَطَ الحَلْق**)[6]، و:(**المخرج الثاني من الحلق**)[7] كمخرج للعَين والحاء على الترتيب: العينُ ثمَّ الحاء، قال:"لأنَّ العينَ أقربُ إلى الهمزة من الحاء"[8].

(1) الرعاية ص 136.
(2) الرعاية ص 145.
(3) التحديد ص 102.
(4) التحديد ص 102.
(5) نتائج الفكر ص 322.
(6) الكتاب 4/ 433.
(7) الكتاب 4/ 451.
(8) الكتاب 4/ 102 .

وتابعَه أكثرُ العلماء على تصنيفه، وتعدَّدت ألفاظهم:

فتَابَعَ سيبويه على لفظ: (**أوسط الحلق**): المبرِّدُ[1]، وابن السرَّاج[2]، والسَّعيديُّ[3]، والهمَذانيّ[4].

واستعمل المبرِّدُ[5]: (**وسط الحلق**).

وتابعَه: مكِّيّ[6]، والدانيُّ[7]، والقرطبيُّ[8]، والخفاجيُّ[9]، وابن الطحَّان الأندلسيّ[10]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[11].

وتابع سيبويه على: (**المخرج الثاني من الحلق**): المبرِّدُ[12]، وابن دُرَيد[13]، ومكِّيّ، وزاد: (**ممَّا يلي الفم**)[14].

وقال ابن سينا عن العين أنَّها في (**المَوْضِعِ الذي يَنالُه هواءُ التَّهَوُّع أدْخَلُ إلى الحُلْقُوم**)، وعن الحاء أنَّها في (**المَوْضِعِ الذي يَنالُه هواءُ التنَحْنُح**)[15]، وهذا ترتيبُ حرفَين من مخرجٍ واحد .

وأظهَر منظارُ الحَنجرة أنَّ العَين والحاء يَخرُجان من منطقة الغَلْصمة (EPIGLOTIS) في إحدى معانيها وذلك برجوع الغَلْصَمَة إلى الجدار الخلفيّ للحلق عند نطقِهما. انظر شكل رقم (26) منطقة الغَلصمة. وانظر أيضاً شكل رقم (27) دَور رأس المريء في مخرجَي العين والحاء. ورأس المريء هو الغضروف المسمَّى حديثاً بلسانِ المزمار (EPIGLOTIS).

ثالثاً : الألفاظ المستعملة لأقرب نقطة فيه إلى الفم

ج ـ أدنى الحلق:

(1) المقتضب 2/ 138 .
(2) الأصول 3/ 400 .
(3) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص13 .
(4) التمهيد ص 277.
(5) المقتضب 1/ 341 .
(6) الرعاية ص162 .
(7) التحديد ص 102.
(8) الموضَح في التجويد ص 78.
(9) سر الفصاحة ص 19.
(10) مخارج الحروف وصفاتها ص 114.
(11) أسرار العربية ص208 .
(12) المقتضب 1/ 328 و 2/ 110 .
(13) الجمهرة 1/ 8 .
(14) الرعاية ص 162.
(15) أسباب حدوث الحروف ص 116.

استُعمِل أقربُ مَواضِع الحَلق إلى الفم (من الحنك اللَّحميّ) مخرجاً لبعض الأصوات، واستُعملت له عدَّةُ ألفاظ، منها:

1 . أَدْنَى = (أَدْنَى الحَلْق مخرجاً من الفم)، (أدنى مخارجِ الحَلْق إلى اللِّسان)، (أدنى مخارج الحلق إلى الفم)، (أدنى الحلق ممَّا يلي الفم)، (أدنى الحلق).

2 . (المخرج الثالث من مخارج الحَلْق).

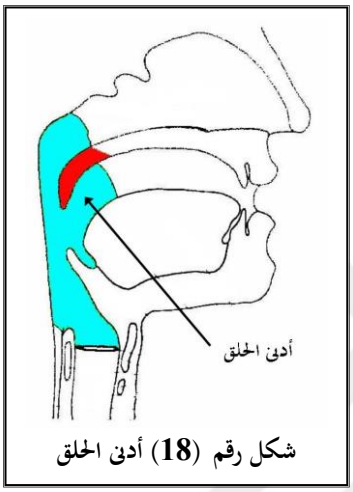
3 . آخر = (آخرُ مخرجِ الحلق وأقربُها إلى الفم)، (آخِرُ الحلق ممَّا يَلِي الفم).

4 . (مَوْضِعُ التَّغَرْغُر).

5 . (مِن فَوْقِ وَسَط الحَلْقِ مع أوَّل الفم)، (ممَّا فَوْقَ وَسَط الحَلْقِ دانياً إلى الفم).

6 . أوَّل = (أوَّلُ الفَم)، (أوَّلُ الحَلْقِ مِمَّا يَلِي اللِّسان).

7 . (أعْلَى الحَلْق).



شكل رقم (18) أدنى الحلق

ويمثِّل شكل رقم (18) أدنى الحلق عند المتقدِّمين، بحسب ما ذكرتُه من حدود الحلق، وما توفَّر لديَّ من نصوصٍ.

استعملَ سيبويه لفظَي: (**أَدنى الحلق مخرجاً من الفم**)[1]، و: (**المخرج الثالث من الحلق: أدنى مخارج الحلق إلى اللِّسان**)[2]، كمخرج للغَين والخاء. وفي نصٍّ دقيقٍ جعلَهما في منطقة متوسِّطة بين الحلقِ والفم، قال:"والخاءُ والغينُ بمنزلةِ القَافِ، وهما من حُروفِ الحلْقِ بمَنزلةِ القافِ من حُروفِ الفم، وقُرْبُهُمَا من الفَمِ كقُرْبِ القَافِ من الحَلْقِ"[3].

وتابعَه أكثرُ العلماء على تصنيفه، وتعدَّدت ألفاظهم:

تابعَه المبرِّدُ[4]، ومكِّيّ[5] على لفظ: (**المخرج الثالث من مخارج الحلق**).

ابنُ دُرَيد زاوَج بين عبارتَيه[6].

(1) الكتاب 4/ 433.
(2) الكتاب 4/ 451.
(3) الكتاب 4/ 480 .
(4) المقتضب 1/ 343 .
(5) الرعاية ص 168.
(6) الجمهرة 1/ 8 .

تابعَه على لفظ: (**الأدنى**): المبرِّدُ، وابن السرَّاج، وابن الأنباريّ، وابن الطحَّان الأندلسيّ، حيث استعمل المبرِّد: (**أدْنَى حروف الحَلْق إلى الفم**)[1]، وتابعَه: السعيديّ[2].

وابنُ السرَّاج على لفظِ سيبويه[3]، واستعمل مرَّةً: (**أدنى مخارج الحلق إلى الفم**)، وتابعَه: الدانيُّ[4].

أبو البركات ابن الأنباريّ: (**أدنى الحلق ممَّا يلي الفم**)[5].

وابن الطحّان: (**أدنى الحلق**)[6].

واستَعمَل المبرِّدُ مرَّةً: (**أوَّل الحلق ممّا يلي اللِّسان**) ناظراً إلى المخارج بدءاً من الشفتَين[7] .

واستعمَل الفارسيُّ: (**آخرَ مَخْرَجِ الحَلْق وأقربها إلى الفم**)[8].

واستعمَل ابن جنيّ: (**مِن فَوْقِ وَسَط الحَلْقِ مع أوَّل الفم**)[9]، وتابعَه: الخفاجيّ[10].

وجعَل ابنُ سينا مخرج الغَين والخاء من الحنك، وذكَر أنَّ (**موضعَ التغرغر موضعُ حدوث الغَين**)[11].

وحدَّده القرطبيُّ بأنه: (**ممَّا فوق وسَط الحلْق دانياً إلى الفم**)[12]. وهي تُشْبِهُ في أوَّلِها عبارةَ ابن جنيّ .

واستَعمل الخفاجيُّ: (**أوَّل الفم**)[13].

واستعمل سبطٌ الخياط: (**أعلى الحلق**) كعضو مشاركٍ مع (أصل اللِّسان) في خروج الغين والخاء والقاف، قال:"وثلاثةٌ تَخرجُ من أعلى الحلق وأصل اللِّسان متواليةً، وهي: الغَين، والخاء، والقاف"[14].

وتابعه الهَمَذانيّ على استعمال لفظ: (**أعلى الحلق**)[15] للغين والخاء فقط.

(1) المقتضب 1/ 344 .
(2) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص13 .
(3) الأصول 3/ 400 .
(4) التحديد ص 102.
(5) أسرار العربية ص 208.
(6) مخارج الحروف وصفاتها ص 114.
(7) المقتضب 2/ 138 .
(8) الحجة 6/ 303 .
(9) سرّ صناعة الإعراب 1/ 47 .
(10) سرّ الفصاحة ص19 .
(11) أسباب حدوث الحروف ص 116.
(12) الموضح ص 78.
(13) سر الفصاحة ص 19 .
(14) المبهج 1/ 217.
(15) التمهيد ص 277.

واستَعمل ابن الطحان مرَّةً: (**آخر الحلق ممَّا يلي الفم**)[1].

وتَختلِفُ كتبُ علمِ الأصواتِ المعاصِر في نسبة الغين والخاء، فبعضُهم تابَعَ سيبويه[2]،وبعضُهم تابَع سِبْطاً الخيَّاط[3]، وأكثرُهم تابَعَ ابنَ سينا[4].

3 . الموطنُ الثالث: الحَلْقُ تجويف رنينيّ للصَّوت:

تقدَّم الحديث عنه في تجويفات أعضاء النُّطق.

4 . الموطنُ الرَّابع: الحَلْقُ آلةٌ موسيقيّةٌ مصوِّتةٌ للغِناء:

شبَّه الفارابيُّ الحُلُوق [جمعُ: حَلْق] كأنها مزاميرُ طبيعيَّة، والمزاميرَ كأنها حلوقٌ صناعيَّة[5]، وقال عن الحلوق الإنسانيَّة:"وليس ها هنا ما هو أكمَلُ من الحُلُوق، فإنَّها تَجمَعُ جُلَّ فُصُولِ الأصوات[6]، وسائرُ ما توجَد فيه النغَمُ من الآلات تَنقُصُ عنها نُقصاناً كبيراً، وهذه كلُّها إنما جُعِلَتْ تكثيراتٍ وتفخيماتٍ وتزييناتٍ ومحاكِياتٍ وحافِظاتٍ لنغَم الحلوق الإنسانية"[7].

الأوصاف التي توصف بها الحلوق الإنسانية

وعدَّد ابنُ الطحَّان الموسيقيّ . بعد ذِكْره لكيفيَّة اختبار الحلوق، وطبقاتها الصوتيَّة . الأوصافَ التي توصَف بها الحُلُوق الإنسانيَّة بحسب ما تُصدِره من أصواتٍ، ذاكِراً صفاتها الحسَنة والقبيحة، ومعرِّفاً لكلِّ نوعٍ منها، فقال[8]:

1 . الأبحُّ: على ثلاثة أوجه: خِلْقةٍ، وتعَبٍ، وعلَّة، وهو خِلْقةً أحسنُ.

2 . الأجَسُّ: هو الجهيرُ ببُحُوحَةٍ مَلِيحة ونغَم مفخَّمة.

3 . الأخنُّ: هو الذي كأنَّ أنفَ صَاحِبِه مَسْدُودٌ.

4 . الأغَنُّ: هو الذي فيه الغُنَّةُ والحَلاَوَةُ والنَّغَم.

5 . الأمْلَسُ: هو المعْتَدِلُ الصَّافِي، الخَالي من النَّغَمِ والتَّرْجِيع.

(1) مخارج الحروف وصفاتها ص 114.

(2) انظر : الأصوات اللُّغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص113 .

(3) انظر : دروس في علم الأصوات العربية لكانتينو ص 31 .

(4) انظر : دراسة الصوت اللُّغوي ص318 ، والمدخل إلى علم اللغة ص223، ومناهج البحث في اللغة ص124 و ص129 – 130 .

(5) الموسيقى الكبير 1066.

(6) فصول الأصوات: مقاطعُها وأجزاؤها المصوِّتة.

(7) الموسيقى الكبير 79 – 80.

(8) حاوي الفنون ص 49 – 55. وقد رتَّبتُ المصطلحات فيها هجائياً، ولذلك جعلتُ الإحالة هنا.

6 . الجاسِي: الذي يَنْبُو عَن السَّمْعِ لِجَسائِه.

7 . الجَهيزُ: هو الغَلِيظُ الذَّاهِبُ في الأسْمَاع.

8 . الخَرِق: هو الذي يَتَبَدَّدُ ويَذهَبُ كلَّ مذهَب.

9 . الخَادِميُّ: ما كان غَرِيبَ (الموقع)، كخُلُوق الخدَم.

10 . الرَّاحميُّ: هو الدَّقيق الناعِم، المتوسِّط النديّ.

11 . الرَّاوَنْدِيُّ: هو الذي يَكُونُ ذا نغَمٍ زائدةٍ عن مَقَادِيرِ الغِنَاء.

12 . الرَّخو: هو الذي (يتعجَّن) فيه النَّغَم (ويتفرَّغ).

13 . الرَّطْبُ: هو ما كَانَ كالمَاءِ الجَارِي بلا كُلْفة، وفيه حَلاَوَةٌ.

14 . الشَّجيّ: هو أحسنُ الخُلُوق، وأصفاها، وأكثرها نغَماً.

15 . الشَّعِثُ: هو الذي يَصْفُو مرةً ويَشْعَثُ أخرى، ولا يُخَلَّصُ نغَمُه.

16 . الصَّدِئُ: هو الذي يَكُونُ فيه ما (يغطِّي) نغَمَه ويكدِّرُه.

17 . الصّرْصُورِيّ: هو الدَّقيق الحادُّ العادي (...) الموقِع.

18 . الصِّياحيُّ: هو الذي يَنفِرُ عن (الوزن) إلى زيادةٍ ونقصان.

19 . الطَّلِيُّ: هو قريبٌ من الرَّطْبِ الدَّقيق، الذي يَضعُف ويكاد يَخفى.

20 . القَطِيعُ: هو الذي لا يكاد يُسْمَع بالجملة.

21 . الكَرَوانيُّ: هو يُشبِه الكَرَوانَاتِ دقةً، وصفاءً، وتسلسلاً.

22 . اللُّقَميُّ: هو الذي كأنَّ في فَمِ صَاحِبِه لُقْمَةً من الطَّعَام.

23 . المَبْلَبَلُ: هو الذي تَختلِفُ فيه النَّغَم، وتَزُولُ عن أماكنها.

24 . المتَيَسِّر: هو الذي يَبْتَدِئ (معذوراً) ثم يتيسَّر.

25 . المختَنِقُ: هو الذي كأن صاحبه يَخْنَقُ ويكثُرُ تَنَحنُحُه.

26 . المخَلْخَلُ: وهو العَالي الحادُّ النغَم بحلاوةٍ وجهارة.

27 . المرتَعِدُ: هو الذي كأن صاحبَه مقرورٌ بالحمَّى.

28 . المصَلْصَلُ: هو الدَّقيق اليابِس الجيِّدُ بغير شَجىً.

29 ـ المصَهْرَج: الصَّيِّتُ الثقيل بلا ترجيعٍ ولا نغمَة.

30 ـ المظْلِمُ: هو الذي ليس فيه نغمةٌ، ولا يَكادُ يُسمَع.

31 ـ المغْتَصُّ: هو الذي يَمنعُ بَلْعَ ريقه، ويتغيَّر فيه الغِناء.

32 ـ المقَعْقَع: هو الذي يُشبِهُ كلامَ الباديةِ بلا حَلاوةٍ.

33 ـ المنْطَفِئُ: الذي ليس له صوتٌ لتضاؤله وانقطاعه.

34 ـ المنْعَصِرُ: هو الذي يُشْبِهُ حُلُوق (الخُدب).

35 ـ النَّابي: هو الذي يَنبو عن الحُلوق في المراسَلات.

36 ـ الناعِمُ: الصوتُ المليحُ الموقِع، الصافي النغَم.

37 ـ النّطفيُّ: هو الذي يَقوى تارةً ويَضعف تارة.

العُضوُ الثَّامنُ من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الفم

الفم: من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تفتُّحٍ في شيءٍ[1]، فمنه: فم الإنسان، وفم الإبريق... الخ.

استُعمِل: (الفمُ) في أكثر من معنى، منها:

أ ـ الشَّفَتَان، على اعتبار أنَّها الجزءُ الخارجيُّ المتحرِّكُ من الفم.

ب ـ تجويفٌ يحتوي على أعضاءٍ ثابتةٍ ومتحرِّكةٍ، كالحنكِ واللِّسان.

وعلى المعنى الثاني استُعمِل في أكثر من مَوطنٍ صوتيٍّ، منها:

1 ـ مخرجٌ رئيسٌ من مخارجِ النُّطق.

2 ـ مخرجٌ خاصٌّ لبعض الحروف بما يحتويه من الحنكِ واللِّسان والأسنان والشفتَين.

3 ـ مكانٌ لانتشار صوتِ الحروف.

4 ـ فراغٌ رنينيٌّ للصَّوْت.

5 ـ جزءٌ مشاركٌ في رسمِ حدود المخارج.

أولاً : المعاني التي استعمل فيها لفظ: (الفم)

(1) مقاييس اللُّغة ص 802 (ف و ه).

أ . المعنى الأوَّل من معاني الفم = الشفتَان:

استَعْمَل أبو الأسودِ الدُّؤَليُّ: (**الفم**) بمعنى الشفتَين عند وضعِه لعلاماتِ الإعراب: الفتحةُ، والضمَّةُ، والكسرةُ، في حديثه للكاتب:"إذا رأيتَني قد فَتَحْتُ **فَمِي** بالحرفِ فانقُطْ نُقطةً على أعلاه، وإذا ضَمَمْتُ **فَمِي** فانقُطْ نُقطةً بين يدَي الحرف، وإذا كَسَرْتُ **فَمِي** فاجْعَل النُّقطةَ تحت الحرف"(1).

ففتحُ الفم، أو ضمُّه، أو كسرُه هو عملٌ من أعمال الشفتَين؛ لأنَّها هي الجزءُ الظَّاهِرُ المتحرِّكُ من الفم، ولأنَّ حركةَ الفكِّ السُّفليّ ثلاثُ حركات: تباعدٌ عن الفكِّ العلويّ، وإطباقٌ عليه، وحركةٌ إلى اليمين وإلى اليسار.

وتَشْتَرِكُ الحركاتُ الثَّلاثُ في تَبَاعُدِ الفكِّ السُّفليّ، والتمييزُ بينَها إنَّما هو من عملِ الشفتَين.

واستَعمل الخليلُ: (**الفمَ**) بمعنى الشفتَين في تلقيبه للميم بـ: (المطْبِقة)، قال اللَّيثُ:"وكان الخليلُ يسمِّي الميمَ: مُطْبِقةً؛ لأنها تُطْبِقُ **الفمَ** إذا نُطِق بها"(2). فأطبَقت الميمُ الشفتَين والفكَّين.

وكذلك استعملَه مكيٌّ، قال عن حروف المدِّ:"ألا ترى أنَّ النُّطق بهذه الحروف إنَّما هو فتحُ **الفم**، أو ضَمُّهُ بصوتٍ مُمْتَدٍّ أو غير مُمْتَدٍّ حتى يَنقَطِعَ مخرجُه في الحلْق"(3).

ب . المعنى الثاني من معاني الفم = تجويفٌ يحتوي على أعضاءٍ ثابتةٍ ومتحرِّكةٍ، كالحنكِ واللِّسان

ثانياً : المواطن الصوتية للفم

1 . الموطن الأوَّل من استعمالات الفم: مخرجٌ رئيسٌ من مخارجِ النُّطق:

انظر المخارج الرئيسة للنُّطق .

2 . الموطن الثاني من استعمالات الفم: مخرجٌ خاصٌّ لبعض الحروف بما يحتويه من الحنكِ واللِّسان والأسنان والشفتين:

نسَب سيبويه إليه الحروفَ التي يُشاركُ اللِّسانُ في إنتاجِها مع الحنك أو مع الأسنان، ولقَّبَها بـ: (**حروف الفمِ واللِّسان**)(4)، أو: (**حروف الفم**)(5).

وذكَر سيبويه أنَّ أصلَ الإدغام **لحروفِ الفم واللِّسان**، وأنَّ كثرةَ الإدغامِ في **حروف الفم**(6).

(1) طبقات النحويّين للزبيديّ ص29. وانظر: أخبار النحويين البصريّين للسيرافيّ ص 35 .
(2) العين 1/ 58.
(3) الرعاية ص 127 .
(4) الكتاب 4/ 448 و 462.
(5) الكتاب 4/ 448 و 454 .
(6) الكتاب 4/ 448 .

تابعَ سيبويه على اللَّقَبَين: ابنُ السرَّاج[1]، والدانيُّ[2].

وتابعَه على: **(حروف الفم)**: المازنيُّ[3]، والمبرِّد[4]، والزجَّاج[5]، والسيرافيّ[6]، والفارسيُّ[7]، وابن جنيّ[8]، والسعيديّ[9]، والقرطبيّ[10].

ومن ألقاب سيبويه لحروف الفم والشفتَين أيضاً: **(الحروف المُرتَفِعة)**، قالها في معرِض حديثه عن علة اختيار الفتحة في عين الفعل المضارع إن كان حرفاً حلقياً، قال:"وإنَّما فتَحُوا هذه الحروفَ لأنَّها سَفلتَ في الحلْق، فَكَرِهُوا أن يتناوَلُوا حركةَ ما قبلَها بحركةِ **ما ارتَفَعَ من الحروف**، فجعَلُوا حركتَها من الحرفِ الذي في حيّزِها، وهو الألف، وإنَّما الحركاتُ من الألفِ والياءِ والواوِ.

وكذلك حرَّكُوهنَّ إذ كُنَّ عَيْناتٍ، ولم يُفعَل هذا بما هو مِن مَوْضِعِ الواو والياء؛ لأنَّهما من الحروف التي **ارتَفعَتْ، والحروف المرتفِعةُ** حَيِّزٌ على حدةٍ، فإنَّما تَتَنَاوَلُ **للمُرتَفِع** حركةً من **مُرْتَفِع**، وكُرِهَ أن يُتناوَلَ للَّذي قد سَفل حركةٌ من هذا الحيّز"[11].

وذكَر أبو بكر ابنُ الأنباريّ ـ وهو من البغداديّين ـ أنَّ للفم أحدَ عشرَ مخرجاً، قال:"وذلك أنَّ من **الفم** أحدَ عشرَ مخرجاً، المخرجُ الخامِسُ منها للأَّم، والسَّادس للنُّون"[12].

وبيَّنَ مكّيٌّ أنَّ المخرجَ الحادي عشر هو للفاء[13].

وزادَ عليها مخرجَين هما: مخرج الباء والميم والواو[14]، ومخرج الغنَّة[15]، ليصيرَ للفم ثلاثة عشر مخرجاً.

وقد يصحُّ من مكّيّ جَعْلُه الميمَ والباءَ والواوَ من الفم، وهي من مخارج الشفتَين؛ لأن الشفتَين جزءٌ من

(1) الأصول 3/ 413 و 417 و 428 .
(2) المطبوع من جامع البيان 2/ 714 ، والإدغام الكبير ص41 .
(3) نقل ذلك عنه الفارسيّ في التكملة ص278 .
(4) المقتضب 1/ 344 و 351 .
(5) معاني القرآن وإعرابه 5/ 175 .
(6) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص64 .
(7) الحجة 4/ 445 و 5/ 136 و 6/ 303، والتكملة ص278 .
(8) الخصائص 1/ 365 و 2/ 324.
(9) اختلاف القراء في اللام والنون ص65 .
(10) الموضح في التجويد ص81 .
(11) الكتاب 4/ 101 .
(12) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 146 . وانظر: 1/ 220 .
(13) الرعاية ص 227 .
(14) الرعاية ص229 و 232 و 235 .
(15) الرعاية ص 240 .

الفم، لكن لا يصحُّ له أن يَجْعَلَ مخرجَ الغنَّةِ المخرجَ الثالثَ عشرَ من مَخارِجِ الفم، حتى وإن كانت الغنةُ تابعةً للنُّون والميم.

وذكَر الفارسيُّ أنَّ النوُّنَ المتحرِّكةَ تخرجُ من الفم، والساكنةَ من الخَيشوم[1].

ولقَّب ابنُ جنيّ الحرفَ الذي يَخرج من الفم بـ: **(الحرف الفمَويّ)**[2].

وذكَر أنَّ أكثرَ الحروف يخرجُ من الفم[3].

ولقَّب ابنُ سفيان القيروانيُّ الحروفَ التي تَخرُجُ بعْد مخرجِ الراءِ بـ: **(الحروفِ التي هي أقربُ إلى خارجِ الفمِ من الرَّاء)**، "وهي: النُّون المتحرِّكة، والصَّادُ والزاي والسين، والطاء والدال والتاء، والظاءُ والذَّالُ والثَّاء، والفاء، والميم والباء والواو"[4].

وتقييدُه النون بالمتحرِّكة احترازاً عن الساكنة التي جعلَها بعضُ المتقدِّمين من الخيشوم[5].

وعلَّل مكّيّ بن أبي طالب لتسميةِ الخليلِ الحروفَ التي ليستْ من الحلْق بـ: (الحروف الصُّتْم)، قال:"وإنَّما سمِّيتْ صُتْماً، لتمكُّنِها في خروجِها من **الفم**، واستِحكامِها فيه"[6].

وقد تقدَّم استعمالُ **تجويف الفم** كمخرجٍ لحروف المدّ.

ومِن المتقدِّمين مَن نبَّه إلى عدمِ وُجودِ أيِّ دَورٍ لأعضاءِ **الفم** في إخراج صوت الألف، وإليك بعضَ أوصافِهم:

الألِفُ لا يَعْتَمِدُ اللِّسانُ فيها على عضوٍ من أعضاءِ **الفَم**: مكّيّ[7].

الألفُ: صوتٌ لا يَعتَمِدُ اللِّسانُ فيها على شيءٍ من أجزاءِ **الفَم**: الدانيّ[8].

الألِفُ لا يَنْقَطِعُ لها في **الفَم** جزءٌ تَتَحيَّزُ إليه: ابن الطحَّان[9].

وقد تقدَّم أنَّ من المحْدَثين مَن ذكَر مثلَ ذلك عن الألف.

(1) نقل ذلك عنه ابن جني في الخصائص 2/ 324 .
(2) الخصائص 1/ 363 .
(3) المنصف 2/ 209 .
(4) الهادي 1/ 197 .
(5) انظر: المقتضب 1/ 350 ، وسر صناعة الإعراب 1/ 43 .
(6) الرعاية ص137 .
(7) الرعاية ص127 .
(8) التحديد ص102 و120 ، وانظر: الإدغام الكبير ص49، والموضح لمذاهب القراء في الإمالة ل 1/ أ و 39/ ب .
(9) مرشد القارئ 9/ ب .

ثالثاً : أقسام الفم

بعضُ المتقدِّمين رأى من الأسْهَل عليه ـ بَدَلَ أن يَذْكُرَ عُضْوَي النُّطق عند ذكْر مخرج الحرف ـ أن يكتفيَ بذكْر المخرج العام من الفم.

قسَّم بعضُ العلماء الفمَ إلى مناطِق، نسَبوا إليها بعض الأصوات اللُّغويَّة، وهذه المناطق هي:

1 ـ **الجزء الخلفيّ**: 1 ـ (أقصى الفم)، 2 ـ (أدنى إلى مقدَّمِ الفم)، 3 ـ (أوَّل الفم).

2 ـ **الجزء الأوسطُ**: 1 ـ (وسط الفم).

3 ـ **الجزء الأماميُّ**: 1 ـ (أدنى الفم)، 2 ـ (بين يدي الفم)، 3 ـ (مقدَّم الفم).

4 ـ **الجزءُ المحصورُ بين عظمَي الفكِّ السُّفليّ**: 1 ـ (شَجْرُ الفم).

5 ـ **الجزءُ الأسفل**: 1 ـ (قاعُ الفم).

6 ـ **الجزء الجانبيُّ**: 1 ـ (الشِّدق)، 2 ـ (الشِّقّ).

القسم الأوَّل: الألفاظ المستعملة للجزء الخلفيّ

مصطلحاته: 1 ـ (أقصى الفم)، 2 ـ (أدنى إلى مقدَّمِ الفم)، 3 ـ (أوَّل الفم).

ذكَر الخليلُ أنَّ الجيم والقاف والكاف، تخرُجُ مِن **أقصَى الفَم**[1].

وتابعَه ابن دُرَيد مضيفاً إليها الشين في مجموعةٍ لقَّبَها بـ: **(حروف أقصى الفم من أسفل اللِّسان)**[2].

وذكَر ابنُ جنيّ أن الغين والخاء يَخرجان ممَّا فوق العين والحاء مع **أوَّل الفم**[3].

وذكَر أنَّ الكاف تخرجُ مِن أسفلِ القاف **وأدنى إلى مقدَّم الفم**[4]. يعني أدنى إلى الأمام.

وتابعَه: القرطبيُّ[5]، والخفاجيُّ[6]، والهمَذانيّ[7]، وأبو البركاتِ ابنُ الأنباريّ لكن بلفظ: **(وأقْرَبُ إلى مُقَدَّمِ الفَم)**[8].

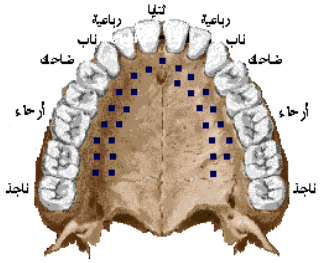
(1) العين 1/ 52 .
(2) الجمهرة 1/ 6.
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .
(5) الموضح في التجويد ص78 .
(6) سر الفصاحة ص19 .
(7) التمهيد ص277 .
(8) أسرار العربية 208 .

القسم الثاني: الألفاظ المستعملة للجزءِ الأوْسَطِ

مصطلحاته: (وسط الفم).

ذكَر ابنُ دُرَيد أنَّ السِّينَ تَخرُجُ مِن **وسَطِ الفَم** مُطْمئِنَّةً على ظَهْرِ اللِّسَان[1].

ولعلَّ هذه النسبةِ مُسْتَنْتَجَةٌ من بعض أقوال الخليل[2]، أو لعلَّه يَقْصِدُ أنَّ مسلك السِّين يَضيقُ من وسط الفم، وهذا تُظهرُه الرُّسومات الحنكيَّة من وجود نقاطِ تلامسٍ للسَّطح العلويّ لِلّسان على الحنك الأعلى، والله أعلم بمرادِه .



شكل رقم (19) نقاط تلامس سطح اللِّسان بالحنك في صوت السِّين

ومِثّل شكل رقم (19) نقاط تلامس سطح اللِّسان بالحنك في صوت السِّين.

وذكَرَ ابن جنيّ أنَّ الياءَ تخرجُ من **وسط الفم**[3].

ولقَّب الصاد والسِّين والزاي بـ: **(حروف وسَطِ الفَم)**[4].

وذكَرَ أبو البركات الأنباريُّ أنَّ حركةَ (الجَرِّ) تخرجُ من **وسط الفم**[5]، لكَونها جزءاً من الياء.

القسم الثالث: الألفاظ المستعملة للجزءِ الأمَامِيّ

مصطلحاته: 1 . (أدنى الفم)، 2 . (بين يدي الفم)، 3 . (مقدَّم الفم).

استَعمَل ابن دُرَيد: **(أدنى الفم)**، في مجموعةٍ لقَّبَها: **(جنس حروف أدنى الفم)**، قال:"ومن جِنْسِ حروفِ أدنى الفم: التاءُ، والطاءُ، والدالُ. وأَدْنَى مِنْهَا أيضاً مِمَّا هُو شَاخِصٌ إلى الغَارِ الأعلَى: وهو الظاءُ، والثاءُ، والذال، والضاد"[6].

وقال السُّهيليُّ إن الميمَ يَخْرُجُ صوتُها من بين: **(يَدي الفم)**، وهو يريد الشفتَين[7].

(1) الجمهرة 1/ 12 .

(2) قال الخليل في العين 1/ 52:"وأمَّا سائرُ الحروف فإنَّها ارتَفَعتْ فوق ظهرِ اللِّسان من لَدُن باطنِ الثنايا، من عند مخرجِ التاءِ إلى مخرجِ الشِّين، بين الغار الأعلى وبين ظهر اللِّسان، ليس للِّسان فيهنَّ عملٌ أكثرُ من تحريكِ الطَّبَقَتَين بهنَّ".

(3) المنصف 1/ 196 .

(4) سر صناعة الإعراب 2/ 816 . ولعلَّه أخذه من تلقيبِ ابن دُرَيد لهذه الحروف بـ: (حروف وسطِ اللِّسان مِمَّا هو منخَفِض) اهـ . (الجمهرة 1/ 7).

(5) أسرار العربية ص32 و 48 .

(6) الجمهرة 1/ 7 .

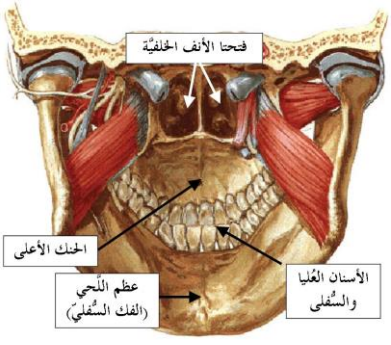
(7) نتائج الفكر ص 142 .

القسمُ الرابع: الألفاظ المستعملة للجُزْء المحصور بين عظْمَي الفكِّ السُّفليّ

مصطلحاته : (شَجْرُ الفَم)

مصطلحٌ غامِضُ الدَّلالة في الاستعمال الصَّوتيّ.

من أصلِ: (الشَّجْر) اللُّغويّ أن يدلَّ على تداخلِ الشيء بعضِه في بعض.



شكل رقم (20) صورة خلفية لتجويف الفم

واختَلَفَ أصحابُ المعاجم في تحديده، فقيل: الفم، وقيل: هو مَفْرَجُ الفم، وقيل: ما انفَتَح من مُنطَبَقِ الفم، وقيل: هو مابين اللَّحيَين [عَظْمَي الحنك اللَّذَين فيهما الأسنان]، وقيل: مابَين أعلي اللَّحْيَين إلى أسفلِهما، وقيل: ما بين لَحْيَيْه من اللَّحم مِن ظاهر ومن باطن، وقيل: مُؤَخَّرُ الفم، وقيل: هو مُلْتَقَى اللِّهزِمَتَين [أصل عَظْمَي الحنك]، وقيل هو الذَّقَن[1].

والجَامِعُ بين هذه المعاني أنَّ أكثرَها يتعلَّق بالمنطِقة الواقعةِ بين عَظْمَي الفك السُّفليّ، المرَكَّب عليه الأسنان السُّفْلِيَّة. والصورة المختارة هي صورة خلفيَّة لتجويف الفم تُظهِرُ الفكَّين العلويّ والسفلي بعد إزالة الحنك اللَّحمي، وفيها يَظهَرُ الحنكُ العظميُّ، ولعلَّه من هذه الصورة يُمكن تصوُّر مرادِهم بشَجْرِ الفم حسب الأوصاف اللُّغويَّة السَّابِقة، لأنَّ إطباق الأسنان على بعضها يوحي بالتداخل، وهو يُرجِّح ما ذَكَرتُه آنفاً عن هذه المنطقة. شكل رقم (20) صورة خلفية لتجويف الفم.

وإليك استعمالَه الصَّوتيّ:

بَعْدَ أن ذَكَر الخليلُ الحيِّزَ اللَّهْوِيَّ وما يضمُّه من مخرجَي القاف والكاف، نسَب مخرج الجيم والشين والضاد إلى: (**شَجْرَ الفم**)، في مجموعةٍ لقَّبَها بـ: (**الشَّجْرِيَّة**)، قال:"والجيمُ والشينُ والضادُ شَجْرِيةٌ؛ لأنَّ مَبْدَأَهَا من شَجْرِ الفَم، أي مَفْرَج الفَم"[2].

ظاهِرُ النصِّ يُفْهِم أنَّ الخليلَ يُرِيدُ بـ: (شَجْر الفم): أوَّل ما بين اللَّحْيَين، لأنَّه مفرج الفم، ويُقابِلُه من فوق الحنك العظميّ، أو منطقة وسط الفم التي تخرج منها هذه الثلاثة.

وهكذا فَهِم منه مَن جاء بعده، فتابعَه: الرازيُّ[3]، ومكِّيّ[1]، والزمخشريُّ[2].

(1) انظر: مقاييس اللُّغة ص527 – 528 ، والصحاح 2/ 694، والبارع للقالي ص606، والمحكم لابن سيده 7/ 173، ولسان العرب 4/ 396 .

(2) العين 1/ 58 .

(3) الزينة ص64.

واستبدل القرطبيُّ مكانَ الضادِ الياءَ[3].

وتابعَ القرطبيَّ: الهمَذانيّ[4]؛ ليتَّفِقَ ذلك مع كلامِ سيبويه في المخارج، ومعلومٌ أنَّ سيبويه يجعَل مخرجَ الجيم والشين والياء من وسط اللِّسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، وهي منطقة وسط الفم.

غير أنَّ الخليلَ في مَوضعٍ آخَر نسَب الظاءَ إلى شَجْرِ الفم، قال:"والظاءُ من فِخَام حروفِ الشَّجْر"[5]. فأوقَعَنا في حَيرَةٍ إذا حَمَلْناهُ على التفسير الأوَّل ـ أعني وسطَ الفَم ـ لأنَّ الظاءَ من طرف اللِّسان مع أطراف الثنايا العُلْيا.

وهنا يَبْرُزُ السُّؤال التالي: هل مُصْطَلَحُ: (شَجْر الفم) عند الخليلِ مصطلحٌ واسعٌ يشمَل جميعَ الحروفِ التي تكونُ ضِمْنَ جَوْف الفَم بعد القاف والكاف، أم نِسبةُ الظاء إلى شَجْرِ الفَم بسبب تفخيمها الذي يَستَلْزِم تقَعُّرَ وسَطِ اللِّسان معه، وهذا التقعُّرُ يتمُّ في وسَط الفم؟ الله أعلم.

واستَعْمَل ابنُ سينا: (**الشَّجْرَ**) في أكثرَ من موضعٍ استعمالاً يتَّصِلُ بالحنك الأعلى، فزادَنا حَيرةً على حَيْرَةٍ.

استَعْمَله مع الحنك في وصفِه للصَّادِ، والطاء، والزَّاي[6]، وبدونه مع الشِّين الزائيَّة[7].

قال في وصف الإطباق في الصاد:"حتى يُطْبِقَ اللِّسانُ أو يكادُ يُطْبِقُ على ثُلُثَي السَّطْحِ المفْرُوشِ تحتَ الحنَكِ **والشَّجْرِ**"[8].

وقال عن إطباق الطاء:"وإنَّما تَحْدُثُ عن انطِباقِ سَطْحِ اللِّسان أكثرِه مع سَطْحِ الحَنَكِ **والشَّجْر**، وقد يَبْرأُ شَيءٌ مِنْهُمَا عن صَاحِبه"[9].

كان يُمكِن أن يُفهَمَ: (**الشَّجْرُ**) عند ابن سينا بـ: أقصى الحنك لو أنَّه اكتفى بوصفِ حروف الإطباق، لكن باستعماله له في الزاي، والشين الزائيَّة قد ضيَّع فرصةَ الفهم لديَّ، ولأمرٍ ما استعمَل ابنُ سينا هذا المصطلح مع الحنَكِ جنباً إلى جنب، فهل هو من قبيل المترادفِ، أم هو ذو دلالة محدَّدةٍ عنده؟ الله أعلم.

---

(1) الرعاية ص 139 – 140 . وبيَّن أنَّ مفرج الفم في قول الخليل هو مَفْتَحُ الفم.
(2) أساس البلاغة ص321 .
(3) الموضح ص 142 ، و 208.
(4) التمهيد ص278 .
(5) العين 8/ 167 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص 120 .
(7) أسباب حدوث الحروف ص 129 .
(8) أسباب حدوث الحروف ص 77 .
(9) أسباب حدوث الحروف ص79 .

ولأجل هذا الغموضِ الدَّلاليّ جعلْتُ منطقةَ **شَجْرِ الفم** منطقةً واسعةً محصورةً بين عَظْمَي الفكِّ السفليّ، وهو ما يتَّفِق مع التفسيرات اللُّغويَّة التي قدَّمَها العلماءُ للشَّجْر، ولا يُخالِفُ الاستعمالَ الصَّوتيَّ له مع غموضِه.

القسمُ الخامس: الألفاظ المستعملة للجزء الأسفل

مصطلحاته : استُعمل له لفظ واحدٌ هو **(قَاعُ الفَم)**

يدلُّ أصلُ **(القاع)** اللُّغويّ على تَبسُّطٍ في مكانٍ. من ذلك القاعُ: الأرضُ المِلْساء[1].

وهكذا استُعمِل للجزء المقابل للحنك الأعلى من الفم.

استعمَل مكّيّ: **(قَاع الفم)** في حديثه عن الحروف المستفِلة، قال:"بل يَسْتَفِلُ اللِّسانُ بها إلى **قاعِ الفم** . عند النُّطْقِ بها . على هيئةِ مخارِجِها"[2]. وتابعَه: ابن الطحَّان الأندلسيّ[3].

القسمُ السادس: الألفاظ المستعملة للجزء الجانبيّ

المصطلح الأوَّل للجزء الجانبيّ من الفم: (الشِّدْق)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على انفراجٍ في شيء. من ذلك: الشِّدقان للإنسان، وهما جانبا الفم، أو هما لحمُ باطنِ الخدَّين من جانِبَي الفم، وقيل: هما ملتقى الشفتَين. والشَّدَق: سَعةُ الشدَق، ورجلٌ أشْدَقُ، وخطيبٌ أشْدَق[4].

استُعمِل هذا المصطلحُ في تبيين مخرجَي الكسرةِ والضَّاد.

ذكَر الفرَّاء أنَّ ثِقَلَ الكَسْرَةِ ناشئٌ مِن أنَّ أحَدَ الشِّدْقَين يُمالُ إليها، قال عن ثقل الضمَّة والكسرة وخفَّة الفتحة:"فإنما يُسْتَثْقَلُ الضَّمُّ والكَسْر؛ لأنَّ لمخرجَيهما مَؤونةً على اللِّسان والشفتَين؛ تَنْضَمُّ الرَّفعةُ بهما فتَثْقُلُ الضَّمَّة، ويُمَالُ أحدُ الشِّدْقَيْن إلى الكَسْرَة، فتَرَى ذلك ثَقيلاً، والفتحةُ تَخْرُجُ مِن خَرْقِ الفَم بلا كُلْفَةٍ"[5].

هذا أحدُ النُّصوص النادرة عن الكوفيّين الذي يُبَيِّنُ مخرجَ الحركات، ومع قيمتِه العلمية إلا أنَّ مخرجَ الكسرة فيه بعضُ الغموض؛ إذ كيف يُمال أحدُ الشِّدْقَين إلى الكسرة؟ ولماذا خصَّصَ أحدَ الشِّدقَين بالكسرة

(1) مقاييس اللُّغة ص838 (ق و ع).

(2) الرعاية ص124 .

(3) مخارج الحروف وصفاتها 132 .

(4) مقاييس اللُّغة ص 531 (ش د ق) ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان ص16. وانظر: العين 5/ 34، والجمهرة 2/ 269، والصِّحاح 4/ 1500، والمحكم 6/ 95، ولسان العرب 10/ 172.

(5) معاني القرآن 2/ 13 .

دُون الآخَر؟ وما مفهومُ الشِّدْق عنده؟

لعلَّ الشِّدْقَين هنا بمعنى الشفتَين؛ لأنَّ الشفتَين منهما، والشِّدْقَان ـ بمعنى جانبي الفم ـ إلى الشفتَين ينتَهِيانِ، وعلى هذا الفهم يَسهُلُ تفسيرُ إمالةِ أحد الشِّدقَين إلى الكسرة؛ لأنَّ الشَّفةَ السُّفلى ـ وهي أحدُ الشِّدقَين ـ في الكسرة تُخْفَضُ إلى تحت، وهو معنى قوله: إمالةٌ إلى الكسرة.

يُضافُ إلى ذلك أنَّ مقصودَ الفرَّاء تبيينُ ثِقَلِ الضمَّة والكسرة، ولا شكَّ أنَّ هذا يَظْهَرُ في عَمَل الشفتَين، والله أعلم.

ونسَب الجاحِظُ مخرجَ الضَّاد إلى الشِّدق الأيمن، قال:"فأمَّا الضادُ فليْسَتْ تَخْرُجُ إلا من الشِّدْقِ الأيمن، إلا أن يكونَ المتكلِّمُ أعْسَرَ يَسِراً، مِثلَ عُمَرَ بنِ الخطَّاب ـ رحمه الله ـ فإنَّه كان يُخْرِجُ الضَّادَ مِن أيِّ شِدْقَيهِ شَاء، فأمَّا الأيمنُ والأعسرُ والأضبطُ فَلَيس يُمْكِنُهُمْ ذلك إلا بالاستِكراهِ الشَّدِيد"[1]. يعني: لايُمكِن لهؤلاء الذين ذكَرهم حرِّيةَ إخراجَ الضادِ من أحد جانِبَي الفم إلاَّ بمشقَّة.

وتابعَه المبرِّدُ، قال:"ومَخرجُها من الشِّدق، فبَعْضُ النَّاسِ تَجْرِي له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر"[2].

ونقل الدانيُّ عبارةَ المبرِّد[3].

وجمَع الهمَذانيّ بين عبارتَي الجاحظِ والمبرِّدِ مبيِّناً أنَّ "الضادَ يُتَكَلَّفُ إخراجُها من أحد الشِّدْقَين، وهو عَسِرُ المخرج"[4].

واستَعْمَلَ الكنديُّ: (جَانِبَي الشِّدْق) كجزء مشاركٍ مع الأضراس ووسط اللِّسان في كيفية خروج الضاد[5]. وظاهرٌ أنَّ الشِّدْق هنا بمعنى الفم.

المصطلح الثاني للجزء الجانبيّ من الفم: (الشِّقُّ)

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على انصِداعٍ في الشيءِ، ثمَّ يُحمَلُ عليه ويُشتَقُّ مِنه على سبيلِ الاستِعارَة. تقول: شَقَقْتُ الشيءَ أشُقُّهُ شَقّاً. ويُقال لنصْفِ الشيء: الشِّقُّ. والشِّقُّ أيضاً: الناحيَةُ من الجبل. ويقال: اشتَقَّ في الكلامِ في الخُصُومات يميناً وشمالاً مع تَرْكِ القَصْد، كأنَّه يكونُ مرَّةً في هذا الشِّقّ، ومرَّةً في هذا[6].

(1) البيان والتبيين 1/ 47 .
(2) المقتضب 1/ 328 .
(3) التحديد ص 103 .
(4) التمهيد ص 277 .
(5) رسالة في اللُّثغة ص 528.
(6) مقاييس اللُّغة ص 498 (ش ق ق).

استُعمِل: (الشِّقُّ) في أكثر من معنى:

1 . الجزءُ الجانبِيُّ من الفم. 2 . الفُرجَةُ بين الثنايا وطرف اللِّسان.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الشِّقّ) = الجزء الجانبيُّ من الفَم:

استَعمل الأخفش: (**الشِّقَّ**) في مخرج اللاَّم، قال:"إلا أنَّ اللامَ بالشِّقِّ الأيمنِ أدخلُ في الفم"[1].

واستَعمله ابنُ دُرَيد في وصفِ النُّون، قال:"ثمَّ النُّونُ تحتَ حَافَّةِ اللِّسانِ من **الشِّقِّ** الأيمن، واللاَّمُ قريبةٌ من ذلك"[2].

واستَعمله أبو جعفر النحَّاس في وصف الضَّاد، ناسباً ذلك إلى الخليل وسيبويه، قال:"وزعَم الخليلُ وسيبويه أنَّ الضادَ تَخرُجُ من **الشِّقِّ** اليمين، ولبعضِ الناسِ من **الشِّقِّ** الشِّمال"[3].

2 . المعنى الثاني لـ: (الشِّقّ) = الفُرجَةُ بين الثنايا وطرف اللِّسان:

استَعمله ابن الطحَّان الأندلسيُّ في وصف مخرج الصَّاد والسين والزاي، قال:"ومِن طرَفِهِ [طرف اللِّسان]، وما يَلِيهِ من **الشِّقِّ** بَينَ الثنِيَّتَين مِن العُلْيَين تَخْرُجُ الصادُ، والسينُ، والزاي"[4].

3 . الموطنُ الثالث من استعمالات الفم: مكانٌ لانتشار صوتِ الحروف:

من أوضح الأمثلةِ على هذا استعمالهم لمصطلح: (**الهُويّ**) بمعنى انتشار الصوت وجريانه لحروف المدِّ واللِّين، وللميم والنُّون، وجعَلوا الفمَ أحد أماكن هذا الانتشار، وسيأتي الحديث عن ذلك.

واستَعمل الخليلُ: (**الفم**) في تعريفه الدَّقيق للصَّوتِ المهموس، حيث نبَّه على خُلوِّ الصَّوت من أي أثرٍ لاهتزاز الأوتار الصوتيَّة المسبِّبَة للجَهر، وأنَّه لأجل ذلك يُحَسُّ به في الفم، أي: في مخرج الحرف، قال:" الهَمْسُ: حِسُّ **الصَّوْتِ في الفَمِ**، ممّا لا إشْرَابَ لَهُ مِن صَوْتِ الصَّدْر، ولا جَهَارَةَ في المَنْطِقِ، ولكنَّه كلامٌ مَهْمُوسٌ في الفَمِ كالسِّر"[5].

ومِن إحساس الصَّوت في الفم استَعمَل سيبويه: (**صَوْتَ الفَم**) في مَوْضِعَين:

مَوْضعٌ تابَع فيه مفهوم الخليلِ للهمس، وذلك في حديثه عن الحرف المهموس السَّاكن، حيثُ نبَّه إلى أنَّ

(1) معاني القرآن 2/ 735 .

(2) الجمهرة 1/ 8 .

(3) إعراب القرآن 4/ 171 . وهذا القول أصلُه لا ألفاظُه في كتاب سيبويه 4/ 432، ومن عادة أبي جعفر النحاس أن يَجْمَعَ اسمَ الخليلِ مع سيبويه إذا كان القولُ لسيبويه على اعتبار أنَّ الكتاب من علم الخليل.

(4) مخارج الحروف وصفاتها ص 118 .

(5) العين 4/ 10 .

حالَه في الوقف ـ من توفُّرِ الصوت عليه ـ ليس كحاله في الوصل، للتأَهُّبِ في نُطق الحرفِ الذي يَلِيه، وسمَّى صوتَ الحرفِ المهموس بـ: (صوت الفم)، قال:"وكذلك المهموسُ؛ لأنَّك لا تَدَعُ **صَوْتَ الفم** يَطُولُ حتى تَبتَدئ صَوتاً"[1].

وهذا أحدُ الأمثلة التي تُبيِّنُ العلاقةَ الوثيقة بين كلام الخليل في العين وكلام تلميذه سيبويه في الكتاب.

والثاني في الإدغام بغُنَّة، حيثُ نبَّه إلى أنَّ الصَّوتَ المُمْتدّ الناشئَ عن الإدغامِ بغُنَّةٍ ليس خالصاً من الأنف، إنَّما هو صَوْتُ المُدْغَمِ فيه خَالَطَتْهُ غنَّةٌ من الأنف، قال عن النُّون:"وهي مع الرَّاء واللاَّم والياء والواوِ إذا أدغمتَ بغنَّةٍ فليس مخرجُها من الخياشيم، ولكنْ **صوتُ الفم** أُشْرِب غُنَّةً"[2].

ومِن ذلك الانتشار في الفم: ما ذكَره سيبويه مِن أن الظَّاءَ أفشى في الفم من الثاء، قال عن الثاء:"لأنَّها ليستْ كالظَّاء في الجَهْرِ والفُشُوّ في الفم"[3].

ويبدو لي أنَّه يريد بـ: الفشُوّ في الفم: الإطباقَ في الظاء؛ فهو الذي يزيدُ ـ بعد الجهر ـ على الثاء، لأنَّ حَصْرَ الصَّوْتِ في الحرفِ المطْبَقِ يكونُ على طُول اللِّسان، ولأنَّه قال في مَوْضعٍ آخَر: إنَّ المطبَقَ أفشى في السَّمْع من غير المطبَق[4].

وعلَّل ابنُ جنيّ لإدغام اللام في الصاد والسين في نحو: [قُلْ صَدَقَ الله] ، و [قُلْ سِيرُوا] إلى فُشُوّهما في الفم، قال:"علَّة جَوازِ ذلك فُشُوُّ هذَين الحرفَين، أعني الصادَ والسِّين، في الفم، وانتشارُ الصَّدى المنبَثُّ عنهما، فقاربَتَا بذلك مخرجَ اللام، فجاز إدغامُها فيهما"[5].

4 ـ الموطنُ الرابع من استعمالات الفم: فراغٌ رنينيٌّ للصَّوْت:

تقدَّم حديثُ الفارابيّ عنه عند الحديث عن تجويفات أعضاء النُّطق.

وذكَر ابنُ جنيّ أنَّ اختِلاَفَ شَكْلِ الحَلْق والفَم في حروف المد غيَّرَ مِن أصْدَائِها[6].

5 ـ الموطنُ الخامس من استعمالات الفم: جزءٌ مشاركٌ في رسْمِ حدود المخارج:

تقدَّمت أمثلةٌ منه في تعيينِ مخرجِ: (أدنى الحَلْق).

(1) الكتاب 4/ 175.

(2) الكتاب 4/ 454 . والإدغام بغنة في اللام والراء مقروءٌ به في رواية حفصٍ عن عاصمٍ وغيرها من طريق طيِّبة النشر، وأنت ترى في نصِّ سيبويه أنَّه مذهَبٌ معروفٌ عند العرب. (انظر: إتحاف فضلاء البشر لابن البنَّا 1/ 144 - 145).

(3) الكتاب 4/ 480 .

(4) الكتاب 4/ 460 . وانظر: 4/ 478 .

(5) المحتسب 1/ 165 . وهما قراءتان شاذَّتان لا يُقرأ بهما اليوم .

(6) سر صناعة الإعراب 1/ 8 .

ومن أمثلته ـ أيضاً ـ تعيينُ المبرِّدِ لمخرج القافِ بقوله:"ثمَّ أوَّل مخارجِ **الفم** ممَّا يَلِي الحلْق مخرجُ القاف"[1].

وقال الفارسيُّ عن الظاء والذال والثاء: إنَّها (أَخْرَج من **الفم**)، أي: إلى خارج الفم؛ لأن جزءاً من طرف اللِّسان يكونُ إلى الخارج.

وعن الطاء والدال والتاء والصاد والسين والزاي: (إنَّها أَدْخَلُ في **الفم**)[2]. فرسَمَ حدود هذه المخارج .

واستَعمَل مكِّيّ الفمَ في رسمِ حُدودِ العَين والحاء، والغين والخاء، قال عن العين مثلاً:"العَينُ تَخرُجُ مِن أوَّل المخرج الثاني من مخارج الحَلْقِ الثَّلاثة مِمَّا يَلِي **الفم**"[3].

رابعاً : أعضاء الفم

يَضُمُّ تجويفُ الفمِ أجزاءَ متعدِّدَة استعملها العلماءُ صوتياً، هي: الحنك، واللِّسان، والأسنان.

العُضوُ الأوَّل من أعضاء الفم: الحنك

والمقصود به إذا أطْلِق: الحنك الأعلى، وهو سقفُ الفم.

أولاً : استُعمِلَ الحنكُ في موطنَين:

1 ـ مع الصَّوت: بتصَعُّدِه إلى الحنك، أوالتسَفُّل عنه، أوالانْحِصَار به.

2 ـ جُزْءٌ مُشَارِكٌ مَعَ اللِّسَانِ في مَخَارِجِ أَكْثَرِ الحُرُوف.

1 ـ الموطنُ الأوَّل من استعمالات الحنك الأعلى = مشاركته في الصفات:

استعمَله كثيرٌ من العلماء في الاستعلاء والاستفال، والإطباق والانفتاح. وسيأتي الحديث عن ذلك في مظانِّه.

2 ـ الموطنُ الثاني من استعمالات الحنك الأعلى = جزءٌ مشاركٌ مع اللِّسان في مخارجِ أكثرِ الحروف:

استعمَله كثيرٌ من العلماء كجزء مشارك مع اللِّسان في مخارجِ الحروف، فيما سيأتي ذِكره.

ثانياً : الألفاظ المستعملة للحنك الأعلى

استُعمِل للحنَكِ الأعلى عدَّةُ ألفاظ، منها:

(1) المقتضب 1/ 328 .

(2) الحجة 5/ 203 .

(3) الرعاية ص 162. وانظر: ص164 و 168 - 169 .

1 . (الغار الأعلى) 2 . (غَارُ الحَلْقِ الأعْلَى) 3 . (الحنَك) 4 . (الحَنَكُ الأعْلَى).

1 . 2 المصطلحُ الأول والثاني للحنك الأعلى : (الغار الأعلى، غار الحلق الأعلى)

من أصله اللُّغويّ أن يَدُلَّ على خُفُوضٍ في الشَّيءِ وانحطاطٍ وتَطَامُنٍ، يقالُ لقَعْرِ الشيء: غَوْرُه[1]. ومنه **غَارُ الفَم**، لأنَّه لما كان غائراً إلى فوق سمِّي كذلك، ومثلُه **الغارُ** بمعنى الكَهْف.

استَعمل الخليل: (**الغارَ الأعلى**) في حديثه عن الفرق بين اللام والنُّون والرَّاء، وبين باقي الحروف (من الشين إلى التاء)[2].

واستعمل ابن دُرَيد لفظ: (**الغار الأعلى**) في تعيين مخرج الظاء، والثاء، والذال، والضاد"[3].

واستعمله أيضاً في تعريف الخيشوم[4].

وتابعَه: الهمَذانيّ[5].

ونقَل مكّيّ تعريفَ ابن دُرَيد للخيشوم مستبدِلاً بـ: (**الغار الأعلى**) لفظَ: (**غار الحَلْق الأعلى**)[6].

وتابعَه: ابن الطحَّان الأندلسيُّ[7].

3 . 4 المصطلحُ الثالث والرابع للحنك الأعلى : (الحنك، الحنك الأعلى)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على عُضوٍ من الأعضاء، ثم يُحمَل عليه ما يُقارِبُه من طريقة الاشتقاق. فأصلُ الحنكِ حنكُ الإنسان، أي: أقصى فمه، ويُطلَق على سقف الفَم[8].

استَعمَل سيبويه: (ما فوق أقصى اللِّسان من **الحنك الأعلى**) كجزءٍ مشاركٍ في مخرجَي القاف، والكاف[9].

وتابعه: الدانيُّ[10] وابنُ الطحَّان كلاهما في القاف[11]، والقرطبيُّ في الكاف[1].

(1) مقاييس اللُّغة ص 778 (غ و ر).
(2) العين 1/ 52 .
(3) الجمهرة 1/ 7 .
(4) الجمهرة 1/ 7.
(5) التمهيد في معرفة التجويد ص 282.
(6) الرعاية ص 240.
(7) مخارج الحروف وصفاتها ص 134.
(8) مقاييس اللُّغة ص 267 (ح ن ك)، والمحكم لابن سيده 3/ 31.
(9) الكتاب 4/ 433 .
(10) الإدغام الكبير ص 54 . وفي موضعٍ آخر استعمل: (الحنك) كما سيأتي .
(11) مخارج الحروف وصفاتها ص 116 .

وتابعَ سيبويه بلفظ: (**الحنك**) في القاف والكاف: ابنُ السرَّاج[2]، والسعيديُّ[3]، ومكّيّ[4]، والدانيُّ[5].

وتابعَه في الكاف: القرطبيُّ[6]، والهمَذانيّ[7]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[8] في القاف فقط.

وذكَر الكنديُّ أنَّ اللِّسانَ يُبسَطُ على: (**الحنكِ**) كلِّه عند خروج التاء[9].

وذكَر الرازيُّ أنَّ: (**الحنك**) حيِّزٌ للطاء والدال والتاء.

وقد تقدَّم استعمالُه لـ: (**جَوْف الحنك**) كمخرجٍ لحروف المدِّ.

وذكَر ابن سينا أنَّ الضَّادَ تقعُ في: (الجُزْءِ الأمْلَس من **الحنك**)[10]. ولا أدري هل يقصدُ به جانبي الحنك أم جزءاً آخر منه؟

ونَسَبَ إلى الحنك مقاومةَ الهواء التي تُحْدِثُ صوتَ الغَين فيما سمَّاه بـ: (الرُّطُوبة **الحنَكِيَّة**)، قال عن الغَين:"وليستْ تَجِدُ من الرُّطوبةِ، ولا مِن قوَّةِ انْحِفاز الهواءِ ما تجِدُه الخاءُ. والحركةُ فيه إلى قرارِ الرُّطوبة أميلُ منها إلى دفْعِها إلى خارج؛ لأنَّ الحركةَ فيها أضْعَف، وهواؤها يُحْدِثُ في الرُّطُوبةِ الحنكيَّةِ كالغلَيان والاهتزاز"[11].

ثالثاً : الألفاظ المستعملة للحنك الأسفل

استُعمل للحنك الأسفل لفظٌ واحدٌ: (الحَنَكُ الأسْفَلُ).

الحنك الأسفل:

استعمَل ابنُ البنَّاء البغداديُّ: (**الحنكَ الأسفلَ**) في تنبيه قارئ القرآن على بعض الاحترازات[12].

استعمَل ابن الطحَّان الأندلسيُّ: (**الحنك الأعلى**) و (**الحنك الأسفل**) في وصف مخرج الكاف،

(1) الموضح ص78 .
(2) الأصول 3/ 400 .
(3) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص51 .
(4) الرعاية ص 171 .
(5) التحديد ص 102 .
(6) الموضح ص78 .
(7) التمهيد ص 277 .
(8) أسرار العربية ص 208 .
(9) رسالة في اللُّثغة ص 527 .
(10) أسباب حدوث الحروف ص 76 .
(11) أسباب حدوث الحروف ص74 .
(12) بيان العيوب ص 41 .

قال:"ومِن ذلك الأقصى [أقصى اللِّسان]، منفرِجاً عن **الحنك الأعلى**، مُنسَفِلاً إلى **الحنك الأسفل** تَخْرُجُ الكاف"[1].

واستعمل ابنُ الطحَّان الأندلسيُّ: (**الحنك الأعلى**) كجزءٍ مشارك مع طرف اللِّسان في النون[2].

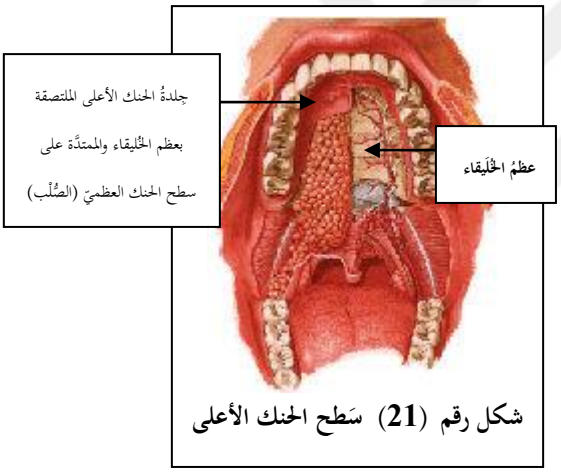
رابعاً : الألفاظ المستعملة لسَطح الحَنَكِ الأعْلَى

واستُعمِل لسطح الحنك الأعلى لفظان: 1 . (النِّطْع) 2 . (سَطْحُ الحنك).

1 . المصطلح الأوَّل لسطح الحنك الأعلى: (النِّطْعُ والنَّطْع)

يَدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على بَسْطٍ في شيءٍ ومَلاسةٍ[3]. واتَّفَقَ أصحابُ المعاجم على أنَّه سقفُ الحنكِ الأعلى[4]، وحدَّدَهُ الخليلُ بسطح الحنكِ الصَّلْب، قال:"والنِّطع مثل فِخْذ وفَخْذ: ما ظَهَرَ من الغَارِ الأعْلَى، وهي الجِلْدَةُ الملْتَصِقَةُ بعَظْمِ الخُلَيْقاء، وفيها آثارٌ كالتّحزيز. ويُجْمَعُ على نُطُوع"[5]، وعَظْمُ الخُلَيْقاء: بَاطِنُ الغَارِ الأعْلى[6].

لقَّب الخليلُ الطاءَ والدالَ والتاء بـ: (النِّطْعِيَّة)، قال:"والطاءُ والتاءُ والدالُ نِطْعِيَّةٌ؛ لأنَّ مَبدَأها مِن نِطْعِ الغار الأعلى"[7].



شكل رقم (21) سَطح الحنك الأعلى

ونقَل ذلك: مكّيّ[8]، والزمخشريّ[9]، والهمَذانيّ[10].

2 . المصطلح الثاني لسطح الحنك الأعلى: (سَطْحُ الحنك)

ذكَر ابن سينا أنَّ الهواءَ في الخاء يتدحْرَجُ على: (سَطْحِ الحنك) كلِّه عند خروجِها[1]. والتدحرجُ للهواء: وصفٌ لاحتكاك هواء الخاءِ بسطح الحنك محدِثاً

(1) مخارج الحروف وصفاتها ص 117 .
(2) مخارج الحروف وصفاتها ص 119 .
(3) مقاييس اللُّغة ص 995 (ن ط ع).
(4) انظر: الصِّحاح 3/ 1291، والمحكم 1/ 345، وأساس البلاغة ص 639 .
(5) العين 2/ 16 .
(6) العين 4/ 152 .
(7) العين 1/ 58 .
(8) الرعاية ص 140 .
(9) أساس البلاغة ص 639 .
(10) التمهيد ص 279 .

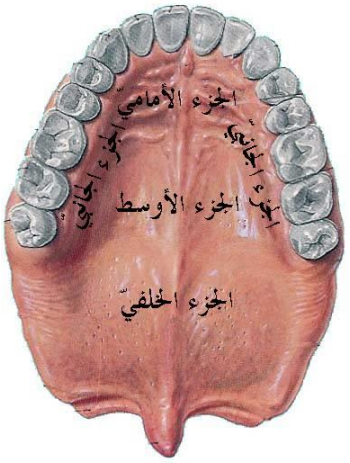
صوتَها.

واستعمله أيضاً في تكوين صوت الزَّاي[2].

ويمثِّل شكل رقم (21) سَطح الحنك الأعلى ومنطقة النِّطع كما هي عند المتقدِّمين.

خامساً : أقسام الحنك الأعلى:

قسَّم العلماءُ الحنَكَ الأعلى إلى مناطق نسبوا إليها بعضَ الأصوات، وهي:



شكل رقم (22) أقسام الحنك الأعلى

1 . **الجزء الخلفيّ**: 1 . (اللَّهاة، اللَّهوات)، 2 . (ما فوق أقصى اللِّسان من الحنك الأعلى)، 3 . (الحَدُّ المشتَرَكُ بَيْن اللَّهاةِ والحنَك)، 4 . (صِفَاق المِنْخِر الدَّاخِل).

2 . **الجزء الأوسط**: 1 . (وسطُ الحنك الأعلى)، 2 . (وسَطُ الحنك)، 3 . (سَطْحُ الحنك المختلفُ الأجزاء في النُّتُوِّ والانخفاض).

3 . **الجزء الجانبيّ**: 1 . (جَانِبَا الحنَك).

4 . **الجزء الأماميّ**: 1 . (طَرَفُ غَار الفم)، 2 . (مَقَادِيمُ الحَنَك)، 3 . (طَرَفُ الحنَك)، 4 . (صَدْرُ الحنَك)، 5 . (رَأْسُ الحنَك)، 6 . (مقدَّمُ الغَار الأعْلَى)، 7 . (مقدَّمُ السَّطحِ الممْتدِّ على الحنك).

ويُمثِّل شكل رقم (22) أقسام الحنك الأعلى.

ملاحظة: استُعمل للَّحم المركَّب فيه الأسنان مصطلحٌ واحدٌ هو : (**اللِّثة**).

القسم الأول: الألفاظ المستعملة للجزء الخلفيّ

1 . المصطلحُ الأوَّل للجزء الخلفيّ من الحنك: (اللَّهَاةُ واللَّهَوَاتُ):

اشتقاقه اللُّغويُّ من: اللُّهْوَة، وهو ما يَطْرَحُهُ الطَّاحنُ في ثُقبةِ الرَّحى بيده. كأنَّها شُبِّهتْ بثُقْبَةِ الرَّحى، وسُمِّيتْ لَهَاةً لِما يُلْقى فيها من الطَّعام[3]. وفي حديث الشاة المسمومةِ قولُ أنسٍ:"فما زِلتُ أعرِفُها في لَهَوَاتِ رسولِ الله ρ ".

(1) أسباب حدوث الحروف ص 116 .

(2) أسباب حدوث الحروف ص 120 .

(3) مقاييس اللُّغة ص 905 (ل هـ و) .

قال ابن الأثير شارحاً: اللَّهَوات جمعُ لهاةٍ، وهي اللَّحَمَاتُ في سَقْفِ أقصى الفم[1].

وهو ما يُشير إلى أنَّه لا يُقْصَدُ باللَّهاةِ . فقط . تلك اللَّحمةُ المتدلّيةُ المشْرِفةُ على الحَلْق، وإن ذكَرت بعضُ المعاجم ذلك[2]، بل تَمْتَدُّ لتشمَل جزءاً لا بأس به من الحنك اللَّحميّ.

عرَّفها الخليلُ بأنَّها أقصى الفم[3]، وجعَلَها مشاركةً لعُكَدَةِ اللِّسان في إنتاج: القاف والكاف والجيم، لكنَّه نَسَبَ إليها القافَ والكافَ فقط دون الجيم في مجموعةٍ لقَّبَها بـ: (**اللَّهْوِيَّة**)؛ مِمَّا يدلُّ على حيّزها الواسع.

ومِمَّا يدلُّ على ذلك أيضاً أنَّ الخليل جعلَ اللَّهاةَ إحدى المخارج الرئيسة، قال عن حروف المدِّ:" فلا تَقَعُ في مَدْرَجَةٍ من مدَارجِ اللِّسانِ، ولا مِن مَدَارجِ الحَلْق، ولا مِن مَدْرَج **اللَّهاة**"[4].

ومِمَّا يدلُّ على مخرجِها الواسع قَولُ مكّيّ بنِ أبي طالب بعد أن ذكَر تلقيب الخليل للقاف والكاف **باللَّهويَّة**:"**واللَّهاةُ**: ما بين الفَمِ والحلْق"[5].

تابَعَ الخليلَ على نسبةِ القافِ والكافِ إلى اللَّهاة: الرازيُّ[6].

وعلى التلقيب بـ: (**اللَّهوية**): مكّيّ[7]، والهمَذانيّ[8].

واستَعمل الكنديُّ: (**اللَّهاة، واللَّهوات،** والنَّغَانغ) في وصفه للحاء والعين، والغين والخاء، وأوصافُه في الغالب تَنطَبِق على اللَّهاة وما يُحيط بها من الحنك اللَّحميّ:

قال عن الحاء: إنَّها"تَحتاجُ إلى نفَسٍ يَخرُجُ مع الحنك بِتَنَحْنُحٍ مسرعٍ مضغوطٍ بأصلِ اللِّسان **واللَّهَوات** مع رأسِ المريء"[9].

وقال عن العَين: إنَّها"تَحتاجُ إلى نغمةٍ مع نفَسٍ يَمْتَدُّ إلى **اللَّهاة** ويقِفُ معها، فهمزةُ اللِّسان إلى **اللَّهوات** وفتحة بالغَلْصَمَة"[10].

وذكَر أنَّ الخاءَ نفَسٌ يَخْرُجُ مع إلزام وسط اللسان تفريج الحنك واللَّهَوَات"[11].

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر 4/ 284 .
(2) انظر: البارع ص113، والصحاح 6/ 2487 .
(3) العين 4/ 88.
(4) العين 1/ 57 .
(5) الرعاية ص139 .
(6) الزينة ص 64 .
(7) الرعاية ص139 .
(8) التمهيد في معرفة التجويد ص 278 .
(9) رسالة في اللُّثغة ص 525.
(10) رسالة في اللُّثغة ص 526 .
(11) رسالة في اللُّثغة ص527 .

وقال عن الغَين أنَّها "تَحتاجُ إلى إخراجِ نفَسٍ مع النَّغانِغ ووسطِ اللِّسان"[1]. والنَّغَانِغُ: لَحَمَاتٌ تَكُونُ عِنْدَ **اللَّهَوَاتِ**[2].

وذكر بعضُ الأطباء أنَّ **للَّهاة** ثلاثَ منافع: تضخيمُ الصَّوت، وتسخينُ الهواء، ومنعُ الغُبار[3].

قال ابنُ سينا عن هذه المنافع الثلاثة:"وأمَّا **اللَّهاةُ**، فهي جَوهرٌ لحميٌّ معلَّقٌ على أعلى الحَنْجَرة كالحِجاب.

ومنفعَتُه: تَدريجُ الهواء؛ لئلاَّ يَقْرَعَ ببردِهِ الرِّئةَ فجأةً، ولِيَمْنَعَ الدُّخانَ والغبارَ، ولِيَكُونَ مقرعةً للصَّوْت يُقَوَّى بها.

ويَعظُمُ كأنَّهُ بابٌ مُوصَدٌ على مخرجِ الصَّوْتِ بِقَدْرِه"[4].

كلامُ ابن سينا هذا أحدُ الأمثلة التي تُبيِّنُ إدراكَ المتقدِّمين لدَورِ الفراغاتِ الرَّنينيَّة في تقويةِ الصَّوت وتضخيمه، وإلى وظيفةِ **اللَّهاةِ** (الحنك اللَّحميِّ) التي تؤدِّي دَور البوَّابة للصَّوْتِ الخارج من الحَنْجَرة. وهو بعينه ما تذكره كتب علم الأصواتِ المعاصر.

ومن هذه المعرفةِ للدَّور الخطير الذي تؤدِّيه **اللَّهاةُ** . بالمفهوم الواسع . ذكَر الرازيُّ الطبيبُ أن قَطْعَ **اللَّهاة** ربَّما أضرَّ بمخارج الحروف[5]. وذكَر ابنُ زُهْر وابنُ سينا أنَّ قطعَها ربَّما أضرَّ بالصَّوت[6].

وحدا ذلك بالعالِمِين في صناعةِ النَّغَمِ والألحان أن يَجْعَلوا لها منزلةً خاصّةً، فجعلَها الخليلُ إحدى المدارجِ الرئيسةِ للنُّطق كما تقدَّم، وجعلها الفارابيُّ من أعضاء الصَّوْت الرئيسة حيث قال:"الآلةُ الطبيعيَّةُ: الحَنجرةُ، **واللَّهاةُ** وما فيها، ثم الأنف"[7].

وعلَّل مكِّيّ لتسمية حروف اللِّين، فقال:"لأنَّهنَّ يَخْرُجْنَ من اللَّفظ في لِينٍ مِن غَير كُلْفَةٍ على اللِّسان **واللَّهَوات**"[8].

2 . المصطلحُ الثاني للجزء الخلفيّ من الحنك:(ما فوق أقصى اللِّسان من الحنك الأعلى):

تقدَّم استعمال سيبويه لـ: (ما فوق أقصى اللِّسان من الحنك الأعلى) كجزءٍ مشاركٍ في مخرجَي القاف،

(1) رسالة في اللُّثغة ص528 .
(2) غريب الحديث لابن سلام 1/ 29 .
(3) كامل الصناعة الطبية 1/ 118 . وقد تقدَّم أنَّه جعلها من آلات النَّفَس.
(4) القانون في الطب 2/ 1103 .
(5) الحاوي في الطب 3/ 218 .
(6) انظر: التصريف لمن عجز عن التأليف 1/ 25، والقانون في الطب 2/ 1103 .
(7) إحصاء العلوم ص 105 .
(8) الرعاية ص126 .

والكاف[1].

وتقدَّم من تابعَه في ذلك.

3 . المصطلحُ الثالث للجزء الخلفيّ من الحنك: (الحدُّ المشترك بين اللَّهاةِ والحنك):

ذكَر ابن سينا أنَّ الخاء والقاف تحدُثان في: (الحدِّ المشترك بين اللَّهاةِ والحنك)[2].

لعلَّه يقصِدُ بـ: (الحدّ المشترك): الحنكَ اللَّحميَّ.

4 . المصطلحُ الرَّابع للجزء الخلفيّ من الحنك: (صِفَاق المَنْخِر الدَّاخل):

قال ابن منظور:"الصِّفَاقُ: جِلْدَةٌ رَقِيقةٌ تَحتَ الجِلْدِ الأعلَى وفَوقَ اللَّحْم"[3].

استعمل ابنُ سينا أيضاً: (صِفَاق المَنْخِر الدَّاخل) في وصف الرَّاء الغَينيَّة، ولعلَّه يقصدُ به الحنكَ اللَّحميّ، لأنَّ له قابليَّة الاهتزاز، قال عنها:"وتَحْدُثُ بأن يُتَغَرْغَرَ بالهَواءِ التغَرْغُرَ الفاعِلَ للغَين، ثمَّ يُرعَّدُ طرفُ اللِّسان، أو يَحْدُثَ في صِفاق المَنْخِر الدَّاخلِ ذلك الارتِعاد، فتَحدُثُ راءٌ غَينيَّة"[4].

القسمُ الثاني: الألفاظ المستعملة للجزء الأوسط

1 . المصطلحُ الأوَّل للجزء الأوسط من الحنك: (وسط الحنك الأعلى أو وسَط الحنك):

استَعمَل سيبويه: (وسَطَ الحنك الأعلى) كجزءٍ مشاركٍ مع وسطِ اللِّسان في مخرج الجيم، والشين، والياء[5].

وتابعَه: ابن جنيّ[6]، والقرطبيُّ[7]، والخفاجيُّ[8]، والهمَذانيّ[9].

وتابعَه لكن بلفظ: (وسط الحنك) لهذه المخارج: ابنُ السرَّاج[10]، وابن خالويه[11]، والسعيديُّ[12]،

(1) الكتاب 4/ 433 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص73 .
(3) لسان العرب 10/ 203 .
(4) أسباب حدوث الحروف ص 129 - 130 .
(5) الكتاب 4/ 433 .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .
(7) الموضح ص78 .
(8) سر الفصاحة ص20 .
(9) التمهيد ص 277 .
(10) الأصول 3/ 400 .
(11) الحجة ص 73 .
(12) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص51 .

ومكّيّ[1]، والدانيُّ[2]، وابن الطحَّان[3].

وتابعه بلفظ: (وسط الحنك) في الياء فقط: ابنُ دُرَيد[4].

وذكَر الرُّمَّانيُّ أنَّ الكسرةَ من الياء، وأنَّ مخرجَها: (وسَطُ الحنك)[5].

2 . المصطلحُ الثاني للجزء الأوسط من الحنك: (سَطْحُ الحنك المختلفُ الأجزاء في النُّتُوِّ والانخفاض):

استعمَل ابن سينا: (سَطْحَ الحنك المختلفَ الأجزاء في النُّتُوِّ والانخفاض) في مخرج الجيم[6].

ولا أتبيَّنُ المقصود بذلك، هل هو لمقدَّم الحنك أو وسطه؟

القسمُ الثالث: الألفاظ المستعملة للجزء الجانبيّ

1 . المصطلحُ الأوَّل للجزء الجانبيّ من الحنك: (ما يلي حافة اللِّسان من الحنك الأعلى):

استَعمَل سيبويه: (ما يلي حافة اللِّسان من الحنك الأعلى) كجزءٍ مشاركٍ في مخرج اللاَّم[7].

وتابعَه: ابنُ السرَّاج[8]، والدانيُّ[9]، والقرطبيُّ[10]، والخفاجيُّ[11]،والهمَذانيّ[12].

وتابعَ سيبويه بزيادة لفظ: (الحنك): مكّيّ[13].

2 . المصطلحُ الثاني للجزء الجانبيّ من الحنك: (جانِبا الحنك):

استَعمل الكنديُّ: (جانبَي الحنك) كجزء مشاركٍ في كيفية خروج الجيم والشين[14].

القسمُ الرَّابع: الألفاظ المستعملة للجزء الأماميّ

(1) رسالة في اللُّثغة ص 527 .
(2) التحديد ص 103 .
(3) مخارج الحروف وصفاتها ص117 .
(4) الجمهرة 1/ 8 .
(5) معاني الحروف ص 41 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص75 .
(7) الكتاب 4/ 433 .
(8) الأصول 3/ 400 .
(9) التحديد ص 104 .
(10) الموضح ص78 - 79 .
(11) سر الفصاحة ص20 .
(12) التمهيد ص 277 .
(13) الرعاية ص 171 .
(14) رسالة في اللُّثغة ص 524 – 525.

1 . المصطلحُ الأوَّل للجزء الأماميّ من الحنك: (طرف غار الفم):

استَعمَل الخليلُ: (طَرَف غارِ الفم) في حديثه عن اللاَّم والنُّون والراء، قال:"منها ثلاثةٌ ذَلِيقةٌ: (ر ل ن)، تَخْرُجُ من ذَلقِ اللِّسان مِن طَرَفِ غَارِ الفَم"[1].

2 . 5 المصطلحات للجزء الأماميّ من الحنك: (مقاديم الحنك، طرف الحنك، صَدْرُ الحنك، رأسُ الحنك):

استَعْمَل الكنديُّ: (**مقاديمَ الحنكِ**[2]، **وطَرَفَه**[3]، **ورأسَهُ**[4]، **وصَدْرَه**[5]) ، يعني: الجزءَ المتقدِّم منه، كعضوٍ مشارك مع طرف اللِّسان والأسنان في خروجِ التاء، والدال واللاَّم، والنون.

6 . المصطلحُ السادس للجزء الأماميّ من الحنك: (مقدَّم الغَار الأعلى):

استَعمل ابن دُرَيد: (**مقدَّم الغَار الأعلى**) كجزء مشاركٍ مع أسلة اللِّسانِ في إنتاج الراء والنونِ واللام[6].

وتابعه: مكِّيّ[7]، والهَمَذانيّ[8].

7 . المصطلحُ السابع للجزء الأماميّ من الحنك: (مقدَّمُ السَّطْحِ المُمْتَدِّ على الحنكِ):

ذكَر ابنُ سينا أنَّ: (مقدَّمَ السَّطْحِ المُمْتَدِّ على الحنكِ) مخرجٌ للطاء والدَّالِ والتاء[9].

الجزء المُلْحَق بأقسام الحنك: اللَّحمُ المركَّب فيه الأسنان

استُعمل للَّحم المركَّب فيه الأسنان لفظٌ واحدٌ هو: (اللِّثة).

اللِّثَة:

اللَّحمُ الذي فيه منابتُ الأسنان[10]، أو المرَكَّبُ فيه الأسنان[11].

(1) العين 1/ 51 .
(2) رسالة في اللُّثغة ص 527
(3) رسالة في اللُّثغة ص524 . للدال واللام .
(4) رسالة في اللُّثغة ص526 ، واستعمله للنون.
(5) رسالة في اللُّثغة ص526 للنون، واستعمله في ص 527 للاَّم .
(6) الجمهرة 1/ 7 .
(7) الرعاية ص136.
(8) التمهيد ص 279 .
(9) أسباب حدوث الحروف ص 121 .
(10) الجمهرة 2/ 51 .
(11) الرعاية ص140 .

نسَب الخليل إليها الظاءَ والذَّالَ والثاء في مجموعةٍ لقَّبَها بـ: **(اللِّثَوِيَّة)**، قال:"والظاءُ والذال والثاء لِثَوِيَّة؛ لأنَّ مبدأها من اللِّثة"[1].

تابَعَ الخليلَ على نسبةِ الظاءَ والذال والثاء إلى اللِّثة: الرازيُّ[2].

وعلى التلقيب بـ: **(اللِّثَوِيَّة)**: مكِّيّ[3]، والهمَذانيّ[4].

وقد ظنَّ بعضُ الناس أنَّ الخليل يَقصدُ وضعَ طرفِ اللِّسان على اللِّثة لإخراج هذه الأصوات، فصاروا يتكلَّفون وضعَ ألسنتهم عليها معتَمِدِين على ظاهر كلام الخليل.

والخليلُ لا يَقصِد هذا بل يَرمي إلى أنَّ هواء هذه الثلاثة يصدِمُ اللِّثة، أمَّا المخرجُ فيكونُ بطرفِ اللِّسان مع الأسنان، وقد بيَّن ابن سينا ذلك بوضوحٍ حين قال عن الثاء:"وأمَّا الثاءُ فتَخرجُ باعتِماد الهواءِ عند موضعِ التاء بلا حبسٍ، وبحبسٍ عند طرفِ الأسنان، ليصيرَ الخلَلُ أضيَق"[5].

وسيبويه كان واضحاً حين ذكَر طرف اللِّسان وأطراف الثنايا في إخراج هذه الثلاثة، فما بالُهم تابَعوا سيبويه في كلِّ المخارج، وخالَفوه في هذا المخرج؟!

وذكَر الجاحظُ أنَّ ارتِخاءَ اللِّثة من عيوب النُّطق[6].

العُضوُ الثاني من أعضاء الفم: اللسان

أعظمُ أعضاء النُّطق مرونةً، وأكثرُها مخارج وحروفاً، ولأهمِّيته وعظم شأنِه سمِّيت اللُّغةُ باسمه، قال تعالى: [بِلِسانٍ عربيٍّ مُبِين][7] .

وقد اهتمَّ به علماءُ العلوم؛ النَّقليَّةِ منها والعقليَّة على تنوُّعِ أغراضهم في ذلك.

ذكَر أبو بكرٍ الرازيُّ الطبيبُ أنَّ"أجودَ الألْسُن المعتدِلُ في طولِه، والعريضُ الدقيقُ الطرَف، الشبيهُ بلسانِ الطيرِ في دقَّة طرفه"[8].

وبيَّن ابنُ سينا وظيفة اللِّسان الأساسية في الطَّعام، ثمَّ وظيفته الثانويَّة في الكلام، مبيِّناً أنواع الألسنة القادرة على الكلام، قال:"هو من آلاتِ تَقليبِ المِضْوغ، وتَقطيعِ الصَّوْت وإخراجِ الحروف، وإليه تمييزُ

(1) العين 1/ 58 .
(2) الزينة ص 64 .
(3) الرعاية ص140 .
(4) التمهيد في معرفة التجويد ص 279 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص 122 .
(6) البيان والتبيين 1/ 52 .
(7) الشعراء آية 195 .
(8) الحاوي في الطب 3/ 208 .

الذَّوْق... وأفضلُ الألسنة في الاقتدار على جَوْدة الكلام: المعتدِلُ في طولِه وعَرْضه، المستدِقُّ عند أسَلته. وإذا كان اللِّسانُ عظيماً عريضاً جداً، أو صغيراً كالمتشنِّج لم يكن صاحبُه قديراً على الكلام"[1].

أولاً : تشريحُ عضلات اللسان:

أشار الكنديُّ إلى دَوْرِ عضلات اللِّسان في التسبُّبِ في اللُّكنة في الكلام، قال:"وذلك أن العضَل المحَرِّكةَ لهذا العُضوِ لا تُطِيقُ حملَهُ، وتُحَرِّكُه وتَنْقُلُه عن الأماكنِ الواجبَةِ للنُّطْقِ، فيَعْرِضُ مِن ذلك اللَّكَنُ في الكلام"[2].

وأشار الأطباءُ كالمجوسيّ[3]، والزهراويّ[4]، وابن سينا[5] إلى عضَلاَتِ اللِّسان، إلا أنَّ ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف فصَّل فيها، وفي تميُّزٍ واضحٍ جعَل بعضَ عضَلاَتِ اللِّسان مسؤولاً عن خروج بعض أصوات الحروف، وهذا شيءٌ لا أعلمُ إلى اليوم من تناولَه.

وقد استعنتُ بطبيبَين مختصَّين استشاريَّين في شرح حديث ابن سينا عن عضلاتِ اللِّسان ، وبالرُّسومات التي مثَّلْتُ عليها مصطلحات ابن سينا، وما يُقابِلُها حديثاً من ألفاظٍ عربيةٍ وأجنبية؛ ليكون ذلك أقربَ إلى فهم كلامه، ولتُعطي القيمةَ العلميَّةَ لهذه النصوص.

ذكَر ابنُ سينا أنَّ الذي يُحَرِّكُ اللِّسانَ على التحقيق ثماني عضلاتٍ، اتَّفَقَ الطبيبان الاستشاريان معه في تحديد سِتِّ عضلاتٍ (ثلاثة أزواج) منها، وهي: المعرِّضتان، والمورِّبَتان، والباطِحتان، واختلفا في المطَوِّلَتَين للِّسان، فالتي اتفقا عليها هي:

1 . 2 العضَلَةُ المعَرِّضةُ للِّسان التي تأتي من الزوائد السَّهْمِيَّةِ، وتُسَمَّى حديثاً: العضَلةُ الإبْرِيَّةُ اللِّسَانية (Styloglossus muscle).

3 . 4 العضلةُ المورِّبَةُ للِّسان التي تأتي من الضِّلْع السَّافِلِ من أضلاعِ العظمِ اللاَّميّ، وتُسَمَّى حديثاً: العضَلَةُ اللاَّمِيَّةُ اللِّسَانِيَّة (Hyoglossus muscle).

وهذه الأربعة السابقة جعلَها ابن سينا مسؤولةً ـ أيضاً ـ عن تمييلِ اللِّسانِ إلى فوق وداخِل.

5 . 6 العضلةُ البَاطِحَةُ للِّسان، تحت العضلتَين المورِّبَتَين، وتُسَمَّى حديثاً: العضَلةُ الضِّرْسِيَّةُ اللاَّمِيَّة (Mylohyoid muscle) .

(1) القانون في الطب ص 1061 .
(2) رسالة في اللُّثغة ص530 .
(3) كامل الصِّناعة الطبية 1/ 100 .
(4) التصريف لمن عجز عن التأليف 1/ 12 .
(5) رسالة أسباب حدوث الحروف 70 - 71 و 112 - 113 .

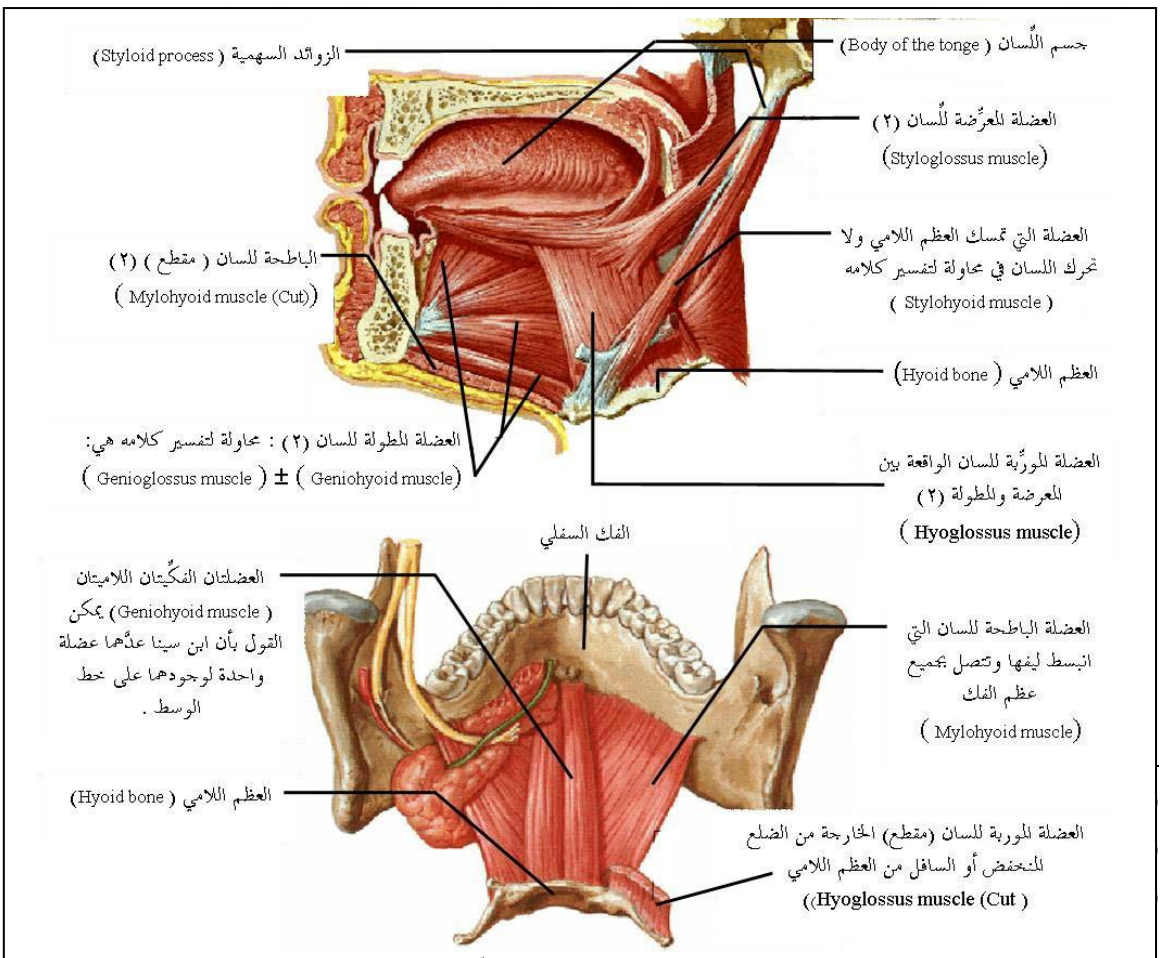
وهذه جعلَها ابنُ سينا مشاركةً في الزَّاي[1]، والسين الزائيَّة، في لغة أهل خوارزم[2]، ويكون ذلك بارتعادِهما.

7 . 8 العضلتان المطوِّلتان للِّسان اللَّتان قال عنهما:"ومنها عَضَلَتَانِ تَأتِيَانِ مِن أعالِي العَظْمِ الشَّبِيهِ باللاَّم، وتَنفُذان في وسَطِ اللِّسان، فإذا تَشَنَّجَتا جَذَبَتا جُمْلَةَ اللِّسانِ إلى قُدَّام، فتَبِعَهُمَا جِرْمُ اللِّسَانِ وامتَدَّ وطَال"[3]، اختلف في تحديدهما الطبيبان على ما يلي:

يرى الدكتور محمَّد عبد الرازق أن ابن سينا عدَّ العضَلَتَيْن: العضَلَة الذّقْنِيَّة اللِّسانية (Genioglossus muscle)، والعضَلَة الذّقْنِيَّة اللاَّمِيَّة (Geniohyoid muscle) عضلةً واحدةً، جعَلهُما مسؤولَتَين عن تَطْوِيلِ اللِّسَانِ على اعتبار أنَّ العضَلَةَ الذَّقنِيَّة اللِّسَانِية هي المسؤولة فعلاً عن تطويلِ اللِّسان، وهي من الوضوح بحيث استَبعدَ أن تَغِيبَ عن ابن سينا، وإن كانت غيرَ مرتبطةٍ بالعظم اللاميّ.

ويرى الدكتور محمد أمين الكسم أن العضَلةَ المطَوِّلَةَ للِّسان، والعضَلَةَ المورِّبَةَ له هما عَضَلَةٌ واحدةٌ، هي العضلةُ اللاَّمِيَّةُ اللِّسَانِيَّة (Hyoglossus muscle) . التي ذُكِرَتْ مِن قبلُ . وتَرْبِطُ بين العظم اللاميّ واللِّسان، لكنَّ ابن سينا اعتبرها هنا عدَّةَ عضَلاَتٍ؛ لوُجُودِ عدَّة أقسامٍ لها حَسَبَ مُرْتَكَزِهَا على العَظْمِ اللاَّمِيّ .

وقد رجَّحْتُ في الرَّسم التوضيحيّ رأيَ الدكتور محمَّد عبد الرَّازِق؛ لأنه يَسْتَوْعِب العضلات المحرِّكة للِّسان.



شكل رقم (23) العضلات التي ترتبط باللِّسان عند ابن سينا

وقد جعَل ابن سينا هاتَين العضلَتَين المطوِّلَتَين جزءاً مشاركاً في إنتاج الرَّاء، وذلك بتعريضِهما لحافَّتَي طرف اللِّسان[1].

وكذلك جعَل لهما دَوراً في إنتاج الراءِ اللاميَّة، بإرخاء العضلات المتوسِّطة للِّسان وتَشَنُّج الطرَفِيَّة[2]. وعند سؤال الطبيب المختصّ عن المقصود من العضلات المتوسِّطة والطرفيَّة في كلام ابن سينا، رجَّح أن يكونَ مرادُه هاتَين العضلتَين المطَوِّلتَين، والله أعلم.

ويُمثِّلُ شكل رقم (23) العضلات التي ترتبط باللِّسان في مفهوم ابن سينا.

ثانياً : الألفاظ المستعملة للِّسان

استُعمِلت لِلِّسان أوصافٌ عدَّة، منها:

1 . (مَوْضِعُ أكثَر الحروف)، 2 . (مَجْمَعُ الحُرُوف)، 3 . (آلةٌ لحاسَّتَي المِذَاقِ والكَلاَم)، 4 . (آلةُ الكَلاَم)، 5 . (الجِرْمُ الرَّطب اللَّيِّن).

1 . المصطلح الأوَّل للِّسان: (مَوْضِعُ أكثرِ الحُرُوف):

لقَّبه المبرِّد بذلك، وهو ظاهر[3].

2 . المصطلح الثاني للِّسان: (مَجْمَعُ الحروف):

لقَّبه المبرِّد بذلك[4]، ولعلَّه يعني أنه اجتمع فيه أكثرُ الحروف، والله أعلم.

3 . 4 المصطلح الثالث والرَّابع للِّسان: (آلةٌ لحاسَّتَي المَذَاقِ والكَلاَم)، (آلةُ الكَلاَم):

عرَّف المجوسيُّ أيضاً اللِّسان بأنه: (آلةٌ لحاسَّتَي المذاق والكلام)[5].

وسمَّاهُ ابنُ مَلْكا بـ: (آلة الكلام)، قال: "وأما اللِّسان... وهو في الإنسان آلةُ الكلام، ولذلك جُعِل عريضاً رقيقاً، قصيرَ الرِّباط منطلِقاً؛ ليتَشَكَّل بالأشكالِ الموافِقَة لذلك"[6].

5 . المصطلح الخامس للِّسان: (الجِرم الرَّطب اللَّين):

(1) رسالة أسباب حدوث الحروف ص 123 .
(2) رسالة أسباب حدوث الحروف ص 90 .
(3) المقتضب 1/ 310 .
(4) المقتضب 1/ 356.
(5) كامل الصناعة الطبية 1/ 117.
(6) المعتبر في الحكمة 2/ 262.

من ألقاب ابن سينا لِلّسان[1].

ولقَّبه بذلك لقَبولَ اللِّسان الضَّغط إلى باطنه عند التقاء عُضوَي النُّطق؛ بسبب تكوينه العضليّ.

ثالثاً : المواطنُ الصوتيَّة التي استُعمِل فيها اللِّسان:

استُعْمِلَ اللِّسانُ في أكثرَ مِن مَوْطنٍ صوتيٍّ، منها:

1 . أحَدُ المِخَارِجِ الرَّئيسَة للنُّطق. 2 . جُزْءٌ مُشَارِكٌ في الاستعلاءِ، والإطباقِ، والتفخيم. 3 . جزءٌ مشاركٌ في تركيب الحروف كالإدغام. 4 . مشاركتُه في الرِّياضَة والتدريباتُ النُّطقيَّة . 5 . مسؤوليَّته عن بعض العيوب النُطْقيَّة. 6 . جزءٌ مشاركٌ في صحَّة المخارج وسهولة المنطق. 7 . عُضْوٌ مُشَارِكٌ مع الحَنَكِ والأسنانِ في مخارِجِ الحُرُوف .

1 . الموطنُ الأوَّل من استعمالات اللِّسان: أحَدُ المَخَارِجِ الرَّئيسَة للنُّطق:

انظر المخارج الرئيسة للنُّطق.

2 . الموطنُ الثاني من استعمالات اللِّسان: جُزْءٌ مُشَارِكٌ في الاستعلاءِ، والإطباقِ، والتفخيم:

انظر الفصل الثالث الخاص بصفات الحروف .

3 . الموطنُ الثالث من استعمالات اللِّسان: جزءٌ مشاركٌ في تركيب الحروف كالإدغام:

انظر الفصل الرابع الخاص بتركيب الحروف.

4 . الموطنُ الرابع من استعمالات اللِّسان: الرِّياضَةُ والتدريباتُ النُّطقيَّة:

انظر الفصل الخامس الخاص بالعيوب الصوتية والنطقية والاحترازات عنها .

5 . الموطنُ الخامس من استعمالات اللِّسان: في العيوب النُطْقيَّة:

انظر الفصل الخامس الخاص بالعيوب الصوتية والنطقية والاحترازات عنها .

6 . الموطنُ السادس من استعمالات اللِّسان: جزءٌ مشاركٌ في صِحَّةِ المخارج وسهولة المنطق:

وقد استُعمل لذلك عدَّة مصطلحات، منها:

1 . (بِلَّةُ اللِّسان) 2 . (انطِلاقُ اللِّسان) 3 . (مَذْلُ اللِّسان) 4 . (اللِّسان الصَّحيح) 5 . (جَرْيُ اللِّسان).

(1) أسباب حدوث الحروف ص 121.

1 . المصطلح الأوَّل لمشاركة اللِّسان في صحة المخارج: (بِلَّةُ اللِّسان)

من أصله اللُّغويّ أن يدُلَّ على النَّدى، يقال: بلَلْتُ الشيءَ أبلُّه، والبِلَّةُ: البَلَلُ، ثمَّ استُعير، يقال للإنسان إذا حسُنت حالُه بعد الهزال: قد ابتلَّ وتبلَّل، ومنه: بُلُّوا أرحامَكم ولو بالسَّلام"[1].

عرَّف الخليل: (**بِلَّة اللِّسان**) فقال: "وُقُوعُه على مَواضع الحُرُوف، واستمرارُه على المنْطق، يُقال: ما أحَسْنَ **بِلَّةَ لسانِهِ**، أو ما يَقَعُ لسانُه إلاّ على **بِلّته**"[2].

2 . المصطلح الثاني لمشاركة اللِّسان في صحة المخارج: (انطِلاَقُ اللِّسان)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على التَّخْلِيَةِ والإرسال. يقال: انطَلَق الرَّجلُ ينطلِقُ انطلاقاً. ثمَّ تَرجِعُ الفروعُ إليه؛ تقول: أطْلَقتُ الأسير إطلاقاً، إذا حلَلْتَ إسارَهُ وخَلَّيتَ عنه، ومن هنا قيل: أطلَقْتُ القولَ، إذا أرسَلْتَه من غير قَيْدٍ ولا شَرْطٍ. ورجلٌ طَلِقُ اللِّسان وطَلِيقُه، أي فصيحٌ عَذْبُ المنطقِ[3].

استعمله من العلماء: الخليلُ، قال:"وفي النّهي: (لا تَئِهْ) على تقدير: (عِهْ، ولا تَعِهْ) ولما تمَّتْ (تعِ) حرفَيْن **انطَلَقَ اللِّسانُ** بهما في الوقوفِ، فإن شئتَ اعتَمَدتَ علَى الهاءِ، وإن شئتَ لم تَفْعَل، وكذلك كلُّ مجزومٍ إذا كان آخرُه ياءً أو واواً أو ألفاً نحو: يَرْمِي، ويَعْدُو، ويَسْعَى"[4].

لعلَّه يَقصِدُ استراحةَ اللِّسان في الوقف بالسكون على المجزوم بحذف حرف العلَّة، أو بإلحاقه هاء السَّكت؛ لأنَّ الوقفَ موضعُ استراحةٍ، والله أعلم.

3 . المصطلح الثالث لمشاركة اللِّسان في صحة المخارج: (مَذْلُ اللِّسَان)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على استرخاءٍ وقلَّةِ تَشَدُّدٍ في الشَّيء[5].

استعمله من العلماء: الخليلُ، قال عن حروف الذلاقة (ف، ر، م، ن، ل، ب):"وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروفُ ذُلْقاً؛ لأنَّ الذَّلاقَةَ في المنطقِ إنَّما هي بطرَفِ أسلةِ اللِّسان والشَّفَتَين، وهما مَدْرَجَتا هذه الأحرُفِ الستَّة... فلمَّا ذلَقَت الحروفُ السِّتَّةُ، **ومَذَل بهنَّ اللِّسانُ** وسهُلَت عليه في المنطق كثُرَت في أبنية الكلام، فليس شيءٌ مِن بناء الخُماسيّ التامّ يَعْرَى مِنْها أو مِن بَعضِها"[6].

4 . المصطلح الرابع لمشاركة اللِّسان في صحة المخارج: (اللِّسان الصَّحيحُ)

(1) مقاييس اللُّغة ص 92 (ب ل ل).
(2) العين 8/ 319.
(3) مقاييس اللغة ص 599 (ط ل ق) والمصباح المنير ص 376 (ط ل ق).
(4) العين 8/ 442 .
(5) العين 8/ 188 ومقاييس اللُّغة 5/ 309 (م ذ ل).
(6) العين 1/ 52 .

عرَّف إخوان الصفاء: (**اللِّسان الصَّحيح**)، فقالوا:" **اللِّسانُ الصَّحيحُ**: المتحرِّكُ إلى جِهَةِ كلِّ حرفٍ بعَيْنه بلا خَلْطٍ"[1].

5 . المصطلح الخامس لمشاركة اللِّسان في صحة المخارج: (جَرْيُ اللِّسان)

يدلُّ أصله اللُّغويّ على انسِيَاحِ الشَّيء، يقال: جَرَى الماء يَجْري جَرْيَة وجَرْياً وجَرَيَاناً[2].

استعمله من العلماء: عبد القاهر الجرجانيُّ، قال عن صاحب الفصاحة:"وأن يَكُون المتكلِّمُ في ذلك جَهِيرَ الصَّوتِ، **جَارِيَ اللِّسانِ**، لا تَعتَرِضُهُ لُكْنَةٌ، ولا تَقِفُ به حُبْسَةٌ"[3].

7 . الموطنُ السابع من استعمالات اللِّسان: عُضْوٌ مُشَارِكٌ مع الحَنَكِ والأسنانِ في مخارِجِ الحُرُوف:

لقَّب سيبويه الحروف التي تخرجُ منه بـ: (**حروف اللِّسان**)، وتبدأ هذه الحروف من القاف والكاف[4]، وتنتهي عند النُّون؛ لأنَّه آخر حرفٍ يشتركُ فيه اللِّسان مع الحنك.

واستَثنى سيبويه مِن حروفِ اللِّسان الحروفَ التي يَشترِكُ فيها طرفُ اللِّسانِ مع الأسنان الأماميَّة، وهي التي لقَّبها بـ: (حروف الثنايا)، قال:"وأكثرُ **حروف اللِّسان** مِن طرفِ اللِّسان وما يُخالِطُ طرفَ اللِّسان، وهي أكثرُ مِن حروفِ الثنَايا"[5].

والذي يدلُّ على أنَّ النُّون هي آخرُ الحروف الملقَّبة بـ: (**حروف اللِّسان**) قولُ الأخفش:" لأنَّ النُّونَ ليْسَتْ من حُرُوفِ الثنايا كالتاء"[6].

تابعَ سيبويه على التلقيب بـ (**حروف اللِّسان**): ابنُ السرَّاج[7]، وطاهرُ ابن غَلْبون[8].

وزاد الرمَّانيُّ إليها الحروفَ التي يشارِكُ فيها اللِّسانُ مع الأسنان، قال:"**الحروف التي تُنسَبُ إلى اللِّسان** أربعةُ أقسام: حروف أقصى اللِّسان، وحروفُ وسَطِ اللِّسان، وحروف طرَفِ اللِّسان[9]، وحروف حافَّةِ

(1) الرسائل 3/ 145 .
(2) مقاييس اللُّغة ص 195 (ج ر ي).
(3) دلائل الإعجاز ص 7 .
(4) الكتاب 4/ 452.
(5) الكتاب 4/ 462 .
(6) معاني القرآن 1/ 283 .
(7) الأصول 3/ 415 .
(8) التذكرة 1/ 187 .
(9) قال الرمانيُّ:"وحروف طرف اللِّسان اثنا عشر: تسعةٌ متناسبة، وثلاثةٌ متفرِّقة، فالتسعة المتناسبة: الطاء والدال والتاء، والصادُ والسين والزاي، والظاء والذال والثاء. والثلاثةُ المتفرِّقة: النون واللام والراء. اهـ".(شرح كتاب سيبويه ل 201/ أ). وهذا الذي جعلني أقول إنَّه أشرك الحروف التي تخرج مع الأسنان.

اللِّسان"[1].

وتابعَه الدانيُّ مفصِّلاً جميع هذه الحروف، ومُشْرِكاً حروفَ الثنايا معها، ومُلَخِّصاً لكلِّ ما قاله سيبويه في مخارج اللِّسان، قال:" اعلم أنَّ حروف اللِّسان ثمانية عشر حرفاً، ولها عشرةُ مخارج، ويَنقسِمُ جميعُها على أربعة أقسام: أقصى اللِّسان، ووسطُه، وطرفُه، وحافَّتُه.

فأقصى اللِّسان له مخرجان وحرفان...

ووسطُ اللِّسان له مخرج واحدٌ وثلاثة أحرف...

وطرَفُ اللِّسان له خمسة مخارج وأحد عشر حرفاً...

وحافَّةُ اللِّسان له مخرجان وحرفان"[2].

وتابعَه: ابن الطحَّان الأندلسيّ[3].

واستَعمل الكنديُّ: (اللِّسان) كجزءٍ مشاركٍ في النُّون[4].

رابعاً : أقسام اللِّسان:

قسَّم أكثرُ العلماء اللِّسان إلى مناطق نسبوا إليها بعضَ الحروف، وهي:

1 . **السَّطحُ العُلْويُّ لِلّسان المقابلُ للحَنَكِ الأعلى:** 1 . (ظَهْرُ اللِّسَانِ)، 2 . (سَطْحُ اللِّسَان).

2 . **الجُزْءُ الخَلْفِيُّ:** 1 . (أقْصَى اللِّسَانِ)، 2 . (أصْلُ اللِّسَانِ)، 3 . (عُكَدَةُ اللِّسَان)، 4 . (الغَلْصَمَة).

3 . **الجزء الأوسط:** 1 . (وَسَطُ اللِّسَان)، 2 . (أَوْسَطُ اللِّسان).

4 . **الجزء الجانبيّ:** 1 . (حَافَّة اللِّسَان)، 2 . (جَانِبَا اللِّسَان)، 3 . (جَنْبَتَا اللِّسان).

5 . **الجزء الأماميّ:** 1 . (طَرَفُ اللِّسَان)، 2 . (صَدْرُ اللِّسان)، 3 . (مُقَدَّمُ اللِّسان)، 4 . (رَأْسُ اللِّسان)، 5 . (ذَلَقُ اللِّسَان)، 6 . (حَرْفُ اللِّسان)، 7 . (عَذَبَةُ اللِّسان)، 8 . (أَسَلَةُ اللِّسَان).



شكل رقم (24) أقسام اللِّسان

(1) شرح كتاب سيبويه ل 201/ أ .

(2) الإدغام الكبير ص 54 .

(3) مخارجُ الحروف وصفاتها ص 116 .

(4) رسالة في اللُّثغة ص 526 و 528 .

6 . **نهاية الجزء الأماميّ**: 1 . (مُنْتهَى طَرَفِ اللِّسان)، 2 . (مُسْتَدَقُّ اللِّسان)، 3 . (دُوَيْنَ طَرَفِ اللِّسان)، 4 . (أدنى طَرَفِ اللِّسان).

ملاحظة: قد يُستَعملُ أحدُ مصطلحاتِ الجزءِ الأماميّ من اللِّسان، ويراد به نهاية الجزءِ.

ويمثِّل شكل رقم (24) أقسام اللِّسان حسب ما توفَّر لديَّ من نصوص المتقدِّمين.

القسمُ الأوَّلُ: الألفاظ المستعملة للسَّطح العُلْويّ المقابلُ للحنك

1 . المصطلح الأوَّل للسَّطح العلويّ للِّسان: (ظَهْر اللِّسان):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على قوَّةٍ وبُرُوز، من ذلك ظَهَر الشيءُ يَظْهَرُ ظُهوراً فهو ظاهر، إذا انكَشَف وبرَز، والأصل في الباب كلِّه ظهرُ الإنسان، وهو خلافُ بَطْنِه، وهو يَجمَع البروز والقوَّة[1].

استعمَل الخليلُ: (**ظَهْرَ اللِّسان**) في تعليلٍ صوتيٍّ لتميُّز اللام والنون والراء عن غيرها من حروف اللِّسان، واختصاصها بالذَّلاقة في المنطق، قال:"وأمَّا سائرُ الحُروف، فإنَّها ارتَفَعَتْ فوقَ **ظَهْرِ اللِّسانِ** من لَدُن باطِنِ الثنايا، من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين، بين الغار الأعلى وبين **ظَهْرِ اللِّسان**. ليس للِّسَان فيهنَّ عَمَلٌ أكثرُ من تحريك الطبقتَين بهنَّ، ولم يَنحرفْنَ عن **ظَهْرِ اللِّسَان** انحرافَ الرَّاءِ واللاَّم والنون"[2].

واستعمله سيبويه في تبيين أن الراء من مخرجِ النُّون، لكنَّها تشارك اللام في المخرج، قال:"ومِن مَخرجِ النُّونِ غيرَ أنه أدْخَلُ في **ظَهْرِ اللِّسَانِ** قليلاً؛ لانحرافِهِ إلى اللاَّم مخرجُ الراء"[3].

وتابعَه: الزجَّاجيّ[4]، وابن جنيّ[5]، ومكّيّ[6]، والدانيُّ[7]، والقرطبيُّ[8]، والخفاجيُّ[9]، وابن الطحَّان[10]، والهمَذانيّ[11].

وتابعَ سيبويه أيضاً: ابنُ دُرَيد، واستبدل بلفظ: (**أدخلُ في ظهرِ اللِّسان**): (أدخلُ بطرفِ اللِّسانِ)[12].

(1) مقاييس اللُّغة ص 618 (ظ هـ ر).
(2) العين 1/ 52.
(3) الكتاب 4/ 433 .
(4) شرح جمل الزجاجي ص 445 .
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .
(6) الرعاية ص 195 .
(7) التحديد ص 103، والإدغام الكبير ص 54 .
(8) الموضح ص 79 .
(9) سر الفصاحة ص 20 .
(10) مخارج الحروف وصفاتها ص 119 .
(11) التمهيد ص 277 .
(12) الجمهرة 1/ 8 .

وتابعَ أبو البركات ابن الأنباريّ ابنَ دُرَيد في ذلك[1].

وذكَر ابنُ دُرَيد أنَّ السِّينَ تَخرُجُ مُطْمئِنَّةً على **ظَهْرِ اللِّسَان**[2].

ولعلَّ هذه النسبةِ مُسْتَنْتَجَةٌ من قول الخليل السَّابق.

واستَعمَل ابنُ جنيّ: **(ظَهر اللِّسان)** في تعريف الإطباق[3].

وتابعَه: القرطبيُّ[4]، والهمَذانيّ [5]. غير أنَّ القرطبيَّ استعمله أيضاً في تعريف الانفتاح، وهو عكس الإطباق.

2 . المصطلح الثاني للسَّطح العلويّ للِّسان: (سَطْحُ اللِّسان):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على بَسْط الشيء ومدِّه، وسَطْحُ كلِّ شيءٍ: أعلاه الممتدُّ معه[6].

استَعمل ابن سينا: **(سَطْحَ اللِّسان)** في وصف حدوث الراء والزاي[7].

القسمُ الثاني: الألفاظ المستعملة للجزء الخلفيّ من اللِّسان

1 . المصطلح الأوَّل للجزء الخلفيّ من اللِّسان: (عُكَدة اللِّسان):

يدلُّ الأصل اللُّغويُّ على تَجَمُّعٍ وغِلَظٍ[8]. وأكثر المعاجمِ تُعرِّفُ عُكَدة اللِّسان على أنَّها أصلُه[9].

يُعدُّ الخليل أوَّل من استَعملها صوتياً، وتعريفها عنده كالتالي:

قال الخليل: "**العَكَدةُ**: أصلُ اللِّسانِ وعُقْدَتُه"[10]، ومعنى: (عُقدَتُه): غِلَظٌ في وسَطِه[11].

استَعمل الخليلُ: **(عُكدة اللِّسان)** في تحديد مخرج الجيم والقاف والكاف، فقال:"وأما مخرجُ الجيمِ

(1) أسرار العربية ص 208 .
(2) الجمهرة 1/ 12 .
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 61 .
(4) الموضح ص 90 .
(5) التمهيد 281 .
(6) مقاييس اللُّغة ص 458 (س ط ح).
(7) أسباب حدوث الحروف ص 120 - 121.
(8) مقاييس اللُّغة ص 655 (ع ق د) و ص 661 (ع ك د) و ص 662 (ع ك ر).
(9) انظر: العين للخليل 1/ 193، وإصلاح المنطق لابن السكِّيت ص 41، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص 147، و الجمهرة لابن دُرَيد 2/ 280، والأمالي والنوادر للقالي 2/ 178، ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس ص 17.
(10) العين 1/ 193.
(11) العين 1/ 140.

والقافِ والكاف فمِن بَين **عُكَدَةِ اللِّسان** وبَينَ اللَّهَاةِ في أقصَى الفَم"[1].

وتابعَه ابن دُرَيد مضيفاً إليها الشين في مجموعةٍ لقَّبَها بـ: (حروف أقصى الفم من أسفل اللِّسان).

وذكَر أن الشينَ تتجَاوَزُ **عُكَدة اللِّسان** إلى الفم، ولذلك فهي الوحيدة التي تأتَلِفُ مع أخواتِها (القاف والكاف والجيم)؛ لتفشِّيها وقربِها من **العُكَدة** في نحو: (شَقَّ وقَشَّ)، (شَكَّ، وكَشَّ)، (وشَجَّ وجَشَّ)[2].

2 . المصطلح الثاني للجزء الخلفيّ من اللِّسان: (أقصى اللسان):

بعد أن ذكَر سيبويه حروف الحلق، بدأ بمخارج اللِّسان، فاستعملَ: **(أقصى اللِّسان)** في تحديد مخرجَي القاف والكاف، فقال:"ومِن **أقصى اللِّسان** وما فَوقه من الحنك الأعلى مخرجُ القاف. ومِن أسفل من موضِع القاف من اللِّسان قليلاً وممَّا يَليه من الحنَك الأعلى مخرج الكاف"[3].

ونقَل عبارتَه كثيرٌ من العلماءِ أو داروا حَولها، منهم:

ابنُ السرَّاج[4]، والرمانيُّ[5]، والزجَّاجيُّ[6]، وابن جنيّ[7]، والسعيديُّ[8]، ومكّيّ بن أبي طالب[9]، والدانيُّ[10]، والخفاجيُّ[11]، والقرطبيُّ[12]، والهمَذانيّ[13]، وابن الطحان الأندلسيّ[14]، وابن الأنباري[15].

وجعَل ابنُ السرَّاج المخرجَ الرابعَ للقاف، والخامسَ للكاف.

وزاد ابن جنيّ في الكاف: **(وأدنى إلى مقدَّم الفم)**.

وتابعَه: الخفاجيّ، والقرطبيّ، والهمَذانيّ، وأبو البركات ابن الأنباريّ مستعملاً: **(وأقرب)** بدلاً من:

(1) العين 1/ 52 .
(2) الجمهرة 1/ 6.
(3) الكتاب 4/ 433. وانظر: 4/ 452 .
(4) الأصول 3/ 400.
(5) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ.
(6) شرح ابن هشام على جمَل الزجاجي ص 445.
(7) سر صناعة الإعراب 1/ 47.
(8) التنبيه على اللحن الجليّ والخفيّ ص 13.
(9) الرعاية ص 171.
(10) التحديد ص 102 والإدغام الكبير ص 54.
(11) سر الفصاحة ص 19.
(12) الموضح ص 78.
(13) التمهيد في معرفة التجويد ص 277.
(14) مخارج الحروف وصفاتها ص 116.
(15) أسرار العربية ص 208.

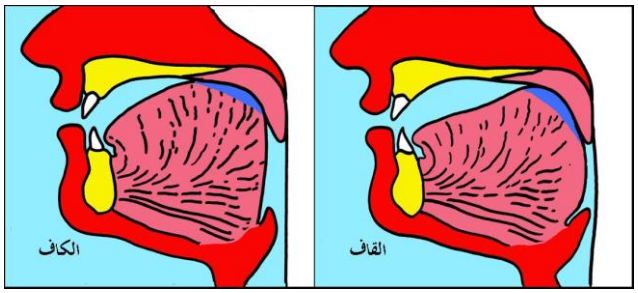
(أدنى) .

وتقدَّم تلقيب ابن دُرَيد القاف والكاف والجيم والشين بـ: **(حروف أقصى الفم من أسفل اللِّسان)**.

ولقَّب الرمَّانيُّ القاف والكاف اللَّتَين تخرُجان منه بـ: **(حروف أقصى اللِّسان)**[1].

وتابعَه ابن جنيّ مضيفاً الجيمَ إليها[2].

ولقَّب الدانيُّ القاف والكاف بـ: **(حَرْفَي أقصى اللِّسان)**[3].



شكل رقم (25) مشاركة أقصى اللِّسان مع الحنك الأعلى في مخرجي القاف والكاف

ويمثِّل شكل رقم (25) مشاركة أقصى اللِّسان مع الحنك الأعلى في مخرجي القاف والكاف، حيث تمثِّل المنطقة الزرقاء الملوَّنة من أقصى اللِّسان منطقةَ التقاء عضوي النُّطق فيهما.

3. المصطلح الثالث للجزء الخلفيّ من اللِّسان: (أصل اللِّسان):

استَعمَل الكنديُّ: **(أصل اللِّسان)** كجزء مشاركٍ في خروج الحاء حيثُ "تَحتاجُ إلى نفَسٍ يَخرُجُ مع الحنك بِتَنَحْنُحٍ مسرعٍ مضغوطٍ **بأصلِ اللِّسان** واللَّهَوات مع رأسِ المريء"[4].

واستَعملَه ابن سينا في وصف خروج الظاء حيث تحتاجُ إضافةً إلى مخرجها الأماميّ إلى "أن يكون ما يلي **أصل اللِّسان** متعرِّضاً للهواء برطوبتِه"[5]. ولعلَّه يصِفُ عمليةَ حَصْرِ الصَّوْتِ في الإطباقِ ومقاومة الهواء في الظاء.

وذكَر ابن جنيّ أن القاف تَخرُجُ من **أصل اللِّسان**[6].

وتقدَّم استعمالُ سِبْط الخَيَّاط لهذا المصطلح كجزء مشاركٍ مع أعلى الحلق في القاف والغين والخاء.

4. المصطلح الرابع للجزء الخلفيّ من اللِّسان: (الغَلْصَمَةُ):

مصطلح غامضُ الدَّلالة.

(1) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ و ل 201/ أ.
(2) سر صناعة الإعراب 2/ 814. وابن جنيّ متأثِّرٌ في هذا بوصف ابن دُرَيد في الجمهرة 1/ 6 – 7 ومن قبله الخليل في العين 1/ 52.
(3) التحديد ص 111 والمطبوع من جامع البيان 2/ 714.
(4) رسالة في اللُّغة ص 525.
(5) رسالة أسباب حدوث الحروف ص 122.
(6) سر صناعة الإعراب 2/ 816.

اختلف اللُّغويون والأطباء في تحديد المراد **بالغلصمة** على خمسة آراء:

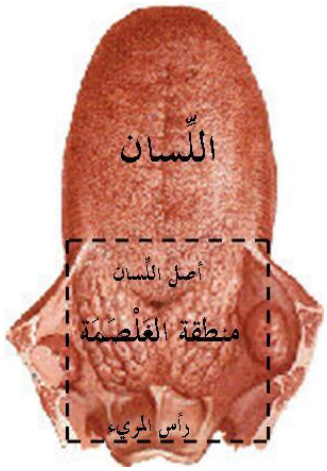
1 . الهيكلُ الخارجيُّ للحَنجرة مع ما يُحيطُ بها[1]: الخليل.

2 . رأسُ المريء (الغضروف المسمَّى حديثاً: لسان المزمار): الأصمعيّ [2].

3 . اللَّحم الذي بين الرأس والعنُق: أبو عبيدة[3].

4 . الحنك اللَّحميّ: ابن سينا[4].

5 . أصلُ اللِّسان: الثعالبيّ[5].



شكل رقم (26) منطقة الغَلصمة

استعمل الكنديُّ: (**الغَلْصَمة**) في وصف انفتاح مخرج العين المتحركة من كلمة: (عَين)، قال:"نقولُ في نعتِ العَين: تَحتاجُ إلى نَغْمَةٍ مع نفَسٍ يَمتدُّ إلى اللَّهاة ويَقِفُ معها، بهَمْزَةِ اللِّسَانِ إلى اللَّهوات وفتحةٍ **بالغَلْصَمة**"[6]. وكذلك استعملَها في وصف مخرج القاف حيث "تحتاجُ إلى إلْزامِ **الغَلْصَمَةِ** الخَيَاشيمَ لُزُوماً شديداً، وتَفَرُّقٌ فيما بين ذلك بدَفعِ النَّفَس بقوَّة"[7].

أظنُّ أنَّ **الغلصمةَ** منطقةٌ واسعةٌ تَشْمَلُ الغضروف المسمَّى حديثاً بلسان المزمار وما فوقَه إلى أصل اللِّسان، وبهذا الاعتبار تتَّفق مع كلِّ التعريفات التي تقدَّمت، وكذلك مع وصف الكنديّ؛ لأنَّ المرادَ منها في كلامه يتَّجِهُ . من بين الأوصاف الخمسةِ التي مرَّتْ . إلى رأس المريء . الغضروفِ المسمَّى حديثاً بلسان

(1) قال الخليل في العين 2/ 462:" الغَلْصَمةُ: رأسُ الحُلْقُوم بشَوارِبِه وحَرْقَدته" اهـ. يعني بالحلقوم القصبة الهوائية، كما مرّ في البحث. والشَّوارِبُ كما ذكر في 6/ 258: هي "عروقٌ مُحْدِقةٌ بالحُلقوم وفيها يقع الشَّرَق، ويقال: بل هي عُروقٌ تأخُذُ الماء ومنها يَخْرُجُ الرِّيق". اهـ. والحَرْقدة: هي عقدةُ الحنجور كما ذكر في 3/ 321، ولعلَّه يعني بها: غضروف لسان المزمار، والله أعلم.

(2) نقَل القالي في البارع ص 459 عن الأصمعيّ:"والغَلْصَمةُ: العُجْرَةُ التي على ملتقى اللَّهاة والمريء إذا ازدرد الأَكِلُ اللُّقمةَ فزلَّت عن الحلق دخَلَت في فَم الغلصمة"اهـ. ونقَل أيضاً عن ثابتٍ قولَه:"الغَلْصمة من الإنسان: متَّصَل الحلقوم بالحَلْق إذا ازدرد الآكِل لُقمتَه فزلَّت عن الحُلْقوم دخَلَت فمَ الغَلْصمة" اهـ. فالواضِح أنهما يصفان عملية البَلعِ وانطباق الغضروف المسمَّى بلسان المزمار على فم القصبة الهوائيَّة لتدخُل إلى المريء.

(3) انظر: البارع للقالي ص 458.

(4) قال ابن سينا في القانون في الطب 2/ 1103:"أما الغَلصمة: فهي لحمٌ صِفاقيٌّ لاصِقٌ بالحنك تحت اللَّهاة، متدلٍّ منطبقٌ على رأس القصَبة" اهـ. قال الدكتور محمد عبد الرازق استشاريّ أمراض الأنف والأذن والحنجرة عند قراءته هذا النصّ: إن وصفَ ابن سينا ينطبق على الحنك اللَّين.

(5) فقه اللُّغة ص 117 وانظر: القاموس المحيط ص 1475.

(6) رسالة في اللُّثغة ص 526.

(7) رسالة في اللُّثغة ص 526.

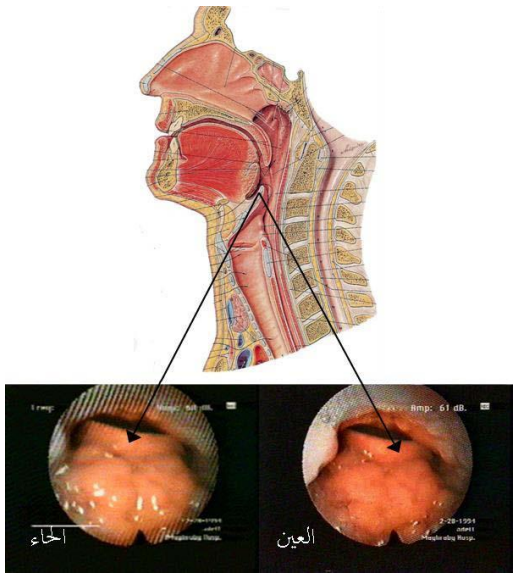
المزمار . وإلى أصل اللِّسان، والذي يقوّي أن يكون المرادُ: رأسَ المريء ما تقدَّم من وصفه للحاء، وهي من مخرج العين، قال: "تَحتاجُ إلى نفَسٍ يَخرُجُ مع الحنك بِتَنَحْنُحٍ مسرعٍ مضغوطٍ بأصلِ اللِّسان واللَّهَوات مع رأسِ المريء"[1].

ويُمثِّل شكل رقم (26) منطقة الغَلصمة كما أتصورها من واقع النُّصوص السابقة ومن الدلالة المعجميَّة للكلمة.

والمشكِل في نصِّ الكنديّ هو إلغاؤه عملَ اللِّسان في مخرج القاف، وغموض قوله: (إلزام الغلصمة الخياشيم لزوماً شديداً). صحيحٌ أن غضروف لسان المزمار يشترك في القاف من ناحية التفخيم فيها إلا أن أقصى اللِّسان مع ما فوقه من الحنك له الدَّور الرئيس في إخراجها.

وإذا كان المرادُ بـ: (**الغَلْصَمَة**) أصلَ اللِّسان، فإنَّ حدوثَ القاف يكونُ باعتمادِ أصلِ اللِّسان على الحنك اللَّحميّ الذي يكونُ بدَوره راجعاً إلى الجدار الخلفيّ للأنف سادّاً مجرى الصَّوت إلى الخياشيم، فكأنَّ أصل اللِّسان اعتمَد على الخياشيم، وهو معنى قوله: (إلزام **الغلصمة** الخياشيمَ لزوماً شديداً).

وأمَّا قوله في العين: (وفَتْحَةٍ **بالغَلْصَمَة**)، فهو يصِف انفصال أصل اللِّسان عن اللَّهوات (اللَّهاة وما يحيطُ بها من الحنك اللَّحميّ).



شكل رقم (27) دَور رأس المريء في مخرجَي العين والحاء

ولأجلِ كلام الكنديّ رجَّحْتُ اتِّساعَ هذه المنطقة لِتَشْمَلَ رَأْسَ المريء وما فوقها إلى أصل اللِّسان، ولعلَّ هذا هو الذي جعَل أبا عبيدةَ يُعرِّفُ **الغلصمةَ** بـ: اللَّحم الذي بين الرأس والعنُق، والله أعلم.

ويُمثِّلُ شكل رقم (27) دَور رأس المريء في مخرجَي العين والحاء كما أظهرته تجاربي النُّطقيَّة بواسطة منظار الحَنجرة، حيث يلاحظُ رجوع رأس المريء (EPIGLOTIS) إلى الجدار الخلفيّ للحلق.

القسمُ الثالث: الألفاظ المستعملة للجزء الأوسط

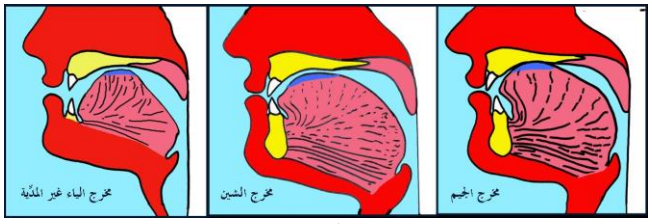
1 . 2 المصطلح الأوَّل والثاني للجزء الأوسط من اللِّسان: (وسَطُ اللِّسان)، (أوسَطُ اللِّسان):

استعمل سيبويه: (**وسَط اللِّسان**) كجُزءٍ مُشَارِكٍ مع الحَنَك في مخرجِ الجيمِ والشِّينِ والياء[2].

(1) رسالة في اللُّغة ص 525.
(2) الكتاب 4/ 433 .

وتابعَه: المبرِّدُ[1]، وابن السرَّاج، وجعله المخرجَ السادِسَ[2]، وابن خالويه[3]، وابن جنيّ[4]، والسعيديُّ[5]، ومكّيّ[6]، والدانيُّ[7]، والقرطبيُّ[8]، والخفاجيُّ[9]، وابن الطحَّان[10].

وتابعَه: الرمَّانيُّ[11]، والهمَذانيّ[12] لكن بلفظ: (**أوسَط اللِّسان**).



شكل رقم (28) دور وسط اللّسان في مخرج الجيم والشين والياء

وهذه الياءُ التي نسَبها سيبويه إلى **وسَط اللِّسان** تَشمَل الياءَ المدِّية وغيرَ المديَّة، مع علمِ سيبويه التامّ بطبيعةِ كلٍّ منهما من اتّساع المخرج في المدِّية، وتحيُّزِه في غير المدِّية، وإشارتِه إلى ذلك في أكثر مِن مَوضع[13].

وقد نبَّه بعضُ أهلِ التجويد إلى هذا الفرق، قال القرطبيُّ:"ومِن **وسط اللِّسان** بينَه وبين وسط الحنك الأعلى مخرجُ الجيم والشين والياء، إلا أنَّ الياء تَهْوي في الحلْق، وتنقَطِعُ عند مخرج الألف"[14].

ويمثِّل شكل رقم (28) دور وسط اللّسان في مخرج الجيم والشين والياء حيث توضِّح المنطقة الزرقاء المظلَّلة من اللِّسان في كلٍّ نقاطَ التقاء عُضوَي النُّطق في إنتاج هذه الأصوات.

واستَعمل الكنديُّ: (**وسط اللِّسان**) كجزء مشاركٍ مع الأضراس في كيفية خروج الضاد، حيث تتمُّ "بإخراج النفَس من **وسط اللِّسان** على الأرحية وجانبَي الثِّدق"[15].

(1) المقتضب 1/ 356.
(2) الأصول 3/ 400 .
(3) الحجة ص 73 .
(4) سرّ صناعة الإعراب 1/ 47 .
(5) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص 51 .
(6) الرعاية ص 175 .
(7) التحديد ص 103 .
(8) الموضح ص 118 .
(9) سر الفصاحة ص20 .
(10) مخارج الحروف وصفاتها ص 116 .
(11) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ .
(12) التمهيد ص 277 .
(13) انظر على سبيل المثال: الكتاب 4/ 176.
(14) الموضح ص 78 .
(15) رسالة في اللُّثغة ص 528.

وتابعَه ابن دُرَيد، والفارسيُّ[1] في خروج الضاد من **وسط اللِّسان**، قال ابن دُرَيد:"ثمَّ الضادُ من **وسطِ اللِّسان** مِمَّا يليه إلى الحافَّة اليُمنى"[2].

واستعمل الكنديُّ: (**وسط اللِّسان**) كجزءٍ مشاركٍ في خروج الخاء والغين[3].

ولقَّب سيبويه الجيمَ والشِّينَ بأنَّها من: (**حروف وسطِ اللِّسان**).

وتابعَه: الرمَّانيُّ وزاد الياء[4].

وذكَر ابنُ دُرَيد أنَّ الياءَ تَخرُج من **وسط اللِّسان**[5].

وضمَّ السين والصاد والزَّاي في مجموعة لقَّبَها بـ: (**حروف وسطِ اللِّسان مِمَّا هو مُنْخَفِض**)[6].

وذكَر ابنُ سينا أنَّ **وسطَ اللِّسان** يتقعَّرُ عند خروج الطاء دون أن يَحدُث ذلك لأختَيها في المخرج، أعني: التاء والدَّال[7].

ولعلَّه يَصِفُ ما يُصاحبُ الحروفَ المفخَّمةَ من تقعُّرٍ **لوسط اللِّسان**.

القسمُ الرَّابعُ: الألفاظ المستعملة للجزء الجانبيّ

1 . المصطلح الأوَّل للجزء الجانبيّ من اللِّسان: (حَافَّةُ اللِّسَان):

الحافَّةُ من أصلِها اللُّغويّ أن تَدُلَّ على طَوافِ الشيء بالشيء. حفَّ القَومُ بفلان: إذا أطافوا به. ومِن ذلك حِفَافَا كلِّ شيءٍ: جَانِباه[8].

استعمَل سيبويه: (**أوَّل حافَّة اللِّسان**) بعدَ ذِكْرِهِ لمخرج الجيم والشين والياء، كجزءٍ مشاركٍ مع الأضراس في مخرج الضاد، قال:"ومِن بَين أوَّلِ حَافَّةِ اللِّسانِ، وما يَلِيهَا مِن الأضراس تَخرُجُ الضَّادُ"[9].

فحدودُ أوَّلِ حافَّة اللِّسان في الضاد تبدأ بما يقابِلُها من الأضراسِ من فوق، وقد تقدَّم . في وسط اللِّسان . أنَّ الكنديّ وابنَ دُرَيد والفارسيَّ يَجعَلُون الضادَ من وسَطِ اللِّسان، وهذه المعرفةُ مهمّةٌ جداً؛ إذ

(1) الحجة 6/ 49 .
(2) الجمهرة 1/ 8 .
(3) رسالة في اللُّغة ص527 - 528 .
(4) شرح كتاب سيبويه ل 201/ أ .
(5) الجمهرة 1/ 8 .
(6) الجمهرة 1/ 7 .
(7) شرح أسباب حدوث الحروف ص 121 .
(8) مقاييس اللُّغة ص 226 (ح ف ف) .
(9) الكتاب 4/ 433 .

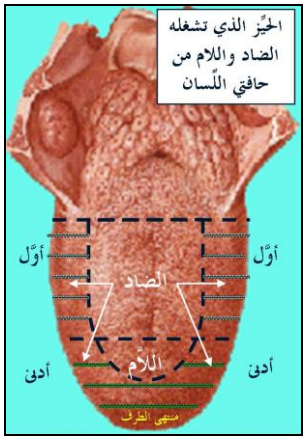
نُدْرِكُ منها أنَّ الضاد تخرج من **أوَّل حافَّةِ وسطِ اللِّسان**، خاصَّةً وأنَّ أكثرَهم متَّفِقون على جانبِيَّتِها.

تابعَ سيبويه: ابنُ السرَّاج، وجعله المخرج السابع[1]، والزجَّاجيّ[2]، وابن جنيّ[3]، ومكّيّ[4]، والقرطبيُّ[5]، والخفاجيُّ[6]، والهمَذانيّ[7]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[8].

واستبدل الرمَّانيُّ بـ: (**أوَّل حافة اللِّسان**): (**أقصى حافة اللِّسان**)[9].

وتابعَه: السعيديُّ[10]، والدانيُّ[11].

وتابعَ سيبويه: ابنُ الطحَّان الأندلسيّ، وزاد: (**إلى منتهى طرفه**)[12]، وهي إشارة دقيقةٌ منه ـ رحمه الله تعالى ـ لأنَّ طرفَ اللِّسان يُشارِكُ الحافَّةَ في مخرج الضَّاد ، وهو الذي ذكَره سيبويه في غير مخارج الحروف[13].



شكل رقم (29) دَور حافة اللِّسان في مخرجَي الضاد واللاَّم

واستَعمَل سيبويه بعدَ وصفهِ للضاد لفظ: (**أدنى حافَّةِ اللِّسان إلى منتهى طرفِه**) كجزءٍ مشاركٍ في مخرج اللاَّم، قال:"ومِن **حافَّةِ اللِّسانِ** مِن أدناها إلى مُنتهى طرفِ اللِّسان، ما بَينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فُوَيقَ الضَّاحِكِ والنَّابِ والرَّباعيَّة والثنيَّة مخرجُ اللاَّم"[14].

يوضِّح سيبويه أنَّ حدودَ أدنى **حافَّة اللِّسان** في اللاَّم تبدأ بما يقابلُها من الضَّاحك من فوق، وهي حافَّةُ طرف اللِّسان لقوله في موضعٍ آخر عن النُّون:"وتُدغَمُ في اللاَّم؛ لأنها قريبةٌ مِنها على طرَف اللِّسان"[15].

(1) الأصول 3/ 400 .
(2) شرح جمل الزجاجي ص 445 .
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .
(4) الرعاية ص 184 .
(5) الموضح ص 78 .
(6) سر الفصاحة ص 20 .
(7) التمهيد ص 277 .
(8) أسرار العربية ص 208 .
(9) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ .
(10) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص 51 .
(11) الإدغام الكبير ص 54 .
(12) مخارج الحروف وصفاتها ص 116 .
(13) الكتاب 4/ 465 .
(14) الكتاب 4/ 433 .
(15) الكتاب 4/ 452 . ومن العلماء مَن نسَب اللامَ إلى طرف اللِّسان، منهم الخليل والكندي وابن سينا، وانظر مصطلح: (طرف اللسان).

تابعَ سيبويه: ابنُ السرَّاج، وجعله المخرج الثامن[1]، وابن خالويه[2]، وابن جنيّ[3]، والسعيديُّ[4]، ومكّيّ[5]، والخفاجيُّ[6]، والهمَذانيّ[7]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[8].

وتابعَه: الرمَّانيُّ، واستبدل بـ **(منتهى طرفه)**: (أطراف الثنايا)[9].

وتابعَه: القرطبيُّ، واستبدَل بـ **(منتهى طرفه)**: (مُسْتَدَقّ طرفه)[10].

ويُمثِّل شكل رقم (29) دَور حافة اللّسان في مخرجَي الضاد واللاَّم. ويُبيِّن بشكلٍ تقريبيٍّ المساحةَ التي تَشْغلُها منهما.

وذكَر ابنُ الوزَّان النحويّ أن اللاَّم والرَّاء تخرُجان من **(حافَّة اللِّسانِ)**[11].

واستعمَل ابنُ سينا: **(حافَّتَي طرفِ اللِّسان)** في وصفه لحدوث الراءِ، حيث تُشارِكُ العضلتَان المطوِّلتَان في تعريض حافَّتَي طرف اللِّسان[12].

2 . المصطلح الثاني للجزء الجانبيّ من اللِّسان: (ناحيتا مُستَدَقِّ اللِّسان):

استَعمَل سيبويه: (ناحيَتَي مُستَدَقِّ اللِّسَان) في وَصْفِهِ للمَكَان الذي يَخْرُجُ منه صَوْتُ اللاَّم[13].

وتابعَه: القرطبيُّ[14].

3 . 4 المصطلح الثالث والرَّابع للجزء الجانبيّ من اللِّسان: (جَانِبَا اللِّسَان)، (جَنْبَتَا اللِّسَان):

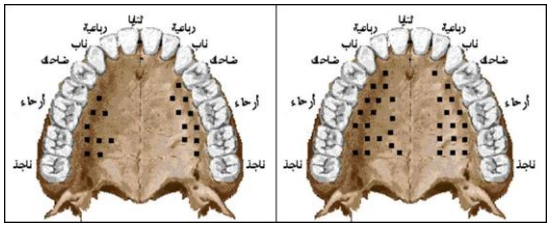
من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على الناحِيَة، ومنه الجَنْبُ للإنسان وغيره. وقَعَدَ فلانٌ جَنْبَةً، إذا اعتَزَل الناس[15].

(1) الأصول 3/ 400 .
(2) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص 6 .
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .
(4) التنبيه على اللن الجليّ والخفيّ ص 51 .
(5) الرعاية ص 188 .
(6) سر الفصاحة ص 20 .
(7) التمهيد ص 277 .
(8) أسرار العربية ص 208 .
(9) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ .
(10) الموضح ص78 .
(11) نقَل ذلك عنه الزبيديُّ في طبقات النحويّين واللُّغويّين ص 249 .
(12) أسباب حدوث الحروف ص 123 .
(13) الكتاب 4/ 435 .
(14) الموضح ص 92 .
(15) مقاييس اللُّغة ص 208 (ج ن ب).

استَعمَل سيبويه: (**الجانب الأيمن والأيسر**) من اللِّسان في شرحه للضَّاد الضعيفة[1].

واستَعمل الكنديُّ: (**جانبَي اللِّسان**) كجزء مشاركٍ في كيفية خروج الجيم والكاف والياء[2].

واستعمل ابن جنيّ: (**جَنْبَتَي اللِّسان**) في وصفه للياء، قال:"أمَّا الياءُ فتَجِدُ معها الأضراسَ سُفْلاً وعُلْواً قد اكْتَنَفَتْ **جَنْبَتَي اللِّسان** وضَغَطَتْهُ، وتفاجَّ الحنكُ عن ظهر اللِّسان، فجرى الصَّوتُ متصعِّداً هناك، فلأجلِ الفَجْوَة ما استَطال"[3].



شكل رقم (30) دَور جنبتَي اللّسان في مخرج الياء

ويُمثِّل شكل رقم (30) دَور جنبتَي اللّسان في مخرج الياء المدِّية وغير المدِّية، في التجارب التي قامتْ على راسمِ الحنكِ الكهربيّ (PALATOMETER)، ونُلاَحِظُ أنَّ النقاط السوداء هي نقاط تلامُسِ جنبتَي اللِّسان بالحنك الأعلى. لاحِظ أنَّ التلامس في الياء غير المدِّية أكثرُ منه في المدِّية بسبب طبيعتَيهما الصَّوتيَّة الدائرة بين المدِّ وعدمه، فاختلفَ ضغط اللِّسانِ تبعاً لذلك.

5 . المصطلح الخامس للجزء الجانبيّ من اللِّسان: (ضِلْعا اللِّسان):

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على ميلٍ واعوجاج، ومنه سمِّيت أضلاعُ الإنسان؛ للاعوِجَاجِ الذي فيها[4].

استعمله ابنُ سينا كجزءٍ مشاركٍ في حدوث الطاء[5].

القسمُ الخامسُ: الألفاظ المستعملة للجزء الأماميّ

1 . المصطلح الأوَّل للجزء الأماميّ من اللِّسان: (ذَلَقُ اللِّسَان):

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على حِدَّةٍ، قال الخليلُ:" حَدُّ كلِّ شيءٍ ذَلْقُه وتقول: كأنَّه ذَلْقُ سِنانٍ"، والذَّلْقُ: طرَفُ اللِّسان[6]. وعند ابن جنيّ ذلق اللِّسان: صَدْرُه وطرفُه[7]. وعند القرطبيّ: مُنتَهَى صَدْرِه وطرَفِه[8].

استَعمل الخليلُ: (**ذلَق** اللِّسان) في التعبير عن مخرج اللاَّم والنون والرَّاء، ولقَّبَها بـ: (**الذَّلِيقَةِ أو**

(1) الكتاب 4/ 432 .
(2) رسالة في اللُّغة ص 524 – 525.
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 8 .
(4) مقاييس اللُّغة ص 577 (ض ل ع).
(5) أسباب حدوث الحروف ص 121 .
(6) العين 5/ 134 ، ومقاييس اللُّغة ص 368 (ذ ل ق) .
(7) سر صناعة الإعراب 1/ 64 .
(8) الموضح ص 94 .

الذَّوْلَقِيَّة)، وبـ: (**الذَّلَقِيَّة)**، وبـ: (**حروفِ الذَّلَق)**[1]، وأخيراً بـ: (**الحروف الذُّلْق)**[2]، وهذا الأخير من المشترك اللَّفظيّ استعمله الخليلُ ـ أيضاً ـ كلقبٍ لحروف الإذلاق الستة (ف ب م ل ن ر)[3].

قال الخليل:"مِنها ثلاثةٌ **ذَوْلَقِيَّة**: ر ل ن، تَخرُجُ مِن ذَلقِ اللِّسانِ مِن طَرَفِ غَارِ الفَم"[4].

وقال:"والراءُ واللاَّمُ والنونُ **ذلَقِيَّةٌ**؛ لأنَّ مَبْدَأَهَا من **ذَلَقِ** اللِّسان، وهو تحديدُ طَرَفَيْ **ذلَقِ** اللِّسَان"[5].

ويُشْعِرُنا هذا النصُّ الأخيرُ بأمرَين: جَانِبيَّة هذه الأحرف، وخاصَّةً في قوله: (طرَفَيْ **ذَلَقِ** اللِّسان)، والثاني: أنَّها تخرجُ بنهاية الجزء الأماميّ من اللِّسان، لاستعماله لفظ: (تحديد)، يعني بعبارةٍ أخرى: تخرُجُ اللام والنُّون والراء من حافَّتي نهاية الجزء الأماميّ.

تابعَه الرازيُّ على أنَّ مخرج اللام والنون والراء من **ذَلَق** اللِّسان[6].

تابعَه على اللَّقَبَين: مكِّيّ[7].

وتابعَه السعيديُّ في خروج النُّون مِن **ذَلَق** اللِّسان [8].

2 . المصطلح الثاني للجزء الأماميّ من اللِّسان: (طَرَفُ اللِّسَان):

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على حدِّ الشيء وحَرْفِه، فمنه طرفُ الشيء والثّوب والحائط[9].

استعمل الخليلُ: (**طرفَ اللِّسان**) استعمالاً طريفاً في شرحِه لمعنى: (النَّقْر)، وهو التصويت للدَّابَّة، قال:" النَّقْرُ: صوتُ اللسان يُلزَقُ **طَرَفُه** بمُخْرَجِ النّون فيُصَوَّتُ به، فَيُنْقُرُ بالدابَّةِ لِتَسِيرَ"[10].

واستعمَل سيبويه: (**طرفَ اللِّسان**) كجزء مشاركٍ مع الحنكِ أو الأسنانِ في خروج الأصوات التالية: النُّون، والراء، والطاء والدال والتاء، والصاد والسين والزاي، والظاء والذال والثاء[11].

(1) العين 1/ 52 .
(2) العين 1/ 51 .
(3) العين 1/ 53 .
(4) العين 1/ 51 .
(5) العين 1/ 58 .
(6) الزينة ص 64 .
(7) الرعاية ص 140.
(8) اختلاف القراء في اللام والنون ص 64 .
(9) مقاييس اللُّغة ص 609 (ط ر ف).
(10) العين 5/ 144 .
(11) الكتاب 4/ 433 .

وتابعه: الزجَّاجيُّ[1]، وابن جنيّ[2]، ومكّيّ[3]، والدانيُّ[4]، والقرطبيُّ[5]، والخفاجيُّ[6].

وعند مكّيّ: **طرفُ اللِّسَان**: أسَلتُه[7].

تابعَ المبرِّدُ سيبويه في: الطاء والدال والتاء، والصاد والسين والزاي، والظاء والذال والثاء[8].

تابعَ ابنُ الطحَّان سيبويه في : الصاد والسين والزاي، والظاء والذال والثاء[9].

وذكَر سيبويه أن اللاَّم أدغِمت في الرَّاء للمقاربَة في **طرف اللِّسان**، وأنَّ النُّون أدغِمت مع الرَّاء لقرب المخرجَين على **طرف اللِّسان**، وجعَل هذا القُرْبَ بين النُّونِ والراءِ العلَّةَ الصوتيَّةَ في إدغام النُّون في الياء؛ لأنَّه ليس مخرجٌ **من طرفِ اللِّسان** أقرب إلى مخرجِ الرَّاء من الياء، وكذلك إلى اللام؛ إذ الياءُ أقرب الحروف إليهما، فساغَ لذلك إدغامُ النُّونِ في الياء[10].

وتعليلُ سيبويه يُعدُّ من القواعد الصَّوتيَّة. وعنوانُها: (إدغامُ الحرفِ في الحرفِ بسببِ قُرْبِ المجَاورِ).

ولقَّب سيبويه الحروفَ التي يَشْتَرِكُ فيها **طرفُ اللِّسان** مع الحنك والأسنان بـ: (**حروف طرف اللِّسان**)، عدَّ منها أحدَ عشر حرفاً، وهي: النُّونُ والراءُ، والطاءُ والدال والتاء، والصاد والسين والزَّاي، والظاء والذال والثاء[11].

وتابعَه: ابن السرَّاج[12]،والقرطبيُّ[13]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[14].

وزاد الرُّمَّانيُّ: اللاَّم.

(1) شرح جمل الزجاجي ص 445 .
(2) سرّ صناعة الإعراب 1/ 47 .
(3) الرعاية ، ومظانُّ هذه الحروف على الترتيب: ص 198، و 201، و 204، و209، و211، و 215، و 220، و223، 224 و26.
(4) التحديد ص 103 .
(5) الموضح ص 79 .
(6) سر الفصاحة ص 20 .
(7) الرعاية ص 140 .
(8) المقتضب 1/ 309 .
(9) مخارج الحروف وصفاتها ص 118 - 119 .
(10) الكتاب 4/ 452 - 453 .
(11) الكتاب 4/ 457 .
(12) الأصول 3/ 421 .
(13) الموضح ص 97 .
(14) أسرار العربية ص 211 .

ولقَّبَ اللاَّمَ والنُّونَ والراءَ منها بـ: (**الحروف المُتَفَرِّقَة**), ولقَّب التسعةَ الباقية بـ: (**الحروف المُتَنَاسِبَة**)[1].

وعند ابنِ دُرَيد: (**حروفُ طرفِ اللِّسان**) هي الحروف الذُّلْق، وهي: اللام والنون والراء والميم والباء والفاء[2].

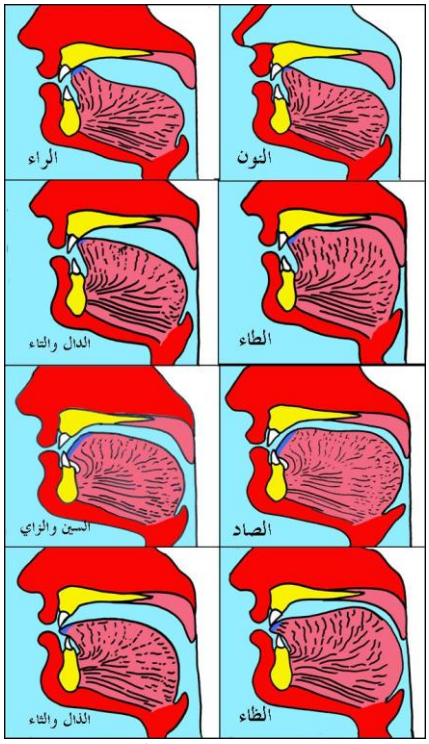
ولقَّب سيبويه الحروفَ التي يَشْتَرِكُ فيها طرفُ اللِّسان مع الأسنان الأماميَّة بـ: (**حروف طرف اللِّسان والثنايا**)، وهي تسعةُ أحرف: الطاءُ والدالُ والتاءُ، والصَّادُ والسينُ والزَّايُ، والظاءُ والذالُ والثاء[3].

وتابعَه: ابن السرَّاج[4]، وأبو عليّ الفارسيُّ[5].

ويمثِّلُ شكل رقم (31) دَور طرف اللّسان في مخارج أكثر الحروف الأماميَّة.

ولقَّبها أبو عليّ الفارسيُّ في مواضع أخرى كثيرة بـ: (**حروف طرف اللِّسان وأصول الثنايا**)[6].

واستَعمل الكنديُّ: (**طرَفَ اللِّسان**) كجزءٍ مشاركٍ في خروج الدَّال، واللاَّم والزاي والطاء، والسِّين، والتاء والذَّال، والضَّاد والظاء[7].



شكل رقم (31) دَور طرف اللّسان في مخارج أكثر الحروف الأماميَّة

واستعمله ابنُ سينا كجزءٍ مشاركٍ في مخرج الحرف الذي يُشبه الجيم[8]، والجيم والشين[9]، واللام والراء[10]، والطاء والتاء[11]، والنُّون[12]، والرَّاء الغَينيَّة[1].

(1) شرح كتاب سيبويه ل 201/ أ .
(2) الجمهرة 2/ 316 .
(3) الكتاب 4/ 465 .
(4) الأصول 3/ 422 .
(5) الحجة 1/ 51 .
(6) الحجة 2/ 367 و 3/ 119 و 5/ 341 و 6/ 49، والتكملة ص 279.
(7) رسالة في اللُّثغة : الدال ص 524 ، واللاَّم والزاي والطاء ص 525، والسين ص 526، والتاء والذال ص 527، والضاد والظاء ص 528 .
(8) أسباب حدوث الحروف 86 .
(9) أسباب حدوث الحروف كلاهما ص 118 - 119 .
(10) أسباب حدوث الحروف كلاهما ص 81، و 123 .
(11) أسباب حدوث الحروف ص 121 .
(12) أسباب حدوث الحروف ص 124 .

وذكَر ابن سينا أن الهواءَ ـ ونتيجةً للمقاومة التي تحصُل ـ يقومُ بالتأثير على **طرف اللِّسان** فيُكسبُه خاصِّيةَ الاهتزاز، وذلك في الزَّاي، والزاي الظائيَّة، والرَّاء، والراء الغَينيَّة[2].

وذكر مكِّيّ أنَّ **طرف اللِّسان** كأنَّه يرتَعِدُ عند النُّطق بالرَّاءِ[3].

3 ـ المصطلح الثالث للجزء الأماميّ من اللِّسان: (رَأْسُ اللِّسان):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تَجَمُّعٍ وارتفاع، فالرَّأس: رأسُ الإنسانِ وغيرُه[4].

استَعمل الكنديُّ: **(رأس اللِّسان)** بمعنى الطَّرَف كجزء مشاركٍ في مخرج الراء واللاَّم والدال والثاء[5].

واستعمَل القرطبيُّ: **(رأس اللِّسان)** بمعنى نهاية الجزء الأماميّ من اللِّسان في الدَّال والراء، حيث حذَّر من استعمال **رأس اللِّسان** في الدَّال، في تلاوة القرآن الكريم، قال:"وربَّما لفَظ به بعضُ النَّاسِ **برأس لسانِه** لا بطرَفِه، فصار أدخلَ في اللَّهاة، وهو خفيٌّ"[6].

ولعلَّ أشبه الناسِ بوصفه ـ اليوم ـ نُطْقُ أهل الباكستان والهند للدَّال، ينطقونها **برؤوس ألسنتهم** إلى داخلِ الحنك، والله أعلم.

وذكَر أنَّ الراءَ إذا كانت مرقَّقة كان العملُ فيها **برأس اللِّسان** بخلاف المفخَّمة التي يعمَل فيها طرفُ اللِّسان[7].

4 ـ المصطلح الرابع للجزء الأماميّ من اللِّسان: (صَدْرُ اللِّسان)

في اللُّغة: الصَّدْرُ من الإنسان وغيره معروفٌ، وصَدْرُ النَّهار: أولُّه. وصَدْرُ المجْلِس: مُرتَفَعُهُ. وصَدْرُ الطريق: مُتَّسَعُه. وصَدْرُ السَّهْمِ: ما جاوَزَ مِن وَسَطِه إلى مُسْتَدَقِّه، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه المتقدِّمُ إذا رُمِيَ به[8].

ذَكَر ابنُ جنيّ أن الصاد تخرجُ من **صَدر اللِّسان** وأسَلته[9].

5 ـ المصطلح الخامس للجزء الأماميّ من اللِّسان: (أسَلَةُ اللِّسَان)

(1) أسباب حدوث الحروف 129 - 130 .
(2) أسباب حدوث الحروف: الزاي ص 77، والزاي الظائية ص 91، والراء ص 123، والراء الغينية ص 129 -130 .
(3) الرعاية ص 131 .
(4) مقاييس اللُّغة ص 414 (ر أ س) .
(5) رسالة في اللُّثغة : الراء واللام والثاء ص 527 ، والدال: ص 528.
(6) الموضح ص 103 .
(7) الموضح ص 106 .
(8) المصباح المنير ص 335 (ص د ر) .
(9) سر صناعة الإعراب 2/ 816.

يدلُّ أصل (أ س ل) اللُّغويُّ على حِدَّةِ الشيءِ وطولِه في دِقَّة، وكلُّ نبتٍ له شوكٌ طويلٌ فشوكُه أسَلٌ. والأسَلةُ: مُستدقُّ اللِّسان. وكلُّ شيءٍ محدَّدٍ فهو مؤسَّل[1]، وقال الخليل:"**وأَسَلَةُ اللِّسان**: طرَفُ شَباتِه أي: مُسْتَدَقُّه"[2].

استَعمل الخليلُ: (**أسلةَ اللِّسان**) حين علَّل لتسميةِ: اللام والنون والراء والفاء والباء والميم بـ: الحروفِ الذلَقيَّة، فقال: "لأنَّ الذَّلاقةَ في المنطِقِ تكون **بطرَف أسلةِ اللِّسان** والشفتَين، وهما مَدْرَجَتا هذه الأحرف الستَّة"[3].

وتابعه: ابن دُرَيد[4].

وذكَر ابنُ دُرَيد أنَّ الراء والنون واللام تَخرُجُ بين **أسَلة اللِّسان** إلى مُقَدَّمِ الغَارِ الأعلى[5].

ونقل عبارتَه: مكّيّ[6]، والهمَذانيّ[7].

ولقَّب الخليلُ الصادَ والسين والزايَ بـ: (**الحروف الأسْليَّة**)؛ "لأن مبدأها من **أسَلة اللِّسان**، وهي مستدَقُّ طرفِ اللِّسان"[8].

وتابعَه: مكّيّ[9]، والهمَذانيّ[10].

وذكَر الرازيُّ أنَّ **أسَلَة اللِّسان** إلى أطرافِ الثنايا حيِّزٌ للصاد والسين والزاي[11].

وجعَلها القرطبيُّ مخرجاً للزاي والسين[12].

6. المصطلح السادس للجزء الأماميّ من اللِّسان: (حَرْفُ اللِّسان)

من معانيه في اللُّغة أن يدلَّ على حَدِّ الشيءِ. وحَرفُ كلِّ شيءٍ حدُّه، كالسَّيْف وغيرِه[13].

(1) مقاييس اللُّغة ص 60 (أ س ل).
(2) العين 7/ 301 .
(3) العين 1/ 51.
(4) الجمهرة 1/ 11.
(5) الجمهرة 1/ 7.
(6) الرعاية ص 136.
(7) التمهيد ص 279.
(8) العين 1/ 58.
(9) الرعاية ص 140.
(10) التمهيد ص 279.
(11) الزينة ص 64.
(12) الموضح ص 162.
(13) مقاييس اللُّغة ص 237 (ح ر ف).

استَعمل المبرِّد: (**حَرْفَ اللِّسان**) في التعبير عن مخرجِ اللام، قال:"ومَخرُجهُ من **حَرْفِ اللِّسَانِ** مُتَّصِلاً بِمَا يُحاذيهِ من الضاحِكِ والثنايا والرَّباعِيَات"[1].

لعلَّه يعني بحرف اللِّسان: طرف اللِّسان، أو حافة اللِّسان، وكلاً محتملٌ.

7 . المصطلح السابع للجزء الأماميّ من اللِّسان: (عَذَبَةُ اللِّسان)

قال الخليل: عَذَبَةُ السَّوط: طَرَفُه. والعَذَبَةُ في قضيب البعير أَسَلَتُهُ. أي: المستدقّ من مقدّمه ويجمع على عَذَب[2]. **وعَذَبَةُ اللِّسان**: طرفه[3].

استَعمل السُّهيليُّ: (**عَذَبَةَ اللِّسانِ**) في الإشارة إلى مخرجَي الذَّال والثَّاء[4].

القسمُ السادس: الألفاظ المستعملة لنهاية الجزء الأماميّ

1 . المصطلح الأوَّل لنهاية الجزء الأماميّ من اللِّسان: (مُسْتَدَقُّ اللِّسان)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على صِغَرٍ وحقارةٍ[5]، وهنا هو رأس طرفِ اللِّسان.

تقدَّم في حافة اللِّسان استعمالُ سيبويه لـ: (ناحِيَتَي **مُسْتَدَقِّ اللِّسان**)، واستعمال القرطبيّ لـ: (**مُستَدَقِّ طرف اللِّسان**) بدلاً من: (منتهى طرف اللِّسان).

2 . المصطلح الثاني لنهاية الجزء الأماميّ من اللِّسان: (مُنْتَهَى طَرَفِ اللِّسان)

قال الخليل:"ومُنتَهى كلِّ شيءٍ: طرفُه[6].

تقدَّم استعمالُه في حافَّة اللِّسان.

3 . المصطلح الثالث لنهاية الجزء الأماميّ من اللِّسان: (دُوَيْنَ طَرَفِ اللِّسان)

استَعمل الزجَّاجُ: (**دُوَيْنَ طَرَفِ اللِّسان**) كجزء مشاركٍ في مخرج الذَّال[7].

4 . المصطلح الرَّابع لنهاية الجزء الأماميّ من اللِّسان: (أدنى طرفِ اللِّسان)

استعمل ابن الطحان الأندلسيّ: (**أدنى طرف اللِّسان**) كجزء مشاركٍ في التعبير عن مخرج: النون

(1) المقتضب 1/ 348. وانظر: 1/ 329 .
(2) العين 2/ 103 .
(3) انظر: الجيم لأبي عمرو الشيبانيّ 2/ 262، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص 147، والجمهرة لابن دُرَيد 1/ 251 .
(4) نتائج الفكر ص 227 .
(5) مقاييس اللُّغة ص 329 (د ق ق).
(6) العين 7/ 414 .
(7) معاني القرآن وإعرابه 4/ 24 .

والتنوين، والراء، والطاء والدال والتاء[1].

العُضوُ الثالث من أعضاء الفم: الأسنان

أدرك المتقدِّمون ـ منذ عهد النبوَّة ـ أهمِّيةَ بعضِ أجزاء الأسنان في الكلام، فمن ذلك "قولُ عمرَ بنِ الخطَّاب في سُهَيل بن عمرو الخطيب رضي الله عنهما: يا رسول الله: اِنْزَعْ ثَنِيَّتَيْه السُّفْلَيَين حتى يَدلَعَ [يَخْرُجَ] لسانُه، فلا يَقومُ عليك خطيباً أبداً.

قال الجاحظ: وإنما قال ذلك لأن سُهَيلاً كان أعْلَمَ [مَشْقُوقاً] من شَفَتِه السُّفْلَى"[2].

كان المتقدِّمون يعتَنُون بصحَّةِ الأسنان، ويعيبون المختلَّ منها، ويَعْلَمُون تأثيرها الخطير في الكلام، قال يونس بن حبيب عن أهميَّة الأسنان:"وهي التي إذا تمَّتْ تَمَّتِ الحروفُ، وإذا نقَصَتْ نقَصَتِ الحروفُ"[3].

ومِن علماء التجويد والقراءات من جعلَ صحَّة الأسنانِ من شروط كمال القراءة، كالهمَذانيّ[4].

وكانت عنايةُ الأطباء بالغةً كذلك، قال أبو عليّ المجوسيُّ في تعليمه للطبيب:"ثمَّ تَنظُرَ بعد ذلك إلى الأسنان، هل فيها شيءٌ متساقِطٌ، لا سيَّما الثَّنايا والأنياب، فإنَّها قبيحةٌ تَمْنَعُ جَوْدةَ الكلام"[5].

الأسنان اثنانِ وثلاثون سناً، فصَّلَتْها العربُ بأسماء مختلفة ذَكَرَها الخليلُ مفرَّقةً في معجمه[6]، وجمعَها أبو زيدٍ اللُّغويُّ، فقال:"للإنسان أربعُ ثنايا، وأربعُ رباعِيَات ـ الواحدة رباعيَة مخففة ـ وأربعةُ أنيابٍ، وأربعةُ ضَواحِك، واثنتا عشرةَ رَحىً: ثلاثٌ في كل شِقٍّ، وأربعةُ نَواجِذ، وهي أقصاها"[7].

استعمَل المتقدِّمون أجزاءَ الأسنانِ في تعيين المخارجِ وحدودها، أمَّا عند أصحاب الدَّرس الصوتيّ المعاصر فالغالِبُ عليهم استعمالُ لفظِ: (**الأسنان**) دون أجزائها[8].

المواطنُ الصوتية التي استعملت فيها الأسنان ومصطلحاتها الكبرى

استُعمِلت الأسنان وأجزاؤها في مَوطِنَين:

1 ـ أجزاء مشارِكَة في تَعْيِينِ مخارِجِ وحدودِ بعضِ الحُرُوف.

(1) مخارج الحروف وصفاتها ص 118 – 119 .

(2) البيان والتبيين 1/ 44.

(3) نقَل ذلك عنه الجاحظ في البيان والتبيين 1/ 45 و 48.

(4) انظر: التمهيد في معرفة التجويد ص 188.

(5) كامل الصناعة الطبية 1/ 46 .

(6) انظر: الثنايا والرباعية في العين 2/ 133، والأنياب في 8/ 381، والضواحك في 3/ 266، والأرحاء في 3/ 290.

(7) نقَل ذلك عنه ابن قتيبة في أدب الكاتب ص 149.

(8) انظر: علم اللغة للسعران ص 140، والأصوات لبشر ص 71 .

2 . مَنَافِذ لأصوات بعضِ الحُرُوف وهوائها.

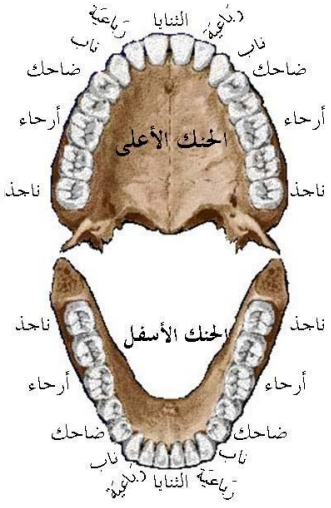
والمصطلحات الكبرى التي استُعمِلَتْ لهذَين المَوْطِنَين، هي:

1 . (الأسنان)، 2 . (الجِرْم الصَّلْب)، 3 . (الثنايا)، 4 . (الرَّبَاعِيَات)، 54 . (الأنيَابُ)، 6 . (الضَّوَاحِك)، 7 . (الأضراس)، 8 . (الأرحية أو الأرحاء).

واستُعمِلت أجزاءُ هذه الألفاظ أيضاً، ويَصْعُبُ حَصْرُها في هذا الإطار، وهي مُثْبَتةٌ تحت كلِّ مصطلح.

ملاحظة: الأضراس تشمل الضَّوَاحِك والأرحاء والنواجِذ. كما أنَّ النَّواجذَ هي الأسنانُ الوحيدة التي لم تُستَعمل صوتيّاً.

ويمثِّل شكل رقم (32) الأسنان ومصطلحاتها.



شكل رقم (32) الأسنان ومصطلحاتها

1 . المصطلح الأوَّل للأسنان: (الأسنان)

استعمَل سيبويه: (**أصولَ ما اللامُ فوقه من الأسنان**)، يعني مَنَابِتَ الأسنان العليا الأماميَّة، في التعبير عن استطالة مخرج الضاد إلى مخرج الطاء والدال والتاء، قال:"وقد تُدغَمُ الطاءُ والتاءُ والدالُ في الضاد؛ لأنها اتَّصَلَتْ بمَخرجِ اللاَّم، وتَطَأْطَأَتْ عَنِ اللاَّمِ حَتَّى خَالَطَتْ **أصولَ مَا اللاَّمُ فَوْقَهُ مِنَ الأَسْنان**، ولم تَقَعْ مِنَ الثَّنِيَّةِ مَوضِعَ الطاءِ لانحرافها؛ لأنك تَضَعُ للطاءِ لِسَانَكَ بَين الثَّنِيَّتَين، وهِي مَعَ ذَا مُطْبَقَة"[1].

ودارَ أبو عليّ الفارسيُّ حَول عبارة سيبويه مستعمِلاً لفظ: (أصول الثنايا)[2].

استَعمل الكنديُّ: (**مَقَادِيم الأسنان**)، و(**مُقَدَّم الأسنان**)، و(**الأسنان العُليا**)، و(**مَقادِيم الأسنان العليا**) و(**صُعُدَ مقاديم الأسنان**) كأجزاء مشاركةٍ مع طرف اللِّسان في إنتاج أكثر الأصوات الأمامية، وهي: الدَّالُ والطاء، والصَّاد والزاي والسين، والظاء والذالُ والثاء، والنُّون[3].

واستَعمَل: (**مَقَادِيمَ الأسنان**) كجزءٍ مشاركٍ في الضَّاد، قال:"نقولُ في نعتِ الضاد: تحتاجُ إلى إلْزامِ طرَفِ اللِّسان **مقاديمَ الأسنانِ**، وإخراجِ النَّفَس من وسَطِ اللِّسان على الأرحيةِ وجانِبَي الثِّدْق"[4].

وهذا الوصفُ الدقيق للضادِ يلتقي مع وصفِ سيبويه . الذي تقدَّم فوق . من حيث وضع طرف

(1) الكتاب 4/ 465.
(2) الحجة 6/ 49 - 50.
(3) رسالة في اللُّغة ص 524 – 528.
(4) رسالة في اللُّغة ص 528 .

اللِّسان، ويلتقي معه في أنَّه جعَل الضاد يخرجُ صوتها من جانبِ وسط اللِّسان، أي من حافَّة اللِّسان.

واستَعمَل: (**الأسنان العليا**) كجزء مشاركٍ مع الشفة السُّفلى في إنتاج الفاء[1].

وذكَر أن نفَسَي السِّين والزاي يخرجُان مِن: (**بين الأسنان**)، في السين خفيّاً يسيراً، وفي الزَّاي خروجاً يسيراً بزَمْزَمَةٍ[2].

والزَّمْزمةُ في أحد معانيها اللُّغوية: الصَّوْتُ البعيدُ تَسْمَعُ له دَوِيًّا، والعُصْفُورُ يَزِمُّ بصوتٍ له ضعيف، وكِبارُ الزَّنابير تَزِمُّ أيضاً[3].

كلُّ هذا يُرجِّحُ أنَّ الكنديَّ لاحَظَ أثَرَ اهتزاز الأوتار الصَّوتيَّة في الزاي دون السِّين .

وذكَر الكنديُّ أنَّ نفَسَي الصَّاد والفاء يَخْرُجَان مِن: (**بين الأسنان العُلْيا**)[4].

واستَعمَل ابن سينا: (**طرف الأسنان**) كعضوٍ حابس للثاء عند خروجها[5].

واستَعْمَل: (**خَلَل الأسنان**) في نَفَاذِ هَوَاءِ الشِّين، وهواءِ حروفِ الصَّفيرِ (الصاد والسين والزاي)، وهواءِ الحروفِ اللِّثويةِ (الظاء والثاء والذال)، وكجزءٍ مشاركٍ في هواء الزاي الشينيَّة، وهواءِ الجيم التي تَضرِب إلى شبَه السِّين[6].

واستعمل: (**مَضَايِقَ خَلَلِ الأسنان**) في إطلاقِ هواءِ الجيمِ بعدَ الحَبسِ التامّ[7].

واستَعمل: (**المَنافِذَ الضيّقَةَ بين خَلَلِ الأسنان**) في نفاذِ هواءِ الزاي[8].

والخَلَلُ في أصله اللُّغويّ يدلُّ على دِقَّةٍ، أو فُرْجَةٍ بين الشَّيئَين[9].

واستَعمل ابن سينا أيضاً: (**الفُرَج التي بين الأسنان**) في نفاذِ هواءِ السِّين[10].

والفُرَجُ في أصلها اللُّغويّ تَدُلُّ على تَفَتُّحٍ في شيءٍ، من ذلك الفُرْجَةُ في الحائطِ: الشَّقُّ[1].

(1) رسالة في اللُّغة ص 526.
(2) رسالة في اللُّغة ص 525 - 526 .
(3) انظر: لسان العرب 12/ 274 (ز م م) .
(4) رسالة في اللُّغة ص 526.
(5) أسباب حدوث الحروف ص 122.
(6) أسباب حدوث الحروف: الشين ص 74، و حروف الصفير واللثة ص 77 – 81، والزاي الشينيَّة ص 89، والجيم التي تضرب إلشبه السين ص128.
(7) أسباب حدوث الحروف ص 119 .
(8) أسباب حدوث الحروف ص 77 – 78.
(9) مقاييس اللُّغة ص 286 - 287 (خ ل ل).
(10) أسباب حدوث الحروف ص 120 – 121. واستعمَله لهواء السين.

واستعمل: (**ما بين تماسِّ أطراف الأسنان**) في نفاذ هواء الثاء[2].

2 . المصطلح الثاني للأسنان: (الجِرْمُ الصَّلْب)

استَعمل ابن سينا: (**الجِرْم الصَّلب**) كنايةً عن الأسنان الأمامية عندما وصَف خروج الطاء والدَّال والتاء[3].

الألفاظ المستعملة لأجزاء الأسنان:

1 . القسمُ الأوَّل من أجزاء الأسنان: (الثنايا)

عددها أربع اثنان من فوق واثنان من تحت .

الثنايا لفظٌ واسعٌ كبيرٌ يَقرُبُ أن يكون مرادفاً للأسنان الأماميَّة. استعمله أصحابُ المدرسة النقليَّة ليدُلُّوا به على مخارج الأصوات الأماميَّة وكيفيَّة خروج هواء الحروف، واستُعمِل للثنايا عدَّة مصطلحات، منها:

1 . (الثنايا) 2 . (أصول الثنايا).

1 . المصطلحُ الأوَّلُ للثنايا: (الثنايا)

ذكَر سيبويه أنَّ اللاَّم والنُّون "ارتفَعَتا عن **الثنايا**، فلم تجِدا منفذاً"[4]. يعني سُدَّ مجرى الصَّوْت لاعتمادِ طرَفِ اللِّسان فيهما على الحنك.

وذكَر الأخفشُ أنَّ "أكثرَ الحروفِ تَكُونُ بَينَ **الثنِيَّةِ** والضِّرْس، وإنَّما يُجاوِزُ **الثنِيَّة** من الحُرُوفِ أقلُّها"[5].

وذكَر ابن كَيْسان أنَّ "اللاَّمَ مائلةٌ إلى حافَّةِ اللِّسان عن مَوْضِعِ النُّون، تَنْحَرِفُ عن الضَّاحِكِ والنَّابِ والرَّباعيَّة، حتى **تُخالِطَ الثنايا**"[6].

2 . المصطلحُ الثاني للثنايا: (أصولُ الثنايا)

من المشترك اللَّفظيّ، سيأتي ذِكرُه في الألفاظ المستعملة لمنابت الثنايا العُلْيا.

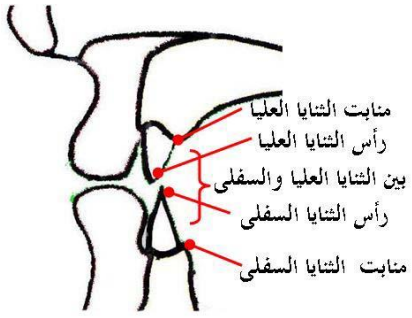
أقسام الثنايا العُليا والسُّفلى والألفاظ المستعملة لذلك

(1) مقاييس اللُّغة ص 815 (ف ر ج).
(2) أسباب حدوث الحروف ص 80. واستَعمله لهواء الثاء.
(3) أسباب حدوث الحروف ص 122.
(4) الكتاب 4/ 175 .
(5) القوافي ص 6 .
(6) نقَل ذلك عنه مكّيّ في الرعاية ص 244 .

قُسِّمَت الثنايا العليا والسُّفلى إلى عدَّةِ أجزاء استعملها العلماء صوتياً، منها:

1 . السَّطح الداخليّ للثنايا: (باطن الثنايا).

2 . منابت الثنايا العُلْيا: 1 . (بين الثنيَّتَين) 2 . (أصول الثنايا) 3 . (أصول ما اللاَّم فوقه من الأسنان) 4 . (أصول الثنايا العُلى) 5 . (أصول الثنايا العُلْيا) 6 . (أصول الثنايا العُلْيا مصعَّداً إلى الحنك) 7 . (أصول الثنايا العُلى مُصَعَّداً إلى الحنك) 8 . (أصول الثنيَّتَين) 9 . (أصول الثنيَّتَين من العُلْيَيْن) 10 . (أعلى الثنيَّتَين) 11 . (أطراف الثنايا)، وهو من المشترك اللفظيّ.



شكل رقم (33) أقسام الثنايا العليا والسفلى

3 . رأس الثنايا العُلْيا: (أطراف الثنايا).

4 . بين الثنايا العُلْيا والسُّفلى: 1 . (بين الثنايا) 2 . (حروف الثنايا) 3 . (فُوَيق الثنايا) 4 . (ممَّا بين الثنايا) 5 . (أسفل من أصول الثنايا قليلاً مما بين الثنايا)

5 . رأس الثنايا السُّفلى: (طرف الثنايا السفلى).

6 . منابت الثنايا السُّفلى: (أصول الثنايا)، وهو من المشترك اللَّفظيّ.

ويُمَثِّل شكل رقم (33) أقسام الثنايا العليا والسفلى التي دارت عليها ألفاظ المتقدِّمين.

القسمُ الأوَّلُ من أقسام الثنايا: السطح الداخليّ للثنايا

استُعمل للسطح الداخليّ للثنايا لفظ واحد هو: **(باطنُ الثنايا)**

استعمل الخليل: **(باطن الثنايا)**، أي: الجدار الداخليّ لها، في رسم حدود الحروف التي ارتفعَت فوق ظهر اللِّسان، في تعليلٍ صوتيٍّ لتميُّز اللام والنون والراء عن غيرها من حروف اللِّسان، واختصاصها بالذَّلاقة في المنطق[1].

القسم الثاني من أقسام الثنايا: منابت الثنايا العُليا

1 . المصطلح الأوَّل لمنابت لثنايا العُلْيا: (بين الثنيَّتَين)

استعمل سيبويه: **(بين الثنيَّتَين)** في وَصْفِ أين يوضَعُ اللِّسانُ في مخرجِ الطاء، قال:" لأنك تَضَعُ للطاءِ لِسَانَكَ **بَين الثَّنِيَّتَين**"[2]. وقد ذكَر سيبويه في المخارج أنَّ الطاء تخرجُ من طرف اللِّسان مع أصول الثنايا

(1) العين 1/ 52.

(2) الكتاب 4/ 465. وانظر مصطلح: (التطأطؤ).

العُليا، وعليه فإنَّني أرجِّحُ أن يكون المقصود بـ: (**بين الثنيَّتَين**) أصول الثنايا العليا.

2 . المصطلح الثاني لمنابت لثنايا العُلْيا: (أصول الثنايا):

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصله اللُّغويُّ على أساس الشيء[1]، وكثُرَ حتى قيلَ أصْلُ كلِّ شيءٍ: ما يَسْتَنِدُ وُجُودُ ذلك الشيءِ إليه، فالأبُ أصلٌ للولد، والنَّهرُ أصلٌ للجدول[2].

استُعمل: (أصول الثنايا) في أكثر من معنى، منها:

1 . منابتُ الثنايا العُلْيا. وشاركَه في هذا المعنى عدة مصطلحات مرتبطةٌ به، منها: . (أصول الثنايا العُلى) . (أصول الثنايا العُلْيا) . (أصول الثنايا العُلْيا مصعَّداً إلى الحنك) . (أصول الثنايا العُلى مُصَعَّداً إلى الحنك) . (أصول الثنيَّتَين) . (أصول الثنيَّتَين من العُلْيَيْن).

2 . الثنايا، وبهذا المعنى نُسِبَت إليها كلُّ حروف الثنايا: (الطاء والدال والتاء)، و(الصاد والسين والزاي)، و(الظاء والذال والثاء).

1 . المعنى الأوَّل لـ: (أصول الثنايا) = منابتُ الثنايا العُليا

استَعمل سيبويه: (**أصول الثنايا**) كعضوٍ مشاركٍ مع طرف اللِّسان في إنتاج الطاء والدال والتاء، قال:"وممَّا بين طرف اللِّسان **وأصول الثنايا** مخرجُ الطاء والدال والتاء"[3].

ويعني بها مَنْبتَي الثنيَّتَين العُلْيَيَن.

تابعَه: ابن دُرَيد[4]، والزجاجيّ[5]، وابن جنيّ[6]، والسعيديُّ[7]، ومكّيّ[8]، والخفاجيُّ[9].

وزاد المبرِّدُ على لفظ سيبويه: (**مُصَعَّداً إلى الحنك**)[10].

وزاد الزجَّاجُ على لفظ سيبويه: (**العُلْيا**)[11].

(1) مقاييس اللُّغة ص 62 (أ ص ل).
(2) المصباح المنير ص 16 .
(3) الكتاب 4/ 433.
(4) الجمهرة 1/ 8.
(5) شرح جمل الزجاجي ص 445.
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 47.
(7) التنبيه على اللحن الجليّ والخفيّ ص 13.
(8) الرعاية ص 198 و 201 و 204.
(9) سرّ الفصاحة ص 19.
(10) المقتضب 1/ 329 .
(11) معاني القرآن وإعرابه 2/ 155.

وتابَع الزجَّاجَ على زيادته: النحَّاس[1]، والدانيُّ[2]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[3].

وجمَع الدانيُّ في مَوضعٍ آخَر بين زيادتَي المبرِّد والزجَّاج، يعني: (**أصول الثنايا العُلْيا مُصَعَّداً إلى الحنك**)[4].

وتابَعَ القرطبيُّ الدانيَّ بلفظ: (**أصول الثنايا العُلى مُصَعَّداً إلى الحنك**)[5].

وزاد المبرِّد على لفظ سيبويه: (**العُلَى**)[6].

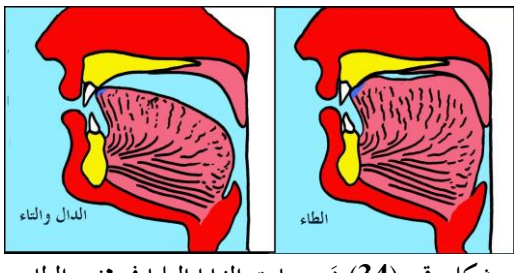
وتابعَه: الزجَّاجُ[7]، والهمَذانيّ[8].

واستعمل سيبويه: (**أصل الثنايا**) كمخرجٍ للطاء والدال والتاء، في محاولةٍ لتحديد مكان خروج الصاد والسين والزاي، قال:"والطاءُ والدال والتاءُ يُدْغَمن كلُّهنَّ في الصادِ والزاي والسين، لقُرْب المخرجَين؛ لأنهنَّ من الثنايا وطرَف اللِّسان، وليس بينهنَّ في الموضع إلا أن الطاءَ وأختَيها من **أصلِ الثنايا**، وهنَّ من أسفَلِه قليلاً ممَّا بين الثنايا"[9].

واستعمَل الأخفشُ: (**أصول الثنيَّتَين**) كجزء مشاركٍ مع طرف اللِّسان في مخرج التاء[10].

وزاد ابن الطحَّان: (**من العُلْيَيْن**) في وصف مخرج الطاء والدال والتاء[11].

وهذه الألفاظ مع كثرتِها إنَّما تَصِف مكاناً واحداً، ويُمثِّل شكل رقم (34) دَور منابت الثنايا العليا في مخرج الطاء والدال والتاء، والمنطقة المظلَّلة الزرقاء من طرفِ اللِّسان هي منطقة التقاء عضوي النُّطق. قارن هذا الرَّسم بالألفاظ التي جاءت لوصفِه.



شكل رقم (34) دَور منابت الثنايا العليا في مخرج الطاء والدال والتاء

(1) إعراب القرآن 2/ 10.
(2) الإدغام الكبير ص 54 .
(3) أسرار العربية ص 208.
(4) التحديد ص 103.
(5) الموضح في التجويد ص 79.
(6) المقتضب 1/ 309.
(7) معاني القرآن وإعرابه 4/ 24.
(8) التمهيد في معرفة التجويد ص 277.
(9) الكتاب 4/ 462 - 463.
(10) معاني القرآن 1/ 283.
(11) مخارج الحروف وصفاتها ص 116.

وذكَر الأخفش أنَّ مخرجَ اللامِ بطرف اللِّسان قريباً من **أصول الثنايا**[1].

واستَعمَل المبرِّد: (**أصول الثنايا**) في تحديد مخرج اللام، قال:"وتخرجُ اللاّمُ مِن حَرْفِ اللِّسان مُعارِضاً لأصول الثنايا والرَّبَاعِيَات"[2].

واستَعمل ابن دُرَيد: أصول الأضراس إلى **أصول الثنايا العليا** مع جَنْبِ اللِّسان الأيمن في التعبير عن مخرج الصاد والسين والزاي[3]. ومن خِلال تَجاربي الصوتيَّة على جهاز راسِمِ الحنك الكهربيّ (Palatometer) أظهرت النتائجُ في هذه الحروف تلامسَ حَوافِّ اللِّسان مع حوافِّ الحنك عند الأضراس، ويمتدُّ هذا التلامسُ إلى أن يصل إلى اللِّثة عند الأسنان الأمامية. فإذا كان هذا مقصودُ ابنِ دُرَيد فيُعَدُّ سَبْقاً له، غير أن المشكِل في كلامه خصُّه الجنب الأيمنَ من اللِّسان، والله أعلم بمراده.

واستعمل مكّيّ: (**أصول الثنايا العليا**) في وصفِ سبَبِ ضعفِ الإطباق في الظاء[4].

ونقَل عبارتَه القرطبيُّ مستعمِلاً: (العُلَى)[5].

2 . المعنى الثاني لـ (أصول الثنايا) = الثنايا:

استَعمل أبو عليٍّ الفارسيُّ: (**أصول الثنايا**) في نسبة التاء، والصاد، والذال والثاء إليها[6].

ولقَّب كلَّ الحروف التي تَخْرُجُ من الثنايا بـ: (حروف طرف اللِّسان **وأصول الثنايا**)[7].

والذي يؤيِّدُ أنَّه يعني الثنايا دون منطقة محدَّدة منها أنَّه أثبت في موضعٍ آخَر التفاوتَ في مخارج هذه الحروف، فقال عن الظاء والذال والثاء: إنَّها (أَخْرَجُ من الفم)، أي: إلى خارج الفم؛ لأن جزءاً من طرف اللِّسان يكونُ إلى الخارج. وقال عن الطاء والدال والتاء والصاد والسين والزاي: (إنَّها أَدْخَلُ في الفم)[8].

وقال عن السِّين والتاء إنَّهما يشتركان في طرف اللِّسان **وأصول الثنايا**[9].

وهذا يدلُّ على أن أبا عليٍّ الفارسيَّ ـ ومع كَونه ألْصَقَ العلماء بكتاب سيبويه ـ لم يعترِف بتقسيم سيبويه

(1) معاني القرآن 2/ 735 .

(2) المقتضب 1/ 329. ومعنى: (حرف اللِّسان): طرفه، و(المعارَضة) هي المقابَلة. وكلامُ المبرِّد يَجعلُ اللِّسانَ في مخرج اللام معارضاً لأصول الثنايا والرباعيات فقط دون ما ذكَره سيبويه من اشتراك الضواحك والأنياب معها. (الكتاب 2/ 405 بولاق).

(3) الجمهرة 1/ 8.

(4) الرعاية ص 123.

(5) الموضح ص 90.

(6) الحجة 3/ 275 و 6/ 49 .

(7) الحجة 2/ 367 و 3/ 119 و 5/ 341 و 6/ 49، والتكملة ص 279.

(8) الحجة 5/ 203 .

(9) الحجة 3/ 119 .

للثنايا، بل جعلَها كلَّها تحت لفظٍ واحدٍ هو: (**أصول الثنايا**) ، والله أعلم .

3 . المصطلح الثالث لمنابت الثنايا العليا: (أعلى الثنيَّتَين)

استَعمل سيبويه: (انفِرَاج **أعلى الثنيَّتَين**) كمَنفَذٍ لصَوت الشين التي يُضَارَعُ بها الزَّاي في: (أشدق)[1]. وهو يعني بهذا أصول الثنايا العليا؛ لأنَّه قال في موضعٍ آخرَ عن الشِّين:"والشِّينُ لا تُدغَمُ في الجيمِ؛ لأنَّ الشِّين استطال مخرجُها لرخاوتِها حتى اتَّصَل بمخرجِ الطاء"[2].

ومن المعلوم أنَّ الطاء عند سيبويه تخرج من أصول الثنايا العليا.

وذكَر الفارسيُّ في أنَّ الشينَ يستطيلُ صوتُها حتى يُخالِطَ **أعلى الثنِيَّتَين**[3]. وهو حاصلُ كلام سيبويه.

4 . المصطلح الرابع لمنابت الثنايا العُلْيا: (أطراف الثنايا)

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على حدِّ الشيء وحَرْفِه، فمنه طرفُ الشيء والثّوب والحائط[4]، وطرَفُ الشيءِ ناحيتُه، والجمعُ أطراف[5].

استُعمل: (أطراف الثنايا) في معنيَين:

أ . رأس الثنايا العليا، وبهذا المعنى استُعمِل في أكثرَ مِن موطنٍ صوتيٍّ، منها:

1 . جزءٌ مُشارِكٌ في مخرج الظاء والذال والثاء.

2 . جزءٌ مُشارِكٌ في مخرج الفاء.

3 . جزءٌ مُشارِكٌ في مخرج الصاد والسين والزاي .

ب . منابت الثنايا العليا، واستُعمل في اللام.

1 . المعنى الأوَّل لـ (أطراف الثنايا) = رأس الثنايا العليا:

1 . الموطن الأوَّل لأطراف الثنايا = جزءٌ مشاركٌ في مخرج الظاء والذال والثاء.

استَعمل سيبويه: (**أطراف الثنايا**) كعضوٍ مشاركٍ مع طرف اللِّسان في إنتاج الظاء والذال والثاء[6].

(1) الكتاب 4/ 479.

(2) الكتاب 4/ 448 .

(3) الحجة 1/ 55 ، و 133 .

(4) مقاييس اللُّغة ص 609 (ط ر ف).

(5) المصباح المنير ص 371 .

(6) الكتاب 4/ 433.

وقَولُ سيبويه عامٌّ ربَّما يَشْمَلُ الثنايا جميعاً، العُليا والسُّفلى؛ فظَهْرُ طرَفِ اللِّسانِ يُلاَمِسُ العُلْيا، وبَطْنُ طرَفِه يلامِسُ السُّفْلى.

ولا يَظُنَّ ظانٌّ أنَّ الأطراف عند سيبويه هي من جهة اللِّثة، فهذه تسمَّى: (أصول الثنايا) عنده، وهي مخرجٌ للطاء والدَّال والتاء، وقد أثبَتَ سيبويه التفاوتَ بين: حُرُوفِ الأصُولِ، وحُرُوف فُوَيقَ الثنايا، وحروف **أطرافِ الثنايا**، كما سيأتي في مصطلح: (فُوَيْقَ الثنايا)[1].

وفي مَوضعٍ آخَرَ ذكَر أنَّ الظاء والذَّالَ والثاءَ مِن **أطرافِ الثنايا**، وقَارَبْنَ من المخارجِ مخرجَ الفاء[2]. وليس بعدَ هذا بيان.

تابعَ سيبويه: ابنُ دُرَيد[3]، والرمَّانيُّ[4]، وابن جنيّ[5].

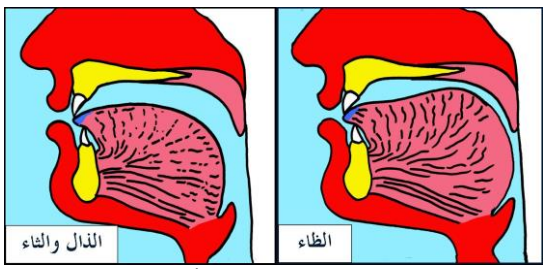
وخصَّص المبرِّدُ لفظ سيبويه، وزاد: (**العُلْيا**)[6].

وتابعَ المبرِّدَ: الخفاجيُّ[7]، والسعيديُّ[8]، والدانيُّ[9]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[10].

وخصَّص الزجَّاجُ لفظَ سيبويه، وزاد: (**العُلَى**)[11].

وتابعَ الزجَّاجَ: ابنُ خالويه[12]، ومكيٌّ[13]، والقرطبيُّ[14].

وقيَّد ابنُ الطحَّان الأندلسيّ لفظَ سيبويه بقولِه:"ومن طرَفِهِ ومايَلِيهِ من **أطرافِ الثَّنايا**،



شكل رقم (35) دَور رأسَي الثنايا العُلْيا والسُّفلى في مخرج الظاء والذال والثاء

(1) من الغريب أن يَفْهمَ بعضُ الدارسين ذلك مجرَّد أنَّ الخليل لقَّب في الحجة 5/ 203 عن الظاء والذال والثاء: إنَّها (أَخْرَج من الفم)، عن الطاء والدال والتاء والصاد والسين والزاي: (إنَّها أَدْخَلُ في الفم).

(2) الكتاب 4/ 458 .

(3) الجمهرة 1/ 8 .

(4) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب.

(5) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .

(6) المقتضب 1/ 329 .

(7) سرّ الفصاحة ص 20.

(8) التنبيه على اللحن الجليّ والخفيّ ص 51 .

(9) التحديد ص 103، والإدغام الكبير ص 54 .

(10) أسرار العربية 208 .

(11) معاني القرآن وإعرابه 4/ 24 .

(12) الحجة ص 292 .

(13) الرعاية ص 220 .

(14) الموضح ص 79 .

عُلْيَاهَا وسُفْلاَهَا، تَخْرُجُ الظَّاءُ والثاءُ والذالُ"[1].

وهذا الوصفُ بهذا التقييد من أدقِّ النصوص التي اطَّلَعْتُ عليها عند المتقدِّمين؛ إذ ذكَر فيه دَورَ الثنايا جميعاً في مخرج هذه الحروف، دون أن يَقْصُرَ هذا الدَّور على الثنايا العُلْيا فقط كما فعَل الباقون.

ويُمثِّلُ شكل رقم (35) دَور رأسَي الثنايا العُلْيا والسُّفلى في مخرج الظاء والذال والثاء.

وذكَر سيبويه انحرافَ طَرَفِ اللِّسانِ إلى **أطرافِ الثنايا** في الظاء والذَّال والثاء[2].

وتابعَه: مكِّيّ، واستَبدَلَ **بأطرَافِ الثنايا**: (أصولَ الثنايا العُلْيا)[3].

وتابعَ القرطبيُّ مكِّيّاً، واستَبدَلَ **بأطرَافِ الثنايا**: (أصولَ الثنايا العُلَى)[4].

وعِبَارَةُ سيبويه ظاهرةٌ لم يَعْدُ ما قاله في المخارج عن هذه الحروف. ولا أدري ما الذي حملَ مكِّيّاً والقرطبيَّ مِن بعدِهِ على استعمال: (أصول الثنايا العليا أو العلَى) بدلاً من: (**أطراف الثنايا**) مع متابعة كلٍّ منهما لوصف سيبويه عند الحديث عن مخرجِ الظاء والذال والثاء؟!

يَبدو لي ـ على سبيل التخمين لا التحقيق ـ أنَّ مكِّيًّا قد تأثَّر في ذلك بأبي عليٍّ الفارسيّ، الذي لم يلتَزِمْ بتقسيمِ سيبويه للثنايا (أصول، وممَّا بين، وأطراف)؛ بل اختَزَل هذه الثلاثة في لفظ: (أصول الثنايا)، فكان مكيٌّ متابِعاً، ونقَل القرطبيُّ ذلك منه؛ لأنَّ كتاب الرِّعاية من أصول كتاب القرطبيّ، والله أعلم.

2 . الموطنُ الثاني لأطراف الثنايا = جزءٌ مشاركٌ في مخرج الفاء:

استَعمل سيبويه[5] أيضاً: (**أطرافَ الثنايَا العُلى**) كعضوٍ مشاركٍ مع باطن الشفة السُّفلى في الفاء.

وتابعَه: المبرِّدُ[6]، والرمَّانيُّ[7]، وابن جنيّ[8]، والقرطبيُّ[9]، والهمَذانيّ[10].

واستبدل المبرِّدُ في موضعٍ آخَر: (**العُلَى**) بـ: (**العُلْيا**).

وتابعَه: ابن دُرَيدٍ[1]، والفارسيُّ[2]، والزجاجيُّ[3]، والسعيديُّ[4]، ومكِّيّ[5]، والدانيُّ[6]، والخفاجيُّ[7]، وأبو

(1) مخارج الحروف وصفاتها ص 119 .
(2) الكتاب 4/ 462 .
(3) الرعاية ص 122 .
(4) الموضح ص 90 .
(5) الكتاب 4/ 433.
(6) المقتضب 1/ 310 ، و343 .
(7) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ .
(8) سر صناعة الإعراب 1/ 48 .
(9) الموضح في التجويد ص 79.
(10) التمهيد في معرفة التجويد ص 278.

البركات ابن الأنباريّ[8].

وتابع ابنُ الطحَّان سيبويه، واستبدل بـ: (الثنايا العُلى): (**الثنيَّتَين العُلْيَين**)[9].

3 . الموطنُ الثالث لأطراف الثنايا = جزءٌ مشاركٌ في مخرج الصاد والسين والزاي:

استَعمل المبرِّدُ: (**أطراف الثنايا**) في مخرج الصاد والزاي والسين، منبِّهاً على تركِ فرجةٍ بينهنَّ وبين الثنايا، ومُفَرِّقاً في الوقت نفسه بينها وبين الظاء والذال والثاء، التي تشترِكُ معها في أطراف الثنايا، لكن تختلِف بوضعِ طرف اللِّسان، قال:"وحروفُ الصَّفِير مِن طرَفِ اللِّسَانِ وأطراف الثنايا، ولَهُنَّ انسِلالٌ عند التِقَاءِ الثنايا؛ لِمَا فيهنَّ مِن الصَّفِيرِ. وتُجَاوِرُهُنَّ الظاءُ والذَّالُ والثاءُ من طَرَفِ اللِّسان وأطرَاف الثنايا، إلا أنَّ هذه الحروفَ [الظاء والذال والثاء] يُلْصَقُ اللِّسانُ لها بأطراف الثنايا"[10].

2 . المعنى الثاني لـ (أطراف الثنايا) = منابت الثنايا العليا:

استَعمل الرمَّانيُّ: (**أطراف الثنايا**) بمعنى أصولِ الثنايا من جهة اللِّثة في شرحه لمخرج اللاَّم، قال:"ومِن أدناها [حافَّة اللِّسان] إلى أطراف الثنايا مخرجُ اللاَّم"[11].

القسم الثالث من أقسام الثنايا: رأس الثنايا العُلْيا

استُعمِل لرأس الثنايا العليا لفظ واحدٌ هو : (**أطراف الثنايا**):

وهو من المشترك اللَّفظيّ. تقدَّم.

القسم الرَّابع من أقسام الثنايا: بين الثنايا العُلْيا والسُّفلى:

استعمل للمنطقة الواقعة بين الثنايا العليا والسفلى عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (بين الثنايا) 2 . (فُوَيق الثنايا) 3 . (حروف الثنايا)

(1) الجمهرة 1/ 8 .
(2) الحجة 6/ 8 .
(3) شرح جمل الزجاجي ص 445 .
(4) التنبيه على اللَّحن الجلي والخفي ص51 .
(5) الرعاية ص 227.
(6) التحديد ص109 ، والإدغام الكبير ص 78 .
(7) سر الفصاحة ص20 .
(8) أسرار العربية ص 208 .
(9) مخارج الحروف وصفاتها ص 120 .
(10) المقتضب 1/ 309 .
(11) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ .

1 . المصطلح الأوَّل لما بين الثنايا العليا والسفلى: (بين الثنايا)

استُعمِل: (بين الثنايا) بمعنى بين الثنايا العُليا والسُّفلى في مَوطنَين:

1 . منفذٍ لهواءِ بعض الأصوات. 2 . جزء مشاركٍ في مخرج الصاد والسين والزاي.

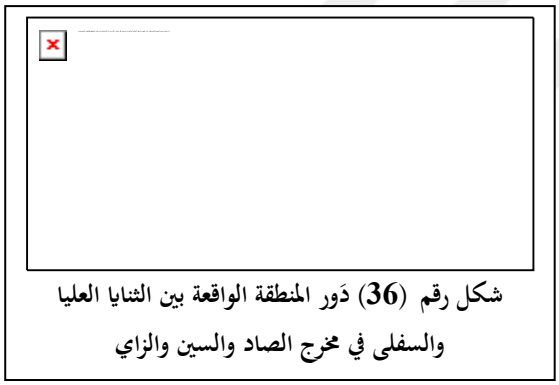
1 . الموطنُ الأول لـ (بين الثنايا) = منفذٌ لهواء بعض الأصوات:

ذكَر سيبويه أنَّ الضَّاد والزايَ والظاء والذال تَجِدُ المُنْفَذَ لصوتِها من **بين الثنايا**[1]، وكذلك السِّينُ والشِّينُ يَنسَلاَّن مِن **بين الثنايا**[2].

2 . الموطنُ الثاني لـ (بين الثنايا) = جزءٌ مشاركٌ في مخرج الصاد والسين والزاي:

استعمل سيبويه لفظ: (**بين الثنايا**) لتبيين مخرج الصاد والسين والزاي، قال في تحديدها:"وليس بَيْنهُنَّ في الموضِع إلا أنَّ الطاءَ وأختَيها من أصلِ الثنايا، وهنَّ من أسفَلِه قليلاً **ممَّا بين الثنايا**"[3].

فقوله: (مِن أسفلِه) يدلُّ دلالةً واضحَةً على أنَّه لا يعني مكاناً من الحنك يكونُ فوق الثنايا، بل مِن أسفلِ أصولِ الثنايا، من أسفل مخرج الطاء والدال والتاء، وهذا الأسفل هو فوق الثنايا السُّفْلى أو بين الثنايا العليا والسُّفلى.



شكل رقم (36) دَور المنطقة الواقعة بين الثنايا العليا والسفلى في مخرج الصاد والسين والزاي

وقد ذكَر سيبويه في موضعٍ ثانٍ أنَّ الصاد والسين والزاي، والظاء والذال والثاء أخواتٌ من حيّزٍ واحدٍ،"والذي بينهما من الثنِيَّتَين يسيرٌ"[4].

وأشار إشارةً خفيَّةً في موضعٍ ثالثٍ إلى أنَّ مخرجَ الصاد والسين والزاي يقعُ بين مخرجَي الطاء والدال والتاء، والظاء والذال والثاء، قال:"والظاءُ والذالُ والثاءُ أخواتُ الطاءِ والدَّال والتاء، لا يَمْتَنِعُ بعضُهُنَّ من بعضٍ في الإدغام؛ لأنَّهنَّ مِن حيّزٍ واحدٍ، **وليس بينهنَّ إلا ما بين طرفِ الثنايا وأصولِها**"[5]. فالذي يقع بينهنَّ هو مخرجُ الصاد وأختَيها، والله أعلم.

تابعَ سيبويه على (**ممَّا بين الثنايا**): الأزهريُّ[6]، وابن جنيّ[1]، والخفاجيُّ[2]، والهمَذانيّ[3].

(1) الكتاب 4/ 174 .
(2) الكتاب 4/ 306 .
(3) الكتاب 4/ 462 - 463.
(4) الكتاب 4/ 464 .
(5) الكتاب 4/ 464 .
(6) معاني القراءات 1/ 111 .

وذكَر الدانيُّ أنَّ الصَّاد والسِّين والزَّاي تخرجُ من الفُرْجَة التي **بين** طرفِ اللِّسان **والثنايا العُلْيا**[4].

ويمثِّل شكل رقم (36) دَور المنطقة الواقعة بين الثنايا العليا والسفلى في مخرج الصاد والسين والزاي، والمنطقة المظلَّلة الزرقاء من طرفِ اللِّسان هي منطقة التقاء عضوي النُّطق. لاحِظ أنَّ اختلاف العبارات في مخرج الصاد والسين والزاي إنَّما هو بالنَّظَر إلى المخرج من زاوية معيَّنة، لكنَّ المعنى واحدٌ.

2 . المصطلح الثاني لـ بين الثنايا العليا والسُّفلى: (فُوَيق الثنايا):

(فُوَيق) تصغير (فوق)، ويعني بها القُرْب الشديد أو المحاذاة الشديدة.

استَعمل سيبويه: (**فُوَيْق الثنايا**)، وهو من المشترك اللَّفظيّ، بمعنيَيْن:

1 . فَوْقَ الثنايا السُّفْلَى، أو بين الثنايا العُلْيا والسُّفْلَى، وهذا جعلَهُ لوَصْفِ مَخْرَجِ الصَّاد والسِّين والزاي.

2 . فَوْقَ الثنايا العُلْيا من جهة اللِّثَة، وهذا جعلَهُ لوَصْفِ مَخْرَجِ النُّون واللام، وبعضُ العلماء استعمله للراء.

1 . المعنى الأول لـ (فويق الثنايا) = فَوْقَ الثنايا السُّفْلَى، أو بين الثنايا العُلْيا والسُّفْلَى

دارَت عباراتُ العلماء في مخرج الصاد والزاي والسين على لفظَي سيبويه ، أعني: (فُوَيق الثنايا) أو: (مِمَّا بينَ الثنايا). وتقدَّم استعمال: (بين الثنايا)، وحان دَور (فُويق الثنايا).

استَعمل سيبويه أيضاً لفظ: (**فُويق الثنايا**) كجزءٍ مشاركٍ مع طرف اللِّسان في مخرج الصَّاد والسِّين والزَّاي، قال:"ومِمَّا بَيْنَ طرف اللِّسان **وفُوَيقَ الثنايا** مخرجُ الصاد والزاي والسِّين"[5].

تابعَه على (**فُويق الثنايا**): الرمَّانيُّ[6].

تابَع ابنُ السرَّاج سيبويه، وزاد: (السُّفْلى)[7].

وتابَع ابنَ السرَّاج: الزجَّاجيُّ[8]، والسعيديُّ[9]، ومكيٌّ[1]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[2].

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .
(2) سرّ الفصاحة ص 20.
(3) التمهيد ص 277 .
(4) التحديد ص 103 .
(5) الكتاب 4/ 433.
(6) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ .
(7) الأصول 3/ 400 .
(8) شرح جمل الزجاجي ص 445 .
(9) التنبيه على اللحن الجليّ والخفيّ ص 51 .

ويُمثِّل شكل رقم (36) دَور المنطقة الواقعة بين الثنايا العليا والسفلى في مخرج الصاد والسين والزاي.

2 . المعنى الثاني لـ (فُوَيق الثنايا) = فَوْقَ الثنايا العُلْيا من جهةِ الحنك الأعلى

قال سيبويه في وصف مخرج النُّون:"ومِنْ طرَفِ اللِّسان بينه وبين ما **فُوَيْقَ الثنايا** مخرجُ النُّون"[3]. يعني: فوقَ الثنايا العُلْيا من الحنك.

وتابعَه: الزجَّاجيُّ[4]، والرمانيُّ[5]، وابن جنيّ[6]، ومكيٌّ[7]، والدانيُّ[8]، والقرطبيُّ[9]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[10].

وتابَع الخفاجيُّ سيبويه، واستَعمل: **(ما فوق الثنايا)** [11].

وتابَع الهمَذانيّ سيبويه، وزاد: **(العُلَى)** [12].

واستَعمل سيبويه: **(فُوَيْق** الضَّاحك والناب والرباعيَة **والثَّنِيَّة)** في وصف مخرج اللام[13].

ويعني بـ: (فويق الضاحك...الخ): ما يُجاوِرُ هذه الأسنانَ من جِلْدَة الحنك الأعلى.

وتابعه: القرطبيُّ[14]، والهمَذانيّ[15].

واستَعمل الدانيُّ: **(فُوَيق الثنايا)** كجزءٍ مشاركٍ مع طرف اللِّسان في مخرج الراء[16]. وهو حاصلُ كلام سيبويه؛ لأن سيبويه قال في وصف الراء:"ومِن مخرجِ النُّون غير أنَّه أدخَل في ظهر اللِّسان... ".

3 . المصطلح الثالث لـ بين الثنايا العليا والسُّفلى: (حروف الثنايا)

---

(1) الرعاية ص 209 .
(2) أسرار العربية ص 208 .
(3) الكتاب 2/ 405 نسخة بولاق .
(4) شرح جمل الزجاجي ص 445 .
(5) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .
(7) الرعاية ص 267 .
(8) التحديد ص 103 .
(9) الموضح في التجويد ص 79.
(10) أسرار العربية ص 208 .
(11) سرّ الفصاحة ص 20.
(12) التمهيد في معرفة التجويد ص 277.
(13) الكتاب (بولاق) 2/ 405.
(14) الموضح في التجويد ص 78.
(15) التمهيد في معرفة التجويد ص 277.
(16) التحديد ص 103 .

من المشترك اللَّفظيّ.

استُعْمِل لفظ: (حروف الثنايا) بمعنيَين:

1 . الحروفُ التي تشترِكُ الثنايا مع طرف اللِّسان في خروجها. 2 . بين الثنايا العليا والسفلى.

1 . المعنى الأوَّل لـ حروف الثنايا = الحروفُ التي تشترِكُ الثنايا مع طرف اللِّسان في خروجها:

لقَّب سيبويه الحروف التي تخرجُ من الثنايا بـ: (**حروف الثنايا**)، وهي: (الطاء والدال والتاء)، و(الصاد والسين والزاي)، و(الظاء والذال والثاء)[1].

وتابعَه: الأخفش[2]، والرمَّانيُّ[3].

2 . المعنى الثاني لـ حروف الثنايا = بين الثنايا العليا والسفلى

ذكَر المبرِّدُ أنَّ الصَّاد والسين والزاي يخْرُجْنَ من طرف اللِّسان ومُلْتَقَى **حروف الثنايا**، وهي حروفٌ تَنْسلُّ انسِلالاً[4].

يعني بـ: مُلْتقى **حروفِ الثنايا**: ما بين أطراف الثنايا العليا والسُّفْلَى. وهو بذلك يتَّفِقُ مع أحد قولَي سيبويه في مخرج الصاد والسين والزاي، كما سيأتي. وقد صرَّح المبرِّد بلفظ: (أطراف الثنايا) في مَوضعٍ آخَر، كما تقدَّم في: (أطراف الثنايا).

القسم الخامس من أقسام الثنايا: رأس الثنايا السُّفلى:

استَعمل القرطبيُّ: (**طرف الثنايا السُّفلى**) كجزءٍ مشاركٍ مع طرف اللِّسان في إنتاج الصاد والسين والزاي[5].

القسم السادس من أقسام الثنايا: منابت الثنايا السُّفلى:

استعمل لمنابت الثنايا السفلى لفظ واحدٌ هو (**أصول الثنايا السُّفلى**).

استَعمل الدانيُّ: (**أصول الثنايا السُّفلى**) كجزءٍ مشاركٍ مع طرف اللِّسان في خروج الصاد والسين والزاي[6]. وهذا بالنظر إلى وضع رأس اللِّسان حيث يُلصَقُ بالثنايا السفلى كما في الشكل الذي تقدَّم عن

(1) الكتاب 4/ 462 و 465، و 466.
(2) معاني القرآن 1/ 283 .
(3) شرح كتاب سيبويه لـ 202/ أ .
(4) معاني القرآن 1/ 283 .
(5) الموضح في التجويد ص 79.
(6) الإدغام الكبير ص 54.

الصاد والسين والزاي.

2 . القسمُ الثاني من أجزاء الأسنان: الرَّبَاعِيَات

بعد الثنايا، أربعٌ: اثنان من فوق واثنان من تحت .

واحدُها: (الرباعِيَة)، بلا تشديدٍ للياء[1].

مضى استعمالُ سيبويه والمتابِعين له لـ: (**فُويق الرَّباعِيَة**) كجزءٍ مشاركٍ في مخرج اللام في (فوَيق الثنايا).

واستَعمل ابنُ سينا: (**خَلَلَ الرَّبَاعِيَات**) كمَنفذٍ لهواء الجيم بعد انحباسه[2].

3 . القسمُ الثالث من أجزاء الأسنان: الأنياب

بعد الرَّباعِيَات ، أربعٌ: اثنان من فوق واثنان من تحت .

مضى استعمالُ سيبويه والمتابِعين له لـ: (**فُويق النَّاب**) كجزءٍ مشاركٍ في مخرج اللام في مصطلح: (فوَيق الثنايا).

4 . القسمُ الرابع من أجزاء الأسنان: الأضراس

الأضراس يدلُّ أصلها اللغويّ على قوَّةٍ وخشونة، وبهذا تعلو على باقي الأسنان[3].

عددُ الأضراس سِتَّةَ عشَرَ ضِرْساً، الأربعةُ الأولى تسمَّى: الضَّواحِك، اثنان من فوق واثنان من تحت. وما بَقِي منها وهي اثنا عشَرَ ضِرْساً؛ فيقالُ لها الأرْحَاءُ، ستَّةٌ من فوق، وستَّةٌ من تحت. واستُعمِلتْ جميعها صوتياً.

استَعمل سيبويه: (**الأضراس**) كجزءٍ مشارك مع حافة اللِّسان في وصف مخرج الضاد[4].

وتابعَه: الزجَّاجيُّ[5]، وابن جني[6]، ومكيٌّ[7]، والدانيُّ[8]، والقرطبيُّ[9]، والخفاجيُّ[10]، والهمَذانيّ[1].

(1) انظر: إصلاح المنطق لابن السِّكِّيت ص 180، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص 377 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص 117.
(3) مقاييس اللُّغة ص 588 (ض ر س).
(4) الكتاب 4/ 433.
(5) شرح جمل الزجاجي ص445 .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 47 .
(7) الرعاية ص 184 .
(8) التحديد ص103 .
(9) الموضَح ص 78.
(10) سرّ الفصاحة ص 20.

وذكَر سيبويه أنَّ الضادَ تجِدُ المِنْفَذَ لِصَوْتِها مِن بَين **الأضراس**[2].

وتقدَّم استعمالُ ابنِ دُرَيد لـ: (**أصول الأضراس**) كجزءٍ مشاركٍ مع أصول الثنايا وجَانب اللِّسان، في التعبير عن مخرج الصاد والسين والزاي.

وذكَر ابنُ جنيّ أنَّ الأضراسَ العُلْيا والسُّفْلَى تشاركُ في مخرجِ الياء، قال:"أمَّا الياءُ فتَجِدُ معها **الأضراسَ سُفْلاً وعُلْواً** قد اكْتَنَفَتْ جَنْبَتَي اللِّسان وضَغَطَتْهُ..."[3].

القسمُ الأوَّل من الأضراس: الضَّواحك

بعد الأنياب، أربعٌ: اثنان من فوق واثنان من تحت .

أوَّلُ الأضراس التي تبدو عند الضَّحك، ومن هنا اسمُها، وهي أربعةُ أسنانٍ بعد الأنياب، اثنان من فوق واثنان من أسفل[4].

وتُسمَّى: النواجِذَ[5] أيضاً، قال الخليل:" النَّجْذُ: شِدَّة العَضِّ **بالناجِذِ وهو السِّنُّ بين الأنيابِ والأضراسِ**. وقولُ العَرَبِ: بَدَتْ نواجِذُهُ، اذا ظَهَرَ ذلكَ منه ضَحِكاً أو غَضَباً"[6].

مضى استعمالُ سيبويه والمتابِعين له لـ: (**فُويق الضَّاحك**) كجزءٍ مشاركٍ في مخرج اللام في (فوَيق الثنايا).

2 . القسمُ الثاني من الأضراس: الأرحاء والأرحية

بعد الضواحك، اثنا عشرَ رحىً: ستَّةٌ من فوق وستَّةٌ من تحت .

الأرحاء، على التشبيه بحجَرِ الرَّحَى؛ لما كانت تَطْحَنُ الطعام، يقال: رَحاً ورَحَيان، وثلاث أرحٍ، وأرحاءٌ كثيرة، والأرحيةُ كأنها جمع الجمع[7].

استعمل الكنديُّ: (**الأرحية**) في الضاد كجزء مشاركٍ مع وسط اللِّسان وجانبَي شِدْقِ الفَم[8].

واستَعمل: (**جانبَي الأرحية**) كجزءٍ مشارك مع اللِّسان في مخرج الجيم والياء والشين[9].

(1) التمهيد في معرفة التجويد ص 277.

(2) الكتاب 4/ 174 .

(3) سر صناعة الإعراب 1/ 8 .

(4) العين 3/ 58، والجمهرة 2/ 167 .

(5) تُطلق النواجِذ في اللُّغة على آخر الأضراس، وعلى الضواحك، وعلى كلِّ الأضراس، والأوَّل هو الأكثر الأشهر. انظر: العين 6/ 9، والجيم للشَّيبانيّ 3/ 271، والصحاح 2/ 571، ولسان العرب 3/ 513، والمصباح المنير ص 593.

(6) العين 6/ 95 .

(7) انظر: العين 3/ 289 – 290، ومقاييس اللُّغة ص 425 (ر ح ي).

(8) رسالة في اللُّثغة ص 528.

(9) رسالة في اللُّثغة ص 524 و 525 و 527.

و(**أوَّل الأرحية**) كجزء مشاركٍ مع جانبَي اللِّسان في الكاف[1].

العُضوُ التاسع من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الشفتان

يدلُّ أصلهما اللُّغويُّ على الإشراف على الشيء؛ لأن الشفتَين تُشْفِيان على الفَم[2].

تقدَّم أنَّ الرازيَّ عدَّهما من آلات الكلام.

الألفاظ المستعملة للشفتين:

استُعمِل للشفتَين عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (الفم) 2 . (الشفتان) 3 . (آلةُ المرْفُوع) 4 . (الجِرْمان اللَّبِّنان).

وقسِّمت إلى قسمَين:

1 . **ظاهر الشفتَين**، يعني ما التقى منهما عند الإطباق: 1 . (ممَّا بين الشفتَين) 2 . (طرف الشفتَين).

2 . **السَّطح الداخليّ الأملس للشفة السفلى**: 1 . (باطنُ الشَّفَةِ السُّفْلَى)، 2 . (الأجزاءُ اللَّبِّنة من الشَّفة)، 3 . (سَطْحُ الشَّفَة)، 4 . (سَطْحُ بَاطِنِ الشَّفَة)، 5 . (أسْفَلُ الشَّفَتَين).

1 . المصطلح الأوَّل للشفتَين: (الفم)

تقدَّم الحديث عن ذلك في: (الفم).

2 . المصطلح الثاني للشفتَين: (الشفتان)

استُعملت الشفتان صوتياً، في أكثر من موطنٍ صوتيّ، منها:

1 . مخرجٌ رئيسٌ من مخارج النُّطق.

2 . جزءٌ مشارِكٌ في الإشمام.

3 . مخرجٌ خاصٌّ لبعض الحروف، وهي: الفاء، والباء، والميم، والواو.

4 . جزءٌ مشاركٌ في مخرج الحركات وحروف المدّ.

1 . المَوطنُ الأوَّل للشفتين = مخرجٌ رئيسٌ مِن مخارِجِ النُّطْق:

انظر المخارج الرئيسة للنُّطق .

(1) رسالة في اللُّثغة ص 525.

(2) مقاييس اللُّغة ص 509 (ش ف ي).

2 . المَوطنُ الثاني للشفتين = جزءٌ مشارِكٌ في الإشمام:

وهو الإشارة إلى الحركات المضمومة بضمّ الشفتَين.

3 . المَوطنُ الثالث: للشفتين = مخرجٌ خاصٌّ لبعض الحروف:

لقَّب الخليلُ الفاء والباء والميم من الحروف الصَّحيحةِ بـ: (**الشَّفَهِيَّة**)[1] مرَّةً، ومرَّةً بـ: (**الشَّفَوِيَّة**)، ونبَّه أنَّ الشفتَين لا تَعمَلُ في غير هذه الثلاثة من الصِّحاح، قال:"وثلاثةٌ **شَفَوِيَّة**: (ف ب م)، مخرجُها مِن بَين الشَّفَتَين خَاصَّةً، لا تَعْمَلُ الشَّفتان في شَيءٍ من الحُرُوفِ الصَّحَاحِ إلاَّ في هذه الأحرفِ الثلاثةِ فقط"[2].

وما يَفْعَلُه بعضُ القرَّاءِ اليومَ من إشراكِ عمَلِ الشفتَين في نُطْقِ بعضِ الأصواتِ كالصَّادِ والسِّينِ والرَّاءِ المفخَّمةِ شيءٌ لا أساسَ لهُ من الصِّحَّةِ بمقتضى نصِّ الخليل، وبالله التوفيق .

تابَع على التلقيب بـ (**الشَّفَهِيَّة**)، و(**الشَّفَوِيَّة**) للثلاثةِ الأحرُف: مكيٌّ[3].

ولقَّب سيبويه الأصواتَ اللُّغوية التي تَخرُج من الشفتَين بـ: (**حروف الشفتَين**)، وهي: الميمُ والباءُ والفاءُ والواوُ.

وتابَعَه: الرمانيّ[4]، والدانيُّ[5].

وبـ: (**حروف الشفة**): القرطبيُّ[6].

وذكَر الدانيُّ أنَّ ما يُدْغَمُ من **حروف الشفتين** عند أبي عمرو بن العلاء البصريّ هو:

الفاءُ في الفاء. والباءُ في الباء والميم والفاء. والميمُ في الميم، وإخفاؤها عند الباء. والواوُ في الواو[7].

وذكَر الخليلُ أنَّ الميمَ"آخِرُ الحروفِ من الحَيِّزِ الأوَّلِ، وهو **الحيِّزُ الشَّفَويّ**"[8].

أظنُّ أنَّ الخليلَ يَعُدُّ الجهازَ النطقيَّ طرفاً له نهايتان، أيُّهما افتَرَضتَ أوَّلَه فطرَفُه الثاني نهايتُه، والعكسُ صحيحٌ، فهو قد ابتدأ ترتيبَهُ الصَّوتيَّ في المخارج بالحلق على أنَّه الحيِّز الأوَّل فتكون الشفَتانِ نهايةَ الأحياز، وافتَرَضَ الشفتَين هنا الحيِّزَ الأوَّل، فيكون الحلقُ نهايتَها.

(1) العين 1/ 58 .
(2) العين 1/ 51 .
(3) الرعاية 141 - 142 .
(4) شرح كتاب سيبويه ل 201/ أ.
(5) الإدغام الكبير ص 78.
(6) الموضَح ص 116.
(7) الإدغام الكبير ص 78 .
(8) العين 8/ 421 .

وذكَر الجاحظُ أنَّ الميمَ والباءَ أوَّلُ حرفين ينطقُهما الطِّفلُ؛ لرؤيته عمَلَ **الشفتين** بهما، قال:"والميمُ والباءُ أوَّلُ ما يَتَهَيَّأُ في أفواهِ الأطفال، كقَولِهِمْ: (مَامَا) و (بَابَا)؛ لأنهما خَارِجَان مِن عَمَلِ اللِّسَانِ، وإنَّما يَظْهَرَانِ **بالتقاءِ الشَّفَتَين**"[1].

4 . المَوطنُ الرَّابع: الشفتان = جزءٌ مشاركٌ في مخرج الحركات وحروف المدِّ:

ذكَر سيبويه أنَّ تحريكَ الشفتَين بالضمَّة كتحريكِ الجسد[2].

يعني عملَ عُضوٍ ظاهرٍ للعَين، بخلاف الكسرةِ والفتحةِ.

وذكَر الفرَّاءُ أنَّ لمخرجَي الكسرة والضمَّة إجهاداً وثِقَلاً على اللِّسانِ **والشفتَين** بخلافِ الفتحة، قال:"فإنما يُستَثقلُ الضمُّ والكسرُ؛ لأنَّ لمخرَجَيهما مؤونةً على اللِّسانِ والشفتَين، تَنْضمُّ الرَّفْعَةُ بهما فتَثْقُلُ الضمَّةُ، ويُمَالُ أحدُ الشِّدْقَينِ إلى الكَسْرة، فترَى ذلك ثقيلاً. والفتحةُ تَخْرُجُ من خَرْقِ الفَمِ بلا كُلْفَةٍ"[3].

وذكَر الرمَّانيُّ أنَّ حركةَ المرفوعِ من الشفتَين[4].

وتابعَه: القرطبيُّ[5]، والهمَذانيّ[6].

وذكَر ابنُ سينا أنَّ الواو والضَّمَّةَ يَخرُجانِ "مع أدنى مُزاحَمةٍ وتضييقٍ للشفَتَين"[7].

وذكَر مكيٌّ أنَّ الواوَ تَخْرُجُ من الشفتَين ويَنْقَطِعُ آخرُها في مخرج الألف[8]. وسيأتي معنى هذا الانقطاع.

وعرَّفَ السُّهيليُّ الحركةَ فقال:"الحركةُ: عبارةٌ عن تحريكِ العُضْوِ الذي هو الشفَتَان عند النُّطق بالصَّوتِ الذي هو الحرفُ"[9].

وهذا مِن أدقِّ تعريفات الحركة.

أقسام الشفتَين:

(1) البيان والتبيين 1/ 47 .
(2) الكتاب 4/ 171 .
(3) معاني القرآن 2/ 12 .
(4) معاني الحروف ص 41 .
(5) الموضح ص 208 .
(6) التمهيد ص 288 .
(7) أسباب حدوث الحروف ص 126 .
(8) الرعاية ص 235 .
(9) نتائج الفكر ص 83 .

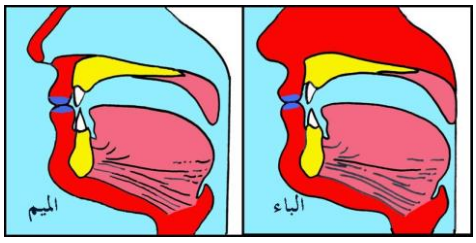
القسمُ الأوَّل: الألفاظ المستعملة لظاهر الشفتَين

1 . المصطلحُ الأوَّل لظاهر الشفتَين: (مِمَّا بَينَ الشَّفَتَين):

استعمل سيبويه: **(مما بين الشفتين)** كمخرجٍ للميم والباء والواو[1].

وتابعَه كثيرٌ من العلماء، منهم: ابنُ السرَّاج[2]، وابن دُرَيد[3]، وابن جنيّ[4]، والرمَّانيُّ[5]، والسعيديُّ[6]، ومكيٌّ[7]، والدانيُّ[8]، والقرطبيُّ[9]، والخفاجيُّ[10]، والهمَذانيّ[11]، وأبو البركات ابن الأنباريُّ[12].

ويُمثِّل شكل رقم (37) دَور ظاهر الشفتَين في مخرجَي الباء والميم.



شكل رقم (37) دَور ظاهر الشفتَين في مخرجَي الباء والميم

3 . المصطلحُ الثاني لظاهر الشفتَين: (طَرَفُ الشفتَين):

ذكَر الزجَّاجُ أن الواو تَخرجُ من **طَرَفِ الشَّفَتَين**[13].

القسمُ الثاني: الألفاظ المستعملة للسَّطح الداخليّ الأملس للشفةِ السُّفلى

استُعمِل: السَّطح الداخليُّ الأملسُ للشفةِ السُّفلى مخرجاً للفاء، واستُعمِل لذلك عدَّةُ ألفاظ، منها:

1 . (باطنُ الشَّفَةِ السُّفْلَى)، 2 . (الأجزاءُ اللَّيِّنة من الشَّفة)، 3 . (سَطْحُ الشَّفَة)، 4 . (سَطْحُ بَاطِنِ الشَّفَة)، 5 . (أسْفَلُ الشَّفَتَين).

1 . المصطلحُ الأوَّل للسَّطح الداخليّ الأملس للشفةِ السُّفلى: (باطِنُ الشَّفَةِ السُّفْلَى)

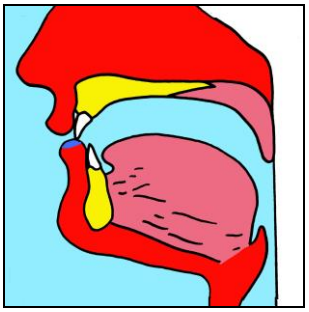
(1) الكتاب 4/ 433.
(2) الأصول 3/ 401 .
(3) الجمهرة 1/ 8 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 48 .
(5) شرح كتاب سيبويه 191/ أ .
(6) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص51 .
(7) الرعاية ص 141 .
(8) التحديد ص 104، والإدغام الكبير ص 78 .
(9) الموضح ص 79 .
(10) سرّ الفصاحة ص 20.
(11) التمهيد في معرفة التجويد ص 277 .
(12) أسرار العربية ص 208 .
(13) معاني القرآن وإعرابه 1/ 432 .

استَعمل سيبويه: (**بَاطِنَ الشَّفَةِ السُّفْلَى**) كجزءٍ مُشَارِكٍ مع الثنايا العُلْيا في مخرج الفاء[1].

وتابعَه كثيرٌ من العلماء، منهم: الزجَّاجيُّ[2]، والرمَّانيُّ[3]، والسَّعيديُّ[4]، ومكِّيّ[5]، والدانيُّ[6]، والقرطبيُّ[7]، والخفاجيُّ[8]، وابن الطحَّان الأندلسيُّ[9]، والهمَذانيّ[10]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[11].

واستَعمَل القرطبيُّ أيضاً: (**الشفة السُّفلى**) في التنبيه على كيفية خروج صوت ونفَس الفاء[12].

ويُمَثِّلُ شكل رقم (38) دَور السطح الداخليّ للشفة السُّفلى في مخرج الفاء.



شكل رقم (38) دَور السطح الداخليّ للشفة السُّفلى في مخرج الفاء

2 . المصطلحُ الثاني للسَّطح الداخليّ الأملس للشفةِ السُّفلى: (أسْفَلُ الشَّفَتَين)

ذكَر ابنُ دُرَيدٍ أنَّ الفاء والباءَ والميمَ "عَمَلُهُنَّ في التقاء الشَّفَتَين، **وأسفلُهُنَّ الفاءُ**، ثمَّ الباءُ، ثمَّ الميم"[13].

3 . المصطلحُ الثالث للسَّطح الداخليّ الأملس للشفةِ السُّفلى: (الأجزاء اللِّيّنة من الشفة)

استَعمَل ابن سينا: (**الأجزاء اللِّيّنة من الشفة**) تعبيراً عن باطن الشفة السُّفلى عند وصفه لكيفية خروج الفاء[14].

4 . 5 المصطلحُ الرابع والخامس للسَّطح الداخليّ الأملس للشفةِ السُّفلى: (سَطْحُ الشفة)، (سَطْحُ باطنِ الشَّفَة)

(1) الكتاب 4/ 433.
(2) شرح جمل الزجاجي ص 445.
(3) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ.
(4) التنبيه على اللَّحن الجليّ واللَّحن الخفيّ ص 13.
(5) الرعاية ص 227.
(6) التحديد ص 104 والإدغام الكبير ص 78.
(7) الموضح ص 79.
(8) سر الفصاحة ص 20.
(9) مخارج الحروف وصفاتها ص 120.
(10) التمهيد في معرفة التجويد ص 277.
(11) أسرار العربية ص 208.
(12) الموضَح ص 116.
(13) الجمهرة 1/ 7 .
(14) أسباب حدوث الحروف ص 82.

استعمل ابن سينا: (**سَطْح الشَّفة**) للتعبير على أن مخرج الفاء والواو غير المدِّية واحدٌ، غير أنَّ انضغاطه في الواو غير المدِّيّة أقلُّ من انضغاطه في الفاء، وبالتالي يضْعُف دَفعُ الهواء فيها[1].

وذكَر أنَّ (**سَطْحَ بَاطِنِ الشَّفَة**) في الفاء التي تُشبِهُ الباء (V) "يكادُ يحدُثُ منه اهتزازٌ"[2].

وواضحٌ أنه يُشِيرُ إلى تجاوبِ سَطْح الشفة مع اهتزاز الأوتار الصوتية فيما يُعرَف بظاهرة الرّنين.

3 . المصطلح الثالث للشفتَين: (آلةُ المَرْفُوع)

ذكَر ابنُ السرَّاج أنَّ للمرفوع آلةً هي الشفتان، قال:"إنَّما لم يكن الإشمامُ في النَّصب والجَرِّ عند الوقف؛ لأنَّه لا آلةَ للألف والياء يُمْكِنُ فيها ذلك، بينما **للمَرفوعِ آلةٌ، وهي الشفتان**[3].

4 . المصطلح الرابع للشفتَين: (الجِرْمان اللَّيِّنان)

كنَّى ابن سينا بـ: (الجِرمَين اللَّيِّنَين) عن الشفتَين[4].

العُضوُ العاشر من أعضاء الصَّوت والنُّطق: التجويف الأنفيّ

التجويف الأنفيّ :

الوظيفةُ الأساسيَّةُ للأنف هي استنشاقُ هواءِ الشَّهيق عبرَ فتحتَي الأنف، وإخراجُ هواءِ الزَّفيرِ عن طريقِهما.

ومن وظائفه الثانويَّة أنَّه استُعمِل في الأصوات، قال ابنُ سينا بعدَ ذِكْر وَظَائفِ الأنف الأساسيَّة من الاستنشاقِ، وترطيبِ الهَوَاءِ: "وأمَّا الثانيةُ فإنَّه يُعينُ في تَقْطِيعِ الحُرُوفِ، وتَسهيلِ إخراجِها في التقْطِيعِ، لئلاَّ يَزْدَحِمَ الهواءُ كلُّه عند المواضعِ التي يُحَاوَلُ فيها تقطِيعُ الحُرُوفِ بمِقْدَارٍ، فهاتان مَنفَعَتان في واحدةٍ. ونظيرُ ما يفعلُه الأنف في تقدير هواءِ الحروفِ هو ما يفعلُه الثُّقبُ المثْقُوبُ مُطْلَقاً إلى خَلْفِ المزمار فلا يتعرَّضُ له بالسَّدِّ"[5].

المواطن الصوتية التي استُعمل فيها تجويف الأنف

استُعمِل باطِنُ الأنفِ في أكثر من موطنٍ صوتيٍّ، منها:

1 . تجويف رنينيٌّ للصَّوت، 2 . مخرجٌ رئيسٌ من آلات النُّطق، 3 . مخرجٌ خاصٌّ لغُنَّتَي النُّون والميم.

(1) أسباب حدوث الحروف ص 84 و 124.
(2) أسباب حدوث الحروف ص 91 - 92.
(3) نقَل ذلك الدانيُّ في جامع البيان 3/ 949.
(4) أسباب حدوث الحروف ص 125.
(5) القانون في الطب 1/ 45 - 46.

1 . المَوطنُ الأوَّل: تجويف الأنف = تَجْويفٌ رنينيٌّ للصَّوت:

عُبِّر عن تجويفه بـ: (مقعَّرات أجزاء الأنف)، (فضاء الخيشوم)، (تجويف آخر المِنْخِر)، (خَرْق الأنف).

وتقدَّمتْ جميعها في الألفاظ المستعملة للتجويفات.

2 . المَوطنُ الثاني: تجويف الأنف = مخرجٌ رئيسٌ من مخارِجِ النُّطق:

انظر المخارج الرَّئيسة للنُّطق.

3 . المَوطنُ الثالث: تجويف الأنف = مخرجٌ خاصٌّ لبعض الأصوات

وهذا يمكن ملاحظته من خلال الألفاظ التي استُعمِلت للتجويف الأنفيّ.

الألفاظ المستعملة لتجويف الأنف

استُعمِل لتجويف الأنف عدَّةُ ألفاظ مترادفة، منها:

1 . (الخَيْشُوم)، 2 . (الأنف)، 3 . (المِنْخِرُ). وأشهرُها: الخيشوم.

1 . المصطلحُ الأوَّل للتجويف الأنفيّ: (الخَيْشُومُ والخَيَاشِيم):

يدلُّ الأصلُ اللُّغويُّ على ارتفاعٍ[1]، واختَلف أصحابُ المعاجم في تعريفه، على أقوالٍ، منها: غَراضيفٌ في أقصى الأنفِ بينَهُ وبين الدِّماغ، أو عُروقٌ في باطنِ الأنف[2]، أو أقْصَى الأنف[3]، أو الأنف[4].

وأشهرُ تعريفٍ تعريفُ ابنِ دُريدٍ، قال: "لأنَّ الغُنَّةَ صوتٌ مِن أصواتِ **الخَيشوم، والخَيْشُومُ** مُرَكَّبٌ فَوقَ الغَارِ الأعْلَى، وإليه يَسْمُو هذا الصَّوت"[5]. وتابعَه: الهمَذانيُّ[6].

ونقَل مكّيٌّ تعريفَ ابن دُرَيد مستبدِلاً بـ: (الغار الأعلى) لفظَ: (غار الحلق الأعلى)[7].

وتابعَ مكّيّاً: ابنُ الطحَّان الأندلسيُّ[8].

وعرَّفه الدانيُّ بأنه:"خَرْقُ الأنفِ المنجَذِبُ إلى دَاخِلِ الفَم"[1].

(1) مقاييس اللُّغة ص 298 (خ ش م).
(2) المحكم لابن سيده 5/ 22 .
(3) الصحاح 5/ 1912 .
(4) المصباح المنير ص 170 .
(5) الجمهرة 1/ 7.
(6) التمهيد في معرفة التجويد ص 282.
(7) الرعاية ص 240.
(8) مخارج الحروف وصفاتها ص 134.

وأكثرُ هذه الأقوالِ يَدُلُّ على باطنِ الأنف .

استَعْمَل الخليلُ: (**الخَيَاشِيم**) استعمالاً طريفاً عند تشبيهه نخيرَ الحِمَار بالخاءِ المضْطَرِبة، قال:"نَخَرَ الحِمارُ بأنفِه نخيراً، أي: مدَّ نفَسَهُ في **الخَياشيمِ** كأنَّهُ نَغْمَةُ خَاءٍ مُضْطَرِبةٍ"[2].

وبعيداً عن طرافةِ هذا النصِّ، فإنَّه يُوَسِّعُ من مفهومِ منطقة أدنى الحَلْق التي هي مخرجٌ للخاء والغين.

استُعمِل: (الخَيشوم) في أكثر من مَوطنٍ صوتيٍّ، منها:

1 . مشاركته في صناعة الألحان. 2 . مخرجٌ للنُّون الخفيَّة أو الخَفِيفَة (الغُنَّة). 3 . في وصفِ النُّون إذا جاء بعدها أحدُ حُرُوفِ الإخفاء الخمسة عشر . 4 . جزءٌ مشاركٌ في مخرجَي القاف والخاء. 5 . في تشخيص بعض عيوب النُّطق: (الأخنّ) . 6 . في بيانِ غُنَّتي الميم والنون.

1 . المَوْطِنُ الأوَّل: الخَيْشُوم مشارِكٌ في صِناعَةِ الألحان:

استَعمله الخليل في تعريف اللَّحن الأجَشِّ، قال:" قال الخليل: الأصواتُ التي تُصاغ منها الألحانُ ثلاثةٌ: الأجَشُّ صَوْتٌ من الرأس يخرُجُ من **الخَياشيم** فيه غِلَظٌ وبُحَّةٌ، فيُتْبَعُ بجَدَرٍ موضوعٍ على ذلك الصَّوْت بعينِه يقالُ له الوَشْيُ، ثم يُعَادُ ذلك الصوتُ بعَيْنه، ثمَّ يُتْبَعُ بوَشْيٍ مثْل الأوَّلِ فهي صِياغته، فهذا الصَّوْتُ الأَجَشُّ"[3].

وهذا من النُّصوصِ النادِرةِ التي تؤكِّدُ اطِّلاعَ الخليل على علمِ الألحان.

2 . المَوْطِنُ الثاني: الخيشوم جزء مشاركٌ في تشخيص بعض أمراضِ الكلام:

قال الخليلُ:"والغُنَّةُ كالغُنَّةُ كأنّ الكلامَ يرجعُ إلى **الخياشيم**، يقال: امرأةٌ خَنَّاء وغَنَّاء، وفيها مَخَنَّةٌ أي: غُنَّة"[4].

ووضَّح الكنديُّ ذلك، فقال:"وأما الأخَنُّ فإن النفَس يَسبِق إلى **الخياشيم**"[5].

وذكَر القرطبيُّ أنَّ النُّونَ "لأجلِ جرَيانِ الغُنَّةِ فيها وفي الميم إذا طرَأتْ على **الخَيْشوم** آفةٌ تَمْنَعُ الجريانَ رأيتَ النُّونَ أقربَ إلى التاء، والميمَ أمَسَّ بالباَءِ"[6]. أي إذا ألغِي عَمَلُ **الخَيْشُوم** يَصيرُ النُّونُ والميمُ حرفَين شديدَين .

(1) التحديد ص 109 و 115، وفي المطبوع من جامع البيان 2/ 714:"والخيشوم: الحرف المنجذبُ إلى داخل الفم".
(2) العين 4/ 251.
(3) العين 6/ 3 .
(4) العين 4/ 142 .
(5) رسالة في اللُّثغة ص 530.
(6) الموضح ص 120 .

3 . المَوْطِنُ الثالث: الخَيْشُومُ مخرجٌ للنُّون الخفيَّة أو الخفيفة:

استَعمَل سيبويه لفظ: (**الخَيَاشِيم**) كمخرجٍ للغنَّة، قال: "ومن **الخياشيم** مخرجُ النُّونِ الخَفِيَّة"[1].

وعلَّةُ اختيارِه لِلَفْظِ: (النُّون الخفيَّة) لما لم يجِد حرفاً يستقِلُّ بهذا المخرج غيرَ النُّون أطْلَق عليه هذا اللَّفظ، حتى الميم لا تستقلُّ بالخيشوم كما تستقِلُّ النُّون، قال الرُّمانيُّ عن النُّون:"ودليلُ كَوْنِها نوناً إذا خَرَجَتْ من **الخياشيمِ** دون الفم، أنَّه مخرجٌ يَخُصُّها دون جميعِ الحروف سِواها، وإن وافَقَتْها الميمُ في الغنَّة، فليسَ للميمِ مخرجٌ من الخياشيم؛ لأنه لايُعتمَد لها إلا مُمَاسُّ الشفتَين، وليس كذلك النونُ؛ لأنه يُمْكِنُ أن يُعتَمَد لها من طرَف اللِّسان، ويُمْكِنُ أن يُعتَمَد لها من **الخياشيم**، وهو مخرجٌ يَخُصُّهَا دون غَيرها"[2].

ولعلَّ العِلَّةَ في استِعمالِه لهذا اللَّفظِ في مَوضعِ مخارجِ الحروف دُونَ التصريحِ بلَفظ الغُنَّة؛ لأنَّ الغنَّةَ تكون أبداً تابعةً للنُّون والميم، فلا تؤدِّي وظيفةً دلاليَّةً بنفسِها في نظام اللُّغة العربية.

تابع سيبويه على لفظ: (النُّون الخفيَّة) كثيرٌ من العلماء، منهم: الأخفش[3]، وابنُ السرَّاج[4]، وابن مجاهد[5]، وابنُ جنيّ[6]، والدانيُّ[7]، والقرطبيُّ[8]، والخفاجيُّ[9]، والهمَذانيّ[10].

4 . المَوْطِنُ الرَّابع: الخيشومُ مشاركٌ في وصفِ النُّون إذا جاء بعدَهَا أحدُ حُرُوفِ الإخفاء الخمسةَ عَشَر:

النُّون عند سيبويه تستَقِلُّ بمخرجِ **الخيشوم** إذا سكنتْ وجاء بعدها أحدُ حروف الفم الخمسةَ عشر المعروفة، وسيأتي ذِكْرُ ذلك في: (الإخفاء).

وذكَر الأخفشُ أنَّ النوُّنَ المتحرِّكةَ تخرجُ من الفم، والساكنةَ من **الخَيشوم**[11]. يَعنُون بالنون الساكنة: نون الإخفاء، وبالمتحرِّكة: غير ذلك من النُّونات.

(1) الكتاب 4/ 434.
(2) شرح كتاب سيبويه ل 199/ أ . وفي هذا النصِّ دليلٌ على أنَّ إطباق الشفتين لا ينفكُّ عن الميم في جميع حالاتها.
(3) العَروض ص 114.
(4) الأصول 3/ 401 .
(5) السبعة ص 430.
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 48 .
(7) التحديد ص 104.
(8) الموضح ص 79.
(9) سرّ الفصاحة ص 20.
(10) التمهيد ص 278.
(11) العروض ص 114 .

وتابعَه: المبرِّدُ[1]، والسيرافيُّ[2]، والفارسيُّ[3]، وابنُ جنيّ[4]، والدانيُّ[5]، والقرطبيُّ[6].

وتابعَه الدانيُّ، وزاد التنوين، فقال:"ومخرجُ النُّونِ والتنوين مع هذه الحروف من الخَيشُومِ فقط، ولا حظَّ لهما معهنَّ في الفم؛ لأنَّه لا عملَ للِّسان فيهما كعملِه فيهما مع ما يَظْهَران عنده، وما يُدغَمان فيه بغُنَّةٍ"[7].

5. المَوْطِنُ الخامِس: الخيشومُ مشاركٌ في مخرَجَي الميمِ والنُّون:

ذكَر سيبويه أنَّ النُّون والميمَ لهما مخرجان: مخرجٌ من الفم، ومخرجٌ من **الخَيْشوم**، قال:"النُّونُ والميمُ قد يُعْتَمَدُ لهما في الفم **والخياشيم**، فتَصيرُ فيهما غُنَّة"[8].

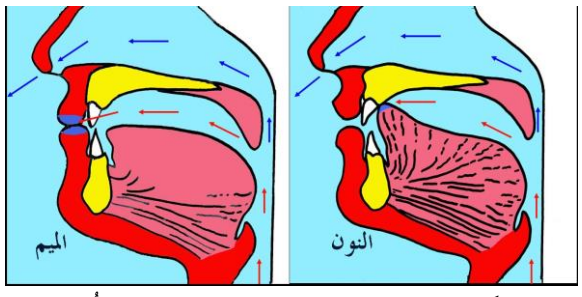
وتابعَه: ابن جنيّ[9]، والقرطبيُّ[10].

وذكَر المبرِّدُ أنَّ حرف الميمِ يُخَالِطُ **الخَيشومَ** بما فيه من الغُنَّة[11]، وفي موضعٍ آخَر ذكَر أنَّ الميمَ **تَرجِعُ** إلى **الخَياشيمَ** بما فيها من الغُنَّة، فلذلك تَسْمَعُها كالنُّون[12].

ومِن كلام المبرِّد لقَّب مكيٌّ الميمَ بـ: **(الحرف الرَّاجِع)**، قال:"الحرفُ الرَّاجِعُ، وهو الميمُ السَّاكِنة، سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّها تَرْجِع في مخرجِها إلى **الخَياشيم**، لِما فيها من الغُنَّة، ويَجِبُ أن يُشارِكَها في هذا اللَّقب النُّون الساكِنةُ؛ لأنَّها تَرْجِعُ أيضاً إلى **الخياشيمِ** للغُنَّةِ التي فيها"[13].

وتابعَه الدانيُّ، إلا أنَّه لم يَطْلُبْ مشاركَة النُّون في اللَّقب[14].

وذكَر ابنُ سينا أنَّ حبس هواء الميم بَعْضُهُ



شكل رقم (39) دَور الخيشوم في مخرجَي الميم والنُّون

(1) المقتضب 1/ 350 .
(2) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 2/ 77.
(3) نقل ذلك عنه ابن جني في الخصائص 2/ 324 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 42 ، والخصائص 2/ 324 .
(5) التحديد ص 104 .
(6) الموضح ص 93 .
(7) المطبوع من جامع البيان 2/ 735، وانظر: التحديد ص 104 .
(8) الكتاب 4/ 434 .
(9) سر صناعة الإعراب 1/ 60 .
(10) الموضح ص 88 .
(11) المقتضب 1/ 310 .
(12) المقتضب 1/ 330 .
(13) الرعاية ص 138 .
(14) التحديد ص 109 .

في الشفتَين، "وبعضُهُ إلى ناحيةِ **الخَيشوم** حتى يُحدِثَ الهواءُ عند اجتيازِه بالخَيشومِ والفضَاء الذي في داخلِه دَويًّا"[1] هو دَويُّ الميم.

ولقَّب مكيٌّ الميمَ والنُّون بـ: (حَرْفا الغُنَّة)، قال:"لأنَّ فيهما غُنَّةً تخرُجُ من **الخَياشيمِ** عند النُّطقِ بهما"[2].

وتابعَه: الدانيُّ[3].

ويُمثِّل شكل رقم (39) دَور الخيشوم في مخرجَي الميم والنُّون. والمنطقة الزرقاء السماويَّة هي منطقة انتشار الصَّوت.

6 . المَوْطِنُ السَّادِس: الخيشوم جزء مشاركٌ في مخرجَي القاف والخاء:

استَعمل الكنديُّ: (الخياشيم) كجزءٍ مشاركٍ في مخرجَي القاف والخاء، وتقدَّم[4].

2 . المصطلحُ الثاني للتجويف الأنفيّ: (الأنف):

من المشترك اللَّفظيّ، أنفُ كلِّ شيءٍ أوَّلُه، ومنه العُضو المعروف[5].

استُعمِل لباطن الأنف وظاهِرِه، لكن غالباً ما يُطلَق الأنفُ على الظَّاهِرِ الذي تُمسِكُه اليدُ، والخياشيمُ على الباطنِ، بدليل قولِ سيبويه:"إلا أنَّ النُّونَ والميمَ قد يُعتَمَدُ لهما في الفَمِ **والخياشيم**، فتصيرُ فيهما غنةٌ. والدَّليل على ذلك أنك لو أمسكتَ **بأنْفِكَ**، ثمَّ تكلَّمْتَ بهما لرأيتَ ذلك قد أخلَّ بهما"[6].

تابَع سيبويه على تجرِبة إمساك الأنف لاختبار الغنَّة: المبرِّدُ[7]، وابنُ السرَّاج[8]، وابن خالويه[9]، وابن جنيّ[10]، ومكيٌّ[11]، والدانيُّ[12]، والقرطبيُّ[13]، وابن الطحَّان الأندلسيّ[14].

(1) أسباب حدوث الحروف ص 83 .
(2) الرعاية ص 131 .
(3) التحديد ص 109 .
(4) رسالة في اللُّغة 526 – 527. وتقدَّم ذِكْرُ ذلك في: الغَلصَمَة.
(5) مقاييس اللُّغة ص 76 (أ ن ف).
(6) الكتاب 4/ 434.
(7) المقتضب 1/ 329 .
(8) الأصول 3/ 401 .
(9) الحجة ص 67 .
(10) سر صناعة الإعراب 1/ 48 .
(11) التبصرة ص 117 .
(12) التحديد ص 109 .
(13) الموضح ص 88 .
(14) مخارج الحروف وصفاتها ص 134 .

استَعمل ابنُ مجاهدٍ: (**الأنف**) كمكانٍ لخروج الغنَّة، قال: "لأنَّ الميمَ لها غُنَّةٌ من **الأنف**"[1].

واستَعملَه أبو عليٍّ الفارسيُّ في مخرجِ النُّونِ السَّاكِنة (الخفيَّة في أحد معانيها)[2].

وتابعَه: ابنُ جنيّ[3].

وذكَر الدانيُّ أنَّ **الأنفَ** مَوضعُ الغُنَّة[4].

3. المصطلحُ الثالث للتجويف الأنفيّ: (المَنْخِر):

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على صَوْتٍ من الأصوات، ثمَّ يفرَّعُ منه. فالنَّخيرُ: صوت يَخرجُ من المَنْخِرَين، وسُمِّيا: المَنْخِران من جهةِ النَّخير الخارجِ منهما، وفُرّعَ منه فقيل لحَرْقَيِ الأنفِ: النُّخْرَتان[5].

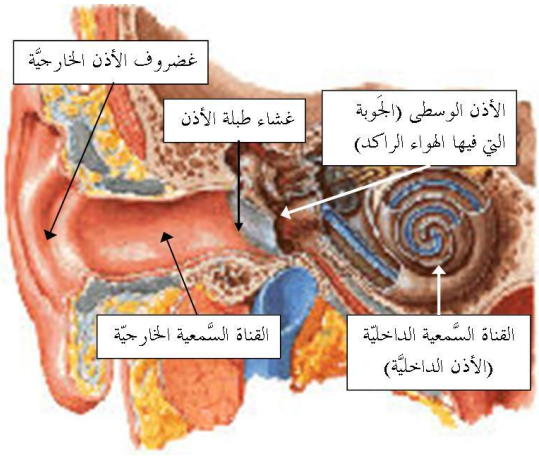
استعمله ابنُ سينا في وصف حدوث النُّون، قال:"وأما النُّونُ فإن الحبسَ فيها أرفعُ قليلاً من الحَبْسِ الطبيعيّ للباء، وبطرف اللِّسان، إلا أنَّ جُلَّ الهواء فيها يُصرَفُ إلى غُنَّة **المَنْخِر**، فتكون النونُ أرطبَ وأدخَل حبساً، وأكثرَ دَوِيّاً وغُنَّة"[6].

العُضوُ الحادي عشر من أعضاء الصَّوت والنُّطق: الأذن

"الأذنُ أداةٌ تتلقَّى الصَّوتَ اللُّغويَّ فتُحوِّلُه من إشاراتٍ مادِّية (الذبذبات في الهواء) إلى إشاراتٍ عصبيَّة تنتقِل إلى الدِّماغ الذي يُفسِّرُها.

وتنقسِمُ الأذنُ إجمالاً إلى ثلاثة أجزاء، لكلٍّ منها وظيفةٌ خاصَّة به، وهي **الأذنُ الخارجيَّة** التي تَلتَقِطُ الذبذبات الهوائيَّة، **والأذنُ الوسطى** التي تُحوِّل الضغطَ الصَّوتيَّ إلى ذبذبات ميكانيكيَّة، **والأذن الداخليَّة** التي تُحَوِّلُ الذبذبات الميكانيكيَّة إلى واقعٍ عصبيٍّ تُرسِلُه نحو الدِّماغ"[7].

عرَفَ عليّ بن العباس المجوسيُّ ثلاثةَ أجزاء من الأذُنِ هي: غضروفُ الأذن الخارجيَّة، والقناة السمعيَّة الخارجية، وغشاء طبلة الأذن[8]. أما ابنُ سينا فقد تَجاوَزَ هذه إلى حدود الأذنِ الوسطى فذكر الجَوبةَ التي فيها الهواء الراكد (جوف طبلة الأذن) ، ويعني بها الأذن الوسطى فيما فسَّره لي



شكل رقم (40) التركيب الداخليّ للأذن

(1) السبعة ص 126، و ص 352 .
(2) نقَل ذلك عنه ابنُ جنيّ في الخصائص 2/ 324.
(3) الخصائص 2/ 324.
(4) التحديد ص 105.
(5) مقاييس اللُّغة ص981 (ن خ ر).
(6) أسباب حدوث الحروف ص 124.
(7) علم الأصوات العام لبسام بركة ص 51 .
(8) كامل الصناعة الطبية 1/ 117 .

الطبيبان الاستشاريَّان. ولم يَصِل المجوسيُّ وابن سينا إلى الأذن الداخليَّة فيما يَظهَرُ من كلامهما. ويُمثِّلُ شكل رقم (40) التركيب الداخليّ للأذن.

الألفاظ المستعملة للأذن وأقسامها:

الأذن:

عبَّر الفارابيّ عن الأذن: بـ: (**العضو الذي فيه القوةُ التي بها يُسمَع**)[1]. وعبَّر عليّ بن العباس المجوسيُّ عنها وعن أجزائها بـ: (**آلة السَّمع**)[2]. وتابعَه ابنُ مَلْكا البغداديّ[3].

القسم الأوَّل من أقسام الأذن: الأذن الخارجيَّة (Auricle = Ear Pinna):

1 . الغضروف الخارجيّ للأذن:

عبَّر عليّ بن العباس المجوسيُّ عنه بـ: (**الجسمُ الغضروفيّ المحيط بالثُّقب**)[4]، أما ابن سينا فقد عبَّر عنه بـ: (**الصَّدف المُعْوَجّ**)، وذكر من فائدته حبس الصوت وتجميعه[5].

2 . القناة السمعيَّة الخارجيَّة (External auditory canal):

استعمل الفارابيُّ (**الصِّماخ**) في وصفِ كيفيَّة سماعِ الصَّوت، قال:"حتَّى يَكُونَ آخِرَ ما يَتَأدَّى إليه هو الهواءُ الموجُودُ في **الصِّماخَينِ**. وهواءُ **الصِّماخِ** مُلاَقٍ للعُضْوِ الذي فيه القُوَّةُ التي بها يُسْمَعُ، فيتأدَّى ذلك إلى القوَّةِ فيَسمعُهُ الإنسان"[6]. واستعمله: ابن حزم[7]. وعبَّر عليّ بن العباس المجوسيُّ عنه بـ: (**ثُقبِ العظم الحَجَريّ**)[8]، وتابعَه: ابن سينا[9]. واستَعمل ابن فارس: (**خَرْق الأذن**) في تعريفه للصِّماخ[10]. واستعمل ابن سينا: (**ثقب الأذن**)[11].

القسمُ الثاني من أقسام الأذن: الأذن الوسطى (Middle Ear):

(1) الموسيقى الكبير ص 214.
(2) كامل الصناعة الطبية 1/ 117.
(3) المعتَبَر في الحكمة 2/ 262 و 343.
(4) كامل الصناعة الطبية 1/ 117.
(5) القانون في الطب 2/ 1015 .
(6) الموسيقى الكبير ص 214 .
(7) التقريب لحدِّ المنطق ص 4.
(8) كامل الصناعة الطبية 1/ 117.
(9) القانون في الطب 2/ 1015 .
(10) مقاييس اللغة ص553 (ص م خ) .
(11) القانون في الطب 2/ 1015 .

عبَّر ابن سينا عنها بـ: **(الجَوْبة التي فيه الهواءُ الرَّاكد)**[1].

(1) القانون في الطب 2/ 1015 .

نتائج الفصل الأوَّل

1 .كشف الفصل الأوَّل عن معرفة المتقدِّمين لدور الأوتار الصَّوتيَّة في عمليَّة التصويت.

2 . نسَب أصحابُ المدرسةِ النقليَّةِ الحروفَ الحلقيَّة إلى مكانٍ واحدٍ من الحلق (أقصى، وسط...) ، وإلى مكانَين في المخارج اللِّسانية والشفوية (طرف اللسان مع ما يليه...) على حين أن أصحاب المدرسة العقليَّة نسبوا جميعَ المخارج إلى مكانَين.

3 . المخارج الجزئية المتقاربة التي من مخرجٍ واحدٍ لها أهمية بالغة عند أصحاب المدرسة النقلية .

4 . إنَّ معرفة المتقدِّمين لدور هواء الزفير في عملية التصويت يكشف عن حسٍّ صوتيٍّ دقيق.

5 .كشف الفصل الأول عن أمور يختلف حولها المعاصرون كحدود الحلق، وهل يشمل الحنجرة؟ وبيَّن أنَّ حدود الحلق تبدأ من الحنجرة وحتى أصل اللِّسان وما يقابله من الحنك اللَّحميّ.

6 . بيَّن أنَّ المتقدّمين من أصحاب المدرسة العقلية يعدُّون تجويفات أعضاء النُّطق بمثابة غرف رنينيَّة للصَّوت.

7 . من أصحاب المدرسة العقلية من أدرك دور الحنك اللَّحميّ (اللَّهاة بمفهومها الواسع) في قفل وفتح مجرى الصَّوت إلى الخيشوم.

8 . تُعَدُّ مخارج اللِّسان مع الحنك ومع الأسنان من أخصب المناطق التي دار الحديث حولها من أصحاب المدرسة النقلية.

9 . إنَّ استعمال بعض العلماء لعضلات اللِّسان كأجزاء مشاركة في بعض الحروف فيه سبقٌ علميٌّ لا أعلم من استَعمله إلى الآن.

10 .كشف هذا الفصل عن معرفة المتقدِّمين للظواهر الطبيعيَّة، وضمّ النظائر إلى بعضها. كمثل تشبيههم القصبة الهوائية بقصبة المزمار.

11 . أرجو أن يكون هذا الفصل قد حقَّق الهدفَ المرجوَّ منه، أعني: تقريب كلام المتقدِّمين إلى عصرنا الحاضر، من خلال ما استعان به من صور توضيحيَّة.

الفصل الثاني:

الأسس الفيزيائية والنطقية للصوت والحرف

الفصل الثاني: الأسس الفيزيائية والنطقية للصوت والحرف

العِلْمِ الطبيعيّ (الفيزيائيّ) عند المتقدِّمين

ذكرتُ فيما تقدَّم أعضاءَ النُّطق وما يتعلَّقُ بها من نواحٍ عضويةٍ وتشريحيَّة، واستعمالاتٍ صَّوتيةٍ، وأتعرَّضُ في هذا الفصل إلى الأسُسِ الصَّوتيَّة التي ينبغي على دارس أصوات الحروف معرفتها ممَّا يتعلَّق بالنَّواحي الفيزيائيَّة للصوت من كيفيَّة حدوثه وإدراكه، وتردُّده ورنينه، وشدَّته ودرجته. والتي تُدرسُ اليوم تحتَ: علم الأصوات السَّمعيّ.

وهذا المبحث من أشقِّ فصول الدِّراسة، ويعلم الله كم عانيتُ من أبحاثِه؛ إذ جلُّهُ متعلِّقٌ بفيزيائيَّةِ الصَّوْت، وهو أمرٌ ما كنتُ لأبحثه لولا أنَّ بعضَ علماءِ المسلمين قد تناوَلَهُ في الأصوات اللُّغويَّة، وقدَّم مصطلحات جديرةٍ بالبحث.

والأمرُ الثاني الذي حثَّني على ذلك إظهارُ نوعِ المعرفةِ الصوتيَّة التي كانت في تلك العُصور، ممَّا هو مشابهٌ في كثيرٍ من جوانبِه للقضايا المتعلِّقة بعلم الأصوات السمعيّ التي يُدَرِّسُها علمُ الأصواتِ المعاصِر في أوَّل مباحثه.

وقد اهتمَّ بهذه القضايا الفزيائيَّة أصحابُ المدرسةِ العقليَّةِ، وعلى الأخصِّ الموسيقيون والأطباء، كالفارابيّ وابن سينا وابن الطحَّان، ممَّا ولَّدَ صعوبةً أخرى في فهمِ كلامهم ومصطلحاتِهم، فاقتضى ذلك كلُّه أن أطَّلِع على مباحث علمِ الفيزياء المتعلِّقة بالصَّوت مع الاستعانة بالمتخصِّصين في ذلك. واجتهدتُ في ذلك ما أمكن، فإن وُجِد تعقيد في العبارة فراجعٌ إلى التقصير وعدم الاختصاص، والله وليُّ التوفيق.

1. كيفيَّةُ حدوث الصَّوت وإدراكه

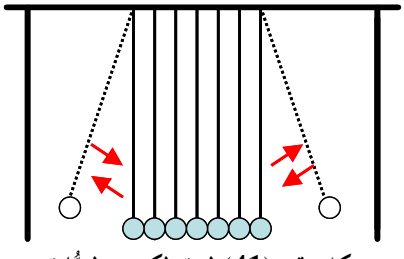
ذكَر الفيزيائيُّون المعاصِرون"أنَّ أيَّ صوتٍ (لُغَويٍّ كان أم غيرَ لُغَويّ) يَنتُجُ عن تموُّجاتٍ تَحْدُثُ في الهواء المحيط. وهذه التموُّجاتُ أو الاهتزازات تُولِّدُ تغيُّراتٍ في الضَّغط (تتراوَحُ بين القوَّةِ والضَّعْف) تَنْتَشِرُ انطلاقاً مِن مصدرِها وتتَلاشى شيئاً فشيئاً كلَّما ابتعدَتْ عنه، كالحَجَر الذي يُلْقَى في الماء الرَّاكِدِ، وتتولَّدُ عنه دوائرُ وتموُّجاتٌ تَنْطَلِقُ مِن موقع الحَجَر لتَتَّسِع بعيداً عنه في الضِّفاف"[1].

وهذا الكلام السابقُ ذكرَه المتقدِّمون، قال إخوان الصَّفاء في شرحِهم لحدوثِ الصَّوت، قالوا:"وذلك أنَّ الهواءَ لشدَّةِ لطافتِهِ، وصفاء جَوهرِه وسرعةِ حركة أجزائه، يتخلَّلُ الأجسامَ كلَّها، ويَسري فيها، ويصلُ إليها، ويُحرِّكُ بعضَها إلى بعضٍ.

(1) علم الأصوات العام لبسام بركة ص 30 .

فإذا صدَمَ جسمٌ جسماً، انسلَّ ذلك الهواءُ من بينهما، وتَدَافَع وتَمَوَّج إلى جميعِ الجهات، وحدَثَ من حركتِهِ شكلٌ كُرَوِيٌّ يَتَّسِعُ كما تتَّسِعُ القارورةُ من نَفْخِ الزُّجاجِ. وكلَّما اتَّسعَ ذلك الشكلُ ضَعُفَتْ قوَّةُ ذلك الصَّوتُ إلى أن يَسْكُن.

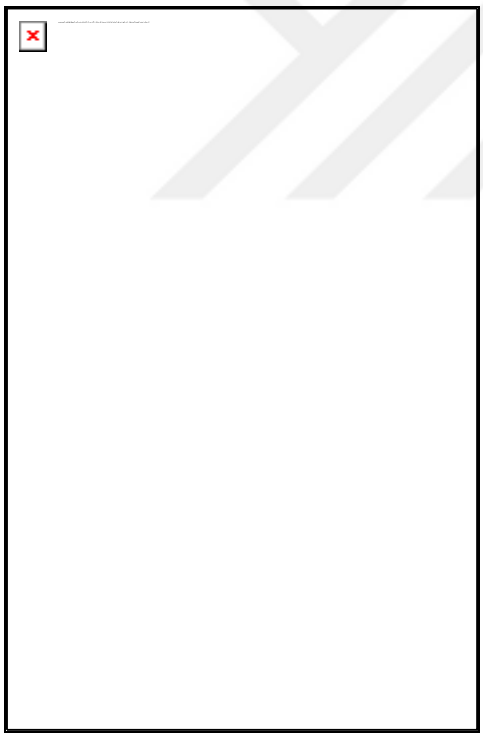
ومثال ذلك: إذا رمَيتَ في الماء الهادئ ـ الواقفِ في مكانٍ واسعٍ ـ حجراً، فيَحْدُثُ في ذلك الماءِ دائرةٌ من مَوضِعِ وَقْعِ الحجَر، فلا تَزالُ تتَّسِعُ فوق سطحِ الماءِ وتَتَمَوَّجُ إلى سائر الجهات. وكلَّما اتَّسَعَتْ ضَعُفَتْ حركتُها حتى تتَلاَشى وتَذهَب"[1].



شكل رقم (41) لعبة الكرات الصُّلبة

ويُعرِّفُ الفيزيائيُّون المعاصِرون المَوْجَةَ بأنَّها عبارةٌ عن انتقالِ الطاقَة بين نُقطتَين بدون أن يُواكِبَها انتقالٌ للمادَّة.

ويُمثِّلُ ذلك اللُّعبة الفيزيائية المنتشِرة في الأسواق، وهي عبارة عن عددٍ من الكُرَاتِ الصُّلبةِ المتلاصِقة مدلاَّة بخيوطٍ من حاملٍ، فإذا رَفَعنا آخرَ كرةٍ على يمينِ الحَامِلِ وتركناها لتَضْرِب الكرةَ التي تُجاوِرُها سنجِدُ أنَّ آخِرَ كُرَةٍ على اليسار هي التي تتحرَّك فقط إلى الأعلى، ثمَّ ترجِع لتَضرِبَ الكُرَةَ التي تجاورِها لتُعاوِد الكرَّةَ نفسَها بحركةٍ دَوريَّةٍ مُنتَظَمَةٍ. انظر شكل رقم (41) لعبة الكرات الصُّلبة.



شكل رقم (42) كيفية حدوث الصَّوت بالتضاغط والتخلخل

معنى ذلك أنَّ الطاقةَ انتقلت عبر الكرات المتلاصِقة دون أن تنتقل الكرات معها، وهو ما يحدُثُ تماماً في الموجةِ الصَّوتيَّة من انتقالِ الصَّوت عبر جزيئات المادَّة.

"فعندما يتحدَّثُ أحدُنا يَهْتَزُّ الوتران الصَّوتيَّانِ ممَّا يُؤثِّرُ على جزيئاتِ الهواءِ المحيطةِ بهما، فتتحرَّكُ هذه الجُزَيئات، وتَقُومُ بدَورِها بتحريكِ الجُزَيئاتِ المجاورةِ لها؛ فتنتشرُ المَوْجَةُ الصَّوتيَّةُ عبرَ تَضَاغُطَاتِ وتَخَلْخُلاتِ الهواءِ المتعاقِبَة حتى تَصِل إلى أُذُنَيِ المستَمِع. ويَقُومُ الجُزءُ الخارجيُّ للأذن بتَجميعِ هذه الذَّبذَبات وتوجيهِها إلى داخلِ الأذن حيثُ تصطَدِمُ بطَبْلَة الأذُن

(1) الرَّسائل 3/ 102 .

التي تَهْتَزُّ بدَورِها ناقلةً هذه النَّبَضات إلى الأذن الدَّاخليَّة، ومن ثمَّ إلى العصَبِ السَّمعيّ، ثمَّ إلى الدِّماغ حيثُ يتمُّ تفسيرُها"[1].

وقد ذكَر الفارابيُّ كيفيَّة انتقالِ الموجات الصَّوتيَّة عبر الهواء حتى تصِل إلى الأذن بمثلِ هذا الذي نَقَلتُهُ من عبارة المعاصِرين، حتى إنَّك لتَتَساءَلُ عن نَوعِ المعرفةِ التي كانت سائدةً في تلك العُصور المتقدِّمة، على الرَّغم من عدمِ وجودِ أيّ أجهزةٍ قياسيَّةٍ دقيقة، قال عن الصَّوت:"وأمَّا كيفَ يتأدَّى إلى السَّمْعِ، فإنَّ الهواءَ الذي يَنْبُو [يَبْتَعِدُ بسرعةٍ وحرَكَةٍ] مِن المَقْرُوعِ هو الذي يَحمِلُ الصَّوتَ، فيُحَرِّكُ بمِثلِ حركتِهِ الجزءَ الذي يَليهِ، فَيَقْبَلُ الصَّوتَ الذي كان قَبِلَهُ الأوَّلُ، ويُحَرِّكُ الثاني ثالثاً يَليهِ فَيَقْبَلُ ما قَبِلَهُ الثاني، والثالثُ رابعاً يَليهِ، فَلاَ يَزَالُ هذا التَّداوُلُ مِن واحدٍ إلى واحِدٍ حتَّى يَكُونَ آخِرَ ما يَتَأدَّى إليه هو الهواءُ الموجُودُ في الصِّماخَين. وهواءُ الصِّماخِ مُلاَقٍ للعُضْوِ الذي فيه القُوَّةُ التي بها يُسْمَعُ، فيتأدَّى ذلك إلى القوَّةِ فيَسمعُهُ الإنسان"[2].

ويبيِّنُ شكل رقم (42) كيفية حدوث الصَّوت بالتضاغط والتخلخل بين الجزيئات وانتقال الموجات الصَّوتيَّة عند قرع شوكة رنانة واهتزاز طَرَفَيها (الشكل الأسفل)، والشكل الأعلى يمثِّل المنحنى الجيبيّ للموجة الصَّوتية .

اشترَط المتقدِّمون لحدوث أيّ صوتٍ وجودَ ثلاثةِ أشياء:

1 . صادمٍ أو قوَّةٍ ضاغطةٍ، ويشترَطُ فيه: السُّرعةُ في اتجاه المصدوم.

2 . مصدومٍ، ويشترَطُ فيه مقاومةُ الصَّادمِ، على أساسِ مبدأين: القصورِ الذاتيّ، ومبدَأِ ردِّ الفعل. وتَعتَمِدُ قوَّةُ المقاوَمة وضعفُها على نَوعِية مادَّتَي الجِسْمَين المتَقَاوِمَين، وعلى نَوْعِيَّة سَطحَيهِما.

3 . وَسَطٍ مُنْضَغِطٍ بين الجِسمَين المتَقَاوِمَين، والمؤهَّلِ لنقلِ الموْجَة الصَّوْتِيَّة، وقد يكونُ ماءً أو هواءً أو غير ذلك.

ولكلٍّ من هذه الثلاثة تفصيلاتُها الكثيرة، ومصطلحاتُها المتعدِّدة.

صَاغَ ابنُ سِينَا هذه الثلاثة الماضية في قانونٍ نستطيعُ تَسمِيَتَهُ: (قانونَ حُدُوثِ الصَّوتِ)، قال:

"**الصَّوتُ يَحْدُثُ من تَمَوُّجِ الجِسْمِ الرَّطْبِ السيَّالِ مُنْضَغِطاً بين جِسْمَينِ مُتَصَاكَّيْنِ مُتَقَاوِمَيْنِ مِن حَيْثُ هُوَ كَذَلك**"[3].

فالجِسْمان المتَصَاكَّان المتَقَاوِمَان: هما جِسْمَان التَقَيَا وضغَط أحدُهما على الآخَر بعنفٍ، فقاوَم الآخَرُ

(1) الفيزياء للأدباء ص 207 و 216 بتصرُّف .

(2) الموسيقى الكبير ص 214 .

(3) الشفاء قسم الطبيعيات الجزء السادس الخاص بالنفس ص74-75.

هذا الضَّغطَ على مبدأ رَدِّ الفِعْل.

ويعني بتَمَوُّجِ الجسمِ الرَّطْبِ السيَّالِ المنضغِط بين الجِسمَين: الوَسَطَ المرِنَ المؤَهَّلَ لنقلِ الصَّوتِ، فالصَّوتُ يُمكِن أن ينتقِل في أيِّ وسطٍ مادِّيٍّ . مثل الهواء والماء . تَتَمتَّعُ جُزَيئاتُه بخاصِّيَّةِ المرُونة التي سمَّاها: (الرَّطْب)، وخاصِّيَّة الاهتزاز التي سمَّاها: (التَّمَوُّج)، وخاصِّيَّة الرُّجوع إلى وضعِه الأصليّ بعد زوال التأثير عليه، والتي سمَّاها: (السيَّال)[1].

وقبل أن أخوض في مصطلحات القوة الضاغطة فإنَّني أشيرُ إلى أنواع الأجسام المتصادمة:

2 . نوعيَّة الأجسام المتصادمة في الطبيعة

أنواعُ الأجسامِ في الطبيعة ثلاثة: صُلْبَةٌ كالمعادن، وسائلَةٌ كالماء، وغازيَّةٌ كالهواء:

فقد يَصْدِمُ الصُّلْبُ الصُّلْبَ، كضربك بيدكَ على الطاولة. وقد يَصْدِم الصُّلْبُ السَّائلَ، كضربكَ براحة يَدِكَ على صَفْحَةِ الماءِ. وقد يَصْدِم الصُّلْبُ الغازَ، كضَرْبِ السَّوطِ أو عَصَا الخيزران في الهواء.

وقد يَصْدِم السَّائلُ السَّائلَ، كصَبِّ الماءِ على الماء. وقد يَصْدِم السَّائلُ الصُّلْبَ، كصَبِّ الماءِ على المعادِن. وقد يَصْدِم السَّائلُ الغازَ، كرشِّ الماء في الهواء.

وقد يَصْدِم الغازُ الغازَ، كصَوت الرِّيح القويَّة. وقد يَصْدِم الغازُ الصُّلْبَ، كصَدْمِ الهواءِ تَجْويفاتِ أعضاءِ النُّطْق. وقد يَصْدِم الغازُ السَّائلَ، كالنَّفخ في الماء بقوَّةٍ لتَخْرُجَ فقاعات.

ويُشترَطُ لحدُوثِ الصَّوْتِ أو المَوْجَة الصَّوتيَّة في ذلك كلِّه: السُّرْعَة[2] في الجسمِ الصَّادِمِ، والمقاوَمَةُ في الجِسْمِ المصْدُوم، وانضغاطُ الوسَطِ بينهما.

وقد أشار المتقدِّمون إلى هذا التَّصَادُمِ بين الأجسام، فمثلاً الرئتان والحجاب الحاجز يعدَّان من الأعضاء القارعة حيث يستعمِلان الهواء ويدفعانِه إلى أعلى ويقرعانَ به تجويفات أعضاءِ النُّطق، قال الفارابيُّ: "والعُضوُ القارعُ، إمَّا يدُ الإنسان، وإمَّا العُضوُ الذي يَدْفَعُ هواءَ التنفُّس من داخلِ الصَّدْرِ إلى خارجِ الفم، واليدُ إمَّا أن تَقْرَع بنفسها أو بجسمٍ آخَر، وأمَّا الذي يَدْفَعُ هواءَ التنفُّس فهو إنَّما يَقْرَعُ بالهواء الذي يَدفعُه.

والجسْمُ المقروعُ باليد هو ما جانس العيدان والمعازِفَ، وأمَّا الذي يَقرعُه العُضو الدافعُ لهواء التنفُّس فهو

(1) قال ابن سينا في الشفاء في القسم الخاصّ بالطبيعيَّات ص 245:"السيَّالُ لا يَحفَظُ الجسمَ إلا زماناً يَجِبُ ضرورةً بين كلِّ حركتَين مختلفتَين، وفي ذلك الزَّمان يكونُ ملاقِياً لفَاعلِ الحجم، ولا يُمكِنُ أن يَحْفَظَ الحجمَ والشَّكْلَ مع مفارقةِ الفاعلِ ألبتَّة".

(2) السُّرعة لها علاقة بالقوَّة، ويُمثِّلُ هذه العلاقةَ قانونُ نيوتن الثاني للحركة، ونصُّهُ:"إذا أثَّرَتْ قوَّةٌ على جسمٍ مَّا فإنَّها تُسَبِّبُ تَسارُعَ الجسمِ في اتِّجاه القوَّةِ المؤثِّرة، ويتناسبُ مِقدارُ التسارُعِ تناسُباً طَرْديًّا مع مقدار القوَّةِ وتناسُباً عكسيًّا مع كتلةِ الجسم" اهـ. فالقوَّةُ . وفقاً لهذا القانون . تُحدِثُ تسارُعاً أقلّ في الجسمِ الأكبرِ كتلةً، وبالتالي تكونُ مقاومتُه أكبرَ لأيِّ تغيُّرٍ في حركته. والكتلةُ هي كمِّيةُ المادَّة الموجودة في الجسم . (الفيزياء للأدباء ص 81).

إمَّا المزاميرُ وإمَّا تجويفاتُ الحُلُوق وآلاتُ التصويتِ الإنسانيّ" [1].

إذاً الصَّوتُ يحدُث نتيجةً لاهتزازٍ مسموعٍ من جسمٍ من الأجسام على نحوٍ يؤثّرُ على العلاقات بين جُزَيئاتِ الهَواء المحيطة بهذا الجسم، وهذه الجُزَيئاتُ تُحيطُ بكلِّ الأشياء، وتتخلَّلُ كلَّ الفراغات على سَطْحِ الأرض، والخاصِّيَّةُ الأساسيَّةُ لها هي قابليَّتُها لاقتراب بعضِها من بعض فيما يُعْرَف بـ: التضاغط، ولتباعدِ بعضِها عن بعض فيما يُعْرَف بـ: التَّخَلْخُل[2]، ولكي يَحدُث هذا الاهتزازُ المسموعُ بفعلِ التضاغط والتخلخل لا بدَّ من وجودِ جسمٍ ضاغطٍ (قارعٍ)، ومضغوطٍ (مقروعٍ مقاومٍ)، ووسطٍ بينهما؛ فالقارعُ بضغطه، والمقروعُ بمقاومته، والوسَط بينهما هو الذي تتحرَّكُ فيه الجزيئاتُ، قال ابن سينا شارحاً هاتَين الظاهرتَين واهتزاز جزيئات الهواء اللازمة لحدوث الصَّوْت:"ولكنَّه إنَّما يَلْزَمُ في كلا الأمرَين شيءٌ واحدٌ، وهو تموُّجٌ سَريعٌ في الهواء.

أمَّا في القَرْع فلاضطرارِ القارعِ الهواءَ إلى أن يَنضَغِطَ وينفلِتَ من المسافةِ التي يسلُكُها القارعُ إلى جَنبَتَيها بعنفٍ وقوَّة، وشدَّةٍ وسرعة.

وأمَّا في القَلْعِ فلاضطرارِ القالعِ الهواءَ إلى أن يندفِعَ إلى المكان الذي أخلاهُ المقْلُوعُ منهما دُفعةً بعنفٍ وشدَّة.

وفي الأمرَين جميعاً يَلْزَمُ المتباعِد من الهواءِ أن ينقادَ للشَّكْل والموْجِ الواقِع هناك"[3].

وقد تكون أعضاء النُّطق هي القارعة، كالشفتين عندما يقرعان بعضهما في مخرجِ الباء.

وتقدَّم الحديثُ عن أعضاءِ الصَّوْتِ والنُّطْق كأعضاء قارعة ومقروعة، واستعمالاتِها الصَّوتيَّة.

3. الألفاظ الفيزيائيَّة المتعلِّقة بالصَّوت وحدوثه

سنتناولُ المصطلحات فيه من خمس جهات:

أوَّلاً: الألفاظ العامَّة التي استُعمِلَت في التعبير عن القُوَّة الضاغطَة لإحداثِ الصَّوْت.

ثانياً: الألفاظ التي عبَّرتْ عن ضغط عضوي النُّطق لإحداث الصَّوت اللُّغويّ.

ثالثاً: الألفاظ التي عبَّرت عن المقاومة بين الجسمَين الملتقيَين.

رابعاً: الألفاظ التي عبَّرت عن الموجات الصَّوتية.

خامساً: الألفاظ التي عبَّرت عن التغيير في الموجة الصوتية.

(1) الموسيقى الكبير ص 52.

(2) انظر: دراسة السَّمع والكلام لسعد مصلوح ص25 وما بعدها .

(3) أسباب حدوث الحروف ص57 . وانظر: تلخيص كتاب النفْس لابن رشد ص81.

أوَّلاً: الألفاظ العامَّة التي استُعمِلَت في التعبير عن القُوَّة الضاغطَة لإحداثِ الصَّوْت

استُعمِلت عدَّةُ ألفاظٍ عامَّة في التعبير عن القُوَّة الضَّاغطة لجسمٍ مَّا على جسمٍ آخَر لإحداثِ الصَّوْتِ (لغويٍّ كان أم غير لغويٍّ)، ومن هذه المصطلحات:

1 . (الضَّغط، الانضغاط، المضغوط)، 2 . (المماسَّةُ)، 3 . (الصَّدْمُ، التصَادُمُ، الاصْطِدامُ)، 4 . (المِصَاكَّة)، 5 . (الزَّحْمُ، المزَاحَمَةُ)، 6 . (التَّقْرِيب)، 7 . (القَرْع)، 8 . (القَلْعُ).

المصطلح الأوَّل للقوَّةِ الضَّاغِطة: (الضَّغط)، (الانضغاط)، (المضغوط):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على عصرِ شيءٍ إلى شيءٍ ومدافعَتِهِ بشدَّة، يقال: ضغطَه، إذا دفعَه ضاغطاً عليه[1].

استُعملت ألفاظ: (الضغط، الانضغاط، المضغوط) في أكثر من معنى، منها:

1 . صفةٌ من صفات الحروفِ .

2 . انضغاطُ الهواء بين الجسمَين المتقاوِمين لإحداث الصَّوت (لغويٍّ كان أم غير لغويٍّ)، وراجِع قانون حدوث الصَّوت عند ابن سينا الذي تقدَّم.

3 . من عيوب النُّطق .

4 . القوةُ الضَّاغطةُ من أحد عُضوَي النُّطق على الآخَر لإحداث الصَّوت اللُّغويّ.

المعنى الأوَّل: (الضَّغط، المَضْغُوط) = صفةٌ من صفاتِ الحروف:

وصفَ الخليل الهمزة بـ: (**المَضْغُوطة**)، قال:"وأمَّا الهمزةُ فمخرجُها من أقصى الحلق مهتوتةً **مَضْغُوطةً**"[2].

واستَعمل سيبويه لفظ: (**الضغط**) في حديثه عن المتمِّمات التي تلحقُ الحروف عند الوقف، ففي وصف سببِ حدوثِ صُوَيتِ القلقلة في بعضِ الحروف الشديدةِ، قال:"ومنها حروفٌ مُشربةٌ **ضُغِطَتْ** مِن مواضعِها...فلا تستطيعُ أن تقفَ إلاَّ مع الصُّوَيت لشدَّةِ **ضغطِ** الحرف"[3].

ثمَّ قارَن سيبويه بين الأصوات الأخرى وأصوات القلقلة، فقال:"ومن المشرَبةِ حروفٌ إذا وقفتَ عندها خرجَ معها نحوُ النفخة ولم **تُضْغَطْ ضغطَ** الأولى...ومنها حروفٌ مشرَبةٌ لا تَسمَعُ بعدها في الوقف شيئاً ممَّا ذكَرْنا؛ لأنَّها لم **تُضْغَط ضغطَ** القاف..."[4].

(1) العين 4/ 363 ومقاييس اللُّغة ص 576 (ض غ ط).
(2) العين 1/ 52.
(3) الكتاب 4/ 174 .
(4) الكتاب 4/ 174 - 175 .

وتابعه العلماء على استعماله، منهم: المبرِّدُ[1]، وابن جنيّ[2]، ومكيّ[3]، والدانيُّ[4]، والقرطبيُّ[5]، والهمَذانيّ[6]، وابن الطحَّان الأندلسيُّ[7].

ومن وحي كلام سيبويه عَدَّ ابنُ جنيّ في أوَّل حديثه عن صفات الحروف: (**المضغوط** من الحروف)، من الصِّفات دون أن يُبيِّنَ ما المقصود به في ذلك الموضع، وتأخَّر حديثُه عنه إلى ما بعد ستِّين من الصفحات، حين ردَّد كلام سيبويه عن حروف القلقلة بأنَّها **ضُغطتْ** من مواضِعِها[8]، فترجَّح أن تكون هي المقصودة بهذا التلقيب.

وهو الذي جعَل القرطبيَّ يَضُمُّ: (**الضَّغطَ**) إلى صفاتِ الحروف[9].

وممَّا يؤَكِّدُ على ذلك ما ذكَره الهمَذانيُّ من أنَّ أصواتَ القلقلة قد تُسمَّى بـ: (**المَضْغُوطةِ**)؛ لأنَّه لا يُمكنُ الوقفُ عليها إلاَّ بصُوَيتٍ يَلْحَقُها **لضَغْطِها**[10].

المعنى الثاني: (الضغط، الانضغاط، المضغوط) = انضغاطُ الهواءِ وانفِلاتُه مِن بين الجسمَين المتقاوِمين لإحداث الصَّوت (لغويٍّ كان أم غير لغويٍّ).

ذكَرَ يوحنَّا بن ماسَوَيه أنَّ القَرْعَ يَكُونُ **بانضِغَاطِ** الرِّيحِ في الحَنجَرة"[11].

واستَعمل الكنديُّ لفظ: (**المضغوط**) في وصفِ صوتِ هواءِ الحاءِ، قال عنها: إنَّها"تَحتاجُ إلى نفَسٍ يَخرُجُ مع الحنك بِتَنَحْنُحٍ مسرعٍ **مضغوطٍ** بأصلِ اللِّسان واللَّهَوات مع رأسِ المريء"[12].

وقد ذكرتُ من قبل أنَّ من عناصر حدوث الصَّوت انضغاطَ الوسط ـ وهو الهواءُ هنا ـ بين الأجسام المتصادمة، وهذا ما عبَّرَ عنه إخوان الصفاء بقولِهم:"وإنَّما يَحدُثُ الصَّوتُ من تصادُمِ الأجسام إذا كانت صَدْمَتُها بسرعةٍ، **فينضَغِطُ** الهواءُ عند ذلك، وتَتَدافَعُ أمواجُه، وتتموَّجُ حركتُه إلى الجهاتِ الستِّ بسرعةٍ،

(1) المقتضب 1/ 330 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 63 - 64 .
(3) الرعاية ص 124 .
(4) التحديد ص 109.
(5) الموضح ص 93 .
(6) التمهيد في معرفة التجويد ص 281 .
(7) مخارج الحروف وصفاتها ص 134 - 135 .
(8) سر صناعة الإعراب 1/ 4 و 1/ 63.
(9) الموضح ص 99 .
(10) التمهيد في معرفة التجويد ص 281 .
(11) نقل ذلك عنه الرازيُّ في الحاوي في الطب 3/ 166 .
(12) رسالة في اللُّثغة ص 525.

فيَحدُثُ الصوتُ ويُسمَع"[1].

وهكذا استَعمله ابن سينا، حيث أن الصَّادِمَ يَضْغَطُ الهواء فيضطرُّ إلى الانفلات، قال:"أمَّا في القَرْع فلاضطرارِ القارعِ الهواءَ إلى أن **يَنضَغِطَ** وينفلِتَ من المسافةِ التي يسلُكُها القارعُ إلى جَنبَتَيها بعنفٍ وقوَّة، وشدَّةٍ وسرعة"[2].

واستعمله ابنُ سينا أيضاً في وصف سبب حدوث بعض الحروف، فمثلاً قال عن الباء المشدَّدة (P) أنَّها"تحدثُ بشدٍّ قويٍّ للشفتَين عند الحَبس، وقَلْعٍ بعنفٍ، **وضغطٍ** للهواءِ بعُنْف"[3].

وقال عن انفتاح مخرجِ الطاء بعد حبسِها:"فإذا انقَلَعَ عنهُ **وانضغَطَ** الهواءُ الكثيرُ سُمِعَ الطاءُ"[4].

وذكَر أنَّ **الانضغاط** في الواو غير المدِّيّة أقلُّ من **انضغاطه** في الفاء، وبالتالي يضْعُف دَفعُ الهواء فيها[5].

المَعنى الثالث: (الضغط) = من عيوب النُّطق:

استَعمَل السعيديُّ: (الضغط على المخرج) كعيبٍ من عيوب الأداء عند نطق الباء في: [بِسْمِ الله الرحمن الرَّحيم]، قال:"ينبغي أن يُلْفَظَ بالباءِ قبل السِّين مخفَّفةً، **ولا تُضغَطَ** في مخرجِها، ولا يُزادَ على لَفْظِها"[6].

وتابعه القرطبيُّ[7].

وذكرَ أن الضَّغطَ على مخرجِ الفاءِ من العُيوب، قال عن الفاء:"ويُتَوقَّى الإفراطُ فيه بوضعِ الثنايا العُلى على الشفةِ السُّفلى؛ ليَخرُجَ الصَّوتُ والنفَسُ من بينهما من غَير **ضغطٍ** ولا تأفيفٍ"[8].

ونبَّه أيضاً في المدِّ على التوقِّي من"**ضغطِ** الصَّوتِ في الواو والياءِ والألف... لئلاَّ يصيرَ المدُّ فيه كأنَّه يُرامُ فيه النُّطقُ بكافٍ، فهو مِمَّا يُستَقْبَح"[9].

وذكَر أيضاً أنَّ من عيوبِ الصَّفير في الصاد والسين والزاي: (النَّسْنَسة)، قال عن ذلك:"وبعضُهم يُغيِّرُها بما هو أخفى مِن ذلك بأن يُبقيها على حدودِ مخرجِها، لكن **يَضْغَطُ** الصَّوتَ الخارجَ من بين الثنايا، فيصيرُ

(1) الرسائل 3/ 132 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص 57 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 92 .
(4) أسباب حدوث الحروف ص 79 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص 124.
(6) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص 29 .
(7) الموضح ص 101 .
(8) الموضح ص 116 .
(9) الموضح ص 135 .

الصَّفيرُ بها أدَقَّ من المعتادِ، وهو الذي يُسَمَّى النَّسْنَسَة"[1].

المعنى الرَّابع: الضَّغط = القوةُ الضَّاغطةُ من أحد عُضوَي النُّطق على الآخَر لإحداث الصَّوت اللُّغويّ:

نبَّه مكيٌّ على تحقيق مخرجِ الضَّاد، فقال:"فلا بدَّ للقارئ المجَوِّدِ أن يَلْفِظَ بالضَّادِ مفخَّمةً مستعليةً منطبِقةً مُستطيلةً، فيُظهِرَ صوتَ خروجِ الرِّيحِ عند **ضغطِ** حافَّةِ اللِّسان بما يَليه من الأضراسِ عند اللَّفظِ بها، ومتى فرَّطَ في ذلك أتى بلفظِ الظاءِ أو الذَّالِ، فيكونُ مبدِّلاً ومُغَيِّراً"[2].

المصطلح الثاني للقوَّةِ الضَّاغِطة: (المُمَاسَّةُ):

يَدُلُّ أصلها اللُّغويُّ على اللَّمْسِ والجَسِّ، ومَاسَّ الشَّيءُ الشَّيءَ مُمَاسَّةً ومِسَاساً: لَقِيَهُ بِذَاتِهِ. وتَمَاسَّ الجِرْمَانِ: مَسَّ أحدُهما الآخَرُ[3].

استعملَه الفارابيُّ بمعنى القوَّة الضاغطة على المصْدُوم في تعريفِ: (القَرْع)، كما تقدَّم.

واستعملَه ابنُ سينا في مخرج اللاَّم، قال:"والاعتِمادُ فيها على الجزءِ المتأخِّرِ من اللِّسانِ **المُمَاسِّ** لِما فوقَه أكثرُ من الاعتمادِ على طرفِ اللِّسان"[4]. وقال عن حدوث الزاي:"يكُونُ طرفُ اللِّسانِ فيها أخفض، وما بعدَه أقربَ وأرفعَ من سَطْحِ الحنَكِ، **كالمُمَاسِّ** بالعَرْضِ أجزاءً دونَ أجزاءٍ"[5]. واستَعمَل: **(المَسَّ غيرَ الصَّادِق)** لطرفِ اللِّسان بالحنَكِ في الراء، قال:"وإن كانَ طرفُ اللِّسانِ متعرِّضاً للمَوْضِعِ الذي يَمَسُّهُ في اللاَّمِ مِن **غير مسٍّ صَادِقٍ**، ولا التصاقٍ بِرُطُوبَة..."[6]. ووصَف هَوَاءَ الهاءِ المَدْفوعِ كقوَّة ضاغطَةٍ بقولِه:"والاندِفاعُ **يُماسُّ** حافَّاتِه بالسَّواء غيرَ مائلٍ إلاَّ إلى الوسَط"[7].

واستَعمَل ابنُ سينا: **(المُمَاسَّاتِ الخفيَّةِ غَيْرِ المحسوسة)**[8]، في وصْفِ ارتعاد طرف اللِّسان بالسِّين الزائيَّة في لغة أهلِ خُوارِزْم، وهذه **المُمَاسَّاتُ** تحبسُ الهواءَ احتباساتٍ غيرَ محسوسةٍ. واستَعمَل: **(المُمَاسَّةَ العنيفَةَ)** في تعريف: (القَرْع) كما تقدَّم.

المصطلح الثالث للقوَّةِ الضَّاغِطة: (الصَّدْمُ)، (التصَادُمُ)، (الاصطِدام):

(1) الموضح ص 113 .
(2) الرعاية ص 184 - 185 .
(3) لسان العرب 6/ 218 (م س س).
(4) أسباب حدوث الحروف ص 123 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص 120 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص 80.
(7) أسباب حدوث الحروف ص 72 .
(8) أسباب حدوث الحروف ص 89.

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على ضَرْبِ الشَّيءِ الصُّلْبِ بمثلِه[1]. صَدَمَ صَدْماً، وتصادمَ تصادُماً، واصطدمَ اصطِداماً.

استَعمَل إخوانُ الصفاء: (التَّصَادُم، الصَّدْم، الاصطِدام) في شرحهم لحُدُوث الصَّوت عند الكائنات الحيَّة، كالإنسان والحيوان، وغير الحيَّة، كصوت الأشجار ورنين المعادن، وفي سبب عظم الصَّوتِ وصِغَرِه، وفي نوعيَّة الأجسام، فمثلاً قالوا عن كيفيَّةِ حُدُوثِ الصَّوْت:"يَحْدُثُ الصَّوتُ مِن **تَصَادُمِ الأجسامِ** إذا كانتْ صدَمَتْها بسُرعةٍ، فيَنضَغِطُ الهواءُ عند ذلك، وتَتَدافَعُ أمْواجُه، وتَتَموَّجُ حركتُهُ إلى الجهات الستِّ بسُرعةٍ، فيحدثُ الصَّوتُ ويُسمَع"[2]. وهو يَتَوَافَقُ مع ما تقدَّم.

وذَكَر ابنُ سينا أنَّ "الهواء في الحاء يندَفِعُ أمْيَلَ إلى قُدَّام، **ويَصْدِمُ** حافَّةَ التَّقْعيرِ الذي كان **يَصْدِمُهُ** هواءُ العَين عند الخُروج"[3].

ونقَلَ ابنُ الطحَّان الموسيقيُّ عن الحكماء ـ ولم يُسمِّهم ـ تعريفَ الصَّوْتِ، فقال:" الصوتُ: هواءٌ يَخْرُجُ من الرِّئةِ، **فيَصْدِمُ** اللِّسَانَ، والحنكَ، والأسنان، ويَرْتَقِي في بَاطِنِ المَنَاخِر..."[4].

المصطلح الرابع للقوَّةِ الضَّاغِطة: (المُصَاكَّةُ):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تَلاَقي شَيئين بقوَّةٍ وشدَّة، حتى كأنَّ أحدَهما يَضْرِبُ الآخَر. من ذلك قولُهم: صَكَّ البابَ، إذا أغْلَقَه بعُنفٍ وشِدَّة، والصَّكَكُ: أن تَصْطَكَّ رُكبَتا الرَّجُل[5].

استَعمَل الفارابيُّ: (**المُصَاكَّةَ**) في شرحه لعلَّة حدوثِ الصَّوتِ في المزامير، قال:"إنَّ هذه الآلاتِ إنَّما تَحْدُثُ فيها النَّغَمُ **بمُصاكَّةِ** الهواء السالكِ في المنافِذِ المعْمُولَةِ فيها لمقَعَّراتِ تلكَ المنافِذِ. وهذه المَنَافِذُ إمَّا التجويفاتُ التي فيها، وإمَّا مُتَخَلَّصاتُ الهواءِ مِن تَجْويفاتِها إلى خارجٍ"[6].

وتقدَّم استعمالُ ابنِ سينا له في قانون حدوثِ الصَّوْت.

واستَعمَل الخفاجيُّ: (**الصَّكَّة**) بمعنى الصَّدْمة في تعليله لمشاهدةِ القَصَّارِ (مُحَوِّرِ الثياب) يَضْرِبُ الحَجَرَ، ثمَّ يُسمَعُ صَوتُ ضَرْبِه بعد زمنٍ من مُشاهدَتِه، فعلَّل ذلك تعليلاً دقيقاً، وشَرحَ انتقالِ موجاتِ الصَّوتِ في الهواء حركةً انتقاليَّةً حتى تُسمَع، قال:"الصَّوتُ يَتَولَّدُ في الهواءِ، والبُعدُ المخصوصُ مانِعٌ مِن إدراكِه، فإذا

(1) مقاييس اللُّغة ص565 (ص د م) .
(2) الرسائل 3/ 132 وما بعدها، وانظر 3/ 102 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 115 .
(4) حاوي الفنون وسلوة والمحزون ص 22 .
(5) مقاييس اللُّغة ص 539 (ص ك ك).
(6) الموسيقى الكبير ص 771 – 772 .

تَولَّدَ فيما يَقْرُبُ أدرِكَ في محلِّه، وإن لم يتَّصِلْ بحاسَّةِ السَّمْع[1]، والذي يُدْرَكُ بعدَ مُهلةٍ هو غيرُ الصَّوتِ الذي تَولَّد عن **الصَّكَّةِ الأولى**؛ لأنَّ ذلك إنَّما لا يُدرَكُ لبُعْدِهِ"[2].

واستَعمَل: (**المُصَاكَّة**) في تدليله على أنَّ اللاَّفِظَ بأيِّ كلمةٍ إنَّما يَلْفِظُ بها صوتاً بعد صَوتٍ، على مبدأ التقطيع والتولُّد، قال:"ولا تَقَعُ الأصواتُ مِن فِعلِ العِبادِ إلاَّ مُتَولِّدةً، ويدلُّك على ذلك أيضاً تعذُّرُ إيجادِها عليهم إلاَّ بتوسُّط الاعتِمَادِ **والمُصَاكَّة**، ولأنَّها تَقَعُ بحسبِ ذلك، فيَجِبُ أن تكونَ مِمَّا لا يَقَعُ إلاَّ مُتَولِّداً كالآلامِ"[3].

المصطلح الخامس للقوَّةِ الضَّاغِطة: (الزَّحْمُ والمُزاحمة):

من المشتركِ اللَّفظيّ. تقدَّم.

المصطلح السادس للقوَّةِ الضَّاغِطة: التَّقْريب:

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على خلافِ التَّبْعِيدِ. يقال: قَرَّبَه يُقَرِّبُه تقْرِيباً: أدْناهُ إليه[4].

استُعمِلَ لفظُ: (التَّقْريبِ وفروعه: قَرَّب، يُقَرِّبُ) في أكثرَ من معنى، منها:

1 . التأليفُ بينَ الحُرُوفِ أوالصِّفات لتَحقِيقِ الانسِجَامِ الصَّوتيّ 2 . جزءٌ مشاركٌ في التعبير عن مرتبة التوسُّط في المدِّ 3 . القوةُ الضَّاغطةُ من أحد الجِسْمَين على الآخَر 4 . التيسيرُ 5 . مقارَبةُ الشيء من الشيء

المعنى الأوَّل: التقريب = التأليفُ بينَ الحُرُوفِ أوالصِّفات لتَحقِيقِ الخِفَّةِ والانسِجَامِ الصَّوتيّ:

استَعمَل سيبويه ألفاظ التقريب: (قَرَّب، يُقَرِّبُ، التَّقْرِيبُ) بهذا المعنى في أكثرَ من مَوطنٍ صَوتيّ، وحمَل بعضَ المواضِع على بعضٍ؛ لأنَّ الغايةَ المرجُوَّة من هذه المواضع واحدةٌ، وهي تحقيق الخفَّة والانسجام، كما صَرَّح بذلك.

فمن هذه المواضع:

1 . تقريبُ الصَّادِ من الدال بإشمامِها زاياً أو إبدالِها زاياً خالِصةً عند بعض العرب في نحو: (مَصْدَر)، قال:"وإنما دَعَاهُمْ إلى أن **يُقَرِّبُوهَا** ويُبْدِلُوهَا أن يكونَ عمَلُهُمْ من وجهٍ واحدٍ، ولِيَستَعْمِلُوا ألسنَتَهُم في ضَرْبٍ وَاحِدٍ"[5].

(1) لعلَّه يعني أن لا اتِّصالَ مباشر بين الصَّوت والأذن.

(2) سر الفصاحة ص12.

(3) سر الفصاحة ص12. والخفاجيُّ مسبوقٌ إلى هذا القول. انظر: التفكير اللِّساني في الحضارة العربية ص 267 وما بعدها.

(4) المصباح المنير ص 495 (ق ر ب).

(5) الكتاب 4/ 477 . وقد صرَّح بلفظ: التقريب في 4/ 478 .

وتابعَه: ابن خالويه[1]، والفارسيُّ[2].

2 ـ تقريبُ السينِ من الدَّال بإبدالها زاياً، قال:"فإن كانت سينٌ في مَوضعِ الصَّاد وكانتْ ساكنةً لم يَجُزْ إلا الإبدالُ إذا أردتَ **التقريبَ**، وذلك قولُك في التَّسْدِير: التَّزْدير، وفي يَسْدُلُ ثوبَه: يَزْدُلُ ثَوْبَهُ"[3].

3 ـ تقريبُ الشين والجيمِ من الدال بإشمامِها الزاي في نحو: (أشْدَق) و (أجْدَر)، قال عن (أَجْدَر):"والجيمُ ـ أيضاً ـ قد **قُرِّبَتْ** مِنها [من الدَّال] فَجُعِلَتْ بِمَنزِلَةِ الشِّين. من ذلك قَولُهُم في الأجْدَر: أَشْدَر"[4]. وحمَل سيبويه هذا الموضع في التخفيف على قلب النون ميماً للتقريب من الباء.

وتابعَه: القرطبيُّ في استعمال ألفاظ التقريب في هذين المثالين، لكن بتخليطٍ واضطراب[5]؛ إذ حمَل ما قاله سيبويه في هذا الموضع على الجيم التي كالشين، والشين التي كالجيم التي ذكرَها سيبويه في الحروف الفرعية.

والأمثلةُ التي تقدَّمَتْ: (مَصْدَر، التَّسدِير، أشدق، أجدر) كلُّها يُضارَع بها حرفٌ واحدٌ، وهو الزَّاي، ومن أجل هذا عقَد له سيبويه هذا البابَ الذي سمَّاه: (هذا بابُ الحرفِ الذي يُضَارَعُ به حرفٌ مِن مَوضِعِه، والحرفِ الذي يُضَارَعُ به ذلك الحرفُ وليس مِن مَوضعِه).

فالحرفُ الذي يُضَارَعُ به حرفٌ مِن مَوضِعِه: الصَّاد والسِّينُ في (مَصْدَر، والتَّسْدير)؛ لأنهما من مخرج الزَّاي.

والحرفُ الذي يُضَارَعُ به ذلك الحرفُ وليس مِن مَوضعِه: الشينُ والجيمُ في: (أَشْدَق، وأَجْدَر)؛ وهما ليسا مِن مَخرج الزاي.

فأين ذلك من الشينِ التي كالجيم، والجيمِ التي كالشِّين؟!

4 ـ تقريبُ الجيمِ من الدال بإبدال التاءِ دالاً في باب: (افتَعل) في نحو: (اِجْدَمَعوا)، أصلُها: اجتَمَعوا، قال:"وقد **قرَّبوها** منها في افتَعَلُوا، حين قالوا: اجْدَمَعُوا، أي: اجْتَمَعُوا، واجْدَرءوا، يريدُ اجترَءُوا، لما **قرَّبَها** منها في الدَّال، وكان حرفاً مجهوراً، **قَرَّبَها** منها في افْتَعَلَ لتُبدَلَ الدَّالُ مكانَ التاء، وليكونَ العَمَلُ من وجهٍ واحدٍ"[6].

وهذا المثالُ هو أحدُ أمثلةِ باب (افتَعل) الذي يشتَمِل على نوعَين من التقريب: تقريب المهموس من

(1) الحجة ص 276 .
(2) الحجة 1/ 97، والتكملة ص 223 .
(3) الكتاب 4/ 478.
(4) الكتاب 4/ 479 .
(5) الموضح ص 83، و 85 .
(6) الكتاب 4/ 479 .

المجهور بإبدالِه إلى مجهور كـ: اجدمعوا، وتقريب المرقَّق من المفخَّم بإبدالِه إلى مفخَّم كـ: اضطرَب، واصْطَبَر. فتُقاسُ باقي الأمثلة على هذين المثالين للعلَّة الجامعة.

تابع سيبويه في غير ذلك من أمثلة باب (افتَعل): أبو عليٍّ الفارسيُّ[1]، وابنُ جنيّ[2].

5 . تقريب الهمزة من حرفِ المدِّ بالتَّسْهِيل[3].

وتابعَه: ابن جنيّ[4]، وأبو الفضل الخزاعيّ[5].

6 . تقريب الألف من الياء بالإمَالَة، قال:"فَكَمَا يُرِيدُ في الإدغامِ أن يَرْفَعَ لِسَانَهُ مِن مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، كذلِك **يُقَرَّبُ** الحرفُ إلى الحَرْفِ عَلَى قَدْرِ ذَلِك. فالألفُ قد تُشبِهُ الياءَ، فأرادوا أن **يُقَرِّبُوها** منها"[6].

وتابعَه: ابنُ وَلاَّدٍ (الابن) [7]، وابن خالويه[8]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[9]، وابنُ زَنجَلة[10]، ومكيّ القيسيّ[11]، والمالكيُّ[12]، والدانيُّ[13].

7 . تقريبُ الحركة من الحركة بالإتباع، في نحو: (أُقتُل، أُستُضعِف)، قال:"وذلكَ أنَّكَ **قَرَّبْتَ** الألفَ من المضمومِ؛ إذْ لم يَكُن بينَهما إلاَّ سَاكِنٌ، فكَرِهُوا كسرةً بَعْدَهَا ضَمَّةٌ، وأرادوا أن يكونَ العمَلُ من وَجْهٍ واحِدٍ"[14]. وحمَل عليه كسرة الهاء في: (عليهم) لمجاورة الياء[15].

ويَنسحبُ هذا المثال على كلِّ إتباعٍ للحركة للعلَّة الجامعة، ولأجلِ ذلك استُعملتْ ألفاظُ التقريب في جميع هذا الباب، فمِن ذلك استعمالُها في ثلاث قواعد صوتيَّة للإتباع، وهي:

(1) الحجة 2/ 75 ، والتكملة ص 223 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 185 و 217، والخصائص 1/ 320 ، والمنصف 2/ 326 .
(3) الكتاب 3/ 541 و 542 .
(4) الخصائص 2/ 144 .
(5) المنتهى ص 175 .
(6) الكتاب 4/ 117 وقد صرَّح بلفظ: التقريب في 4/ 118.
(7) الانتصار لسيبويه على المبرّد ص 238 .
(8) الحجة ص 71 .
(9) الحجة 3/ 38 ، و 5/ 364 .
(10) الحجة ص 87 .
(11) التبصرة ص 119 .
(12) الرَّوضة 1/ 343 .
(13) الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة ل 39/ ب.
(14) الكتاب 4/ 146 .
(15) الكتاب 4/ 196 .

1 ـ قاعدة ثعلب: (العربُ **تُقرِّبُ** الحرفَ من الحرفِ إذا قَارَبَه، مثل الإدغام)[1].

2 ـ قاعدةُ الفارسيّ: (الحركةُ إذا كانتْ **للتقريبِ** من الحرف لم تُكْرَه، ولم تكنْ بمنزلةِ ما لا **تقريبَ** فيه)[2]. قالَها في بعضِ أنواعِ الإتباع الذي يُغيِّرُ البناءَ إلى ما يُستَكرَه أو ما لا يوجَدُ عربيَّةً ، ككسرِ أوَّل: (شِيُوخ، وجِيُوب، وشِعِير).

3 ـ قاعدةُ ابن جنيّ: (قد يُخَالفُ الإعرابُ لإيثار **تقريبِ** الصَّوتِ مِن الصَّوت) [3]. قالها في: (الحمدُ لله).

هذه هي المواضعُ السَّبعةُ التي استَعمَل فيها سيبويه ألفاظَ التقريبِ، وحمَل عليها موضعَي الإدغام وقلْبِ النون عند الباء ميماً، دون التصريح بلَفظِ التقريب فيهما، وإن كانت العلَّةُ الجامِعةُ واحدةً بين الكلِّ، وهي تحقيقُ التخفيف والانسجام، وهذا ما جعَل العلماءُ ـ بعد سيبويه ـ يَستعمِلُون ألفاظ التقريب في هذين الموضِعَين الأخيرَين، ويُضِيفُونَ إلى المواضعِ التي تقدَّمتْ أربعة مواضع أخرى، فتتكمَّلُ ثلاثةَ عشرَ موضعاً استُعمِلتْ فيها ألفاظُ التقريب.

والمواضعُ الستَّةُ المكَمِّلة لمواضع سيبويه هي:

8 ـ تقريب المدغم من المدغَم فيه في الإدْغَام: كتعريفِ الفارسيِّ للإدغام بأنَّه: **تَقْرِيبُ** الحرفِ الأوَّل من الثاني[4]. وعرَّفَه ابنُ جنيّ بأنَّه:"**تقريبُ** صَوْتٍ من صَوْتٍ"[5]. وعرَّفهُ الدانيُّ بأنَّه:"تخفيفٌ **وتَقريبٌ**"[6].

9 ـ تقريب النون من الباء في قَلْبِها إلى ميم: كقوْلِ المبرِّدِ عن النُّون:"وقَلَبُوهَا ميماً؛ لشَبَهِها الميمَ في الغُنَّةِ، ليَكُونَ العَمَلُ من وجهٍ واحدٍ في **تَقْرِيب** الحرف إلى الباء"[7].

10 ـ تقريبُ الحركَة من الحركة وحرف المد من حرف المدِّ بالإبدال: كقاعدةِ الفارسيِّ الصَّوتيَّة: (الحركاتُ وحروفُ المدِّ تُنَزَّلُ منزلةَ الحروفِ في **التقريب**)[8].

11 ـ تقريبُ المستَفِلِ من المستَعلي بالتفخيم: كاستِعمَالِ المبرِّدِ له في الكلماتِ التي تُقلَبُ فيها السينُ صاداً، مثل: سلَخْتُ وصَلَخْت، قال:"وإنَّما تُقْلَبُ **للتقريبِ** ممَّا بعدَها، فإذا لقِيَها حرفٌ من الحروف

(1) نقَل ذلك الأزهري عنه في معاني القراءات 1/ 125 .
(2) الحجة 2/ 282، وانظر استعمال ألفاظ التقريب في 1/ 62، و 133 .
(3) الخصائص 2/ 145 .
(4) الحجة 1/ 56 .
(5) الخصائص 2/ 139 . وانظر: 2/ 230 .
(6) الإدغام الكبير ص 40 .
(7) المقتضب 1/ 353 - 354 .
(8) الحجة 4/ 170 .

المستعلِية قُلِبت معه؛ ليكونَ تناولُهما من وجهٍ واحد"[1].

وتابعَه: ابن مجاهدٍ، لكن باختلاف الأمثلة[2]، وابن جنيّ[3].

12 . تقريبُ الحركةِ من الحرَكةِ بالإشمام في نحو: (قيل، ومذعور): ضَمَّه ابن جنيّ إلى مواضعِ التقريب[4].

13 . تقريبُ الحرفِ من الحرَكَة بالرَّومِ والإشمام: ضمَّهُما ابن جنيّ إلى مَوَاضعِ التقريب[5].

جمَع ابنُ جنيّ هذه المواضع كلَّها تحت قانونه العامّ في تقريب الصَّوت من الصَّوْت، والذي اختار له لفظ: (الادّغام الأصغَر أو الصَّغِير)، وسيأتي ذِكْره.

ومِن قواعدِ ابن جنيّ العامَّة في باب تقريب الصَّوتين من غير إدغام، والتي أختِمُ بها هذا الاستعمال:

1 . (**تقريبُ** الحرفِ من الحرفِ ضَرْبٌ من التَّطاوُلِ إلى الإدغام، وإن لم يُوصَلْ إليه).

2 . قولُه عن ثمرةِ تقريبِ الصَّوتين: (**تقريبُ** الحرفِ من الحرفِ ليس بمُصيِّرٍ **المُقَرَّبَ** إلى حرفٍ يُجاوِرُ **المقرَّبَ منه**، وإنَّما هي مضَارَعَةٌ وإيجادُ حروفٍ فُرُوعٍ غيرِ أصولٍ)[6].

3 . (**تَقريبُ** الحرفين المتباعِدَين أولى من **تقريب** المتقارِبَين للوضوح، كالكتابة بالسَّواد على البياض)[7].

المعنى الثاني: التقريب = جزءٌ مشاركٌ في التعبير عن مرتبة التوسُّط في المدّ:

ذكَر ابن مجاهدٍ عن أحمدَ بنِ يزيدَ الحُلْوانيّ أنَّه قال في وصف مدّ قالون عن نافعٍ :"إنَّه كان لا يَمُدُّ حرفاً لحرفٍ... فإذا كانت الهمزة من الكلمة... مدَّ الحروف مدًّا وسطاً بين المدّ والقصر... **ويُقرِّبُ بين المَمْدُودِ وغيرِ المَمْدود**"، قال ابن مجاهد:"وكذلك كان مذهب ابن كثيرٍ وأبي عمرو"[8].

معنى (مدُّ حرفٍ لحرف): المدُّ المنفصل.

ومعنى (الهمزة من الكلمة): أي في كلمة واحدة وهو يريدُ المدَّ المتصل.

ويعني بعبارة: (**ويُقرِّبُ بين الممدودِ وغيرِ الممدود**): أي يَجعَلُ مدَّ المتَّصِل على حالةٍ متوسِّطةٍ في المدّ،

(1) المقتضب 1/ 360 .
(2) السبعة ص 107 .
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 186 .
(4) الخصائص 2/ 144 .
(5) الخصائص 2/ 145 .
(6) سر صناعة الإعراب 2/ 817 .
(7) الخصائص 2/ 227 .
(8) السبعة ص 134 .

ولذلك قال: مدًّا وسطاً بين القَصْرِ والمدِّ، والتوسُّط تقريبٌ من القصر بخلاف الإشباعِ في المدِّ، والله أعلم.

المعنى الثالث: التقريب = القوةُ الضَّاغطةُ من أحد الجِسْمَين على الآخَر لإحداثِ الصَّوت:

استَعمَل ابن سينا: (**التقريب**) كجزءٍ أساسيٍّ في تعريفِ: (القَرْع)، فقال:"القَرْعُ: هو **تقريبُ** جِرْمٍ مَّا إلى جِرْمٍ مقاوِمٍ له لمزَاحمَتِه؛ **تقريباً** تَتْبَعُهُ مُمَاسَّةٌ عنيفةٌ لسُرْعةِ حركةِ **التقريب** وقوَّتِها"[1].

واستَعمله أيضاً كقوَّةٍ ضاغطَةٍ من اللِّسان على سطحِ الحنكِ في وَصْفِ خروجِ الشِّين الزائيَّة، قال:"ومِن ذلك شينٌ زائيَّةٌ تُسمَعُ في الفارسيَّةِ عند قولِهم: "زرف"، وهي شينٌ تَحْدُثُ عن **تقريبِ** اللِّسان مِن سَطْحِ الشَّجْر..."[2].

المعنى الرَّابع: التقريبُ = التَّيسيرُ:

استَعمل بعضُ العلماء هذا اللَّفظ بمعنى التيسير على المتعلِّم، فهناك سياسةٌ وأسلوبٌ يَستَعمِلُهُما المعلِّمُ بغرض التَّيسير على المتَعَلِّم المبتدئ، وإفهامِه أحكامَ الأداء. فالمعَلِّمون رُبَّما بَالَغوا في بعض الأحكام، أو نَهَوا عن بعضِها، أو وضَعوا مقاييس تقديريَّةً حقُّها أن تؤخَذَ مشافهةً، كلُّ ذلك بغرَض التبسيط على المتعلِّمين المبتدئين حتى تَرْتاضَ ألسنتُهم، فإذا ارتاضَتْ رَدُّوهم إلى الوجهِ الأكملِ والأمثَل.

فمن أمثلةِ ذلك تقديرُ زمنِ المدِّ بالألِفات . وفي عصرِنا بالحرَكات . بغرَضِ التقريب؛ لأنَّ هذا الزَّمن يؤخَذُ تلقِّياً، ويَصْعُبُ على المبتدئ ضبطُ ذلك في أوَّل الأمْر، فوضَعوا تلك المقاييس لذلك، قال طاهرُ بن غَلْبونٍ:"ولعلَّ بعضَ مَن غَلُظَ طَبْعُهُ وقلَّ عِلْمُهُ أن يُنكِرَ علينا هذا التقديرَ في المدِّ بمدِّ الألفات وبعضِها... وليس هذا بنكير؛ لأنَّا إنَّما قَصَدْنا به التحقيقَ في المدِّ، لئلاَّ يُتجاوَزَ به حدُّه في المدِّ، **والتقريبَ** على مستعمِلِه، ولم نَبتَدِع ذلك؛ لأنَّهُ قد سبَقَنا إليه أبو الطاهر وغيرُه من العلماء الذين عليهم المعتَمَدُ في تحصيلِ الدِّراية وصحَّة الرِّواية"[3].

وهذا النصُّ يدلُّ على أنَّ الزمنَ الذي اختُرِع فيه تقديرُ المدِّ بالألفات هو القرنُ الرَّابع الهجريّ.

ومِن حسنِ السِّياسة في التعليم ما ذكَرهُ مكيُّ بن أبي طالبٍ القيسيُّ عن بعضِ مشايخِه، قولَه:"كُنَّا نُميلُ أكثرَ اللَّفظِ في القرآن قبلَ مجيء الأنطاكيِّ[4]، فلمَّا وصَلَ ورأى ذلك منَّا أمَرَنا أن نُفَخِّمَ[5] كُلَّ مَا كُنَّا نُميلُهُ،

(1) أسباب حدوث الحروف ص57 .

(2) أسباب حدوث الحروف ص129 .

(3) التذكرة 1/ 176 - 177 .

(4) هو محمَّد بن الحسن بن عليّ، أبو طاهر الأنطاكيُّ، إمامٌ كبيرٌ ومقرئٌ شهير، أخَذَ القراءةَ عَرْضاً عن إبراهيم بن عبد الرزَّاق، وهو من جلَّة أصحابِه. روَى القراءةَ عنه عَرْضاً عليُّ بن داود الدانيُّ، وسماعاً: أبو الطيِّب بن غَلْبون . وأظنُّه المقصود من النصِّ؛ لأنَّ جلَّ روايات مكيٍّ عنه . قال الدانيُّ: خرَجَ من مصرَ إلى الشام فتوفِّيَ في مُنصرَفِه قبل سنة ثمانين وثلاثمائة. (غاية النهاية 2/ 118).

(5) التفخيم هنا بمعنى الفتح ضدّ الإمالة .

فمَا زِلْنا كذلكَ حتى رجَعَتْ ألسِنتُنا إلى التَّفْخيمِ، فلمَّا استَقَمْنا على التفخيمِ رَدَّنَا إلى التوسُّطِ من اللَّفظِ. وهذا مِن حُسْنِ سياسةٍ مِنْهُ رحمه الله تعالى... ونظيرُ هذا من قولِه: تقسيمُهُ المدَّ مقدار ألفٍ، ومقدارَ ألفَين **للتقريبِ** على المتعلِّمين، كَمَا وضَعَ مَن كانَ قَبْلَه..."[1].

المعنى الخامس: التقريب = مقارَبةُ الشيء من الشيء:

قال الدانيُّ:"وأطولُهم مدّاً في الضَّرْبَين جميعاً ورشٌ وحمزةُ، ودونهما عاصمٌ، ودُونه ابنُ عامر والكسائيُّ، ودونهما أبو عمرو من طريق أهل العراق، وقالونُ من طريق أبي نشيطٍ بخلافٍ عنه، وهذا كلُّه على **التقريبِ** مِن غير إفراطٍ، وإنَّما هو على مقدارِ مذاهبِهم في التحقيقِ والحَدْر، وبالله التوفيق"[2].

معناه أنَّ مذاهبَ القرَّاء في زيادةِ المدِّ أو نَقصِه قريبةٌ بعضُها من بعضٍ من غير إسرافٍ، ويؤكِّدُ ذلك قولُه في موضعٍ آخَر بعد نقلِه هذه المذاهب:"وليس لواحدٍ منهم مذهبٌ يُسْرِفُ فيه على غيرِه إسرافاً يَخْرُجُ عن المتَعارَفِ في اللُّغة، والمتَعالَمِ في القراءةِ؛ بل كلُّ ذلك **قريبٌ بعضُه من بعضٍ**، والمشافهةُ تُوضِّح حقيقتَه، والحكايةُ تُبيِّنُ كيفيَّتَه"[3].

المصطلح السَّابع والثامن للقوَّةِ الضَّاغِطة: (القَرْعُ والقَلْع):

تقدَّما عند الحديث عن أعضاء النُّطق.

ثانياً: الألفاظ التي عبَّرَتْ عن ضَغطِ عُضوَي النُّطق لإحداثِ الصَّوْت اللُّغويّ

يُعدُّ صوتُ الألفِ هو الوضعُ الأصليُّ لكلِّ الحروف من حيثُ إنَّه لا يتعرَّضُ لأيِّ مقاومةٍ من أعضاء النُّطق، إذا أغفَلْنا بالطَّبْع مقاومةَ الوترين الصَّوتيَّين.

أمَّا باقي الحروفِ فإنَّها تتَعرَّضُ لقوَّةٍ مؤثِّرَةٍ من أعضاء النُّطق تَقْطَعُ هذا الصَّوتَ في المخارج أو تُعيقُه عن حركتِه، فيُحَاوِلُ استِعادَةَ وضعِه الأصليِّ، وهي المقاوَمةُ التي تَحدُثُ منه، ويتولَّد عنها الأصداءُ المختلفةُ للحروف.

ومن هنا استَعمَل العلماءُ ألفاظاً عدَّة للتعبير عن القوَّة التي يؤثِّرُ بها أحدُ عُضْوَي النُّطق على الآخَر، وهذه الألفاظ منها ما استَعملَه العلماء في مخارجِ النُّطق عامَّةً، ومنها ما هو خاصٌّ بالمخارجِ اللِّسانيَّة، ومنها ما هو خاصٌّ بالمخارجِ الشفويَّة.

استُعمِلت عدَّةُ ألفاظٍ في التعبير عن ضغطِ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر أو انقلاعهما عن بعضِهما

(1) رسالة تمكين المد ص 45 - 46 .
(2) التيسير ص 30 - 31 .
(3) جامع البيان 2/ 443 .

لإحداث صوت الحرف، منها:

1 . **مصطلحاتٌ خاصَّةٌ بأعضاء النُّطق عامَّة:**

1 . (الإلْزامُ) 2 . (اللُّزُومُ) 3 . (الضَّمُّ) 4 . (الاعْتِمادُ) 5 . (الرَّفْعُ، الارتِفاعُ) 6 . (الإعادة) 7 . (الزَّوال، المزايَلَة) 8 . (التجافي) 9 . (التَّضيِيقُ) 10 . (الإطباقُ) 11. (الشدّ).

2 . **مصطلحاتٌ خاصَّةٌ باللِّسان:**

1 . (الغَمْزَةُ) 2 . (الهَمْزَةُ) 3 . (الانبِسَاطُ) 4 . (الإدارَةُ) 5 . (الرَّدُّ) 6 . (الوَضْعُ) 7 . (التَّطَأطُؤُ) 8 . (العَطْفَةُ)

3 . **مصطلحاتٌ خاصَّةٌ بالشفتَين:**

1 . (التَّطْويلُ) 2 . (الجَمْعُ) 3 . (الالتِقَاءُ)

والخلاصة: إنَّ أيَّ تحرُّك من أحدِ عُضوي النُّطق بغرض إحداث صوتِ الحرف يُستَعمَل له مثل هذه الألفاظ، ولا يُحَدُّ بها؛ إذ هناك ألفاظٌ كثيرةٌ استُعمِلت، وحسبُك من القلادةِ ما أحاطَ بالعُنق.

1 . **مصطلحاتٌ خاصَّةٌ بأعضاء النُّطق عامَّة:**

المصطلحُ الأوَّل للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: (الإلْزامُ) :

من أَلْزَمَهُ الأمرَ إلْزَاماً، يدلُّ أصلُه على مصاحبةِ الشيء بالشيء دائماً[1].

استَعمل سيبويه: **(الإلزام)** في وصف انطباق الشفتين في الميم والباء، قال عن الميم:"والميمُ كالباءِ في الشِّدَّةِ **وإلزامِ** الشَّفَتَين"[2].

وعمَّم الكنديُّ استعماله، ليشمل التعبير عن ضغط أحد عُضوي النُّطق على الآخَر في عدة حروف، منها: الظاء والزاي والسين، والضاد، والشين، والكاف، والياء، والتاء، والفاء، والميم[3]، فمثلاً: الياءُ "تَحْتاجُ إلى نَغْمَةٍ مع **إلْزَامِ** جَانبَيِ اللِّسانِ جَانِبَيِ الأرْحِيَةِ بكَسْرَةٍ"[4]، والميمُ تَتِمُّ بـ:"**إلزام** الشفتَين"[5].

المصطلحُ الثاني للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: (اللُّزُومُ):

(1) مقاييس اللُّغة ص 918 (ل ز م).
(2) الكتاب 4/ 453.
(3) رسالة في اللُّغة ص 525 - 528.
(4) رسالة في اللُّغة ص 525.
(5) رسالة في اللُّغة ص 525.

من المشترك اللَّفظيّ، من لَزِمَ الأمرُ لُزُوماً، يدلُّ أصلُه على مصاحبةِ الشيء بالشيء دائماً[1].

استُعمِل: (اللُّزُومُ وألفاظه: لَزِم، يَلْزَم) في أكثر من معنًى صوتيّ، منها:

أ ـ ضغطُ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر بحيث يلزمُ حالةً واحدةً، وعكسُه حينئذٍ: (التجافي).

واستُعمِل بهذا المعنى في أكثرَ من مَوطنٍ صوتيّ، منها:

1 ـ إحداثُ صوت الحرف 2 ـ جزءٌ مشاركٌ في التعبير عن ثمرةِ الإدغام 3 ـ جزء مشاركٌ في تعريف الشدَّة 4 ـ جزءٌ مشاركٌ في تعريف الجهر.

ب ـ ما يَلْزَمُ الأبنيةَ ولا يُفَارِقُها من حرفٍ وحركةٍ.

أ ـ المعنى الأوَّل: اللُّزُومُ = ضغطُ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر بحيث يلزمُ حالةً واحدةً، وعكسُه حينئذٍ: (التجافي).

استُعمِل بهذا المعنى في أكثرَ من مَوطنٍ صوتيّ، منها:

1 ـ الموطنُ الأوَّل: اللُّزُومُ = ضغطُ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر لإحداثِ صوتِ الحرف:

استعملَه الكنديُّ في الميم والقاف، قال عن القاف:"تحتاجُ إلى إلْزامِ الغَلْصَمَةِ الخَيَاشيمَ **لُزُوماً** شديداً، وتَفَرُّقٌ فيما بين ذلك بدَفعِ النَّفَس بقوَّة"[2].

2 ـ المَوْطن الثاني: اللُّزُومُ = ضغطُ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر كجزءٍ مشاركٍ في التعبير عن ثمرةِ الإدغام:

ذكَر الدانيُّ أن المدغَمَين"يَصِيران بتداخُلِهما كحرفٍ واحدٍ يرتَفِعُ اللِّسانُ عنهما ارتِفاعةً واحِدةً، **ويَلْزَمُ** مَوْضِعاً واحداً"[3].

وقال:"ويُشَدُّ الحرفُ **ويَلْزَمُ اللِّسانُ** مَوضعاً واحداً، غير أنَّ احتِباسَهُ في مَوضع الحرف، لِما زِيد فيه من التضعيفِ أكثرُ من احتباسِه فيه بالحرف الواحدِ"[4].

والدانيُّ هنا يتحدَّثُ عن الإدغام المحْض الذي لا يَبقى فيه شيءٌ من صفات الحرف الأوَّل.

3 ـ الموطن الثالث: اللُّزُومُ = ضغطُ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر كجزءٍ مشاركٍ في تعريف

(1) مقاييس اللُّغة ص 918 (ل ز م).
(2) رسالة في اللُّغة ص 526.
(3) الإدغام الكبير ص 40 .
(4) التحديد ص 99 .

الشدَّة والرَّخاوة والبَيْنِيَّة:

استَعمل سيبويه: (**اللُّزوم**) في وصف انطباق الشفتين في الميم والباء، قال:"ولم يُدْغِمُوا الميمَ في النُّونِ؛ لأنَّها لا تُدْغَمُ في الباء التي هي مِن مخرجِها ومثلُها في الشدَّةِ **ولُزُومِ** الشفتَين..."[1].

وذكَر صُعُوبةَ الإظهار في نحو: (اضْبِطْ دَلاَما، واضْبِطْ تِلْكَ، وانقُدْ تِلْكَ، وانعَتْ دَلاما) للمخرجِ الواحدِ، قال:"وهو يَثْقُلُ التكلُّمُ به لشِدَّتِهِنَّ **ولِلُزُومِ** اللِّسَانِ مَوضِعَهنَّ لا يَتَجَافَى عنه"[2].

وقال عن النُّون والميم:"ومنها حرفٌ شديدٌ يَجْرِي معه الصَّوتُ؛ لأن ذلك الصَّوتَ غُنَّةٌ من الأنفِ، فإنَّما تُخْرِجُهُ من أنفِك واللِّسانُ **لازِمٌ** لموضِعِ الحرْفِ؛ لأنَّكَ لو أمسَكْتَ بأنفِك لم يَجْرِ معه الصوتُ. وهو النُّونُ وكذلك الميمُ"[3].

من وحيِ نصُوصِ سيبويه استَعمل بعضُ العلماءِ ألفاظ: (**اللُّزوم، لزِمَ، يَلْزَمُ**) في تعريفِ الشدَّةِ والرَّخاوةِ والبَيْنِيَّة، وكلُّها تَرجِعُ إلى شيءٍ واحدٍ، وهو أن يُغْلَق مجرى النُّطق غَلْقاً كاملاً.

فقد عرَّف السيرافيُّ مصطلح: (الأخرس) عند الفرَّاء، قال:"وأراد بالأخْرَسِ الحروفَ الشديدةَ التي **يَلْزَمُ** فيها اللِّسانُ مكانَه"[4].

ومع أنَّني أظنُّ أنَّ الفرَّاءَ لا يَقْصِدُ ذلك[5]، فإنَّ الذي يُهِمُّنا هو قولُه: (**يَلْزَمُ** فيها اللِّسانُ مكانَهُ)، الذي نُدْرِكُ من خلالِه مفهومَ السيرافيّ لـ: (اللُّزوم)، وهو أن يُغْلَق مجرى الصَّوْتِ غَلْقاً كاملاً، كما في الحروف الشديدة، ولذلك قال بعد ذلك:"وإنَّما صارَ أخرسَ؛ لأنَّهُ **يَلْزَمُ** مَكَانَهُ ولا يَجْرِي فيه الصَّوتُ"[6].

وعرَّف الرمَّانيُّ الشديدَ بأنَّه:"حرفٌ **قَوِيَ لُزُومُهُ** لِمَوضِعِه حتى مَنَعَ النَّفَسَ أن يَجْرِيَ معَه"[7].

وعرَّف مكيٌّ الشديد، فقال:"حرفٌ **اشْتَدَّ لزُومُهُ** لِمَوضِعِهِ **وقَوِيَ فيه** حتى منَع الصوتَ أن يَجْرِيَ معَه"[8].

وعرَّف الدانيُّ الشديد، فقال:" حرفٌ **اشْتَدَّ لزُومُهُ** لِمَوضِعِهِ حتى منَع الصوتَ أن يَجْرِيَ معَه"[9].

(1) الكتاب 4/ 456.
(2) الكتاب 4/ 461 .
(3) الكتاب 4/ 435 .
(4) ما ذكَره الكوفيُّون من الإدغام ص 59 .
(5) انظر: مصطلح: (المصوّت)، و (الأخرس)، و (غير المصوّت) .
(6) ما ذكَره الكوفيُّون من الإدغام ص 63 .
(7) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب .
(8) الرعاية ص 117 .
(9) التحديد ص 105 .

واضحٌ أنَّ مكيًّا والدانيَّ يَحُومَان حول تعريفِ الرُّمانيّ، ولك أن تتساءلَ عن تطابق بعض العبارات في نصَّيْهما، فلا أدري هل نقَل الدانيُّ من مكيٍّ[1]، أم أنهما يستندان إلى مصدر واحدٍ ؟!

وعرَّف القرطبيُّ الشديد بأنَّه:"حرفٌ **لَزِمَ** مَوْضِعَه، فمنَع الصَّوتَ أن يجريَ فيه"[2].

وعرَّف ابنُ الطحَّان الشَّديدَ بأنَّه:"قوَّةُ الاعتِمَادِ **ولزُومُهُ** مَوْضِعَ الحَرْفِ حتى منع الصَّوتَ أن يَجْرِي معه"[3].

وعرَّف الهمَذانيّ الشَّديدَ بأنَّه:"ما **لَزِمَ** مخرجَه..."، والرِّخوَ بأنَّه:"ما **لَمْ يَلْزَمْ** مَخْرَجَهُ **لُزُومَ** الشَّدِيدِ"[4].

وعرَّفَ الدانيُّ الحروفَ التي بين الشديدة والرِّخوة بأنَّها:"**اشتدَّ لزومُها لموضعِها**، ثمَّ تَجافى بها اللِّسان عن موضعِها فجَرى فيها الصوتُ لتجافيها"[5].

وعلَّل أبو العلاء لتسمية النون والميم بـ: (الأغنّ)، فقال:"وإنَّما سمِّيَ هذا الصَّوتُ غُنَّةً لِجَرْيِه مع النُّونِ والميمِ بعد **لُزُومِ اللِّسانِ موضِعَهما**"[6]. وهذا التعليل يرجعُ لأحد نصوصِ سيبويه التي تقدَّمتْ في أوَّلِ هذه النقطة، والذي يَعنِينا منه هو توظيفُ مصطلح: (اللُّزوم) في التعليل.

4. الموطن الرابع: اللُّزُومُ = ضغطُ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر كجزءٍ مشاركٍ في تعريف الجهر:

عرَّف الهمَذانيّ المجهورَ بأنَّه:حرفٌ "**لَزِمَ** مخرَجَهُ، وحبَسَ النَّفَسَ أن يَجريَ معهُ لإشباعِ الاعتِمَادِ على مَوضِعِه"[7].

استِعمالُ لَفظ: (**اللُّزوم**) في تعريفِ الجَهر من أنواع توسيع الدَّلالة عند من جاء بعد سيبويه، فسيبويه لم يقُل أبداً بلزومِ المخرج في الحرف المجهورِ، إنَّما استَعمَل مصطلح اللُّزوم مع الحروف الشديدة، والتي يلْزَمُ فيها اللِّسانُ الحنكَ بحيث يَمتَنِعُ جَرْيُ الصَّوت، كما في النُّون والطاء والدال والتاء، أو في الباء والميم حيثُ تَلْزَمُ الشفتَانِ بعضَهما، وتابعَه العلماءُ على ذلك كما مرَّ في النقطة السابقة.

فلا دَخْلَ للزومِ المخرجِ أو التَّجَافي عنه في الحرف المجهور، إنَّما يُشتَرَطُ فيه إشباعُ الاعتمادِ على المخرج، وهو الشِّقُّ الثاني من التعريف، وسيأتي تفسيرُه في: (الاعتِماد) إن شاء الله تعالى.

---

(1) قلت ذلك لأن مكّياً قال في أوَّل كتابه ص52:"وما علِمتُ أنَّ أحداً من المتقدِّمين سبَقَني إلى تأليفِ مثلِ هذا الكتاب... " اهـ.

(2) الموضح ص 89 .

(3) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .

(4) التمهيد ص 280 .

(5) التحديد ص 106 .

(6) التمهيد ص 282 .

(7) التمهيد ص 288 .

ب . المعنى الثاني: اللُّزُومُ = ما يَلْزَمُ الأبنيةَ ولا يُفَارِقُها من حرفٍ وحركةٍ:

استَعمل المبرِّدُ: (اللُّزُوم) في وجوب إدغام المثلين في كلمة، وجواز الإظهار والإدغام إن كانا من كلمتين، في قاعدةٍ صوتيَّة عنوانُها: (يَلْزَمُ الإدغامُ على قَدْرِ **لُزُومِ** الحَرف)، قال:"وإنما يَلْزَمُ الإدغامُ على قدْر **لُزُوم الحرف**، ألا تَرَى أنَّها إذا كانت في كلمةٍ واحدةٍ لم يَجُزِ الإظهارُ إلاَّ أن يَضْطَرَّ الشاعرُ فيَرُدَّ الشيءَ إلى أصله نحو: رَدَّ وفَرَّ ودَابَّة وشَابَّة؛ لأن الباءَ الأولى **تَلْزَمُ** الثانية. فأمَّا قَولُهم: أنتُما تُكَلِّمانِنِي وتُكَلِّمَانِّي... فلأنَّ الثانيةَ منفصلةٌ من الأولى"[1].

وذكَر الدانيُّ أنَّ علَّةَ إدغامِ النُّون في اللاَّم في نحو: [وَنَحْنُ لَهُ] مع سكُونِ ما قبْلَه "**لِلُزوم حَرَكتِها** وامتناعِها من الانتقال عن الضَّمِّ إلى غيرِه، وليس ما عدَاها كذلك"[2].

المصطلح الثالث للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: (الضَّمُّ):

من المشترك اللَّفظي، يدلُّ أصلُه اللُّغوي على ملاءمةٍ بين شيئَين، يقال: ضمَمْتُ الشيء إلى الشيء، فأنا أضمُّه ضمّاً[3].

استُعمل: (الضَّمُّ) في أكثرَ من معنى، منها:

1. استدارة الشفتَين 2 . الرَّفع 3 . التحريكُ بالضَّمَّةِ في أوَّل الكلمةِ ووسَطِها 4 . علامةٌ من علامات المبنيَّات 5 . الضمَّة 6 . ضغطُ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر لإحداثِ صوتِ الحرف 7 . صِلَةُ ميم الجمع نحو: عليهِمُو 8 . إشمام الحركة في نحو: (قيل وغيض) 9 . جزء مشاركٌ في الإشمام 10 . تفخيم الألف نحو الواو 11 . جزء مشاركٌ في صلة هاء الضمير المضمومة نحو: مِنْهُو 12 . قَصرُ صلة هاء الضَّمير نحو: منهُ 13 . الهمزة المسهَّلة المضمومة.

1 . المعنى الأوَّل: الضمُّ = استدارةُ الشفتين:

يُعَدُّ استِعْمَالُ أبي الأسودِ الدُّؤَلِيّ لـ: (الضَّمِّ) بمعنى استدارة الشفتَين في الضمَّة أوَّلَ ولادةٍ لإحدى علاماتِ الإعراب على أواخر الكلمات، قال ذلك في حديثه المشهورِ للكاتب الذي يَنقُطُ المصحف:"وإذا **ضَمَمْتُ** فَمِي فانقُطْ نُقطةً بين يدَي الحرف"[4].

وكان الغرضُ من هذا حمايةَ النصِّ القرآنيّ من اختلالِ المعنى الناشئِ من تغيُّرِ الحركة الإعرابيَّة، قال أبو

(1) المقتضب 1/ 387 .

(2) جامع البيان 2/ 423 .

(3) مقاييس اللُّغة ص 573 (ض م م).

(4) طبقات النحويّين للزبيديّ ص29. وانظر: أخبار النحويين البصريّين للسيرافيّ ص 35 .

الطيِّب اللُّغويُّ:"إنَّ أوَّلَ ما اختلَّ مِن كلام العرب فأحوجَ إلى التعلُّمِ الإعرابُ"[1].

ولعلَّ العلَّة في اختيار أبي الأسود مصطلح: (الضَّمّ) دون (الرَّفْع) مع تقدُّم هذا الأخيرِ في الزَّمَن، كما سيأتي، هو أنَّ الضمَّ صفةٌ لحركةِ العُضْو، أعني: الشفتَين، أمَّا: (الرَّفْعُ) فهو صفةٌ للصَّوت، أعني صوتَ الضَّمَّة، قال السُّهيليُّ:"فقولُنا إذاً: فتحٌ، وضمٌّ، وكسرٌ، وسكونٌ، هو من صفةِ العُضو، وإذا سمَّيناها رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً، فهي من صفة الصَّوت؛ لأنَّه يَرتفِعُ عند ضمِّ الشَّفتَين، ويَنتَصِبُ عند فتحِهما، ويَنْخَفِضُ عند كسرِهما، ويَنجَزِمُ عند سكونِهما"[2]. وصدَّر أبو الأسود كلامَه للكاتب بقوله: (إذا رأيتَني).

استَعمل هذا المصطلح بمعنى استدارة الشفتَين عددٌ من العلماء، منهم: سيبويه[3]، وابن السراج[4]، وابن جنيّ[5]، ومكّيّ[6]، والدانيّ[7]، والقرطبيّ[8].

2. المعنى الثاني: الضَّمُّ = الرَّفع:

لم يُفرِّقْ أبو الأسود الدُّؤليُّ بين العلامات الخاصَّة بالإعراب والبناء في تلك المرحلةِ المبكِّرة، فيُفرِد لكلٍّ منها اسماً خاصًّا؛ وأتى التفريقُ متأخِّراً على يدِ سيبويه، ذكَرَ ذلك السيرافيُّ، فقال:"اعلم أن سيبويه لقَّب الحركات والسُّكون هذه الألقاب الثمانية..."[9].

وقد انفَرَد الخُوارِزْميُّ بنقْلِ مصطلحاتٍ نسَبَها للخَلِيل في وُجُوهِ الإعراب، ومنها مصطلحُ **الضَّم**، قال:"**والضَّمُّ**: ما وقَع في أعجازِ الكلمِ غير مُنَوَّنٍ، نحو: يَفْعَلُ"[10]. يعني رفع الفعل المضارع.

وقد طلَبتُ هذا المصطلح بهذا المعنى في كتاب العين، فلم أعثر عليه، ولا حتى أكثر معاني المصطلحات الأخرى التي نسَبَها للخليل، بَلْه الكتب الأخرى التي اعتمدتُّ عليها في البحث، فلا أدري من أين له هذه المعاني؟!

وإذا ثَبَتَ هذا المصطلحُ بهذا المعنى للخليل فإنَّهُ يُعَدُّ أقدَمَ استعمالٍ لِلَفظِ: (**الضَّمّ**) بمعنى الرَّفْع، والله أعلم.

(1) مراتب النحويين ص 23 .
(2) نتائج الفكر ص 84 .
(3) الكتاب 4/ 171 و 4/ 435.
(4) الأصول 3/ 404.
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 8 .
(6) الرعاية ص 127 .
(7) التحديد ص 107.
(8) الموضَح ص 91.
(9) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 65 .
(10) مفاتيح العلوم 54 .

استَعمَل لفظَ: (**الضَّمّ**) بمعنى الرَّفع الإعرابيّ إذا تجَاوَزْنا الخُوارِزميَّ: أبو الفضلِ الخزاعيُّ[1]، وابن بلّيمة[2].

3. المعنى الثالث: الضَّمُّ = التحريك بالضَّمة في أوَّل الكلمة ووسطها:

قديمٌ، استَعملَه بهذا المعنى كثيرٌ من العلماء لا يُحْصَون، منهم:

الخليلُ[3]، وسيبويه[4]، والفرَّاءُ[5]، والأخفشُ[6]، وأبو عبيدة[7]، وابنُ السكِّيت[8]، وابنُ قتيبة[9]، والزجَّاجُ[10]، وابنُ مجاهد[11]، وابن خالويه[12]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[13]، وابن مهران[14]، وابن زنجلة[15]، وأبو العزِّ القلانسيُّ[16]، وأبو البركات ابنُ الأنباريّ[17]، وغيرُهم كثير.

4. المعنى الرَّابع: الضَّمُّ = علامة من علامات المبنيَّات:

مِن وضعِ سيبويه للأسماء والحروف المبنيَّة[18].

وتابعَه رجالُ مدرستِه ومَن تبنَّى تقسيمَه، منهم: المبرِّدُ[19]، وابن السرَّاج[20]، والسِّيرافيُّ[21].

5. المعنى الخامس: الضَّمُّ = الضَّمَّة:

استَعمَلَه من العلماء: الفرَّاء[1]، والمبرِّدُ[2]، وابن السرَّاج[3]، والسيرافيُّ[4]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[5].

---

(1) المنتهى ص 157.
(2) تلخيص العبارات ص 71 .
(3) العين 1/ 304 و 2/ 209، و 296، و 3/ 160 و 5/ 203.
(4) الكتاب 3/ 287، و4/
(5) معاني القرآن 3/ 98.
(6) معاني القرآن 1/ 149 .
(7) مجاز القرآن 1/ 207 .
(8) إصلاح المنطق ص 132 .
(9) أدب الكاتب ص 30 .
(10) معاني القرآن وإعرابه 1/ 435 .
(11) السبعة ص 178 .
(12) الحجة ص 80 .
(13) الحجة 6/ 324، و 370 .
(14) المبسوط ص 381 .
(15) الحجة ص 81 .
(16) الإرشاد ص 439.
(17) الإنصاف في مسائل الخلاف 1/ 286.
(18) الكتاب 4/ 13 وما بعدها.
(19) المقتضب 1/ 142.
(20) الأصول 1/ 45 .
(21) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 65.

مثال: قال المبرِّدُ:"فأمَّا رفعُ الواحدِ المعْرَب غيرِ المعتلِّ **فالضَّمُّ**، نحو قولك: زيدٌ، وعبدُ الله، وعمرٌو"[6].

6 . المعنى السادس: الضَّمُّ = ضغطُ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر لإحداثِ صوتِ الحرف:

واستُعمِل بهذا المعنى في أكثرَ من موطنٍ، منها:

1 . استدارةُ الشفتين في الواو والضمة، وهو نوعٌ من ضغط عضوي النُّطق على الآخَر، كما تقدَّم عند أبي الأسود الدؤليّ.

2 . ضغطُ أيٍّ من أعضاء النُّطق لإحداث الصَّوت:

استَعمَل سيبويه: (**الضمَّ**) في وصف ضغطِ أيٍ من أعضاء النُّطق لإحداثِ صوتِ الحرف، قال عن حروف المدِّ:"وهذه الحروفُ غيرُ مهموساتٍ، وهي حروفُ لِينٍ ومَدٍّ، ومَخَارجُها متسعةٌ لهواءِ الصَّوت، وليس شيءٌ من الحروف أوسعَ مخارجَ منها، ولا أمَدَّ للصَّوت، فإذا وقَفتَ عندها **لم تَضُمَّها** بشَفَةٍ ولا لِسَانٍ ولا حَلْقٍ **كضَمِّ** غيرِها"[7].

أُنظُرْ إلى دقَّةِ قوله: (**كضمِّ** غيرها)، فهو قد لاحَظ استدارةً للشفتَين في الواو، وارتفاعاً لوسط اللِّسان في الياء غير أنها تحرُّكاتٌ لا تُعيق مرور الصَّوت، كإعاقةِ الحروف الجَوامد.

واستعمل الكنديُّ (**الضَّمَّ**) في وصف خروج الجيم حيث تتمُّ بـ:" **ضَمِّ** جانبَي اللِّسان إلى جانبَي الأرحية والحنك"[8].

3 . إطباقُ الشفتين في الباء والميم:

استَعمَل سيبويه: (**الضمَّ**) في وصف إطباقِ الشفتين في الميم، قال:"وكذلك الميمُ؛ لأنَّك **تَضُمُّ** شَفَتَيْكَ ولا تُجَافِيهِما"[9].

واستعملَ الفرَّاء: (**انضمام** الشفتَين) بمعنى انطباقهما[10].

(1) معاني القرآن 2/ 13 .
(2) المقتضب 1/ 142، و 144 .
(3) الأصول 1/ 45 .
(4) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 68 .
(5) أسرار العربية ص 32 .
(6) المقتضب 1/ 142، و 144 .
(7) الكتاب 4/ 176.
(8) رسالة في اللُّغة ص 524.
(9) الكتاب 4/ 175 .
(10) نقل السيرافيُّ ذلك في كتاب: ما ذكره الكوفيُّون من الإدغام ص 59.

واستعمل الكنديُّ: (**الضَّمَّ**) في وصف مخرجَي الباء والميم، قال عن الباء:"نقول في الباءِ: إنَّها تحتاجُ إلى نَغْمَةٍ مع **ضمِّ** الشفتَين"[1].

7 . المعنى السابع: الضَّمُّ = صِلَةُ ميم الجمع (علَيْهِمُو):

من التعبيرات التي استعمل القراءُ فيها: (**الضَّمَّ**) للتعبير عن صلة ميم الجمع:

1 . (**الضمُّ**): نُصَيرُ بنُ يوسف[2]، وأحمدُ بنُ يزيدَ الحُلْوانيُّ[3]، وأبو الفضلِ الخزاعيُّ[4]، والدانيُّ[5]، وأبو مَعْشَرٍ الطبريُّ[6].

2 . (**ضَمُّ** الميمِ بواوٍ): مكيُّ بن أبي طالبٍ القيسيُّ[7].

3 . (**ضمُّ** الميم وإلحاقُها واواً في اللَّفظ): الدانيُّ[8].

4 . (**ضمُّ** ميم الجمع وإتباعُها واواً في اللَّفظ): إسماعيلُ بن خَلَفٍ الأندلسيُّ[9].

8 . المعنى الثامن: الضَّمُّ = إشمام حركة المضموم:

قال الدانيُّ عن استعمال لفظ: (**الضمّ**) للتعبير عن الإشمام:"والعِبارةُ عن ذلك بالرَّفعِ **والضمِّ**، كالعبارةِ عن الإمالة بالكسرةِ والإمالةِ والإضجاعِ، وهي مجازٌ واتِّساعٌ"[10].

استَعمَل عددٌ من القراء: (**الضَّمَّ**) للتعبير عن إشمام الحركة في نحو [قيل] ، فمنهم من ذكَرَ لفظ: (**الضمَّ**) مطلقاً، ومنهم من قيَّد هذا الضمَّ بقوله: (ضمُّ أوائل أو أوَّل...):

فمن الذين استَعمَلوا لفظ: (**الضَّم**) مطلقاً: عُبَيدُ بن عقيل[11]، وأحمد بن يزيدَ الحُلْوانيُّ[12]، وعبد الله بن ذُكوان[13].

---

(1) رسالة في اللُّثغة ص 524 .
(2) المنتهى ص 234 .
(3) نقَل ذلك عنه في المنتهى ص 232.
(4) المنتهى ص 232.
(5) المطبوع من جامع البيان 1/ 50 .
(6) التلخيص ص 202 .
(7) التبصرة ص 56 .
(8) المطبوع من جامع البيان 2/ 372 .
(9) العنوان ص 41 .
(10) جامع البيان ل 112/ ب ، وانظر له أيضاً: الموضح في الإمالة ل 1/ ب .
(11) السبعة ص 143 .
(12) السبعة ص 143 .
(13) الثلاثة في السبعة لابن مجاهد ص 143 .

ومن الذين حدَّدوا اللَّفظ بـ: (**ضمّ** أوَّل أو أوائل...): ابنُ مجاهدٍ[1]، وابنُ مهران[2]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[3].

ويَلزَم في هذا المقام أن أنبّه إلى أنَّ التحريرَ في القراءات وتقييدَ عبارات الأقدمين بدأت من عصر ابن مجاهد.

9 . المعنى التاسع: جزءٌ مشاركٌ في الإشمام:

يعني إشمام الحركة، وهو عبارةٌ عن **ضمِّ** الشفتَين إشارةً إلى حركة **الضمِّ**، وهي تنقسِمُ إلى قسمَين:

1 . بِصَوْتٍ **وضمٍّ** للشفتين، في نحو: [قيل] .

2 . **بضمٍّ** للشفتين بلا صوتٍ للضمَّة بعد سكون الحرفِ في نحو النُّون الأولى من: [تأمَنَّا]، والدال من: [من لَدْنِهِ] في رواية شعبة عن عاصم، والنُّون الأخيرةُ من: [نَسْتَعينُ] عند الوقف.

كلُّ هذا في بعض القراءات.

مثال: قال ابن مجاهد عن مذهب القراء في [تأمَنَّا] :"كلُّهم قرأ: [تأمَنَّا] بفتحِ الميم، وإدغامِ النُّونِ الأولى في الثانية، والإشارةِ إلى إعراب النُّون المدْغَمَة **بالضمِّ**"[4].

10 . المعنى العاشر: الضَّمُّ = تفخيم الألف نحو الواو:

استَعمل خارجةُ بن مصعب، وإسماعيلُ بن إسحاق القاضي وغيرُهما: (**الضمَّ**) في وصفِهم لقراءة الحسن البصريّ في الكلمةِ القرآنيَّة [كهيعص]، واختلفَت أقوالهم، قال أبو جعفر النحَّاس:"وحكى خَارِجَةُ أنَّ الحسنَ كان **يَضُمُّ** (كاف)، وحكى غيرُه أنَّه كان **يَضُمُّ**: (ها)، وحكى إسماعيلُ بنُ إسحاق أنَّ الحسن كان **يَضُمُّ**: (يا)" [5].

والقراءة شاذَّةٌ في كلِّ الأحوال، وواضحٌ اضطرابُ الرِّوايةِ فيها، والذي يعنينا منها هو أنَّ (**الضمَّ**) في قول الحسن معناه تفخيم الألف نحو الواو، قال النحَّاس معلِّقاً على النصِّ الذي تقدَّم:"فأمَّا قراءةُ الحسن فقد أشكَلَتْ على جماعةٍ حتى قالوا: لا تَجُوزُ، منهم أبو حاتم. والقولُ فيها ما بيَّنَه هارونُ القارئُ، قال: كان الحسنُ يُشِمُّ الرَّفعَ، فمعنى هذا أنَّه كان يُومئ، كما حكى سيبويه أنَّ من العربِ مَن يَقولُ: (الصَّلَوة والزَّكَوة)

(1) السبعة ص 143 .
(2) المبسوط ص 115.
(3) المنتهى ص 241 .
(4) السبعة ص 345 .
(5) إعراب القرآن 3/ 3 .

يُومِئُ إلى الواو، ولهذا كُتِبتْ في المصاحفِ بالواو"[1].

واحتجَّ لها ابنُ جنيّ، وعدَّها كذلك ضَرْباً من التفخيم نحو الواو [2].

11 . المعنى الحادي عشر: الضَّمُّ = جزء مشاركٌ في صلة هاء الضمير المضمومة:

. (ضمُّ الهاء وإثباتُ واوٍ بعدَها): ابن خالويه[3].

12 . المعنى الثاني عشر: الضمُّ = قصرُ صلةِ هاءِ الضَّمير :

أكثرُ التعبيرات التي استعملها القراءُ فيها: (الضَّمَّ) للتعبير عن قصر صلة هاء الضَّمير المضمومة في نحو: [مِنْهُ] و [عَنْهُ]، تَكشِف بوضوح إدراكَهم علاقةَ الحركةِ بحرفِ المدِّ، فمن هذه التعبيرات:

1 . (**الضَّمُّ** من غَير إشباعٍ): سُلَيم بنُ عيسى (راوي الإمام حمزة) [4]، وابن ذَكوان[5]، وأحمدُ بنُ يوسف التغلبيُّ[6]، وابنُ زَنْجَلَة بزيادة: (اكتفاءً بالضمَّة عن الواو) [7]، وابن بَلّيمة[8].

2 . (إشمامُ **الضَّمِّ**): خلفُ بنُ هشام، والحسنُ بن المبارك المعروف بابن اليتيم[9].

3 . (**الضَّمُّ** مِن غَير أن يَبْلُغَ بالضَّمَّةِ الواو): ابن مجاهد[10].

4 . (**الضَّمُّ** مِن غَير بُلُوغِ واوٍ): ابن مجاهد[11]، وابن سفيان القيروانيُّ[12].

واستَعملَ مكيٌّ هذا التعبيرَ في ردِّه على بعضِ قرَّاء المغربِ من رواةِ ورشٍ الذين كانوا يُشبِعون ضمَّةَ الدَّال حتى تتولَّد واوٌ من قوله تعالى: [إيَّاك نَعبُدُ] منبّهاً على أنَّ حركةَ الدَّالِ حركةٌ كامِلةٌ لا يتولَّدُ عنها حرفُ مدٍّ[13].

(1) إعراب القرآن 3/ 4 .
(2) المحتسب 2/ 36 .
(3) الحجة ص 308 .
(4) السبعة ص 561 .
(5) جامع البيان ل 135/ أ .
(6) جامع البيان ل 217/ أ.
(7) الحجة ص 290.
(8) تلخيص العبارات ص 94 .
(9) كلاهما في السبعة ص 561 .
(10) السبعة ص 130.
(11) السبعة ص 388.
(12) الهادي 1/ 60 .
(13) التبصِرة ص 54 .

5 . (**الضَّمُّ**): أبو جعفر النحَّاس[1]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[2].

6 . (**ضمُّ** الهاء بغير واوٍ): أبو جعفر النحَّاس[3].

7 . (**ضمُّ** الهاء **مُخْتَلَسَةً**): ابن خالويه[4].

8 . (**ضمُّ** الهاء ضمَّةً **مُخْتَلَسَةً**): طاهرُ بنُ غَلْبون[5].

9 . (**ضمُّ** الهاءِ من غيرِ صلةِ واو): مكيُّ بن أبي طالبٍ القيسيُّ[6]، والدانيُّ[7].

13 . المعنى الثالث عشر: الضَّمُّ = تسهيل الهمزة المضمومة:

استَعمل بعضُ القرَّاء: (**الضمَّ**) في التعبير عن تسهيل الهمزة المضمومة، فمن تلك التعبيرات التي تصفُ مذهبَ بعضِ القراءِ في تسهيل الهمزة الأولى المضمومة وتحقيق الثانية في نحو: [السُّفَهاءُ أَلا] قولُ إسحاقَ بنِ أحمدَ الخزاعيِّ عن مذهبِ ابنِ فُلَيحٍ:"كان يَسْتَحِبُّ **ضمَّ** ألفِ: [السُّفَهاءُ] الآخِرة، ويَهَمِزُ: [ألا] لأنَّها أسْهَلُ في اللَّفظ"[8].

ويعني **بضمِّ** الألف: تسهيلَ الهمزة الأولى المضمومة.

المصطلحُ الرابع للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: الاعْتِمادُ:

من المشترك اللَّفظي. يدلُّ أصلُه على الاستقامة في الشيء منتصباً أو ممتدّاً، والعَمْد: أن تَعْمِد الشيءَ بعِمادٍ يُمْسِكُه ويَعتمِدُ عليه[9]. وعَمَدْتُ الحائطَ عَمْداً: دَعَمْتُه، والعِمادُ ما يُسنَدُ به، والجمعُ عَمَدٌ، واعتمَدتُ على الشيءِ: اتَّكَأتُ[10].

استُعمِل: (الاعتِمادُ) في أكثر من معنًى، منها:

1 . ارتكاز صوتِ الحرفِ على ما يَسْبِقُه من حركة أو العكس.

2 . ضغطُ أحدُ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر لإحداث صوت الحرف.

(1) إعراب القرآن 2/ 464 .
(2) المنتهى ص 237 .
(3) إعراب القرآن 3/ 179 .
(4) الحجة ص 226 .
(5) التذكرة 2/ 412 .
(6) التبصرة ص 204 .
(7) جامع البيان ل 133/ أ .
(8) نقل ذلك الدانيُّ في جامع البيان 2/ 532. وقد أشار إلى أنه يعني بالضمَّة التسهيل في فقرة (1527) من المطبوع.
(9) مقاييس اللُّغة ص 674 (ع م د).
(10) المصباح المنير ص 428 .

3 . ارتكاز عضو النطق على مخرج الحرف المجهور والمهموس عند تحريكهما، وما يتعلَّقُ بذلك.

4 . التعبيرُ عن تحقيق الانسجام بين الصَّوتَين في الإدغام.

5 . من المصطلحات النغَمِيَّة عند العرب.

6 . جزءٌ مشاركٌ في تعريفَي الشدَّة والرَّخاوة.

7 . مِن عيوب النُّطق بالهمزة.

1 . المعنى الأوَّل لـ (الاعتماد) = ارتكازُ صوتِ الحرفِ على ما يَسبِقُه من حركة أو العكس:

استَعمَل الخليلُ لفظَ: (**الاعتماد**) في أكثر من سبعةِ مواضع في كتابه، وكان استعماله له يعني ارتكازَ الصَّوتِ على شيءٍ يُمسِكُه، وجملةُ هذه المواضع ترجِع إلى أمرَين:

1 . **اعتماد** صوتِ الحرف على حركة ما قبله.

2 . **اعتماد** الحرَكة على الساكن بعدَها.

وهما موضعان يتعلَّقان بالمقطعِ الصوتيّ بالدَّرجة الأولى.

فمن أمثلةِ اعتمادِ صوتِ الحرفِ على حركةِ ما قبله قولُه:"وحَدُّ تأليفِ الخاءِ مع الهِمْزةِ: (الأَخُ)، وكان أصلُ تأليفِ بِنَائِهِ على بِنَاءِ: فَعَلٌ بثلاثِ حَرَكَاتٍ، وكذلِك: (الأبُ)، فاستَثْقَلُوا ذلك، وفيها ثلاثةُ أشياء: حَرْفٌ وصَوْتٌ وصَرْفٌ، فرُبَّما ألقَوُا الواوَ والياءَ بصَرْفِهَا وأبْقَوا منها الصَّوتَ، **فاعتَمَدَ الصَّوتُ على حَرَكَةِ ما قبْلَه**، فإذا كانت الحركةُ فتحةً صارَ الصَّوتُ معَها ألِفاً لَيِّنةً، وإن كانت ضَمَّةً صار معها واواً لَيِّنةً، وإن كانت كسرةً صار معها ياءً لَيِّنةً، **فاعتَمَدَ صوتُ واوِ: (الأخ) على فتحةٍ** فصارَ معَها ألِفاً لَيِّنةً: (أَخَا) وكذلك (أَبَا) كألفِ: رَمَى وغَزَا ونحوها"[1]. الحرفُ: الرَّسمُ الكتابيُّ، والصَّرْفُ: حركتُه، والصَّوتُ: صوت الحرف.

والذي يُهِمّنا من النصِّ اعتمادُ الصَّوْتِ على الحركة، وتسلُّطُها عليه، وقلبُها له إلى ما يُجَانِسُها.

ومن ذلك قولُه:"وقال لبيد: بَجَلي الآنَ من العَيْشِ بَجَلْ

وهو مجزومٌ **لاعتمادِهِ على حركةِ الجيمِ**، ولأنّه لا يَتَمَكَّنُ في التصريف"[2].

وقال الأخفش:"فإنَّما صار الساكنُ أخيراً أقوى؛ لأنَّهُ **يَعتَمِدُ** على ما قبْله فيَقْوَى عن **اعتِمادِهِ** على ما

(1) العين 4/ 319 . وانظر نظير هذا الموضع في 4/ 243، و 4/ 312، و 8/ 99، و 8/ 370 .

(2) العين 6/ 134 .

بعدَهُ؛ لأنَّكَ نَطَقْتَ وقَد فَرَغْتَ، فمَضَى ثِقَلُهُ وخِفَّتُهُ، وحُسنُهُ وقُبْحُه"[1].

ومن أمثلةِ **اعتمادِ** الحرَكَة على الساكن بعدَها قولُ الخليل:"وأمَّا مَن هَمَزَ: (الرِّئاءَ) فمِن أجلِ المدَّةِ التّي بعْدَ الألِف **لَيْسَ مِن بعدِها شيءٌ يُعْتَمَدُ عليه**، فقد يَسْقُطُ في الوقوفِ وفي اضطرار الشِّعْرِ فيما يَقْصُرونَ من المدودِ، ولذلك جَازَ الهمزُ فيها"[2].

وقولُه:"وفي النّهي: (لا تَئِهْ) على تقدير: (عِهْ، ولا تَعِهْ) ولما تمَّتْ (تعِ) حرفَيْن انطَلَقَ اللِّسانُ بهما في الوقوفِ، فإن شئتَ **اعتَمَدتَ علَى الهاءِ**، وإن شئتَ لم تَفْعَل، وكذلك كلُّ مجزومٍ إذا كان آخرُه ياءً أو واواً أو ألفاً نحو: يَرْمِي، ويَعْدُو، ويَسْعَى"[3].

2 . المعنى الثاني لـ (الاعتماد) = ارتكازُ عضوِ النُّطقِ على مخرج الحرف المجهور والمهموس عند تحريكهما، وما يتعلَّقُ بذلك.

كان إشراكُ سيبويه: (**الاعتمادَ، وإشباعَه** في الموضعِ ، **وضعفَه** فيه، **وانقِضَاءَه**) في تعريف المجهور والمهموس مَيْدَانَ نقاشٍ بين المعاصِرِين العاكِفين على دراسة عبارات سيبويه، كلٌّ يُحاوِلُ أن يَجِدَ معنًى لهذه الألفاظ، وأكثرُ هذه المحاولات تَقرأ هذه الألفاظَ قراءةً معاصِرَةً حسب مفهوم علم الأصوات المعاصِر للمجهورِ والمهموس، وتشترِكُ في أنَّ هناك شيئاً زائداً يَحْدُثُ مع الصَّوت المجهور ولا يحدُثُ مع الصَّوت المهموس[4]. ولا بأس بهذا لكنَّ الأقوالَ جميعاً ـ على الرَّغم من وجاهتِها ـ تُغفِلُ أمراً هامًّا هو المفتاحُ لفهمِ مغاليقِ نصِّ سيبويه، وهو أقربُ لروحِ النصِّ، ولنظام اللُّغة في نُطقِ أصواتِها، ولتلك الفترة المبكِّرة، وللقراءة التاريخيَّة للمصطلح، ذلِك هو ارتباطُ هذه الألفاظ بحال تحريك الحرف، لا إفراده عن حركتِه كما فهِمه المعاصِرون.

قال سيبويه:"فالمجهورةُ: حرفٌ **أُشْبِعَ الاعتِمادُ** في مَوضِعِه، ومَنَعَ النَّفَسَ أن يَجْرِيَ معهُ حتى **يَنقَضِيَ الاعتِمَادُ** علَيه ويَجرِيَ الصَّوتُ. فهذِهِ حالُ المجْهُورةِ في الحلْق والفمِ، إلاَّ أنَّ النُّونَ والميمَ قد **يُعْتَمَدُ** لهما في الفمِ والخياشيمِ، فتصيرُ فيهِما غُنَّةٌ. والدَّليلُ على ذلك أنَّك لو أمسَكْتَ بأنفِك، ثمَّ تَكَلَّمْتَ بهما لرَأَيْتَ ذلك قد أخَلَّ بهما. وأمَّا المهموسُ فحرفٌ **أُضْعِف الاعتمادُ** في مَوْضِعِه حتى جَرَى النفَسُ معه"[5].

الاعتِمَادُ هنا هو ارتكازُ عُضو النُّطق على مَوضع الحرف ـ أي مخرجِه ـ أثناء تحريكِه، وهو ينضوي تحت القسم اللاَّحِق الخاصِّ بضغط أحدِ عُضوَي النُّطقِ على الآخَر، لكنَّني أفردتُه لاختصاصِه بهذا المعنى في

(1) العروض ص 117 .

(2) العين 8/ 309 .

(3) العين 8/ 442 .

(4) انظر أقوالَهم في: المصطلح الصوتيّ في الدراسات العربية ص 99 .

(5) الكتاب 4/ 434 .

الجهر والهمس.

وسيبويه لدقَّتِه الصوتيَّة في انتقاءِ الألفاظِ اختَارَ: (المَوْضِعَ) دُونَ المخْرَجِ؛ لأنَّه يُريدُ التنبيهَ على وَضْعِ العُضْوِ ورَفْعِه عن مخرجِه، لا مكانِ خروجِ الصوت. وسيأتي استعمالُ سيبويه لـ: (الموضِع)، و(المخْرَج)، و(المعتَمَد) كألفاظٍ مترادِفة لها معان في أنفسِها، لكن يَجْمَعُها معنى عامٌّ هو مكان النُّطق[1].

أمَّا **إشباعُ الاعتماد وضعفُه** فهما لفظان متعلّقان بوجودِ الحرفِ مع الحركة، أي بالمقطع الصوتيّ، فإذا كَرَّرْنا حرفَ الباءِ، وذلك بتحريكه عدَّة مرَّاتٍ، نحو: (بَبَبَ)، لم نُحِسَّ بأثرٍ واضحٍ لهواء النفَس في الباء، فحينئذٍ يُحكَمُ على المقْطَعِ الصَّوتيّ أنَّه **مُشبَعُ الاعتمادِ**، لمنْعِ هواءَ النَّفَس بالجَرْيِ معه.

أمَّا **انقضاءُ الاعتماد فيه** فمعناهُ انتهاء عملية وضْعِ العُضوِ في المخرجِ ورَفْعِه عنه أكثر مِن مرَّةٍ، أي: انقضاءِ تحريكِ الحرفِ، وانتهاء العملية المطلوبة لإصدار الصوت المجهور، ليَجْرِيَ بعد ذلك هواء التنَفُّس. ولاحِظ أنَّه استعمل الفعلَ المضارع: (ينقَضي) الذي يدلُّ على الاستمرارِ[2].

وإذا كَرَّرْنا حرفَ الثاءِ مع الحركةِ، نحو: (ثَثَثَ)، أحْسَسْنا بخروجِ هواء الثاء معها، وحينئذٍ يُحكَم على المقطَعِ الصَّوتيّ أنَّه **أُضْعِف الاعتمادُ فيه** للسَمَاحِ لهَوَاء النفَسِ بالجَرْي مَعَه.

لعلَّ هذا هو الفهمُ التلقائيُّ من ظاهرِ النصِّ، والدليلُ على ذلك، قولُ سيبويه بعد التعريفَين:" وأنتَ تَعْرِفُ ذلك إذا اعْتَبَرْتَ [اختَبَرْتَ] فَرَدَّدْتَ الحرفَ معَ جَرْيِ النفَس، ولو أرَدتَّ ذلك في المجْهُورَة لم تَقْدِرْ عليه"[3].

والتَّرديدُ والتكريرُ لا يكونان إلاَّ مع الحركة، والذين جاؤوا بعد سيبويه لم يَفْهَموا إلا هذا كما سيأتي في مصطلحَي: الجهر والهمس.

وأظنُّ أنَّ سيبويه قد أخَذَ هذا المصطلح من أستاذِهِ الخليل الذي جعَل من استعمالاته اعتمادَ الصَّوتِ على الحرَكة، كما تَقَدَّم، ويدلُّ على ذلك قولُ الأخفش (وأحسبه ذكَر ذلك عن الخليل)، فسَاغَ لسيبويه حينئذٍ أن يُوظِّفَهُ في المجهورِ والمهموس.

ويجبُ أن نَعْلَمَ أنَّ نظامَ اللُّغة العربيَّة لا يَسْمَحُ بأن يُنطَقَ الحرفُ مجرَّداً عن الحرَكة، ساكناً كان أو متحرِّكاً، فنظامُ نُطْقِ الأصوات في اللُّغة العربيَّة نظامٌ مقطعيٌّ بمقتضى كلام العرب، ذكَر ذلك سيبويه عن شيخِهِ الخليل حينما أجاب أصحابَه عن نُطق الكاف والباء المتحرِّكتين في: (لكَ، وضربَ)، قال:"أقول:

(1) انظر: الألفاظ المستعملة للمخارج.

(2) قال الاستراباذيُّ في شرح الشافية 3/ 259:"ولا يَجْرِي النَّفَسُ إلاَّ بعدَ انقضاءِ الاعتمادِ وسكون الصَّوت" اهـ. ولم أثبتْ هذا النصَّ في الصُّلْبِ؛ لأنَّ وفاة الاستراباذيّ في القرنِ السابعِ الهجريّ، مما هو خارجٌ عن فترةِ البحث.

(3) الكتاب 4/ 434.

(كَه، وبَه)، فقلنا: لم ألحَقْتَ الهاء؟ فقال: **رأيتُهم قالوا**: (عِه)، فألحقوا هاءً، حتى صيَّروها يُسْتَطَاعُ الكلامُ بها؛ **لأنَّه لا يُلْفَظُ بحرفٍ**... فهذه طريقةُ كلِّ حرفٍ كان متحرِّكاً، وقد يجوزُ أن يكون الألفُ هنا بمنزلة الهاء لقربِها منها وشبَهِهَا بها، فتقول: (با، وكا)، كما تقول: أنا"[1].

وذكر سيبويه أنَّ الخليلَ أجابهم عن نطق الحرفِ السَّاكن في ياء (غلامي)، وباء (اضربْ)، ودال (قد)، فقال:"أقولُ: (إِب، وإِي، وإِد)، فألْحِقُ ألفاً موصولةً... **وأنتَ لا تَستَطيعُ أن تَكَلَّم بساكنٍ في أوَّلِ اسمٍ**، كما لا تَصِلُ إلى اللَّفْظِ بهذِه السَّواكِن، فألْحَقْتَ ألفاً حتى وَصَلْتَ إلى اللَّفظِ بها، فكذلك تُلْحِقُ هذه الألفاتِ حتى تَصِلَ إلى اللَّفْظِ بها"[2].

وهذا ما حدا بابن جنيّ أن يقرِّرَ قاعدته التي نصُّها:"لا سبيلَ إلى النُّطقِ بالحرفِ الواحدِ مجرَّداً من غيره ساكناً أو متحرِّكاً"[3].

وهكذا فإنَّ سيبويه لما عرَّف المجهورَ والمهموسَ لم يُعرِّفْهُما إلا والصَّوتُ اللُّغويُّ عنده مرتبطٌ بحركتِه، والله أعلم.

أمَّا ما الذي أشبَعَ **الاعتِمَادَ** وأضعَفَهُ ؟ فذلك ذكَره سيبويه في مكانٍ آخَر، ونُقِل عن الأخفش، وفَهِمَهُ المعاصِرون، وسيأتي الحديثُ عنه في مصطلَحَي: الجهر والهمس.

تابعَ سيبويه على: (**إشباع الاعتماد**) في المجهور: الزجَّاجُ[4]، وابن السرَّاج[5]، والزجَّاجيُّ[6]، وابن جنيّ[7]، والقرطبيُّ[8]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[9].

واستَعمل الرمَّانيُّ: (**قوَّةَ الاعتماد**)[10] بدلاً من لفظِ سيبويه, وتابعَه: الدانيُّ[11]، وابن الطحَّان[12].

تابعَ سيبويه على: (**ضَعْفِ الاعتِمَاد**) في المهموس: الزجَّاجُ[13]، والزجَّاجيُّ[1]، والرمَّانيُّ[2]، والدانيُّ[3]،

(1) الكتاب 3/ 320 .
(2) الكتاب 3/ 321 .
(3) الخصائص 1/ 28 .
(4) معاني القرآن وإعرابه 1/ 414 .
(5) الأصول 3/ 401 .
(6) شرح جمل الزجاجي ص 448 .
(7) سر صناعة الإعراب 1/ 60 .
(8) الموضح ص 88 .
(9) أسرار العربية ص 209 .
(10) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب .
(11) التحديد ص 105 .
(12) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .
(13) معاني القرآن وإعرابه 1/ 414 .

والقرطبيُّ[4]، وابنُ الطحَّان الأندلسيُّ[5]، والهمَذانيّ[6]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[7].

3. المعنى الثالث لـ (الاعتِمَادُ) = ضغطُ أحدِ عُضوَيِ النُّطْقِ على الآخَر لإحداث صوت الحرف:

استَعمله ابن جنيّ في وصف قَطعِ الصَّوتِ في المخارج، قال:"فكذلكَ إذا قُطِعَ الصَّوْتُ في الحَلْقِ والفمِ **باعتِمادٍ** على جهاتٍ مختلِفةٍ كان سببَ استِماعِنا هذه الأصواتِ المختلِفة"[8].

وتابعَه: الخفاجيُّ[9].

واستَعملَه ابنُ جنيّ أيضاً في وصف حروف الذَّلاقة، قال:"لأنَّه **يُعتَمَدُ** عليها بذَلَقِ اللِّسان..."[10].

وتابعَه: القرطبيُّ[11]، والخفاجيُّ[12]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[13].

واستعملَه ابنُ سينا في أكثر من موضع، فمن ذلك مخرجِ اللاَّم، قال:"**والاعتِمادُ** فيها على الجزءِ المتأخِّرِ من اللِّسانِ المماسِّ لِما فوقَه أكثرُ من **الاعتمادِ** على طرفِ اللِّسان"[14].

واستَعمَله الدانيُّ في وصف لام التعريف المدغمة في أنَّ **اعتمادَ** اللِّسان يكون على مخرج الحرف الذي أدغِمَتْ فيه[15].

واستَعمَل القرطبيُّ: (الاعتماد) أيضاً في التنبيه على كيفية خروج الفاء **باعتماد** الثنايا على الشفة[16].

وذكَر ابن الطحَّان الأندلسيُّ أنَّ"حقَّ المتحرِّك أن يُلْفَظَ به مُمَكَّناً من مخرجِه، **معتَمَداً** عليه في

---

(1) شرح جمل الزجَّاجي ص 447 .
(2) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب .
(3) التحديد ص 105 .
(4) الموضح في التجويد ص 88 .
(5) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .
(6) التمهيد ص 280 .
(7) أسرار العربية ص 209 .
(8) سر صناعة الإعراب 1/ 9 .
(9) سر الفصاحة ص 16 .
(10) سر صناعة الإعراب 1/ 64 .
(11) الموضح ص 94 .
(12) سر الفصاحة ص 21 .
(13) أسرار العربية ص 209 .
(14) أسباب حدوث الحروف ص 123 . وانظر: ص 81، و 116، و 119، و 122، و 126 .
(15) التحديد ص 158.
(16) الموضح في التجويد ص 116.

مَدْرَجِه..."[1].

واستَعمله الهمَذانيّ في تعليلِه لتسميةِ حروف الصَّفير بذلك، قال:"سُمِّيتْ بذلك لصفيرِها بعد **اعتمادِك** على مواضعِها"[2].

4. المعنى الرابع لـ (الاعتِماد) = التعبير عن تحقيق الانسجام بين الصَّوتَين في الإدغام:

استَعمَل المبرِّد: (الاعتماد) في التعبير عن تحقيق الانسجام في الإدغام، قال:"وتأويلُ قولِنا: (مُدْغَمٌ) أنَّه لا حَرَكةَ تَفْصِلُ بينهما، فإنما **تَعتَمِدُ** لهما باللِّسان **اعتمادةً** واحدَةً؛ لأنَّ المخرجَ واحدٌ ولا فَصْلَ، وذلك قولُك: قَطَّعَ وكسَّر"[3]. وهنا يريد به الضغط على المخرج ضغطاً واحداً بدلاً من ضغطتَين إذا لم يُدغَما.

وتابعَه: الدانيُّ[4]، والقرطبيُّ[5].

5. المعنى الخامس لـ (الاعتِماد) = من المصطلحات النَّغَمِيَّة عند العرب:

قال الفارابيُّ:"والنَّغمَةُ التي تؤخَذُ نهايةَ اللَّحن، متى كانت طويلةً وكانت مهزوزةً، فإنَّ العربَ تُسمِّيها: (الشَّرقَةَ)؛ لأنَّ هذه اللَّفظةَ تدلُّ في لسانِهم على شيءٍ يَبقى في حلْقِ الإنسان، والنغمةُ التي تؤخَذُ نهايةَ اللَّحن فتَهتزُّ، تُتَخَيَّلُ كأنَّها نغمةٌ تتردَّدُ متموِّجةً في الحلقِ، فلذلك اشتَقُّوا لها هذا الاسمَ، ومتى كانت تلك النَّغمةُ قَارَّةً سَمَّوْهَا: (**الاعتِمَاد**)، ومتى انتَهتْ إلى هاءٍ سَاكِنَةٍ سَمَّوها: (الاستراحة)"[6].

الغرضُ من ذِكْرِ هذا هنا وإن كان خاصّاً بصنعة الألحان، للشَّواهد الكثيرة التي تدلُّ على ارتباطِ علم العَروض في أسبابِه وأوتاده بالإيقاع النَّغَمي في نقراتِه، وكلاهما من علم الخليلِ كما هو مشهور، فلعلَّنا نجدُ رابطاً بين ما قاله الفارابيُّ هنا، وما تقدَّم عند الخليل من مصطلح: الاعتماد، ومنه إلى كلامِ سيبويه.

6. المعنى السادس لـ (الاعتِمادُ) = جزءٌ مشاركٌ في تعريف الشدة والرخاوة:

يُعَدُّ مكِّيُّ بنُ أبي طالبٍ القيسيُّ من أوائل من استَعمل لفظ: (الاعتماد) في تعريفِ الرخاوة، قال عن الرِّخو أنَّه:"حرفٌ **ضَعُف الاعتماد** عليه في موضعِه..."[7]. وتابعَه: ابن الطحَّان الأندلسيُّ[8].

---

(1) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل 9/ أ . وقد استعنت بكتاب الدراسات الصوتية ص508 للتحقُّق من كلمات النصِّ في المخطوط الرديء الخط .

(2) التمهيد ص 282 .

(3) المقتضب 1/ 333، وانظر: 1/ 319 .

(4) التحديد ص 99 .

(5) الموضح في التجويد ص 139 .

(6) الموسيقى الكبير ص 1165 - 1166 .

(7) الرعاية ص 119 .

(8) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .

وعرَّف ابنُ الطحَّان الشَّديدَ بأنَّه:"**قوَّةُ الاعتِمَادِ** ولزُومُهُ مَوْضِعَ الحَرْفِ حتى منع الصَّوتَ أن يَجْرِي معه"[1].

هنا دخَلَ عنصرٌ جديدٌ في تعريفِ الشدَّة، وهو **قوَّةُ الاعتِمَادِ**. وأغلبُ الظنِّ أنَّهم يَعْنُونَ به الضغطَ الزائدَ المبذولَ من عُضو النُّطق في غَلْقِ مجرى الصَّوت غَلْقاً تامًّا.

7 . المعنى السابع لـ (الاعتِماد) = من عيوب النُّطق بالهمزة:

استَعمل الهمَذانيّ: (الاعتماد) في التحذير من زيادة الضغط على مخرج الهمزة، قال:"فإنَّ الهمزةَ يجبُ أن تُخْرَجَ إخراجاً سهلاً على تُؤَدَةٍ مِن غيرِ لَكْزٍ ولا **اعتِمادٍ** عليها"[2].

المصطلحُ الخامس للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: (الرَّفْعُ)

من المشترك اللَّفظيّ. مصطلحٌ واسعٌ، يدلُّ أصله اللغويُّ على خلاف الوَضع، تقول: رفَعتُ الشيءَ رفعاً، وهو خلاف الخفضِ. ومن الباب الرَّفعُ: تقريبُ الشيء، قال تعالى: [وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَة]، أي: مُقرَّبةٍ لهم. والرَّفْعُ: إذاعةُ الشيء وإظهارُه[3].

والرَّفْعُ في الأجسامِ حقيقةٌ في الحركة والانتقال، وفي المعاني محمولٌ على ما يَقتضِيه المقام. ورَفُعَ الثَّوْبُ فهو رَفِيعٌ: خلاف غَلُظَ[4].

استُعمِل: (الرَّفْعُ) في أكثرَ من معنًى، منها:

1 . التحريكُ بالضَّمِّ والرَّفعُ الإعرابيُّ، وشاركه: (الرَّفعة) بمعنى الضمَّة 2 . انقلاع أو ضَغْطُ أحدُ عُضْوَي النُّطقِ على الآخَر، وشاركه (الارتفاع) و(الرَّفعة) 3 . مشاركٌ في التعبير عن رفع الصَّوت 4 . تفخيمُ الألف نحو الواو 5 . عُلُوٌّ أو تقدُّمُ مخرجٍ على مخرج، وشاركه (الارتفاع) 6 . صلة ميم الجمع 7 . إشمام الحركات 8 . اختلاس الحركة المضمومة 9 . قصرُ صلةِ هاء الضمير المضمومة 10 . الضمَّة

1 . المعنى الأوَّل : الرَّفْعُ = الضَّمُّ والرَّفعُ الإعرابيُّ:

هذا المصطلح قديمٌ يَرْجِعُ عهدُه إلى الصَّحابةِ ψ حيثُ ذكَر عبد الله بنُ بُرَيدةَ بن الحصيب رضي الله عنهما عن أبيه بُرَيدةَ، قال:"كُنَّا نُؤمَرُ، أو كانوا يؤمَرونَ أن نتعلَّمَ القرآنَ، ثمَّ السنَّةَ، ثمَّ الفرائضَ، ثمَّ العربيةَ: الحروفَ الثلاثةَ، قلنا: وما الحروفُ الثلاثة ؟ قال: الجرُّ **والرَّفعُ** والنَّصْبُ"[5].

(1) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .
(2) التمهيد في معرفة التجويد ص 292 . وانظر ص 286 .
(3) مقاييس اللُّغة ص 395 (ر ف ع).
(4) المصباح المنير ص 232 .
(5) التمهيد في معرفة التجويد ص 210 .

والنصُّ يُشيرُ إلى أنَّ علمَ العربيةِ حينئذٍ يتمثَّلُ في هذه الثلاثة، فالأرجحُ أن يكون المقصودُ بها الإعرابَ على أواخر الكلمات؛ لأنه المميِّزُ للغةِ العرب، وربَّما يُقصدُ بها الحركات.

وهذا النصُّ النَّفِيسُ يَرُدُّ ما هو مشهورٌ في الكتبِ من أنَّ حروفَ النَّصبِ، والجرِّ، **والرَّفعِ**، والجَزْمِ من وَضْعِ أبي الأسودِ الدؤليّ[1].

والقصَّةُ التاريخيَّةُ لهذا المصطلح تُبَيِّنُ أنَّ مصطلحَ: **(الرَّفعِ)** مِن قَبْلِ سيبويه[2] كان ينُوبُ عن التحريكِ بالضَّمَّة، وعن علامة الإعراب، لا فرقَ في ذلك بين أوَّلِ الكلمة أو وسَطِها أو آخرِها، فربَّما عُبِّر بـ: **(الرَّفع)** عن التحريك بالضمِّ في أوَّل الكلمة أو وسطِها، وربَّما عُبِّرَ به عن الإعراب على أواخِر الكلمات.

استعمَل ذلك العلماءُ والقُرَّاءُ من قبلِ سيبويه حتى أستاذه الخليل، استَعمل ذلك، فمِن ذلك قولُه:"وعُ ِلْوُ كلِّ شيءٍ أعلاه، **تَرْفَعُ** العينَ وتَخْفِض"[3]. ولا عبرةَ بما قاله الخُوارزميُّ عن استعمالِ الخليل لـ: **(الرَّفع)** لحركة الآخِر من الاسم المعرَب المنوَّن (زيدٌ)؛ لأنَّه لا دليلَ يَسنُدُه[4].

واستعمَله من بعدِ سيبويه ـ دون التفريق ـ بعضُ كبارِ البصريّين كأبي عبيدة والأخفش وأبي زيد اللُّغويّ إلى عصر المبرِّد، والقرَّاءُ مِن أصحاب ثعلب كابن مجاهدٍ وتلامذتِه، والنحويُّون من أصحاب المذهب الكوفيّ، قال السيرافيُّ:" فإنَّ كثيراً من النَّحْويّين الكوفيّين يُخالِفُونَه، ويُسَمُّون الضمَّةَ اللاَّزِمَةَ **رفعاً**"[5].

وظلَّ الأمرُ كذلك إلى أن غَلَبتْ مصطلحاتُ سيبويه واستقرَّتْ في أواخر القرن الرابع الهجريّ تقريباً بسببِ الانتشار الواسِع لكتابه في العواصمِ العلميَّةِ مصرَ والشامِ والأندلسِ، وثبَتَ استعمالُ الضمِّ في أوَّل الكلمة ووسطِها للتعبير عن التحريك بالضمِّ، واستِعمالُه في آخر الكلمةِ كعلامةٍ من علاماتِ البناءِ، أمَّا **الرَّفعُ** فاقتَصَرَ دورُه على أن يكون علامةً من علامات المعرَب.

استَعمل كثيرٌ من العلماء: **(الرَّفع)** بمعنى التحريك بالضمِّ، في أوَّل الكلمة أو وسطها أو آخرِها، فمنهم: عاصمُ بنُ أبي النَّجُود القارئ[6]، والخليل[7]، وابنُ جمَّازٍ[8]، وإسماعيلُ بن جعفر القارئُ[9]، وسُلَيمُ بن

(1) طبقات النحويّين واللُّغويّين للزبيديّ ص 21 .

(2) من المعلومُ أنَّ التقسيمَ إلى علاماتِ إعراب وبناء هو مِن وضعِ سيبويه، ذكَرَ ذلك السيرافيُّ، فقال:"اعلم أن سيبويه لقَّب الحركات والسُّكون هذه الألقاب الثمانية..." (شرح كتاب سيبويه 1/ 65).

(3) العين 2/ 246 .

(4) مفاتيح العلوم ص 54 . وانظر ما قلته عن ذلك في مصطلح : الضَّمّ .

(5) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 65 .

(6) السبعة ص 218 .

(7) العين 1/ 281، و 4/ 278، و5/ 171، و 8/ 428.

(8) السبعة ص 108 .

(9) السبعة ص 108 .

عيسى[1]، والكسائيُّ[2]، وعليُّ بن نصرٍ الجهضميُّ[3]، وقتيبةُ بن مهران[4]، والفرَّاءُ[5]، وأبو عبيدة[6]، والأخفشُ[7]، وأبو زيد اللُّغويُّ[8]، وقالونُ[9]، وأبو عبيدٍ القاسمُ بن سلاَّم[10]، وابن السِّكِّيت[11]، وابن مجاهد[12]، وأبو بكر ابن الأنباريّ[13]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[14]، وأبو معشرٍ الطبريُّ[15]،وغيرهم.

واستَعمل داودُ بنُ أبي طيبةَ، وأبو الأزهر عبد الصَّمد بن عبد الرحمن، وأبو يعقوبُ يوسف بن موسى لفظ: (المرتفِعة) للتعبير عن ضمَّة الهمزة، قالوا عن التقاء الهمزتَين:"فإن كانتْ واحدةً منتصِبَةً وأخرى **مرتَفعةً**..."[16].

واستعمله ابن مجاهد بمعنى المضموم[17].

وشاركت: **(الرَّفعة)** بمعنى الضمَّة هذا المعنى، فبيَّن سيبيويه أنَّ: **(الرَّفْعَة)** هي الضمَّة، قال:"لأنَّ **الرَّفعةَ** ضمَّةٌ" [18].

واستَعملَها أيضاً: الكسائيُّ[19]، ويحيى اليزيديُّ[20]، والفرَّاءُ[21]، وأحمد بنُ يزيد الحُلْوانيُّ[1]، وأحمد بن جبيرٍ

(1) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 385 .
(2) نقل ذلك عنه صاحب إصلاح المنطق ص 90 والأضداد لابن الأنباري ص 123، وإيضاح الوقف والابتدا له 1/ 398، ومجالس العلماء للزجاجيّ ص 202.
(3) السبعة ص 157 .
(4) جامع البيان ل 232/ ب .
(5) معاني القرآن 1/ 5، و 2/ 238، و 3 / 138 .
(6) مجاز القرآن 1/ 100.
(7) معاني القرآن 1/ 180 .
(8) النوادر ص 522 .
(9) السبعة
(10) الغريب المصنَّف ل 141/ أ، و 209/ ب .
(11) إصلاح المنطق ص 303 .
(12) السبعة ص 156 و 492 و 592 و 626.
(13) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 296 .
(14) المنتهى ص 447 و ص 620 .
(15) التلخيص ص 289 .
(16) جامع البيان 2/ 497 .
(17) السبعة 572 و 626 .
(18) الكتاب 4/ 203 .
(19) نقل ذلك عنه ابنُ السكيت في إصلاح المنطق ص 90 .
(20) جامع البيان ل 115/ أ. وذكَر الدانيُّ هذا النصَّ في معرِض من أنكَر إسكان الراء في نحو: (ينصرُكم، ويشعرُكم) في قراءة أبي عمرو، وله بقيَّة.
(21) معاني القرآن 1/ 203 و 2/ 151 و 2/ 329 .

الأنطاكيُّ[2]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[3].

مثال: استَعمل أحمد بن جُبَيرٍ الأنطاكيُّ: (**الرَّفْعَةَ**) بمعنى الضمَّة في نقلِه وصف قراءة نافع في الكلمة القرآنيَّة: [وَلاَ تَنْسَوُا الفَضْلَ] ، قال:"يَخْتَلِسُ **رَفْعَةَ** الواو، ولا يُشبِعُها"[4]. يعني يقرؤها بحركةٍ كاملةٍ، وعبَّر بالاختلاس حتى لا يُتَوهَّم أنَّها تُلْحَقُ بواوٍ، وسيأتي بيان ذلك.

استَعمل: (الرَّفع) بمعنى الرَّفعِ الإعرابيِّ كثيرٌ من العلماء، منهم:

المفضَّل الضبِّيُّ[5]، وسيبويه[6]، وعبَّاسُ بن الفضل[7]، ويحيى اليزيديُّ[8]، والفرَّاءُ[9]، وأبو عبيدة[10]، والأخفشُ[11]، وأبو زيدٍ اللُّغويُّ[12]، وأبو عمرو الشيبانيُّ[13]، وابنُ سلاَّم الجُمَحيُّ[14]، وابن السِّكِّيت[15]، والمبرِّدُ[16]، والزجَّاجُ[17]، وابن السرَّاج[18]، وابن مجاهد[19]، وابن خالويه[20]، وعبد المنعم بن غَلْبون[21]، ومكيُّ بن أبي طالبٍ القيسيُّ[22]، والدانيُّ[23]، وأبو معشرٍ الطبريُّ[24]، وابنُ بَلِّيمة[25]، وغيرُهم.

---

(1) جامع البيان ل 217/ أ .
(2) جامع البيان ل 112/ ب .
(3) الحجة 1/ 212 و 6/ 324 .
(4) جامع البيان ل 112/ ب .
(5) نقل ذلك الدانيُّ في جامع البيان ل 122/ ب .
(6) الكتاب 1/ 13 .
(7) السبعة ص 122 .
(8) السبعة ص 122 .
(9) معاني القرآن 1/ 59 و 124.
(10) مجاز القرآن 1/ 65، و 75 ، و106، و 165 .
(11) معاني القرآن 1/ 229 ، و348، و 356.
(12) النوادر ص 265 .
(13) الجيم 1/ 233، و 2/ 264، و 3/ 279 .
(14) طبقات فحول الشعراء 1/ 12 .
(15) إصلاح المنطق ص 90 .
(16) المقتضب 1/ 142، و 151 .
(17) معاني القرآن وإعرابه 1/ 43، و 71، و 266 .
(18) الأصول 1/ 45،
(19) السبعة ص 135 .
(20) الحجة ص 116 .
(21) الاستكمال ص 333 .
(22) التبصرة ص 66، و 191 .
(23) التيسير ص 76 و 140 .
(24) التلخيص ص 249 .
(25) تلخيص العبارات ص 73 .

2 . المعنى الثاني: (الرَّفْعُ، الارتِفاعُ) = انقلاعُ أو ضغط أحد عضوي النُّطق على الآخر:

استُعمِل: (**الرَّفع**) بهذا المعنى في أكثر من موطنٍ صوتيّ، منها:

1 . تحقيق الانسجام الصوتيّ بين الصَّوتين في الإدغام. 2 . في آلية الحرفِ المتحرّك. 3 . إحدَاثُ صَوتِ الحرف. 4 . في وصف الاستعلاء. 5 . في تعريف الإطباق والانفتاح.

1 . المَوْطِنُ الأوَّلُ لـ: (الرَّفعُ، الارتِفاع) = مشاركان في تحقيق الانسجام الصوتيّ بين الصَّوتين في الإدغام:

كان استعمالُ الخليلِ وسيبويه ومن تابعَهما لمصطلح: (**الرَّفع**) إشارةً إلى أنَّ عضوِ النُّطق عند الإدغام يَنفَصِل عن المخرجِ انفصالاً واحداً لا انفصالَين، وبهذا الاعتبارِ يكونُ شبيهاً بالمتحرّكِ في الانفصال الواحدِ عن المخرج، ويكون المصطلح المقابل لذلك عند سيبويه هو مصطلح: (الوَضْع)، وسيأتي.

وقد ذكَر سيبويه ناقلاً عن شيخِه الخليلِ الغرضَ من الإدغام في الحرفين المتماثلين إذا تحرَّك الثاني منهما، فقال:"فالعرَبُ مُجْمِعُونَ على الإدغام، وذلك فيما زَعَم الخليلُ أَوْلَى به؛ لأنَّهُ لما كانا مِن مَوْضعٍ واحِدٍ ثَقُلَ عليهم أن **يَرْفَعُوا** ألسِنَتَهُم مِن مَوْضِعٍ ثمَّ يُعِيدُوهَا إلى ذلك الموْضِعِ للحرفِ الآخَر، فلمَّا ثَقُلَ عَلَيهِم ذلكَ أَرَادُوا أن **يَرْفَعُوا رَفْعةً واحدةً**. وذلك قولهُم: رُدِّي..."[1].

وعبَّرَ سيبويه عن الغرضِ من الإدغام بثلاث عبارات:

1 . (**رفعُ اللِّسان من موضعٍ واحدٍ**)[2]. أي: انفصالٍ عن مخرجٍ واحدٍ لا مخرجَين.

تابعَه على هذا التعبير: ابن السرَّاج[3].

2 . (**رفعُ اللِّسان رفعةً واحدةً**)[4].

تابعَه على هذا التعبير: المبرِّدُ[5]، وابنُ السرَّاج[6].

3 . (**رفْعُ اللِّسان عن الحرفَين**)[7].

(1) الكتاب 3/ 529 .

(2) الكتاب 4/ 117 . وانظر: 4/ 107 و 4/ 128، و 4/ 146، و 4/ 237، و4/ 335، و4/ 365، و 4/ 442 .

(3) الأصول 3/ 372.

(4) الكتاب 4/ 367 و 368 و 400، و 442.

(5) المقتضب 1/ 287 و 333 ، و341 و 406 ، و2/ 321 .

(6) الأصول 3/ 259 . ذكر ابن السراج أن اللِّسان "يرتفعُ رفعةً واحدة" اهـ. وأرجِّح أنَّ النصَّ: "يُرفَعُ اللِّسانُ رفعةً واحدة" أو "يُرتفِعُ اللِّسانُ ارتفاعةً واحدة". والنسخة المطبوعة المتداوَلة من الأصول شهِدَ لها بعضُ علماء النحو في عصرنا بالتحريف والاضطراب وكثرة الأخطاء.

(7) الكتاب 4/ 140 .

ومن وحي كلام سيبويه استَعمَل أبو عليٍّ الفارسيُّ: **(الارتفاع)**، وأشار إلى أنَّ اللِّسان في الإدغام **يَرْتَفِع عن الحَرْفَين ارتِفاعةً** واحدةً[1].

وتابعَه: ابن جنيّ[2]، والدانيُّ في بعضِ نصوصِه[3].

وكذلك ذكَر الرمَّانيُّ[4]. لكنَّه في مَوضعٍ آخَر استَعمل هذا التعبير في إخفاء النُّون عند الحروف الخمسةَ عشر، وهو بهذا الأمر قد حلَّ إشكالا كبيراً كنتُ أجِدُه في كلام سيبويه في مكان وضع اللِّسان عند إخفاء النُّون، قال الرمَّانيُّ عن النُّونِ المخْفَاة:"ووجَدُوا لها مخرجاً من الخياشيمِ يَخِفُّ إخراجُها منه على نحو الخِفَّةِ بالإدغام؛ لأنَّ اللِّسان **يَرتفِعُ رفعةً واحدةً** للحرفِ في المدغَم وفي النُّون التي تَخرجُ من الخياشيمِ؛ لأنَّه ليس له عملٌ إلا في الحرفِ الذي بعدَها، فالإخفاءُ فيها كالإدغام في **رفعِ اللِّسان مرَّةً واحدةً**"[5].

ومعنى: **(الارتفاع عن الحرفين)**: تعبيرٌ عن انقلاعِ عُضْوَي النُّطق عن مخرجِ الحرف المدغَم فيه ومخرج المخْفَى فيه انقلاعاً واحداً بدلاً من انقلاعَين إذا لم يُدغَما أو يُخْفَيا.

وشاركَه . بعد ذلك . مفهومُ **(الرَّفع بالحرفين)**، يعني بدلاً من أن يكون انقلاعاً عن المخرجِ صارَ ضغطاً عليه، استَعمل الدانيُّ ذلك عندما عرَّف التشديدَ، بقوله: "هو إدخالُ حرفٍ ساكنٍ في حرف متحرّك، **ورفعُ اللِّسان بهما رفعةً واحدةً**"[6]. وذكَر أنَّ الحرفين في الإدغام بمنزلةِ حرفٍ واحد متحرّكٍ؛ لارتفاع اللِّسان بهما ارتفاعةً واحدةً[7].

ومعنى: **(الرَّفع بالحرفين)**: تعبيرٌ عن ضغطِ عُضْوَي النُّطق على مخرجِ الحرفين المدغمين ضغطةً واحدةً بدلاً من ضَغطتَين إذا لم يُدغَما.

وبيَّن الدانيُّ أنَّ **ارتفاع اللِّسان ارتفاعةً واحدةً يكونُ من غير مُهلةٍ ولا فُرْجَة**[8].

2 . المَوْطِنُ الثاني: (الرَّفعُ) مشاركٌ في آليَّة الحرف المتحرّك:

قال سيبويه:"والسَّاكنُ لا **تَرْفَعُ لِسَانَكَ** عنه بصوتٍ، لو **رَفَعْتَ** بصوتٍ حرَّكْتَهُ"[9].

(1) الحجة 3/ 191 و 3/ 232 و 4/ 401، والتكملة ص 273 .
(2) المنصف 2/ 211 .
(3) الإدغام الكبير ص 40 .
(4) شرح كتاب سيبويه ل 193/ أ .
(5) شرح كتاب سيبويه ل 199/ أ .
(6) جامع البيان ل 238/ أ.
(7) المطبوع من جامع البيان 2/ 410 . وانظر: 3/ 881 ، والتحديد ص 99 .
(8) جامع البيان 3/ 881 .
(9) الكتاب 4/ 177 .

هذه قاعدةٌ خطيرة من قواعد سيبويه الصَّوتية، وفكرتُها تقومُ على خاصِّية القُصور الذاتيّ[1]، وتصوُّر العمليَّة النُّطقيَّة، فلو اعتَبرْنا أنَّ الحركات وحروف المدِّ عند سيبويه هي الصَّوتُ الطبيعيّ الجاري في مخارج النُّطق . بدليل قوله:"لم تَضُمَّها بشَفَةٍ ولا لِسَانٍ ولا حَلْقٍ كضَمِّ غيرِها"[2] . وهذا الصَّوتُ يتعرَّضُ لمقاطِعَ تَقطعُه عن امتدادِه هي أماكن خروج الحروف، فعلى هذا سيؤدِّي الانفصالُ عن مخرج الحرف إلى رجوعِ الصوَّتِ إلى جريانِه الطبيعيّ، وهذا هو المقصود بقول سيبويه:"لو **رفَعتَ** بصوتٍ حرَّكْتَه".

استَعمل سيبويه: **(رَفعَ اللِّسان)** في التعبير عن ذلك أيضاً، قال في الساكنِ الذي لا يَمنَعُ الإمالة:"وكذلِك إنْ كانَ بينَهُ وبين الأَلِفِ حرفانِ الأوَّلُ ساكنٌ؛ لأنَّ السَّاكِنَ ليس بحاجزٍ قَوِيٍّ، وإنما **يَرْفَعُ لِسَانَهُ** عن الحرفِ المتَحرِّكِ **رفعةً** واحدةً كما **رَفَعَهُ** في الأوَّلِ، فلم يَتَفَاوَتْ لهذا... وذلك قولهم: سِرْبالٌ وشِمْلالٌ"[3].

أي أنَّ الراء والميم من: (سِرْبَال، وشِمْلال) لا يُعْتَدُّ بهما في منع الإمالة؛ لأنَّ الانفصالَ عن المخرجِ لم يتمَّ فيهما بل بما بعدهما، أعني: الباء واللام، وهو كالانفصال الذي تمَّ قبلهما في السين والشين من: (سِربال، وشِملال)، ولذلك قال:"فلم يتَفَاوَتْ لهذا".

واستعملَه سيبويه في وصفِه للرَّومِ بأنَّه تقريبٌ من الحركةِ ولما يوصَل إليها، قال:" وأمَّا الذين رَامُوا الحَرَكَة، فهُم الذين قالوا: هذا عمرُ، وهذا أحمدُ، كأنَّهُ يُريدُ **رَفْعَ لِسَانِهِ**"[4]. يعني: تحريكَ الحرفِ.

ومن هذا البابِ أيضاً مجازُ قولِ سيبويه عن علَّة إسكان باء وضاد: كبِد وعضُد في بعض اللُّغات:"وإنَّما حمَلَهُمْ على هذا أنَّهم كَرِهُوا أن **يَرْفَعُوا ألسنَتَهُم** عن المفْتُوحِ إلى المكْسورِ، والمفتُوحُ أخفُّ عليهم، فَكَرِهُوا أن يَنتَقِلُوا من الأخَفِّ إلى الأثقَلِ"[5].

ولأنَّ الإدغامَ يُشْبِهُ الحرفَ المتحرِّكَ في الانفصالِ الواحدِ عن المخرجِ، ذكَر الرُّمانيُّ أنَّ المدغمَ قَريبٌ من المتحرِّكِ[6].

ومن وحي كلامِه قرَّرَ الدانيُّ قاعدتَه الصوتيَّة، ونصُّها:

(1) هو قانون نيوتن الأوَّل للحركة، ونصُّه: "يَبقى كلُّ جسمٍ في حالة السُّكون أو يَستمرُّ في حالة الحركة بسرعة ثابتة في خطٍّ مستقيمٍ ما لم تُجبِرْهُ قوَّى خارجيَّةٌ على تغيير حالتِه. (الفيزياء للأدباء ص77 – 78)، أقول: هكذا الحال في الصَّوت الطبيعيّ الذي تجبرُه أعضاء النُّطق على التوقُّف في المخارج، فإذا زال تأثير عضو النُّطق رجَع الصَّوت إلى وضعِهِ الأصليّ من الجريان. وانظر مصطلح: (مكمن الحرف) عند الخليل.

(2) الكتاب 4/ 176.

(3) الكتاب 4/ 117 . وانظر نحو ذلك: 4/ 411 .

(4) الكتاب 4/ 169 .

(5) الكتاب 4/ 114 .

(6) شرح كتاب سيبويه ل 193/ أ .

"الحَرْفَانِ في الإدغامِ **لارتفاع** اللِّسانِ بهما **ارتفاعةً** وَاحِدَةً بِمَنْزِلَةِ حرفٍ واحدٍ مُتَحَرِّكٍ"(1).

وفي معنى الانفصال استعمل بعض المتقدِّمين لفظ: **(الرَّفعة)**، فاستَعمل الكنديُّ: **(الرَّفعة)** لوَصفِ الإيقاعات في الشعر، فمن ذلك ما قالَه عن إيقاع الرَّمَل:"والرَّمَلُ نَقْرَةٌ مُنفرِدةٌ، ونَقْرَتان متواليَتان لا يُمْكِنُ بينهما زمانُ نقرةٍ، وبين **رَفْعَةٍ** ووَضْعَةٍ ووَضْعَةٍ **ورفْعَةٍ** زمانُ نَقْرَةٍ"(2). وليس الغرضُ من ذكر هذا إلا لفت الأنظار إلى ارتباط الوزنِ الشعريّ بالإيقاع النغميّ.

3. المَوْطِنُ الثالثُ: (الرَّفعُ) مشاركٌ في إحداث صوت الحرف:

استعمَل سيبويه: (الرَّفع) في وصف مخرج الياء المدِّية، قال:"**وتَرْفَعُ** في الياءِ لِسَانَكَ قِبَلَ الحَنَكِ"(3).

ونقَل عبارتَه: الدانيُّ(4)، والقرطبيُّ(5).

واستَعمل الكنديُّ: **(رفع الشفتَين)** في وصف تباعد الشفتَين عند تحرُّك الميم، قال عن وصف حروفِ: (ميم):"تحتاجُ إلى نغمةٍ وإلزامِ الشفتَين، **ورفْعِها**، وردِّها ثانيةٍ إلى لزومٍ بكسرةٍ"(6).

4. المَوْطِنُ الرَّابع: (الارتفاع) مشاركٌ في الاستعلاء:

ذكَر المبرِّدُ امتناعَ قلبِ السِّينِ إلى صادٍ في نحو: (قَسَوتُ)، لمجيئها بعد حرف الاستعلاء على حين يجوز قلبها لو جاءت قبلَه في نحو: (سَطَر وصَطَر)، قال:"لأنَّهم إنَّما قلَبُوها وهذه الحروفُ بعدها؛ لئلاَّ يكونوا في انحدارٍ ثمَّ **يَرْتَفِعُوا**"(7).

5. المَوْطِنُ الخامِسُ : (الرَّفعُ) مشاركٌ في تعريفَي الإطباق والانفتاح:

قال سيبويه عن الحروف المطْبَقة، وهي الطاء والصَّاد والظاءُ والضاد:"وهذه الحروفُ الأربَعةُ إذا وضَعْتَ لِسانكَ في مواضِعهنَّ انطَبَقَ لسانُكَ مِن مواضِعِهنَّ إلى ما حاذى الحنكَ الأعلى من اللِّسان **تَرْفَعُه** إلى الحنك..."(8).

وتابعَه: ابن جنيّ(9)، والقرطبيُّ(1)، والخفاجيُّ(2)، والهمَذانيّ(3).

(1) جامع البيان 2/ 410، و 3/ 881 .
(2) رسالة الكندي: في أجزاء خُبْرِيَّة في الموسيقى ص 262. وهي مطبوعةٌ في ذيل كتاب تاريخ الموسيقى الشرقيَّة لسليم الحلو.
(3) الكتاب 4/ 435 .
(4) التحديد ص 107 .
(5) الموضح ص 91 .
(6) رسالة في اللُّغة ص 525.
(7) المقتضب 1/ 360 .
(8) الكتاب 4/ 436 .
(9) سر صناعة الإعراب 1/ 61 .

واستَعمَل ابنُ الطحَّان[4]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[5]: **(الارتفاع)**.

واستَعمله سيبويه أيضاً في وصفِ الحروف المنفتحة، وهي عكس المطْبَقة، قال:"والمنْفَتِحةُ: كلُّ ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنَّكَ لا تُطْبِقُ لشيءٍ منهنَّ لسانَكَ **تَرْفَعُه** إلى الحنك الأعلى"[6].

وتابعَه: القرطبيُّ[7]، وابن الأنباريّ بلفظ: **(الارتفاع)**[8].

3 . المعنى الثالث لـ: (الرَّفْعُ) = مشاركٌ في رفْع الصَّوت:

من المشترك اللَّفظي. يدلُّ أصله اللُّغويُّ على ما يدلُّ عليه الرَّفْعُ.

استُعمِل: **(رَفْعُ الصَّوت)** في أكثر من معنًى، منها:

1 . استعلاءُ الصَّوتِ من غير استِلْزامِ التفخيم.

2 . الجهر بالحروف أثناء عمليَّة الكلام.

1 . استعلاءُ الصَّوتِ من غير استِلْزامِ التفخيم:

ذكَر الخليلُ أنَّ"الكلمةَ المنصُوبةَ **يُرْفَعُ صَوْتُهَا** إلى: (الغار الأعلى)"[9]. بمعنى يستعلي إلى الحنك الأعلى، وسيأتي تفصيل ذلك في الاستعلاء.

2 . الجهر بالحروف أثناء عمليَّة الكلام:

استَعمل سيبويه: **(رفع الصَّوت)** في التعبير عن الجهر بالحروف أثناء عمليَّة الكلام، قال:"فإذا أردتَ إجراءَ الحُرُوف، فأنت **تَرْفَعُ صَوْتَكَ** إن شئتَ بحروفِ اللِّينِ والمدِّ، أو بما فيها مِنها، وإن شئتَ أخفَيتَ"[10].

4 . المعنى الرابع: الرَّفْعُ = تفخيم الألف نحو الواو:

(1) الموضح ص 90 .
(2) سر الفصاحة ص 21 .
(3) التمهيد ص 281 .
(4) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .
(5) أسرار العربية ص 210 .
(6) الكتاب 4/ 436 .
(7) الموضح ص 90 .
(8) أسرار العربية ص 210 .
(9) العين 7/ 136 .
(10) الكتاب 4/ 434 .

قال الخليل:"وتَفخيمُ الكلام: تَعظيمُه. **والرَّفعُ** في الكلام تَفخيمٌ. وأَلِفٌ مُفَخَّم يُضارِعُ الواوَ"(1).

وقال ابن مجاهد:"وقرأ: [كهيعص] بفتح الهاء، ورفعِ الياءِ: الحسَنُ"(2).

وتقدَّم نظيرُها في مصطلح: (الضمّ)، وأنَّها ضربٌ من تفخيم الألف نحو الواو.

5. المعنى الخامس: (الرَّفْعُ، والارتفاعُ) = عُلُوٌّ أو تقدُّمُ مخرجٍ على مخرج:

استَعمَل الخليلُ لفظ: (أرفَع) للتعبير عن تقدُّمِ الحرف في المخرج إلى الأمام على مخرجِ حرفٍ آخَر يَسْبِقُه، فمِن ذلك قولُه عن العين والحاء والهاء:"فهذه ثلاثةُ أحرفٍ في حيّزٍ واحدٍ بعضُها **أرفَعُ** من بعض... ثمَّ القافُ والكاف لهَوِيَّتان، والكافُ **أرفَعُ**"(3).

وتابعَه ابن دُريدٍ مرتِّباً، قال:"أمَّا الهمزةُ منهنَّ فمِن مخرجِ أقصى الأصوات، والهاء تَلِيها، وهي مِن موضعِ النَّفَس، والحاءُ **أرفَعُ** منها، وهي أقربُ حرفٍ يَلِيها"(4).

ولقَّب سيبويه الحروف التي تخرجُ من فوقِ منطقة الحلْقِ بـ: **(الحروف المُرتَفِعة)**، قال ذلك في التعليل لفتح عين الفل المضارع إذا كان حرفاً حلْقياً:"وإنَّما فَتَحُوا هذه الحروفَ؛ لأنَّها سَفلتْ في الحَلْقِ، فكَرِهُوا أن يتَنَاوَلُوا حركةَ ما قبلَها بحركةِ ما **ارْتَفَعَ** من الحُرُوف، فجَعَلُوا حرَكَتَها من الحرفِ الذي في حَيّزِها وهو الألفُ، وإنَّما الحرَكَاتُ من الألفِ والياءِ والواوِ.

وكذالك حَرَّكُوهُن إذ كُنَّ عيناتٍ، ولم يُفعَلْ هذا بما هو مِن مَوْضِعِ الواوِ والياءِ؛ لأنَّهما من الحُرُوفِ التي **ارتَفعَتْ، والحروفُ المرتفِعةُ** حَيِّزٌ على حِدَةٍ، فإنَّما تَتَناوَلُ **للمُرْتَفِعِ** حركةً من **مُرْتَفِع**، وكُرِهَ أن يُتناوَلَ للَّذي قد سَفَل حركةٌ من هذا الحيّز"(5).

وتابعَه: أبو عليٍّ الفارسيّ(6).

واستعمل سيبويه: **(الارتفاع)** في تبيين أنَّ اللامَ والنُّونَ باعتمادِهما على الحنكِ ـ الذي هو فوق الثنايا ـ قد سَدَّا منفذَ الصَّوت، قال سيبويه:"ومنها حروفٌ مُشْرَبَةٌ لا تَسْمَعُ بعدَها في الوقفِ شيئاً مِمَّا ذكَرْنا؛ لأنها لم تُضْغَطْ ضَغْطَ القَافِ، ولا تَجِدُ مَنْفَذاً، كما وُجِدَ في الحروفِ الأربعةِ. وذلك اللامُ والنُّونُ؛ لأنهما **ارتَفَعَتَا** عن الثَّنايا، فلم تَجِدَا منفذاً"(7).

(1) العين 4/ 281 .
(2) المحتسب 2/ 36 .
(3) العين 1/ 57 - 58 .
(4) الجمهرة 1/ 6 .
(5) الكتاب 4/ 101.
(6) الحجة 1/ 96 .
(7) الكتاب 4/ 175 .

وقال عن الغَين والخاء:"لأنَّهما أشدُّ الستَّةِ **ارتفاعاً**"(1). يعني بالستَّة حروفَ الحلق .

ونقَل عبارته: ابن السرَّاج(2).

وذكَر ابنُ دريدٍ أنَّ العَين تَتْلُو الحاءَ في المِدْرَجِ **والارتِفاعِ**"(3).

وذكَرَ ابن سينا في النُّون أنَّ"الحبسَ فيها **أرْفَعُ** قليلاً من الحبسِ الطبيعيِّ للباء"(4).

وهذا يحتملُ أن يكونَ بمعنى أنَّ النونَ أدخلُ في الحنك، أو أنّ: (أرفعُ) هنا ضدّ: غَلُظَ، فيتجه المعنى حينئذٍ إلى نوعيَّة الحبس، والله أعلم.

6 . المعنى السَّادس: الرَّفْعُ = صلة ميم الجمع (عليهمو):

عبَّرَ قالونُ، وأحمد بن يزيد الحُلْوانيُّ(5) عن صلةِ ميمِ الجَمعِ بـ: (رَفع الميم).

7 . المعنى السَّابعُ: الرَّفْعُ = إشمام الحركات:

استَعمل هشامُ بن عمارٍ: (الرَّفْعَ) في التعبير عن إشمام الحركة في الكلمةِ القرآنية: [سِيءَ]، قال الدانيُّ:"وحدَّثنا ابنُ غَلْبون قال: حدَّثَنا أحمدُ بن أنسٍ، قال: حدَّثنا هشامٌ بإسنادِه عن ابن عامرٍ أنَّه **رَفَعَ** السين من: [سِيءَ] و [سِيتْ]، والحاءَ من: [وحِيلَ]"(6).

وهذا الاستِعمال مِن أجل أنَّ الحركة المشمَّةَ تتِمُّ بضمّ الشفتَين.

8 . المعنى الثامن: الرَّفْعُ = اختلاس الحركة المضمومة:

استعمل القراءُ: (الرَّفْعَ) كجزءٍ مشاركٍ في التعبير عن اختلاس حركة الحرف المضموم في عدَّة مواضع، منها:

1 . اختلاسُ الحركة في نحو راء [يأمُرُكُم]:

عبَّر محمَّدُ بن سَعدان عن ذلك بـ: (**رَفْعٌ** ويُخَفَّفُ كأنَّهُ جَزْمٌ). قال الدانيُّ معلِّقاً:"هذا يدلُّ على اختلاس الحركة"(7).

(1) الكتاب 4/ 102 .
(2) الأصول 3/ 102 .
(3) الجمهرة 1/ 6 .
(4) أسباب حدوث الحروف ص 124 . وانظر استعمال هذا اللَّفظ أيضاً في ص 91 و120 .
(5) كلاهما في جامع البيان للدانيّ 2/ 370 .
(6) جامع البيان للدانيّ ل 112/ أ .
(7) جامع البيان ل 114/ ب . ونقل فيه قول ابن سعدان .

2 . اختلاسُ حركةِ النُّونِ الأولى مِن [تأمنا]:

عبَّرَ داودُ بنُ أبي طيبةَ، وأبو الأزهر عبد الصَّمدُ بن عبدِ الرحمن، وأبو يعقوبُ يوسفُ بنُ موسى عن ذلك بـ: (**الرَّفعُ** فِيما بَينَ الميمِ والنُّونِ الثانيةِ).

قال الدانيُّ معلِّقاً:" وهذا من قولِهِم يَدُلُّ أيضاً على الإخْفَاءِ دُونَ الإدغامِ؛ لأنهم لو أرادُوا الإدغامَ المحْضَ لقالوا: (الرَّفعُ بينَ النُّونَينِ أو بعدَ النُّونِ الثانيةِ)؛ إذ الإشمامُ الذي هُو إشارةٌ بالعُضْوِ كذلكَ يَتَحَصَّلُ في ذلك، فلمَّا قالوا: بَينَ الميمِ والنُّونِ الثَّانيةِ . وهي النُّونُ المرسُومةُ التي هي والألفُ ضميرُ المفْعُولِين . عُلِمَ أنَّهُمْ أرَادُوا النُّونَ التي هي آخرُ الفِعلِ، المزالُ حركتُها في الأصلِ للإدغامِ إذ هي التي بينهما، وإذا كان كذلك فهي المشارُ إليها بالحركةِ، وإذا أُشِيرَ فيها صَحَّ الإخفاءُ من طريق النَّصِّ وبَطَلَ الإدغامُ"[1].

وتعبير الدانيِّ عن الاختلاسِ بالإخفاءِ قديمٌ، وسيأتي بيانُه.

9 . المعنى التاسِع: الرَّفعُ = قَصْرُ صلة هاء الضَّمير المضمومة:

أكثرُ التعبيرات التي استَعمل القراءُ فيها: (الرَّفع) للتعبير عن قصر صلة هاء الضَّمير المضمومة في نحو: [مِنْهُ] و [عَنْهُ]، تَكشِف بوضوح معرِفتَهم علاقةَ الحركةِ بحرفِ المدِّ، ومنها:

. [يَرْضَه]: (بالجَزْمِ ورَفْعِ الهاء): عبد الله بن ذكوان. قال ابن مجاهد معلِّقاً:"وهذا، والله أعلم، كأنَّهُ يُشِمُّ الهاء فيه الضمَّ مِن غير مبالَغَةٍ"[2]. يعني: قصر صلة هاء الضمير، بدليل قولِ الدانيِّ:"وهذا يدلُّ على الاختِلاس"[3].

. [يَرْضَه]: (برَفْعِ الهاء ولا يُشبعُ الرَّفْعَة): أحمد بنُ يزيد الحُلْوانيُّ[4].

10 . المعنى العاشر: الرَّفع = الضمَّة:

قال الخوارزميُّ:"**الرَّفعُ** عند أصحابِ المنطقِ من اليونانيِّين واوٌ ناقِصةٌ"[5]. وهو يعني الضمَّة .

ذكر ابنُ الطحَّانِ الأندلسيُّ أنَّ "الحركاتِ ثلاثٌ: **رَفعٌ** ونصبٌ وخَفضٌ"[6].

وذكَر الحريريُّ سببَ تسميةِ الضمَّةِ رفعاً، قال:"لأنَّ الضمَّةَ من الواو، ومخرجُ الواو من الشفتَين، وهما

(1) جامع البيان ل 170/ ب . ونقل فيه أقوالهم وتعليقه، ولا يُفهَمُ من قول الدانيِّ: (وبطَلَ الإدغام) ردّ الوجه الثاني للقراءة، وهو الإشمام مع الإدغام؛ إذ هو هنا يدلِّل على أن وجه اختلاس الحركة أولى عنده من وجه الإشمام مع الإدغام، وقد أثبت الوجهين، وانظر: ل 170/ أ .

(2) السبعة ص 210 .

(3) جامع البيان ل 135/ أ . وانظر مصطلح: الاختلاس .

(4) جامع البيان ل 217/ أ .

(5) مفاتيح العلوم ص 56 .

(6) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل 9/ أ .

أرفعُ الفم"[1]. يعني المشرِفَتَين عليه.

لكنَّ السُّهيليَّ خالفَه جاعلاً الرَّفْعَ من صفة الصَّوت، قال:"**الرَّفعُ** من صفةِ الصَّوتِ؛ لأنه يَرتَفِعُ عند ضَمِّ الشفتين"[2].

المصطلحُ السَّادس للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: الإعادة:

من أصلِه اللُّغويّ أن يدلَّ على تثنيَةٍ في الأمر، أي رجوعٍ إليه مرَّةً ثانيَةً، قال الخليلُ: هو تثنيةُ الأمرِ عَوْداً بعد بدءٍ، ومنه: عيادةُ المريض، ويقولون: أعاد الصَّلاة والحديثَ[3].

نقَل سيبويه عن الخليلِ أنَّ اللاَّفظَ بالحرفين المتماثلَين إنَّما يرفَع لسانَه عن مخرجِ الحرفِ ثمَّ يُعيدُه إلى ذات الموضع، قال:"قلتُ: فهلاَّ قالوا: قَوَوْتَ تَقْوُو، كما قالوا: غَزَوْتَ تَغْزُو. قال: إنَّما ذلكَ لأنه مُضَاعَفٌ فيَرْفَعُ لِسَانَه ثُمَّ **يُعِيدُه**"[4].

وإعادةُ اللِّسان هو رجوعٌ إلى ضغطِ أحدِ عضوَيِ النُّطقِ على الآخَر.

وبهذا المعنى نُقِل عن الخليلِ أيضاً أنَّ إظهار الحرفَين المتَقارِبَين"مثلَ **إعادةِ** الحديثِ مرَّتَين أو كخَطوِ المقَيَّدِ"[5].

ونقَل هذا التشبيه بهذا الاستعمال عددٌ من العلماء، منهم: ابنُ زنجلة[6]، ومكيّ[7].

وكذلك قال المبرِّدُ عن وجوبِ الإدغام في الحرفين المتماثِلَين من كلمة وصعوبة الإظهار، في نحو: ردَّ بدلاً من: رَدَدَ، قال: "ولكنَّك أدغَمْتَ؛ لثقلِ الحرفَين إذا فصَلْتَ بينهما؛ لأنَّ اللِّسانَ يُزايِلُ الحرفَ إلى موضعِ الحركةِ، ثمَّ **يَعُودُ** إليه"[8].

وكذلك استعمل السيرافيُّ هذا المصطلح في ذات المعنى أيضاً[9].

المصطلح السابع للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: (الزَّوال، والمُزايَلَة، والإزالة):

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تَنَحِّي الشيء عن مكانه. يقولون: زالَ الشيءُ زَوالاً،

(1) شرح ملحة الإعراب ص 82 .
(2) نتائج الفكر ص 83 .
(3) مقاييس اللُّغة ص 692 (ع و د) .
(4) الكتاب 4/ 400 .
(5) السبعة لابن مجاهد ص 125 .
(6) الحجة ص 84 .
(7) الكشف عن وجوه القراءات وعللها 1/ 134، والرعاية ص 205 .
(8) المقتضب 1/ 334 .
(9) شرح كتاب سيبويه 2/ 115 .

ويقالُ: أزَلتُه عن المكان وزوَّلتُهُ عنه. والتزَايُلُ: التبايُن، يقالُ: زيَّلْتُ بينَه، أي: فرَّقْتُ[1].

استُعمل: (الزَّوال، والإزالة) في أكثر من معنى، منها:

1 ـ انقلاعُ أحدِ عضوي النطق عن الآخَر، وشاركهما: (المزايَلة) في هذا المعنى.

2 ـ الانتقال من حالٍ إلى حال.

3 ـ الحذْف والذَّهابُ.

1 ـ المعنى الأوَّل: (الزَّوال، والمُزايَلَة، والإزالة) = انقلاعُ أحدِ عضوي النطق عن الآخَر:

استَعمل سيبويه لفظ: (**يَزولُ**) في تلقيبه للحرفَين المتماثلَين المدغَمَين في كلمة وكلمتَين، قال:"هذا بابُ الإدغامِ في الحَرْفَين اللَّذَين تَضَعُ لسانَكَ لهُما مَوْضِعاً واحِداً **لا يَزُولُ** عنه" [2]. فالزَّوال هنا بمعنى الانفصال عن المخرجِ، وهو نوعٌ من انقلاعِ عضوَي النُّطق.

ونقَل هذا التلقيب: ابن السرَّاج[3].

واستَعمَل المبرِّدُ ـ في المصطلح السَّابق ـ لفظ: (**يُزايِلُ**) بصيغة المفاعَلَة في قولِه:" لأنَّ اللِّسانَ **يُزايِلُ** الحرفَ إلى موضعِ الحركةِ، ثمَّ يَعُودُ إليه"[4]. وهو يدلُّ على أنَّ الانقلاع بين عُضوَي النُّطق فيه مقاوَمةٌ، وفيه من الدِّقَّةِ ما فيه.

وذكَر الدانيُّ أنَّ الميمَ "أقوى من النُّون؛ لأنَّ لفظَها **لا يَزُول**، ولفظُ النُّونِ قد **يزولُ** عنها، فلا يَبْقى مِنها إلا غُنَّة"[5].

ونقَل القرطبيُّ عبارتَه[6].

ومعنى هذه الملاحظة أنَّ إطباق الشفتَين في الميمِ ملازمٌ لها في كلِّ أحوالِها بخلاف النُّون التي يَنفصِلُ فيها اللِّسان عن مخرجِها في الإخفاء. وهذا النصُّ فيه ردٌّ بليغٌ على مَن يُباعِدُ بين الشفتَين في الميمِ عند الباء، أعني في الإخفاء الشفويّ.

2 ـ المعنى الثاني: (الزَّوال، والإزالة) = الانتقال من حالٍ إلى حال:

(1) مقاييس اللُّغة ص 444 – 445 (ز و ل)، (ز ي ل).
(2) الكتاب 4/ 437 .
(3) الأصول 3/ 405 .
(4) المقتضب 1/ 334 .
(5) التحديد ص109 .
(6) الموضح ص 97 .

استَعمله الأخفش في وصف الانتقال من حركةٍ إلى أخرى، قال:"لأنَّ السَّاكنَ أقلُّ من المتحرّك، ومع هذا أنَّكَ إذا **أزَلتَهُ** إلى غير السُّكُون **لم يَزُل** إلاَّ إلى حركةٍ أخرى، فلو **أزَلْتَ** (كَبِرَ) إلى الفَتْحِ لقلتَ: (كَبَرَ)، وإلى الضَّمِّ قلتَ: كَبُرَ، فيَصيرُ إلى تحريكٍ لا يَكُونُ في غيرِه، إلاَّ أن تُثَقِّلَهُ فيصيرُ حرفين"[1].

واستَعمله أبو عليٍّ الفارسيُّ في وصفِه للانتقالِ عن الفتح ضدّ الإمالة في نحو: [بِقِنطَارٍ]، قال:"وإذا **زالَ** عن الفتحِ الخالِصِ فهو إمالةٌ، وإن كان بعضُ الإمالةِ أزيدَ من بعض"[2].

3. المعنى الثالث: (الزَّوال، والإزالة) = الحذْف والذَّهابُ:

ذكَر ابنُ مجاهدٍ في الاحتجاجِ لعدم إمالةِ راء: [نَرَى الله] في الوصل أنَّ"الإمالةَ إنَّما كانتْ من أجلِ الياءِ، فلمَّا **زَالَتِ** الياءُ **زالت** الإمالةُ"[3].

وذكَر ابنُ غَلْبون أنَّ حجة تشديد الزاي والكاف في: [تَزَّكَّى] أنَّها على وزن "تَتَفَعَّلُ، **فأزالوا** عن تاء الافتعال الحركة..."[4].

وذكَر ابنُ جنيّ أنَّ النُّونَ"إذا كانت من الفمِ سَقَطَتْ غُنَّتُها، وإذا سَقَطَتْ غُنَّتُها **زالَ** شبهُهَا بحرفَيِ المدِّ: الواو والألف"[5].

وذكَرَ الدانيُّ أنَّ رَوْمَ الحرَكةِ حركةٌ، وإن ضَعُفَتْ **وزَالَ** مُعْظَمُها"[6].

ونقل عبارتَه القرطبيُّ[7].

واستعمله الدانيُّ أيضاً في ذهاب المدِّ عن الواو والياء إذا انفتَح ما قبلهما، قال:"ويَنْفَتِحُ ما قبلَهُما، **فيزولُ** بذلك معظمُ المدِّ عنهما، ويصيران كسائرِ الحُرُوف السَّواكن التي لا مدَّ فيها"[8].

وتابعَه القرطبيُّ[9].

8. المصطلح الثامن للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: (التَّجَافِي)[1]:

(1) العروض ص 112 .
(2) الحجة 1/ 399 .
(3) السبعة ص 146 .
(4) الاستكمال ص 220 .
(5) الخصائص 1/ 364 . قال ذلك في معرض المقارنة بين النُّون إذا كان بعدها حرف حلقيٌّ (ارفَنْعَعَ)، والنونِ إذا جاء بعدها حرفٌ فمويٌّ (احرَنْجَمَ).
(6) التحديد ص 172 ، وجامع البيان 2/ 484 .
(7) الموضح ص 131 .
(8) المخطوط من جامع البيان ل 172/ أ . وانظر المطبوع 2/ 635 .
(9) الموضح ص 121 .

عكس مصطلح: (اللُّزوم)، من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصلُه اللُّغويّ على نُبُوِّ الشَّيءِ عن الشَّيء، وكذلِك كلُّ شيءٍ إذا لم يَلْزَم شيئاً يقال: جَفَا عنه يَجْفُو[2].

استُعمِل: (التجافي) في أكثر من معنىً، منها:

1 . التبَاعُدُ بين عُضْوَي النُّطق 2 . الامتِنَاعُ والنُّفُورُ مطلقاً.

1 . المعنى الأوَّل: التَّجَافي = التباعد بين عضوَي النطق:

استَعمل سيبويه: (تجَافِي الشفتَين) في وصف الواو، حيث تتجافى عنها الشفتان ولا تنطبقان، كانطباقهما في الباء والميم[3].

واستَعمَل سيبويه: (**تجافي** اللِّسان) في وصف خروجِ صوتِ: الضاد والظاء والذال والزاي حيث وَجَدْنَ المنفذَ الذي يَخرُجْنَ منه بسبب **تَجَافي** اللِّسان[4]، وفي حسنِ إظهار السين والزاي إذا التقتا بالصَّاد لرخاوتهنَّ، **وتجافي** اللِّسان عنهنّ[5].

واستَعمَل: (**التجافي** للصَّوت) في تعليله جريانَ الصَّوت في الحروف الرِّخوة والراء[6].

واستعملَ: (**التَّجافي** عن الموضع) في وصفِه لامتناع **تجافي** طرفِ اللِّسان عن موضِع اللاَّم، فيخرجُ الصَّوْت حينئذٍ من ناحيتَي مستدقِّه[7].

وذكَر أن إدغام الطاء والدَّال والتاء في الضاد أقوى منه في الشين بسبب اتِّصال الضاد بمخارج الحروف الأماميَّة بالمخرجِ والصَّوت بخلاف الشِّين التي تتَّصل معها بانتشار الهواء وتفشِّيه فقط، قال:"وتُدْغَمُ الطاءُ والدَّالُ والتاءُ في الشِّين؛ لاستِطَالَتِها حين اتَّصَلَتْ بمُخْرَجِها... والإدغامُ في الضَّادِ أَقْوَى؛ لأنها قَدْ خَالَطَتْ باستِطَالَتِهَا الثَّنِيَّة، وَهِيَ مَعَ ذَا مُطْبَقَةٌ، وَلَمْ **تَجَافَ** عَنِ المَوْضِعِ الذي قَرُبَتْ فِيهِ مِنَ الطَّاءِ **تَجَافِيَهَا**[8]. يعني: أنَّ طرف اللِّسان . وهو المخرجُ الأماميُّ للضاد . يبقى ملازماً للحنك ولا يتجافى عنه بخلاف الشِّين، وهذا ما أكَّده الرمَّانيُّ بقوله:"وإدغام حروف طرفِ اللِّسان في الضَّاد أقوى منه في الشِّين؛ لأنَّ الشينَ تجافتْ عن

(1) انظر مصطلح : الزَّوال.
(2) مقاييس اللُّغة ص 202 (ج ف و).
(3) الكتاب 4/ 453.
(4) الكتاب 4/ 175.
(5) الكتاب 4/ 461.
(6) الكتاب 4/ 435.
(7) الكتاب 4/ 435.
(8) الكتاب 4/ 466.

الموضعِ الذي اتَّصَلتْ به، فلم تَثْبُتْ على مخالطة حروف طرفِ اللِّسان كما ثَبَتت الضَّاد..."[1].

ودارت عبارات العلماء حول عبارات سيبويه، فاستعمل الرُّمَّانيُّ (**تجافيَ** اللِّسان)، في وصفه للراء حيث"يُمكن إجراءُ الصوت فيها **لتجافي** اللِّسان بالتكرير"[2].

واستعمل الدانيُّ: (**تجافيَ** اللِّسان) في كلِّ الحروف البينيَّة مع التفصيل في ذلك، قال:"أما الشَّديدُ الذي يَجري فيه الصَّوتُ فخمسةُ أحرف، يجمعُها قولك: (لم نَرْعُ)، العَين والنون واللام والراء والميم، اشتدَّ لزومُها لموضعِها، ثمَّ **تَجافى** بها اللِّسان عن موضعِها فجَرى فيها الصوتُ **لتجافيها**.

أما العينُ **فَتَجَافى** بها اللِّسان فجَرى فيها الصَّوت لشبهها بالحاء.

وأما الراءُ **فتجافى** بها اللِّسان عن موضعها للتكرير الذي فيها فجرى فيها الصَّوت.

وأما اللام **فَتَجَافَى** ما فوق حافَّة اللِّسان بها عن موضعها لانحرافِها، فجرى فيها الصَّوت لا مِن موضع اللام ولكن من ناحيتَي مُسْتَدَقِّ اللِّسان فُوَيْقَ ذلك.

وأما النون والميم **فتجافى** اللِّسان بهما إلى مَوضع الغنَّة، وهو الأنف، فجَرى فيها الصوت"[3].

وهناك غموضٌ في النصِّ في كيفيَّة تجافي اللِّسان في العين والميم؛ فاللِّسانُ غير مشاركٍ في إخراجهما.

وذكَر القرطبيُّ أن جريان الصوت في الحروف البينيَّة إنما هو "لاستطالة الحرف **وتَجَافِيهِ** أو لِشَبَهٍ بغيره"[4].

وبالتفافٍ ذكيٍّ حول عبارة سيبويه في جريان صوت اللام ذكَر القرطبيُّ "**تجافي** ناحيتَي مُستدقِّ اللِّسان عن اعتراضهما على الصَّوت"[5].

2. المعنى الثاني: التَّجَافِي = الامتناع والنُّفور:

استُعمِل: (**الجفاءُ، والتجافي**)، فقد ذكَر الأخفشُ (**جَفَاء** اللِّسان) عن الحركة والساكن في حديثه عن امتناع الوقف على متحرِّك، أو الابتداء بساكن[6].

وذكره القرطبيُّ في شرحِه لعبارة من نبَّه إلى (**التجافي**) عن الحرف المشدَّد، واستعمال التخفيف[7].

المصطلح التاسع للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: (التَّضيِيقُ):

(1) شرح كتاب سيبويه ل 203/ أ .
(2) المخطوط من شرح كتاب سيبويه 192/ أ.
(3) التحديد ص 106.
(4) الموضح ص 89.
(5) الموضح ص 92.
(6) العَروض ص 117.
(7) الموضح ص 141.

يدلُّ في اللُّغة على خلاف السَّعة، ضَاقَ الشيءُ ضَيْقاً. وشيءٌ ضَيْقٌ، أي: ضَيِّقٌ. وضيَّقتُ عليه تَضْيِيقاً، وتَضَيَّقَ أمرُه تَضَيُّقاً[1].

استَعمل الكنديُّ: (تضييق الشفتَين) في وصف وضع الشفتَين عند النُّطق بالواو المدِّية، حيث يَتمُّ فيها:"تَطْويلُ الشفتَين، **وتضييقُها**، وفتحُها تامَّةً"[2].

وتابعَه ابن سينا، وذكَر أنَّ الواوَ والضَّمَّةَ يَخرُجانِ "مع أدنى مُزاحَمةٍ **وتضييقٍ** للشفَتَين"[3].

واستعمله ابن سينا أيضاً في وصف الياء، قال:"وأمَّا الياءُ المصوّتةُ وأختُها الكسرةُ فأظنُّ أنَّ مخرجَهما مع إطلاق الهواءِ مع **أدنى تضييقٍ** للمخرجِ، وميلٍ به سلسٍ إلى أسفل"[4].

المصطلح العاشر للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: (الإطباق):

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصله اللُّغويّ على وَضعِ شيءٍ مبسوطٍ على مثلِه حتى يُغَطِّيَه، ويقال: طابَقْتُ بين الشَّيئَين: إذا جعلتُهما على حَذْوٍ واحدٍ[5].

استُعمِل: (الإطباق) في أكثرِ من معنًى، منها:

1 . ضغْطُ أحدِ عُضوَي النُّطق على الآخَر لإحداث الصَّوْت اللُّغويّ. 2 . من صفاتِ الحروف الكبرى.

1 . المعنى الأوَّل: الإطباق = ضغْطُ أحدِ عُضوَي النُّطق على الآخَر لإحداث الصَّوْت اللُّغويّ:

استَعمله الخليل في تلقيبه للميم، قال اللَّيثُ:"وكان الخليلُ يسمِّي الميمَ: **مُطْبِقةً**؛ لأنها **تُطْبِقُ** الفمَ إذا نُطِق بها"[6].

واستَعمل الدانيُّ: (**انطباق الشفتَين**) للتعبير عن ملازمته للباء والميم[7].

وتابعَه: القرطبيُّ[8]، وابن الطحان الأندلسيّ[9].

(1) مقاييس اللُّغة ص 583 (ض ي ق)، والمصباح المنير ص 367 .

(2) رسالة في اللُّثغة ص 524 و 526.

(3) أسباب حدوث الحروف ص 126 . وتأتي متابعةُ ابن سينا للكنديّ من حيث إن المجموع الذي وجِدت فيه رسالة الكنديّ في اللُّثغة عليه تملُّكٌ منسوبٌ إلى ابن سينا وعليه خطُّه. ولعلَّ ابن سينا صَدَر في وصفه عن وصف الكنديّ في رسالته، والله أعلم.

(4) أسباب حدوث الحروف ص 84 .

(5) مقاييس اللُّغة ص 607 (ط ب ق)

(6) العين 1/ 58.

(7) جامع البيان 2/ 429.

(8) الموضح ص 79.

(9) مخارج الحروف وصفاتها ص 120.

وحذَّر القرطبيُّ من (**إطباق الشفتَين**) بعد حرف الألف في نحو: [عليماً] و [خبيراً]، عند الوقف، كأنه يريدُ النطقَ بميم[1].

2 . المعنى الثاني: الإطباقُ = من صفات الحروف الكبرى:

انظره في صفات الحروف.

المصطلح الحادي عشر للقوَّةِ الضَّاغِطة في أعضاء النُّطق: الشَّدُّ:

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويّ على قوّةٍ في الشيء[2].

استُعمِل: (الشدُّ) في أكثر من معنًى ، منها:

1 . تشديد الحرف. 2 . التضاغط بين عُضوي النُّطق في صوت الحرف.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الشَّدُّ) = تشديد الحرف:

استَعمل أبو زيدٍ اللُّغويُّ: (الشدَّ) في التعبير عن تشديد الواو، قال:"قالوا: الطاهي: الطابخُ، وهو الخبَّازُ الذي يَطبُخُ ويخبِزُ ويَشوي. قد طَهَى لنا يَطْهَى لنا . بفتح الهاء في الماضي والمستقبل . طُهُوًّا، بضمّ الطاء والهاء **وشَدِّ الواو**"[3].

2 . المعنى الثاني لـ: (الشدّ) = التضاغط بين عُضوي النُّطق في صوت الحرف:

استعمل ابن سينا لفظ: (**الشّدّ القويّ**) للشفتين عند الحبس في الباء المشدَّدة[4]، وفي الحرف الشبيه بالجيم (لعلَّها: الجيم العدَنيَّة والقاهريَّة)، قال عنها:"وأيضاً الحرفُ الشبيهُ بالجيمِ يُسمَعُ من قول الفارسيّين (جاه)، ونسبةُ هذه الجيمِ إلى الجيمِ العربيةِ كنسبة الكاف العربيَّةِ إلى الكافِ الغير العربيَّةِ؛ لأنَّها تَحدُثُ عن **شدٍّ** عند الحبسِ قويٍّ، وبجزءٍ من اللِّسان أكبرُ، وبقَلْعٍ وحَفزٍ للهواء أشدُّ"[5].

مصطلحات القوة الضاغطة الخاصَّة باللِّسان:

1 . المصطلح الأوَّل للقوَّةِ الضَّاغِطة في اللِّسان: (الغَمْزَةُ)

(1) الموضح ص 100 – 101.

(2) مقاييس اللُّغة ص 501 (ش د د).

(3) نقل ذلك عنه أبو علي القالي في البارع في اللغة ص 129 .

(4) أسباب حدوث الحروف ص 92 .

(5) أسباب حدوث الحروف ص 127 – 128 . وكان ترجيحي لهذا الصَّوت بأنَّه الجيم العدنيَّة والقاهريَّة من وجهَين: الأوَّلُ: أخذاً من قوله قبل هذا النصِّ عن الكاف غير العربيَّة:"فمِن ذلك الكافُ الخفيفةُ التي تَستَعمِلُها العربُ في عصرِنا هذا بدلَ القاف، وهي تحدُثُ حيث تحدُث الكاف، ولكِن أدخَلَ وبحبسٍ أضعف" اهـ. والوجهُ الثاني أنَّه ذكر بعد ذلك ثلاث جيماتٍ كلُّها رخوةٌ، قال:"وهاهنا أيضاً حروفٌ ثلاثةٌ تُشبِهُ الجيم، ليستْ في العربيَّة ولا في الفارسيَّة، وكلُّها تُبْتَرُ عنها الفرقعَةُ التي في الجيم، ويزولُ جَرْسُها إلى الهمس والصفير اليابس" اهـ.

يدلُّ أصلُه على النَّخْس في الشيءِ بشيءٍ، ثم يُستَعار، من ذلك: غَمَزتُ الشيءَ بيدي غَمْزاً[1].

استَعمل الكنديُّ لفظ: (الغَمزة) للتعبير عن ضغط أحد عُضوي النُّطق على الآخَر في الذال، حيث تَتِمُّ بـ: "**غَمْزَةٍ** بطرَف اللِّسان على الأسنان العليا"[2].

2 . المصطلح الثاني للقوَّةِ الضَّاغِطة في اللِّسان: (الهَمْزَةُ)

من المشترك اللَّفظيّ، كلمةٌ تدلُّ على ضغطٍ وعَصْر[3].

استُعمِل لفظ: (الهَمْزَة) في أكثرَ مِن معنىً، منها:

1 . أوَّلُ حروف الهجاء 2 . ضَغْطُ أحدِ عُضوَي النُّطق على الآخَر لإحداث الصَّوْت.

1 . المعنى الأوَّل لـ (الهَمْزَة) = أوَّلُ حروف الهجاء:

استعمله الصحابيُّ الجليلُ عبد الله بن مغفل τ في وصفه لقراءة النبيِّ ρ على ناقته، قال:"سَمِعتُ رسول الله ρ افتَتَح بسورةِ الفتحِ، وهو على ناقتِه، فرجَّعَ فيها آآآ **يَهْمِزُ** ويترسَّل"[4].

من الطبيعيّ أنَّ الرُّكوبَ على النَّاقةِ، وتحرُّكُ الجسمِ بحركتها يؤثِّر على القراءة، فلعلَّه يصِفُ τ الوقفَ على فواصل آيات سورة الفتح المختومة بحروف المدّ: [مُبِيناً... مُسْتَقِيمًا... عَزِيزًا]، وكيفيَّة تقَطُّع هذه الحروف في نُطقه الشَّريف ρ ، والله أعلم.

تتابَع العلماء على استعمال هذا اللَّفظ، منهم: حمزة الزيَّات[5]، والمفضَّل الضبيُّ[6]، والخليلُ[7]، وسيبويه[8]، وغيرهم.

قال الخليلُ عن سبب تسميةِ الهمزة بهذا الاسم:"وإنَّما سُمِّيَتِ **الهَمزةُ** في الحُرُوفِ؛ لأنّها **تُهمَزُ**، فتُهَتُّ، **فتُهْمَزُ** عن مَخْرَجِها"[9].

لعلَّه يعني: يُعْصَرُ صَوْتُها ويُضْغَطُ في المخرجِ، فتَضْعُفُ وتخفى، فتُحوَّل عن مخرجها وتُخَفَّفُ، وكأنَّ الهمزَ

(1) مقاييس اللُّغة ص 775 (غ م ز).
(2) رسالة في اللُّثغة ص 527.
(3) مقاييس اللُّغة ص 1036 (هـ م ز).
(4) نقَل ذلك عنه أبو العلاء الهَمَذانيُّ في التمهيد ص 169.
(5) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان 2/ 652 .
(6) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان 2/ 499 .
(7) العين 8/ 354 .
(8) الكتاب 4/ 322 .
(9) العين 4/ 17 .

في نصِّ الخليل يأخذ معنيَين، فقوله: (لأنها **تُهمَز**) يعني تُضغط وتُعصَر في مخرجها، وقوله (**فتُهمَز** عن مخرجها): يعني تُحَوَّلُ عن مخرجِها تخفيفاً لها من هذا الضَّغط، والله أعلم.

ومن هذا المعنى يأتي مصطلح: (**الهمز**) بمعنى تحقيقه وإظهاره، الذي استعمله كثيرٌ من العلماء، منهم: أيوبُ السختيانيُّ[1]، وحمزةُ بنُ حبيبٍ الزيَّات، وسفيانُ الثوريُّ[2]، وسُلَيمُ بن عيسى[3]، وهارون الأعورُ[4]، ويحيى اليزيديّ[5]، وغيرهم كثيرٌ.

قال حمزة بن حبيب الزيَّات:"إنَّما **الهمزُ** رياضةٌ"[6].

2 . المعنى الثاني لـ (الهَمْزَةُ) = ضَغْطُ أحدِ عُضوَي النُّطق على الآخَر لإحداث الصَّوْت:

استَعمل الكنديُّ لفظ: (**الهَمْزة**) للتعبير عن ضغط أحد عُضوي النُّطق على الآخَر في الدَّال، والطاء، والنون، والهاء، والعين، والذال، فمثلاً: تحتاجُ الطاءُ في إخراجِها إلى"**هَمزَةٍ** شديدةٍ بطرَف اللِّسانِ على مُقَدَّم الأسنان بلا نفَسٍ، وفتحةٌ"[7]، وتخرجُ النُّون بـ:"**همزةِ** طرفِ اللِّسانِ على مقاديمِ الأسنان وصدر الحنك"[8].

3 . المصطلح الثالث للقوَّةِ الضَّاغِطة في اللِّسان: (الانبِسَاطُ):

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على امتداد الشيءِ في عِرَضٍ أو غَير عِرَض، فالبِساطُ ما يُبسَطُ، والبَسْطَةُ في كلِّ شيءٍ: السَّعَة[9].

ذكَر الكنديُّ أن اللِّسان يَنبَسِطُ على الحنك كلِّه عند خروج التاء[10].

وذكر الدانيُّ أن اللِّسانَ **ينبَسِط** في سائر الحروف الصِّحاح، قال عن الواو والياء عند انتقالهما من حالة المدِّ إلى اللِّين:"فإن انفتح ما قبلهما أُلقِي عليهما حركةُ الهمزة؛ لزوال معظم المدِّ منهما بذلك، **وانبساط** اللِّسان بهما **كانبساطه** لسائر الحروف السَّواكن التي لا مدَّ فيها ولا لِين، فالياء المفتوح ما قبلَها نحو قوله: [ابْنَيْ ءَادَم] و [ذَوَاتَيْ أُكُلٍ]، والواو المفتوح ما قبلها نحو: [خَلَوْا إِلَى] و [تَعَالَوْا أَتْلُ]، وما أشبهه"[11].

(1) نقل ذلك عنه ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص 34 .
(2) نقل ذلك عنه الداني في التحديد ص 89 .
(3) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان 2/ 621 .
(4) نقل ذلك عنه ابن جنيّ في المحتسب 2/ 187 .
(5) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان 2/ 624 .
(6) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان 1/ 147 والتحديد ص 118.
(7) رسالة في اللُّغة ص 524. وانظر: ص 525 و 526 و 528.
(8) رسالة في اللُّغة ص 527 .
(9) مقاييس اللُّغة ص 116 (ب س ط).
(10) رسالة في اللُّغة ص 525 – 527.
(11) المطبوع من جامع البيان 2/ 478 و 635، والتحديد في الإتقان والتجويد ص 131.

ولعلَّه يَقْصِدُ بالانبساط أن للحُرُوفِ الصِّحاحِ مواقعَ محدَّدة ممتدَّةً على اللِّسان، فأصبح اللِّسان بمثابة البساط لها، والله أعلم.

وتابعه القرطبيُّ في الواو والياء والطاء[1].

وقال **بانبساط** اللِّسان عند الإطباق[2]، وتفخيم الراء[3].

ولعلَّه يُشِيرُ إلى المساحةِ العَريضَةِ التي يأخُذُها الحرفُ المفَخَّمُ من اللِّسان عند خروجه بسبب الإطباق.

4 . المصطلح الرَّابع للقوَّةِ الضَّاغِطة في اللِّسان: (الإدارَةُ)

يدلُّ أصلُه اللُّغوي على إحداق الشيء بالشيء من حوالَيه، يقال: دار يدورُ دَوَراناً، ويقال: دِيرَ به وأُدِيرَ به، فهو مَدُورٌ به، ومُدارٌ به[4].

استَعمله إخوان الصفاء للتعبير عن "**إدارة** اللِّسان لهواء الرِّئتَين على حسب مخارجه"[5].

5 . المصطلح الخامس للقوَّةِ الضَّاغِطة في اللِّسان: (الرَّدُّ)

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على رَجْعِ الشَّيءِ، وتقولُ: ردَدت الشيءَ أرُدُّه رَدّاً: منَعتُه. وتقول: ردَدتُ عليه قولَه، وردَدتُ إليه جوابَه: رجَعْتُ وأرْسَلْتُ[6].

استُعمل: (الرَّدُّ) في أكثر من معنًى، منها:

1 . مَنْعُ الصَّوت. 2 . ضغط أحدِ عُضوي النُّطق على الآخَر لإحداث صوت الحرف. 3 . نقل الحركة. 4 . جزءٌ مشاركٌ في تجويد الحرف .

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الرَّد) = منعُ الصَّوت:

ذكَر سيبويه عن رخاوة الظاء والذال والثاء أنَّها أشدُّ من رخاوَةِ الصاد والسِّين والزاي؛"لانحرافِ طرَفِ اللِّسان إلى طرفِ الثنايا، ولم يَكُن له **رَدٌّ**"[7]. يعني أنَّ طرف اللِّسان مع أطراف الثنايا . وهو مخرج الظاء والذال والثاء . يسْمَحُ بمرور الصَّوتِ أكثر من مخرج الصاد والسين والزاي، وسيأتي شرح ذلك في مصطلح الرَّخاوة في الحروف.

(1) الموضَح ص 115 و 121، ناقلاً نص الدانيّ عن الواو والياء في التحديد ص 131.
(2) الموضح ص 204.
(3) الموضح ص 106.
(4) مقاييس اللُّغة ص 350 (د و ر).
(5) الرسائل 3/ 114.
(6) مقاييس اللُّغة ص 380 (ر د د) والمصباح المنير ص 224.
(7) الكتاب 4/ 462 .

2 . المعنى الثاني لـ: (الرَّد) = ضغط أحدِ عُضوي النُّطق على الآخَر لإحداث صوت الحرف:

استعمل الكنديُّ (**الرَّدّ**) في وصف خروج اللاَّم حيث تخرُجُ بـ:" **رَدِّ** طرفِ اللِّسان إلى صدرِ الحنك"، والنُّون تخرُجُ بـ:" **رَدِّ** اللِّسان إلى الحنك بهَمزَة"، وتَخرُج الثاءُ بـ:"**ردِّ** رأس اللِّسان إلى الأسنان العُليا"[1].

3 . المعنى الثالث لـ: (الرَّد) = نقل الحركة

استعمل ابن مهران: (**الرَّد**) في التعبير عن نقل الحركة إلى السَّاكنِ قبلَها، قال:"كلُّهم قرؤوا: [قَدْ أَفْلَحَ] بقَطْعِ الألف وسُكُون الدال غَير ورشٍ عن نافعٍ فإنَّه يَصِلُها ويَترُكُ الهمزةَ منها، **ويَرُدُّ** حركتَها إلى الدَّالِ قَبْلَها فيَفْتَحُها"[2].

4 . المعنى الرابع لـ: (الرَّد) = جزء مشاركٌ في تعريف التجويد

استعمله الدانيُّ في تعريف التجويد، قال:"فتجويدُ القرآنِ هو إعطاءُ الحروفِ حقوقَها وترتِيبُها مراتِبَها، **ورَدُّ** الحرفِ من حروف المعجَم إلى مخرجِه وأصلِه..."[3]. يُوصي بتحقيق الحرف في مخرجِه، وعدم الانتقال عن مخرجِه إلى مخرجٍ آخر، حتى لا يخرجَ محرَّفاً في النُّطق، وهذا من التجويد.

وتابعه القرطبيُّ[4].

6 . المصطلح السَّادس للقوَّةِ الضَّاغِطة في اللِّسان: (الوَضْعُ)

ضدُّ الرَّفْع. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على الخَفضِ للشيءِ وحَطِّهِ. وضَعْتُهُ بالأرضِ وَضْعاً. واسمُ المكان: المَوْضِعُ[5].

استِعمَله سيبويه في التعبير عن ضغط اللِّسان على الثنايا في الطاء، قال:"لأنك **تَضَعُ** للطاءِ لِسَانَكَ بَين الثَّنِيَّتَين"[6].

واستعملَه للتعبير عن وجه اختيار الضمَّة في الإشمام دون الفتحة والكسرة، قال:"وأمَّا الإشمامُ فلَيسَ إليه سبيلٌ، وإنما كَانَ ذَا في الرَّفعِ؛ لأنَّ الضمَّةَ مِن الواو، فأنتَ تَقْدِرُ أن **تَضَعَ** لِسَانَكَ في أيِّ مَوضِعٍ من الحروف شِئتَ، ثم تَضُمَّ شفتيك؛ لأنَّ ضَمَّكَ شَفَتَيكَ كتَحْرِيكِكَ بعضَ جَسدِك..."[7].

(1) رسالة في اللُّثغة على الترتيب: اللام ص 524 و النون ص 526 و الثاء 527 .
(2) المبسوط ص 260. وانظر: ص 102 .
(3) التحديد ص 68 .
(4) الموضح ص 215 .
(5) مقاييس اللُّغة ص 1055 (و ض ع) ولسان العرب 8/ 396 (و ض ع).
(6) الكتاب 4/ 465.
(7) الكتاب 4/ 171.

7 . المصطلح السَّابع للقوَّةِ الضَّاغِطة في اللِّسان: (التَّطَأطُؤُ)

يدلُّ أصْله اللُّغويُّ على هَبْطِ شيءٍ. من ذلك قولُهم: طأطأ رأسَه، أي خفَضَها، وهو مأخوذٌ من الطَّأْطَاءِ، وهو مُنْهَبَطٌ من الأرض[1].

استعملَه سيبويه في تبيين أنَّ حافَّتي طرفَ اللِّسان في الضاد لا تُلامِس الحنك كما تُلامِسُه في اللام؛ بل تلامِسُ الأسنانَ الأماميَّة، قال:"وقد تُدغَمُ الطاءُ والتاءُ والدالُ في الضاد؛ لأنها اتَّصَلَتْ بمَخرجِ اللاَّم، **وتَطَأْطَأَتْ** عَنِ اللاَّمِ حَتَّى خَالَطَتْ أصولَ مَا اللاَّمُ فَوْقَهُ مِنَ الأسْنان، ولم تَقَعْ مِنَ الثَّنِيَّةِ مَوضِعَ الطاءِ لانحرافها؛ لأنك تَضَعُ للطاءِ لِسَانَكَ بَين الثَّنِيَّتَين، وهِي مَعَ ذَا مُطْبَقَة"[2].

8 . المصطلح الثامن للقوَّةِ الضَّاغِطة في اللِّسان: (العَطْفَةُ)

يدلُّ أصْله اللُّغويُّ على انثِناءٍ وإمالةٍ. يُقالُ: عَطَفْتُ الشيءَ، إذا أمَلْتَه. والرَّجُلُ يَعْطِفُ الوِسادةَ عَطْفاً: يُثنِيها مرتفِقاً بها، وعَطَفَتِ الناقةُ على ولدِها عَطْفاً، حنَّتْ عليه ودَرَّ لبنُها. ويقالُ للجانِبَين: العِطْفان، سُمِّيا بذلك لأنَّ الإنسان يَمِيلُ عليهما، ومنه قوله تعالى: [ثَانِيَ عِطْفِه]، إذا أعرَضَ وابتعَد[3].

استَعمَل الكنديُّ: (**العَطْفَة**) في وصْفِ مخرج اللام، حيث تَخرجُ بـ:"**عَطْفَةِ** اللِّسانِ إلى داخلِ طرفِ الحنك"[4]. وهو نوعٌ من الضَّغط.

المصطلحات الخاصَّة بالقوة الضاغطة في الشفتَين:

1 . المصطلح الأوَّل للقوَّةِ الضَّاغِطة في الشَّفتَين: التَّطْويلُ:

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على فضلٍ وامتدادٍ في الشيء، من ذلك:طال الشيء يطُول طولاً[5].

استُعمل: (التطويلُ) في أكثر من موطنٍ، منها:
1 . التعبير عن المدِّ. 2 . التعبير عن هيئة الشفتين أثناء نطقِ الواو، وهو نوع من ضغط عضوي النُّطق.

1 . الموطنُ الأوَّل: التطويل = التعبير عن إشباع الحركة حتى يتولَّد حرف المدِّ:

(تَطْوِيلُ الألف): من أقدم ما استُعمِل للتعبيرِ عن المدِّ، ويَرجع إلى القرن الأوَّل الهجريّ، قال الفرَّاء:"حدَّثَني عدَّةٌ، منهم: المفَضَّلُ الضبِّيُّ، وقَيسٌ، وأبو بكرٍ، كلُّهم عن جَحشِ بنِ زيادٍ الضبِّيّ عن تميمِ بنِ

(1) مقاييس اللُّغة ص 593 (ط أ ط أ).
(2) الكتاب 4/ 465.
(3) مقاييس اللُّغة ص 759 (ع ط ف).
(4) رسالة في اللُّثغة ص 524 .
(5) مقاييس اللُّغة ص 604 (ط و ل).

حَذْمَ (ت 98 هـ)، قال: قرأتُ على عبدِ الله بن مسعودٍ: [وَكُلٌّ آتُوهُ دَاخِرِينَ]، **بتَطْوِيلِ الألِف**. فقال: [وَكلٌّ أَتَوْهُ] بغير **تَطْويل الألِفِ**"[1].

الألف: الهمزة. والمعنى: أنَّه لما مَدَّ حركتَها، رَدَّهُ ابنُ مسعودٍ τ عن ذلك إلى عدمِ المدِّ، بحسب ما تلقَّاهُ من النبيِّ ρ .

واستَعملَه الفرَّاء بهذا اللَّفظ والمعنى في أكثر من موضع[2]، وتابعَه: ابن قتيبة[3]، والأزهريُّ بلفظ: (تطويل الهمزة)[4].

وواضحٌ أن الذي جعل الأزهريَّ يستعمِلُ الهمزة بدلَ الألف قلَّةَ من يعبّرُ عن الهمزة بالألف في القرن الرابع الهجري .

واستَعمَل أبو القاسم عبدُ العزيزِ بنُ جعفر: (التطويل) في وصفه لقراءة أبي طاهر ابنِ أبي هاشم على ابن مجاهد، قال:"يَمُدُّ حرف المدِّ للهمزة إذا كانتا من كلمتَين، ولا يُطَوِّلُه **تطويلاً** شديداً"[5].

يعني لا يُبالِغُ في المدِّ.

وكذلك استَعمل مكيٌّ: (**تَطويل المدِّ**) للتعبير عن الزِّيادة في المدِّ، وأنَّها تتفاوَت بحسب مذهبِ كلِّ قارئ، وسرعة قراءتِه، قال:"والقرَّاءُ في إشباعِ المدِّ **وتَطْوِيلِه** على قَدْرِ قراءَتِهم، وتمهُّلِهِم أو حَدْرِهِم، فليسَ مَدٌّ من يَتَمَهَّلُ ويُرَتِّلُ كمَدِّ من يَحْدُرُ ويُسْرِعُ"[6].

وقول مكيٍّ يتَّفق بوجهٍ مع ما ذكَره المعاصرون من أنَّ طولَ الأصواتِ وقصرها أمرٌ نسبيٌّ مرهونٌ بسرعة الأداء وبطئها[7].

2 . الموطنُ الثاني: التطويل = التعبير عن هيئة الشفتَين أثناء نُطق الواو:

استَعمل الكنديُّ: (تطويلَ الشفتَين)[8]. وهو تغييرٌ لإحداث صوت الحرف.

2 . المصطلح الثاني للقوَّةِ الضَّاغِطة في الشَّفتَين: الجَمْعُ:

(1) معاني القرآن 2/ 301. والقراءتان متواترتان: قرأ بالمدِّ حفص وحمزة وخلف، وقرأ الباقون بالقصر .

(2) معاني القرآن 2/ 337 و 2/ 354 .

(3) أدب الكاتب ص 378 .

(4) معاني القراءات 1/ 413 .

(5) جامع البيان 2/ 449 .

(6) الكشف 1/ 57 .

(7) انظر: المدخل إلى علم اللغة لرمضان عبد التواب ص 97، والأصوات لعبد الرحمن أيوب ص 147 . ومعنى قولي: (بِوَجه) لأنَّ للقراء مراتب في المدّ نقلوها رواية.

(8) رسالة في اللُّثغة ص 526.

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تَضَامِّ الشيء[1].

استُعمل: (الجمع) مركَّباً في أكثر من معنى، منها:

1 . التعبير عن التقاء الساكنَين. 2 . التعبير عن التضاغط بين الشفتَين لإحداث صوت الحرف.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الجَمع) = مشاركٌ في التعبير عن التقاء الساكنَين:

استَعمل الفرَّاء: (الجَمْع بين ساكنَين) للتعبير عن ذلك[2].

وتابعَه: الأخفش[3]، والمبرِّد[4]، والسيرافيُّ[5]، وابن خالويه[6]، وابن جنيّ[7]، وابن فارس[8]، ومكيّ[9]، والدانيُّ[10].

واستَعمل المبرِّد أيضا: (جمع السَّاكنَين)[11].

وتابعه: السيرافيُّ[12]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[13].

2 . المعنى الثاني لـ: (الجَمع) = مشاركٌ في التعبير عن التضاغط بين الشفتَين لإحداث صوت الحرف:

استَعمل الكنديُّ: (جمع الشفتَين) في وصف وضع الشفتَين عند النُّطق بالواو غير المدِّية، قال:"تحتاجُ الواو إلى نَغْمَةٍ مع **جَمْعِ** الشفتَين وتضييقهما حتى يَخرُجَ نفَسٌ خفيٌّ"[14].

3 . المصطلح الثالث للقوَّةِ الضَّاغِطة في الشَّفتَين: (الالتِقَاءُ)

(1) مقاييس اللُّغة ص 207 (ج م ع).
(2) معاني القرآن 1/ 17 و 1/ 437 .
(3) معاني القرآن 1/ 442 والعروض ص 121 - 122.
(4) المقتضب 1/ 319 و1/ 324 .
(5) إدغام القراء ص 4 .
(6) الحجة ص 128 .
(7) الخصائص 2/ 496 .
(8) الصاحبي ص 20 .
(9) التبصرة ص 297 .
(10) التحديد ص 172 والإدغام الكبير ص 50 .
(11) المقتضب 1/ 298 .
(12) إدغام القراء ص 30 .
(13) الحجة 6/ 42 .
(14) رسالة في اللُّثغة ص 524.

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على تَوافي شيئَين، فاللِّقاء يأتي بمعنى الملاقاة، وتوافي الاثنَين متقابلَين[1].

استُعمل: (الالتقاء) مركَّباً في أكثر من معنًى، منها:

1 . التعبير عن اجتماع الحرف مع الحرف، وأمثلته كثيرة، منها: اجتماع المتماثلين، والتقاء الساكنين، واجتماع الحروف في الأحكام، كاجتماع الهمزتين، وينظَر إلى كلِّ ذلك في مظانِّه.

2 . في التعبير عن ملتقى أطراف الثنايا العُليا والسُّفلى.

3 . في التعبير عن ضغط أحد عُضوي النُّطق على الآخَر لإحداث الصَّوت.

استُعمل: (الالتقاء) مركَّباً في أكثر من موطنٍ، منها:

1 . المَعنى الأوَّل: الالتقاء = مشاركٌ في التعبير عن اجتماع الحرف مع الحرف:

أكثرُ من أن يُحصى، استعمله كثيرٌ من العلماء، منهم: الخليلُ[2]، وسيبويه[3]، والكسائيُّ[4]، والفرَّاءُ[5]، والأخفش[6]، والمبرِّد[7]، وابن السرَّاج[8]، والفارسيُّ[9]، وابن جنيّ[10]، والدانيُّ[11]، وغيرهم.

وأمثلته كثيرة، منها: اجتماع المتماثلين، والتقاء الساكنين، واجتماع الحروف في الأحكام، كاجتماع الهمزتين.

2 . المعنى الثاني : الالتقاء = مشاركٌ في التعبير عن التقاء أطراف الثنايا العليا والسُّفلى.

تقدَّم استعمال المبرِّد: (التقاء الثنايا) و (ملتقى الثنايا) في شرح مخرج الصاد والسين والزاي.

3 . المعنى الثالث: الالتقاء = مشاركٌ في التعبير عن ضغط أحد عُضوي النُّطق على الآخَر لإحداث الصَّوت:

(1) مقاييس اللُّغة ص 924 (ل ق ي).
(2) العين 5/ 425 .
(3) الكتاب 3/ 548 .
(4) نقل ذلك عنه الدانيُّ في الإدغام الكبير ص 36 .
(5) معاني القرآن 1/ 411 .
(6) معاني القرآن 1/ 182
(7) المقتضب 1/ 219 .
(8) الأصول 2/ 368
(9) الحجة 2/ 396 .
(10) الخصائص 1/ 93 .
(11) التحديد ص 125 .

عبَّر ابن سينا عن انطباق الشفتَين في الباء بـ: (التقاء جِرمَين ليِّنَين)[1].

6 . المصطلح السادس للقوَّةِ الضَّاغِطة في الشَّفتَين: الإِسْبَال:

يدلُّ أصله اللُّغويّ على إرسال شيءٍ من عُلوٍ إلى سُفْلٍ، وعلى امتداد شيء[2].

استَعمله الكنديُّ في وصف كيفية خروج الفاء[3].

7 . المصطلح السابع للقوَّةِ الضَّاغِطة في الشَّفتَين: التركيب:

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على عُلُوِّ شيءٍ شيئاً، من ذلك: رَكَّبتُ الشيء أَرَكِّبُه تركيباً[4].

استَعمله الكنديُّ في وصف كيفية خروج الفاء، حيث تتم بـ:"تركيب الشفة السُّفلى على الأسنان العُليا"[5].

ثالثاً: الألفاظ التي عبَّرتْ عن المقاومة التي تحدث بين الجسمَين المتقاوِمَين

المقاوَمةُ شرطٌ لحدُوث الصَّوت، وجعَلَها ابن سينا "العِلَّةَ الأَوَّليَّةَ للصَّوْت"[6]، لأنَّ الجسمَ المصدوم إذا لم يُقاوم القوَّة المسلَّطةَ عليه من الجسم الصَّادم لم يحدث صوتٌ مسموعُ تُدْرِكُه الأذنُ، ويَخْتَلِفُ ردُّ فِعْلِ الجسمِ ومقاوَمَتُه بحسَبِ نَوْعِه، فصَلابَةُ المِنْضَدَةِ عند ضَرْبِها بعنفٍ يُحدِثُ صوتاً عالياً، بخلاف ما لو ضَرَبتَ قُطْناً أو إسفنجاً.

ولتفسير هذه المقاوَمةِ لا بدَّ مِن مقدِّمةٍ فيزيائيةٍ تَشرحُ ذلك، فقد ذكَر الفيزيائيُّون أنَّ أيَّ جِسْمٍ حُمِلَ على الحرَكَةِ بفعلِ قوَّةٍ ضاغِطَةٍ عليه، فإنَّه يُقاوِمُ القوَّةَ الضَّاغِطَة، ويَميلُ إلى استِعادَةِ وضعِه الأصليّ، ويُسمُّونَها بـ: (خاصِّيَّةِ القُصُور الذَّاتيّ).

بمعنىً آخَر: هي مَيْلُ الجسمِ إلى استِعادَةِ وضعِه الأصليّ من حيثُ الثباتُ والحرَكَةُ؛ بأن يظلَّ ثابتاً إن كان مِن شأنِه الثباتُ، أو متحرِّكاً إن كان مِن شأنِه الحرَكة، وذلك عندما تَنعدِمُ القُوَّةُ الخارجيَّةُ المؤثِّرةُ التي تَعمَلُ على تحريكِه وإيقافِه[7].

"ويُسمَّى مبدأُ القُصور الذاتيّ للأجسامِ عند علماء المسلمين: (العَطَالة) بمعنى أنَّ لدى الأجسامِ نزْعةٌ

(1) أسباب حدوث الحروف ص 125.

(2) مقاييس اللُّغة ص 482 (س ب ل).

(3) رسالة في اللُّثغة ص 526 – 527. وجاء النصُّ فيها محرَّفاً حيث ذكر أنَّ الفاء تتمُّ بـ:"إسبال الشفة العُلْيا على الأسنان السفلى وإخراج النفَس ممَّا بين ذلك" اهـ. والعكس هو الصحيح بدليل المصطلح السابع، والله أعلم .

(4) مقاييس اللُّغة ص 398 (ر ك ب) والمصباح المنير ص 236 .

(5) رسالة في اللُّثغة ص 526.

(6) الشفاء قسم الطبيعيات الجزء السادس الخاص بالنفس ص74-75.

(7) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص 27 . بتصرُّف.

إلى الكسَل، وعدمُ الرَّغبة في إحداثِ أيّ تغييرٍ في حالتِها عند التعرُّض لقوَّةٍ خارجيَّةٍ مؤثّرةٍ عليها، قال ابن سينا: ليستِ المعاوَقَةُ للجسمِ بما هو جسمٌ، بل بمعنىً فيه يَطْلُبُ البَقاءَ على حالِهِ من المكانِ أو الوَضْع"[1].

ويُعدُّ صوتُ الألفِ هو الوضعُ الأصليُّ لكلِّ الحروف من حيثُ إنَّه لا يتعرَّضُ لأيّ مقاومةٍ في مخارجِ النُّطْق، ولا قُوَّةٍ خارجيَّةٍ تؤثّرُ عليه، إذا أغفَلْنا بالطَّبْع مقاومةَ الوترين الصَّوتيَّين، قال ابن سينا:"وأمَّا الألفُ المصوّتةُ وأختُها الفتحةُ فأظنُّ أنَّ مخرجَهُما مع إطلاقِ الهواء سَلِساً غيرَ مُزَاحَمٍ"[2].

أمَّا باقي الحروفِ فإنَّها تتَعرَّضُ لقوَّة خارجيَّةٍ مؤثّرةٍ تَقْطَعُ هذا الصَّوتَ في مخارج النُّطق أو تُعيقُه عن حركتِه، فيُحَاوِلُ استِعادَةَ وضعِه الأصليّ، وهي المقاوَمةُ التي تَحدُثُ منه في مخارجِ النُّطق، ويتولَّد عنها الأصداءُ المختلفةُ للحروف، لخَّص ابن جنيّ كيفيَّة مرور الصَّوت في الألف وغيرها بقولِه:"شَبَّه بعضُهم الحَلْقَ والفمَ بالنَّايِ، فإنَّ الصَّوْتَ يَخْرُجُ فيه مُسْتَطيلاً أمْلَسَ ساذَجاً، كما يَجْري الصَّوتُ في الألفِ غُفْلاً بغيرِ صَنْعَةٍ، فإذا وضَعَ الزَّامِرُ أنامِلَهُ على خُرُوقِ النَّايِ المَنْسُوقَةِ، وراوَحَ بين عَمَلِهِ، اختلفَتِ الأصواتُ، وسُمِعَ لِكُلِّ خَرْقٍ مِنْها صَوْتٌ لا يُشْبِهُ صاحِبَهُ، فكذلك إذا قُطِع الصَّوْتُ في الحَلْقِ والفم باعتِمادٍ على جهاتٍ مختلِفَةٍ كان سببَ استماعنا هذه الأصواتِ المخْتَلِفَةِ"[3].

كما يُقرِّرُ الفيزيائيُّون أنَّه إذا أثَّرَ جسمٌ بقوَّةٍ مَّا على جسمٍ ثانٍ، فإنَّ الجسمَ الثاني يؤثّرُ على الأوَّلِ بقوَّةٍ مُساويةٍ لها في المِقدارِ ومُضَادَّةٍ في الاتّجاه"[4].

مثال ذلك: يَغْضَبُ أحدُنا، فيَضْرِبُ المِنْضَدةَ بقَبْضَةِ يدِه بكلِّ ما أوتِيَ مِن قُوَّةٍ مُبدِياً اعتراضَهُ ومُعبّراً عن ثَوْرَتِه، وترَى فجأةً تعبيرَ الألَمِ على وجهِه، ويُمسِكُ بيدِه التي أصابَها الألمُ من عُنفِ الضَّرْبَةِ التي انقَضَّ بها على المِنضَدة؛ ولكن لماذا تألَّمَتْ يدُه؟ لا بدَّ أنَّ المِنضَدَةَ تَجاوبَتْ مع انفِعالِ صاحبِنا فرَدَّتِ الضَّرْبَةَ إليهِ بالعُنفِ نفسهِ، والشِّدَّة نفسِها، وكأنَّها بكلِّ العِنادِ تقولُ له: البادئُ أَظْلَم"[5].

ولا شكَّ أنَّ رَدَّ الفِعْلِ هذا يختَلِفُ بحسب نوعيَّة الجِسْمَين المتَقاوِمَين، فالمنضِدَةُ أشعرَتْكَ بالألم بسبب صلابتِها، بخلاف ما لو ضربتَ قُطْناً أو صوفاً، ولذلكَ ذكَر ابن سينا أنَّ الجِسمَين المتَقاوِمَين كلاهما سببٌ فاعِلٌ في حُدُوث الصَّوتِ، والمقَاوَمةُ لا تَخصُّ فقط الجسمَ المصْدُومَ، قال:"والقارِعُ والمقْرُوعُ كِلاَهُما فَاعِلاَنِ للصَّوتِ، لكِنْ أَوْلاَهُما به ما كان أصلبهما وأشدّهما مُقَاوَمَةً، فإنَّ حَظَّهُ في ذلك أشدُّ"[6].

(1) الفيزياء للأدباء ص 79 .

(2) أسباب حدوث الحروف ص 84 .

(3) سر صناعة الإعراب 1/ 8 .

(4) الفيزياء للأدباء ص 79 .

(5) الفيزياء للأدباء ص 81 - 82 بتصرُّف.

(6) الشفاء قسم الطبيعيات الجزء السادس الخاص بالنفس ص74-75.

ولا يُشترَط في المقروع المقاوِم أن يكون جسماً صُلْباً، بل ربَّما يُشَكِّلُ الهواءُ نفسهُ مقاومةً، حتى يكونَ بمثابةِ الجدار الصُّلْب، بسبب تركيز الطاقة الموجية في منطقةٍ صغيرةٍ جداً أمام المصدَر، ومثال ذلك ضربُ السَّوطِ في الهواء، قال الفارابيُّ:"وقد يحدُثُ في الهواء وحده صوتٌ أيضاً، مِثْل ما يعْرِضُ متى قُرِع بالسِّياط، وذلك أنَّ الجزءَ من الهواءِ الذي يَقرعُه السَّوْطُ يقاوِمُ السَّوطَ ولا يَنْخَرِقُ له، بل يَبْقى مُجتَمِع الأجزاءِ مُتَّصِلاً، فيَقُومُ ذلك مقامَ النُّحاسِ وما أشبَهَهُ"[1].

وتفسيرِ ذلك فيزيائيًّا أنَّ هذه الفرقَعَةَ الصوتيَّة الحاصلةَ من ضربِ السَّوطِ في الهواء ناتجةٌ عن تجاوز سرعة طرفِ السَّوط لسرعة الصَّوت في الهواء، فيتولَّدُ عن ذلك موجةٌ صدميَّة، وهي منطقةٌ من الطاقةِ الصَّوتيَّة المكثَّفة جداً، ويُمكِنُ أن تُسبِّبَ دماراً شديداً لأيِّ شيءٍ تصطَدِمُ به، وتتوقَّفُ التأثيراتُ التدميريَّةُ بالطبعِ على شدَّة الموجة الصَّدميَّة. ويكون هذا التدمير شديداً بوجهٍ خاصٍّ عند طيرانِ الطائرات فوق الصَّوتيَّة على ارتفاعاتٍ منخفضَة، حيث لا تَجِدُ طاقةَ الموجة الصَّدميَّة الفرصةَ لتشتُّتِها قبل ضربها للأرض[2].



شكل رقم (43) اختراق حاجز الصَّوت

ويُمثِّل شكل رقم (43) اختراق حاجز الصَّوت من إحدى الطائرات الحربيَّة، ولاحِظ عمليَّة شقّ الهواء الذي شكَّل جداراً متماسكاً إن صحَّ التعبير[3]، وقارنه بحديث الفارابيّ الذي تقدَّم.

وقد شرحَ ابنُ سينا ظاهرةَ مقاومة الهواء والماء فقال:"وربَّما كانَ الجسمُ المقروعُ في غَايَةِ الرُّطُوبةِ [المرونة] واللِّين، لكنَّه إذا حُمِل عليه بالقُوَّةِ وكُلِّفَ الهواءُ المتَوَسِّطُ أن يَنْفُذَ فيه أو يَنْضَغِطَ فيما بينهما، لم يَكُن ذلك الجسمُ أيضاً بحيثُ يُمَكِّنُ الهواءَ المتَوَسِّطَ أن يَنْفُذَ فيه، ويَشُقَّهُ في زمانٍ قَصِيرٍ، بل قَاوَمَ ذلك فَلَمْ يَنْدَفِع في وجهِ ذلك الهواءِ المتَوَسِّطِ، بل وقاوَمَ القارِعَ أيضاً. لأنَّ القَارِعَ كان يَسُومُهُ انخِرَاقاً كثيراً في زمانٍ قصيرٍ جِدًّا، وليسَ ذلكَ في قُوَّةِ القَابِلِ، ولا في قُوَّةِ الفَاعِلِ القَارِعِ. فامتَنَعَ من الانخِرَاق، فقَامَ في وَجْهِ القَارِعِ، وضَغَطَ معَهُ المتَوَسِّطَ فكانَت المقَاوَمَةُ فيه مَكَانَ الصَّلاَبَة.

وأنتَ تَعْلَمُ هذا إذا اعْتَبَرْتَ إمرَارَكَ السَّوْطَ في الماءِ بِرِفْقٍ، فإنَّهُ يُمْكِنُكَ أن تَشُقَّهُ شَقًّا مِن حَيثُ لا تَلْزَمُكَ فيهِ مَؤُونةٌ، فإن استَعْجَلْتَ استَعْصَى عَلَيكَ وقَاوَمَ، فالهَوَاءُ أيضاً كذلك، بل قَد يَجُوزُ أن يَكُونَ الهواءُ نَفْسُهُ يَصِيرُ جزءٌ مِنهُ مُقَاوِماً، وجُزْءٌ بينَهُ وبينَ المزَاحِمِ القَارِعِ مُنْضَغِطاً، بل يَجُوزُ أن يَصِيرَ الهواءُ أجزاءَ ثَلاَثَة:

جُزْءٌ مِنهُ قَارِعٌ كالرِّيحِ، وجُزْءٌ مُقَاوِمٌ، وجُزءٌ مُنْضَغِطٌ فيما بَيْنَهُمَا على هَيئةٍ من التَّمَوُّج.

(1) الموسيقى الكبير ص213 – 214 . وانظر ص52 .

(2) انظر: أساسيات الفيزياء لبوش وجيرد ص 570 – 573 .

(3) انظر للتعرف على هذه الظاهرة كتاب: الفيزياء للأدباء ص 222 وما بعدها .

وليسَتِ الصَّلاَبَةُ والتكاثُفُ عِلَّةً أوَّلِيَّةً لإحداثِ هذا التَّمَوُّجِ، بل ذلِكَ لَهُمَا من حيثُ يُعِينَانِ على المقَاوَمَةِ، والعِلَّةُ الأوَّلِيَّةُ هِيَ المقَاوَمَةُ. فالصَّوتُ يَحْدُثُ من تَمَوُّجِ الجِسْمِ الرَّطْبِ السيَّالِ مُنْضَغِطاً بَين جِسْمَينِ مُتَصَاكَّيْنِ مُتَقَاوِمَيْنِ مِن حيثُ هُو كَذلِك"[1].

وتكتفي الكتبُ الصوتيَّةُ القديمةُ والمعاصِرةُ بوَصفِ الجسمَين المتَصَاكَّينِ أو عُضوي النُّطق الملْتَقِيَين في الحديث عن مخارِجِ الحروف دون أن تَتَحدَّث عن هيئة الهواء المنضغط بين الجسمَين المتقاوِمَين، إلاَّ ابنَ سينا، فإنَّه وظَّف بشكلٍ فريد المعطَياتِ الفيزيائيَّة التي ذُكِرَت، ولم يَسبِقه أحدٌ إلى هذا التوظيف، بل ولا لَحِقَه فيما أعلم، وانظر مصطلح: (الرطوبة).

استُعمِلَتْ عدَّةُ ألفاظٍ لوصفِ هيئةِ الهواء المقاوِمة والمنضغطةِ بين عُضْوَي النُّطْق، والتي يَخْترِقُها الهواءُ المندفِعُ من الرئتين فيتسبَّبُ في حدوثِ صوتِ الحرف، ومن هذه الألفاظ:

1 . (المقاوَمة)، 2 . (الرُّطُوبَةُ).

1 . المصطلح الأوَّل من مصطلحات المقاومة: (المُقَاوَمة):

انظر: المقاومة التي تحدث في الأجسام.

2 . المصطلح الثاني من مصطلحات المقاومة: (الرُّطُوبَةُ):

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على خلافِ اليُبْس. رَطُبَ الشيء رُطُوبةً: نَدِيَ، وهو خلافُ اليابس الجافِّ. وشيءٌ رَطْبٌ ورَطيبٌ إذا كان مبتلاً أو رخْصاً لَيِّناً.

استُعمِل لفظ: (الرُّطوبة) في أكثر من معنى، منها:

1 . البللُ الذي يصيبُ الأجسامُ فيصيرُ بها رطْباً.

2 . من الطبائع الأربعة (الحرارةَ، والبرودةَ، والرُّطوبةَ، واليبوسةَ) المتمِّمةُ للعناصر الأربعة، أعني: الماء والنَّار والهواء والتراب.

3 . المرونةُ التي هي من خواصِّ الأجسام بأنواعِها الثلاثة (الصُّلْبَةِ والسَّائِلةِ والغازِيَّة)، ومعناها قَبُول الجسم للمؤثِّر ورجوعُه إلى طبيعتِه بعد زوالِه عنه، كالضَّغطِ على كُرةِ الاسفنج، وقبولِها ذلك، ثم رجوعِها إلى طبيعتِها بعد زوال ذلك الضَّغط، واستُعمِلت: (الرُّطوبة) بهذا المعنى في أكثر من مَوطن، منها:

1 . وصفٌ لمرونةِ بعضِ أعضاء النُّطق .

2 . وصفٌ لهيئةِ الهواء عند انضغاطه بين الجسمَين المتلاقيَين المتقاوِمَين.

(1) الشفاء قسم الطبيعيات الجزء السادس الخاص بالنفس ص74-75 .

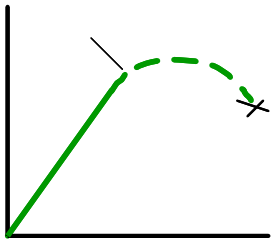
1 . المعنى الأوَّل لـ (الرُّطوبة) = البللُ الذي يصيبُ الأجسامُ فيصيرُ بها رطْباً:

وهي خاصّية يدرِكُها جيّداً صانِعو آلاتِ الموسيقى فرطوبة الأجسام عاكسٌ رديءٌ للموجات الصَّوتيَّة، وتقدَّم شرح ذلك في أنواع السُّطوح.

2 . المعنى الثاني لـ (الرُّطوبة) = من الطبائع الأربعة المتمِّمة للعناصر الأربعة:

تقدَّم شرحُها في نظرية العناصر الأربعة.

3 . المعنى الثالث لـ (الرُّطوبة) = المُرونةُ التي هي من خواصِّ الأجسام بأنواعِها الثلاثة (الصُّلْبَةِ والسَّائِلةِ والغازِيَّة):



شكل رقم (44) مقدار القوة التي يمكن أن يتحمَّلها الجسم قبل فقدان المرونة

الأجسامُ المتصادمة إما أن تكون مَرِنةً أو غيرَ مرنةٍ.

ونعني بالمُرونةِ هنا: قَبُول الجسم للمؤثِّر ورجوعُه إلى طبيعتِه بعد زوالِه عنه، كالضَّغطِ على كُرةِ الاسفنج، وقبولِها ذلك، ثم رجوعِها إلى طبيعتِها بعد زوال ذلك الضَّغط.

والأجسامُ جميعاً لها خاصِّيةُ المُرونة ابتداءً من الهواء إلى الحديد، لكن بنسبٍ مختلفةٍ، واختبار المُرونة في الأجسام الصُّلبة يكونُ بأحد ثلاثة أشياء:

1 . شَدُّ الجسم؛ لمعرفةِ تغيُّرِ الطُّول بالنسبةِ للتغيُّر الأصليّ.

2 . الضَّغط على الجسمِ؛ لمعرفةِ تغيُّرِ الحجمِ بالنسبةِ للحجمِ الأصليّ.

3 . تثبيتُ الجسمِ من جهةٍ، والضَّغطُ عليه من الجهةِ الحرَّة غير المثبَّتة، وتكون القوَّةُ في هذه الحالة موازيةً لسطحِ الجسم.

وفي هذه الحالات الثلاث يظلُّ حكمُ المرونةِ ملازِماً للجسم إذا رجعَ إلى شكلِهِ الطبيعيّ بعد زوال القوَّةِ المؤثِّرة عليه. فإذا وصَلَ الجسمُ إلى حدٍّ فَقَدَ معه خاصِّيةَ المرونة حُكِم على الجسمِ بأنَّه: (غيرُ مَرِنٍ أو متشوِّه). وتُعرَف أكبر قوَّة يُمكِن أن يتَحمَّلَها الجسمُ المشوَّهُ بالمقاومة النِّهائيَّة، وعادةً ما تُليِّنُ المادَّةُ المرنةُ قبل الكسرِ بقليل. ويمثِّل شكل رقم (44) مقدار القوة التي يمكن أن يتحمَّلها الجسم قبل فقدان المرونة.

وكان المتقدِّمون على علمٍ بهاتَين الخاصِّيتَين (المُرونة وغير المُرونة)، وترجموا عن هاتَين الخاصِّيتَين بـ: (**الرُّطوبةِ، واليُبُوسة**)، فقد عرَّف الغزاليُّ **اليُبُوسةَ** (غَير المرونة) بأنَّها: "كيفيَّةٌ انفعاليَّةٌ لجسمٍ عسيرِ الحَصْرِ والتشكيلِ الغريبِ، عَسِرِ التَّرْكِ له، والعَوْدِ إلى شكلِه الطَّبيعيّ"[1].

(1) معيار العلم ص 296 .

وعرَّفَ **الرُّطُوبةَ** (المرُونةَ) بأنَّها: "كيفيَّةٌ انفعاليَّةٌ، بِها يَقْبَلُ الجسمُ الحَصْرَ والتشكيلَ الغريبَ بسهولة، ولا يَحْفَظُ ذلك، بل يَرْجِعُ إلى شكل نفسِه ووضْعِه الذي بحسَب حركةِ جِرْمِه في الطَّبْع"(1).

واستُعمِلت: (**الرُّطوبة**) بهذا المعنى في أكثر من مَوطن، منها:

1 . الموطنُ الأوَّل لـ: (الرُّطوبة) = وصفٌ لمرونةِ بعضِ أعضاء النُّطق:

قال ابن سينا عن اختلافِ أصواتِ الحُروف بسبَبِ اختلافِ الأعضاء وأنواعِها:"فقد تَخْتَلِفُ بسبب اختلاف الأجرامِ التي يقعُ عندها، وبها الحبسُ والإطلاق، فإنَّها ربَّما كانتْ ألْيَنُ، وربَّما كانتْ أصلَبُ، وربَّما كانتْ **أيْبَسُ**، وربَّما كانتْ **أرطَبُ**"(2).

ووَصَفَ ابنُ سينا انفصالَ طرفِ اللِّسان عن الأسنان، عند انفتاح مخرجِ الطَّاءِ والدَّالِ والتاء بقولِه:"والثَّلاثةُ تشترِكُ في أنَّ القَلْعَ بِجِرْمٍ **رَطْبٍ لَيِّنٍ** عن جِرْمٍ صَلْبٍ"(3).

فـ: (**الجِرمُ الرَّطبُ اللَّيِّن**) كنايةٌ عن اللِّسان أو جزءٍ منه، فرطُوبتُه من أجل قَبُوله الضَّغطَ إلى باطنه عند ملاقاته أصول الأسنان، ثمَّ رجوعِه إلى شكِله بعد الانفصالِ عنها، فهو يُشبه الجسمَ الاسفنجيّ. وتأتي ليونتُه من أجل ضعفِ مُقَاوَمَته لذلك الضغط.

2 . المَوطنُ الثاني لـ: (الرَّطوبة) = وصفٌ لهيئةِ الهواءِ الفاعِلِ لصوتِ الحرف:

يعني ذلك في الحروف أنَّه عند نُطقنا بصوت الحرف كالباء . مثلاً . تَضْغَطُ الشفةُ السُّفلى على العُلْيا، ويَنضَغِطُ الهواءُ بينهما مشكِّلاً حاجزاً مقاوِماً يَقِفُ في وجهِ الهواء المدفوعِ من الرئتَين، ويَحْدُثُ صوتُ الباء عند اختراق هذا الحاجز المقاوِم، وهكذا الحال في باقي الأصواتِ مع اختلافِ درجة المقاومة بينها.

وظَّف ابن سينا المعطيات الفيزيائيَّة في شرحه لأسباب حدوث الحروف، وهو في تعريفه لحدوث الصَّوت . الذي تقدَّم . وصَفَ الهواءَ الفاعلَ للصَّوت بـ: (السيَّال)، وقد عرَّفهُ بقولِه:" السيَّالُ: لا يَحفَظُ الجسمَ إلا زماناً يَجِبُ ضرورةً بين كلِّ حركتَين مختلفتَين، وفي ذلك الزَّمان يكونُ ملاقِياً لفَاعلِ الحجم، ولا يُمكِنُ أن يَحْفَظَ الحجمَ والشَّكْلَ مع مفارقةِ الفاعلِ ألبتَّة "(4).

وإذا حاولْنا تطبيق هذا التعريفِ وحمْلَه على كيفية حدوث الحرفِ، فإنَّ ابنَ سينا يعني بذلك أنَّ الهيئة المتشكِّلة للهواء من انضغاطه بين عضوي النُّطق لا تحفظُ شكلَها إلا زماناً ضروريًّا، تُحاوِلُ فيه الرُّجوعَ إلى

(1) معيار العلم ص 296 .

(2) أسباب حدوث الحروف ص62 .

(3) أسباب حدوث الحروف ص122. وانظر من أمثلة ذلك أيضاً مخرج الباء ص125 .

(4) الشفاء في القسم الخاصّ بالطبيعيَّات ص 245.

الوضعِ الأصليّ، وهو ما يتَّفِقُ مع القانون الثالث للحركة[1].

ومن هنا جاء وصفُ ابن سينا لأسباب حدوث الحروف، واستِعماله مصطلح: (الرطوبة) للهواء المقاوِم؛ إذ أراد أن يشرح كيفيَّة اختراقِ الهواء المدفوع من الرئتَين للهواء المقاوِم. وهذا الهواءُ أو تلك الهيئةُ عندما تُخترَق هي التي تَفعَلُ صوتَ الحرف.

وسأدعُ القارئ يُطبِّقُ هذا المفهوم على وصفِ ابن سينا لحدوث الحروف ليرى مدى استِقامتِه:

في العين يتردَّد الهواءُ المدفوعُ في وسطِ **رطُوبةٍ** يتدحرَجُ فيها[2].

وفي الحاءِ يَقسِرُ الهواءُ **الرَّطوبةَ** ويهزُّها إلى قدَّام، فتحدُثُ من انزعاجِ أجزائها إلى قدَّام هيئةُ الحاء[3].

وفي الخاءِ يهتزُّ فيما بين اللَّهاة والحنك **رطوباتٌ** يَعُنفُ عليها التحريكُ إلى قدَّام[4].

والغَينُ لا تجِدُ من **الرُّطوبة** ما تجده الخاء، والحركةُ فيه إلى قرارِ **الرُّطوبةِ** أميلُ منها إلى دفعِها إلى خارج، وهواؤها لذلك يُحدِثُ في **الرُّطوبة** الحنكيَّة كالغلَيان والاهتزاز[5].

والجيمُ يكونُ فيها إعدادُ **رطوبةٍ**، ويَحدُث في **الرُّطوبة** تَفَقُّعٌ ثمَّ تفقُّؤ في مكان الإطلاق[6].

وفي الضادِ يُقامُ في مسلكِ الهواء **رطوبةٌ** واحدةٌ أو **رطوباتٌ** تَتَفقَّعُ من الهواءِ الفاعل للصَّوتِ وتمتدُّ عليها، فتحبسهُ حبساً ثانياً، ثمَّ تَنشقُّ وتتفَقَّأ فيَحدُثُ شكلُ الضَّاد[7].

وفي الزَّايِ تهتزُّ **رطوباتٌ** تكونُ على طرف اللِّسان وعنده[8].

والطاءُ تنحصِرُ **الرُّطوبةُ** فيها بين سطح اللِّسان والحنك[9].

وفي الظاءِ يَمُرُّ الهواءُ المطلَقُ بعد الحبسِ على سائرِ سَطحِ اللِّسان على **رطُوبتِه**[10].

والذَّالُ ينشَغِلُ الهواءُ عند المخرج بما يلي طرفَ اللِّسان من **الرُّطوبة** حتى يُحرِّكَها ويهزَّها هزًّا يسيراً ويَنْفُذَ

(1) من قوانين نيوتن، ونصُّه: "إذا أثَّرَ جسمٌ بقوَّةٍ مَّا على جسمٍ ثانٍ، فإنَّ الجسمَ الثاني يؤثِّرُ على الأوَّلِ بقوَّةٍ مُساويةٍ لها في المِقدارِ ومُضَادَّةٍ في الاتِّجاه"[1].

(2) أسباب حدوث الحروف ص 72 .

(3) أسباب حدوث الحروف ص 73 .

(4) أسباب حدوث الحروف ص 73 .

(5) أسباب حدوث الحروف ص 74 .

(6) أسباب حدوث الحروف ص 75 .

(7) أسباب حدوث الحروف ص 76 .

(8) أسباب حدوث الحروف ص 78 .

(9) أسباب حدوث الحروف ص 79 .

(10) أسباب حدوث الحروف ص 80 .

فيها[1].

وحسبك هذا القدرَ مفتاحاً لحلِّ مُعْضِلاتِ كلامِ ابن سينا في رسالتِه، ولله الحمد أولاً وآخراً.

رابعاً: الالفاظ التي عَبَّرَت عن المَوْجاتِ الصَّوْتيَّة

استُعمِل للتعبير عن هيئة المَوْجَاتِ النَّاقِلَة للصَّوت عدَّة ألفاظٍ وجُمَلٍ، منها:

1 . (الألمُ الذي يَعْرِضُ في الهَواء). 2 . (النَّقْشُ العَرَضِيُّ، العَرَضُ، الأعراض الحادِثة) 3 . (التَّمَوُّجُ، المَوْجُ النَّاقِلُ للصَّوتِ) 4 . (الشَّكلُ الكُرَوِيُّ)

1 . المصطلح الأوَّل للموجات الصَّوتية: (الألمُ الذي يَعْرِضُ في الهَواء):

الألمُ في أصله اللُّغويّ يدلُّ على التوجُّع[2]، وليس المرادُ، بل الألمُ هنا من المصطلحات المنطقيَّة، قال الجرجانيُّ:"الألمُ إدراكُ المنافِر من حيثُ إنَّه منافرٌ، ومُنافِرُ الشيءِ هو مقابِلُ ما يلائمُه"[3]. ولعلَّهم يَعنُون به ردَّ الفِعل الطبيعيّ للجسمِ عند التأثير عليه.

نسَب أبو الحسن الطبريُّ الطبيب إلى أرسطو تعريفَ الصَّوت، فقال:"الصَّوتُ **ألمٌ** يَعْرِضُ في الهواء..."[4]. ومعلومٌ أنَّ أرسطو هو واضعُ علم المنطق ومصطلحاتِه.

2 . المصطلح الثاني للموجات الصوتيَّة: (الحركة العرَضِيَّة، النَّقْشُ العَرَضِيُّ، العرَضُ، الأعراض):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على العَرْضِ الذي يُخَالِف الطُّول، قال ابن فارس:"وهو بناءٌ تَكْثُرُ فروعُه، وهي مع كثرتِها تَرجِع إلى أصلٍ واحدٍ، وهو العَرْضُ الذي يُخَالِفُ الطُّول، ومَن حقَّقَ النَّظَرَ ودَقَّقَهُ عَلِمَ صِحَّةَ ما قُلْناهُ"[5]. والعَرَضُ: من أحداثِ الدَّهْرِ من المِوتِ والمرضِ ونحو ذلك، وما يَعْرِضُ للإنسان من الهُموم والأشغال.

والعَرَضُ في اصطلاح المتكلِّمين مَا لاَ يَقُومُ بنفسِهِ، ولا يُوجَدُ إلاَّ في مَحَلٍّ يَقُومُ بِهِ، وهو خِلافُ الجَوْهَرِ، وهو نوعان: نوعٌ يَزولُ عن محلِّهِ وذلك نحو: حُمْرَةِ الخَجَلِ، وصُفْرَةِ الخَوف، ونوعٌ يَبقَى ملازماً، كسَوادِ الغُراب[6].

استُعمِل: (الأعراضُ) بالمفهوم المنطقيّ في أكثر من موطن، منها:

(1) أسباب حدوث الحروف ص 80 - 81 .
(2) مقاييس اللغة ص 68 (أ ل م).
(3) التعريفات ص 34 .
(4) المعالجات البقراطيَّة 1/ 42 .
(5) مقاييس اللغة ص 726 (ع ر ض).
(6) لسان العرب 7/ 169 (ع ر ض)، والمصباح المنير ص 404.

1 . التعبير عن صفات الحروف. 2 . التعبير عن الموجات الصَّوتيَّة.

1 . الموطنُ الأوَّل لـ: (الأعراض) = التعبير عن الصفات:

استَعمل المبرِّدُ لفظ: (**الأعْرَاض**) للتعبير عن الصِّفات[1].

وهذا الاستعمال من المبرِّدِ يدلُّ على تغلغلِ المصطلحات المنطقيَّة في العلوم النقليَّة.

2 . الموطنُ الثاني لـ: (الأعراض) = التعبير عن الموجات الصَّوتيَّة:

استَعمَل إخوانُ الصفاء للتعبير عنها: (**الأعراضُ** الحادثة، الحركةُ **العرضيَّة**، النَّقشُ **العرَضيُّ**)[2].

واستَعمَل ابن جنيّ: (**العَرَض**) لذلك في قوله:"اعلم أنَّ الصوتَ **عَرَضٌ** يخرُج مع النَّفَسِ مستطيلاً متَّصِلاً..."[3].

3 . 6 المصطلح الثالث إلى السادس للموجات الصَّوتيَّة: (التَّمَوُّجُ)، (المَوْجُ النَّاقِلُ للصَّوتِ)، (الأمواج)، (التَّمويج):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على اضطرابٍ في الشيء، وماجَ الناسُ يَمُوجُون إذا اضطرَبوا، والموجُ: مَوجُ البحر، سُمِّي لاضطرابه[4].

استَعمَل إخوان الصَّفاء: (**أمواجَ الهواء، المَوجَ** الناقلَ للصَّوت، **الأمواج، التموُّج**) في شرحِهم لحدوثِ الصَّوت[5].

وذكَر ابن سينا أنَّ سببَ حُدُوثِ الصَّوتِ هو **تَمَوُّجُ الهَوَاء** بسُرعة وقوَّة[6].

وذكَر ابنُ مَلْكا الطبيبُ البغداديُّ عن كيفيَّة الإدراكِ السَّمعيِّ للصَّوتِ أنَّ القُوَّةَ السَّامِعَةَ تُدرِكُ الصَّوتَ بوُصُولِ **التَّمْوِيجِ** إلى الأذُن[7].

7 . المصطلح السابع للموجات الصَّوتية : (الشَّكلُ الكُرَوِيُّ):

استَعمَله إخوان الصَّفاء في شرحِهم لحدوثِ الصَّوت، وسبب التعبير بـ: (**الكرويّ**) تشبيهاً بالدائرة التي

(1) المقتضب 1/ 386 .
(2) الرَّسائل 3/ 95 و 98.
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 6 .
(4) مقاييس اللُّغة ص 933 (م و ج).
(5) الرَّسائل 3/ 102 و 107 و 132 و 133 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص 56 .
(7) المعتبر في الحكمة 2/ 329 .

تحدث عند رمي الحجر في الماء[1].

خامساً: الألفاظ التي عبَّرتْ عن التغيير في الموجةِ الصَّوتيَّة

استَعمل العلماء للتعبير عن العوامل المؤثِّرة في الموجة الصَّوتيَّة مصطلحين كبيرين هما: الحدَّةُ والثِّقَلُ.

ملاحظة: مصطلحُ: (الثِّقَل) من المشترك اللَّفظيّ استُعمل في أكثر من معنى. وسيأتي الحديث عن معانيه الأخرى بعد هذه النقطة.

المصطلح الأوَّل والثاني للتغيير في الموجة الصوتية: (الحدَّةُ والثِّقَل في الأصوات)

الحِدَّةُ من أصلِها اللُّغويّ أن تدُلَّ على طرفِ الشيء، فمنه حدُّ السيف، وهو حَرْفُه، وحدُّ الشرابِ صلابتُه، وحدُّ الرجُلِ بأسُه، وهو تشبيه[2].

والثِّقَلُ من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصله اللُّغويّ على ضِدِّ الخِفَّة[3].

إنَّ مفهومَ الحِدَّة والثِّقَل عند المعاصِرين يختلِفُ عنه عند المتقدِّمين، فالمعاصِرون يَعنُونَ بالحدَّةِ والثِّقلِ التغيُّرَ في طبقةِ الصَّوت (**PICH**)، والتي تعتمدُ بشكلٍ أساسيٍّ على التَّغَيُّر في التردُّد، أمَّا نظرةُ المتقدِّمين للحدَّةِ والثِّقل في الأصوات فهي نظرةٌ عامَّةٌ تتناوَلُ كلَّ ما يُحْدِثُ تغييراً في الموجة الصَّوتيَّة، قال الفارابيُّ عن السَّبب الكلِّيّ العام:"وأمَّا حِدَّةُ الصَّوتِ وثِقَلُهُ، فإنَّما يكون بالجُمْلَةِ متى كان الهواءُ النابِي شديدَ الاجتِماع، أو كان في الحالِ الدُّونِ [الأقلّ] من الاجتماعِ. فإنَّه إن كان شديدَ الاجتماعِ كان الصَّوتُ أحدَّ، ومتى كان أقلَّ اجتماعاً وتراصًّا كان الصَّوتُ أثقلَ، وجميعُ ما يَفْعَلُ الاجتماعَ الأشدَّ في الهواء هو السَّببُ في أن يَفْعَلَ الصَّوتَ الأحدَّ، وما يَفْعَلُ الاجتماعَ الدُّونَ فهو السَّببُ في أن يَفْعَلَ الصَّوتُ الأثقلَ"[4].

ومثلُ ذلك ما قاله ابنُ سينا عند حديثِه عن معنى: (الحِدَّة والثِّقَلِ في الصَّوْت):"وأمَّا حالُ المتموِّج في نفسِه من اتِّصَال أجزائِه وتَمَلُّسِها، أو تشَظِّيهَا وتَشَذُّبِها فيَفْعَلُ الحدَّة والثِّقَل؛ أمَّا الحِدَّةُ فيَفْعَلُها الأوَّلان، وأمَّا الثِّقَلُ فيَفْعَلُه الثَّانِيان"[5].

وهذه النَّظرة تَرمي إلى البحثِ عن الأسباب التي تجعَلُ الموجات الصَّوتيَّة ذات تردُّدات عالية أومنخفضة، والخاصّة بطبقاتِ الصَّوت، وذات سعةٍ اهتزازيَّةٍ أكبر أو أقل الخاصّة بشدَّة الصَّوت، وممَّا يدخُل فيها أيضاً قوَّةُ الصَّدم، ونوعيةُ الجسمِ المصدوم، وقابليَّته لنقل الموجات الصَّوتيَّة، والمقاومة التي تحدُثُ بين الجِسمَين

(1) الرَّسائل 3/ 98 . وانظر كيفية حدوث الصَّوت لتبين ذلك.
(2) مقاييس اللُّغة ص 222 (ح د د).
(3) مقاييس اللُّغة ص 169 (ث ق ل).
(4) الموسيقى الكبير ص 216 - 217 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص59.

المتقاوِمَين، وسرعة انتقال الموجة الصوتية في الوسطِ الناقلِ للصَّوت، وانعكاس الموجات الصوتيَّة أو امتصاصها ممَّا يعتمد على نوعيَّة السُّطوح في الأجسام، وتجاوب الأجسام بالاهتزاز مع أجسام أخرى مهتزَّة، ممَّا يُعرَفُ بظاهرةِ الرَّنين، وقد لخَّصَ ابنُ سينا جميع هذه الأسبابِ بقوله:"وقد عَلِمْتَ أنَّ الحِدَّةَ سبَبُها القريبُ: تَلَزُّزٌ، وقُوةٌ، ومَلاَسَةُ سَطْحٍ، وتَرَاصُّ أجزاءٍ مِن مَوجِ الهواءِ النَّاقِلِ للصَّوت، وأنَّ الثِّقَلَ سبَبُهُ أضدادُ ذلك.

وأنَّ أسبابَ سَبَبِ الحِدَّةِ: صَلاَبَةُ المقَاوِمِ المقْرُوعِ، أو مَلاَسَتُهُ، أو قِصَرُهُ، أو انحِرَافُهُ، أو ضِيقُهُ إن كانَ مَخْلَصَ هَوَاءٍ، أو قُربُهُ من المِنْفَخِ إن كانَ أيضاً مَخْلَصَ هَوَاءٍ.

وأنَّ أسبابَ سبَبِ الثِّقَلِ أضدادُ ذلك: مِن اللِّينِ، والخُشُونَةِ، والطُّولِ، والرَّخَاوَةِ، والسَّعَةِ، والبُعْدِ.

وأنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِن هذهِ الأسبَابِ يَعْرِضُ لهُ الزِّيَادَةُ والنُّقْصَانُ.

وأنَّ زِيَادَتَها تَقتَضِي زِيَادَةَ المسَبَّبِ لَهَا، ونُقْصَانَهَا يَقتَضِي نُقْصَانَ المسَبَّبِ لها عَلَى مُنَاسَبَةٍ مُتَشَاكِلَة"[1].

والذي يَعنينا في الحدَّة والثقل أربعة أمور عني بها المتقدِّمون، وهي: طبقةُ الصَّوت، وشِدَّته، والمدى الطبيعيّ الذي تَسمَعُه الأذن وعتبتا السَّمع والألم، والوسُط الناقلُ للصَّوت، وانعكاس الصوت وتضاعفُه.

1 . طبقةُ الصَّوت (PICH) وأثرُها في الحِدَّةِ والثِّقَلِ

طبقة الصَّوت تعتمد على التغيُّر في الذَّبذبات الصَّوتية، ويَحْكُمُها علاقةُ تغيُّرِ الذبذبة مع طول الوتر وقوة شدِّه وكتلتِه، والعلاقة الرِّياضيَّة التي تَحكُمُ ذلك في الوتريَّات **هي أنَّ الذَّبذبة تتناسبُ طرديًّا مع قوَّة الشدِّ، وعكسيًّا مع طول الوتَر وكتلتِه.** ولنُقارن تأثير هذه الثلاثة على مقدار الذبذبة لو ثَبَّتْنَا قيمةَ اثنين وغيَّرْنا واحداً:

1 . أثرُ التغيُّر في قوَّةِ الشدِّ في وَتَرَينِ طولُهما واحدٌ وكتلتُهما ثابتة على الصَّوت:

قوَّة شدِّ الوتر يولِّد تردُّداً أكبر في مقدار الذبذبة، يعني: كلَّما زادتْ قوةُ شدِّ الأوتار زادت الذبذبة وبالتالي زادت حِدَّةُ الصَّوت، والعكسُ بالعكس، قال الفارابيُّ :"وكذلك متى كانا مُتساويَين في الغِلَظِ [الكتلة] والطُّول، فإنَّ أرخاهُما أثقَلُهُما صَوتاً، وأشدُّهُما تَوتُّراً وامتداداً هو أحدُّ، مِن قِبَل أنَّ حَزْقَهُ [قوَّةَ شدِّه] وشدَّةَ مدِّهِ يَجْعَلُ سَطْحَهُ أشدَّ ملاسةً، فيَنْبُو عنه الهواءُ وهو أشدُّ اجتماعاً، وأيضاً يُكْسِبُهُ ذلك سُرْعَةَ حركةٍ"[2]. فزيادةُ الذبذبة تتناسبُ طرديًّا مع قوةِ الشدِّ.



شكل رقم (45) تقارب الغضروف الدَّرقي من الذي لا اسم له عند ابن سينا

(1) الشفاء 3/ 10 .

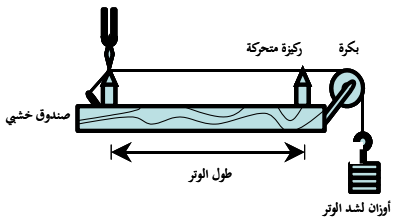
(2) الموسيقى الكبير ص 218 -219 .

وهذا معنى كلامِ ابن جنيّ:"إلاَّ أنَّ الصَّوتَ الذي يُؤدِّيه الوتَرُ غُفلاً غيرَ محصورٍ تَجِدُه بالإضافةِ إلى ما أدَّاهُ، وهو مضغوطٌ محصورٌ، أملسَ مهتزًّا، ويَختلِفُ ذلك بقَدْرِ قُوَّةِ الوتَرِ وصلاَبتِه، وضعفِهِ ورخاوَتِه"[1].

وإنَّ معرفةَ ابنِ سينا لكيفيَّة تولُّد الصَّوت الحادِّ والثقيل في الحَنجَرَةِ في قوله:"إذا تَقَارَبَ غُضْرُوفُ الذي لا اسمَ لهُ من الدَّرَقيّ وضامَّه حدَثَ منه تضيُّق الحَنجَرة، وإذا تنحَّى عنه وباعَدَهُ حدَث منه اتساعُ الحَنجَرة، ومن تَقَارُبِهِ وتَبَاعُدِهِ يحدُثُ الصَّوتُ الحادُّ والثقيلُ"[2]، فيه إدراكٌ صوتيٌّ دقيق لعمليَّة شدِّ الوترَين الصَّوتيَّين وإرخائهما اللَّذين يُسبِّبان التغييرَ في الصَّوت.

ويُمثِّل شكل رقم (45) تقارب الغضروف الدَّرقي من الذي لا اسم له عند ابن سينا.

2 . أثرُ التغيُّر في الطول في وَتَرَينِ قوَّةُ شدِّهما ثابتة وكتلتُهما ثابتة على الصَّوت:

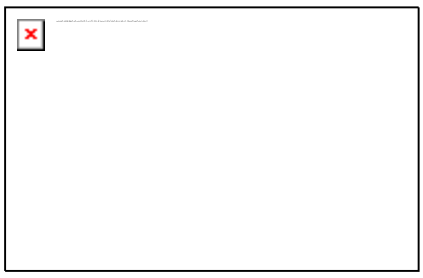


شكل رقم (46) جهاز المِصْوات

قِصَرُ الوتر يولِّد تردُّداً أكبر في مقدار الذبذبة يعني كلَّما قصُرَت الأوتار زادت الذبذبة، وبالتالي زادت حِدَّةُ الصَّوت، والعكسُ بالعكس، قال الفارابيُّ :"وأنَّها إذا كانتْ على غِلَظٍ واحدٍ وتفاوتَتْ في الطُّولِ، فإنَّ أطولَها وأقصَرَها متى قُرِعا قَرْعاً بقوَّةٍ واحدةٍ، كان صَوتُ الأطوَلِ أثقلَ بسببِ إبطاءِ حركتِه، وصوتُ الأقصرِ أحدَّ بسببِ سُرعةِ حركتِه"[3]، فزيادةُ الذبذبة تتناسبُ عكسيًّا مع طول الوتَر.

3 . أثرُ التغيُّر في الكتلةِ في وَتَرَينِ قوَّةُ شدِّهما ثابتة وطولهما واحدٌ على الصَّوت:

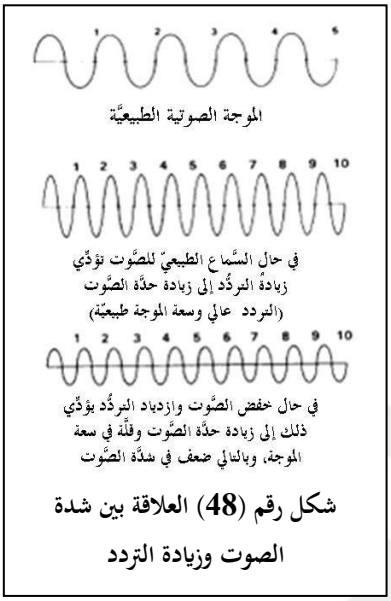
كتلةُ الوترِ الأقلُّ كثافةً يولِّد تردُّداً أكبر في مقدار الذبذبة يعني كلَّما قلَّت كتلةُ الأوتار زادت الذبذبة، وبالتالي زادت حِدَّةُ الصَّوت، والعكسُ بالعكس، قال الفارابيُّ قياساً على ما مضى:"وكذلك متى كانا على طولٍ واحدٍ وتفاوَتا في الغِلَظ"[4]، فزيادةُ الذبذبة تتناسبُ عكسيًّا مع كتلةِ الوتَر.


شكل رقم (47) أثر التغير في الذبذبة على شكل الموجة الصوتية

ويمثِّل شكل رقم (46) جهاز المِصْوات (المونُوكُورْد، السُّونَامِيتر) الذي يَتِمُّ فيه قياسَ هذه المتغيِّرات الثلاث، ويتألَّفُ مِن وتَرٍ واحدٍ يتمُّ فيه قياسها، وأظنُّ إلى درجة اليقين أنَّ المتقدِّمين كانوا يَعْلَمون النِّسب بين التردُّدات المختلفة في الأوتار، بل كانوا يُدْرِكُون نظريَّةَ جهازِ المِصْواتِ؛ لقول الفارابيّ

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 9 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص 65 - 66.
(3) الموسيقى الكبير ص 218.
(4) الموسيقى الكبير ص 218.

عن حساب المتغيّرات الثلاث التي مَضَتْ:"ونحنُ متى أردْنا ذلك، فينبغي أن نَفْرِضَ وتَرَين مُتَساوِيَيْنِ في الغِلَظِ [الكتلة] والحَزْقِ [قوَّة الشدِّ]، أو نَكتَفي في ذلك بوترٍ واحدٍ فقط حتى تكونَ المناسَباتُ فيه أظهَرَ"[1].



شكل رقم (48) العلاقة بين شدة الصوت وزيادة التردد

ويمثِّل شكل رقم (47) أثر التغير في الذبذبة على شكل الموجة الصوتية، وبه نَعْلمُ أثر هذه المتغيّرات الثلاثة على الصَّوت النَّاتج، وتمثِّل الصورة العلوية أثر زيادة التردُّد (عدد الذبذبات في الثانية) التي تجعلُ الصَّوت حادّاً والعكسُ بالعكس في الصَّوت الثقيل الذي يمثِّله الصورة السُّفلى.

2 . شدَّةُ الصَّوت (INTENSITY) وأثرُها في الحِدَّةِ والثِّقَلِ

شدَّةُ الصَّوت متعلِّقة برفع الصَّوت وخفضِه،"وهي التي تُعطي الصَّوتَ عند إدراكِه صفةَ الضَّعف أو القوَّة، وهي مقياسُ الطاقةِ التي تُنتِجُها حركةٌ اهتزازيَّةٌ في وحدة زمنيَّة ووحدةِ مساحية محدَّدتَين، فإذا قرعْنا شوكتَين رنَّانتَين متماثلتَين في التردُّد (200 ذ/ ث)، واحدة برفقٍ والأخرى بقوَّة، فإنَّ الفرقَ بين الصَّوتَين الناتِجَين سيكونُ أنَّ أحدَهما خفيضٌ ومجرَّد مسموعٍ، أمَّا الآخَرُ فقويٌّ، ويمكنُ سماعُه من بعدِ مسافةٍ، ذلك لأنَّ الحركةَ القويَّةَ تؤدِّي إلى اضطرابٍ أكبر في ضغط الهواء، وبالعكس.

وبالنِّسبة للسامعِ يُسبِّبُ اضطرابُ الهواء القويّ حركةً أكبر في طبلةِ الأذن، ويُتَرجمُ ذلك بشدَّةِ الصَّوت. فكلَّما كانت سعة الحركة الاهتزازيَّة كبيرة . والتي تَعتَمِدُ على فَرْقِ الضَّغطِ الذي يُحْدِثُهُ الصَّوتُ في الهواء . كان الصَّوتُ قوياً وبالعكس"[2]. ويوضِّح شكل رقم (48) العلاقة بين شدة الصوت وزيادة التردد حتى لا يُخْلَط بين الاثنين.

وهناك علاقتان رياضيَّتان تَتَحكَّمَانِ في شدَّةِ الصَّوت، تحدَّث عنهما المتقدِّمون:

1 . العلاقة الرياضيَّةُ الأولى التي تتحكَّمُ في شدَّة الصَّوت:

أنَّ شدَّةَ الصَّوتِ تتناسَبُ طرديًّا مع الطاقةِ، وعكسيّاً مع المساحةِ، يعني كلَّما زادت الطاقةُ المبذولةُ زادتْ شدَّةُ الصَّوت، وبالتالي زادت حِدَّةُ الصَّوت. وكلَّما زادت المساحةُ قلَّتْ شدَّةُ الصَّوت، فأصبح الصَّوتُ أثقل.

(1) الموسيقى الكبير ص 222 . وانظر: موسوعة تاريخ العلوم العربية 2/ 762 وما بعدها.
(2) بسام بركة: علم الأصوات العام ص 40 - 41 بتصرُّف.

بحَث الفارابيُّ هذه العلاقة تحت عنوانٍ سمَّاهُ: (أسباب الحدَّة والثِّقَل في الأصوات)، تناوَل فيه الجزءَ الخاصَّ بشدَّة الصَّوت، في الآلات النفخية كالمزمار، وذكَر أنَّه كلَّما كانت قوَّةُ النَّفخ من الزَّامر أكبر كان الصَّوتُ أحدَّ، وبالعكس، قال:"فإنَّ ضَعف القوَّةِ يصيرُ سبباً لإبطاء حركةِ الهواءِ، وزيادتُها هو سببٌ لسرعةِ حركةِ الهواء، ومتى كانتْ حركةُ الهواء أسرعَ كانتْ أجزاؤهُ أشدَّ اجتماعاً فيصيرُ الصَّوتُ أحدَّ، ومتى كانتْ حركتُه أبطأَ كانت أجزاؤه أقلَّ اجتماعاً فيصيرُ الصَّوتُ أثقلَ"[1].

وقال في موضعٍ آخَر:"وكذلك متى كان زَحْمُ [صَدْمُ] القارعِ أشدَّ كان الصَّوتُ أحدَّ، من قِبَلِ أنَّه يَفعَلُ في الهواء النَّابي [الموجة الصوتيَّة الناتِجة] اجتماعاً أشدَّ، ومتى كان زَحْمُهُ أقلَّ كان الصَّوتُ أثقل"[2]. وهذا كالمثال الذي قدَّمتُه عن الشَّوكة الرنَّانة. فزيادةُ الطاقة المبذولة زادتْ من شدةِ الصَّوت وبالعكس.

وبالنسبة للمساحة فإنَّ تجويفَ المزمارِ أو ثقوبَه التي يخرجُ منها الهواءُ متى كانا أكبرَ خرجَ الصوتُ ضعيفاً في السَّمع (ثقيلاً)، وإذا صغُرَ تجويفُ المزمار أو ثُقُوبُه كان الصَّوتُ مرتفعاً (حادًّا)، قال:"وإمَّا لضيقِ التجويفِ الذي هو مجازُ الهواء، ولسعتِه، من قِبَلِ أنَّ التجويفَ متى كانَ أضيقَ كان ازدحامُ الهواء فيه ومصاكَّتُهُ واجتماعُ أجزائهِ أشدَّ، فتصيرُ النَّغمةُ الكائنةُ منه أحدَّ، ومتى كان أوسعَ كان أحرى أن يكونَ ازدحامُهُ أضعفَ وأن يكونَ في أجزائه تَشَتُّتٌ وافتراقٌ أكثرَ فتكون النَّغمةُ الكائنةُ عنه أثقلَ.

وإمَّا لِضيقِ مُتَخَلَّصَاتِ الهواءِ من تجويفاتِ هذه الآلاتِ إلى خارجٍ، ولسِعتِها، وذلك للسَّبَبِ الذي قيل في ضيقِ التجويفِ وسعتِه"[3].

ومن هذه العلاقة في تغيُّر الصَّوت بين سعة التجويف وضيقه أرجعَ بعض الأطباء الصَّوت العظيمَ والصَّغير الذي يُسمَع من بعضِ الناس إلى حجم تجويف القصبة الهوائيَّة، قال المجوسيُّ:"ويَنبَغِي أن تَعْلَمَ أنَّ عِظَمَ الصَّوتِ وصِغَرَهُ ليس يكونُ من قِبَلِ الحرارةِ والبرودةِ فقط، لكن عظمَ الصَّوتِ يَتْبَعُ عِظَمَ قصَبَةِ الرِّئةِ وسعتِها، وذلك أنَّ الهواءَ يَخرُجُ من القصبة الواسِعةِ كثيراً، وصِغَرُ الصَّوتِ تابعٌ لضيقِها، وذلك أنَّ الهواءَ يَخرُجُ من القصبة الضيِّقَةِ قليلاً"[4].

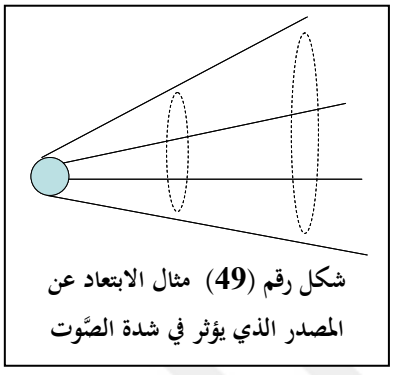
2 . العلاقةُ الرِّياضِيَّة الثانية التي تتحكَّمُ في شدَّة الصَّوت:

أنَّ شدَّةَ الصَّوت تَضْعُف كلَّما ابتعدنا عن المصْدَر، والعكسُ بالعكس ؛ لأنَّ المساحةَ التي يَتوزَّعُ عليها الصَّوتُ تزدادُ، فصار الصَّوتُ أثقل. أي أنَّ المسافة تتحكَّم في الشدَّة، وفي ذلك يقول الفارابيُّ:"وقد يتَّفِقُ في بعضِها أن تكونَ الثُّقَبُ الكِبَارُ التي تَقرُبُ من فم الزَّامِرِ يَخرجُ الصَّوت منها أحدَّ ممَّا يَخرُجُ من الثُّقَب

(1) الموسيقى الكبير ص 773 .
(2) الموسيقى الكبير ص 217 .
(3) الموسيقى الكبير ص 773 .
(4) كامل الصناعة الطبية 1/ 34.

الصِّغار التي تَبْعُدُ من فمِه، والسَّببُ في ذلك أنَّ الهواءَ الخارجَ من الثُّقَب الكِبارِ التي تَقْرُبُ من فمِهِ، إنَّما يَخْرُجُ مِن قوَّةِ نفخِه ولَمَّا تَكِلَّ القُوَّةُ بَعْدُ، والخارجَ عمَّا بَعُدَ من الثُّقَبِ فإنَّ القوَّةَ تَضعُفُ عنه فيكون أبطأَ حركةً"[1].

وقال:"فإنَّ مسافةَ الهواءِ إذا طالتْ طولاً تَخُورُ القوَّةُ الدافعةُ لهُ عن أن تُنفِذَ إليه هواءً مصاكًّا لم يَحْدُث في أواخرِ أجزاءِ الطُّولِ صوتٌ أصلاً"[2]. ويُقدِّم شكل رقم (49) مثال الابتعاد عن المصدر الذي يؤثر في شدة الصَّوت.



شكل رقم (49) مثال الابتعاد عن المصدر الذي يؤثر في شدة الصَّوت

وكان المتقدِّمون يَعْلَمُونَ مقدار الحدَّة والثقل (اختلاف النَّغَمِ المسموعة) في الآلات النفخيَّة كالمزامير، والآلات الوتريَّة كالعُود في قياسِ سَعَةِ الثُّقُوبِ وضيقِها في المزامير، وطولِ الأوتار وقِصَرِها في الوتَرِيَّات، قال الفارابيُّ:"وهذان هما أبينُ ما يُمكِنُ أن يُوقَفَ به على مقاديرِ النَّغَمِ بعضِها من بعضٍ، أعني: الطُّولَ والقِصَرَ، وسعةَ الثُّقْبِ وضيقَه، ولذلك يجبُ أن يكونَ تَعَرُّفُنا مقاديرَ النَّغَم مِن مقاديرِ الأطوَلِ والأقصَر في الأوتار، والأوسعِ والأضيَقِ في المزامير"[3].

وكان من المتعذِّرِ عليهم في تلك العُصور . بشهادةِ الفارابيّ . قياسُ كُتَل الموادِّ، يعني نسبةَ كتلة الخشب إلى كتلة الحديد إلى كتلةِ النُّحاس، ليختبروا قياس سرعةِ الصَّوت في هذه الموادِّ، قال الفارابيُّ:"ومن هذه الأسباب التي عُدِّدَتْ، أعني أسبابَ الثِّقَلِ والحِدَّةِ ما لا يُمْكِنُ أن يُوقَفَ على مقاديرِ تفاضُلِهما بشيءٍ ممَّا يُوقَفُ به على المقَاديرِ، وذلك مثل الملاسةِ والخُشُونةِ، فإنَّهُ ليس يُمْكِنُ أن يُعْلَمَ كم مقدارُ مَلاَسَةِ النُّحاسِ مِن مقدارِ مَلاَسةِ الخشبِ؛ فلذلك.. ما كان من هذه لا يُوقَفُ على مقاديرِ تَفَاضُلِهما لم يُوقَفْ به على مقاديرِ الحادِّ من الثَّقيلِ كم هو؟"[4]

المادة	سرعة الصوت (م/ ث)
الهواء	331ر45
الماء	1402
الألمنيوم	5100
النّحاس	3560
الحديد	5130

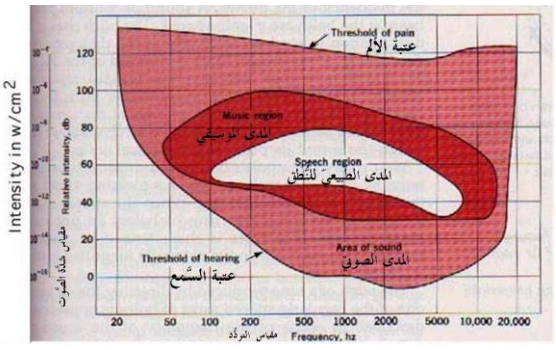
جدول رقم (1) سرعة الصوت في بعض المواد

ويُمثِّلُ جدول رقم (1) سرعة الصوت في بعض المواد، ويوضِّح ما كان متعذِّراً قياسُه عند المتقدِّمين.

3 . المدى الطبيعيّ الذي تسمعه الأذن وعتبتا السَّمع والألم والحدَّة والثِّقَل

(1) الموسيقى الكبير ص 218 .
(2) الموسيقى الكبير ص 774 .
(3) الموسيقى الكبير ص 221 .
(4) الموسيقى الكبير ص 220 - 221 .

من الأشياء المهمَّة التي أشار إليها المتقدِّمون والتي تتعلَّق بشدَّة الصَّوت وطبقة الصَّوتِ ما يُعرَفُ اليوم فيزيائيًّا بـ: (عتبة السَّمع، وعتبة الألم)، فالأذنُ البشريَّة لا تستطيعُ "أن تُدركَ جميعَ الأصواتِ الصَّادرة عن العالَمِ الخارجيّ، فهي تُدرِكُ الأصواتَ التي يَقَعُ تردُّداتُها بين (20 – 20000 هرتز)"[1].



شكل رقم (50) عتبة السَّمع والألم

قال الفارابيُّ:"ونجِدُ في طبَقَاتِ الحِدَّةِ طبقاتٍ ليستْ طبيعيَّةً للسَّمع، وكذلك في الثِّقَل وطبقاتِه، ونَجِدُ فيها طبقاتٍ طبيعيَّةً للحِسِّ، فالنَّغَمُ التي هي في طبَقاتٍ من الحِدَّةِ والثِّقَلِ طبيعيَّةٌ للإنسانِ هي بين أوَّل طبقةٍ من الحدَّةِ غَيرِ طبيعيَّةٍ وبين أوَّل طبَقَةٍ من الثِّقَل غير طبيعيَّةٍ، فإذ هو كذلك، فبيِّنٌ أنَّ النَّغَمَ المختلِفةَ الطبقاتِ، أمَّا في أنفسِها، فإنَّها يُمكِنُ أن تَتَزَيَّدَ تَزَيُّداً بلا نهايةٍ، وأمَّا بحسب قياسِها إلى سَمْعِ الإنسان فهي متناهِيةٌ"[2].

"والأصوات التي يبلغُ تردُّدُها أقلَّ من (20 هرتز) هي: تحت السَّمع، ونستطيع إدراكَها باللَّمْس، في حين تكون الأصواتُ التي يتَعَدَّى تردُّدُها (20000 هرتز) أصواتاً فوقيَّة لا يدركُها الإنسانُ، والأصواتُ التي هي في الحدود العُليا في الشِّدةِ القريبة من 20000 هرتز تتحمَّلُها الأذن بعناء كبيرٍ (كصوتِ الطائرة النفَّاثة عند الإقلاع)، وقد تَصِلُ إلى درجةٍ تُؤذِي معَهَا الأذن، (كسماع صوت صاروخ الفضاء عند الإقلاع)، وتصلُ إلى حال السَّمع المؤلِم الذي يُفضي إلى تدمير الأذن الداخليَّة وتشويهها"[3].

وقد أشارَ ابنُ سينا إلى ذلك، وإن كانَ لم يَذكُر الحدَّ الأدنى الذي تسمعُه الأذنُ والحدَّ الأعلى المؤذِي لها، لكنَّه أشار إلى الإحساسِ بالصَّوت وإن لم يُسمَع، قال:"وَلا تَجِدُ أيضاً معَ كلِّ قَرْعٍ صوتاً، فإن قَرَعْتَ جِسْماً كالصُّوفِ بِقَرْعٍ لَيِّنٍ جِدًّا لم تُحِسَّ صوتاً... والتموُّجُ الفَاعِلُ للصَّوتِ قد يُحَسُّ حتى يُؤلِمَ، فإنَّ صوتَ الرَّعد يَعْرِضُ منهُ أن تُدَكَّ الجبالُ، وربَّمَا ضَرَبَ حيواناً فأفْسَدَهُ، وكثيراً ما يُستَظْهَرُ على هَدْمِ الحُصُونِ العَالِية بأصوات البُوقَات، بَل حسُّ اللَّمْس ـ كما أشرنا إليه قبلُ أيضاً ـ قد يَنفَعِلُ من تلكَ الحرَكَةِ من حيثُ هي حركةٌ ولا يُحَسُّ الصَّوتُ"[4].

ويُمثِّلُ شكل رقم (50) عتبة السَّمع والألم، والمدى الطبيعيّ من التردُّدات التي يسمُعها الإنسان، ومقدار الشدَّة التي تقاس بالمقياس النسبيّ: (الديسيبل) نسبة إلى (الكساندر جراهام بل) مخترع الهاتف.

(1) علم الأصوات العام ص 35 "بتصرّف".
(2) الموسيقى الكبير ص 112 – 113 .
(3) علم الأصوات العام ص 35 – 36 بتصرف.
(4) الشِّفاء: في الطبيعيات القسم السادس الخاص بالنفس ص70.

4 . الوَسَطُ النَّاقِلُ للصَّوتِ وأثرُه في الحدَّةِ والثِّقل

ذكَر الفيزيائيُّون "أنَّ الهواءَ ليس الوسطَ المادِّيَّ الوحيدَ المؤهَّلَ لنقْلِ الصَّوت، وإن كان أكثرَ الأوساطِ النَّاقِلَةِ شيوعاً في حياتِنا اليوميَّةِ، فالصَّوْتُ يُمْكِنُه أن يَنْتَقِلَ في أيِّ وسطٍ مادِّيٍّ تَتَمتَّعُ جُزَيئاتُه بخاصِّيَّة المرونة، وبسبب حتميَّةِ القُصور الذاتيّ للأجسام، وميلها إلى استعادة وضعها الأصليّ عند التأثير عليها بقوَّةٍ خارجيَّة، فإنَّ جميعِ الأوساطِ المادِّيَّة الصَّلبةِ والسائلةِ والغازيَّةِ مؤهَّلةٌ لنقلِ الصَّوْت"[1].

وقد ذكَر الفارابيُّ شيئاً من ذلك، فقال:"والأجسامُ التي لدينا تَتَحَرَّكُ إلى جسمٍ آخَرَ **في هواءٍ أو في ماءٍ أو فيما جانسَهُما** من الأجسامِ التي يَسْهُلُ انخِراقُها"[2].

وقال ابن سينا:" وكَمَا أنَّ الماءَ والهواءَ والفلك تَشْتَرِكُ في طَبيعَةِ أدَاءِ الألوانِ، وتلكَ الطبيعةُ لها اسمٌ، وهو الشَّفِيفُ، فكذَلِكَ الماءُ والهواءُ لهُمَا معنًى يَشْتَرِكَانِ فيه من حَيثُ يَحْدُثُ فيهِما الصَّوتُ، وليَكُن اسمُه: قَبُولَ التَّمَوُّجِ"[3].

وتحدَّث الفارابيُّ عن الحدَّة والثقل في الوسط النَّاقِلِ للصَّوت كالهواء، يعني كيفيَّة انتقال الموجةِ الصَّوتيَّة، قال:"وأحدُّ ما يَفْعَلُ الاجتماعَ في الهواءِ هو سُرعةُ حركتِه، وسرعةُ نُبُوِّه [تفرُّقِه]، فإنَّه بسُرعةِ حركتِه يَسَّابَقُ بشدَّتِهِ فيَصِلُ إلى السَّمْعِ مجتمعاً"[4].

واستُعمِل للثقل بالإضافة إلى ما سبق معنيَان آخرَان هما:

1 . المستَثقَلُ في الحروف وتأليفِها. وشارَكَهُ في هذا المعنى: (**الاستثقال**).

2 . من عيوبِ النُّطق.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الثِّقَل) = المستثقلُ في الحروف وتأليفِها:

استعمله كثيرٌ من العلماء للتعبير عن الثقلِ الذي يجدونَهُ في بعض الأصوات وتأليفِها، منهم: الخليلُ[5]، وسيبويه[6]، والفرَّاءُ[7]، والأخفش[8]، الزجَّاجُ[9]، والنحَّاسُ[1]، والسيرافيّ[2]، وابن خالويه[3]، وابن جنيّ[4]،

(1) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص 26، بتصرُّف.
(2) الموسيقى الكبير ص 212 .
(3) الشفاء قسم الطبيعيات الجزء السادس الخاص بالنفس ص74-75 .
(4) الموسيقى الكبير ص 217.
(5) العين 8/ 341 .
(6) الكتاب 3/ 349 و 4/ 285 و4/ 167.
(7) معاني القرآن 1/ 172 .
(8) معاني القرآن 2/ 582 .
(9) معاني القرآن وإعرابه 3/ 375 .

ومكيّ[5]، والسهيليُّ[6]، وغيرهم.

مثال: ذكَر سيبويه صُعُوبةَ الإظهار في نحو: (اضْبِطْ دَلاَما، واضْبِطْ تِلْكَ، وانقُدْ تِلْكَ، وانعَتْ دَلاما) للمخرجِ الواحدِ، قال:"وهو **يَثْقُلُ** التكلُّمُ به لشِدَّتِهِنَّ ولِلُزُومِ اللِّسَانِ مَوضِعَهنَّ لا يَتَجَافَ عنه"[7].

2 . المعنى الثاني لـ: (الثِّقَل) = من عيوبِ النُّطق:

عرَّفَ ابنُ السكّيت اللُّغويّ اللَّفَفَ بأنَّهُ **ثِقَلٌ** في اللِّسان[8].

وتابعَه: الثعالبيُّ[9].

وعدَّ الطبيبُ عليُّ بن العباس المجوسيُّ **ثِقَلَ** الكلام من عيوب النُّطق[10].

وقد وصَف ابن المنادي العلاج لثِقلِ اللِّسان في الأداء في وصفٍ متميّزٍ، فقال:"الثِّقل في اللِّسان عن رطوبةٍ حادثةٍ ربَّما ذهبَ بالاستفراغِ، فإن هي لم تَزَلْ، وكانت لازمةً فكثرةُ الدَّرْسِ تُخَفِّفُها شيئاً، والسِّواكُ وإدمان الحركة يُنشِّفانِ بعضَها، فإن انتَقَل إلى الاصطكاكِ لم يَبْقَ لقارئٍ هذه صفتُهُ إلاَّ الزَّمزمة والقراءةَ بقلْبِه"[11].

5 . انعكاس الصَّوت وتَضَاعُفُه وأثره في الحدَّة والثقل

كان المتقدِّمون يدركون أنواع السُّطوح وأهمِّيتها في جودة الصَّوت ورداءته، وحدَّتِه وثقلِه، فإنَّ الأجسامَ متى كانتْ صُلْبةً مَلْسَاءَ خَرَجَ الصَّوتُ حادًّا، وبالعكس، قال الفارابيُّ:"وأيضاً فإنَّ الجسمَ المقروعَ متى كان أكثرَ صلادةً وملاسةً وصلابةً كان الصَّوتُ أحدَّ، مِن قبل أنَّ الهواء متى نَبَا عن جسمٍ بهذه الحال كان اجتماعُهُ أشدَّ"[12].

وقد قسَّمَ الغزاليُّ السُّطُوحَ إلى:

(1) إعراب القرآن 1/ 369 .
(2) شرح كتاب سيبويه 2/ 144 .
(3) الحجة ص 270 .
(4) المحتسب 1/ 283 .
(5) الرعاية ص 209 و 237 .
(6) نتائج الفكر ص 163 .
(7) الكتاب 4/ 461 .
(8) إصلاح المنطق ص 64 .
(9) فقه اللُّغة ص 128 .
(10) كامل الصناعة الطبية 1/ 46 .
(11) نقل ذلك عنه ابن الينّاء في بيان العيوب ص54 .
(12) الموسيقى الكبير ص 217.

1 ـ **خَشِنَةٍ ومَلْسَاء**، ويتعلَّقان بالترابُط بين جزيئات الموادِّ، فالجسمُ الخشنُ سَطْحُه غيرُ منتظِمٍ بخلافِ الأملس.

2 ـ **صُلْبَة ولَيِّنة**، ويتعلَّقان بمقاومة السَّطح للضَّغطِ، فالجسمُ الصُّلْبُ يقاوِمُ القوَّة الضاغطة عليه بخلافِ اللَّين.

قال:"الخَشِنُ: هو جِرْمُ سَطْحِهِ يَنْقَسِمُ إلى أجْزاءٍ مختَلِفَةِ الوَضْع.

الأمْلَسُ: هو جِرْمُ سَطْحِهِ يَنْقَسِمُ إلى أجْزاءٍ مُتَساوِيَةِ الوَضْع.

الصَّلْبُ: هو الجِرْمُ الذي لا يَقْبَلُ دَفْعَ سَطْحِهِ إلى داخِلٍ إلا بِعُسْرٍ.

اللَّيِّنُ: هو الجِرْمُ الذي يَقْبَلُ ذلك"[1].

ونوعيَّة سُطوحِ الأجسام يدرسُه علم الفيزياءِ المعاصِر تحت باب: (احتكاك الأجسام ببعضها).

وقسَّمَ الفارابيُّ الأجسامَ المؤهَّلةَ لنقل الموجة الصَّوتيَّة إلى خمسةِ أنواع[2]:

1 ـ أجسام مهتزَّة، مثل آلة العُود، قال:"والمهْتَزَّةُ هي التي متى حُرِّكتْ بَقِيَتْ فيها الحركةُ إلى الجَوانِبِ [جوانبِ الجسمِ المهتزِّ] زماناً، وشاعَتْ في أجزائها شيئاً فشيئاً.. في جزءٍ جُزءٍ وإن فارقَها المحرِّكُ، وذلك مثلُ الأوتار. وإنَّما حَدَثَتِ النَّغْمَةُ فيه [أي: الوتر] مِن قِبَلِ أنَّ الحركةَ الباقِيَةَ [تردُّدَ الوتَرِ] يَنْفُضُ بها الوتَرُ الهواءَ عن نفسِه، فتَحْدُثُ في الهواءِ قرْعاتٌ متَّصِلَةٌ، فتَدُومُ ما دامَتْ تلك الحرَكَةُ فيه باقيةً إلى أن يَسْكُنَ فيَنْقَطِعُ الصَّوتُ حينئذٍ.

2 ـ أجسامٌ يُزْحَفُ على وتَرِها جِيئَةً وذهاباً مثل آلَتَي الرَّبَابة والكمان، قال: وإمَّا في الذي يَزْحَفُ على الجسمِ المقْرُوعِ بقرْعاتٍ متَّصِلَةٍ، وذلك مثل: الرَّباب، فيُنْبِي عنه الهواءَ.

3 ـ أجسامٌ مجوَّفةٌ نفخيَّةٌ مثل المزامير، قال: وإمَّا في الهواءِ الذي يُسَرَّبُ شيئاً فشيئاً بدَفعٍ شديدٍ في جسمٍ مُجَوَّفٍ مقروعٍ، فيَقرَعُ الهواءُ جوانبَ باطنِ الجسمِ، أو يَقْرَعُ الهواءُ نفسُه.. بعضُهُ بعضاً على اتِّصالٍ زماناً مَّا، فإنَّه تَحدُثُ نغمةٌ، وذلك مثلُ ما في المزاميرِ وما أشبهَهَا.

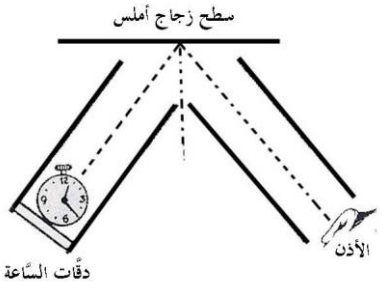
4 ـ أجسامٌ رنَّانة، مثل رنين المعادن والخشب، ولا يشترَط أن تكونَ آلةً موسيقيَّة، قال:" أو يكون الهواءُ المقروعُ، أو الهواءُ النَّابي عن المقْرُوعِ يَتَدَحْرَجُ على جسمٍ أملَسَ.

5 ـ أجسامٌ عَاكِسة للموجاتِ الصَّوتيَّة، ويُمثِّلها ظاهرة "الصَّدى" المعروفة، قال: أو يكونُ هذا الهواءُ نفسُهُ [المتدحرج على جسمٍ أملس]إذا فارَقَ الذي عنه نَبَا يَتَّفِقُ فيهِ أن يَصْدِمَ جسماً آخَرَ، فيَنْبُو عنهُ

(1) معيار العلم ص 296 .

(2) الموسيقى الكبير ص 214 - 215 .

أيضاً، ويَنْكَفئُ [يَعُودُ راجِعاً] فَيَصْدِمُ مِن خَلْفِه آخَرَ، ثمَّ يَنكَفِئُ أيضاً فيَصْدِمُ آخَرَ، ولا يَزَالُ هذا التدَاوُلُ حتى تَسْكُنَ حركتُهُ، فإنَّهُ تحدُثُ نغمَةٌ.



شكل رقم (51) ظاهرة انعكاس صوت دقات الساعة على سطح أملس

واشتراطُ الفارابيّ "الملاسَةَ" في الأجسامِ العاكِسةِ والرنَّانة فيه إدراكٌ خَطيرٌ ودقيقٌ لظاهِرَتَيِ الرَّنين والصَّدَى، فمهندسو الصَّوت يَعْلَمون جيداً أنَّ"أكثرَ الأسطُحِ فعاليَّةً لعَكْسِ الصَّوتِ هي الأجسامُ الصُّلْبَةُ المْلساءُ ذاتُ المْلَمَسِ القاسِي، مثل الجُدران والأسْقُفِ والأرضيَّات الصُّلْبَة. أمَّا الأجسامُ الطريَّةُ، وتلك التي تكونُ ذاتَ مَسَامٍّ كثيرةٍ مثل السُّجَّاد والسَّتائر وغيرها، فإنَّها تُعتَبَرُ عاكِساتٌ رديئةٌ للصَّوْتِ، فهي تَمْتَصُّ نسبةً عاليَةً من الصَّوْتِ عبر مَسَامِّها"[1].

ويمثل شكل رقم (51) ظاهرة انعكاس صوت دقات الساعة على سطح أملس، ومن ثمَّ سماعُها.

استُعمِل للتعبير عن ظاهرةِ انعكاس الصَّوت وتضاعفِه عدَّةُ مصطلحاتٍ، منها:

1 . (الصَّدى)، 2 . (الدَّوِيُّ)، 3 . (الطَّنين)، 4 . (المجَاوَبات).

1 . المصطلح الأوَّل لانعكاس الصَّوت وتضاعفه: (الصَّدى)

من المشترك اللَّفظيّ. قال الخليل: "**والصَّدَى**: الصَّوتُ بين الجَبَل ونحوِه يُجيبُكَ مثل صَوْتِكَ"[2]. وعرَّفه ابن جنيّ بأنَّه ما يُعارِضُ الصَّوت في الأوعية الخالية[3]. وسمَّاه بعضُ الشعراء: ابنةَ الجَبَل[4]. وردَّة **الصَّدى**: ما يرتدُّ عليك من الصَّوت[5]. وجمعُ **صدَى**: أصْداء.

استُعمِل: (الصَّدى) في أكثر من معنى، منها:

1 . الزِّيادةُ في أصوات الحروف. 2 . صَوتُ الحرف. 3 . انعكاس الصَّوت وارتداده.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الصَّدى) = الزِّيادةُ في أصواتِ الحروف:

لما كان الصَّدى هو ارتدادٌ للصَّوت وبالتالي تضاعفُه ساغ للعلماء أن يستَعملوه بمعنى الزيادة في صوتِ

(1) الفيزياء للأدباء ص227 .
(2) العين 7/ 139.
(3) الخصائص 2/ 93 .
(4) العمدة لابن رشيق 2/ 188 .
(5) أساس البلاغة ص 227 .

الحروف، فاستعمله الأخفشُ، فقال عن الألف:"الألفُ إذا كانت بين حَرْفَينِ كانَ لها صَدَىً، كنَحوِ الصَّوتِ يكونُ في جَوفِ الشيءِ فيتردَّدُ فيه، فيكونُ أكثرَ وأبينَ"(1).

في هذا النصِّ إشارةٌ صوتيةٌ دقيقةٌ إلى أن الألف إذا وُجِدت في مقطعٍ مغلَق . يعني مختومة بساكنٍ صحيح . كان هذا أبينَ لصوتها وأوضحَ من وجودِها في مقطعٍ مفتوح . مختومة بحركة أو حرفِ مدٍّ . مثل الوقف على كلمة: (السماء) مرةً مختومةً بهمزة ومرَّةً بدونِها، نجِدُ أن الصَّوتَ أكثرُ زيادةً في الأولى.

ومن هنا قال ابن جنيّ عن زيادةِ المدِّ في ألف (دَوَابّ):"وإذا أدغَمتَ أتَمَمْتَ **صَدى** الألفِ فقلتَ: دوابّ؛ فصارتْ تلك الزِّيادةُ في الصَّوتِ عوضاً من تحريكِ الألف"(2).

وعلَّل ابنُ جنيّ لإدغام اللام في الصاد والسين في نحو: [قُلْ صَدَقَ الله] ، و [قُلْ سِيرُوا]، فقال:"علَّة جَوازِ ذلك فُشُوُّ هذَين الحرفَين، أعني الصادَ والسِّين، في الفم، وانتشارُ **الصَّدى** المنبَثُّ عنهما، فقاربَتَا بذلك مخرجَ اللام، فجاز إدغامُها فيهما"(3).

وشبَّه ابن جنيّ حركةَ الإتباعِ في عدم الاعتدادِ بها **بصدَى** الصَّوتِ في أنَّه ليس الصَّوتُ نفسُه(4).

2 . المعنى الثاني لـ: (الصَّدى) = صَوتُ الحرف:

ذكَر ابن جنيّ أنَّ اختبارَ **صَدَى** الحرفِ يكون بسُكُونِه لا تَحَرُّكِه(5).

واستَعمل: (**الأصداء**) للتعبير عن أصوات الحروف(6).

وتابعه: عبد القاهر الجرجانيّ(7).

3 . المعنى الثالث لـ: (الصَّدى) = انعكاس الصَّوت وارتداده:

على الرُّغم من أنَّ المعاني اللُّغوية دلَّتْ على ذلك إلاَّ أنَّ ابنَ رشدٍ فسَّر ظاهرة انعكاسِ الصَّوت بقوله:"وأمَّا **الصَّدى** فيَحدُثُ عن الهواء الواحدِ بعينه إذا انحَصَر في الشيء الذي يَحويه، ومنَعَه من الخروجِ فيتردَّدُ مندفِعاً في جوانبِ ذلك الشيء بمنزلة الكرةِ اندفاعاً متشابِهاً، فيتكرَّرُ الصَّوتُ الواحِدُ بعينِه على عددِ ذلك الاندفاعِ، ويَعُودُ كأنَّهُ مجاوبٌ للصَّوتِ الأوَّل. وذلك يَعرِضُ كثيراً في المنازلِ التي لا تُسكَن"(8).

(1) معاني القرآن 2/ 579.
(2) المحتسب 2/ 76 .
(3) المحتسب 1/ 165 . وهما قراءتان شاذَّتان لا يُقرأ بهما اليوم .
(4) المحتسب 1/ 72 . وانظر: 2/ 179 .
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 6 .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 8 .
(7) دلائل الإعجاز ص 386.
(8) تلخيص كتاب النفس ص 79 .

2 . المصطلح الثاني لانعكاس الصوت وتضاعفه: (الدَّوِيُّ)

من المشترك اللَّفظيّ. مِن أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على الصَّوْت الذي ليس بالعالي، كصوتِ النَّحْل ونحوِه، وقولِ أحد الجائعين: خلا بَطني من الطَّعام حتى سَمِعتُ دَوِيّاً لمسامِعي. وسَمِعتُ دَوِيَّ المطَر والرَّعدِ، إذا سَمِعتَ صوتَهُما من بعيد. وقد دَوَّى الصَّوتُ يُدَوِّي تَدْوِيَةً، وفي حديث الإيمان قال الصحابيُّ عن الرَّجل الذي يُسمَع صوتُه ولا يُفهَم كلامُه: (نَسمَعُ دَوِيَّ صوتِه، ولا نَفْقَهُ ما يقول)[1].

استُعمل (الدَّويُّ) في أكثر من معنى، منها:

1 . الرَّنين الخارج من التجاويف في الآلات والإنسان. 2 . الأثر التفخيميّ لبعض الحروف المفخَّمة.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الدويّ) = الرَّنين الخارج من التجاويف في الآلات والإنسان:

استَعملَ الفارابيُّ: **(الدَّوِيَّ)** في شرحه لظاهرة الرَّنين، قال:"فمتى تموَّج الهواءُ الذي حول الأوتار عندما تَهتَزُّ، تأدَّى ذلك من المَنافِذِ إلى تجويفاتها فيَحدُثُ من الهواءِ المنحَصرِ فيها **دَوِيٌّ** "[2].

واستَعمله ابن سينا في وصفِ الرَّنينِ الأنفيّ (الغُنَّة)، قال عن كيفية حدوث الميم: "وأما إذا كان حبسٌ تامٌّ غير قويٍّ، وكان ليس الحبسُ كلُّه عند المخرج بين الشفتَين، ولكن بعضُه إلى ما هناك، وبعضُه إلى ناحية الخيشوم حتى يُحْدِث الهواءُ عند اجتيازه بالخَيْشُوم والفَضَاءِ الذي في داخِلِه **دوياً** حَدَث الميم"[3].

وفي وصفٍ دقيقٍ آخَر له، قال:"وأمَّا الميمُ فإن الحبسَ فيها تامٌّ وبأجزاءٍ من الشَّفَةِ أيْبَسَ وأخرجَ، وليس تسريبُ الهواءِ مع القلْعِ إلى خارجِ الفمِ كلِّه، بل يُصْرَفُ بعضُه بحصْرٍ وبِحَفزٍ [دَفْعٍ] قويٍّ إلى التجويفِ الذي في آخر المِنْخِر، لِيَدُورَ فيه **ويَفْعَلَ دَوِيّاً**، ثمَّ يُطْلَقان معاً"[4]. أي: يُطلَقُ هواءَا الفم والأنف في الميم.

وقال عن صوتِ الغُنَّةِ إذا خرج خالِصاً من الخيشومِ:"والميمُ والنُّون قد يكونُ منهما ما يُقْتَصَرُ فيه على **الدَّويّ الحادِثِ من الهواءِ** في تجويفِ آخرِ المِنْخِر، ولا يُرْدَفُ حبسه عند الإطلاق بحَفزٍ للهواءِ إلى خارجٍ، وهذا كغُنَّةٍ مُجرَّدة"[5].

2 . المعنى الثاني لـ: (الدَّوِيّ) = الأثر التفخيميّ لبعض الحروف المفخَّمة:

استَعمَل ابنُ سينا لفظَ: **(الدَّويّ)** للتعبير عن الأثر التفخيميّ الذي يصاحبُ الحروف المفخَّمة، قال عن

(1) لسان العرب 14/ 281 (د و ي).
(2) الموسيقى الكبير ص 584.
(3) أسباب حدوث الحروف ص 83.
(4) أسباب حدوث الحروف ص 125 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص 92 . وانظر: ص119، و124.

صوتِ الصَّاد عند خروجه:"حتى يكون لانفلاتِ الهواءِ **كالدَّويّ**"(1). وقال عن صوتِ الطاء:"ليَحدُث هناك **دويٌّ** عند الإفراج ثمَّ يُقْلَع"(2).

3 . المصطلح الثالث لانعكاس الصَّوت وتضاعفه: (الطَّنين)

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على صوتٍ، طَنَّ الذُّبابُ وغيرُه يَطِنُّ من باب (ضَرَب) طنيناً، وطَنَّنَ تَطْنِيناً قال الخليل:" والطَّنين: صوت الأُذُن والطَّسْت ونحوه. وطَنَّ الذُّباب إذا طار فسَمِعْتَ لِطَيَرانِهِ صوتاً... والطَّنْطَنَةُ في الصّوت: الكلام الكثير. والإطنان: سرعة القطع يقال: ضربتُهُ بالسّيف فأَطْنَنْت ذراعه وقد طنّتْ ذراعُه يحكي بذلك صوتَها حين قُطِعَتْ" (3).

استُعمِل: (**الطنين**) في أكثر من معنى، منها:

1 . الغُنَّة. 2 . انعكاس الصَّوت في المعادن وغيرها. 3 . عيبٌ من عيوب الأداء في النُّون، وشاركه (**التَّطْنِين**).

1 . المعنى الأول لـ: (الطَّنين) = الغُنَّة

حدَّث أبو حاتمٍ سهلِ بن محمدٍ السِّجستانيّ عن دقَّةِ شيخِه يعقوبَ الحضرميّ في الأداء، قال:"قرأتُ على يعقوبَ الحضرميّ فبَلَغْتُ إلى قوله ـ عزَّ وجلَّ: [وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاَّ بِإِذْنِهِ] [الحج: 65]، فقال: يا سَهْل، سَمِّعْنِي صَفِيرَ السِّين، **وطَنِين** النُّون، وقَعْقَعَة العَين"(4).

وهذا من النُّصوصِ الخطيرة النَّادِرة التي تَشهَدُ بصحَّة ما يَقرؤهُ القرَّاء المتقنونَ اليوم حيث يُنبِّهون على تبيينِ الصَّفير في السين المشدَّدة، والغُنَّة في النونِ المخفاة، وصوت العَين، وخاصَّةً إذا التقتْ مع أختٍ لها.

2 . المعنى الثاني لـ: (الطَّنين) = انعكاس الصَّوت في المعادن وغيرها:

ذكَر إخوانُ الصَّفاء في تعليلِ رنينِ المعادن، أنَّ"الأجسامَ الصَّلْبَةَ المجَوَّفَةَ كالأواني وغيرها من الطِّرْجِهارات إذا نُقِرَتْ **طَنَّتْ** زماناً طويلاً، لأنَّ الهواء يتردَّدُ في جَوْفِها، ويَصْدِمُ في حافَّاتِها، ويَتَمَوَّجُ في أقطارِها"(5).

وذكر ابن الطحَّان الموسيقيّ أنَّ الحمَّامَ يَحْصِرُ الأصوات، ولها فيه **طَنينٌ**، ومجاوبةٌ من الحيطان(6).

(1) أسباب حدوث الحروف ص 120.

(2) أسباب حدوث الحروف ص 121.

(3) العين 7/ 406 ، ومقاييس اللُّغة ص 593 (ط ن) والمصباح المنير ص 379 وتاج العروس 18/ 360 .

(4) نقَل ذلك عنه أبو العلاء الهَمَذانيُّ في التمهيد ص 296 . وانظر خبراً آخَر نقلَه عن مجهولٍ يَروي فيه هذا المصطلح ص 297 .

(5) الرَّسائل 3/ 132 - 133 وانظر استعماله أيضاً في 3/ 102- 103 و 116

(6) حاوي الفنون ص 69 .

وهذا الانعكاسُ سببُه ملاسة سطح المعادن والجدران فالصَّوت ينعكسُ ولا يُمْتَصُّ. وتقدَّم الحديث عن ذلك في ظاهرة انعكاس الصَّوت.

وشبَّه أبو العلاء الهمَذانيُّ الرَّنين الأنفيَّ المتمثِّل في صوتِ الغُنَّةَ بالطنينِ، قال:" وإنَّما سمِّيَ هذا الصَّوتُ غُنَّةً لِجَرْيِه مع النُّونِ والميمِ بعد لُزُومِ اللِّسانِ موضِعَهما، يدلُّك على ذلك أنَّك لو أمسكْتَ بأنفِكَ عند النُّطقِ بهما لانحَصَرَ الصَّوتُ فيهما **كالطنين**؛ لأنَّ الخيشومَ مركَّبٌ فوق الغار الأعلى، وإليه سُمُوُّ هذا الصَّوت"[1].

3 . المعنى الثالث لـ: (الطَّنينُ، التَّطْنِينُ) = عيب من عيوب الأداء في النُّون:

عدَّ أبو جعفرٍ السعيديُّ: (**تطْنِين** النُّونات) من اللّحن الخفيّ[2]، ونبَّه إلى الاحترازِ منها، قال:"ويُتَجَنَّبُ من تَغْلِيظ النُّون **وتَطْنِينِها** فتَصيرَ مثلَ الحرفِ المطبَقِ، نحو: [الناس]، و [النَّار] ، و [النَّهار] وما أشبهها"[3].

ولم يُبيِّن لنا السَّعيديُّ المقصودَ بهذا المصطلح.

ونقَل عبارتَه القرطبيُّ في الموضعَين[4] غير أنَّه بيَّن المقصود من **الطنين** في النُّون، بقوله:"ويَنبَغِي أن يُجتنَبَ فيها **الطنينُ**، وهو أن يُلحَقَ بها إذا سكَنَتْ وأُظهِرَتْ صَوْتٌ يُضاهِي صَوتَ الصَّنْجَةِ تُلْقَى في الطَّسْت"[5].

وأغلبُ الظنِّ أنَّهم يقصدون بهذا المصطلح النَّهيَ عن التلوينِ الصَّوتيِّ في الغُنَّة، أي الانتقال من طبقة صوتيَّة إلى أخرى أثناء التلفُّظ بالنُّون والميم الساكنتَين والمشدَّدتين. والغُنة كحروف المدِّ في الجريان فكما نُهِيَ عن تغيير طبقة الصوت في المدَّات، معبّرين عن ذلك الفعلِ بـ: (ترقيصِ أو ترعيد المدَّات) نُهِي كذلك عن ترقيصِ وترعيد الغُنَّة، وعبَّروا عن ذلك بـ: (**الطَّنين والتطنين**)، والله أعلم.

4 . المصطلح الرابع لانعكاس الصَّوت وتضاعفه: (المجاوبات)

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويُّ على المراجَعَةِ، يقال: كَلَّمَهُ فأجابَهُ جَواباً، وقد تَجَاوَبا مُجَاوَبَةً[6].

استَعمله عددٌ من العلماء للتعبير عن انعكاس الصَّوت، منهم: ابنُ الطحَّان الموسيقيّ[7]، وابن رشدٍ[8].

ظاهرةُ الرَّنين[1]:

(1) التمهيد ص 282 .
(2) التنبيه على اللحن الجلي والخفيّ ص 28 .
(3) التنبيه على اللحن الجلي والخفيّ ص 42 .
(4) الموضح ص 60 و 160 .
(5) الموضح ص 120 - 121 . والطَّستُ: إناءٌ كبيرٌ مستديرٌ من معدنٍ أو غيره يُغسَلُ فيه. والصَّنجُ: صفيحة مدَوَّرة من النُّحاس تُضرَبُ على أخرى مثلِها، ويُقالُ لِمَا يُجْعَلُ في إطار الدُّفِّ من النُّحاسِ المدَوَّرِ صِغاراً: صُنوجٌ. (المصباح المنير ص 348).
(6) مقاييس اللغة ص 212 (ج و ب).
(7) حاوي الفنون ص 69 .
(8) تلخيص كتاب النفس ص 79 .

مِمَّا يُلْحَق بظاهرة انعكاسِ الصَّوتِ ظاهرة الرَّنين، وأتناولُها بشيءٍ من الاختصار فيما يلي:

كلُّ مصادرِ الصَّوت أجسامٌ متحرِّكة، لكنَّ بعض مصادرِ الصَّوت مثل الشوكةِ الرَّنانة والأوتار المشدُودَة لها ميلٌ طبيعيٌّ إلى التذبذب والاهتزاز، سمَّى الفارابيُّ ذلك الميلَ الطبيعيَّ: (الاستِعْدَاد)، قال: "قد يتَّفِقُ أن تكون الآلةُ التي فيها الأوتارُ لها في نفسِها **استعدادٌ** لأن تُسمَع منها نغَمٌ عندما تُهَزُّ أوتارُها"[2].

والرَّنينُ هو تذبذبُ جسمٍ ما عن طريق تذبذُب جسمٍ آخَر لتوافقِهما في التردُّد، فللأجسامِ القابلةِ للاهتزاز ذبذباتٌ طبيعية، فإذا تعرَّض هذا الجسمُ لتردُّدٍ خارجيٍّ مُماثلٍ لأحدِ هذه التردُّدات الطبيعيَّة تحقَّق شرطُ الرَّنين، وامتَصَّ الجسمُ طاقةً فتزدادُ سَعةُ اهتزازاته وتتضاعَفُ.

إنَّك إذا نَقَرْتَ كأساً بأصبعك اهتزَّتْ وأصدَرَتْ صوتاً بتردُّدٍ خاصٍّ هو تردُّدُها الطبيعيّ، ولو أنَّ مُغَنِّياً استطاعَ أن يُغنِّيَ لحناً بتردُّدٍ مماثلٍ للتردُّدِ الطبيعيّ للكأسِ لاهتزَّت الكأسُ في مكانِها، وقد تتهشَّم!.

ومن الأمثلة الشهيرة المأساويَّة أنَّ جنوداً ساروا بخطَواتٍ عسكريَّةٍ منتَظَمَةٍ على جِسْرٍ من الجُسُور، فتَطَابَقَ تردُّدُ خُطُوَاتِهم مع التردُّدِ الطبيعيِّ للجِسر، فاهتزَّ الجسرُ بهم وتحطَّم!.

ولظاهرة الرَّنين دورٌ هامٌّ في الآلات الموسيقيَّة كالعود وغيره؛ إذ إنَّ اهتزازَ الأوتار المشدُودة في حدِّ ذاتِه لا يُنتِج صوتاً قوياً، ولكنَّ الأصواتَ الموسيقيَّة والنغمات التي تُسمَعُ من آلةِ العُود هي في الواقع تَجَاوُبُ تجْويفاتِ العُود مع اهتزاز أوتاره، فعند اهتزاز الوتَر بتردُّدٍ يتناسَبُ مع أحدِ التردُّدات الطبيعيَّة لهذه التجويفاتِ يَحدُثُ الرَّنين، وتَصدُرُ نغمةٌ قويَّةٌ مميَّزة تعتمِدُ على شكلِ التجويفِ الداخليّ للعُود.

والواقعُ أنَّ التجاويف، ومنها تجويفاتُ أعضاء النُّطق، تُمثِّلُ أفضلَ مضخِّمٍ للأصوات، فالأصواتُ التي نُحدِثُها بواسطةِ الحَنجرة تُحدِثُ رنيناً في الهواءِ الذي يَملأُ التجويفات الموجُودة في الحَلْق والفم والخَيشوم، ويَعتَمِدُ التردُّد الطبيعيُّ لهذا الهواء على شكل وحجمِ هذه التجويفات، فبواسطة حركة الحَنجرة واللِّسان والشفتَين والحنك اللَّيِّن يستطيعُ الإنسانُ أن يُغَيِّرَ من شكل وحجم أكثر تجويفات أعضاء النُّطق، ويُغَيِّرَ بالتالي تأثير رنينِها على التردُّدِ الأساسيّ الذي يُنْتِجهُ الوتران الصوتيَّان في الحَنجَرة.

ونظراً إلى أنَّه لا يوجَدُ شخصان يتماثلانِ في حجمِ وشكلِ هذه التجويفات، فإنَّ أصواتَ البشر تختلِف في نوعيَّتِها، ولذا فإنَّنا نستطيع أن نُمَيِّز صوتَ صديقٍ من بين مئات الأصوات الأخرى. وهذه الحقيقة تُوضِّحُ أيضاً سبب تَغَيُّرِ أصواتِنا عندما نُصابُ بالزُّكام.

المصطلحاتُ الصوتيَّة المتعلِّقة بالأصوات اللُّغويَّة

(1) استعنتُ في الكتابة عن هذه الظاهرة بكتابَي الفيزياء للأدباء لخضر الشيبانيّ ص221 – 222، وعلم الأصوات العام لبسام بركة ص 45.

(2) الموسيقى الكبير ص 584.

تَتَعَلَّقُ هذه المصطلحات بالأصوات اللُّغوية الخاصَّة بدءاً من الصَّوت المجرَّد المسموع إلى المخرج والمقطع والحرف ممَّا تُعدُّ أساساً للباحثين في الأصوات. وكذلك ما يتعلَّقُ برَفعِ الصَّوتِ وخَفْضِه، فيما يُعرَف في علم الأصوات المعاصِر بـ: الوَحَدَات فَوقَ المقطعيَّة[1].

الألفاظ المتعلِّقة بالصَّوت المجرَّد المسموع

استُعمِل للصَّوت المجرَّدِ المسموع عدَّةُ ألفاظٍ، منها:

1 . (الصَّوت) 2 . (الجَرْس) 3 . (النَّغْمَة) 4 . (الهواء) 5 . (التصويت).

1 . المصطلحُ الأوَّل للصوت المجرَّد المسموع: (الصَّوت والأصوات)

من المشترك اللَّفظيّ. وهو جنسٌ لكلِّ ما وقَر في أذنِ السَّامع. يقال: هذا صَوتُ زيدٍ[2].

استُعمِل في أكثر من معنى ، منها: 1 . الصوتُ المجرَّد المسموع. 2 . صوتُ الحرف اللُّغويّ. 3 . اللَّحنُ في الموسيقى.

1 . المعنى الأوَّل لـ (الصَّوت) = الصوتُ المجرَّد المسموع:

عرَّف الجاحظُ الصوت بأنّه:"آلةُ اللَّفظ، والجَوهرُ الذي يقوم به التقطيع"[3].

وقدَّم أصحابُ المدرسةِ العقليَّة وبعضُ أصحاب المدرسة النَّقليَّة عدَّة تعريفاتٍ للصَّوت من حيثُ التموُّجُ، هي:

. **الصَّوتُ**: قَرْعٌ يَحْدُثُ من الهَوَاء إذا صَدَمَتِ الأجسامُ بعضُها بعضاً، فتَحْدُثُ بين ذَينِكَ الجِسْمَينِ حركةٌ عرَضِيَّةٌ تُسَمَّى صوتاً، بأيِّ حركةٍ تحرَّكَتْ، ولأيِّ جسمٍ صَدَمَتْ، ومن أيِّ شيءٍ كانتْ: إخوان الصَّفاء[4].

. **الأصواتُ**: أعراضٌ حَادِثَةٌ، والجَوَاهِرُ أجْسامٌ حَامِلَةٌ لها: إخوان الصَّفاء[5].

. **الصَّوتُ**: شَكْلٌ كُرَوِيٌّ، ونَقْشٌ عَرَضِيٌّ يأخُذُهُ الهواءُ فيُؤَدِّيه...: إخوان الصَّفاء[6].

. **الصَّوتُ**: عَرَضٌ يَخْرُجُ مع النَّفَسِ مستَطيلاً متصلاً...: ابن جنيّ[1].

(1) علم الأصوات العام لبسام بركة ص 99 .
(2) مقاييس اللُّغة ص 556 (ص و ت).
(3) البيان والتبيين 1/ 58.
(4) الرَّسائل 3/ 95 .
(5) الرَّسائل 3/ 98 .
(6) الرَّسائل 3/ 98 .

. **الصَّوتُ**: دَفْعُ الرِّئَةِ الهواءَ المحْتَبِسَ فيه بقوَّةٍ، فيَصْدِمُ الهواءَ السَّاكِنَ، فيَحْدُثُ الصَّوتُ من قَرْعِ الهَوَاءِ في الهَوَاءِ المندَفِعِ من الرِّئة، فالفَاعِلُ له: القُوَّةُ الدَّافِعَةُ، والمنفَعِلُ: الهواءُ السَّاكِنُ: أبو الحسن أحمد الطبريُّ الطبيبُ(2).

. **الصَّوتُ**: هَوَاءٌ يَخْرُجُ من الرِّئةِ، فيَصْدِمُ اللِّسانَ والحنكَ والأسنانَ، ويَرتَقِي في بَاطِنِ المَنَاخِرِ، ويَجْرِي نحوَ اللِّسانِ والشَّفَة، فيَصِير نَغَماً مُؤلَّفَةً، فما كانَ جهيراً فهو مَنسُوبٌ إلى الحَنجرَة، وما كان دقيقاً نُسِبَ إلى الصَّدر: قولُ الحُكَمَاء(3).

2 . المعنى الثاني لـ (الصَّوت) = صوتُ الحرف اللُّغويّ:

استُعمِلتْ عدة ألفاظٍ تُمَثِّلُها المجموعةُ التالية:

1 . (الأَصْوَاتُ) 2 . (الأَصْوَاتُ التي يُرَكِّبُ الإنْسَانُ مِنْهَا الأَلْفَاظَ) 3 . (الأَصْوَاتُ المتَقَطِّعَةُ في مَخَارِجِ الحُرُوفِ) 4 . (الأَصْوَاتُ الدَّالَّةُ) 5 . (الأَصْوَاتُ المقَطَّعَةُ) 6 . (أَصْوَاتُ الحُرُوفِ المقَطَّعَةِ المسْمُوعَةِ في الكَلاَم).

جاء استعمال سيبويه لـ: (**الأصوات**) في معرضِ حديثه عن كيفيَّة نطقِ حروف المعجم(4).

واستَعمَله ابن دُرَيد في التنبيه على أن الهمزة تَخرُج من مخرجِ أقصى **الأصوات**(5)، يعني: أقصى الحلق.

وفرَّق الفارابيُّ بين الأصواتِ الانفعاليةِ التي تخرجُ بالطبع وبعفويَّة من الإنسان والحيوان على السَّواء، كالأصوات التي تخرجُ عند الطرَب والخَوف والغضَب، وبين تلك التي تخرجُ بقصدٍ إرادةَ الإفهام، وتوصيل ما في الأذهان، وهي الحروفُ التي منها يتألَّفُ الكلام، وتخصُّ الإنسان، قال:"فإن الإنسانَ وسائرَ الحيوان المصوِّتة، لها بالطِّباع في كلِّ حال من أحوالِها اللَّذيذةِ أو المؤذِيَةِ نَغَمٌ تَستَعْمِلُها، وهذه سوى الأصوات التي يَسْتَعْمِلُها الحيوانُ علاماتٍ يُؤْذِنُ بها بعضُها بعضاً بأمرٍ من الأمور، وأكثرُ هذه هي في الإنسان، وهي **الأصواتُ التي يُرَكِّبُ الإنسانُ منها الألفاظ**، وهذه خاصَّةٌ بالإنسان"(6).

وقسَّم إخوانُ الصَّفاء الأصواتَ إلى أصواتٍ خاصَّةٍ بالحيوان سمَّوْها: (**أصواتاً غير منطقيَّة**)، وأصواتٍ خاصةٍ بالإنسان سمَّوْها:(**أصواتاً منطقيَّة**)، ثمَّ قسَّموا الأصواتِ المنطقيَّةَ إلى: دالَّة، وغير دالَّة، ويقصدون

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 6 .
(2) المعالجاتُ البقراطيَّة 1/ 42 .
(3) نقل ذلك عنهم ولم يُسمِّهم ابنُ الطحان الموسيقيّ في حاوي الفنون ص 22 .
(4) الكتاب 3/ 265.
(5) الجمهرة 1/ 6.
(6) الموسيقى الكبير ص 62.

من: **(الدالَّة)**: أصواتَ حروف الهجاء، قالوا:"والحيوانيَّةُ أيضاً نوعان: منطقيَّة، وغير منطقيَّة:

فغيرُ المنطقيَّة هي أصواتُ سائر الحيوان التي ليست بناطقة"[1]، "وهي نغماتٌ تسمَّى **أصواتاً**، ولا تسمَّى منطِقاً"[2].

"وأما المنطقيَّة فهي أصواتُ الناس، منها دالَّةٌ، ومنها غير دالَّة:

فغير الدالَّة: الضحكُ، والبكاءُ، والأنينُ، والأصواتُ التي لا هجاءَ لها.

وأمّا الدالَّةُ: فهي الكلامُ، والقولُ الذي له هجاءٌ"[3].

وما قاله الفارابيُّ وإخوان الصفاء، والتقسيم الذي أَوْرَدُوهُ من أصوات دالَّة وغير دالَّة، أو أصوات لغويَّة واعتباطيَّة انفعاليَّة هو الذي تذكرُه كتب علم اللُّغة الغربيّ المعاصر في مقدّمات حديثِها في التفريق بين الأصوات اللُّغوية والأصوات الاعتباطيَّة[4].

وعرَّفَ الفارسيُّ حروفَ المعْجَم بأنَّها: **(الأصوات المُتَقَطِّعةِ في مخارج الحروف)**[5]، وابنُ جنيّ: بأنها **أصواتٌ** غير مُعْرَبة[6]، ولقَّبَها في موضعٍ آخَر بـ: **(الأصوات المقَطَّعة)**[7]، أو: **(أصوات الحروف المقطَّعة المسموعة في الكلام)** [8].

وسمَّى ابن جنيّ العلمَ الذي يبحث في أحوال الحروف بـ: **(علم الأصوات والحروف)** [9].

3. المعنى الثالث لـ الصَّوت = اللَّحنُ في الموسيقى:

قال الخليل: "وكلُّ ضَرْبٍ من الأُغنيات **صَوتٌ** من الأصوات"[10].

المصطلحُ الثاني للصوت المجرَّد المسموع: (الهواء):

من المشتركِ اللَّفظيّ، تقدَّم.

3. المصطلحُ الثالث للصوت المجرَّد المسموع: (الجَرْس، الجروس، الأجراس):

(1) الرسائل 3/ 123.
(2) الرسائل 3/ 101.
(3) الرسائل 3/ 123.
(4) انظر: علم اللغة لمحمود سعران ص 58 وما بعدها .
(5) الحجة 4/ 244.
(6) سر صناعة الإعراب 2/ 784. وهو يريدُ أنَّها مبنيَّة على السكون. واستعمل أيضاً: (الأصوات) في الخصائص 2/ 227.
(7) سر صناعة الإعراب 1/ 5.
(8) الخصائص 2/ 454.
(9) سر صناعة الإعراب 1/ 9 .
(10) العين 7/ 146 .

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصله اللُّغويّ على الصَّوتِ، وما بعدَ ذلك فمحمولٌ عليه. قالوا: الجَرْسُ: الصَّوتُ الخفيُّ.

استُعمِل: (الجَرْسُ، الجروس، الأجراس) في أكثر من معنى ، منها:

1 . الصوتُ المجرَّد المسموع . 2 . صوتُ الحرف اللُّغويّ.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الجَرْسُ، الجروس، الأجراس) = الصوتُ المجرَّد المسموع:

قال الخليل: "**الجَرْس** مصدَر الصوت **المَجروس**. **والجَرْس**: الصوتُ نفسه... **وأَجرسوا الجَرس**، أي: ضَربوا. وأَجْرَس الحَلْيُ ونحوه: إذا صوَّت كصوت الجَرس"[1].

وتابعه: ابن السكِّيت[2]، وابن قتيبة[3]، وابن جنيّ[4].

2 . المعنى الثاني لـ: (الجَرْسُ، الجروس، الأجراس) = صوتُ الحرف اللُّغويّ:

استعمله من العلماء: الخليل، وابن دُرَيد، وابن جنيّ، وابن سينا[5]، والجرجانيّ.

قال الخليلُ:"**وجَرَستُ** الكلامَ: تكلَّمتُ به. **وجَرسُ** الحرف: نغمةُ الصوت. والحروف الثلاثةُ الجُوف لا صوتَ لها ولا **جَرْس**، وهي الواو والياء والألف اللِّيّنة، وسائر الحروف **مجروسة**"[6].

وأشار الخليلُ إلى: (**جُرُوس** الحروف) أيضاً في معرضِ حديثه عن الفرقِ بين الحروف الصَّحِيحةِ والمعْتلَّة، قال:"والحروفُ الصِّحَاحُ مُسْتَغْنِيةٌ **بجُروسِها**"[7].

وقال عن العَين والقاف:" ولكنَّ العينَ والقافَ لا تَدخُلانِ في بناءٍ إلا حَسَّنَتاه؛ لأنَّهما أَطْلَقُ الحروف وأضخمها **جَرساً**"[8].

ولعلَّ معنى قوله عن حروف المدِّ أنَّه لا **جَرْس** لها؛ لما كان معنى **الجَرْس** يوحي بمعنى قَرع الصَّوت وصَدْمِه . وهو ما يَتَّفِقُ مع المعنى اللُّغوي: وأجْرَسوا الجَرس، أي: ضَرَبُوا . ونظراً لاتساعِ مخارج حروف المدِّ، وعدم وجود اعتراضٍ حقيقيٍّ من أعضاء النُّطق عليها ذكَر لها ذلك، وإلاَّ فهي أوضحُ الأصوات في السَّمع، والله

(1) العين 6/ 51 .
(2) إصلاح المنطق ص 83 .
(3) أدب الكاتب ص 160 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 8 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص 86 .
(6) العين 6/ 51 .
(7) العين 3/ 352.
(8) العين 1/ 53 .

أعلم.

وتابعَه: ابنُ جنيّ[1]، والجرجانيُّ[2] بلفظ: (**أجراس الحروف**)، وزاد الجرجانيُّ : (**المَسْمُوعة**)[3].

وعرَّف ابنُ دريدٍ الألفَ بأنَّها"**جَرْسٌ** بلا صَرْفٍ، يريدُ أنَّهُ ساكنٌ لا يَتَصرَّفُ في الإعراب"[4].

ولقَّب القرطبيُّ الألف المدِّية بـ: (**الجَرِس**)[5].

4 . المصطلحُ الرَّابع للصوت المجرَّد المسموع: (النغمة)

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ على الصَّوت، وعلى جَرْس الكلام وحُسن الصَّوت بالقراءة وغيرها، وعلى الكلام الخفيّ[6].

استُعمِل: (النَّغمة) في أكثر من معنى ، منها:

1 . الصوتُ المجرَّد المسموع. 2 . صوتُ الحرف اللُّغويّ. 3 . التوافق الموسيقيّ بين الأصوات (من مصطلحات الموسيقى). 4 . معنًى مجهول 5 . التلوين الصَّوتي (التنغيم).

1 . المعنى الأوَّل لـ: (النَّغمة) = الصوتُ المجرَّد المسموع

استعمله من العلماء: الخليل، وإخوان الصفاء[7].

استعمل الخليل: (**النَّغمة**) في حديثه عن حكاية الصَّوت بأن تَحكي اللَّفظةُ ما يُحاكيها من الأحداث، وهو بهذا يتحدَّث عن علاقة الصَّوت بالمعنى مقرّراً أنَّ الحكايةَ جائزٌ ابتداعُها عند العرب؛ لأنَّها مرتبطةٌ بالأحداث الصَّوتية والحركيَّة، قال الخليلُ:"واعلم أن ابتداء الحكاية المضاعفة جائزٌ ابتداعُها عندَ العَرَب لأن كلاًّ يَحكي على ما تَوَهَّمَ من جَرْس **نَغْمَة** أو حِسّ حَرَكة"[8].

ومن الأمثلة التي ضرَبَها الخليلُ على ذلك (القهقهة)، قال:"والقَهْقَهَةُ في قَرَب الوِرْد مُشْتَقٌّ منِ اصطدامِ الأحمالِ لعَجَلةِ السَّيْر، كأنّهم تَوَهَّموا لحِسّ ذلك جَرْسَ **نغمةٍ** فَضَاعَفُوهُ"[9].

(1) الخصائص 1/ 64 و 3/ 163 .
(2) انظر: أسرار البلاغة ص 3، ودلائل الإعجاز ص359
(3) أسرار البلاغة ص 356.
(4) جمهرة ابن دريد 1/ 7 .
(5) الموضَح في التجويد ص 96.
(6) النوادر ص 510 ومقاييس اللغة ص 1000 (ن غ م).
(7) الرسائل 3/ 101 .
(8) العين 4/ 107 .
(9) العين 3/ 341 .

2 . المعنى الثاني لـ: (النَّغمة) = صوتُ الحرف اللُّغويّ

استَعْمَل الخليلُ: (**النَّغمة**) استعمالاً طريفاً عند تشبيهه نخيرَ الحِمَار بالخاءِ المضْطَرِبة، قال:"نَخَرَ الحِمارُ بأنفِه نخيراً، أي: مدَّ نفَسَهُ في الخَياشيمِ كأنَّهُ **نَغْمَةُ خَاءٍ** مُضْطَرِبةٍ"(1).

3 . المعنى الثالث لـ: (النَّغمة، النَّغَم) = الصَّوت الموسيقيّ المُفرَد الذي يؤلِّف اللَّحن بالضمّ إلى غيره.

استعمله من العلماء: الفارابيُّ(2)، وابن جنيّ(3)، وابن فارس(4)، وأبو الحسن الطبريّ الطبيب، وابن الطحَّان الموسيقيّ(5).

ذكَر الفارابيُّ أنَّ **الأنغام** التي تؤلِّفُ الألحانَ كالحُروفِ التي تؤلِّفُ الكلامَ(6). فهي بمثابة الوحدات البسيطة الأولى قبل تركيب اللَّحن. ومن هنا عرَّف الخُوارزميُّ **النَّغمةَ** بأنَّها:"صوتٌ غيرُ متغيِّرٍ إلى حدَّةٍ ولا ثِقَلٍ، مثل مُطْلَقِ البمِّ أو غَيرِهِ إذا نُقِر، أو مثلَ البمِّ وغيرِهِ من الأوتار إذا وضِعتْ إصبعٌ على أحد دساتينه ثمَّ نُقِر. **والنَّغَمُ** للَّحن بمنزلة الحروف للكلام، منه يتركَّبُ وإليه يَنْحَلُّ"(7).

وعرَّف أبو الحسن الطبريُّ الطبيبُ **النَّغم** بأنَّها "أصواتٌ تخرُجُ على تأليفٍ، يكونُ الأقلُّ والأكثرُ فيه والأشدُّ والأخفُّ، فيَقَعُ التطريبُ لأجلِ التأليفِ والنِّظام"(8). وهو يعني الألحان المؤتلِفة في السمع أو التوافقيَّات (Concordance).

4 . المعنى الرَّابع لـ: (النَّغمة، النَّغَم) = التلوين الصَّوتي للدلالة على بعض معاني الكلام

ما يُعرَفُ عند المعاصِرين بـ: (التَّنْغيم INTONATION) و (النَّغَم melody)، ويُطلَقان"على تغيُّر ارتفاع الصَّوت في السِّلسِلة الكلاميَّة. وهو تغيُّرٌ يرتبِطُ بتذبذب الوترين الصَّوتيَّين، ويقومُ أساساً على تواترات منخفضة (أقلّ من 300 هرتز). فالنَّغَمُ، بوجهٍ عام، يقوم من المنظار (الفيزيولوجيّ) بنَظمِ النَّفَس الخارج من الرئتَين ممَّا يؤدِّي إلى ارتفاعٍ تدريجيٍّ في علوِّ الصَّوت يَتبَعُه انخفاضٌ فيه، وهو بهذا مرتبطٌ بتتابع الكلام.

ويقوم النَّغَمُ أو التنغيمُ بوظيفة تحديد الوحدات المعنويَّة الكبيرة في الخطاب؛ وذلك بِربط المقاطع التركيبيَّة

(1) العين 4/ 251.
(2) الموسيقى الكبير ص 584 و 1085.
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 9 .
(4) الصاحبي ص 467 .
(5) حاوي الفنون ص 183 .
(6) الموسيقى الكبير ص 120 .
(7) مفاتيح العلوم ص 212 . والبمُّ: هو أوَّل أوتار العُود كما ورَد في ص 210.
(8) المعالجات البقراطية 1/ 42 .

للجملة (أو الجمل المتتالية في ما بينها)، وهو بذلك يُميِّز في الجملة الواحدة، بين الصِّيغة الإخبارية، مثلاً، والصيغة الاستفهاميَّة، أو التعجبيَّة، أو الأمريَّة، أو الانفعاليَّة... الخ"[1].

كان ما سبق هو مفهوم المعاصِرين للنَّغَم أو التنغيم، وإليك ما يُقاربُ هذا المفهوم، بل لعلَّه عينُه، من لغةِ المتقدِّمين، قال ابن رُشْدٍ:"وأمَّا **النغَمُ** فإنَّها تُستَعمَل في القول الخطبيِّ لثلاثةِ أوجه:

أحدُها: عندما يريد المتكلِّمُ أن يخيِّل أنه بذلك الانفعالِ والخُلُقِ عند السامعين، مثل: أنه **إذا أراد أن يخيِّل فيه الرحمةَ رقَّقَ صوتَه**، وإذا **أراد أن يُخَيِّل فيه الغضبَ عظَّم صوتَه**، وذلك في الأخلاق. وإنَّما كان ذلك؛ لأن هذه الأصوات توجَدُ بالطَّبعِ صادرةً من الذين يَنفعِلون أمثالَ هذه الانفعالات.

والوجهُ الثاني: أن يكون قصدُه تحريكَ السَّامعين نحوَ انفعالٍ مَّا أو خلُقٍ مَّا إمَّا لأن يصدرَ عنهم التصديقُ الحاصلُ عن ذلك الانفعال أو الخُلُق أو الفعل الصَّادِرِ عنه.

والوجهُ الثالثُ: عندما يَقتصُّ عن مخبرين بأن يضعَهم بذلك الانفعالِ أو الخُلُق.

ومنها أيضاً: أنها تستعمَل بضربٍ من الوزن في الكلام الخطَبيُّ على ما سيقال بعدُ. وهذا الضربُ من **النَّغَم** ضروريٌّ في أوزان أشعارِ من سلَف من الأمم ما عدا العرب، فإنَّ مَن سلَف من الأمم كانوا يزِنون أبياتَهم **بالنغَم** والوقفات، والعربُ إنَّما تزِنُها بالوقفات فقط. ومنها أيضاً أن تُستَعمل أشعاراً في افتتاح القول وختمِه ومواضعِ الوقف"[2].

5. المعنى الخامس لـ: (النَّغمة) = معنى غامض ؟؟؟

هناك معنىً خامسُ ذكَره الكنديُّ في أصوات الحروف دون أن يَظهرَ المقصود منه، ففي أصوات: (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) اختار من هذه الأصوات: (ابجد، وز، ي، لمن، ع) ذكَر فيها أنَّها تحتاجُ إلى نَغْمَةٍ فمن ذلك ما قاله عن العَين: إنَّها"تَحتاجُ إلى **نغمةٍ** مع نفَسٍ يَمْتَدُّ إلى اللَّهاة ويقِفُ معها"[3].

5. المصطلحُ الخامس للصوت المجرَّد المسموع: (التصويت)

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ على الصَّوت.

استُعمِل: (**التصويت**) في أكثر من معنى ، منها:
1 . الصوتُ المجرَّد المسموع. 2 . صفة من صفات الحروف.

(1) علم الأصوات العام لبسام بركة ص 100 "بتصرف".
(2) تلخيص الخطابة ص 250 - 251.
(3) رسالة في اللُّغة ص 526 .

1 . المعنى الأوَّل لـ: (التصويت) = الصوتُ المجرَّد المسموع

استعمله من العلماء: سيبويه[1]، وابن السرَّاج، والفارابيُّ، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[2]، وابنُ رشد.

عرَّف ابنُ السرَّاج الإشمام، فقال:"الإشمامُ: وإنَّما هو أن تَضُمَّ شفتَيك بغير **تَصويتٍ**"[3]. يعني: بغير صوتٍ يُسْمَع.

وقال الفارابيُّ:"**والتصويتُ الإنسانيُّ** يَحدثُ بسلوك الهواء في الحُلُوق، وقرعِهِ مقعَّراتِ أجزاءِ الحُلُوق، وأجزاءِ سائرِ الأعضاء التي يَسلك فيها، مِثْلَ أجزاءِ الفَم، وأجزاءِ الأنف"[4].

وعرَّف ابنُ رُشدٍ **التصويتَ** بقوله:"هو صوتٌ مَّا من مُتَنَفِّسٍ، وهو الذي يُوجَدُ فيه نَغَمٌ وإيقاعٌ ولَفظٌ، ولذلك سُمِّيتْ كثيرٌ من الألفاظِ مُصَوِّتةً على جهة التشبيه بالحيوان، مثل المزمار وأشباهه"[5].

وتقدَّم استعمال: (**التصويت**) مضافاً في الألفاظ المستعملة لأعضاء النُّطق، كـ: (**آلات التصويت الإنسانيّ**) ، و(**آلات التصويت**)، و(**آلة التنفس والتصويت**).

2 . المعنى الثاني لـ: (التصويت) = صفة من صفات الحروف:

استعمله من العلماء: القرطبيُّ، حيث عدَّ: (**التصويت**) صفةً من صفاتِ الحروف[6]، وهو يعني بها اللَّقب الذي لُقِّبتْ به حروف المدِّ الثلاثة، قال:"وأمَّا المصوِّتةُ فالألفُ والواوُ والياءُ، وإنَّما سُمِّيتْ **مُصَوِّتةً** لأنَّ النُّطقَ بهنَّ **يُصَوِّتُ** أكثر من غيرهنَّ؛ لاتِّساع مخارجهنَّ وامتداد الصَّوتِ بهنَّ"[7].

المخارجُ النُّطقيَّة الرَّئيسة وعدد المخارج الفرعيَّة

المخارجُ الرئيسة عند العلماء، هي:

1 . (**الحلق، واللِّسان، واللَّهاة**): الخليل.

ضمَّن الخليلُ هذه الثلاثة ثمانيةَ أحيازٍ فرعيَّة نسَبَ إليها الحروف الصَّحيحة، ونسبَ الألف والواو الياء إلى الفراغ (الجَوف)[8].

(1) الكتاب 4/ 165 .
(2) التمهيد ص 281 .
(3) الأصول 2/ 372 .
(4) الموسيقى الكبير 1066.
(5) تلخيص كتاب النفس ص82 . ومعنى الحيوان في عُرف المناطقة: الكائن الحيّ.
(6) الموضح ص 99
(7) الموضح ص 97 - 98.
(8) العين 8/ 167 . ولن تَرتقي المخارج التي أوردها الخليل في كتابه بحالٍ لتصِل إلى سبعة عشر مخرجاً، كما هي في كتب المتأخرين من علماء التجويد كالتمهيد لابن الجزريّ. والذي يبدو لي أنَّ مذهب السبعة عشر مخرجاً مذهبٌ مركَّبٌ من مذهب الخليل وسيبويه؛ إذ أخذ من

2 . (**الحلق، واللِّسان، والشفتان، والخيشوم**): سيبويه [1].

ضمَّنها ستَّة عشر مخرجاً نسَبَ إليها الحروفَ الهجائيَّة، ونسبَ حروف المدِّ إلى مخارجها: الألف من الحلق، والياء بحالتَيها من وسط اللِّسان، والواو بحالتَيها من الشفتَين.

وتابعَه: ابن جنيّ[2]، ومكيّ[3]، والدانيّ[4]، والقرطبيّ[5]، وأبو العلاء الهمَذانيّ[6].

3 . (**الحلق، والفم، والشفتان، والخيشوم**): ابن دريد. وتابع . في أحد مذهبيه . سيبويه في عدِّ مخارجها الفرعيَّة[7].

4 . (**الحلق، والفم، والأنف**): الفارابيّ [8].

5 . (**الحلق، والفم، والشفتان**): الخفاجيّ. وتابع سيبويه في عدِّ مخارجها الفرعيَّة[9].

6 . (**الحلق، والفم، واللِّسان، والشفتان**): عبد القاهر الجرجانيّ[10].

7 . (**الحلق، واللِّسان، والشفتان**): ابن الطحان الأندلسيّ[11].

ضمَّنها خمسة عشر مخرجاً بإسقاط مخرج النُّون الخفية من الخيشوم، وتابع سيبويه في ترتيب الباقية.

من خلال هذه الآراء السَّبعة نجِد أنَّ ابن دُرَيدٍ قد استوعبَ المخارجَ الرئيسة كلَّها: الحلق، والفم (بما يضمُّه من الحنك واللسان والأسنان)، والشفتان، والخيشوم.

الألفاظ المستعملة في المخارج

سأتناول ألفاظ المخارج من ثلاث جهات:

الخليل فقط نسبته الألف والواو والياء إلى الجوف، وترك الباقي كترتيب سيبويه، فتكمَّلت المخارجُ سبعة عشر، وذلك بإضافة الجوف إلى الستة عشر مخرجاً، والله أعلم.

(1) الكتاب 4/ 176 و 434 . وأضفت الخيشوم لأنَّه جعل المخرج السادس عشر للنُّون الخفيَّة، وهو يريد الخَيشوم.

(2) سر صناعة الإعراب 1/ 46 .

(3) الرعاية ص 144 .

(4) التحديد ص 102 .

(5) الموضح ص 77

(6) التمهيد ص 277 .

(7) الجمهرة 1/ 8 .

(8) الموسيقى الكبير ص 1066

(9) سر الفصاحة ص 12 .

(10) دلائل الإعجاز ص 455 .

(11) مخارج الحروف وصفاتها ص 113 .

1 . الألفاظُ المستعملة في تحديد مخرج الحرف. 2 . الألفاظُ المستعملة للتعبير عن مخرج الحرف. 3 . الألفاظُ المستعملة في اختبار مخرج الحرف.

أوَّلاً: الألفاظ المستعملة في تحديد المخارج

أصبح من المعلوم أنَّ الترتيب الصَّوتيَّ هو الذي اعتمده أكثرُ العلماء، ولأجلِ ذلك استَعملوا ألفاظاً عدَّة في تحديد أماكن خروج الحروفِ وفقاً لهذا الترتيب، ويَحْكُمُ هذه الألفاظ ثلاثة أمور:

1 . القُرْبُ والبُعْدُ من الشفتين:

مِنْ ألفاظِ القُرْبِ باتِّجاه خروجِ الصَّوت: (**أَدْنَى، أقْرَب، أقْدَم، أخْرَج، أرْفَع، تَحْت، مُقَدَّم**)، ومن ألفاظ البُعْد بعَكسِ اتِّجاه الصَّوت: (**أقْصَى، أبْعَد، آخِر، فوق، فُوَيق، أدْخَل، وَرَاء، خَلْفَ**).

2 . بحسَبِ افتِرَاضِ البدايةِ والنِّهايةِ والوسَط:

فمثلاً قد يُطلِقُ بعضُهم على أقصى الحلق: (**أوَّلَ** الحلق)، وعلى أدنى الحلق: (**آخرَ** الحلق)، وعلى ما بينهما: (**وسطَ** الحلق). وقد يُعكَسُ الأمرُ عند بعضٍ آخَر، فيُطلِقون على أدنى الحلق: (**أوَّلَ** الحلق مما يلي الفم)، وعلى أقصى الحلق: (**آخرَ** الحلق).

3 . بحسب مجاورة المخارج:

من الألفاظ التي تدلُّ على ذلك استعمالُهم: (**ممَّا يَلِيها...، ممَّا يُجاوِرُها، ممَّا يُحاذيها**).

وقد تقدَّمت هذه الألفاظ وأصحابها في استعمالات أعضاء النُّطق، فلا داعي لتكرارها هنا.

ثانياً: الألفاظ المستعمَلة لمخرج الحرف

استعمل لمخرجِ الحرف عدَّةُ ألفاظٍ، منها:

1 . (المِقْطَعُ، المقاطع) 2 . (المَوْضِعُ) 3 . (الحَيِّز، الأحياز، الأحواز) 4 . (المخرج، المخارج) 5 . (المِدْرَج) 6 . (المبدأ) 7 . (المِكْمَنُ) 8 . (المعْتَمَدُ) 9 . (المِنفَذُ) 10 . (المِحَلُّ) 11 . (الأماكنُ الواجبةُ للنُّطق) 12 . (المكان) 13 . (المجرى، المجاري) 14 . (مُسْتَقَرُّ الحرف) 15 . (المسْلَكُ) 16 . (السَّبيل) 17 . (المحْبِس) 18 . (المواطِنُ).

ملاحظة: تعدَّدَتْ ألفاظُ العلماء بحسب الزاوية التي يُنظرُ إليها لمخرجِ الحرف.

1 . المصطلح الأوَّل لمخرج الحرف: (المقطع، المقاطع)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويُّ على صَرْمٍ وإبانةِ شيءٍ من شيءٍ، يقال: قَطَعْتُ الشيءَ أَقْطَعُهُ قَطْعاً، والمِقْطَعُ: مَوضِعُ قَطْعِ الشيءِ، ومُنْقَطَعُ الشيءِ، حيثُ ينتَهي إليه طَرَفُهُ، نحو: مُنقَطَعِ الوادي والطريق[1].

استُعمِل: (المِقْطَعُ، المَقَاطِع) في أكثرَ من معنى، منها:

1 . مواضع الوقف في الكلام. 2 . المقطعُ الصَّوتيُّ. 3 . مخرجُ الحرف. 4 . الصوتُ اللُّغويُّ.

1 . المعنى الأوَّل لـ:(المَقطَع، المَقَاطِع) = مواضع الوقف في الكلام:

كان تَحسُّس العربِ لمواضع الوقفِ في كلامِهم من عناوينِ بلاغتِهم، فقد كانوا يَمْدَحونَ الخطيبَ والمِفَوَّهَ منهم بمعرفتِه لمقاطعِ الكلام، قال معاوية لبعض الناس:"فَسُلَّ لِسَانَكَ، وجُلْ في ميادينِ البلاغةِ، ولْيَكُن التفقُّدُ **لِمَقَاطِعِ الكلامِ** منكَ على بالٍ، فإنِّي شَهِدتُّ رسولَ الله ρ أمْلى على عليِّ بنِ أبي طالبٍ τ كِتاباً، وكان يَتَفَقَّدُ **مَقَاطِعَ الكلامِ** كَتَفَقُّدِ المِصْرِمِ صَرِيمَتَهُ"[2].

وقال الأحنفُ بن قيسٍ:"ما رأيتُ رجلاً تكلَّمَ فأحسنَ الوقوفَ عند **مَقَاطِعِ الكلامِ**، ولا عَرَفَ حُدُودَهُ، إلا عمرو بن العاص τ كان إذا تكلَّمَ تَفَقَّدَ **مَقَاطِعَ الكلامِ**، وأعطى حقَّ المقامِ، وغاصَ في استِخراجِ المعاني بأَلْطَفِ مخرجٍ، حتى كان يَقِفُ عند **المَقْطَعِ** وقوفاً يَحُولُ بينَه وبين تَبَعِيَّتِه من الألفاظ"[3].

وذَكَرَ الفارابيُّ أنَّ من علمِ قوانين تصحيحِ القراءةِ العلاماتِ التي تُوضَعُ "**لِمَقَاطِعِ** الأقاويلِ، وتُمَيِّزُ علاماتُ **المَقَاطِعِ** الصُّغرى من علاماتِ **المَقَاطِعِ** الوُسْطَى والكبرى، فتَبِينُ علاماتُ رداءةِ الألفاظِ والأقاويلِ المرتبطةِ، والتي يَنْقُضُ بعضُها بعضاً، وخاصّةً إذا تباعدَ ما بينها"[4].

وأظنُّه يتحدَّثُ عن علاماتِ الترقيمِ بين فواصِلِ الكلام.

ويُعَدُّ علمُ الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ من أوائلِ العُلومِ التي ظهَرتْ فيها المصنَّفات، فكان من أوائل المصنِّفين فيه: حمزةُ بن حبيب الزَّيات، ونافعُ بنِ أبي نُعَيم، والكسائيُّ، ويعقوبُ الحضرميُّ، والفرَّاءُ، وأبو عبيدة، والأخفشُ، وأبو حاتمٍ السِّجِستَانيُّ، ثمَّ توالَت فيه المصنَّفات بعد ذلك[5]، وكانت بعضُ هذه المصنَّفاتِ تَحْمِل اسم: (**المقاطع**) كمرادفٍ للوقف، ككتاب: (**المقاطع** والمبادي) لابن مهران[6].

(1) مقاييس اللغة ص 862 (ق ط ع)، والمصباح المنير ص 509 .

(2) العسكريّ: الصِّناعتَين ص 498. ومعنى تفقُّد المصْرِمِ صَرِيمَتَه: تفقُّد صاحبِ النَّخْلِ نَخْلَهُ عند أوان نُضجِه.

(3) العسكريّ: الصِّناعتَين ص 497 .

(4) إحصاء العلوم ص 64 .

(5) ابن النديم : الفهرست ص 36 ، والقطع والائتناف 1/ 2 .

(6) انظر: ابن مهران: المبسوط ص 103 .

وذكَر الزمخشريُّ أنَّ معنى **مقاطعِ** القرآن: أماكنَ الوقفِ منه[1].

وممَّا يدلُّ على عنايةِ العرب بمقاطعِ الكلام عنايتُهم بالقافية؛ لأنَّها آخر البيت، قال ابن جنيّ:"والعنايةُ **بالمقاطِعِ** أقوى منها بمَدْرَجِ الألفاظِ. ألا تراهم يَتَسَمَّحُونَ بِحَشْوِ البيتِ في اختلافِهِ، فإذا وصَلوا إلى القافيةِ راعَوْها ووَفَّقُوا بين أحكامِها، أعني في الرَّوِيِّ، والوَصْلِ، والخُروجِ، والرِّدْفِ، والتأسيس، والحركات، وسببُ ذلك أنَّهُ **مَقْطَعٌ، والمُعوَّلُ في أكثرِ الأمرِ عليه**"[2].

وكانت هذه العنايةُ من المتقدِّمين بمواضِعِ الوقفِ تقومُ في الخُطبِ والأشعارِ مقامَ النَّبَرات والنَّغَمات عند سائر الأممِ فيما يُعرَفُ عند المعاصِرين بـ: (التَّنْغيم INTONATION)، قال ابن رُشْدٍ:" **وهذا الضربُ من النَّغَم ضروريٌّ في أوزان أشعارِ من سلَف من الأمم ما عدا العرب**، فإنَّ مَن سلَف من الأمم كانوا يَزِنُونَ أبياتَهم بالنغَمِ والوقفاتِ، والعربُ إنَّما تزِنُها بالوقفات فقط. ومنها أيضاً أن تُستَعمل أشعاراً في افتتاح القول وختمِه ومواضعِ الوقف"[3].

ويَدْرُس علم الأصوات المعاصِر مواضعَ الوقْفِ في الكلامِ تحت ما يُسمَّى بـ: (الوحدات فوق المقطعيَّة)[4].

2 . المعنى الثاني لـ: (المَقطَع) = المقطعُ الصَّوتيُّ (SYLLABLE):

المقطَعُ هو وحدةٌ صوتيَّةٌ أكبرُ من الصَّوتِ اللُّغويّ، ويتكوَّنُ من حرفٍ غير مُصوِّتٍ (جامدٍ) مع حرفٍ مصوِّتٍ قصيرٍ أو طويلٍ (ذائبٍ).

قال الفارابيُّ عن المقطعِ القصيرِ والطَّويل:"وكلُّ حرفٍ غيرِ مُصَوِّتٍ أُتْبِعَ بمُصَوِّتٍ قصيرٍ قُرِنَ به، فإنَّهُ يُسمَّى: (**المَقْطَعَ القَصِيرَ**)، والعربُ يُسَمُّونَهُ: (الحرف المتحرِّك)، من قِبَلِ أنَّهم يُسَمُّونَ المصَوِّتاتِ القَصِيرةَ حَرَكاتٍ.

وكُلُّ حرفٍ غيرِ مُصَوِّتٍ قُرِنَ به مُصَوِّتٌ طويلٌ، فإنَّا نُسَمِّيهِ: (**المَقْطَعَ الطَّوِيلَ**)"[5].

وقال ابن رُشدٍ:"وذلك أنَّ الحروفَ منها مُصَوِّتٌ وغيرُ مصوِّتٍ، والمصوِّتُ منه ممدودٌ ومقصورٌ، **والمَقْطعُ** هو الذي يأتَلِفُ من حرفَين: مُصوِّتٍ وغيرِ مُصَوِّتٍ"[6].

(1) أساس البلاغة ص 514 .
(2) المحتسب 1/ 302 . وانظر: الخصائص 1/ 83 .
(3) تلخيص الخطابة ص 250 - 251. وانظر مصطلح: (الأخذ بالوجوه) .
(4) علم الأصوات العام لبسام بركة ص 99 .
(5) الموسيقى الكبير ص 1075 .
(6) تفسير ما بعد الطبيعة 2/ 891 - 892 .

وأظْهَر ابن رُشْدٍ أنَّ المقْطَعَ الصَّوتيَّ هو وحدةٌ مركَّبةٌ جديدةٌ، وليس الجامدَ والذَّائبَ، قال:"فإنَّ **المَقْطَعَ** ليس هو اجتماعَ الحروف التي تولَّدَ منها، بل هو شيءٌ زائدٌ على الحروف"(1).

ومن الغريبِ أنَّه قد اطَّرَد لدى الدارسين عموماً أنَّ العربَ لم يَعرِفوا المقطعَ بهذا المفهوم الذي سبق، وهو حكمٌ كاد يُصبِحُ مقرَّراً لدى كلِّ الناظرينَ في علم الأصواتِ. والسَّببُ الجوهريَّ هو الحاجزُ الاعتباطيُّ الذي قام على أيديهم بين مشاربِ التراثِ ومصادره المتنوِّعة بتنوُّعِ الاختصاصات فيه(2).

والمقاطِعُ في اللُّغة العربيَّة عند علم الأصواتِ العربيِّ المعاصِر تتكوَّنُ من متحرِّكٍ قصيرٍ أوطويلٍ (بَ، با)، أو متحرِّكٍ قصيرٍ أو طويلٍ بعده ساكنٌ (لَنْ، لاَن)، أو متحرِّكٍ قصيرٍ وساكنَين عند الوقف (يُسْرْ)، ولا سادسَ لهذه المقاطع.

أمَّا عند المتقدِّمين فالمقْطعُ الصَّوتيُّ يتألَّفُ من الأسباب والأوتادِ في عَروضِ الشِّعْر(3)، وله ارتباطٌ بعلمِ الإيقاعِ النَّغميِّ في الموسيقى، ولا تَكفي هذه العُجالةُ لتفصيلِ هذا الارتباط(4).

لكن جملةُ القَولِ أنَّ العلاقةَ بين الوزن الشعريِّ والإيقاعِ النغَميّ وثيقةٌ جداً، قال الفارابيُّ: "فنِسْبةُ وَزْنِ القَولِ إلى الحُرُوف، كنسبةِ الإيقاع المفصَّل إلى النغَمِ، فإنَّ الإيقاعَ المفَصَّلَ: هو نُقلةٌ منتظِمةٌ على النغَم ذوات فواصل، ووزنُ الشِّعر: نُقلةٌ منتظمةٌ على الحروف ذوات فواصل"(5). وقال ابن فارس:"أهلُ العَروضِ مُجمِعون على أنَّه لا فَرْقَ بين صناعة العَروضِ وصناعةِ الإيقاعِ، إلاَّ أنَّ صناعةَ الإيقاعِ تَقسِمُ الزَّمانَ بالنَّغَمِ، وصناعةَ العَروضِ تَقْسِمُ الزَّمانَ بالحروفِ المسموعةِ"(6).

وهذا المفهومُ من أهمِّيتِهِ معرفةُ سببِ إطلاقِ السُّكون على حروف المدِّ عند الخليل ومَن جاء بعده، فالخَليلُ . وهو واضع علم العَروض، وواضع كتابَي النَّغَم والإيقاع . قد عدَّ الحرفَ المتحرِّكَ المختومَ بساكنٍ يُعادِلُ في العَروض الحرفَ الممدودَ المختومَ بحرفِ مدٍّ (أَنْ = نَا، نُو، نِي)، وهكذا عَدَّهُ شيخُ الموسيقيِّين الفارابيُّ في الإيقاعِ الموسيقيِّ حيث يقول:"وكلُّ مقطعٍ طويل، فإن قوَّتَه قوَّةُ السبَب الخفيف، فلذلك يُعَدُّ في الأسباب الخفيفة، وكلُّ ما لحِق الأسبابَ الخفيفة لحِق المقاطِع الطويلة... وكلُّ سبَبٍ خفيفٍ، فإنَّه يَقُومُ

(1) تفسير ما بعد الطبيعة 2/ 1016 .

(2) عبد السلام المسدِّي: التفكير اللِّساني في الحضارة العربية ص 261 بتصرُّف.

(3) السَّببُ في علمِ العَروضِ: مقطعٌ مؤلَّفٌ من حرفٍ متحرِّكٍ وساكن (خفيف مثل: لَمْ، لا)، أو حرفَين متحرِّكين (ثقيل مثل: مِنَ). أمَّا الوتَدُ فمقطعٌ مؤلَّفٌ من سببٍ ثقيلٍ متبوعٍ بساكنٍ أو متحرِّكٍ (وتد مجموع: أَجَلْ، أو متوالي: جَبَلُنْ، سَمَكَتُن)، أو سببٍ خفيفٍ متبوعٍ بمتحرِّكٍ أو ساكن (وتد مفروق مثل: ظَهْرُ، أو مُفرَدٌ مثل: يُسْرْ). (الموسيقى الكبير ص1075).

(4) انظر لتفصيل هذا الارتباط: الفارابيُّ في الموسيقى الكبير ص 1075 وما بعدها ، ومقالةَ الدكتور علي الزبيدي بعنوان"الخليل الموسيقار" مجلَّة المورد 1395 - 1975 مج 4 عدد 4 ص 29 .

(5) الموسيقى الكبير ص 1085.

(6) الصاحبي ص 467 .

مقامَ نَقْرَةٍ تامَّةٍ تعقُبُها وقفةٌ، وكذلك كلُّ مَقْطَعٍ طَوِيل"[1].

فالعلاقةُ بين السَّاكن والمتحرّك في علم العَروضِ علاقةٌ عروضيَّةٌ إيقاعيَّةٌ مقطعيَّةٌ بحتةٌ.

وذكَر الفارابيُّ أنَّ الأسبابَ والأوتاد في علم العَروضِ عند العرب يقَابِلُها **المَقَاطِعُ** والأرجُلُ عند اليونانيّين[2].

وأريدُ أن أنبّه في ختام هذا المعنى إلى أنَّ المقاطعَ الصَّوتيّة والنَّبرَ والتنغيمَ ليستْ معانيَ حديثةً؛ بل هي قديمةٌ جدًّا ذكَرَها (أرسطو) في كلامه الخاصّ عن الشِّعرِ والخطابة، وفصَّلَها أصحاب المدرسةِ العقليَّةِ من فلاسفةِ المسلمين، كالفارابيّ وابن سينا وابن رشد، ومن أجل هذا أدعو الباحثين المعاصِرين للكشفِ عن أصول هذا المصطلح، مع الدراسةِ العميقةِ لمقاطعِ الشِّعر العربيّ ومُقارَنتِهَا بعلم الإيقاع الموسيقيّ، وتفقُّد نظام الأسباب والأوتاد في عَروض الشِّعر؛ لأنَّها هي المعوَّل عليها في قياس الأصوات وكمِّيتِها، ولأنَّ الحروفَ تُكالُ بميزان العَروض، فهو عيارُ الحِسِّ، وحاكمُ القسمة والوضع، كما يقولُ ابن جنّي[3].

3. المعنى الثالث لـ: (المَقطَع) = مخرج الحرف:

استَعمَل ابن جنيّ: (**المقاطع**) للتعبير عن أماكنِ قَطْعِ الصَّوت، التي عندها يتولَّدُ الصَّوتُ اللُّغويُّ، ويكون مخرج الحرف في قوله الشَّهيرِ:"اعلم أنَّ الصَّوتَ عَرَضٌ يَخْرُجُ مع النَّفَسِ مُستطيلاً مُتَّصِلاً حتى يَعْرِضَ له في الحلقِ والفمِ والشفتَين **مقاطعُ** تُثْنِيهِ عن امتدادِه واستطالتِه، فَيُسَمَّى المقْطَعُ أينما عَرَضَ له حرفاً، وتَختَلِف أجراسُ الحروف بحسب اختلاف **مقاطعِها...** ألا ترى أنَّكَ تبتدئ الصَّوتَ مِن أقصى حلقِكَ. ثمَّ تَبْلُغُ به أيَّ **المقاطعِ** شئتَ، فتَجِدُ له جَرْساً مَّا"[4].

وحام حول عبارتِه: القرطبيُّ[5]، والخفاجيُّ[6].

4. المعنى الرابع لـ: (المَقطَع) = الصوتُ اللُّغويُّ:

إذا كان الصَّوتُ ينقطعُ في أماكن معيَّنةٍ تُعَدُّ مُنْقَطَعاتٍ وحدوداً لهذا الصَّوت على طولِ مجرى النُّطق، وكان معنى الحرف في اللُّغة هو الحدّ، ساغَ حينئذٍ لابنِ جنيّ أن يَستَعمِل: (المقْطَعَ) بمعنى الحرف، في قوله الذي تقدَّم آنفاً:"اعلم أنَّ الصَّوتَ عَرَضٌ يَخْرُجُ مع النَّفَسِ مُستطيلاً مُتَّصِلاً حتى يَعْرِضَ له في الحلقِ والفمِ

(1) الموسيقى الكبير ص 1075 - 1079.
(2) إحصاء العلوم ص 65 .
(3) الخصائص 2/ 328.
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 6 .
(5) الموضح ص 71
(6) سر الفصاحة ص 12 .

والشفتَين مقاطعُ تُثْنِيهِ عن امتدادِه واستطالتِه، **فَيُسَمَّى المَقْطَعُ أينما عَرَضَ له حرفاً**"[1].

وهذا الذي جعَل القرطبيَّ والخفاجيَّ[2] يُعَرِّفانِ الحروفَ بأنَّها مقاطِعُ، قال القرطبيُّ:"فالحروفُ هي مقاطعُ تَعرِضُ للصَّوتِ الخارجِ مع النَّفَسِ ممتدًّا مستطيلاً، فتَمنَعُهُ عن اتِّصَالِهِ بغايتِه"[3].

2 . المصطلح الثاني لمخرج الحرف: (المَوْضِع)

من المشتركِ اللَّفظيِّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على الخَفضِ للشيءِ وحَطِّهِ. وضَعْتُهُ بالأرضِ وَضْعاً. واسمُ المكان: المَوْضِعُ، والمَوْضَع بالفتح نادرٌ. وقد يأتي المَوْضِع بمعنى الوضْع أي المصدر، فتقول وضعتُ الشيءَ مَوضِعاً واحداً لا يتَزَحزَحُ عنه، أي وَضعاً ثابتاً[4].

استُعمِل: (المَوْضِع) في أكثر من معنًى، منها:

1 . المخرج. 2 . المكان بالنَّظر إلى الدَّلالة الأصليَّة. 3 . مشاركٌ في التعبير عن تحقيق الانسجام بين الأصوات. 4 . الحركة التي يَعتَمدُ عليها الحرفُ وتَقلِبُه إلى جنسِها، ويتعلَّق هذا بالمقطع الصوتيّ، وانظر مصطلح الاعتماد على الحركة.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (المَوْضِع) = المخرج

استَعمَل الخليلُ: (المَوْضِع) بمعنى مخرج الحرف في أكثر من مكان، فمن ذلك تعريفُه لـ: (بِلَّة اللِّسان) فقال: "وُقُوعُه على **مَواضع الحُرُوف**، واستمرارُه على المِنْطق، يُقال: ما أحسَنَ بِلَّةَ لسانِه، أو ما يَقَعُ لسانُه إلاّ على بِلّته"[5].

وقال في تفسير التَّمْتَمَة:"والتَّمْتَمةُ في الكلام: ألاَّ يُبَيِّنَ اللسانُ.. يُخطِئُ **مَوْضِعَ الحرفِ**، فيَرجِعُ إلى لفظٍ كأنَّه التاءُ والميمُ"[6].

وتابعَه سيبويه فقال عن الهاء مرَّةً: إنَّها من **مخرجِ** الألف[7]، ومرةً إنَّها مِن **مَوضعِ** الألف[8].

وقال في موضعٍ آخَر:"ألا تَرَى أنَّ الحَرْفَين إذا تَقَارَبَ **مَوضِعُهُما** فتَحَرَّكا، أو تَحَرَّكَ الأوَّلُ وسَكَنَ الآخِر لم

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 6 .
(2) سر الفصاحة ص 12 .
(3) الموضح ص 71
(4) مقاييس اللُّغة ص 1055 (و ض ع) ولسان العرب 8/ 396 (و ض ع).
(5) العين 8/ 319.
(6) العين 8/ 111 .
(7) الكتاب 4/ 193 .
(8) الكتاب 4/ 195 .

يُدْغِموا..."[1].

وقولُه:"والتاءُ والدَّالُ سواءٌ، كلُّ واحدةٍ مِنهما تُدْغَمُ في صاحِبَتِها حتى تَصيرَ التاءُ دالاً والدالُ تاءً؛ لأنهما مِن **موضعٍ** واحدٍ"[2].

ومنه أيضاً ما تقدّم في مصطلح: (الاعتماد) من إشباعِ الاعتماد في الموضعِ وضعفِه فيه وانقضائه.

وتابعَهما كثيرٌ من العلماء، منهم: الأخفشُ[3]، والمبرِّدُ[4]، والزجَّاجُ[5]، وابنُ السرَّاج[6]، والنحَّاسُ[7]، والفارسيُّ[8]، والسعيديُّ[9]، ومكيٌّ[10]، والدانيُّ[11]، والقرطبيُّ[12]، والهمَذانيّ[13]، وغيرهم.

وتوسَّع بعضُ العلماء فيه، ليتناول مواطن أخرى غير مخارج الحروف، فمن ذلك ما ذكَره الدانيُّ من أنَّ"الأنفَ **مَوْضِعُ** الغُنَّة"[14].

ملاحظة: هذا المعنى لا يُغَيِّبُ الدَّلالة الأصليَّة للكلمة أي المكان، بل يسيران جنباً إلى جنب. فلو استبدَلْتَ الألفاظ السابقةَ بـ: (المكان أو المخرج) لَصَحَّا.

2 . المعنى الثاني لـ: (المَوْضِع) = المكان بالنَّظَر إلى الدلالة الأصليَّة:

كقول سيبويه عن الحرفَين المتماثلَين المدغَمَين في كلمة وكلمتَين، قال:"هذا بابُ الإدغامِ في الحَرْفَين اللَّذَين تَضَعُ لسانَكَ لهُما **مَوْضِعاً واحِداً** لا يَزُولُ عنه"[15]. أي: مكاناً واحداً .

وقولِ ابن جنيّ عن آخر الكلمة: إنه موضِع الوقف، ومَكانُ الاستراحة[16].

(1) الكتاب 4/ 367 .
(2) الكتاب 4/ 461. وانظر في هذا المعنى: 3/ 448، و3/ 471 و 4/ 411 و 4/ 335 و 4/ 460 و 4/ 477.
(3) معاني القرآن 2/ 592 .
(4) المقتضب 1/ 310 و 330 .
(5) معاني القرآن وإعرابه 5/ 133 .
(6) الأصول 3/ 167 .
(7) إعراب القرآن 4/ 371 .
(8) الحجة 1/ 97 ، والتكملة ص 227 .
(9) التنبيه على اللَّحن الجلي والخفي ص 12 .
(10) الرعاية ص 126 و 140 - 141 .
(11) التحديد ص 78 و 95 و 109 .
(12) الموضح ص 66 و 96.
(13) التمهيد ص 282 .
(14) التحديد ص 105 .
(15) الكتاب 4/ 437 . وانظر من ذلك: 3/ 529 و 4/ 174 .
(16) الخصائص 1/ 233 .

وقولُ ابن سينا عن العين أنَّها في (**المَوْضِعِ** الذي يَنالُه هواءُ التَّهَوُّع أدْخَلُ إلى الحُلْقُوم)، وعن الحاء أنَّها في (**المَوْضِع** الذي يَنالُه هواءُ التنَحْنُح)[1]. أي: في المكان الذي...

وعرَّف الدانيُّ المخرجَ بأنَّه:"**المَوْضِعُ** الذي ينشأ منه الحرفُ"[2]. يعني المكان.

3. المعنى الثالث لـ: (المَوْضِع) = مشاركٌ في التعبير عن تحقيق الانسجام بين الأصوات:

في الانسجام في الإدغام:

1. (رفع اللِّسان من **موضعٍ** واحدٍ): سيبويه، ونسَبَه في أحد نصوصِه للخليل[3].

2. (لزوم اللِّسان **موضعاً** واحداً): الدانيّ[4].

وفي تقريب الصَّوت من الصَّوت مطلقاً استُعملت التعبيرات التالية:

1. (الانتِظامُ من **مَوضعٍ** واحد): الخليل[5].

2. (العملُ من **موضعٍ** واحدٍ): ابنُ السرَّاج[6]، وابن خالويه[7]، ومكيّ[8]، والقرطبيُّ[9].

3. (اللَّفظ من **مَوضعٍ** واحدٍ): ابن خالويه[10].

4. المعنى الرَّابع: المَوْضِع = الحركة التي يَعتَمِدُ عليها الحرف وتَقْلِبُه إلى جنسِها:

استَعمل الأخفشُ العبارتَين التاليتَين: (جَعْلُ الهمزة على **مَوضِعِها**) و (جَعْلُ الهمزة في **مَوضِعِها**)[11]، لتبيين اعتماد الهمزة على حركتِها، فإن كان قبلها فتحة قلبت ألفاً، وإن كانت ضمةً قُلبتْ واواً، وإن كانت كسرةً قُلِبتْ ياءً.

وهو يُشبِه إلى حدٍّ كبير ما جاء عند الخليل في استعمال لفظ: (الاعتماد) من أنَّه اعتمادُ الصَّوْتِ على الحركة، وتسلُّطُها عليه، وقلبُها له إلى ما يُجَانِسُها، ويتعلَّق هذا بالمقطع الصوتيّ. والله أعلم.

(1) أسباب حدوث الحروف ص 116.
(2) التحديد ص 102 .
(3) الكتاب 3/ 529 . وانظر: 4/ 117 و 4/ 237.
(4) التحديد ص 99 ، والإدغام الكبير ص 40.
(5) العين 4/ 243 .
(6) الأصول 3/ 372 .
(7) الحجة ص 71 .
(8) الرعاية ص 109 .
(9) الموضح ص 153 و 183.
(10) الحجة ص 92 و 114 .
(11) كلتا العبارتين في معاني القرآن 1/ 199، و 1/ 203 . وانظر مصطلح الاعتماد ، وما أثبتُّه هناك من كلامٍ للأخفش .

3. المصطلحُ الثالث لمخرج الحرف: (الحيِّز، الأحياز، الأحواز):

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويُّ على الجَمْعُ والتجمُّع. يقال لكلِّ مَجْمَعٍ وناحيةٍ حَوْزٌ وحَوْزَةٌ[1]، قال الخليل:"حيّزُ الدَّار: ما انضَمَّ إليها من المَرَافِقِ والمنافع، وكلُّ ناحيةٍ حيِّزٌ على حِدة... والتحيّز في الحرب: أن يَنضمَّ قومٌ إلى قومٍ"[2].

استعمل الخليلُ: (**الحيِّز، الأحياز**) كأماكنَ في مجرى النُّطق نَسَبَ إليها مجموعة من الحروف[3]. وهو بهذا المعنى أوسعُ من المخرج، لأنَّ المخرج ربَّما ضمَّ حرفاً واحداً فقط وربَّما أكثر، أمَّا الحَيِّز فلا بدَّ أن يحتوي على مجموعةٍ من الحروف حتى يُطلَق عليه هذا الاسم.

والأحياز عند الخليل ثمانية هي:

1 . الشَّفتان 2 . ذَلَقُ اللِّسان 3 . اللِّثَة 4 . نِطْعُ الغَارِ الأعلَى . 5 . أسْلَةُ اللِّسان 6 . شَجْرُ الفَم 7 . اللَّهاةُ 8 . الحَلْقُ.

وكلٌّ من هذه الثمانية نسَبَ إليها مجموعةً من الأصوات، كالحلقية والشَّجْرِيَّة.. الخ، وقد تقدَّم الحديث عنها في أعضاء النُّطق.

وقد أشار الخليل إلى بعضٍ من هذه **الأحيازِ**، على الترتيب الذي ذكَرْتُه، عند حديثه عن الميم، قال:"والميمُ من الحُروفِ الصِّحَاحِ السِّتة المذْلَقَة التي في **حَيِّزَين: حَيِّزِ** الشفَتَين، **وحيِّزِ** ذَوْلَقِ اللِّسانِ... وهي آخرُ الحُروفِ من **الحَيِّزِ** الأوَّل، وهو **الحيِّزُ** الشَّفَوِيُّ"[4].

أمَّا حروف المدِّ لما كانتْ لا تنتمي إلى **حيِّزٍ** نسبَها الخليلُ إلى الجَوف أو الهواء (الفراغ)، قال عنها:"فلم يَكُن لها حَيِّزٌ تُنسَبُ إليه إلا الجَوف"[5].

ومن هذا المعنى **للحَيِّزِ** ونسبة الحروف الصَّحيحة إلى **أحيازٍ** محدَّدة دون حروف المدِّ ذكَر عبد الوهَّاب القرطبيُّ أنَّ الواو والياء"تكونانِ تارةً من حروف المدِّ واللِّينِ بأن تَسْكُنا ويكونَ ما قَبْلَهما مِنْهُما، وتارةً **يَتَحَيَّزُ** مَخْرَجُهُمَا إذا تغيَّرتا عن هذا الوضعِ بأن تَسْكُنا وينفتحَ ما قَبْلَهما. ومتى وُجِدَ ذلك زالَ عنهما مُعْظَمُ المدِّ وبَقِيَ اللِّينُ وانبَسَطَ اللِّسانُ بهما، وصارتا بمنزلةِ سائر الحروف الجامِدَة"[6].

(1) مقاييس اللُّغة ص 270 (ح و ز).
(2) العين 3/ 275 .
(3) العين 1/ 57 و 8/ 421 .
(4) العين 8/ 421 .
(5) العين 1/ 57 .
(6) الموضح ص 121 . وانظر: ص 142.

وهذا فيه إدراكٌ دقيقٌ لهذين الصَّوتَين وطبيعتَيهما الدائرة بين المدِّ واللِّين.

تابعَ الخليلَ على استعمال: **(الحيِّز، الأحيَاز)**: سيبويه[1]، وثعلب[2]، والزجَّاجُ[3]، والرازيُّ[4]، وأبو عليّ الفارسيّ[5]، وابن جنيّ[6]، والسعيديُّ[7].

استعمل أبو العلاء الهمَذانيُّ لفظَ: **(الأحواز)**[8].

4 . المصطلحُ الرَّابع لمخرج الحرف: (المخرج)

من أصلِهِ اللُّغويِّ أن يدلَّ على النَّفاذ عن الشَّيء، يقال: خَرَج من الموضِع خروجاً ومَخرجاً[9].

استعمله كثيرٌ من العلماء، منهم: سيبويه[10]، والأخفش[11]، والجاحظ[12]، والمبرِّدُ[13]، وقدامة بن جعفر[14]، وابن دريد[15]، وابن خالويه[16]، والفارسيُّ[17]، وابن جنيّ[18]، وابن سينا[19]، ومكيٌّ[20]، والدانيُّ[21]، والقرطبيُّ[22]، وأبو العلاء الهمذانيُّ[23]، وغيرهم.

وهو أشهر من أن يُذكَر له مثالٌ.

(1) الكتاب 4/ 464 و 468 و 481.
(2) نقل ذلك السيرافيُّ في كتاب: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 60 .
(3) معاني القرآن وإعرابه 5/ 133 .
(4) الزينة ص 64 .
(5) الحجة 1/ 96 و 2/ 75 و 3/ 173 و 5/ 307.
(6) الخصائص 3/ 13 والمنصف 2/ 326.
(7) اختلاف القراء في اللام والنون ص 66 .
(8) التمهيد في معرفة التجويد ص 279 و 282 .
(9) مقاييس اللغة ص 295 (خ ر ج).
(10) الكتاب 4/ 163 و 176 .
(11) القوافي ص 43 .
(12) البيان والتبيين 1/ 52 .
(13) المقتضب 1/ 292 و 328.
(14) نقد الشعر ص 28 .
(15) الجمهرة 1/ 4 .
(16) الحجة ص 152 .
(17) التكملة ص 279 .
(18) سر صناعة الإعراب 2/ 815 .
(19) أسباب حدوث الحروف ص 60 و 62 .
(20) الرعاية ص 50 .
(21) التحديد ص 102 .
(22) الموضح ص 66 .
(23) التمهيد في معرفة التجويد ص 291 .

5 . المصطلحُ الخامسُ لمخرج الحرف: (المَدْرَج، المَدَارِج)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على مُضِيِّ الشيء، والمضِيِّ في الشَّيء. من ذلك قولهم، دَرَج الشيءُ، إذا مضى لسبيله. ومَدَارِجُ الأكَمة: الطرقُ المعترِضَةُ فيها[1]. قال الخليل:"والمِدْرَجَةُ: مَمَرُّ الأشياءِ على مَسْلَكِ الطريقِ ونحوِها"[2].

استعمله من العلماء: الخليلُ، وابن دُرَيد[3]، والرَّازيّ[4]، وابنُ جنيّ[5]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[6].

قال الخليل:" في العربية تسعةٌ وعشرون حرفاً: منها خمسةٌ وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحيازٌ **ومدارجُ**، وأربعةُ أحرفٍ جُوفٍ، وهي: الواوُ والياءُ والألفُ اللَّينةُ والهمزةُ، وسُمِّيتْ جُوفاً؛ لأنها تَخرجُ من الجَوف، فلا تَقَعُ في **مَدْرَجَةٍ** مِن **مَدَارج** اللِّسان، ولا مِن **مَدَارِجِ** الحَلْقِ، ولا مِن **مَدرَج** اللَّهاة، إنما هي هاويةٌ في الهَوَاء، فلَم يَكُن لها حَيِّزٌ تُنْسَبُ إليه إلا الجَوْف"[7].

نُلاحِظُ . من خلال النصِّ . أن المخارِج الرئيسيَّة عند الخليلِ ثلاثة: الحَلْق، واللِّسان، واللَّهاة. وهذه المخارجُ الكلِّية الثلاثة تَضُمُّ الأحيازَ الثمانية . التي تقدَّمتْ في الحيِّز . وهذه الأحيازُ تضمُّ مخارِجَ الحروف التي هي مَدَارِجُ، أي: يَرتقي فيها الصَّوت من مخرجٍ إلى مخرجٍ أعلى منه بحسب الترتيب الصَّوتيِّ من الداخل إلى الخارج، بدليلِ قولِه في موضعٍ آخَر عن بعض حروف الحلق والقاف والكاف:" فهذه ثلاثةُ أحرفٍ في حيِّزٍ واحدٍ بعضُها **أرفَعُ** من بعض... ثمَّ القافُ والكاف لهَوِيَّتان، والكافُ **أرفَعُ**"[8]، فهي في ذلك كمثل دَرَجات السُّلَّم التي يرتقي فيها الإنسان، وهذا يُحَقِّقُ اختيارَه الدَّقيق للمدرجة والمدارج، والله أعلم.

6 . المصطلح السَّادس لمخرج الحرف: (المبدأ)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على افتتاح الشيءِ، يقال: بدأتُ بالأمر وابتدأتُ، والمبْدَأ: مكان البدءِ[9].

استعملَه الخليلُ في حديثه عن علَّة نسبته الحروفَ إلى الأحياز الثمانية التي تقدَّمتْ في الحيِّز، فمثلاً، قال:"والجيمُ والشينُ والضادُ شَجْريةٌ؛ لأنَّ **مَبْدَأَهَا** من شَجْرِ الفَم، أي مَفْرَج الفَم"[10]. ومثل ذلك جاء في

(1) مقاييس اللغة ص 335 - 336 .
(2) العين 6/ 78 .
(3) الجمهرة 1/ 4 و 8 .
(4) الزينة ص 64 .
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 4 - 5 .
(6) التمهيد في معرفة التجويد ص 273 .
(7) العين 8/ 167 .
(8) العين 1/ 57 - 58 .
(9) مقاييس اللغة ص 102 (ب د أ).
(10) العين 1/ 58 .

جميع الألقاب الباقية. وأظنُّ أنَّ الخليل يعني به مكانَ ابتداءِ التصويت بالحرف والاستهلال به.

وكذلك استعمله الكنديُّ في وصفِ بعض الحروف، قال عن الهاء:"إنَّها تَحتاجُ إلى نَفَسٍ يَخرُج من عُمقِ الرِّئة، ففتحة، وهمزةِ اللَّهوات **بمبدأ** نغمةٍ ووقفة"[1].

واستعمله الفارابيُّ ـ أيضاً ـ في ذكره لأوائل الألحان، وهي أوائلُ نَغَمِها واستهلالاتها عند الدُّخول إليها، حيث سمَّاها (**مبادئ الألحان**)[2].

وهؤلاء العلماء الثلاثة الذي استعملوا هذا المصطلح ـ من المطَّلعين على علم النَّغم والألحان ـ **ممَّا يُرَجِّحُ** أن يكون هذا المصطلح خاصاً بتلك الصناعة، والله أعلم.

7 ـ المصطلح السَّابع لمخرج الحرف: (المَكْمَنُ)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على استِخفاءٍ. يقال: كَمَن الشيءُ كُمُوناً، واشتقاقُ الكمين في الحربِ من هذا[3].

استعملَه من العلماءِ: الخليلُ، قال:" ولكلِّ حَرْفٍ **مَكْمَنٌ** إذا مرَّ به الصَّوتُ أثارَهُ"[4].

وهذا كأنَّه تشبيهٌ لطيفٌ بالحيَّة في جحرِها، ويعني الخليلُ اعتراضَ أعضاء النُّطق على الصَّوتِ لإحداثِ صوت الحرف.

8 ـ المصطلح الثامن لمخرج الحرف: (المُعْتَمَد)

يدلُّ أصلُه على الاستقامة في الشيء منتصباً أو ممتدّاً، والعَمْد: أن تَعْمِد الشيءَ بعِمادٍ يُمْسِكُه ويَعتمِدُ عليه[5]. وعَمَدْتُ الحائطَ عَمْداً: دَعَمْتُه، والعِمادُ ما يُسنَدُ به، والجمعُ عَمَدٌ، واعتمَدتُ على الشيءِ: اتَّكَأتُ[6].

استَعمل سيبويه: (**المُعْتَمَد**) للتعبير عن خروجِ القاف من الحنك الأعلى، قال عن القاف:"وذلك أنَّها مِن أقصى اللِّسان فلم تَنْحَدِر انحِدَارَ الكافِ إلى الفَم، وتصَعَّدَتْ إلى ما فَوقَها من الحنك الأعلى.

والدَّليلُ على ذلك أنَّكَ لو جَافَيْتَ بين حَنَكَيْكَ فبَالَغْتَ ثمَّ قلتَ: قَقْ قَقْ لم تَرَ ذلك مُخِلاًّ بالقاف. ولو فعَلْتَهُ بالكافِ وما بعدَها من حروفِ اللِّسانِ أخَلَّ ذلك بِهِنَّ، فهذا يَدُلُّكَ على أنَّ **مُعْتَمَدَهَا** على الحَنَكِ

(1) رسالة الكنديّ في اللُّثغة ص 524.
(2) الموسيقى الكبير ص 1160 .
(3) مقاييس اللغة ص 876 (ك م ن).
(4) العين 5/ 386 .
(5) مقاييس اللُّغة ص 674 (ع م د).
(6) المصباح المنير ص 428 .

الأعْلَى"[1].

واستَعمله بعض العلماء في وصف الألف، فقد ذكَر عليُّ بن سليمان الملقَّب بالأخفش الأصغر "أنَّ الألفَ لا **مُعتَمَدَ** لها في الفم"[2].

وتابعَه: أبو عليّ الفارسيُّ[3]، وأبو الفضل الخزاعيّ[4]، ومكيٌّ[5]، والدانيُّ[6]، والقرطبيُّ[7].

وذكر القرطبيُّ في تفخيم الراء أنَّ"**مُعْتَمَدَ** اللِّسان أخرجُ في الحنك الأعلى يسيراً، فينبسِطُ حينئذٍ اللِّسانُ، وينحصِرُ الصوتُ بينه وبين الحنَك، فيَحدُثُ التفخيمُ لذلك"[8]. وهو إدراكٌ دقيق لعمليَّة التفخيم، وما يحدث فيها من انحصارٍ للصوت بسبب تقعُّرِ اللِّسان.

وقال عن الراء المرقَّقة:"وكان العمَلُ فيها برأسِ اللِّسان، **ومُعْتَمَدُها** أدْخَلَ إلى جهةِ الحَلْقِ في الحنك الأعلى يسيراً وأخَذَ اللِّسانُ من الحنك أقلَّ مِمَّا يأخُذُ مع المفَخَّمةِ، فيَنْخَفِضُ اللِّسانُ حينئذٍ، فلا يَنْحَصِرُ الصَّوْتُ بينَه وبين الحنكِ فتجيءُ الرِّقَّة"[9].

وعرَّف أبو البركات ابن الأنباريّ التنوينَ، فقال:"ألا ترَى أنَّهُ غُنَّةٌ في الخَيْشُومِ، وأنَّهُ **لا مُعْتَمَدَ** لهُ في الحَلْقِ، فأشبهَ الألِفَ إذ كان حرفاً هوائيًّا"[10].

وأظنُّه يَعني إذا جاء بعده أحد حروفِ الإخفاء الخمسة عشر، وإلا فالتنوينُ في ذاتِه نون ساكنةٌ لها معتمدان في الفم والخيشوم.

9. المصطلح التاسع لمخرج الحرف: (المَنفَذُ)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على مَضَاءٍ في أمرٍ وغيره، ونَفَذَ السَّهمُ الرميةَ نفاذاً، وأنفَذْتُهُ أنا، وهو نافِذٌ: ماضٍ في أمره[11].

(1) الكتاب 4/ 479 - 480 .

(2) النوادر لأبي زيد برواية الأخفش الأصغر ص 269 .

(3) الحجة 5/ 364 . والنصُّ هو: "وفي الألفِ خفاءٌ شديدٌ من حيث لم تَعْتَمِد في إخراجها على مَوضعٍ، فصارتْ لذلك بمَنزلةِ النفَس من أنه لا يُعْتَمَدُ له على مَوضع" اهـ وهو حاصل كلام سيبويه في الكتاب 4/ 335.

(4) المنتهى ص 155.

(5) الرعاية ص 127، وانظر: ص 94 .

(6) انظر: التحديد ص102 و120 ، والإدغام الكبير ص49، والموضح لمذاهب القراء في الإمالة ل 1/ أ و 39/ ب .

(7) الموضح ص 78 .

(8) الموضح في التجويد ص 106.

(9) الموضح في التجويد ص 106.

(10) أسرار العربية ص 39 .

(11) مقاييس اللغة ص 1002 (ن ف ذ).

استعملَه من العلماءِ: سيبويه[1]، وابن جنيّ[2]، والقرطبيّ[3].

مثال: قال سيبويه عن علَّة إخراج نحو النفخة في الضاد والظاء والذال والزاي، بأنَّها وجدتْ مخرجاً لصوتِها، قال عن هذه الأربعة:" لأنَّ هذه الحُرُوفَ إذا خَرَجَتْ بصَوْتِ الصَّدْرِ انسَلَّ آخِرُهُ وقَدْ فَتَرَ من بَين الثَّنايا؛ لأنَّهُ يَجِدُ **مَنفَذاً** فتُسْمَعُ نحوُ النَّفْخَةِ... والضَّادُ تَجِدُ **المَنْفَذَ** مِن بين الأضرَاسِ"[4].

10 . المصطلح العاشر لمخرج الحرف: (المَحَلُّ)

يدلُّ على مكانِ الحُلُول، والمِحَلُّ بفتح الحاء، وبالكسر لغةٌ، والمِحَلَّةُ، بالفتح، المكانُ يَنزِلُه القَومُ[5].

استعملَه من العلماءِ: المبرِّدُ، قال:"**فمَحَلُّ** اللاَّم والنُّون والرَّاء متقاربٌ بعضُه من بعض"[6].

11 . 12 المصطلح الحادي عشر والثاني عشر لمخرج الحرف: (الأماكنُ الواجبةُ للنُّطق)، (المكان)

استعملَ الكنديُّ: **(الأماكن الواجبة للنُّطق)**، في تعليل اللُّثغة:" قال:"واعلَم يا أخي أنَّ اللُّثغة إنَّما تَعرِضُ من سبَبَين: إمَّا لنُقصانِ آلة المِنطقِ، وإمَّا لزيادتِها فلا تَقدِرُ على تَسريح **الأماكنِ الواجبةِ للنُّطقِ** مثل: مقاديمِ الأسنان وجميع الأماكنِ الواجبة للنُّطق... وقد تَعْرِضُ اللُّثغة أيضاً من جهةٍ أخرى مِن ضعفِ العُضو المنطقيّ، وليس هذا مِمَّا يَجري على في الأكثرِ، وإنَّما يُحَدُّ الشيءُ بالحدِّ الأكثر"[7].

واستعملَ: **(المكان)** تعبيراً عن المخرج: ابنُ زنجلة[8]، وعبد القاهر الجرجانيُّ[9].

13 . المصطلح الثالث عشر لمخرج الحرف: (مُسْتَقَرُّ الحرف)

من أصلِه اللُّغويّ أن يدلَّ على تَمَكُّنٍ، يقال: قَرَّ واستقرَّ، والاستقرار: التمكُّن[10].

استعملَه من العلماءِ: الأخفش الأصْغَر[11]، وأبو جعفرٍ النحَّاس[12]، وابن جنيّ، ومكيٌّ[13]، وابن رشيقٍ

(1) الكتاب 4/ 174 - 175 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 64 .
(3) الموضح ص 93 .
(4) الكتاب 4/ 174 .
(5) المصباح المنير ص 148 .
(6) المقتضب 1/ 329 .
(7) رسالة في اللُّثغة ص 528 .
(8) الحجة ص 279 .
(9) دلائل الإعجاز ص 455 .
(10) مقاييس اللغة ص 824 - 825 .
(11) النوادر ص 269 .
(12) إعراب القرآن 1/ 227 .
(13) الرعاية ص 136 .

القيروانيُّ[1]، والقرطبيّ[2].

مثال: قال ابن جنيّ:"وسبيلُكَ إذا أردتَ اعتبارَ صدى الحرفِ أن تأتيَ به ساكناً لا متحرِّكاً؛ لأنَّ الحركةَ تُقْلِقُ الحرف عن موضعهِ **ومُستَقَرّه**"[3].

14 . المصطلح الرابع عشر لمخرج الحرف: (المَسْلَكُ)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على نفوذِ شيءٍ في شيء. يقال: سَلَكْتُ الطريقَ أسْلُكُه، وسَلكتُ الشيءَ في الشيءِ: أنفَذْتُه[4].

استعملَه من العلماءِ: ابن مهران[5]، وابنُ سينا[6].

مثال:قال ابن مهران عن مذهب أبي عمرو البصريّ في الإدغام:"فأمَّا الذي يَخْتَارُ إدغامَه ولا يَرى إظهارَه، وهو جائزٌ فالحروف الساكنةُ المتقاربةُ في **المَسْلَك**"[7].

وقال ابن سينا عن الفرقِ بين الثاءِ والسِّين:"وكأنَّ الثاءَ سينٌ تُلُوفِيَتْ بحبسِ وتَضييقِ فُرَجِ **مَسْلَكِ** هوائها الصَّفَّار"[8]. يعني حبس الثاء بطرفِ اللِّسان مع أطراف الثنايا منعَها من أن تكون كالسين في طبيعة المخرج.

15 . المصطلح الخامس عشر لمخرج الحرف: (السَّبيل)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على إرسال شيءٍ من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، وعلى امتدادِ شيءٍ. فَمِن الأوَّل: أسْبَلْتُ السِّتْرَ، أسْبَلَتِ السَّحابةُ ماءَها. ومن الثاني: السبيلُ، وهو الطريقُ، سُمِّيَ بذلك لامتدادِه[9].

استعملَه من العلماءِ: ابنُ سينا، قال عن الهاء:"وأما الهاء فإنها تحدُث عن مثل ذلك الحَفز في الكمّ والكَيْف [يعني: الذي في الهمزة] إلا أن الحَبْس لا يكون حبساً تامّاً، بل تفعلُه حافَّات المخرَج، وتكونُ **السَّبيلُ** مفتوحةً، والاندفاع يُماسُّ حافاته بالسَّواء غيرَ مَائلٍ إلا إلى الوسَط"[10].

(1) العمدة 1/ 137 .
(2) الموضح ص 72 .
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 6 .
(4) مقاييس اللغة ص 468 (س ل ك).
(5) المبسوط ص 89 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص 61 و 75 و 117 .
(7) المبسوط ص 89 .
(8) أسباب حدوث الحروف ص 122.
(9) مقاييس اللغة ص 482 (س ب ل).
(10) أسباب حدوث الحروف ص 72.

16 . المصطلح السَّادس عشر لمخرج الحرف: (المَحْبِس)

نظيرُ المِقْطَع. وتقدَّم الحديث عنه في: (المحابس) في أعضاء النُّطق.

17 . المصطلح السابع عشر لمخرج الحرف: (المَجْرَى، المَجَاري)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم .

18 . المصطلح الثامن عشر لمخرج الحرف: (المَواطِنُ)

يدلُّ على مَحَلِّ الإنسان، أي ما يُقيمُ فيه. وأوطانُ الغَنَمِ: مَرَابِضُها. وأوْطَنْتُ الأرضَ: اتخذتُها وطناً[1].

استعملَه من العلماءِ: ابن الطحَّان الأندلسيّ، قال:"ومخارجُ الحروفِ... خمسةَ عشر مخرجاً في ثلاثة **مَواطن**"[2]. يعني: في ثلاثة مخارج رئيسيَّة.

ثالثاً: الألفاظ المستعملة لاختبار مخرج الحرف

ذكَر اللَّيثُ الكيفيَّةَ التي كان يَخْتَبِرُ بها الخليلُ الحُرُوفَ، وذلك بإدخال همزةٍ من قبل الحرف، فقال:"وإنَّما كَانَ ذَوَاقُهُ إيَّاها أنَّه كَان يَفتَحُ فَاهُ بالألِفِ، ثمَّ يُظْهِرُ الحَرفَ، نحو: ابْ، اتْ، احْ، اعْ، اغْ، فَوَجَدَ العَيْنَ أدْخَلَ الحُرُوفِ في الحَلْق، فَجَعَلَها أوَّلَ الكِتَابِ، ثمَّ ما قَرُبَ منها، الأرفعُ فالأرفعُ، حتى أتى على آخرها، وهو الميم"[3].

وجَرى على هذه الطريقة أكثرُ العلماء الذين جاؤوا بعده. ويجبُ أن نُلاحِظ أنَّ هذه الطريقة تُجَرِّدُ الحرف ممَّا يَلحقه من أصوات كالقلقلة، وهي تُستَعمَل فقط لاختبار المخرجِ، أي: نقطة التقاء عُضوَي النطق، لا لكيفيَّة نُطْقِ الحرفِ السَّاكنِ عند العرب.

وقد عاب الدارسون المحْدَثون من الصوتيّين العرب هذه الطريقة، وحذَّروا من استعمالِها؛ لأنَّها . في نظرهم . لا تُحقِّق للحرفِ استقلاليَّته التامَّة. وكلامُهم هذا قد يَصِحُّ في نُطق بعض الأصوات، كالزاي والشين، لكنَّه يتعذَّر في نطْقِ بعض الأصوات الأخرى كالهمزة والتاء، إذ لا بدَّ لها من صوتٍ يَلْحقُها، إمَّا نفخٌ وإمَّا حركة، فلا تَتَحقَّقُ للصوت الاستقلاليَّةُ التامَّةُ التي يَرْجُونَها له.

استُعمل للاختبار الصَّوتيّ عدة مصطلحات مترادفة، منها:

1 . (الذَّوْقُ، والذَّوَاقُ) 2 . الإعْتِبَارُ 3 . الامْتِحَان 4 . التَّطَعُّمُ.

(1) مقاييس اللغة ص 1056 (و ط ن).

(2) مخارج الحروف وصفاتُها ص 113 .

(3) العين 1/ 47.

1 . المصطلح الأوَّل لاختبار مخرج الحرف: (الذَّوق والذَّواق)

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصْله اللُّغويُّ على اخْتِبَارِ الشَّيْء من جِهةِ تَطَعُّمٍ، ثمَّ يُشْتَقُّ منه مجازاً، فيقال: ذُقْتُ المأكولَ أذوقُهُ ذَوْقاً، وذُقْتُ ما عند فلانٍ: اختَبَرْتُه. وكلُّ ما نزَل بإنسانٍ من مكروهٍ فقد ذاقَه. ويقال: ذاقَ القَوسَ، إذا نظَر ما مقدارُ إعطائها وكيف قوَّتُها[1].

استُعمل: (الذَّوق والذَّواق) في أكثر من معنى، منها:

1 . الاختبار 2 . بيان أن تسهيلَ الهمزة على قياس تحقيقها 3 . التقدير.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الذَّوْق، الذَّواق، المَذاق، مذاقة الحروف) = اختبار مخرج الحرف

استعمَله اللَّيثُ بنُ المظَفَّر في حديثه عن ترتيب الخليل الصوتيّ للحروف بدءاً من الحلق وانتهاءً بالشفتَين، فقال:"فَأَعْمَلَ فِكْرَهُ فيه، فلم يُمْكِنْهُ أن يَبتدئ التأليفَ من أوَّلِ: أ ب ت ث، وهو الألِفُ؛ لأنَّ الألف حرفٌ معتلٌّ، فلمَّا فَاتَهُ الحرفُ الأوَّلُ كَرِهَ أن يَبتدِئ بالثاني، وهو الباء، إلا بعد حُجَّةٍ واستِقْصَاءِ النَّظَرِ، فَدَبَّرَ ونَظَرَ إلى الحُروفِ كلِّها **وذاقَها**، فوَجَدَ مَخْرَجَ الكَلامِ كلِّه من الحَلق، فصيَّر أُولاَهَا بالابتداء أدْخَلَ حَرْفٍ مِنْهَا في الحَلْق"[2]. وتقدَّم استعمال اللَّيث لـ:**(الذَّواق)** في حديثه عن الكيفيَّةَ التي كان يَخْتَبِرُ بها الخليلُ الحُرُوفَ، في قوله: (وإنَّما كانَ **ذَوَاقُهُ** إيَّاها...).

تابَع اللَّيثَ على هذا المعنى: ابنُ جنيّ مستعملاً: **(الذَّوْق، والمَذاق)**[3]، وعبدُ القاهر الجرجانيُّ[4] مستعملاً: **(مذاقةَ الحروف)**، والهمَذانيّ ناقلاً إحدى عبارات ابن جنيّ[5].

2 . المعنى الثاني لـ: (الذَّوق والذَّواق) = تسهيل الهمزة على قياس تحقيقها

حَكَى داودُ بنُ أبي طَيْبةَ، وأبو الأزهرِ عبدُ الصَّمَدِ بنُ عبدِ الرحمن، وأبو يعقوب يوسفُ بنُ عمرٍو الأزرقُ مذهبَ ورشٍ عن نافع في الكلمة القرآنية:[هأنتُمْ]، قالوا:"يُسَهِّلُها على **مذَاقِ** الهمز لو كان فيها"[6].

وقال ابن مجاهد:"وقرأ نافعٌ:[أَرَءيْتَكُمْ]، [أَرَءَيْتُمْ]، [أَرَءَيْتَ] من غير همزٍ، والألفُ على مقدارِ **ذَوْقِ** الهمز"[7].

(1) مقاييس اللُّغة ص 370 (ذ و ق).
(2) العين 1/ 47.
(3) انظر: سر صناعة الإعراب 1/ 45 و 409 و 2/ 814، والخصائص 1/ 75.
(4) انظر: دلائل الإعجاز ص 386 و 518.
(5) التمهيد في معرفة التجويد ص 273. وهو ناقلٌ لعبارةِ ابن جنيّ في سر صناعة الإعراب 1/ 45.
(6) نقل الدانيُّ عبارتهم في جامع البيان ل 132/ أ.
(7) السبعة ص257.

فسَّر أبو عليٍّ الفارسيُّ عبارةَ ابنِ مُجَاهد ـ وبها تُفَسَّرُ عبارةُ رواةِ ورشٍ ـ فقال:"وقولُهُ: قرأ نافعٌ بألفٍ في كلِّ القرآن من غير همزٍ على مقدارِ **ذَوقِ** الهمز، يُريدُ: أن نافعاً كان يَجعَلُ الهمزةَ بينَ بينَ، وقياسُها إذا خُفِّفَتْ أن تُجْعَل بَيْنَ بَيْنَ، أي: بين الهمزة والألف، فهذا التخفيفُ على قياسِ التحقيق"(1).

فذوْق الهمز هنا هو من جهة القياسِ بالهمزة المحقَّقة، قال الدانيُّ:"والهمزةُ هَا هُنا وإن كانت مسهَّلةً قد أُضْعِف الصَّوْتُ بها ولم تَتِمَّ... فإنَّها في تقديرِ المحقَّقَة التامَّة الصَّوْتِ، وفي وَزْنِها، فلذلك جَرَت مجراها في الاعتِدَاد بها"(2).

ونظيرُ العبارةِ التي تقدَّمت عن رواة ورشٍ وابنِ مجاهدٍ العبارةُ التي اشتهرتْ على لسانِ سيبويه، وتابعَه عليها كثيرٌ من العلماء، وهي قولُه عن الهمزة المسَهَّلة:"والمخفَّفة بزِنَتِها محقَّقة"(3).

3 ـ المعنى الثالث لـ: (الذَّوق والذَّواق) = التقدير

قدَّر أبو طاهر بنُ غَلْبُون مقدارَ المدِّ في الكلمةِ الأولى من قولِه تعالى:[تَرَ1ءَا الْجَمْعَانِ] عند الإمام حمزةَ وقفاً، فقال:"فيَكُون المدُّ في **مَذَاقِ** ألفَين ونصف، وهي الألفُ التي لبناء (تَفَاعَل)، والهمزةُ المجْعُولةُ بينَ بينَ، والألفُ المنقلِبةُ عن الياءِ التي رجَعَتْ"(4).

2 ـ المصطلح الثاني لاختبار مخرج الحرف: (الاعْتِبَار)

من المشتركِ اللَّفظيّ. مأخوذٌ من عِبرَي النَّهر، وهما جانِباه؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما عِبْرٌ مساوٍ لصاحبه، فذاك عِبْرٌ لهذا، وهذا عِبْرٌ لذاك، فإذا قلتَ: اعتَبَرتُ الشيءَ، فكأنَّك نَظَرْتَ إلى الشيءِ فجَعَلْتَ ما يَعْنِيكَ عِبْراً لذاك، فتساوَيا عندك(5).

والاعتبارُ يكونُ بمعنى الاختبار والامتحان، مثل: اعتَبَرْتُ الدَّراهمَ فوجَدتُّها أَلْفاً.

ويكونُ بمعنى الاتِّعاظ نحو قوله تعالى:[فَاعْتَبِرُوا يَأُوْلِي الأَبْصَرِ].

ويكونُ بمعنى الاعتدادِ بالشَّيءِ في تَرَتُّبِ الحُكْم(6).

استُعمل: (الاعتبار) صوتياً في أكثر من معنىً، منها:

(1) الحجة 3/ 306.

(2) جامع البيان ل 133/ أ.

(3) الكتاب 3/ 550 و 541 و 548. وانظر: المقتضب 1/ 292، والأصول 2/ 404، والحجة للفارسيّ 1/ 285، وسر صناعة الإعراب 1/ 48، وتذكرة ابن غلبون 1/ 122، والهادي لابن سفيان 2/ 417، والرعاية ص 110، والتحديد ص97.

(4) التذكرة 1/ 176.

(5) مقاييس اللُّغة ص 702 - 703 (ع ب ر).

(6) المصباح المنير للفيُّوميّ ص 390.

1 . الاختبار. 2 . الاعتداد بالشيء في ترتُّبِ الحُكْم 3 . اسمٌ مرادفٌ للمدِّ الطبيعيّ.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الاعتِبار) = الاختبار

استَعمَله سيبويه في مَوطنَين:

الأوَّل: عند حديثه عن كيفيَّة اختبار المجهور والمهموس، قال:"وأنتَ تَعْرِفُ ذلك إذا **اعْتَبَرْتَ** فَرَدَّدتَ الحرفَ معَ جَرْيِ النفَس، ولو أرَدتَّ ذلك في المجْهُورَة لم تَقْدِرْ عليه"(1).

والثاني: في حديثه عن سبب امتناع حروف الصفير من الإدغام في غيرها مقارنةً بقريباتِها في المخرج (الطاء والدال والتاء، والظاء والذال والثاء)؛ قال:"وأما الصادُ والسينُ والزَّايُ فلا تُدْغِمْهُنَّ في هذه الحروفِ التي أُدْغِمَتْ فيهنَّ؛ لأنهنَّ حروفُ الصفير، وهُنَّ أنْدَى في السَّمْع، وهؤلاء الحروفُ إنما هي شَديدٌ ورِخْوٌ لَسْنَ في السمعِ كهذه الحروفِ لخَفَائِها، ولو **اعتَبْرْتَ** ذلك وجَدتَّهُ هكذا"(2).

تابَع سيبويه على هذا المعنى: ابن جنيّ(3)، وعبد الوهَّاب القرطبيُّ(4).

2 . المعنى الثاني لـ: (الاعتِبار) = الاعتدادِ بالشيءِ في ترتُّبِ الحُكْم:

استَعمله ابنُ سفيانٍ القيروانيُّ في حديثه عن أحكام تفخيم الراء وترقيقها لورشٍ عند الوقف، فمن ذلك قوله:"وأمَّا المرفوع: فأصحاب الرَّوْمِ والإشمام يقِفُون عليه بالتفخيم كما يصِلُون، **ولا يَعْتَبِرُون** ما قبلَه. وأصحابُ الإسكان **يَعْتَبِرُون** ما قبلَه؛ فإن كان قبلَه كسرة أو ياء ساكنة وقَفُوا بالترقيق، وما سوى ذلك بالتفخِيم، مثل:[خَيْرٌ]، و[ذِكْرٌ]، فلا يعتدُّون بالساكنِ الذي بين الكسرةِ والراء إلاَّ أن يكونَ من حروف الاستعلاء، فإنَّهم يُفَخِّمونَ فيه"(5).

تابَع ابنَ سفيانٍ على اللَّفظ: الدانيُّ(6)، وإسماعيلُ بن خلفٍ الأندلسيُّ(7).

3 . المعنى الثالث لـ: (الاعتِبار) = اسم مرادفٍ للمدِّ الطبيعيّ

قال ابنُ الطحَّان الأندلسيُّ معرِّفاً: (القَصْرَ **والاعتِبار**):"وأمَّا القَصْرُ فهو عبارةٌ عن صِيغَة حرفِ المدِّ واللِّين، وهو المدُّ الطبيعيُّ.

(1) الكتاب 4/ 434. وسيأتي معنى الترديد في الجهر والهمس.

(2) الكتاب 4/ 464.

(3) سرّ صناعة الإعراب 1/ 6 و 60 و 346. وانظر: المنصف 2/ 253.

(4) الموضح ص 88. وهو ناقلٌ لعبارة سيبويه عن كيفية اختبار المجهور من المهموس، لكن بمزيدٍ من الإيضاح.

(5) الهادي 1/ 181 و 182.

(6) جامع البيان 3/ 891. ووافَق الدانيُّ ابنَ سفيانٍ في الرَّوم، وخالفَه في الإشمام؛ لأنَّ الإشمام كالسُّكون. (انظر: جامع البيان 3/ 890)

(7) العنوان ص 49 و 53.

وأمَّا **الاعتبار** فهو عبارةٌ عنه في بعض القراءات، وذلك أن بعضَهم **يَعْتَبِرُ** المدَّ واللِّين مع الهمزة، فإن كانا مُنْفَصِلَين لم يَزِدْ شيئاً على الصِّيغة"[1].

الملاحَظ على ابن الطحَّان في كلامه ـ وبغِياب من نقَل عنه ذلك ـ أنَّه مَارَسَ نوعاً من تحريف الدَّلالة، لأنَّني أظنُّ أن الاعتبار في نصِّه معناه الاعتِدَادُ الذي تقدَّم عند ابنِ سُفْيانٍ وأصحابِه؛ لأنَّ مِنَ القراء مَن يَعْتَدُّ بالمدِّ مع الهمزة إذا كانت في كلمة أو في كلمتَين، فيتفاوَتُ مدُّه تبعاً لذلك، ومِنْهُم مَن لا يعتدُّ بذلك فيبقى مدُّه واحداً في الحالَين.

وممَّا يُؤَيِّدُ ذلك قولُ ابن خلفٍ الأندلسيِّ عن ذلك:"قرأ الحرَميَّان إلا ورشاً، وأبو عمرٍو بإشباعِ المدِّ في حروف المدِّ واللِّين إذا كانت مع الهمزة في كلمةٍ واحدةٍ، نحو:[أُوْلَئِكَ]، و[الْمَلَئِكَة]، [خَائِفِين]، وما أشبه ذلك، ويَتْرُكُون مدَّهُنَّ إلا بِمِقْدَارِ ما فيهنَّ من المدِّ واللِّين إذا لم تكُن مع الهمزةِ في كلمةٍ واحدة، نحو: [وَمَالَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ] [وَقَالُوا ءَامَنَّا] [وَفِي أَنفُسِكُمْ]، ونحو ذلك، لا يَمُدُّون كلمةً لأخرى[2]. الباقون بالمدِّ المشبَع في ذلك كلِّه من غير **اعتِبار** كلِمَةٍ أو كلمتَين"[3].

3. المصطلحُ الثالث لاختبار مخرج الحرف: (الامْتِحان والمِحْنَة)

من أصلِه اللُّغويّ أن يدلَّ على الاختبار، يقال: مَحَنَهُ وامْتَحَنَه[4].

استَعمل الفرَّاء: **(امتحان المخرج)** في حديثه عن قرب مخرج الطاء من التاء أكثرَ من قرب الظاء والذال والثاء منها، قال:"والثاءُ والذَّالُ مخرَجُهُما ثقيلٌ، فأُنزِلَ الإدغامُ بهما لِثِقَلِهِمَا؛ ألا تَرَى أن مخرجَهما من طرَف اللسان، وكذلك الظاءُ تُشَارِكُهُنَّ في الثِّقَل.

فما أتاك من هذه الثلاثةِ الأحرفِ فَأَدْغِم، وليس تَرْكُكَ الإدغامَ بخَطَأٍ، إنَّما هو استِثقالٌ.

والطاءُ والدالُ يُدْغَمان عند التاء أيضاً إذا أسْكِنَتا كقوله:[أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ] ، تُخْرِجُ الطاءَ في اللَّفْظِ تاءً، وهو أقربُ إلى التاءِ من الأحْرُفِ الأُوَلِ، تَجِدُ ذلك إذا **امْتَحَنْتَ** مَخْرَجَيْهِما"[5].

واستَعمَل القرطبيُّ:**(المِحْنَة)** بمعنى الاختبار في حديثه عن تكلُّفِ إخراج النُّونَ من الفم عند حروف الإخفاء، قال:"ولو تكلَّف متكلِّفٌ إظهارَها وأخرجَهَا من الفَم لأمْكَنَ، ولكن بعِلاَجٍ، وهذا يَبِينُ **بالمِحْنَة**"[6].

(1) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل 6/ ب. ونقَله ابن الجزريّ في التمهيد ص68.

(2) يعني لا يزيدون في مدِّ المنفصل.

(3) العنوان ص 43.

(4) مقاييس اللُّغة ص 941 (م ح ن).

(5) معاني القرآن 1/ 172.

(6) الموضح ص 170.

4 . المصطلحُ الرَّابع لاختبار مخرج الحرف: (التَّطَعُّم)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تَذَوُّق الشَّيء. يقال: طَعِمتُ الشيءَ طَعْماً، ثمَّ يُحمَل على باب الطَّعام ما ليس من باب التَّذَوُّق، فيقال: استَطْعَمَني فلانٌ الحديثَ: إذا أرادكَ على أن تُحَدِّثَه. والتَّطَعُّم: التذَوُّق، يقالُ: تَطَعَّمْ تَطْعَم، أي: ذُق الطَّعَام تَشْتَهِ وتأكُلْهُ[1].

استَعمله ابن جنيّ بمعنى الاختبار في حديثه عن الحركة المشَمَّةِ ضمّاً في نحو قاف:[قِيل]، قال:"ولو **تَطَعَّمْتَ** الحركةَ في قاف لوَجَدتَّ حِصَّةَ الضمِّ فيها أكثرَ من حِصَّة الكسر، أو أَدْوَنُ حَالِهَا أن تَكُونَ في الذَّوْق مِثْلَها"[2].

الميزانُ الصَّوتيُّ للحروف العربيَّة:

كشفَ المتقدِّمون أنَّ الوزن العَروضيَّ في الشِّعر هو الميزانُ الصَّوتيُّ والمعيارُ الحقيقيُّ الذي يَقومُ عليه اختبار الحروف وكِمِّياتُها، لا الخطُّ الإملائيُّ، قال الأخفش:"وليس يُحْسَبُ الحروفُ على الكِتَابِ في الشِّعْر؛ لأنَّ الكِتَابَ في الشِّعْر إنما يَحْسِبُ ما جَرَى على اللِّسان في الإدراج، لا في الوَقْفِ؛ لأنَّ كلَّ حرفٍ تَقِفُ عليه فهو ساكنٌ في الوقفِ متحرِّكٌ في الإدراج، ثمَّ احتُسِبَ به على ذلك. ألا تَرَى أن التنوينَ يُحْسَبُ به في الشِّعْر، ولا يَكُونُ في الكتاب؛ لأنَّ حروفَ الشِّعْرِ الأذنُ والسَّمعُ، بِهما تُعْرَفُ استقامتُه من انكِسارِه. وحُرُوفُ الكتابِ العَينُ"[3]. يعني الأخفشُ بالكِتاب: الكِتابة.

وذكَر ابنُ جنيّ أنَّ"الحروفَ تُكالُ بميزان العَروض، فهو عيارُ الحِسِّ، وحاكمُ القسمة والوضع[4].

وفَهْمُ هذا الميزان الصَّوتيّ يحُلُّ إشكالاً كبيراً يَراهُ الدارسون المعاصِرون في قضية الساكنِ والمتحرِّك والمِقْطَع في اللُّغة العربيَّة، واعتبار حروف المدّ من السَّواكن، لأنَّ **ميزان العَروض هو حاكمٌ وعِيارٌ على السَّاكنِ والمتحرِّك** كما يقولُ ابن جنيّ[5].

والعلاقةُ بين الوزن الشعريّ والإيقاعِ النغَميّ وثيقةٌ جداً، "فنسبةُ وزن القول إلى الحروف، كنسبةِ الإيقاع المفصَّل إلى النغَم، فإن الإيقاع المفصَّل: هو نُقلةٌ منتظِمةٌ على النغَم ذوات فواصل. ووزنُ الشِّعر: نُقلةٌ منتظمةٌ على الحروف ذوات فواصل"[6]. وتقدَّم الحديث عن ذلك في مصطلح المِقطع.

ترتيب الحروف العربية

(1) مقاييس اللُّغة ص 594 - 595 (ط ع م).
(2) الخصائص 2/ 351.
(3) العَروض ص 115 .
(4) الخصائص 2/ 328.
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 56 .
(6) الفارابيّ في الموسيقى الكبير ص 1085.

1 . الترتيب الهجائيّ (الألفبائيّ):

وهو الترتيب القديم بدليل قول اللَّيث عن الخليل حينما رتَّب الحروف صوتياً:"فَأَعْمَلَ فِكْرَهُ فيه، **فلم يُمْكِنْهُ أن يَبتدئ التأليفَ من أوَّلِ: أ ب ت ث**، وهو الألِفُ؛ لأنَّ الألف حرفٌ معتلٌّ، فلمَّا فَاتَهُ الحرفُ الأوَّلُ كَرِهَ أن يَبتدِئ بالثاني، وهو الباء، إلا بعد حُجَّةٍ واستِقْصَاءِ النَّظَرِ"[1].

2 . الترتيب الصَّوتيّ:

وهو الترتيب الذي يبدأ من أوَّل الحلق إلى الشفتين، بالنَّظَر إلى خروج الصَّوت.

وكان الخليلُ أوَّلَ من استَعمَل هذا الترتيب، وتَبِعَه سيبويه، وجرى على ترتيب سيبويه أكثرُ العلماء الذين جاؤوا بعده، وسأتناولهما بشيءٍ من التفصيل:

أ . **ترتيب الخليل:** قسَّمَ الخليلُ منطقةَ الحَلْق إلى أقسامٍ سمَّاها: أحيازاً، كلُّ حيّزٍ يحتوي على صوتَين أو أكثر، وكان ابتداؤه بصوتِ العَين، وضمُّه الهمزة إلى حروفِ المدِّ مثارَ تساؤلٍ ونقدٍ قديماً وحديثاً، ولأن هذا الأمر قد عولِجَ وبُحِث كثيراً، فإنَّني أعرِض إلى أهم ما تُوصِّل إليه من نتائج:

1 . أن الخليل مدركٌ أنَّ الهمزةَ هي أوَّلُ الأصوات مخرجاً بدليل قولِه:"وأمَّا الهمزةُ فمخرجُها من أقصى الحلق مهتوتةً مضغوطةً"[2].

2 . أنَّ البدء بالعَين كان لغايةٍ معجميَّةٍ بحتةٍ، بدليل قوله:"لم أبدأ بالهمزة؛ لأنَّها يَلْحَقُها النَّقْصُ والتغييرُ والحَذْف، ولا بالألِفِ؛ لأنَّها لا تكون في ابتداءِ كلمةٍ ولا في اسمٍ ولا فِعْلٍ إلاَّ زائدةً أو مُبدَلَةً، ولا بالهاء؛ لأنَّها مهموسةٌ خفيَّةٌ لا صَوْتَ لها، فنزَلْتُ إلى الحيّزِ الثاني، وفيه العينُ والحاء، فوجدتُّ العينَ أنصعَ الحرفَين، فابتدأتُ به، ليكون أحسنَ في التأليف"[3].

ب . **ترتيب سيبويه:**

رتَّب سيبويه الحروفَ صوتياً، فقال:"فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً:

الهمزةُ والألفُ والهاءُ، والعينُ والحاءُ، والغين والخاء، والقافُ والكاف، والضاد، والجيم والشين والياء، واللام، والراء والنون، والطاء والدال والتاء، والصَّادُ والزاي والسِّين، والظاء والذال والثاء، والفاء والباء والميم والواو"[4].

هذا الترتيبُ الصَّوتيُّ للحروف هو الذي سار عليه أكثرُ العلماء الذين جاؤوا بعد سيبويه من أصحاب

(1) العين 1/ 47.

(2) العين 1/ 52.

(3) نقَل ذلك عنه السيوطيُّ في المزهر 1/ 90.

(4) الكتاب 4/ 431 .

المدرسة النقليَّة، وابن سينا من أصحاب المدرسة العقليَّة في رسالته أسباب حدوث الحروف.

3 ـ **الترتيب الأبجديّ**: استعمله الكنديُّ في وصف الحروف في رسالته في اللُّثغة.

عدد الحروف العربية

في عددها خلافٌ بين المتقدِّمين، ربَّما يرجِعُ إلى أواخر القرن الأوَّل الهجريّ، فقد ذكَر التابعيُّ الجليلُ مجاهدُ بن جَبْر (تلميذُ ابن عباسٍτ) أن عددَها ثمانيةٌ وعشرون حرفاً[1]. ومشى على ذلك: الفرَّاء[2]، والكنديُّ[3]، وابنُ قتيبة[4]، والرازيُّ[5]، وإخوان الصفاء[6]، وابنُ فارس[7].

وذكَر الربيعُ بن أنسٍ البكريُّ[8] أنها تسعةٌ وعشرون حرفاً[9] ـ بإدخال ألف المدّ ـ وهو الذي سار عليه أكثرُ المصنِّفين، منهم: الخليل[10]، وسيبويه[11]، وأكثرُ أهل النَّحو[12]، وأكثر أهل التجويد[13].

والملاحظُ أنَّ تعداد الحروف الأبجديَّة (أبجد هوز...) ثمانيةٌ وعشرون، والهجائية (أ ب ت...) تسعة وعشرون بإدخال حرف المدّ.

وأظنُّ أنَّ الخلاف ليس صوتيّاً، إنَّما هو في الرَّسم الكتابيّ[14]، والذي أتصوَّرُه أن الحروف قد صوِّرَت في الخطِّ في مرحلة قديمةٍ جداً ثمانيةٌ وعشرون حرفاً، وكان مصطلحُ الألف يقوم مقام حرفين هما: الألف والهمزة، كما أن الواو والياء يقومان مقام المدِّيَين وغير المدِّيَين. ثمَّ أفرِدت الهمزة بمصطلحٍ قام مقامها صورةُ

(1) انظره في التمهيد في معرفة التجويد للهمَذانيّ ص 274.

(2) معاني القرآن 1/ 368.

(3) رسالة في اللُّثغة ص 521 .

(4) تأويل مشكل القرآن ص 14.

(5) الزينة ص64.

(6) الرسائل 3/ 175 .

(7) انظر: الصاحبيّ ص 123. ونقلَ ص162 عن قوم أنها تسعة وعشرون حرفاً.

(8) الربيع بن أنسٍ البكريُّ، ويقال الحنفيّ، البصريّ، ثم الخراسانيّ. صدوقٌ.روى عن أنس بن مالك، والحسن البصريّ، وربيع بن أبي العالية الرياحيّ. روى عنه: الحسين بن واقدٍ المروزيّ، وسفيان الثوريّ، وسليمان الأعمش. توفي سنة 139 هـ أو 140 هـ كما ذكر الذهبيّ. (تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزّي 9/ 60).

(9) انظره في تفسير الطبريّ 1/ 208.

(10) العين 1/ 58.

(11) الكتاب 4/ 431.

(12) انظر: ابن السراج في الأصول 3/ 399، والزجاجي في شرح جمل الزجاجي ص 445، وابن جنيّ في سر صناعة الإعراب 1/ 41، والخفاجيّ في سر الفصاحة ص 16 وابن الأنباريّ في أسرار العربية ص207.

(13) انظر: الرعاية ص 93، والتحديد ص 102، والموضح ص 77، والتمهيد في معرفة التجويد ص 273.

(14) فالذين عدُّوا الحروف تسعةً وعشرين نظَروا إلى اللَّفظ، والذين عدُّوها ثمانيةً وعشرين نظروا إلى صورها في الخطّ، قال ابن دُرَيد في الجمهرة 1/ 4:"اعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها... تسعة وعشرون حرفاً مرجعهنَّ إلى ثمانية وعشرين حرفاً".

أوَّل حروف الهجاء، فكان ينبغي أن تصوَّر الألف بصورة خاصَّة عُبِّر عنها بـ: لام ألف، وبقيت صورتَا الواو والياء كما هي.

وقد جُمِعت الحروف الهجائية ـ مع تَكْرار بعضِ الحروف ـ في آيتَين من كتاب الله تعالى، وهما قوله: [ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا] [آل عمران: 154] وقوله: [مُحَمَّدٌ رَّسُولُ الله] [الفتح: 29]. وقد جُمِعَت أيضاً في قول الشاعر:

صِفْ خَلْقَ خَوْرٍ كَمِثْلِ الشَّمْسِ إذْ بَزَغَتْ يَحْظَى الضَّجِيعُ بِهَا نَجْلاَءُ مِعْطَارُ[1]

الألفاظ المستعملة لأصوات الحروف

استعمِلت للأصوات اللُّغويَّة عدةُ مصطلحات، منها: 1 ـ (الحرف، والحروف) 2 ـ (نفَسُ الحرف) 3 ـ (هواءُ الحرف) 4 ـ (نَغْمَةُ الحرف) 5 ـ (جَرْسُ الحرف) 6 ـ (صَوْتُ الحرف الأصوات) 7 ـ (التصويتات، التصويتات الأُوَل) 8 ـ (أصداءُ الحروف) 9 ـ (صُعاقُ الحروف) 10 ـ (المقطع)

1 ـ المصطلحُ الأوَّل لأصوات الحروف: (الحرفُ والحروفُ)

الحرفُ من المشترك اللَّفظيّ. من معانيه في اللُّغة أن يدلَّ على حَدِّ الشيءِ. وحَرفُ كلِّ شيءٍ حدُّه، كالسَّيْف وغيرِه[2].

استُعمِل الحرفُ في أكثر من معنى، منها: 1 ـ الحرف المكتوب 2 ـ الصَّوت المنطوق.

1 ـ المعنى الأوَّل لـ: (الحرف) = الحرفُ المكتوبُ:

استُعمِل للحرف المكتوب عدَّة ألفاظ تُمَثِّلُها المجموعةَ التالية:

1 ـ (المعْجَم ـ حُرُوفُ المعْجَم ـ الحُرُوفُ المعْجَمَة). 2 ـ (الهِجَاءُ ـ حُرُوفُ الهِجَاءِ ـ حُرُوفُ التَّهَجِّي). 3 ـ (المقَطَّع ـ حُرُوفُ المقَطَّع ـ الحُرُوفُ المقَطَّعَة).

ألفاظُ هذه المجموعة استُعمِل أكثرُها من القديم، ويصعُب الكشفُ عن أوَّل من استعملها.

روى الطبريُّ بإسناده"عن ابن عباسٍ في قولِه:[الم]،[حم]، [ن]، قال: **اسمٌ مُقَطَّع**"[3].

وفي خبرٍ ذُكِر عن السيِّدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ ذكَرَت فيه لفظ: **(الهجاء)** [4].

(1) انظر: التمهيد في معرفة التجويد ص 274.
(2) مقاييس اللُّغة ص 237 (ح ر ف).
(3) تفسير الطبريّ 1/ 207.
(4) انظر: المحتسب لابن جنّي 2/ 95.

وقال الشعبيُّ:"لله في كلِّ كتابٍ سرٌّ، وسرُّه في القرآن **حروف الهجاء** المذكورة في أوائل السُّوَر"[1].

وفي نصٍّ للخليل ذكَر فيه "أنَّ العرب يشتقّون من هِجاء الحُروف أفعالاً فيقولون: دالٌ مُدَوّلة"[2]. وهو يُشْعِرُنا بقدم هذا المصطلح.

وقد ضمَّن الخليلُ هذه المصطلحات عند تعريفه للمعجم، فقال:"**المُعجَمُ: حروفُ الهِجَاء المُقَطَّعة**؛ لأنها أعجميَّة. وتَعْجِيمُ الكتاب: تَنْقِيطُهُ كَي تَسْتَبِينَ عُجْمَتُه ويَصِحَّ"[3].

معنى الهجاء في قول الخليل: تَهْجِيةُ الحروف، تقول: تهجَّيتُ وتهجَّأت[4].

ومعنى المُقَطَّع في اللُّغة يدلُّ على صَرْمٍ، وإبانةِ شيءٍ من شيء. واستُعمِل بمعنى الفصل والوقف.

رُوِيَ عن السيِّدة أمِّ سلَمَة ـ رضي الله عنها ـ أن النبيّ ρ كان **يُقَطِّعُ** قراءتَه آيةً آية[5]،يعني: يقفُ على كلِّ آية.

قال الهمَذانيّ:"وأمَّا **التقطيعُ** فإنَّه تَفعيلٌ من القَطْع، وهو الفَصْل. وجميعُ ما تصرَّف منه فمعنى الفصْلِ فيه ظاهر"[6].

ومن شأن حروف الهجاء أن تقرأُ حرفاً حرفاً، بقَطْعِ كلّ حرفٍ عن صاحبه، وذلك لأن هذه الحروف لما كانت ساكنةَ الأواخِر، مبنيَّةً على الوقف استُعمل لها هذا المصطلح؛ لأنك تَلْفِظُها هكذا: ألِفْ باءْ تاءْ ثاءْ جيمْ... الخ، قال المبرِّدُ:"لأن حقَّ الحروف في التهَجِّي التقطيعُ"[7].

وربَّما يكون سببُ تسميتِها بذلك؛"أنَّها أسماءٌ لِما يُلْفَظُ به من الأصوات المتَقَطِّعةِ في مخارج الحروف"، كما يقول الفارسيّ[8].

ومعنى الأعْجَم: الذي لا يُفْصِح[9].

وهكذا الحروفُ إذا كانت مفردةً لا تدلُّ على معنىً، ويؤيِّد ذلك قَوْلُ ابن فارس عن تعريف الخليل

(1) انظره في معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/ 56.
(2) العين 8/ 444.
(3) العين 1/ 238.
(4) العين 4/ 65.
(5) انظر: التمهيد لاهمَذانيّ ص179 - 180.
(6) التمهيد ص 186.
(7) المقتضب 3/ 356. ونقل الزجاج في معاني القرآن (1/ 56) قولَ قطرب عن هجاء فواتح السور:"حروفُ المعجم ذكِرت لتدلَّ على أن هذا القرآن مؤلَّفٌ من هذه الحروف المقطَّعة التي هي حروف: أ ب ت ث، فجاء بعضُها مقطَّعاً، وجاء تمامُها مؤلَّفاً؛ ليدلَّ القومَ الذين نزل عليهم القرآنُ أنه بحروفهم التي يعقِلُونها، لا ريبَ فيه " اهـ.
(8) الحجة 4/ 244.
(9) العين 1/ 237.

السابق:"وأظنُّ أنَّ الخليل أراد بالأعجميَّة أنَّها ما دامتْ مقطَّعَة غير مؤلَّفةٍ تأليفَ الكلامِ المفهومِ، فهي أعجميَّة؛ لأنها لا تدلُّ على شيء؛ فإن كان هذا أراد فله وجهٌ، وإلا فما أدري أيَّ شيء أراد بالأعجميَّة"[1].

ويحتمِل ـ أيضاً ـ أن يكون الخليلُ أرادَ بقوله (**أعجمية**): أي: التي من شأنها أن تُنقط، ويستأنس لذلك بإتباعه التعريف بـ: تعجيم الكتاب. وسيأتي بعد قليل قولُ العلماء في: (**حروف المعجم**).

وهاك بعضَ العلماء الذين استعملوا هذه المصطلحات:

استَعمل: (**حروف الهجاء**): الشعبيُّ[2]، كما تقدَّم، وأبو عبيدة[3]، والفرَّاء[4]، وابن زنجلة[5].

استعمَل (**الهجاء**): الفرَّاء[6].

واستعمَل ثعلبُ[7]، والزجَّاج[8]، والنحَّاس[9]، والفارسيّ[10]، والدانيُّ[11]: (**حروف التهجِّي**).

استُعمِل لفظُ: (**الحروف المقطَّعة**) في موطنَين: في حروف الهجاء، وفي هجاء فواتح السُّور خاصَّةً، كـ: [الم]، [الر].

ومن الذين استعملوا هذا المصطلح: الفرَّاء[12]، وقطرب[13]، وابن قتيبة[14]، والمبرِّد[15]، وأبو عليّ الفارسيّ[16]، وإخوانُ الصفاء[17]، وابن جنيّ[18]، وابن حزم[1]، والسهيليُّ[2]، وغيرهم.

(1) مقاييس اللغة ص 715 (ع ج م).
(2) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/ 55.
(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/ 55.
(4) معاني القرآن 1/ 368.
(5) الحجة ص 327.
(6) معاني القرآن وإعرابه 1/ 57.
(7) مجالس ثعلب 1/ 216.
(8) معاني القرآن 1/ 9.
(9) إعراب القرآن 3/ 381.
(10) الحجة 5/ 356.
(11) جامع البيان 2/ 488.
(12) معاني القرآن 1/ 368.
(13) معاني القرآن 1/ 368.
(14) تأويل مشكل القرآن ص 299.
(15) المقتضب 3/ 356.
(16) الحجة 4/ 244.
(17) الرسائل 3/ 114.
(18) الخصائص 2/ 454.

واستعمَل الخليلُ أيضاً:(**حروف المُعْجَم**)[3].

وتابعَه: سيبويه[4]، وقُطْرُب[5]، والفرَّاء[6]، والأخفش[7]، والزجاجيّ[8]، وابن خالويه[9]، وطاهر بن غَلْبون[10]، والدانيّ[11]، وغيرهم.

وأسهب النُّحاة وأهل اللُّغة في التعليل لمعنى إضافة الحروف إلى المعْجَم؛ بحجَّةِ أنَّ المعجَم هو الحروف، فكيف يُضافُ الشيءُ إلى نفسه؟

والذي خلَص إليه المبرِّدُ، وتابعَه عليه كثيرٌ من العلماء أن **المعجم** هنا بمعنى الإعجام، وهو النَّقْط؛ لأنَّه لما كان من شأن هذه الحروف أن تُنْقَط، سمِّيتْ كذلك[12].

وممَّا يُستأنَسُ به لذلك قولُ ابن دُرَيد:"وهذا الخطُّ الذي يُكْتَبُ به اليوم يُسمَّى **المُعْجَم**، والمعَجَّم، والجَزْم"[13].

وقولُ ابن فارس:"والذي عندنا في ذلك أنه أُرِيدَ **بحروف المُعْجَم**: حروفُ الخطِّ المعْجَم، وهو الخطُّ العربيّ؛ لأنّا لا نَعلَمُ خطّاً من الخطوط يُعجَمُ هذا الإعجام حتى يدلَّ على المعاني الكثيرة"[14].

والذي يَظهَرُ لي، ولا يُخالِف ما مضى أن "**الهِجاء**"، و"**المُعْجَمَ**"، و"**المُقَطَّع**" أسماءٌ مترادِفةٌ لشيءٍ معروف، فيه صورَةُ حروفِ الهجاء في الخطِّ، ويؤيِّدُ ذلك قَولُ سيبويه عن الخليل:"واعلم أنَّ الخليلَ كان يقولُ: إذا تَهَجَّيْتَ فالحروفُ كحالِها في المعْجَم والمقَطَّع، تقولُ:لامْ أَلِفْ، وقافْ لامْ"[15].

---

(1) التقريب لحدّ المنطق ص 4.
(2) نتائج الفكر ص 224.
(3) العين 3/ 315.
(4) الكتاب 3/ 266 و 4/ 135 و 436.
(5) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1/ 56.
(6) معاني القرآن 1/ 368.
(7) القوافي ص 10 و 23.
(8) الإيضاح في علل النحو ص 54.
(9) الحجة ص179.
(10) التذكرة 1/ 188.
(11) التحديد ص 68.
(12) انظر: سر صناعة الإعراب 1/ 33، ولسان العرب (ع ج م). وقال القَلْقَشَنْدِيُّ عن الحروف:"وتسمَّى أيضاً: حروفَ المعْجَم، إمّا لأنَّها مُقَطَّعَة، لا تُفْهَم إلا بإضافة بعضِها إلى بعض، وإمّا لأن منها ما يُنْقَطُ النَّقْطَ المعروف، أو تُنْقَطُ كلُّها، أي تُشْكَل؛ إذ النَّقْطُ قد يكونُ بمعنى الشَّكْل"اهـ. (صبح الأعشى 3/ 16).
(13) الجمهرة 2/ 104.
(14) مقاييس اللُّغة ص 716 (ع ج م).
(15) الكتاب 3/ 266.

وقد جمَعَ الفرَّاء هذه الألفاظ الثلاثة في نصٍّ واحدٍ عند إجابته عن سبب رفع ما بعد: [المص]، فقال:"رفعتُه **بحروف الهِجاء** التي قبلَه، كأنَّكَ قُلْتَ: (الألفُ، واللاَّمُ، والميمُ، والصَّادُ من **حروف المُقَطَّع** كِتَابٌ أُنزِلَ إليكَ مجموعاً).

فإن قُلْتَ: كأنَّك قد جعَلْتَ الألفَ، واللاَّمَ، والميمَ، والصادَ يُؤَدِّينَ عن جميع **حروف المُعجَم**، وهو ثلاثةُ أحرفٍ أو أربعة؟

قُلْتُ: نعَم، كما أنَّك تقول: أ ب ت ث ثمانيةٌ وعشرون حرفاً، فتكتفي بأربعة أحرف من ثمانية وعشرين"[1].

واستَعمَل ابن دُرَيد أيضاً: (**الحروفَ المُعجَمة**) وتابعَه: الفارابيُّ[2]، والهمَذانيّ[3].

2 . المعنى الثاني لـ: (الحرف) = الصَّوت المنطوق:

لما كان الصَّوت ينقطِعُ في أماكن محدَّدةٍ على طول مجرى النُّطق، ويتولَّد عند كلِّ نقطةٍ ينقطِعُ فيها صدىً معيَّناً تُدرِكُه الأذن، سمّى المتقدِّمون الأوائلُ هذه الأصداءَ **حروفاً**؛ لأنها تُمثِّلُ حدوداً يَنقطِعُ الصَّوت عندها، وتقدَّم تعريفُ **الحروف** عند ابن جنيّ ومن تابعَه بأنَّها مقاطعُ تعرِضُ للصَّوت[4].

وعرَّف ابنُ سينا **الحرفَ** بأنَّهُ: هيئةٌ للصَّوتِ عارضةٌ له يَتَمَيَّزُ بها عن صوتٍ آخرَ مثلِه في الحدَّةِ والثِّقَلِ تَمَيُّزاً في المسموعِ"[5].

أمَّا معرفةُ من سمَّاها بالحروف، فالرِّوايات تتضارَبُ، ولا يوجَدُ روايةٌ واحدةٌ يُمكِن أن تطْمئنَّ إليها النَّفْسُ في أصل تسميتِها، ويُشبِه الحديثُ فيه الحديثَ عن أصل اللُّغة، وكذلك معرفةُ من سمَّى الألف ألفاً، والباءَ باءً... أمرٌ دونه خَرْطُ القَتَادِ[6].

ثمَّ بعد ذلك صُوِّرَت هذه الأصداءُ بصُوَرٍ كِتَابيَّة مبنيَّةٍ على اللَّفظ؛ لأن الخطَّ يأتي في مرحلةٍ لاحقةٍ عن اللَّفظ[7]، واستُعمِل لها ذاتُ المصطلح الذي استُعمِل للصَّوت المنطوق، فغَدَا **الحرفُ مشتركاً لفظيًّا استُعمِل في معنيَين: الصَّوتِ المَنْطُوق، والرَّسْمِ المَكْتوب.**

(1) معاني القرآن 1/ 368.

(2) إحصاء العلوم ص 60.

(3) التمهيد في معرفة التجويد ص273.

(4) انظر مصطلح: (المقطع) .

(5) أسباب حدوث الحروف ص 60 .

(6) مثلٌ من أمثال العرب. القتادُ : شجرُ له شوكٌ أمثال الإبَر . والحَرْطُ: قَشْرُك الورَق عن الشَّجر اجتذاباً بكفِّك. (لسان العرب 3/ 342، و 7/ 284).

(7) انظر: سر صناعة الإعراب لابن جنيّ 1/ 44.

ويَعيبُ المحْدَثون هذه الازدواجيَّة، ويَرَوْن التفريق واجباً بين المنطوق والمكتوب، لكنَّ بعضَ المصطلحات العربيَّة التي قدَّموها أوقَعَتْهُم فيما هرَبوا منه، ومن أشهرِ هذه المصطلحات مصطلحُ: **الصَّوت**، وهو يُطلَقُ على أكثرَ من مَعْنى، منها الصَّوتُ المجرَّدُ، ومنها صوتُ الحرف، ولم يَخْلُ هذا المصطلح من نقدٍ[1]. أمَّا المصطلحات الأجنبيَّة كالفُونيم فهي مصطلحاتٌ غريبةٌ على اللُّغة، وليست في مجالِ البحثِ هنا، وإن أخذتْ بُعداً صوتياً معيَّناً في علم الأصوات المعاصر.

ومع هذا فإنَّ المتقدِّمين استعملوا بعضَ الألفاظِ التي تدلُّ على إدراكِهم الفرق بين الصوت المنطوق والرَّسم المكتوب، كما سنلاحِظُه في بعض المصطلحات المستَعملَة لحروف الهجاء.

2 . المصطلحُ الثاني لأصوات الحروف: (النفَس):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على خروجِ النَّسيم كيف كان، من ريحٍ أوغيرها، وإليه يَرجِع فروعُه. منه التنفُّسُ: خروجُ النَّسيم من الجَوف، ونَفَّس الله كُربتَهُ. وذلك أنَّ في خروجِ النَّسيم رَوْحاً وراحةً، والنَّفَسُ: كلُّ شيءٍ يُفَرَّجُ به عن مكروبٍ، وفي الحديث: "لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فإنَّها من نَفَس الرحمن"، يعني أنَّها رَوْحٌ يُتَنَفَّسُ به عن المكروبين، وجاء في ذِكْرِ الأنصارِ: "أجِدُ نَفَسَ ربِّكُم مِن قِبَلِ اليمن"، يُرادُ أنَّ بالأنصارِ نُفِّسَ عن الذين كانوا يُؤذَونَ من المؤمنين بمكة[2].

استُعمِل: (النَّفَسُ) في أكثر من معنى ، منها:
1 . الهواء الذي يُتنفَّس. 2 . الهواء الفاعل لصَوت الحرف.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (النَّفَس) = الهواء الذي يُتنفَّس

وهو الأصل فيه.

وصَفَ الخليلُ الهاءَ بأنَّها"**نَفَسٌ** لا اعتِيَاصَ فِيهَا"[3].

ومثلُ ذلك وصَفها الكنديُّ حيث ذكَر أنَّ الهاء **نفَسٌ** يَخرُج من عُمْقِ الرئة[4].

وشبَّه سيبويه الألف بمنزلة **النفَس**[5].

ونقَل هذا التشبيه: الفارسيّ[6]، وابن جنيّ[1]، والدانيُّ[2]، والقرطبيّ[3].

(1) انظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدكتور محمد رشاد الحمزاوي ص 233- 234 .
(2) مقاييس اللُّغة ص 1003 (ن ف س).
(3) العين 1/ 54 . وانظر: 3/ 348 و 355 و 4/ 102.
(4) رسالة في اللُّغة ص 524.
(5) الكتاب 4/ 335.
(6) الحجة 5/ 364.

وجعَل سيبويه: (جَرْيَ **النَّفَسَ**) من خصائصِ الصَّوتِ المهموس، كما سيأتي في مصطلح الهمس.

وتقدَّم ذِكرُ (آلات **النَّفَسِ**) و (أعضاء **التنفُّس**) عند المجوسيِّ وابن سينا[4].

وحذَّر القرطبيُّ من إجراء **النَّفَس** مع الألف، وعدَّه عيباً من عيوب النُّطق فيها[5].

2 . المعنى الثاني لـ: (النَّفَسُ) = الهواءُ الفاعِلُ لصَوت الحرف:

كما استَعمل بعضُ العلماء: (الهواء) تعبيراً عن الهواء الفاعل للصَّوت ساغ لبعضٍ آخَر أن يَستعملوا: (**النَّفَسَ**) في ذلك أيضاً، فقد عرَّف المبرِّدُ الحروف الرِّخوةَ بأنَّها"التي يجري **النَّفَسُ** فيها من غير ترديدٍ، والشديدةُ على خلافها. وذلك أنك إذا لفظتَ بها لم يتَّسِع مخرج **النَّفَس** معَها"[6].

وعرَّفَ الحروفَ المتوسِّطة بين الشديدة والرِّخوة بأنَّها:"يَجري فيها **النَّفَس**؛ لاستِعانَتِها بصوتِ ما جاورَها من الرخوة"[7].

وعرَّف الرمَّانيُّ الشديدَ بمضمون تعريفِ سيبويه، فقال:" الشديدُ: حرفٌ قَوِيَ لزومُهُ لموضِعِه حتى مَنَعَ **النفَس** أن يَجرِيَ معه"[8].

أخذه من تعريف سيبويه للشديد:"ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنَعُ الصَّوتَ أن يَجرِيَ فيه"[9]. فاستَبدَل بالصَّوتِ **النَّفَسَ**.

وكذلك ذكَر مكيٌّ أنَّ الراء جرى معه **النَّفَسُ**؛ لانحرافِه إلى اللاَّم[10].

أخَذَهُ من قول سيبويه عن الرَّاء:"وهو حرفٌ شديدٌ يَجْرِي فيه الصَّوتُ؛ لتكريره وانحِرافِه إلى اللاَّم"[11].

فالنَّفَسُ في هذه الأقوال جميعاً . والله أعلم . هو الهواءُ الفاعلُ لصَوْتِ الحرف.

3 . المصطلحُ الثالث لأصوات الحروف: (هواءُ الحروف):

(1) المنصف 2/ 44.
(2) التحديد في الإتقان والتجويد ص 120.
(3) الموضح في التجويد ص 97.
(4) انظر الألفاظ المستعملة لأعضاء النُّطق .
(5) الموضح ص 134 .
(6) المقتضب 1/ 331 .
(7) المقتضب 1/ 331 .
(8) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب .
(9) الكتاب 4/ 434 .
(10) الرعاية ص 195 . وانظر ص127 عن انقطاع نفَسِ وصوت الألف في آخرِ الحلق، و ص 232 عن جريان النفَس مع الميم .
(11) الكتاب 4/ 435 .

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

4 . المصطلحُ الرابع لأصوات الحروف: (نغمةُ الحرف):

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

5 . المصطلحُ الخامس لأصوات الحروف: (الجَرْس والجروس والأجراس):

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

6 . المصطلحُ السادس لأصوات الحروف: (الصَّوت والأصوات):

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

7 . المصطلحُ السابع لأصوات الحروف: (التصويتات، التصويتات الأوَل)

استعمل الفارابيُّ: (**التصويتات**)، و(**التصويتات الأُوَل**) في شرحه لكيفية نشأة ألفاظ اللُّغة، واختلاف ألسنة الأمم في التصويت بالحروف، وعرَّف: (**التصويتات الأوَل**) بأنَّها: (الحروفُ المعجَمة)[1].

8 . المصطلحُ الثامن لأصوات الحروف: (أصداء الحروف):

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

9 . المصطلحُ التاسع لأصوات الحروف: (صُعاقُ الحروف)

يدلُّ أصلُه اللُّغوي على شدَّة صَوتٍ. مِن ذلك الصَّعْقُ، وهو الصَّوتُ الشديد. ومنه الصَّاعِقة، وهي الوَقْعُ الشديدُ من الرَّعْد[2].

استعمله ابنُ المنادي في وصف علاج اللُّثغة، قال:"ولَيَستعمِل صاحبُ كلِّ حرفٍ من الحروف المنقلِبة طرفَ لِسانِه، مُسْنِدَه بحَنَكِهِ وفكَّيْهِ فيُحرِّكهما لِيتبَعَهُ **صُعاقُ الحروفِ** المفقودةِ فيه"[3].

10 . المصطلحُ العاشر لأصوات الحروف: (المَقْطَع)

من المشتركِ اللَّفظيّ، تقدَّم.

الانفعالات المصاحبة للكلام من صوتٍ وحركة وألفاظها

أشار المتقدِّمون من أصحاب المدرسة النقليَّة إلى العواملِ المساعِدة التي تُصاحبُ عمليَّة الكلام من أفعالٍ حركيَّة ونغَماتٍ صوتيَّة، فقد أشار سيبويه إلى تغيُّر دلالة الكلمة بسبب تغيُّر نغمةِ الصَّوت.

(1) الحروف ص 136 - 137.

(2) مقاييس اللغة ص 543 (ص ع ق) .

(3) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص55 – 56 .

أمَّا الأفعال الحركيَّة فقد تقدَّم أنَّ الجاحِظ قال عنها:"وقد يتهدَّد رافعُ السيف والسَّوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً. والإشارةُ واللَّفظ شريكان، ونِعم العونُ هي له، ونِعمَ الترجُمَان هي عنه، وما أكثرَ ما تَنُوبُ عن اللَّفظِ وما تُغْنِي عن الخطّ... وفي الإشارة بالطَّرْف والحاجبِ وغير ذلك من الجوارحِ مَرفقٌ كبيرٌ، ومعونةٌ حاضرة، في أمورٍ يَسترُها بعضُ الناس من بعض، ويُخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارةُ لم يتفاهم الناسُ معنى خاصّ الخاصّ، ولجهِلوا هذا البابَ البتّة "[1].

وقد أشار ابن جنيّ في أكثر من موضع إلى أنَّ العرب تستعين بنغمة الصَّوت في إفهام معاني الكلمات[2]، غير أنَّ أصحاب المدرسة العقليَّة هم الذين بحثوا وفصَّلوا هذا الأمر كظاهرةٍ لها تقسيماتُها.

وسنرى أنَّ قضية رفعِ الصَّوت وخفضه للدلالة على معاني الكلام إنَّما هو أمرٌ قديمٌ عرَفَته الأممُ السابقة قبل العرب، وتحدَّثَت عنه، وإنَّ الادِّعاء بأنَّه قضيةٌ صوتيَّة حديثةٌ أمرٌ مجانبٌ للصَّواب بدليل ما سيأتي.

استُعمِل عدَّة ألفاظ للتعبير عن العوامل المساعدة المصاحبة للكلام من تمثيلٍ صوتيّ وحركيّ، ومن هذه الألفاظ:

1 . (الأخذ بالوجوه) 2 . (النَّبَرات، وشاركه النَّبْرَة) 3 . (توابع الألفاظ)، 4 . (الألفاظ المزَيَّنة).

1 . المصطلح الأوَّل للانفعالات المصاحبة للكلام: (الأخذ بالوجوه)

استَعمل الفارابيُّ لفظ: (**الأخذِ بالوُجُوه**)، وَعَزَاهُ إلى أرِسْطُو، ويَقْصِدُ به الأشياء المصاحبةَ التي تُساعِدُ الشاعرَ أو الخطيب أو المغنّي على توصيل معاني ما يؤدُّونَه بواسطةِ الانفعالات الحركيةِ الجسديَّة، أو التغيير في الطبقة الصوتيَّة، فيما يُعرَف عند علم الأصوات المعاصِر في هذا الأخير بـ: (التنغيم INTONATION).

ولفظُ: (**الأخذ بالوجوه**) هو ترجمةٌ للكلمة اليونانيَّة (ὑπόχQτστς)، بمعنى: (التمثيل، الإلقاء، العمل الخطابيّ).

قال الفارابيُّ مبيّناً أثرَ تغيير طبقةِ الصَّوت في تفهيم معنى الكلام إن كان للسُّؤال أو التضرُّع أو غير ذلك:"فإنَّ كلَّ صنفٍ من أصنافِ الأقاويلِ لها أصواتٌ خاصَّةٌ إذا قُرِنَتْ بها قامتْ مقامَ بعضِ أجزاءِ القَولِ في تَخْييلِ ما يُقْصَدُ تخيُّلُه بالقَول.

مثالُ ذلك: التضرُّعُ، والحَثُّ، والسُّؤالُ، وما جانَسَ ذلك، فإنَّ كلَّ واحدٍ من هذه تُقْرَنُ بحُرُوفِهِ أصواتٌ مأخوذةٌ بأحوالٍ، فيُفهمُ عن تلك الأصواتِ ما يُفْهَمُ بالقَوْلِ أو ببعضِ أجزائه... وهذه الأقاويلُ، ليسَ إنَّما تُقْرَنُ بها هذه الفُصُولُ من فُصُولِ الأصواتِ فقط، لكن تَقتَرِنُ بها أيضاً وقوفاتٌ وسكَناتٌ وتوصيلاتٌ عند

(1) البيان والتبيين 1/ 57.

(2) انظر: الخصائص 2/ 370، والمحتسب 1/ 55، و 146، و 258، و 2/ 208 .

مقصودٍ مقصودٍ من المقْصُوداتِ بالقَولِ، فتكون تلك إمَّا مُخيِّلةً أو مُعينةً على التَّخَيُّلِ. وهذه الوقوفاتُ هي جزءٌ من الذي يُسَمِّيه (أرسطوطاليس): (**الأخذَ بالوُجوهِ**)" [1].

وكان ابنُ رشدٍ أكثرَ وضوحاً حين أسْهَب في شرحِ لفظِ: (**الأخذ بالوُجوه**) . وهو يشرحُ كلام أرسطو في الخطابة . قال:"وقَبْلَ أن نَقُولَ في الألفاظ فينبغي أن نقول في الأمور المستَعمَلة مع الألفاظ على جهة المعونةِ في جَودة التقسيم، وإيقاعِ التصديق، وبلوغِ الغرَض المقصود، وهي التي جَرَت عادةُ المتقدِّمين أن يُسمُّوها: (**الأخذ بالوجوه**).

وذلك أن هذه الأشياء لما كان من شأنِها أن تُميل السامعين إلى الإصغاء، والاستماع، والإقبال على المتكلِّم بالوجْه، وتفريغِ النَّفْس لما يورِدُه استُعير لها هذا الاسم"[2].

ويُقَسِّمُ ابنُ رُشْدٍ هذه الأمورَ المساعِدة إلى أفعالٍ حركيَّة يقوم بها البدنُ أو جزءٌ منه كاليدَين، وأنغامٍ صوتيَّة[3] كترقيق الصَّوت وتغليظه، وذكَر أن هذه الأمور أكثر ما تُستعمَل في الخطَب والإلقاء[4]، وسأسوق النصَّ على طوله لأهميته.

قال ابن رشد: "وهذه الأشياءُ صِنفان: إما أشكالٌ، وإما أصواتٌ ونغَم.

والأشكالُ منها ما هي أشكالٌ للبدن بأسرِه، ومنها ما هي أشكالٌ لأجزاء البدن كاليدَين والوَجهِ والرَّأس، وهذه هي أكثرُ استعمالاً عند المخاطَبة.

والأشكالُ . بالجملة . يُقصَدُ بها أحدُ أمرَين:

1 . إما تفهيمُ المعنى وتخييلُه الموقِعُ للتصديق، كما رُوِي عن النبيّ ρ أنَّه قال في آخر خطبةٍ:"بُعِثتُ أنا والسَّاعة كهاتَين"، وأشار بإصبعَيه يَقرِنُهما.

2 . وإما تخييلٌ لانفعالٍ مَّا أو خلُقٍ مَّا:

أ . وذلك إما في المتكلِّم، أعني: أن يتخيَّلَ فيه أنه بذلك الانفعال والخلُق، مثل: أن يتكلَّم مصفرَّ الوجه، منفعلاً بانفعال الخَوْف إذا أراد أن يُخبِر أنه خائفٌ، أو بتُؤَدَةٍ تُوهِمُ أنه عاقلٌ.

ب . وإمَّا في المخبِر عنه إذا أراد أن يصوِّرَه بصورة الخائف أوالعاقِل.

ج . وإمَّا أن يُوقِع ذلك الانفِعال في نفس السَّامع أو ذلك الخُلُق حتى يَستعدَّ بذلك إمَّا نحو التصديق

(1) الموسيقى الكبير 1175 - 1176 .

(2) تلخيص الخطابة ص 250.

(3) ويُسمَّى "التنغيم (intonation)" في علم الأصوات المعاصر، والغريبُ أنه قد اطَّرد لدى الدارسين المحْدَثين من العرب أن العلماء المتقدِّمين لم يعرِفوا هذا النَّوع، ولم يبحثوه، ويرجع هذا التقرير إلى الفصل بين أجزاء التراث.

(4) أصحاب الفنِّ والتمثيل هم الذين يجسِّدونَ التمثيل الحركيّ والصوتي في زمننا الحاضر.

الواقع عن ذلك الانفعال أوالخُلق، وإما نحو الفعل الصَّادر عنه.

وأمَّا النغَمُ فإنَّها تُستَعمَل في القول الخطبيّ لثلاثةِ أوجه:

أحدُها: عندما يريد المتكلِّمُ أن يخيّل أنه بذلك الانفعالِ والخُلقِ عند السامعين، مثل: أنه **إذا أراد أن يخيّل فيه الرحمةَ رقَّقَ صوتَه،** وإذا **أراد أن يُخَيِّل فيه الغضبَ عظَّم صوتَه،** وكذلك في الأخلاق.

وإنَّما كان ذلك؛ لأن هذه الأصوات توجَدُ بالطَّبعِ صادرةً من الذين يَنفعِلون أمثالَ هذه الانفعالات.

والوجهُ الثاني: أن يكون قصدُه تحريكَ السَّامعين نحوَ انفعالٍ مَّا أو خلُقٍ مَّا إمَّا لأن يصدرَ عنهم التصديقُ الحاصلُ عن ذلك الانفعال أو الخُلق أو الفعل الصَّادِرِ عنه.

والوجهُ الثالثُ: عندما يَقتصُّ عن مخبرين بأن يضعَهم بذلك الانفعالِ أو الخُلق.

ومنها أيضاً: أنها تستعمَل بضربٍ من الوزن في الكلام الخطَبيُّ على ما سيقال بعدُ. **وهذا الضربُ من النَّغَم ضروريٌّ في أوزان أشعارِ من سلَف من الأمم ما عدا العرب،** فإنَّ مَن سلَف من الأمم كانوا يزِنون أبياتَهم بالنغَم والوقفات، والعربُ إنَّما تزِنُها بالوقفات فقط. ومنها أيضاً أن تُستَعمل أشعاراً في افتتاح القول وختمِه ومواضعِ الوقف"[1].

ثمَّ يمضي ابنُ رشدٍ ليُقَرِّر أنَّ هذه التلوينات الصَّوتيَّة لا تصلُح في الخطبِ المكتوبة لكن المتْلُوَّة، كما يقرِّرُ بكلِّ وضوحٍ أنَّها خاصةٌ بالسَّالفين من الأمم، قليلة الاستعمال عند العرب، بل لم تَجرِ به عادتُهم، قال:"وينبغي أن تَعلم أن: **(الأخذَ بالوُجوه)** ليس له غَناء في الخطبِ المكتوبة، وإنَّما غَناؤه في المتلوَّة. **وإنَّ عادةَ العرب في استعمالِها قليلة.** وأما مَن سلَفَ من الأمم، فرُبَّما أقاموها في الأشعار مقامَ الألفاظِ، أعني: التشكيلات، ويَحْذِفون اللَّفظَ الدالَّ على ذلك المعنى، إمَّا إرادةَ الاختصار، وإمَّا طلباً للوزن والإلْذاذ. **وهذا لم تَجرِ به عادة العرب.** ولهذا صار ما يقولُ أرسطو في كثيرٍ من هذه الأشياء، كما يقولُ أبو نصر[2]، غيرَ مفهومٍ عندنا ولا نافِع"[3].

وقد حاول بعضُ المعاصِرين أن يُخضِع أداءَ القرآن الكريم لهذه التلوينات الصَّوتيَّة مدَّعِياً التواترَ في ذلك، وأنتَ ترى أن نصَّ ابنِ رشدٍ واضحٌ تمامَ الوُضوح، ومؤدَّاهُ أن العرب لا تعرِفُ مثلَ هذه التلوينات في لغتِها. وما وُجِدَ من نصوصٍ قليلةٍ لبعضِ المتقدِّمين تُظْهِرُ أنَّ هذا الأمر لا يُشكِّل ظاهرةً أدائيَّةً كانت من قبل ثمَّ افتُقِدتْ، وأنَّ الذي اهتمَّتْ به العرب منذ الصَّدر الأوَّل هو مواضعُ الوقف والوصل كما تقدَّم في مصطلح: (المقْطَع) في أحد معانيه.

(1) تلخيص الخطابة ص 250 - 251.

(2) أبو نصر الفارابيّ.

(3) تلخيص الخطابة ص 251 - 252.

وإذا كانت هذه التلوينات الصَّوتيَّة جائزةً في القرآن الكريم، أو قرئ بها، فلماذا لا تُتبَعُ بالتمثيلِ الحسِّيِّ لبعض أساليبِ الخطاب في القرآن الكريم، من حملٍ للعصا والتلويح بها عند قراءة قولِه تعالى: [وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي]، أو بتقطيبِ الحاجِبَين وإظهارِ الغضَبِ والأسَفِ على الوجه عند قراءة قوله تعالى: [فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا] فنَقُوم بتمثيلِ القرآن؟!

إنَّنا نُنَزِّهُ كتابَ الله عن قراءتِه بالأساليب الكلاميَّة التي يتَعامَلُ بها البشر؛ لأنَّه خطابٌ إلهيٌّ مُطلَقٌ صالِحٌ لكلِّ زمانٍ، فلا نأتي نحن ونقيِّده بأسلوبٍ تنغيميٍّ معيَّن نُلْزِمُ به النَّاسَ، وندَّعي أنَّه من المتواتِر.

وإذا كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم قد استَخْدَمَ التَّلْوينَ الحركيَّ ممَّا هو مناسبٌ لأسلوب الخطاب، لزيادة التفهيم أو التأثير في قلوب السامعين، كقوله: التقوى ها هنا.. التقوى ها هنا.. التقوى ها هنا" يعيدُها ثلاث مرَّاتٍ، ويُشيرُ بيده إلى صدره، وحرص الصَّحابةُ ψ على نقْلِ ذلك الفعلِ منه ρ ، ولم يُغفِلُوه، وهو حديثُه اليوميّ، فكيف الحالُ بهم إذا قُرِئَ بتلك الكيفيَّةِ الوحيُ المنزَّلُ من عند الله.. ؟!

إنَّهم ـ لا شكَّ ـ سيكونون أشدَّ حِرْصاً على نَقْل ذلك، لكِن لم يصِل إلينا عن واحدٍ من الأئمَّة أن النبيَّ ρ كان يَرفَعُ صوتَه في مَوضِع ويخْفِضُه في موضعٍ آخر، ولأنَّهم نقَلوا عنه ما هو أدقُّ من ذلك وأخْطَر، ممَّا هو متعلِّقٌ بمقادير المدَّات الذي لا يكاد يُضبط.

2 ـ المصطلحُ الثاني للانفعالات المصاحبة للكلام: (النَّبَرات، النَّبْرَة)

استعمله من العلماء: ابن سينا، وابن رشدٍ[1].

استَعمل ابنُ سينا مصطلح: **(النَّبَرات)** إشارةً إلى النَّغمات الصَّوتيَّة التي تُصاحبُ عمليَّة الكلام، لتخدِم أغراضاً معيَّنةً يريدها المتكلِّمُ، قال:"ومن أحوالِ النَّغَم: **(النَّبَرَات)**، وهي هيئاتٌ في النَّغَمِ مَدِّيةً غيرَ حَرْفِيةٍ يَبْتَدِئُ [يَخُصُّ كلَّ مَن يتكَلَّمُ] بِهَا تارةً، وتَخَلَّلُ الكلامَ تارةً، وتَعْقُبُ النهايةَ تارةً.

ورُبَّمَا تُكَثَّرُ في الكلامِ وربَّما تُقَلَّلُ ويكونُ فيها إشاراتٌ نحوَ الأغراضِ.

ورُبَّمَا كانتْ مُطْلَقَةً للإشباعِ، ولتَعريفِ القَطْعِ، ولإمهالِ السَّامِعِ ليَتَصَوَّر، ولتَفْخِيمِ الكلامِ.

وربَّما أُعْطِيَتْ هذه **النَّبَرَاتُ** بالحِدَّةِ والثِّقَلِ هيئاتٍ تَصيرُ بها دالَّةً على أحوالٍ أخرى من أحوالِ القائلِ أنَّه مُتَحَيِّرٌ، أو غَضْبَانُ، أو تَصيرُ به مُستَدْرِجَةً للمَقُولِ مَعَهُ بتَهديدٍ أو تَضَرُّعٍ أو غيرِ ذلك.

وربما صارت المعاني مختلفةً باختِلافِها مثل أنَّ **النَّبرةَ** قد تَجعَلُ الخَبَرَ استفهاماً والاستفهامَ تعجُّباً وغير ذلك. وقد تُورَدُ للدَّلالَة على الأوزانِ والمعَادَلَة، وعلى أنَّ هذا شرطٌ، وهذا جزاءٌ، وهذا محمولٌ، وهذا

(1) تلخيص الخطابة ص 283 و 285.

موضوع"[1].

إنَّ إشارةَ ابن سينا إلى أهمية النَّبرات في الدَّلالة على معاني الكلمات بهذه الدِّقة يُشيرُ إلى هضمٍ وإحاطةٍ كاملةٍ بهذه القضيَّة.

3. المصطلح الثالث للانفعالات المصاحبة للكلام: (الزِّينة ، والألفاظُ المُزَيَّنة)

ذكَر ابن سينا أهمِيَّة **الزِّينة** في الكلام، فبيَّن أنَّ الكلام يكون مركَّباً من الحروف وممَّا يَقترِنُ به إلى جانب الحروف"من هيئةٍ ونغمةٍ ونَبرة"[2]. وعرَّف ابنُ رشدٍ: (**الألفاظ المُزَيَّنة**)، فقال:"وذلك أنَّ **المُزَيَّنة** هي ألفاظٌ جَعَل [أي: أرسطو] بعضَ أجزائها نغماً، حتى صارتْ بتلك النَّغَمِ **مُزَيَّنة**، وهذا غير موجودٍ في لسان العرب"[3].

4. المصطلح الرابع للانفعالات المصاحبة للكلام: (توابع الألفاظ)

استعمله ابن رشدٍ في شرح مصطلح: (الأخذ بالوجوه)[4].

(1) الشفاء جزء المنطق قسم الخطابة ص 198 والموضوع في لغة المناطقة هو المسند إليه في عرفِ النُّحاة، والمحمولُ هو المسنَدُ. وانظر: التفكير اللساني للمسدي ص 266 .

(2) الشفاء جزء المنطق الفن الموسوم بالشعر ص 67 . وانظر التفكير اللِّساني للمسدي ص 265 .

(3) تلخيص الخطابة ص 258 .

(4) تلخيص الخطابة ص 252 .

نتائجُ الفصل الثاني:

1 .كشف هذا الفصل عن الجوانب الفيزيائيَّة المتعلِّقة بالصَّوت وحدوثه ممَّا هو مماثلٌ في أكثره للمباحث الفيزيائيَّة المتعلِّقة بعلم الأصوات المعاصر.

2 . أبرَزَ هذا الفصل قانونَ حدوثِ الصَّوتِ عند المتقدِّمين من خلال حديثه عن القوة الصادمة والمصدومة والوسط المقاوم.

3 . أظهرت بعض المصطلحات التي استعملها المتقدِّمون للتعبير عن القوَّة الفاعلة في إحداث الصَّوت اللُّغويّ عن تصوُّر صوتيٍّ صحيح لظاهرة حدوث الصوت فيزيائياً. مصطلح (الرفع) و (الضغط).

4 . أثبتت بعض المصطلحات غازيَّة الحروف وكيفيَّة تولُّد الصَّوت اللُّغويّ صوتاً بعد صوتٍ. مصطلح: (المصاكّة).

5 . تقدير زمن المدود بالألفات إنَّما هو مقياسٌ تقريبيٌّ لضبط الزمن. مصطلح: (التقريب).

6 . تعدُّدُ الاستعمال الصَّوتيّ لبعض المصطلحات أظهر ثراءً كبيراً في اللغة. مصطلحا: (الرفع)، (الضمّ).

7 . أظهر هذا الفصل قِدَم بعضِ المصطلحات الصَّوتية التي يرجع بعضُها إلى القرن الأوَّل الهجريّ. مصطلح: (الرفع).

8 . التفريق بين علامات الإعراب والبناء إنَّما قام على يد سيبويه، وكان العلماء من قبلِهِ لا يُفَرِّقون بين هذه العلامات.

9 . بعض المصطلحات أظهرتْ تصوُّراً صحيحاً عند المتقدِّمين في علاقة الحركات بحروف المدِّ. مصطلحا: (الضمّ)، (الرَّفع).

10 . بيَّن هذا الفصل بعض المصطلحات الغامضة التي يجدها المعاصرون في كلام المتقدِّمين كمصطلحَي: (الموضع) ومصطلح: (الاعتماد).

11 . التشبيه الذي قدَّمه بعض العلماء في تشبيه الصَّوت بآلَتَي الناي والعُود فيه تقريبٌ لأذهان المتعلِّمين وتبسيطٌ لهم في كيفيَّة حدوث الصَّوت فيما يَرَونه من أدوات حسِّية لمقارنته بالصَّوتِ الإنسانيّ، وليس كلُّ الناس يُدركُه، كما أنَّ فيه معرفةً فيزيائيَّة لحدوث الصَّوتِ في الآلات النفخيَّة والوتَريَّة.

12 . إنَّ توظيفَ بعضِ العلماءِ لقانونِ المقاومة الفيزيائيَّة واستعمال ذلك في أصوات الحروف يُعدُّ سبقاً فريداً لا أَجِدُ إلى اليوم ـ فيما أعلم ـ مَن حاوَل هذا العمَل. مصطلح: (الرطوبة).

13 . قرَّب هذا الفصل ومن خلال رسوماته التوضيحية المعارف الفيزيائيَّة عند المتقدِّمين إلى المفهوم الحديث لها. مصطلح: (الحدَّة والثقل في الأصوات).

14 . أظهَرَ هذا الفصل إدراكَ المتقدّمين لظاهرة انعكاس الصَّوت، وأهمِّيّة سطوح الأجسام في جَودة الصَّوت ورداءته.

15 . كشف هذا الفصلُ عن مفهوم: (الحرف) عند المتقدِّمين، وأنَّه يُستعملُ للصَّوتِ المنطوق كما الرَّسمُ المكتوب، وأنَّ استعمالَه يناظِرُ استعمال مصطلح: (الصَّوت اللُّغويّ).

16 . قدَّم هذا الفصل مصطلحات جديدة في كلِّ موضوعٍ من موضوعاته.

17 . أظهر معرفة المتقدِّمين لمصطلح: (المقطع الصوتي) بمعناه الحديث.

18 . أظهر بعضُ المتقدِّمين تفريقَهم الواضح بين الأصوات الاعتباطيَّة الانفعالية وبين الأصوات اللُّغوية ممَّا يُدرَس في أوَّل مباحث علم الأصوات المعاصر. مصطلح: (الصوت والأصوات).

19 . كشَف عن الألفاظ المستعملة في تحديد المخارج، وهي ألفاظٌ دقيقةٌ، وبيَّن مواطن استعمالها عند المتقدِّمين.

20 . كشَف عن الميزان الصَّوتيّ الذي توزَن به الحروف العربية، وأنَّه ميزان العَروض في الشِّعر، وبهذا الميزان نستطيع أن نعالج مشكلة سكون حروف المدِّ والمقطع في أصوات اللُّغة.

21 . أظهَر أنَّ تعدُّدَ المصطلحات للموضوع الصوتيّ الواحد ربَّما يَرجِع إلى الزاوية التي يَنظُرُ إليها هذا العالمُ إلى هذا الموضوع، فاختلف اللَّفظُ تبعاً لذلك.

22 . كشفَ هذا الفصل عن أنواع ترتيب الحروف العربيَّة.

23 . وأخيراً كشَف هذا الفصل عن معرفةِ المتقدِّمين للانفعالات المصاحبة لعمليَّة الكلام سواء أكانت انفعالات حركيَّة أم صوتيَّة، وبيَّن الألفاظ المستعملة لذلك، وهذا الجانب مجهولٌ لدى كثيرٍ من الباحثين المعاصرين، بل منهم مَن أنكر معرفة المتقدِّمين له.

الفصل الثالث: صفات الحروف

الفصل الثالث: صفات الحروف

صفات الحروف:

هي الأشياءُ التي تُصاحِب الحرفَ أثناء نُطقِه في مخرجه كوضوح صوتِه وخفائه، واحتباسه وإطلاقه، وقوَّته وضعفه، ونحو ذلك.

الألفاظ المستعملة لصفات الحروف

استعملت لها عدة ألفاظ، منها: 1 . (الصِّفات) 2 . (الأعْراضُ) 3 . (أجناس الحروف) 4 . (الخَلَّة) 5 . (خَواصُّ الحروف، الخاصَّة) 6 . (أصنافُ الحروف) 7 . (انقِساماتُ الحروف، أقسامُ الحروف).

1 . المصطلحُ الأوَّل لصفات الحروف: (الصِّفات)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على تَخْلِيَةِ الشيء. والصِّفةُ: الأمَارةُ اللاَّزمةُ للشيء[1].

استَعمل سيبويه لفظ: **(الصِّفات)**[2].

وتابعَه: ابن دريد[3]، والسيرافيُّ[4]، والرُّمانيُّ[5]، ومكيٌّ[6]، والدانيُّ[7]، وابن الطحَّان الأندلسيُّ[8].

2 . المصطلحُ الثاني لصفات الحروف: (الأعْرَاض)

تقدَّم.

3 . المصطلحُ الثالث: (أصنافُ الحروف):

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على معنَيَين: أحدهما الطائفةُ من الشيء، والآخَرُ تَمييزُ الأشياءِ بعضِها عن بعضٍ. فمن الأوَّل قولك للشيء: هذا صنفٌ من الأصناف، أي: نوعٌ. ومن الآخَر تصنيف الكتاب، كالغريبِ المصنَّف لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم، كأنَّهُ مُيِّزَتْ أبوابُهُ، فجُعِلَ لكلِّ بابٍ حيِّزُه[9].

(1) مقاييس اللغة ص 1054 (و ص ف)، والمصباح المنير ص 661.
(2) الكتاب 4/ 436 .
(3) الجمهرة 1/ 6 .
(4) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 62 .
(5) شرح كتاب سيبويه 192/ ب .
(6) الرِّعاية ص 50 و 143 .
(7) التحديد ص 102 .
(8) مخارجُ الحروف وصفاتُها ص 109 .
(9) مقاييس اللغة ص 554 (ص ن ف).

استَعمل ابنُ السرَّاج لفظ: (**أصنافُ الحروف**) للتعبير عن الصِّفات[1].

وتابعَه: الرمَّانيُّ، وعرَّفَها بأنّها خَوَاصُّ الحروفِ من غير جهِة مخارِجها[2]، وابنُ جنيّ[3]، والدانيُّ[4]، والخفاجيُّ[5].

4. المصطلحُ الرَّابع لصفات الحروف: (أجْنَاسُ الحروف)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الضَّرْب من الشَّيء[6]. قال الخليل: كُلُّ ضَرْبٍ من الشَّيء، والنّاس، والطَّيْر، وحُدُود النَّحْوِ، والعَرُوضِ، والأشياء، ويُجْمع على أجناسٍ[7].

استَعمل ابن دُرَيد لفظ: (**أجْناس الحروف**) للتعبير عن الصِّفات[8].

وتابَعه: ابن جنيّ[9]، والسعيديّ[10]، والدانيّ[11]، والقرطبيّ[12]، والهمَذانيّ[13].

واستُعمِل في الموسيقى أيضاً[14].

5. المصطلح الخامس لصفات الحروف: (الخَلَّة)

يدلُّ على الخَصْلَة، يقال: في فلان خَلَّةٌ صالِحةٌ وخَلَّةٌ سيِّئة، والجمع: خِلالٌ. ويقال: فلانٌ كَريمُ الخِلالِ ولئيمُ الخِلال، وهي الخِصال[15].

استَعمل أبو عليٍّ الفارسيُّ لفظ: (**الخَلَّة**) للتعبير عن الصِّفة[16].

(1) الأصول 3/ 401 .
(2) شرح كتاب سيبويه 191/ ب .
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 4 .
(4) التحديد ص 105 .
(5) سر الفصاحة ص 4 .
(6) مقاييس اللُّغة ص 210 (ج ن س).
(7) العين 6/ 55.
(8) الجمهرة 1/ 6.
(9) سر صناعة الإعراب 1/ 4.
(10) التنبيه على اللَّحن الجليّ ص 12.
(11) الإدغام الكبير ص 48.
(12) الموضح ص 77.
(13) التمهيد في معرفة التجويد ص 273.
(14) انظر: الكندي: في خبر صناعة التأليف ص 64، والفارابيّ: الموسيقى الكبير ص 143 و 161 و 163 والخوارزميّ: مفاتيح العلوم ص 213.
(15) لسان العرب 11/ 216 (خ ل ل).
(16) الحجة 6/ 49 .

6 . المصطلح السَّادس لصفات الحروف: (خَواصُّ الحروف، الخاصَّة، الخاصِّية)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الفُرجَةِ والثَّلْمَة، خَصَصْتُ فلاناً بشيءٍ خَصُوصِيَّةً . بفتح الخاء وضمِّها . إذا جَعَلْتَهُ له دون غَيرِه؛ لأنَّهُ إذا أُفرِدَ واحدٌ فقد أوقَعَ فُرْجَةً بينه وبين غَيرِه، والعُمومُ بخلافِ ذلك[1].

وخاصَّةُ الشيءِ بالمفهومِ المنطقيِّ هي: ما لا يُوجَدُ بدونِ الشيءِ، والشيءُ قد يُوجَدُ بدونِها، كاللاَّم المعَرِّفة لا توجَدُ بدون الاسم، ويوجَدُ هو بدونها كما في: زيدٌ[2].

استَعمل الرُّمانيُّ لفظ: (**خَواصُّ الحروف**) مرةً، و: (**الخاصَّة**) ومعناها الصِّفة[3].

وتابعَه: القرطبيُّ بلفظ: (**الخاصِّية**)[4].

7 . المصطلح السَّابع لصفات الحروف: (انقِساماتُ الحروف، أقسامُ الحروف)

من أصله اللُّغويِّ أن يَدُلَّ على تَجْزِئةِ الشيءِ وفَرْزِهِ أجزاءً. قَسَمْتُ الشيءَ قَسْماً، والجمعُ أقسامٌ. والاسمُ منه قِسْمٌ، بكسر القاف، ثمَّ أُطْلِقَ على الحِصَّةِ والنَّصِيب. وانقَسَم الشيء انقِساماً[5].

استَعمل ابنُ جنيّ لفظ: (**انقِساماتُ الحروف**) سارداً تحت هذا العنوان صفات الحروف[6].

وتابعَه: القرطبيُّ[7]، وابنُ الأنباريّ بلفظ: (أقسام)[8].

قواعدُ في التأليف بين المخارج والصفات:

. اختلافُ الحرفَين في المخرج أخفُّ من كَونِهما من مخرجٍ واحدٍ: سيبويه[9].

. الصِّفَاتُ هي التي تُفَرِّقُ بين الحُرُوف التي من مَخرَجٍ واحد: مكيّ القيسيّ[10].

. تَبَاينُ المخَارِجِ والصِّفات مؤثِّرٌ على الحروف: مكيّ القيسيّ[11].

(1) مقاييس اللغة ص 285 (خ ص)، والمصباح المنير ص 171 .
(2) انظر: التعريفات ص 95 .
(3) شرح كتاب سيبويه ل 191/ أ و 192/ ب و 201/ أ و 208/ ب.
(4) الموضح ص 163 و ص 203.
(5) مقاييس اللغة ص 856 (ق س م)، والمصباح المنير ص 503 .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 60 .
(7) الموضح ص 90 .
(8) أسرار العربية ص 207 .
(9) الكتاب 4/ 417 .
(10) الرعاية ص 155 .
(11) الرعاية ص 156 .

. لا يُوجَدُ حرفان اتَّفقا في الصِّفاتِ والمخارج، وإلا اشتَرَكا في السَّمع: مكيّ القيسيّ[1].

. اختلافُ الصِّفات والمخرجُ واحدٌ أوالعكسُ هو الذي فَرَّقَ بين الحروف: مكيّ القيسيّ[2].

مدخل عام إلى صفات الحروف

نَظَرَ العلماءُ إلى صفات الحروف من جهاتٍ متعدِّدة، واختلفتْ ألفاظُهم تبعاً للغرض الذي يتناولونَه:

1. **الخليل**: نظَرَ إلى صفات الحروف من حيث علاقتُها بالأبنية، وكيف أنَّ بعض الحروف يُحَسِّنُ البناءَ، وبعضُها يُعرَفُ منه العربيُّ من الدَّخيل، وهكذا وجاءتْ أغلبُ صفاتِ الحُرُوف التي ذكَرها في كتابه تتناول هذه القضيَّة، فمن ذلك: (الصَّحيحُ والمعتَلُّ، الحروفُ الذُّلْق، الحروفُ الطُّلْق، الحروفُ الصُّتْم، النَّصَاعة ، الكَزَازَة، الطلاَقَة...الخ).

2 . **سيبويه**: نظَرَ إلى صفاتِ الحرُوف من حيث علاقتها بالإدغام، قال:"وإنَّما وصَفْتُ لك حروفَ المعجَم بهذه الصِّفاتِ؛ لتَعرِفَ ما يَحسُنُ فيه الإدغامُ وما يَجُوزُ فيه، وما لا يَحسُنُ فيه ذلك ولا يَجوزُ فيه، وما تُبدِلُهُ استثقالاً كما تُدغِم، وما تُخْفِيهِ وهو بِزِنَةِ المتحرِّك"[3]. وقد قسَّمها في هذا الباب ناظراً إلى علاقتها بالإدغام من عدَّة جهات:

أ . الوضوح والخفاء في السَّمع: ويمثِّلهما صفتا: (الجهر والهمس).

ب . مرور الصوت في المخرج بدءاً من الانحباس التامّ في الحروف الشديدة إلى حرّية المرور في الألف، وهو صاحبُ رؤيةٍ في ذلك. ومثَّل هذا المرور عدَّة صفات، منها: (الشديدة والرخوة وما بينهما)، (المنحرف)، (التكرير)، (اللّينة)، (الهاوي).

ج . تفخيم الصَّوت وترقيقه في انحصار الصوت من مكانَين وعدمه، ويمثلهما: (الانفتاح والإطباق).

وجاءتْ بعضُ الصِّفاتِ الأخرى منثورةً في كتابه، بحسب الموضوعِ والباب المعقودِ لها، ففي باب الإمالة ذكَر أنَّ هناك حروفاً تَمنع الإمالة، فجاء بصفتَي: (الاستعلاء والتسفُّل). وفي باب ما يَلْحَق الحروف المتحرِّكة في الوصلِ من متمِّمات لها عند الوقف ذكَر: (القَلْقَلَة، والنَّفخ، ونحو النَّفخ). وله القدحُ المعلَّى في الصِّفات المعروفة المتداولة في كتب العربية والتجويد.

3 . **الكنديُّ وابنُ سينا** من أصحاب المدرسة العقليَّة كان وصفُهُم كاملاً للحرف من حيث الهيئة

(1) الرعاية ص 156 .

(2) الرِّعاية ص 218 .

(3) الكتاب 4/ 436 .

التي يكونُ عليها وما يُصاحبُها عند نطق الحرف، فجاء الحديثُ عن الصِّفات ضِمنَ وصْفِ الهيئة.

4 . **بعضُ أهلِ العربيةِ كابن جنيّ وأهلُ التجويد** جمَّاعون ومقسِّمون لكلام الخليلِ وسيبويه وابنِ دُرَيدٍ في الصِّفات، إذ رأوا أنَّ كتبهم تَبحثُ في الحروف في ذاتِها ولِذَاتها، فجمَعوا كلّ ما يتعلَّق بها من تقسيماتٍ من كلام مَن سبَقهم، وجاءت كتبهم متفاوتةً في إيرادِها ما بين موجزٍ ومُسْهِبٍ، فابن جنيّ أورد في كتابه سر الصناعة ما يَقرُب من أربعةٍ وعشرين انقساماً للحروف، منها ما هو زوجٌ ومنها ما هو مُفرَد. ومكيّ أوصلها في الرعاية إلى أربعة وأربعين، والدانيُّ والهمَذانيُّ إلى ستة عشر، والقرطبيُّ إلى ستّةٍ وثلاثين.

وسأستعرِض في هذا الفصل أشهر الصِّفات التي جاءت بها كتب العربيَّة والتجويد بحسب الترتيب الموضوعيّ لها.

تتوزَّع الصِّفات التي ذكَرها المتقدِّمون على الأقسام التالية:

1 . الصفات المتعلِّقة بالوضوح والخفاء في السَّمع.

2 . الصفات المتعلِّقة بمرور الصَّوت في المخرج.

3 . الصفات المتعلِّقة باتجاه الصَّوت وانحصاره وما يتبع ذلك من أثر تفخيميّ.

4 . الصفات الخاصَّة ببعض الحروف.

5 . الصفات الخاصة بقوَّة الحرف وضعفه.

الصفتان المتعلِّقتان بالوضوح والخفاء في السَّمع

(الجهر والهمس)

أودُّ أن أنبِّه قبل الخَوض في هذين المصطلحَين الخطيرين إلى ما نبَّهتُ عليه في أوَّل الدِّراسة أنَّ المناهج والدراسات والآراء الصوتيَّة عبر تاريخ العلم الطويل ما هي إلا انفعالاتُ أذكياءِ الناس إزاءَ ما يرَونه من ظواهرَ تحيطُ بهم . وقد تتَّفِق بعضُ هذه المناهج، وقد تختلفُ تبعاً لتنوع الرؤى وتطوّر التفكير، وتبعاً للمنحى العلميّ السائد على مرِّ العصور.

وإنَّ أيَّ ظاهرَةٍ صوتيَّة دُرِست في القديم يجبُ أن تُفهم أوَّلاً على النَّحو الذي أرادها لها أصحابُها، فنحن لا نستطيع أن نخترِق سجُفات الغيبِ ونلومَ المتقدِّمين على عدمِ وجودِ حَواسِبَ آليةٍ في عصورهم، وكذلك لا نستطيع أن نُحاكِم مناهجَهم على ما يقرِّرُه المعاصِرون؛ لاختلاف الزاوية التي ينظُرُ منها كلُّ فريق .

والمتقدِّمون من علمائنا . وتبعاً للارتباط المقدَّس بالقرآن الكريم . لم يَعْنِهم إلا دراسةُ الخصائص الصوتيَّة للُّغة التي تكلَّمت بها العرب أثناء نزول القرآن، وذلك لغرضٍ تعبُّديٍّ تعليميٍّ بحت، هو مساعدةُ الدَّاخلين في الإسلام من أبناء الشعوب على كيفيَّة تعلُّم اللُّغة العربية وتلاوةِ القرآن الكريم، وكان المعين على فهم ذلك هو تمثُّل العرب في كلامِها.

الجهرُ يدلُّ أصله اللُّغويُّ على إعلانِ الشيءِ وكشفِه وعُلُوِّه. يقال: جَهَرْتُ بالكلامِ، أي: أعْلَنْتُ به. ورجلٌ جَهيرُ الصَّوت، أي: عَالِيه[1].

الهمسُ: يدلُّ أصله اللُّغويُّ على خَفاء صوتٍ وحسٍّ. منه الهَمسُ: الصَّوتُ الخفيُّ. وهَمْسُ الأقدام: أخفى ما يكونُ من وطء القدَم[2].

الجهر والهمسُ مصطلحان هدَف منهما المتقدِّمون من أصحاب المدرسة النقليَّة الوصولَ إلى العلَّة في وضوحِ بعض الأصوات في السَّمع وخفائها في البعضِ الآخَر، وتناولوهما من عدَّة جهاتٍ:

1 . الأثرُ الذي يحدثه اهتزاز الأوتار الصوتية في المجهور دون المهموس (صوت الصَّدر، صوت الفم) على الوضوح السمعيّ.

2 . تعلُّقُ الجهرِ والهمسِ بحال التحرُّك (الاعتماد، إشباع الاعتماد، انقضاء الاعتماد، ضعف الاعتماد).

3 . جريان النَّفَس الكثير في المهموس وانحباسُه في المجهور.

4 . الوقف على الحرف المجهور والمهموس.

5 . حروف الجهر والهمس.

6 . قواعد تأليف المجهور والمهموس.

وأزيد عليهما جهتَين اثنتين؛ لأهمِّيتهما البالغة، وهما:

7 . الجهر والهمس عند أصحاب المدرسة العقلية.

8 . الخلاف بين المتقدِّمين والمعاصرين في الجهر والهمس.

1 . الجهةُ الأولى: الأثرُ الذي يُحْدِثُهُ اهتزازُ الوترين الصوتيَّين في المجهورِ دون المهموس:

عبَّر الخليلُ في تعريفِه للهمس عن الأثرِ الذي يُحدِثُهُ اهتزازُ الوترين الصوتيَّين في الصَّوتِ **المجهورِ** في

(1) مقاييس اللغة ص 210 (ج هـ ر).

(2) مقاييس اللغة ص 1036 (هـ م س).

نصٍّ واضحٍ جدًّا، يُبيّنُ الحِسَّ الصَّوتيَّ الدَّقيقَ الذي كان يَتَمَتَّعُ به هذا العالِمُ، قال:" **الهَمْسُ**: حِسُّ الصَّوْتِ في الفَمِ، ممّا لا إشْرَابَ لَهُ مِن صَوْتِ الصَّدْر، ولا جَهَارَةَ في المَنْطِقِ، ولكنَّه كلامٌ مَهْمُوسٌ في الفَمِ كالسِّر"[1].

فنبَّه إلى أنَّ **الصَّوتَ المهموسَ** يكونُ خالياً من صوتِ الصَّدر، وهو الأثرُ الرَّنينيّ الذي يُحدِثُهُ اهتزازُ الوتَرين الصَّوتيَّيْن، ويَصْحَبُ عادةً الأصواتَ المجْهُورة. ويعنى ذلك في المقابلِ أنَّ **الأصواتَ المجهورةَ** مُشْرَبةٌ **بصَوتِ الصَّدْر**، وأنَّه من مميّزات هذه الأصوات.

انتقلتْ هذه المعرفةُ الدَّقيقة من الخليل إلى تلميذِه الأثير سيبويه، ففي نصٍّ نقَلَهُ السيرافيُّ عن حديث سيبويه مع الأخفش حينما سأله عن الفرقِ بين المجهور والمهموس، فأجابه سيبويه بقولِه:"وإنَّما فرَّقَ بين **المجهور والمهموسِ** أنَّك لا تصِلُ إلى تبيين **المجهورِ** إلاَّ أن تُدخِلَه **الصَّوتَ الذي يَخرُجُ من الصَّدْرِ**... وأمَّا **المهموسةُ** فتَخرُجُ أصواتُها من مخارجِها، وذلك ممَّا يُزْجِي الصَّوتَ، ولم يُعتَمَدْ عليه فيها كاعتِمادهم في المجهورة، فأُخرِج الصَّوتُ من الفم ضعيفاً. والدَّليل على ذلك أنَّك إذا أخفيتَ **هَمَسْتَ** بهذه الحروف، ولا تصِلُ إلى ذلك في **المجهور**. فإذا قلتَ شَخْص، فإنَّ الذي أزجَى هذه الحروفَ صوتُ الفم، ولكنَّك تُتْبِعُ **صوتَ الصَّدْرِ** هذه الحروف بعدما يُزْجِيها صوتُ الفم؛ لِيَبْلُغَ ويُفْهَمَ بالصَّوت"[2].

فهو وضَّح بشكلٍ أكيدٍ دَور **صوتِ الصَّدر** في إعطاءِ الأصوات صفةَ الوضوحِ السمعيّ، وبغيابِه تنتفي هذه الصفة، وتغيبُ معالمُ الصَّوتِ.

وباتَ من المعروف الآن عند أكثر الدارسين المعاصِرين أنَّ صوتَ الصَّدر الذي تحدَّث عنه الخليل وسيبويه يعني الأثرَ الرَّنينيَّ الذي يُحدِثُهُ اهتزازُ الأوتار الصَّوتيَّة في الأصوات المجهورة، ويُعطي الوضوحَ السَّمعيَّ لهذه الأصوات، وأوَّل من تنبَّه إلى ذلك في كلام سيبويه الدكتورُ إبراهيم أنيس، رحمه الله تعالى[3].

وأثرُ اهتزاز الأوتار الصَّوتيَّة يُمكِنُ أن يُحَسّ بوضعِ اليدِ على العُنقِ عند نُطقِ الحروف المجهورة، وهو يَظهَرُ على هيئةِ إشارات ذبذبيَّة منتظِمَةٍ على شاشةِ المرسمِ الطيفيّ.

2 . الجهة الثانية: تعلُّق الجهر والهمس بحال التحرُّك:

عرَّف سيبويه المجهورَ والمهموسَ بقوله:"**فالمجهورةُ**: حرفٌ أُشْبِعَ الاعتِمادُ في مَوضِعِه، ومَنَعَ النَّفَسَ أن يَجْرِيَ معهُ حتى يَنقَضِيَ الاعتِمَادُ علَيه ويَجريَ الصَّوتُ. فهذِهِ حالُ المجْهُورةِ في الحلْق والفمِ، إلاَّ أنَّ النُّونَ

(1) العين 4/ 10 .

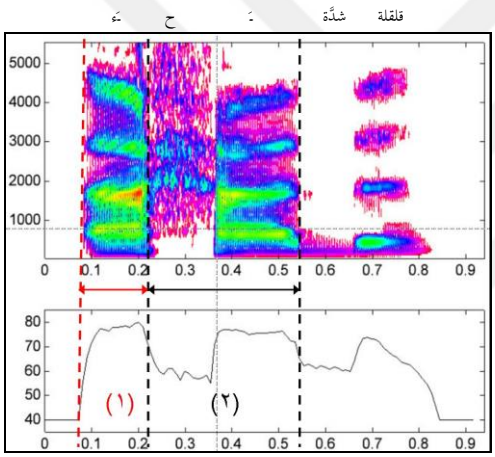
(2) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 130 نقلاً عن شرح كتاب سيبويه للسيرافيّ.

(3) الأصوات اللُّغوية ص 122 .

والميمَ قد يُعْتَمَدُ لهما في الفمِ والخياشيمِ، فتصيرُ فيهِما غُنَّةٌ. والدَّليلُ على ذلك أنَّك لو أمسَكْتَ بأنفِك، ثمَّ تَكَلَّمْتَ بهما لرَأَيْتَ ذلك قد أخَلَّ بهما.

وأمَّا **المهموسُ** فحرفٌ أُضْعِف الاعتمادُ في مَوْضِعِه حتى جَرَى النفَسُ معه"[1].

تقدَّم حديثُ الخليلِ عن لغةِ العرب أنَّها لغةٌ مقطعيَّةٌ، أي أنَّ نظامَها يُحَتِّمُ أن لا يُنطَقَ الصَّوتُ خِلْواً من الحركة، ومِن هذا المنطَلَقِ كانت طريقةُ اختبارِ سيبويه للأصواتِ عند التصنيفِ إلى مجهورة ومهموسة، فإذا خرجَ المقطعُ الصَّوتيُّ (الحرف مع الحركة) متكيِّفاً كلُّه بصوتٍ جهريٍّ حُكِم على الصَّوتِ المرافِقِ للحركة بالجهر (بَبَبَ، ءَءَءَ، ظَظَظَ، قَقَقَ) وكان مُشبعُ الاعتماد، وإذا تسلَّل هواءُ النفَس مع المقطع الصوتيّ حُكِم على الصَّوتِ المرافِقِ للحركة بالهَمس (فَفَفَ، صَصَصَ، كَكَكَ) وكان مُضعَفَ الاعتماد، وقد ذكرتُ ذلك في مصطلح: (الاعتِماد)، وبيَّنتُ هناك معنى الألفاظ التالية: (الاعتماد، إشباع الاعتماد، انقضاء الاعتماد، ضعف الاعتماد)، وأنَّها ألفاظٌ متعلِّقةٌ بحال التحرُّك بالدرجة الأولى.



شكل رقم (52) اختبار الجهر والهمس حال التحرك في كلمة [أَحَد]

ويُمثِّل شكل رقم (52) اختبار الجهر والهمس حال التحرك في كلمة [أَحَد].

لاحظ أن الصَّوت الذي يمثله رقم (1) . السَّهم الأحمر . هو صوت الهمزة مع الفتحة، ولاحظ تعذُّر معرفة صَوتِ الهمزة؛ لأنَّ صوتها في لحظةِ الإطلاق مع فتحتِها، ولذلك لم يَظهَر على المرسمِ الطيفيّ إلا صوت الفتحة، وهو صوتُ الصَّدر في كلام سيبويه، وهو صوتٌ جهريٌّ، ولعلَّ هذا هو معنى إشباع الاعتماد في الصَّوت المجهور بأن خرجَ الصَّوتُ كلُّه متكيِّفاً بالجهر.

أمَّا الصوت الذي يُمثِّله رقم (2) . السَّهم الأسود . فهو صوت الحاء وبعدها الفتحة، لاحظ التمايز الواضح بين نفَس الحاء وبين الفتحة بعدها، ولعلَّ هذا هو مراد سيبويه بانسلالِ الأصوات المهموسة (الحاء هنا) مع صوت الصَّدر (فتحة الحاء)، وسيأتي الحديثُ عنه في كيفية الوقف على الحروف المهموسة، وهذا الانسلالُ لنفَس الحاء هو الذي أضعَف الاعتماد على المقطع (الحرف مع الحركة) فخرج الصَّوت مهموساً.

تابعَهُ على التعريفَين بمضمونه العامّ أكثرُ العلماء، منهم: الزجَّاجُ، ونسبَهُما إلى الخليل كما هي

(1) الكتاب 4/ 434 .

عادتُه[1]، وابن السرَّاج[2]، وأبو بكر ابن الأنباريّ[3]، والزجَّاجيُّ[4]، والرمانيُّ[5]، وابن جنيّ[6]، ومكيّ[7]، والدانيُّ[8]، والقرطبيّ[9]، والخفاجيُّ[10]، وابن الطحَّان الأندلسيُّ[11]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[12]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[13].

وخالفَه: المبرِّدُ[14]، وابن دُرَيدٍ[15]، والسعيديُّ[16].

والدليلُ على ارتباط الجهر والهمس بحال التحرُّك قولُ سيبويه بعد التعريفَين:"وأنتَ تَعْرِفُ ذلك إذا اعْتَبَرْتَ [اختَبَرْتَ] فَرَدَّدْتَ الحرفَ معَ جَرْيِ النفَس، ولو أرَدتَّ ذلك في المجْهُورَة لم تَقْدِرْ عليه"[17].

وقول الأخفش:"سألتُ سيبويه عن الفَصْلِ بين المجهور والمهموس، فقال: المهموس إذا أخفَيتَهُ ثمَّ كرَّرْتَه أمكنكَ ذلك. وأمَّا المجهورُ فلا يُمكِنُكَ ذلك فيه، ثمَّ كرَّرَ سيبويه التاءَ بلسانِه وأخفى، فقال: ألا ترى كيفَ يُمكِن، وكرَّرَ الطاءَ والدالَ، وهما من مخرج التاء، فلم يُمكِن، وأحسبُهُ ذكَرَ ذلك عن الخليل[18].

والتَّرديدُ والتكريرُ اللَّذان ذكَرهما لا يكونان إلاَّ مع الحركة، والذين جاؤوا بعد سيبويه لم يَفْهَموا إلا هذا، قال القرطبيُّ:"وأنتَ تَعْتَبِرُ ذلك بأن تُرَدِّدَ كلَّ واحدٍ من المهموس والمجهورِ، **ولا يتأتَّى ذلك مع سُكُونِهِ، فتأتي به متحرِّكاً** أو تُتْبِعُهُ أحدَ حُرُوف المدِّ واللِّين، كقولكَ: سَسَسَ، كَكَكَ، سَاسَاسَا، قَقَقَقَ،

(1) معاني القرآن وإعرابه 1/ 414 . ومن عادة الزجَّاج فيه أن يَنسِبَ ما في كتاب سيبويه إلى الخليل أو إلى الخليل وسيبويه، ولعلَّ ذلك يَرجِعُ إلى أنَّ هدفَ سيبويه من تأليف كتابه هو إحياءُ عِلْمِ الخليل كما هو مشهورٌ في كتب التراجم فساغ للزجاج أن يَنسبِ ما في كتاب سيبويه للخليل، والله أعلم.

(2) الأصول 3/ 401 - 402.

(3) الأضداد ص 410 .

(4) شرح جمل الزجاجي ص 447 - 448 .

(5) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب .

(6) سر صناعة الإعراب 1/ 60 .

(7) الرعاية ص 116 - 117 .

(8) التحديد ص 105 .

(9) الموضح ص88 .

(10) سر الفصاحة ص 20 .

(11) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .

(12) التمهيد في معرفة التجويد ص 280 .

(13) أسرار العربية ص 209 .

(14) المقتضب 1/ 330 .

(15) الجمهرة 1/ 8 .

(16) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص 12.

(17) الكتاب 4/ 434.

(18) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 130 نقلاً عن شرح كتاب سيبويه للسيرافيّ.

قاقاقاقا، فتَجِدُ الصَّوْتَ في المهموس يَضْعُفُ لأجلِ جريانِ النَّفَسِ معه، وفي المجهور يَقْوَى لامتناعِ جَرَيانِ النَّفَسِ معه"[1].

وقال الشَّنْتَمَرِيُّ:"واعلم أنَّ ترديدَ الحروف الذي يُعْلَمُ به المجهورُ من المهموسِ **لا يُمْكِنُ إلاَّ بتحريكِه**"[2].

وقال الزمخشريُّ:"والذي يُتَعَرَّفُ به تَبايُنُهما أنَّكَ إذا كرَّرْتَ القافَ قلتَ: (قَقَ)، وجدتَّ النَّفَسَ محصوراً لا تُحِسُّ معها بشيءٍ منه، وتُرَدِّدُ الكافَ فَتَجِدُ النَّفَسَ مُقاوِداً لها ومُساوِقاً لصَوتِها"[3].

ووضَّح سيبويه أهمِّيةَ الحركات وحروف المدِّ في عملية التكلُّمِ بالحروف سواء رُفِعَ الصَّوتُ أو أُسِرَّ به، وأشار إلى أثر اهتزاز الأوتار الصَّوتيَّة الزائدِ عند رفعِ الصَّوتِ، قال:"فإذا أردتَ إجراءَ الحُرُوف، فأنت تَرْفَعُ صَوْتَكَ إن شئتَ بحروفِ اللِّينِ والمدِّ، أو بما فيها مِنها، وإن شئتَ أخفَيتَ"[4]. وبيَّنَهُ في موضعٍ آخر بقوله:"ألا ترى أنَّكَ تقولُ: قامَ فإن شئتَ أخفيتَ، وإن شئتَ رفعْتَ صَوتَكَ، فإذا رفَعْتَ صَوْتَكَ فقد أحدثْتَ صوتاً آخَر"[5].

والدارسون المعاصِرون يَرفُضُونَ هذا المنهجَ وهذه الطريقةَ في التصنيف، أعني: نُطقَ الصَّوتِ مع الحركة، ويرَون أنَّ الصَّوتَ عند تصنيفه إلى مجهور ومهموسٍ يجبُ أن يكون مجرَّداً عن كلِّ ما يَسبِقه ويَلْحَقُه، وقد يصِحُّ هذا في بعض الأصوات الرِّخوة كالفاء والذال، لكن ماذا يفعلون ببعض الأصوات الشديدة كالهمزة والقاف ؟

أظنُّ أنَّ منهجَهم لن يُساعِدَهم في ذلك كثيراً.. وعلى كلٍّ فهذا أمرٌ خاصٌّ بنظرتِهم إلى الظَّواهر الصوتيَّة المشتركة في لغات الشعوب، ومحاولتِهم تقديمَ منهجٍ يشرحُ الخصائص الصوتيَّة في اللُّغات الإنسانيَّة.

3 . الجهة الثالثة: جريان النَّفَس الكثير في المهموس وانحباسُه في المجهور:

الشقُّ الثاني من تعريف سيبويه يتعلَّقُ بجريان النَّفَس مع الحرف المهموس وانحباسُه في الحرف المجهور سواء كان الصَّوتُ متحرِّكاً أو ساكناً، وهذا الجانبُ من تعريف سيبويه شكَّلَ أهميةً كبرى عند مَن جاء بعده، بل قام عليه مفهومُ الجهرِ والهمس عند دارسي التجويد إلى يومنا هذا، وتَمَثَّل ذلك في الأداء

(1) الموضح ص 88 - 89 .
(2) النكت في تفسير كتاب سيبويه 2/ 1246 . وانظر: سر صناعة الإعراب 1/ 60.
(3) المفصل ص 466 .
(4) الكتاب 4/ 434 .
(5) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 130 نقلاً عن شرح كتاب سيبويه للسيرافيّ.

القرآنيّ الذي نسمَعُهُ من مجيدي القراءة، وما يَعرِفُه دراسو التجويد والقراءات اليوم.

فالأصواتُ التي يقرؤها القرَّاءُ ويُجرُون معها هواء النَّفَسِ وصلاً ووقفاً هي المجموعة في قول: (فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَت). ويَمْنَعون هواءَ النَّفَس الكثيرِ من الجريانِ في باقي الأصوات.

ومع الأسف لم يلتَفِت الدارسونَ من أصحاب الدَّرس الصَّوتيّ المعاصِر إلى هذا الجانب النَّفَسيّ، وترتَّب من جرَّاء ذلك أن اختلفوا مع سيبويه في ثلاثة أصواتٍ شديدةٍ عدَّها من المجهورات، ولا يُشكِّلُ عنصرُ النَّفَسِ جزءاً منها؛ لأنَّه لما جرَّبَها مع الحركة لم يَجْرِ معها هواءُ النفَس ـ بحسب ما سَمِعه من نُطقِ العرب ـ فحكمَ عليها بالجهر، وهي القاف والطاء والهمزة.

أمَّا الدارسون المعاصِرون فلأنَّهم لا يعتدُّون بالحركة ويَطلبُون الاستقلاليَّةَ التامَّةَ للصَّوتِ وجدوا أنَّ هذه الثلاثة الأصوات لا تَهتزُّ معها الأوتار الصَّوتيَّةُ أثناء انحباسِها، فحكَموا عليها بالهمسِ كما سيأتي في معنى مصطلح: (الهمس) عند المعاصِرين.

4 ـ الجهة الرَّابعة: الوقفُ على الحرف المجهورِ والمهموس:

تحدَّث سيبويه عن الوقف على الأصوات المجهورة والمهموسة في موضعٍ استَعملَهُ لبيانِ ما يَلْحقُها من متمِّماتٍ عند الوقف وما لا يَلْحَقُها مِنْها، وجعَل ذلك مُلْحقاً بالباب الكبير الذي سمَّاه: (هذا بابُ الوَقْفِ في آخرِ الكلمِ المتحرِّكةِ في الوَصْل)[1]. واستَعمل لذلك مصطلح: (المشربة).

ومن الأهمِّيّة بمكانٍ لفهم هذا الموضعِ استصحابُ قَولِهِ في العنوان: (المتحرِّكة في الوصْلِ)، وإليك القصَّة:

أظنُّ أنَّ فكرة سيبويه تقومُ في هذا الموضع على مبدأ ماذا يَلحقُ أصوات حروف اللُّغة العربية من متمِّماتٍ طبيعيَّة لها عند الوقف، وذلك بعد أن ذكَر الوقف بالسكون والرَّوم والإشمام ونقل الحركة...الخ، وهذه المتممات تَلحق الأصوات المجهورة والمهموسة على السَّواء، وإليك البيان:

1 ـ الحروف المجهورة عند الوقف:

استَعمل سيبويه في هذا الموضع مصطلح: (**المُشربة**). وقد تقدَّم أنَّ الخليلَ استَعملَ: (**الإشراب**) في تعريفِ الهمسِ، وقال فيه إنَّ المهموس" لا **إشْرَابَ** لَهُ مِن صَوْتِ الصَّدْر"[2].

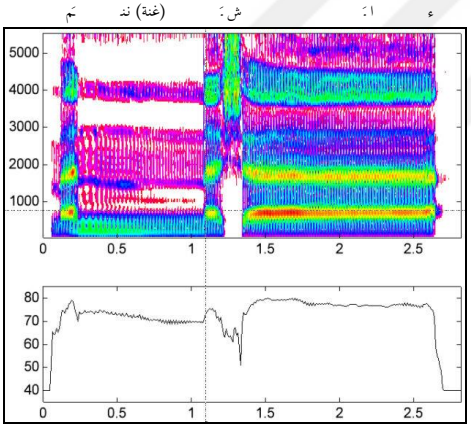
ويعنى ذلك في المقابلِ أنَّ الأصواتَ المجهورةَ مُشْرَبةٌ بصَوتِ الصَّدْر.

(1) الكتاب 4/ 166 . وفرَّع سيبويه عن هذا الباب ـ وقبل الحديث عن الحروف المشربة ـ بابَين هما: (باب الوقف في آخر الكلم المتحرِّكة في الوصل التي لا تَلْحقُها زيادةٌ في الوقف)، و (باب الساكن الذي يكونُ قبل آخر الحروفِ فيُحرَّكُ لكراهيتهم التقاء الساكنَين).
(2) العين 4/ 10 .

ومِن هنا لقَّب سيبويه الأصواتَ المجهورةَ بـ: (**المُشْرَبة**)، وجعَل ذلك مُلْحقاً بالباب الكبير الذي سمَّاه: (هذا بابُ الوَقْفِ في آخرِ الكلمِ المتحرِّكةِ في الوَصْل)[1]. وهو من المواضعِ الدَّقيقةِ التي تَكشِفُ عن علاقةِ كلام سيبويه في الكتاب مع كلام أستاذه الخليلِ في العين الذي تقدَّم قبلُ في تعريفه للهمس.

قال سيبويه:"واعلمْ أنَّ من الحروفِ حروفاً **مُشربةً** ضُغِطتْ مِن مواضِعِها... وذلك القاف والجيمُ والطاءُ والدالُ والباء... ومِن **المُشربةِ** حروفٌ إذا وقَفْتَ عندها خَرَجَ معَها تحوُ النفخةِ... وهي الزَّايُ والظاءُ والذَّالُ والضَّادُ... ومِنها حروفٌ **مُشربةٌ** لا تَسْمَعُ بعدَها في الوَقْفِ شيئاً مِمَّا ذكَرْنا... وذلك اللام والنُّون... وكذلك الميم... وكذلك العينُ والغينُ والهمزةُ... والرَّاءُ نحو الضَّاد"[2].

فذَكَرَ ستةَ عشرَ صوتاً صحيحاً مجهوراً لقَّبَها بالمشْرَبةِ، وذكَر من هذه الستة عشرَ تسعةَ أصواتٍ لها متمِّماتٌ يستَعمِلُها العربُ عند الوقف عليها؛ خمسةٌ منها تُضغطُ في مخارجِها ويَلْحَقُها صُويتٌ، وهي حروف القلقلة (ق ط ب ج د)، وأربعةُ أصواتٍ تَجِدُ منفذاً لصَوتِها سمَّاهُ: نحو النَّفخة، وهي: (ظ ذ ز ض). أمَّا باقي الأصوات الصحيحة المجهورة فلا يَلْحقُها شيءٌ من صُويتٍ أو شبه نفخٍ عند الوقف عليها.



شكل رقم (53) امتناع إتباع صوت الهمزة بقلقلة أو نفَس عند القراء

وهذه الأصوات تهتزُّ معها الأوتارُ الصَّوتيَّةُ إذا أخَذْنا بالاعتبار كلَّ مراحلِ الصَّوتِ، إلاَّ في صوتٍ واحدٍ نبَّه عليه سيبويه وهو الهمزة، فهي من الحروف الشديدة لكنَّها لا تَمْلِكُ مرحلةَ إطلاقٍ بعد الحبس عند الوقف عليها كما ملَكَتْهُ حروفُ القلقلة، ولذلك وصَفَها سيبويه بأنَّها أخفى الحروف في الوقف[3]، ممَّا يزيد تأكيداً بأنَّ جَعْلَهُ إيَّاها من المشربةِ (المجهورة) محمولٌ على حال التحرُّك.

ويَشهدُ كلامُ سيبويه في الهمزة لنُطق القرَّاء المجيدين اليوم في كَونِهم لا يُتْبِعون الهمزةَ الساكنة في الوصلِ أو الوقف بشيءٍ من قلقلة أو نفَس، بل يُقَوُّون الضَّغط على ما قبلَها حتى يَظهرَ صوتُها.

ويُمثِّل شكل رقم (53) امتناع إتباع صوت الهمزة بقلقلة أو نفَس عند القراء في الوقف على الكلمة القرآنية: [مَن نَّشَاء] ساكنة الهمزة. لاحِظ منحنى الشدَّة في أسفل الرسم الطيفيّ، وتتبَّع سيرَ حرف المدّ

(1) الكتاب 4/ 166 . وفرَّع سيبويه عن هذا الباب . وقبل الحديث عن الحروف المشربة . بابَين هما: (باب الوقف في آخر الكلم المتحرِّكة في الوصل التي لا تَلْحقُها زيادةٌ في الوقف)، و (باب الساكن الذي يكونُ قبل آخر الحروفِ فيُحرَّكُ لكراهيتهم التقاء الساكنَين).
(2) الكتاب 4/ 174 - 175 .
(3) الكتاب 4/ 177 .

ستَجِدُ قفزةً طفيفةً في آخره، وتمثِّل هذه القفزةُ الضغطَ الذي قام به القارئ على آخر صوتِ المدّ.

بقِيَ على سيبويه كيفيَّة الوقف على حروفِ المدِّ واللِّين ذكَره بعد ذلك بقولِه:" هذا بابُ الوقفِ في الواو والياءِ والألف، وهذه الحروفُ غيرُ مهموساتٍ، وهي حروفُ لِينٍ ومَدٍّ، ومَخَارجُها متسعةٌ لهواءِ الصَّوت، وليس شيءٌ من الحروف أوسعَ مخارجَ منها، ولا أمَدَّ للصَّوت، فإذا وقَفتَ عندها لم تَضُمَّها بشَفَةٍ ولا لِسَانٍ ولا حَلْقٍ كضَمّ غيرِها؛ فَيَهْوِي الصَّوتُ إذا وجَدَ مُتَّسَعاً حتى يَنقَطِعَ آخرُه في مَوضعِ الهمزة"[1]. مِمَّا يَزيدُ تأكيداً على تأكيدٍ أنَّه يتحدَّثُ عن عنصُرِ الجَهْر فيما مضى وفي هذا، غَير أنَّ المُلْفِتَ للنَّظَرِ أنَّهُ لم يَنْعَتْ حروفَ المدِّ بـ: (المشْرَبَة) ؟

ويَرْجِعُ ذلك ـ في نَظَرِي ـ إلى أنَّ حديثَهُ عن الإشْرَابِ في الأصواتِ الصَّحيحةِ المجهورةِ مرتبطٌ عندهُ بتصوُّرِ اقترانِ الصَّوتِ الصَّحيح بالحركةِ، أي: في حالِ التحرُّك بدليل البابِ الرَّئيسِ المعقودِ لها، وإنَّ استصحابَ قَولِهِ في العنوان: (المتحرِّكة في الوصْلِ) عند قراءةِ هذا الموضِعِ هو المعينُ على فهم كلامِه؛ لأنَّه قد سَبَقَ أنَّ الجَهرَ والهَمْسَ مُرتبطانِ عنده بحال التحرُّكِ[2].

والذي خَلَصْتُ إليه في مصطلح: (المشْرَبة) هو أنَّ الأصواتَ الصحيحةَ المجهورةَ ـ عند اقترانِها بالحركةِ ـ **مُشْرَبَةٌ** صَوْتَ الصَّدْرِ بنفسِها أو بالحركةِ التي تَصْحَبُها، أمَّا حروفُ المدِّ ـ وهي من جنس الحركات ـ فهي عَيْنُ صَوتِ الصَّدْرِ، فلا يَحْتاجُ إلى وصْفِها بالمشْرَبةِ، والدَّليلُ على ذلك إطلاقُ سيبويه على الحركاتِ لفظَ: (صوتِ الصَّدْرِ) في قولِهِ للأخفش:" فإذا قلتَ شَخْص، فإنَّ الذي أزجَى هذه الحروفَ صوتُ الفم، ولكنَّك تُتْبِعُ صوتَ الصَّدْرِ هذه الحروفَ بعدما يُزْجِيها صوتُ الفم؛ لِيَبْلُغَ ويُفْهَمَ بالصَّوت"[3]، والله أعلم.

ذكَر سيبويه عن هذه الحروف أنَّها ممتدَّةُ للصَّوت، فليس لها مقطعٌ تَقِفُ عندهُ، ولا يَنقطعُ الصَّوتُ إلا في مكان الهمزة، أي مكان بدء التصويت، وذلك بكفِّ الأوتار الصَّوتيَّة عن الاهتزاز.

2 ـ الوقف على الحروف المهموسة:

ذكَر سيبويه أنَّ الوقف على الحروف المهموسةِ يكون مع نَفخٍ، وأن هذا النَّفخَ يُشبِه نفَس الحرفِ أثناء ارتباطِه مع الحركة، فنفَسُ الفاء والكاف في قولك: (فَا و كَا) هو كالنَّفخِ في: (اِفْ، واِكْ)، ممَّا يَزيد من أهمِّيةِ استصحابَ قَولِهِ في العنوان: (المتحرِّكة في الوصْلِ) لفهم هذا الموضعِ.

قال سيبويه:"وأمَّا الحروف المهموسةُ فكلُّها تَقِفُ عندها مع نَفخٍ؛ لأنَّهنَّ يَخرُجنَ مع التنفُّس لا صوت

(1) الكتاب 4/ 176 .

(2) لأخذِ صورة كاملةٍ عن هذا الموضع انظر المصطلحات التالية: (الاعتماد)، (المقطع)، (النَّفخ)، (شبه النَّفخ).

(3) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 130 نقلاً عن شرح كتاب سيبويه للسيرافيّ.

الصَّدرِ، وإنَّما تنسلُّ معه، وبعضُ العربِ أشدُّ نَفْخاً، كأنَّهم الذين يَرُومون الحركة، فلا بدَّ من النَّفخِ؛ لأنَّ النَّفَسَ تَسْمَعُهُ كالنَّفخ"(1).

وهذا من المواضع التي تَشْهَدُ بصحَّةِ ما يَقرؤه القراء اليوم من إتباعِ جميع الحروف المهموسة بنفخٍ أثناء الوقف، بل والسَّاكنَ في الوصل.

وقولُ سيبويه عن الحروف المهموسةِ إنَّها تَنْسلُّ مع صوت الصَّدر يُذكِّرنا بقولِه الذي تقدَّم:" فإذا قلتَ شَخْص، فإنَّ الذي أزجَى هذه الحروفَ صوتُ الفم، ولكنَّك تُتْبِعُ صوتَ الصَّدْرِ هذه الحروف بعدما يُزْجِيها صوتُ الفم؛ لِيَبْلُغَ ويُفْهَمَ بالصَّوت"(2)، والله أعلم .

وهذه المتمِّماتُ للحروفِ أعني: القلقلةَ وشبهَ النفخِ والنَّفخَ تُعَدُّ من مشخِّصات الصَّوت اللُّغويّ ولوازمِه عند المتقدِّمين لا أمراً خارجاً عنه، قال ابن جنيّ: "فإن قلتَ: فقد نَجِدُ من الحروف ما يَتْبَعُهُ في الوقف صوتٌ، وهو مع ذلك ساكنٌ... قيلَ: هذا القَدْرُ من الصَّوتِ إنَّما هو مُتَمِّمٌ للحرفِ ومُوَفٍّ له في الوقفِ، فإذا وصَلْتَ ذَهَبَ أو كادَ... ومع ذلك فإن هذا الصَّوتَ اللاَّحِقَ... إنَّما هو بمنزلةِ الإطباقِ في الطاء، والتكريرِ في الرَّاء، والتفشِّي في الشين، وقوَّةِ الاعتماد في اللاَّم.

فكما أنَّ سواكنَ هذه الأحرُفِ إنَّما تُكالُ في ميزانِ العَروضِ الذي هو عيارُ الحسِّ وحاكمُ القِسمةِ والوضْعِ بما تُكالُ به الحروف السواكنُ غيرها، فكذلك هي أيضاً سواكن. بل إذا كانت الراءُ . لما فيها من التكرير . تجري مجرى الحرفَين في الإمالة، ثمَّ لا تُعَدُّ في وزنِ الشِّعر إلاَّ حرفاً واحداً، كانت هذه الأحرفُ التي إنَّما فيها تَمامٌ وتوفيةٌ لهذا أَحْجَى بأن تُعَدَّ حرفاً لا غيرَ"(3).

5 . الجهة الخامسة: حروف الجهر والهمس:

عدَّ سيبويه حروفَ الجهرِ والهمس، فقال:"فأما المجهورةُ: فالهمزةُ، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والرَّاءُ، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعةَ عشرَ حرفاً.

وأمَّا المهموسة: فالهاء، والحاءُ، والخاءُ، والكاف، والشِّينُ، والسِّينُ، والتاء، والصَّادُ، والثاءُ، والفاء، فذلك عشرةُ أحرُفٍ"(4).

وتَفنَّنَ العلماءُ من بعدِهِ في جَمع هذه الحروف في كلمةٍ أو عبارة تسهيلاً للحفظ، فالرمَّانيُّ جمَعَ

(1) الكتاب 4/ 175.

(2) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 130 نقلاً عن شرح كتاب سيبويه للسيرافيّ.

(3) الخصائص 2/ 328 - 329 .

(4) الكتاب 4/ 434 .

الحروف المهموسة في قول: (سَتَشْحثُكَ خَصَفَهْ)[1].

وتابعَه: ابن جنيّ[2]، ومكيّ[3]، والقرطبيُّ[4]، والخفاجيُّ[5]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ، وأبو البركات ابن الأنباريّ[6].

وزاد مكيّ: (سَكَتَ فَحثَّهُ شَخْصٌ)[7].

وتابعه القرطبيُّ[8]، والخفاجيُّ[9]، وابن الطحان الأندلسيُّ[10].

وزاد مكيٌّ أيضاً: (كست شخصه فحث)[11].

وجمَعَها الدانيُّ في: (كسف شخصه تحث)[12].

وقال أبو العلاء الهمذانيُّ:"فالمهموسُ عشرة يَجمَعُها قولُك: سَتَشْحَثُكَ خصَفَهْ، وإن شئتَ: شَخَصَ فسَكَتَ حَثُّهُ، وإن شئتَ: شَحْصَكَ فاستَحَثَّهُ، وإن شئتَ: حَثَّهُ شَخْصٌ فَسَكَتَ"[13].

وجَمَع الدانيُّ **الحروفَ المجهورةَ** في عبارة: (ظل قيد بضغم زر بطا وإذ نعج)[14].

وجَمَعها أبو العلاء الهمَذانيُّ في عبارة: (زَادَ ظَبْيٌ غَنِجٌ لِي ضُمُوراً إذْ قَطَع)[15].

وجَمَعها أبو البركات ابن الأنباريّ في عبارة: (مد غطاء جعظر وقل ند ضيزن)[16].

6 . الجهة السادسة: قواعد في الجهر والهمس:

(1) شرح كتاب سيبويه 191/ ب .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 60 .
(3) الرِّعاية ص 116 .
(4) الموضح ص 88 .
(5) سر الفصاحة ص 20 .
(6) أسرار العربية ص 209 .
(7) الرِّعاية ص 116 .
(8) الموضح ص 88 .
(9) سر الفصاحة ص 20 .
(10) مخارج الحروف وصفاتها ص 124 .
(11) الرِّعاية ص 116 .
(12) التحديد ص 105 .
(13) التمهيد ص 280 .
(14) التحديد ص 105 .
(15) التمهيد في معرفة التجويد ص 280 .
(16) أسرار العربية ص 209 .

. **(بعضُ العرب أشدُّ نَفخاً عند الوقفِ على المهموس)**: سيبويه[1].

. **(بعضُ العرب أشدُّ صوتاً عند الوقفِ على حروف القلقلةِ وشبه النَّفخ)**: سيبويه[2].

. **(المهموسُ أخفُّ من المجهور)**: سيبويه[3]، أبو جعفرٍ النحَّاس[4]، الرمَّانيُّ[5].

. **(تكريرُ الحرفِ مع الحركةِ أو مع حرف المدِّ يَكشِفُ المجهورَ من المهموس)**: المبرِّدُ[6]، وابن جنيّ[7]، والقرطبيُّ[8]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[9].

. **(التقاءُ المهموسَين أخفُّ من التقاء المجهورَين)**: المبرّد[10].

. **(المجهورُ مع المجهورِ أخفُّ على اللِّسانِ منه مع المهموس)**: أبو بكر ابن الأنباريّ[11]. (من رأي الكوفيين).

. **(يَخْفَى المهموسَان بالإدغامِ فيَضعُفَان)**: ابن خالويه[12].

. **(يَغْلِبُ القويُّ على الضَّعيفِ والمجهورُ على المهموس)**: ابن خالويه[13].

. **(تُبدَلُ تاءُ الافتعالِ دالاً إذا كانت الفاءُ حرفاً مجهوراً)**: أبو عليّ الفارسيّ[14].

مثال: الكلمة القرآنيَّة [تدَّخِرون] أصلُها تَذْتَخِرُون على وزن تَفْتَعِلُون: أُبدلتْ تاءُ الافتعال دالاً حتى تُناسب الذَّال في الجهر، ثمَّ أدغمت الذَّالُ في الدال.

. **(المهموسُ يُقَرَّبُ من المَجْهُورِ بأن يُبدَلَ مجهوراً لا العكس)**: أبو عليّ الفارسيّ[15].

---

(1) الكتاب 4/ 175 .
(2) الكتاب 4/ 174 .
(3) الكتاب 4/ 449 .
(4) إعراب القرآن 2/ 197 .
(5) شرح كتاب سيبويه ل 197/ ب .
(6) المقتضب 1/ 331 .
(7) سر صناعة الإعراب 1/ 60 .
(8) الموضح ص 88 .
(9) التمهيد ص 280 .
(10) المقتضب 1/ 344 .
(11) الأضداد ص 410 .
(12) الحجة ص 156 .
(13) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص 214 .
(14) التكملة ص 244 .
(15) الحجة 2/ 75 .

. **(المجهورُ أزيدُ وأقوى صوتاً من المهموس)**: أبو عليّ الفارسيُّ[1]، وابن جنيّ[2].

. **(المجهورَةُ أقوَى من المهموسَة، وبعضُها أقْوَى من بَعضٍ)**: مكيّ[3].

. **(بعضُ المهموسةِ أضعفُ من بعضٍ، وأقواهما الصادُ والخاءُ)**: مكيّ[4].

. **(الجَهْرُ من علاماتِ قوَّة الحرف، والهمسُ من علامات ضعفِه)**: مكيّ[5].

. **(المهموس أضعف من المجهور في النطق والمخرج)**: مكيّ[6].

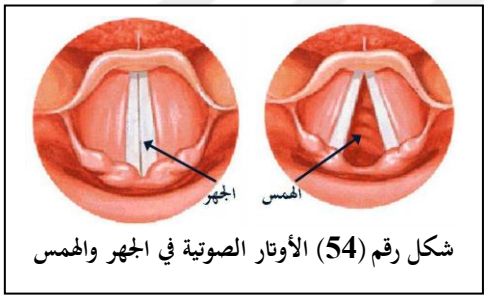
. **(تخليصُ الأصواتُ المهموسةُ إذا لَقِيَت المجهورةَ، والمجهورةُ إذا جاورتْها المهموسةُ؛ لئلاَّ يَنقلِب المجهورُ إلى المهموس، ويَدْخُلَ المهموسُ على المجهور)**: الدانيُّ[7]، وعبد الوهَّاب القرطبيُّ[8].

. **(الفرارُ من الجمْعِ بين المهموسَين)**: القرطبيّ[9].

. **(المجهورُ أولى بالبيان من المهموس)**: السهيليّ[10].

7 . الجهة السَّابعة: الجهر والهمس عند أصحاب المدرسة العقلية:

عرَفَ أصحابُ المدرسةِ العقليَّة شكل الأوتار الصَّوتيَّة أثناء التصويتِ وهو وضعُ الجهر، وأثناء التنفُّسِ ويُشبِهُه وضعُ الهمس، فوصَفَ عليّ بن العباس المجوسيّ الطبيبُ تلك الهيئتَين، فقال:"والصَّوتُ لا يُمكِنُ أن يَكُونَ حتى يَنطَبِقَ مجرى الحَنجرة، ولذلك متى كان مجرى الحَنجرة مفتوحاً لم يُمكِن أن يكون صوتٌ البتة؛ **بل إن كان خروجُ الهواء قليلاً قليلاً كان من ذلك النَّفَسُ الذي لا يكون معه صوتٌ...**



شكل رقم (**54**) الأوتار الصوتية في الجهر والهمس

فأما كَونُ الصوت فيَحتاجُ فيه إلى أن يَصعَدَ من الصّدر هواءٌ كثيرٌ دفعةً، وأن يكون مسلكُه في الحَنجرةِ مع ضِيقٍ؛ يَبتدِئُ من سَعةِ المَجرى إلى

(1) الحجة 4/ 5 .
(2) المحتسب 1/ 59 .
(3) الرّعاية ص 116 .
(4) الرّعاية ص 116 .
(5) الرّعاية ص 118 .
(6) الرّعاية ص 109 .
(7) التحديد ص 131 .
(8) الموضح ص 190 .
(9) الموضح ص 187 .
(10) نتائج الفكر ص227 .

ضيقٍ، ثم إلى سعةٍ، قليلاً قليلاً"[1].

ويُمثِّلُ شكل رقم (54) الأوتار الصوتية في الجهر والهمس في أكثر الأصوات.

وإذا كنَّا قد عرَفنا أنَّ وظيفةَ الأوتار الصَّوتيَّة ذكَرَها المتقدّمون، في قول ابن سينا:"وخُلِق لأجل التصويت الشيءُ الذي يسمَّى: (لسان المزمار)، يتضايَق عنده طرفُ القصَبة ثمَّ يتَّسع عند الحنجرة، فيبتدئ من سَعةٍ إلى ضِيق، ثم إلى فضاءٍ واسع، كما في المزمار، **فلا بدَّ للصَّوت من تضييق المَحْبس. وهذا الجِرمُ الشبيهُ بلسان المزمار من شأنه أن ينضمَّ وينفتحَ؛ ليكون بذلك قرعُ الصَّوت**"[2].

وقول ابن مَلْكا البغداديُّ عن الحَنجرة والأوتار الصوتيَّة:" وهي آلةُ التصويت كرأس المزمار، **ولها لسانٌ كلسان المِزمار؛ ليَقْتَطِع الهواءَ في التصويت**"[3].

وعرَفنا أيضاً أنَّ تفسير نظريَّة اهتزاز الأوتار الصَّوتيَّة حديثاً يقوم في أحد أجزائه على ذات التشبيه الذي ذكره المتقدِّمون، أعني التشبيهَ بلسان الآلات الموسيقيَّة الهوائيَّة (كالمزمار، والناي). وتندرج معظمُ الأبحاث والتجارب والملاحظات الاختبارية على نطاقِه[4].

وأنَّهم أدرَكوا كثيراً من الجوانبِ الفيزيائيَّةِ للصَّوت كما قدَّمتُ في الفصل الثاني، فلا أدري ما الذي منعَهم أن لا يَخْطُوا الخطوة الكبرى فيذكروا شيئاً عن العلَّة في الوضوحِ السَّمعيِّ لبعض الأصوات دون البعض الآخَر ؟!

سؤالٌ ما زلتُ لا أجِدُ له جواباً إلى الآن، غير أنِّي أخَمِّنُ أنَّ نظريَّتهم العامَّة في الحدَّة والثِّقل في الأصوات قد حلَّتْ لهم هذا الأمر، والله أعلم.

8 ـ الجهة الثامنة: الخلاف بين المتقدِّمين والمعاصرين في الجهر والهمس:

إنّ سببَ خلاف المعاصرين مع المتقدِّمين من أئمَّةِ العربية والتجويد في الجهر والهمس يَكْمُنُ في الأخذِ بشيءٍ من كلام المتقدِّمين وإهمال شيءٍ آخَر، فممَّا مضى نُدركُ أنَّ المتقدِّمين يَعنُون **بالصَّوت المهموس**: الصَّوتَ الذي يُصاحبه هواءُ النَّفَس ويكون خالياً من صَوتِ الصَّدر (الأثر الرنينيّ لاهتزاز الأوتار الصَّوتيَّة)، و**بالصَّوت المجهور**: الصَّوتَ الذي يَجري بصوت الصَّدر، ولا يُصاحبُهُ هواءُ النفس.

مفهومُ المستشرقين والدارسين المعاصرين من العرب لمصطلح: (الهمس) يعني عدم اهتزاز الأوتار الصَّوتيَّة، سواء جَرى هواءُ النفسِ مع الحرفِ أم لم يَجْرِ، وهذا المفهومُ يتَحقَّقُ في نوعين من أصوات

(1) كامل الصناعة الطبية 1/ 120.

(2) القانون في الطب 2/ 1121 - 1122.

(3) المعتبر في الحكمة 2/ 264.

(4) انظر: علم الأصوات العام لبسام بركة هامش ص 63 - 64 .

الحروف:

1 ـ الحرف الرِّخو النفَسيّ الخالي من اهتزاز الأوتار الصوتية (aspirated): (ف ح ث هـ ش خ ص س).

2 ـ الحرف الشديد (الوقفيَّ) الذي لا تحتوي حبستُهُ (pause) على أيّ طاقةٍ صوتية، وتَظهَرُ على المرسمِ الطيفيّ على هيئة فراغٍ تَنعَدِمُ فيه الطاقة الصَّوتيَّة، وبدَهيٌّ أنَّ هذا الاحتباس خالٍ من اهتزازِ الأوتار الصَّوتيَّة، ويكونُ ذلك في خمسةِ أصواتٍ فقط هي: (ق ط ء ك ت). أمَّا باقي الأصوات الشديدة، وهي الجيم والدال والباء فتحتوي حبساتُها على طاقةٍ صوتية وتهتزُّ خلالها الأوتار الصَّوتيَّة.

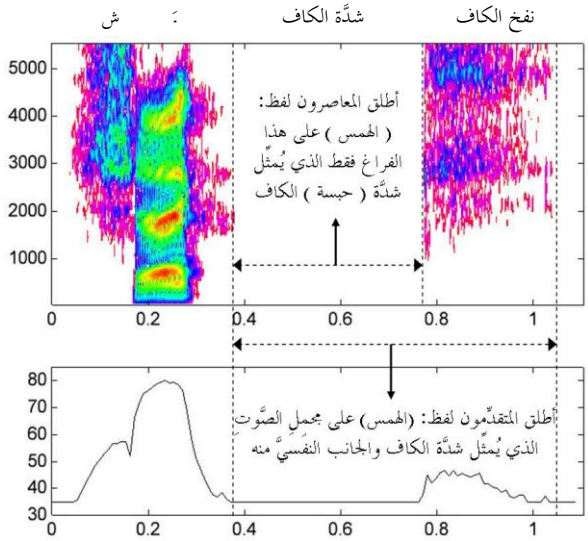
أخذ المستشرقون والدارسون المعاصِرون فكرةَ المتقدِّمين عن صوت الصَّدر؛ لأنَّها تُوافِقُ مفهومَهم (اهتزاز الأوتار الصَّوتيَّة)، وبنَوا عليه تصوُّرَهم الكبير في المجهور والمهموس دون أن يُعيروا اهتماماً للجانب النفَسيّ وأهمّيته عند المتقدِّمين في الجهر والهمس، ولم يعتدُّوا في التصنيف بما يُصاحبُ هذه الحروف من الحركات أوما يَلحقُها من متمِّماتٍ مجهورةٍ كأصوات القلقلة؛ لأنَّهم أسقَطوا في البداية فكرة التصنيف بحسب المقطعِ الصَّوتيّ.

فاتفَقَ المعاصِرون مع المتقدِّمين ـ نتيجةً لا مفهوماً ـ في جميعِ الأصوات المهموسة التي يُشكِّلُ عنصر النَّفَس جزءاً منها، وتكون خاليةً بالطَّبع من اهتزاز الأوتار الصَّوتية، وهي: (فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَت).

واختلفوا معهم في ثلاثة أصواتٍ شديدةٍ لا يُشكِّلُ عنصرُ النَّفَسِ جزءاً منها، حسب وصف المتقدِّمين ونُطق مجيدي القراءة اليوم، وهي القافُ والطاءُ والهمزة؛ لأنَّ المعاصِرين ـ كما ذكرتُ ـ يَنظُرونَ إلى حبسةِ الأصوات الشديدة فقط كمرحلةٍ حاسمةٍ عند التصنيف إلى مجهورٍ ومهموسٍ، ولا يعتدُّون بمرحلة إطلاق الصَّوت، مع تنبيههم بأنَّها عنصرٌ مهمٌّ من عناصرِ نُطقِ الأصواتِ الشديدة[1]!!

وكان اتفاقُهم معهم في الكافِ والتاء، مع أنَّ حبستَهما مشابهةٌ لحبسة الثلاثة، أعني القافَ والطاءَ والهمزةَ، لما كان هواءُ النَّفَس يُشكِّلُ جزءاً منهما، فَظَهَر الأمرُ على الاتِّفاق في الحكم، وإن كان كلٌّ من الفريقَين يَنظُرُ من زاوية.

ولتقريب الأمر فإنِّي سأشرحُ على المرسمِ الطيفيّ هذا الاختلاف في التصنيف بين



شكل رقم (55) مفهوم الهمس بين المتقدِّمين والمعاصرين

(1) انظر: مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان ص

المتقدِّمين والمعاصرين، من خلال الوقفِ على كلمة: [شَكٍّ] من قوله تعالى: [بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِن ذِكْرِي] [ص: 8].

انظر: شكل رقم (55) مفهوم الهمس بين المتقدِّمين والمعاصرين.

لاحِظْ أنَّ المعاصِرين يُطلِقون لفظَ (الهمس) على الفراغ الذي يُمثِّلُ حبسةَ الكاف ـ وقِس عليها حبسة الهمزة والقاف والطاء والتاء ـ على حين أنَّ المتقدِّمين يأخذون مُجْمَل الصَّوت بحبسته وإطلاقه معتدِّين بالجانبِ النَّفَسيّ منه عند التصنيف إلى صوتٍ مهموس، والصَّوتيّ عند التصنيفِ إلى مجهورٍ، والأصلُ في ذلك كلِّه مبنيٌّ على حال التحرُّك ووجود الصَّوت مع الحركة، كما أسلفتُ.

ومن هذا الاختلاف في المفهوم يُعرَفُ ـ بكلِّ وضوحٍ ـ أصلُ الخلافِ الذي أدَّى بالمحدَثين إلى التشكيكِ في النَّقلِ الصَّوتيّ للقرآن المجيدِ، وكدِّ الذِّهن واختراع التفسيرات في افتراضِ أصلٍ لهذه الأصوات. وخلاصة الأمر أنَّ مصطلح الهمس غدا من المشتركِ اللَّفظيّ بين المتقدِّمين والمعاصرين من أصحاب الداراسات الصوتية، كُلٌّ ينظُرُ إليه من زاوية، والله الهادي إلى سواء السَّبيل.

الصفات المتعلِّقة بمرور الصَّوت في المخرج

مرور الصوت في المخرج والحبس ونوعيته:

الصوت عند مروره في المخرج له ثلاث حالات:

1 ـ **الاحتباس الكامل للصَّوت**: نتيجة المقاومة العنيفة من عُضوي النطق، وفي هذه الحالة لا يَلبَث الصوتُ أن يَحتال لأمره في كيفية الخروج، فيهتدي إلى إحدى طريقتَين:

أ ـ أن يَضْطرَّ الصَّوتُ عضوي النطق وتحت تأثير ضغط هواء الحرف المحبوس خلفهما إلى الانفتاح بقوَّة، واندفاع الهواء فجأة، وذلك في حروف (أجد قط بكت) اللهمَّ إلا في صوت الهمزة عند السُّكون.

ب ـ أن يجد الصَّوتُ منفذاً غيرَ نقطةِ الحَبْس يَنفُذُ منه، وذلك في حروف: نَرْمُل.

2 ـ **الاحتباس الجزئيّ للصَّوت**: أن يمرَّ مع وجود مقاومة تُعاوقُه من عضوَي النطق، لكنها تَسْمَحُ بمرورِه، وذلك في كلِّ الحروف الرِّخوة ومعها العَين مع شدَّة في ذلك.

3 ـ **حرّية مرور الصَّوت**: أن يمرَّ بحرّية شبه تامَّة دون اعتراضٍ معتَبَرٍ من عضوي النُّطق في الواو والياء المدّيتين، وباعتراضٍ ليِّنٍ في غير المديَّتَين. أو يمرَّ بحرّية تامة دون أي اعتراضٍ حقيقيٍّ من عضوي النُّطق، وذلك في الألف والغنَّة.

ودارت مصطلحاتُ العلماء على وصفِ هذه الحالات.

الحالة الأولى: الصفات الدالَّة على الاحتباس الكامل للصَّوت

استُعمِل للتعبير عن هذا الحبس الشديد عدَّة مصطلحات، منها: (الشدة)، (الاحتباس التامّ)، (الحَصْر)، (اللُّزوم).

ولقِّبتْ حروفُه بعدَّة ألقابٍ، منها: (الشَّديدة)، و(الأخرس) في فهم بعض العلماء، و(الحروف المفرَدة).

1 . المصطلح الأوَّل للاحتباس الكامل للصَّوت: (الشديد، الشِّدَّة)

يدلُّ أصلُه اللُّغويّ على قوّةٍ في الشيء[1].

استعمله من العلماء: سيبويه، والمازنيُّ[2]، والمبرِّد، وابن دريد[3]، والرمَّانيُّ[4]، وابن جنيّ[5]، ومكيّ[6]، والدانيُّ[7]، والقرطبيُّ[8]، وابن الطحَّان الأندلسيُّ[9]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[10].

قال سيبويه:"ومن الحروفِ الشَّديدُ: وهو الذي يَمْنَعُ الصَّوتُ أن يَجريَ فيه، وهو الهمزةُ، والقافُ، والكافُ، والجيمُ، والطاءُ، والتاءُ، والدَّالُ، والباءُ. وذلك أنَّكَ لو قُلتَ: الحَجّ، ثمَّ مَدَدْتَ صَوْتَكَ لم يَجْرِ ذلك"[11].

نُلاحِظُ من التعريفِ أنَّ سيبويه استَعمل لحبس الصَّوت في المخرج لفظ (**منع الصوت**)، وفي مواضع أخرى من كتابه استَعمل: (**الحَصْر**)، و(**الاعتراض على الصَّوت**)[12]، و(**اللُّزوم**)، ويعني بهذا الأخير لزوم العضو الناطق مخرجَه بحيث يَقفُ كالسدِّ والجدار في وجه الصَّوت، ودارتْ أكثر تعريفات العلماء الذين ذُكِروا على ألفاظه. وقد تقدَّم الحديث عن مصطلح (**اللُّزوم**) واستعمالاته، وسيأتي الحديث عن مصطلح (**الحَصْر**) بعد هذا المصطلح.

(1) مقاييس اللُّغة ص 501 (ش د د).
(2) نقَل ذلك عنه مكيّ في الرعاية ص 143 .
(3) الجمهرة 1/ 8 .
(4) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب .
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 61 .
(6) الرعاية ص 117 .
(7) التحديد ص 105 .
(8) الموضح ص 89 .
(9) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .
(10) التمهيد ص 280 .
(11) الكتاب 4/ 434 .
(12) الكتاب 4/ 435 .

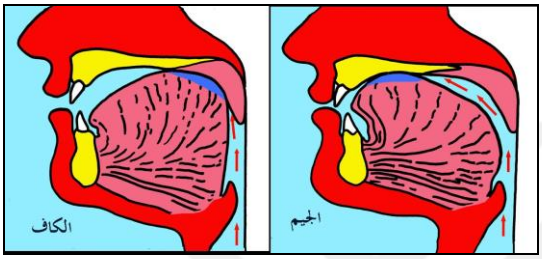
وبقراءة هذه المصطلحات جميعاً نَخلُصُ إلى أنَّ الصوت الشديد عند سيبويه لابدَّ أن يتوفَّر فيه شرطان:

1 . لُزُومُ العُضوِ النَّاطِقِ مَوْضِعَهُ، بحيث يَقف كالسَّدِّ والجدار أمام الصَّوت.

2 . منع الصَّوت من الجرَيان.

ويُوضِّح شكل رقم (56) شدة الجيم والكاف، ولاحظ منع المخرج للصَّوت من المرور.

ونلاحِظ أنَّ المثالَ الذي أتى به سيبويه لوصفِ هذا الاحتباس . في التعريف . هو صوتُ الجيم، فلا يَدخُل في هذه المرحلة صفةُ القلقلة، ولا صفةُ التركيب التي يريدها بعضُ المعاصرين له؛ لأنَّ هاتَين الصِّفتَين إنَّما توجَدان لحظةَ انفتاح مخرجِ الجيم[1].



شكل رقم (56) شدة الجيم والكاف

وقال المبرِّدُ عن الحروف الشديدة بأنَّك"إذا لَفَظْتَ بها لم يَتَّسِع مخرجُ النَّفَسِ معها"[2].

وقد ذكَرْتُ في مصطلح: (النَّفَس) أنَّ من العلماء مَن استعمله بمعنى الهواء الفاعل للصَّوت، فلعلَّه كذلك، والله أعلم.

وذكَر مكيٌّ أنَّ الشدَّة من علامات قوَّة الحرف[3].

وعرَّفَ أبو البركات ابن الأنباريّ الحروفَ الشديدة بأنَّها:"حروفٌ **صُلْبَةٌ** لا يَجري فيها الصَّوتُ"[4]. فاستَعمل مصطلح (الصَّلابة)، وسيأتي الحديث عنه.

عدَّ سيبويه ثمانية أصوات شديدةٍ . كما في تعريفه . جمَعها بعضُ العلماء في عبارات ليَسهل حفظُها، ولخَّصها أبو العلاء الهمَذانيُّ بقوله:"وهي ثمانية أحرفٍ يَجمعها قولك: أَجَدتَ طَبَقَك، وأجِدُكَ طَبَّقتَ، وأَتُطبِقُ جَدَّكَ، وأَطْبَقْتُكَ جدّاً، وأَطَقْتُ جَدْبَكَ"[5].

(1) أثبتُّ في رسالة الماجستير وجودَ أثرٍ احتكاكيٍّ عند انفتاح مخرج الجيم. وبيَّنت أن هذا الأثر أبطأ من سرعة انفتاح المخرج. (راجع ص 144 وما بعدها). لكن تبقى صفة اعتبار الصوت مركَّباً أم غير مركبٍ هي الناحية الأهم في الموضوع ، خاصة وأنَّ بعض الصوتيّين المعاصرين يرفضون الاعتراف بالطبيعة المركَّبة لمثل هذه الأصوات، منهم ماريوباي (انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص284).

(2) المقتضب 1/ 331 .

(3) الرعاية ص 117 .

(4) أسرار العربية ص 210 .

(5) التمهيد ص 280.

وذكَر سيبويه ـ غير هذه الثمانية ـ أربعةَ أصواتٍ أخرى قال عنها إنَّها شديدةٌ لكنَّها تَجِدُ منفذاً لصَوتِها، وهي اللاَّمُ، والراءُ، والميمُ، والنُّون[1]، وسيأتي ذِكْرُها في الحروف التي بين الشديدة والرِّخوة.

وقد ذكر بعضُ المتقدِّمين اختلاف أصوات الشدة في درجة الحبس، فذكَرَ ابنُ دُريدٍ أنَّ التاءَ تَنقَطِعُ بِجَرسٍ قَويٍّ، والدَّالَ تَنقطِعُ بجرسٍ لَيِّنٍ[2].

وتابعه: ابن جنيّ[3]. وقال في موضعٍ آخَر:"وكذلك الطاءُ والتاءُ: هما أقوى من الدال؛ وذاك لأنَّ جَرْسَ الصَّوتِ بالتاءِ والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه وأظهَرُ عند الوقوف على الدَّال"[4].

وكذلك ذكَر ابنُ سينا أنَّ الطاءَ مثل التاء في الشدَّة، وأنَّ حبسَ الدَّال مثلُ التاءِ في الكَمِّ وأضعفَ منه في الكَيف[5].

ولعلَّ هؤلاء أحسَّوا بأنَّ الأصوات التي لا تَهتزُّ معها الأوتار الصَّوتيَّة أثناء الحبس ينقطع الصَّوتُ فيها فجأة ويكونُ الضَّغط قويّاً على المخرج كالطاء والتاء والهمزة، على حين أنَّ ذلك الضَّغط يَخِفُّ في الدَّال والباءِ والجيمِ على الرَّغم من وضوحها بسبب اهتزاز الأوتار الصَّوتيَّة في ذلك الحبس، فوصفوها بذلك الوصف.

وهذه النُّصوصُ تَشهَدُ لنطق القراء الحاليّ بالطاءِ، وتَقِفُ حجَّةً في وجهِ مَن يقولُ إنَّ أصلَها ضادٌ أسنانيَّة؛ لأنَّ الضَّاد الأسنانيَّة مثل الدال في الحبس.

2 ـ المصطلح الثاني للاحتباس الكامل للصَّوت: (الحَصْرُ)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الحبسِ والمنع[6].

استُعمِل: (**الحَصْرُ**) في وصف انحصار الصَّوت، وذلك في عدَّة مواطن، منها:

1 ـ الموطنُ الأوَّل: شدَّة الحرفِ، وهي صفةٌ من صفاتِه:

استعمله من العلماء: سيبويه، وابن جنيّ[7]، وابن سينا[8]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[9].

(1) الكتاب 4/ 435 .
(2) الجمهرة 1/ 9 .
(3) سر صناعة الإعراب 2/ 418 .
(4) الخصائص 1/ 54 - 55 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص 79 .
(6) مقاييس اللغة ص 249 (ح ص ر).
(7) سر صناعة الإعراب 1/ 7 .
(8) أسباب حدوث الحروف ص 117 و 119.
(9) التمهيد ص 282 .

مثال: قال سيبويه عن الطاء:" الطاءُ مع الدَّال: كقولِك: اضبدَّلَماً؛ لأنهما من موضعٍ واحدٍ، وهي مثلُها في الشِّدة إلا أنَّك قد تَدَعُ الإطباقَ على حالِهِ فلا تُذْهِبهُ؛ لأنَّ الدالَ ليس فيها إطباقٌ، فإنما تَغْلِبُ على الطاءِ؛ لأنها من مَوضِعِها، ولأنها **حَصَرَت** الصوتَ مِن مَوضعِها كما **حَصَرَتْهُ** الدال"[1].

2 . الموطنُ الثاني: انحصار الصَّوت في الإطباق:

استعمله من العلماء: سيبويه، وابن جنيّ[2]، ومكيّ[3]، والقرطبيّ[4].

قال سيبويه:"فإذا وضَعتَ لسانَك فالصَّوتُ **محصورٌ** فيما بين اللِّسان والحنكِ إلى مَوضعِ الحروف... فهذه الأربعةُ لها مَوضعان من اللِّسان، وقد بُيِّنَ ذلك **بحصرِ** الصَّوت"[5].

3 . الموطنُ الثالث: وصفٌ من أوصاف حروف القلقلة:

استعمله من العلماء: المبرِّدُ، والقرطبيُّ[6].

مثال: وصَف المبرِّدُ حروف القلقلة بأنَّها "حروفٌ **محصورةٌ** في مواضعها"[7].

3 . المصطلح الثالث للاحتباس الكامل للصَّوت: (اللُّزوم)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

4 . المصطلح الرَّابع للاحتباس الكامل للصَّوت: (الأخرس)

من أصله اللُّغويّ أن يدُلَّ على ذهابِ النُّطقِ، ويُحمَلُ على ذلك فيقال: كتيبةٌ خَرْساءُ، إذا صمَتَتْ من كثرة الدروع، فليس لها قعقعةُ سلاحٍ، قال الخليلُ:"وعَلَمٌ أَخْرَسُ أي : لا يُسْمَعُ فيه صوتُ صدى، يعني: الأعلامَ التي يُهْتَدَى بها"[8]. ويقالُ: لبنٌ أخرسُ: خائرٌ لا صَوتَ له في الإناء عند الحَلْبِ، وسحابةٌ خرْساءُ: ليس فيها رعدٌ[9].

استُعمِل: (الأخرسُ) في أكثر من معنى، منها:

(1) الكتاب 4/ 460 .
(2) المحتسب 2/ 55 .
(3) الرعاية ص 122 - 123.
(4) الموضح ص 90 .
(5) الكتاب 4/ 436 .
(6) الموضح ص 93 .
(7) المقتضب 1/ 332 .
(8) العين 4/ 195 .
(9) مقاييس اللغة ص 291 (خ ر س).

1 . عيبٌ من عيوب النُّطق.

2 . الشدَّةُ، وهي صفةٌ من صفات الحروف.

3 . نقيضُ الحروف التي لها فضيلة ومزيَّة من غُنَّة وإطباق.

1 . المعنى الأوَّل لـ (الأخرَسُ) = عيبٌ من عيوب النُّطق:

قال الخليل:"**والخَرَسُ**: ذَهابُ الكلام خِلْقةً أوعِيّاً"[1].

وقال ابنُ دُرَيدٍ:"وهو انعقادُ اللِّسانِ عن الكلام"[2].

وربَطَ أبو بكر الرازيُّ الطبيب بين الخَرَس في اللِّسان والصَّمَمِ في الأذن، فقال:"الخُرْسُ عظيمو الألْسُنِ، لا تَدور ألسنتُهم في أفواههم، وإذا عَظُمَ اللِّسان ضعُفت المادَّةُ التي تكونُ منها الأذنُ وعضلتُها فيكون أصمَّ"[3].

2 . المعنى الثاني لـ (الأخْرَسُ) = الشدَّةُ، وهي صفةٌ من صفات الحروف:

عرَّف السيرافيُّ مصطلح: (**الأخرس**) عند الفرَّاء، قال:"وأراد بالأخْرَسِ الحروفَ الشديدةَ التي **يَلْزَمُ** فيها اللِّسانُ مكانَه"[4].

وقد جعَل السيرافيُّ هذا المصطلح في مقابلِ: (المصوِّت) الذي فسَّره أيضاً بأنه الرِّخو من الحروف[5].

وسيأتي في مصطلحَي: (المصوِّت) و (غير المصوِّت) أن الفرَّاء لا يُريد ذلك الذي أراده السيرافيُّ، وإنَّما قصَد الحروفَ التي لها فضلُ صَوتٍ في مقابلِ الحروفِ التي ليست لها تلك الفضيلة، وسأعطي من الشواهد ما يدلُّ على ذلك، والله أعلم[6].

3 . المعنى الثالث لـ (الأخرس) = نقيضُ الحروف التي لها فضيلة ومزيَّة من غُنَّة وإطباق:

مرادفٌ لمصطلح: (**غير المُصوِّت**) وانظر الملاحظة السابقة في المعنى الثاني لـ (الأخرس).

5 . المصطلح الخامس للاحتباس الكامل للصَّوت: (الحبسات التامّة)

قال ابن سينا عن الحروف التي لا يُسمح بمرور الصَّوتِ فيها بأنَّ"حدوثَها عن **حبَساتٍ تامَّةٍ** للصَّوت

(1) العين 4/ 195 .

(2) الجمهرة 2/ 206 .

(3) الحاوي في الطب 3/ 208 .

(4) ما ذكَره الكوفيُّون من الإدغام ص 59 .

(5) ما ذكَره الكوفيُّون من الإدغام ص 59 .

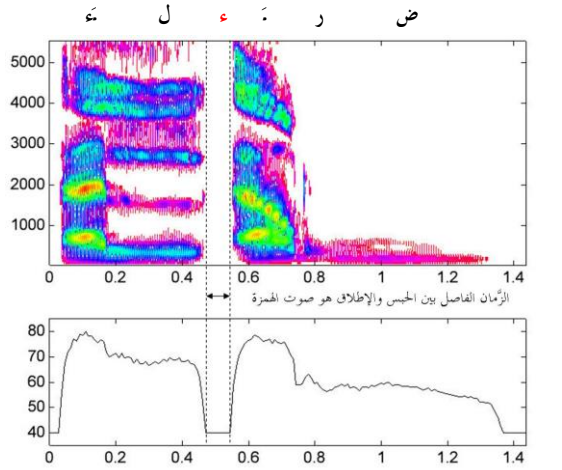
(6) انظر: مصطلح: (المصوِّت)، و (غير المصوِّت).

أو الهواء الفاعلِ للصَّوت، يَتبعُها إطلاقٌ دفعةً"[1].

فوصف كلَّ مراحلِ الصَّوت الشديد، أعني: الحبس ثمَّ الإطلاق.

6 ـ المصطلح السادس للاحتباس الكامل للصَّوت: (الحروف المُفْرَدة)

لقَّبها ابن سينا بذلك، قال:"والحروف بعضُها في الحقيقة **مفرَدةٌ**، وحدوثُها عن حبَساتٍ تامَّةٍ للصَّوت أو الهواء الفاعلِ للصَّوت، يَتبعُها إطلاقٌ دفعةً"[2].



شكل رقم (57) حدوث صوت الهمزة في كلمة (الأَرْض)

وذكَرَ ابن سينا في تميُّزٍ واضحٍ أنَّ هذه الحروف "تَشترِكُ في أنَّ وجودَها وحدوثَها في الآن الفاصِلِ بين زمانِ الحَبسِ وزمانِ الإطلاق؛ وذلك لأنَّ زمانَ الحَبسِ التامِّ لا يُمْكِنُ أن يَحدُث فيه صوتٌ حادثٌ عن الهواء وهو مُسَكَّنٌ بالحَبسِ. وزمانُ الإطلاقِ ليس يُسمَعُ فيه شيءٌ من هذه الحروف؛ لأنَّها لا تَمْتَدُّ البتة، إنَّما هي مع إزالة الحَبس فقط"[3].

وهذا يُمْكِن شرحه بواسطة التحليل الطيفيّ للصَّوت، حيث يُمثِّل شكل رقم (57) حدوث صوت الهمزة في كلمة (الأَرْض).

نُلاحِظ أنَّ الفَراغَ الذي نراه هو المحصورُ بين لحظتَي حبس صوت الهمزة بعد النُّطق باللاَّم السَّاكنة، وبين لحظة إطلاقِها مع الفتحة.

والحروف المفرَدةُ التي تَحدُثُ بحبسٍ تامٍّ عند ابن سينا هي: "الباء، والتاء، والجيمُ، والدالُ، والضادُ من وجهٍ، والطاء، والقافُ، والكافُ، واللاَّمُ، والميمُ والنُّونُ أيضاً من وجه"[4].

نلاحظ أنَّ النصَّ أخرج صوتَي الهمزة والرَّاء، وهو بهذا يُخالِف حروف سيبويه، لكنَّ وصفَ الهمزة عنده ـ فيما بعدُ ـ يوحي بأنَّ الهمزة ساقطةٌ من النصِّ السَّابق.

ونلاحِظ أنَّه أدخل الضَّاد ضمن هذه الأصوات، وضمَّها إلى الأصوات المتوسِّطة (التي تجدُ منفذاً

(1) أسباب حدوث الحروف ص 60 . وانظر أمثلة على ذلك للحروف ص 82 و 117 و 125.
(2) أسباب حدوث الحروف ص 60 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 61 – 62 .
(4) أسباب حدوث الحروف ص 61 .

لصوتِها)، وهذا يُعطي إضاءةً جديدةً حول هذا الصَّوتِ الفريد الذي اعتنى العلماءُ به على مرِّ العصور. ولا يَتَّسِع مجالُ الدِّراسة لشرح هذا الصَّوتِ وما قيل فيه وكيفيَّة نُطقه؛ لأنَّه يَحتاجُ إلى دراسةٍ تاريخيَّة خاصَّة يضيق المقام عنها هنا[1].

الحالة الثانية: الصفات الدالَّةُ على الاحتباس الجزئيّ للصَّوت

استُعمِل للتعبير عن هذا المرور المعُوق عدَّة مصطلحات، منها: (الرَّخاوة)، (الإرخاء)، (الحَبس غير التامّ).

ولقِّبتْ حروفُه بعدَّة ألقابٍ، منها: (اللَّيِّنة) و(الرِّخوة)، و(المصَوِّت) في فهم بعضِ العلماء، و(الحروف المرَكَّبة).

1 . المصطلح الأوَّل للاحتباس الجزئيّ للصَّوت: (اللَّيِّنة)

ضدُّ الخُشونة، ويقالُ: هو في لَيَانِ عَيشٍ، أي: نَعمةٍ، وفلانٌ مَلْيَنَةٌ، أي: ليِّن الجانب[2].

استعمل لفظ: (اللَّيِّنة) في أكثر من معنى، منها:

1 . لقبٌ للألف والواو والياء. 2 . صفةٌ للواو والياء. 3 . لقبٌ للحروف الرِّخوة.

1 . المعنى الأوَّل لـ (اللَّيِّنة) = لقبٌ للألف والواو والياء:

استعمله من العلماء: الخليل، وأبو علي الفارسيُّ، وابن جنيّ[3]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[4].

قال الخليل:"وإذا جَاءَتِ **الحُرُوفُ اللَّيِّنَةُ** في كلمةٍ، نحو: (لَوْ) وأشباهُها ثُقِّلَتْ"[5].

وقال الفارسيُّ:"**والحروفُ اللَّيِّنةُ**: الألف والياء والواو"[6].

2 . المعنى الثاني لـ (اللَّيِّنة) = صفة للواو والياء:

استعمله من العلماء: سيبويه، وابنُ السرَّاج.

(1) بحثتُ صوت الضاد بشكلٍ مُسهَب في رسالتي للماجستير المعنونة بـ (الأصوات العربية بين القدماء والمحدَثين)، والمقدمة إلى جامعة أم القرى عام 1418 هـ.

(2) مقاييس اللُّغة ص 910 (ل ي ن) .

(3) الخصائص 3/ 124 .

(4) التمهيد ص285 .

(5) العين 3/ 352 .

(6) التكملة ص 24 .

قال سيبويه في معرضِ حديثه عن صفات الحروف:"ومنها (**اللَّيِّنةُ**)، وهي الواو والياءُ؛ لأنَّ مخرجهما يَتَّسَعُ لهواء الصَّوتِ أشدُّ من اتِّساع غيرهما"[1].

وعدَّها ابن السرَّاج الصنفَ الثامنَ من أصناف الحروف[2]. يعني صفاتها.

3 . المعنى الثالث لـ (اللَّيِّنة) = لقبٌ للحروف الرِّخوة:

استعمله من العلماء: أبو العباس أحمد بن ولاَّد، قال عن تصنيف سيبويه للهمزة والألف:"ولما تكَلَّم في الشديدةِ **واللَّيِّنة** جعَل الهمزةَ في حيِّز الشديدةِ، والألفَ في حَيِّز **اللَّيِّنة**"[3].

2 . المصطلح الثاني للاحتباس الجزئيّ للصَّوت: (الرَّخاوة)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على اللِّين والسهولة والاتِّساع. والراءُ مثلَّثة، يقال: رِخوٌ ورُخوٌ ورَخوٌ[4].

استعمله من العلماء: سيبويه، وتابعه: المبرِّد، وابن السرَّاج[5]، وابن دريد، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[6]، وابن جنيّ[7]، ومكيّ[8]، والدانيُّ[9]، والقرطبيُّ[10]، وأبو العلاء الهمذانيُّ[11].

قال سيبويه:"ومنها الرِّخوةُ، وهي: الهاءُ، والحاءُ، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء. وذلك إذا قُلتَ: الطَّسَّ وَانْقَضّ وأشباهَ ذلك أجرَيتَ فيه الصَّوتَ إن شئتَ"[12].

ونلاحِظُ في التعريف أنَّ سيبويه استَعمل لفظ: (**إجراء الصَّوت**)، وفي مواضع أخرى من كتابِه استَعمل مصطلح: (**التجافي**) بين عُضوي النُّطق الذي يَسمح بمرور الصَّوت، وتقدَّم الحديث عنه.

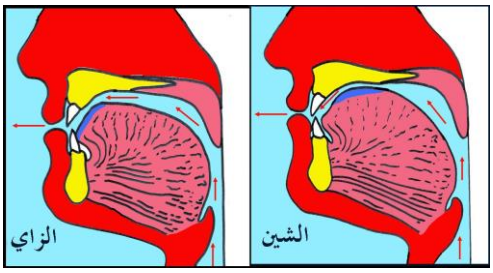
وبقراءة هذه المصطلحات فإنَّ الصَّوت الرِّخو عند سيبويه لا بدَّ أن يتوفَّر فيه شرطان هما عكسٌ لِشَرْطَي الصوت الشديد:

(1) الكتاب 4/ 435 .
(2) الأصول 3/ 401 .
(3) الانتصار لسيبويه على المبرد ص 238 .
(4) مقاييس اللغة ص 426 (ر خ و) المصباح المنير ص 224 ..
(5) الأصول 3/ 401 .
(6) الحجة 1/ 130 .
(7) سر صناعة الإعراب 1/ 61 .
(8) الرعاية ص 118 - 119 .
(9) التحديد ص 106 .
(10) الموضح ص 87 .
(11) التمهيد ص 280 .
(12) الكتاب 4/ 434 .

1 . تجافي العُضوِ النَّاطِقِ عن مَخرجِه، بحيث يَكون هناك منفذٌ أمام الصَّوت.

2 . السَّماح للصَّوت بالجريان.

ويمثِّلُ شكل رقم (58) رخاوة الشين والزاي واعتراض الصوت في المخرج والسَّماح له بالمرور من خلالِهِ عبرَ مجال عضوي النُّطق. ويجب أن نعلم أنَّ التجافي لا يعني انفصال المخرج عن المخرج، هذا لم يَدُر في خلد سيبويه، لأنَّ الذال مثلاً تَتِمُّ بتلامس طرفِ اللِّسان للأسنان العليا والسُّفلى، ومع هذا تَسمح بمرور الصَّوت.



شكل رقم (58) رخاوة الشين والزاي

ولم يخرج أحدٌ من الذين تقدَّموا عن معنى هذا التعريف حتى المبرِّد وابن دُريدٍ، فإنَّ المبرِّد عرَّف الرِّخوة بأنَّها"التي يَجرِي النَّفَسُ فيها من غير ترديدٍ"[1].

ذكَرْتُ في مصطلح: (النَّفَس) أنَّ من العلماء مَن استعمله بمعنى الهواء الفاعل للصَّوت، وربَّما يَقصد بقوله (بغير ترديد)، أي: بلا حَبسٍ؛ لأنَّ (ر د د) بمعناها اللُّغويّ كلمةٌ تدلُّ على المنْع، وقد تقدَّم أنَّ سيبويه استعمل لفظ: (الرَّد) بمعنى الحبس في وصف الحروف الرِّخوة، فلعلَّ المبرِّد أخذه منه، والله أعلم.

وأمَّا ابن دُرَيدٍ فإنَّه وصَف طبيعة هذا المرور فقال: إنَّ الحروف الرِّخوة هي التي تَسترْخي في المجاري[2].

ويُعَدُّ مكِّيُّ بنُ أبي طالبٍ القيسيُّ من أوائل من استَعمل لفظ: (ضعف الاعتماد) في تعريفِ الرخاوة، قال عن الرِّخو أنَّه:"حرفٌ **ضَعُف الاعتماد** عليه في موضعِه..."[3]. وتابعَه عليه: ابنُ الطحَّان الأندلسيُّ[4]، ونقله المتأخرون إلى يومنا هذا.

و(ضعف الاعتماد) ذكَره سيبويه في مصطلحي الجهر والهمس، وبيَّنتُ معناه هناك، ولا علاقةَ له بالشِّدَّة والرَّخاوة، ويُعَدُّ نوعاً من التوسُّع الدَّلاليّ عند مكيّ.

عدَّ سيبويه ثلاثة عشر صوتاً ـ كما في نصِّه ـ وجمَعها بعضُ العلماء في عبارات ليَسهل حفظُها، منها:

ـ (ثَخَذ ظَغَش زَحَف صَه ضس): مكيّ[5].

ـ (خس حظ شص هز ضغث فذ): الدانيُّ[1].

(1) المقتضب 1/ 331 .
(2) الجمهرة 1/ 8 .
(3) الرعاية ص 119 .
(4) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .
(5) الرعاية ص 119 .

. (حِسُّ شَخْصٍ هَزُّ فَظٍّ غَضُّ ثَذٍّ): أبو العلاء الهمَذانيُّ[2].

ومن خلال الأمثلة التي قدَّمها سيبويه فإنَّ اختبارَ الرَّخاوة في هذه الحروف يكونُ حال سكون الحروف بخلاف الجهر والهمس اللَّذين يكون اختبارهما في حال التحرُّك، كما تقدَّم.

وقد أثبت سيبويه التفاوتَ بين الحروف الرِّخوة، من حيث مرور الصَّوت في المخرج؛ إذ يختَلف ذلك من مخرج حرفٍ إلى حرفٍ وإن سُمِح لهما جميعاً بالمرور. ذكَر أنَّ رخاوة الظاءِ والذَّال والثاء أشدُّ من رخاوة الصَّاد والسِّين والزَّاي؛ بسبب أنَّ مخرج الظاء وأختَيها يَسمَحُ بمرور الصوت أكثر منه في الصاد وأختَيها، ولذلك حسُن الإظهار فيها، قال عنها:"والبيانُ فيهنَّ أمْثلُ منه في الصَّاد والسِّين والزَّاي؛ لأنَّ رخاوتَهنَّ أشدُّ من رخاوتِهنَّ، لانحرافِ طرفِ اللِّسان إلى طرَفِ الثنايا، ولم يكن له رَدٌّ [حَبسٌ]"[3].

3 . المصطلح الثالث للاحتباس الجزئيّ للصَّوت: (الإرخاء)

استعمله من العلماء: المازنيُّ[4].

4 . المصطلح الرابع للاحتباس الجزئيّ للصَّوت: (الحبس غير التامّ)

استعمله من العلماء ابنُ سينا، حيث صنَّف الحروف من حيث الاحتباس في المخرج إلى حروف مفرَدة ويعني بها الشديدة، وحروف مركَّبة ويعني بها الرخوة، وقال عن الحروف المركَّبة: إنَّها تَحدثُ عن **حبَساتٍ غيرِ تامَّةٍ**؛ ويكون الحبسُ مع الإطلاق معاً[5].

وهذا فهمٌ دقيق منه . رحمه الله تعالى . في توضيح زمنية حدوث الحروف الرِّخوة.

5 . المصطلح الخامس للاحتباس الجزئيّ للصَّوت: (المصَوِّت):

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصله اللُّغويّ على ما يدلُّ عليه الصَّوت.

استُعمِل مصطلح : (المصَوِّت) في أكثر من معنى، منها:

1 . الحروف التي لها فَضْلُ صَوتٍ من غنَّةٍ وإطباق. 2 . الحروف الأصليَّة الذَّائبة. 3 . الرِّخو من الحروف .

1 . المعنى الأوَّل لـ (المُصَوِّت) = الحروف التي لها فَضْلُ صَوتٍ من غنَّةٍ وإطباق:

(1) التحديد ص 106 .

(2) التمهيد ص 280 .

(3) الكتاب 4/ 462 .

(4) نقل ذلك عنه مكي في الرعاية ص 143 .

(5) أسباب حدوث الحروف ص 61 . وانظر أمثلة على ذلك للحروف ص 80 و 119.

استَعمل الفرَّاءُ لفظ: (**المُصَوّت**) للحروف التي لها فضلُ صَوتٍ كغُنَّة النُّون وإطباق الطاء، قال عن علَّةِ إبدال تاء الافتعال طاءً في نحو: اصطبر:"لأنَّ التاءَ حرفٌ أخْرَسٌ لا يَخْرُج له صَوتٌ، إذا بَلَوْتَ ذلك وجدتَّه، فكرِهُوا إدغامَ **مُصَوّتٍ** في حرفٍ أخرس، فلمَّا فاتَهُمُ الإدغامُ وجَدُوا الطاءَ معتدلةً في المخرجِ بين التاء والصَّاد، لتكون غير ذاهبةٍ بواحدٍ من الحرفَين"(1).

والذي يدلُّ على أنَّ الفرَّاء يَقصِدُ بهذا المصطلح هذا المعنى قولُ ابن مجاهدٍ:" وعادةُ القرَّاء أن لا يُظْهِروا الغنَّةَ عند الراء واللاَّم؛ لأنَّ في إظهارِها كلفةً؛ لتداخُلِ الحرفَين... وإظهارُ الغنَّةِ جائزٌ؛ لأنَّ الراءَ واللاَّم لا صوتَ لهما، فلا يُدْغَمُ **مُصَوّتٌ** في غير مُصَوّتٍ؛ فيُخِلَّ به، وإنَّما تَبْقى منه غنَّةٌ كما يَبْقى من المطْبَقِ ـ إذا رُمْتَ إدغامَه في غَيرِ مُطْبَقٍ ـ أثرٌ من الإطباق"(2).

وممَّا يؤيِّدُ كلام الفرَّاء قولُ سيبويه عن إدغام الطاء في الدَّال:"والمطْبَقُ أفْشَى في السَّمْعِ، ورَأَوْا إجْحَافاً أن تَغْلِبَ الدَّالُ على الإطْبَاقِ، وليستْ كالطاءِ في السَّمْع. ومِثْلُ ذلك: إدغامُهُم النونَ فيما تُدْغَمُ فيه بغُنَّة"(3).

فالفُشوُّ في السَّمعِ في قول سيبويه هو نظير **المُصَوّت** في لفظ الفرَّاء، والله أعلم.

وهذا من الأمثلةِ الدَّقيقةِ التي يشتركُ فيها مَذْهبَا البصرة والكوفة في الحكم على بعض الأصوات .

2 ـ المعنى الثاني لـ (المُصَوّت) = الحروف الذَّائبة:

استعمله الفارابيُّ للتعبير عن حروف المدِّ والحركات، قال عن المقطعِ القصيرِ والطَّويل:"وكلُّ حرفٍ غيرِ مُصَوّتٍ أُتْبِعَ **بمُصَوّتٍ** قصيرٍ قُرِنَ به، فإنَّهُ يُسمَّى: (المقْطَعَ القَصِيرَ)، والعربُ يُسَمُّونَهُ: (الحرف المتحرّك)، من قِبَلِ أنَّهم يُسَمُّونَ المصَوّتاتِ القَصِيرةَ حَرَكاتٍ. وكُلُّ حرفٍ غيرِ مُصَوّتٍ قُرِنَ به **مُصَوّتٌ** طويلٌ، فإنَّا نُسَمّيهِ: (المقْطَعَ الطَّوِيلَ)"(4).

3 ـ المعنى الثالث لـ (المُصَوّت) = الرّخو من الحروف:

عرَّف السيرافيُّ مصطلح: (**المصوّت**) عند الفرأَّء، بأنه ما جَرى فيه الصَّوت(5). يعني: الرّخو من الحروف. وهو فهمٌ خاصٌّ منه ولا أظنُّ أنَّ الفرَّاء يريده، وارجع إلى المعنى الأوَّل لهذا المصطلح.

6 ـ المصطلح السادس للاحتباس الجزئيّ للصَّوت: (الحروف المركَّبة):

(1) نقَل ذلك السيرافيُّ في كتابه: ما ذكَره الكوفيُّون من الإدغام ص 63 ، وانظر : ص 59 و 67 .
(2) نقَل ذلك السيرافيُّ في إدغام القراء ص 57 .
(3) الكتاب 4/ 460 .
(4) الموسيقى الكبير ص 1075 . وانظر: إحصاء العلوم ص 61 .
(5) ما ذكَره الكوفيُّون من الإدغام ص 59 .

لقَّب ابن سينا الحروف الرِّخوةَ بهذا الاسم[1].

قواعد الشديد والرخو:

- الخروجُ عن الحرفِ الرِّخوِ إلى غيره أسهلُ من خروجِ الشَّديدِ إلى غيره: الرمَّانيُّ[2].
- الشديدُ أو المجهورُ أَوْلَى بالبيانِ من المهموسِ أو الرِّخو: السُّهَيليّ[3].

الحالة الثالثة: الصفات الدالَّة على ما بين الحالتَين

استُعمِل للحروف المُلْحقة بالرِّخوة والشديدة أكثرَ من مصطلحٍ، منها:

1 . (الحروف التي بين الرِّخوة والشديدة) 2 . (الشديد الذي يَجري فيه الصَّوتُ).

ملاحظة: اختلف العلماءُ في جملة حروفها: (العين فقط)، أو حروف: (لَمْ يَرْوِ عَنَّا)، أو حروف (لِنْ عُمَر)، أو حروف (نُوَلِّي عُمَر).

بعد أن انتهى سيبويه من وصف الحروف الشديدة والرخوة . فيما تقدَّم ذِكْرُه . بَقِي عليه عدَّة حروف لم يتحدَّث عن حالات مرورها في المخرج، وهي العينُ، واللام، والراء، والنُّون والميم، والواو والياء، والألف. أعطى سيبويه لكلٍّ منها اسماً، كما يلي:

1 . العين: (بين الرِّخوة والشديدة).

2 . اللام: (المنحرف).

3 . النون والميم: (الشديد الذي يَجري فيه الصَّوت).

4 . الرَّاء: (المكَرَّر).

5 . الواو والياء: (اللَّيِّنة).

6 . الألف: (الهاوي).

وسأناقِشُ فقط الحروف التي تتعلَّق بما مضى من الأصوات الشديدة والرخوة بوجهٍ من الوجوه، كما هو مفهوم سيبويه لها، وأتركُ الحديث عن الواو والياء والألف إلى ما بعد هذه النقطة.

1 . (بين الرخوة والشديدة): العين.

(1) أسباب حدوث الحروف ص 61 . وانظر أمثلة على ذلك للحروف ص 80 و 119.

(2) شرح كتاب سيبويه ل 202/ أ. قالها للتدليل على أنَّ إدغامَ الصادِ وأختَيها أدنى في الحسْن من الطاءِ وأختَيها لرَخَاوَتِهن، وأنَّ البيانَ فيهنَّ أحسنُ. وانظر الكتاب 4/ 462.

(3) نتائج الفكر ص 227.

أطلقَ سيبويه لفظ: (بين الرّخوة والشديدة) على صوتِ العَين فقط، قال:"ومنها الرّخوة... أجرَيتَ فيه الصَّوتَ إن شئتَ. **وأمَّا العين فبين الرّخوة والشديدة،** تَصِلُ إلى الترديدِ فيها لشَبَهِهَا بالحاء ... ومنها المنحرف"[1].

جعَل سيبويه صوتَ العَين صوتاً مستقلاً عن الحروفِ الرّخوةِ؛ وذلك من حيث تعرُّضُ صوتِه للضغط والعَصر، ويبْقى معنى قوله (تَصِلُ إلى الترديد فيها لشبهه بالحاء) غامضاً عندي إلاَّ إن كان المرادُ بـ (الترديد) في كلامه: المنعُ في إحدى معانيه اللُّغوية.

وجاء معنى جعلِها بين الرّخوة والشديدة أنَّ صوتَ العَين يَمْلِكُ أحدَ شَرْطَي الحروفِ الرّخوة من حيث التجافي عن الموضع، وأحدَ شرطَي الشديدةِ في أنَّه لا يَمتدُّ به الصَّوت كباقي الرّخوة؛ للعَصر الذي يتعرَّض له في المخرج، ولأجل ذلك جاء استثناؤه للعين بعد قوله عن الرخوة: (أجريتَ فيه الصَّوتَ إن شئتَ)، وقبل الحديث عن الحرفِ المنحَرِف الذي صدَّره بقوله: (ومنها).

ومن الشواهد القويَّة التي تدلُّ على صحَّة هذا الكلام ـ أعني مخالفةَ العَين لباقي الرّخوة ـ قولُه في موضعٍ آخَر عن علَّة امتناع إدغام الهاء في العين:"ولم يُدْغِمُوها في العَين إذْ كانتا مِن حروفِ الحلق؛ **لأنها خَالَفَتْها في الهمسِ والرَّخَاوَةِ**"[2]. فالعينُ تخالِفُ الهاء ـ إذن ـ في الرَّخاوة.

وممَّا يُستأنَسُ به في هذا المقام قولُ ابن سينا عن العين:"وأمَّا العينُ فإنَّ الحبسَ غير تامٍّ إلاَّ أنَّه قويٌّ"[3].

وكذلك تشبيهُه كيفيَّة حدوث العين"عند اندفاعِ الهواء بقوَّةٍ في الماء"[4]. أي إنَّ هناك مقاومةً شديدةً في مجرى النُّطقِ تُعاوِقُه عن الجريان، والله أعلم.

2 ـ المُنحَرِف: اللاَّم.

3 ـ المُكَرَّر: الراء.

4 ـ حرفٌ شديدٌ يَجرِي معه الصَّوتُ من الأنف: النون والميم.

الأقسامُ الثلاثة الماضية هي التي بدأ سيبويه كلاًّ منها بقوله: "ومنها حرفٌ شديدٌ". لكنَّه جعلها بين الرّخوة والشديدة ـ وإن لم يُصَرّح بهذا اللَّفظ ـ من حيث إنَّها وافَقَتْ أحدَ شَرطَي الأصوات الشديدة في لزومُ العضوِ النَّاطِقِ مخرجَه، لكنَّها خالَفَتها في أنَّها وَجَدَت لصوتِها منفذاً تَخرُج منه في غير نقطة الحبس،

(1) الكتاب 4/ 435 .

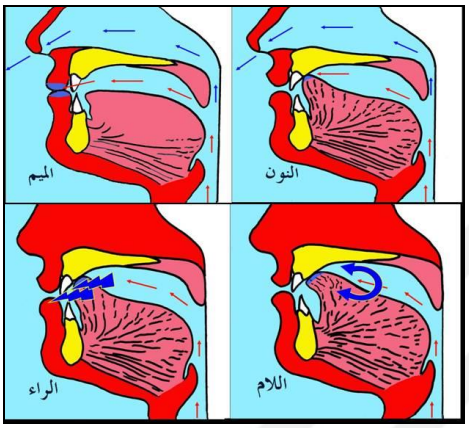
(2) الكتاب 4/ 449 .

(3) أسباب حدوث الحروف ص 114 .

(4) أسباب حدوث الحروف ص 133 .

فوافَقت بذلك أحد شرطَي الرِّخوة، أعني الجَرَيان، وإن كانت خَالَفتها . أيضاً . في عدم تجافي العضوِ الناطِقِ عن مخرجِه، فهي عكسُ العَينِ في ذلك. وهذا الذي يَجعلُني أرجِّحُ أنَّ حروف (بين الرِّخوة والشديدة) عند سيبويه لا تَقتصِرُ على العَين وحدها، بل تَشمَلُ هذه الأقسام الثلاثة. ولك أن تختَبِر صحَّةَ هذا من كلام سيبويه نفسِه، قال عن هذه الأقسام الثلاثة بادئاً باللاَّم، ثم الميم والنُّون، ثم الرَّاء:"ولم يَعتَرِض على الصَّوتِ كاعتراضِ الحروف الشديدةِ، وهو **اللاَّمُ**. وإن شئتَ مدَدتَ فيها الصَّوتَ.

وليس كالرِّخوةِ؛ لأنَّ طرفَ اللِّسان لا يتَجَافى عن مَوضعِه.



شكل رقم (59) الحروف الأربعة التي بين الرخوة والشديدة

ومنها حرفٌ شديدٌ يَجري معه الصَّوتُ؛ لأنَّ ذلك الصَّوتَ غُنَّةٌ من الأنف، فإنَّما تُخرِجُهُ من أنفِكَ واللِّسانُ لازِمٌ لموضعِ الحرف؛ لأنَّك لو أمسكتَ بأنفِكَ لم يَجْرِ معه الصَّوتُ. **وهو النُّون، وكذلك الميم.**

ومنها المكَرَّرُ، وهو حرفٌ شديدٌ يَجري فيه الصَّوتُ لتكريرِه وانحرافِه إلى اللاَّم، فتَجافى للصَّوتِ كالرِّخوة، ولو لم يُكَرِّرْ لم يَجرِ الصَّوتُ فيه، **وهو الراءُ**"[1].

ويُمَثِّلُ شكل رقم (59) الحروف الأربعة التي بين الرخوة والشديدة بشكلٍ تقريبيّ، ولاحِظْ لزوم العضو النَّطق مخرجه، وجريان الصَّوت من مكان آخَر، وتمثِّل المنطقة الزرقاء الفاتحة منطقة انتشار الصَّوت.

حافَظَ العُلَمَاء بعد سيبويه على لَفْظِ (بين الرِّخوة والشديدة) أو قريبٍ منه، لكنَّهم توسَّعوا في حروفه ومفهومه كما يلي:

1 . الفريقُ الأكثرُ جمَعَ كلّ الحروف التي ذكرها سيبويه بعد الرِّخوة والشديدة جميعاً في سلَّة واحدةٍ، (وهي العين واللام والنون والميم والراء والألف والواو والياء)، على أساس أنَّها قسمٌ ثالثٌ مُلْحَقٌ بالشَّديدةِ والرِّخوةِ، منهم: المبرِّدُ، وعدَّها شديدةً في الأصل، لكن يَجري فيها الصَّوتُ لكَونها تستعين بصوت ما جاوَرَها من الرِّخوة[2].

وهذا من المواضعِ المشْكِلة؛ إذ كيف تكون حروف المدِّ شديدةً، وكيف تستعين بصوت ما جاورَها؟ وكيف تستعين العينُ بصوت الحاءِ؟ واللاَّم والرَّاء بأيِّ شيءٍ يستعينان؟

(1) الكتاب 4/ 435 .

(2) المقتضب 1/ 331 .

أمَّا الميم والنُّون فقال عنهما إنهما يستعينان بصوتِ الغنَّة، وهذا متَّجِهٌ وصحيحٌ. وغالبُ كلامه وتعليلاته في هذا الموضع ترجِعُ إلى كلام سيبويه.

وإذا كنَّا في موضوع الاستعانة فإنَّ عبدَ الوهَّاب القرطبيّ لقَّبَ الميمَ والنُّونَ والعَينَ بـ: (**المُسْتَعِينَة**)[1].

أخَذ الميم مِن قول سيبويه عنها:"**لاستعانتها** بصوت الخياشيم"[2].

وأخذ العَين والنُّون من قولِ المبرِّد عنهما:"كالعَيْنِ التي **يَسْتَعِينُ** المتَكَلِّمُ عند اللَّفظة بها بصَوْتِ الحَاء... وكالنُّونِ التي **تَستَعِينُ** بصَوت الخَيَاشِيمِ لِمَا فيهَا من الغُنَّة"[3].

تابع المبرِّدَ: ابنُ جنيّ، وجمَعَها في (لَمْ يَرْوِ عَنَّا)، أو (لَمْ يُرَوِّعْنَا)، أو (لَمْ يَرْعَوْنَا) [4]، ومكيّ[5]، والقرطبيُّ[6]، والخفاجيُّ[7]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ، وجعَل هذا المذهب كأنَّه الأصل، قال:"وما بين الشَّديد والرِّخو ثمانية... وذكَر بعضُ أصحابنا أنَّ الحروف التي بين الشديدة والرِّخوة خمسة يَجْمَعُها قولك: لِنْ عُمَر"[8]، وابنُ الأنباريّ، وجمَعها في: (نُوري لامِعٌ)، وعرَّفها بأنَّها"حروفٌ لا مُفرِطةٌ في الصَّلابة ولا ظاهرة الضَّعف، بل هي في اعتدالٍ بينهما، ولذلك كانت بين الشديدة والرخوة" [9]. قلتُ: فلماذا أَدخل حروف المدِّ من جملتِها؟

2 . ابنُ السرَّاج ألحَق صوتَ العَين بالرِّخوة، وهي الصِّنفُ الرَّابعُ عنده، والخامسُ: المنحرفُ، والسادسُ: الشديدُ الذي يَخرُج معه الصَّوتُ، يعني الميم والنون، والسَّابعُ: المكَرَّرُ، والثامن: اللَّيِّنة، والتاسعُ: الهاوي[10]. فعدَّد ما ذكره سيبويه.

3 . الدانيُّ وافَقَ سيبويه في الأصوات الخمسة (ع، ل، ن، م، ر)، لكنَّه جعَلَها كلَّها شديدةً في الأصل، ولقَّبها بـ: (**الشَّديد الذي يَجري فيه الصَّوت**)، فذكَر أنَّ الأصواتَ الخمسةَ"اشتدَّ لُزومَها لموضعها، ثمَّ تجافى بها اللِّسانُ عن موضعِها فجَرى فيها الصَّوتُ لتَجافِيها"[11]. وغالبُ كلامِه في هذا

(1) الموضح ص97.
(2) الكتاب 4/ 461 .
(3) المقتضب 1/ 331.
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 61 .
(5) الرعاية ص 118 - 119 .
(6) الموضح ص 89 .
(7) سر الفصاحة ص 20 - 21 .
(8) التمهيد ص 281 .
(9) أسرار العربية ص 209 - 210 .
(10) الأصول 3/ 402 - 404 .
(11) التحديد ص 106 .

الموضع يَرجِع إلى سيبويه والمبرِّد. ولا يتَّجِهُ لي في كلامه كيف يتجافى اللِّسان عن العَين، وهو لا يتدخَّلُ في إنتاجِها؟!

4 . فريقٌ رابعٌ أخرجَ الألف من جملة هذه الحروف، ومن هؤلاء: ابنُ الطحَّان الأندلسيُّ، وجمَعَها في (نُوَلِّي عُمَر)[1].

4 . الحالة الرابعة: الصفات الدالَّة على حرّية مرور الصَّوت

بقِي على سيبويه . بعد أن ذكَر الأصواتَ التي تتعلَّق بالحروف الشديدة والرِّخوة بوجه من الوجوه . ثلاثةُ أحرفٍ فقط، وهي الواو والياء والألف هي التي ختَم بها الحديث عن حالات مرور الصَّوت في المخرج.

وهي تُمثِّلُ المرحلةَ الأخيرةَ التي تَسمح بحرِّية مرور الصَّوت. وبهذا نُدرِكُ ترتيبَ سيبويه الدَّقيق لحالات مرور الصَّوت بدءاً من الانحباسِ الكاملِ للصَّوت في الأصوات الشديدة إلى الحرِّيةِ الكاملة للصَّوت في الحرف الهاوي وهو الألف.

ومن دقَّة سيبويه في هذا الموضع أن قام بترتيب هذه الأصوات: الواوُ والياءُ، ثم الألفُ؛ لأنَّه وَجَدَ انضماماً للشفتَين في الواو، وارتفاعاً لوسط اللِّسان في الياء فعدَّ ذلك نوعاً من الاعتراض على الصَّوت، فأعطاهما لقب (اللِّينة)، ولقَّب الصَّوتَ الأخير الحرّ الطليق الذي لا يُعتَرَضُ فيه على الصَّوت بـ: (الهاوي)، أعني الألف، قال سيبويه:"ومنها (**اللَّيِّنةُ**)، وهي الواو والياءُ؛ لأنَّ مخرجهما يَتَّسَعُ لهواء الصَّوتِ أشدُّ من اتِّساع غيرهما... ومنها (**الهاوي**)، وهو حرفٌ اتَّسَع لهواء الصَّوتِ مخرجُه أشدَّ اتِّساع مخرجِ الياء والواو؛ لأنَّك قد تَضُمُّ شفتَيك في الواو، وتَرْفَع في الياء لِسانَكَ قِبَلَ الحنكِ، وهي الألف. وهذه الثلاثةُ أخفى الحروف لاتِّساع مخرجِها. وأخفاهنَّ وأوضَعُهنَّ مخرجاً: الألفُ، ثمَّ الياءُ، ثمَّ الواو"[2].

> استُعمل للتعبير عن حرّية مرور الصَّوت عدَّة مصطلحاتٍ، منها:
>
> (الهُوِيُّ)، (اللِّينُ). ولقِّبتْ حروفه بـ: (اللَّيِّنة)، (الهاوية)، (الهاوي)، (حروف اللِّين).

1 . المصطلح الأوَّل لحرّية مرور الصَّوت: (الهُويّ):

من المشترك اللَّفظيّ. وأصلُ مادَّة (هـ و ي) في اللُّغة تدلُّ على خلوٍّ وسقوط، أصله: الهواء بين الأرض والسماء، سمِّي لخلوّه، قالوا: وكلُّ خالٍ هواءٌ. ويقال: هوى الشيءُ يَهوي: سَقَط، والهاويةُ: كلُّ

(1) مخارج الحروف وصفاتها ص 126 .
(2) الكتاب 4/ 435 .

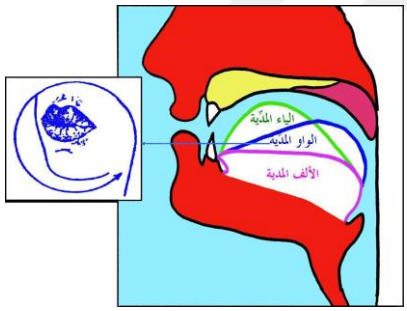
مَهواة، ويقولون: الهَويُّ: ذهابٌ في انحدار، والهُوِيُّ: في الارتفاع[1].

استُعمِل مصطلح: (**الهويّ**) للتعبير عن اتِّساع المخرج في حروف المدِّ، وفي غُنَّتَي الميم والنون.

لقَّب الخليلُ حروفَ المدِّ بـ: (**الهاوية**)، كناية عن اتِّساع مخارجِها وحرّية مرور الصَّوت فيها[2].

ترجَمَ سيبويه ما قاله أستاذُه عن طبيعة هذه الحروف بشكلٍ مفصَّل، فقال: "وهذه الحروفُ غيرُ مهموساتٍ، وهي حروفُ لِينٍ ومَدٍّ، ومَخَارجُها متسعةٌ لهواءِ الصَّوت، وليس شيءٌ من الحروف أوسعَ مخارجَ منها، ولا أمَدَّ للصَّوت، فإذا وقَفتَ عندهالم تَضُمَّها بشَفَةٍ ولا لِسَانٍ ولا حَلْقٍ كضَمِّ غيرِها، **فيَهوِي الصَّوتُ إذا وَجَدَ متَّسَعاً** حتى يَنقَطِع آخرُه في موضع الهمزة، وإذا تفطَّنتَ وَجَدتَّ مسَّ ذلك. وذلك قولك: ظلمُوا ورموا وعمى وحبلى. وزعَم الخليلُ أنهم لذلك قالوا: ظلموا ورموا، فكتَبوا بعد الواو ألفاً. وزعَم الخليل أن بعضهم يقول: رأيتُ رجُلأً، فيَهمِز، وهذه حُبْلأ[3]، وتقديرُهما: رَجُلَعْ وحُبْلَعْ، فهمَز لقُرب الألف من الهمزة، حيث عَلِم أنه سيصيرُ إلى موضع الهمزة، فأراد أن يجعلها همزةً واحدةً، وكان أخفَّ عليهم"[4].

ومعنى كلام الخليل وسيبويه أن حروف المدِّ تجري في فراغ الحلق والفم دون اعتراض من أعضاء النُّطق إلى أن ينقطِع صوتُها بكَفِّ الأوتار الصوتية عن الاهتزاز، أي في منطقة بدء التصويت عند مخرج الهمزة، هذا مع ما في نصِّ سيبويه من دقَّةٍ في قوله (كضمِّ غيرها)، فهو قد لاحَظ استدارةً للشفتَين في الواو، وارتفاعاً لوسط اللِّسان في الياء غير أنها تحرُّكات لا تُعيق مرور الصَّوت.



شكل رقم (60) تحركات اللِّسان والشفتين في حروف المدّ

ويمثِّلُ شكل رقم (60) تحركات اللِّسان والشفتين في حروف المدّ، ونلاحِظُ من خلال الرَّسم أنَّ الشيء الوحيد الذي لم يَذكُره المتقدِّمون عن هذه التحرُّكات ـ وذكَره الصوتيُّون المعاصِرون ـ هو ارتفاع أقصى اللِّسان في الواو المدِّية.

ومن وحيِ قولَي الخليل وسيبويه عن اتِّساع مخارجِ حروف المدِّ وانقطاعِ أصواتِها في مخرجِ الهمزة ذكَر

(1) مقاييس اللغة ص 1017 (هـ و ي).

(2) العين 1/ 57. وقال في 1/ 58: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلَّق بها شيء.

(3) قال الخليل في العين 7/ 456: المدّاتُ الثلاثُ منوطاتٌ بالهمز، ولذلك قال بعضُ العرب في الوقوف: افْعَلِيء، وافعَلاء، وافعلُواء، فهمَزوا الياء والألف والواو حين وقَفوا اهـ.

(4) الكتاب 4/ 176.

المبرِّدُ أنَّ الواوَ **تَهْوِي** من الشَّفةِ للفَم؛ لما فيها من اللِّين حتى تَتَّصِل بأختَيها الألفِ والياء[1].

وفي موضعٍ آخَر ذكَر أنَّ الواو من الشفة ثمَّ **تَهوِي** إلى الفم؛ لما فيها من المدِّ واللِّين حتى تنقطع عند مخرج الألف[2].

وتابعَه: مكيٌّ[3]، والدانيُّ[4]، والقرطبيُّ[5].

وذكَر الدانيُّ عن الألف أنَّها صوتٌ **يَهْوِي** إلى الصَّدْر، ولا معتمَد لها في الفم[6]، وأنَّ الياءَ تَخرُجُ من وسط اللسان ثم **تَهْوِي** إلى الحَلْق[7]. وتابعَه القرطبيُّ[8].

وذكر القرطبيُّ أيضاً أنَّ الألفَ يَنفتِحُ لها الفمُ، فتَخرُجُ بالنفَس مستطيلةً، **وتَهوي** في الفم إلى ما بين الهمزة والهاء في الحلق[9].

أمَّا عن سببِ استعمال لَفظ: (الهُوِيّ) للميم والنُّون فلأنَّ جريانَ الغُنَّةِ في الخيشوم يُعادِلُ جريانَ حروفَ المدِّ في مخارجِها. وقد نبَّه على هذه المشابهة كثيرٌ من العلماء، قال السيرافيُّ عن النُّون:"وذلك أنَّها غنَّةٌ في الخيشوم، تَجري فيه كما تَجْري حروفُ المدِّ واللِّين في مواضِعِها... وهي أقربُ الحروف وأشبهُها بحروفِ المدِّ واللِّين"[10].

ومن هنا ذكَر المبرِّدُ أنَّ "الميمَ **تَهْوِي** في الفَم حتى تَتَّصِلَ بالخَيَاشِيمِ لِمَا فيها من الغُنَّة"[11].

وتابعَه ابن جنيّ[12].

وذكَر ابن جنيّ أنَّ النُّون تُبدَلُ ميماً؛ لاشتراكِهما في الغُنَّة **والهُوِيّ**[13].

---

(1) المقتضب 1/ 310 .

(2) المقتضب 3/ 158 . بغضِّ النَّظر عن غموضِ الهُوِيِّ من الشفة إلى الفم؛ لأنَّ الأصوات تَخرُجُ بهواء الزَّفير، فكيف انعكسَ الأمرُ عنده؟!

(3) الرعاية ص 138 .

(4) التحديد ص 167 .

(5) الموضح ص 95 .

(6) الإدغام الكبير ص 49.

(7) التحديد ص 131 . وانظر: ص 167 .

(8) الموضح ص 78 .

(9) الموضح ص 96.

(10) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 70 - 71. وانظر: 2/ 76 ، والانتصار لسيبويه على المبرد ص268، والخصائص 1/ 364، وسر صناعة الإعراب 2/ 438 .

(11) المقتضب 3/ 158 .

(12) سر صناعة الإعراب 1/ 414 .

(13) سر صناعة الإعراب 1/ 422 .

وتابعَه القرطبيُّ ذاكراً ذات العلَّة في إدغام النُّون في الميم[1].

2 . المصطلح الثاني لحرّية مرور الصَّوت: (الهَاوِيَة)

تقدَّم أنَّ الخليلَ ذكَر عن حروفِ المدِّ بأنَّها **هاويةٌ** في الهواء[2]، كناية عن حرّية مرور الصَّوت.

3 . المصطلح الثالث لحرّية مرور الصَّوت: (الهَاوِي)

من المشترك اللَّفظيّ.

يُطلَق لفظ: (الهاوي) على أكثر من معنى، منها: 1 . لقبٌ للألف. 2 . لقبٌ لحروف المدِّ.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الهاوي) = لقبٌ لصوت الألف:

استَحقَّ الألفُ لقبَ: **(الهاوي)** عند سيبويه، لأنَّه الحرفُ الوحيدُ الذي لا اعتراضَ فيه مطلقاً على الصَّوت من أيٍّ من أعضاء النُّطق، قال:"ومنها **الهاوي** وهو حرفٌ اتَّسَع لهَواء الصوت مخرجُه أشدُّ من اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضمُّ شفتَيك في الواو، وتَرفعُ في الياء لسانَك قِبَل الحنك، وهي الألف"[3]. وقد تقدَّم أنَّ هذا الصَّوت يُمثِّل المرحلة الأخيرة من مراحلِ مرور الصَّوت في المخرج.

وارتضى كثيرٌ من العلماء اختيارَ سيبويه، منهم: المبرِّد[4]، وابن السراج[5]، والرمّانيّ[6]، وابن جنيّ[7]، ومكّيّ[8]، والدانيّ[9]، والقرطبيّ[10].

2 . المعنى الثاني لـ: (الهاوي) = لقبٌ لصوت حروف المدِّ

لقَّبَ أبو العلاء الهمَذانيُّ حروف المدِّ بـ: **(الهاوي)**، قال:"**والهاوي**: الألف، والياء والواو إذا سكنتا بعد حركتَيهما، سمِّيتْ بذلك لأنها **تَهوي** في حَرق الفم إلى ما بين الهمزة والهاء "[11].

(1) الموضح ص 144 .
(2) العين 1/ 57. وقال في 1/ 58: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلَّق بها شيء.
(3) الكتاب 4/ 435 - 436 .
(4) المقتضب 1/ 292.
(5) الأصول 3/ 404.
(6) شرح كتاب سيبويه 191/ ب.
(7) سر صناعة الإعراب 1/ 62.
(8) الرعاية ص 94.
(9) التحديد ص 108.
(10) الموضح ص 96.
(11) التمهيد في معرفة التجويد ص 282.

وأغلبُ الظنِّ أنَّه مأخوذٌ من تلقيب الخليل حروفَ المدِّ بـ: (الهاوية)، والله أعلم.

4 . المصطلح الرَّابع لحرّية مرور الصَّوت: (اللِّين):

ضدُّ الخُشونة، ويقالُ: هو في لَيَانِ عَيشٍ، أي: نَعمةٍ، وفلانٌ مَلْيَنَةٌ، أي: ليّن الجانب[1].

استُعمِل لفظ: (اللِّين) في أكثر من معنى، منها:

1 . وصفٌ لسهولةِ بعض الحروف.

2 . وصفٌ لطبيعة جريان الصَّوت السَّهْلة في حروف المدِّ الثلاثة، ولقِّبت حروفه، فيما يخصُّ هذا الجانب، بـ: (اللَّيِّنة)، و(حروف اللِّين).

3 . صفةٌ خاصَّةٌ بالواو والياء الساكنتَين بعد فتح. وهذا من معاني تخصيص الدَّلالة للنقطة السابقة.

4 . وصفٌ لضعف مقاومة سطوح الأجسام للضغط الحاصل عليها.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (اللِّين) = لين بعض الحروف:

استعمله الخليلُ في وصف ضعفِ بعض الحروفِ ولِينِهَا، فقد عقَد مقارنةً بينَ الطاء والدَّال، وذكَر أنَّ الدَّالَ **لاَنَتْ** عَن صَلاَبَةِ الطَّاءِ وكَزَازَتِهَا"[2]. ولعلَّه يَقصدُ أنَّ اهتزاز الأوتار الصَّوتيَّة في مرحلة الحبس أبقى شيئاً من صوتها بخلاف الطاء التي يَنقطِعُ فيها الصَّوتُ انقطاعاً تامّاً فوصِفت بالصَّلابة تبعاً لذلك، والله أعلم.

ووصف الخليلُ الهاءَ **باللِّين**، فقال عن علة وجود الهاء في نحو: (دهداق):"وإنَّما استَحْسَنُوا الهاءَ في هذا الضَّرْب؛ **لِلِينِهَا** وهَشَاشَتِها، وإنَّما هي نَفَسٌ لا اعتِيَاصَ فيها"[3]. وقال:" الهاءُ حَرْفٌ هَشٌّ **لَيِّنٌ**، قد يَجِيء خلَفاً من الألِفِ التي تُبنَى للقَطْع"[4].

2 . المعنى الثاني لـ: (اللِّين)، (اللَّيِّنة)، (حروف اللِّين) = وصفٌ لحروف المدِّ واللِّين.

اللِّينُ في هذا المعنى وَصْفٌ لطبيعة جريانِ الصَّوت السَّهلة التي يتمتَّع بها حروفٌ ثلاثةٌ هي: الألفُ والواوُ والياءُ في كلِّ حالاتها.

(1) مقاييس اللُّغة ص 910 (ل ي ن) .
(2) العين 1/ 53 .
(3) العين 1/ 54 .
(4) العين 4/ 102 .

لقَّب الخليلُ هذه الحروف الثلاثة بـ: (**الحروف اللَّيِّنة**)[1]، وهو من المشتركِ اللَّفظيّ، وتقدَّم.

تابعَه سيبويه، لكن بلفظ: (**حروف المدِّ واللِّين**)[2]، وبـ: (**حروف اللِّين**)، قال:"**وحروفُ اللِّينِ**: هي حروفُ المدّ التي يُمَدُّ بها الصَّوتُ، وتلك الحروف: الألفُ والواوُ والياء"[3].

ولم يُفرِّق الخليل وسيبويه في اللَّفظ بين الواو والياء إذا كانتا حرفَي مدٍّ في مثل: يقُولُ وقِيل، وبينهما إذا كانتا حرفي لينٍ كـ: خَوْف وبَيْت، مع أنَّ هذا لا يعني ـ أبداً ـ أنَّ سيبويه غيرُ مُدركٍ لطبيعة تلك الحالتَين، بل تدلُّ نصوصُه على معرفةٍ تامَّةٍ بهما، قال:"وإذا قلتَ وأنتَ تَأمُرُ: (اخشَي يَّاسِراً، واخشَو وَّاقِداً) أدْغَمْتَ؛ **لأنهما ليسا بحرفَي مَدٍّ كالألفِ، وإنما هما بمنزلةِ قولِك: احمَد دَّاود، واذهب بِّنا**. فهذا لا تَصِلُ فيه إلا إلى الإدغامِ؛ لأنَّك إنما تَرفَعُ لسانَك من موضعٍ هما فيه سواءٌ، وليس بينهما حاجزٌ"[4].

وقوله:"ولو كانَتْ مع هذه الياءِ التي ما قَبْلَها مفتوحٌ، والواوِ التي ما قبلَها مفتوحٌ ما هو مِثْلُهُما سواءٌ لأَدْغَمْتَهُما... **لأنَّ فيهما لِيناً وإن لم يَبْلُغَا الألفَ، ولكن فيهما شَبَهٌ منها**"[5]. فهو يعدُّهما كالحروف الصَّحيحةِ في جوازِ الإدغام في مِثلَيهما.

تابعَ أهل العربية سيبويه دون التفريق في اللَّفظ بين حروفِ المدِّ وحرفي اللِّين، إلاَّ أبا عليٍّ الفارسيَّ فإنَّه في بعض المواضع فرَّق بين الواو والياء بتسميته الواوَ والياءَ المدِّيتَين بـ: (**حرف اللِّين المجانس له ما قبله**)، وبغير المدِّيتَين بـ: (**حرف اللِّين غير المجانسِ له ما قَبْلَه**)[6].

تابعَ سيبويه على لفظ (**حروف المدِّ واللِّين**): الأخفش، وابن قتيبة[7]، والمبرِّد[8]، والزجَّاج[9]، وابن السرَّاج[10]، وابن دريد[11]، والزجاجيُّ[12]، والسيرافيُّ[13]، والرمَّانيُّ[14]، وطاهر بن غَلْبون[1]، وابن جنيّ[2]،

(1) العين 3/ 352 .
(2) الكتاب 1/ 17 و 4/ 176 واستعمله معكوساً بتقديم اللِّين على المدّ في 4/ 434 .
(3) الكتاب 3/ 624 و انظر: 1/ 18 و 2/ 421 و 3/ 613 و 4/ 189.
(4) الكتاب 4/ 442 .
(5) الكتاب 4/ 446 .
(6) الحجة 3/ 191 .
(7) أدب الكاتب ص 214 .
(8) المقتضب 1/ 176 و 199.
(9) معاني القرآن وإعرابه 1/ 118 .
(10) الأصول 2/ 391 .
(11) الجمهرة 1/ 10 .
(12) شرح جمل الزجاجي ص 449 .
(13) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 70 - 71.
(14) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب.

ومكيّ القيسيّ[3]، والدانيُّ[4]، وابن الطحَّان الموسيقيّ[5]، وابن رشيق القيروانيُّ[6]، والقرطبيُّ[7]، وابن بلّيمة[8]، وأبو العز القلانسيّ[9]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[10]، وأبو البركات الأنباريُّ[11]، والسهيليّ[12]، وغيرهم.

تابعَه على لفظ (**حروف اللّين**):الأخفش[13]، والمبرِّدُ[14]، والزجَّاجُ[15]، وابن السرَّاج[16]، والخاقانيّ[17]، وابن دريد[18]، وأبو سعيد السيرافيُّ[19]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[20]، وابن جنيّ[21]، وطاهر بن غَلْبون[22].

3 . المعنى الثالث لـ: (اللّين، حرفا اللّين، حرف اللّين) = صفةٌ خاصَّةٌ بالواو والياء الساكنتَين بعد فتح:

تقدَّم أنّ ـَـ سيبويه جعل الواو والياء يُمثِّلان المرحلة قبل الأخيرة من حرِّية مرور الصَّوت، للاعتراض الذي يَمُرَّان به في المخرج، وأطلَقَ عليهما لقَبَ: (**اللَّيِّنة**)، ولم يُفرِّق سيبويه في اللَّفظ بين الواو والياء المدّيتَين وغير المديتَين إذا سُبِقَتَا بفتحٍ، وجرى العلماءُ بعدَهُ في إيرادِ هذه الصِّفة في كتبهم، فمنهم مَن

(1) التذكرة 1/ 105 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 17.
(3) الكشف 1/ 45 .
(4) جامع البيان 2/ 595 و 639 و المقنع ص 68 والتيسير ص 30 والإدغام الكبير ص 51 .
(5) حاوي الفنون ص 48 .
(6) العمدة 2/ 273 .
(7) الموضح ص 81 و 96.
(8) تلخيص العبارات ص 31 .
(9) الإرشاد ص 183 .
(10) التمهيد ص 281 .
(11) أسرار العربية ص 33 و 210.
(12) نتائج الفكر ص 87 .
(13) معاني القرآن 1/ 340، والقوافي ص 12 و 78 و97 .
(14) المقتضب 1/ 258 و 271 و 294 و 345 .
(15) معاني القرآن وإعرابه 2/ 52 و 3/ 222.
(16) الأصول 2/ 379 و 3/ 11 و 326.
(17) منظومة الخاقانيّ ص 26 .
(18) الجمهرة 1/ 8 .
(19) إدغام القراء ص 43 .
(20) التكملة ص 7 و 173 والحجة 1/ 94 و4/ 313 و 6/ 99.
(21) سر صناعة الإعراب 1/ 21 و 2/ 501 والخصائص 1/ 232.
(22) التذكرة 1/ 106 .

نقَل كلام سيبويه وتلقيبَه، كابن السرَّاج[1]، ومنهم مَن خصَّها بالواو والياء الساكنتين بعد فتحٍ، كمكيّ بن أبي طالب القيسيّ، والدانيّ، والقرطبيّ، وإسماعيلَ بن خلف[2]، وسأذكُر بعضَ نصوصهم لما تحتويه من قيمة علميَّةٍ كبيرة:

قال مكيٌّ:"**حرفا اللّين** وهما: الواوُ الساكنةُ التي قبلها فتحةٌ، والياء الساكنةُ التي قبلها فتحةٌ، وإنَّما سُمِّيتا بذلك؛ لأنَّهما يَخْرُجانِ في لِينٍ وقلَّةِ كُلْفَةٍ على اللِّسان، لكنَّهما نَقَصَتا عن مشابهة الألف لتغيُّرِ حركة ما قبْلَهما عن جنسِهما. فنَقَصَتا المدَّ الذي في الألف، وبقِيَ فيهما اللِّينُ لسُكونهما فسُمِّيتا **بحرفَي اللّين**"[3].

وقال الدانيّ:"فإن كان السَّاكنُ الواقِعُ قبل الحرفِ المدغَم **حرفَ مدٍّ ولِينٍ**، أو **حرفَ لِينٍ** فقط، وهو أن يَنفتحَ ما قبل الياء والواو فلا خلافَ في مدِّ الصَّوت؛ لأنَّه يُزادُ في مدِّ الصَّوتِ لأجله"[4].

ذكَر عبد الوهَّاب القرطبيُّ أنَّ الواو والياء"تكونانِ تارةً من حروف المدِّ واللِّينِ بأن تَسْكُنا ويكونَ ما قَبْلَهما مِنْهُما، وتارةً **يَتَحَيَّزُ** مَخْرَجُهُمَا إذا تغيَّرَتا عن هذا الوضعِ بأن تَسْكُنا وينفتحَ ما قَبْلَهما. ومتى وُجِدَ ذلك زالَ عنهما مُعْظَمُ المدِّ وبَقِيَ **اللِّينُ** وانبَسَطَ اللِّسانُ بهما، وصارتا بمنزلةِ سائر الحروف الجامِدَة"[5]. وانظر إلى دقة قوله: (يتحيَّز مخرجهما).

وقال أبو العلاء الهمذانيُّ:"فإن لم يَكن قبل الياء والواو حركتاهما خَرَجتا عن مضارعةِ الألف، ودخَلتا في شَبَهِ الحروف الصِّحاح في خُلُوِّ المدِّ"[6]. تأمل قوله الأخير (ودخلتا في شبَه الحروف الصِّحاح).، وقارنْه بتسميات المعاصرين في آخر هذه النقطة.

بقِيَ فريقٌ ثالثٌ جمَع بين الحالتَين ـ مدِّيتَين وساكنتَين بعد فتح ـ مثَّله ابنُ الطحَّان الأندلسيّ، قال:"**والمدُّ واللِّين**، امتدادُ الصَّوتِ ولينُه: صفتان مُرْتَبِطَتَان، واتساعُ الصَّوتِ في الألفِ أكثَرُ، كما أنَّه في الياء بعد الكسرِ وفي الواو بعدَ الضمِّ أظهَرُ، وهو فيهما بعد الفتحِ أحَطُّ وأندَرُ"[7].

وفي نصٍّ دقيقٍ آخَر قال:"**اللِّينُ**: عبارةٌ عن ما يَجري من الصَّوتِ في حرفِ المدِّ ممزوجاً بالمدِّ طبيعةً وارتباطاً، لا يَنْفَصِلُ أحدُهُما في ذلك عن الآخَر، وهو أَجْرَى في الياء والواو إذا انفتَحَ ما قَبْلَهُما، كما

(1) الأصول 3/ 403 .
(2) العنوان ص 42 .
(3) جامع البيان 2/ 411 و 483 والإدغام الكبير ص 51.
(4) جامع البيان 2/ 411 .
(5) الموضح ص 121 . وانظر: ص 142.
(6) التمهيد ص 286 .
(7) مخارج الحروف وصفاتها ص 132. وفي المطبوع أسقط جملة (بعد الفتح) من النصِّ، فأثبتُّها من المخطوط، ولا يَستقيم النصُّ بدونها.

أنَّ المدَّ أجْرَى فيهِما إذا انكَسَر ما قَبْلَ الياءِ، وانضَمَّ مَا قَبْلَ الوَاوِ"[1].

والخلاصة أنَّ معاملة الواو والياء (مدّيتَين وساكنتَين بعد فتح) بدأتْ دون تفريقٍ في اللَّفظ، ثمَّ إلى تفريقٍ بينهما، ثمَّ إلى جمعٍ بينهما.

وغالب كلام المعاصِرين عن هذين الصَّوتَين لا يخرجُ عمَّا تقدَّم، واختلف المعاصِرون في تسميتهما، فمن هذه التسميات: (أنصاف الحركات)، (وأنصاف السَّواكن)، و (أنصاف الصَّوامت)، و(الانزلاقيَّات) [2].

4 . المعنى الرَّابع لـ: (اللِّين) = وصفٌ لضعف مقاومة سطوح الأجسام الضَّغطَ الواقع عليها:

تقدَّم الحديث عنه في مواضع متعدِّدةٍ من البحث[3].

الصفات المتعلِّقة باتجاه الصَّوت وانحصاره وما يَتبَع ذلك من أثر تفخيميٍّ:

أولاً: الصفتان المتعلِّقتان باتجاه الصَّوت: الاستعلاء والاستفال

1 . الجهة الأولى للاستعلاء والاستفال: وَصفُ الظَّاهرتَين:

الاستعلاءُ والتسَفُّلُ لفظان وضعهما سيبويه ليدلَّ بأوَّلهما على حروفٍ يَستعلي صَوتها ويتفخَّم، وتَملِكُ من القوَّة والتأثير بحيث تستطيعُ أن تَمْنَع إمالةَ الألفِ إلى الياء، كما أنَّها قادرةٌ على إبدال حروفٍ أخرى لتتَّفِق معها في التفخيم، وذلك حروفُ الاستعلاء. ودلَّ بلفظ: (التسفُّل) على باقي الحروف التي لا تَمْلِكُ مثلَ تلك القُدرة، وذلك حروف الاستفال.

ولم يُورِدْ سيبويه هاتين الصِّفتَين ضمن الصِّفات، بل تحدَّث عنهما في الحروف التي تَمنَع الإمالة، وإن كانت ألفاظُهما قد وردَتْ في عدة مواضع من كتابه غيرِ ذلك الموضعِ، ومنها باب الإدغام.

وأثبت العلماءُ هاتَين الظاهرتَين في كتبهم على أنَّهما من صفات الحروف، فأوَّل مَن فعَل ذلك ابن جنيّ، وتابَعَهُ العلماء بعد ذلك.

2 . الجهة الثانية للاستعلاء والاستفال: ألفاظُ الظاهرَتَين:

أوَّلاً: ظاهرةُ الاستعلاء:

استُعمِلت لها ألفاظٌ عدَّة، منها:

(1) مرشد القارئ ل 6/ ب .

(2) انظر: دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص 210 - 211 .

(3) انظر المصطلحات التالية: (الجِرم والأجرام)، (الأجزاء اللينة من الشفة)، (الجِرمان اللَّيِّنان)، (الرُّطوبة)، (انعكاس الصَّوت وتضاعفه).

1 . (الاستعلاء) 2 . (التصَعُّدُ، الإصعادُ، تصَعُّد الألسنة) 3 . (الارتفاع) 4 . (الشُّخوص) 5 . (السُّمُوُّ).

لُقِّبت حروف الاستعلاء بألقابٍ عدَّة، منها: 1 . (الحروف المستعلية) 2 . (حروف الاستعلاء) 3 . (الحروف التي تَمتنعُ فيها الإمالة) 4 . (الحروف التي تَمنعُ الإمالة) 5 . (الحروف المنَّاعة) 6 . (الحروف الموانع).

1 . المصطلح الأوَّل للاستعلاء: (الاستعلاء)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على السُّمُوِّ والارتفاع[1].

استُعمِل: (الاستعلاء) في أكثر من معنىً، منها:

1 . اتجاهُ الصَّوتِ إلى الحنك الأعلى الذي لا يستلزمُ التفخيم، وهو خاصٌّ بالألف وحدها.

2 . اتجاهُ الصَّوتِ إلى الحنك الأعلى المستلزمُ للتفخيم، ويشمل حروف: خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الاستعلاء) = تصعد الصوت إلى الحنك الأعلى الذي لا يستلزمُ التفخيم:

تقدَّم أنَّ الخليلَ ذكَر أنَّ "الكلمةَ المنصُوبةَ يُرْفَعُ صَوْتُهَا إلى الغار الأعلى"[2].

ومن وحيِ كلام الخليل ذكَر سيبويه أنَّ "الألِف إذا خرجَتْ مِن موضِعِها **اسْتَعْلَتْ** إلى الحنك الأعلى[3]. استعمل ذلك في الإمالة.

وهذه علاقةٌ أخرى مهمَّة بين كلام الخليل في العين وكلام سيبويه في الكتاب.

تابعَ سيبويه: أبو عليٍّ الفارسيُّ[4]، وابن الطحَّان الموسيقيّ، قال:"فالألفُ حرفٌ **مُستَعلٍ**، والياءُ حرفٌ مُنْخَفِضٌ، والواوُ حرفٌ مُتوسِّطٌ"[5].

ولقَّب ابنُ خالويه الألف بـ: (**الحرف المستعلي**)[6].

(1) مقاييس اللغة ص 664 (ع ل و).
(2) العين 7/ 136 .
(3) الكتاب 4/ 128.
(4) التكملة ص 225 .
(5) حاوي الفنون ص 48.
(6) الحجة ص 71.

وعرَّف الحريريُّ الألفَ بأنَّه: "حرفٌ مُنْتَصِبٌ **يَمْتَدُّ إلى أعلى الحنك**"[1]. فهو نوعٌ من الاستعلاء.

وهذه كلُّها أوصافٌ تدلُّ على أنَّ الألفَ صوتٌ طبيعيٌّ ممتدٌّ لا يَعتَرِضُ عليه أمرٌ يُغَيِّرُه عن مَسَارِه، فهو في طبيعته الأصليَّة ـ في نُطق العرب ـ لا يتجه إلى الياء ولا إلى الواو.

2 ـ المعنى الثاني لـ: (الاستعلاء) = اتجاه الصَّوت إلى الأعلى المستلزم للتفخيم (عكس الاستفال):

عرَّف سيبويه الاستعلاءَ بأنَّه:"وَضْعُ اللِّسان في موضعِ **استعلاءٍ**"[2].

استَعمَل سيبويه هذا اللَّفظ في حديثه عن الحروف التي تَمنع الإمالة، وبيَّن أنَّ العلَّة في هذا المنعِ هي أنَّ هذه الحروف **يستعلي** صوتُها إلى الحنك الأعلى فهي تَطْلُبُ عُلُوَّ الصَّوت، والألفُ كذلك ـ كما مرَّ في المعنى الأوَّل ـ **تستَعلي** إلى الحنك الأعلى، فاتَّفقا في جهة الصَّوت فغلبا تأثير الكسرةِ على الألف، وتحقَّقَ في ذلك الانسجامُ النُّطقيُّ بين حروف **الاستعلاء** والألف، كما يتحقَّق في الحرفَين المتقارِبَين إذا أُدغِما، قال:"فالحروفُ التي تَمْنَعُها[3] الإمالةَ هذه السبعةُ: الصادُ والضادُ والطاءُ والظاءُ والغينُ والقافُ والخاءُ؛ إذا كانَ حرفٌ منها قبلَ الألفِ، والألفُ تَلِيهِ. وذلك قولك : (قَاعِد، وغَائِب، وخَامِد، وصَاعِد، وطَائِف، وضَامِن، وظالم).

وإنما مَنَعَتْ هذه الحروفُ الإمالةَ؛ لأنها حروفٌ **مُستَعلِيةٌ** إلى الحنك الأعلى، والألِفُ إذا خَرَجَتْ مِن مَوضِعِهَا **استَعْلَتْ** إلى الحَنَكِ الأعلَى، فَلَمَّا كانَتْ مع هذه الحروفِ **المُستَعْلِيةِ** غَلَبَتْ عَلَيْهَا [يعني: في الفتح ضد الإمالة]، كما غَلَبَت الكسرةُ علَيها في مَسَاجِد ونحوِها [يعني: في الإمالة ضد الفتح].

فلَمَّا كانَت الحروفُ **مستعليةً**، وكانت الألفُ **تَسْتَعلِي**، وقَرُبَتْ من الألِفِ كانَ العملُ من وجهٍ واحدٍ أخفَّ عليهم، كما أنَّ الحرفَين إذا تقارَبَ مَوضِعُهُما كان رفعُ اللِّسانِ مِن مَوضِعٍ واحِدٍ أخَفَّ عليهم فيُدغِمونَه"[4].

2 ـ المصطلح الثاني للاستعلاء: (التصَعُّدُ، الإصعادُ، تصَعُّد الألسنة، التصَعُّد إلى الحنك الأعلى)

كلُّ هذه الألفاظ السَّابقة يدلُّ أصلها اللُّغويُّ على ارتفاعٍ ومَشَقَّةٍ. من ذلك الصَّعُود خلاف الحَدور، ويقال: صَعِدَ يَصْعَدُ، والإصعادُ: مقابلَةُ الحَدورِ من مكانٍ أرفَع. ويقال: تَصَعَّدني الأمرُ، إذا

(1) شرح ملحة الإعراب ص 82 .

(2) الكتاب 4/ 136 .

(3) الضمير عائد على الألفات؛ إذ عنوان الباب: (هذا باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات التي أمَلتُها فيما مَضى).

(4) الكتاب 4/ 128 - 129 .

شَقَّ عليك[1]. وتتناسَبُ هذه الألفاظ مع معنى الاستعلاء.

استَعمَل سيبويه ألفاظ التصَعُّد للتعبير عن الاستعلاء، منها: (**التصَعُّد**)[2]، و(**تَصَعُّد الألسنة**)[3]، و(**الإصعاد**)[4]، و (**التصَعُّد إلى الحنك الأعلى**)[5].

تابعه على ألفاظ التصَعُّد: المبرِّدُ[6]، وابنُ مجاهد[7]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[8]، وابن جنيّ[9]، والسعيديُّ[10]، والدانيُّ[11]، وأبو البركات الأنباريُّ[12].

أمَّا من حيث التعريف فقد كان كلام سيبويه الذي تقدَّم في الاستعلاء وألفاظ التصَعُّد التي استعملها هنا المصدرَ الملهِمَ لتعريفات أكثر العلماء، ونظراً لأنَّ حروفَ الإطباق الأربعة، الصاد والضاد والطاء والظاء، هي جزءٌ من حروف الاستعلاء فقد جاءت بعضُ تعريفات العلماء متضمِّنةً لهذا التفصيل، وكان ابنُ جنيّ أوَّلَ مَن قسَّم ذلك، وإليك بعض هذه التعريفات:

. **حروف الاستعلاء تَصَعَّدُ وتستعلي** إلى الحنك الأعلى: أبو علي الفارسيّ[13].

. "**الاستعلاء**: أن **تتصَعَّد** [أي: حروفه] في الحنك الأعلى، فأربعةٌ منها فيها مع **استعلائها** إطباق... وأمَّا الخاء والغين والقافُ فلا إطباقَ فيها مع **استعلائها**": ابن جنيّ[14].

. (وإنَّما سُمِّيت **بالاستعلاء**؛ لأنَّ الصَّوت **يَعْلُو** عند النُّطق بها إلى الحنك، فيَنطَبِقُ الصَّوتُ **مستعلياً** بالرِّيح . مع طائفةٍ من اللِّسان مع الحنك . مع حروف الإطباق...، ولا يَنطَبِقُ مع الخاءِ والغَين والقاف، إنَّما **يَستعلي** الصَّوتُ غيرَ منطبقٍ بالحنك): مكيّ القيسيّ[15].

(1) مقاييس اللُّغة ص 543 - 544 (ص ع د).
(2) الكتاب 4/ 480 و 481 .
(3) الكتاب 4/ 130 .
(4) الكتاب 4/ 130 .
(5) الكتاب 4/ 479 .
(6) المقتضب 3/ 46 - 47 .
(7) السبعة ص 107 .
(8) الحجة 1/ 52 و 403 و 3/ 134 .
(9) الخصائص 2/ 162 .
(10) اختلاف القراء في اللام والنون ص 63 .
(11) الموضح لمذاهب القراء ل 8/ ب .
(12) أسرار العربية ص 203 - 204 .
(13) التكملة ص 225 .
(14) سر صناعة الإعراب 1/ 62 .
(15) الرعاية ص 123 .

. (**الاستعلاء: أن يتصَعَّدَ** الصَّوتُ بالحرُوفِ في الحنَك الأعلى، ولذلك منعت الإمالة، وهي على ضربَين: ضربٍ **يَعْلو** فيه اللِّسان ويَنطبِقُ، وذلك حروفُ الإطباق، وضربٍ **يَعْلُو** فيه اللِّسانُ ولا يَنطَبق، وهو الغَين والقافُ والخاء): القرطبيّ[1].

. (**الاستعلاء: عُلُوُّ** الصَّوتِ عند النُّطقِ بهِ إلى الحنك، فيَنطَبِقُ الصَّوتُ [أي: يَنحَصِر] مع حروف الإطباق، **ويَسْتَعلِي** في الغين والخاء والقاف غيرَ منطبقٍ): ابن الطحَّان الأندلسيّ[2].

واضحٌ أنَّ أكثر هذه التعريفات تُلَخِّصُ آليَّةَ الاستعلاء والإطباق معاً، ففي الغَين والخاء والقاف يَستعلي الصَّوت دون انحصارٍ إلا في مخرج الحرف، ويَستعلي مع انحصارٍ في حروف الإطباق في المخرج وعلى طول جسمِ اللِّسان، وسيأتي بيان ماهيَّة هذا الانحصار عند الحديث عن الإطباق.

والخلاصةُ أنَّ كلُّ هذه المواضع التي ذُكِرَتْ تُعَبِّرُ عن شيء واحدٍ هو اتجاه الصَّوت إلى الأعلى، والقيمة التأثيريَّة التفخيميَّة التي تَمتلِكُها هذه الحروف، وهو ما يَشهدُ لنُطق القراء الحاليّ في تفخيم جميع حروف الاستعلاء.

3. المصطلح الثالث للاستعلاء: (الارتفاع)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

4. المصطلح الرَّابع للاستعلاء: (الشُّخوص)

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويّ على ارتفاعٍ في شيء[3].

استعمل ابنُ دُرَيدٍ تعبيرَ: (**الشُّخُوص** إلى الغار الأعلى)، قال عن تسفُّل السِّين واستعلاء القاف والطاء:"لأنَّ السِّينَ من وسط الفم مطمئنَّةً على ظهرِ اللِّسان، والقافُ والطاءُ **شاخِصتان** إلى الغار الأعلى"[4].

5. المصطلح الخامس للاستعلاء: (السُّمُوُّ)

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويّ على العُلُوِّ. يقال: سَمَوْت، إذا عَلَوْت، وسَمَا بصرُه: عَلا، وسَمَا لي شَخْصٌ: ارتَفَع حتى استَتبَتُّه، وكلُّ عالٍ مُطِلٍّ سماءٌ[5].

(1) الموضح ص 91 .
(2) مخارج الحروف وصفاتها 132 .
(3) مقاييس اللغة ص 531 (ش خ ص).
(4) الجمهرة 1/ 12 .
(5) مقاييس اللغة ص 469 (س م و).

وصَف ابنُ جنيّ الطاء بـ: (**السَّامِيَة**)، في حديثه عن بناء اللَّفظ على المعاني، قال:"ومِن ذلك تركيبُ (ق ط ر) و (ق د ر) و (ق ت ر) فالتاءُ خافِيةٌ متسفِّلة، والطاءُ **ساميةٌ** مُتَصَعِّدة، فاستُعمِلتا . لتعادِيهما . في الطرَفَين؛ كقولهم: قُتْرُ الشيءِ وقُطْرُه. والدالُ بينهما..."[1].

حروف الاستعلاء وألقابها:

عدَّدها سيبويه في النصّ الذي قدَّمته عند قوله: (فالحروفُ التي تَمْنَعُها الإمالةَ هذه السبعةُ: **الصادُ والضادُ والطاءُ والظاءُ والغينُ والقافُ والخاءُ**). وتابعَه على هذا التعداد أكثرُ أهل العربية والتجويد.

وفصَل الزجَّاجُ بين حروف الاستعلاء والإطباق، فذكر أنَّ حروف الاستعلاء هي: الغينُ والخاء والقاف[2].

وتابَعَهُ: الأزهريّ[3].

وأَلْحق بعضُ القراء العَينَ والحاء فيها فقال أحمدُ بنُ أبي عمر الأندرابيُّ:"وبعضُهم أَلْحَقَ العَين والحاء المهملتَين بالحروف المستعلِية"[4].

ويبدو أنَّ هذا الإلحاق هو من قَبِيلِ أخذِ حُكْمِ حروف الاستعلاء في منع الإمالة لا في الطبيعة الصَّوتيَّة، وهو مذهبٌ مرتبطٌ بأحد أوجه مذهب الكسائيّ في الوقف بالإمالة على ما قبل هاءِ التأنيث إذا لم تُسبَق بأحدِ حروفِ الاستعلاءِ أو العينِ أوالحاءِ أوالألفِ.

أمَّا الألف فقد تقدَّمت علَّتها من حيث إنَّها تستعلي هي وحروف الاستعلاء إلى الحنك الأعلى فأخذت حُكمَها في منعِ الإمالة، وأما الحاء والعين فلما كانا حلقيَّين من حَيِّزِ الألفِ أخَذَا حُكْمَها بالمجاوَرة، ذكَر ذلك الدانيُّ[5].

وأخذُ الحرفِ حُكْمَ مُجَاوِرِه قاعدةٌ صَوتيَّةٌ، استعملها سيبويه في تعليلِ إخفاءِ النُّون الساكنةِ عند الفاءِ؛ أخَذَتْ حُكمَ الثاءِ بالمجاوَرة[6]. واستعملها الدانيُّ في توجيهِ سبب إمالة الحرفِ الذي ما قبل هاء التأنيث كـ: (ضَرْبة وأخذة)؛ لأنَّ الهاء جاوَرَت الألفَ في المخرج، فأخَذَتْ حُكمَها في الإمالة[7]،

(1) الخصائص 2/ 162 .

(2) معاني القرآن وإعرابه 1/ 123- 124 و 5/ 167 .

(3) معاني القراءات 1/ 140 .

(4) نقَل هذا النصّ غانم الحمد في الدراسات الصوتية ص 291 - 292 . وهو الذي نبَّهني إلى ارتباط هذه الحروف بمذهب الكسائيّ في الإمالة.

(5) الموضح ل 44/ أ - ب .

(6) الكتاب 4/ 448.

(7) الموضح ل 45/ أ - ب .

واستعملها في منعِ إمالةِ الكافِ . في مذهب مَن منع . لمجاورة القاف المستعلية[1]، وفي الحاء والعين لمجاورتهما الألف كما مرّ. واستعملها أيضاً في جواز إدغام الجيم في التاء . مع بُعْدِ المخرجَين . في أخذها حُكمَ الشِّين في الإدغام، من حيث إنهما من مخرجٍ واحدٍ[2].

لقَّب سيبويه الحروف السبعة بـ: **(المستعلِية)**[3].

وتابعَه: المبرِّدُ[4]، وابن السرَّاج[5]، والفارسيُّ[6]، والرمانيُّ[7]، وابن جنيّ[8]، والدانيُّ[9]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[10]، وأبو البركات الأنباريّ[11].

ولقَّب المبرِّدُ هذه الحروف بـ: **(حروف الاستعلاء)**[12].

وتابعَه: ابن خالويه[13]، وطاهرُ بن غلْبون[14]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[15]، وابن سفيان القيروانيُّ[16]، والخفاجيُّ[17]، وأبو معشر الطبريُّ[18]، وابن بلّيمة[19]، وأبو البركات الأنباريُّ[20].

وتقدَّم أنَّ سيبويه بدأ الباب بـ: **(الحروف التي تَمنعها الإمالةَ هذه السبعةُ)**، فلقَّب المبرِّدُ هذه الحروف بـ: **(الحروف التي تَمنعُ الإمالة)**[21].

(1) الموضح 45/ ب .
(2) الإدغام الكبير ص 58 .
(3) الكتاب 4/ 130 - 131 .
(4) المقتضب 1/ 360 .
(5) الأصول 3/ 164 و 167.
(6) الحجة 1/ 15 و 368 و 2/ 347 والتكملة ص 225 .
(7) شرح كتاب سيبويه 191/ ب .
(8) سر صناعة الإعراب 1/ 4 .
(9) التحديد ص 105 .
(10) التمهيد ص 268 .
(11) أسرار العربية ص 209 .
(12) المقتضب 3/ 46 .
(13) إعراب ثلاثين سورة ص 159 .
(14) التذكرة 1/ 236 .
(15) المنتهى ص 221 .
(16) الهادي 1/ 138 و 187 و 169.
(17) سر الفصاحة ص 23 .
(18) التلخيص ص 197 .
(19) تلخيص العبارات ص 50 .
(20) أسرار العربية ص 202 .
(21) المقتضب 3/ 46 .

وتابعَه: الزجاجيّ[1]. وزاد ابن جنيّ: (**الحروف المستعلية التي تَمنعُ الإمالة**)[2].

ولقَّبها أبو جعفر النحَّاسُ بـ: (**الحروف المَوانِع**)[3]، وتابعه: ابن خالويه[4]، وابنُ مهران[5].

ولقَّبها ابنُ زنجلة بـ: (**الحروف المنَّاعة**)[6].

ثانياً: ظاهرةُ الاستفال:

استُعمِلت لها ألفاظٌ عدَّة، منها:
1 . (التسَفُّل، الاستفال، الانسِفال) 2 . (الانحدار) 3 . (تَصويبُ الأَلْسِنة) 4 . (الانخفاض)

1 . المصطلح الأوَّل للاستفال: (التسَفُّل، الاستِفال، الانسِفال، السَّفال، المستفلة)

يدلُّ أصلُها اللُّغويُّ على خلافِ العُلُوّ. فالسُّفْل سِفلُ الدار وغيرها، والسُّفولُ: ضدُّ العُلُوّ.

استَعمل سيبويه لفظ: (**التسفُّل**) في حديثِهِ عن مجاورة الحرفِ المستعلي للمستَفِل، وإمكانية تأثيره عليه إن كانَ قبلَه أو بعدَه ليدلَّ بهذا اللَّفظِ على أنَّ صَوتَ الحرفِ المستفِلِ يكونُ متَّجهاً إلى الترقيقِ، ضدّ الحرف المستعلي المتَّجه إلى التفخيم، ولِيَخلُصَ إلى قانون خطيرٍ من قوانين تحقيق الانسجام الصَّوتيّ، سيأتي ذِكرُه في قوانين المستعلي والمستفل[7].

تابعَه على لفظ: (**التسفُّل**): أبو علي الفارسيُّ[8]، وابن جنيّ[9]، والسعيديُّ[10]، وأبو البركات الأنباريُّ[11].

واستعمل ابن جنيّ لفظ: (**السَّفال**) في وصفِ السِّين، قال:"وذلك أنَّ حروف الاستعلاء تَجتَذِبُ السِّينَ عن **سَفَالِها** إلى تَعَالِيهنَّ"[12].

(1) شرح جمل الزجاجي ص 435 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 209 .
(3) إعراب القرآن 1/ 218 .
(4) الحجة ص 370 .
(5) الغاية ص 161 .
(6) الحجة ص 449 و 516 .
(7) الكتاب 4/ 130 .
(8) الحجة 1/ 51 - 52 و 2/ 347 .
(9) الخصائص 2/ 162 .
(10) اختلاف القراء في اللام والنون ص 63 .
(11) أسرار العربية ص 203 - 204 .
(12) المحتسب 2/ 168 .

واستَعمل مكيّ لفظ: (**الاستِفال**) لهذه الحروف، قال عنها:"بل **يَسْتَفِلُ** اللِّسانُ بها إلى قاعِ الفم . عند النُّطْقِ بها . على هيئةِ مخارِجِها"[1].

تأمَّل دقَّة قوله: (على هيئة مخارِجِها): يعني على حسب شكل كلِّ مخرجٍ من الحروف المسْتَفِلَةِ يكونُ شكلُ استفالِ اللِّسان، وبالتالي استفال الصَّوْت.

واستَعمل ابنُ الطحَّان لفظ: (**الانسِفال**)[2].

ولقَّب الرمانيُّ حروف الاستفال بـ: (**المُستفِلة**)[3].

وتابعَه: مكيّ[4]، والدانيُّ[5].

ولم يعدّ سيبويه الحروف المستفلة، وعدَّها مكيّ اثنين وعشرين حرفاً[6]. ومعنى هذا أنه أدخل الألفَ في جملتها.

2 . المصطلح الثاني للاستفال: (الانحِدَار)

من المشترك اللَّفظيّ، من أصلِه اللُّغويّ أن يدلَّ على الهبوط، حدَرْتُ الشيءَ: إذا أنزلتَه، والحُدُور:فِعْلُ الحادِر، والحَدُور، بفتح الحاء: المكانُ تَنحَدِرُ منه[7].

استُعمِل: (الانحِدار) في أكثر من معنى، منها:
1 . الاستفال 2 . ميل مخرج الحرف إلى مخرجٍ قريبٍ منه.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الانحِدار) = الاستفال:

استعمل سيبويه: (**الانحِدار**) في مقابل الإصعاد والتصعُّد في أكثر من مكان[8]. وسيأتي ذكره مع ألفاظ الاستعلاء والاستفال في قوانيهما.

تابعَ سيبويه على (**الانحدار**): المبرِّدُ[9]، وابن السرَّاج[1]، وأبو عليّ الفارسيُّ[2]، والدانيُّ[3]، وأبو

(1) الرعاية ص124 .
(2) مخارج الحروف وصفاتها ص 121 .
(3) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب .
(4) الرعاية ص 123 .
(5) التحديد ص 105 - 106 .
(6) الرعاية ص 123.
(7) مقاييس اللُّغة ص 233 (ح د ر).
(8) الكتاب 4/ 130 و 136.
(9) المقتضب 1/ 360 و 3/ 46 - 47 .

البركات الأنباريُّ[4].

2 . المعنى الثاني لـ: (الانحِدار) = ميل مخرج الحرف إلى مخرجٍ قريبٍ منه فأخَذَ حُكْمَه.

استَعمله سيبويه عند حديثه عن علَّة منع إدغام الفاء في الباء؛ لكون الفاء من باطن الشفة . والشفة في أصلها اللُّغويّ تدلُّ على الإشراف على الشيء . فكأن خروجها من باطن الشفة دون ظاهرها هو انحدارٌ، فلذلك عبَّر عن ذلك بقوله: (وانحدَرَت إلى الفم)، فقاربَتِ الثاءَ في المخرَج، فأخذَتْ حكمَ الثاء بالمجاورة في أنها لا تُدغَم في الباء[5].

وتابعَه الهمَذانيّ[6].

وأخذُ الشيء حُكم مجاوره من القواعد الصوتيَّة التي تقدَّمت.

3 . المصطلح الثالث للاستفال: (تَصْوِيبُ الأَلْسِنة)

يدلُّ أصلُها اللُّغويُّ على نزولِ شيءٍ واستقرارِهِ قرارَهُ. من ذلك الصَّوابُ في القولِ والفعلِ، كأنَّه أمرٌ نازِلٌ مستقرٌّ قرارَه، وهو خلافُ الخطأ، ومنه الصَّوْبُ، وهو نزولُ المطر. والتَّصَوُّبُ: حَدَبٌ في حُدورٍ، والتصَوُّبُ: الانحدارُ. والتصويبُ: خلافُ التصعيد. وصَوَّب رأسَه: خفَضَهُ. وصوَّب الله رأسَه، أي: نَكَّسَهُ[7].

استَعمل سيبويه لفظ: (**تَصويب الأَلْسِنة**) في حديثِهِ عن مجاورة الحرفِ المستعلي للمستَفِل، وإمكانية تأثيره عليه إن كانَ قبلَه أو بعدَه ليدلَّ بهذا اللَّفظِ على أنَّ صَوتَ الحرفِ المستفِلِ يكونُ متَّجهاً إلى الترقيقِ، ضدّ الحرف المستعلي المتَّجه إلى التفخيم، وليَخلُصَ إلى قانون خطيرٍ من قوانين تحقيق الانسجام الصَّوتيّ، وسيأتي ذِكرُه مع الألفاظ الأخرى في قوانين المستعلي والمستفل[8].

تابعه: أبو علي الفارسيّ[9].

4 . المصطلح الرابع للاستفال: (الانخفاض)

(1) الأصول 3/ 167 .
(2) الحجة 1/ 52 و 403 و 3/ 134، والتكملة ص 225 .
(3) الموضح ل 25/ أ .
(4) أسرار العربية ص 203 .
(5) الكتاب 4/ 448.
(6) التمهيد في معرفة التجويد ص299 .
(7) مقاييس اللُّغة ص 556 (ص و ب) ولسان العرب 1/ 534 .
(8) الكتاب 4/ 130 .
(9) الحجة 3/ 134 والتكملة ص 225 .

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصله اللُّغويُّ على ضدِّ الرَّفع. خَفَضَهُ يَخْفِضُهُ خَفْضاً فانْخَفَضَ واختَفَض[1].

استُعمل: (الانخفاض) في أكثر من معنى، منها:

1 . الكسر. 2 . الاستفال.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الانخفاض) = الكسر:

استعمله داود بن أبي طيبة، وأبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن، وأبو يعقوب يوسف بن موسى[2].

وهو راجعٌ إلى مصطلح: (الخفض) القديم استعماله بمعنى الكسر.

2 . المعنى الثاني لـ: (الانخفاض) = الاستفال:

لقَّب ابن مجاهد الحرف المستفل بـ: (**المُنخَفِض**)، قال عن توجيه كلمة [المصَيطرون]:"والسِّينُ الأصلُ، والكتابُ بالصَّاد، وإنَّما كُتِبتْ بالصَّادِ ليُقرِّبوها من الطاء؛ لأنَّ الطاءَ لها تَصَعُّدٌ في الحنك، وهي مُطبَقة، والسِّينُ مهموسةٌ، وهي من حروف الصَّفير. فثَقُل عليهم أن يَعمَل اللِّسان **منخفضاً** ومستعلياً في كلمة واحدةٍ، فقَلَبوا السِّينَ إلى الصَّادِ؛ لأنَّها مؤاخِيةٌ للطاء في الإطباق ومناسبةٌ للسِّين في الصَّفير، ليَعمل اللِّسانُ فيهما مُتصعِّداً في الحنك عملاً واحداً" [3].

وهذا الكلام النَّفيسُ من ابن مجاهد أصلُه وألفاظُه من كلام سيبويه في تجاور المستعلي والمستفل ممَّا سيأتي بيانه في القوانين. لكنَّ الملفِتَ فيه أنَّ ابن مجاهدٍ شيخُه ثعلب، والمدرسة الكوفيَّة لا تَعرِف مثل هذه الألفاظ، ممَّا يدلُّ على مذهب ابن مجاهدٍ الحرِّ في الجمع بين المذهبَين.

تابعَه ابن جني على لفظ: (**الانخفاض**)، قال:"وللحروف انقسامٌ آخَرُ إلى الاستعلاء **والانخفاض**"[4]، وعبد الوهَّاب القرطبيُّ[5]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[6]، وأبو البركات الأنباريُّ[7].

(1) لسان العرب 7/ 145 .
(2) ثلاثتهم في المطبوع من جامع البيان للدانيّ 2/ 496 .
(3) السبعة ص 107
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 62 .
(5) الموضح ص 90 .
(6) التمهيد ص 281 .
(7) أسرار العربية ص 209 - 210.

ولقَّب الخفاجيُّ حروف الاستفال بـ: **(حروف الانخفاض)**[1].

ولم تخرج تعريفات العلماء للاستِفَال عن نَفيِ الألفاظ التي جاءت في الاستعلاء، وإليك بعض هذه التعريفات:

. "وإنَّما سمِّيتْ **مُستفِلةً**؛ لأنَّ اللِّسانَ والصَّوتَ لا يستعلي عند النُّطق بها إلى الحنك... بل يَستفِلُ اللِّسانُ بها إلى قاعِ الفم عند النُّطقِ بها على هيئةِ مخارِجِها": مكيّ[2]. والشيءُ المميَّزُ في هذا التعريف هو الفِقرةُ الأخيرة منه كما تقدَّم.

. "سمِّيتْ **مستفِلةً**؛ لأنَّ اللِّسان لايَعلُو بها إلى جهة الحنك": الدانيّ[3].

. "**الانخفاض**: أن لا يتصَعَّدَ الصَّوتُ بالحُروف": القرطبيّ[4].

. "**الانسِفالُ**: انخفاضُ اللِّسانِ والصَّوتِ إلى قاعِ الفم": ابنُ الطحَّان الأندلسيّ[5].

الجهة الثالثة للاستعلاء والاستفال: قانون الاستعلاء والاستفال:

قانون المستعلي والمستفِل عند التجاوُر: **(سهولةُ الانتقال من المستعلي إلى المستفل وصعوبة العكس)**.

ذكَرَه سيبويه في حديثِهِ عن مجاورة الحرفِ المستعلي للمستفل، وإمكانية تأثيره عليه إن كان قبله أو بعدَه، ويتلخَّصُ حديثُه في قانونٍ خطيرٍ من قوانين تحقيقِ الانسجام الصَّوتيّ، وإليك الحالتَين من كلام سيبويه:

1 . سهولةُ الانتقال من المستعلي إلى المستفِل:

هذا القانونُ جعَل سيبويه يُجيزُ الإمالةَ . مع وجودِ حرفِ الاستعلاء . إن جاء حرفُ الاستعلاء مكسوراً أوَّلاً ثمَّ تَبِعه حرفٌ مستفلٌ مع ألفٍ ثمَّ جاءت الكسرةُ ثالثاً، كما في: ضِفافٍ، وصِعَاب؛ لأنَّه انتقالٌ طبيعيٌّ من حرفِ الاستعلاء ثمَّ إلى كَسْرَتِه ثمّ إلى الإمالة، فكان في مجمَله حال انحِدَارٍ ونزول. ودلَّل على ذلك بأنَّهم لا يُبدِلُون السين صاداً في: قَسَوتُ وقِسْتُ؛ لأنَّ الانتقال طبيعيٌّ من المستعلي (القاف) إلى المستفِل (السِّين) في قَسَوتُ، ومن استعلاء القاف ثم إلى الكسرة ثمَّ إلى السِّين في: قِسْتُ.

(1) سر الفصاحة ص 21 .
(2) الرعاية ص 124 .
(3) التحديد ص 107 .
(4) الموضح ص 91 .
(5) مخارج الحروف وصفاتها ص 132 .

قال سيبويه:"فإذا كان حرفٌ من هذه الحروفِ قبْلَ الألفِ بحرفٍ وكانَ مكسوراً فإنَّه لا يَمْنَعُ الألفَ من الإمالة، ولَيْسَ بمنزلةِ ما يكونُ بَعْدَ الألفِ؛ لأنَّهم يَضَعُونَ ألسنَتَهم في مَوضِعِ **المُستَعلِيةِ، ثُمَّ يُصَوِّبُونَ ألسِنَتَهُم، فالانحدارُ** أخَفُّ عليهم من **الإصعادِ**. ... وقالوا: قَسَوْتُ، وقِسْتُ، فلَم يُحَوِّلُوا السِّينَ؛ لأنَّهُم **انحَدَرُوا** فكانَ **الانحدارُ** أخَفَّ عليهم من **الاستِعْلاَءِ** من أن **يُصَعِّدُوا** من حالِ **التَّسَفُّل**.

وذلك قولهم: الضِّعَاف، والصِّعَاب، والطِّنَاب، والصِّفَاف، والقِبَاب، والقِفَاف، والخِبَاث، والغِلاَب، وهو في معنى المغَالَبَة من قولك: غَالَبْتُهُ غِلاَباً، وكذلك الظاءُ"[1].

وهذه الحالة تابعه عليها: المبرِّد[2].

2 . صعوبةُ الانتقال من المستفِل إلى المستعلي:

هذا هو الشِّقُّ الثاني من القانونِ السَّابق الذي جعَل سيبويه لا يُجيزُ الإمالةَ إن جاء حرفُ الاستعلاء أوَّلاً مفتوحاً مع ألفٍ ثمَّ تَبِعته كسرَةٌ، لأنَّ حرفَ الاستعلاء يَطلُبُ العلُوَّ، وكذلك الفتحة، فغلَبا تأثير الكسرة التي تَطلُبُ الاستفالَ، كما تقدَّم سابقاً. ودلَّل على ذلك بأنَّ السِّين أُبدِلَتْ صاداً، إذا جاورت القاف، في نحو: صَبَقْتُ التي أصلُها سَبَقْتُ، حتى يتحقَّق الانتقال السَّهلُ من الصَّادِ إلى القاف فيكونُ عملاً واحداً، فلو بقيت السِّينُ على حالِها لثَقُل الانتقالُ من الحرفِ المستفلِ (السِّين) إلى المستعلي (القاف).

قال سيبويه:"ألا ترى أنَّهم قالوا: صَبَقْتُ، وصُقْتُ، وصَوِيق. لما كان يَثْقُلُ عليهم أن يَكونوا في حالِ **تَسَفُّلٍ ثمَّ يُصَعِّدونَ** ألسِنَتَهُم، أرَادُوا أن يَكُونُوا في حالِ **استعلاءٍ**، وألاَّ يَعْمَلوا في **الإصْعَادِ** بَعْدَ **التَّسَفُّلِ**، فأرَادُوا أن تَقَعَ ألسِنَتَهُم مَوْقِعاً واحداً...

ولا يكونُ ذلِكَ [أي: جواز الإمالة] في قَائِمٌ، وقَوَائم؛ لأنَّهُ جاءَ الحرفُ **المستعلي** مفتوحاً. فلمَّا كانت الفتحةُ تَمْنَعُ الألفَ الإمالةَ في: (عذَاب وتَابِل) كان الحرفُ **المُستَعلي** مع الفتحةِ أغْلَبُ؛ إذ كانَت الفتحةُ تمنَعُ الإمالةَ، فلمَّا اجتَمَعَا قَوِيَا على الكَسْرَةِ"[3].

تابعَ سيبويه: ابن مجاهد[4]، والفارسيّ[5]، والسعيديّ[1]، والدانيّ[2].

(1) الكتاب 4/ 130 .

(2) المقتضب 1/ 360 .

(3) الكتاب 4/ 130 .

(4) عبَّر ابن مجاهد عن علة ترقيق لام لفظ الجلالة إن سبقت بكسر بـ: "استثقال الخروج من الكسر إلى التغليظ، في نحو اللام إن سبقت بكسرة" . نقَل عنه ذلك الدانيُّ في جامع البيان 3/ 905، ويعني بالكسر: الترقيق، وبالتغليظ: التفخيم. وأعاد الداني هذا الخبر في كتابه الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 51/ أ.

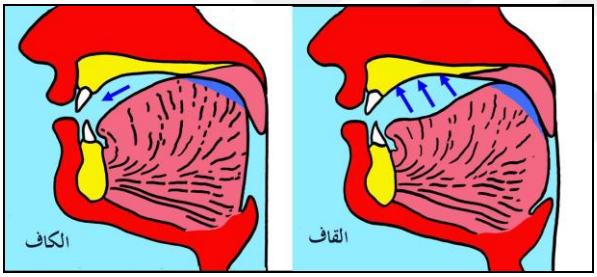
(5) الحجة 1/ 403 . وعبارته: (الإصعادُ بعد الانحِدَار يثقل ويخف العكس).

الجهة الرابعة للاستعلاء والاستفال: الارتباط بالقيمة التفخيمية:

الخلاصةُ من كلِّ ما سبق أنَّ الاستعلاءَ يَرتَبِطُ ضرورةً بالقيمة التفخيمية التي تأخذها هذه الأصوات، فهو يَقرُبُ من أن يكون صفةً مرادفةً للتفخيم، لكنَّه يَفترِقُ عنه في أنَّه تفخيمٌ ملازمٌ لحروفه لا ينفكُّ عنها في الفتح والضمِّ والكسرِ، وهذا ما جَعَلَ سيبويه لا يَعُدُّ الرَّاء من الحروف المستعلِية لمفارقتها التفخيم في بعض الحالات، قال:"فإنَّما شُبِّهت الراءُ بالقاف، وليس في الرَّاء استعلاءٌ"(3). وأيضاً لأنَّ تأثير الرَّاء إنَّما هو من جهة تكريرها فكأنَّ الراء المفتوحة والمضمومة براءَين مفتوحتَين ومضمومتَين، كما أنَّ الراء المكسورة بكسرتَين، فاختلف تأثيرها في الإمالة تبعاً لهذه الحالات(4).

كما أنَّ سيبويه لاحَظ قُرب مخرج الرَّاء من الياء الذي هو مخرجٌ للكسرة فباعدَها بذلك من المستعلية، قال عن إمالة ألف (الكافرين):"لما بعدتْ [الراء] وصار بينها وبين الألف حرفٌ لم تَقوَ قوَّةَ المستعلِية؛ لأنَّها مِن مَوضعِ اللامِ وقريبةٌ من الياء. ألا ترى أنَّ الألْثغَ يجعلُها ياءً، فلمَّا كانت كذلك عمِلت الكسرةُ عمَلَها إذ لم يكُن بعدَها راءٌ"(5).

وكذلك الكافُ فإنَّها وإن كانت مع القاف في المخرج نفسه من حيث أقصى اللسان مع الحنك، إلا أنَّها فارقت القاف باستفالِها إلى الفم، وتصَعُّد القاف إلى الحنك الأعلى، أعني من حيث القيمة التفخيميَّة(6).



شكل رقم (61) الفرق في اتجاه الصوت بين مستعل ومستفل من مخرجٍ واحد

ويُمثِّل شكل رقم (61) الفرق في اتجاه الصوت بين مستعل ومستفل من مخرجٍ واحد، أعني القاف والكاف. لاحِظ تقعُّر وسط اللِّسان والتضييق في الحلق الذي أنتج ذلك الأثر التفخيميّ في القاف، وانظر عكس ذلك في الكاف.

وقد بيَّن القرطبيُّ العلاقة بين الاستعلاء والإطباق والتفخيم والترقيق في نصٍّ نفيسٍ جداً، قال:" والفرقُ بين الاستعلاء والإطباق وبينَ الترقيق والتفخيم أنَّ الاستعلاءَ يَلزَمُ حروفَه فلا يَزولُ عنها وكذلك

(1) اختلاف القراء في اللام والنون ص 63 . وعبارته: (كراهة الانتقال من تسفل إلى تصاعد).

(2) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 25/ أ و 46/ أ . وعبارته: (التصعُّد بعد الهبوط ثقيل ويخفُّ العكس).

(3) الكتاب 4/ 137

(4) الكتاب 4/ 136 .

(5) الكتاب 4/ 137 .

(6) الكتاب 4/ 479 - 480 . وانظر فيه استعماله للفظ: التصعُّد للقاف والصاد، والانحدار للكاف.

الإطباقُ بخلاف الترقيق والتغليظِ، فإنَّهما يتعاقبان على الرَّاءِ واللاَّم كالإمالةِ والتفخيمِ في الألف"[1].

الجهة الخامسة : من قواعد الاستعلاء والاستفال:

. **(الفتحُ والضمُّ مع المُستَعلِي يَطلُبَانِ العُلُوَّ فمنعوا الإمالةَ فيهما)**: الدانيّ[2].

. **(تَخِفُّ الإمالةُ في المُستَفِلِ؛ لمُشَاكَلَتِهِ صوتَ الإمالة)**: الدانيّ[3].

. **(يَمنَعُ الاستعلاءُ الإمالةَ لتَصَعُّدِ الصَّوتِ بالحُروف المستعلية)**: القرطبيّ[4].

ثانياً: الصفتان المتعلِّقتان بحَصرِ الصَّوت بين اللِّسان والحنك: (الإطباق والانفتاح)

الإطباقُ من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصله اللُّغويّ على وَضعِ شيءٍ مبسوطٍ على مثلِه حتى يُغَطِّيَه، ويقال: طابَقْتُ بين الشَّيئَين: إذا جعلتُهما على حَذْوٍ واحدٍ[5].

الانفتاح: يدلُّ أصله اللُّغويّ على خلاف الإغلاق. يقالُ: فتحتُ البابَ وغيرَه فتحاً، ثمَّ يُحمَلُ على هذا المعنى سائرُ ما في هذا البناء[6].

الإطباق والانفتاح: لفظان وضَعهما سيبويه، ليدلَّ بأحدهما على هيئةٍ ملازِمة لبعضِ الأصوات يَشترِك فيها جسمُ اللِّسان ـ كعضوٍ ضاغطٍ ـ مع مخرج الحرف في إنتاجِها، وهو **الإطباقُ**. وليدُلَّ بالآخَر على عكس ذلك العَمل، وهو **الانفتاحُ**.

في **الحرفِ المنفتحِ** ينحَصِرُ الصَّوتُ في نقطة معيَّنة هي مخرجُ الحرف، ويتولَّدُ عنها صدىً معيَّنٌ سمَّيناه الحرف، كإغلاق الشفتين في الباء. أمَّا في أصوات **الإطباق** فينحصِرُ الصَّوتُ بالمخرجِ وعلى طولِ سطحِ اللِّسان، حيث يتقعَّرُ وسطُه ويَرتَفِعُ آخرُه، ويكونُ بمثابةِ الغِطاء المطبِق على الحنك الأعلى، وينتُج عن ذلك القيمة التفخيميَّة لحروفه. ومن هنا كان الجهدُ العضليُّ المبذول في إنتاج هذه الأصوات مضاعفاً، واستحقَّتْ بذلك وسامَ أقوى الحروف.

استُعمِل: **(الإطباق)** في أكثر من معنًى، منها:

1 ـ ضغْطُ أحدِ عُضوَي النُّطق على الآخَر لإحداث الصَّوْت اللُّغويّ، وقد مضى الحديث عنه.

(1) الموضح ص 110 .
(2) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 47/ أ .
(3) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة 36/ أ .
(4) الموضح في التجويد ص 90 .
(5) مقاييس اللُّغة ص 607 (ط ب ق)
(6) مقاييس اللُّغة ص 805 (ف ت ح)

2 . من صفاتِ الحروف الكبرى. وهي التي أتناولها بشيءٍ من التفصيل .

لقَّب سيبويه أصوات **الإطباق**، وهي: الصاد والضاد والطاء والظاءُ بـ: (**المُطْبَقة**) [1]، وبـ: (حروف **الإطباق**) [2].

تابعَه على (**المُطْبَقة**): الأخفشُ[3]، والمبرِّدُ[4]، وابن السرَّاج[5]، والفارسيُّ[6]، والرمَّانيُّ[7]، وابن جنيّ[8]، ومكيّ[9]، والدانيُّ[10]، والهمَذانيّ[11]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[12].

وتابعَه أيضاً ابنُ دُرَيدٍ، غير أنَّه علَّلَ لها تعليلاً غريباً، قال:"والحروفُ **المُطبَقةُ**: الصاد والضاد والطاء والظاء؛ لأنَّك إذا لفظتَ بها **أطبقتَ** عليها حتى تَمنعَ النَّفَس أن يَجريَ معها"[13]. وكلامه هذا فيه تغييرٌ لدلالة سيبويه من **الإطباق**، ويُشبِهُ مفهومُه منه مفهومَ الجهر، والله أعلم.

وتابعَ سيبويه على (**حروف الإطباق**): المبرِّدُ[14]، والزجَّاجُ[15]، والأزهريُّ[16]، ومكيٌّ[17]، ولقَّبَها أيضاً بـ: (**حروف التفخيم**)، والخفاجيُّ[18]، ولقَّبَها بـ: (**المُنطبِقة**)[19]، وأبو معشرٍ الطبريُّ[20]، والهمَذانيّ[21]،

(1) الكتاب 4/ 436 .
(2) الكتاب 4/ 470 .
(3) معاني القرآن 2/ 591 - 592 .
(4) المقتضب 1/ 328 و 330.
(5) الأصول 3/ 401 و 404 .
(6) التكملة ص 279 والحجة 1/ 49.
(7) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب .
(8) سر صناعة الإعراب 1/ 5 و 61 .
(9) الرعاية ص 109 .
(10) التحديد ص 105 .
(11) التمهيد ص 281.
(12) أسرار العربية ص 209 .
(13) الجمهرة 1/ 8 .
(14) المقتضب 1/ 202 .
(15) معاني القرآن وإعرابه 1/ 123، و 5/ 167 .
(16) معاني القراءات 1/ 140 .
(17) الرعاية ص 122 .
(18) سر الفصاحة ص 21 .
(19) سر الفصاحة ص 21 .
(20) التلخيص ص 195 .
(21) التمهيد في معرفة التجويد ص 281 .

وابن الطحَّان الأندلسيّ[1].

ولقَّب سيبويه الحروف التي هي عكس المطبَقة بـ: (**المنفتحة**)[2].

وتابعَه: المبرِّد[3]، وابن السرَّاج[4]، والزجَّاجيّ[5]، والرمَّانيُّ[6]، ومكيّ[7]، والخفاجيُّ[8].

واستَعمل ابن جنيّ لفظ: (**الانفتاح**)[9]. وتابعه: مكيّ[10]، والقرطبيّ[11]، وابن الطحَّان الأندلسيُّ[12].

ولقَّبها أبو البركات ابن الأنباريّ بـ: (**المفتوحة**)[13].

تناولَ المتقدِّمون: (الإطباق) من عدَّة جهات، منها:

1 ـ انطباقُ اللِّسَانِ عَلَى الحنَكِ الأعْلَى، وما يتعلَّق بذلك من تقعُّرٍ لوسطِ اللِّسان وارتفاعٍ لمؤخَّره، والتفاوت في ذلك بين حروفه.

2 ـ انْحِصَارُ الصَّوْتِ بينَ اللِّسانِ والحنَك الأعلى بسبب الانطباق.

3 ـ الأثرُ التفخيميُّ الحاصل نتيجةً لما سبَق.

4 ـ النَّظيرُ المقابلُ للحرفِ المطبَق عند زوال الإطباق.

5 ـ اشتراكُ بعض الأصوات الأخرى غير الصاد والضاد والطاء والظاء في هيئة الإطباق.

6 ـ حروف الإطباق والانفتاح.

ملاحظة: الشيءُ الوحيدُ الذي لم يذكُره المتقدِّمون عن هذه الظاهرة ـ فيما اطَّلعتُ عليه ـ وذكَرَهُ المعاصِرون هو التضييقُ الكبيرُ الذي يَحصُلُ في الحلق أثناء الإطباق والاستعلاء والتفخيم فيما يُعرَفُ بـ:

(1) مخارج الحروف وصفاتها ص 127 .
(2) الكتاب 4/ 436 .
(3) المقتضب 3/ 46 .
(4) الأصول 3/ 404 .
(5) شرح جمل الزجاجيّ ص 449 .
(6) شرح كتاب سيبويه 191/ ب .
(7) الرعاية ص 123 .
(8) سر الفصاحة ص 21 .
(9) سر صناعة الإعراب 1/ 61 .
(10) الرعاية ص 109 .
(11) الموضح ص 87 .
(12) مخارج الحروف وصفاتها ص 121 .
(13) أسرار العربية 209 – 210 .

(التحْلِيق).

1 . الجهةُ الأولى: انطباق اللِّسان على الحنك الأعلى:

وَصْفُ سيبويه للإطباق يتكوَّن من شقَّين : أحدهما خاصٌّ بجسم اللِّسان ومخرج الحرف، والثاني يتعلَّقُ بحصرِ الصَّوت، ونتناول في هذه النقطةِ الجزءَ الخاصَّ بجسم اللِّسان والمخرج.

الإطباق هو ضغطُ سطحِ اللِّسانِ هواءَ الصَّوتِ إلى جهةِ الحنك الأعلى، كجزءٍ مشاركٍ مع المخرجِ في إنتاج الصاد والضاد والطاء والظاء.

واستَعمل سيبويه لوصف هذه الهيئة، أعني ضغط جسم اللِّسان على الحنك، عدةَ ألفاظٍ، منها:

(الانطباق)، (الإطباق)، (التصَعُّد)، (الرَّفع)، (الوضع)، وأضاف إليها بعضُ العلماء: (الانبساط)، وتقدَّم الحديثُ عن بعضِ هذه المصطلحات كألفاظ تُعبِّر عن ضغطِ أحدِ عُضوي النُّطق على الآخَر.

قال سيبويه:"وهذه الحروفُ الأربَعةُ إذا **وضَعْتَ** لِسانكَ في مواضِعهنَّ **انطَبَقَ** لسانُكَ مِن مواضِعِهنَّ إلى ما حاذى الحنكَ الأعلى من اللِّسان **تَرْفَعُه** إلى الحنك الأعلى... فهذه الأربعةُ لها مَوضِعان من اللِّسان"[1]. وقال عن الصَّاد:"لأنَّ الصاد **تَصَعَّدُ** إلى الحنك الأعلى للإطباق"[2].

وعرَّف سيبويه الحروف المنفتحة، وهي عكس المطْبَقة، قال:"والمنْفَتِحةُ: كلُّ ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنَّكَ لا تُطْبِقُ لشيءٍ منهنَّ لسانَكَ **تَرْفَعُه** إلى الحنك الأعلى"[3].

ولم يخرجْ العلماء بعد سيبويه عن وصفِه بشيء سوى في بعض الألفاظ.

ويُعَدُّ تعريفُ ابن جنيّ للإطباق التعريفَ الذي مشى عليه أكثر العلماء، فقد عرَّف ابن جنيٍّ الإطباق، فقال:"الإطباقُ: أن تَرْفَعَ ظَهْرَ لِسانِكَ إلىالحنَكِ الأعلى مُطْبِقاً له"[4].

وتابعَه: القرطبيُّ[5]، والخفاجيُّ[6]، وابنُ الطحَّان[7]، والهمَذانيّ[8]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[9].

(1) الكتاب 4/ 436 .
(2) الكتاب 4/ 479 .
(3) الكتاب 4/ 436 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 61 .
(5) الموضح ص 90 .
(6) سر الفصاحة ص 21 .
(7) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .
(8) التمهيد ص 281 .
(9) أسرار العربية ص 210 .

ومن وحيِ تعريف ابن جنيّ للإطباق صاغ القرطبيُّ تعريفَ الانفتاح، قال:"الانفِتَاحُ: أن لا تُطْبِقَ ظَهْرَ لسانِك بِرَفْعِهِ إلى الحنَكِ، فَلا يَنحَصِرُ الصَّوتُ"(1). وتابعَه: ابن الأنباريّ بتغييرٍ طفيف(2).

ومن أطرفِ النُّصوص التي اطَّلعتُ عليها، وتُشير إشارةً خفيَّةً إلى علاقة الرَّسم الكتابيّ لهذه الحروف بالصَّوت المنطوق قولُ الزجَّاج عن الصَّاد والطاء:"يَنطَبِقُ الحنكُ على اللِّسانِ بهما... وهما أيضاً **مُطْبَقتان في الخطِّ**"(3).

فإذا كان الزجَّاجُ يُشير إلى رسم الطاء والصاد ـ وقس عليهما الضاد والظاء ـ اللَّذين يُشْبِهُ حاجبُهما قبَّةَ الحنك، والخطُّ الأفقيُّ فيهما جسمَ اللِّسان، فهو أوَّلُ نصٍّ يُوَضِّحُ العَلاقة بين هيئةِ الصوتِ المنطوق وتجسيدِهِ بالمكتوب.

ونلاحظُ في وصفِ سيبويه لهيئةِ الإطباق أنَّ عبارتَه جاءتْ عامَّةً لم تُحدِّد لنا مقدارَ هذا الانطباق ؟

وجاء وصفُ ابن سينا دقيقاً لهذه الحروف حين ذكَر التفاوُتَ في انطباق اللِّسان على الحنك في هذه الأصوات، فمِن ذلك ما قاله عن الصاد:"وأما الصاد فيَفعله حبسٌ غير تامٍّ، أضيقُ من حبسِ السِّين وأيبس وأكثر أجزاءً، حابس طولاً إلى داخل مخرج السين وإلى خارجه، **حتى يُطبِقَ اللِّسانُ أو يكاد يُطبِق على ثُلثَي السَّطح المفروشِ تحت الحنك والشَّجْر**"(4).

وقال عن الطاء:"وإنما تحدُث عن **انطباق سطحِ اللِّسان أكثرِه مع سطْح الحنَك والشَّجْر**، وقد يَبرأ شيءٌ منهما عن صاحبِه"(5).

وكذلك ذكَر مكيٌّ حين علَّل لحروف الإطباق، فقال:"وإنَّما سُمِّيَتْ بحروفِ الإطباق، **لأنَّ طائفةً من اللِّسان تَنْطَبِق** مع الرِّيح إلى الحنك عند النُّطقِ بهذه الحروفِ"(6). وقد ذكرتُ معنى: (الطائفة) فيما مضى(7).

وتابعَه: ابن الطحَّان الأندلسيُّ(8).

وذكَر مكيٌّ أنَّ حروف الإطباق"بعضُها أقوى في الإطباق من بعضٍ، فالطاءُ أقواها في الإطباق...

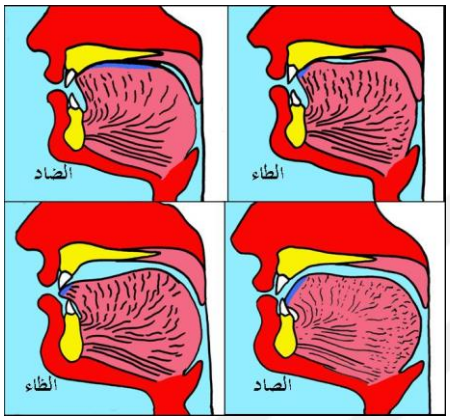
(1) الموضح ص 90 .
(2) أسرار العربية ص 210 .
(3) نقَل ذلك عنه النحَّاسُ في إعراب القرآن 4/ 294 .
(4) أسباب حدوث الحروف ص 77.
(5) أسباب حدوث الحروف ص 79.
(6) الرِّعاية ص122.
(7) انظر الفصل الأول، الألفاظ الخاصة بأجزاء أعضاء النطق، وانظر الفهرس الهجائي للمصطلحات.
(8) مخارج الحروف وصفاتها ص 131 .

والظاءُ أضعفُها في الإطباق... والصَّادُ والضادُ متوسِّطان في الإطباق"[1].

ونقَل القرطبيُّ عبارتَه[2].

ويبيِّن شكل رقم (62) التفاوت بين حروف الإطباق.

وقد أظهرَتْ بعضُ نصوص المتقدِّمين أمراً آخَرَ على غايةٍ من الأهميَّة في كيفيَّةِ هذا الإطباق، ويُصاحِبُ هذه الحروف، وهو تقعُّر وسط اللِّسان، قال ابن سينا عن الصَّاد:"والصَّادُ كالسِّينِ إلا أنَّ مَسْرَبَ الهواءِ فيهِ يأخُذُ من اللِّسانِ جزءاً أعظمَ طولاً وعرْضاً، ويَحْدُثُ في اللِّسان **كالتقعيرِ**، حتى يكون لانفلاتِ الهواءِ كالدَّويِّ"[3].



شكل رقم (62) التفاوت بين حروف الإطباق

وقال عن الطاء: "لكنَّ الطاءَ تُحبَسُ في ذلك الموضع بجزءٍ من طرف اللِّسان أعظم، ووراءه بضِلعَي اللِّسان، **وتقَعُّر وسط اللِّسان** خلف ذلك المحْبِس، ليَحدُث هناك دويٌّ عند الإفراج ثمَّ يُقْلَع، ويكون الحبسُ بشدٍّ قويٍّ"[4].

ويَلزمُ أن أنبِّه هنا إلى أنَّ الشيءَ الوحيدَ الذي لم يذكُره المتقدِّمون عن هذه الظاهرة وذكَرَه المعاصِرون فيما يتعلَّق بجسم اللِّسان هو التضييقُ الكبيرُ الذي يَحصُلُ في الحلق أثناء الإطباق والاستعلاء والتفخيم نتيجة رجوع الجزء الخلفيِّ من اللِّسان، وقد أطلقوا عليه لفظ: (التحْلِيق). وانظر التضييق الكبير في الحلق في شكل رقم (62) التفاوت بين حروف الإطباق.

2 . الجهةُ الثانية: انْحِصَارُ الصَّوْتِ بينَ اللِّسانِ والحنَك الأعلى بسبب الانطباق:

الشِّقُّ الثاني من وصف سيبويه يتناوَل انحصارَ الصَّوت بين اللِّسان والحنك الأعلى نتيجة الإطباق الذي تحدَّثنا عنه في النقطة السَّابقة، قال:"فإذا وضَعتَ لسانَك **فالصَّوتُ محصورٌ فيما بين اللِّسان والحنكِ إلى مَوضعِ الحروف**... فهذه الأربعةُ لها مَوضعان من اللِّسان، **وقد بُيِّنَ ذلك بحصرِ الصَّوت**"[5].

(1) الرِّعاية ص 122 - 123 .
(2) الموضَح ص 90 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 120.
(4) أسباب حدوث الحروف ص 121.
(5) الكتاب 4/ 436 .

وتابعَه كلٌّ من تابعَه في النقطة الأولى غيرَ ابنِ جنيّ، وابن الأنباريّ.

وتابعَه مكيٌّ، واستَبدَل: (الصوت) في كلام سيبويه بـ: (الرّيح)، قال:"وتَنْحَصِرُ الرّيحُ بين اللّسان والحنك الأعلى"[1].

واستَعمل ابن سينا لفظَ: (الرُّطوبة) لهيئة الهواء المتشكّلة جرّاءَ ضغطِ عُضوي النُّطق، ولا شكَّ أنَّ هذه الهيئةَ تكون كبيرةً في أصوات الإطباق نتيجة الحَصْرِ الكبير للصَّوت على طول جسمِ اللّسان ، فمثلاً ذكَر ابنُ سينا عن الضاد:"أن **الرُّطوبةَ التي يُحبَسُ فيها الهواءُ بعد الإطلاق تكونُ أعظم**"[2].

وقال عن الظاء:"وإن كان حبسٌ كالإشمام بجزءٍ صغيرٍ من طرف اللّسان، **وإمرارُ الهواء المُطلَق بعد الحبس على سائر سطحِ اللّسان على رطُوبته**، وحفزٌ له جملةً سُمِع الظاءُ"[3].

وقال عن الصَّاد:"والصَّادُ كالسّينِ إلا أنَّ **مَسْرَبَ الهواءِ فيهِ يأخُذُ من اللّسانِ جزءاً أعظمَ** طولاً وعرْضاً"[4].

أمَّا في الانفتاح فلا يكون مثل هذا الانحصار إلا في مخرج الحرف، قال سيبويه:"وأمَّا الدالُ والزَّايُ ونحوُهما فإنَّما يَنحصِرُ الصَّوتُ إذا وضعتَ لسانَكَ في مواضعهنَّ"[5].

3. الجهةُ الثالثة: الأثر التفخيميّ الحادث من الإطباق والمحافظةُ عليه:

أطلق سيبويه على الأثر التفخيميّ الذي يُسمَعُ من حروف الإطباق لفظَ: (**أفشى في السَّمع**).

وهذا الأثرُ هو أحدُ الفضائلِ التي يُحافَظُ عليها في هذه الأصوات عند أكثر العرب، كما يُحافِظُون على الغنَّة في النُّون، والمدِّ في حروف المدِّ، قال سيبويه عن إبقاءِ صوتِ إطباق الطاء إذا اجتمعتْ مع الدَّال:"إلا أنَّك قد تدعُ الإطباقَ على حالِه فلا تُذْهِبهُ؛ لأن الدَّالَ ليس فيها إطباقٌ، فإنما تَغْلِبُ على الطاءِ؛ لأنها مِن مَوضِعِها، ولأنها حصرَت الصَّوتَ من مَوضِعِها كما حَصَرَتْهُ الدال، فأما الإطباقُ فليستْ منه في شيءٍ . **والمُطبَقُ أفشى في السَّمْع، ورأَوا إجحافاً أن تَغْلِبَ الدالُ على الإطباق وليستْ كالطاءِ في السَّمع**.

ومثلُ ذلك إدغامُهم النونَ فيما تُدغَمُ فيه بغنة. وبعض العرب يُذهِبُ الإطباقَ حتى يجعلَها كالدالِ

(1) الرعاية ص 122 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص 119.
(3) أسباب حدوث الحروف ص 80.
(4) أسباب حدوث الحروف ص 120.
(5) الكتاب 4/ 436 .

سواء... كما أنَّهم أدغَموا النُّونَ بلا غُنَّة"[1].

ولم يَخرُجْ حديثُ الفرَّاءِ عن هذا الذي ذكره سيبويه، إلاَّ أنَّه استَعمل للحرفِ الذي يَمْلِكُ فضيلة صوتٍ، كالغُنَّةِ في النُّون، والإطباق في حروف الإطباق لفظَ: (**المُصَوِّت**)، قال عن علَّةِ إبدال تاء الافتعال طاءً في نحو: اصطبر:"لأنَّ التاءَ حرفٌ أخْرَسٌ لا يَخْرُج له صَوتٌ، إذا بَلَوْتَ ذلك وجدتَّه، فكرِهُوا إدغامَ **مُصَوِّتٍ** في حرفٍ أخرس، فلمَّا فاتَهُمُ الإدغامُ وجَدُوا الطاءَ معتدلةً في المخرجِ بين التاء والصَّاد، لتكون غير ذاهبةٍ بواحدٍ من الحرفَين"[2].

وتابعَه ابن مجاهدٍ، قال:"فلا يُدْغَمُ **مُصَوِّتٌ** في غير مُصَوِّتٍ؛ فيُخِلّ به، وإنَّما تَبْقى منه غنَّةٌ كما يَبْقى من المطْبَقِ ـ إذا رُمْتَ إدغامَه في غَيرِ مُطْبَقٍ ـ أثرٌ من الإطباق"[3].

واستَعمَل ابن سينا لذلك لفظَ: (**الدَّويّ**)، قال عن صوتِ الصَّاد عند خروجه:"حتى يكون لانفلاتِ الهواءِ **كالدَّويّ**"[4].

وقال عن صوتِ الطاء:"ليَحدُث هناك **دويٌّ** عند الإفراج ثمَّ يُقْلَع"[5].

4 ـ الجهة الرَّابعة: النَّظيرُ المقابِلُ للمُطبق إذا زال الإطباق:

إذا زال الإطباق سيبقى الصَّوتُ منحصراً في مكانٍ واحدٍ هو مخرجُ الحرف، وسيذهبُ الأثرُ الصوتيُّ التفخيميُّ للحرفِ المطْبَق، ويَرجِع إلى نظيرِهِ المرقَّقِ إن وُجِد له نظيرٌ مرقَّق، قال سيبويه:"ولولا الإطباقُ لصارتِ الطاءُ دالاً، والصَّادُ سيناً، والظاءُ ذالاً، ولخرجتِ الضَّادُ من الكلامِ؛ لأنَّه ليس شيءٌ من موضعِها غيرُها"[6].

واضحٌ من النصِّ أنَّ ثلاثةً من الحروف يَمْلِكُ نظيراً مرقَّقاً بخلاف الضَّادِ التي تَعْدَمُ ذلك النَّظير عند زوال إطباقِها.

فالصادُ، والطاءُ، والظاء جميعُها أصواتٌ أماميَّةٌ يشتركُ فيها طرف اللِّسان مع الثنايا، ويشاركُها في مخارجها عدَّة أصوات أخرى:

فالصَّاد يشاركُها: السين والزاي، والأقربُ إليها السينُ لاشتراكهما في كلِّ الصفات غير الإطباق، أمَّا

(1) الكتاب 4/ 460 .

(2) نقَل ذلك السيرافيُّ في كتابه: ما ذكَره الكوفيُّون من الإدغام ص 63 ، وانظر : ص 59 و 67 .

(3) نقَل ذلك السيرافيُّ في إدغام القراء ص 57 .

(4) أسباب حدوث الحروف ص 120.

(5) أسباب حدوث الحروف ص 121.

(6) الكتاب 4/ 436 .

الزايُ فتخالِفُها في الجهر، والانفتاح. والظاءُ يشارِكُها: الذَّال والثاء، والأقربُ إليها الذَّالُ لاشتراكهما في كلِّ الصفات غير الإطباق، أمَّا الثاءُ فتخالِفُها في الهمس، والانفتاح. والطاءُ يشارِكُها: الدَّال والتاء، والأقربُ إليها الدَّالُ لاشتراكهما في كلِّ الصفات غير الإطباق، أمَّا التاءُ فتخالِفُها في الهمس، والانفتاح.

وقد أشكَل هذا الأخيرُ على كثيرٍ من المعاصِرين الدارسين لعبارة سيبويه، واتَّخذَها بعضُهم ذريعةً للتشكيكِ في صوتِ الطاء؛ إذ فَهِموا من عبارتِه اتحادَ هويَّتَي الطاء والدال في السَّمع بلا إطباق، فإذا زال إطباقُ الطاء سينقلبُ الحرفُ دالاً، وبالتالي وجَدوا أنَّ الطاءَ الحاليَّة التي تُسمَع من القرَّاء لا تَصْلُح نظيراً مُطْبَقاً للدَّال، فأخذوا يتخيَّلون نظيراً لها، فقادتْهُم تخيُّلاتُهم إلى الضَّادِ الأسنانيَّة الحديثة (الدال المفخَّمة)[1]، ولا نجِدُ أحداً منهم يَضَعُ احتمالَ الخطأِ منه في فهمِ عبارة سيبويه، أو يُدرِكُ خطرَ الانجرارِ وراء هذا الوهمِ الذي يمَسُّ صوتاً من أصواتِ القرآن؛ لأنَّ هذا الأصلَ الذي أرادوه للطاء، أعني الدالَ المفخَّمةَ، سيرتَّبُ عليه ـ لو قرئ به ـ تغييرٌ كبيرٌ للمعنى في مثل قوله تعالى: [وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إن كُنتُم مُّؤمِنينَ]، وبعيدٌ جداً أن لا يَلْحَظَ المتقدِّمون هذا التغيُّرَ مع شدَّة عنايتِهم ـ على مرِّ العصور ـ في المحافظة على الصورة الأدائيَّة الأولى المتلقَّاة من فم النبيِّ ρ، ورصْدِهِم ما هو أدقّ من ذلك ممَّا هو متعلِّقٌ بمقادير المدَّات، فكيف الحال بما يكونُ له تأثيرٌ في معانى الكلمات؟!!

وهذا الوهمُ الكبيرُ من المعاصِرين رَاجِعٌ إلى تحريفٍ مَغلُوطٍ لدلالة الهمسِ، واعتقادٍ راسخٍ منهم باتِّفاق الدَّلالةِ بينهم وبين المتقدِّمين فيه.

وليس قربُ الصَّوت من الصَّوت يستلزِمُ اتِّحادَ هويَّتَيهما في السَّمع، قال سيبويه عن قُربِ الرَّاءِ من اللام، والطاءِ من الدَّالِ:"لأنها [أي: الراء] أقربُ الحروفِ إلى اللاَّم وأشبهُها بها، فضارَعَتا الحَرفَين اللَّذَين يَكُونان مِن مخرجٍ واحدٍ؛ إذ كانتِ اللاَّمُ ليس حرفٌ أشبهَ بها مِنها ولا أقربَ، كما أن الطاءَ ليس حرفٌ أقربَ إليها ولا أشبهَ بها من الدَّال"[2].

فشدَّةُ القُرْبِ بين الراء واللام ـ وهما مرقَّقان ـ لم تَستلزِمْ اتحادَهما في السَّمع، كذلك حال الطاءِ عند زوالِ الإطباق لا يَستَلْزِمُ اتِّحادَها مع الدالِ في السَّمع، وإن أوهَمَتْ عبارةُ سيبويه ذلك.

وعلى الباحثين المعاصِرين الذين يعتقدون بالدَّال المفخَّمة أن يُفسِّروا لنا ـ في ضوء كلامِهم ـ معنى كلامِ ابنِ جنيّ عن الفرق في الزَّمن بين حبستَي الطاءِ والدالِ في قوله:"وقالوا: (قطَّ الشيءَ)، إذا قطَعَه عرْضاً، و (قدَّه)، إذا قطَعَه طولاً، وذلك لأنَّ **مُنقَطَعَ الطاءِ أقصَرُ مدَّةً من مُنقطَعِ الدَّال**"[3]،

(1) انظر: دروس في علم أصوات العربية لكانتينو ص 51، والأصوات اللُّغوية لإبراهيم أنيس ص 62، ومناهج البحث في اللُّغة لتمام حسان ص 122، والمدخل إلى علم اللُّغة لرمضان عبد التواب ص 75 .

(2) الكتاب 4/ 457 .

(3) الخصائص 1/ 66 .

وقولِه:"وذلك أنَّ **الطاءَ أحصَرُ للصَّوتِ وأسرَعُ قَطْعاً له من الدَّال**"[1].

وأن يُفَسِّروا لنا معنى مقارنةِ ابن سينا بين الطاء والتاء والدَّال، وتَبيِينِه أنَّ الفرقَ بين الطاء والتاء إنَّما هو بالإطباق فقط، وأنَّ الدَّالَ تُفارِقُ الطاءَ والتاءَ في نوعيَّة الحبس، قال:"وأمَّا **الطاءُ والتاءُ والدَّالُ** فإنَّ مخارجَها من المقدَّمِ من السَّطحِ المِمْتَدِّ على الحنك، وتَحْدُثُ كلُّها من حبساتٍ تامَّةٍ، وقَلْعٍ، ثمَّ إخراجِ هواءٍ دفعةً، لكنَّ **الطاءَ** تُحبَسُ في ذلك الموضعِ بجزءٍ من طرفِ اللِّسان أعظمَ، وَوَرَاءَهُ بِضِلْعَيِ اللِّسانِ وتَقَعُّرِ وسطِ اللِّسانِ خلفَ ذلك المِحْبِس، ليَحدُثَ هناك للهواء دَوِيٌّ عند الإفراجِ ثمَّ يُقلع، ويكونُ الحبسُ بشدٍّ قويٍّ.

وأمَّا **التاء** فيكونُ مِثلَه في كلِّ شيءٍ، إلاَّ أنَّ الحبسَ بطرفِ اللِّسان فقط.

وأمَّا **الدَّالُ** فتُفارِقُ الطاءَ إذ لا إطباقَ فيها، وتُخالِفُ الطاءَ والتاءَ إذ الحَبسُ فيه غيرُ قويٍّ، وعساهُ أن يكونَ في الكَمِّ أقلَّ قليلاً من حَبس التاء"[2].

ولا أظنُّ أنَّ الأمرَ يحتاجُ إلى تعليقٍ، والله الموفِّق.

5 . الجهة الخامسة: اشتراكُ بعض الأصوات الأخرى غير الصاد والضاد والطاء والظاء في هيئة الإطباق:

تَنَاوَلَ ابنُ سينا بعد حديثه عن الحروف الأصلية جملةً من الحروف الفرعيَّة، وهي الحروف التي تخرج عن الأصلية بوجهٍ من الوجوه، وذكَر منها الحروف التي يُخالطُ لفظُها لفظَ الصَّوتِ المفخَّمِ، وتشترِكُ في هيئةِ الإطباق، فمن ذلك قوله عن الجيم التي تشبِه الصَّاد بأنَّ فيها "زيادةً في **الإطباق**"[3].

وقال عن السين الصادية أو الصَّاد التي كالسين:"تحدُثُ من استِعمال جزءٍ من اللِّسان أعرضَ وأطولَ إلى داخل"[4].

ولقَّب الرَّاءَ المفخَّمةَ بـ: (**المُطبَقة**) التي"يُرعَّدُ فيها لا الطرفُ من اللِّسان فقط، بل وسطُه"[5].

ولقَّب اللاَّمَ المفخَّمة بـ: (**المُطْبَقة**)، قال:"وهاهنا لامٌ **مُطبَقةٌ** نسبتُها إلى اللاَّمِ المعروفة نسبةُ الطاءِ إلى التاء، وتكثرُ في لغةِ التُّرْكِ مأخوذةً على أنَّها حرفٌ آخَر، ويَستعمِلُها المتَفَيْهِقُ في لغة العربِ على أنَّها

(1) الخصائص 2/ 158 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص 121 - 122 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 128 .
(4) أسباب حدوث الحروف ص 129 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص 130 .

اللاَّمُ المعروفةُ بعينِها"[1].

وفي الرَّاء عقَد القرطبيُّ مقارنةً بين الرَّاء المفخَّمة والمرقَّقة، حيث يأخذ اللِّسان جزءاً أعظم في المفخَّمة، قال:"فإن كانتْ مكسورةً رَقَّتْ، وكان العمَلُ فيها برأسِ اللِّسان، ومُعْتَمَدُها أدْخَلَ إلى جهةِ الحَلْقِ في الحنك الأعلى يسيراً، وأخَذَ اللِّسانُ من الحنك أقلَّ مِمَّا يأخُذُ مع المفَخَّمةِ، فيَنْخَفِضُ اللِّسانُ حينئذٍ، فلا يَنْحَصِرُ الصَّوْتُ بينَه وبين الحنكِ فتجيءُ الرِّقَّة... فإن كانتْ مضمومةً أو مفتوحةً فُخِّمَتْ، وكان ما يأخذُه طرفُ اللِّسان منها أكثرَ ممَّا يأخذُه مع الترقيقِ، وكان مُعْتَمَدُ اللِّسان أخرجَ في الحنك الأعلى يسيراً، فينبسِطُ حينئذٍ اللِّسانُ، وينحصِرُ الصوتُ بينه وبين الحنَك، فيَحدُثُ التفخيمُ لذلك"[2].

وهذا إدراكٌ دقيق لعمليَّة التفخيم، وما يحدث فيها من انحصارٍ للصوت بسبب تقعُّرِ اللِّسان، ويدلُّ على اتِّساع مساحةِ حَصْرِ الصَّوت ممَّا هو شرطٌ ملازِمٌ للإطباق.

ولعلَّ الذي دعا سيبويه وأصحابَه إلى أن لا يَعدُّوا اللامَ والرَّاء المفخَّمتَين من حروف الإطباق أنَّ هيئةَ الإطباقِ لا تَلزمهما في كلِّ أحوالهما، كما أنَّ الإطباقَ وعدمَه فيهما لا يؤثِّران في المعنى بخلاف هذه الأصوات الذي يُعَدُّ الإطباق عنصراً جوهريًّا مميِّزاً في مثل: (عصى وعسى)، و (محذوراً ومحظوراً)، قال القرطبيُّ:"فصار التفخيمُ في كَونِه انحصارَ الصَّوتِ بين اللِّسان والحنك نظيرَ الاستعلاء والإطباق، ولهذا أثَّر الاستعلاءُ في الإمالة والترقيق فمنَعهما؛ لأنَّه ضدٌّ.

والفرقُ بين الاستعلاء والإطباق وبينَ الترقيق والتفخيم أنَّ الاستعلاءَ يَلزَمُ حروفَه فلا يَزولُ عنها وكذلك الإطباقُ بخلاف الترقيق والتغليظِ، فإنَّهما يتعاقبان على الرَّاءِ واللاَّم كالإمالةِ والتفخيمِ في الألف"[3].

ثالثاً: الصفتان المتعلقتان بالأثر: (التفخيم والترقيق)

1 . وصف ظاهرتَي التفخيم والترقيق:

التفخيم والترقيق أثران صوتيّان سمعيّان، الأوَّل منهما وهو التفخيم صوتٌ ضخْمٌ ناتجٌ عن تقعُّرٍ في وسط اللِّسان وتضيقٍ كبيرٍ في الحلق. ويُصيبُ بعض الحروف، فمنها ما يلازمه ولا يَنفكُّ عنه كحروف الاستعلاء، ومنها ما يَدُور عليه كالراء واللاَّم والألف.

أمَّا الترقيقُ فهو عكسُه، صوتٌ رقيقٌ ناتجٌ عن عدم اتخاذ اللِّسان ذلك الوضع الذي يتخِذه في

(1) أسباب حدوث الحروف ص 131 .

(2) الموضح في التجويد ص 106.

(3) الموضح ص 110 .

التفخيم.

وما قدَّمتُه عن اتجاه الصوت في الاستعلاء والاستفال، وحصرِه في الإطباق والانفتاح، والفرق بينهما وبين التفخيم كافٍ في شرح هاتين الظاهرتَين.

ويمكن تلخيصُ الأصوات العربية الجامدة من حيث التفخيم والترقيق إلى أربع مجموعات:

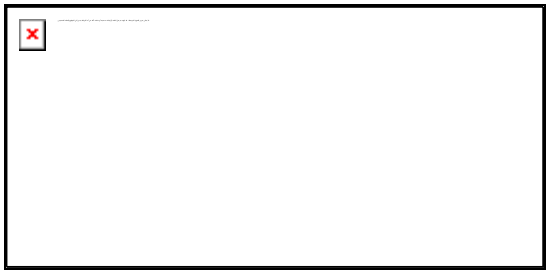
1 . حروفٌ ينحصِرُ الصَّوتُ في مخارجها وعلى طولِ جسم اللِّسان، ويبقى التفخيمُ ملازماً لحروفها، وهي حروف الإطباق.

2 . حروفٌ يَنحصِرُ الصَّوتُ في مخارجها فقط، ويبقى التفخيمُ ملازماً لحروفها، وهي القاف والغين والخاء.

3 . حروفٌ يَنحَصِرُ الصَّوتُ في مخارجها وتملِكُ قيمةً تفخيميَّةً وترقيقيَّة في أحوال متعدِّدة، وهي الراء واللام.

4 . حروفٌ تنحصِر في مخارجها، وتملك الترقيق فقط، وهي باقي الحروف.

أمَّا من حيث شكل اللِّسان فالقاسمُ المشتركُ في المجموعات الثلاث الأولى . من حيث القيمة التفخيميَّة . هو في انحصار الصَّوت قليلاً زيادةً على مخرجِ الحرف وتَقَعُّر في وسط اللِّسان والتضييق الكبير في الحلق. وتفترِقُ حروف الإطباق عن المجموعتين في انحصار الصَّوت على طول جسم اللِّسان.



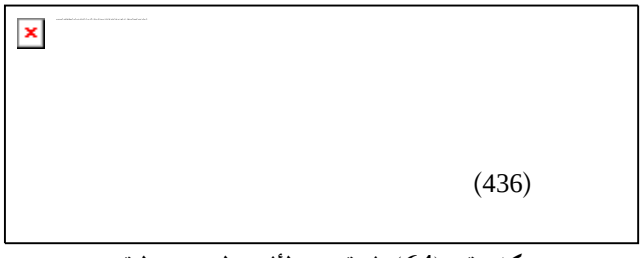
شكل رقم (63) الفرق بين الراء المفخمة والمرققة

أمَّا شكلُ اللِّسان في باقي الحروفِ المرقَّقةِ فليس فيه إلا انحصارُ الصَّوت في المخرج.

ولتوضيح هذا الفرق الجوهريّ بين الأصوات المفخَّمة والمرققة يُمثِّلُ شكل رقم (63) الفرق بين الراء المفخمة والمرققة. حيث نلاحظ أن الشيء الزائد الذي حصل في الراء المفخَّمة عن المرقَّقة هو تقعُّر وسط اللِّسان (رقم 1)، والتضيق الكبير في الحلق (رقم 2). وراجع الأشكال التي تقدَّمتْ في الإطباق والاستعلاء.

أمَّا الحروف الذائبةُ من حيث التفخيم والترقيق، الألفُ تملِكُ قيمةً تفخيميَّةً وترقيقيَّة بحسبِ ما قبلها، والواوُ والياء لا تكونان إلاَّ مرقَّقتَين.

وأثبت منظارُ الحَنجرة هذا



شكل رقم (64) الفرق بين الألف المفخمة والمرققة

التضييق في الحلق، ويمثِّلُ شكل رقم (64) الفرق بين الألف المفخمة والمرققة في كلمتَي (قال، ومال) حيث الألف مفخَّمة في الأولى، ومرقَّقة في الثانية. لاحِظ التضييق الكبير عند الغضروف المسمَّى حديثاً بلسان المزمار في الألف المفخَّمة.

2 . ألفاظُ ظاهرتَي التفخيم والترقيق:

1 . ظاهرة التفخيم:

استعمل لظاهرة التفخيم عدة مصطلحات، منها:

1 . (التفخيم) 2 . (الفتح) 3 . (التقعير) 4 . (التغليظ) 5 . (الإسْمَانُ، السِّمَنُ، التَّسْمِين)

1 . المصطلح الأوَّل لظاهرة التفخيم: (التفخيم)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على جزالةٍ وعِظَمٍ. ويقال: مَنطِقٌ فَخْمٌ: جَزْلٌ، ويقولون: الفَخْمُ من الرِّجال: الكثيرُ لَحمِ الوجنتَين[1].

استُعمِل: (التفخيم) في أكثر من معنى، منها:

1 . معنى قديمٌ مختلف فيه 2 . الزيادة في المدّ 3 . التفخيم المعروف 4 . الفتح ضدّ الإمالة 5 . الرفع 6 . اتجاه الألف نحو الواو 7 . الفتح المعروف 8 . مشاركٌ في الإمالة الصغرى 9 . من عيوب النطق

1 . المعنى الأوَّل لـ: (التفخيم) = معنى قديمٌ مختلف فيه:

قال رسول الله ρ : "نزل القرآن **بالتفخيم**"[2].

نقَل الدانيُّ الاختلافَ في تأويل معنى: (**التفخيم**)، فذكَر أنَّ أبا عبيد القاسم بن سلام رجَّحَ أنَّ التفخيمَ هنا هو الفتحُ ضِدُّ الإمالة وأنه دليلٌ على أنَّه الأصلُ، إلاَّ أنَّ الدانيَّ أعطاهُ معاني أخرى يَحتَمِلُها النصُّ، ولا فضيلةَ لأحدِها على الآخر، ومن هذه المعاني :

1 . أن يكون التفخيم بمعنى أنَّه نزلَ بالغِلظة والشدة على الكافرين .

2 . ومنها أن يكون بمعنى التعظيم والتبجيل.

3 . وذكَر أنَّ بعضَ المتقدِّمين فسَّره بأنه تحريكُ أواسط آخر الكلم دون إسكانها، وروي ذلك عن

(1) مقاييس اللغة ص 809 (ف خ م) .

(2) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم ص 210 .

ابن عباس وعمَّار بن ياسر رضي الله عنهما[1].

ولو صحَّ أنَّ النبيَّ ρ عنَى بهذا اللَّفظ الفتح ضد الإمالة، أو ما عناهُ الصَّحابيَّان الجليلان ـ رضي الله عنهما ـ فهو يدلُّ على قدم هذا المصطلح، وعلى بداية التأريخ الصحيح للمصطلحات.

2 ـ المعنى الثاني لـ: (التفخيم) = الزيادة في المدّ:

استعمل التابعيُّ الجليلُ الرَّبيعُ بن خيثمٍ لفظ: (**التفخيم**) بمعنى الزِّيادة في المدِّ، قال الفرَّاءُ: "حدَّثَنى قيسُ بنُ الرَّبيع عن سعيدِ بنِ مسروقٍ عن الشعبيّ عن الرَّبيعِ بنِ خَيْثَمٍ الثَّوريّ[2] أنَّ رجلاً قرأ عليه [دَكّا] فقال [دَكَّاءَ]، **فَخِّمْها**. قال الفراءُ: يعني أَطِلْهَا"[3].

وهذا النصّ أحد النصوص الخطيرة التي تَشهَد لصحَّة تلقِّي القرَّاء، وأنّ ذلك سنَّة متَّبعة يأخذها الآخِرُ عن الأوَّل وليس فيه اجتهادٌ من لَدُن البَشَر.

ولعلَّ تعبير أحمد بنِ جبير الأنطاكيّ بلفظ: (**التفخيم**) في لام: [الر] من هذا الباب، حيث وصَف قراءةَ حمزة، قال:"كان يَقرأ **بتفخيمِ** اللام، ويَمْلأُ بها الفمَ، **تفخيماً** حسناً، ولا يُغَلِّظُ اللام"[4].

فقولُه: (ولا يُغلِّظ اللاَّم) هي التي دلَّت على أنَّه لا يَقصِد بلفظ: (التفخيم) التفخيمَ المعروف، ويحتمِلُ أنَّه يَقصِدُ به الفتحَ ضد الإمالة، لكنَّ قوله: (ويملأ بها الفم تفخيماً حسناً) يتَّجِه إلى المدِّ، والله أعلم.

ويدلُّ أصلُ: (الملء) اللُّغويُّ على المساواة والكمال في الشيء، ملأتُ الشيءَ أملؤه ملئاً، والمِلءُ: الاسمُ للمقدار الذي يُملأُ، وسمِّي بذلك لأنَّه مساوٍ لوعائه في قدْرِه، ومنه أملأَ النَّزْعَ في القَوْس، إذا بالَغَ[5].

3 ـ المعنى الثالث لـ: (التفخيم) = التفخيم المعروف

استعمله من العلماء: عاصمُ بن أبي النَّجُود[6]، والخليل، وأحمدُ بن جبير الأنطاكيُّ[7]، وأبو إبراهيم

(1) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 2/ أ . وانظر: إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 14 .

(2) قال عنه ابن الجزري في غاية النهاية 1/ 283:الربيعُ بن خيثم أبو يزيد الكوفي الثوريّ، تابعيٌّ جليلٌ، ورَدَتْ عنه الروايةُ في حروف القرآن. أخَذَ القراءة عن عبد الله بن مسعود، قال له عبد الله بن مسعود: لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لأَحَبَّك، وما رأيتُك إلا ذَكَرْتُ المخبِتين. قال ابنُ سعد: مات في ولاية عبيد الله بن زياد يعني قبل سنة تسعين من الهجرة اهـ.

(3) معاني القرآن 2/ 160 . والقراءان متواترتان: قرأ [دَكاء] بالمدِّ عاصم وحمزة والكسائيّ، وقرأ باقي السبعة بلا مدّ [دَكًا].

(4) المطبوع من جامع البيان للداني 3/ 901 .

(5) مقاييس اللُّغة ص 957 (م ل ي).

(6) نقل ذلك عنه أبو العلاء الهَمَذانيُّ في التمهيد ص 297 .

(7) نقل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 3/ 902 .

إسماعيل بن أحمد المهديّ[1]، وطاهر بن غَلْبون[2]، والسعيديُّ[3]، وابن سفيان القيروانيُّ[4]، ومكيّ[5]، والدانيُّ[6]، والقرطبيُّ[7]، وأبو مَعشر الطبريُّ[8]، وابن بلّيمة[9].

قال الخليل:"والأَصاتِمُ جماعةُ الأُصْطَمّة، بِلُغة تميم، جمَعوها بالتاءِ على هذه اللُّغة؛ لأنّهم كَرِهوا **التفخيم**: أصاطم، فردّوا الطاء الى التاء"[10].

ولقَّب الخليلُ حروف الإطباق بـ: (**الحروف الفِخام**)، قال في تحويل تاءِ الافتعال طاءً:"ويُقَالُ: اظَّأَرْتُ لولدي ظِئْراً، أي اتخَذْتُ، وهو افتَعَلْتُ، فأُدغِمَت التّاء في باب الافتعال فحُوِّلَتْ مع الظاءِ طاءً؛ لأنَّ الطاءَ من **فِخَامِ** حُرُوفِ الشَّجْرِ التي قَرُبَت مخارِجُها من التاءِ، فضَمُّوا إليها حرفاً **فَخْماً** مِثلَها؛ ليكونَ أيْسَرَ على اللِّسانِ لِتَبَايُنِ مَدْرَجَةِ **الحُرُوفِ الفِخامِ** من مَدارِجِ الحروفِ الخُفْتِ، وكذلك تحويلُ تلك التّاءِ مع الضَّادِ والصَّادِ طاءً؛ لأنّها من **الحروف الفِخَامِ**"[11].

والمِلفِت للنَّظَر أنَّ لفظ: (التفخيم) بهذا المعنى لم يَرد عند سيبويه إلا في : (ألف التفخيم)، وهي ألفٌ مائلةٌ إلى الواو.

وذكَر ابن الطحَّان الأندلسيُّ أنَّ التفخيم والتغليظ لفظان مترادفان، قال:"والتغليظُ عبارةٌ عن سِمَنٍ يَدخُلُ على جسمِ الحرفِ فيمتلئ الفمُ بِصَدَاهُ. **والتفخيمُ** عبارةٌ عنه أيضاً"[12].

4 . المعنى الرابع لـ: (التفخيم) = الفتح ضدّ الإمالة:

استعمله من العلماء: حفصُ بن المغيرة الأسديّ (راوي قراءة عاصم)[13]، والأخفشُ[14]، وعمرو بن

(1) نقل ذلك عنه ابن سفيان في الهادي 1/ 186 .
(2) التذكرة 1/ 246 .
(3) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص 42 .
(4) الهادي 1/ 172 .
(5) الرعاية ص 109 .
(6) جامع البيان 3/ 889 .
(7) الموضح في التجويد ص 106 .
(8) التلخيص ص 197 .
(9) تلخيص العبارات ص 50 .
(10) العين 7/ 107 .
(11) العين 8/ 167 .
(12) مرشد القارئ ل 8/ ب . وهذا التعريف للتفخيم هو المشهور عند المتأخرين من علماء التجويد كابن الجزريّ في التمهيد.
(13) السبعة ص 416 .
(14) معاني القرآن 1/ 193 .

الصبَّاح[1]، وأبو عبيد بن سلام[2]، وخلف بن هشام[3]، وهشام بن عمَّار[4]، وأحمد بن يزيد الحلوانيّ[5]، وأحمد بن جبير الأنطاكيّ[6]، وابن قتيبة[7]، والزجَّاج[8]، وابن مجاهد[9]، والنحَّاس[10]، وابن خالويه[11]، وأبو عليّ الفارسيّ[12]، وابن مهران[13]، وعبد المنعم بن غَلْبون[14]، وابن جنيّ[15]، وابن فارس[16]، وأبو الفضل الخزاعيّ[17]، والدانيُّ[18]، والقرطبيُّ[19]، وأبو العز القلانسيُّ[20]، وأبو البركات الأنباريُّ[21]، وغيرهم.

وفي هذا المعنى ذكَر الزجَّاجُ أنَّ التفخيمَ لغةُ أهل الحجاز والنبي صلى الله عليه وسلم، وهي العُليا القُدْمى[22].

وتابعَه أبو علي الفارسيّ[23].

ومرجِع ذلك القول إلى أبي عبيد القاسم بن سلاَّم كما تقدَّم في المعنى الأوَّل.

وذكَر الدانيُّ أنَّ التعبير عن الفتح بـ: (**التفخيم**) وعن الإمالة بنوعَيها بـ: (الكسرِ) إنَّما هو مجازٌ

(1) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان 3/ 839 .
(2) نقل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن 3/ 3.
(3) جامع البيان 3/ 795 .
(4) جامع البيان 3/ 822 .
(5) السبعة ص 322 .
(6) نقل ذلك عنه الدانيّ في جامع البيان 3/ 770 .
(7) أدب الكاتب ص 261 .
(8) معاني القرآن وإعرابه 2/ 239 .
(9) السبعة ص 150 .
(10) إعراب القرآن 1/ 206 .
(11) الحجة ص 66 .
(12) التكملة ص 39 .
(13) المبسوط ص 103 .
(14) الاستكمال ص 97 .
(15) سر صناعة الإعراب 2/ 598 .
(16) الصاحبيّ ص 29 .
(17) المنتهى ص 341 .
(18) التحديد ص 70 .
(19) الموضح ص 110 .
(20) الإرشاد ص 115 .
(21) أسرار العربية ص 202 .
(22) معاني القرآن 1/ 386 .
(23) الحجة 5/ 218 .

واتِّساعٌ، قال:"والمصنِّفون من القرَّاء من المتقدِّمين وغيرُهم قد يُعبِّرون عن هذين الضَّربَين من الممالِ بـ: (الكسر) مجازاً واتساعاً، كما يُعبِّرون عن الفتح بـ: (**التفخيم**)... وذلك كلُّه حسنٌ مستَعمَلٌ بدليل تسمية العربِ بالشيءِ باسمِ ما هو منه، وما قاربَه وما جاوره، وكان بسببٍ منه، وتعلَّقَ به ضرباً من التعلُّق"[1].

5 . المعنى الخامس لـ: (التفخيم) = الرَّفع

استعمله الخليل، وتقدَّم في (الرَّفع).

6 . المعنى السادس لـ: (التفخيم) = مشاركٌ في التعبير عن اتجاه الألف نحو الواو

عُبِّرَ عن هذا المعنى بألف التفخيم و التفخيم الشديد.

1 . (ألف التفخيم):

من المشترك اللَّفظيّ. استعمل في أكثر من معنى، منها:

1 . الألف المائلة نحو الواو 2 . الألف المفخَّمة المعروفة عند القرَّاء

1 . المعنى الأوَّل لـ: (ألف التفخيم) = الألف المائلة نحو الواو

قال الخليل:"وأَلِفٌ **مُفَخَّم** يُضارِعُ الواوَ"[2]. وقال عنها:"والحيوة، كُتِبَتْ بالواو لِيُعْلَم أنَّ الواوَ بعد الياء، ويقال: بل كُتِبَتْ على لغةِ مَن **يُفْخِّمُ** الألفَ التي مَرْجِعُها إلى الواو نحو: الصلوة والزّكوة"[3].

من وحي كلام الخليل لقَّب سيبويه الألف التي تَميلُ إلى الواو بـ: (**ألف التفخيم**)[4].

وتابعه: ابن السرَّاج[5]، والزجاجيّ[6]، والرمَّانيّ[7]، وابن جنيّ[8]، ومكيّ[9]، والقرطبيّ[10]، والخفاجيّ[11]،

(1) الموضح لمذاهب القراء ل 1/ ب .
(2) العين 4/ 281 .
(3) العين 3/ 317 .
(4) الكتاب 4/ 432 .
(5) الأصول 3/ 399 .
(6) شرح جمل الزجاجيّ ص 445 .
(7) شرح كتاب سيبويه ل 190/ ب .
(8) سر صناعة الإعراب 1/ 46 و50 والخصائص 2/ 351 .
(9) الرعاية ص 109 .
(10) الموضح ص 81 و 83.
(11) سر الفصاحة ص 19 .

وأبو البركات الأنباريّ[1].

2 . المعنى الثاني لـ: (ألف التفخيم) = الألف المفخَّمة المعروفة عند القرَّاء

قال مكيٌّ عن ألف التفخيم:"الألفُ المفخَّمةُ: هي ألفٌ يُخالِطُ لَفظَها تفخيمٌ يُقرِّبُها من لفظِ الواو، كما كانت الألفُ الممالةُ ألفاً يُخالِطُ لَفظَها ترقيقٌ يُقرِّبُها من الياء، فهي نقيضةُ الألفِ الممالة، وبذلك قرأ ورشٌ عن نافع في: [الصَّلوة] و[مُصَلًّى]، و[الطَّلاق] و[بظلاَّم]، وشبهه. وذلك فاشٍ في لغة أهل الحجاز، وإنَّما دعاهم إلى ذلك إرادةُ نفيِ جواز الإمالة فيها"[2].

ومن غريب الاتفاق والذي يُستأنسُ به في هذا المعنى أنَّ التحليل الطيفيَّ للواوِ في كلمة: (أوتوا) وألف التفخيمِ في: (قال) في نُطق خمسة من مجيدي القراءة أظهَرَ التقاربَ الشديد بينهما، والذي يَفرِقُ بينهما اختلاف التردُّدِ بين الحزمِ المكوِّنة (Formants) لهما حيث إنَّ تردُّدَ الحزمة الأولى (ح1) في الواو المدِّية يبدأُ من 300 ذ/ ث تقريباً على حين يبدأ في الألف المفخَّمة من 500 ذ/ ث. وانظر شكل رقم (70)، ولاحظ التقارب بين دائرة الألف المفخَّمة ودائرة الواو، هذا مع العلم أن لا أحدَ من القراء يُدَوِّرُ الشفتَين بالألف المفخَّمة.

ولعلَّ سبب هذا التقارب هو ارتفاعُ مؤخَّرِ اللِّسان في كلٍّ منهما، والله أعلم.

وإذا كان الخليلُ وأصحابُه ومكيٌّ قد أدركوا بحسِّهم الدقيق هذا التقارب فيُعَدُّ هذا سبقاً صوتياً لهم.

2 . (التفخيم الشديد)

لقَّب الدانيُّ هذا الاتجاه نحو الواو بـ: (**التفخيم الشديد**)، وذكر أنَّ القرَّاء لا يَستعمِلونَه، قال:"وأمَّا المفتوحُ فحقُّه أن يؤتى بين منزلتَين، بين **التفخيم الشديد** الذي يَستعمِله أهلُ الحجاز في نحو: الصلاة والزكاة فيَنْحُون بالألف نحو الواو من **شدة التفخيم** . وهذه اللغة لا تُستَعمَل في القرآن لأنَّه لا إمام لها . وبين الإمالة المحْضة التي يَستعمِلُها القرَّاء، وهي التي دون الكسر الصَّحيح"[3].

7 . المعنى السابع لـ: (التفخيم) = الفتح المعروف:

استعمله من العلماء: الخليل، وأبو جعفر النحَّاس[4]. وهذا ليس في مقابله الإمالة.

نقَل الخوارزميُّ معنى **التفخيم** عند الخليل بأنه:"ما وقع في أوساط الكلم على الألفات المهموزة، نحو:

(1) أسرار العربية ص 207 .
(2) الرعاية ص 109 .
(3) التحديد ص 100 - 102 .
(4) إعراب القرآن 1/ 273 .

سأَل"[1]. أي فتحة الهمزة من سأل.

8 . المعنى الثامن لـ: (التفخيم) = مشاركٌ في الإمالة الصغرى:

لما كان التفخيم من أحد معانيه الفتح ضد الإمالة استعمله بعض القرَّاء في التعبير عن الإمالة الصغرى، وهي التي تقعُ بين الألف المدِّية وألف الإمالة الكبرى، وإليك بعض هذه التعبيرات:

. (بين الكسر **والتفخيم**): سُلَيمُ بن عيسى[2]، وخلف بن هشام البزَّار[3]، ومحمد بن سعدان[4]، وأبو هشام الرفاعيّ[5]، وأحمدُ الحلوانيُّ[6]، وأبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهانيُّ، ومحمد بن أحمد بن واصلٍ البغداديُّ[7]، وابن مجاهد[8].

. (**بين التفخيم** والتضجيع): أبو يوسف يعقوب الأعشى[9]، وأبو جعفر الشمُّونيّ محمَّد بن حبيب[10].

. (**إلى التفخيم** أقرب): خلف بن هشام البزَّار[11]، قالها في: [يَوَيْلَتَى].

. (بين الإمالة **والتفخيم**): محمد بن سعدان، وابن مجاهد[12]، وأبو جعفر النحَّاس[13]، وابن خالويه[14].

. (إشمامُ الخَفض الذي هو أقربُ إلى **التفخيم**): أبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهانيُّ[15].

. (التوسُّط بين الإمالة **والتفخيم**): أبو جعفر النحَّاس[16].

---

(1) مفاتيح العلوم ص 54 .
(2) جامع البيان ل 130/ أ .
(3) السبعة ص 149 وجامع البيان ل 131/ أ .
(4) المطبوع من جامع البيان 3/ 840 والمخطوط منه ل 188/ أ. والموضح للداني ل 34/ ب .
(5) السبعة ص 149 .
(6) الموضح لمذاهب القراء للداني ل 35/ أ .
(7) جامع البيان 3/ 795 .
(8) السبعة ص333 و 674 وجامع البيان 3/ 795 .
(9) جامع البيان 3/ 779 .
(10) جامع البيان 3/ 777 والمخطوط منه ل 181/ أ .
(11) المطبوع من جامع البيان 3/ 765 . والمخطوط ل 142/ ب .
(12) السبعة ص 150 .
(13) إعراب القرآن 3/ 3 .
(14) الحجة ص 70 – 71 و 105 .
(15) جامع البيان 3/ 795 .
(16) إعراب القرآن 5/ 248 .

. (لا يُبالِغُ في **تفخيمها**): النقَّار الحسنُ بن داود[1].

انظر: شكل رقم (70) كلُّ الأوصاف السابقة تصِفُ دائرة الألف المقلَّلة الزهرية اللَّون.

9 . المعنى التاسع لـ: (التفخيم) = من عيوب النطق:

قال:"ثمَّ اعلَمْ أنَّ أقبحَ اللَّحن لَحْنُ أصحابِ التَّقعِيرِ، والتَّقْعِيبِ، والتَّشْدِيقِ، والتمْطِيطِ، والجهورة، **والتَّفْخِيمِ**"[2].

فعدَّه من جملة العيوب، وأظنُّ أن وضعَه: (**التفخيم**) ضمن الألفاظ التي تدلُّ على التكلُّف والتشدُّق في الكلام يدلُّ على هذا المعنى.

2 . المصطلح الثاني لظاهرة التفخيم: (الفتح)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على خلافِ الإغلاق. يقال: فتحتُ البابَ وغيره فتْحاً، ثمَّ يُحمَلُ على هذا سائرُ ما في هذا البناء[3].

استُعمل: (الفتح) في أكثر من معنى، منها:

1 . الفتح ضدّ الإمالة 2 . تحريك الشفتين بفتح الفم 3 . الفتح المعروف (تحريك الكلمات بالفتحة) 4 . الفتحة 5 . المدّ 6 . التفخيم المعروف 7 . مشاركٌ في الإمالة الصغرى 8 . نقل الحركة أو مشاركٌ فيها 9. مشاركٌ في ألف التفخيم المائلة نحو الواو

1 . المعنى الأول لـ: (الفتح) = الفتح ضدّ الإمالة:

قديمٌ من القرن الأوَّل الهجريّ، ويُقوِّي حديث : (نزل القرآن بالتفخيم) الذي تقدَّم في (التفخيم) بأنَّه الفتح ضدّ الإمالة.

استعمله كثيرٌ من العلماء لا يُحصَون، منهم: التابعيُّ الجليلُ زِرُّ بن حُبيشٍ الأسديّ، وخارجةُ بن مصعب[4]، وابنُ جمَّاز[5]، والخليلُ[6]، وسيبويه[1]، وحفصُ بن المغيرة الأسديّ[2]، والكسائيُّ[3]، ويحيى

(1) جامع البيان 3/ 776 .
(2) البيان والتبيين 1/ 102 .
(3) مقاييس اللُّغة ص 805 (ف ت ح).
(4) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 688 .
(5) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 538 .
(6) العين 3/ 9 .

اليزيديُّ[4]، والفرَّاء[5]، والأخفش[6]، وعمرو بنُ الصبَّاح[7]، وداود بن أبي طيبة[8]، وأبو عبيد القاسمُ بن سلاَّم[9]، ومحمد بن سَعدان[10]، ونُصيرُ بن يوسف[11]، وأحمد الحُلوانيُّ[12]، وإسماعيل بن إسحاق القاضي[13]، والمبرِّد[14]، وثعلبُ[15]، والزجَّاج[16]، وابن مجاهد[17]، وابن خالويه[18]، وأبو علي الفارسيّ[19]، وعبد المنعم بن غَلْبون[20]، وابن جنيّ[21]، ومكيّ[22]، والدانيُّ[23]، وابن الطحَّان الأندلسيُّ[24]، وأبو البركات الأنباريّ[25]. وهذا يدلُّ على طوائف العلماء التي استعملت هذا اللَّفظ بهذا المعنى من قراء ونحويّين بصريين وكوفيّين.

قال الفرَّاء:"حدثني قيسُ بنُ الرَّبيع قال: حدَّثَني عاصمُ عن زِرِّ بنِ حُبَيش قال: قرأ رجلٌ على ابنِ مسعودٍ τ : [طه]، **بالفتح**، قال: فقال له عبدُ الله: [طه]، بالكسر، قال: فقال له الرجلُ: يأبا عبد الرحمن، أليسَ إنَّما أُمِر أن يَطَأَ قَدَمَه. قال: فقال له [طه]. هكذا أقرَأَني رسولُ الله صلى الله عليه

(1) الكتاب 4/ 134 .
(2) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 261 .
(3) نقل ذلك ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتدا 1/ 394 .
(4) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان 3/ 798 .
(5) معاني القرآن 1/ 94 .
(6) نقل ذلك عنه ابن الأنباريّ في إيضاح الوقف والابتدا 1/ 437 .
(7) نقل ذلك عنه الداني في جامع البيان 3/ 839 .
(8) نقل ذلك عنه الدانيّ في جامع البيان 3/ 795 .
(9) نقل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن 3/ 173 .
(10) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 142 .
(11) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 149 .
(12) نقل ذلك الداني في جامع البيان 3/ 793 .
(13) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 416 .
(14) المقتضب 3/ 46 .
(15) نقل ذلك عنه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتدا 1/ 401 .
(16) معاني القرآن 1/ 123 .
(17) السبعة ص 141 .
(18) الحجة ص 78 .
(19) الحجة 1/ 380 .
(20) الاستكمال ص 102 .
(21) سر صناعة الإعراب 1/ 79 .
(22) التبصرة ص 57 .
(23) جامع البيان 1/ 47 .
(24) مخارج الحروف وصفاتها ص 138 .
(25) أسرار العربية ص 203 .

وسلم"[1].

وهذا من النصُوص الخطيرة التي تدلُّ على أنَّ القراءةَ سنةٌ متَّبعةٌ، وأنَّ النبيَّ ρ أقرأ ابنَ مسعودٍ τ بالإمالة، كما أقرأ غيرَه بالفتح، فما كان لابن مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ أن يتَجاوَز في ذلك روايته، ويَحيدَ عمَّا أُقرِئ به.

وجاءت أوصاف توضيحيَّة لهذا الفتح ذكرها المتقدِّمون، منها:

1 ـ (الفتح الخالص، إخلاص الفتح)

استَعمل الفارسيُّ: (**الفتح الخالِص**) للتعبير عن مذهب الفتح ضدِّ الإمالة في نحو: [مِن قَرَار]، [للأَبْرَارِ]، [بِقِنطَارٍ][2].

وتابعَه الدانيُّ[3]، مستعمِلاً أيضاً لفظ: (**إخلاصَ الفتح**)[4]. وتابعَ ابنُ بَلِّيمة الدانيَّ[5].

2 ـ (الفتح اللَّطيف)

استَعمل ابنُ مِهرانٍ الأصبهانيّ: (**الفَتْح اللَّطيف**) تعبيراً عن الفتح ضدّ الإمالة، قال:"وقرأنا في رواية محمَّد بن إسحاق البخاريّ جميعَ ذلك **بالفتح اللَّطيف**. وكان يقولُ: لا نَدري بين الفتح والكسر ما هو !! إنَّما أمَرونا ألاَّ نفتَحَ **فتحاً شديداً**.

[قال ابن مهران]: وبه قرأْنا، وهو الصَّواب"[6].

تابعَه طاهرُ بن غَلْبون على تسمية الفتح ضدّ الإمالة بـ: (**الفتح اللَّطيف**) [7].

3 ـ (الفتح المستحسن)

قال ابن مهران عنه:"والذي قرأتُهُ وأخذْتُه عن المشايخ والأئمَّة لفظاً فالفتحُ؛ **فتحٌ مستحسَنٌ لا إفراطَ فيه ولا تفخيم**. وكذلك قال البخاريُّ وغيرُه:"لا أدري (بين الفتح والكسر) ما هو!! إنَّما أمَرونا ألاَّ نفتحَ فتحاً شديداً"[8].

(1) معاني القرآن 2/ 174 .
(2) انظر: الحجة 1/ 399.
(3) انظر: التحديد ص 152.
(4) المطبوع من جامع البيان 3/ 736 و 870 و 890 وانظر: التحديد ص 156، والتيسير ص 56.
(5) انظر: تلخيص العبارات ص 46.
(6) المبسوط ص 108 . وانظر هذه المرتبة على مثلَّث الحركات.
(7) التذكرة 1/ 233 .
(8) المبسوط ص 353 .

4. (الفتح المتوسط، الفتح الوسَط)

الفتح المتوسط من المشترك اللَّفظيّ استعمل بمعنى الإمالة الصغرى، وبمعنى الفتح ضد الإمالة الذي يستعمِلُه القرَّاء

فاستعمله أحمد بن يعقوب التائب بمعنى الإمالة الصغرى، وسيأتي في الإمالة الصغرى.

واستعمله الدانيُّ بمعنى الفتح الذي يستعمله القرَّاء.

قال الدانيّ عنه:"والفتح على ضربين: فتحٌ شديدٌ، وفتحٌ متوسِّط... **والفتح المتوسِّط**: هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسِّطة، وهذا الذي يَستعمِلُه أصحابُ الفتح من القرَّاء كابن كثيرٍ وعاصمٍ وغيرهما" (1).

أمَّا الفتح الوسَط فبيَّن الدانيُّ ماهيَّته، فذكَر أنَّه منزلةٌ بين التفخيم الشديد وبين الإمالة المحضة، قال:"وأمَّا **المفتوحُ** فحقُّه أن يؤتى بين منزلتَين، بين التفخيم الشديد الذي يَستعمِله أهلُ الحجاز في نحو: الصلاة والزكاة فيَنْحُون بالألف نحو الواو من شدة التفخيم. وهذه اللغة لا تُستَعمَل في القرآن لأنَّه لا إمام لها. وبين الإمالة المحْضة التي يَستعمِلُها القرَّاء، وهي التي دون الكسر الصَّحيح"(2).

5. (الفتح البيِّن)

استعمله الدانيُّ، قال:"وروى أحمدُ بن صالح عن ورشٍ وقالون: [الرحمن] حيث وقع؛ الميمُ مفتوحة وسطاً من ذلك، وقرأتُ للجماعةِ **ففَتَحتُها فتحاً بيِّناً**"(3).

6. (الفتح الخفيف)

استعمله عبد الوهَّاب القرطبيّ (4).

2. المعنى الثاني لـ: (الفتح) = تحريكُ الشفتَين بفتح الفم:

استَعْمَل أبو الأسودِ الدُّؤَليُّ: (**الفتح**) عند وضعِه لعلاماتِ الإعراب: الفتحة، والضمَّة، والكسرة، في حديثه للكاتب:"إذا رأيتَني قد **فَتَحْتُ** فَمِي بالحرفِ فانقُطْ نُقطةً على أعلاه"(5).

واستعمل الكنديُّ: (**الفتح**) في مثل كلام أبي الأسود للكاتب، قال عن الباء:"نقول في الباءِ: إنَّها

(1) الموضح لمذاهب القراء ل 1/ ب .
(2) التحديد ص 100 - 101 .
(3) جامع البيان 2/ 364 .
(4) الموضح ص 82 .
(5) طبقات النحويّين للزبيديّ ص29. وانظر: أخبار النحويين البصريّين للسيرافيّ ص 35 .

تَحتاجُ إلى نغمةٍ مع ضمِّ الشفتَين، **وفتحِها** بهمزة"[1]. يعني تحريك الشفتين بالألف المدية في (باء)، وهكذا استعمله في وصف أكثر الحروف الهجائيَّة الممدودة بألف.

وعبَّر بمثلِ ذلك عن الواو المدِّية، أي: بضمَّة، والياء المدِّية وغير المدِّية، أي: بكَسرَةٍ؛ لما كان كلُّ ذلك من عمل الشفتَين.

ومن أجل هذا ذكَر السُّهيليّ أنَّ لفظ: (**الفتح**) من صفة العُضو، و(النَّصْب) من صفة الصَّوت، قال:"فقولُنا إذاً: **فتحٌ**، وضمٌّ، وكسرٌ، وسكونٌ، هو من صفةِ العُضو، وإذا سمَّيناها رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً، فهي من صفة الصَّوت؛ لأنَّه يَرتفِعُ عند ضمِّ الشَّفتَين، ويَنتَصِبُ عند فتحِهما، ويَنْخَفِضُ عند كسرِهما، ويَنجَزِمُ عند سكونِهما"[2].

3. المعنى الثالث لـ: (الفتح) = الفتحُ المعروف (تحريكُ الكلمات بالفتحة):

استعمله كثيرٌ من العلماء لا يُحصَون، منهم: سفيانُ الثوريُّ[3]، والخليلُ[4]، وسيبويه[5]، وعباسُ بن الفضل[6]، والفراء[7]، وأبو عبيدة[8]، والأخفش[9]، وعبد الله بن ذكوان[10]، وابن قتيبة[11]، والمبرِّد[12]، وقنبلُ[13]، والزجَّاجُ[14]، وابن مجاهد[15]، ومكيّ[16]، والدانيّ[17]، وأبو البركات الأنباريّ[18]، وغيرهم.

4. المعنى الرابع لـ: (الفتح) = الفتحة:

(1) رسالة في اللُّثغة ص 524 .
(2) نتائج الفكر ص 84 .
(3) نقل ذلك ابن مجاهد عنه في السبعة ص 231.
(4) العين 1/ 281 .
(5) الكتاب 1/ 13 .
(6) نقل ذلك ابن مجاهد عنه في السبعة ص 243.
(7) معاني القرآن 1/ 18 .
(8) مجاز القرآن 1/ 31 .
(9) القوافي ص 31 .
(10) نقل ذلك ابن مجاهد عنه في السبعة ص 229 .
(11) تأويل مشكل القرآن ص 483 .
(12) المقتضب 1/ 142 .
(13) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 465 .
(14) معاني القرآن وإعرابه 1/ 41 .
(15) السبعة ص 214 .
(16) التبصرة ص 188 .
(17) التيسير ص 73 .
(18) الإنصاف في مسائل الخلاف 1/ 286 .

. **الفتحُ** من الألف: سيبويه[1]، وابن السرَّاج[2]، والدانيُّ[3]، والقرطبيّ[4].

. **الفتح** والألف جنس واحد: الأخفش[5].

5 . المعنى الخامس لـ: (الفتح) = المدّ:

عبَّر البزّي وقنبل بلفظ: (**الفتح**) عن المدِّ في كلمة: [ءَانِفًا] [محمد ρ: 16]

قال الدانيُّ عن تعبير البزّيّ:"لم يَزِد على ذلك . وأحسَبُهُ أرادَ المدَّ، قد يُعَبَّرُ عنه **بالفَتْحِ**، من حيث كانت الفتحةُ مأخوذةً من الألفِ، وذلك مَجازٌ... وكذلك رَوَى ابنُ مجاهدٍ وسائرُ الرُّواةِ عن قُنبُل، وقال في كتابه: **مَفتُوحة** الألِف، كما قال البزيُّ سواءً"[6] .

6 . المعنى السادس لـ: (الفتح) = التفخيم:

استعمله: أبو موسى يونسُ بنُ عبد الأعلى، وابن بلِّيمة[7].

قال ابنُ سفيان القيروانيُّ عن مذهب يونس عن ورش في اللام:"وقد ذكَر يونسُ عن ورش وسَقلابٍ أنَّه قرأ [ثَلاَثة] عليهما **بالفتحِ** في جميع القرآن، يعني بالتفخيمِ[8]، وكثيرٌ من المصريّين يأخذونَ به، وكثيرٌ يأخذون بترقيقِ ذلك كلِّه"[9].

7 . المعنى السابع لـ: (الفتح) = مشاركٌ في الإمالة الصغرى:

لما كان أحدُ المعاني الكبرى لـ (الفتح) الفتحَ ضدّ الإمالة استعمله بعض القرَّاء في التعبير عن الإمالة الصغرى، كأحد الطرفَين الواقع بين الألف المدية وألف الإمالة الكبرى، وإليك بعض هذه التعبيرات:

. (**الفتحُ** غيرُ المشبَع): خارجة بنُ مصعب[10].

. (**لا يَفتحُ** الرَّاء جداً في القراءة): أبو سعيد سَقلابُ بنُ شيبة المصريّ[11].

---

(1) الكتاب 4/ 118 .
(2) الأصول 3/ 102 .
(3) الموضح في الفتح والإمالة ل 24/ أ .
(4) الموضح ص 207 .
(5) القوافي ص 12 .
(6) تعبير البزي وقنبل والتعليق عليهما في جامع البيان للداني ل 227/ أ .
(7) تلخيص العبارات ص 50 .
(8) مِن توضيح ابنِ سفيان لمعنى الفتح.
(9) الهادي 1/ 178 . والصحيح المقروء به في هذه الكلمة الترقيق لا غير . انظر: النشر 1/ 115 .
(10) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 567 .
(11) نقل ذلك الداني في جامع البيان 3/ 883 .

. (المفتوحُ شيئاً): ورشٌ[1]، وقالون[2].

. (**مفتوحة** وسطاً من ذلك): قالونُ[3]، وأحمد بن صالح[4].

. (**لا فتح شديد** ولا بَطح): داود بن أبي طيبة[5]، وأبو الأزهر عبد الصَّمد بن عبد الرحمن[6].

. (**لا مفتوحة** ولا مكسورة، **وهي إلى الفتح أقرب**): خلَفُ بن هشام[7].

. (**الفتح** قليلاً): خلف بن هشام[8].

. (**لا مفتوحة** ولا مكسورة): أحمد بن صالح[9]، وأحمد بن يزيد الحُلْوانيّ[10]، وابن مجاهد[11].

. (**يفتحُ** ولا يُسرِف): أبو عون محمد بن عمرو الواسطيّ[12].

. (جزماً **مفتوحة الحاء قليلاً**): أحمد بن زهير صاحب التاريخ، قالها في حاء: [حم][13].

. (**لا مفتوحة** ولا مكسورة وسطاً من ذلك): أحمد بن سهل الأُشنانيّ[14].

. (**لا يَفتحُ** ولا يُميلُ، بل وسطاً من ذلك): ابن مجاهد[15].

. (**الفتح اللَّطيف بإشارةٍ إلى الكسر**): ابنُ يونُس محمد بن الحسن[16].

. (**الفتح المتوسِّط**): أحمد بن يعقوب التائب[17].

(1) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 538.
(2) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 538.
(3) نقل ذلك الداني في جامع البيان ل 120/ ب .
(4) نقل ذلك الداني في المطبوع من جامع البيان 2/ 364 والمخطوط منه ل 120/ ب و ل 250/ ب .
(5) نقل ذلك الداني في جامع البيان ل 162/ ب .
(6) نقل ذلك الدانيّ في جامع البيان ل 130/ أ .
(7) نقل ذلك الدانيّ في جامع البيان ل 200/ أ .
(8) نقل ذلك عنه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتدا 1/ 400 - 401.
(9) نقل ذلك الداني في جامع البيان 3/ 816 .
(10) نقل ذلك الدانيّ في جامع البيان 3/ 817 .
(11) نقل ذلك الداني في جامع البيان 3/ 786 . بلفظ: (لا مفتوح ولا مكسور).
(12) نقل ذلك عنه الدانيّ في جامع البيان ل 130/ أ .
(13) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 566 .
(14) نقل ذلك الداني في الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 35/ ب .
(15) نقل ذلك الداني في جامع البيان 3/ 761 .
(16) نقل ذلك عنه الخزاعيُّ في المنتهى ص 222 وانظر هذه المرتبة على مثلَّث الحركات.
(17) نقل ذلك الداني في جامع البيان 3/ 774 .

وهذا اللَّفظ من المشترك اللَّفظيّ استعمله الدانيُّ على أنَّه الفتح ضدّ الإمالة، كما تقدَّم في الفتح الذي يستعمِله القراء.

وكلُّ هذه الألفاظ تدلُّ على دائرة الألف المقلَّلة الزهرية اللَّون الواقعة بين ألف الإمالة الكبرى والألف المرقَّقة في شكل رقم (70).

8 . المعنى الثامن لـ: (الفتح) = نقلُ الحركة أو مشاركٌ فيها:

من الجُمَل التي شاركَ فيها: (الفتح) للتعبير عن نَقلِ الحركة المفتوحة إلى ما قبلها:

1 . (**فتحُ اللاَّمِ من غَير همز**): قالها أبو سلمة عبد الرحمن بن إسحاق في نقلِ فتحة همزة [الأوَّلِين] إلى ما قبلَها بعد حذف الهمزة، لِتَصير: (أَلَوَّلِين)[1].

2 . (**فتحُ الياء من غير تشديدٍ**): قالها أحمد بن يحيى الملقَّب بثعلب في نقلِ فتحة همزة [شَيا] إلى ما قبلَها بعد حذف الهمزة، لِتَصير: (شَيَا)[2].

3 . (**فتحُ اللام**): قالها أبو ربيعة محمد بن إسحاق (راوي البزّي وقنبل) في نقلِ فتحة همزة [الأرْض] إلى ما قبلَها بعد حذف الهمزة، لِتَصير: (أَلَرْض)[3].

9 . المعنى التاسع لـ: (الفتح) = مشاركٌ في ألف التفخيم المائلة نحو الواو

عُبِّر عنه بلفظين: (الفتح الشديد) و (الفتح الجافي).

1 . (الفتح الشديد):

استعمله: داودُ بن أبي طيبة[4]، وابنُ مِهران[5]، وطاهرُ بن غَلْبون[6]، والدانيّ.

قال الدانيُّ:"**والفتح الشديدُ**: هو نهايةُ فتحِ القارئ لفِيهِ بلفظِ الحرفِ الذي يأتي بعدهُ ألفٌ، ويُسمَّى أيضاً التفخيم. والقرَّاء يَعدِلُون عنه ولا يَستَعمِلونَه. وأكثرُ ما يُوجَدُ في ألفاظ أهلِ خراسان، ومَن قَرُب منهم؛ لأنَّ طباعَهم في العُجمة جَرَتْ عليه. واستَعمَلوه كذلك في اللُّغةالعربية، وهو في القراءة مكروهٌ ومَعيبٌ"[7].

(1) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 618 .
(2) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 599 .
(3) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 618 .
(4) نقل الداني ذلك عنه في جامع البيان 3/ 829 .
(5) المبسوط ص 108 و 274.
(6) التذكرة 1/ 233 .
(7) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 1/ ب .

واضحٌ من النصِّ أنَّ هذا الفتح الشديد مرتبِطٌ عند الدانيّ بحركات الفم ودرجة انفتاحه.

2 . (الفتحُ الجافي):

استعمله: نُصَيرُ بن يوسف[1].

3 . المصطلح الثالث لظاهرة التفخيم: (التَّقعير)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على غَمزٍ وكَسْرٍ في الشيء ذاهبٍ سُفْلاً. يقال: هذا قَعْرُ البئرِ، وهذه قَصعةٌ قَعيرةٌ، وقَعَّر الرجلُ في كلامه: شَدَّق[2].

استُعمِل: (التقعيرُ) في أكثر من معنى، منها:
1 . التفخيم 2 . التكلُّف والتزيُّد في الكلام 3 . تحويفات أعضاء النُّطق. 4 . من العيوب في القراءة.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (التقعير) = التفخيمُ.

استعمله ورشٌ في حكايته لمذهب نافعٍ في الرَّاء، نقَل الدانيُّ بسنده إلى سقلاب بن شيبة قولَه:"وقال لي عثمانُ [ورش]: **يُقَعِّرُ** الرَّاء في القراءة ما عدا [يَفْتَرِينَهُ] وما أشبهها، فإنَّها لا **تُقَعَّر**"[3].

2 . المعنى الثاني لـ: (التقعير) = التكلُّف والتزيُّد في الكلام:

استعمله من العلماء: الجاحظ[4]، وابن قتيبة، قال:"ويُستَحَبُّ له أن يَدَعَ في كلامِهِ **التقعِيرَ** والتَعقيب، كقولِ يحيى بن يَعمَر لِرَجُلٍ خَاصَمَته امرأتُه عنده: أإن سَأَلَتْكَ ثَمَنَ شَكْرِها وشَبرك أنشَأْتَ تَطُلَّها وتَضْهَلُها، وكقولِ عيسى بنِ عمر . ويوسفُ بنُ عُمر بنِ هُبَيرة يَضْرِبُه بالسِّياط: "والله إن كانت إلا أُثَيَّاباً في أُسَيفاطٍ قَبَضَها عَشَّارُوك"[5].

3 . المعنى الثالث لـ: (التقعير) = تحويفات أعضاء النُّطق:

مضى استعمال الفارابيّ: **(المقَعَّرات)** كتعبيرٍ عن تحويفات أعضاء النُّطق.

وذَكَر ابنُ سينا أنَّ "الهواء في الحاء يندَفِعُ أمْيَلُ إلى قُدَّام، ويَصْدِمُ حافَّةَ **التَّقْعيرِ** الذي كان يَصْدِمُهُ

(1) نقَل ذلك عنه الدانيّ في جامع البيان ل 250/ ب .
(2) مقاييس اللُّغة ص 865 و 1031.
(3) جامع البيان 3/ 884 .
(4) البيان والتبيين 1/ 102 .
(5) أدب الكاتب ص 16 . وانظر معاني هذه الألفاظ في مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص 43 و 50 .

هواءُ العَين عند الخُروج"[1].

4 . المعنى الرابع لـ: (التقعير) = جزء مشاركٌ في عمليَّة الإطباق

تقدَّم استعمال ابن سينا له في وصف ظاهرة الإطباق حيث ذكَر تقعير اللِّسان في هذه العملية.

5 . المعنى الخامس لـ: (التقعير) = من العيوب في القراءة:

هو المبالغة في إخراج الحروف والإسراف في ذلك، قال أبو العلاء الهمَذانيُّ عن علَّةِ مَن يَفعَل ذلك:"قلتُ: وإنَّما يَدعُو هؤلاء الجُهَّالَ إلى هذا **التقعيرِ** والتشديق أنَّهم يَسمعون القراءةَ الصَّحيحةَ والألفاظَ القويمةَ مِمَّن خَدَم الأستاذِين، وقرأ على الشيوخ المبرِّزين، وتَكَلَّفَ مقاساةَ الأسفارِ، وقَطْعَ البراري والقِفار، وتَسَنُّمَ الآكامِ والعِقَابِ الأوعارِ، والتَّطوافَ في المدنِ والأمصار، فَيَوَدُّونَ على جَهْلِهِمْ أن يَنخَرِطوا في سِلْكِ الحذَّاق، ويَجْرُوا وهُم كَوادنُ في مِضمار العِتاق"[2].

4 . المصطلح الرَّابع لظاهرة التفخيم: (التغليظ)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على ضدّ الرِّقة في الخَلق والطَّبْع والفِعْلِ والمنطِقِ والعيشِ ونحو ذلك. غَلُظَ يَغْلُظُ غِلَظاً: صار غَليظاً. وغَلَّظَ عليه الشيءَ تَغْلِيظاً[3].

استُعمِل: (التغليظ) في مَوطنين، منها:
1 . من العيوب في القراءة. 2 . التفخيم.
وكلاهما يَرجِعان إلى التفخيم.

1 . الموطنُ الأوَّل لـ: (التغليظ) = التفخيم

استعمله: أبو عبد الله محمد بن الهيثم الكوفيّ قاضي عُكْبَرا، وأحمد بن جبير الأنطاكيُّ[4]، وأبو عليّ الحسنُ بن الحباب بن مخلد الدقَّاق[5]، وابن مجاهد[6]، وأبو الحسن العلاَّف البصريّ[7]، وأبو جعفر

(1) أسباب حدوث الحروف ص 115 .

(2) التمهيد ص 134 – 135. والكوادن جمع كَودن، وهو البغلُ. والعِتاق جمع عَتيق وهو الفرس الكريم. (لسان العرب ك د ن، ع ت ق).

(3) لسان العرب 7/ 449 .

(4) نقل ذلك الداني في جامع البيان 3/ 905 .

(5) نقل ذلك الداني في التحديد ص 159 .

(6) نقل الداني ذلك عنه في جامع البيان 3/ 905 .

(7) نقل ذلك عنه الأهوازي في الوجيز 1/ 38 .

السَّعِيديُّ[1]، وابن سفيان القروانيُّ[2]، ومكيُّ القيسيّ[3]، والدانيُّ[4]، وأبو عليّ الأهوازيُّ[5]، والقرطبيُّ[6]، وأبو مَعْشر الطبريُّ[7]، وأبو العلاء الهمَذانيّ[8]، وابن بلّيمة[9].

وأكثر ما استعمل هذا المصطلح ـ عند مَن تقدَّم من العلماء ـ لتفخيم اللام فعُرِف بها.

مثال: في قوله تعالى: [قالوا لَن نُّؤمِنَ حتى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أوتِيَ **رُسُلُ اللهِ اللهُ أعْلَمُ** حيثُ يَجْعَلُ رِسَالتَهُ]

قال أبو عبد الله محمد بن الهيثم الكوفيّ في تفخيم لام لفظ الجلالة الأولى وترقيق الثانية: "سألْتُ الفرَّاءَ عن **تَغليظِ** اللاَّمِ في في قوله: [رُسُلُ اللهِ]، وترقيقِها في قوله: [اللهُ أَعْلَمُ] ؟ فقال الفرَّاءُ: هو مثلُ قول الرَّجُلِ: عَبدُ أُمِّهِ، ولإِمِّهِ" اهـ.

قال الدانيُّ معلِّقاً:"وكلامُ الفرَّاء في هذا حسنٌ؛ وذلك أنَّه شبَّه اللاَّم من اسمِ الله تعالى بهمزةِ الأُمِّ؛ إذ كانت تُكسَرُ مع الكسرةِ، وتُفَخَّمُ [تُفتَحُ] مع الفتحة والضمَّة؛ لتَجانُسِ الصَّوتِ بذلك، ويعملَ فيه اللِّسانُ عملاً واحداً، من جهةٍ واحدةٍ؛ طلباً للخِفَّة. وخُصَّتْ همزة (أُمّ) بهذا التغيير مِن حيث كَثُرت هذه الكلمة، وما كَثُرَ فكثيراً ما يَلْحَقُه التغييرُ"[10]. يعني شبَّهَهُما بحركة الإتباع.

2 ـ الموطنُ الثاني لـ: (التغليظ) = من العيوب في القراءة

استعمله: السعيديُّ، والقرطبيُّ[11]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[12].

مثال: قال السعيديُّ:"ويُتَجَنَّبُ من **تَغْلِيظ** النُّون وتَطنينِها فتصير مثلَ الحرف المطبَق، نحو: [النَّاسِ]، و[النَّار]، و[النَّهَار]"[13].

وهم يريدون النَّهيَ عن تفخيم ما لا يُفخَّم، وعمادُ هذا قولُ القرطبيّ عن التجويد:"وأن يُفخَّمَ ما

(1)
(2) الهادي 1/ 173 .
(3) التبصرة ص 144 .
(4) التحديد ص 159 .
(5) الوجيز 1/ 38 .
(6) الموضح ص 197 .
(7) التلخيص ص 197 .
(8) التمهيد ص 297 .
(9) تلخيص العبارات ص 52 .
(10) تعبير ابن الهيثم وتعليق الدانيّ في جامع البيان 3/ 905 .
(11) الموضح ص 158 .
(12) التمهيد ص 130 .
(13) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص 42 .

يَجبُ تفخيمُهُ مِن غير مبالَغةٍ، وأن تُرَقَّقَ الرَّاءُ في المِوضعِ الذي يَقتضي الترقيق، **وتُغَلَّظ** في المِوضعِ الذي يَقتضي **التغليظَ**"[1].

5 . المصطلح الخامس لظاهرة التفخيم: (الإسمان، السِّمَن، التَّسْمِين):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على خلاف الضُّمْرِ والهزال، من ذلك السِّمَن، يقال هو سَمين، والسَّمْنُ من هذا[2].

استُعمِل: (التسمين) في مَوطنين، منها:

1 . من العيوب في القراءة، وشاركه (الإسمان). 2 . التفخيم.

وكلاهما يَرجِعان إلى التفخيم.

1 . الموطنُ الأوَّل لـ: (التسمين، الإسمان) = من العيوب في القراءة:

استَعمل السعيديُّ: (**التسمين**)، في أوَّل كتابه دون أن يُبيِّن المقصودَ به، ثمَّ بيَّنه بعدَ ذلك . دون أن يذكُر هذا اللَّفظ . كعيبٍ من العيوب في اللاَّم يكون بتفخيمها في غير موضع التفخيم، فنهى عن تفخيم اللام المرقَّقة المفتوحة إذا جاورت لامَ لفظِ الجلالة المفخَّمة، في نحو: [وأَحلَّ الله]، قال:"فإذا كانت قبله لامٌ مشدَّدة أو مفخَّمة فليتلَطَّف القارئ بترقيقِها"[3].

ونقَل القرطبيُّ نصّ السعيديّ بلفظ: (**الإسمان**)[4]، وفي تميُّزٍ واضحٍ بيَّن هيئةَ اللِّسان عند **إسْمَانِ** اللاَّم، فقال:"اللاَّمُ: هي الحرفُ المنحرِف، وهي تُخالِطُ النُّونَ في المخرَجِ، فيُحاذَرُ فيها **الإسمانُ** وإشرابُ الغُنَّة. أمَّا **إسمانُها** فبأن يكون العملُ فيها بوسطِ اللِّسان، وأدخلَ قليلاً من مخرجِها" [5]. فهو يُشير إلى تراجع اللِّسان إلى الخلف عند التفخيم والمساحة الزائدة التي يَشغلُها اللِّسان عنده.

ووسَّع القرطبيُّ من دائرة **إسمان** اللاَّم ليَشمل النُّونَ، قال عنها:"ويَدخُلُ عليها من **الإسمان** ما يَدخُلُ على اللاَّم، وقد تقدَّم ذِكْرُ كيفيَّة **الإسمانِ** في اللاَّم"[6].

2 . الموطنُ الثاني لـ: (التسمين، السِّمَن) = التفخيم:

(1) الموضح ص 67 .
(2) مقاييس اللغة ص 468 (س م ن) .
(3) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص 28 و 42 .
(4) الموضح ص 60 .
(5) الموضح ص 118 .
(6) الموضح ص 120 .

استعمل ابن سفيان القيروانيُّ: (**التسمين**) في وصف قراءة حمزة والكسائيّ للصاد في نحو قوله تعالى: [وَمَن أَصْدَقُ من الله قِيلاً]، وقرأ حمزة والكسائيُّ **بتسمينِ** الصَّادِ، واللَّفظ بها بين الصَّاد والزَّاي في اثني عشر موضعاً"[1].

وحثَّ أبو العلاء الهمذانيُّ على **تسمين** الصاد من حروف الإطباق[2].

وأظنُّ أنَّه يَقْصِد إعطاءها مزيدَ عناية من التفخيم؛ لأنَّ صوتَها يتجه إلى السين إذا لم يُعتَن بها.

ومن هذه الأقوال التي تقدَّمت عرَّف ابن الطحَّان الأندلسيُّ التغليظَ بأنَّه:"**سِمَنٌ** يَدخُلُ على جسمِ الحرفِ فيمتلئ الفمُ بِصَدَاهُ"[3].

2 . ظاهرة الترقيق:

استُعمل لظاهرة الترقيق عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (الكَسْرُ) 2 . (الترقيق) 3 . (البَطحُ) 4 . (بين اللَّفظَين)

ملاحظة: استعمل للترقيق أيضاً الألفاظ التي جاءت في التفخيم لكن بِنَفْيٍ، من ذلك: (تركُ التَّغْلِيظ)، (تركُ التفخيم).

1 . المصطلح الأوَّل لظاهرة الترقيق: (الكسر)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصله اللُّغويّ على كَسْرٍ وضغطٍ وتداخل، من ذلك قولك: كسَرتُ الشيء أكسِره كَسْراً، والكِسرة: القطعة من الكُسور. ويقال: عودٌ صَلْب المِكْسِر، إذا عُرِفتْ جودتُه بكَسره. وكسَر الطائرُ جَنَاحَيه كَسراً: إذا ضمَّهما وهو يريد الوقوع، ويقال: أرضٌ ذات كُسور، أي ذاتُ صَعودٍ وهَبوط، وكأنَّها قد كُسِرَتْ كَسراً. والكِسْرُ: الشُّقَّة السُّفلى من الخِباء، تُرفَع أحياناً وتُرخى أحياناً[4].

استُعمِل: (الكَسْرُ) في أكثر من معنى، منها:

1 . خفضُ الشفة السُّفلى دلالةً على الكسر 2 . الإمالة بنوعيها 3 . تحريك الكلمات بالكسرة 4 . الجرّ الإعرابيّ 5 . من علامة المبنيَّات 6 . قصرُ صلة هاء الضَّمير المكسورة 7 . مشارك في الإمالة الكبرى

(1) الهادي 2/ 262 .

(2) التمهيد ص 296 .

(3) مرشد القارئ ل 8/ ب . وهذا التعريف للتفخيم هو المشهور عند المتأخرين من علماء التجويد كابن الجزريّ في التمهيد.

(4) مقاييس اللُّغة ص 893 (ك س ر).

8 . الترقيق.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الكسر) = خفض الشفة السُّفلى دلالة على الكسرة

استَعْمَل أبو الأسودِ الدُّؤَليُّ: (**الكسر**) بمعنى خفض الشفة السُّفلى عند وضعِه لعلاماتِ الإعراب: الفتحةُ، والضمَّةُ، والكسرةُ، في حديثه للكاتب:"وإذا **كَسَرْتُ** فَمِي فاجْعَل النُّقطةَ تحت الحرف"[1].

واستعمل الكنديُّ: (**الكسر**) في مثل كلام أبي الأسود للكاتب، وعدَّ الياءَ المدِّيةَ والياءَ غيرَ المدِّيةِ كسرةً؛ لِمَا فيها من خَفْضِ الشَّفَة، قال عن العَين:"نقول في نَعْتِ العَين: تَحتاجُ إلى نغمةٍ مع نفَسٍ يَمتدُّ إلى اللَّهاة ويَقِفُ معها، فهمزة اللِّسان إلى اللَّهوات وفتحةٍ بالغَلْصَمة، **وكَسرةٍ**، وردّ اللِّسان إلى صَدر الحنك"[2]. وقال عن الشين:"الشينُ: تَحتاجُ إلى إلْزام اللِّسان جانِبَي الحنك والأرحِية، وإخراجِ نَفَسٍ شديدٍ فيما بين ذلك، **وكسرةٍ**، وهمزةِ طرفِ اللِّسان على مقاديمِ الأسنانِ وصَدْرِ الحنك"[3].

يعني خفض الشفة السُّفلى بياء: (عَين) غير المدِّية، وكذلك الياء المدِّية في (شين).

وهكذا استعمل لفظ: (**الكسر**) في وصف أكثر الحروف الهجائيَّة التي يوجَدُ فيها ياء.

وعبَّر بمثلِ ذلك عن الواو المدِّية، أي: بضمَّة، والألف المدِّية، أي: بفتحةٍ؛ لما كان كلُّ ذلك من عمل الشفتَين.

ومن أجل هذا ذكَر السُّهيليّ أنَّ لفظ: (**الكسر**) من صفة العُضو، و(الخَفض) من صفة الصَّوت، قال:"فقولُنا إذاً: فتحٌ، وضمٌّ، **وكسرٌ**، وسكونٌ، هو من صفةِ العُضو، وإذا سمَّيناها رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً، فهي من صفة الصَّوت؛ لأنَّه يَرتفِعُ عند ضمِّ الشَّفتَين، ويَنتَصِبُ عند فتحِهما، ويَنْخَفِضُ عند كسرِهما، ويَنجَزِمُ عند سكونِهما"[4].

2 . المعنى الثاني لـ: (الكسر) = الإمالة بنوعَيها

قديمٌ من القرن الأوَّل الهجريّ.

استعمله ـ دون تفريق بين نَوعَي الإمالة ـ كثيرٌ من العلماء لا يُحصَون، منهم: التابعيُّ الجليلُ زِرُّ بن حُبيشٍ الأسديّ[5]، وأبو عمرو بن العَلاء[6]، وخارجةُ بن مصعب[1]، وابنُ جَمَّاز[2]، والكسائيُّ[3]، وأبو

(1) طبقات النحويّين للزبيديّ ص29. وانظر: أخبار النحويين البصريّين للسيرافيّ ص 35 .
(2) رسالة في اللُّغة ص 526 .
(3) رسالة في اللُّغة ص 527.
(4) نتائج الفكر ص 84 .
(5) معاني القرآن للفراء 2/ 174 .
(6) الموضح للداني ل 13/ ب .

بكر بنُ عياش[4]، وورشٌ[5]، وأبو يوسف يعقوبُ الأعشى[6]، والفرَّاءُ[7]، والأخفش[8]، والأصمعيُّ[9]، وعمرو بنُ الصبَّاح[10]، وأبو عبيد القاسم بن سلاَّم[11]، ومحمد بن سعدان[12]، ونُصَيرُ بنُ يوسُف[13]، وأحمدُ بن جُبير الأنطاكيُّ[14]، وأبو شعيب صالح بن زياد السُّوسيّ[15]، والمبرِّدُ[16]، والزجَّاجُ[17]، وابن مجاهد[18]، وأحمد بن يعقوب التائب[19]، وابن خالويه[20]، وابن مهران[21]، وابن زنجلة[22]، وأبو مَعْشَرٍ الطبريّ[23].

واستعمله بمعنى الإمالة الكبرى: عباسُ بن الفضل[24]، وسُلَيمُ بن عيسى[25]، والكسائيُّ[26]، وعُبيد بن عقيل[27]، وأبو عبيد القاسمُ بن سلاَّم[28]، وابن مجاهد[1]، وابن خالويه[2]، والأزهريُّ[3]، وعبدُ المنعم

(1) السبعة لابن مجاهد ص 470 .
(2) السبعة لابن مجاهد ص 322 .
(3) السبعة لابن مجاهد ص 567 .
(4) السبعة لابن مجاهد ص 142 .
(5) السبعة لابن مجاهد ص 201 .
(6) الموضح للداني ل 6/ أ .
(7) معاني القرآن 1/ 94 .
(8) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 437 .
(9) السبعة لابن مجاهد ص 675 .
(10) جامع البيان للداني 3/ 839 .
(11) إعراب القرآن للنحَّاس 3/ 3 .
(12) الموضح للدانيّ 34/ ب .
(13) جامع البيان للدانيّ 3/ 800 .
(14) المنتهى لأبي الفضل الخزاعيّ ص 209 .
(15) جامع البيان للدانيّ 3/ 791 .
(16) المقتضب 3/ 47 .
(17) معاني القرآن وإعرابه 2/ 239 .
(18) السبعة ص 141 .
(19) جامع البيان للدانيّ 3/ 782 .
(20) الحجة ص 179 .
(21) المبسوط ص 104 .
(22) الحجة ص 327 .
(23) التلخيص ص 184 .
(24) السبعة لابن مجاهد ص 688 .
(25) جامع البيان للداني ل 131/ أ .
(26) الموضح للداني ل 13/ ب .
(27) السبعة لابن مجاهد ص 688 .
(28) إعراب القرآن للنحاس 3/ 173 .

بن غَلْبون[4]، وأبو مَعشرٍ الطبريّ[5].

واستعمله بمعنى الإمالة الصُّغرى: أبو عبد الرحمن قتيبةُ بن مهران[6]، وأحمدُ بن صالح[7].

3. المعنى الثالث لـ: (الكسر) = تحريك الكلمات بالكسرة

استعمله كثيرٌ من العلماء لا يُحصَون، منهم: عاصمُ بن أبي النَّجُود[8]، والخليل[9]، والكسائيُّ[10]، وأبو بكر بن عيَّاش[11]، وورشٌ[12]، والفرَّاء[13]، وأبو عبيدة[14]، والأخفش[15]، وابن السِّكِّيت[16]، وهشامُ بن عمَّار[17]، والمبرِّدُ[18]، وثعلبُ[19]، وابن مجاهد[20]، وابن خالويه[21]، ومكيّ[22]، والدانيّ[23]، وابن بلِّيمة[24].

4. المعنى الرَّابع لـ: (الكسر) = الجرّ الإعرابيّ

انفَرَد الخُوارِزْميُّ بنقْلِ مصطلحاتٍ نسَبَها للخَلِيل في وُجُوهِ الإعراب، ومنها مصطلحُ **الكسر**،

(1) السبعة ص 260 .
(2) الحجة ص 234 .
(3) معاني القراءات 2/ 40 .
(4) الاستكمال ص 175 .
(5) التلخيص ص 257 .
(6) جامع البيان للداني 3/ 838 .
(7) الموضح للداني ل 34/ ب .
(8) السبعة لابن مجاهد ص 218 .
(9) العين 2/ 200 .
(10) ما تلحن فيه العامة ص 115 .
(11) السبعة لابن مجاهد ص 265 .
(12) معاني القراءات للأزهريّ 1/ 123 .
(13) معاني القرآن 1/ 17 .
(14) مجاز القرآن 1/ 100 .
(15) القوافي ص 31 .
(16) إصلاح المنطق ص 25 .
(17) السبعة لابن مجاهد ص 576 .
(18) المقتضب 1/ 142 .
(19) مجالس ثعلب 1/ 12 .
(20) السبعة ص 108 .
(21) الحجة ص 63 .
(22) التبصرة ص 188 .
(23) التيسير ص 73 .
(24) تلخيص العبارات ص 71 .

قال:"**والكسرُ**: ما وقَع في أعجازِ الكلمِ غير مُنَوَّنٍ، نحو: الجملِ"[1]. يعني الجرّ الإعرابيّ.

وقد طلَبتُ هذا المصطلح بهذا المعنى في كتاب العين، فلم أعثر عليه، ولا حتى أكثر معاني المصطلحات الأخرى التي نسَبَها للخليل، بَلْه الكتب الأخرى التي اعتمدتُّ عليها في البحث، فلا أدري من أين له هذه المعاني؟

وإذا ثَبَتَ هذا المصطلحُ بهذا المعنى للخليل فإنَّهُ يُعَدُّ أقدَمَ استعمالٍ لِلَفظِ: (**الكسر**) بمعنى الجرِّ، والله أعلم.

5 . المعنى الخامس لـ: (الكسر) = من علامة المبنيَّات

لم يُفرِّقْ أبو الأسود الدُّؤليُّ بين العلامات الخاصَّة بالإعراب والبناء في تلك المرحلةِ المبكِّرة، فيُفرِد لكلٍّ منها اسماً خاصًّا؛ وأتى التفريقُ متأخِّراً على يدِ سيبويه، ذكَرَ ذلك السيرافيُّ، فقال:"اعلم أن سيبويه لقَّب الحركات والسُّكون هذه الألقاب الثمانية..."[2].

فجعَل سيبويه الكسر من علامة الأسماء والحروف المبنيَّة[3].

6 . المعنى السادس لـ: (الكسر) = قصر صلة هاء الضمير المكسورة

استعمله من العلماء: ابن جمَّاز[4]، ومحمد بن سعدان[5]، وعبد الله بن ذكوان[6]، وإسماعيلُ القاضي[7]، والزجَّاج[8]، وابن خالويه[9]، وابن مهران[10].

7 . المعنى السابع لـ: (الكسر) = مشارك في الإمالة الكبرى:

1 . (**الكَسْرُ بين الكَسْرَين**): أبو المستنير رجاء بن عيسى الكوفيّ، "أنَّه قرأ على إبراهيم بن زَربي، وأنَّه قرأ على سُليم عن حمزة بمدٍّ بين مدَّين، **وكسرٍ بين كسرَين**"[11].

(1) مفاتيح العلوم 54 .
(2) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 65 .
(3) الكتاب 1/ 13.
(4) السبعة لابن مجاهد ص 481 .
(5) جامع البيان للداني ل 188/ أ .
(6) السبعة لابن مجاهد ص 210 .
(7) السبعة لابن مجاهد ص 481 .
(8) معاني القرآن وإعرابه 1/ 69 .
(9) الحجة ص 159 .
(10) المبسوط ص 183 .
(11) جامع البيان للدانيّ 2/ 455 .

لعله يريد به الإمالة الكبرى فهي بين الإمالةِ الصُّغرى والكسرِ المحض، وجميعها فيه انخفاضٌ للشفة السُّفلى، ويأخذ وضعيَّةَ الياء، والله أعلم. ويستأنس بالمعنى الأوَّل في ذلك.

2 . (**الكَسْرُ الشَّديدُ**): نصيرُ بن يوسف[1]، وإدريس بن عبد الكريم الحدَّاد[2].

8 . المعنى الثامن لـ: (الكسر) = الترقيق

عبَّر ابن مجاهد بـ: (**الكسر**) عن ترقيقِ لام لفظ الجلالة إن سبقت بكسر، قال:"استَثْقَلُوا الخروجَ من **الكَسْرِ** إلى التغليظِ"[3].

2 . المصطلح الثاني لظاهرة الترقيق: (الترقيق)

أصلان يدلُّ أحدهما على صفةٍ تكونُ مخالفةً للجَفاء، والثاني اضطرابُ شيءٍ مائع. فالأوَّل الرِّقَّةُ، يقال: رقَّ يَرِقُّ رِقَّةً فهو رقيقٌ. ومنه: الرَّقاق، وهي الأرضُ اللَّيِّنة. والرُّقاق: الخبزُ الرَّقيقُ. والأصلُ الثاني: قولهم ترقْرَق الشيءُ، إذا لَمع. وترقرق الدَّمع: دارَ في حِمْلاق العينِ، وترقْرقت الشمسُ: إذا رأيتَها كأنَّها تَدور، والرَّقراقةُ: المرأةُ كانَّ الماءَ يَجري في وجهِها[4].

استعمل: (**الترقيقَ**): عاصمُ بن أبي النَّجُود، وأبو عبد الله محمد بن الهيثم الكوفيّ قاضي عُكْبَرا[5]، وابن سفيان القيروانيُّ[6]، ومكيُّ بنُ أبي طالب[7]، والدانيُّ[8]، وابن بلِّيمة[9]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[10]، وابنُ الطحَّان الأندلسيُّ[11].

قال أبو بكر بنُ عيَّاش:"سألت عاصماً عن قوله: [رُسُلُ الله] [الأنعام: 124] قال: فَخِّم الأوَّل، **ورقِّقِ** الثاني"[12].

يعني تفخيمَ الرَّاء **وترقيقَ** اللاَّم الأولى؛ لأنَّ القرَّاء أجمعوا على تفخيم لام لفظ الجلالة إذا سُبِقتْ

(1) المبسوط لابن مهران ص 109 وجامع البيان للداني ل 250/ ب .
(2) جامع البيان للدانيّ ل 131/ أ .
(3) جامع البيان للدانيّ 3/ 906، والموضح في الفتح والإمالة ل 51/ أ .
(4) مقاييس اللغة ص 376 (ر ق ق).
(5) نقل ذلك الدانيّ عنه في جامع البيان 3/ 905 .
(6) الهادي 1/ 172 .
(7) التبصرة ص 57 .
(8) جامع البيان للدانيّ 3/ 886 .
(9) تلخيص العبارات ص 50 .
(10) التمهيد ص 297 .
(11) مرشد القارئ ل 8/ ب .
(12) التمهيد للهمَذانيّ ص 297 .

بضمٍّ أو فتح، قال الشذائيُّ:"التفخيمُ في هذا الاسمِ ـ يعني مع الفتحة والضمَّة ـ يَنقُلُه قَرْنٌ عن قرنٍ، وخالِفٌ عن سالِفٍ"[1].

وما تقدَّم هو من النُّصوص القديمة الدَّقيقة المرويَّة عن أحد جهابذة القراء من التابعين ψ، ويَشهَدُ بأصالة علم التجويد، وأنَّ أبحاثه وقضاياه ليست حادثةً كما يظُنُّه بعضُ المتعلِّمين المبتدئين اليوم، ممَّن هم ليسوا من أهل الاختصاص، سامحَهم الله وغَفَر لهم.

عرَّف ابنُ الطحَّان الأندلسيّ الترقيقَ، فقال:"**الترقيقُ**: عبارةٌ عن ضِدِّ التغليظ، وهو نُحُولٌ يَدْخُلُ عَلَى الحَرفِ فَلاَ يَمْلأُ صَدَاهُ الفَمَ ولا يُغْلِقُه"[2]. وهذا يدلُّ على ما قدَّمته عن التفخيم والترقيق من أنَّهما أثران سمعيَّان.

وبيَّن الدانيُّ الفرقَ بين الترقيق والإمالة فذكَر أنَّ **الترقيق** يكونُ في الحرف، إذ كان مِن هيئته وطبيعتِه، وأنَّ الإمالة إنَّما تكون في الحركة لسببٍ دعاها لذلك من أجل تحقيق الانسجام، قال:"والترقيقُ هو في الحرفِ دون الحركة، إذ كان صيغتَه، والإمالةُ في الحركة دون الحرفِ إذ كانت لعلَّةٍ أوجَبَتْها، وهي تخفيفٌ كالإدغام سواءً"[3].

يعني: لا يوصَف الحرفُ بإمالةٍ؛ بل بالترقيق أو التفخيم مثل: الذال والظاء في نحو: (إذْ وإظ). وأمَّا يوصف بالإمالة أو الفتح فهو الحركة أو حرف المدِّ، نحو الألف بعد: (ذا وظا)، ويكونُ ترقيق الصَّوت فيه تبعاً من حيث إنَّه حال تسفُّلٍ إلى الكسر.

ومن هنا قسَّم ابنُ الطحَّان الأندلسيّ الترقيقَ إلى ترقيقٍ مفتوحٍ وغيرِ مفتوحٍ. يعني بالأوَّلِ ترقيقَ الحروف المستفِلة كالدال والتاء وغيرها من المستفِلة، غيرَ الراءِ واللام في بعض الحالات، أمَّا الثاني فهو الإمالة بنوعَيها، قال:"وهو نوعان: ترقيقٌ مفتوحٌ، وترقيقٌ غيرُ مفتوحٍ وهو الإمالةُ على نَوعَيها. فكلُّ فتحٍ ترقيقٌ، وليس كلُّ ترقيقٍ فتحاً [من حيث دخول الإمالة فيه]. وكلُّ إمالةٍ ترقيقٌ، وليس كلُّ ترقيقٍ إمالةً [من حيث دخول الفتح فيه]" [4].

3. المصطلح الثالث لظاهرة الترقيق: (البَطحُ)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تَبَسُّط الشيءِ وامتدادُه. بَطَحَهُ على وجهه بَطْحاً. والبطْحاءُ: مَسيلٌ فيه

(1) انظر: جامع البيان للدانيّ 3/ 905 .

(2) مرشد القارئ ل 8/ ب . وهذا التعريف هو الذي نقله ابن الجزريّ في التمهيد، واعتمد عند أكثر المتأخّرين من أهل التجويد.

(3) التحديد ص 161 .

(4) مرشد القارئ ل 8/ ب .

دُقاقُ الحَصَى، فإذا اتَّسَع وعَرُض سُمِّيَ أبطح[1].

استُعمِل: (البَطْحُ) في أكثر من معنى، منها:

1 . الإمالة بنوعَيها 2 . الترقيق 3 . الكسر

1 . المعنى الأوَّل لـ: (البَطْح) = الإمالة بنوعَيها:

استعمله بمعنى الإمالة دون تحديد لنوعها: خارجةُ بن مصعَب[2]، وابن جمَّاز[3]، وداود بن أبي طَيبة[4]، وأبو بكرٍ الأصبهانيُّ[5]، وأحمد بن صالح[6].

واستعمله للإمالة الكبرى: داود بن أبي طيبة[7]، وأبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن[8]، وابن الطحَّان الأندلسيُّ، قال:"والألف الممالةُ نوعان: صوتٌ **مَبطوحٌ** صِرْفٌ، ضدُّ الفتح الصِّرْف. وصوتٌ بين الصَّوتَين: الفتحِ، **والبَطْح**"[9].

واستعمله للإمالة الصُّغرى: أحمد بن صالح[10].

2 . المعنى الثاني لـ: (البَطْح) = الترقيق:

استَعمله: أبو الحسن عليُّ بنُ يزيدَ بنِ كَيسة للتعبير عن ترقيق لام لفظ الجلالة إن سُبِقت بكسرة، قال الدانيُّ:"ولم يأت بتفخيم هذه اللام مع الفتحة والضمَّة، وترقيقِها مع الكسرة منصوصاً إلا داود بن أبي طَيبة، عن ورشٍ، عن نافع، وعن ابن كَيسة، عن سُلَيمٍ، عن حمزة، غير أنه عبَّر عن الترقيق بـ: (**البَطْح**) مجازاً واتساعاً، ولا أعلمُ له مخالفاً في ذلك من القرَّاء والنحويِّين"[11].

3 . المعنى الثالث لـ: (البَطْح) = قصر صلة هاء الضمير المكسورة:

استُعمِل لفظَا: (**المبطوح، والبَطْحُ**) تعبيراً عن كسرِ هاءِ الضَّميرِ من غير صِلَةٍ بياء، في نحو قوله

(1) مقاييس اللغة ص 121 (ب ط ح).
(2) السبعة لابن مجاهد ص 688.
(3) السبعة لابن مجاهد ص 688.
(4) جامع البيان للدانيّ 3/ 842.
(5) جامع البيان للدانيّ 3/ 842.
(6) جامع البيان للدانيّ ل 130/ أ.
(7) جامع البيان للدانيّ 3/ 829.
(8) جامع البيان للداني 3/ 883.
(9) مخارج الحروف وصفاتها ص 138 و مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل 8/ أ.
(10) جامع البيان للدانيّ 3/ 763.
(11) جامع البيان 3/ 905.

تعالى: [نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى]:

فممَّن استَعمَل لفظ: (**المَبْطُوح**): قالونُ[1]، وإسماعيل القاضي[2].

وممَّن استَعمَل لفظ: (**البَطح**): خلفُ بن هشام البزَّار (القارئ العاشر)، وأبو العباس محمدُ بنُ أحمدَ بنِ وَاصِلٍ البغداديُّ[3].

4 . المصطلح الرَّابع لظاهرة الترقيق: (بين اللَّفظين)

من المشترك اللَّفظيّ.

استعمل: (بين اللَّفظَين) في أكثر من معنىً، منها:

1 . الإمالة الصغرى، وهو الأصلُ، يَعْنون به: بين لَفْظِ الفتحِ ضدّ الإمالة وبين الإمالة الكبرى.

2 . الترقيقُ على اعتبار أنَّ الإمالةَ ترقيقٌ فأخذت الاسمَ بالمشَاكَلَة.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (بين اللَّفظَين) = الإمالة الصغرى:

استعمله: الزجَّاجُ، وعبد المنعم بن غَلْبونٍ[4]، وطاهرُ بنُ غَلبون[5]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[6]، وابن سفيان القروانيُّ[7]، ومكيُّ بن أبي طالبٍ[8]، والدانيُّ[9]، وإسماعيلُ بن خلَف[10]، وابنُ بلِّيمة[11].

قال الزجَّاج:"وقرأ الكسائيُّ السُّورةَ كلَّها بالإمالةِ، وقرأها أبو عمرو بن العلاء **بينَ اللَّفظَين**"[12].

2 . المعنى الثاني لـ: (بين اللَّفظَين) = الترقيق

أوَّل مَن نقَل ذلك . دون أن يتَّجِه كلامُه إلى المعنى الأوَّل . ابنُ سفيان القيروانيُّ، قال عن الرَّاءِ

(1) جامع البيان 2/ 435.
(2) السبعة ص 209.
(3) جامع البيان ل 191/ أ.
(4) الاستكمال ص 98 .
(5) التذكرة 1/ 171 .
(6) المنتهى ص 199 .
(7) الهادي 1/ 132 .
(8) التبصرة ص 118 .
(9) التحديد ص 152 .
(10) العنوان ص 61 .
(11) تلخيص العبارات ص 44 .
(12) معاني القرآن وإعرابه 5/ 331 .

المضمومة المسبوقةِ بِكَسْرٍ في مذهبِ ورشٍ:"فإن انكَسَر ما قبلَها رقَّق الرَّاء، وقد عبَّر النَّاسُ عنها: **بين اللَّفْظَين**، مثل: [يُبْصِرُونَ]"[1].

لما كانت الإمالةُ نوعاً من الترقيق ـ كما تقدَّم ـ عبَّر قومٌ من القرَّاءِ عن الترقيق بـ: **(بين اللَّفظَين)** اتِّساعاً في الدَّلالة، وللمشاكَلة بينهما، يدلُّك على ذلك قول ابنِ سفيان بأنَّ قوماً عبَّروا عنها بهذا اللَّفظ، والأصلُ ليس كذلك.

واستعمل لظاهرة الترقيق أيضاً الألفاظُ التي جاءت في التفخيم لكن بِنَفْيٍ، من ذلك:

ـ **(تركُ التفخيم)**: أبو جعفرٍ السعيديُّ[2].

ـ **(تركُ التَّغْلِيظ)**: مكيُّ بن أبي طالب القيسيّ[3]، وأبو عليّ الأهوازيّ[4].

الصِّفتان المتعلِّقتان بأبنية الكلام العربيّ: (الإذلاق والإصمات)

الإذلاق والإصماتُ أصلان كبيران تنضوي تحتهما أبنية كلام العرب، وبهما تُكشَفُ الكلماتُ العربيّة الأصيلة من الدَّخيلة. دلَّ عليهما الخليل في معجمه، وذكرهما النَّحويُّون والمجوِّدون كانقسامٍ من انقسامات الحروف، لا على أنهما صفتان من الصِّفات الصَّوتيَّة، تماماً كتقسيمهم الحروف إلى صِحَاح وعِلَل، ممَّا هو خاصٌّ بأبنية الكلام العربيّ، وهذا مَرجِعُه إلى علم الصَّرف.

ذكَر الخليلُ في مقدِّمة معجمه الحروفَ الصِّحاح التي بها يتألَّف كلام العرب على مراتبِها في الحُسنِ.

وقسَّمها إلى أربع مجموعات كالتالي:

1 . المرتبة الأولى في التأليف:

الحروف الذُّلْق التي تكثرُ في أبنية الكلام، ويتألَّفُ منها أكثرُ كلام العرب، وبها تكونُ السُّهولة في المنطق **(ل ن ر ف ب م)**، نَسَبها إلى الذَّلاقة في المنطق؛ لأنَّها ـ في رأيه ـ تحصُل بطرفِ اللِّسان والشفتَين، بسبب حرِّية طرفِ عضوِ النُّطق وسهولةِ التحكُّم فيه. ولأجل هذه السُّهولة كثُرت في أبنية الكلام، واستحقَّت اللَّقبَ الذي لقَّبها به، أعني: **(المُذْلَقَة)**[5]، و**(الحروف الذُّلْق)**[6].

(1) الهادي 1/ 185 .
(2) اختلاف القراء في اللام والنون ص 63 .
(3) التبصرة ص 140 .
(4) الوجيز 1/ 38 .
(5) العين 8/ 421 .
(6) العين 1/ 53 .

وقد تقدَّم في ذَلَقِ اللِّسان أنَّ لفظ: (**الحروف الذُّلْق**) من المشترك اللَّفظيّ، استَعمله الخليلُ للحروف الستَّة نسبةً إلى الذَّلاقة في المنطق، وأَطلقَه أيضاً على اللام والنون والراء نسبةً إلى مخرجها، وهو ذَلَقُ اللِّسان.

قال الخليلُ:"وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروفُ **ذُلْقاً**؛ لأنَّ **الذَّلاقَةَ** في المنطقِ إنَّما هي بطرَفِ أسلةِ اللِّسان والشَّفَتَين، وهما مَدْرَجَتا هذه الأحرُفِ الستَّة... **فلمَّا ذلَقَت الحروفُ السِّتَّةُ، ومَذَل بهنَّ اللِّسانُ وسهُلَت عليه في المنطق كثُرَت في أبنية الكلام**، فليس شيءٌ مِن بناء الخُماسيِّ التامِّ يَعْرَى مِنْها أو مِن بَعضِها"[1].

وكشَف الخليلُ عن سرِّ هذه الحروف في أنَّ أيَّ كلمةٍ عربيَّة رباعية أو خماسيَّة لا بدَّ أن يوجدَ فيها أحد الحروف الذُّلْق أو أكثر، قال: "فإن وَرَدَتْ عليك كلمةٌ رباعية أو خماسية معرّاةٌ من حروف الذَّلَق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرفٌ واحدٌ أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة مُحدَثة مبتدَعة ليست من كلام العرب؛ لأنَّك لست واجداً من كلام العرب كلمةً واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلَق والشفوية واحدٌ أو اثنان أو أكثر"[2].

وفي هذا توجيهٌ خفيٌّ إلى معرّبي ومترجمي الألفاظ والمصطلحات الأجنبية أن يُرَاعوا في وضع ألفاظهم المعَرَّبة خصائصَ هذه الحروف.

2. المرتبة الثانية في التأليف:

الحروف التي تَمتدُّ من مخرج الشين إلى مخرج التاء: (**ت د ط، ص س ز، ظ ذ ث، ض ش**).

هذه الحروف مرتبطةٌ بسَطْحِ اللِّسانِ وانبساطه على سائر الحنك، ومن هنا اختلفَتْ . في رأي الخليل . عن اللام والنون والراء، ومنَعَها هذا الانبساط من التحرُّر والذَّلاقة في المنطق[3].

انتقى الخليل من هذه المجموعة حرفَين هما **الدَّالُ والسِّين**، ذكَر أنَّهما يُحسِّنان البناء، وبيَّن علَّةَ اختيارهما[4].

3. 4 المرتبة الثالثة والرابعة في التأليف:

وهي الحروف الحلقيَّة: (**ع ح هـ غ خ**)[5]، وهذه"أقلُّ الحروف تألُّفاً بلا فَصْلٍ"[1].

(1) العين 1/ 52.
(2) العين 1/ 52.
(3) العين 1/ 52.
(4) العين 1/ 53 .
(5) العين 1/ 52.

وحروف أقصى الفم: (**ق ك ج**)[2]. "وهذه لا تَتَجَاوَرُ البتَّة، لا تَجِدُ في الكلام نحو: قَجْ، ولا جَق، ولا كَجْ، ولا جَكْ، ولا قَكَّ، ولا كَقَّ"[3].

أخذ الخليلُ من هاتَين المجموعتَين **القاف والعين والهاء**، فذكَر عن **القاف والعين** أنَّهما يُحسِّنان البناء واصفاً إيَّاهما بـ: (**النَّصاعة**)، ومُطلِقاً عليهما لقب: (**حرفَي الطَّلاَقة**)، وذكر علَّة اختيارهما. واستحسن وجودَ **الهاء** في الأبنية لِلينها وهشاشتِها[4].

أمَّا حروف العِلل (**آ و ي ء**)، فلا يَشملها التصنيف السابق، لكثرتها في الكلام، فهي تخرجُ عن دائرة الحروف الصِّحاح، والهمزةُ من أقصى الحلق لكنَّها تدخُل في دائرة الألف والواو والياء عند إبدالها إلى أحدها[5].

والخلاصةُ ممَّا سبق أنَّ الترتيب الذي اعتمده الخليل في هذا الموضع إنَّما يَصدُرُ عن عقليَّةٍ منظَّمةٍ ترصُدُ حركة الكلم العربيّ، وأنَّ الحروف المذلقة وُضِعَتْ في ذُرْوَة الحروف المحسِّنة لتأليفِ كلام العرب، وأنَّ كلَّ ما سواها من الحروف الصِّحاح يُمكن أن يُعدَّ درجةً ثانيةً أو ثالثةً، والغرضُ من هذه التقسيمات كلِّها الكشفُ عن تأليف كلام العرب لا غير، وما يُحسِّن البناء من الحروف.

ركَّز أكثر المتابعين للخليل على خروج هذه الحروف من طرف اللِّسان والشفتَين دون أن يركِّزوا على السُّهولة التي تُحدِثُها هذه الحروف في الكلمة العربية. وخَلَطوا بين الألفاظ التي وضعَها الخليل لحروف الذَّلاقة وبين الألفاظ التي وضَعها للنون واللام والرَّاء فقط، فالخليلُ لم يستعمل للذّلاقة إلا مصطلحين اثنين هما: (**المُذلقة**) و (**الحروفُ الذُّلق**) في حين أنَّه استعمل للاَّم والنُّون والرَّاء : (الذَّلِيقَةِ) و الذَّوْلَقِيَّة)، و(الذَّلَقِيَّة)، و(حروفِ الذَّلَق)، وأخيراً: (**الحروف الذُّلْق**).

تابع الخليلَ على لفظ: (**الحروف الذُّلْق**): ابنُ دُريدٍ[6]، وابن فارس بلفظ: (**حروف الذَّلَق**)[7].

وتابع الخليلَ على لفظ: (**المُذْلَقة**): ابن دُرَيدٍ[8]، ومكيّ، وجمَعَها في (فر من لب)[9]، وأبو العلاء

(1) سر صناعة الإعراب 2/ 812 .
(2) العين 1/ 52.
(3) سر صناعة الإعراب 2/ 814 .
(4) العين 1/ 53.
(5) العين 1/ 52.
(6) الجمهرة 2/ 316 .
(7) الصاحبيّ ص 87 .
(8) الجمهرة 1/ 7 .
(9) الرعاية ص 135 و

الهَمَذانيّ، وجمَعَها في (مُرْ بِنَفْلٍ)[1]، وابن الأنباريّ[2].

واستعمل ابنُ دريد أيضاً لفظ: (**حروف الذَّلاقة**)[3]. وتابعَه: ابن جنيّ[4]، والقرطبيُّ[5]، والخفاجيّ[6].

واستعمل مكيّ: (**الحروف الذَّلَقيَّة**)[7].

واستعمل القرطبيُّ: (**الذَّلاقة**) كصفةٍ من صفات الحروف[8].

لم يضَع الخليلُ مقابلاً للحروف المذْلَقة سوى أنَّه أطلَقَ لفظ: (**الحروف الصُّتم**) على الحروفِ التي ليستْ من الحلق، قال:" الصَّتْمُ من كلِّ شيء: ما عَظُمَ وتَمَّ واشتَدَّ نحو: حَجَرٌ صَتْمٌ، وبَيْتٌ صَتْمٌ، وجَمَل صَتْمٌ. وأعطَيتُه ألْفاً صَتْماً، أي تامّاً... **والحُروف الصُّتْمُ**: التي ليستْ من الحَلْق"[9].

وعلَّل مكّيّ بن أبي طالب لهذا اللَّقَب، فقال:"وإنَّما سمّيتْ **صُتْماً**، لتمكُّنِها في خروجِها من الفم، واستِحكامِها فيه"[10].

فإذا كان الخليلُ يعني بهذا اللَّفظِ ما سوى المذلقة فلا أدري وجهَ استثناء حروف الحلق منها. والذي يؤيِّدُ أن يكون لفظ: (الصُّتْم) لكلِّ ما سوى المذلقة قولُ عبد الوهَّاب القرطبيّ:"وأمَّا الجُوفُ فأربعةُ أحرفٍ: الهمزةُ مع حروفِ المدِّ واللِّين، وسُمِّيتْ جُوفاً؛ لأنَّ مخرجها لا معتَمد له، وباقي الحروف **صُتْمٌ**"[11].

كانت أوَّلُ ولادةٍ لمصطلح: (**المُصْمَتة**) والتعليل لها على يد الأخفش، فقد نقَل ابن دُريد عنه بواسطةٍ انَّه قال:"وسُمِّيت الأُخَرُ **مصمتةً**؛ لأنَّها أُصمِتتْ أن تختصَّ بالحروفِ إذا كَثُرت حروفه لاعتياصِها على اللِّسان، وأمَّا الحرف التاسعُ والعشرون فجَرسٌ بلا صَرْفٍ. يريدُ: أنَّه ساكنٌ لا يتصَرَّفُ في الإعراب"[12].

(1) التمهيد ص 279 .
(2) أسرار العربية ص 209 .
(3) الجمهرة 1/ 11 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 64 .
(5) الموضح ص 94 .
(6) سر الفصاحة ص 21 .
(7) الرعاية ص 130 و
(8) الموضح ص 99 .
(9) العين 7/ 107 .
(10) الرعاية ص137 .
(11) الموضح ص 96 .
(12) الجمهرة 1/ 7. وقوله: (يريدُ..) من تفسيرِ ابن دُرَيد.

ومن كلامِ الأخفشِ السَّابقِ عدَّد ابنُ دريدٍ الحروفَ **المُصمتة** وجعلها اثنين وعشرين حرفاً وأسقط الألف منها، وتابعه مكيّ[1].

ضمَّ ابنُ دريدٍ الحروف **المُذلَقة والمُصمتة** تحت أجناسٍ سبعة؛ خمسةٍ من **المُصْمَتَةِ**، واثنين من المذْلَقَة:

فالمصمتةُ هي: حروفُ الحلقِ السِّتةِ، وحروف أقصى الفم القاف والكاف والجيم والشين، وحروفُ وسطِ اللِّسان مما هو منخفضٌ السين والزاي والصاد، وحروف أدنى الفم التاء والدال والطاء، وحروف أدنى من حروف الفم الظاء والثاء والذال والضاد. ومن جنس الفم الواو والياء.

والمُذْلَقَةُ: حروفُ الشفةِ الفاءُ والميمُ والباءُ، والحروفُ التي تَخرُج مما بين أسَلَة اللِّسان إلى مُقَدَّمِ الغار الأعلى الراء والنون واللام .

وأخرجَ ابنُ دريد الألفَ من جملة المذلَقة والمصمتة، كما تقدَّم.

تابع الأخفشَ على لفظ: (**المُصْمَتة**): ابن دُرَيد[2]، وابن جنيّ[3]، ومكيّ[4]، والقرطبيّ[5].

وخلاصةُ هاتين الصِّفتَين أنَّ فائدتهما تُفيدُ واضعي الألفاظ والمصطلحات أكثر من فائدتها لمجوّدي القرآن والقراءات؛ لأنَّ القارئ لن ينبّه المتعلِّم على الإتيان بالذَّلاقة والإصمات كما يُنبّهه على الإخفاء والإدغام والهمس والصفير وغير ذلك من الصِّفات الواجب على القراء تحقيقها والإتيان بها.

الصفاتُ الخاصَّة بمتمِّمات الحروف:

تحدَّث سيبويه في الوقف على أواخر الكلم عمَّا يَلْحقُ الحروف الصَّحيحة المجهورةَ والمهموسةَ من متمِّمات لها عند الوقفِ عليها، وذكَر عدَّة ألفاظٍ استعملها لذلك، منها: (الضَّغط) و (الإشراب)، و(المشربة). ومن المتمِّمات ذكَر : (القلقلة)، و(النَّفخ)، و(نحو النَّفخة).

استلَّ العلماء هذه الألفاظ من كلام سيبويه، وعدُّوها بمثابة صفاتٍ للحروفِ، وضمَّنوها كتبَهم.

ولكي يكون هناك تصوُّر تاريخيٌّ كاملٌ لهذه الصِّفات فإنَّني آثرتُ الانطلاقَ من كلام سيبويه نفسه، مبيّناً ماذا أخذ العلماء منه، وكيف استثمروا كلامَه في كتبهم. وسأتناول هذه الصِّفات واحدةً واحدةً.

(الإشراب)

(1) الرعاية ص 136 .
(2) الجمهرة 1/ 7 .
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 64 .
(4) الرعاية ص 135 .
(5) الموضح ص 95 .

من المشترَكِ اللَّفظيّ. يدلُّ على المخَالَطَة. والإشْرابُ: لَوْنٌ قد أُشْرِبَ من لَوْنٍ. يُقَالُ: أُشْرِبَ فُلانٌ حُبَّ فلان، أي: خَالَطَ قلبه[1].

استُعمِل: (الإشراب) في أكثرَ من معنًى، منها:

1 . الجهر في الحروف وشارَكَه لفظ (المشربة) في ذلك. 2 . وصفُ الصَّوتِ المختلِط بغُنَّة. 3 . إشمام الحروف. 4 . إشمامُ الحركة. 5 . من العيوب النُّطقيَّة في بعض الأصوات، وشارَكَه في هذا المعنى: (التشْرِيب، والتشَرُّب).

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإشراب)، (المُشربة) = الجهر في الحروف

تقدَّم استعمال الخليل لـ: **(الإشراب)** في تعريفِ الهمسِ. واستعمال سيبويه لـ: **(المشربة)** في كيفية الوقف على المجهور والمهموس.

2 . المعنى الثاني لـ (الإشراب) = وَصْفُ الصَّوتِ المُختَلِطِ بغُنَّة:

استَعمل سيبويه: **(الإشْرابَ)** في وَصْفِ صوتِ الحرفِ المدغَم بغُنَّة، حيثُ نبَّه إلى أنَّ الصَّوتَ الممْتدّ الناشئَ عن الإدغامِ بغُنَّةٍ ليس خالصاً من الأنف، إنَّما هو صَوْتُ المدْغَمِ فيه خَالَطَتْهُ غنَّةٌ من الأنف، قال عن النُّونِ:"وهي مع الرَّاء واللاَّم والياء والواوِ إذا أدغمتَ بغنَّةٍ فليس مخرجُها من الخياشيم، ولكنْ صوتُ الفم **أُشْرِب** غُنَّةً"[2].

وهذا من النُّصوصِ الدَّقيقة جدًّا التي تقومُ حجَّةً في وجه من يَقرأُ الإدغام في نحو: [مَن يَعْمَل] بغُنَّةٍ خالِصَةٍ من الخَيشُوم، وتُبيّنُ أنَّ الصَّوتَ في الإدغام بغُنَّةٍ مَقْسُومٌ بين الفَمِ والأنفِ.

وذكَر المبرِّدُ أن الميمَ السَّاكِنةَ لا تُدغَمُ في النُّون؛"لأنَّ الميمَ تَنفَرِدُ بالشَّفَةِ، وإنَّما **تُشْرَبُ** غُنَّةً من الخَياشيمِ، فالميمُ داخِلَةٌ عليها، وهي بائنةٌ من الميم"[3].

وذكَرَ . أيضاً . أنَّ النُّونَ المتحرِّكةَ تُشْرَبُ غُنَّةً، قال:"والميمُ تَرْجِعُ إلى الخَياشيمِ بِما فِيها مِن الغُنَّةِ، فلذلك تَسْمَعُها كالنُّونِ؛ لأنَّ النُّونَ المتحرِّكةَ **مُشْرَبةٌ** غُنَّةً، والغُنَّةُ من الخَياشيمِ"[4].

(1) العين 6/ 258 .

(2) الكتاب 4/ 454 . والإدغام بغنة في اللام والراء مقروءٌ به في رواية حفصٍ عن عاصمٍ وغيرها من طريق طيِّبة النشر، وأنت ترى في نصِّ سيبويه أنَّه مذهَبٌ معروفٌ عند العرب. (انظر: إتحاف فضلاء البشر لابن البنَّا 1/ 144 - 145).

(3) المقتضب 1/ 353 .

(4) المقتضب 1/ 330 .

وتابعَه القرطبيُّ في النُّون المتحركة[1].

وذكَرَ ابنُ جنيّ أنَّ اللاَّمَ أضعفُ من الرَّاء؛"لِمَا **تُشْرَبُهُ** من الغُنَّةِ عند الوقوفِ عليها"[2].

3 . المعنى الثالث لـ: (الإشراب) = إشمام الحروف:

استَعمَل أبو عليٍّ الفارسيُّ: (**الإشْرَابَ**) في شرحِه لإشمام الصَّادِ والشِّين صوتَ الزَّايِ في نحو: (أصْدَق، وأشْدَق)، قال:"**فأشْرَبُوا** الصَّادَ صَوتَ الزَّاي لتُقاربَ الدَّالَ في الجَهْرِ، ومثلُهُ قَولُهم: أشْدَقُ في أشْدَقَ، **فأشْرَبُوا** الشِّينَ صَوتَ الزَّاي لتُوافِقَ الدَّالَ في الجَهْرِ"[3].

4 . المعنى الرَّابع لـ: (الإشراب) = إشمام الحركة:

استَعمل ابنُ جنيّ: (الإشرابَ) في وصفِ الحركتين الفرعيَّتين اللَّتَين بين الضمَّة والكسرة، وهما: الضمَّةُ المشَمَّةُ كسراً، والكسرةُ المشمَّةُ ضمًّا، فذكَر أنَّ ضمَّةَ قاف (المُنْقُِر)، وعين (مَذْعُِور)، وباء (ابن بُِور) ضمَّةٌ **أشْرِبتْ** كسراً، كما أنَّها في (قُِيل، وسُِير) كسرةٌ **أشْرِبتْ** ضمًّا، فهما لذلك كالصَّوتِ الواحدِ. وذكَرَ أنَّه ليس في كلام العرب ضمَّةٌ **مُشْرَبَةٌ** فتحةً، ولا كَسْرَةٌ **مُشْرَبةٌ** فتحةً[4].

5 . المعنى الخامِس لـ: (الإشراب، التشريب، التشرُّب) = من العيوب النُّطقيَّة في بعض الأصوات:

استَعمل السعيديُّ: (**التشريب، والتشرُّب**) كعيبٍ من العيوب يكون بخلط صوت اللام بغنة في نحو: [جَعَلْنَا]، قال:"ويُتكلَّفُ عندها لترقيق اللام لئلاَّ **يتشرَّب** غنَّة النُّون"[5].

ونقَل القرطبيُّ أحد نصوص السعيديّ في: (**التشريب**) [6]، واستَعمل: (**الإشراب**) في التحذير من إشرابِ اللامِ غُنَّةً في نحو لام: [بِسمِ الله] و [أَنزَلْنَا] [7].

(الحروفُ المُشْرَبة):

من المشترَكِ اللَّفظيّ. يدلُّ على ما دلَّ عليه: (الإشراب).

(1) الموضح ص 93 .

(2) الخصائص 1/ 54 . وما قاله من احتواء اللام على غنَّة أخَذَه من ابن دريد على الأرجح. وانظر: الجمهرة 1/ 9 .

(3) التكملة ص 223. وانظر: الحجة 1/ 55، و 6/ 401 .

(4) الخصائص 3/ 121 .

(5) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص 28 و 42 .

(6) الموضح ص 60 .

(7) الموضح ص 118 و 159.

لُقِّبَت الحروف بـ: (المِشْرَبةُ) لأكثرَ من معنًى، منها:

1 . الحروفُ المجهورة. 2 . تخفيفُ الهمزة . 3 . من صفات الحروف 4 . الحروف الفرعيَّةُ الستة المستَحْسَنة .

1 . المعنى الأوَّل لـ: (المُشْرَبة) = الحروف المَجهورة:

استعمله سيبويه، وتقدَّم شرحه في الجهر والهمس في كيفية الوقف عليهما.

2 . المعنى الثاني لـ: (المُشْرَب) = تخفيفُ الهمزة:

ذكَرَ أبو بكر ابنُ الأنباريّ عن أهلِ البَصرةِ أنَّهم "يُسَمُّونَ الذي يُتْرَكُ هَمْزُهُ وهو يُرادُ: (**المُشْرَبَ**)؛ لأنَّهُ **أشْرِبَ** حركةَ الهمزةِ وأُسقِطَتْ منه النَّبْرَةُ"[1].

لعلَّهم يقصِدُون بـ: (**المُشْرَب**) المسهَّل همزُه بينَ بينَ، والله أعلم.

3 . المعنى الثالث لـ: (المُشْرَبة) = من صفات الحروف

نقَل الذين جاءوا بعد سيبويه كلامَه أو بعضَه عن (المشربة)، وجعَلُوه ضِمنَ صفات الحروف دون أن يُبيّنوا لنا أنَّ معنى هذا التلقيبِ عنده هو المجهور من الحروف، واختلفتْ أوصافُهم:

تابعَه في كلِّ كلامه: ابنُ جنيّ[2]، والقرطبيُّ، وزادَ عليها: النُّونَ المحرَّكةَ، قال:"ومن الحروفِ **المُشْرَبَةِ** النُّونُ المحرَّكةُ؛ لأنَّ مخرجَها من مخرجِ اللاَّمِ، وهي **مُشْرَبةٌ** غُنَّةً من الخياشيمِ"[3].

تابعَه الدانيُّ في تلقيبِ أصوات القلقلةِ بذلك[4].

تابعَه الهمَذانيُّ في تلقيبِ أصوات القلقلةِ، وأصوات شبهِ النَّفخ بذلك[5].

4 . المعنى الربع لـ: (المُشْرَبة) = الحروف الفرعيَّة السِّتَّة المُسْتَحْسَنة:

لقَّب مكيٌّ الحروفَ الفرعيَّةَ المستحسنةَ التي ذكَرَها سيبويه بعد الحروف الأصلية التسعةِ والعشرين بـ: (**الحروفِ المُشْرَبة**)، قال:"وهي الحروفُ الستَّةُ التي ذكَرْنا أنَّ العربَ اتَّسَعَتْ فيها فزادَتْها على التسعةِ والعشرين: الحروفُ المستعملةُ: نحو الصَّادِ بين الصَّادِ والزَّاي، وهمزةِ بينَ بينَ، وشبهِ ذلك فهي **مُشْرَبَةٌ**

(1) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 400 . وانظر مصطلح: (تركُ الهمز وهو يُرَادُ).
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 63 .
(3) الموضح ص 93 - 94 .
(4) التحديد ص 109 .
(5) التمهيد ص281 .

بغيرِها"[1].

الصِّفة الأولى من متمِّمات الحروف: (القَلْقَلة)

القلقلةُ من أصلها اللُّغويّ أن تدلَّ على خلاف الاستقرار، وهو الانزعاج، يقال: تَقَلْقَل الرجلُ وغيره، إذا لم يَثْبُت في مكانٍ، وتَقَلْقَل المسمارُ: قَلِق في موضعه[2]. قال الخليل: "والقَلْقَلَةُ والتقَلْقُلُ: قِلَّةُ الثُّبوتِ في المكان... والقَلْقَلَةُ: شِدَّةُ الصِّياحِ، والإكثارُ في الكلام... واللَّقْلاَقُ: الصَّوتُ. والقَلْقَلَةُ: شِدَّةُ اضطرابِ الشيءِ في تحرُّكِهِ، يقال: يَتَلَقْلَقُ ويَتَقَلْقَلُ؛ لغتان"[3].

القلقلةُ: لفظٌ وضعه سيبويه ليَدُلَّ به على مرحلةِ إطلاق الصَّوت في بعض الحروف الشديدة المجهورة. وهي: الجيمُ والدالُ والباءُ والقافُ والطاءُ. ولقِّبت حروف القلقلة بعدَّة ألقابٍ، منها: (حروف القلقلة)، (المضغوطة).

في الغالب يتألَّفُ الصَّوتُ الشديدُ من مرحلتَين: مرحلة حبسٍ للصَّوت ومرحلةِ إطلاق.

وتمثِّل القلقلة الجزءَ الثاني من هاتين المرحلتَين.

كان نصُّ سيبويه عن القلقلة المصدرَ الملْهِم لكلِّ مَن جاء بعدَه:

قال سيبويه: "واعلمْ أنَّ من الحروفِ حروفاً مُشربةً ضُغِطتْ مِن مواضِعِها، فإذا وقَفْتَ عليها خرَج معها من الفمِ صُويتٌ ونَبَا اللِّسانُ عن مَوضعِه، وهي **حروف القلقلة**، وذلك القاف والجيمُ والطاءُ والدالُ والباء. والدَّليلُ على ذلك أنَّك تقولُ: الحِذْق فلا تستطيعُ أن تَقِفَ إلا مع الصُّوَيت، لشدَّة ضغط الحرفِ، وبعضُ العربِ أشدُّ صوتاً كأنَّهم الذين يَرومُون الحركة... ومنها حروفٌ مُشرَبةٌ لا تَسمَعُ بعدها في الوقفِ شيئاً ممَّا ذَكَرنا؛ لأنَّها لم تُضْغَطْ ضغطَ القاف..."[4].

استَنبَطَ العلماءُ من هذا النصِّ عدّة أمور:

1 . تعريفاتهم للقلقلة، حيثُ تابعَه على ألفاظه دون تغييرٍ: الدانيُّ[5].

استبدَل المبرِّدُ بالصُّويتِ في قول سيبويه لفظ: (النَّبرة)[6]، ومكيٌّ بـ: (صوتٍ يُشبِهُ النَّبرةَ)[7]، وسيأتي

(1) الرِّعاية ص 130 .
(2) مقاييس اللغة ص 823 (ق ل).
(3) العين 5/ 26 .
(4) الكتاب 4/ 174 - 175 .
(5) التحديد ص 109 .
(6) المقتضب 1/ 330 .
(7) الرعاية ص 124 .

معنى: (النَّبرة) واستعمالاتها في موضعٍ آخر.

وزاد ابن جنيّ على ألفاظه لفظ: (**الحَفْز**)، قال: "واعلمْ أنَّ في الحروفِ حروفاً مُشربةً **تُحْفَزُ** في الوقف، وتُضغط عن مواضِعِها، وهي حروف القلقلة، وهي القاف والجيمُ والطاءُ والدالُ والباء. لأنك لا تستطيعُ الوقوفَ عليها إلا بصوت، وذلك لشدَّة **الحَفْزِ** والضَّغط"(1).

وتدلُّ كلمة: (الحَفْز) في أصلها اللُّغويّ على الحَثِّ وما قَرُب منه، يقال: الرجُلُ يَحْتَفِزُ في جلوسه إذا أراد القيام، كأنَّ حاثّاً حثَّهُ ودافعاً دَفَعَه(2). وهذا اللَّفظ يتناسبُ مع القلقلة في كونِ الهواء المحبوس خلفَ المخرجِ يَحثُّه على الانفتاح. وتابع ابنَ جنيّ على هذا اللَّفظ: القرطبيّ(3).

2 . من قوله:"**وبعضُ العربِ أشدُّ صوتاً كأنَّهم الذين يَرومُون الحركة...**". أي: يتفاوت العرب في التصويت بالقلقلة قوةً وضعفاً.

تابعه: ابن جنيّ(4)، وأبو العلاء الهمذانيّ(5) بقولهما: "بعضُ العربِ أشد تصويتاً".

وفَهِم بعضُ العلماء من قول سيبويه: (كأنَّهم الذين يَرومون الحركة) أنَّ القلقلةَ تصِحُّ في الرَّوم، قال ابن الطحَّان:"ولا يُستطاعُ أن يُوقفَ دونها مع طلبِ إظهارِ ذاتِه، وهي مع الرَّوْمِ أشَدُّ"(6).

وسيأتي في النقطة الرابعة من تفسير كلام سيبويه أنَّ هذا لا يَصِحُّ.

3 . من قوله: " **لأنَّها لم تُضْغَطْ ضغطَ القاف...**"

استمدَّ بعضُ العلماء من هذه الفِقرة أنَّ القافَ هي أصلُ حروف القلقلة:

ذكَر مكيّ أنَّ أصلَ القلقلةِ للقافِ، وحُمِلَتْ أخَوَاتهُ عليه لشِدَّةِ ضَغْطِهِ، وزادَ بأن علَّل لوضوح صوتِ القاف عن غيرِها من حروف القلقلة، قال:"والقافُ أبينُها صوتاً في الوقف؛ لِقُرْبِها من الحلْق، وقوتها في الاستعلاء"(7).

ولعل مكّياً اتَّبَع في هذا أحد القوانينَ التي تَحْكُم شدَّةَ الصَّوت، وهو أنَّهُ كُلَّما قَرُبَ صوتُ الحرفِ مِن مصدَر نفخ الهواءِ كانَ أشدَّ تصويتاً، والله أعلم .

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 62 .
(2) مقاييس اللغة ص 256 (ح ف ز).
(3) الموضح ص 93 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 62 .
(5) التمهيد ص 281 .
(6) مخارج الحروف وصفاتها ص 135 .
(7) الرعاية ص 124 .

4 ـ من قوله: (**ضُغِطَتْ مِن مواضِعِها، فإذا وقَفْتَ عليها خرَج معها من الفمِ صُويتٌ ونَبَا اللِّسانُ عن مَوضعِه**).

النُّبُوُّ: يدلُّ في أصلِه على ارتفاعٍ في الشيءِ عن غيره أو تَنَحٍّ عنه[1]. وقد قرَّر سيبويه في موضعٍ سابقٍ أنَّ الحرفَ السَّاكنَ إذا رَفَعتَ لسانَكَ عنه بصوتٍ فقد حرَّكتَهُ[2]. وهذا ما يحصُل في القلقلة.

استمدَّ بعضُ العلماء من هذا أنَّ صوتَ القلقلة من جنسِ الحركات، وإن كان لا يَنتَمِي لأيٍّ من الحركات العربية، وكلام ابن أبي مريم الشيرازيّ (ت بعد 565هـ) يؤكِّد هذا بوضوح، قال: "ومن الحروف أيضاً ما يُسمَّى حروف القلقلة، ويقال اللَّقلقة أيضاً، وهي حروف مُشْربةٌ في مخارجها إلاَّ أنها تُضغط ضغطاً شديداً، **فإنَّ لها أصواتاً كالحركات**، تتقلقل عند خروجها أي تضطرب، ولهذا سميت حروف القلقلة"[3].

ويُوضِّح شكل رقم (52) ـ الذي تقدَّم في الجهر والهمس ـ صورة طيفيَّةً لقلقلة الدال من الكلمة القرآنية: [أَحَد] عند الوقف عليها، قارِن هذه القلقلة بفتحتَي الهمزة والحاء، ولاحظ التشابه بينها من حيث الطَّيف.

ويجب أن نتنبَّه إلى أمرٍ هامٍّ هنا هو أنَّ هذا التحريك لا ينتمي إلى جنس الفتحة أو الضمَّة أو الكسرة بحيث يأخذ الفم شكلَ الفتحة المعروفة أو الضمَّة أو الكسرة بل إنَّه صُويتٌ حرٌّ ناتجٌ عن انفتاح المخرج ولا يُصاحبُه حركةٌ مُعتَبَرةٌ للشفتَين.

ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ صُويتَ القلقلةِ ليس له تأثير على معنى الكلمة بخلافِ الحركات المعروفة، فأنت لو قلتَ: (يَدْعُون)، من الدُّعاء، بقلقلة وبدونها فلن يؤثِّر ذلك في المعنى. لكن لو قلتَ: (يَدَعُون)، من الترك، لتغيَّر المعنى تمامًا.

وهذا ما أكَّدهُ المعاصرون بقول أحدهم:"وينبغي أن نُشيرَ أيضاً إلى أنَّ أصواتَ العِلَّة المركزية التي تُعتَبر القلقلةُ أوضحَ أمثلتها، لا تَدخُلُ تحت حرفٍ من هذه الحروف، أي أنَّها وإن كانت أصواتاً لغوية فهي لتحديدِ موقعِ وُرودِها، أي أنها تخدُمُ غرضاً موقعياً، ولا تَدخُلُ في النِّظام العِلّيّ للُّغة... ولا يمكن أن يُقالَ عن واحدٍ منها إنه من حرف الكسرة، أو الفتحة، أو الضمة"[4].

وبقياس تردُّدات أصوات القلقلة ـ من خلال نطق خمسةٍ من القرَّاء ـ عند كلِّ حزمةٍ من الحِزم المكوِّنة

(1) مقاييس اللغة ص 973 (ن ب و).
(2) الكتاب 4/ 177 .
(3) الموضح في وجوه القراءات وعللها 1/ 176 .
(4) مناهج البحث في اللغة ص 69 .

لها، ظهَرَ أنَّ تردُّدَ قلقلة الباءِ والجيمِ والدَّال لاينتمي لأيٍّ من تردُّدات الحركات (الفتحة، والضمة، والكسرة)، إلا أن قلقلتي القاف والطاء تكونان تابعتين للألف المفخَّمة من حيث تردُّد الحِزم، وانظر شكل رقم (70).

5 ـ الألقاب التي أُخِذتْ من نصِّ سيبويه:

1 ـ (**حروف القلقلة**): تابعَه على هذا اللَّفظ: المبرِّد[1]، وابن جنيّ[2]، ومكيّ[3]، والدانيّ[4]، وجمعها الأخيران في: (جد بطق)، والقرطبيّ وجمعها في: (طبق جد)[5]، وأبو العلاء الهمَذانيّ، وجمعها في: (قطب جد)[6].

2 ـ (**الضَّغط**): من المشترك اللَّفظيّ، وتقدَّم استعماله في : (الضَّغط).

3 ـ (**المضغوطة**): تقدَّم استعماله في: (الضَّغط).

الصِّفة الثانية: (نَحْوُ النَّفخة) أو (شِبهُ النَّفخ)

استَعمل سيبويه: (**نَحوُ النَّفخة**) في وصفِ الصَوتِ الضعيف الفاترِ المتَمِّمِ للحرف، الذي يُصاحبُ بعضَ الأصوات المجهورة عند الوقفِ عليها، وهذه الأصواتُ هي: الذَّالُ، والظاءُ، والزَّايُ، والضَّادُ، منها ثلاثةٌ يخرُجُ الصَّوتُ الضَّعيفُ المتمِّمُ لها من بين الثنايا، وأمَّا الرَّابع وهو الضادُ، فيَخرُجُ من بين الأضراسِ، قال:"ومِنَ المشْرَبَةِ حُرُوفٌ إذا وَقَفْتَ عِندَها خَرَجَ معَها **نحوُ النَّفْخَةِ**، ولم تُضْغَطْ ضَغْطَ الأولَى، وهي الزَّايُ، والظَّاءُ، والذَّالُ، والضَّادُ؛ لأنَّ هذه الحُرُوفَ إذا خَرَجَتْ بصَوْتِ الصَّدْرِ انسَلَّ آخِرُهُ وقَدْ فَتَرَ من بَين الثَّنايا؛ لأنَّهُ يَجِدُ مَنفَذاً فتُسْمَعُ **نحوُ النَّفْخَةِ**. وبعضُ العرَبِ أشَدُّ صَوْتاً، وهم كأنَّهُمُ الذي يَرُومُونَ الحركَةَ. والضَّادُ تَجِدُ المنْفَذَ مِن بين الأضرَاسِ"[7].

ولعلَّ سيبويه يَقصِد بـ: (**نحو النفخة**) ما يُحِسُّه المرء ـ عند وضعِ يده قربَ فمِه ـ من هواء ضعيفٍ يُصاحِبُ ـ في الغالب ـ نَغمةَ هذه الحروف المجهورة عند الوقف عليها.

ونبَّه سيبويه في موضعٍ آخَرَ على أنَّ هذا الصَّوتَ الضعيفَ المتمِّمَ للحرفِ يَكادُ يذهَبُ في الوصْلِ إذا سَكَنَ الحَرْفُ؛ لأنَّ أعضاءَ النُّطقِ تَنْشَغِلُ بنطقِ الصَّوتِ الذي بَعدهُ، قال:"ولا يَفتُرُ الصَّوتُ حتى

(1) المقتضب 1/ 328 و 332 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 63 .
(3) الرعاية ص 124 .
(4) التحديد ص 109 .
(5) الموضح ص 93 .
(6) التمهيد ص 281 .
(7) الكتاب 4/ 174 .

تَبتَدِئَ صَوتاً"[1].

وهذا النصُّ العظيم ـ في حال صَدَق ما استنتجتُه منه ـ يَشْهَدُ للأداء الصَّوتيّ للقرآن المجيد، إذ يُنبّه المشايخُ المتعلِّمَ على تحقيق هذه الحروف، والضَّغط عليها ليَخرج هذا الصَّوتُ الذي سمَّاه سيبويه: (نحو النَّفخة) في حال الوصلِ والوقف.

وكان التحقيقُ لها في حال الوصل لما كان الأسلوبُ الصَّوتيُّ الذي نزَل به القرآن مبنيّاً على الترسُّلِ والتأني وإشباع الكلام بخلاف أسلوب العرب في كلامهم الذي يعتمدُ على السُّرعة والعجلة.

نقَل الذين جاؤوا بعد سيبويه كلامه كما هو وجعَلوه ضمن صفات الحروف، منهم: ابن جنيّ[2]، والقرطبيّ[3].

ولقَّب المبرِّدُ الظاءَ والذَّالَ والثاءَ بـ: (**حروف النَّفث**)، قال:"وهي حروفُ النَّفْثِ، وإذا تَفَقَّدتَ ذلك وَجَدتَّه. ومعنى **النَّفْثِ**: النفخُ الخَفِيّ"[4]. وتابعه ابن جنيّ[5].

وهو شبيهٌ بكلام سيبويه في الظاء والذَّال، لكنَّ الثاء من الحروف المهموسة، وهي التي تَخرُج مع نفخٍ كاملٍ ويُشارِكُها باقي الحروف المهموسة في ذلك.

واستَعمل أبو العلاء الهمَذانيُّ: (**شِبه النَّفخ**) بدلاً من: (نحو النَّفخة) في قول سيبويه[6].

الصِّفة الثالثة: (النَّفخ)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على انتِفاخٍ وعُلُوٍّ. منه: انتَفَخ الشيءُ انتفاخاً، ويقال: انتفخَ النَّهار: عَلا، ونَفْخَةُ الرَّبيع: إعشابُهُ؛ لأنَّ الأرضَ تَرْبُو فيه وتَنتَفخ، والمَنْفُوخ: الرَّجل السَّمين[7].

استُعمِل: (النَّفخُ) في أكثر من معنى، منها:
1 ـ الصوتُ المتمِّمُ الذي يَلْحَق بعض الأصوات المجهورة. 2 ـ النَّفَسُ المتمِّمُ الذي يلحق الأصوات المهموسة.

(1) الكتاب 4/ 175 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 63 .
(3) الموضح ص 93 .
(4) المقتضب 1/ 309 .
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 171 .
(6) التمهيد ص 281 .
(7) مقاييس اللغة ص 1002 (ن ف خ).

1 . المعنى الأوَّل لـ: (النَّفخ) = الصوتُ المتمِّمُ الذي يَلْحَق بعض الأصوات المجهورة:

ذكَرتُ في النقطة السابقة استعمال سيبويه لـ: (نحو النفخة) للتعبير عن الصُّويت الضعيف الفاتر الذي يَلحق الضاد والظاء والذال والزاي. واستعمل سيبويه ـ أيضاً ـ لفظ: (**النَّفخ**) للتعبير عنه، قال:"ولو وضَعتَ لسانَك في مواضعِ الأربعةِ لاستَطَعتَ **النَّفْخَ** فكان آخرُ الصَّوتِ حين يَفْتُرُ **نفخاً**، والرَّاءُ نحوُ الضَّاد"(1).

وتابَع ابن الطحَّان الأندلسيّ سيبويه في استعمال لفظ: (**النَّفخ**) لهذه الحروف الأربعة، قال:"**والنَّفْخُ** في أربعةِ أحرفٍ، وهي: الضَّادُ والزَّايُ والظاءُ والذَّال"(2). وأعاد صياغة كلام سيبويه في تعريفه، فقال:"والنَّفخُ ـ أيضاً ـ صوتٌ حادِثٌ، عند خروجِ حرفِه بضغطِه عن موضعه، ولكنَّه دون ضغط القلقلةِ؛ لأنك تَجِدُ الصَّوتَ إذا خرجَ من الصَّدْرِ انسلَّ آخرُهُ، وقد فترَ من بَين الثنايا؛ كأنَّه وجَدَ مَنفذاً؛ فَيُسمَعُ نحو النَّفخة؛ كالضادِ تُرى أنَّها قد وجدَت منفذاً بين الأضراس"(3).

2 . المعنى الثاني لـ: (النَّفخ) = النَّفَسُ المتمِّمُ الذي يلحق الأصوات المهموسة.

ذكَر سيبويه أنَّ الوقف على الحروف المهموسةِ يكون مع **نَفخٍ**، وأن هذا النَّفخَ يُشبِه نفَس الحرفِ أثناء ارتباطِه مع الحركة، فنفَسُ الفاء والكاف في قولك: (فَا و كَا) هو **كالنَّفخِ** في: (اِفْ، واِكْ). وأنَّ العرب تتفاوتُ في تقوية هذا النَّفَس.

قال سيبويه:"وأمَّا الحروف المهموسةُ فكلُّها تَقِفُ عندها مع نَفخٍ؛ لأنَّهنَّ يَخرُجنَ مع التنفُّس لا صوت الصَّدرِ، وإنَّما تنسلُّ معه، وبعضُ العربِ أشدُّ **نَفْخاً**، كأنَّهم الذين يَرُومون الحركة، فلا بدَّ من **النَّفخِ**؛ لأنَّ النَّفَسَ تَسْمَعُهُ **كالنَّفخ**"(4).

ولبيان هذا الأمر انظر إلى شكل رقم (55) في الكلمة القرآنيَّة: [شكٌّ] عند الوقفِ عليها. لاحظ أنَّ صوتَ الشِّين الذي هو عبارة عن صوتٍ مهموسٍ هو كنفخِ الكافِ سواء بسواء. وبهذا يتَّضِح مفهوم كلام سيبويه. ولاحِظْ تَميُّز صوتِ الشِّين عن الفتحةِ بعده، وهو معنى الانسلال في قول سيبويه، والله أعلم.

وهذا من المواضع التي تَشْهَدُ بصحَّةِ ما يَقرؤه القراء اليوم من إتباعِ جميع الحروف المهموسة بنفخٍ أثناء الوقف، بل والسَّاكنَ في الوصل.

(1) الكتاب 4/ 175 .
(2) مخارج الحروف وصفاتها ص 130 .
(3) مخارج الحروف وصفاتها ص 135 .
(4) الكتاب 4/ 175.

نقَل ابنُ جني كلام سيبويه عند حديثه عن صفات الحروف وانقساماتها[1].

الصِّفة الرَّابعة المُلْحَقة بمتمِّمات الحروف: (المُسْتَوي من الحروف)

الاستواء يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بين شيئين، يقال: هذا لا يُساوي كذا، أي لا يُعادِلُه[2].

بعد أن انتهى سيبويه من الحديث عمَّا يَلحق الحروف من متمِّمات طبيعيَّة لها عند الوقف ذكَر أنَّ هناك حروفاً لا يَلْحَقُها شيءٌ من هذه المتمِّمات، ولم يُعطِها سيبويه اسماً[3]. لكنَّ ابنَ جني ذكَر لفظ: **(المُسْتَوِي)** في أوَّل تعداده لصفات الحروف[4]، ولم يَذكُرْ هذا اللَّفظ بعد ذلك عند شرحه لصفات الحروف، سوى أنَّه أتى بنصِّ سيبويه الذي تحدَّث فيه عما يَلْحَقُ الحروف من متمِّمات ذاتيَّة لها عند الوقف وما لا يَلحقُها منها. فأظنُّ أنَّ ابنَ جنيّ يستَعمِلُ هذا اللَّفظ كنقيضٍ للَمتمِّمات التي تَلْحَق الحروف؛ أي الحروف التي لا يَتْبَعُها شيءٌ عند الوقف[5]، والله أعلم .

ملاحظة مهمَّة حول متمِّمات الحروف في بقائها عند الوصل

بعد أن انتهى سيبويه من ذكر ما يلحق الأصوات الصحيحة من متمِّماتٍ لها عند الوقف ذكر ملاحظةً مهمَّةً حول هذه المتمِّمات، قال:"واعلَمْ أنَّ هذهِ الحُرُوفَ التي يُسْمَعُ معَها الصَّوتُ والنَّفْخَةُ في الوَقْفِ لا يَكُونَانِ فيهِنَّ في الوَصْلِ إذا سَكَنَّ؛ لأنَّكَ لا تَنْتَظِرُ أن يَنبُوَ لسانُكَ، ولا يَفتُرُ الصَّوتُ حتى تَبتَدِئَ صَوتاً، وكذلك المهموسُ؛ لأنَّكَ لا تَدَعُ صَوتَ الفَمِ يَطُولُ حَتى تَبتَدِئَ صَوتاً"[6].

بعضُ العلماء فَهِم من ظاهر عبارةِ سيبويه ذهابَ هذه المتمِّمات بالكلِّية عند سكون هذه الحروفِ وصلاً كابن الطحَّان الأندلسيّ[7].

لكنَّ أكثرَ العلماء نَبَّهوا على أنَّه لا يَذهب الصَّوت المتمِّمُ بالكلِّية، بل يبقى جزءٌ منه، وهو الذي يتجِهُ من كلام سيبويه، لأنَّه من الطبيعيّ أنَّك حينما تَنطِقُ سيناً ساكنةً ـ مثلاً ـ في وسط الكلمة فلن يكون صوتُها ممتدّاً كما في آخر الكلمة عند الوقف، ولن يذهبَ الصَّوت بالكلِّية، وهكذا لما تنطِقُ حرفاً مقلقلاً ستبقى رائحةُ القلقلة في الوصلِ؛ ولذلك قال مكيٌّ عن صوتِ القلقلةِ: "فذلك الصَّوتُ في

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 63 .
(2) مقاييس اللغة ص 474 (س و ي).
(3) الكتاب 4/ 175 .
(4) انظر: سر صناعة الإعراب 1/ 4 .
(5) انظر: سر صناعة الإعراب ص63 – 64 .
(6) الكتاب 4/ 174 - 175 .
(7) مخرج الحروف وصفاتها ص 135 - 136 .

الوقفِ عليهنَّ أبينُ منه في الوصْلِ بهنَّ"[1]. وقال ابن شريح في كتابه (نهاية الإتقان في تجويد القرآن) عند حديثه عن القلقلة:"وهي متوسِّطة كباء: [الأبْواب] و جيم: [النَّجْدَين]... ومتطرِّفة كباء: [لم يَتُبْ]... فالقلقلةُ هنا أبينُ في الوقف في المتطرِّفة من التوسُّطِ، انتهى"[2].

وهو ما وضَّحَهُ ابنُ جنيّ من قبلهما حين ذكَر أنَّ صوتَ السَّاكِنِ في الوصلِ يَكونُ ناقصاً عمَّا عليه في الوقفِ، قال:"وسببُ ذلك عندي أنَّكَ إذا وقَفتَ عليهِ ولم تتطاولْ إلى النُّطقِ بحرفٍ آخَرَ مِن بعدِهِ تَلَبَّثْتَ عليه، ولم تُسْرِعِ الانتقالَ عنه، فقَدَرْتَ بتلك اللُّبْثَةِ على إتباعِ ذلك الصَّوتِ إيَّاهُ. فأمَّا إذا تأهَّبْتَ للنُّطقِ بما بعدهُ، وتَهَيَّأتَ لهُ، ونَشَّمْتَ فيه، فقد حالَ ذلك بينَكَ وبين الوقْفَةِ التي يُتَمَكَّنُ فيها من إشباعِ ذلك الصُّوَيت، **فَيَسْتَهْلِكُ إدراجُكَ إيَّاهُ طرَفاً من الصَّوْتِ الذي كان الوقفُ يُقِرُّهُ عليه**، ويُسَوِّغُ إمدادَكَ إيَّاه"[3].

بل إنَّ ابن جنيّ تَمَيَّز أكثرَ من ذلك فجعَل ثلاث درجاتٍ للصوتِ المتمِّم، بين ذهابه بالكلِّية في حال التحرُّكِ، وبين بقائه بالكلِّية في حال الوقف، وبين بقاء بعضِه عند سكونه في حال الوصل، وجعَل هذا الأخيرَ في بقاء الصَّوت المتمِّم كأنَّه لا ساكن ولا متحرِّك، وسأسوق نصَّ ابنِ جنيّ على طوله لما له من قيمةٍ علميَّة:

قال ابن جنيّ:"ألا ترى أنَّ الحركةَ تَنتَقِصُهُ ما يَتبَعُهُ من ذلك الصُّوَيت، نحو قولك: صَبَر وسَلِمَ، فحركةُ الحرف تَسْلُبُهُ الصَّوتَ الذي يُسعِفُه الوقفُ به، كما أنَّ تأهُّبَك للنُّطقِ بما بعْدَه يَستَهْلِكُ بعضَه.

فأقوى أحوالِ ذلك الصُّوَيت عندك أن تقِفَ عليه، فتقول: اِصْ.

فإن أنتَ أَدرَجْتَهُ انتَقَصْتَه بَعْدَه، فقلتَ: اِصْبِرْ.

فإن أنتَ حرَّكتَهُ اختَرَمْتَ الصَّوت البتة، وذلك قولك: صَبَرَ.

فحركةُ ذلك الحرفِ تَسْلُبُهُ ذلك الصَّوتَ البتة، والوقوفُ عليه يُمكِّنُه فيه، وإدراجُ الساكنِ يُبقي عليه بعضَه.

فعلِمتَ بذلك مفارقةَ حالِ السَّاكنِ المحشُوِّ به لحالِ أوَّلِ الحرف وآخرِه، فصار السَّاكنُ المتوسِّطُ ـ لِما

(1) الرعاية ص 124 .

(2) النشر لابن الجزريّ 1/ 203 – 204 . والقراءُ إلى عصرنا الحاضر يَحرصون على الإتيانِ بها وصلاً ووقفاً، قال ابن الجزريّ في التمهيد ص122:"وقال لي شَخصٌ يَزعُمُ أنَّه إمام عصره: لا تكونُ القلقلة إلاَّ في الوقف. فقلتُ له: سلاماً"اهـ. يُشير إلى قوله تعالى: [وَإِذا خاطَبَهمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا].

(3) الخصائص 1/ 57 – 58 .

ذَكَرْنا ـ كأنَّه لا ساكنٌ ولا متحرِّكٌ، وتلك حالٌ تُخالِفُ حالَيْ ما قَبْلَه وما بَعْدَه"[1].

وهكذا تُعدُّ هذه المتمِّماتُ للحروفِ أعني: القلقلةَ وشبهَ النفخِ والنَّفخَ مِن مشخِّصات الصَّوت اللُّغويّ ولوازمِه عند المتقدِّمين لا أمراً خارجاً عنه، مِثْلُه في ذلك مِثل الصِّفات الأخرى، قال ابن جنيّ: "ومع ذلك فإن هذا الصَّوتَ اللاَّحِقَ... إنَّما هو بمنزلةِ الإطباقِ في الطاء، والتكريرِ في الرَّاء، والتفشِّي في الشين، وقوَّةِ الاعتماد في اللاَّم. فكما أنَّ سواكنَ هذه الأحرُفِ إنَّما تُكالُ في ميزانِ العَروضِ الذي هو عيارُ الحسِّ وحاكمُ القِسمةِ والوضْعِ بما تُكالُ به الحروف السواكنُ غيرها، فكذلك هي أيضاً سواكن. بل إذا كانت الراءُ ـ لما فيها من التكرير ـ تجري مجرى الحرفَين في الإمالة، ثمَّ لا تُعَدُّ في وزنِ الشِّعر إلاَّ حرفاً واحداً، كانت هذه الأحرفُ التي إنَّما فيها تَمامٌ وتوفيةٌ لهذا أَحْجَى بأن تُعَدَّ حرفاً لا غيرَ"[2].

وهذا النصّ يدلُّ على الدِّقة والملاحظة الشديدة التي كان يتمتَّع بها هذا الرجلُ الفذُّ العالِمُ بأسرار الحروف وأزمانِها.

الصفات الخاصة ببعض الأصوات:

1 . (المنحرف)، 2 . (المكرَّر)، 3 . (الحرف الشديد الذي يجري معه غنة من الأنف) أو (حرفا الغنة)

هذه الألقاب الثلاثة وزَّعَها سيبويه على حروفٍ أربعةٍ شديدةٍ في الأصل لكن حدث فيها أمرٌ أدَّى إلى جَرْيِ الصَّوت فيها، وهي اللاَّمُ والرَّاءُ والنُّون والميم. فخالفَت بذلك حُكم الشديدة والرِّخوة.

في اللاَّم يَنحرِف الصَّوتُ إلى جانبي رأس اللِّسان، فعبَّر عنه بـ: (المنحرف). ويَهتزُّ طرفُ اللِّسان في الرَّاء مسبِّباً جَرْيَ الصَّوتِ فيه، وهو الذي عَبَّر عنه بـ: (المكرَّر). ويَجري صوتُ الميم والنُّون كغنَّةٍ في الخيشوم، وهو الذي عبَّر عنه بهذه الجملة الطويلة: (حرف شديد يَجري معه الصَّوت لأنَّ ذلك الصَّوت غنَّةٌ من الأنف) وعُبِّر عنه أيضاً بـ: (الغُنَّة، أو حرفا الغنة، أو الأغنّ).

ولولا أنَّ العلماء أفردوا هذه الألقاب الثلاثة كصفات مستقلَّة، وأسهبوا في الحديث عنها لكان موضعُها اللائق في الحروف التي تلحق الشديدة والرِّخوة.

(المنحرف، الانحراف)

من المشترك اللَّفظيّ.

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على العُدُولِ والانحرافِ عن الشيءِ. يقال: انحَرَفَ عنه يَنْحَرِفُ انحرافاً،

(1) الخصائص 1/ 58 .

(2) الخصائص 2/ 328 - 329 .

وحَرَّفتُه أنا عنه، أي عَدَلْتُ به عنه. وتحريفُ الكلام: عَدْلُه عن جهته[1].

استُعمِل: (الانحراف) في أكثر من معنى، منها:

1 . ميلُ الحرف عن جهته ومخرجه 2 . من صفات الحروف

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الانحراف) = ميلُ الحرف عن جهته ومخرجه:

استعمَل الخليل لفظ: (**الانحراف**) في تعليلٍ صوتيٍّ لتميُّز اللام والنون والراء عن غيرها من حروف اللِّسان، واختصاصها بالذَّلاقة في المنطق، قال:"وأمَّا سائرُ الحُروف، فإنَّها ارتَفَعَتْ فوقَ ظَهْرِ اللِّسانِ من لَدُن باطِنِ الثنايا، من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين، بين الغار الأعلى وبين ظَهْرِ اللِّسان. ليس للِّسَان فيهنَّ عَمَلٌ أكثرُ من تحريك الطبقتَين بهنَّ، **ولم يَنحرفْنَ** عن ظَهْرِ اللِّسَان **انحرافَ** الرَّاءِ واللاَّم والنون"[2].

فكأنَّه يريد أنَّ هذه الحروف الثلاثة أخذت حكماً خاصّاً في حرِّية الحركة بطرفِ اللِّسان فعدَلَت بذلك **وانحرَفتْ** عن حكم أخواتِها، والله أعلم.

واستعمل سيبويه: (**الانحراف**) في الضَّاد والظاء والرَّاء:

ففي الضَّاد: قال:"وقد تُدغَمُ الطاءُ والتاءُ والدالُ في الضاد؛ لأنها اتَّصَلَتْ بمَخرجِ اللاَّم، وتَطَأْطَأَتْ عَنِ اللاَّمِ حَتَّى خَالَطَتْ أصولَ مَا اللاَّمُ فَوْقَهُ مِنَ الأسْنان، ولم تَقَعْ مِنَ الثَّنِيَّةِ مَوضِعَ الطاءِ **لانحرافها**؛ لأنك تَضَعُ للطاءِ لِسَانَكَ بَين الثَّنِيَّتَين، وهِي مَعَ ذَا مُطْبَقَة"[3].

عدَّ موضعَ اتصالِ طرفِ اللِّسان بالحنك في الضَّاد **انحرافاً** ومَيْلاً وعدولاً إلى جهة اللاَّم لأنَّ مخرج اللام من طرف اللِّسان مع الحنك.

وفي الظَّاء: ذكَر سيبويه عن رخاوة الظاء والذال والثاء أنَّها أشدُّ من رخاوَةِ الصاد والسِّين والزاي، قال:"**لانحرافِ** طرَفِ اللِّسان إلى طرفِ الثنايا"[4]. فعدَّ التقاء طرفِ اللِّسان مع أطراف الثنايا العُليا في الظاء والذَّال والثاء **انحرافاً**.

وفي الرَّاء: في تبيين أن الراء من مخرجِ النُّون، لكنَّها تشارك اللام في المخرج، قال:"ومِن مَخرجِ النُّونِ غيرَ أنه أدْخَلُ في ظَهْرِ اللِّسَانِ قليلاً؛ **لانحرافِهِ** إلى اللاَّمِ مخرجُ الراء"[5]. وقوله:"ومنها المكَرَّرُ، وهو حرفٌ

(1) مقاييس اللغة ص 237 (ح ر ف).
(2) العين 1/ 52.
(3) الكتاب 4/ 465.
(4) الكتاب 4/ 462 .
(5) الكتاب 4/ 433 .

شديدٌ يَجري فيه الصَّوتُ لتكريرِه **وانحرافِه** إلى اللاَّم، فتَجافى للصَّوتِ كالرِّخوة، ولو لم يُكَرَّرْ لم يَجرِ الصَّوتُ فيه، وهو الراءُ"[1].

عدَّ سيبويه مشاركةَ جزءٍ من سَطحِ طرفِ اللِّسان في الراء دخولاً في حيِّز اللاَّم وميلاً إليها، ويكون ذلك بتعريض حافَّتي طرف اللِّسان . وهذا هو الجزء المشاركُ لمخرج اللام . وتركِ مجال الوسطِ حرّاً دون مسٍّ حقيقيٍّ؛ لأنَّ اللاَّم تخرجُ من فويق الضاحك والناب والرَّباعية والثنيَّة، أي بتعريض حافتي الطرف، وكذلك الرَّاءُ تفعل ذاتَ الفعل إلاَّ أنَّ جريَ الصَّوت مختلفٌ بينهما؛ إذ تميلُ اللامُ إلى الجانبَين، بسبب عقبة طرف اللِّسان، وتجري الرَّاءُ في خطِّ الوسط بسبب الاهتزاز الحرِّ على طول سطح طرفِ اللِّسان، والله أعلم[2].

2 . المعنى الثاني لـ: (المنحرف) = من صفات الحروف

تحدَّثت من قبل عن الحروف الشديدة في الأصل التي تأخذُ حالا متوسِّطة بين الشديدة والرِّخوة لكونها خالفت أحد شروطهما، وذكَرت أنَّ سيبويه أعطى بعضَ الحروف ألقاباً معيَّنةً، فمِن ذلك تلقيبُه اللاَّم وحدها بـ: (**المُنحَرِف**)، قال سيبويه:"ومنها **المنحرِفُ**: وهو حرفٌ شديدٌ جرَى فيه الصَّوتُ **لانحرافِ** اللِّسانِ مع الصَّوتِ، ولم يَعترِض على الصَّوتِ كاعتراضِ الحروف الشديدةِ، وهو **اللاَّمُ**. وإن شئتَ مدَدتَ فيها الصَّوتَ. وليس كالرِّخوةِ؛ لأنَّ طرفَ اللِّسان لا يتَجَافى عن مَوضعِه. وليس يَخرُجُ الصَّوتُ مِن موضعِ اللاَّمِ، ولكن من ناحيتَي مُستدقِّ اللِّسان فُويَق ذلك"[3].

فالذي يُفيدنا إياه هذا النصّ . غير حال التوسُّط . أنَّ هناك عقبةً اعتَرَضَتْ مَجرى الهواءِ في اللاَّم فوجَدَ الهواءُ منفذاً من جانبَي نقطَةِ الحبس، منحرِفاً عن مسارِه، وبذلك استحقَّ لقب المنحَرف.

نَقَلَ أكثرُ أهلِ العربية والتجويد كلامَ سيبويه دون إضافاتٍ وجَعَلوا: (الانحراف) للاَّم وحدها، منهم: المبرِّد[4]، وابن جنيّ[5]، والدانيّ[6]، والقرطبيّ[7]، وأبو العلاء الهمذانيّ[8].

ووصَف مكيٌّ الرَّاء واللاَّم بالانحراف، ولقَّبهما بـ: (حرفا الانحراف) [9]. وتابعَه: ابن الطحَّان

(1) الكتاب 4/ 435 .

(2) هذا التعليل هو لأستاذي الشيخ الدكتور أيمن رشدي سويد عند سؤاله عن مقصود كلام المتقدِّمين بالانحراف في الراء .

(3) الكتاب 4/ 435 .

(4) المقتضب 1/ 329 و 348 .

(5) سر صناعة الإعراب 1/ 63 .

(6) التحديد ص 108 .

(7) الموضح ص 92 .

(8) التمهيد ص 282 .

(9) الرعاية ص 131 .

الأندلسيّ[1].

ومُجْمَلُ كلام مكيّ لا يعدو أن يكون أنَّ هذين الحرفَين أخذا حالاً متوسِّطةً بين الشدَّة والرَّخاوة فلم يتحقَّق فيهما شروط الشديدة والرِّخوة، وبذلك انحرفا وعَدَلا عن حكمهما. وهو حاصِل كلام سيبويه الذي تقدَّم في الحروف التي بين الشديدة والرِّخوة. ومن المؤكَّد أنَّ سيبويه لم يُعطِ هذا اللَّقب للاَّم لكونِها أخذَت حالاً متوسِّطةً، وإلاَّ لكانت كلّ الحروف المتوسِّطة تستحقُّ هذا اللَّقب، لكنَّ سيبويه أراد الانحراف الحقيقيّ للصَّوت من جانبَي مستدقِّ اللِّسان، وهو ما يَحصُلُ في اللام.

وأورَد مكيّ سبباً آخر لتلقيبِ الرَّاءِ بالانحِرَافِ هو انحرافُ مخرجِ الرَّاء من مخرج النُّون إلى مخرج اللاَّم.

وكلامُ مكيٍّ هذا لم يَجِد ـ أيضاً ـ عن كلامِ سيبويه الذي تحدَّث فيه عن انحرافِ مخرجِ الرَّاء إلى اللام. وقد بحَثتُه في النُّقطة السَّابقة. وكذلك ذكر الدانيُّ، قال:"والمنحرفُ حرفٌ واحدٌ، وهو اللاَّمُ. وقال الكوفيُّون: المنحرِف المكرَّر هو الرَّاءُ؛ لأنَّه يَنحرِف عن مخرجِ النُّون إلى مخرج اللام، ولأنَّ النَّاطقَ به كأنَّه ناطِقٌ براءَين"[2]. فرَجَع كلامهم إلى قول سيبويه.

وخلاصةُ القول في هذه الصِّفة أنَّه إذا كان المقصود بالانحرافِ هو وجودُ عقبةٍ في طريق الهواء سبَّبت انحرافاً في الصَّوت إلى الجانِبَين فهذا ما تَستحِقُّه اللاَّمُ وحدها. وإن كان أريد بهذه الصِّفة أنَّها أَخَذَتْ حُكْماً متوسِّطاً بين الشدَّة والرَّخاوة فهذا ما تَستَحِقُّه جميع حروف: (لِن عمر)، وليس واحدٌ منها أولى من الآخَر. وأخيراً إن كان أريد بهذه الصِّفة انحراف الهواء إلى جانبي مستدقِّ اللِّسان كما في اللام أو تعريض الجانبَين وميل الهواء إلى جهة الوسط مع الاهتزاز كما في الراء، فيمكن أن يُسمَّى ذلك انحرافاً، وتَصِحَّ حينئذٍ تلك التسميةِ عنهما، غير أنّه خروجٌ عن كلامِ سيبويه، والله أعلم.

وأعطى المعاصرون هذه الصفة للاَّم وحدها، وحافظ بعضهم على لفظ: (**الانحراف**). واستعمل بعضهم لفظ: (**الجانبِيَّة**). ولم يَخرج كلامهم عمَّا تقدَّم من كلام سيبويه[3].

ولتوضيح هذه الصِّفة بشكل مبسَّط راجع شكل رقم (59) الذي تقدَّم في الأصوات التي بين الشديدة والرخوة.

المصطلح الأوَّل: (الغنَّة، حرفا الغنة، الأغنّ)

1 . الغُنَّةُ:

(1) مخارج الحروف وصفاتها ص 133 .

(2) التحديد ص 108 .

(3) انظر: علم اللغة لمحمود السعران ص 169 .

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على صوتٍ كأنَّه غير مفهومٍ، إمَّا لاختِلاطِهِ، وإمَّا لِعلَّةٍ تُصاحِبُه[1].

استعمل لفظ: (**الغُنَّة**) في أكثر من معنى، منها:

1 . التنوين 2 . النُّون 3 . صوتٌ حرٌّ يَجري في الخيشوم 4 . من عيوب الكلام 5 . صوتٌ يجري في الخيشوم تابعٌ للميم والنُّون 6 . صوت مقسومٌ بين الفم والأنف 7 . النُّون التي تَخفى عند الحروف الخمسة عشر.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الغُنَّة) = التنوين

استعمله من العلماء: أبو الأسود الدؤليّ، وأبو الفضل الخزاعيّ.

استَعْمَل أبو الأسودِ الدُّؤَليُّ: (**الغنَّة**) بمعنى التنوين في حديثه للكاتب:"فإن أتْبَعْتُ شيئاً من ذلك **غُنَّةً** فاجعَل النُّقطةَ نقطَتَين"[2].

وقال أبو الفضل الخزاعيُّ:"[قَولاً غَيْرَ] و [مِنْ خِلاَفٍ] بإخفاء **الغُنَّة** عند الغَين والخاء..."[3].

يعني بإخفاء التنوين في المثال الأوَّل، والنُّون في المثال الآخَر.

واستعمالُ أبي الأسود للغُنَّة بمعنى التنوين أمرٌ مقبولٌ بالنَّظَر إلى قِدَم عصره وعدم تمايز المصطلحات، أما المُلْفِت للنَّظَر فهو استعمال الخزاعيّ لهذا اللَّفظ تعبيراً عن التنوين أو النون . وكلاهما يَرجِعان إلى النُّون . مع ثبات هذا المصطلح في عصره.

ربَّما يَرجِعُ ذلك إلى نقلِه عباراتِ وألفاظَ مَن تقدَّمَه كما هي، أمانةً منه في النَّقل، والله أعلم.

2 . المعنى الثاني لـ: (الغُنَّة) = النُّون:

استعمله من العلماء: الخليلُ، وأبو الفضل الخزاعيّ.

قال الخليل:"وناسٌ من أهل حِمْص يقولون: حَنْظ فإذا جمَعوا رَجَعوا إلى الحُظُوظ، وتلك النون عندهم غُنَّةٌ ليست بأصلية. وإنّما يجري على ألسنتهم في المشَدَّد نحو الرُّزّ يقولون: رُنْز ونحو أُتْرُجَّة يقولون أتْرُنْجة ونجو اجّار يقولون انْجار، فإذا جَمَعوا تركوا **الغُنَّة** ورَجَعُوا إلى الصِحَّة فقالوا: أجَاجِير وحُظُوظ"[4].

(1) مقاييس اللغة ص 769 (غ ن ن).
(2) مراتب النحويّين لأبي الطيب اللغوي ص 29 .
(3) المنتهى ص 253 .
(4) العين 3/ 22 .

وتقدَّم نصّ أبي الفضل واستعماله في النقطة السابقة.

3 . المعنى الثالث لـ: (الغُنَّة) = صوتٌ حرٌّ يَجري في الخيشوم

قال الخليلُ:" الغُنَّةُ: صوت فيه تَرخيمٌ نحو الخيَاشيم، يغُورُ من نَحو الأنف بِعَونٍ من نَفَسِ الأنف"(1).

في هذا المعنى نُسِبت الغُنَّةُ إلى المكان الذي تخرج منه، وإن كان بعضُ كلام الخليل غامِضاً.

وعرَّف ابنُ دريدٍ **الغُنَّةَ**، فقال: "الغُنَّةُ: صوتٌ يَخرُجُ من الخياشيم"(2).

وقال في موضعٍ آخر:"**الغُنَّةُ**: صوتٌ من أصواتِ الخيشومِ، وإليه سُمُّوها"(3).

4 . المعنى الرابع لـ: (الغُنَّة) = من عيوب الكلام:

قال الخليلُ:"ويقال: ظَأْظَأَ يُظَأْظِيء ظأْظَأَةً، وهو حِكاية بعض كلامِ الأعلَم الشَّفةِ العليا والأَهْتَم الثَّنايا العُلَى، وفيه **غُنَّةٌ**، رأيتُهم يَحكُونَ ذلك"(4).

تدلُّ **الغُنَّة** في كلام الخليل على اختلاط الكلام وعدم فهمِه عند أصحاب هذه العُيوب، وخاصة للحروف التي تعتمد على الأسنان الأماميَّة، ولا دَخْل لصوت الأنف في هذا المعنى، والله أعلم.

وذكَر أبو بكر الرازيُّ سبب حدوث **الغنَّةِ** (الخَنَن) في الكلام كعيبٍ مرضيٍّ ، قال عن ذلك:" تدلُّ على لحمٍ نابتٍ في المِنْخِرَين لأنَّه يَتْبَعُ الكلامَ شيءٌ من الصَّوتِ بمنزلة الطَّنينِ، فإذا كان المجرى الذي بين الأنف والفمِ مفتوحاً خرجَ هذا الطنينُ فيه، وكان لهذا الكلامُ صافياً، وإذا انسدَّ المجرى واحتاج أن تُخرِجَ هذا من الأنفِ كان الكلامُ لذلك فيه **غُنَّة**، وهذا هو المقدارُ من النَّفَس الذي يُحتاجُ أن يَخرُج في حال الكلام"(5).

وأظنُّ أنَّ الرازيّ يتحدَّث عن الزوائد اللَّحميَّة التي تُسبِّبُ الخَنَنَ في الكلام، وعن الرَّنين الأنفيّ والجبهيّ والوجهيّ في الإنسان الطبيعيّ.

قال المبرِّد:"والغُنَّةُ: أن يُشْرَبَ الحرفُ صوتَ الخيشوم"(6). ذكَره كعيبٍ من عيوب الحروف.

وقال عنها:"وأمَّا الغُنَّةُ فتُستَحسنُ من الجاريةالحديثةِ السِّنّ؛ لأنَّها ما لم تُفْرِطْ تَميلُ إلى ضربٍ من

(1) العين 4/ 348 .
(2) الجمهرة 1/ 117 .
(3) الجمهرة 1/ 7 .
(4) العين 8/ 147 .
(5) الحاوي في الطب 3/ 68 - 69 .
(6) الكامل 1/ 500 .

النَّغمة"[1].

5 . المعنى الخامس لـ: (الغُنَّة) = صوتٌ يجري في الخيشوم تابعٌ للميم والنُّون

هذا المعنى هو الذي دارت عليه أقوال أكثر المتقدِّمين من أصحاب المدرسة النَّقليَّة حيث أدركوا أنَّ وظيفة الغُنَّة في اللُّغة يَقتصِر على كونِها صوتاً يَجري في الخيشومِ يكون تابعاً للميم أو النُّون، يدلُّك على ذلك أنَّ صاحبَهم وشيخَ صنعتهم سيبويه لم يتحدَّث عن الغنَّة إلا في معرضِ حديثه عنهما، حتى في المكان الذي يُظَنُّ أنَّ الغنَّة تستقلُّ فيه استعمل لفظ: (النُّون الخفيَّة)، وإليك بعضَ ما يُفيدُ ذلك من أقوالهم:

. (**الغُنَّةُ** تكونُ تابعةً للنُّون والميمِ الساكِنَتَين والتنوين): مكيّ[2].

. (**الغُنَّةُ** لاتكونُ مُنفَرِدةً في غيرِ حرفٍ، أو مخالِطَةٍ لحرفٍ لا غُنَّةَ فيه؛ لأنها ممَّا تَخْتَصُّ به النُّونُ والميمُ لا غير): الدانيّ[3].

ويُفْهَم من النصِّ غير التبعيَّة: أنَّه لا يجوزُ إدخالُ غُنَّةٍ في أيِّ حرفٍ لا غُنَّة فيه، كمثل إدخال الغنَّة على حروف المدِّ.

. (**الغُنَّةُ** مركَّبةٌ في جِسْمِ النُّونِ والتنوين): الدانيّ[4].

. (**الغُنَّة** صوتٌ من الخيشومِ يَتْبَعُ الحرفَ وإن كانَ خروجُه من الفَم): عبد الوهاب القرطبيّ[5].

. (**الغُنَّةُ**: الصوتُ الزَّائدُ على جِسْمَي الميمِ والنُّونِ، مُنبَعِثٌ عن الخيشوم المركَّبِ فوق غارِ الحَلْق الأعلى): ابن الطحَّان الأندلسيّ[6].

وهذه التبعيَّة لها أحوالٌ عدَّة، وأفرَد لها مكيُّ بن أبي طالبٍ القيسيّ باباً في الرِّعاية سمَّاه: (**باب الغُنَّة**) استَعرضَ فيه أماكن وجود الغنَّة، حيث لاحظَها في ثلاثة أماكن:

1 . عند النُّون والميم، فتكون تابعةً للنُّون الخالصة السَّكون والمتحرِّكة، وكذلك للميم الساكنة.

2 . عند إدغام النُّون الساكنة والتنوين في النون والميم والياء والواو[7].

(1) الكامل 1/ 504 .

(2) أسباب حدوث الحروف ص 92 . وانظر: ص119، و124.

(3) جامع البيان 2/ 729 .

(4) جامع البيان 2/ 718 .

(5) الموضح ص 145 .

(6) مرشد القارئ ل 4/ أ ، ومخارج الحروف وصفاتها ص 134 .

(7) لم يتعرَّض لوجود الغنة عند إدغام النون في اللام والراء؛ لأنَّه أخذ بالأكثر المشهور، يعني بلا غنة. وانظر: ص 263 .

3 . عند إخفاء النُّون في الحروف الخمسة عشر، وهذا الثالث هو أعلى ظهور لصوتِ الغُنَّة عنده[1].

وقد شاركَ بعضُ أصحاب المدرسة العقليَّة في الحديث عن تلك التَبَعِيَّة، قال ابن سينا عن صوتِ الغُنَّةِ إذا خرج خالِصاً من الخيشومِ:"والميمُ والنُّون قد يكونُ منهما ما يُقْتَصَرُ فيه على الدَّويّ الحادِثِ من الهواءِ في تجويفِ آخرِ المَنْخِر، ولا يُرْدَفُ حبسه عند الإطلاق بحَفزٍ للهواءِ إلى خارجٍ، وهذا كغُنَّةٍ مُجرَّدة"[2]. فقولُه (منهما) يُعطيك معنى التبعيَّة.

6 . المعنى السادس لـ: (الغُنَّة) = صوت مقسومٌ بين الفم والأنف

عرَّف الفارابيُّ الغُنَّةَ، فقال:" **الغُنَّةُ**: سلوكُ بعضِ أجزاءِ الهواءِ في الفَم والأنفِ"[3].

هذا في علم الموسيقى وصنعة الغِناء .

7 . المعنى السابع لـ: (الغُنَّة) = النونُ التي تَخفى عند الحروف الخمسة عشر

ذكرت في المعنى الخامس أنَّ مكيّاً عدَّ نونَ الإخفاء أعلى ظهورٍ لصوتِ الغُنَّة، لكونها استقلَّت بهذا المخرج، ومن أجل هذا الاستقلال استَحقَّتْ أن يُطلِقَ عليها لفظَ: **(الغُنَّة)**.

وهو متابِعٌ لسيبويه في هذا، والفرقُ بينهما في اختلاف اللَّفظ حيث أطلق سيبويه على نونِ الإخفاء التي جعلها خاصَّةً بالمخرج السادس عشر لفظ: (النُّون الخفيَّة أو الخفيفة)[4]، وأطلَق مكيٌّ عليها لفظ: **(الغُنَّة)**، ولذلك قال:"**وتَبَيَّنَ أنَّ النُّونَ الخفيَّةَ هي الغُنَّةُ**، والنُّونَ المدغَمةَ والمظهَرةَ هي غير الغُنَّة، والغُنَّةُ تابعةٌ لها"[5].

وعدَّ سيبويه هذه النُّونَ الخفيَّة من الحروفِ الفروعِ غيرِ الأصول كألف الإمالة وهمزة بين بين[6]، فوافَقه مكيٌّ بقوله:"والغنَّةُ حرفٌ مجهورٌ شديدٌ لا عملَ للِّسان فيها"[7]. يعني: (والنُّون الخفيَّةُ حرفٌ مجهور...)، وكلُّ كلامه بعد هذا يدلُّ على هذا المعنى، والله أعلم.

وهذه المواضعةُ الفرديةُ من مكيّ في لفظ: **(الغُنَّة)** هي التي جعلَتْه هدفاً وغرضاً لمن جاء بعْدَه، بل وأغمَضَتْ دلالةَ كلامِه[8].

(1) الرعاية ص 240 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص 92 . وانظر: ص119، و124.
(3) الموسيقى الكبير ص 1070 .
(4) الكتاب 4/ 434 .
(5) الرعاية ص 268 .
(6) الكتاب 4/ 432 .
(7) الرعاية ص 240 .
(8) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 313 .

2 . المصطلح الثاني: (حرفا الغُنَّة):

حرفُ الميم والنَّون هما الحرف الثاني والثالث . بعْدَ اللاَّم . من الحروف الشديدة في الأصلِ التي تتعرَّضُ لأمرٍ يؤدِّي إلى جري الصَّوتِ، ولم يُلقِّبهما سيبويه في هذا الموضعِ بلقبٍ معيَّن، بل جاء تلقيبهما في موضعٍ آخر بـ: (**حرفي الغُنَّة**)[1].

قال سيبويه:"ومنها حرفٌ شديدٌ يَجْرِي معه الصَّوتُ؛ لأن ذلك الصَّوتَ غُنَّةٌ من الأنفِ، فإنَّما تُخْرِجُهُ من أنفِك واللِّسانُ **لازِمٌ** لموضِعِ الحرْفِ؛ لأنَّكَ لو أمسَكْتَ بأنفِك لم يَجْرِ معه الصوتُ. وهو النُّونُ وكذلك الميمُ"[2].

وهذا النصُّ لا يَحتاج إلى كثير شرح: غلقٌ لمخرجَي الميم والنُّون في الفم وجريانٌ لصَوتَيهما في الأنف، راجع شكل رقم (59) لتبيُّنِ هذا الأمر. لاحظ أنَّ اللَّون السَّماويّ أو الأزرق الفاتح يُمثِّل منطقةَ انتشار الصَّوت.

أخذ العلماء كلام سيبويه في هذا الموضع، وتنوَّعت ألقابُهم كالتالي:

تابعَه على (**حرفي الغُنَّة**): الرمَّانيُّ[3]، ومكيٌّ[4]، والدانيّ[5]، والقرطبيُّ[6].

واستعمل القرطبيُّ لفظ: (**حروف الغُنَّة**)، قال:"وأمَّا حروفُ الغُنَّةِ فالنُّونُ ساكنةً ومتحرِّكةً، والميمُ، إلاَّ أنَّ الميمَ أقوى من النُّونِ؛ لأنَّ لَفظَها لا يَزولُ، ولفظُ النُّونِ قد يزولُ عنها، فلا يَبْقى مِنها إلا غُنَّة، وكذلك لم تُدغَم الميمُ في النُّون"[7].

والجزءُ الأخيرُ من عبارة القرطبيّ من قوله: (إلا أن الميم أقوى...) مأخوذةٌ بنصِّها من كلام الدانيّ في أحد كتبه[8].

وهذه الملاحظةُ في الميم تقومُ حجةً في وجهِ مَن يُباعِدُ بين الشفتَين في الميمِ عند الباء، أعني في الإخفاء الشفويّ. ونصُّ الدانيّ والقرطبيّ واضحٌ كلَّ الوضوح في أنَّ إطباق الشفتَين في الميمِ ملازمٌ لها في كلِّ أحوالِها بخلاف النُّون التي يَنفصِلُ فيها اللِّسان عن مخرجِها في الإخفاء.

(1) الكتاب 4/ 447 .
(2) الكتاب 4/ 435 .
(3) شرح كتاب سيبويه ل 191/ ب .
(4) الرعاية ص 131 .
(5) التحديد ص 109 .
(6) الموضح ص 158 .
(7) الموضح ص 97 .
(8) التحديد ص109 .

3 . المصطلح الثالث: (الأغنّ):

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على صوتٍ كأنَّه غير مفهومٍ، إمَّا لاختِلاطِه وإمَّا لعلَّةٍ تُصاحِبُه. مِن ذلك قولُهم: قريةٌ غنَّاء، يرادُ بذلك تجمُّع أصواتهم واختلاطُ جلَبَتِهم، ووادٍ أغنُّ: مُلْتَفُّ النباتِ. ومنه الغُنَّةُ في الرجل الأغنِّ، وهو خروجُ كلامِه كأنَّه بأنفه[1].

استُعمل: (**الأغنُّ**) في أكثر من معنى، منها:

1 . لقبٌ للذي يتكلَّم من أنفه كعيب من عيوب النُّطق 2 . وصفٌ لصاحب الغِناء الحسَن 3 . لقبٌ للميم والنُّون

1 . المعنى الأوَّل: الأغنُّ = لقبٌ للذي يتكلَّم من أنفه كعيب من عيوب النُّطق:

تقدَّم قول ابنِ فارس في التعريف اللُّغويّ عن الرَّجل **الأغنِّ**، وقال الثعالبيُّ:"**الأغنُّ**: إذا كان يتكلَّمُ مِن قِبَلِ خَيشومِه"[2].

2 . المعنى الثاني: الأغنُّ = وصف لصاحب الغِناء الحسَن:

عدَّد ابنُ الطحَّان الموسيقيّ . بعد ذِكْره لكيفيَّة اختبار الحلوق، وطبقاتها الصوتيَّة . الأوصافَ التي توصَف بها الحُلُوق الإنسانيَّة بحسب ما تُصدِره من أصواتٍ، وذكَر منها: (**الأغنَّ**)، قال:" **الأغَنُّ**: هو الذي فيه الغُنَّةُ والحَلاَوَةُ والنَّغَم"[3].

3 . المعنى الثالث: الأغنُّ = لقبٌ للميم والنُّون:

لقَّب أبو العلاء الهمَذانيُّ النون والميم بـ: (**الأغنّ**)، فقال:"**والأغنُّ**: النُّونُ والميمُ؛ سُمِّيا بذلك لأنَّ فيهما غُنَّةٌ، وهو صوتٌ يَخرجُ من الخياشيم"[4].

(المكرَّر، التكرير)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على جمعٍ وترديدٍ، من ذلك: كَرَرْتُ، وذلك رجوعُك إليه بعد المرَّةِ الأولى. والكريرُ: كالحَشْرَجةِ في الحلْق، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه يُرَدِّدها[5].

(1) مقاييس اللغة ص 769 (غ ن ن).

(2) فقه اللغة ص 156 .

(3) حاوي الفنون ص 49 – 55. وقد رتَّبتُ المصطلحات فيها هجائياً، ولذلك جعلتُ الإحالة هنا.

(4) التمهيد ص 282 .

(5) مقاييس اللغة ص 872 (ك ر ر).

استُعمل لفظ: (التكرير) في أكثر من معنى، منها:

1 . صفة ذاتية للراء 2 . الحرفان المتماثلان 3 . من العيوبِ التي نهى القراء عنها

1 . المعنى الأوَّل لـ: (التكرير): صفةٌ ذاتيَّةٌ للراء

التكرير في مفهومنا الحاضر هو الاهتزازُ، وهو لقبٌ وضعه سيبويه لحرف الرَّاء ليدلَّ به على كيفيَّة جريِ الصَّوت فيه عن طريقِ خاصِّية اهتزاز طرفِ اللِّسان الذي يتمتَّع به ذلك الصَّوت.

وحرفُ الرَّاء هو الحرف الرابع . بعْدَ اللاَّم والميم والنُّون . من الحروف الشديدة في الأصلِ التي تتعرَّضُ لأمرٍ يؤدِّي إلى جري الصَّوتِ فيها لقَّبه سيبويه بـ: (المكَرَّرِ)، قال:"ومنها **المُكَرَّرُ**، وهو حرفٌ شديدٌ يَجري فيه الصَّوتُ **لتكريرِه** وانحرافِه إلى اللاَّم، فتَجافى للصَّوتِ كالرِّخوة، ولو لم **يُكَرَّرْ** لم يَجرِ الصَّوتُ فيه، وهو الراءُ"[1].

نستَخْلِصُ من هذا النصِّ أنَّ الذي سبَّب جَرْيَ الصَّوت في الرَّاء وأخذِهِ حُكمَ الحروف الرِّخوة هو التكريرُ وانحرافُ مخرجِه إلى جهة اللاَّم. ثمَّ عادَ سيبويه وأكَّد أنَّه بدونِ هذا التكرير لن يكون هناك جريان صوتٍ للرَّاء، فما هو هذا التكرير؟

هذا الموضعُ من كلام سيبويه على درجةٍ بالغةٍ من الدقَّة فهو يريدُ أن يُفسِّرَ كيفيَّةَ ارتعادِ طرفِ اللِّسان بالرَّاء، وخروج صوتها، ولن يُفهَم هذا الموضع جيداً حتى يُضَمَّ إليه ما قاله عن الرَّاء في المخارج، قال:"ومِن مَخرجِ النُّونِ غيرَ أنه أدْخَلُ في ظَهْرِ اللِّسَانِ قليلاً؛ لانحرافِهِ إلى اللاَّمِ مخرجُ الراء"[2].

لو اكتفى سيبويه بأن قال لك: (ومن مخرجِ النُّون...) دون أن يُكمِلَ وصَفه لأصبح صوتُ الرَّاء كالطاء والدال في الشدَّة، لكنَّه أراد أن يُفسِّر لك ما الشيء الذي أكسب طرف اللِّسان خاصِّية الاهتزاز وحَدَث منه صوتُ الرَّاء، إنَّه بلا شك يكونُ بتعريضِ حافتي طرف اللِّسان . وهذا هو الجزءُ المشاركُ في اللاَّم . وتَرْكِ مجَالِ الوسَط ملامساً لمساً خفيفاً للحنك، ممَّا مَكَّن الهواء من نفضِ الطرف فأَكسَبَهُ ذلك الاهتزاز.

ويؤيِّدُ كلامي هذا ما ذكَره ابن سينا في وصْفِ حدوث الرَّاء، قال:"وإن كان طرف اللِّسان متعرِّضاً للموضِع الذي يَمَسُّه في اللاَّم من غيرِ مَسٍّ صادقٍ ولا التصاقٍ برطوبةٍ، ثمَّ عُرِّضَ حافتاه بالعضلتَين المطوِّلَتين تعريضاً أقوى من تعريضِ الطرفِ نفسِه، وحُمِل عليه بالهواءِ حتى نَفَضَهُ وأرعَدَه، كما تَفْعَلُ الرِّيحُ بكلِّ لَيِّنٍ متعرِّضٍ له متعلِّقٍ مِن طرفٍ منه بشيءٍ ثابت حدَثَ منه حرفُ الرَّاء، وسُمِع التكريرُ الذي

(1) الكتاب 4/ 435 .

(2) الكتاب 4/ 433 .

فيه الارتعادُ قُدُماً"[1]. فانظر إلى توافق القولَين ودقَّة الوصْفَين.

تابع سيبويه على استعمال لفظ: (**المكرَّر، التكرير**) كثيرٌ من العلماء، منهم: المبرِّدُ[2]، والزجَّاج[3]، والنحَّاس[4]، وابن خالويه[5]، وأبو عليّ الفارسيّ[6]، وابن جنيّ[7]، والدانيّ[8].

ولقَّب المبرِّدُ الراء بـ: (**حرفِ الترجيع**)[9].

واستعمل المتقدِّمون عدَّة ألفاظ أخرى للتعبير عن هذه الخاصية في الرَّاء، منها:

1 ـ (**المضاعفة، التضعيف**): استعمله سيبويه، قال:"والرَّاء إذا تكلَّمتَ بها خرجَت كأنَّها **مضاعَفة**، والوقف يَزيدها إيضاحاً"[10]. وتابعَه ابن الطحَّان بلفظ: (**التضعيف**)[11].

2 ـ (**النَّبوة**): ذكَر المبرِّدُ أنَّ التكريرَ من فضائل الحروف، شارحاً آليَّتَه بقولِه:"وتُدْغَمُ اللاَّمُ والنُّونُ في الرَّاء، ولا تُدغَمُ الراءُ في واحدةٍ منهما؛ لأنَّ فيها تكراراً. فيَذْهَبُ ذلك التكرير. ألا ترى أنَّكَ تقولُ في الوقف: هذا عمرو، **فيَنبُو اللِّسانُ نَبْوَةً، ثمَّ يَعُودُ إلى مَوضِعِه**، وإذا تَفَطَّنتَ لذلك وَجَدتَّه بَيِّناً"[12]. ويدلُّ (النُّبُوُّ) في أصلِه على ارتفاعٍ في الشيءِ عن غيره أو تَنَحٍّ عنه[13].

وتابعَه: سبط الخياط[14].

3 ـ (**التعثُّر**): استعمله ابن جنيّ، قال:"وذلك أنَّك إذا وَقَفْتَ عليه رأيتَ طَرَفَ اللِّسان **يَتَعَثَّرُ** بما فيه من التكرير"[15].

4 ـ (**الارتعاد، الإرعاد، الترعيد**): يدلُّ أصل هذه الألفاظ على حركةٍ واضطراب، وكلُّ شيءٍ

(1) أسباب حدوث الحروف ص 123 .
(2) المقتضب 1/ 331 .
(3) معاني القرآن وإعرابه 1/ 398 .
(4) إعراب القرآن 2/ 160 .
(5) الحجة ص 66 .
(6) التكملة ص 279 .
(7) سر صناعة الإعراب 1/ 63 .
(8) التحديد ص 78 .
(9) المقتضب 1/ 331 .
(10) الكتاب 4/ 136 .
(11) المقتضب 1/ 331 .
(12) المقتضب 1/ 347 .
(13) مقاييس اللغة ص 973 (ن ب و).
(14) المبهج 1/ 224.
(15) المقتضب

اضْطَرَب فقد ارتَعد[1].

ذكَر ابنُ سينا في وصفه لكيفية حدوثِ الراء والزاي أنَّ **ارتعادَ** سَطْحِ اللِّسان في الرَّاء يكون في الطُّول، وفي الزَّاي بالعَرض[2].

واستَعمَل: (**الترعيد**) في وصف خروج الراء، والراء المطْبَقة، والغَينيَّة، فمثلاً: الراء الغَينيَّة "تحدُثُ بأن يُتَغَرغرَ بالهَواء التغَرْغُرَ الفاعلَ للغَين، ثمَّ **يُرَعَّدُ** طرفُ اللِّسان، أو يَحدثَ في صِفاق المَنْخِر الدَّاخل ذلك **الارتِعاد**، فتَحدُث راءٌ غَيْنِيَّة"[3].

وتابعَه مكيٌّ[4]، وابن الطحَّان[5] في لفظ: (**الارتعاد**).

5 . (**الاهتزاز**): استعمله ابن سينا في وصف آلية حدوث الرَّاء، قال:"وإذا كان الحبسُ أيبسَ وليس قويّاً ولا واحداً، بل يتَكَرَّرُ الحبسُ في أزمنةٍ غير مضبوطَةٍ كان منه الترعيدات في الإيقاعات، وذلك لشدَّة **اهتزاز** سطح اللِّسان حتى يَحْدُثَ حبسٌ بعد حَبسٍ غَير محسوسٍ حدَثَ الرَّاء"[6]. وهذا الوصفُ دقيق للغاية حيث تعرَّض للاهتزازات غير المحدودة في زمن قصيرٍ ممَّا يؤَكِّدُ ذاتيَّة هذه الصِّفة.

2 . المعنى الثاني لـ: (التكرير، المكرَّر) = التضعيف

ومعناه وصف الحرفين المتماثلين في كلمة وكلمتَين،، مظهرين كانا أم مُدغَمَين.

استعمله من العلماء: المبرِّد[7]، والزجَّاج[8]، وابن دريد[9]، وابن جنيّ[10]، والقرطبيُّ، والخفاجيّ[11].

مثال:قال القرطبيُّ: "إذا قرأْتَ: [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ] فَبَيِّن **التكريرَ** بياناً ظاهراً"[12].

يُوصِي القارئ ببيانِ الميمات المتحرِّكة، وخاصةً الميم الثانية المضمومة، والثالثة المكسورة.

(1) مقاييس اللُّغة ص 390 (ر ع د).
(2) أسباب حدوث الحروف ص 120 - 121.
(3) أسباب حدوث الحروف ص 129 - 130.
(4) الرعاية 196 .
(5) مخارج الحروف وصفاتها ص 133 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص 82 .
(7) المقتضب 1/ 207 .
(8) معاني القرآن وإعرابه 5/ 214 .
(9) الجمهرة 1/ 124 .
(10) المنصف 1/ 12 .
(11) سر الفصاحة ص 47 .
(12) الموضح ص 149 .

3. المعنى الثالث لـ: (التكرير) = من العيوب التي نهى القرَّاء عنها:

استَعمل بعضُ القرَّاء: **(التكرير)** للنهي عن المبالغة في إخراج الرَّاء بحيث يَخرُج عن الحدِّ فيصير عيباً نُطقياً في التلاوة، كمثل قراءة الرَّاء كما في اللُّغة الإسبانية حيث يَضْغَطون على مخرجِها بقوَّة يَضطرُّ معه الهواءَ إلى الاندفاع بقوَّة، ويؤدِّي ذلك إلى طرَقَاتٍ واهتزازات تَحدُثُ من طرفِ اللِّسان ليست خفيَّة، بل مزعجةٍ ومستبشعةٍ على الأذُن العربية السَّليمة.

استَعمل ذلك: السعيديُّ[1]، ومكيٌّ.

وفهِمَ بعضُ المتأخِّرين من علماء التجويد من ظاهر عبارة مكيٍّ في الرِّعاية نفيَ التكرارِ جملةً في الرَّاء[2]، قال مكيٌّ:"والرَّاءُ حرفٌ قويٌّ للتكرير الذي فيه... يَجري معه النَّفَسُ لانحرافِه إلى اللاَّمِ، وللتكريرِ الذي فيه، فذلك قَدْرُ الرَّخاوةِ التي فيه... والتكريرُ: هو ارتعاد طرفِ اللِّسان بالرَّاء مُكَرِّراً لها، فإخفاء **ذلك التكرير لا بدَّ منه**... وإذا تكرَّرت الرَّاءُ، والأولى مشدَّدة أو مخفَّفة وجَبَ التحفُّظُ على إظهارهما **وإخفاءِ التكرير**"[3].

وإخفاء التكرير لا يعني ـ أبداً ـ إذهابُه جملةً، إذ كيف يُثبتُ مكيٌّ التكريرَ في أوَّل كلامِه، ويجعلُه من قوَّة الحرفِ، بل ويُثبتُ له ما أثبتَه الجمهورُ من جَرْيِ الصَّوتِ فيه، ثمَّ يَنفيه بعد ذلك في آخرِ كلامِه، هذا معناه أنَّه أضعفَ حرفَ الرَّاء ونقَله إلى حال الشدَّةِ، وبعيدٌ جداً أن يكون مكيٌّ قد رمَى إلى هذا.

وعلينا أن نلاحِظَ البيئة التي أَلَّف فيها مكيٌّ كتابَه، أعني الأندلس وهي إسبانيا اليوم، وهم الذين يُكرِّرون الرَّاء تكريراً فاحشاً؛ إذ تخبرُنا بعض كتب التاريخ أنَّه بالرّغم من الفتح الإسلاميّ لبلاد الأندلس، وانتشار اللُّغة العربية في أوساطِها، إلاَّ أنَّ عامَّةَ أهلِها ما زالوا يحتفِظون بلغتهم الأصليَّة، أعني اللُّغة القشتاليَّة، بل كانوا يؤلِّفون فيها الكتب[4]، ولعلَّ مكيّاً إذا لم ينبِّه على إخفاء التكرير أن يَظنَّ واحدٌ من أهل تلك اللُّغة أن التكريرَ الفاحِش للراء في لغته الأصلية هو موافقٌ لما في كتب العربية والتجويد، فيأتي به عند تلاوته للقرآن. فكان الحثّ من مكيٍّ على إخفاء هذا التكرير الفاحش، لا إذهاب القدر الذي يُبقي للراء صفتَه.

ويؤيِّد كلامي هذا قولُ القرطبيِّ:"الراء حرفٌ مكرَّرٌ منحرِفٌ... فيتوقَّى الإفراطُ في تَكرارِه مع حِفظِ

(1) التنبيه على اللحن الجليّ والخفي ص 28 .

(2) انظر: شرح المقدمة الجزرية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ص 54 . وبيَّن ابن الجزري خطأ مَن يقول بإذهاب التكرير جملةً في الراء . (النشر 1/ 219).

(3) الرعاية ص 195 - 196 .

(4) العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي ص 453 .

نِظامِه وتَوْفِيَةِ نصيبه منه، سواءٌ كانت الرَّاءُ ساكنةً أو متحرِّكةً"[1].

وقد وضعتُ على طرف اللِّسان في شكل رقم (59) علامةً رمزيةً تدلُّ على ترعيده واهتزازه.

الصِّفات الخاصَّة ببعض فضائل الحروف:

تقدَّمت بعض الصِّفات التي تدلُّ على فضائل الحروف، منها: الغنة في النون والميم، والإطباق للصاد والضاد والطاء والظاء، والتكرير في الرَّاء. وبقي من هذه الفضائل التي عدَّها المتقدِّمون: الصَّفير للصاد والسِّين والزَّاي، والتفشي، والاستطالة.

(الصفير)

من المشترك اللَّفظيّ.

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على صوتٍ للطائر وغيره. صَفَرَ يَصْفِرُ صَفيراً، وصَفَر بالحمار وصَفَّرَ: دعاه إلى الماء. والصَّفَّارةُ: هَنةٌ جَوفاءُ من نُحاسٍ يَصْفِرُ فيها الغلامُ للحَمام، ويَصْفِرُ فيها أيضاً بالحمار لِيَشرب[2].

استُعمل في أكثر من معنى، منها:
1 . من صفات الحروف 2 . من عيوب الفصاحة

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الصَّفير) = من صفات الحروف.

لقَّب سيبويه الصاد والسين والزاي بـ: **(حروف الصَّفير)**، وذكَر بأنَّهنَّ أندى في السَّمع من جاراتها، أعني الطاء والدال والتاء، والظاء والذال والثاء. وعدَّ صفةَ الصَّفير من فضائل الحروف التي يُحافظ عليها، وتَمنع حروفَها من الإدغام في غيرها، فهي بمنزلة إطباق الطاء في المحافظة عليه والغنَّة في النُّون، قال:" وأما الصاد والسِّينُ والزاي فلا تُدغِمْهُن في هذه الحروف التي أُدْغِمَتْ فيهنَّ [يعني: جاراتها في المخرج]؛ لأنهنَّ حروفُ الصَّفيرِ. وهُنَّ أندَى في السَّمع[3]. وهؤلاء الحروف [جاراتها في المخرج] إنما هي شديدٌ ورخوٌ لَسْنَ في السَّمع كهذه الحروف لخفائها. ولو اعتَبَرْتَ ذلك وَجدتَه هكذا. فامتَنَعَتْ كما امتَنَعَت الراءُ أن تُدغَم في اللاَّم والنونِ للتكرير" [4].

ولم يُعرِّف سيبويه الصَّفير، ولا سببَ خروجِه.

(1) الموضح ص 105 .

(2) العين 7/ 114، ومقاييس اللغة ص 546 - 547 (ص ف ر)، ولسان العرب 4/ 464 (ص ف ر).

(3) معنى نَدَى الصَّوت في اللُّغة: بُعْدُ مذهبه، وهو أندى صوتاً منه، أي أبْعَد. (مقاييس اللغة ص 984).

(4) الكتاب 4/ 464 .

أشار المبرِّدُ في توضيحه لمخرج الصاد والسِّين والزَّاي إلى ضيق المخرج المسبِّب للصفير، قال:"وحروفُ الصَّفِير مِن طرَفِ اللِّسَانِ وأطراف الثنايا، ولَهُنَّ انسِلالٌ عند التِقَاءِ الثنايا؛ لِمَا فيهنَّ مِن الصَّفِيرِ"(1). ومعنى الانسلال في اللُّغة: المضِيُّ والخروجُ من مضيقٍ أو زحام(2).

ركَّز العلماءُ كسيبويه على أثر هذه الصِّفة السَّمعيّ، فكان أوَّل مَن ذكَرها ضمن صفات الحروف مكيَّ بنَ أبي طالبٍ القيسيّ(3).

وتابعَه في إدخالها ضمنَ الصِّفات: الدانيُّ(4)، والقرطبيُّ(5)، وأبو العلاء الهمذانيّ(6)، وابن الطحَّان الأندلسيّ(7).

عرَّف مكيٌّ الصَّفير بقوله:"وحقيقة الصَّفير: أنَّه اللَّفظُ الذي يَخرُجُ بقوَّةٍ مع الرِّيح من طرفِ اللِّسان ممَّا بين الثنايا تَسْمَع له حسّاً ظاهراً في السَّمع"(8).

وقال ابن الطحَّان الأندلسيّ:"والصَّفيرُ: حِدَّةُ الصَّوتِ؛ كالصَّوتِ الخارجِ عن ضَغطِ ثُقْبٍ"(9).

ونبَّه المجوِّدون والقرَّاء على تقوية صوتِ هذه الحروف، حدَّث أبو حاتمٍ سهلِ بن محمدٍ السِّجستانيّ عن دقَّةِ شيخِه يعقوبَ الحضرميّ في الأداء، قال:"قرأتُ على يعقوبَ الحضرميّ فبَلَغْتُ إلى قوله ـ عزَّ وجلَّ: [وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاَّ بِإِذْنِهِ] [الحج: 65]، فقال: يا سَهْل، سَمِّعْنِي **صَفِيرَ السِّين**، وطَنِين النُّون، وقَعْقَعَة العَين"(10).

وهذا من النُّصوصِ الخطيرة النَّادِرة عن أحد القرَّاء العشرة التي تَشهَدُ بصحَّة ما يَقرؤهُ القرَّاء المتقنونَ اليوم حيث يُنبِّهون على تبيينِ الصَّفير في السين المشدَّدة، وغيرها من الملاحظات الصوتية.

وقال مكيّ:"وإذا وقعت السِّين وبعدها حرفُ إطباقٍ وجبتِ المحافظةُ على إظهار لفظِ السِّينِ **وبيانِ صفيرها**؛ لئلاَّ يُخالطَها لَفظُ الإطباقِ الذي بعدها فتصير صاداً. وذلك نحو قوله: [أُمَّةً وَسَطًا] و

(1) المقتضب 1/ 309 .
(2) لسان العرب 11/ 338 (س ل ل).
(3) الرعاية ص 124 .
(4) التحديد ص 107 .
(5) الموضح ص 97 .
(6) التمهيد ص 282 .
(7) مخارج الحروف وصفاتها ص 128 .
(8) الرعاية ص 212 .
(9) مخارج الحروف وصفاتها ص 132 .
(10) نقَل ذلك عنه أبو العلاء الهمَذانيُّ في التمهيد ص 296 . وانظر خبراً آخَر نقلَه عن مجهولٍ يَروي فيه هذا المصطلح ص 297 .

[يَبْسُطُ]"[1].

وخلاصةُ ما تقدَّم أنَّ الصَّفيرَ عند مَن تقدَّم صفةٌ للصاد والزاي والسِّين، وهو عبارةٌ عن حدَّةٍ في الصَّوت، وأثرٍ سمعيٍّ واضحٍ ناشئٍ عن مرور الصَّوتِ في مجرى ضيّق. ويُعَدُّ من فضائل الحروف التي يُحافَظُ عليها، ويُنبَّه على الإتيان بها في هذه الأصوات الثلاثة.

ويبيّن شكل رقم (36) ـ الذي تقدَّم بعيداً في أعضاء النُّطق ـ المجرى الضّيق الذي تَجري فيه هذه الحروف (الجزء المِلَوَّن من طرف اللِّسان).

وسَّع ابنُ سينا من دائرة حروفِ الصَّفير، فاستعمَل لفظ: (**الصَّفير**) و (**الهواء الصَّافر**) و(**الصَّفَّار**) في وصفِ أكثر من حرفٍ، وضابطُ ذلك عنده أنَّ أيَّ نفوذٍ للهواء في مجرى ضيق يُسبّبُ صفيراً، فكلما ضُيّق عليه كان الصفيرُ أحدَّ، وكلما وُسّعَ للهواء قَلَّ الصَّفيرُ، فوَصَف به الشِّينَ والثاءَ والسِّينَ، بل أعطاه للجيم. قال عن الثاء:"وأمَّا الثاءُ فتَخرُجُ باعتمادٍ من الهواءِ عند مَوضعِ التاء بلا حَبسٍ، وبحبسٍ عند طرفِ الأسنانِ، **ليصيرَ الخللُ أضيقَ، فيكون صفيرٌ** قليلٌ مع القَلْع، وكانَّ الثاء سينٌ تُلُوفِيتْ بحبسٍ وتضييقِ فُرَجِ مَسْلَكِ هوائها **الصَّفَّار**"[2].

وأَطلَق ابن سينا لفظ: (**الأسباب المُصْفِرَة**) على تحرُّكات عضوَي النُّطق التي تُسبّبُ جرْيَ الصَّوتِ في مجرى ضيّق.

ويحتاجُ كلامُ ابن سينا إلى مكان خاصٍّ أوسعَ من هذا لعَرضِ كلامِه، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعُنُق.

2 ـ المعنى الثاني لـ: (الصَّفير) = من عيوب الفصاحة والتجويد:

ذكَر الجاحظُ أنَّ الصَّفير قد يكون من عيوب النُّطق إذا خرَج نتيجة كسرٍ في الأسنان أو فُرَجٍ فيها أدَّى إلى اندفاع الصَّفير مع كلِّ الحروف، قال:"وقال خلادُ بنُ يزيد الأرعط: خَطَبَ الجُمَحِيُّ خطبةَ نِكاحٍ أصابَ فيها معاني الكَلام، وكانَ في كلامِه **صفيرٌ** يَخْرُجُ من مَوضعِ ثَنَايَاهُ المنزوعةِ، فأجَابه زيدُ بنُ عليِّ بنِ الحسين بكلامٍ في جَودَةِ كلامِهِ، إلاَّ أنه فَضَلَهُ بحُسنِ المخرجِ والسَّلاَمةِ من **الصَّفير**"[3].

واستَعمل القرطبيُّ لفظ: (**شوائب الصَّفير**) عند حديثِه عن الأخطاء التي يَفعلُها بعضُ المتعلِّمين عند نُطقِهم بالتاء، يريدون تحقيقَ همسِها فيُخرجونَها ممزوجةً بالسين أو الزَّاي، قال:"ومِمَّا يُسْرِعُ إليه أنَّ **شوائبَ الصَّفير** قد تَلْحَقُه فيَتَّصِلُ به طرفٌ من الزَّاي والسِّينِ، وهو على لسانِ مَن يَقولُهُ أظهَرُ منه

(1) الرعاية ص 212 .

(2) أسباب حدوث الحروف ص 122 .

(3) البيان والتبيين 1/ 44 .

على لسانِ البعض"[1].

2 . 3 الصفة الثانية والثالثة الخاصَّتان ببعض فضائل الحروف: (التفشّي والاستطالة):

التفشّي والاستطالةُ لفظان وضعهما سيبويه ليدلَّ بالأوَّل منهما على ظهور الصَّوت وانتشاره في حروف لها مميّزاتٌ تَمنعُها من الإدغام في غيرها، وهذا ما يدلُّ عليه معنى التفشّي فيها.

وأراد بالثاني أن يُنبّه إلى أنَّ رخاوة الضاد والشين مكَّنتهما من الاتِّصال بمخارج الحروف الأماميَّة، أي حروف طرف اللِّسان، وجَوَّزَتْ إدغامَ أكثرِ هذه الحروف فيهما، وهذا هو معنى الاستطالة.

اختلف مفهوم العلماء بعد سيبويه لـ: (التفشي)، حتى كاد ينحصِرُ في الأصوات التي فيها نفخٌ زائدٌ للهواء كالشين والفاء والثاء. والشينُ أكثرُها اختصاصاً بهذا المعنى. وبقِي مفهوم: (الاستطالة) . في الغالب العام .كما أراده الواضع الأوَّل، وإن كنا نَلحَظُ في عباراتهم بعضَ التداخل في المصطلحَين.

(التفَشّي)

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على التوسُّع والانتشار. قال الخليل:" فشا الشيء يَفْشو فُشُوّا إذا ظهر وهو عامٌّ في كل شيء ومنه: إفشاءُ السِّرِّ. ويكتب بالسّواد على الشّيء فيتفشّى فيه أي: ينتشر. وتَفَشَّى بهم المرَضُ وتفشّاهم المرضُ... وفشتْ على فُلانٍ أمورُه أي: انتشرتْ فلم يدرِ بأيّ ذلك يأخُذُ وأفشيته أنا. والفَواشي: كلّ ماَ ينتَشِرُ من المال مثل الغنم السائمة والإبل وغيرها.

والتَّفشّي: التّوسُّع. وفشا وتَفَشَّى: تَوَسَّع وكَثُر وظَهَر"[2].

استعمِل : (**التفشّي**) في أكثر من معنى، منها:

1 . لقبٌ جامِعٌ يدلُّ على ظهور الصَّوت وانتشاره في مجموعةٍ من الحروف لها فضيلةُ صوتٍ تمنعُها من الإدغام، وهذه الحروف هي: الصاد والضاد والطاء والظاء وفضيلتها بالإطباق، والراءُ بالتكرير، والضاد والشينُ بالاستطالة. ويُلحَق بهذه المجموعة الصاد والسين والزاي للصَّفير، والنُّونُ لبقاء الغنة.

2 . الانتشار الزائدُ لهواء بعض الحروف المهموسة الرِّخوة فوُصِفَتْ به الفاءُ والسينُ والثاءُ والشينُ.

3 . الرَّخاوة في الضاد والشين المؤدِّية إلى اتساع مخرجَيهما واستطالته.

4 . معنى غامض؟؟؟.

(1) الموضح في التجويد ص 102 .

(2) العين 6/ 289 .

1 . المعنى الأوَّل لـ: (التفشِّي) = لقبٌ جامع للحروف التي تَمْلِكُ فضيلة صوتٍ تَمنعُها من الإدغام:

استَعمل سيبويه هذا الوصفَ العامَّ ليَدُلَّ به على حروف لها مميِّزاتٌ تميز بها عن غيرها من الحروف، وتَمنعُها من الإدغام في غيرها، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، وتَمِيزُ بالإطباق. والراء بالتكرير. والشِّينُ والضَّادُ بالاستطالة. ويضاف إلى هذه الصَّفير والغنَّة.

بدأ سيبويه بالحروف المطبقة فذكَر أن **الظَّاءَ أفشى** في الفم من الثاء، قال عن الثاء:"لأنَّها ليستْ كالظَّاء في الجَهْرِ **والفُشُوّ** في الفم"[1]. ولعلَّه يريد بهذا الفشوّ الأثرَ التفخيميّ في حروف الإطباق.

ويؤيِّدُ هذا ما ذكَره عن الطاء في مَوْضعٍ آخَر من أنَّ المطبَقَ **أفشى** في السَّمْع من غير المطبَق[2].

وكذلك قوله عن إبدال السين صاداً:" وأنتَ في: صُقْتَ تَضَع في موضع السِّينِ حرفاً **أَفْشَى** في الفَم منها للإطباق"[3].

وقال عن **الرَّاء**:"والراءُ لا تُدْغَمُ في اللاَّم ولا في النُّون؛ لأنها مُكَرَّرَةٌ، وهي **تَفَشَّى** إذا كَانَ معها غيرُها، فكَرِهُوا أن يُجْحِفُوا بها فتُدْغَم معَ ما ليس **يَتَفَشَّى** في الفم مِثْلِها ولا يُكَرَّر. ويُقَوِّي هذا أنَّ **الطاء** وهي مُطْبَقة لا تُجْعَلُ مع التاء تاءً خالِصةً لأنَّها أفضلُ منها بالإطباق، فهذه أجدَرُ أن لا تُدْغَمَ إذ كانت مُكَرَّرة"[4]. فسوَّى بين الراءِ والطاء في عدم الإدغام للعلَّة الجامعة وهو تفشِّي الصَّوت وظهوره.

وقال عن **الشِّين**:" والشينُ لا تُدْغَمُ في الجيمِ؛ لأن الشِّينَ استَطَالَ مخرجُها لرَخَاوَتِها حتى اتَّصَلَ بمخرج الطاءِ، فصارَتْ مَنزِلَتُها منها نحواً من مَنزلةِ الفاءِ مع الباءِ، فاجتَمع هذا فيها **والتفشِّي**، فكَرِهُوا أن يُدغِمُوها في الجيمِ، كما كَرِهُوا أن يُدغِمُوا الرَّاءَ فيما ذَكرتُ لك"[5]. فسوَّى بين الشِّين والراء في عدم الإدغام للعلَّة الجامعة وهو تفشِّي الصَّوت وظهوره.

وبيَّن سيبويه أنَّ هذا التفشِّي في الشِّين يُلْحَظُ أثرُه في مخرجِ الطاء، قال:"وأمَّا الحرفُ الذي ليس من موضِعِه فالشِّينُ؛ لأنها **استَطَالَتْ** حتى **خَالَطَتْ** أَعْلَى الثَّنِيَّتَين، وهي في الهَمس والرَّخاوة كالصَّادِ والسِّين، وإذا أجريتَ فيها الصَّوتَ وجَدتَّ ذلك بين طَرَفِ لسانِكَ وانفِرَاجِ أعلَى الثَّنِيَّتَين"[6].

(1) الكتاب 4/ 480 .
(2) الكتاب 4/ 460 . وانظر: 4/ 478 .
(3) الكتاب 4/ 478 .
(4) الكتاب 4/ 448 .
(5) الكتاب 4/ 448 .
(6) الكتاب 4/ 479 .

أي تَشعرُ بهواء الشِّينِ بين طرف اللِّسان وأصول الثنايا العُلْيا في مخرج الطاء.

راجع شكل رقم (58) ولاحظ أن المنطقة من مخرج الشِّين إلى رأس الثنيتَين هي منطقة واسعةٌ ينتشرُ الصَّوتُ فيها.

ومن هذه الفِقرة من كلامِه عن الشِّين، وفقرةٌ أخرى تأتي في (الاستطالةِ) دارَت أكثرُ عباراتِ العلماء حول هذه الظاهرة.

والذي يؤيِّدُ أنَّ لفظ: (**التفشي**) هو وصفٌ جامعٌ لما تقدَّم قولُ سيبويه عن جواز إدغام التاء في الدال، والدال في التاء دون أن يكون لأحدهما مزيَّةٌ على الآخَر:"وكذلك التاءُ مع الدَّالِ، والدالُ مع التاء؛ لأنَّه ليس بينهما إلاَّ الهمسُ والجهرُ، ليس في واحدٍ منهما إطباقٌ ولا استطالةٌ ولا تكرير"[1]. فذكَر المزايا الجزئيَّة دون أن يذكر من بينها التفشي، وذلك لأنَّ هذه الثلاثة يَجمعها ذلك اللَّقب، أعني التفشِّي وظهور أصواتها.

كانت المواضع السابقة هي الأماكن التي ذَكَر فيها سيبويه لفظَي: (**التفشي والفشُوّ**) صراحةً.

أمَّا عن حروف الصَّفير فقد قال عنهنَّ:"لأنَّهنَّ حروف الصَّفير، وهنَّ أندى في السَّمع"[2]. وفي بعض المواضعِ سوَّى بينهنَّ وبين الرَّاء في عدم الإدغام[3]. وكذلك سوَّى بين بقاء الغنَّةِ في النون وبقاء الإطباق في المطبَقِ[4].

ولم أَلْحَظْ هذا المعنى الواسع للتفشي عند مَن جاء بعده، إلا أنَّ في كلامِ المبرِّدِ ما يُشيرُ إلى هذا المعنى، قال المبرِّد عن فضيلة الشين بزيادة صوتِها الذي يَمنعُها من الإدغام، مقرِّراً قاعدة ذهبيَّةً من قواعده:"ولا تُدْغَمُ الشِّينُ في الجِيمِ البتة؛ لأن الشِّينَ من حروفِ **التفشِّي**، فلها استِطالةٌ من مَخرجِها حتى تَتَّصِلَ بمخرج الطاءِ. **والإدغامُ لا يُبْخِسُ الحروفَ ولا يُنقِصُها**"[5].

فقوله عن الشين إنَّها من حروف التفشي يدلُّك على أنَّ هذا اللَّفظ عنده لايَختَصُّ بالشِّين وحدها، وقوله من أن الإدغام لا يُبخِسُ الحروف ولا يُنقِصُها هو الذي يُشيرُ إلى معنى سيبويه، أعني المحافظة على مزايا الحروف.

2 . المعنى الثاني لـ: (التفشِّي) = الانتشارُ الزائد للهواء في بعض الحروف المهموسة الرِّخوة:

(1) الكتاب 4/ 460 .
(2) الكتاب 4/ 464 .
(3) الكتاب 4/ 465 .
(4) الكتاب 4/ 460 .
(5) المقتضب 1/ 346 .

كانت الفقرة الخاصة بالشين واتّصال هوائها بالطاء في كلام سيبويه المصدرَ المُلهِم للذين جاؤوا من بعده، واستخلص أكثرهم منها أنَّ **(التفشّيَ)** خاصٌّ بانتشار الهواء المحسوس الذي تملِكه بعض الحروف المهموسة الرِّخوة، ولما كانت الشِّين هي أكثر اختصاصاً بهذا المعنى لوضوح هذا الانتشار فيها جَعَلها أكثرهم خاصَّةً بهذا الحرف، وإليك قصَّتهم:

استعمَل السيرافيُّ: **(التفشّي)** للسِّين والشين والفاء[1]. وأخرج الضَّاد، قال:"وفي الشِّين **تَفَشٍّ** ليس في الضَّاد"[2].

وتابعَه مكيٌّ في الشِّين والفاء، قال عن الفاء:"لكن فيه **تَفَشٍّ** كالشِّين، والشِّينُ أكثرُ **تفشّياً** من الفاء. **والتفشّي**: هو الرِّيحُ التي تَخرُجُ بشدَّةٍ عند النُّطق بالشِّين والفاء، وتَخرجُ من مخرجِ كلِّ حرفٍ على رُتْبَتِه"[3]. فأَشْرَكَ الفاءَ مع الشِّينِ في التفشّي.

وتابعه ابن الطحَّان بقوله:"**والتفشّي** في حرفين، وهما الشِّين والفاء... والتفشي: انتشارُ خروج الرِّيح وانبساطه حتى يُخَيَّل أنَّ الشِّينَ انفَرَشَتْ حتى لَحِقَتْ بمنشأ الطاء. وهي أخصُّ بهذه الصِّفة من الفاء"[4].

وكان الرمانيُّ هو أوَّل من قَصَرَ التفشّي على الشِّين، قال:" **والمتفشّي: الشينُ**"[5].

وتابعه: مكيّ[6]، والدانيّ[7]. وإن كان مكيٌّ قد تعرَّض لمن يقول بـ: **(التفشي)** لغير الشين.

واستعمل ابن جنيّ: **(الفُشُوّ)** للصاد والسِّين في تعليله لإدغام اللام في الصاد والسين في نحو: [قُلْ صَدَقَ الله]، و[قُلْ سِيرُوا]، قال:"علَّة جَوازِ ذلك **فُشُوُّ** هذَين الحرفَين، أعني الصادَ والسِّين، في الفم، وانتشارُ الصَّدى المنبَثِّ عنهما، فقاربَتَا بذلك مخرجَ اللام، فجاز إدغامُها فيهما"[8].

وقال مكيّ:"وقد قيل إنَّ في الثاءِ **تفشّياً**"[9].

وكان أوَّل تعريفٍ معتَبَرٍ للتفشّي بالمعنى المعروف عند علماء التجويد هو لمكيّ بن أبي طالب، قال:"**الحرف المتفشّي**: وهو الشِّينُ، سُمِّيتْ بذلك؛ لأنَّها تَفَشَّتْ في مخرجِها عند النُّطقِ بها حتى اتَّصَلَتْ

(1) إدغام القراء ص 44 - 45 و 47.
(2) إدغام القراء ص 46 .
(3) الرعاية ص 227 .
(4) مرشد القارئ ل 3/ أ و 4/ أ .
(5) شرح كتاب سيبويه ل 192/ أ .
(6) الرعاية ص 134 - 135 .
(7) التحديد ص 107 - 108 .
(8) المحتسب 1/ 165 . وهما قراءتان شاذَّتان لا يُقرأ بهما اليوم .
(9) الرعاية ص 134 .

بمخرجِ الطاءِ... ومعنى التفشّي: هو كثرةُ انتشارِ خُروج الرّيح بين اللّسانِ والحنكِ وانبساطِه في الخروجِ عند النُّطق بها"(1).

وقال عن الشّين في موضعٍ آخر:"فيها **تَفَشٍّ**، لانتشار الصَّوتِ بها عند النُّطقِ بها، فذلك الانتشارُ هو **التفشّي** الذي فيها، وهو شدَّةُ الرّيح الخارجةِ عند النُّطقِ بها من وسط اللّسان في تسفُّلٍ، وهي تتَّصِلُ بمخرجِ الطاءِ، فبذلك قَوِيت بعضَ القوَّةِ، فيَجبُ أن تُبيّن **التفشّي** الذي فيها عند النُّطقِ بها، وهي ريحٌ زائدةٌ تنتشِرُ في الفم عند النُّطقِ بها بخلافِ غيرها"(2).

وهذا التفشّي للشين والانتشار والاتصال بمخرجِ الطاء مأخوذٌ من كلام سيبويه كما ذكرتُ في المعنى السَّابق.

3 . المعنى الثالث لـ: (التفشّي) = الرَّخاوة في الضاد والشّين المؤدّيةُ إلى اتساع مخرجيهما واستطالته:

كان تفشّي الضادِ قد ذكره أبو علي الفارسيّ بقوله:"لأنَّ الضاد **تَفَشَّى** الصَّوتُ بها واتَّسَع واستطالَ حتى اتَّصَل صوتُها بأصول الثنايا وطرفِ اللّسان... ولم تُدغَم الضادُ في شيءٍ من هذه الحروف لِما فيها من زيادةِ الصَّوتِ... لِما فيها من **التفشّي** والاستطالة"(3).

وقال ابن جنيّ:"وأمَّا الضَّادُ فلأنَّ فيها طولاً **وتفشّياً**، فلو أُدغِمت في الطاء لذَهَب ما فيها من **التفشّي**"(4).

وهذا يَقرُبُ جداً من المعنى الذي ذكَره سيبويه.

وقال مكيّ:"وقد ذكَر بعضُ العلماءِ الضَّاد مع الشّين، وقال: الشينُ تتفَشَّى حتى تَتَّصِلَ بمخرجِ الطاء، والضَّادُ تتفَشَّى حتى تَتَّصِلَ بمخرجِ اللاَّم، قال: وسُمِّيَ هذان الحرفان: **(المُخَالِطَين)**؛ لأنَّهما يُخالِطان ما يَتَّصِلانِ به من طرفِ اللّسان"(5).

وهذه الاستطالةُ والاتّصال والمخالَطةُ أوردها سيبويه في شرح استطالة الضاد والشين، قال سيبويه:"وحرفان **يُخَالِطان** طرفَ اللّسان... واللَّذان **خَالَطَاها**: الضادُ والشينُ؛ لأن الضادَ **استطالَتْ**

(1) الرعاية ص 134 - 135 .
(2) الرعاية ص 175 .
(3) الحجة 6/ 50. وهو توضيحٌ لقول سيبويه في الكتاب 4/ 465 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 218 .
(5) الرعاية ص 135 .

لرَخَاوَتِها حتى **اتَّصَلَت** بمخرجِ اللاَّم. والشينُ كذلك حتى **اتَّصَلَتْ** بمخرج الطاء"[1].

فـ: (**تتفشى**) في لفظ مكيّ نظير: (**لرخاوتها**) في قول سيبويه.

ولفظ: (**المخالطَين**) في قوله مأخوذٌ من قول سيبويه: (**يُخالِطان، خالطاها**).

ونقَل القرطبيُّ عبارةَ مكيّ، ولقَّب الضاد والشينَ بـ: (**المتفشّية**) و: (**المُخَالِطة**) [2]، وبـ: (**الحرفان المتفشّيان**) [3]؛ لأجل هذا الاتِّصال.

وقال ابن الطحان الأندلسيّ عن التفشِّي:"وقد ذكَر بعضُهم الضَّاد في هذا المعنى لاستطالتِها لما اتصلت بمخرجِ اللاَّم"[4].

وهؤلاء العلماءُ يَجعلون التفشّيَ سبباً في الاستطالة، فيكون بهذا مرادفاً للرَّخاوةِ، في حين أنَّ واضعَ المصطلح سيبويه يَجعل الرَّخاوةَ سبباً في الاستطالة، ومجموعهما يولِّد التفشّي في الصَّوت وظهوره، كالإطباق والتكرير والصفير والغنة كلُّ هذه تولِّد التفشّي، والله أعلم.

4. المعنى الرابع لـ: (التفشّي) = معنى غامض ؟؟؟:

وصَف ابنُ خالويه الجيمَ بأنَّه حرفٌ شديد **متفشٍّ**[5].

إذا كان ابن خالويه يقصِد صفة التركيب التي يذكرُها المعاصِرون عن الجيم، فهي تُعَدُّ أوَّل إشارةٍ إلى ما يَحدُثُ في الجيم عند انفتاح مخرجه، والله أعلم.

(الاستطالة)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على فضلٍ وامتدادٍ في الشيء، من ذلك : طال الشيءُ يَطولُ طُولاً. وهذا قياسٌ مطَّرِدٌ في كلِّ ما أشبه ذلك، يقال: طاولَني فلانٌ فَطُلْتُه، أي كنتُ أطول منه. وتَطَاوَلْتُ في قيامي، إذا مَدَدتَ رِجلَيكَ لتَنظُر. واستَطالوا عليهم، إذا قَتَلوا منهم أكثر مِمَّا قَتَلوا[6].

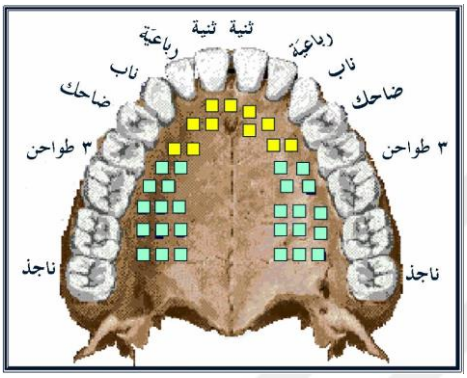
الاستطالةُ لفظٌ وضَعَهُ سيبويه ليُنبِّه على أنَّ رخاوة الضاد والشين مكَّنتهما من الاتِّصال بمخارج الحروف الأماميَّة، أي حروف طرف اللِّسان، وجَوَّزَتْ إدغامَ أكثرِ هذه الحروف فيهما.

(1) الكتاب 4/ 457 .
(2) الموضح ص 96 .
(3) الموضح ص 113 .
(4) مرشد القارئ ل 3/ أ و 4/ أ .
(5) الحجة ص 93 .
(6) مقاييس اللغة ص 604 - 605 (ط و ل).

وقد تقدَّم كيفيَّة اتِّصال الشِّين بالطاء ـ من كلام سيبويه نفسِه ـ في مصطلح: (التفشِّي).

وبقِي اتِّصال الضاد ففي وصفٍ دقيقٍ عبَّر سيبويه عن استطالة مخرج الضاد إلى مخرج الطاء والدال والتاء، قال:"وقد تُدغَمُ الطاءُ والتاءُ والدالُ في الضاد؛ لأنها اتَّصَلَتْ بمَخرجِ اللاَّم، وتَطَأْطَأَتْ عَنِ اللاَّمِ حَتَّى خَالَطَتْ أصولَ مَا اللاَّمُ فَوْقَهُ مِنَ الأسْنان، ولم تَقَعْ مِنَ الثَّنِيَّةِ مَوضِعَ الطاءِ لانحرافها؛ لأنك تَضَعُ للطاءِ لِسَانَكَ بَين الثَّنِيَّتَين، وهِي مَعَ ذَا مُطْبَقَة"[1].

وقد شرحتُ ألفاظ هذا النصِّ في أكثر من موضع. ويبيِّن شكل رقم (65) معنى استطالة الضاد حيث تبيِّنُ النقاط الخضراء أصل مخرج الضاد الذي هو من حافتي اللِّسان، وتمثِّل النِّقاط الصفراء المنطقة الأمامية التي يتصِل فيها الضاد بأصول الثنايا العليا.



شكل رقم (65) استطالة الضاد إلى أصول الثنايا

وهذه المنطقة الصفراء هي منطقة مخرجَ اللاَّم، ولعلَّ هذا هو معنى اتِّصال الضاد بمخرج اللاَّم في قول سيبويه، والله أعلم.

استعمل سيبويه: (الاستطالة) في موطنين:

1 . إدغام لام المعرفة، أو لام هل وبل في الضاد والشين:

لما كانت لامُ المعرفة تُدغم في ثلاثة عشر حرفاً، منها أحدَ عشر حرفاً تخرجُ من طرف اللِّسان، واثنان هما الضاد والشين تخرجان من وسط اللِّسان أو حافة اللِّسان، أراد سيبويه أن يُبيِّن أنَّ رخاوة الضاد والشِّين مكَّنَتْهما من القربِ من اللاَّم فصارتا كباقي حروف طرف اللِّسان، قال:"ولام المعرفة تُدْغَم في ثلاثة عشر حرفا... واللام من طرف اللسان، وهذه الحروفُ أحدَ عشرَ حرفاً منها حروفُ طرفِ اللِّسان، **وحرفان يُخَالِطان طرفَ اللِّسان**... والأحدَ عشرَ حرفاً: النُّونُ والرَّاءُ، والدالُ والتاءُ والصادُ والطاء والزاي والسين، والظاء والثاء والذال. **واللَّذان خَالَطَاها: الضادُ والشينُ؛ لأن الضادَ استطالَتْ لرَخَاوَتِها حتى اتَّصَلَت بمخرجِ اللاَّم. والشينُ كذلك حتى اتَّصَلَتْ بمخرج الطاء**"[2].

لاحِظْ أنَّه اشترطَ الرَّخاوةَ كشرطٍ للاستطالةِ، وهذا يَجعلُنا نُدركُ عدم مشاركة الجيم ـ بسبب شدتِها ـ لهذه الحروف التي تُدغَمُ فيها لامُ المعرفة.

ولو أُعطِيت الجيمُ رخاوةً لكان من حقِّها أن تُدغَم اللاَّمُ فيها، كما نَسْمع ذلك في نُطق أهل الشام

(1) الكتاب 4/ 465.

(2) الكتاب 4/ 457 .

الذين يجعلون الجيم رخوةً، يقولون في الجَمَل: أَجَّمَل، بإدغام اللاَّم.

وكانت هذه الفِقرة الخاصة باستطالة الضاد والشين إلى مخرج غيرهما في كلام سيبويه هي التي أَوْحَت ببعض معاني التفشِّي عند بعض العلماء كما تقدَّم.

أمَّا بالنِّسبة لِلاَمِ هَلْ وبَلْ فقد جوَّز سيبويه الإدغامَ فيهما على ضعف ذاكراً علَّة الاستطالة، قال عن هذه اللام:"وهي مع الضاد والشين أضعفُ؛ لأنَّ الضَّادَ مخرجُها من أوَّلِ حافَّة اللِّسان والشِّينَ من وسطه، ولكنَّه يجوز إدغام اللاَّمِ فيهما لِما ذَكَرْتُ لك من **اتِّصالِ مخرجهما**"[1].

2 . إدغامُ أكثرِ حروف الثنايا في الضاد والشين:

هذا هو الموضع الثاني الذي استعمل فيه: (**الاستطالة**) حيث تحدَّث فيه عن جواز إدغام الطاءِ وأختَيها والظاءِ وأختَيها في الضاد والشِّين للاستطالة. وبيَّن أنَّ الإدغام في الضاد أقوى منه في الشيِّن، قال:"لأنَّها قد خالَطَتْ **باستطالتِها** الثنيَّة"[2]، **ممَّا** يؤَكِّدُ صحَّةَ الرَّسمِ الذي أوردتُه.

ومنَع سيبويه إدغامَ الصاد والسين والزاي في الضاد والشين، وكذلك العكس؛ لأنَّ كلَّ واحدة تملكُ مزيَّةً تمنعُ من الإدغام، وهو ما أكَّده سيبويه بقوله:"ولا تُدغَمُ في الصَّادِ والسِّين والزاي لاستطالتِها، يعني الضاد؛ كما امتنعت الشين. ولا تُدغمُ الصادُ وأختاها فيها لِما ذَكَرتُ لك، **فكلُّ واحدةٍ منهما لها حاجز**"[3]. وهذا يؤيِّد ما ذكَرته في التفشِّي عن مزايا الحروف.

تابع سيبويه على عدّ الضادِ والشينِ حرفي الاستطالة أكثرُ علماء العربية، منهم: ابنُ السرَّاج[4]، والسيرافيُّ[5]، وأبو عليّ الفارسيُّ[6]، وابنُ جنيّ[7].

وقد ذكرتُ في لفظ: (التفشي) أنَّ بعض العلماء استعملوه بمعنى الاستطالة.

وكان الرمانيُّ أولَ مَن ذكَر أن الضاد وحده هو الحرفُ المستطيل فيما اطلعتُ عليه من النُّصوص، قال:"**والمستطيلُ**: الضادُ"[8].

(1) الكتاب 4/ 458 .
(2) الكتاب 4/ 466 .
(3) الكتاب 4/ 466 .
(4) الأصول 3/ 427 .
(5) إدغام القراء ص 45 .
(6) التكملة ص 279 .
(7) سر صناعة الإعراب 2/ 817 .
(8) شرح كتاب سيبويه ل 192/ أ .

وتابعَهُ أكثرُ علماء التجويد، منهم: مكيّ[1]، والدانيّ[2]، والقرطبيّ[3]، وابن الطحَّان الأندلسيّ[4]، وأبو العلاء الهمذانيّ[5].

وأكثر هؤلاء تابعوا سيبويه في مفهوم الاستطالة، يعني اتّصال مخرج الضاد باللاَّم.

وانفرَد أبو العلاء الهَمَذانيُّ بمفهومٍ خاصٍّ، قال:"**والمستطيلُ**: الضادُ، سُمِّيَ بذلك؛ لاتصالِه من موضعِه بالإطباق"[6].

وأبو العلاء يَجْعَلُ الإطباقَ سبباً في الاستطالة، ويؤيِّده أيضاً من كلام المتقدِّمين قولُ الرمَّانيّ:"وإدغام حروف طرفِ اللِّسان في الضَّاد أقوى منه في الشِّين؛ لأنَّ الشينَ تجافتْ عن الموضعِ الذي اتَّصَلتْ به، فلم تَثْبُتْ على مخالطة حروف طرفِ اللِّسان كما ثَبَتت الضَّاد مع أنَّ الضاد مُطبقةٌ، كما أنَّ الطاء والظاء مطبقة، **فلمَّا قاربت الطاءَ بالإطباق كان ذلك مقارَبةً لأختَيها**، ومقتضِياً لأن يَدخُلا في حُكمِها، وكذلك سبيلها مع الظاء"[7]. يعني انحصار الصَّوت على طول جسم اللِّسان في الضاد قرَّبها من مخارج الحروف الأماميَّة؛ إذ إنَّ باقي الحروف المطبقة من حروف طرف اللِّسان[8].

الصِّفات الخاصة بقوة الحرف وضعفه

الصفات الخاصة بقوَّة الحرف

استَعمَل العلماءُ لوصفِ القوَّةِ في أصوات بعض الحروف عدةَ مصطلحاتٍ، منها:

1 . الصَّلابة 2 . الكَزازَةُ 3 . الاعتياصُ 4 . النَّصَاعةُ 5 . الاجتِهادُ 6 . الضغط والمضغوطة 7 . الكُلْفَةُ 8 . المؤونة 9 . الاستعانة.

1 . المصطلح الأوَّل الخاص بالقُوَّة: (الصَّلابة)

(1) الرعاية ص 134 .
(2) التحديد ص 108 .
(3) الموضح ص 96 .
(4) مخارج الحروف وصفاتها ص 133 .
(5) التمهيد ص 282 .
(6) التمهيد ص 282 .
(7) شرح كتاب سيبويه ل 203/ أ .
(8) وكلام الرمانيّ هو شرح لكلام سيبويه في الكتاب 4/ 465 .

من أصلهِ اللُّغويّ أن يدلَّ على الشدَّة والقوَّة[1].

استُعمِل: (الصَّلابة والصُّلب) في أكثر من معنى، منها:

1 . من صفات الحروف. 2 . أحدُ أنواع الأجسام والمخارج.

1 . المعنى الأوَّل: من صفات الحروف:

وصَف الخليلُ الطاءَ بـ: (**الصَّلابة**) في مقارنةٍ بينَها وبين الدَّال، قال:"الدَّالُ لاَنَتْ عَن **صَلاَبَةِ** الطَّاءِ وكَزَازَتِهَا"[2].

وتابعَه: ابن جنيّ[3].

ووصَف ابن جنيّ القافَ **بالصلابةِ**[4].

وعرَّفَ أبو البركات ابن الأنباريّ الحروفَ الشديدة بأنَّها:"حروفٌ **صُلْبَةٌ** لا يَجري فيها الصَّوتُ"[5].

2 . المعنى الثاني: أحدُ أنواع الأجسام والمخارج:

من مصطلحات المدرسةِ العقليَّة، فقد تقدَّم أنَّ الصَّلابةَ واللِّين يتعلَّقان بمقاومة سطحِ الجسمِ للضَّغطِ، فالجسمُ الصُّلْبُ يقاوِمُ القوَّة الضاغطة عليه بقوَّة بخلافِ اللَّين.

ومن هنا وصَف ابنُ سينا بعضَ أعضاءِ النُّطق والمخارجِ بالصَّلابة[6]، فكنَّى عن الأسنان مثلاً بـ: (**الجِرم الصُّلْب**) [7]؛ لممانعَتِها الغمزَ إلى باطن، لخِلْقَتِها العظْميَّة الصَّلْبة، ووصَفَ مخرجَ الخاءِ **بالصَّلاَبة** في مقارنةٍ بينَهُ وبين مَوضعِ الحاء[8].

2 . المصطلح الثاني الخاص بالقُوة: (الكَزَازَةُ)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على قَبْضٍ وتَقَبُّضٍ[9]. قال الخليلُ:"الكَزَازَة: اليُبْسُ والانقباضُ، ورَجُلٌ كَزٌّ: صُلْبٌ، قليلُ الخَيْرِ والمواتاة. وخَشَبَةٌ كَزَّةٌ، أي فيها يُبْسٌ واعوِجاجٌ. وذهبٌ كَزٌّ: صُلْبٌ جدًّا... وكَزَزْتُ

(1) مقاييس اللُّغة ص 872 (ك ز ز).
(2) العين 1/ 53 .
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 65 .
(4) الخصائص 2/ 157 .
(5) أسرار العربية ص 210 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص62 .
(7) أسباب حدوث الحروف ص122. وانظر من أمثلة ذلك أيضاً مخرج الباء ص125 .
(8) رسالة أسباب حدوث الحروف ص 116 .
(9) مقاييس اللُّغة ص 872 (ك ز ز).

الشيءَ: ضَيَّقتُه، فهو مَكْزوزٌ"[1].

وصَف الخليلُ الطاءَ بـ: (**الكَزَازَة**) في مقارنةٍ بينَها وبين الدَّال، قال:"الدَّالُ لاَنَتْ عَن صَلاَبَةِ الطَّاءِ **وكَزَازَتِهَا**"[2].

هذا أحدُ النُّصوصِ الذي يَشْهَدُ بصحَّةِ الطاءِ التي يَنطِقُها القُرَّاءُ، ويقومُ حجةً في وجهِ القائلين بأنَّ أصلَ صوتِ الطاءِ هو الدَّالُ المفَخَّمة، فلو كان هذا صحيحاً لما ذكَر الخليلُ الفرقَ بين الصَّوتَين.

3. المصطلح الثالث الخاص بالقُوَّة: (الاعْتِيَاص)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على قلَّةِ الإمكان في الشَّيء. اعتَاصَ الشيءُ اعتِياصاً: إذا لم يُمْكِن. ومنه كلامٌ عَويصٌ وكلمةٌ عَوْصَاء[3].

وصَف الخليلُ الهاء بأنَّها"نَفَسٌ لا **اعتِيَاصَ** فيها"[4].

واستَعملَ الأخفشُ: (**الاعتِياصَ**) في بيان صعوبة اجتماع الحروف المصْمَتة في كلمة أكثر من ثلاثة أحرف، قال:"إنَّها حروفٌ أُصْمِتَتْ، أي: مُنِعَتْ أن تَخْتَصَّ ببِناءِ كلمةٍ في لغةِ العربِ، إذا كثُرَتْ حروفُها، **لاعتياصِها** على اللِّسانِ..."[5].

وذكَر ابنُ دُرَيدٍ أنَّ **اعتِياص** اللاَّم على الأَلْسُنِ أقَلُّ من الرَّاءِ لِليِنِها"[6].

4. المصطلح الرابع الخاص بالقوة: (النَّصَاعَةُ)

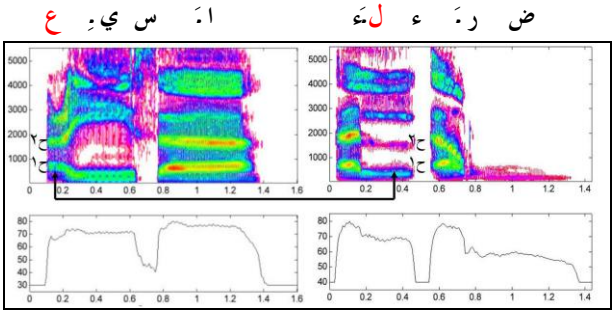
يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على خُلُوصٍ ولِينٍ في الشيءِ . منه النَّاصِعُ: الحسن اللَّون الشديد البياض، والنَّصْعُ: ضربٌ من الثياب شديد البياض، ونَصَعَ الحقُّ: وَضَح[7].

ذكَر الخليل قاعدةً في حكاية الصَّوت، وهو أن يختار أقوى الحرفَين، **وأنصعُهما** ثمَّ يُكرَّران، قال:"وتقول: وَلْوَلَتِ المرأةُ، إذا قالت: وَاوَيْلَها؛ لأنَّ ذلك يَتَحوَّلُ إلى حكايةِ الصَّوت، فـ: (وَلْوَلَت) أقوى الحرفَين في الحكاية **وأَنصَعُهُما**، ثم تُضَاعِفُهُما"[8]. فاللاَّمُ والواو هما أوضحُ الحرفَين .

(1) العين 5/ 272- 273 .
(2) العين 1/ 53 .
(3) العين 2/ 198 ومقاييس اللُّغة ص 695 (ع و ص).
(4) العين 1/ 54 .
(5) الرعاية لمكيّ ص 135.
(6) الجمهرة 1/ 9 .
(7) مقاييس اللغة ص 991 (ن ص ع).
(8) العين 8/ 366 .

واستعمَله الخليلُ أيضاً في وصفِ العَين والقاف، قال:" ولكنَّ العينَ والقافَ لا تَدخُلانِ في بناءٍ إلا حَسَّنَتاه؛ لأنَّهما أطلَقُ الحروف وأضخُمها جَرساً. فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البِنَاءُ **لنَصَاعَتِهما**"[1].

وتابعَه ابن جنيّ[2]، والقرطبيُّ[3] في وصفِ العَين بذلك.



شكل رقم (66) امتلاك العين واللاَّم لحزم شبيهة بحزم الحركات

وقد أظهرت الرسومات الطيفيَّة لصوتِ العَين واللاَّم . عند اختبارهما على خمسةٍ من القراء . في الكلمتَين القرآنيتَين: [الأَرض] و [عِيسى] امتلاكَهما لحزم طيفيَّة (ح1 ح2 Formant) تُشابِه تلك التي تَمتَلِكُها الحركات . والواو تمتلكُ ذلك من بابٍ أولى لشبهها بالحركات . ممَّا يدلُّ على وضوحِها السَّمعيّ.

ويُمثِّلُ شكل رقم (66) امتلاك العين واللاَّم لحزم شبيهة بحزم الحركات.

5 . المصطلح الخامس الخاص بالقوة: (الاجتهاد)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على المِشَقَّة، ثمَّ يُحملُ عليه ما يُقارِبُه. اجتهَدَ في الأمرِ اجتهاداً: بذلَ وُسْعَهُ وطاقَتَهُ في طلبِهِ؛ لِيَبْلُغَ مجهودَهُ ويَصِلَ إلى نهايتِه[4].

استَعمله سيبويه في وصفِ صُعوبةِ الهمزة، فقال عنها: هي"نبرةٌ في الصَّدر تَخرجُ **باجتهادٍ**"[5] .

وتابَعه: المالكيُّ[6]، والزمخشريّ[7].

6 . المصطلح السادس الخاص بالقوة: (الضغط، المضغوطة)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم .

(1) العين 1/ 53 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 65 و 241 .
(3) الموضح ص 94 .
(4) مقاييس اللُّغة ص 210 (ج هـ د) والمصباح المنير ص112.
(5) الكتاب 3/ 548.
(6) الروضة 1/ 269.
(7) أساس البلاغة ص 708.

7 . المصطلح السابع الخاص بالقوة: (الكُلْفة)

يدلُّ الأصلُ اللُّغويُّ على حَمْلِ الشيءِ على مشقَّة، كَلِفْتُ الأمرَ . من باب تَعِبَ . حمَلْتُهُ على مشقَّة. ويتعدَّى إلى مفعولٍ ثانٍ بالتضعيفِ، فيقال: كَلَّفتُهُ الأمرَ فتَكَلَّفَهُ، أي حمَّلْتُهُ إيَّاهُ على مشقَّة. والكُلْفَةُ: ما تُكَلِّفُهُ على مشقَّةٍ. والكُلْفَةُ أيضاً: ما يُتَكَلَّفُ مِن نائبةٍ أو حقٍّ[1].

استُعمل هذا اللَّفظ كتعبير عن الجُهدِ العضليِّ الشاقِّ المبذولِ على أعضاء النُّطق، فاستعمل الفرَّاءُ نفيَ (الكُلْفَة) كتعبيرٍ عن انتِفاء المشقَّة عند إخراجِ الفتحة، قال:"والفتحةُ تَخرجُ من خَرْقِ الفَم **بلا كُلْفة**"[2].

وعمَّم مكيٌّ الحُكْمَ لكلِّ حروف المدِّ واللِّين، فقال معلِّلاً:"لأنَّهنَّ يَخْرُجْنَ من اللَّفظ في لِينٍ مِن **غَير كُلْفَةٍ** على اللِّسان واللَّهَوات"[3].

وذكَر ابن مجاهدٍ أنَّ من عادةِ القرَّاء أن لا يُظهِروا غنَّة النُّون الساكنة عند الرَّاء واللاَّم، قال:"لأنَّ في إظهارِها **كُلْفَةً**؛ لتَداخُلِ الحرفَين"[4].

ونبَّه الدانيُّ على إخراجِ الهمزة إخراجاً سهلاً بغَير شِدَّةٍ **ولا كُلْفَةٍ** ولا عُنفٍ ولا صُعُوبة[5].

8 . المصطلح الثامن الخاص بالقوة: (المَؤُونَةُ)

كلمةٌ تدلُّ على الثِّقْل، وفيها لغاتٌ: مَؤُونةٌ والجمعُ مَؤُونَاتٌ، ومُؤْنةٌ والجمعُ مُؤَن، ومُونَةٌ والجمع مُوَن على وزن سُوَر[6].

استَعمله الفراءُ في وصفِ ثقل الضَّمة والكسرة، قال:"فإنما يُسْتَثْقَلُ الضَّمُّ والكَسْر؛ لأنَّ لمخرجَيهما **مَؤونةً** على اللِّسان والشفتَين؛ تَنْضَمُّ الرَّفعةُ بهما فتَثْقُلُ الضَّمَّة، ويُمَالُ أحدُ الشِّدْقَيْن إلى الكَسْرَة، فتَرَى ذلك ثَقيلاً، والفتحةُ تَخْرُجُ مِن خَرْقِ الفَم بلا كُلْفَةٍ"[7].

ومن وحي كلام الفرَّاء ذكَر ابن الأنباريِّ أنَّ الفتحةَ تَخْرُجُ مع النَّفَسِ بلا **مَؤُونة**، فلَم تُسْتَثْقَل[8].

(1) مقاييس اللُّغة ص 876 (ك ل ف)، والمصباح المنير ص 537 - 538 .
(2) معاني القرآن 2/ 12.
(3) الرعاية ص126 وانظر: ص 126 .
(4) نقَل ذلك السيرافيُّ في إدغام القراء ص 57 .
(5) التحديد ص 97 .
(6) المصباح المنير ص 586 (المؤونة).
(7) معاني القرآن 2/ 13 .
(8) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 236 .

واستعمل الدانيُّ لفظ: (**المَؤونة**ـَ) في وصف ثقَل إظهار النُّون والتنوينِ عند الحروف التي تُدغَمُ فيها [1].

9 . المصطلح التاسع الخاص بالقوة: (الاستعانة، المُسْتعينة):

لقَّب عبدُ الوهَّاب القرطبيّ الميمَ والنُّونَ والعَينَ بـ: **المُسْتَعِينَة**[2].

أخَذ الميم مِن قول سيبويه عنها:"**لاستعانتها** بصوت الخياشيم"[3].

وأخذ العَين والنُّون من قولِ المبرِّد عنهما:"كالعَيْنِ التي **يَسْتَعِينُ** المتَكَلِّمُ عند اللَّفظة بها بصَوْتِ الحَاء... وكالنُّونِ التي **تَستَعينُ** بصَوت الخَيَاشِيمِ لِمَا فيهَا من الغُنَّة"[4].

الصِّفات الخاصَّة بضعف الحرف

استَعمَل العلماءُ لوصفِ الضعفِ في أصوات بعض الحروف عدةَ مصطلحاتٍ، منها:

1 . الهشاشة 2 . الخُفُوت 3 . الهَتُّ 4 . الهَهَّةُ 5 . الخَوَرُ 6 . الترفيهُ 7 . الهَفْوُ 8 . الفُتُور 9 . اللُّطْفُ 10 . اللَّدْنَةُ 11 . النَّعْمَةُ والنُّعومة.

1 . المصطلح الأوَّل الخاص بالضعف: (الهشاشة)

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويُّ على رخاوةٍ ولينٍ، والرَّخوُ اللَّيِّنُ هَشٌّ، ومنه رجلٌ هَشٌّ: طَلْقُ المحَيَّا[5].

استَعمل الخليل: (**الهَشَاشَة**) لوصفِ الهاء، فقال عن علة وجود الهاء في نحو: (دهداق):"وإنَّما استَحْسَنُوا الهاءَ في هذا الضَّرْب؛ لِلِينِهَا **وهَشَاشَتِها**، وإنَّما هي نَفَسٌ لا اعتِيَاصَ فيها"[6].

وقال في موضعٍ آخَر:"ولَمْ يَكُن في الحُرُوفِ حَرْفٌ **أَهَشُّ** من الهاءِ؛ لأنّ الهاءَ نَفَسٌ"[7].

وثالثٍ قال:" الهاءُ حَرْفٌ **هَشٌّ** لَيِّنٌ، قد يَجِيء خلَفاً من الألِفِ التي تُبنَى للقَطْع"[8].

2 . المصطلح الثاني الخاص بالضعف: (الخُفُوت)

(1) انظر المصطلح والنَّص في جامع البيان 2/ 721 .
(2) الموضح ص97و 115 .
(3) الكتاب 4/ 461 .
(4) المقتضب 1/ 331.
(5) مقاييس اللُّغة ص 1015(هـ ش ش).
(6) العين 1/ 54 .
(7) العين 3/ 355.
(8) العين 4/ 102 .

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على الإسرارِ والكِتمانِ. فالخَفْتُ: إسرارُ النُّطْقِ، ومنه قولُ الله تعالى: [يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُم][1].

قال الخليل:"خَفَت: صَوتٌ خَفيتٌ، وخَفَتَ خُفوتاً، أي: خَفَض خُفوضاً.

ويقال للرَّجُل إذا مات: قد خَفَتَ، أي: انقطع كلامُه... والرجلُ تَخَافَتَ بقَوْلَتِهِ: إذا لم يُبيِّنْها بِرَفْعِ الصَّوت، وهم يَتخافَتُونَ، إذا تَشاوَرُوا سِراً"[2].

استُعمِل: (الخُفوت) في أكثر من معنى، منها:

1 . وصف الصَّوتِ الضعيف للتاء. 2 . لقبٌ للحروف المنفتحة أو المستفِلة.

1 . المعنى الأوَّل: الخُفُوت = وصف الصَّوت الضعيف للتاء:

استَعمل الخليلُ: (الخُفُوتَ) لوصفِ الصَّوتِ الضَّعيفِ المستفِلِ للتاءِ، قال:"لأنَّ الدَّالَ لانَتْ عن صَلاَبَةِ الطاء وكَزَازَتِها، وارتَفَعَت عن **خُفُوتِ** التَّاءِ، فَحَسُنَت"[3].

ونقَل ابن جنيّ عبارتَه في موضعٍ، ودار حولَها في موضعٍ آخَرَ[4].

2 . المعنى الثاني: (الخُفْت، المُخْفَت) = لقبٌ للحروف المُنفتحة أو المُستفِلة:

لقَّب الخليلُ الحروفَ المقابِلَةَ للحروفِ الفِخام بـ: (**الحُرُوف الخُفْتِ**)، في نصٍّ يحتمِل أن يكون المقصودُ بها الحروفَ المنفَتِحَةَ، وهي عكسُ المطْبَقة، وهذا هو الأقربُ إلى النصِّ، كما يَحْتَمِلُ أن يكونَ الحروفَ المستفِلةَ قياساً على مَن سمَّاها بـ: (حروف الخَفضِ)، كما تقدَّم، وهو ما يتَّفقُ مع المعنى اللُّغويِّ مع: (الخُفُوت).

قال الخليلُ في تحويل تاءِ الافتعال طاءً:"ويُقَالُ: اظَّأَرْتُ لولدي ظِئْراً، أي اتَخَذْتُ، وهو افتَعَلْتُ، فأُدغِمَت التّاء في باب الافتعال فحُوِّلَتْ مع الظاءِ طاءً؛ لأنَّ الطاءَ من فِخَامِ حُرُوفِ الشَّجْرِ التي قَرُبَت مخارِجُها من التاءِ، فضَمُّوا إليها حرفاً فَخْماً مِثلَها؛ ليكونَ أيْسَرَ على اللِّسانِ لِتَبَايُنِ مَدْرَجَةِ الحُرُوفِ الفِخامِ من مَدارِجِ **الحروفِ الخُفْتِ**، وكذلك تحويلُ تلك التّاءِ مع الضَّادِ والصَّادِ طاءً؛ لأنّها من الحروف الفِخَامِ"[5].

(1) مقاييس اللُّغة ص 306 (خ ف ت).

(2) العين 4/ 239 .

(3) العين 1/ 53 .

(4) انظر: سر صناعة الإعراب 1/ 65، والخصائص 2/ 158 .

(5) العين 8/ 167 .

وفي نحو عبارةِ الخليلِ وصَفَ ابنُ جنيّ التاءَ بـ: (المخْفَتة) في مقابلِ الحروف المطبقة، قال:"وهذه الأحرفُ مُطْبَقةٌ والتاءُ **مُخْفَتَةٌ**"(1).

3 ـ المصطلح الثالث الخاص بالضعف: (الهَتُّ)

من المشتركِ اللَّفظيّ. يَدُلُّ على حِكَايةِ صوتٍ، وليس فيه لغةٌ أصليَّة، قال ابن فارس: ولولا أنَّ العلماءَ ذكَرُوه لما رأيتُ لذِكْرِهِ وجهاً(2). "قال الخليلُ: الهَتُّ شِبْهُ العَصْرِ للصَّوْتِ، يقالُ للبَكْرِ، [وهو صغيرُ الإبل]: يَهِتُّ هتيتاً، ثمَّ يَكِشُّ كشيشاً، ثمَّ يَهْدِرُ ـ إذا بَزَلَ ـ هديراً"(3). فالخليلُ وصَفَ المراحل الصَّوتية لصغير الإبل حتى يكبُر، وأوَّل مرحلةٍ هي: (الهَتُّ).

والهَتُّ: تمزيقُ الثَّوب، والهَتُّ: الكَسْرُ، هَتَّ الشيءَ يَهُتُّهُ هَتًّا، فهو مَهْتُوتٌ وهتيتٌ، وهَتْهَتَهُ: وطِئَهُ وَطئاً شديداً، فكسَّرَهُ، وتركَهُمْ هتًّا بتًّا، أي: كسَّرهم، وقيل: قطَّعَهُم. ويقولون: سَمِعْتُ هَتَّ قوائمِ البعيرِ عند وَقْعِها بالأرضِ(4).

استُعمِل: (الهتُّ) في أكثر من معنى، منها:
1 ـ وصفٌ ولقبٌ للهمزة، والهاء، والتاء بجامع الضَّعفِ في كلٍّ. 2 ـ عيبٌ من عيوبِ التجويد عند أداء الهمزة.

1 ـ المعنى الأوَّل: الهَتُّ = وصفٌ ولقبٌ للهمزة والهاء والتاء بجامع الضَّعف في كلٍّ:

استَعمل الخليل مصطلح: (**الهَتِّ**) تارةً لوصف الهمزة وتارةً للهاء.

فمن استعمال الخليل: (الهتَّ) للهمزةِ قولُه:"وأما الهمزةُ فمُخرجها من أقصى الحلق **مهتوتةً** مَضغوطةً، فإذا رُفِّه عنها لانَتْ فصارت الياءَ والواوَ والألفَ عن غير طريقة الحروف الصِّحاح"(5).

ونقَل القرطبيُّ عبارتَهُ(6).

ونقَل مكيٌّ وصْفَ الخليلِ دونَ أن يُصرِّحَ باسمِه، وساقَهُ في حديثِه عن تلقيبه الهمزةَ بـ: (المهتوف)، بمعنى الصوت الشدَّيد؛ لأنَّ الهمزةَ لما ضُغِطتْ في مخرجها احتَاجَتْ إلى ظهورِ صوتٍ قويٍّ شديدٍ عند خروجِها، وهو معنى الهَتْف، قال:"وذكَرَ بعضُ العلماءِ في موضعِ المهْتُوف: المهْتُوت ـ بتاءَين ـ قال: لأنَّ

(1) انظر: سر صناعة الإعراب 1/ 217 .
(2) مقاييس اللُّغة ص 1014 (هـ ت ت).
(3) العين 3/ 349 .
(4) لسان العرب 2/ 102 (هـ ت ت).
(5) العين 1/ 52.
(6) الموضح ص 94 .

الهمزةَ إذا رُفِّهَ عنها لانَتْ وصارَت إما واواً وإمَّا ياءً وإما ألفاً"[1].

ولا أرى علاقةً بين الصَّوت الشديد وما ساقه من كلام الخليل سوى الضغط والعَصْر في المخرج.

وقال الخليلُ:"ويقال: الهمزُ صوتٌ **مهتوتٌ** في أقصى الحلق؛ فإذا رُفِّه عن الهمز صار نفَساً، تحوّل إلى مخرج الهاء، ولذلك استَخَفَّت العربُ إدخالَ الهاء على الألفِ المقْطُوعةِ، يقال: أَرَاقَ وهَرَاقَ، وأيْهاتَ وهَيْهَاتَ"[2].

وقال:"وإنَّما سُمِّيَتِ الهَمزةُ في الحُرُوفِ؛ لأنّها تُهمَزُ، **فتُهَتُّ**، فتُهْمَزُ عن مَخْرَجِها"[3].

يعني، والله أعلم: يُعْصَرُ صَوْتُها ويُضْغَطُ في المخرجِ، فتَضْعُفُ وتخفى، فيُرَفَّهُ عنها وتُخَفَّفُ.

والذي نستَشِفُّه من المعنى اللُّغويّ والمنقولِ اللَّذَين ذكَرَهُما الخليلُ أنَّ معنى الهَتِّ للهَمْزَةِ: الصَّوتُ الضعيفُ المضغوطُ في المخرج، ويتحقَّقُ هذا عند سكون الهمزة[4].

أمَّا استعمالُ الخليل: (الهتَّ) للهاءِ فقوله عنها:"ولولا **هتّةٌ** في الهاء، وقال مرةً: (هَهَّة) لأشبَهَت الحاءَ؛ لقُرْبِ مخرج الهاء من الحاء"[5]، فأظنُّهُ يَقصِدُ به الصوتَ الضَّعيف للهاء؛ لأنَّها عبارةٌ عن نفَسٍ كما صرَّح بذلك في أكثرَ من موضعٍ[6].

وتابعَه سيبويه في قولٍ نسَبَهُ ابنُ منظورٍ له، وهو:"من الحروفِ **المَهتُوتُ**، وهو الهاء، وذلك لما فيه من الضَّعفِ والخَفاء"[7].

وهذا القولُ والتعليلُ يُعرَفان لابن جنيّ[8]، وتابعَه عليهما: القرطبيُّ[9]، والهمَذانيُّ[10].

ولقَّب الزمخشريُّ التاءَ فقط بـ: **(المهتوت)** معلِّلاً بذات التعليل الذي تقدَّم للهاء، قال:"والمهتوتُ: التاءُ؛ لضعفها وخفائها"[11].

(1) الرعاية ص 138 . وفي المطبوع: "لأن الهمزةَ إذا (وقفتَ) عليها..."، وذكر المحقِّقُ في الهامشِ كلمتَين تحتمِلان: (رُفِّه)، وهو ما يتَّفِقُ مع نصِّ الخليل.

(2) العين 3/ 349.

(3) العين 4/ 17 .

(4) انظر خفاء الهمزة في مصطلح: (الحروف الخفية).

(5) العين 1/ 57 .

(6) العين 1/ 54، و 3/ 348 .

(7) لسان العرب 2/ 103 (هـ ت ت).

(8) سر صناعة الإعراب 1/ 64 .

(9) الموضح ص 94 .

(10) التمهيد ص 282 .

(11) المفصَّل ص 466 . وقد شكَّك الجاربرديُّ في التاء، وقال:"إنَّ ما ذُكِر في المفصَّل من أنَّ المهتوتَ التاءُ كأنَّه غلطٌ من النَّاسخ" اهـ

2 . المعنى الثاني: الهَتُّ = عيبٌ من عيوب التجويد عند أداء الهمزة:

من وحيِ ما قيل عن الهمزة ممَّا سَبَقَ استَعمَلَ القرطبيُّ: (**الهَتَّ**) كعيبٍ يُحتَرَزُ عنه في أداء الهمزة، قال عنها:"وينبغي أن تُخْرِجَها مع النَّفَسِ إخراجاً سَهْلاً مِن غَير كُلْفَةٍ ولا عُنفٍ، وتَجْتَنِبَ فيه اللَّكْزَ **والهَتَّ** في مثل قوله تعالى: [اهْدِنا الصِّراطَ المستَقيم]، ولا تُرِقّهْ عنها فتتَلاشى"[1].

وأظنُّهُ يَقْصِدُ به هنا الاجتناب عن عَصْرِها وضَغْطِها الشَّديد في المخرج الذي يَقْتَضي إخراجَها بعُنفٍ، وهو ما يتَّفِقُ مع المعنى اللُّغويّ بوجهٍ، أعني: شبهَ العَصْرِ للصَّوتِ، والله أعلم.

4 . المصطلح الرابع الخاص بالضعف: (الهَهَّةُ)

ذكَره الخليل في قولِه:"ولولا هتّةٌ في الهاء، وقال مرةً: **هَهَّةٌ** لأشبَهَت الحاءَ؛ لقُرْبِ مخرج الهاء من الحاء"[2].

لعلَّها مرادفةٌ لـ: (الهَتِّ)، بمعنى الصَّوت الضَّعيف للهاء، والله أعلم.

5 . المصطلح الخامس الخاص بالضعف: (الخَوَر)

من أصلِه اللُّغويّ أن يدلَّ على الضَّعف، قال الخليلُ:"والخَوَرُ: رَخَاوَةٌ وضَعْفٌ في كلِّ شيءٍ، تقول: خَارَ يَخُورُ خَوَراً، ورجلٌ خَوَّارٌ، وخَوَّرَ تَخْوِيراً. وسَهْمٌ خَوَّارٌ وخَؤورٌ"[3].

استَعمَلَ الخليلُ هذا المصطلح في وصفِ ضعف الواو والياء، فقد لقَّب حرفَ اللِّينِ بـ: (**الخَوَّار**) في وصفِ ضعفِ الواو، قال:"وإذا جَاءَتِ الحُرُوفُ اللَّيِّنَةُ في كلمةٍ، نحو: (لَوْ) وأشباهُها ثُقِّلَتْ؛ لأنّ الحرفَ اللينَ **خَوَّارٌ** أجْوَفٌ لا بُدَّ لَهُ مِن حَشْوٍ يَقْوَى به إذا جُعِل اسماً كقوله:

ليتَ شِعري وأين منّي ليتٌ إنّ لَيْتاً وإنّ لوًّا عَنَاءُ"[4].

وفي موضعٍ آخَر ذكَرَ ضَعف الواو والياء في كونِهما لا يَتَحَمَّلانِ الحركة، فيَعتَمِدَان على حركة ما قبلهما في نحو: (مُذَّاق ومُزْدَات، من الذَّوق والزَّيت)، قال:"فإذا فَرَّقْتَ بين هذه الدَّالِ التي أصلُها تاء وبين الحُروف التي قبْلَها رَجَعْتَ الى أصلِها، كقولك من الدَّوْخِ والذَّوقِ: ادّاخَ واذّاقَ فهو مُذّاقٌ، فاذا صَغَّرتَ قُلْتَ مُذَيْتيق. ومن الزَّيْتِ مُفْتَعَلٌ: مُزْدَاتٌ، وتصغيرُه: مُزَيْتِيتٌ، ونحوُه مِثْله، ولم يُقَلْ: مُزْدَيَتٌ

(شرح الشافية ص250).

(1) الموضح ص 123 .

(2) العين 1/ 57 .

(3) العين 4/ 302 ، ومقاييس اللُّغة ص 316 (خ و ر).

(4) العين 3/ 352 .

على تقدير مُفْتَعَل؛ لأنّ الياءَ **خَوَّارةٌ** فاعتَمَدَتْ على فتحةِ الدَّالِ، وكذلك الواوُ تعتَمِدُ عَلَى الفَتْحَة"[1].

6 . المصطلح السادس الخاص بالضعف: (التَّرْفِيهُ)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على نَعمةٍ وسَعةِ مَطْلَبٍ، من ذلك الرَّفاهةُ في العيشِ والرَّفاهِيَةُ، ويقالُ: بينَنَا وبين فلانٍ ليلةٌ رافِهَةٌ، أي: ليّنة السَّيرِ لا تُعْيي. ورُفِّهَ عنه: إذا نُفِّسَ عنه الكَرْبُ[2]، قال الخليل: "ورَفَّهْتُ عن فُلانٍ شِدَّتَه وخَناقَه: إذا نَفَّستُ عنه، ترفيهاً"[3].

استُعمل: (الترفيهُ) في أكثر من معنى، منها:

1 . التخفيفُ من شدَّة بعض الحروف. 2 . من العيوب الأدائيَّة في بعض الحروف.

1 . المعنى الأوَّل: التَّرْفِيهُ = التخفيفُ من شدَّة بعض الحروف:

استَعمل الخليل: (التَّرفيه) تعبيراً عن تخفيف ضغطِ الهمزة في مخرجِها، قال:"وأما الهمزةُ فمُخرجها من أقصى الحلق مهتوتةً مَضغوطةً، فإذا **رُفِّه** عنها لانَتْ فصارت الياءَ والواوَ والألفَ عن غير طريقة الحروف الصِّحاح"[4]، وقال:"ويقال: الهمزُ صوتٌ مهتوتٌ في أقصى الحلق؛ فإذا **رُفِّه** عن الهمز صار نفَساً، تحوّل إلى مخرج الهاء"[5].

فالخليل أدرك بحسِّه الصوتيّ الدَّقيق أنَّه قد يُتخلَّص من ضغط الهمزة بتحويلها نفَساً إلى مخرج الهاء، أو تحويلها حرفَ مدٍّ، وهذا التخفيفُ عبَّرَ عنه بـ: **(الترفيه)**.

نقَل عبارتَه: مكيٌّ دون أن يصرّح باسمه[6]، والقرطبيُّ[7].

ووسَّع القرطبيُّ من الترفيه عن الهمزة إلى الترفيه عن غيرِها من بعضِ الحروف الشَّديدة كالباءِ، قال:"الباءُ حرفٌ مجهورٌ شديدٌ في نفسِه متَقَلْقِلٌ، فيَنبغي أن **يُرَفَّهَ** عَنْهُ ويُسْرَعَ اللَّفْظُ به مع إعطائهِ حقَّهُ من تَمَكُّنِ الشَّفَةِ بإخراجِهِ مِن غَيرِ أن يُضْغَطَ في مخرجِهِ"[8].

(1) العين 4/ 243 .
(2) مقاييس اللُّغة ص 393 (ر ف ه) .
(3) العين 4/ 46 .
(4) العين 1/ 52.
(5) العين 3/ 349.
(6) الرعاية ص 138 . وفي المطبوع: "لأن الهمزةَ إذا (وقفتَ) عليها..."، وذكر المحقِّقُ في الهامشِ كلمتَين تحتمِلان: (رُفّه)، وهو ما يتَّفِقُ مع نصِّ الخليل.
(7) الموضح ص 94 .
(8) الموضح ص 101 .

2 . المعنى الثاني: التَّرْفِيهُ = من العيوب الأدائيَّة في بعض الحروف:

من وحيِ ما سبقَ استَعمَل القرطبيُّ: (الترفيه) كعيبٍ من عيوب أداء الهمزةِ يُحترَزُ عنه في تلاوة القرآن الكريم، وهو تخفيفُها إلى حدٍّ يَذْهَبُ معه تحقيقُ الهمز فيها، قال فيها:" **ولا تُرفِّهْ** عنها فتتَلاشى"[1].

وكذلك استَعمَلهُ كعيبٍ من عيوب أداء الميم المشدَّدة يُحترَزُ عنه في نحو: [عَلَيْهِم مَّا] ، قال:"وينبغي أن يكونَ تشديدُ هذا البابِ، أعني تشديدَ الميمَينِ آخذاً حالاً مُتوسِّطَةً مِن غَيرِ إشباعٍ **ولا تَرْفِيهٍ** لِمَا يُحَافَظُ عليه مِن إبقاءِ الغُنَّة"[2].

7 . المصطلح السابع الخاص بالضعف: (الهَفْوُ)

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويُّ على ذَهابِ شيءٍ في خِفَّةٍ وسُرْعَةٍ[3]. قال الخليل:" الهَفْوُ: الذَّهاب في الهواء يقال: هَفَتِ الصُّوفةُ في الهواء، أي: ذَهَبَتْ، فهي تَهْفُو هَفْواً وهُفُوّاً.

والثَّوبُ الرُّقارِقُ ورَفارِفُ الفُسْطاطِ إذا حرَّكَتْهُ الرّيحُ قلتَ: هو يَهْفو والرِّيحُ تَهْفو به.

والهَفْوةُ: الزّلّةُ وقد هفا. ويُقالُ للظَّليمِ إذا عَدَا قد هفَا. والفؤادُ إذا ذَهَبَ في إثْرِ شيء قلتَ: هَفَا"[4].

وصَفَ الخليلُ الألفَ المدّية بأنَّها"**هافيةٌ** في الهواء"[5].

ونقَل ذلك: أبو عليٍّ القالي[6]، والزمخشريُّ[7].

8 . المصطلح الثامن الخاص بالضعف: (الفتور)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على ضَعفٍ في الشيءِ. من ذلك: فَتَرَ الشَّيءُ يَفتُرُ فُتُوراً. والطَّرْفُ الفاتِرُ: الذي ليس بحديدٍ شَزْرٍ. وفتَّرْتُ الشيءَ وأفْتَرْتُهُ، قال الله تعالى: [لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ] [الزخرف/ 75]، أي: لا يَضْعُفُ عنهم ولا يُخفَّف[8].

استَعمل سيبويه: (**الفُتُور**) في وصفِ الصَوتِ الضعيف الفاتِرِ المتَمِّمِ للحرف، الذي يُصاحبُ بعضَ الأصوات عند الوقفِ، والذي سمَّاه: (نحو النفخة)، وهذه الأصواتُ هي: الذَّالُ، والظاءُ، والزَّايُ،

(1) الموضح ص 123 .
(2) الموضح ص 148 .
(3) مقاييس اللُّغة ص 1033 (هـ ف و).
(4) العين 4/ 95 .
(5) العين 4/ 95 .
(6) البارع ص 164 .
(7) أساس البلاغة ص 704 .
(8) مقاييس اللُّغة ص 805 (ف ت ر).

والضَّادُ، منها ثلاثةٌ يخرُجُ الصَّوتُ الضَّعيفُ المتمِّمُ لها من بين الثنايا، وأمَّا الرَّابع وهو الضادُ، فيَخرُجُ من بين الأضراسِ، قال:"ومِنَ المشْرَبَةِ حُرُوفٌ إذا وَقَفْتَ عِندَها خَرَجَ معَها نحوُ النَّفْخَةِ، ولم تُضْغَطْ ضَغْطَ الأولَى، وهي الزَّايُ، والظَّاءُ، والذَّالُ، والضَّادُ؛ لأنَّ هذه الحُرُوفَ إذا خَرَجَتْ بصَوْتِ الصَّدْرِ انسَلَّ آخِرُهُ وقَدْ **فَتَرَ** من بَين الثَّنايا؛ لأنَّهُ يَجِدُ مَنفَذاً فتُسْمَعُ نحوُ النَّفْخَةِ. وبعضُ العرَبِ أشَدُّ صَوْتاً، وهم كأنَّهُمُ الذي يَرُومُونَ الحركَةَ. والضَّادُ تَجِدُ المنْفَذَ مِن بين الأضرَاسِ"[1].

ونبَّه سيبويه في موضعٍ آخَرَ على أنَّ هذا الصَّوتَ الضعيفَ المتمِّمَ للحرفِ يَكادُ يذهَبُ في الوصْلِ إذا سَكَنَ الحَرْفُ؛ لأنَّ أعضاءَ النُّطقِ تَنْشَغِلُ بنطقِ الصَّوتِ الذي بَعدهُ، قال:"**ولا يَفتُرُ** الصَّوتُ حتى تَبتَدِئَ صَوتاً"[2].

9 . المصطلح التاسع الخاص بالضعف: (اللُّطْفُ، اللَّطيف)

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُهُ اللُّغويُّ على رِفْقٍ، ويدلُّ على صِغَرٍ في الشيءِ. فاللُّطْفُ: الرِّفقُ في العمَل، يقال: هو لَطيفٌ بعبادِهِ، أي: رؤوفٌ رفيق[3].

استُعمِل في أكثر من معنىً، منها:

1 . جزء مشاركٌ في التعبير عن الإمالة الصُّغرى. 2 . ضعفُ الأصواتِ في السَّمع. 3 . جزء مشاركٌ في التعبير عن الفتح ضدّ الإمالة. 4 . جزء مشاركٌ في التعبير عن السَّكت 5 . جزء مشاركٌ في تصحيحِ النُّطق. 6 . جزء مشاركٌ في التعبير عن المدّ اللازم الحرفيّ المخفَّف.

1 . المعنى الأوَّل: جزء مشاركٌ في التعبير عن الإمالة الصُّغرى:

استَعمَل أبو عبد الرَّحمن قُتَيبة بن مِهرانٍ: (**الكَسْرَ اللَّطيفَ**) تعبيراً عن الإمالة الصُّغرى[4].

وتابعَه: نُصَيرُ بنُ يوسُف[5]، وابنُ مِهرانٍ[6] وزادَ في بعضِ المواضعِ: (**من غير إفراطٍ**)[7].

واستَعمل نُصير بن يوسف: (**التلطيف**) و (**اللَّطافة**) في دليلٍ أكيدٍ على أنَّهم يريدونَ بهذا التعبير الإمالةَ الصُّغرى، قال نُصَير بن يوسف في إمالة الألف من كلمة: [الْخَنَّاس]:"**تَلْطِيفُ** النُّونِ مِنْهَا، لا

(1) الكتاب 4/ 174 .

(2) الكتاب 4/ 175 .

(3) مقاييس اللُّغة ص 920 (ل ط ف).

(4) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في المخطوط من جامع البيان ل 249/ أ .

(5) نقَل ذلك عنه ابن مهران في المبسوط ص 109، والدانيُّ أيضاً في المخطوط من جامع البيان ل 249/ أ .

(6) الغاية ص 459 .

(7) المبسوط ص 246 .

يَكْسِرُهَا كَسْراً شديداً، ولا يَفْتَحُهَا فَتْحاً جَافِياً، وكذلك ما أشبَهَهَا في القرآن؛ إذ كَانَت الكلمةُ محفوفةً بالكَسْر، **واللَّطَافَةُ** فيها أحْسَنُ "اهـ .

قال الدانيُّ معلِّقاً:"وقَوْلُ نُصَيرٍ هذا يَدُلُّ على أنَّهُ يُمِيلُ كلَّ ألفٍ بعْدَهَا كسرةٌ، سواء كانت إعراباً أو بِناءً إمالةً يسيرةً بينَ بينَ، وكذلكَ رَوَى قتيبةُ عنِ الكسائيّ . وقد شَرَحْنا ذلك شرحاً بالِغاً في بابِ الإمالة"[1].

واستَعمل ابنُ يونُس محمد بن الحسن: **(الفتحَ اللَّطيف بإشارَةٍ إلى الكسر)** تعبيراً عن مرتبة الإمالةِ الصُّغرى[2].

واستَعمل ابنُ مهران أيضاً: **(الإمالة اللَّطيفة)**[3].

وتابعَه: طاهرُ بن غَلْبُونٍ[4]، والدانيُّ[5]، وزاد في بعض المواضع: **(بينَ بينْ)**[6]، وأبو مَعْشَرٍ الطبريُّ[7].

واستَعمل ابن مهران أيضاً: **(الإمالةَ اليسيرة اللَّطيفة)**[8]، ومرَّةً: **(الإمالة قليلاً لَطيفاً)**[9].

واستَعمَل أبو الفضل الرازيّ: **(الإلطافَ)** تعبيراً عن ذلك[10].

وذكَر أبو معشرٍ الطبريُّ أنَّ حمزةَ القارئ **أَلْطَفُ** إمالةً في ياء: [يس][11].

ولقَّب أبو العلاء الهمَذانيُّ المواضع التي تُستَعمَل فيها الإمالة الصُّغرى بـ: **(المُلَطَّفات)**[12].

وكلُّ هذه الألفاظ تدلُّ على الألف المقلَّلة أو الممالة إمالة صغرى في شكل رقم (70) .

2 . المعنى الثاني: ضعفُ الأصواتِ في السَّمع:

ذكَر الأخفشُ أنَّ"السَّاكنَ أقلُّ الحروف **وأَلْطَفُها**"[1].

(1) المخطوط من جامع البيان ل 250/ ب .
(2) نقل ذلك عنه الخزاعيُّ في المنتهى ص 222 وانظر هذه المرتبة على مثلَّث الحركات.
(3) المبسوط ص 108 .
(4) التذكرة 1/ 228 .
(5) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 18/ ب .
(6) جامع البيان 3/ 829 .
(7) التلخيص ص 182 .
(8) الغاية ص 466 .
(9) الغاية ص 473 و 479 .
(10) الحروف السبعة ص 17 .
(11) التلخيص ص 379 .
(12) التمهيد ص 237 .

وقال عن علَّةِ إلحاق هاءِ الندُّبة بالألف وقفاً في: [يوَيْلَتَى]:"فإذا وَقَفْتَ قُلْتَ: (يَا وَيْلَتَاه) لأنَّ هذه الألفَ خفيفةٌ، وهي مثلُ ألفِ النُّدبةِ، **فَلَطُفَتْ** من أن تَكُونَ في السَّكتِ [الوَقْف]، وجُعِلَت بعْدَها الهاءُ؛ ليَكُونَ أبينَ لها وأبعدَ للصَّوت. وذلك أن الألفَ إذا كانتْ بين حرفَين كانَ لها صَدًى، كنَحوِ الصَّوْتِ يكونُ في جَوفِ الشيءِ فيَتَرَدَّدُ فيه فيكونَ أكثرَ وأبينَ"[2].

وهو تعليلٌ صوتيٌّ دقيق عن حال الألفِ عند وجودِها في مقطعٍ مفتوحٍ أو مُغْلَق.

وذكَر أبو عليٍّ الفارسيُّ أنَّ الإخفاءَ [اختلاس الحركة] **يَلْطُفُ** في السَّمعِ ويَخْفَى[3].

3 . المعنى الثالث: جزء مشاركٌ في التعبير عن الفتح ضدّ الإمالة:

استَعمل ابنُ مهرانٍ: (**الفَتْح اللَّطيف**) تعبيراً عن الفتح ضدّ الإمالة، قال:"وقرأنا في رواية محمَّد بن إسحاق البخاريّ جميعَ ذلك بالفتح اللَّطيف. وكان يقولُ: لا نَدري بين الفتح والكسر ما هو !! إنَّما أمَرونا ألاَّ نفتَحَ فتحاً شديداً، وبه قرأْنا، وهو الصَّواب"[4].

وتابعَه: طاهرُ بن غَلْبون[5].

4 . المعنى الرَّابع: جزءٌ مشاركٌ في التعبير عن السَّكت:

لقَّب ابنُ مِهرانٍ السَّكْتَ الذي يَستعمِلُه بعض القرَّاءِ في الوقفِ على بعض حروف الكلمات في مثل: [بَلْ رَان]، و [مَنْ رَاق] بـ: (**السَّكتةِ اللَّطيفةِ**)[6].

وتابعَه: أبو الفضل الخزاعيّ[7]، والدانيُّ، وزاد: (**مِن غَير قَطْعٍ**)[8].

واستَعمل الخزاعيُّ أيضاً: (**الوَقْفَة اللَّطيفةَ**) تعبيراً عن ذلك[9].

وتابعَه: الدانيُّ[10]، وأبو مَعْشرٍ الطبريُّ[11].

---

(1) العَروض ص 120 .
(2) معاني القرآن 2/ 579 .
(3) الحجة 2/ 396 .
(4) المبسوط ص 108 . وانظر هذه المرتبة على مثلَّث الحركات.
(5) التذكرة 1/ 233 .
(6) الغاية ص 158 .
(7) المنتهى ص 192 .
(8) التيسير ص 62 و 142.
(9) المنتهى ص 446 .
(10) جامع البيان 2/ 637 .
(11) التلخيص ص 316 .

5 . المعنى الخامس: جزء مشاركٌ في تصحيحِ النُّطق:

نبَّه السَّعيديُّ على تمكينِ الواوِ المدّيةِ تمكيناً **لَطيفاً** إذا التَقَتْ مع واوٍ متحرِّكة من قوله تعالى: [ءامَنُوا وَعَمِلُوا][1].

وقال بتخفيفِ الواو المتحرِّكة بعد واوِ المدِّ تخفيفاً حسناً **لَطيفاً**[2].

وتابعَه: القرطبيُّ[3].

ونبَّه مكيٌّ على **اللُّطفِ** والرِّفقِ في إخراجِ الهمزة[4].

ونبَّه أبو العلاء الهمَذانيُّ على **التَّلَطُّفِ** بإخراجِ الفَاءِ، وتمييزِها من الحرفِ الذي بَينَهَا وبينَ الباءِ، نحو: (بور)[5].

وهذا من الأدلَّة على أنَّ الحرفَ الذي بين الفاء والباء هو باءٌ مهموسةٌ (نفَسيَّةٌ p). وأنَّ النُّطق الذي نسمعُه اليوم من بعض الجاليات في إبدال الفاء باءً[6] كان له نظيرٌ عند المتقدِّمين، والله أعلم.

6 . المعنى السَّادس: المد اللازم الحرفيّ المخفَّف:

استَعمل السعيديُّ: (**المدَّ اللَّطيف**) تعبيراً عن المدِّ اللاَّزمِ الحرفيِّ المخَفَّف في: [ن وَالقَلَم] عندَ مَن أظهر النُّون[7].

وتابعَه أبو العلاء الهمذانيُّ[8].

10 . المصطلح العاشر الخاص بالضعف: (اللَّدْنَة)

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويُّ على اللِّين، يُقالُ لِلَّيِّنِ من القُضْبان لَدْنٌ[9].

وصَفَ ابنُ جنيٍّ حروفَ المدِّ بـ: (**اللَّدْنَات**) كنايةً عن اللِّينِ فيهنَّ[10].

---

(1) التنبيه على اللحن الجليّ والخفيّ ص 6 .
(2) التنبيه على اللحن الجليّ والخفيّ ص 6 .
(3) الموضح ص 153 وانظر ص 167.
(4) الرعاية ص 145 .
(5) التمهيد ص 296 .
(6) وخاصة أهل اللغة الفلبينيَّة.
(7) التنبيه على اللحن الجلي والخفيّ ص 12 .
(8) التمهيد ص 305 .
(9) مقاييس اللُّغة ص 917 (ل د ن).
(10) الخصائص 3/ 125 .

11. المصطلح الحادي عشر الخاص بالضعف: (النَّعْمَةُ، والنُّعُومَةُ)

يدلُّ أصلُها اللُّغويُّ على تَرَفُّهٍ وطِيبِ عَيْشٍ وصلاحٍ. نَعِمَ عَيْشُهُ يَنْعَمُ: اتَّسَعَ ولانَ. ونَعُمَ الشيءُ نُعُومةً: لانَ مَلْمَسُهُ فَهُوَ ناعِمٌ. وأنعمتُ عليه إنعاماً. ونَعَّمَهُ الله تنعيماً: جعَلَهُ ذا رَفَاهِيَةٍ. وإذا عَمِلْتَ شيئاً فأنْعِمْهُ، أي: أجِدْهُ، وأحسنَ فلانٌ وأنْعَمَ: أجَادَ وزَادَ على الإحسانِ[1].

استُعمِلت هذه المصطلحات في وصفِ حروفِ المدِّ عند زيادة المدِّ.

ذكَر ابنُ جنيّ أنَّ زيادةَ المدِّ في اللُّغة العربيَّة تكون في أحوالٍ ثلاثة: أن تقَع بعد حروف المدِّ همزةٌ، أو مشدَّدٌ. وعند التذكُّر.

ووصَفَ حروفَ المدِّ عند خُلُوِّها من تلك الزِّيادة، فقال:"ألا تراكَ إذا قُلْتَ: كِتَاب، وحِسَاب، وسَعِيد، وعَمُود، وضُرُوب، ورُكُوب، لم تَجِدْهُنَّ لَدْناتٍ، **ولا ناعِماتٍ**، ولا وَافِيَاتٍ مُستَطِيلاَتٍ؛ كما تجِدُهنَّ كذلك إذا تلاهُنَّ الهمزُ أو الحرفُ المشدَّدُ. وأمَّا سببُ **نَعْمَتِهِنَّ** ووفائهنَّ وتماديهنَّ..."[2].

وبيَّن ابنُ جنيّ درجاتِ الوضوحِ السَّمعيّ في حروف المدِّ جاعلاً المرتبةَ الأولى للألفِ، ثمَّ الياءِ، ثمَّ الواوِ، ومقرِّراً قاعدةً صوتيَّةً لذلك، هي:"**كلَّما رسَخَ الحرفُ في المدِّ كان حينئذٍ محفوظاً بتمامِهِ، وتَمَادى الصَّوتُ به**. وذلك الألفُ، ثمَّ الياءُ، ثمَّ الواو. فَ: (شَابَّة) إذاً أوفى صَوتاً، **وأنْعَمُ** جَرْساً من أختَيْها، و: (قَضِيب بَّكْرٍ) **أنْعَمُ** وأتمُّ مِن: (قُوصَّ بِهِ، وتُمُودَّ ثَوْبُهُ)؛ لبُعدِ الواوِ مِن أعْرَقِ الثلاثةِ في المدِّ، وهي الألفُ، وقُرْبِ الياءِ إليها"[3].

وقال في موضعٍ آخَر عن درجات الوضوح:"وذلك أنَّ أصلَ المدِّ وأقواهُ، وأعلاهُ **وأنْعَمَهُ** وأنداهُ، إنَّما هو للألفِ. وإنَّما الياءُ والواوُ في ذلك محمولانِ عليها، ومُلْحَقانِ في الحُكْمِ بها"[4].

وما ذكَره ابن جنيّ من زيادة المدِّ هو أحدُ الأدلَّةِ التي تقومُ حجَّةً لأهلِ التجويدِ في بَيَانِ خَطِّهِم الأدائيّ في زيادة المدِّ بسبب الهمز أو السكون، وأنَّهم لم يَخرجُوا في ذلك عن سَنَنِ العربِ في كلامِها.

وما قالَهُ من الوضوحِ السَّمعيّ في حروف المدِّ، وما ذكَرَهُ من أنَّ الألفَ أقواها في ذلك هو الذي تذكرهُ كتبُ الأصواتِ المعاصِرة في مباحثِها[5].

(1) مقاييس اللُّغة ص 997 (ن ع م). وأساس البلاغة ص 643 والمصباح المنير ص 614 .

(2) الخصائص 3/ 125 .

(3) الخصائص 3/ 126 . وانظر مواضع أخرى استُعمِل فيها هذا المصطلح بالمعنى نفسه: 1/ 233 و 2/ 233 و 3/ 185.

(4) الخصائص 3/ 127 .

(5) انظر: دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص267، والمدخل إلى علم اللغة لرمضان عبد التواب ص 100 .

نتائج الفصل الثالث:

1 . كشف هذا الفصلُ من خلال مصطلحَي: (الجهر والهمس) اختلاف مفهوم الهمس عند المتقدِّمين عنه في علم الأصوات المعاصر، وبيَّن أنَّ الاختلاف بين الفريقَين يَكمن في الأخذ بجانبٍ من كلام المتقدِّمين دون جانب .

2 . تناول هذا الفصل بعض المصطلحات الكبرى كمصطلح: (الجهر والهمس، والإطباق والانفتاح)، وبيَّن أطرافَها وأجزاءَها وجوانبَها، وأَبْطَلَ من خلال عرضه التاريخيّ لها زَعْمَ من يقول بتطوُّر الأصوات المحفوظة أداءً.

3 . كشف هذا الفصل عن جانب مجهول لدى كثير من الدارسين، وهو كيفية التعبير عن النَّقلِ الصَّوتيّ للقراء المتقدِّمين.

4 . بيَّن هذا الفصل أنَّ مناهج القراء في الأداء هي مناهج دقيقة، وأنَّهم لا يقرؤون القرآن بالتشهِّي والهوى، بل سنةٌ متَّبعة يأخذها الآخِرُ عن الأوَّل.

5 . بيَّن هذا الفصل توزُّع الصِّفات على الغرض الذي يستعملُه العلماء كلٌّ في خدمة هدفه وغرضه الذي يتناوله.

6 . كشف هذا الفصل عن أنَّ أكثر الصِّفات التي وجِدت عند أصحاب المدرسة النقليَّة تدور حول ألفاظ الخليل وسيبويه.

الفصل الرابع: تركيب الحروف

الفصل الرابع: تركيب الحروف

الرِّحلةُ في هذا الفصلِ من أمتعِ الرِّحَل وأوسعها وأغزرها ألفاظاً؛ إذ شَارَكَ في صناعته طوائفُ العلماء من نحويّين وبلاغيّين وقراء ومجوّدين وفلاسفة وموسيقيّين، ولئن كانت الفصولُ الثلاثةُ الماضيةُ قد غَلبَ عليها ألفاظُ ومصطلحاتُ مذهبٍ دون مذهب، فإنَّ هذا الفصل بما يحتويه من ألفاظ ثَرَّة كثيرة، ليُبيّنُ لك حركةَ الألفاظ ضِمنَ دوائرِ الدَّلالات المختلفة للُّغة، وكيف يسيرُ معها من معنى إلى معنى، وكانت الفصولُ الماضيةُ قد بَيَّنَتْ شيئاً من هذا إلاَّ أنَّ هذا الفصل قد أحرزَ السَّبق، فهو التَّطبيقُ العمليُّ لما مضى من فصول، ويصِحُّ أن نُطلِق على ما مضى من قبلُ عالَمَ التجريد الخاصّ بالحروف المفرَدة، أمَّا هذا فعالَمَ الحسِّ والواقع الذي تكلَّمت به العربُ، وسجَّله العلماء في مصنَّفاتِهم ومرويَّاتهم.

وهذا الفصل يُبَيّنُ صورَ التركيبات بين الحروف، وما كانت العربُ تستسيغُه في مواضع، وتستثقِلُه أو تنفر منه في مواضِع أخرى، وما احتالَتْ به للتخفيفِ بين المتَجاوِرَين المتنافرَين، وكيف أخذوا الحقَّ للضَّعيفِ من الحُرُوف على القَويّ.

وكذلك ما عبَّر به العلماءُ الصَّوتيُّون في كلِّ تأليف، أو تخفيفٍ، أو تثقيلٍ، أو تنافُر.

وسنشاهِدُ كيف يتسلَّط القويُّ على الضعيف فيغلبَه، وكيف يَذْوي الضَّعيفُ ويَذُوبُ أمامَ صَوْلَةِ القَوِيّ فيُدْغَم فيه، أو يَخْفَى عنده، وسنَرَى شَدّاً وجَذْباً وصراعاتٍ بين المتَجاوِرَين، والشفعاءَ الذين يتراكضون.. يتَوسَّطُون بين المتنافِرَين لرأبِ هذا التنافر. وسنلاحِظُ العائلات الصوتية التي تنفرِد بشيءٍ دون غيرِها.

وجملةُ القَول أن الخائضَ في هذا الفصل يرى حياة كاملةً من العلاقات الصَّوتية المتشابِكة، مثلما هي الحال في العلاقات الإنسانيَّة.

الألفاظ المستعملة للتلاقي بين الحروف:

استُعمل للتعبير عن التقاء الحرف مع الحرف عدة مصطلحات، منها:

1 . (الالتقاء) 2 . (الاستقبال)

1 . (الالتقاء):

تقدَّم في الألفاظ المستعملة للقوة الضاغطة في الشفتين.

2 . (الاستقبال):

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصله اللُّغويُّ على مواجهة الشيء للشيءِ. واستَقبل الشيءَ وقابلَهُ: حَاذاهُ

بوجهِه[1].

استُعمل: (الاستقبال) في أكثر من معنى، منها:

1 ـ التقاء الحرف بالحرف 2 ـ اجتماع حرف المدّ مع الهمزة. وهذا الثاني هو تخصيصٌ لدلالة الأوَّل.

1 ـ المعنى الأوَّل لـ: (الاستقبال) = التقاء الحرف بالحرف

استعمله الفراء[2].

مثال: قال الفرَّاء:"وقولُه: [وَيَدْعُ الإنسَانُ]، حُذِفَت الواوُ منها في اللَّفظِ ولم تُحذَفْ في المعنى؛ لأنها في موضعِ رفعٍ، فكان حذفُها **باستِقبَالِها** اللاَّمَ السَّاكِنة"[3].

وقال:"فأمَّا الذين يَقُولُون: (يَدَّخِر ويَدَّكِر ومُدَّكِر، فإنهم وَجَدُوا التاءَ إذا سَكَنَتْ **واستَقْبَلَتْها** ذالٌ دَخَلَت التاءُ في الذَّال، فصارت ذالاً"[4].

2 ـ المعنى الثاني لـ: (الاستقبال) = اجتماع حرف المدّ مع الهمزة:

استعمله: قالون[5]، وابن مجاهد[6]، وابن خالويه[7]، وابن زنجلة، والمالكيّ[8].

استعمله هؤلاء العلماء للتعبير عمَّا يترتَّب على هذا الاجتماع من المدِّ وعدمه.

مثال: قال ابن زنجلة:"وقرأ ابن عامر والكسائيّ مداً وسطاً، ومدَّ حمزةُ وعاصمٌ مداً مفرطاً. وحجَّتُهم في ذلك أنَّ المدَّ إنَّما وجَب عند **استقبال** الهمزةِ سواء كانت الهمزةُ من نفسِ الكلمة أو من الأخرى إذا التقتا؛ لأنَّه لا فَرْقَ في اللَّفظ بينهما"[9].

أنواعُ التلاقي بين الحروف:

الحرفان عند تلاقيهما في الكلمات على ثلاثة أقسام:

1 ـ مُتَّحِدَان في المخرج والصِّفة.

(1) مقاييس اللغة ص 842 ولسان العرب 11/ 536 (ق ب ل).
(2) معاني القرآن 1/ 215 .
(3) معاني القرآن 2/ 117 .
(4) معاني القرآن 1/ 215 . وما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافيّ ص 63 .
(5) جامع البيان للدانيّ 2/ 443 .
(6) جامع البيان للدانيّ 2/ 445 .
(7) الحجة ص 142 .
(8) الروضة 1/ 463 .
(9) الحجة ص 85 - 86 .

2 . مُتقاربان، وهما ثلاثة أنواع: متقاربان من مخرج واحد، أو من مخرجين، أو بالصفة.

3 . متباعِدان في المخرج والصِّفة.

وعلى هذه الثلاثة دارت مصطلحات التجاوُر بين أصوات الحروف.

النوع الأوَّل من أنواع تلاقي الحروف: الحرفان المتَّحِدان في المخرج والصِّفة

استُعمِل للحرفَين المتَّحِدَين في المخرج والصِّفة عدة مصطلحات، تُمثِّلُها بعض المجموعات التالية:

1 . (الحرفان من جنسٍ واحدٍ)، (المتجانسان)، (المجانس)، (تجانسُ الحرفين)، (مجانسة الحرفين).

2 . (الحرفُ الذي هو مثلُ ما بَعْدَهُ)، (المثلان)، (الحرفان المتماثلان في اللَّفظ، الحروف التي تتماثلُ في اللَّفظ)، (الحرفان المثلان اللَّذان هما سواء)، (الأمثال)، (الحرفان على مثالٍ واحد)، (المماثَلة).

3 . (الحرفَان اللَّذانِ تَضَعُ لسانَكَ لهما موضعاً واحداً لا يزولُ عنه)، (الحرفَان من موضعٍ واحد).

4 . (الحرفان اللَّذان هما سواء)، (الحرفان السَّواء).

5 . (الحرفان ذوا اللَّفظ الواحد)، (التقاء اللام والعين على لفظٍ واحدٍ)، (الحرفَان على لفظٍ واحدٍ).

6 . (الحروف التي من مخرجٍ واحدٍ).

7 . (الحرف يتكرَّر)، (الحرف المكَرَّر).

المجموعة الأولى:

1 . (**الحرفان من جنسٍ واحدٍ**): الخليلُ[1]. وتابعَه: الكسائيُّ[2]، والفرَّاءُ[3]، والمبرِّد[4]، والزجَّاج[5]، وأبو بكر ابن الأنباريّ[6]، والزجَّاجيُّ[7]، والنحَّاس[8]، وابن مِهْران[9]، وابن جنيّ[10]، وابن زنجلة[11]، وأبو البركات

(1) نقَل ذلك عنه ابن السرَّاج في الأصول 3/ 385 .
(2) نقل ذلك عنه الدانيُّ في الإدغام الكبير ص 36 .
(3) معاني القرآن 1/ 411 و 3/ 114 .
(4) المقتضب 2/ 99.
(5) معاني القرآن وإعرابه 1/ 450 .
(6) الأضداد ص 409 .
(7) شرح جمل الزجاجي لابن هشام ص 449 .
(8) إعراب القرآن 2/ 473 .
(9) المبسوط ص 88 .
(10) الخصائص 1/ 162 .
(11) الحجة ص 257 .

ابن الأنباريّ[1].

2 . **(المتجانسان)**[2]، **(تجانُسُ الحرفَين)**[3]، **(مجانسةُ الحرفَين)**[4]: ابن خالويه.

3 . **(الجِنْسَان)**: قال أبو الفضل الخزاعيُّ عن الواو في نحو قوله تعالى: [عَصَوا وَّكَانُوا]:"لا خلافَ في إدغامها في **جِنْسِهَا**"[5].

4 . **(المجانس)**: أبو الفضل الخزاعيُّ[6].

المجموعة الثانية:

1 . **(المِثْلاَن)**: الخليلُ[7]. وتابعَه: سيبويه[8]، والأخفش[9]، وابن قتيبة[10]، والمبرِّد[11]، وابن السرَّاج[12]، وابن دُرَيد[13]، وابن مجاهد[14]، والنحَّاس[15]، وأبو عليّ الفارسيُّ[16]، وابن مهران[17]، والرُّمانيُّ[18]، وابن جنيّ[19]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[20]، ومكيٌّ[21]، والدانيُّ[22]، والقرطبيُّ[23]، وأبو العلاء الهمَذانيّ[24].

(1) أسرار العربية ص 207 .
(2) الحجة ص 237 و 314 .
(3) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص 6 .
(4) الحجة ص 234 .
(5) المنتهى ص 171 .
(6) المنتهى ص 169 .
(7) العين 5/ 425 .
(8) الكتاب 4/ 466 .
(9) معاني القرآن 1/ 179 و 211 .
(10) أدب الكاتب ص 487 .
(11) المقتضب 1/ 311 .
(12) الأصول 3/ 354 و 427.
(13) الجمهرة 1/ 13 .
(14) السبعة ص 121 .
(15) إعراب القرآن 1/ 198 .
(16) التكملة ص 5 .
(17) المبسوط ص 89 .
(18) شرح كتاب سيبويه ل 194/ أ .
(19) سر صناعة الإعراب 1/ 28 .
(20) المنتهى ص 156 .
(21) التبصرة ص 109 .
(22) التحديد ص 99 .
(23) الموضح ص 139 .
(24) التمهيد ص 293 .

2 . (**الحرفُ الذي هو مثلُ ما بَعْدَهُ**): سيبويه[1].

3 . (**الحرفان المِثلان اللَّذان هما سواء**): سيبويه[2].

4 . (**الحرفان يكونان على مثالٍ واحد**): يحيى اليزيديُّ[3]، وتابعَه: ابن مجاهد من غير: (يكونان)[4].

5 . (**المتماثلان**): ابن مجاهد[5]. وتابعَه: ابن خالويه[6]، والمالكيّ[7]، الدانيُّ[8]، أبو العلاء الهمَذانيُّ[9].

6 . (**المماثلة**): ابن خالويه، وعرَّفها بأنَّها كَونُ الحرفين من جنسٍ واحدٍ[10]. وتابعَه: طاهر بن غَلْبون[11].

7 . (**الأمثال**): أبو عليٍّ الفارسيُّ[12].

8 . (**الحرفان المتماثلان في اللَّفظ**): طاهر بن غَلْبُون[13]. وتابعَه: الدانيّ بلفظ: (**الحروف التي تتماثلُ في اللَّفظ**)[14].

المجموعة الثالثة:

1 . (**الحرفَان اللَّذانِ تَضَعُ لسانَكَ لهما موضعاً واحداً لا يزولُ عنه**): سيبويه[15]، وابن السرَّاج[16].

2 . (**الحرفَان من موضعٍ واحد**): ابن السرَّاج[17].

المجموعة الرَّابعة:

1 . (**الحرفان اللَّذان هما سواء**): سيبويه[1]، وابن السرَّاج[2].

(1) الكتاب 4/ 474 .
(2) الكتاب 4/ 437 .
(3) نقَل ذلك عنه ابن غَلبون في التذكرة 1/ 41 .
(4) السبعة ص 116 .
(5) السبعة ص 125 .
(6) الحجة ص 63 .
(7) الرَّوضة 1/ 430 .
(8) جامع البيان 2/ 388 .
(9) التمهيد ص 294 .
(10) الحجة ص 63 و 74 .
(11) التذكرة 1/ 149 .
(12) الحجة 1/ 208 ، والتكملة ص 276 .
(13) التذكرة 1/ 72 .
(14) التيسير ص 19 .
(15) الكتاب 4/ 437 .
(16) الأصول 3/ 405 .
(17) الأصول 2/ 362 .

2 . (**الحرفان السَّواء**): المبرِّد[3].

المجموعة الخامسة:

1 . (**الحرفان مِن لفظٍ واحدٍ**): أبو عبيدة[4]. وتابعه: النحَّاس مستبدلاً بـ: (من): (على)[5].

2 . (**التقاء اللام والعين على لفظٍ واحدٍ**): المبرِّدُ[6].

3 . (**الحرفان ذوا اللَّفظ الواحد**): المبرِّد[7].

المجموعة السَّادسة:

1 . (**الحروف التي من مخرجٍ واحدٍ**): الأخفش[8].

المجموعة السَّابعة:

1 . (**الحرف يَتَكرّر**): قال ابنُ السرَّاج في شرح إدغام المتماثلَين:"والإدغام في الكلامِ يَجيء على نوعَين: أحدهما: إدغام حرفٍ في **حرفٍ يتكرَّر**..."[9].

2 . (**المكرَّر**): الخفاجيُّ[10].

النوعُ الثاني من أنواع تلاقي الحروف: الحرفان المتقاربان من مخرج واحد أو من مخرجين أو بالصفة

هذا النَّوع من أنواع التلاقي يدلُّ على اهتمام العلماء بالمخارج الجزئيَّة؛ من حيث أرادوا العنايةَ بها من حيث التأليف والإدغام.

ويقصدون به الحروف المتجاورة في مخرجٍ واحد كالطاء والدال والتاء، أو من مخرجَين متجاورَين كالذَّال مع الدَّال أو الزاي، أو التقاربُ بالصِّفة كالميم مع النون تقاربا في صفة الغُنَّة، قال الرمانيُّ:"والمتقاربان على ثلاثة أوجه:

(1) الكتاب 4/ 437 .
(2) الأصول 2/ 410 .
(3) المقتضب 1/ 333 .
(4) مجاز القرآن 1/ 352 .
(5) إعراب القرآن 2/ 188 .
(6) المقتضب 1/ 319 .
(7) المقتضب 1/ 333 .
(8) القوافي ص 43 .
(9) الأصول 3/ 405 .
(10) سر الفصاحة ص 47 .

1 . متقاربان بالمخرج الواحد[1].

2 . ومتقاربان بمخرجين متقاربين[2].

3 . متقاربان بخاصَّتَين مِثْلَين"[3].

الألفاظ المستعملة للوجه الأوَّل:

من الألفاظ التي استعملها العلماء للتعبير عن الوجه الأوَّل، أعني: الحرفين المتجاورين في مخرج واحد:

. **(الحروفُ التي من مخرجٍ واحدٍ وليستْ بأمثالٍ سواء)**: سيبويه[4].

. **(الحروفُ المتقارِبةُ التي هي من مخرجٍ واحدٍ)**: سيبويه[5].

. **(الحرفان من مخرجٍ واحد)**: ابن مهران[6].

. **(تَزاحمُ الحرفَين في المخرجِ الواحدِ)**: تقدَّم في المزاحمة.

ويتَّضِح من العبارات السابقة أنَّ ألفاظها لا تتجه إلاَّ إلى هذا النَّوع الأوَّل.

الألفاظ المستعملة للوجه الثاني:

إذا أُطْلِقتْ ألفاظُ المقاربة والتقارب دون أن تُخَصَّص فهي لأحد الأنواع الثلاثة، والسِّياقُ يَكشِفُ ذلك غالباً.

وليس من السَّهل التمييز بين ألفاظ العلماء في هذا القسم؛ لأنَّ ألفاظهم قريبٌ بعضُها من بعضٍ، لكن سأجمع الألفاظ المستعملة في هذا القسمِ تحت مصادرها اللُّغوية، فمن تلك المصادر:

1 . المقاربة والتقارب:

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على خلافِ البُعْدِ. يقال: قَرُبَ يَقْرُبُ قُرْباً. وفلانٌ قريب وذو قرابتي. والتقارُبُ ضدُّ التباعُد. وقارَبَ الشيءَ داناهُ، وتقارب الشيئان: تَدانَيا[7].

استعمله كثيرٌ من العلماء لا يُحصَون، منهم: سيبويه[8]، والمبرِّدُ[1]، وابن السرَّاج[2]، وابن دريد[3]، وابن

(1) ويسمَّى المتجانس عند المتأخرين من أهل التجويد كالإمام ابن الجزريّ.

(2) بقي على اسمه عند المتأخرين من أهل التجويد، وكذلك القسم الثالث.

(3) شرح كتاب سيبويه ل 196/ أ .

(4) الكتاب 4/ 445 .

(5) الكتاب 4/ 445 .

(6) المبسوط ص 88 .

(7) لسان العرب 1/ 663 - 665 (ق ر ب).

(8) الكتاب 4/ 446 و 467 و 473 وغيرها.

خالويه[4]، وأبو عليّ الفارسيّ[5]، وابن جنيّ[6]، ومكيّ[7]، والدانيّ[8]، والخفاجيّ[9]، وأبو العلاء الهمذانيّ[10]، وغيرهم.

مثال: قال سيبويه:"ولا تُدغَمُ الياءُ وإن كان قبلها فتحةٌ ولا الواوُ وإن كان قبلَها فتحةٌ مع شيءٍ من **المتقارِبَة**... فصارت هذه الياءُ والواوُ مع الميمِ والجيمِ نحواً من الألفِ مع **المُقَارِبَةِ**؛ لأنَّ فيهما لِيناً وإن لم يَبْلُغَا الألفَ، ولكن فيهما شَبَهٌ منها"[11].

2. التداني والمداناة:

يدلُّ أصله اللغويُّ على المقارَبةِ، دَنا الشيءُ من الشيءِ دُنُوّاً ودَناوةً: قَرُب. ودَانَيْتُ بين الأمرَين: قارَبتُ بينهما. وتَدانَوا، أي دنا بعضُهم من بعض[12].

استعمله من العلماء: سيبويه[13]، والمبرِّد[14]، وابن جنيّ.

مثال: قال المبرِّد:"ومنهنَّ الدَّالُ. وهي تُبدَلُ مكانَ التاء... ومِمَّا **يُدَانِيهَا** من المخرجِ، نحوَ الذَّالِ والزَّايِ، وذلك قولُك في مُفْتَعِل من الزَّين: مُزْدَان، ومن الذِّكْر: مُدَّكِر"[15].

وقوله:"واعلم أنَّ الياء والواوَ بمنزلة ما **تدانتْ** مخارِجُه"[16].

وقال ابن جنيّ:"فينبغي إذا **تدانى** الحرفان أن يُبدأ بالأقوى منهما"[17].

3. التجاور والمجاورة:

(1) المقتضب 1/ 352 و 377 .
(2) الأصول 3/ 413 .
(3) الجمهرة 1/ 12 .
(4) الحجة ص 63 .
(5) الحجة 2/ 348 .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 20 و 28 و30 والخصائص 2/ 82 وغيرها.
(7) التبصرة ص 109 .
(8) التيسير ص 19 .
(9) سر الفصاحة ص 86 .
(10) التمهيد ص 293 .
(11) الكتاب 4/ 446 .
(12) لسان العرب 14/ 271 (د ن و).
(13) الكتاب 4/ 335 و 365 .
(14) المقتضب 1/ 292 .
(15) المقتضب 1/ 203 .
(16) المقتضب 1/ 356 .
(17) سر صناعة الإعراب 2/ 818 .

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على المساكَنَةِ. جَاوَر الرَّجل مجاورةً وجِواراً وجُواراً، والكسرُ أفصح[1].

استعمله من العلماء: المبرِّد[2]، والخفاجيُّ[3].

مثال: قال المبرِّدُ:"والياءُ تَخرُجُ من وسط اللِّسانِ من مخرجِ الشِّين والجيمِ حتى تَنقَطِعَ عند مخرجِ الألفِ. فهما **متجاوِرَتان**"[4].

4 . التزاحم والمزاحمة

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

الألفاظ المستعملة للوجه الثالث:

أمَّا التقاربُ بالصِّفات فقد قسَّم الرمَّانيُّ: (**المقاربَة**) في أصوات الحروف إلى قسمَين: (**المقاربةُ من جهة المخرج**)[5]، و (**المقارَبةُ بالخاصَّة**)، أو (**المقارَبةُ من جهةِ الخاصَّة**) يعني: المقاربة بالصِّفات[6].

النَّوع الثالث من أنواعِ تلاقي الحروف: الحرفان المتباعدان في المخرج والصِّفة

الألفاظ المستعملة للتباعد بين الحروف بالمخرج والصفة

استعملت عدة ألفاظ للتعبير عن الحرفين المتباعدين أو التباعد بين المخارج ، منها:
1 . (التباعد، المتباعدان، البُعْد) 2 . (التراخي) 3 . (المتباينان، التباين، المباينة) 4 . (المتنافران، التنافر) 5 . (المتفاوتة)

1 . المصطلح الأول للتباعد بين الحروف: (التباعد، المتباعدان، البُعْد)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على خلاف القُرب[7].

استُعملت ألفاظ (التباعُد والبُعد) في أكثر من معنى، منها:
1 . التباعد بالمخرج أو الصفة 2 . التنافُر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف

1 . المعنى الأوَّل: التباعد بالمخرج أو الصفة:

(1) لسان العرب 4/ 153 (ج و ر).
(2) المقتضب 1/ 356.
(3) سر الفصاحة ص 47 .
(4) المقتضب 1/ 356 .
(5) شرح كتاب سيبويه ل 192/ ب .
(6) شرح كتاب سيبويه ل 192/ ب، و ل 202/ ب.
(7) مقاييس اللغة ص 124 (ب ع د).

استعمله من العلماء: المبرّد، والرمانيُّ، وابن جنيّ[1]، وأبو الفضل الخزاعيّ[2]، والخفاجيّ[3].

قال المبرّد:" واعلم أن كلَّ مُدغَمٍ فيما بَعْدَهُ إذا كانا من كَلِمتين فإظهارُ الأوَّل جائزٌ؛ لأنه غيرُ لازمٍ للثاني، إلا أنه في بعضٍ أحسنُ منه في بعضٍ، على قَدْرِ تَداني المخارجِ **وبُعْدِها**"[4].

وذكَر الرمانيُّ التباعد بالصفات وسمَّاها: **(التباعد بالخاصّية)**، قال عن حروف المدِّ واللِّين:"حروف المدِّ واللِّين قد **تباعَدتْ بالخاصّية** من الحروف الصِّحاح تباعداً شديداً؛ إذا كان فيها مدٌّ ولين، وليس [ذلك] في الحروف الصِّحاح. وهي من جنسِ الحركات... وتقتضي الزيادة في الكلام بما ليس للحروف الصِّحاح؛ إذ هي من جنس الحركات التي يُضطرُّ إلى زيادتها لإمكانِ النُّطقِ بها، وليس ذلك للحروف الصِّحاح. فلمَّا **تباعدَت بالخاصّية** من جميع الحروف الصِّحاح صارتْ بمنزلة ما تباعد بالمخرج من الحروف الصِّحاح"[5].

وبعيداً عن التكرار الزائد لبعض الألفاظ فإنَّ هذا النصّ يعطي إشارةً حول فهم المتقدِّمين لطبيعة حروف المدّ.

2 . المعنى الثاني: التنافُر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف:

استعمله القرطبيُّ[6].

2 . المصطلح الثاني للتباعد بين الحروف: (التراخي)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على اللِّين والسهولة والاتِّساع. والراءُ مثلَّثة، يقال: رِخوٌ ورُخوٌ ورَخوٌ، وتَراخى عن الأمر، إذا قَعَد عنه وأبطأ[7].

استعمله المبرّدُ، قال:"فإن قلتَ: هلْ طَرَقَكَ، أو هلْ دَفَعك، أو هل تَمَّ لك، فالإدغامُ حسنٌ والبيانُ حسنٌ، وهو عندي أحسنُ؛ لتَرَاخي المخرجَين"[8].

3 . المصطلح الثالث للتباعد بين الحروف: (المُتَبَايِنَان، التَّبَايُن، المبايَنة)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على بُعْدِ الشيء وانكشافُه. فالبَين: الفِراق[9].

(1) الخصائص 2/ 227 .
(2) المنتهى ص 156 .
(3) سر الفصاحة ص 54 .
(4) المقتضب 1/ 386 .
(5) شرح كتاب سيبويه ل 196/ ب .
(6) الموضح ص 85 و 127 .
(7) مقاييس اللغة ص 426 (ر خ و) المصباح المنير ص 224 ..
(8) المقتضب 1/ 349 . وانظر: 1/ 343 .
(9) مقاييس اللغة ص 147 (ب ي ن).

استُعمل (التباين، المتباينة، المبَايَنة) في أكثر من معنى، منها:

1 ـ التنافر بين الأصوات الموسيقيَّة في الحدَّة والثقل (النغمات غير التوافقيَّة) 2 ـ التنافُر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف 3 ـ التباعد بالمخرج أو الصفة.

1 ـ المعنى الأوَّل = التنافر بين الأصوات الموسيقيَّة في الحدَّة والثقل (النغمات غير التوافقيَّة)

"التباين (Dischord): وهو عكسُ التآلفِ، ويتَحَقَّقُ في النَّغَمِ التي لا تَسْتَلِذُّها المسامِعُ أو تَستريح لها النفس"(1).

قال الكنديُّ:"وكذلك إذا انتقَلْنا مِن بُعدٍ، انتَقَلْنا إلى بُعْدٍ مُشاكلٍ له. فإنَّ الأبعادَ المتَبَايِنةَ جداً، المتَباعِدة النهايات، إذا انتُقِل مِنها إلى بُعدٍ متقارِبِ النِّهايات أَحْدَثتْ **تبايُناً في المسموع**"(2).

ومعنى كلام الكنديّ أنَّ التبايُنَ في النَّغَم يَنشَأُ في القَفَزَاتِ الصوتيَّةِ الكبيرةِ ما بينَ الغَلِيظِ والحادِّ فتكونُ على غَيرِ النِّسبة التأليفيَّة، فتُحدِثُ لذلك تنافراً في السَّمْع.

وحدَّد الكنديُّ أنواعاً من التبايُنِ النَّغَمِيّ مَرجِعها إلى علم الموسيقى(3).

2 ـ المعنى الثاني = التنافُر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف

استعمل القرطبيُّ لفظ: (**المُبايَنة**) للتعبير عن هذا المعنى(4).

3 ـ المعنى الثالث = التباعد بالمخرج أو الصفة

استعمله أبو العلاء الهمذانيُّ، قال:"وحُكمُ المتقاربَين **والمُتَبَايِنَين** حُكْمُ المتماثِلَين"(5).

4 ـ المصطلح الأول للتباعد بين الحروف: (المتنافران، التنافر)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على تجافٍ وتباعُدٍ(6).

استُعمل (التنافر) في أكثر من موطنٍ، منها:

1 ـ التنافر بين الأصوات الموسيقيَّة في الحدَّة والثقل (النغمات غير التوافقيَّة) 2 ـ التباعد في المخرج والصفة 3 ـ التنافُر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف

(1) من تعريف الدكتور يوسف شوقي محقيق رسالة الكندي: في خبر صناعة التأليف ص 69 .

(2) في خُبر صناعة التأليف ص 101 .

(3) انظر: مقدمة رسالة الكندي في خبر صناعة التأليف ص 69 .

(4) الموضح ص 128 .

(5) التمهيد ص 294 .

(6) مقاييس اللغة ص 1002 (ن ف ر).

1 . التنافر بين الأصوات الموسيقيَّة في الحدَّة والثقل (النغمات غير التوافقيَّة Discord)

عرَّف إخوانُ الصَّفَاء **تَنَافُرَ الأصواتِ** بأنَّه الجمعُ على غير نسبةٍ تأليفية[1].

2 . التباعد بالمخرج أو الصفة:

استعمله الرمانيُّ، قال في قلب التاء طاءً في (مُصْطَبْر):"وإنَّما وجَبَ قَلْبُ التاء طاءً لتَعْدِيلِ الحروفِ بحرفٍ وسطٍ بين الحرفَين **المُتنافِرَين**"[2]. والطاء هو الحرف الوسط والشفيع المحبّبُ بين المتنافِرَين.

3 . التنافُر وعدم الانسجام بين أصوات الحروف:

استعمله القرطبيُّ، قال:"وإذا كانت الجيمُ قبل الدال من (الأجْدَر)، وقبل التاء من (اجتمعوا) فليس بين الجيم والدال وبين الجيم والتاء من **التنافر** والتباعد ما بين الشين والدال"[3].

5 . المصطلح الخامس للتباعد بين الحروف: (الحروف المُتَفَاوتة)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على خلافِ إدراك الشيء والوصول إليه. يقال: فاته الشيءُ فَوتاً، وتفاوَتَ الشيئان: تباعَدَ ما بينهما، أي لم يُدْرِكْ هذا ذاك[4].

استعمله ابن جنيّ، ولقَّب الحروف المتباعدة بـ: **(المُتَفَاوِتة)**[5].

الألفاظ المستعملة في التأليف بين الحروف وتحقيق الانسجام:

قد يكون التأليفُ بين الحرفَين بسبَبِ قُرْبِ المخارج، أو بسبَب الاشتراكِ في بعضِ الصِّفات.

استُعملت لتأليف الحرف مع الحرف وتقريبه منه عدة مصطلحات، منها:

1 . (الأخُوَّة، المؤاخاة، التآخي)، 2 . (المضارعة)، 3 . (الائتلاف، التأليف)، 4 . (التقريب)، 5 . (الاتِّفاق، التَّوفيق، الموافقة)، 6 . (التناسُبُ، المناسَبَةُ، المناسَباتُ)، 7 . (العَدْل، الاعتدال، التعديل)، 8 . (المشاكلة، والتشاكلُ)، 9 . (المجانسة، والتجانس)، 10 . (الملاءمة، التلاؤم)، 11 . (الإدغام الصَّغير، والإدغام الأصغر)، 12 . (التكافؤ، المتكافئة) 13 . (التركُّب)، 14 . (المصاقَبة).

1 . المصطلح الأوَّل للتأليف بين الحروف: (الأخُوَّة والمؤاخاة والتآخي):

استعمَل كثيرٌ من العلماء لفظ: **(أخت، أختان، أخوات)** لكلُّ حرفين أو أكثر اشتركا في مخرج أو صفة

(1) الرسائل 3/ 138 .

(2) شرح كتاب سيبويه ل 203/ ب و 204/ أ .

(3) الموضح ص 86 .

(4) مقاييس اللغة ص 800 (ف و ت).

(5) الخصائص 1/ 59 .

أو غير ذلك، منهم: أبو عمرو بن العلاء[1]، وسيبويه[2]، والفرَّاء[3]، والأخفش[4]، والمبرِّد[5]، وثعلب[6]، وابن السرَّاج[7]، والنحَّاس[8]، والفارسيُّ[9]، والرمانيُّ[10]، وابن جنيّ[11]، والسعيديُّ[12]، وابن سينا[13]، ومكّيّ[14]، والهمَذانيّ[15].

ومن هذا النوع ـ أيضاً ـ استعمل أبو سعيد السيرافيُّ: **(التواخي)** في حديثه عن سبب إدغام أبي عمرو بن العلاء الشين في السين من قوله تعالى: [إلى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً]، قال:"وأظنُّه ذهَب إلى أنهما مُتَواخِيَان في التفشِّي والصَّوت، فكأنهما من مخرجٍ واحدٍ وإن تباعد مخرجاهما، كما أن حروفَ المدِّ واللِّين على تباعدِ مخارجها **متواخيةٌ** في قلبِ بعضِها إلى بعض، وبدَلِ بعضِها من بعض"[16].

واستعمل ابن خالويه: **(المؤاخاة)** في الاحتجاج عن قراءة من أبدل السين صاداً في: [الصِّرٰاط]، ومن أشمَّها الزاي، قال:"**لتؤاخي** السينَ في الهمس والصَّفير، **وتؤاخِي** الطاءَ في الإطباق؛ لأن السينَ مهموسة والطاءَ مجهورةٌ. والحجَّة لمن أشمَّ الزاي: أنَّها **تؤاخي** السين في الصَّفير، **وتؤاخي** الطاءَ في الجهر"[17].

واستعمله مكّيّ للميم حيث أنَّها "**مؤاخيةٌ** للنون؛ للغنَّة التي في كلِّ واحدٍ منهما تخرج من الخيشوم، ولأنهما مجهورتان"[18]، وذكَر أن الهمزة يستعار لها في الكتابة صورةَ حروف المدِّ؛ لأنها **مؤاخيةٌ** لهنَّ في التخفيف[19].

(1) النحَّاس: إعراب القرآن 1/ 384.
(2) الكتاب 4/ 181 و 462 و 464.
(3) نقل ذلك عنه السيرافيُّ: ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 60.
(4) القوافي ص 15.
(5) المقتضب 1/ 309 و 347.
(6) نقل ذلك عنه ابن الأنباريّ: إيضاح الوقف والابتدا 1/ 401.
(7) الأصول 3/ 426.
(8) إعراب القرآن 1/ 263 و 3/ 409.
(9) التكملة ص 272.
(10) شرح كتاب سيبويه ل 208/ ب.
(11) المحتسب 1/ 201 وسر صناعة الإعراب 2/ 584.
(12) اختلاف القراء في اللام والنون ص 64.
(13) أسباب حدوث الحروف ص 84.
(14) الرعاية ص 128.
(15) التمهيد ص 296.
(16) إدغام القراء ص 44 - 45.
(17) الحجة في القراءات السبع ص 62 - 63.
(18) الرعاية ص 232.
(19) الرعاية ص 96.

وذكَر الدانيُّ أن إدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء هو"**للمؤاخاة** التي بين الواو والميم في المخرج؛ إذ كانا يخرجان من بين الشفتَين، وأيضاً فإن المدَّ الذي في الواو بمثابة الغنَّة التي في الميم. وأدغِما في الياءِ **لمؤاخاتها** الواوَ في المدِّ واللِّين، ولقربها أيضاً من الراء، لأنَّه ليس يخرُج من طرف اللِّسان أقربَ إلى الراء من الياء"[1].

2 . المصطلح الثاني للتأليف بين الحروف: (المُضارعة):

يدلُّ على التشابُهِ بين الشَّيئين. قال بعضُ أهل العلم: اشتقاقُ ذلك من الضَّرْع، كأنَّهما ارتَضَعا من ضَرْعٍ واحدٍ[2]. قال الخليل:" والمضَارِعُ: الذي يُضَارِعُ الشيء كأنه مثلُهُ وشِبْهُهُ"[3].

استعمله من العلماء: الخليلُ[4]، وسيبويه، والمبرِّدُ[5]، وابن السرَّاج، والفارسيُّ[6]، وابن جنيّ[7]، والقرطبيُّ[8]، وأبو العلاء الهمذانيّ[9].

مثال: قال سيبويه عن سببِ إدغام لامِ هل في الرَّاء في نحو: (هل رَّأيت):"فإذا كانت غيرَ لامِ المعْرِفة، نحو لامِ هلْ وبلْ، فإنَّ الإدغامَ في بعضِها أحسَنُ، وذلك قولُك: هرَّأيت؛ لأنها [أي: الراء] أقربُ الحروفِ إلى اللاَّم وأشبهُها بها، **فضارَعَتا** الحَرفَين اللَّذَين يَكُونان مِن مخرجٍ واحدٍ؛ إذ كانتِ اللاَّمُ ليس حرفٌ أشبهَ بها مِنها ولا أقربَ، كما أن الطاءَ ليس حرفٌ أقربَ إليها ولا أشبهَ بها من الدَّال"[10].

يعني عملاً بالقاعدة: كلَّما قَرُبَ الحرفان كان الإدغامُ أوْلى.

وذكَر ابنُ السرَّاج انَّ قراءةَ: [الصِّرٰطَ] بالصَّاد أخفُّ من إشمام الصاد زاياً، قال:"والاختيارُ عندي الصَّادُ؛ للخِفَّةِ والحُسنِ في السَّمعِ، وهو غيرُ مُلبِسٍ... وأمَّا القراءةُ **بالمضارعَة** التي بين الزَّاي والصاد، فعدَلْتُ عن القراءةِ بها؛ لأنَّه تَكَلُّفُ حرفٍ بين حرفَين، وذاك أصعبُ على اللِّسان"[11].

3 . المصطلح الثالث للتأليف بين الحروف: (الائتلاف، التأليف)

(1) التحديد ص 112 - 113.
(2) مقاييس اللغة ص 588 (ض ر ع) .
(3) العين 1/ 270 .
(4) العين 4/ 281 .
(5) المقتضب 1/ 296 .
(6) الحجة 1/ 54 و 2/ 348.
(7) سر صناعة الإعراب 2/ 817 .
(8) الموضح ص 144 .
(9) التمهيد ص 286 .
(10) الكتاب 4/ 457 وانظر: 4/ 461.
(11) الحجة لأبي علي الفارسيّ 1/ 50 - 51 .

يدلُّ أصلهما اللُّغويُّ على انضمامِ الشيءِ إلى الشيء. أَلِفتُ الشيءَ آلَفُهُ، والأُلْفَةُ مصدر الائتِلاف. وكلُّ شيءٍ ضَمَمْتَ بعضَهُ إلى بعضٍ فقد ألَّفْتَهُ تأليفاً[1].

استُعمل (التأليف والائتلاف) في أكثر من موطنٍ، منها:

1 . التأليف والانسجام بين أصوات الحروف 2 . التأليف بين الأصوات الموسيقيَّة في الحدَّة والثقل (النغمات التوافقيَّة)

1 . الموطنُ الأوَّل: التأليف والانسجام بين أصواتِ الحروفِ

استَّعمل الخليلُ لفظ: (**التأليف**) في تعليله لإبدال تاء الافتعال، قال:"وادَّخَرْتُ ادِّخاراً، وتاءُ الافتِعالِ اذا جاءتْ بعد الذّالِ تحوَّلتْ إلى مُخرج الدّالِ فتُدْغَمُ فيها الذالُ، وكذلك الادِّكارُ من الذِّكْر . ومَنَعَهم أن يَدَعُوا تاءَ "افتَعَلَ" على حالِها استقباحُهم **لتأليف** الذال مع التّاء"[2].

وتابعَه: الجاحظ[3]، وأبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة[4]، ومكيٌّ[5]، والقرطبيُّ[6]، والخفاجيُّ[7].

واستعمل الخليل أيضاً لفظ: (**تأتلف**) في أكثر من موطنٍ في تنبيهه إلى ما يجوز تأليفه من الحروف وما لا يجوز في لغة العرب[8].

وتابعَه من العلماء بلفظ: (**الائتلاف**): ابن دريد[9]، وابن جنيّ[10]، وابن فارس[11]، والقرطبيُّ[12]، وأبو العلاء الهمذانيُّ[13].

وعرَّف أبو الحسن الأخفشُ الكلامَ بأنَّه:"أصواتٌ **مؤلَّفةٌ**"[14]. وفيه إشارة واضحةٌ إلى إدراكه الصَّوتَ لا الرَّمز.

(1) مقاييس اللغة ص 70 (أ ل ف).
(2) العين 4/ 243 .
(3) البيان والتبيين 1/ 58 .
(4) الحجة ص 82 .
(5) الرعاية ص93 .
(6) الموضح ص 127 .
(7) سر الفصاحة ص 47 و 54.
(8) العين 1/ 96 .
(9) الجمهرة 1/ 4 .
(10) سر صناعة الإعراب 2/ 812 .
(11) مقاييس اللغة 1/
(12) الموضح ص 76 و 127 .
(13) التمهيد ص 285 .
(14) العروض ص 123 .

ومن هنا لقَّب إخوانُ الصفاء حروفَ المعجم بـ: (الحروف المقطَّعة **المؤلَّفة**)[1].

وقسَّم القرطبيُّ **التأليفَ** بين الحروف في لغة العرب إلى ثلاثة أقسام:

1 . متعذِّرٌ ممتنعٌ لتعذُّرِ طواعية اللِّسان به، كالابتداء بالسَّاكن.

2 . مَنبُوذٌ مُستَكْرَهٌ ، كتوالي أربع متحرِّكات في كلمةٍ واحدة.

3 . مُمْكِنٌ مستَحسنٌ مستَعمل، وهو ما بَنَتْهُ العربُ من المتحرِّكِ والسَّاكن، وتكلَّمَتْ به من الأمثلة المستَعمَلة.

وفصَّل القرطبيُّ في القسمِ الثالث من التأليف، وذكَر تميُّزَه عن حال إفراد الحروف بكونهِ يَبحَثُ في التأثيرات التي تحدُث بين أصوات الحروف عند التجاوُر، قال:"وهذا الضَّرْبُ يَعرِضُ فيه عند **الائتلافِ** والتجاوُرِ من الأحكام زيادةٌ على وضعِ بسيط الحروف كالمدِّ والتشديدِ والتلْيينِ والإظهارِ والإخفاء والقَلْبِ، وما يَدخُلُ من شَوائبِ الحروفِ بعضِها على بعضٍ بسبب المناسَبَةِ بَينها والمبايَنة، والمقارَبَةِ والمباعَدَة"[2].

وجعَل الخفاجيُّ **التأليفَ** على ضربين: متنافرٍ ومتلائمٍ، معترضاً على تقسيم الرمانيّ **التأليف** إلى ثلاثة أقسام: متنافرٍ، ومتلائمٍ في الطبقة الوسطى، ومتلائمٍ في الطبقة العُلْيا[3].

2 . الموطنُ الثاني: التأليف بين الأصوات الموسيقيَّة في الحدَّة والثقل (النغمات التوافقيَّة Concord)

مفهوم الموسيقيّين للتأليف بين الأصوات (Concordance): "أن تكون الألحانُ مِمَّا تَسْتَلِذُّهُ المسَامِعُ وتَستَرِيحُ له النُّفُوسُ، وذلك إذا كانت بين النَّغَم نِسَبٌ رياضيةٌ بسيطةٌ تُعَبِّرُ عن تردُّداتها . أو أطوالُ الأوتارِ المحْدِثة لها . بأعدادِ المتواليةِ العدَدِيَّة 2/ 3/ 4/ 5/ 6 أو ما شابهها"[4]، وقد ذكَر الكنديُّ نحواً من ذلك، فقال:"وإذ يُكْمِلُ صناعةُ **التأليف** الصوتيّ أن تكون مسموعاتُ الأصوات **مؤتلِفةً** مُستَحسنةً في السَّمع، مُستأثَرَةً ولا مُسْتَكرَهة، فإذن يَنبغي أن تكون جميعُ هذه الاستحالات[5] . التي وصَفْنا . **مؤتلِفةً**: أعني أن نَنتقِلَ مِن نغمةٍ إلىنغمةٍ **متآلِفةٍ** لها، أعني معها في نسبةٍ بسيطةٍ"[6].

واستعمل إخوان الصفاء: (**ائتلاف الأصوات**)، وذكَروا بأنَّه الجمعُ بين الأصواتِ الحادَّة والغليظة بنسبةٍ

(1) الرسائل 3/ 114 .

(2) الموضح ص 127 .

(3) سر الفصاحة ص 88 .

(4) في خُبر صناعة التأليف ص 67 (مقدمة المحقق) .

(5) الاستحالات الصوتيَّة (Mutation - Modulation - Progression - Transition): هي الانتقالُ بالصَّوتِ بين مكوِّنات التراكيب الموسيقية، كالانتقال من نغمةٍ إلى نغمة أو من مقامٍ إلى مقام. (من شرح في خبر صناعة التأليف ص 97 و 169).

(6) في خُبر صناعة التأليف ص 101 .

تأليفيَّةٍ[1].

وعرَّف أبو الحسن الطبريُّ الطبيبُ النَّغم بأنَّها "أصواتٌ تخرُجُ على **تأليفٍ**، يكونُ الأقلُّ والأكثرُ فيه والأشدُّ والأخفُّ، فيَقَعُ التطريبُ لأجلِ **التأليفِ** والنِّظام"[2].

ومن الأمثلة التي يستأنس بها في أنَّ العرب تعرفُ **ائتلاف الأصوات وتوافقها في السَّمع** (Harmonics) ما ذكرَهُ صاحبُ الأغاني عن ابنِ جامع المغنِّي قال:"أخبرني إسماعيلُ بن يونس قال: حدَّثني عمرُ بنُ شَبَّة قال: حدَّثني عليُّ بن عبد الكريم قال: زارَ ابنُ جامعٍ إبراهيمَ المَوْصِلِيَّ فأَخرَجَ إليه ثلاثين جاريةً، فضرَبْنَ جميعاً طريقةً واحدةً وغَنَّيْنَ، فقال ابنُ جامع: في الأوتارِ وترٌ غيرُ مُستَوٍ، فقال إبراهيمُ: يا فلانةُ شُدِّي مَثْنَاكِ [الوتر الثالث من أوتار العود] فشَدَّتهُ فاستَوى، فعَجِبتُ أوَّلاً من فطنةِ ابنِ جَامعٍ لوَتَرٍ في مائةٍ وعشرين وتراً غيرِ مُسْتوٍ ثم ازْدَادَ عجَبِي من فِطْنةِ إبراهيمَ له بعَينِهِ"[3].

وهذا العزف الجماعيُّ من الجواري أشبهُ في زماننا بالفرقة (الجَوقة) الموسيقيَّة التي تَعزِف لحناً واحداً.

4. المصطلح الرابع للتأليف بين الحروف: (التقريب)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم .

5. المصطلح الخامس للتأليف بين الحروف: (الاتِّفاق، التَّوفيق، المُوافقة):

تدلُّ على ملاءمةِ الشيئين، منه الوَفْقَ: الموافَقَةُ. واتَّفَقَ الشيئان: تَقَارَبا وتلاءما. ووَافَقْتُ فلاناً: صَادَقْتُهُ، كأنَّهما اجتَمَعا مُتَوافِقَين[4].

استعمله من العلماء: سيبويه، وأبو علي الفارسيّ[5]، وابن جنيّ[6]، وأبو العلاء الهَمَذانيّ[7].

قال سيبويه:"القافُ مع الكافِ، كقولك: الحَق كَّلَدَة. الإدغامُ حسنٌ، والبيانُ حسنٌ. وإنما أَدْغَمْتَ لِقُرب المخرَجين، وأنَّهما من حروفِ اللِّسان، وهما **مُتَّفِقَان** في الشدة"[8].

وقال أبو عليّ الفارسيّ:"ولغةٌ أخرى خامسةٌ في الكلمة، وهي أنَّ بعضهم قال في: يَسْطيع: يَسْتِيعُ، فهذا يَحتَمِلُ أمرين: أحدهما: أنَّه أبدل من الطاء التي هي فاءٌ التاءَ ليُقرِّبها من الحرف الذي قَبْلَها، فأبدلَ

(1) الرسائل 3/ 138 .
(2) المعالجات القراطية 1/ 42 .
(3) الأغاني 5/ 254 . وانظر: أسماء أوتار العود في مفاتيح العلوم للخوارزميّ ص210 .
(4) مقاييس اللغة ص 1060 (و ف ق).
(5) الحجة 1/ 52 - 53 .
(6) المنصف 2/ 326 .
(7) التمهيد ص 299 .
(8) الكتاب 4/ 452 .

التاءَ **لتُوافِقَ** السِّينَ في الهمسِ، كما أبْدَل الدَّال من التاءِ في نحو: ازدانَ **ليُوافِقَ** ما قبله في الجهر..."[1].

6. المصطلح السادس للتأليف بين الحروف: (التناسُبُ، المُناسَبةُ، المناسَبَاتُ):

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على اتِّصالِ شيءٍ بشيءٍ. منه النَّسَبُ، سُمِّيَ لاتِّصاله وللاتِّصال به. وتقُولُ: ليس بينهما مُناسَبةٌ، أي: مُشاكَلَةٌ[2].

استعمله من العلماء: الفرَّاء، وأبو عليّ الفارسيّ[3]، ومكيٌّ[4]، والدانيُّ[5]، وعبد الوهَّاب القرطبيّ[6].

قال الفرَّاء:"وفي قراءةِ عبدِ الله: [اتَخَذتُّمُ العِجْلَ] و [إني عذتُّ بِرَبِّي ورَبِّكُم]، فأُدغِمَت الذَّالُ أيضاً عند التاء. وذلكَ أنهما **مُتَنَاسِبَتَانِ** في قُرْبِ المخرجِ، والثاءُ والذالُ مخرجُهما ثقيلٌ، فَأَنزِل الإدغامَ بهما لِثقَلِهِما؛ ألا تَرَى أنَّ مخرجَهما من طرف اللِّسان. وكذلك الظاءُ تُشَارِكُهُنَّ في الثِّقَل. فمَا أتاكَ من هذه الثلاثةِ الأحرفِ فأَدْغِمْ. وليس تركُك الإدغامَ بخَطَأ، إنَّما هُو استِثْقَالٌ"[7].

والنصُّ آيةٌ في فهم الانسجام بين الأصوات من هذا العالم الفذِّ في تلك الفترة المبكِّرة.

وسمَّى أبو عليّ الفارسيُّ الأمور التي تُقرِّبُ بين الحروف بـ: **(المُناسَبات)**، قال:"وهذه **المناسَباتُ** التي تكونُ بين الحروف تُوَفِّقُ بينها، كما يُوفِّقُ تقاربُ المخارج، أو هو آكَدُ في ذلك من تقارُبِ المخارجِ؛ ألا ترى أنَّ الواو والياء قد جَرَتا مجرى المِثْلَين في جوازِ إدغامِ كلِّ واحدةٍ منهما في الأخرى، لِما اجتمعا فيه من اللِّين، وأنَّ النُّون أُدغِمَت في الياءِ على بُعْدٍ بين مخارجِها لِما ذكَرْنا"[8]. يعني تَوافُقَ الغنة في النون مع المدّ في الياء.

7. المصطلح السابع للتأليف بين الحروف: (العَدْلُ، الاعتِدَالُ، التعديل):

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على الاستِواء. العَدْلُ من النَّاس: المرضِيّ المستَوي الطريقةِ. يقال للشيءِ يُساوي الشيءَ: هو عِدْلُهُ. ويقال: عَدَلتُه حتى اعتَدلَ، أي: أقمتُهُ حتى استَقامَ واستَوى[9].

استعمله من العلماء: الفرَّاء، والرمانيُّ، والدانيُّ.

(1) الحجة 5/ 180 . وانظر استعماله في 1/ 63 عبارة: (ليوفَّق بين الصوتين فيكونا من جهةٍ واحدة).
(2) مقاييس اللغة ص 988 ولسان العرب 1/ 765 (ن س ب).
(3) الحجة 1/ 54 .
(4) الرعاية ص 51 .
(5) الموضح في الفتح والإمالة ل 1/ أ و 50/ أ و 33/ ب .
(6) الموضح ص 110 و 120 و 127 .
(7) معاني القرآن 1/ 172 وانظر: (المناسبة) 1/ 437.
(8) الحجة 1/ 131 - 132 .
(9) مقاييس اللغة ص 718 (ع د ل).

قال الفرَّاء:"فأمَّا الذين يَقُولُون: (يَدَّخِر ويَدَّكِر ومُدَّكِر، فإنهم وَجَدُوا التاءَ إذا سَكَنَتْ واستَقْبَلَتْها ذالٌ دَخَلَت التاءُ في الذَّال، فصارت ذالاً، فكَرِهوا أن تصيرَ التاءُ ذالاً فلا يُعْرَفُ الافتِعالُ من ذلك، فنَظَرُوا إلى حرفٍ يكونُ **عَدْلاً** بينَهما في المقارَبَةِ فجَعَلُوه مَكَانَ التاءِ ومكانَ الذالِ"[1]. فالدَّال هو الشَّفيعُ الذي قرَّب بين التاء والذَّال.

وقال الرمَّانيُّ عن إدغام الحاء في العين:"فلم يَجُزْ إدغامُ الحاء في العين إذا قلتَ: امدح عَرَفة، ولكن يَجوز قلبُ العينِ إلى الحاءِ ثم الإدغام، وهذا القلْبُ إنَّما هو لطلَب **التعديل**"[2].

واستَعمله الدانيُّ ليدلَّ به على التساوي في المنزلة والفضيلة بين الصَّفير والتفشي، وصِحَّة أن تُدغَم الشينُ في السِّين في قوله تعالى: [إلى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً] في قراءة أبي عمرو بن العلاء، قال الدانيُّ:"والإدغامُ وجهٌ من القياس، وهو أنَّ الصَّفير الذي في السِّين بمنزلةِ التفشِّي الذي في الشِّينِ مع اشتراكِهما في الهمس، فقد **اعتدَلَتا** بذلك فجاز الإدغامُ"[3].

8 . المصطلح الثامن للتأليف بين الحروف: (المُشاكلة، والتشاكلُ):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على المماثَلةِ والمشابهة[4].

استَعمل المبرِّدُ: (**المُشاكَلة**) في تعريفِ الإمالة، قال:"وإنَّما معنى الإمالة: أن تُقَرِّبَ الحرفَ مما **يُشَاكِلُهُ** من كَسرةٍ أو ياء"[5].

وقدَّم قاعدةً اشتقاقيَّةً مهمَّةً في كيفيَّة تولُّد الألفاظ من أصلٍ عام، ونصُّها:

. الكَلاَمُ يَكُونُ له أصلٌ، ثم يُتَّسَعُ فيه فيما **شَاكَل** أصلَهُ[6].

وبعد أن ذكَر أبو بكر ابن الأنباريّ مذهبَ الفرَّاء نقَل مذهبَ سيبويه في علَّة إبدال التاء دالاً عند الزاي في كلمة: (المِزْداد) التي أصلُها (مُزتَيَدٌ)، فقال"فأبدلوا من التاء المهموسة حرفاً **يُشاكِلُ** الزَّايَ في الجهر، وهو الدال؛ لأنَّ المجهورَ مع المجهور أخفُّ على اللِّسان من المجهورِ مع المهموس..."[7].

وهذا أحد الأمثلة التي يَنقلُ فيها الكوفيُّون عن البصريّين دون التحرُّج من ذلك.

والقاعدةُ الصَّوتيَّة التي قدَّمها نصُّها: (المجهور مع المجهور أخفُّ على على اللِّسان من المجهور مع

(1) معاني القرآن 1/ 215 . وما ذكره الكوفيون من الإدغام للسيرافيّ ص 63 .
(2) شرح كتاب سيبويه ل 198/ أ .
(3) الإدغام الكبير ص 58 .
(4) مقاييس اللُّغة ص 511 (ش ك ل).
(5) المقتضب 3/ 46 .
(6) المقتضب 1/ 184 .
(7) الأضداد ص 410 .

المهموس).

واستَعمل أبو عليٍّ الفارسيُّ في نصٍّ واحدٍ ستةَ ألفاظٍ ليدلَّ على التناسب بين أصواتِ الحروف في إبدالِ الصادِ سيناً، وفي إمالة الألفِ نحو الياء، وفي قلبِ النُّون ميماً عند الباء، وهذه الألفاظُ هي: المجانسةُ، والملاءمةُ، و**المُشاكَلة**، والتجانُسُ، والاتِّفاق، والتوفيقُ[1].

وقدَّم قاعدةً نفيسةً في التناسُبِ الصَّوتيّ بين أصوات الحروف، نصُّها:

. (قد يُقَدَّمُ غيرُ الأصلِ على الأصلِ طلباً **للتشاكُلِ** وما يُوجِبُ الموافقة)[2].

شرحٌ ومثال: يعني قُدِّم التناسبُ الصَّوتيُّ بين الأصواتِ على الأصل، كتقديمهم إبدال السين صاداً في (الصِّراط) على الأصل الذي هو للسين؛ للانسجام الصَّوتيّ بين الصَّاد والطاء.

وذكَر الرمَّانيُّ أنَّ الغرضَ من ذِكْرِ أحكام المتماثِلَين والمتقاربَين في التأليف **التشاكلُ**؛ لِما فيه من الحُسْنِ المنافي للتنافُر[3].

وذكَر الدانيُّ أن الإمالة تَخِفُّ وتحسنُ في الحرفِ المستفِلِ؛ **لمُشاكَلَتِه** صوتَ الإمالة[4]. يعني في الترقيق.

وذكَر أيضاً أنَّ النُّون أدغِمت في حروف يرمُلون؛ **للتشاكُلِ** والقُربِ والمشابَهَة[5].

وذكَر أبو البركات ابن الأنباريّ أن الإمالة تَدخُلُ طلباً **للتشاكُلِ**، ولمَنْعِ تنافُرِ الأصوات[6].

9. المصطلح التاسع للتأليف بين الحروف: (المُجانسة، والتجانس):

استعمله من العلماء: أبو علي الفارسيّ[7].

10. المصطلح العاشر للتأليف بين الحروف: (الملاءمة، التلاؤم):

من أصله أن يدلَّ على الاتِّفاق والاجتماع. لأمتُ الجُرْحَ ولأمتُ الصَّدْعَ: إذا سدَدْتَ. وإذا اتَّفَقَ الشيئان فقد الْتَأَمَا[8].

استُعمل (الملاءمة والتلاؤم) في أكثر من موطنٍ، منها:

(1) الحجة 1/ 52 . وانظر: 1/ 207 و 1/ 347 و 1/ 382 .
(2) الحجة 1/ 70- 71 .
(3) شرح كتاب سيبويه ل 203/ ب . وانظر ل 207/ أ .
(4) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 36/ أ وانظر: ل 45/ أ و 49/ ب ..
(5) التحديد ص 112 .
(6) أسرار العربية ص 202 .
(7) الحجة 1/ 52 - 53 .
(8) مقاييس اللغة ص 910 (ل ا م).

1 . التأليف والانسجام بين أصوات الحروف 2 . النغمات التوافقيَّة

1 . التأليف والانسجام بين أصوات الحروف

استعمله من العلماء: أبو علي الفارسيّ[1]، والخفاجيُّ[2]، عبد القاهر الجرجانيّ[3].

2 . النغمات التوافقيَّة (Concord)

قال ابنُ الطحَّان الموسيقيّ:"النَّغَمُ التي تَحدُثُ من الأوتارِ عندما تُهَزُّ إنَّما تَحدُثُ بِتَمَوُّجِ الهواءِ حولَها، فإنَّه إذا تَمَوَّجَ عند اهتزازِها وكانت لها تجويفاتٌ ومنافذُ تؤدِّي من المنافِذِ إلى تجويفِها، فيَحدُثُ من الهواءِ الذي يَنْحَصِرُ فيها دَوِيٌّ. وإن السَّمعَ لا يُمْكِنُهُ أن يُفْرِدَ النَّغْمَةَ من الدَّوِيِّ قبل مجموعِهِما على أنهما شيءٌ واحدٌ، فمتى رَدِفَ ذلك الدَّوِيَّ دويٌّ آخرُ ملائمٌ له سُمِعَ متَّفِقاً، ومتى كان غيرَ ملائمٍ سُمِعَ غيرَ متَّفِقٍ"[4].

11 . المصطلح الحادي عشر للتأليف بين الحروف: (الإدغام الصَّغير، الإدغام الأصغر)

من المشتركِ اللَّفظيّ.

استُعمل لفظ: (الإدغام الصغير) في أكثر من معنى، منها:

1 . إدغام الساكن الأوَّل من المثلَين أو المتقاربَين في الثاني.

2 . تقريب الصَّوت من الصَّوت، وشاركه في ذلك: (الإدغام الأصغر).

1 . إدغام الساكن الأوَّل من المثلَين أو المتقاربَين في الثاني:

استعمله من العلماء: ابن مهران[5]، والمالكيُّ[6]، وأبو مَعْشرٍ الطبريُّ.

قال أبو مَعْشَر الطبريُّ:"وأمَّا: [بَيَّتَ طائِفةٌ] فأَدْغَمَها أبو عمرو وحمزةُ في جميع الأحوال، وهو من **الإدغام الصغيرِ** في أكثر أقوالهم"[7].

يعني أصلُها: (بَيَّتَتْ طائفةٌ)، تاء التأنيث الساكنة تُدغم في الطاء، وهو الإدغامُ الصغير في مصطلح القراء.

(1) الحجة 1/ 52 - 53 .
(2) سر الفصاحة ص 88 .
(3) دلائل الإعجاز ص 57 .
(4) حاوي الفنون ص 181 .
(5) المبسوط ص 97 .
(6) الروضة 1/ 350 .
(7) التلخيص ص 248 .

2 . تقريب الصَّوت من الصَّوت، وشاركه في ذلك: (الإدغام الأصغر).

جمَع ابنُ جنيّ المواضع الثلاثة عشر التي ذكرتُها في مصطلح (التقريب) تحت قانونه العامّ في تقريب الصَّوت من الصَّوْت، والذي اختار له لفظ: (**الادِّغام الأصغَر أو الصَّغِير**)، وعرَّفَه بأنَّه "تَقْريبُ الحرفِ من الحرفِ وإدناؤه منه مِن غير ادِّغامٍ يكونُ هناك، وهو ضروب"[1].

وقال عنه:"وهذا التقريبُ للحرفِ من الحرفِ بابٌ طويلٌ مُنقادٌ، وهو في فصلِ الإدغام، وما أصنعَهُ وألطفَهُ وأظرفَهُ!" [2].

وبعدَ أن ذكَر الضُّروبَ التي يُقَرَّبُ فيها الصَّوْتُ من الصَّوْتِ ذكَر علَّةَ تسميتها بـ: (**الإدغام الصَّغير**)، فقال:"وجميعُ ما هذه حالُهُ مِمَّا قُرِّبَ فيه الصَّوْتُ من الصَّوْت جارٍ مجرى الإدغام بما ذكَرْناه من التقريب، وإنَّما احتَطْنا له بهذه السِّمةِ التي هي **الإدغام الصغير**؛ لأنَّ في هذا إيذاناً بأنَّ التقريبَ شاملٌ للمَوضِعَين، وأنَّهُ هو المرادُ المُبْغِيُّ في كِلْتا الجهتَين، فاعرِف ذلك"[3].

ومع أنَّ استِعمالَ لَفْظِ: (**الإدغام الصَّغير أو الأصغر**) لتقريب الصَّوت من الصَّوت هو من وضْعِه واختراعِه . كما ذكَر . إلاَّ أنَّ فيه رابطاً خفيّاً وخيطاً دقيقاً مع كلام سيبويه تكشِف للمتأمِّلِ مَصْدَرَ هذه التسمية، فسيبويه في أكثر الأمثلة التي ذكَر فيها التقريب كان يَرْبِطُ هذه التقريبات الصَّوتيَّة بالإدغام بجامع العمل مِن وجه واحدٍ، وكأنَّ الإدغام هو الأصلُ في التقريب وتحقيق الانسجام، والباقي محمولٌ عليه، قال سيبويه:" فكَمَا يُريدُ في الإدغامِ أن يَرْفَعَ لِسانَه من مَوْضِعٍ واحِدٍ، كذلك يُقَرِّبُ الحرفَ إلى الحرفِ على قَدْرِ ذلك"[4]. ومن هنا كان مصدر هذه التسمية، والله أعلم.

12 . المصطلح الثاني عشر للتأليف بين الحروف: (التكافؤ، المتكافئة)

من أصله أن يدلَّ على التساوي بين الشيئين. كافأتُ فلاناً: إذا قابَلْتَهُ بمثلِ صنيعِه، والكفء: المِثْل. والتكافؤُ: التساوِي[5].

استعمله من العلماء: الرمانيُّ، وأبو عمرو الدانيُّ[6].

مثال: لقَّبَ الرمَّانيُّ الحروف المتقاربة التي يَصِحُّ أن تُدغَمَ ويُدغم غيرُها فيها بـ: (**المتكافئة** في المقَارَبة من

(1) الخصائص 2/ 141 .
(2) المحتسب 2/ 283 .
(3) الخصائص 2/ 145 .
(4) الكتاب 4/ 117 .
(5) مقاييس اللغة ص 896 (ك ف ء)
(6) الإدغام الكبير ص 42 .

غيرِ إخلالٍ بها)، وسمَّى الحرفين المتقاربين اللَّذَين لا يمتنعان من الإدغام في بعضهما بـ: (**المتكافئَين**)[1].

13 . المصطلح الثالث عشر للتأليف بين الحروف: (التركُّب)

يدلُّ أصله على عُلُوِّ شيءٍ شيئاً. ركَّبَ الشيءَ: وضَع بعضَه على بعض[2].

استعمله: ابن جنيّ، والقرطبيّ[3].

قال ابن جنيّ:"وأذكرُ أيضاً أحوالَ هذه الحروفِ في أشكالِها... وما يُمْكِن **تَرَكُّبُهُ** ومجاورتُه ممَّا لا يُمْكِنُ ذلك فيه"[4].

وقال:"وحروف الصَّفير ـ وهي الصاد والسِّين والزاي ـ **لا يتركَّبُ** بعضُها مع بعضٍ، ليس في الكلام مثل: سَصَّ ولا صَسَّ..."[5].

14 . المصطلح الرابع عشر للتأليف بين الحروف: (المُصاقَبة):

يدلُّ على القُرْبِ والامتدادِ مع الدقَّةِ. جاء في الحديث:"الجارُ أحقُّ بصَقَبِهِ"، أي صاحبِه. والصَّاقِبُ: القريبُ. والرجلان يَتَصَاقَبان في المحلَّة، إذا تقارَبا[6].

عقَد ابن جنيّ باباً في الخصائص استعمل فيه هذا اللَّفظ، ويعني به المناسبةَ بين لَفظَين في المعنى لتَنَاسُب الحروفِ بينهما تقارباً، وقد ذكر أنواعاً من هذه المصاقبة. وأخبَر أن من هذا الباب نوعاً من التقارُب هو الذي عُقِد البابُ من أجله، وهو أن تَتَقَارب الحروفُ لتَقَارُب المعاني. وذكر لذلك عدة أمثلة، منها: (الهَزُّ والأزُّ)، (وصَهَل وسَحَل)، فهذه المقابلات بين حروف الكلمات لها تقاربٌ في المعاني ذكرها في الباب. وبَقِيَتْ كلمات دعانا ابن جني إلى التفتيش عنها والتنقير وراءها[7].

واستعمل القرطبيُّ: (المصاقبة) في التنبيه على ما يُحترَز في الذَّال عند مجاورتها القاف، قال:"وكذلك إذا **صَاقَبَتْهَا** القافُ في مثل قوله تعالى: [ذَائِقَةُ المَوْتِ] [فَأَذَاقَهَا اللهُ] فرقِّق اللَّفظَ بها واحرُسْها من شائبةِ الظاء؛ لقُرب المخرج وكَونِ الاستعلاء والإطباقِ متقاربَين"[8].

الجُمَلُ المستعملة في التعبير عن الانسجام بين الأصوات

(1) شرح كتاب سيبويه ل 196/ أ – ب .
(2) مقاييس اللغة ص 398 ولسان العرب 1/ 432 .
(3) الموضح ص 127 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 5 .
(5) سر صناعة الإعراب 2/ 818 .
(6) مقاييس اللغة ص 547 (ص ق ب) .
(7) الخصائص 2/ 145 .
(8) الموضح ص 182 .

استَعمَل الأوائلُ لثمرة تأليف الحرفين ـ بالإضافة إلى ما تقدَّم ـ عدَّةَ تعبيراتٍ صوتيَّة، منها ما هو عامٌّ في الانسجام بين الأصوات مُطلقاً (الإمالة، الإتباع بالحركات، الإبدال، الإخفاء...الخ)، ومنها ما هو خاصٌّ بثمرة تقريب الصَّوتَين في الإدغام الذي هو الأصل في التقريب بين أصوات الحروف، وباقي المواضع محمولةٌ عليه.

استُعملت التعبيرات التالية في الانسجام بين الأصوات:

1 ـ **(الانتِظامُ من مَوضعٍ واحد)**: الخليل[1].

2 ـ **(وقوعُ الألسنة مَوقِعاً واحداً)**: سيبويه[2].

3 ـ **(العملُ من وجهٍ واحدٍ)**: سيبويه[3]. وتابعه: المبرِّدُ[4]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[5]، وابن جنيّ[6]، والدانيّ[7].

4 ـ **(استعمالُ الألسنة في ضربٍ واحدٍ)**: سيبويه[8].

5 ـ **(استعمال الألسنة مرةً واحدةً)**: سيبويه[9]. وتابعَه الرمانيُّ[10].

6 ـ **(الإجراء مجرى واحداً)**: الأخفش[11].

7 ـ **(الجَعلُ على لفظٍ واحدٍ)**: الأخفش[12].

8 ـ **(التناولُ من وجهٍ واحدٍ)**: المبرِّد[13].

9 ـ **(العملُ من موضعٍ واحدٍ)**: ابنُ السرَّاج[14]، وابن خالويه[15]، ومكيّ[1]، والقرطبيُّ[2].

---

(1) العين 4/ 243 .
(2) الكتاب 4/ 130 .
(3) الكتاب 4/ 107 و4/ 146 و 4/ 335 و 4/ 360 و 4/ 365 و 4/ 467 و 4/ 477 و 4/ 479.
(4) المقتضب 1/ 353 و 2/ 110.
(5) الحجة 3/ 137 .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 171 والمنصف 2/ 223 و 2/ 324.
(7) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 12/ أ .
(8) الكتاب 4/ 467 .
(9) الكتاب 4/ 454 .
(10) شرح كتاب سيبويه ل 199/ أ .
(11) معاني القرآن 1/ 235 .
(12) معاني القرآن 1/ 364 .
(13) المقتضب 1/ 360 .
(14) الأصول 3/ 372 .
(15) الحجة ص 71 .

10 . (**اللَّفظُ الواحدُ والقوَّةُ الواحدة**): ابن دريد[3]. (يراجع).

11 . (**اللَّفظ من مَوضعٍ واحدٍ**): ابن خالويه[4].

12 . (**اللَّفظُ من وجهٍ واحدٍ**): ابن خالويه[5]. (يراجع) .

13 . (**ليكون الصَّوتُ من جنسٍ واحدٍ وضربٍ واحدٍ**): أبو عليّ الفارسيّ[6].

14 . (**التوفيق بين الصوتين ليكونا من جهة واحدة**): أبو عليّ الفارسيّ[7].

15 . (**ليكون عملاً واحداً**): أبو عليّ الفارسيّ[8]. وتابعَه مكيٌّ[9].

16 . (**جَعْلُ الصَّوتِ على طريقةٍ واحدةٍ**): أبو عليّ الفارسيّ[10].

17 . (**العملُ والصَّوتُ من وجهٍ واحدٍ وجنسٍ واحد**): ابن جنيّ[11].

18 . (**ليكونَ الصَّوتُ نوعاً واحداً**): ابن جنيّ[12].

19 . (**عملُ اللِّسان مرَّةً واحدةً**): ابن زنجلة[13]. (يراجع)

20 . (**عملُ اللِّسان من جهةٍ واحدة**): ابن زنجلة[14].وتابعَه مكيٌّ[15]. (يراجع)

21 . (**عملُ اللِّسان عملاً واحداً**): ابن زنجلة[16]. وتابعَه: مكيّ[17]، والدانيُّ[18].(يراجع)

---

(1) الرعاية ص 109 .
(2) الموضح ص 153 و 183.
(3) الجمهرة 1/ 12 .
(4) الحجة ص 92 و 114 .
(5) الحجة ص 66 و 235 .
(6) الحجة 1/ 127 .
(7) الحجة 1/ 63 .
(8) الحجة 3/ 137 .
(9) الرعاية ص 216 و الكشف 1/ 34 .
(10) الحجة 3/ 134 .
(11) سر صناعة الإعراب 2/ 584 .
(12) سر صناعة الإعراب 1/ 171 .
(13) الحجة ص 84 .
(14) الحجة ص 192 .
(15) الكشف 1/ 34 .
(16) الحجة ص 87 .
(17) الرعاية ص 176 و 202 و 206.
(18) جامع البيان 3/ 905 .

22 . (**ليكونَ اللِّسانُ من جهةٍ واحدةٍ**): ابن زنجلة[1].

23 . (**عملُ اللِّسان من موضعٍ واحدٍ**): مكيّ[2]. (يراجع)

24 . (**القوَّةُ من جهةٍ واحدةٍ**): مكيٌّ[3].(يراجع).

25 . (**العملُ من جهةٍ واحدةٍ**): الدانيّ[4].

26 . (**العلاجُ من جهةٍ واحدةٍ**) أو (**العلاجُ بالصَّوتِ من جهةٍ واحدة**): الدانيّ[5].

نلاحِظُ من خلال التعبيرات الصوتيَّة الماضية أن أكثرَ ألفاظ سيبويه وُزِّعَتْ على تعبيرات من جاء بعْدَه، وهذه الألفاظ تتركَّز في: (**العمل**)، (**استعمال الألسنة** ⇐ **عمل اللِّسان**)، (**ضَرْب وَاحد**)، (**وجه واحد** ⇐ **جهة واحدة**)، (**مرَّة واحدة**).

. أولاً: صُوَرُ التركيبِ غيرِ المَسْمُوحِ بِه بلا سبب ظاهر:

الألفاظ المستعملة في التنافر بين الحروف وامتناع الانسجام

استُعمِل للتنافُر بين أصوات الحروف وامتناع التأليف عدَّة مصطلحات، منها:

1 . (المعْقُوم)، 2 . (التنافُر)، 3 . (التباعُدُ)، 4 . (التباينُ).

1 . المصطلح الأول للتنافر بين الحروف: (المَعْقُوم)

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويُّ على غُمُوضٍ وضيقٍ وشدَّةٍ. من ذلك قولُهم حربٌ عَقامٌ وعُقامٌ: لا يَلْوي فيها أحدٌ على أحدٍ لشدَّتِها. وداءٌ عُقامٌ: لا يُبْرَأ منه. ومن الباب عَقِمت الرَّحِمُ عُقْماً، وذلك هَزْمَةٌ تَقَعُ في الرَّحِمِ لا تَقْبَلُ الولدَ. ويقال: عَقْلٌ عقيمٌ، للذي لا يُجدي من صاحبِه شيئاً. ويُروى أنَّ العقلَ عقلان: فعقلٌ عقيمٌ، وهو عقلُ صاحب الدُّنيا، وعقلٌ مثمِرٌ، وهو عَقلُ صاحب الآخِرة[6].

استعمل الخليل في امتناع التأليف بين الكلمات، قال:"الضَّادُ مع الصَّادِ **مَعْقُومٌ**، لم تَدْخُلا معاً في كَلِمةٍ من كلام العرب، إلاّ في كلمةٍ وُضِعتْ مثالاً لبعض حِسابِ الجُمَّل، وهي: (صَعْفَض)... فلما قَبُحَتْ في اللّفظ حُوِّلَت الضّادُ الى الصّاد فقيل:(صَعْفَص)"[7].

(1) الحجة ص 139 .

(2) الرعاية ص 109 .

(3) الرعاية ص 206 .

(4) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 8/ أ .

(5) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 8/ أ و 24/ أ.

(6) مقاييس اللغة ص 649 - 650 (ع ق م).

(7) العين 7/ 5 .

2 . المصطلح الثاني للتنافر بين الحروف: (التباعد)

تقدَّم في الألفاظ التي تدلُّ على التباعد بين الحروف.

3 . المصطلح الثالث للتنافر بين الحروف: (التنافر)

تقدَّم في الألفاظ التي تدلُّ على التباعد بين الحروف.

4 . المصطلح الرابع للتنافر بين الحروف: (التباين، المباينة)

تقدَّم في الألفاظ التي تدلُّ على التباعد بين الحروف.

قوانين وقواعد التأليف والانسجام النُّطقيّ بين أصوات الحروف

هذه القوانين تصلُح لبناء نظريَّة لعلم الأصوات العربيّ، وهي قواعد مستخلصة من أقوال العلماء، فمنها:

1 . **(لا يُفَرُّ من ثقيلٍ إلى ما هو أثقَل منه)**: ابن مجاهدٍ[1]، والدانيّ[2].

2 . **(التخفيفُ من سِماتِ كلامِ العرَب)**: الفارسيّ[3].

3 . **(قد يُقَدَّمُ غيرُ الأصلِ على الأصلِ طلباً للتشاكل والتناسُب الصوتيّ)**: الفارسيّ[4].

4 . **(اختيارُ العربِ لكلامِهم فيما استَعمَلوا وفيما أهمَلوا مبنيٌّ في غالبه على الاستِثقَالِ والاستِخْفَاف، سواءٌ في ثِقَلِ اجتماعِ الحروفِ المتقَارِبةِ، أو اختيارهمِ للأخَفِّ في الكلام)**: ابن جنيّ[5].

5 . **(قلبُ الأثقلِ إلى الأخَفِّ سائغٌ مقبولٌ)**: ابن جني[6].

6 . **(القياسُ ألاَّ يُقلَبَ الأخفُّ إلى الأثقَلِ)**: ابنُ جنيّ[7].

7 . **(قد يُهرَبُ من الثقيلِ إلى الأثقلِ لضَرْبٍ من الاستِخفَاف والاحتراز)**: ابن جنيّ[8].

أمثلة: إبقاء اجتماع الواو والياء في: حيَوَان احترازاً عن حَيَّان، ودِيوَان احترازاً عن دِوَّان. والحذفُ لاجتماعِ الأمثال، كـ:هَين ولَين. وإبدال النُّون الساكنة ميماً عند الباء في نحو: (عَنبر)، مع أنَّ الميمَ أثقلُ من

(1) السبعة ص 138.
(2) جامع البيان 2/ 525 .
(3) الحجة 6/ 465 .
(4) الحجة 1/ 70 و 72 .
(5) الخصائص 1/ 77 .
(6) المحتسب 1/ 198 .
(7) المحتسب 2/ 162 .
(8) الخصائص 3/ 18 .

النُّون .

8 . **(إهمالُ بعضِ تراكيبِ اللُّغةِ؛ لِثقَلِ تأليفِ بعضِ الحُرُوفِ)**: ابن جنيّ[1].

مثال: امتناع تأليف المتقاربة (قج، قك).

9 . **(أحسنُ التأليفِ ما بُوعِدَ بهِ بين الحروف)**: ابن جنيّ[2].

10 . **(تقريبُ الحرفِ من الحرفِ يَكُونُ بإيجادِ فروعٍ غيرِ أصول، أوقلبِهِ إلى أصلٍ يُنَاسِبُ الصَّوتَين)**: ابن جنيّ[3].

11 . **(العرَبُ تَستَحْسِنُ تَركيبَ ما تباعَد مخارجُه من الحروف، وتَستَقبِحُ تركيبَ ما تقارَب من الحُروف فتدغِمُه)**: ابن جنيّ[4].

12 . **(يَحْسُنُ تباعُدُ مخارجِ الحُرُوف في التأليف، ويقبُحُ العكسُ)**: ابن جنيّ[5].

مثال: يَقبُحُ: المهَه والضَّغِيغَة، ويحسُنُ: حَديد وجَديد...الخ.

13 . **(العربُ تُقَارِبُ بين الألفاظِ والمعاني بوجودِ الدَّليل)**: ابن جني[6].

14 . **(اجتماعُ حرفين من مخرجٍ واحدٍ عند إرادة التقريب يُحتِّمُ إدغامهما)**: ابن جنيّ[7].

15 . **(قد يُلجَأُ إلى تقريبِ المتباعِدِ من المتباعِد لعِلَّةٍ؛ لأنَّ حقَّهما أن لا يُقَرَّبَ بينهما لحُسْنِ تركيبِ المتباعِدَين مع بعضهما)**: ابن جنيّ[8].

مثال: تفخيمُ الخاء في: (مَسَاليخ)، قلَبنا السين صاداً؛ لتصبح: (مصاليخ)؛ لتفخيم الخاء.

16 . **(يُحتَمَلُ تَقَدُّمُ الضعيفِ على القَوِيّ إذا شُدِّدَ ولم يُبدَأ به)**: ابن جني[9].

17 . **(حُكْمُ المتَجَاوِرَين في المخرجِ أو الصِّفات البدءُ بالأقوى منهما)**: ابن جنيّ[10].

(1) الخصائص 1/ 54 .
(2) سر صناعة الإعراب 2/ 814 .
(3) سر صناعة الإعراب 2/ 816 .
(4) الخصائص 2/ 227 .
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 65 .
(6) المحتسب 2/ 5 .
(7) الخصائص 2/ 230 .
(8) الخصائص 2/ 227 .
(9) سر صناعة الإعراب 2/ 818 .
(10) سر صناعة الإعراب 2/ 818 .

18 . **(إذا تُكُلِّفَ التأليفُ بين المتجاوِرَين فليُبدَأ بالأقوى)**: ابن جنيّ[1].

19 . **(تبدَل الحروفُ من بعضٍ، وتُدغَمُ في بعضٍ؛ للتناسُبِ والقُرب)**: مكّيّ[2].

20 . **(قد يخفَّف الخفيف ويثقَّل الثقيلُ؛ للاطِّرادِ والاضطرابِ)**: مكّيّ[3].

مثال: الهمزة الساكنة هنا لما كانت تجري في التخفيف على سنن واحد وهو البدل خفَّفها كذلك. والمتحركة لما كانت تأخذ عدة صور لتخفيفها حقَّقها ليُجريها على سنن واحد . هذا مؤدَّى كلام مكّيّ والله أعلم.

21 . **(الأكثر في الأصل أن ينقلُ الأضعف إلى الأقوى إذا تقاربت المخارج؛ ليَقوى الكلام، وربَّما خالَف اليسيرُ ذلك لعلة موجبة)**: مكّيّ[4].

22 . **(نَقْلُ الأقوى إلى الأضعفِ عند تقارب المخارج يُضعِف الكلام)**: مكّيّ[5].

23 . **(القَوِيُّ يجذب الضعيفَ إلى نفسه عند المجاوَرَة)**: مكّيّ[6].

24 . **(قوَّةُ الحرفِ بحسب ما فيه من صفات القوَّة وكذلك ضعفُه)**: مكّيّ[7].

25 . **(الثقيلُ هو الحاكمُ على الخَفيفِ في الطَّبعِ والعَادَة)**: الدانيّ[8].

وهو قانون صوتي إنسانيّ عامٌّ بين اللُّغات، إذ من عادة الثقيل أن يؤثِّر على الخفيف.

26 . **(كلما تقاربت المخارج وتدانت كان الإدغام أقوى)**: الدانيّ[9].

27 . **(إخراج الأضعف إلى الأقوى جائز لأنه يقوى به)** الدانيّ[10].

28 . **(مَيْلُ الطبع بالنطق إلى الأسهل)**: القرطبيّ[11].

وهو قانونٌ صوتيٌّ عامٌّ بين اللُّغات.

(1) سر صناعة الإعراب 2/ 814 .
(2) الرعاية ص 216 .
(3) الكشف 1/ 84 .
(4) الرعاية ص 207 .
(5) الرعاية ص 207 .
(6) الرعاية ص 206 .
(7) الرعاية ص 118 .
(8) جامع البيان 2/ 534 .
(9) الإدغام الكبير ص 42 .
(10) الإدغام الكبير ص 42 .
(11) الموضح ص 85 .

29 . **(لا ينتقل من الأخف إلى الأثقل دفعة في المد مع الهمز)**: القرطبيّ[1].

30 . **(الكلفة في تأليف المتجاور ظاهرة، ولذلك يلجأ إلى التخفيف، كالإدغام)**: الخفاجيّ[2].

31 . **(لا يُعدَل من حرف إلى حرف آخر إلا والشَّبَهُ قَوِيٌّ بينهما)**: الخفاجي[3].

الألفاظ المستعملة في التأثيرات والتجاذبات بين أصوات الحروف

استُعمِل لتأثير الحرفِ على الحرف وجَذْبِهِ إليه أو غلبته عليه عدَّة ألفاظٍ، منها:

1 . (الجرّ) 2 . (الاعتماد) 3 . (الاجترار) 4 . (التغليب، الغلَبة) 5 . (الجذب، الاجتذاب) 6 . (التدبير)

1 . المصطلح الأول لتأثير الحرف على الحرف: (الجرّ)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على مَدِّ الشَّيءِ وسَحْبِه وجَذْبِه. يقال: جرَرْتُ الحَبْلَ وغيرَه أَجُرُّهُ جَرّاً. والجَرُّ أيضاً: أصلُ الجبلِ وسفحُه، والجمعُ جِرَارٌ[4].

استُعمِل: **(الجرُّ)** في أكثر من معنى، منها:

1 . الكسرُ 2 . الجرُّ الإعرابيُّ 3 . تأثيرُ الحركات 4 . صلةُ هاء الضمير أو قصرُ الصِّلة 5 . ضمُ ميم الجمع أو صلتُها بواوٍ 6 . إشباع الحركات

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الجرّ) = الكسر

استعمل الصَّحابيُّ الجليلُ بُرَيدةُ بنُ الحَصِيبِ τ لفظ: **(الجرّ)** للتعبير عن حركة الكسر، حدَّث بذلك عبد الله بن بُريدةَ عن أبيه، قال:"كنَّا نُؤمَرُ، أو كانوا يُؤْمَرُونَ، أن نَتَعَلَّمَ القرآنَ، ثمَّ السنَّةَ، ثمَّ الفَرَائِضَ، ثمَّ العربيَّةَ: الحروفَ الثلاثةَ. قلنا: وما الحروفُ الثلاثةُ ؟ قال: الجَرُّ والرَّفعُ والنَّصْب"[5].

وأظنُّهم يَقصِدون تعلُّمَ حركات الإعراب. وهو نصٌّ خطيرٌ يَكشِفُ عن إرهاصات علمِ النَّحْو قبل ظهور نقطِ أبي الأسود الدُّؤليّ.

وكان العلماءُ إلى مجيء سيبويه يستَعملون هذا المصطلح للتعبير عن حركتَي الكسر والجرِّ الإعرابيّ دون التفريقِ بينهما، وظلَّ ذلك مستعمَلاً إلى ما بعد سيبويه عند بعض البصريّين كالأخفشِ وعند الكوفيّين.

(1) الموضح ص 128 .

(2) سر الفصاحة ص 48 .

(3) سر الفصاحة ص 47 .

(4) مقاييس اللُّغة ص 180 (ج ر ر) ولسان العرب 4/ 130 (ج ر ر).

(5) نقَل هذا النصّ أبو العلاء في التمهيد في معرفة التجويد للهمَذانيّ ص 210.

فمن الذين استعملوه لحركة الكسر: إسماعيلُ بن مسلمٍ[1]، والخليل[2]، وحفصُ بنُ سليمان (راوي عاصم)[3]، وورشٌ[4]، وأبو عبيدة مَعمرُ بن المثنَّى[5]، والأخفشُ[6]، وداود بن أبي طيبة، وأبو الأزهر، والأزرق[7]، وأبو حاتمٍ السجستانيُّ[8]، وابن مجاهدٍ[9]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[10].

مثال: قال الخليلُ: "ورَجُلٌ نَخِبٌ في معنى منخُوبٍ، من الجُبْن، الخاءُ مكسورةٌ، ويقال للمَنْخُوبِ: النِّخَبُّ، النُّونُ **مجرورةٌ**، والخاءُ منصوبةٌ، والباءُ شديدةٌ، والجميع: مَنْخُوبُون"[11].

لاحظ أنَّه استعمل: (مكسورة، **ومجرورة**) بمعنى واحدٍ.

ومن هنا سمَّى سيبويه حركةَ الكسرِ بـ: (**الجَرَّة**)، قال:"**والجَرَّةُ** كسرةٌ"[12].

وتابعَه: الدانيُّ[13].

وعلَّل الحريريُّ لمصطلح: (**الجرّ**)، فقال:"وسُمِّي الكسرُ **جَرّاً**؛ لأنَّه من الياء التي تَهْوِي عند النُّطقِ سُفْلاً، فكأنَّهُ مأخوذٌ مِن جَرِّ الجَبلِ، وهو سَفْحُه"[14].

وذكَر أبو البركات ابن الأنباريّ أنَّ **الجَرَّ** من وسطِ الفم[15].

وهو يريدُ مخرجَ حركةِ الكسرِ الذي هو مخرجٌ للياء.

2. المعنى الثاني لـ: (الجَرُّ) = الجرّ الإعرابيّ

استعملَهُ من العلماء: الخليلُ، وسيبويه[16]، وعبَّاسُ بن الفضل[1]، وأبو عبيدة[2]، وأبو زيدٍ[3]،

(1) نقَل ذلك عنه ابن الأنباريّ في إيضاح الوقف والابتدا 1/ 258.
(2) العين 1/ 81 و 3/ 161 و 199 و 204 و 309 و 4/ 67.
(3) نقَل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 211 .
(4) نقَل ذلك عنه الأزهريّ في معاني القراءات 1/ 415 .
(5) مجاز القرآن 2/ 269 .
(6) العَروض ص 112 .
(7) نقَل عنهم ذلك الدانيُّ في المخطوط من فرش الحروف ل 237/ أ .
(8) الأضداد ص 126 .
(9) السبعة ص 156 .
(10) المنتهى ص 594 .
(11) العين 4/ 279 .
(12) الكتاب 4/ 203 .
(13) جامع البيان 3/ 882 .
(14) شرح ملحة الإعراب ص 82 .
(15) أسرار العربية ص 32 .
(16) الكتاب 1/ 13 .

والأخفش[4]، والأصمعيُّ[5]، وابن قتيبة[6]، والمبرِّدُ[7]، والزجَّاجُ[8]، وابن السرَّاج[9]، والخاقانيُّ[10]، وأبو الطيب اللُّغويّ[11]، والدانيُّ[12]، وأبو مَعْشرٍ الطبريُّ[13]، وابن بلِّيمة[14].

مثال: قال الخليل:"وما في الدّار خَلا زَيْداً: نَصْبٌ **وجَرٌّ**"[15].

3 . المعنى الثالث لـ: (الجرّ) = تأثير الحركات

استعمله من العلماء: الخليلُ، قال:"والخِيفةُ: الخَوْفُ، وقد **جَرَّتْ** كسرةُ الخاءِ الواوَ"[16].

وهو نوعٌ من تأثير الحركةِ وتَسَلُّطِها في قَلْبِ ما بعدَها إلى جِنسِها، وفيه إشارةٌ إلى القاعِدَةِ الصَّرفية: "إذا سكنَت الواوُ إِثْرَ كَسرةٍ قُلِبَتْ ياءً"، إذ كان أصلُ الكلمة: خِوْفَة، والله أعلم.

4 . المعنى الرَّابع لـ: (الجرّ) = صلةُ هاءِ الضَّميرِ أوقَصرُ الصِّلة:

إذا استُعمِل هذا المصطلح في هاء الضمير المكسورة مِن غيرِ تقييدٍ احتمَل أن يكون بمعنى وصلِها بياء، فيما يُعرَفُ عند القرَّاءِ بـ: (صلة هاء الضمير)، واحتَمَل أيضاً أن يكون مقتصراً على الكسرة فيما يُعرَفُ عندهم بـ: (قصر صلة هاء الضمير)، وهو الأكثرُ استعمالاً في هذا المصطلح.

ويُساعِدُ السِّياقُ ومراعاةُ النَّظير ـ غالباً ـ في الكشفِ عن المراد. أمَّا إذا قيَّد القارئُ عبارتَهُ، كقولِه عن نحو: [أرْجِهِ]: (**جرّ** الهاء بغيرِ إشباع)، فهذا لا يَحتَمِلُ إلا معنىً واحداً هو قصرُ الصِّلة، أي: الاكتفاء بكسرةِ الهاء دون إتباعِها بياءٍ، والعكسُ صحيحٌ إذا قالوا: (جرّ الهاء مع الإشباع)، وإليك بيانَ ذلك:

---

(1) نقَل ذلك عنه ابن زنجلة في الحجة ص 369 .
(2) مجاز القرآن 1/ 87 .
(3) النوادر ص 257 .
(4) معاني القرآن 1/ 352 .
(5) نقَل ذلك عنه الزجاجيّ في مجالس العلماء ص 193 .
(6) تأويل مشكل القرآن ص 530 .
(7) المقتضب 1/ 142 .
(8) معاني القرآن وإعرابه 1/ 41 .
(9) الأصول 1/ 45 .
(10) منظومة الخاقاني ص 24 .
(11) مراتب النحويّين ص 24 .
(12) التيسير ص 160 .
(13) التلخيص ص 249 .
(14) تلخيص العبارات ص 81 .
(15) العين 4/ 308 .
(16) العين 4/ 313 .

من الجُمل التي شاركَ فيها هذا المصطلح في التعبير عن صلة هاء الضمير:

1 . (**جرُّ** الهاء مع الإشباع): من قول حفصِ بن سليمان في روايته عن عاصمٍ في نحو: [يَأْتِهِ] و: [نُوَلِّهِ][1].

وتابعَه: أبو عمر هبيرةُ بنُ محمَّدٍ التمَّار[2].

2 . (**جرّ**ُ الهاءِ ووصلُها بياءٍ): من قول ورشٍ في صلة هاء: [أرجِهِ][3].

وتابعَه: ابن زنجلة[4].

3 . (**جرُّ** الهاءِ كسراً): من قولِ هارونَ بنِ موسى الأخفش الدمشقيّ في: [اقْتَدِهِ][5].

ولعلَّ الكسرَ هنا بمعنى الياءِ، والله أعلم.

4 . (**المجرورُ** بياءٍ في اللَّفظ): الأزهريُّ[6].

5 . (قد **تجُرّ**ُ الضمَّةُ واواً في اللَّفظ، والكسرةُ ياءً، وذلك مع هاء الضمير): ابن رشيق القيروانيّ[7].

ومن الجمل التي شاركَ فيها مصطلح: (الجرّ) في التعبير عن قصرِ صلةِ هاءِ الضميرِ:

1 . (**جرُّ** الهاء بغيرِ إشباعٍ): من قول حفصِ بن سليمان في روايته عن عاصمٍ في نحو: [وَيَتَّقْهِ][8].

2 . (**جرُّ** الهاء ولا يُشبِعُها): من قول أبي هشامٍ الرفاعيّ في: [يَأتِهِ][9].

ومن الألفاظ العامَّة التي شاركَ فيها السياق ومراعاة النَّظير في الكشف عن المرادِ:

1 . (**مجرورةُ** الهاء): من قولِ قالون في صلة هاء: [عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ]،

علَّق الدانيُّ على هذا التعبير مبيّناً أنَّ استعمالَ مصطلحِ: (**الجَرّ**) في هاء الضمير يَحتَمِل كسرَها، ويحتمِلُ صلتَها بياء، وقد رجَّح هذا الأخيرَ في تعبير قالون بحسب النظائر التي ذكرَها له، قال:"وقولُه: (**مجرورة**)، محتَمِلٌ أن يكونَ أرادَ بالجَرِّ صلةَ الهاءِ، وأن يكونَ أرادَ به كسرَها، وقد قالَ في أوَّل البقرةِ: الهاءُ مِن [فيهِ]،

(1) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 211 .

(2) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 211 .

(3) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 287 والأزهريُّ في معاني القراءات 1/ 415 .

(4) الحجة ص 290 .

(5) نقل ذلك عنه الدانيّ في جامع البيان ل 136/ أ .

(6) معاني القراءات 1/ 415 .

(7) العمدة 1/ 160 .

(8) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 211 .

(9) نقل ذلك عنه الدانيّ في جامع البيان ل 134/ ب.

و[عَلَيْهِ] مَبطوحةٌ، لا يُبَيِّنُ الياءَ في قراءتها، والله أعلم .

وممَّا يَدُلُّ عندي على أنهُ أراد **بالجرّ** الصِّلةَ دون الكسرِ قولُه عنهُ في سورة النِّساء في [نُصْلِهِ]: **غيرُ مجرورٍ**، يعني: غيرَ موصولِ الهاءِ.

فكَمَا أرادَ ههُنا **بغير الجر** حذفَ الصِّلةِ ولم يُرِدْ به الكسرَ . مِن حيث كانت الهاءُ مكسورةً بإجماعٍ . كذلكَ أرادَ **بالجرّ** ههنا إثباتَ الصِّلةِ لا غير"(1).

2 . (كان **يَجُرُّ** الهاء... وكان أكثر قراءته **الجرَّ**): مِن قولِ أبي عمر الدوريّ في روايته عن عاصم في: [يُؤَدِّه]، [نُوَلِّهِ]، [نُصْلِهِ](2).

وهذا يحتملُ الصِّلةَ وقصرَ الصِّلة.

3 . من الجُمل التي استُعمِل فيها: (**جرّ** الهاء)، وكان المقصودُ قصرَ الصِّلةِ قولُ ابنِ مهرانٍ عن مذهب أبي جعفر وقالون ويعقوب في هاء: [أرجِهِۦ] و [فَأَلْقِهِۦ]: "**يجُرُّهُما** يزيدُ وقالونُ ويعقوبُ، غير زيدٍ؛ يَخْتَلِسُونَهما"(3).

فقولُه: (يختَلِسونَهُما) هو أحدُ الألفاظِ المستعمَلةِ لقَصْرِ صلةِ هاء الضمير، وهو الذي بيَّن المرادَ مِن: (**يَجُرُّهما**)، والله أعلم.

5 . المعنى الخامسُ لـ: (الجَرّ) = ضمُّ ميمِ الجمعِ أو صلتُها بواوٍ

كما استَعمل بعضُ العلماء: (**جرَّ** الهاء) للتعبير عن صلةِ هاء الضمير أوقصرِها استَعمَل بعضٌ آخَر هذا المصطلح للتعبيرِ عن ضَمِّ ميمِ الجمعِ أو ضمِّها مع وصْلِها بواوٍ فيما يُعرَف عند القرَّاءِ بـ: صلة ميم الجمع.

فاستَعمل ورشٌ، ويونسُ بنُ عبد الأعلى، ومَوَّاسُ بنُ سهلٍ: (**جَرَّ** الميم) للتعبير عن صلة ميمِ الجمعِ، بغضِّ النظَر عن الزِّيادة في مدِّها، قال الدانيُّ:"قال يونسُ: أقرأني عثمانُ [ورش]: [سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأنذَرْتَهُمْ] **بِجَرِّ** الميمِ إذا لَقِيت الألفَ [الهمزةَ]، قال: وقال لي عثمانُ: إن شِئتَ **تَجُرُّها**، وإن شئتَ وقَفْتَها [أسكنتَها]... قال محمدُ بنُ الرَّبيع: وقال لي موَّاسُ بنُ سهلٍ المقرئ: **تُجَرُّ** الميمُ إذا لقِيتْ ألفاً أصليةً" اهـ.

علَّق الدانيُّ على هذا التعبير، ومبيِّناً أنَّ استعمالَ مصطلحِ: (**الجَرِّ**) في ميم الجمع يَحتَمِل ضمَّ ميم الجمع، ويحتمِلُ صلتَها بواوٍ، بحسب السِّياقِ الذي وردَ فيه هذا المصطلح، قال:"وفي عِبَارَتِه عن الضمِّ **بالجَرِّ** تجوُّزٌ، ذلكَ جائزٌ فيما تُلْحَقُ فيه الميمُ واواً في اللَّفظ لا غيرَ، كأنه عبارةٌ عن الصِّلةِ والمطِّ، فأمَّا ما لا تُلْحَقُ فيه واواً

(1) انظر تعبير قالون والتعليق عليه في جامع البيان 2/ 435.

(2) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 211 والدانيّ في جامع البيان ل 136/ أ .

(3) الغاية ص 215 .

فَلا مَعنَى **للجَرّ** فيه إلا ما يُفْهَمُ من مُرادِ الضمّ بذلكَ، على أنَّه رُبَّما أشْكَلَ على السَّامِعِ فتَوَهَّمَ أنه يُرادُ به الكسرُ الذي هو عدولٌ عن المذهبِ وخروجٌ عن الأصل"[1].

وهذا النصُّ يخدُم القرَّاءَ المعاصرين في تأصيلِ رواياتِهم، ويَكشِف لهم كيف كان المتقدِّمون من شيوخِ القرَّاء يُعبِّرون عن قراءاتِهم.

6 . المعنى السادسُ لـ: (الجَرّ) = إشباعُ الحركات

استَعمله من العلماء: ابن رشيقٍ القيروانيُّ، قال:"ومن العربِ مَن في لغتِه أن يَقِفَ على إشباعِ الحركة: **فتجُرُّ** الضمَّةُ واواً، والكسرةُ ياءً، والفتحةُ ألفاً، فيُنشَدُ هذا كلُّه موصولاً من غيرِ قَصْدِ غناءٍ ولا ترنُّم"[2].

2 . المصطلح الثاني لتأثير الحرف على الحرف: (الاعتماد)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

3 . المصطلح الثالث لتأثير الحرف على الحرف: (الاجترار)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على مَدِّ الشَّيءِ وسَحْبِه وجَذْبِه. يقال: جرَرْتُ الحَبْلَ وغيرَه أَجُرُّهُ جَرّاً. والجَرُّ أيضاً: أصلُ الجبلِ وسفحُه، والجمعُ جِرَارٌ[3].

استعمله من العلماء: الخليلُ، قال عن تأثير الحركةِ في قَلْبِ ما بعدَها إلى جِنسِها:"وتقولُ: قد تَسَيْطَرَ علينا فلانٌ، وتقول: سُوطِرَ يُسَيْطِرُ في مجهولِ فِعلِه... ومن اليقين أُوقِنَ يُوقَنُ، فإذا جاءتْ ياءٌ ساكنةٌ بعْدَ ضمةٍ لم تَثْبت، ولكنَّها **يَجترُّها** ما قبلها فَيُصَيِّرُها واواً في حال"[4].

4 . المصطلح الرَّابع لتأثير الحرف على الحرف: (التغليب، الغَلَبة)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على قوَّة وقهرٍ وشدَّةٍ. من ذلك: غَلَب الرجلُ غَلْباً وغَلَباً وغَلَبةً. والمِغَلَّبُ: الذي غَلَبَ خَصْمَهُ، أي: جُعِلَتْ له الغَلَبة[5].

استعمله من العلماء: الخليل، وسيبويه[6]، والفرَّاء[7].

قال الخليل عن تاء الافتعال التي تُقلبُ ظاء أو طاءً:"وظُلِمَ فلانٌ فاظَّلَمَ، أي احتَمَلَ الظُّلْم بطِيب نفْسِه،

(1) انظر التعبير والتعليق في جامع البيان 2/ 375 .
(2) العمدة 2/ 312 .
(3) مقاييس اللُّغة ص 180 (ج ر ر) ولسان العرب 4/ 130 (ج ر ر).
(4) العين 7/ 210 - 211 .
(5) مقاييس اللغة ص 773 (غ ل ب).
(6) الكتاب 4/ 460 .
(7) معاني القرآن 1/ 215 - 216 .

افتَعَلَ وقياسه اظتَلَمَ، فشُدَّدَ وقُلِبَتْ التاءُ طاءً فأُدْغِمَت الظاءُ في الطاء، وان شِئْتَ **غلَّبْتَ** الظاءَ كما **غَلَّبْتَ** الطاءَ"[1].

5. المصطلح الخامس لتأثير الحرف على الحرف: (الجَذْبُ والاجتذاب)

يدلُّ الأصلُ اللُّغويُّ على بَتْرِ الشيءِ. يقال: جَذَبْتُ الشيءَ أجْذِبُهُ جَذْباً[2].

استعمله: ابن جنيّ، ومكّيّ[3]، والدانيّ[4]، والقرطبيّ[5]، وابن بليمة[6].

مثال: قال ابن جنيّ عن سبب إبدال المستفِل إلى مستعلٍ في نحو: صَقَر التي أصلُها سَقَر:"وذلك أنَّ حروفَ الاستعلاء **تَجْتَذِبُ** السِّينَ عن سَفَالِها إلى تعالِيهنَّ، والصَّادُ مستعليةٌ. وهي أختُ السينِ في المخرجِ"[7].

6. المصطلح السادس لتأثير الحرف على الحرف: (التدبير، المُدَبَّر)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على آخر الشيءِ وخَلفُهُ، خلافُ قُبُلِهِ. دَبَرَ النَّهارُ وأدْبَرَ، وذلك إذا جاءَ آخِرُهُ، وهو دُبُرُهُ. ودَبَّرْتُ الحديثَ عن فلانٍ: إذا حَدَّثْتُ به عنهُ؛ لأنَّ الآخِرَ المحَدِّثَ يَدْبُرُ الأوَّل، يَجيءُ خَلْفَهُ. وقطَع الله دَابِرَهم: أي آخِرُ مَن بَقِي منهم. والتدبير أن يُدَبِّرَ الإنسانُ أمْرَه، وذلك أنَّه يَنظُرُ إلى ما تَصير عاقِبتُه وأمْرُه.

وهو في الأصواتِ من تأثير الصَّوت السَّابقِ على اللاَّحِق، مثل تدبير الحديث.

استعمله من العلماء: ابن جنيّ[8]، وطاهر بن غَلْبون[9]، ومكيّ[10]، والمالكيّ[11]، والدانيّ[12]، وابن بلّيمة[13].

(1) العين 8/ 163 .
(2) مقاييس اللُّغة ص 192 (ج ذ ب)
(3) الرعاية ص 165 و 207.
(4) الموضح في الفتح والإمالة 8/ أ.
(5) الموضح في التجويد ص 145 و 168 و 176.
(6) تلخيص العبارات ص 51.
(7) المحتسب 2/ 168.
(8) الخصائص 3/ 154 .
(9) التذكرة 1/ 173 - 174 .
(10) الكشف 1/ 102 - 103 .
(11) الروضة 1/ 309 .
(12) جامع البيان 2/ 534 و 541 و 548 و 577، والموضح ل 1/ أ و 39/ ب .
(13) تلخيص العبارات ص 36 .

مثال: قال الدانيُّ عن إبدال الهمزة المتطرفة حرفَ مدٍّ في نحو [ذَرَأَ] عند الوقف عليها عند بعض القرَّاء:"وأمَّا المتحرِّكةُ فإنَّ ما قبْلَها يكون متحرِّكاً وساكناً. وإذا كان متحرِّكاً أبْدلاها في جميعِ وجوهها وحركاتِها حرفاً خالِصاً من جنس تلك الحركةِ؛ لأنَّها **تُدَبِّرُها** لقوَّتِها، فإن كانت فتحاً أبدلاها ألفاً... وإن كانت كسراً أبدلاها ياءً... وإن كانت ضمّاً أبدلاها واواً... سواء تحرَّكت بالفتح أو الكسر أو الضَّمِّ، فإنَّها تُسَهَّلُ على حركةِ ما قبلها دون حركتِها لتطرُّفِها؛ إذ كانت تَسكُنُ عند الوقف **فدبَّرَتْها** تلك الحركةُ كما **تُدَبِّرُ** السَّاكنةَ"[1].

خلاصةُ هذا النصِّ هو في تأثير الحركة السابقة على الهمزة في إبدالِها إلى جنسِها، أي إلى حرف مدٍّ.

ظواهر طلب التخفيف:

هناك ظواهر صوتيَّة عديدة استعملتها العرب في سبيل طلبِ التخفيف بين أصوات الحروف، منها:

1 . الإدغام 2 . الإتباع 3 . تقريب الحروف الأصلية من بعضِها، كتقريب ألف المدّ من الياء والواو 4 . نقل الحركة 5 . علاقة الحركات بحرف المدّ

الظاهرة الأولى من ظواهر طَلَب التخفيف بين الحروف: الإدغام:

الجهة الأولى: الألفاظ المستعملة للإدغام

ظاهرةُ الإدغام من أعظم ظواهر التخفيف، والتقريبِ بين الأصوات. جعَلها سيبويه الأصل في طلب التخفيف، وكان . في الغالب . يُرجِعُ كلَّ أنواع التقريب إليها من إمالةٍ وتسهيل وإخفاء... الخ.

استعملت لهذه الظاهرة عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (الإدْغَامُ) 2 . (الانحِشَاءُ) 3 . (اللَّفيفُ) 4 . (الإدخالُ، الدُّخول) 5 . (الإخفَاءُ) 6 . (الاخْتِلاَسُ) 7 . (الإخْمَادُ) 8 . (الإطْفَاءُ) 9 . (الإدغامُ الأكبرُ) 10 . (الدَّفْنُ)

1 . المصطلح الأوَّل لظاهرة الإدغام: (الإدغام)

من المشترك اللَّفظيّ. من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على دخول شيءٍ في مدخَلٍ مَّا. كقولهم: أَدْغَمتُ الفرسَ في فمِ اللِّجامِ. وجعَل الزمخشريُّ إدغامَ الحرف في الحرفِ من المجاز[2].

استُعمل لفظ: (الإدغام) في أكثر من معنى، منها:

1 . إدخالُ الحرف في الحرف. 2 . إخفاء الحركة 3 . إخفاء الميم عند الباء 4 . تسهيل الهمزة بين بين 5

(1) جامع البيان 2/ 577 - 578 .

(2) مقاييس اللغة ص 339 (د غ م)، وأساس البلاغة ص 190 .

. حذف الهمزة 6 . مشاركٌ في التعبير عن عيوب النُّطق.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإدغام) = إدخال الحرف في الحرف:

وهو الأصل فيه. استعمله كثيرٌ من العلماء لا يُحصَوْن، منهم: أبو عمرو بن العلاء[1]، والخليل[2]، وهارونُ الأعور[3]، وابن جمَّاز[4]، وسيبويه[5]، وإسماعيل بن جعفر القارئ[6]، والفرَّاء[7]، والأخفش[8]، وخلفُ بن هشام[9]، وهشام بن عمَّار[10]، والدانيُّ[11]، وأبو العلاء الهمذانيُّ[12]، وغيرهم. ولم يَنقطِع اتصالُ هذا المصطلح بهذا المعنى إلى آخر الفترة.

مثال: قال أبو عمرو بن العلاء:"**الإدغامُ** كلامُ العرب الذي يَجري على ألسنتِها لا يُحسِنُون غيرَه، وتَصديقُ ذلك في كتاب الله عزَّ وجلّ: [فَهَل مِن مُدَّكِر] و [اطَّيَّرْنا بك] و [اثَّاقَلتُمْ] وفي [اضْطُرَّ] وكلُّ شيءٍ نحو [بسم الله الرحمن الرَّحيم]، ما أذهب اللاَّم؟ أليس **لإدغامِها** في الرَّاء. قال: **والإدغامُ** لا يُنقِصُ من الكلامِ شيئاً؛ لأنَّكَ إذا **أَدغَمتَ** شدَّدتَ الحرفَ فلم تُنقِصْ شيئاً. قال: والعربُ إنَّما **تُدغِم** ليكونَ أخفُّ، فإذا كان **الإدغامُ** أثقلَ من التَّمامِ أتَمُّوا"[13].

هذا النصُّ أحد النُّصوص القديمة الخطيرة عن أحد جهابذة القراء من رؤساء المذهب النحويِّ البصريّ، بيَّن فيه أبو عمرو أنَّ ظاهرة الإدغام ظاهرةٌ منتشرة معروفة في أوساط العرب، وهو كلامهم الذي تجري به ألسنتهم. ووضَّح أنَّ هذا الإدغام إنَّما المقصود منه التخفيف فإذا انتقَضَ شرطُ التخفيف رجَعت الكلمة إلى أصلها وهو الإظهار الذي عبَّر عنه بـ: (التمام)، وأظهَر أنَّ هذا الإدغامَ لا يَبخسُ الحروف حقَّها ولا يُنقِصُها لأنَّ التشديد في وزن حرفَين كما كان في المظهَر، غاية الأمر أنَّه غُيِّر إلى جنسِ ما يليه، مع تشديدهما معاً.

(1) نقله عنه الداني في الإدغام الكبير ص 39.
(2) العين 5/ 236 .
(3) السبعة ص 410 .
(4) السبعة ص 114 .
(5) الكتاب 4/ 104 و 431 .
(6) السبعة ص 114 .
(7) معاني القرآن 1/ 75 .
(8) معاني القرآن 2/ 533 .
(9) جامع البيان 2/ 681 .
(10) جامع البيان 2/ 682 .
(11) التحديد ص 70 .
(12) التمهيد ص 237 .
(13) الإدغام الكبير للداني ص 39.

2 . المعنى الثاني لـ: (الإدغام) = إخفاء الحركة:

استعمله من العلماء: سيبويه، قال:"وممَّا قالت العربُ في **إدغامِ** الهاءِ في الحاءِ قوله:

كأنَّها بعد كَلالِ الزَّاجِرِ ومَسِحِّي مرُّ عُقابٍ كاسِرِ

يريدون: وَمَسحِهِ"[1].

قال الأستاذ عبد السلام هارون . رحمه الله تعالى . في هامش النصِّ:"والشاهدُ فيه إخفاءُ الهاءِ في: (ومسحه)، وسيبويه يُسَمِّيهِ **إدغاماً**، وهو يعني الإخفاءَ؛ لأن الإخفاءَ عندَهُ ضرْبٌ من **الإدغام**، وإلاَّ فإنَّ **الإدغامَ** لا يَجوزُ في البيتِ؛ لئلاَّ يَنكَسِرَ البيتُ" اهـ

أظنُّ أنَّ الإخفاء هنا هو نوعٌ من اختلاس الحركة، وقد سمَّى الفراء هذا الاختلاس في أحد نصوصه **إدغاماً خفيّاً**[2].

واعترض الأخفشُ والمبرِّدُ على تعبيرِ سيبويه عن إخفاءِ الهاءِ **بالإدغام**. ودافَعَ عنه ابنُ ولاَّد، وأبو عليّ الفارسيّ، والرمانيُّ[3]، وابن جنيّ[4].

والمشكِلُ في النصِّ هو كيفيَّة النُّطق بهذا الإخفاء: هل هو اختلاسٌ لحركةِ الهاءِ ؟ أم النُّطق بشِبهِ همزةٍ مسهلةٍ مكسورةٍ؟ أم بياءٍ مُبْدَلةٍ من الهاءِ ؟ وعلى كلٍّ فالسَّبب من إيراد هذا الشاهد عند سيبويه هو امتناعُ إدغام حرفٍ حلقيٍّ في حرفٍ أعمَقَ منه في المخرج، وجواز ذلك في حرفٍ من مخرجه أو فيما بعدَهُ باتجاه الفم .

3 . المعنى الثالث لـ: (الإدغام) = إخفاء الميم عند الباء:

استعمله من العلماء: يحيى اليزيديُّ، وهو راوي أبي عمرو بن العلاء في القراءة، حيث سمَّى إخفاءَ الميم . عند من أسكنَها . عند الباءِ في نحو قوله تعالى: [بِأَعْلَمْ بِالشَّاكِرِينَ] **إدغاماً**[5].

وتابعه: الوليدُ بنُ حسَّان[6] . ممَّن رَوى عن يعقوب الحضرميّ . وأبو الفضل الخزاعيُّ[7].

قال الدانيُّ موضِّحاً مجازَ هذا اللَّفظ:"وتَرْجَمَ اليزيديُّ وغيرُه من الرُّواةِ والمصنِّفِين عن هذه الميمِ **بالإدغام**

(1) الكتاب 4/ 450 .
(2) معاني القرآن 1/ 18 .
(3) شرح كتاب سيبويه ل 198/ أ .
(4) انظر: الانتصار لسيبويه على المبرد ص 268 ، والحجة لأبي علي الفارسي 2/ 396، واللسان 5/ 141.
(5) جامع البيان 2/ 424 . وانظر: الإدغام الكبير ص 81 .
(6) نقل ذلك عنه المالكيُّ في الروضة 1/ 374 .
(7) المنتهى ص 169 .

على سَبيل المجازِ وطريقِ الإتْبَاعِ، لا على الحقيقة إذ كانتْ لا تُقْلَبُ باءً بإجماعٍ مِن أهلِ الأداءِ، وإنما تَسْقُطُ حركتُها تخفيفاً، فتَخفى بذلك لا غير، وذلك إخفاءٌ للحرفِ لا إخفاء للحركة. فأمَّا **إدغامُها** أو قَلْبُها فغيرُ جائزٍ؛ للغُنَّة التي فيها إذ كان ذلك يُذهِبُها فتَحْتَلّ لأجْلِهِ"(1).

4 . المعنى الرابع لـ: (الإدغام) = تسهيل الهمزة بين بين

لما كان الإدغامُ معناه عدمُ الظُّهورِ ساغَ لبعضِ العلماء أن يُعبِّر به عن تسهيل الهمزة بينَ بين، استَعمَل ذلك من العلماء: داودُ بن أبي طيبة، وأبو الأزهر عبد الصَّمد بن عبد الرَّحمن، وأبو يعقوب الأزرق في روايتهم عن ورشٍ حيث عبَّروا بلفظِ (**الإدغام**) عن تسهيل الهمزة الثانية في نحو: [هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ] و [شُهَدَاءَ إِذْ]، قالوا:"وإذا كانت الهمزةُ الأولى آخرَ حرفٍ والثانيةُ أوَّلَ حرفٍ بيَّنَ الأولى **وأدغَمَ** الثانية" اهـ.

قال الدانيُّ:"يريدون **بإدغامِها** تَلْيينَها وتقريبَها من الحرفِ الذي منه حركتُها"(2).

5 . المعنى الخامس لـ: (الإدغام) = حذف الهمزة

لما كان الإدغامُ معناه عدمُ الظُّهورِ ساغَ لبعضِ العلماء أن يُعبِّر به عن حذفِ الهمزةِ من اللَّفظ، استَعمَل ذلك من العلماء أحمدُ بنُ جُبيرٍ الأنطاكيُّ حيث عبَّرَ بلفظ: (**الإدغام**) عن حذف الهمزة ونقلِ حركتِها إلى اللاَّم الساكنةِ قبلها في: [عَادًا الأُولَى] لتُصبِح في النُّطق (عَادَنِ لُولَى)، إذا كان مذهبُه القراءة بلا إدغام، قال ابن جبُيرٍ في مختصره في روايته مذهبَ ابن العلاء:"أنَّه **أَدْغَمَ** همزة فاء الفِعل".

وكان استعمالُ هذا اللَّفظ في هذا الموضعِ غريباً على بعضِ القرَّاء حتى قال عنه أبو طاهر بنُ أبي هاشم: "وهذا مِمَّا لا يُعقَل".

قال الدانيُّ معلِّقاً:" قولُ ابنِ جبيرٍ معقولٌ مفهومٌ، وذلك أنَّهُ جَعَلَ الإدغامَ عبارةٌ عن تَسهيلِ الهمزةِ، وإلقاءِ حركتِها على اللاَّمِ الساكنةِ قبلَها في ذلك، كما جعَلَه أصحابُ ورشٍ عبارةً عن تَلْيِينِها وجَعْلِها بينَ بينَ في نحو: [أَإِلَهٌ] و [أَؤُنَبِّئُكُم] وشِبْهِه، فقالوا: (كَما تُلَيَّنُ الأولى وتُدْغَمُ الثانيةُ). وذلك من حيث عُدِمَتْ مِن اللَّفْظِ في حالِ الإلقاءِ وذَهَبَ مُعْظَمُ صَوْتِها في حال التليينِ كعَدَمِ الحرفِ المُدْغَمِ وذَهَابِه إذا أُدْغِم، أو ضَعُفَ الصَّوتُ بحرَكَتِهِ، فلمَّا اشتَرَكَا في الذَّهَابِ وعَدَمِ الظُّهورِ عُبِّرَ عنهُما بعِبَارةٍ واحدةٍ على مذاهبِ العرَبِ في تسميةِ الشَّيءِ بِاسْمِ الشيءِ إذا أَشْبَهَهُ في بعضِ معانيهِ، وذلك مجازٌ واتِّساعٌ"(3).

وهذا القول من أبي طاهر بن أبي هاشم يدلُّك على فقدان شرط القَصْد لهذا المصطلح ـ الذي تحدَّثتُ عنه في أوَّل الدِّراسة ـ وهو الممارسةُ الفعليَّة لهذا اللَّفظ بهذا المعنى، أو هو من قبيل المواضعة الفرديَّة التي

(1) جامع البيان 2/ 424 . وانظر إدغام القراء للسيرافي ص 5- 6 .

(2) نقل الدانيُّ هذا التعبير عنهم والتعليق عليه في المطبوع من جامع البيان 2/ 515 . وانظر: 2/ 496 .

(3) نقل الدانيُّ هذا التعبير عنه والتعليق عليه في المخطوط من جامع البيان ل 230/ ب - 231/ أ.

خالَفَت ما تَعرفه المجموعةُ من دلالةٍ لهذا اللَّفظ، أعني الإدغام.

6 . المعنى السادس لـ: (الإدغام) = مشاركٌ في التعبير عن عيوب النُّطق:

استعمله الكنديُّ، قال عن المرض الكلامي الذي يُسبِّبه زيادة عضو النُّطق كعيبٍ خَلْقيٍّ:"فأمَّا علَّة زيادة العُضو المنطقيّ فتكونُ من البرْدِ والرُّطوبة، أو من الحرارة والرُّطوبة، **فتُدْغِمُ** آلةُ الطبيعة أكثرَ ممَّا يَجِب له من المقدار، فيَغلُظُ العُضوُ ويَكبُر، ويَفسُدُ النُّطقُ لذلك، وذلك أنَّه يَسترخي"[1].

2 . المصطلح الثاني لظاهرة الإدغام: (الانحِشاء)

أصلُه أن يُودَعَ الشيءُ وِعاءً باستِقصاء. قال الخليلُ: الحَشْوُ: ما حَشَوْتَ به فراشاً وغيره. والحَشِيَّةُ: الفراش المِحْشُوّ. واحتَشَيْتُ: بمعنى امتلأتُ[2].

استعمله الخليلُ، قال:"وتقول: **انحَشَى** صوتٌ في صوتٍ، **وانحشَى** حرفٌ في حرفٍ"[3].

3 . المصطلح الثالث لظاهرة الإدغام: (اللَّفيف)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على تَلَوِّي شيءٍ على شيءٍ. يقال: لَفَفْتُ الشيءَ بالشيءِ لَفًّا، ولَفَفْتُ عمامتي على رأسي، ويقال: جاء القومُ ومَن لَفَّ لَفَّهم، أي مَن تأشَّبَ إليهم، كأنَّه التفَّ بهم، ويقال للعَيِيّ: ألَفُّ، كأنَّ لسانَه قد التفَّ، وفي لسانِه لَفَفٌ. والألَفُّ: الذي تدانى فَخِذاه من سِمَنه، كأنَّهما التفَّتا. ويقال للرَّجل الثقيل البطيء: ألَفُّ. واللَّفيفُ: ما اجتمع من النَّاس من قبائل شتى. والألفاف: الشَّجَرُ يَلْتَفُّ بعضُه ببعضٍ[4].

استعمله الخليلُ، قال:" **اللَّفيفُ**: أنْ **تَلُفَّ** الحَرْفَ بالحَرْفِ، أي تُدْغِم"[5].

4 . المصطلح الرَّابع لظاهرة الإدغام: (الإدخال)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الوُلوجِ. يقال دخَلَ يدخُلُ دُخولاً. ويُعدَّى بالهمزة فيقال: أَدْخَلْتُ زيداً الدارَ إدخالاً[6].

استُعمل: **(الإدخال)** في أكثر من معنى، منها:

1 . الإدغام وشاركه: (الدُّخول) 2 . الإبدال

(1) رسالة في اللُّثغة ص 531 .

(2) العين 3/ 260 ، ومقاييس اللغة ص 246 (ح ش و) أو (ح ش ي).

(3) العين 3/ 260 .

(4) مقاييس اللغة ص 902 - 903 (ل ف ف).

(5) العين 2/ 270 .

(6) مقاييس اللغة ص 359 (د خ ل).

1 . المعنى الأول لـ: (الإدخال، الدُّخول) = الإدغام

استعمله من العلماء: سيبويه[1]، والأخفش، والفرَّاء[2]، وأحمد بن صالح[3]، والدانيُّ[4].

مثال: قال الأخفش:" وقد قال بعضهم: (مُذَّكِر)، فأَبدَل التاءَ ذالاً، ثم **أَدخَل** الذالَ فيها"[5].

2 . المعنى الثاني لـ: (الإدخال) = الإبدال

استعمله الفرَّاء في إبدال تاء الافتعال طاء، قال:"قال بعضُ العرب: أَحَطُّ، **فأَدْخَلَ** الطاءَ مكانَ التاء"[6].

5 . المصطلح الخامس لظاهرة الإدغام: (الإخفاء)

مصطلحٌ كبير، وظاهرةٌ من ظواهر طلبِ التخفيف.

من المشترك اللَّفظيّ. من أصله أن يدلَّ على السِّتر. خَفِيَ الشيءُ يَخْفَى، وأخفيتُه: إذا سترتَه[7].

استعمل: (الإخفاء) في أكثر من معنى، منها:

1 . إخفاء النُّون عند الحروف الخمسة عشر 2 . إخفاء الحركة والإسراعُ بها 3 . (الإدغام بغنة، قلبُ النُّونِ ميماً، الإخفاء عند الخمسة عشر، إخفاء الميم الساكنة عند الباء) 4 . إدغام الباء في الميم 5 . الإدغام 6 . الإدغام مع بقاء أثر من الحرف الأوَّل 7 . إخفاء الميم عند الباء.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإخفاء) = إخفاء النُّون عند الحروف الخمسة عشر:

استعمله كثيرٌ من العلماء، منهم: سيبويه، وهو واضعُ هذا المصطلح بهذا المعنى، وناشرُ معانيه، ولا يكادُ يَخرجُ كلامُ مَن جاء بعده عن كلامِه إلاَّ في توضيح بعض الألفاظ.

وتابعه: المبرِّد[8]، وابن السرَّاج[9]، وابن مجاهد[10]، وابن جنيّ[11]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[1]، والدانيُّ[2]،

(1) الكتاب 4/ 467 .
(2) معاني القرآن 2/ 353 .
(3) جامع البيان للدانيّ 2/ 721 .
(4) الإدغام الكبير ص 40 .
(5) معاني القرآن 2/ 591 .
(6) معاني القرآن 2/ 289 .
(7) مقاييس اللغة ص 306 (خ ف ي).
(8) المقتضب 1/ 350 .
(9) الأصول 3/ 415 .
(10) السبعة ص 406 .
(11) الخصائص 1/ 365 .

ومكيّ[3]، وأبو العزّ القلانسيّ[4].

وهذا الإخفاء هو الحُكمُ المعروف عند أكثر الناس إلى زمننا الحاضر، وهو أحدُ أحكام النُّون الساكنة والتنوين، ويَقضي بأن تَخفى ذاتُ النُّون، وهو مخرجها من الفم، وتبقى غُنَّتُها، أي مخرجها من الأنف، إذا جاء بعدها أحد حروف اللِّسان الخمسة عشر، وهي: القاف والكاف، والجيم والشين والضاد، والطاء والدال والتاء، والصاد والسين والزاي، والظاء والذال والثاء، والفاء.

وكان الرمانيُّ قد شرح كلامَ سيبويه عن هذه النُّون[5]، ورَفَعَ إشكال وضع اللِّسان عند هذا الإخفاء؛ حيث بيَّن أنَّه يكون في الحرفِ المخفى عنده، وشبَّه الإخفاء بالإدغام من حيث رفع اللِّسان عن مخرج المدغم فيه والمخفى عنده رفعةً واحدة؛ لأن المقصود من الإدغام والإخفاء واحد، وهو طَلَبُ التخفيف، قال الرمَّانيُّ عن النُّونِ المخْفَاة:"ووجَدُوا لها مخرجاً من الخياشيمِ يَخِفُّ إخراجُها منه على نحو الخِفَّةِ بالإدغام؛ **لأنَّ اللِّسان يَرتفِعُ رفعةً واحدةً للحرفِ في المدغَم وفي النُّون التي تَخرجُ من الخياشيمِ؛ لأنَّه ليس له عملٌ إلا في الحرفِ الذي بعدَها، فالإخفاءُ فيها كالإدغام في رفعِ اللِّسان مرَّةً واحدةً**"[6].

ومعنى: (**الارتفاع عن الحرفين**): تعبيرٌ عن انقلاعِ عُضْوَي النُّطق عن مخرجِ الحرف المدغَم فيه ومخرج المخْفَى فيه انقلاعاً واحداً بدلاً من انقلاعَين إذا لم يُدغَما أو يُخْفَيا.

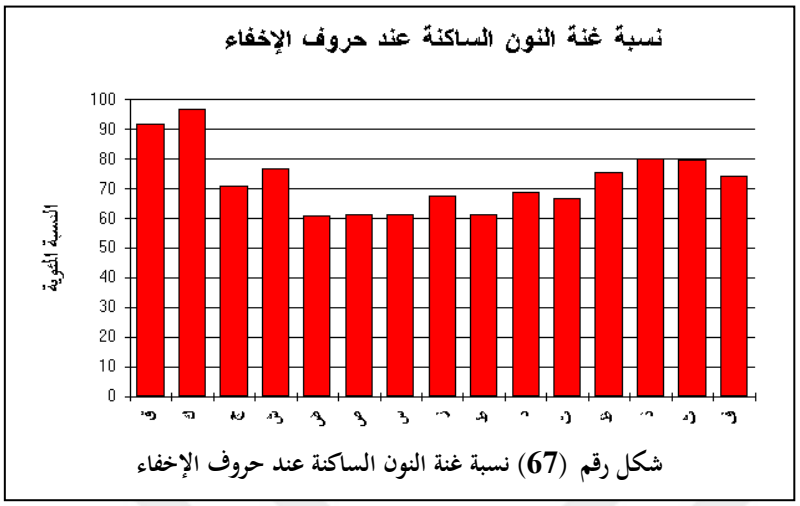
يعني إذا أدغمتَ النُّون عند الفاء فأنت تضعُ عضوي النُّطق، وهما في هذه الحالة أطراف الأسنان العليا مع باطن الشفة السُّفلى، أي في مخرج الفاء، ثمَّ تُجري الغنَّة، ويَصِحُّ عندئذ أن تقول إنَّ للنُّون خمسة عشر مخرجاً عند الإخفاء.

وكان مكيّ أوَّل مَن فرَّق بين الإدغام والإخفاء، فقال:"والإخفاءُ إنَّما يخفى الحرفُ في نَفْسِهِ لا في غيرِه، والإدغام إنَّما هو أن يُدغَمَ الحرفُ في غيرِه لا في نَفْسِه، فتقول: خَفِيَت النُّون عند السِّين، وأخفَيتُ النُّونَ عند السِّين. ولا تقول: خَفِيت في السِّين ولا أخفَيتُها في السِّين. وتقولُ: أدغمتُ النُّونَ في الواو، ولا تقولُ: أدغَمتُها عند الواو"[7].

وأشار الدانيُّ إلى أنّ هناك تفاوتاً في إخفاء النُّون عند هذه الحروف، قال عن النُّون الساكنة

(1) المنتهى 253 .
(2) التحديد ص 115 .
(3) التبصرة ص 118 .
(4) الإرشاد ص 165 .
(5) الكتاب 4/ 454 .
(6) شرح كتاب سيبويه ل 199/ أ .
(7) الرعاية ص 268 .

والتنوين:"وإخفاؤهما على قَدْرِ قُربهما وبعدهما، فما قَرُبا منه كانا عنده أخفى مما بَعُدا عنه"[1].



شكل رقم (67) نسبة غنة النون الساكنة عند حروف الإخفاء

وكنتُ قد أجريتُ تجارب خاصَّة . بواسطة جهاز مقياس الغُنَّة . لتحديد نسبة الغُنَّة عند حروف الإخفاء، فجاءتْ كما يُمثِّلها الرَّسمُ البيانيّ في شكل رقم (67) حيث سجَّل الجهاز أعلى نسبة للغُنَّة عند القاف والكاف، وهذا يُمكِن تفسيره بأنَّ أقصى اللِّسان . وهو مخرج القاف والكاف . يَرتَفع ويَسُدَّ مجرى الصَّوت إلى الفم، فيخرج أكثر الهواء إلى جهة الخيشوم. ثمَّ تقاربَتْ نسبةُ الغُنَّة عند الحروف الباقية لتأتي الثاء والذال في الدرجة الثانية، ثمَّ الشين ثم الظاء، وسجَّلت الغنة أدنى معدَّلاتها في ثلاثة من حروف الإطباق، وهي الصاد والضاد والطاء، وهو أمرٌ ملفتٌ للنَّظَر. وهذه النِّسب ليست قياسيَّة معياريَّة، لأنَّها قامتْ على راوٍ واحدٍ، وتحتاج إلى تجارب أخرى للتأكُّد من نتائجها.

2 . المعنى الثاني لـ: (الإخفاء) = إخفاء الحركة والإسراع بها

استعمله من العلماء: سيبويه[2]، الأخفشُ، والنحَّاسُ[3]، والسيرافيُّ[4]، وأبو عليّ الفارسيُّ، وابن جنيّ[5]، وطاهرُ بن غَلبون[6]، ومكيّ[7]، والدانيّ[8].

مثال: قال الأخفش:" وقولهم:"إن العينَ ساكنةٌ مِن [نِعمَّا] إذا أُدغِمَتْ خطأٌ؛ لأنَّه لا يَجتَمِع ساكنان. ولكن إذا شِئتَ **أَخْفَيْتَهُ** فجعلتَه بين الإدغَامِ والإظهارِ، فيكونُ في زِنَةِ متحرّكٍ كَمَا قُرِئَتْ: [إني ليحزنُني] يُشِمُّونَ النُّون الأولَى الرَّفعَ"[9].

(1) التحديد ص 115 .
(2) الكتاب 4/ 397 .
(3) إعراب القرآن 1/ 367 .
(4) إدغام القراء ص 5 .
(5) الخصائص 1/ 72 .
(6) التذكرة 2/ 277 .
(7) التبصرة ص 307 .
(8) التحديد ص 150 .
(9) معاني القرآن 2/ 462 . قرأ قالون وأبو عمرو وشعبة باختلاس كسرة العين بخلفٍ عنهم. والقراءتان متواترتان مقروءٌ بهما. والأخفش من

ويُعَدُّ هذا المخفى في الوزن العروضيّ حركةً كاملة، وإن ضعف الصَّوتُ بها، قال سيبويه:"وما تُخْفِيهِ وهو بِزِنَةِ المتحرّك"(1).

وذكَر ابن جنيّ أنَّ إخفاء الحركة بمنزلة الهمزة بين بين في وزنِ المتحرّك(2).

وشرح أبو علي الفارسيُّ هذه الحركة، فقال:"ولكنَّك **تُخْفِي الحركةَ، وإخفاؤها** هو أن لا تُشبِعها بالتمطيطِ، ولكنَّك تَختَلِسُها اختلاساً"(3).

وبيَّن الدانيُّ أنَّ **المُخْفَى** على نوعين: **إخفاء** الحركات، وإخفاء النُّون والتنوين. وشرح الدانيُّ معنى **الإخفاء** بالحركة، فقال:"فأمَّا **إخفاءُ** الحركات فحقُّه أن يُضَعَّف الصَّوتُ بهنَّ ولا يُتَمّ"(4).

وقال الدانيُّ:"و المخفى شيئان: حرفٌ وحركةٌ. فإخفاء الحرف: نقصانُ صوتِه، وإخفاء الحركة: نقصانُ تمطيطِها"(5).

3 ـ المعنى الثالث لـ: (الإخفاء) = (إخفاء النون عند الخمسة عشر، الإدغام بغنة، قلب النُّون ميماً عند الباء، إخفاء الميم عند الباء)

هذه المجموعةُ جمَعَها الفرَّاءُ والقُرَّاء ـ ممَّن هم على مذهبِ الكوفيّين ـ تحت مظلَّة : (الإخفاء)، وضابطُها الأساسيُّ قائمٌ على قول الإمام أحمد بن نصرٍ الشذائيّ:"**المُخفى ما تَبقى معه غُنَّة**"(6). ويكون المصطلح المقابل هو: (الإدغام)، أعني الإدغام المحض.

فيدخل تحت هذا الضابط: الإدغام بغنة، وقلب النون ميماً عند الباء، وإخفاء النُّون عند الحروف الخمسة عشر، وإخفاء الميم عند الباء. وإليك القراءة التاريخيَّة لهذا المعنى في أربع نقاط:

1 ـ أشار الفرَّاءُ إلى الإدغامِ بغنَّة وبلا غُنَّة بقوله:"قولُه ـ عزَّ وجلّ: [ن وَالقَلَمِ]: **تُخفي النُّونَ الآخرةَ** وتُظهِرُها، وإظهارُها أعجبُ إليَّ؛ لأنها هجاءٌ، والهجاءُ كالموقوفِ عليه وإن اتَّصَل، ومَن **أخفَاهَا** بَنَى على الاتِّصال. وقد قرأَت القرَّاءُ بالوجهين؛ كانَ الأعمشُ وحمزةُ **يُبَيِّنَانِها**، وبعضُهم **يَترُكُ التِّبيان**"(7).

فاستَعمَل الفرَّاءُ أربعةَ مصطلحاتٍ يُوحي الجمعُ بينها بالتناقض، مصطلحَين للإدغام بغنَّة هما: (**إخفاء**

أئمَّة البصريّين ممَّن لا يُجيزون الجمع بين ساكنين في وسط الكلمة.

(1) الكتاب 4/ 436 .

(2) المنصف 2/ 191 .

(3) الحجة 4/ 402 . وراجع مصطلح: (التمطيط)، و (الاختلاس).

(4) التحديد ص 100 .

(5) التحديد ص 96 .

(6) التحديد ص 100 .

(7) معاني القرآن 3/ 172 .

النُّون)، و (**تبيين النُّون**). ومصطلحَين آخَرَين للإدغام بلا غُنَّة، وهما: (**إظهار النُّون**)، و (**ترك التبيان**).

بيَّن الدانيُّ مفهوم الفرَّاء عن الإدغام بغنَّة بقوله:"فمَن أَبقَى غُنَّةَ النُّون والتنوينِ مع الإدغامِ لم يكن ذلك إدغاماً صحيحاً في مذهَبِه؛ لأن حقيقةَ بابِ الإدغامِ الصَّحيحِ أن لا يَبقَى فيه مِنَ الحرفِ المدغَمِ أثرٌ إذ كانَ لفظُهُ يَنقَلِبُ إلى لَفْظِ المدغَمِ فيه، ويصيرُ مخرجُه من مخرَجِهِ، بل هو في الحقيقةِ كالإخفاءِ الذي يَمتَنِع فيه الحرفُ من القَلْبِ لظُهور صوتِ المدغَم"[1].

2 . ونقَل السيرافيُّ عن الفرَّاء قولَه:"العَنبَر، وكلُّ نونٍ ساكنةٍ قبل الباءِ مَخْفِيَّةٌ، أخفَيتَ النُّون قبل الباء"[2].

واعترضَ السيرافيُّ على تعبير الفرَّاء بمفهوم سيبويه وأصحابه، وهو على مذهبِهم، قال:"والذي قاله سيبويه والبصريُّون إنَّها ميمٌ، وهو الصَّحيح"[3]. ولم يُرِدِ الفرَّاءُ غير هذا.

3 . انتَقل هذا المصطلح بمفهوم الفرَّاء إلى ابن مجاهدٍ وأصحابه، ممَّن هم على مذهب الكوفيّين، فنقَلوه في كتبهم، وأدخَلوا الميم الساكنةَ عند الباءِ ضمنَ هذه المجموعة، قال ابن مجاهدٍ: والميمُ لا تُدغَمُ في الباء لكنَّها تُخْفَى؛ لأنَّ لها صوتاً في الخياشيمِ تُواخي به النُّون الخفيفة"[4]. يعني حكم الميم عند الباءِ كحُكْمِها عند الحروف الخمسة عشر في بقاءِ الغنَّة في الحرف الأوَّل، ولا دَخْلَ هنا لزوال مخرجِ الحرف أو بقائه.

وبيَّن الدانيُّ أنَّ التعبير عن هذه الميم مختلفٌ فيها بين القرَّاء، فبعضُهم عبَّر عنها بـ: (الإخفاء)، وبعضهم عبَّر عنها بـ: (البيان)[5].

وأوضحَ عبد الوهَّاب القرطبيُّ أنَّ معنى هذين المصطلحين واحدٌ لا أنَّ هناك اختلافاً في القراءة، قال:"فأمَّا عبارةُ بعضِهم عن ذلك بالبيانِ، فالذي عندي أنَّهم لم يُريدوا البيانَ الذي هو التفكيكُ والقَطعُ؛ لأنَّ ذلك إذا لُفِظَ به جاء في الغاية من الثِّقَلِ والاستبشاعِ، وإنَّما أرادوا بالبيانِ عدمَ الإدغامِ؛ لأنَّ جماعةً من أغمار القرَّاء ذهَبوا إلى أنَّه إدغامٌ. فسَمَّوْه [أي أصحاب هذا اللَّفظ] بياناً لِيُنَبِّهُوا على أنَّه ليس بإدغام، وإن كان إخفاءً"[6].

4 . كانت مصطحاتُ سيبويه ودلالاتها واسعة الانتشار . كما قدَّمتُ في أوَّل الدِّراسة . وكان لمدرسة ابن مجاهد وأصحابه أثرٌ كبير في مصطلحات علم القراءة، فحمَل بعضُ القرَّاء من الدارسين لكتاب سيبويه . ممَّن لم يَطَّلعوا على مفهوم الكوفيّين . العباراتِ التي عُبِّر فيها عن هذه المعاني الأربعة بهذا المصطلحِ على ما أراده

(1) جامع البيان 2/ 729 .
(2) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 67 .
(3) ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 67 .
(4) التحديد للداني ص 166 .
(5) التحديد للداني ص 166 .
(6) الموضح ص 173 - 174 .

سيبويه من الإخفاء، فوقَعوا في الوهْمِ، وصاروا يُخفُون ذات الميم في نحو: [مِنْ بَعْد] و [ترميهم بِحِجَارَةٍ] كإخفائهم النُّون عند الخمسة عشر.

وشرَح ابنُ الباذش هذا الخلافَ في العبارات بين البصريّين والكوفيّين وما أدَّت إليه من الوهْم، فقال:"قال ابن مجاهدٍ: والميمُ لا تُدْغَمُ في الباء لكنَّها تُخْفى؛ لأنَّ لها صوتاً من الخياشيمِ تُواخي به النُّون الخفيفة، قال [ابن مجاهد]: وهو قولُ سيبويه...

وقال لي [قول ابن الباذش الأب لابنه]: وما ذُكِرَ عن الفرَّاء من إخفاء النُّون عند الباء فوجهُ ذلك أنَّه سَمَّى الإبدالَ إخفاءً، كما سَمَّى الإدغامَ في موضعٍ آخرَ من كتابه إخفاءً، فيَرْجِعُ الخلافُ إلى العبارةِ لا إلى المعنى؛ إذ الإخفاءُ الصَّحيحُ[1] في هذا الموضعِ لم يَستعمِلْهُ أحدٌ من المتقدّمين والمتأخّرين في تلاوةٍ، ولا حَكَوْهُ في لغةٍ.

وكذلك ما ذُكِرَ عن ابن مجاهدٍ في إخفاء الميم عند الباء قولٌ مُتَجَوَّزٌ به على سيبويه، فعلَّق عبارةَ الفرَّاء على مذهبِ سيبويه، فإن كان عنده من التحصيل ما عند الفرَّاء فعُذْرُهُ ما ذكَرْنا، وإن كان أراد غير ذلك فهو افتِئاتٌ على سيبويه"[2].

وقال ابن الباذش في موضعٍ آخَر:"قال لي أبي τ: زعَم الفرَّاءُ أنَّ النُّونَ عند الباءِ مُخفاةً، كما تُخفى عند غيرها من حروف الفم.

وتأويلُ قوله أنَّه سمَّى البدلَ إخفاءً. وقد أخَذَ بظاهرِ عبارته قومٌ من القرَّاء المنتَحِلِين في الإعراب مذهبَ الكوفيّين.

وتَبِعهم قومٌ من المتأخّرين خَلَطوا بين مذهب سيبويه وعبارةِ الفرَّاء، من القَلْبِ والإخفاء، فغَلِطوا"[3].

وهذا المعنى من أخطر المعاني في حاضر القرَّاء اليوم؛ إذ ما حصَل في عصرِ ابن الباذش من الوهمِ حصَل نظيرُه في عصرنا الحاضر. فعسى أن تكون القراءة التاريخيَّة لهذا المصطلح قد كشفت هذا المعنى وأزالت ذلك اللّبس، والله الموفِّق.

وإليك بعضاً من استعمالات العلماء لمصطلح: (الإخفاء) في هذا المعنى الذي ذكَرته:

1 . التعبير عن الإدغام بغنَّة وإخفاء النُّون عند الحروف الخمسة عشر بـ:

(يُخفي النُّون ولا يُدغِمُها عند الرَّاء واللام والقاف والكاف وسائر حروف المُعجم إلا في مثلِها):

(1) يعني إخفاء النون عند الخمسة عشر كما هو مفهوم سيبويه.

(2) الإقناع 1/ 179 و 182 .

(3) الإقناع 1/ 258 .

هذا التعبير نقله الحسن بن داود المعدِّل الشهير بالنقَّار عن قاسم الخيَّاط بسنده إلى شعبة عن عاصم[1].

قال الدانيُّ عن هذا التعبير ومدلِّلاً على هذا المعنى الذي ذكَرتُه:"يُريدُ أنهُ كان لا يُظهِرُ مُذْهِبَ غُنَّتَها، بل كانَ يُبْقِيهَا فيَمتَنِعُ بذلك من القلبِ الصَّحيحِ والتشديدِ التام، **وهذا مع الرَّاء واللام والياء والواو خاصَّة** . فأمَّا مع باقي حروفِ المعجَم سِوَاهُنَّ فإنَّ عملَ اللِّسانِ بالنُّون والتنوين يَبطُلُ معهنَّ فيَصيران غُنَّةً من الأنف لا غير... ألا تَرَى الحسنَ بنَ داودٍ كيف جمَع بين ما يُدغَمُ فيه النُّونُ والتنوين ويُبقِي غُنَّتَها وبين ما يَخفَيَان عنده ولا يُدغَمَان رأساً، وأشار في العبارةِ، وسَوَّى بين حُكمِها في النَّوعَين، **وأَطلَق الإخفاءَ عليهما في الضَّربَين**، وذلك لما اشتَرَكا فيهما في بيانِ الصَّوتِ وامتناعِ القَلْب"[2].

وهذا التعبير من أقوى الحجج على أنَّهم كانوا يُعبِّرون عن الإدغام بغنَّة والإخفاء عند الخمسة عشر حرفاً بلفظ الإخفاء؛ لبقاء غنَّة الحرف الأوَّل.

2 . (**الإخفاءُ الذي ليس بإدغامٍ مَحْضٍ في التاءِ والقافِ والواو**): السعيديُّ. وهذا دليل على مفهوم مصطلح الإخفاء وأنَّه يَشمَلُ الإدغام بغُنَّة[3] .

3 . (**إخفاءُ النون والتنوين عند حروف اللِّسانِ غيرَ الرَّاء واللاَّم**): الدانيُّ[4].

استعمال الدانيّ لهذا التعبير يُظْهِرُ أنَّ الإدغامَ التامَّ ما هو إلا للرَّاءِ واللام، وباقي الحروفِ مخفاةٌ، وهو في هذا يتَّفِقُ مع من اعتبر أنَّ أحكامَ النُّون الساكنة والتنوين ثلاثةٌ: إظهارٌ، وإدغامٌ محض، وإخفاءٌ ويَشْمَلُ الإدغامَ بغُنَّةٍ والإخفاءَ والإقلابَ .

ومن أجل هذا أَتبَعَ مفهومَه للإخفاء بنَصِّ أحمدَ بن نَصرٍ الشَّذَائيّ أنَّ المخفَى ما تَبقَى معه غنة.

غير أنه من الملاحَظ على الدانيّ أنَّهُ أتى في موضعٍ آخَر، وذَكَر أنَّ أحكامَ النُّون والتنوين أربعةٌ متابعاً في ذلك سيبويه وأصحابه[5] .

4 . المعنى الرابع لـ: (الإخفاء) = إدغامُ الباء في الميم

استعمله من العلماء: نُصيرُ بنُ يوسف.

قال الدانيُّ عن الباء مع الميم في [ارْكَبْ مَعَنا]:"وروى نُصيرٌ عن الكسائيّ **إخفاءَ** الباء عند الميم في ذلك.

(1) جامع البيان 2/ 729 .
(2) جامع البيان 2/ 729 - 730 .
(3) اختلاف القراء في اللام والنون ص 67 .
(4) التحديد ص 100 .
(5) انظر ذلك في التحديد ص 111 .

وأحسبهُ أراد الإدغام، وبذلك قرأتُ في روايته"[1].

5 . المعنى الخامس لـ: (الإخفاء) = الإدغام

لما كان الإدغام هو نوعٌ من الإخفاء ساغ لبعض العلماء أن يستعمِل ذات اللَّفظ للتعبير عن هذه الظاهرة.

استعمله من العلماء: نصيرُ بن يوسف[2]، وأحمد بن يحيى الملقَّب بثعلب[3].

قال نصير بن يوسف عن إدغام الفاء في الباء في قوله: [نَخْسِف بِّهِم]:"الفاء عند الباء **مُخفاة** اهـ.

قال الدانيُّ: وأراد الإدغام، وبذلك قرأتُ من طريقِه"[4].

6 . المعنى السادس لـ: (الإخفاء) = الإدغام مع بقاء أثر من الحرف الأوَّل:

استعمله نُصير بن يوسف كتعبيرٍ عن الإدغام الذي يَبقى معه أثرٌ من الحرف الأوَّل، مثل بقاء الإطباق، والجملة: (**إخفاءُ ظاء: [أَوَعَظتَ] بلا إظهارٍ بيّنٍ ولا إدغامٍ لا يَبْقَى منه شيءٌ**).

قال الدانيُّ معلِّقاً على هذا التعبير: "فهذا يدلُّ على أنهُ كان لا يُدْغِمُ الظاءَ، ويُبْقِي لها صوتاً، فيَمتَنِع قلبُها تاءً خالصةً لذلك"[5].

7 . المعنى السابع لـ: (الإخفاء) = إخفاء الميم عند الباء

استعمله من العلماء: طاهرُ بن غَلْبون[6]، والدانيُّ.

وأصحابُ هذا التعبير ليسوا من أصحاب الفرَّاء، بل هم من الذين تابعوا سيبويه في مذهبه وتقسيماته، وهو لم يُعطِ اسماً لهذا الحُكم، فاستعار هذا الفريق هذا اللَّفظ من مذهب الفراء وأصحابه، والله أعلم.

مثال: قال الدانيُّ:"وأمَّا الميمُ **فأخفاها** عند الباء إذا تحرَّك ما قبلها، نحو قوله: [بِأَعْلَمْ بالشَّاكِرِينَ]... والقرَّاء يُعبِّرون عن هذا بالإدغام وليس كذلك، لامتناع القلْبِ فيه، وإنَّما تَذهَبُ الحركةُ **فتُخفى** الميم"[7].

6 . المصطلح السادس لظاهرة الإدغام: (الاختلاس)

(1) جامع البيان للدانيّ 2/ 698 .
(2) معاني القراءات للأزهري 1/ 119 .
(3) معاني القراءات للأزهري 1/ 119 .
(4) جامع البيان 2/ 691 .
(5) التعبير والتعليق في جامع البيان للداني 2/ 709 .
(6) التذكرة 1/ 90 .
(7) التيسير ص 28 .

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الاختِطافِ والالْتِماع. خَلَسْتُ الشيءَ خَلْسةً: اختَطَفْتُهُ بسرعةٍ على غَفْلَةٍ، واختَلَسَه كذلك[1].

استُعمِل: (الاختلاس) في أكثر من معنى، منها:

1 ـ اختلاس الحركة وإخفاء الصَّوت بها 2 ـ قصر صلة هاء الضَّمير 3 ـ الحركة الكاملة 4 ـ الإدغام 5 ـ مشاركٌ في الإمالة الصُّغرى 6 ـ معنى متردِّد بين إشمام الحركة واختلاسها

1 ـ المعنى الأوَّل لـ: (الاختلاس) = اختلاس الحركة وإخفاء الصَّوت بها

وهو مرادف لـ: (إخفاء الحركة).

استعمله من العلماء: سيبويه، ومحمد بن سعدان[2]، والزجَّاج[3]، وابن مجاهد[4]، وابن مهران[5]، وابن جنيّ[6]، وأحمد بن فارس اللغويّ[7]، ومكيّ[8]، والدانيُّ[9]، والقرطبيُّ[10]، وأبو العلاء الهمذانيُّ[11].

مثال: قال سيبويه:"وأما الذين لا يُشْبِعُون **فيَخْتَلِسُونَ اختلاساً**، وذلك قولك: يَضْرِبُها، ومِن مَأمَنِكَ، يُسْرِعُونَ اللَّفظَ. ومِن ثَمَّ قال أبو عمرو: [إلى بَارِئِكُم]. ويَدُلُّك على أنها مُتَحَرِّكةٌ قولهُم: من مأمَنِكَ، فيُبَيِّنُونَ النُّونَ فلو كانتْ ساكنةً لم تُحَقَّق النُّون. ولا يكون هذا في النَّصبِ؛ لأنَّ الفتح أخفُّ عليهم... وزنةُ الحركةِ ثابتةٌ، كما تَثْبُتُ في الهمزة حيث صارتْ بين بين"[12].

فبيَّن سيبويه أربعة أمورٍ في هذا النصِّ:

1 ـ أنَّ الاختلاسَ حقيقتُه إسراعُ اللَّفظ.

2 ـ إخفاءُ الصَّوتِ بالحركة.

3 ـ الحركة المختلسةُ تكون في الحرف المضموم والمكسور، ولا تكون في المفتوح لخفَّة الفتح. وإن كان قد

(1) مقاييس اللغة ص 308 ، والمصباح المنير ص 177 (خ ل س).
(2) التذكرة لابن غلبون 2/ 253 .
(3) معاني القرآن وإعرابه 3/ 48 .
(4) السبعة ص 541 .
(5) المبسوط ص 122 .
(6) الخصائص 1/ 72 .
(7) الصاحبي ص 20 .
(8) التبصرة ص 185 .
(9) التحديد ص 95 .
(10) الموضح ص 191 .
(11) التمهيد ص 189 .
(12) الكتاب 4/ 202. وانظر: السبعة لابن مجاهد ص 155 .

وُجِد من اختلس الفتح من القراء.

4 . الحركةُ المختلسةُ وحركة همزة بين بين تُعَدَّان في الميزان الصوتيّ العروضي كالحركة الكاملة في الحرف المتحرّك، وإن ضَعُفَ الصوتُ بهما.

وقال الزجاج عن الاختلاس إنَّه كتقليل الصَّوت[1].

2 . المعنى الثاني لـ: (الاختلاس) = قصر صلة هاء الضَّمير

يعني الحركة الطبيعيَّة المعروفة في هاء الضَّمير في نحو قوله تعالى: [يَرْضَهُ لَكُمْ] في رواية حفصٍ عن عاصم وغيره. حيث لا تُلْحَق هذه الحركة بواوٍ.

استعمله من العلماء: ابن جمَّاز[2]، وابن خالويه[3]، والأزهريُّ[4]، وابن مهران[5]، وطاهر بن غَلبون[6]، والدانيُّ[7]، وأبو مَعشر الطبريّ[8].

قال أبو طاهر بن غَلْبُون:"فأمَّا الياء فكقوله تعالى: [لأخِيهِ]... فقرأ ابن كثيرٍ وحدَه بياءٍ بعد الهاء في وصْلِه حيث وقَع، وقرأ الباقون **باختلاس** حركة الهاء حيث وقَع"[9].

3 . المعنى الثالث لـ: (الاختلاس) = الحركة الكاملة

استعمله من العلماء: أحمدُ بن صالح[10]، وأحمد بن جبير الأنطاكيُّ[11]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[12]،

وضابطُ هذا قولُ القرطبيّ:"فإذا سَمِعتَ حَضَّ أئِمَّةِ القراءةِ على **اختِلاسِ** الحركةِ في مَوضِعٍ مَّا، فإنَّما ذلك لأنَّ الحركةَ تَظْهَرُ على ذلك الحرفِ، وفي ذلك المكانِ، وينطاعُ بها اللِّسانُ أكثرَ من انطِياعِه بها على حرفٍ آخر وفي موضعٍ آخر، فيكونُ الإشباعُ إليها أسرَع"[13].

(1) معاني القرآن وإعرابه 4/ 275 .
(2) السبعة لابن مجاهد ص 209 .
(3) الحجة ص 111 و 159 و 266.
(4) معاني القراءات 1/ 415 .
(5) المبسوط ص 145 .
(6) التذكرة 1/ 95 .
(7) التيسير ص 30 وجامع البيان 1/ 50.
(8) التلخيص 234 .
(9) التذكرة 1/ 95 .
(10) جامع البيان للداني 2/ 362 .
(11) جامع البيان للداني ل 112/ ب .
(12) المنتهى ص 438 .
(13) الموضح ص 192 .

4 . المعنى الرابع لـ: (الاختلاس) = الإدغام

لما كان الإدغامُ نوعاً من الخفاء والسِّتر في المدغم فيه ساغ لبعض القراء أن يستعمِل لفظ: **(الاختلاس)** بمعنى الإدغام، فاستعمله أبو الحسن عليُّ بنُ يزيد بن كيسة، وأبو الحارث اللَّيث بن خالد[1]، وأحمد بن يزيد الحُلْوانيّ[2].

قال الدانيُّ فيمن عبَّر **بـ: (الاختلاس)** عن إدغام الياء في قوله: [مَن حَيَّ]:"وعن ابن كيسة عن سُلَيم عن حمزة: **مختَلَسة** الياء" اهـ.

قال الداني:"وأحسَبه يريدُ الياءَ الأولى، وكذلك حَكَى عن نافع: بيانُها وتثقيلُها؛ يريد بتثقيلها: تحريكَها بالكسر. وحكى عن حمزة **اختلاسَها**، يريدُ إدغامَها؛ لأنه قد قال عنه في إدغامِ :(والذَّارِياتِ ذَرْوا) **يَختَلِس** التاء . أي: يُدْغِمُها، وذلك مجاز واتساع "[3].

5 . المعنى الخامس لـ: (الاختلاس) = مشاركٌ في الإمالة الصغرى:

استعمله الأخفش هارون بن موسى الدمشقيّ، قال في حكايته لمذهب ابن عامر في القراءة:"[الر] **يَختَلِسُ كسرة الرَّاء وسطاً بين ذلك**" اهـ. قال الدانيُّ معلِّقاً: "وقرأتُ من طريقِه بإخلاصِ الإمالة، وعلى ذلك أهلُ الأداء عنه"[4].

تعليق الدانيّ يشيرُ إلى أنَّ تعبير الأخفش الدمشقيّ يُفيدُ الإمالة الصُّغرى، والله أعلم.

6 . المعنى السادس لـ: (الاختلاس) = إشمام الحركات أو اختلاس الحركة في قوله تعالى: [مِن لَّدُنهِ] في رواية شعبة؟؟:

استعمله: أبو الفضل الخزاعيُّ[5]، وأبو مَعشر الطبريّ[6].

لفظ: (الإشمامُ) هو الذي يَستعمِلُه القرَّاء في هذه الكلمة، ويكون ذلك بإسكان الدَّال إسكاناً محضاً ثمَّ ضمّ الشفتين من غير صوتٍ يُسْمَع، ثمَّ كسر النُّون، فإذا كان المقصود بلفظ: (الاختلاس) عند من استعمله هذه الكيفيَّة، فهذا ما اتَّفق عليه جمهور القرَّاء. وأمَّا إن كان المقصود اختلاس حركة الدَّال ـ كحركة الرَّوم ـ كما يُفهَمُ من ظاهر النصِّ، فلا أعلمُه جاء في قراءةٍ، والله أعلم.

(1) جامع البيان للداني ل 237/ ب .
(2) جامع البيان للداني ل 237/ ب .
(3) جامع البيان للداني ل 158/ ب .
(4) جامع البيان للداني ل 163/ أ .
(5) المنتهى ص 452 .
(6) التلخيص ص 318 .

7 . المصطلح السابع لظاهرة الإدغام: (الإخماد)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على سكون الحركة والسُّقوط. خَمَدت النَّارُ خُمُوداً، إذا سكَنَ لهبُها. وخَمَدَت الحُمَّى: إذا سَكَن لهَبُها، وخَمَدت الحُمَّى إذا سكَنَ وهجُها، ويقال للمُغمَى عليه: خَمَدَ[1].

استعمله أبو عبيدة معمر بن المثنَّى، قال:" [هَل تعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا] : هل تَعْرِفُ له نظيراً ومِثلاً. إذا كانَ بعْد (هل) تاء، ففيها لغَتان: فبعضُهم يُبَيِّنُ لامَ (هل)، وبعضُهم **يُخْمِدُها**، فيقول: (هتَّعْلَم)، كأنها أُدغِمتِ اللاَّمُ في التاءِ، فثقَّلوا التاءَ"[2].

8 . المصطلح الثامن لظاهرة الإدغام: (الإطفاء)

في اللُّغة: طَفِئتِ النَّارُ تَطْفَأُ طَفأً وطُفُوءاً وانْطَفَأتْ: ذهب لهبُها، وأطْفَأَها هو[3].

استعمله أبو بكرٍ محمَّد بن حفصٍ الدوريُّ (ولد أبي عمر الدوري الرَّاوي المشهور)، نقَل الدانيُّ عنه قولَه:"كان أبو عمر ـ يعني حفصاً[4] ـ لا يُحَرِّكُ النُّوناتِ عند هذه الستَّة الأحرفِ تحريكاً شديداً، بل كان يُحبُّ أن يُسكن النُّون مع البيان، **ولا يُطْفِئُ** هذه النُّونُ عند الأحرفِ الأربعة: الياء والواو والرَّاء واللاَّم اهـ .

قال الدانيُّ معلِّقاً: يُريدُ أنَّه كان يُبيِّن غُنَّتَها عندهنَّ"[5].

وسيأتي هذا التعبير في الإدغام بغنة، إلاَّ أنَّ ما نأخذه منه هنا هو لفظ: (**الإطفاء**) تعبيراً عن الإدغام المحض.

9 . المصطلح التاسع لظاهرة الإدغام: (الإدغام الأكبر)

استعمله من العلماء ابن جنيّ[6].

وتكمنُ نظريته فيه أنَّ معنى الإدغام هو تقريبُ الصَّوتِ من الصَّوتِ، فإذا أدَّى هذا التقريبُ إلى أن يُقلَبَ الأوَّلُ إلى جِنسِ الثاني ويُدغَمَ فيه فهو **إدغامٌ أكبر**، وإن قُرِّب الحرفُ من الحرفِ فقط، كما في الإمالة وغيرها، من غير أن يؤدِّي ذلك إلى الإدغام فهو إدغامٌ أصغر.

10 . المصطلح العاشر لظاهرة الإدغام: (الدَّفْن)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على استِخفاءٍ وغموضٍ. يقال: دُفِنَ الميّتُ. والداءُ الدَّفين: الغامض الذي لا يُهتدى

(1) مقاييس اللغة ص 311 (خ م د).
(2) مجاز القرآن 2/ 9 .
(3) لسان العرب 1/ 114 (ط ف أ).
(4) ما بين الإشارتين من تفسير الدانيّ.
(5) التعبير والتعليق في جامع البيان للدانيّ 2/ 727 .
(6) الخصائص 2/ 139 .

لوجهه[1].

استعمله أبو عمرو الدانيُّ، قال عن الإدغام المحض:"فحقيقتُهُ[2] ما ذكَرْناهُ من **دَفْنِ** الحرْفِ وإدخالِه في مِثْلِه إدخالاً شديداً"[3].

الجهة الثانية للإدغام: تعريفاتُ الإدغام

هناك تعريفات كثيرة قدَّمها العلماء للإدغام يدور أكثرها حول الإدغام المحض، أعني الإدغام الذي لا يَبقى فيه أثرٌ من الحرفِ الأوَّل، وحول ثمرةِ هذا العمل الذي يتِمُّ فيه تحقيق الخفَّة والانسجام بين الحرفين المتلاقِيَين، ومن هذه التعريفات:

. **تعريف الخليل**: "الإدغام: إدخالُ حرفٍ في حرف"[4].

. **تعريف سيبويه**: عرَّف الإدغام في المتماثل والمتقارب ذاكراً العلَّةَ منه، قال: "والإدغامُ إنَّما يَدْخُلُ فيه الأوَّلُ في الآخِرِ، والآخِرُ عَلَى حَالِه. ويُقْلَبُ الأوَّلُ فيَدْخُلُ في الآخِرِ حتى يَصيرَ هُو والآخِرُ من مَوضِعٍ واحدٍ، نحو (قَد تَّرَكتُك)، ويكُون الآخِرُ على حاله"[5].

. **تعريف المبرِّدُ**: "الإدغامُ: نَقْلُ الأثقَلِ إلى الأخفِّ"[6].

. **تعريف الزجَّاج**: "الإدغامُ : هو قَلْبُ المدْغَمِ إلى لَفْظِ المدْغَمِ فيه"[7].

. **تعريفُ ابن السرَّاج**: "وهو وَصْلُكَ حرفاً ساكناً بحرفٍ مثْلِه مِن مَوضعِهِ من غير حركةٍ تَفْصِلُ بينهما ولا وقفٍ، فيصيرانِ بتداخلِهما كحرفٍ واحدٍ، تَرْفَعُ اللِّسانَ عنهما رفعةً واحدةً، ويَشتَدُّ الحرفُ، ألا ترى أنَّ كلَّ حرفٍ شديدٍ يَقومُ في العَروضِ والوزنِ مقامَ حرفَين، الأوَّلُ منهما ساكنٌ"[8]. وعرَّفه الدانيُّ نحواً من ذلك[9]، والقرطبيُّ[10].

. **تعريف ابن مجاهد**: عرَّفه تعريفاً دقيقاً ذاكراً فيه علَّته، فقال:"والإدغامُ تقريبُ الحرفِ من الحرفِ إذا قَرُب

(1) مقاييس اللغة ص 340 (د ف ن).
(2) في المطبوع: (فحقيقةُ).
(3) الإدغام الكبير ص 40 .
(4) نقَل ذلك عنه القالي في البارع ص 352 .
(5) الكتاب 4/ 104 .
(6) المقتضب 1/ 356 .
(7) معاني القرآن وإعرابه 1/ 235 .
(8) الأصول 3/ 405 .
(9) التحديد ص 99.
(10) الموضح ص 139 .

مخرجه من مخرجِهِ في اللِّسان؛ كراهيةَ أن يَعمَل اللِّسانُ في حرفٍ واحدٍ مرَّتَين فيَثقل عليه، وهو عند الخليل ـ إذا أُظْهِرَ ـ مثل إعادةِ الحديثِ مرَّتَين أو كخطوِ المقيَّد"[1].

ـ **تعريفُ الزجَّاجيّ**: "الإدغامُ: التقاءُ حرفَين من جنسٍ واحدٍ أو متقاربين، فتُسَكِّنُ الأوَّلَ منهما وتُدغِمُه في الثاني، أي تُدخِله فيه، فيصيرُ حرفاً واحداً مشدَّداً يَنبُو اللِّسانُ عنه نَبْوَةً واحِدةً"[2]. وعرَّفه ابن جنيّ نحواً من ذلك[3]. ويَرجِع تعريفهما إلى تعريف سيبويه.

ـ **تعريفُ الدانيّ**: الإدغامُ "تخفيفٌ وتَقريبٌ"[4].

الجهة الثالثة: التعبيرات المستعملة لتحقيق الانسجام بين الصَّوتَين في الإدغام

1 ـ التعبير بالرَّفع والارتفاع:

(رفع اللِّسان من موضعٍ واحدٍ)، (رفعُ اللِّسان رفعةً واحدةً)، (رفْعُ اللِّسان عن الحرفَين)، (رفعُ اللِّسان مرَّةً واحدةً)، (رفعُ اللِّسان بالحرفَين رفعةً واحدةً)، (ارْتفاع اللِّسان عن الحَرْفَين ارتِفاعةً واحدةً)، (ارتفاع اللِّسان بالحرفين ارتفاعةً واحدةً)، (ارتفاع اللِّسان ارتفاعةً واحدةً من غير مُهلةٍ ولا فُرْجَة). انظر: مصطلح (الرَّفع) لكلِّ هذه الألفاظ.

2 ـ التعبير باللُّزوم والإلزام:

ـ (لزوم اللِّسان موضعاً واحداً)، (إلزام اللِّسان موضعاً واحداً): انظر: (الموضع).

3 ـ التعبير بالنُّبُوّ:

ـ (نُبُوُّ اللِّسان عن المدغم نبوةً واحدةً): المازنيُّ[5].

وتابعَه ببعض تغييرٍ: الزجَّاجيّ[6]، وابن جنيّ[7]، والقرطبيّ[8]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[9].

4 ـ التعبير بالاعتماد:

ـ (الاعتمادُ على الحرفين المدغَمَين اعتمادةً واحِدة): المبرِّد[1].

(1) السبعة ص 125 .
(2) شرح جمل الزجاجي لابن هشام ص 449 .
(3) المنصف 2/ 91 .
(4) الإدغام الكبير ص 40 .
(5) نقل ذلك عنه ابن جني في المنصف 2/ 212 .
(6) شرح جمل الزجاجي ص 449 .
(7) الخصائص 2/ 227 و 495 والمنصف 2/ 189 و 211 و 3/ 150.
(8) الموضح ص 139 .
(9) الإنصاف في حلِّ مسائل الخلاف 2/ 227 و 266 وأسرار العربية ص 207.

. (الاعتماد في المدغَمَين على الآخِر اعتمادةً واحدةً): الدانيّ[2].

. (الاعتماد على الحرفَين مرَّةً): القرطبيّ[3].

الجهة الرابعة: قوانين وقواعد الإدغام

1 . (**العربُ تُدغِمُ للخِفَّة، فإذا كان الإدغامُ أثقلَ أظهَروا**): أبو عمرو بن العلاء[4]، والسيرافيّ[5]، والدانيّ[6].

مثال: امتناعُ إدغام قاف: (فَوْقَ) في كاف (كُلِّ) من قوله تعالى: [وفَوْقَ كلِّ ذي علْمٍ عليمٌ]؛ للاكتفاءِ بِخِفَّةِ الساكن [الواو] عن خِفَّةِ الإدغام. ومثلُه إظهارُ: [فَلاَ يحزنكَ كُفْرُه] و [عَلَيْكَ قَوْلاً] و [تَرَكُوكَ قَائِماً].

2 . (**لا يُدغَمُ الأفضل صوتاً في الأنقص منه؛ لما يَدخُلُه من الاختلال بذهابِ صوتِه في الإدغام**): سيبويه[7]، والفارسيّ[8]، والدانيّ[9]، وابن الأنباريّ[10].

مثال: بقاءُ صفةِ الإطباقِ في نحو: [بَسَطتَّ].

3 . (**إدغامُ الأوَّلِ في الآخِرُ هو الأصلُ، والعكسُ ضدُّ القِيَاسِ**): سيبويه[11].

مثال: الأصلُ في إدغام مُثْتَرِد: مُتَّرِدٌ، أن تُدْغَم الثاءُ في التاء، وإنَّ قلبَ الثاني إلى لفظِ الأوَّل ثم إدغامُهُ فيه في نحو: مُتَّرِدٌ خلافُ الأصل.

4 . (**حروف الحلق ليست بأصل للإدغام**): سيبويه، وابن السرَّاج[12].

5 . (**يُدْغَمُ ما يَثْقُلُ على اللِّسانِ إظهارُهُ، ويُظْهَرُ ما يَسهُلُ فيه الإظهار**): الفرَّاء[13]. وهي من القواعد الذهبية.

---

(1) المقتضب 1/ 319 .
(2) التحديد ص 99 .
(3) الموضح ص 139 .
(4) نقله عنه الداني في الإدغام الكبير ص 39.
(5) إدغام القراء ص 58 .
(6) الإدغام الكبير ص 56 .
(7) الكتاب 4/ 448 و 460 و 464 .
(8) التكملة ص 279 .
(9) الإدغام الكبير ص 42 .
(10) أسرار العربية ص 210 .
(11) الكتاب 4/ 467 .
(12) الأصول 3/ 413 .
(13) معاني القرآن 2/ 353 .

6 . **(الإدغامُ: نَقْلُ الأثقَلِ إلى الأخفِّ)**: المبرِّد[1].

7 . **(التخفيفُ من كثرةِ الحركاتِ بالإدغام)**: الزجَّاج[2].

8 . **(إذا ثَقُلَ الإدغامُ فالإظهارُ أوْلَى؛ لكَونِ الإدغامِ للتخفيف)**: ابن مجاهد[3]. وهو يرجِع في بعضه إلى قانون الفرَّاء.

9 . **(حروفُ وسَطِ اللِّسان أمكَنُ في الإدغام من طرفه)**: السيرافيّ[4].

10 . **(حروفُ داخِلِ الفَم أمكنُ من حُرُوفِ الشفتَين في الإدغام)**: السيرافيّ[5].

مثال: إدغامُ الباءِ في الفاء عند أبي عمرو بن العلاء، وامتناعُ العكس عنده.

11 . **(الإدغامُ أَوْلَى إذا سَكَنَ أوَّلُ المِثلَين والمتقارِبَين)**: ابن خالويه[6].

12 . **(اجتماعُ الأمثالِ وتَوَالي الحركاتِ سببٌ للإدغامِ)**: أبو عليٍّ الفارسيُّ[7].

13 . **(الإدغامُ فيما كانَ أقربُ إلى الفَم أحْسَن)**: الفارسيّ[8].

14 . **(الإدغامُ يَحسُنُ إذا قَوَّى الحرفُ المُدغَمُ فيه المُدغَمَ)**: ابنُ جنيّ[9].

مثال: كإدغام التاء في الطاء، قال:"وعلَّته أنَّ الحرفَ إذا أُدغِمَ خَفِيَ فضَعُفَ، فإذا أُدغِم في حرفٍ أقوَى منهُ استَحَالَ لفظُ المدغَمِ إلى لَفْظِ المدغَم فيهِ لقُوَّتِهِ، فكانَ في ذلك تدارُكٌ وتَلاَفٍ لِمَا جُنِيَ على الحَرْفِ المدغَم".

15 . **(الإخفاءُ والإدغامُ للمقارَبَة أو التزَاحُمُ في مخرجٍ واحد)**: السعيديُّ[10].

16 . **(علَّةُ الإدغام إرادة التخفيف)**: مكيٌّ القيسيّ[11]، والدانيُّ وزاد : **(وكراهة الاستثقال)** [12]،

(1) المقتضب 1/ 356 .

(2) معاني القرآن وإعرابه 5/ 175 .

(3) نقل ذلك عنه السيرافيُّ في إدغام القراء ص 58.

(4) إدغام القراء ص 17 .

(5) إدغام القراء ص 16 . وقد أشار إلى ذلك سيبويه في الكتاب 4/ 449.

(6) الحجة ص 63 .

(7) الحجة 6/ 384.

(8) الحجة 5/ 136 .

(9) المحتسب 1/ 59 .

(10) اختلاف القراء في اللاَّم والنُّون ص 64 .

(11) الكشف 1/ 134 .

(12) الإدغام الكبير ص 40 .

والقرطبيُّ.

قال القرطبيُّ:"والعِلَّةُ في ذلك أن اعتمادَ آلةِ النُّطقِ على مَوضِعٍ وارتفاعَهَا عنهُ، وعَوْدَها إليه ثم ارتفاعَها عنه مستثقلٌ يُشْبِهُ مَشْيَ المقَيَّدِ، فجُعِلَ اللِّسانُ أو غيرُه من المخارجِ يَنبُو عنهما نَبْوَةً واحدةً؛ **طلباً للخِفَّةِ، ولِمَا في ذلك من السُّهولةِ على اللاَّفِظ** "[1].

17 . **(أصلُ الإدغامِ لحُرُوفِ الفَمِ واللِّسانِ لكثرتِها في الكلام وقربِ تَنَاوُلِها)**: الدانيّ[2].

18 . **(الحرفانِ في الإدغامِ للرَّفْعَةِ الوَاحِدة عن المخرجِ بمنزلةِ حرفٍ متحرّكٍ)**: الدانيّ[3].

يعني انفصالَ الحرفين عن المخرجِ في الإدغامِ وانفصالَ الحرفِ المتحرّكِ واحدٌ.

19 . **(الإدغامُ في كلمةٍ أقوَى منهُ في كلمتَين؛ لتَعَذُّرِ الانفصال)**: الدانيّ[4].

شرح: يُمْكِنُ . مع الثِّقَلِ . الإظهارُ في الكلمتين المدغمتَين، بحيثُ تَنفَصِلُ كلُّ كلمةٍ عن الأخرى، لكنَّ ذلك يَمتَنِعُ فيما كان من كلمةٍ واحدةٍ.

20 . **(ضَعْفُ الإدغامِ في حُرُوفِ الحَلْقِ والشفَتَين؛ لقِلَّتِها وبُعْدِ تَنَاوُلِها)**: الدانيّ[5].

22 . **(ما امتَنَعَ إدغامُه من المثلين لعِلَّةٍ فهو في المتقارِبَينِ أمنعُ)**: الدانيّ[6].

21 . **(لايُدغَمُ أحدُ المُتَجَاوِرَين في الآخر حتى يُقْلَبَ إلى لفظِه)**: الخفاجيّ[7].

الجهة الخامسة لظاهرة الإدغام: أنواع الإدغام

ذكرتُ فيما مضى أنواعَ التجاور بين الحروف: التماثل، والتقارب من مخرجٍ واحدٍ أو من مخرجَين أو بالصِّفة، والتباعد. وقد بُنِيَت أحكامُ الإدغامِ وألفاظه على التماثل والتقارب، فكان هناك إدغام الحرف في مثله، أو مقاربه في المخرج أو بالصِّفة، قال ابنُ السرَّاج:"والإدغام في الكلامِ يَجيء على نوعَين: أحدهما: إدغام حرفٍ في حرفٍ يتكرَّر، والآخَر: إدغامُ حرفٍ في حرفٍ يُقارِبُه"[8]. هذا هو الأصل العامُّ في التأليف والتقريب، ثمَّ نظَر العلماء إلى الحرف الأوَّل من المتجاوِرَين من جهتَين:

(1) الموضح ص 139 .
(2) الإدغام الكبير ص 41 .
(3) جامع البيان 2/ 409 .
(4) الإدغام الكبير ص 42 .
(5) الإدغام الكبير ص 41 .
(6) الإدغام الكبير ص 42 .
(7) سر الفصاحة ص 47 .
(8) الأصول 3/ 405 .

1 . سكونه أو تحرُّكه.

2 . بقاء أثرٍ منه عند إدغامه في الثاني، أو ذهابُ ذلك الأثرِ مِنه.

ولكلٍّ من هذه التقسيمات أحكامٌ عديدةٌ في كتب العربية والقراءة. وسأهتمُّ هنا بجانب الألفاظ والمصطلحات التي وُضِعتْ لكلِّ قسم.

النَّوع الأوَّل من أنواع الإدغام: الإدغام المتماثل والمتقارب

أكثر الألفاظ التي تقدَّمت عند التجاور بين الحروف هي الألفاظ التي استعملها العلماء في باب الإدغام، بزيادة لفظ الإدغام أو أحد ألفاظه قبلها فلا داعي إلى تكرارِها هنا، وأصحابها هناك هم أصحابها هنا.

النَّوع الثاني من أنواع الإدغام: سكون الحرف الأوَّل أو تحرُّكه

قسَّم القراء الإدغام في هذا القسم إلى إدغام صغير وكبير، فالصَّغير هو سكون أوَّل المتماثلين أو المتقاربين في كلمة أو كلمتين، والكبير هو تحرُّك أولهما.

فالصغيرُ عند الإدغام ليس فيه إلا إدغام الأوَّل في الثاني إن كانا متماثِلَين، أو قلب الثاني إلى جنس الأول . في الغالب . إن كانا متقارِبَين، ثمَّ إدغام الأوَّل في الثاني.

أمَّا الكبير فيحتاج إلى إزالة الحركة من أوَّل المتماثلين أو المتقاربين عند الإدغام، ثمَّ يأخذ مراحل الصغير بعد ذلك.

ولا بدَّ في الإدغام أن يَسكُن الأوَّل ويتحرَّك الثاني، ولا يجوز أن يَسكن الثاني بحال عند الإدغام، قال سيبويه:" فلم يكن ليكونَ إدغامٌ إلا بسكون الأوَّل. ألا ترى أن الحرفَين إذا تقارَبَ موضعُهما فتحرَّكا أو تحرَّك الأولُ وسكَن الآخِرُ لم يُدغِموا"[1].

الإدغام الصغير:

من المشترك اللَّفظيّ. تقدَّم.

الإدغام الكبير:

هو أن يكون أوَّلُ المدغمَين متحرِّكاً ثم يُسَكَّنُ للإدغام، مثل إدغام الميم في الميم في قوله تعالى: [إنَّ الله لا يَظْلِم مِّثْقَالَ ذَرَّةٍ].

(1) الكتاب 4/ 367 .

استعمله من العلماء: أبو شعيب صالح بن زياد السوسيّ، وابن مهران[1]، وأبو أحمد عبد الله بن الحسين السامريّ[2]، وطاهرُ بن غَلبون[3]، ومكيٌّ بن أبي طالب[4]، والمالكيُّ[5]، والدانيُّ[6]، وأبو معشر الطبريُّ[7].

مثال: قال أبو شعيب السُّوسيُّ:"كان اليزيديُّ قراءته التي كان يُقرئ بها الناس فيها إدغام السَّاكن، وكان له قراءة أخرى **بالإدغام الكبير** يَنسِبها إلى أبي عمرو، وفيها خفاء"[8].

النَّوع الثالث من أنواع الإدغام: الإدغام مع بقاء أثر المُدغَم أو عدمه

الأصلُ في الإدغام أن لا يَبقى أثرٌ من الحرفِ الأوَّل عند الإدغام، وهذا ما تدلُّ عليه التعريفات السابقة للإدغام. لكن هناك من الحروف ما يَملِكُ فضيلة يستحبُّ المحافظة عليها، كالغنَّة في النُّون والتفخيم في حروف الاستعلاء والإطباق. وكان الدانيُّ قد قرَّر قاعدةً مفادها أنَّ **بيان الإطباق في الطاء إذا أدغِمت في التاء كبقاءِ الغُنةِ في النُّونِ والتنوينِ إذا أدغما**)[9].

الألفاظ العامَّة التي استُعملت لذهاب الأثر من المدغَم وبقائه

استعملت للإدغام الذي لا يَبقى فيه أثرٌ من الحرف الأوَّل سواء في النون أو حروف الاستعلاء عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (الإدغام حتى لا يَبقى شيء) 2 . (الإدغام الصَّريح) 3 . (الإدغامُ المحْضُ) 4 . (الإدغامُ المستكمِلُ التشديد) 5 . (الإدغامُ الصَّحيحُ) 6 . (القَلْبُ الصَّحيح) 7 . (الإدغامُ التامُّ) 8 . (الإدغامُ الخالِصُ) 9 . (الإدغام رأساً) 10 . (الإدغام بغير إشارة) 11 . (إدغام الحرف بأسره)

1 . (الإدغام حتى لا يبقى شيء)

استعمله نصير بن يوسف[10].

2 . (الإدغامُ الصَّريح)

(1) المبسوط ص 97 .
(2) جامع البيان للداني 1/ 279 .
(3) التذكرة 1/ 72 و 2/ 517 .
(4) التبصرة ص 110 .
(5) الروضة 1/ 130 و 374 و 383 .
(6) التيسير ص 185 والإدغام الكبير ص 34 .
(7) التلخيص ص 147 .
(8) الإدغام الكبير للدانيّ ص 82 .
(9) التحديد ص 138 .
(10) جامع البيان للداني 2/ 709 .

عبَّر أبو بكر ابنُ أشته في كتابِهِ "المحَبَّر" بـ: (**الإدغام الصَّريح**) عن الإدغام الكامل من غير إشمامٍ للحركة في قراءة أبي جعفر: [تأمَنَّا][1].

3. (الإدغامُ المحض)

استعمل السعيديُّ: (**الإدغام المَحْض**)[2]. وتابعَه: الدانيُّ[3].

واستعمل القرطبيُّ صيغةَ الفعل في تنبيهه عمَّا ينبغي فعله في الياء المشدَّدة بلا غنَّة في نحو: [مَن يَّهْدِ الله] عند من قرأها كذلك "**فأمْحَضَ** الإدغامَ، ولم يأتِ بغنَّة"[4].

4. (الإدغامُ المُستكمِلُ التشديد)

استعمله من العلماء: مكيُّ القيسيّ[5].

5. (الإدغام الصَّحيح)

استعمل الدانيُّ لفظ: (**الإدغام الصَّحيح**) معرِّفاً إياه، فقال:"**الإدغامُ الصَّحيحُ**: حَقُّهُ أن يَنْقَلِبَ الأوَّلُ فيه مِن جِنْسِ الثَّاني، ويَدخُلُ فيما بَعدَهُ إدخالاً شديداً"[6].

وقال في موضعٍ آخَر:" **الإدغام الصحيح**: أن لايَبْقَى من المدْغَمِ أثرٌ لانقلابه إلى لَفْظِ المدْغَمِ فِيهِ، ويصيرَ مخرجُه من مخرجِه"[7].

وتابعَه على اللَّفظ: أبو العباس أحمدُ بنُ خلفِ بنِ عيسون[8].

6. (القلب الصَّحيح)

استعمل الدانيُّ لفظ: (**القَلْب الصَّحيح**) ، وعرَّفه بأنه قلبُ الأوَّل إلى لفظ الثاني[9]؛ لأنَّه الأصلُ في الإدغام.

وتابعَه القرطبيّ[10].

---

(1) المخطوط من جامع البيان ل 170/ ب .

(2) التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ ص30، وكتاب اختلاف القراء في اللام والنون ص 67.

(3) المطبوع من جامع البيان 2/ 409، والمخطوط من فرش الحروف ل 215/ أ.

(4) الموضح ص 154 - 155 .

(5) الرعاية ص 263 .

(6) المقنع في رسم المصاحف ص 135.

(7) المطبوع من جامع البيان 2/ 729 . وانظر : 2/ 731، والتيسير ص127، والإدغام الكبير ص83.

(8) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل 6/ ب . وأبو العباس هو شيخُ ابن الطحّان.

(9) التحديد ص 99، و 112، والتيسير ص45 .

(10) الموضح ص145.

7 . (الإدغام التام)

استعمله من العلماء: الدانيُّ[1].

8 . (الإدغام الخالص)

استعمله من العلماء: الدانيُّ، حيث عرَّفه بقوله:"**الإدغام الخالص** الذي هو إدخالُ الحرفِ في الحرفِ، وتغييبُهُ فيه، فيَذهَبُ أثرُ الأوَّلِ منهما، ويُشَدَّدُ الثاني"[2].

9 . (الإدغام رأساً)

استعمله الدانيّ[3].

10 . (الإدغام بغير إشارة)

استعمله الدانيّ[4].

11 . (إدغام الحرف بأسْرِه)

استعمله القرطبيُّ[5].

ويكون نفي هذه الألفاظ العامَّة معناه التعبير عن بقاء الأثر، فمن ذلك استعمال الدانيّ لـ: **(الإدغام غير التامّ) في مقابل: (الإدغام التامّ)** الذي تقدَّم[6].

ذهابُ الأثر وبقاؤه في النُّون الساكنة والتنوين

نبَّه سيبويه إلى أنَّ إدغام النُّون عند الياء والواو واللاَّم والرَّاء والميم هو كلام العرب، وبيَّن أنَّ مِن العرب مَن يُبقي أثر الغنة عند الإدغام في هذه الحروف ومنهم مَن يُذهِبُه، إلاَّ في الميم والنُّون فإنَّ كلَّ العرب تُبقي الغُنَّة معهما، قال:"النُّون تُدغَمُ مع الرَّاء... وتُدغَمُ بغنَّة وبلا غُنَّة. وتُدغَمُ في اللاَّم... فإن شئتَ كان إدغاماً بلا غُنَّةٍ... وإن شئتَ أدغَمتَ بِغُنَّة... وتُدغَمُ النُّونُ مع الميم؛ لأنَّ صوتهما واحدٌ... وتُدغَمُ النُّونُ مع الواو بِغُنَّةٍ وبلا غُنَّة... وتُدغَمُ النُّونُ مع الياء بغُنَّةٍ وبلا غُنَّة"[7].

وبيَّنَ سيبويه عِلَلَ إدغامِ النُّون في هذه الحروف، فالعِلَّة في الرَّاء واللاَّم قربُهما في المخرج منها على طرفِ

(1) التحديد ص 113 و 150 و 164 .
(2) جامع البيان 2/ 687 وانظر: 2/ 409.
(3) المقنع ص 131 .
(4) التيسير ص 185 .
(5) الموضح ص 145 .
(6) المقنع ص 135 .
(7) الكتاب 4/ 452 .

اللِّسان، واتفاقِ النُّون في الشدّة مع الرَّاء، ولا أدري لماذا أخرج اللاَّمَ من هذا الاتِّفاق؛ إذ كلّ هذه الثلاثة شديدة في الأصل عنده كما تقدَّم من قبل؟

وعلَّل إدغامها في الواو في أنَّها أخَذت حُكْمَ الميمِ بالمجَاوَرَة في أنَّ النون أُدغِمت فيها، ولِينها ومدِّها.

وفي الياء لمؤاخاتها الواو في اللِّين وإدغام الواو والياء في بعضهما، ولقُرب مخرج الياء من الرَّاء واللاَّم، وعلَّل لهذا القرب بانقلاب حرفَيَ الراء واللاَّم إلى الياء في كلام الأَلْثَغِ بهما. ولا يكاد يخرجُ تعليلُ مَن جاء بعده في الإدغامِ في هذه الحروف عن عِلَلِه.

وجرت القرَّاء في الإدغامِ بغُنَّةٍ وبلا غُنَّةٍ جَرْيَ العربِ في كلامِها، قال الدانيُّ:"واختلفَ القرَّاءُ بعْدَ ذلك في بيان صوتِ النُّون والتنوين ـ المركَّبِ في جسمها وهو الغُنَّة مع الإدغام عند اللاَّمِ والراء والواو والياء ـ وفي إدغامه. ولم يَختَلِفُوا في بيانِهِ عند مِثْلِها وعند الميم، مع الإدغام التامّ؛ لكَونِه من خِلْقَةِ المُدْغَم والمدغَم فيه في ذلك"[1].

أمَّا إدغام النُّون مع الميم، فلم يُفرِّق سيبويه بين غنَّة النُّون والميم، قال سيبويه:"وتُدغَمُ النُّونُ مع الميم؛ لأنَّ صوتَهما واحدٌ، وهما مجهوران قد خَالَفا سائرَ الحروفِ التي في الصَّوت، حتى إنك تَسمَعُ النُّونَ كالميمِ والميمَ كالنُّونِ حتى تَتَبَيَّنَ، فصارَتا بمنزلةِ اللاَّمِ والرَّاءِ في القُرْبِ وإن كان المخرجان متباعِدَين، إلا أنهما اشتَبَها لخروجِهِما جميعاً في الخياشيم"[2].

وعدَّ الكسائيُّ إدغام النُّون في الميم من قبيل الإدغام الكامل، أي أنَّه يعتبر أنَّ أثر الغُنَّة الباقي هو للميم[3].

ونشأ خلافٌ بين القرَّاء بعد ذلك في نسبة هذا الأثر الباقي للميم أو النُّون، وقد لخَّص الدانيُّ هذه المذاهب بقولِه:" ومذهب أبي الحسن بن كيسان أنَّ الغُنَّة الظاهرةَ مع الإدغام هي غُنَّةُ النُّونِ والتنوين، لا غنَّة الميم؛ لأنَّه إنَّما أجاز إدغامها فيها لأجلِها، فلم يكن ليذهب ما أوجَب الإدغام. وتابعَه ابن مجاهدٍ على ذلك، فقال:... لأنَّ الميم لها غُنَّةٌ من الأنف، ومن أجل الغُنَّة أُدغِمت النُّونُ في الميم، ولأنَّها أختها، فلا يَقْدِر أحدٌ أن يأتي بـ: (عمَّن) بغير غُنَّةٍ؛ لعلَّة غنة الميم[4].

وذهب غيرهما إلى أنَّ تلك الغُنَّةَ غُنَّةُ الميم، لا غنَّة النُّون والتنوين؛ لانقلابهما إلى لفظِها، وبذلك أقول"[5].

(1) جامع البيان 2/ 718 .

(2) الكتاب 4/ 452 .

(3) انظر تعبير الكسائيّ ونصَّ الدانيّ في جامع البيان 2/ 726 . وانظر ألفاظ الإدغام عند الكسائي في الآتي قريباً.

(4) انظر النصّ في السبعة لابن مجاهد بكلام أوضح من كلام الدانيّ ص 126 .

(5) جامع البيان 2/ 732 .

وبيَّن سيبويه أنَّ الصَّوتَ المُمْتدّ الناشئَ عن إدغامِ النُّونِ بغُنَّةٍ في الرَّاء واللاَّم والياء والواوِ ليس خالصاً من الأنف، إنَّما هو صَوْتُ المُدْغَمِ فيه خَالَطَتْهُ غنَّةٌ من الأنف، قال عن النُّونِ:"وهي مع الرَّاء واللاَّم والياء والواوِ إذا أدغمتَ بغنَّةٍ فليس مخرجُها من الخياشيم، **ولكنْ صوتُ الفم أُشْرِب غُنَّةً**"(1).

وهذا من النُّصوصِ الدَّقيقة جدًّا التي تقومُ حجَّةً في وجه من يَقرأُ الإدغام في نحو: [مَن يَعْمَل] بغُنَّةٍ خالِصَةٍ من الخَيشُوم، وتُبيّنُ أنَّ الصَّوتَ في الإدغام بغُنَّةٍ في هذه الأصوات متردّدٌ بين تجويفَي الفَمِ والأنفِ.

وباستعمال جهاز مقياس الغُنَّة (NASOMETER)(2) فإنَّ الجدول التالي يُوضّحُ نسبةَ غُنَّة النُّون عند حروف الإدغام بغنَّة وبلا غُنَّة:

مسلسل	المثال	متوسط نسبة الغنَّة من الأنف	الأعلى	الأدنى
1.	[مِن مَّاء]	92٫87	94	84
2.	[مَن نَّشَاء]	93٫68	94	88
3.	[مَن يَعْمَل] "بغُنَّة"	82٫10	84	74
4.	[مَن يَعْمَل] "بغير بغُنَّة"	13٫87	21	7
5.	[مِن وَرَاء] "بغُنَّة"	68٫70	71	65
6.	[مِن وَرَاء] "بغير بغُنَّة"	7٫9	11	4
7.	[مِن لَّدُنْهُ] "بغير غُنَّة"	11٫94	20	7

نلاحِظُ من الجدول السابق أنَّ أعلى نسبة للغُنَّة هي عند إدغام النُّون في مثلِها وفي الميم، وهذا يُمكِنُ تفسيرُه بسبب الغَلْق الكامل للمخرج في الميم والنُّون فخرجَ أكثرُ الصَّوت من الخيشوم وسجَّل الجهازُ أعلى نسبة للغُنَّة فيهما.

ومن الملْفتِ للنَّظَر في هذا الجدول اختلافُ نسبتَي الغنَّة في الواو والياء عند إدغام النُّون فيهما بغُنّة حيث سجَّلا تبايناً واضحاً، ولعلَّ ذلك راجعٌ إلى اختلاف المخرجَين، فاختلفت النِّسبةُ تبعاً لذلك، ويَحتاجُ الأمرُ إلى مزيدٍ من التجاربِ لتفسيرِ هذا التفاوت. لكن تبقى هذه النِّسب فيهما شاهدةً لصحَّة كلام سيبويه في أنَّ صوتَ الفم أُشْرِب غُنَّةً عند إدغام النُّون بغنَّة في مثل الواو والياء .

أمَّا الأصوات الباقية المدغمة بغير غنَّة فإنَّ نسبة الغُنَّة القليلة التي سجَّلها الجهاز راجعٌ إلى حساسية الجهاز الفائقة في تسجيلِ أدنى رنينٍ أنفيٍّ (رنين الجيوب الأنفية والجبهيَّة) لا أنَّ الصَّوتَ خرج بغُنَّة، والله

(1) الكتاب 4/ 454 . والإدغام بغنة في اللام والراء مقروءٌ به في رواية حفصٍ عن عاصمٍ وغيرها من طريق طيّبة النشر، وأنت ترى في نصّ سيبويه أنَّه مذهَبٌ معروفٌ عند العرب. (انظر: إتحاف فضلاء البشر لابن البنَّا 1/ 144 - 145).

(2) يسَّر الله لي عمل هذه التجارب على هذا الجهاز في وحدة التخاطب في مستشفى القصر العيني في القاهرة أثناء القيام ببحث الماجستير 1413 هـ - 1993 م. وكان المشرف على هذه التجارب في القاهرة الدكتور الفاضل أشرف أبو العز حفظه الله تعالى.

أعلم.

عدد الحروف التي تُدغَم فيها النُّون:

مذهبان خمسة أحرف عند مَن أخرج النُّون، وستة أحرف بإدخالِها فيها.

تُدغَمُ النُّونُ في خمسة أحرف عند الأخفش[1]، والمبرِّد[2]، وأبو جعفر النحَّاس[3]، والدانيُّ، وجمَعها في: (**لَمْ يَرْوِ**)[4].

وأصحابُ هذا المذهب يُخرجون النُّون منها، وهذا لا يعني أنَّهم لا يُدغمون النُّون في النُّون، بل يرى أصحاب هذا المذهب أنَّ إدغام النُّون في النُّون هو من إدغام المتماثل، ولا تحتاج أن تذكر، قال الدانيُّ عن الحكم الثاني من أحكام النُّون الساكنة والتنوين:"والحالُ الثانية: أن يكونا مُدغَمين، وذلك في خمسة أحرف، يجمعها قولك: (لم يَرْو)... والقرَّاء يزيدون حرفاً سادساً، وهو النُّون، نحو: [مِن نُّورٍ]، و [يوْمَئذٍ نَّاعِمة]، ولا معنى لذِكرها معهنَّ؛ لأنَّها إذا التقتْ بمثْلِها لم يكن غير إدغامِها كسائر المثْلَين"[5].

وتُدغم النُّون في ستة أحرف عند أبي يعقوب يوسفَ بنِ عمرو بنِ يَسَار الأزرق[6]، وابن خالويه[7]، وابن جنيّ[8]، وطاهرُ بن غَلبون[9]، ومكيّ[10]، وإسماعيل بن خلف[11]، وعبد الوهَّاب القرطبيُّ، وأبي العلاء الهمذانيُّ[12].

ويَجمَعُ حروف الإدغام كلمة: (**يَرْمُلُون**)، عند ابن خالويه[13]، وتابعَه المذكورون فوق . من بعد اسمه . إلاَّ القرطبيّ فإنَّه جمعها في كلمة: (**وَلِنَمِيرَ**)[14].

وكان الدانيُّ قد اعترض على مَن نَسَبَ كلمة: (**يرمُلون**) إلى ابن مجاهد معلِّلاً أن حروف الإدغام عند

(1) نقَل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 126 .
(2) المقتضب 1/ 349 .
(3) إعراب القرآن 3/ 173 .
(4) جامع البيان 2/ 715 و 735 ، والتحديد ص 112 .
(5) التحديد ص 112 .
(6) نقل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 723 .
(7) الحجة ص 67 .
(8) المحتسب 1/ 309 .
(9) التذكرة 1/ 187 .
(10) التبصرة ص 117 .
(11) العنوان ص 58 .
(12) التمهيد ص 301 .
(13) الحجة ص 67 .
(14) الموضح ص 144 .

ابن مجاهد خمسة أحرف، فكيف جمعها في ستة أحرف؟[1]

وعلى كلٍّ فإن هذا الجمعَ قد تمَّ في القرن الرابع الهجريّ زمن ابن مجاهد وابن خالويه، والله أعلم.

الألفاظ المستعملة لذهاب الأثر وبقائه في النُّون الساكنة والتنوين

هناك مذهبان مستعملان في النُّون خاصَّة:

1 ـ المذهب الذي يُقسِّم أحكام النُّون الساكنة إلى أربعة أقسام: الإظهارُ، والإدغامُ ويُقسِّمُه إلى قسمَين: بغُنةٍ وبلا غنة، وقلبُ النُّون ميماً خالصةً عند الباء، وإخفاء النُّون عند الحروف الخمسة عشر. وهذا هو المذهب المعروف المشهور، وهو مذهب سيبويه وأصحابه.

2 ـ المذهب الذي يُقسِّم أحكام النُّون إلى ثلاثة: إظهار، وإدغام محضٌ (الإدغام بلا غنة)، والقسمُ الذي يُبقي أثراً من الحرف الأوَّل، فيدخل في هذا الأخير: الإدغام بغنة، والإخفاء عند الحروف الخمسة عشر، وقلب النون ميماً عند الباء، وإخفاء الميم الساكنة عند الباء. وهو مذهب القرَّاء من أهل الكوفة من أصحاب حمزة الزيَّات، أي مذهب سُلَيم بن عيسى والكسائيّ والفرَّاء ومن تابعهم من القرَّاء.

وقد تنوَّعت ألفاظ العلماء بحسب المذهب الذي يَنتمي إليه العالم. وحتى لا تَطغى ألفاظ جانبٍ على جانب آثرتُ تقسيم الألفاظ إلى مجموعتَين ، تمثِّل كلّ مجموعة مذهبَ كلِّ فريق.

1 ـ الألفاظ المستعملة للمذهب الذي يقسِّم الإدغام إلى نوعين بغنة وبلا غنة:

تتلخَّص ألفاظ هذا المذهب في لفظ واحد عامٍّ، وهو الإدغام بلا غُنَّة، ويكون عكسه الإدغام مع بقاء الغنَّة.

1 ـ (**الإدغام بلا غُنَّة**): سيبويه[2]، وابن السرَّاج[3]، وابن مجاهد[4]، وأبو جعفر النحَّاس[5]، ومكيٌّ[6]، وابن بَلِّيمة[7].

2 ـ (**الإدغام بغير غُنَّة**): المبرِّدُ[8]، والزجَّاجُ[1]، وابن مجاهدٍ[2]، وأبو جعفرٍ النحَّاس[3]، والسيرافيُّ[4]، وابن

(1) جامع البيان 2/ 716 .
(2) الكتاب 4/ 452 - 453 .
(3) الأصول 3/ 416 - 417 .
(4) السبعة ص 126 .
(5) إعراب القرآن 2/ 141 .
(6) التبصرة ص 117 .
(7) تلخيص العبارات ص 44 .
(8) المقتضب 1/ 352 .

خالويه[5]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[6]، وابن مِهرانٍ[7]، ومكيٌّ[8]، والمالكيُّ[9]، والدانيّ[10]، والقرطبيُّ[11]، وأبو مَعْشَرٍ الطبريُّ[12].

3 . **(إذهابُ الغُنَّة)**: المبرِّدُ[13]. وتابعَه: الدانيُّ[14]، وإسماعيلُ بن خَلَف[15].

4 . **(الإدغامُ وذهابُ الغُنَّة)**: ابن مجاهد[16]. وهذا الاستعمال من ابن مجاهد دليلٌ على أنَّ مذهبه شكَّل مذهباً وسطاً بين البصريّين والكوفيّين.

5 . **(الإدغام بلا إظهارٍ للغُنَّة)**: ابن سفيان القيروانيُّ[17].

6 . **(الإدغام من غير إظهار للغُنَّة)**: مكيّ القيسيّ[18].

ويكون عكس هذه الألفاظ هو الإدغام مع الغنَّة، وإليك من استعمله:

1 . **(الإدغامُ بغنَّة)**: سيبويه[19]. وتابعَه كثير من العلماء، منهم: المبرِّدُ[20]، والزجَّاجُ[21]، وابن السرَّاج[22]، وابن مجاهد[23]، والنحَّاس[1]، والسيرافيُّ[2]، وابن خالويه[3]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[4]، ومكيٌّ[5]، والمالكيُّ[6]،

(1) معاني القرآن وإعرابه 1/ 85 .
(2) السبعة ص 126 .
(3) إعراب القرآن 5/ 3 .
(4) إدغام القراء ص 55 .
(5) الحجة ص 67 .
(6) التكملة ص 278 .
(7) المبسوط ص 97 - 98 .
(8) التبصرة ص 117 .
(9) الروضة 1/ 381 .
(10) التيسير ص 45 .
(11) الموضح ص 145 .
(12) التلخيص ص 135 .
(13) المقتضب 1/ 352 .
(14) الإدغام الكبير ص 89 .
(15) العنوان ص 58 .
(16) السبعة ص 126 .
(17) الهادي 1/ 125 .
(18) التبصرة ص 117 .
(19) الكتاب 4/ 452- 453 .
(20) المقتضب 1/ 352 .
(21) معاني القرآن وإعرابه 1/ 85 .
(22) الأصول 3/ 416- 417 .
(23) السبعة ص 126 .

والدانيُّ[7]، والقرطبيُّ[8]، وأبو مَعشرٍ الطبريُّ[9]، وابن بلّيمة[10]، وغيرهم.

2 . **(إدغامُ التنوين عند اللاَّم ويَبْقَى غُنَّة)**: محمَّد بن عمر الرُّوميُّ[11]، والحسن بن داود المعدِّل الشهير بالنقَّار[12].

3 . **(الإدغامُ مع إبقاء الغنة)**: ابن مجاهد[13]، والدانيُّ[14].

4 . **(إبقاء صوتِ النُّون مع إظهار الغُنَّةِ عند الإدغام)**: ابن سفيان القيروانيُّ[15].

5 . **(إدغام النُّونِ مع إظهار الغُنَّة في نفس الحرف الأوَّل)**: مكيُّ بن أبي طالب القيسيُّ[16].

6 . **(الإدغامُ غيرُ المستكمِل التشديد)**: مكّي بن أبي طالبٍ القيسيّ[17].

7 . **(إبقاء الغُنَّة مع الإدغام)**: الدانيُّ[18].

8 . **(تبيين غُنَّةِ النُّون والتنوين مع الإدغام)**: الدانيّ[19].

2 . الألفاظ المستعملة للإدغام بغنة وبلا غنَّة عند من قسَّم أحكام النُّون إلى ثلاثة أقسام:

تتلخَّص ألفاظ هذا المذهب عن الإدغام بلا غُنَّة في أربعة ألفاظ عامة هي:

(1) إعراب القرآن 2/ 141 و 5/ 3 .
(2) إدغام القراء ص 55 .
(3) الحجة ص 67 .
(4) التكملة ص 278 .
(5) التبصرة ص 117 .
(6) الروضة 1/ 381 .
(7) التيسير ص 45 .
(8) الموضح ص 145 .
(9) التلخيص ص 135 .
(10) تلخيص العبارات ص 44 .
(11) جامع البيان 2/ 723 .
(12) جامع البيان 2/ 723 .
(13) السبعة ص 126 .
(14) التيسير ص 183 .
(15) الهادي 1/ 125 .
(16) الرعاية ص 263 و التبصرة ص 117.
(17) الرعاية ص 263
(18) جامع البيان 2/ 726 .
(19) انظر المصطلح والنَّص في جامع البيان 2/ 718 .

1 . الإدغام والإدخال الخالصان. 2 . إظهار النُّون 3 . نفي البيان والتبيين والإظهار 4 . حذف الغنة

ويكون مقابل الثلاثة الأولى منها ثلاثة ألفاظ أخرى استعملت للإدغام بغنَّة، وهي:

1 . نفي الإدغام المحض 2 . إخفاء النُّون 3 . البيان والتبيين والإظهار والإبقاء.

أوَّلاً: ألفاظ الإدغام والإدخال الخالصان، وهو الإدغام بلا غنة:

1 . "(**يُدْغِمُ النُّونَ والتنوينَ عند الواوِ والياءِ**): سُلَيمُ بن عيسى (راوي الإمام حمزة) في حكايته مذهبَ حمزة.

قال الداني : "يريدُ غُنَّتَهُما؛ لأنَّ بيانَهُما عندَهُما غيرُ جائز"[1].

2 . (**تُدْغَمُ النُّونُ والتنوينُ عند أربعة أحرف: الرَّاءُ واللاَّم والياءُ والميم**): الكسائيّ.

قال الدانيُّ:"قال ابن مجاهد : ولم يَذكُر الواوَ وذكَرَها الأخفشُ . قال أبو عمرو [الدانيّ] : وإنما لم يَذْكُرْهَا لما كانَ مذهبُهُ بيانَ الغُنَّةِ عندَهَا مع الإدغامِ دونَ غيرِها، فدَلَّ ذلك على صِحَّةِ ما رواه قُتَيبةُ وغيرُه عنه"[2] .

وهذا يعني أنَّ الإدغامَ بغُنَّةٍ عند الكسائيّ . في بعض الروايات عنه . هو في الواو فقط. ويعني أنَّ لفظ: (الإدغام) عنده هو الإدغام المحض الخالص، وخصوصاً إدغامُ النُّونِ في الميم، حيث يعدُّ الغنَّة للميم وليست للنُّون.

3 . (**إدخالُ النُّون والتنوينِ في الرَّاء إدخالاً شديداً ولا يَبقَى غُنَّة**): أحمدُ بن صالحٍ[3].

4 . (**زيادةُ إدغامِ الغُنَّةِ حتى يُخَيَّلُ إليك أنهُ ليس في الحرفِ تنوينٌ رأساً**): أبو الحسن عليُّ بن يزيد بن كِيسة[4].

5 . (**الإدغام**): عبد الله ابن ذكوان (راوي ابن عامرٍ)[5].

6 . (**إدغامُ الغُنَّة**): أحمد بن جُبَيرٍ الأنطاكيُّ[6]، وأبو محمَّد إسحاق بن أحمد الخزاعيُّ[7]، وأبو بكر محمد بن أحمد الرمليُّ الضَّريرُ الملقَّب بالدَّاجوني الكبير[8]، وأحمد بن يعقوب بن التائب[1]، وطاهرُ بن غَلْبون[2]،

(1) انظر التعبير والنَّص في جامع البيان 2/ 724 .
(2) انظر تعبير الكسائيّ ونصَّ الدانيّ في جامع البيان 2/ 726 .
(3) المطبوع من جامع البيان 2/ 721 .
(4) انظر التعبير في جامع البيان 2/ 724 .
(5) جامع البيان 2/ 728 .
(6) جامع البيان 2/ 721 .
(7) جامع البيان 2/ 718 .
(8) جامع البيان 2/ 728 .

وأبو الفضل الخزاعيُّ[3]، ومكيٌّ[4]، والمالكيُّ[5]، والدانيُّ[6]، وأبو عليٍّ الأهوازيُّ[7]، وابن بلّيمة[8]، وأبو العزّ القلانسيُّ[9].

7 . (**إدغام النُّون عند الميم والراء وإخفاؤها عند اللام والواو والياء**): ابن مجاهدٍ[10].

وهذا من الأمثلة التي تدلُّ على أنَّ الإدغام عند القرَّاء يعني الإدغام المحضَ، وأنَّ إدغامَ النُّون في الميم من قَبِيل الإدغام الكامل.

وأنَّ الإخفاءَ في قول ابن مجاهد يعني الإدغامَ بغُنَّة، وذلك لبقاء أثر الغُنَّة في الحرفِ الأوَّل.

8 . (**إدغامُ النُّون والتنوين عند اللاَّم والرَّاء**): أبو الفضل الخزاعيُّ[11]. يعني إذهاب الغنَّة.

ويكون نفي هذه الألفاظ هو التعبير عن الإدغام بغنة، وإليك من استعمله:

1 . (**لا أُدْغِمُ النُّونَ عند الواو**): من قول الكسائيِّ في قوله تعالى: [أَفَمَن وَعَدْنَهُ]. بمعنى أنَّهُ يُظْهِرُ الغُنَّة ولا يُذهِبُها.

قال الداني: "يُريدُ: لا أَذْهَبُ بصوتِها مع الإدغامِ؛ إذ كان بيانُها بالكُلِّية غيرَ جائزٍ"[12].

وهذا من الأمثلةِ النَّادِرة عن الكسائيّ التي تدلُّ على أنَّ الإدغام عند الكوفيّين يَعني الإدغامَ المحْضَ لا غير، وأنَّ القسمَ المقابل له يَشمَل كلَّ ما يَبقى معه غُنَّة.

2 . (**لا يُدْغِمُ الغُنَّةَ**): أبو جعفرٍ محمدُ بن حبيبٍ الشمُّونيُّ[13].

3 . (**لا يُطْفِئُ هذه النُّونُ عند الأحرفِ الأربعة: الياء والواو والرَّاء واللاَّم**): أبو بكرٍ محمَّد بن حفصٍ

(1) التحديد ص 112 .
(2) التذكرة 1/ 188 .
(3) المنتهى ص 154 .
(4) الرعاية ص 240 .
(5) الروضة 1/ 361 .
(6) المطبوع من جامع البيان 2/ 712 .
(7) الوجيز 1/ 49 .
(8) تلخيص العبارات ص 44 .
(9) الإرشاد ص 165 .
(10) جامع البيان 2/ 729 .
(11) المنتهى ص 152 .
(12) انظر التعبير والنَّص في جامع البيان 2/ 721 .
(13) جامع البيان 2/ 723 .

الدوريُّ[1].

4 . **(لا يُدغِمُ النُّونَ والتنوينَ عند شيءٍ من هذه الحروف)**: من قول أبي عون محمدِ بن عمرو الواسطيّ في مذهبِه عن قالون في إدغام النون والتنوين في اللام والرَّاء والياء والواو[2].

5 . **(لا يُدْغِمُ التنوينَ في اللاَّم حيثُ وقَعَ)**: من قولِ أبي العباس محمد بنِ أحمدَ بنِ وَاصِلٍ البغداديّ في روايته عن نافعٍ[3].

6 . **(كأنَّهُ يُدْغِمُها قليلاً)**: أبو الحسن إسماعيل بن عبد الله النحَّاس.

قال الدانيُّ:"يَعني أنهُ يُبْقِي غُنَّتَها مع الإدغامِ فلا يَذْهَبُ لفظُها رأساً"[4].

7 . **(لا يُسقِطُ التنوينَ في شيءٍ من القرآن ولا يُشْبِعُه)**: أبو بكرٍ الأصبهانيُّ (صاحبُ ورشٍ)[5].

8 . **(بغَير إدغام)**: من قول أبي بكرٍ الأصبهانيُّ (صاحب ورشٍ) في قوله تعالى: [يُبَيِّن لَنَا][6].

9 . **(خَفيفةٌ غيرُ مُدغَمة)**: من قولِ أبي الفضل العباسِ بنِ محمَّد بن أبي محمَّد اليزيديّ البغداديّ في قوله تعالى: [يس وَالْقُرْآنِ].

قال الدانيُّ:"يريدُ أنَّ غُنَّتَها ظاهرةٌ"[7].

ثانياً: ألفاظ الإظهار تعبيراً عن الإدغام بلا غُنَّة

1 . **(إظهار النُّون)**: الفرَّاء، قالها في [ن والقَلَمِ][8].

ويكون لفظ: (الإخفاء) عكسه، أعني التعبير عن الإدغام بغنة:

1 . **(إخفاء النُّون)**: يعقوبُ بن جعفرٍ[9]، والفرَّاء[10]، وأبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلام[11]، وأحمد الحُلْوانيُّ[12]،

(1) جامع البيان 2/ 727 .
(2) جامع البيان 2/ 721 .
(3) جامع البيان 2/ 720 .
(4) انظر التعبير والنصّ في المخطوط من جامع البيان ل 213/ ب .
(5) جامع البيان 2/ 721 .
(6) جامع البيان 2/ 721 .
(7) انظر المصطلح والنَّص في جامع البيان ل 213/ ب .
(8) معاني القرآن 3/ 172 .
(9) السبعة ص 646 .
(10) معاني القرآن 3/ 172 .
(11) نقَل ذلك عنه النحَّاس في إعراب القرآن 3/ 173 .
(12) السبعة ص 646 .

وابن مجاهدٍ[1]، وأبو جعفرٍ النحَّاس[2]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[3]، وابن مِهران[4]، وابن زنجلة[5]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[6]، والسعيديُّ[7]، والدانيُّ[8]، وأبو مَعشَرٍ الطبريُّ[9].

2 . **(جَعْلُ النُّونِ غُنَّةً مُخفاةً غيرَ مُدْغَمَةٍ عند الياءِ والواوِ)**: أحمد بن يعقوب التائب.

قال بعد ذلك معلِّلاً:"لأنَّهم لَو أدغَمُوها لذَهَبَت الغُنَّةُ، فصارت الياءُ والواوُ مُشَدَّدَتَين؛ لانقلابِ النُّونِ ياءً أو واواً واندغامِها فيهما"[10].

ثالثاً: نفي البيان والتبيين والإظهار تعبيراً عن الإدغام بلا غُنَّة:

1 . **(لا يُبَيِّنُ الغُنَّة)**: قتيبة بن مِهران[11]، وأبو عبد الله محمَّد بن عيسى الأصبهانيّ[12].

2 . **(ترك التبيان)**: الفرَّاء، قالها في [ن والقَلَمِ][13].

3 . **(لا يُبَيِّنُ التنوين)**: من قول حمادِ بن بَحْرٍ الكوفيّ[14] في روايته عن إسحاق المسيَّبيّ في قوله تعالى: [غَفُورٌ رَّحيم][15].

4 . **(ترك التبيين)**: الزجَّاج[16]. وهذا الاستعمال غريبٌ على الزجَّاج أحد شيوخ المذهب البصريّ. ولعلَّه تأثَّر بمصطلحات أبي عبيد القاسم بن سلام تلميذ الكسائيّ في القراءة، خاصةً وأنَّ الزجَّاج صرَّح في أول

(1) نقل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 729 .

(2) إعراب القرآن 5/ 3 .

(3) 5/ 356 و 6/ 309 . ولم يُعلِّق أبو عليٍّ على هذا المصطلح بشيء مع أنه من أكابر علماء المدرسة البصرية الذين يتمسَّكون بمصطلحات سيبويه، والذي يَظهَر أنه اكتفى بنقل مصطلحات شيخه ابن مجاهد التي مرجعها إلى الفرَّاء .

(4) المبسوط ص 310 .

(5) الحجة ص 717 .

(6) المنتهى ص 551 .

(7) التنبيه على اللحن الجليّ والخفيّ ص 12 .

(8) المقنع ص 135 .

(9) التلخيص ص 145 .

(10) جامع البيان 2/ 730 والتحديد ص 112 .

(11) المطبوع من جامع البيان 2/ 726 .

(12) المطبوع من جامع البيان 2/ 724 .

(13) معاني القرآن 3/ 172 .

(14) حمَّادُ بن بحرٍ الكوفيُّ ، روى القراءة عن إسحاق المسيّبيّ. روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً محمّد بن عيسى الأصبهانيُّ. قال الدانيُّ: وحمَّادٌ هذا كثير الشذوذ لأصحابه عن المسيّبيّ. (غاية النهاية 1/ 257).

(15) المطبوع من جامع البيان 2/ 720 .

(16) معاني القرآن وإعرابه 1/ 65.

كتابه: (معاني القرآن) باعتماده في القراءات على كتاب أبي عبيد[1].

5 . (**حذفُ الغُنَّة**): أبو العزِّ القلانسيّ[2].

وفي المقابل عبَّر أصحاب هذا المذهب عن الإدغام بغُنَّة بالألفاظ التالية:

1 . (**بيانُ الغُنَّة**): أبو عبد الرحمن قتيبةُ بنُ مِهران (صاحب الكسائيّ) [3]. وتابعَه: أحمدُ بن جبيرٍ الأنطاكيُّ[4].

2 . (**تبيين النُّون**): الفرَّاء[5].

3 . (**نونٌ ساكنةٌ تَظْهَرُ عند اللاَّم**): من قول المسيَّبيّ، وقالون في قوله تعالى: [مِن لَدُنْهُ]، و [مُسَلَّمَةٌ لا شِيَة فيها].

قال الدانيُّ:"يُريدان غُنَّتَهُما"[6].

4 . (**النُّون مُبيَّنةٌ غيرُ مُدْغَمَة، والتنوينُ مُبَيَّنٌ غَيرُ مُدْغَمٍ**): أبو عبد الله محمد المسيَّبيّ، وابن واصلٍ البغداديّ[7].

5 . (**بيانُ النُّونِ أشدّ البيانِ عند اللاَّم والواو والياء**): أبو هشامٍ الرِّفاعيُّ.

قال الدانيُّ:"وهذا القولُ عندي مُؤذِنٌ ببيانِ الغُنَّةِ مع الإدغام"[8].

6 . (**إبقاءُ الغُنَّةِ عند الياء والواو مع تشديدهما وشَوبُهما مع تشديدهما نونٌ**): أحمدُ بنُ صالح.

قال الدانيُّ: "وهذا الذي حَكَاهُ أحمدُ بنُ صالحٍ من بَيَانِ غُنَّةِ الياءِ والواوِ مع التشديدِ غيرُ مستقيمٍ؛ لأنَّ التشديدَ لا يَتَحَصَّلُ إلا بقَلْبِ النُّونِ والتنوينِ قلباً صحيحاً، وإذا قُلِبَتَا ذَهَبَتْ غُنَّتُهُما بذلك"[9].

(1) معاني القرآن وإعرابه 1/ 65.

(2) الإرشاد ص 166 .

(3) جامع البيان 2/ 726 .

(4) جامع البيان 2/ 724 .

(5) معاني القرآن 3/ 172 .

(6) جامع البيان 2/ 718 .

(7) كلاهما في جامع البيان 2/ 718 .

(8) انظر المصطلح والنَّص في جامع البيان 2/ 724 .

(9) انظر المصطلح والنَّص في جامع البيان 2/ 722 – 723. وقلتُ تعليقاً: قد ذَكَر الدانيُّ في 2/ 729 أنَّه متى ظهرتِ الغُنَّةُ مع الإدغام فالنُّون والتنوينُ لم ينقَلِباً حرفاً خالِصاً، وإذا امتنعتا من القلبِ الخالِصِ امتنعتا من الإدغام التامِّ إلاَّ أنَّهُ لا بدَّ مع ذلك من تشديد يسيرٍ اهـ. فإذا أثبتَ التشديدَ مع الغُنَّة فلا يَمنَعُ أن يكون أحمدُ بن صالحٍ قد قصَدهُ في هذا الذي حكاه عنه، والله أعلم .

7 . **(إظهارُ الغُنَّة)**: أبو جعفرٍ محمدُ بن حبيبٍ الشمُّونيُّ[1]، وأبو بكر الزَّينبيُّ[2]، وأبو الحسن ابن شَنَبُوذ[3]، وأبو بكر محمد بن أحمد الرمليُّ الضَّريرُ الملقَّب بالدَّاجوني الكبير[4]، وطاهر بن غَلْبونٍ[5]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[6]، والمالكيُّ[7]، ومكيٌّ[8]، وإسماعيلُ بن خلف[9]، والأهوازيُّ[10]، وأبو العزِّ القلانسيُّ[11].

8 . **(تبيينُ الغُنَّة)**: أبو عبد الله محمدُ بن عيسى الأصبهانيُّ، وأحمد بن جبير الأنطاكيُّ[12]، وأبو العباس محمد بن أحمد بن واصلٍ البغداديُّ[13].

9 . **(بيانُ النُّون والتنوين عند اللاَّم)**: أبو عَونٍ الواسطيُّ محمَّد بن عمرو.

قال الدانيُّ عن هذه التعبير والذي تقدَّم:" ولم يُرِد هؤلاء البيانَ كلَّه؛ لما فيه من الكُلْفة والمؤونة، وإنَّما أرادوا الغُنَّةَ التي من الخيشوم وحدَها دون لفظِ النُّونِ، أي أنَّهُ كان يُبْقِيهَا ولا يُذهِبها مع الإدغام"[14].

10 . **(تَبْقِيَةُ الغُنَّة)**: المالكيُّ[15]. وتابعَه: أبو مَعْشَرٍ الطبريُّ[16].

11 . **(إبقاء الغُنَّة)**: الدانيُّ[17]. وتابعَه: أبو العزِّ القلانسيّ[18].

12 . **(بيان صَوت النُّون والتنوين)**: الدانيّ[19].

قوانينُ الإدغام في النُّون الساكنة والتنوين

(1) جامع البيان 2/ 723 .
(2) جامع البيان 2/ 718 .
(3) جامع البيان 2/ 718 .
(4) جامع البيان 2/ 728 .
(5) التذكرة 1/ 188 .
(6) المنتهى ص 154 .
(7) الروضة 1/ 361 .
(8) الرعاية ص 240 .
(9) العنوان ص 58 .
(10) الوجيز 1/ 49 .
(11) الإرشاد ص 165 .
(12) كلاهما في جامع البيان 2/ 724 .
(13) جامع البيان 2/ 721 .
(14) انظر المصطلح والنَّص في جامع البيان 2/ 721 .
(15) الروضة 1/ 361 .
(16) التلخيص ص 135 .
(17) الإدغام الكبير ص 89 .
(18) الإرشاد ص 166 .
(19) انظر المصطلح والنَّص في جامع البيان 2/ 718 .

. (لا تأتلفُ النُّونُ الساكنةُ قبلَ راءٍ أو لامٍ في كلمةٍ (نحو: قنر، عنل)؛ لثقلِ الإظهار بسبب قرب مخرج النُّون منهما، وخوفِ الالتباسِ بالمضاعَفِ في الإدغام): سيبويه[1]. وتابعَه: الرُّمانيّ[2].

. (تُدغَمُ النُّونُ السَّاكنةُ في خمسةِ أحرفٍ ويَمْتنعُ العَكْسُ إلا اللاَّمُ): الفارسيُّ[3].

. (الإخفاءُ يُشْبِهُ الإدغامَ في عَدَم تَبَيُّنِ المدْغَم والمخْفَى): أبو عليّ الفارسيّ[4]. هذا على مراد سيبويه في الإخفاء .

. (الإدغام فارقَ الإخفاء في القَلْبِ والتشديد): مكيٌّ[5].

. (المخفى مُخَفَّف والمدْغَمُ مشدَّد): الدانيّ[6].

الألفاظ المستعملة لذهاب الأثر وبقائه في حروف الاستعلاء والإطباق

من الجمل التي استُعملتْ للتعبير عن ذهاب الأثر:

1 . (**كان يُدغِمُ الظاءَ في التاءِ فيكون تاءً واحدةً مشدَّدة، مثل: وَعَدتُّ**): قالها جعفر بن محمد الآدميّ بسنده إلى أبي عمرو بن العلاء في [أَوَعَظْتَ]. قال الدانيُّ:"فهذا يدلُّ على أنَّه كان يُدغِمُها، ولا يُبقي لها صوتاً، فتَنقَلِبُ لذلك تاءً خالصةً"[7].

2 . (**إدغام القاف وصوتِها عند الكاف**): قالها أبو علي الأهوازيّ في [أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ][8].

3 . (**إدغام القاف في الكاف، وقلبها كافاً خالصةً من غير إظهارِ صَوتٍ لها**): قالها الدانيّ في [أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ][9].

ومن الجمل الخاصَّة المستعملة لبقاء الأثر في حروف الاستعلاء والإطباق:

1 . (**بين الإظهار والإدغام**): محمَّدُ بن سعدان[10] ونُصَير بن يوسف، وتابعهما ابنُ مِهران[11]، قال وهو

(1) الكتاب 4/ 456 .
(2) شرح كتاب سيبويه ل 200/ أ .
(3) التكملة ص 278 .
(4) الحجة 4/ 445 و 5/ 259 .
(5) التبصرة ص 118 .
(6) التحديد ص 115 .
(7) جامع البيان 2/ 709 .
(8) الوجيز 1/ 47 .
(9) جامع البيان 2/ 710 .
(10) المبسوط ص 92.
(11) المبسوط 97.

يحكي لفظ نُصَير بن يوسف:"وأدغَم الكسائيُّ وحدَه الفاء في الباء... والظاءَ في التاء من قوله: [أَوَعَظتَّ] [الشعراء 136] في رواية نُصَيرٍ وحده، وقال: (بين الإظهار والإدغام)، يعني أنه يُبقي لإطباق الظاء أثراً. كذلك قرأْنا في روايته، والله أعلم"[1].

2 . **(بين الإظهار والإدغام على ما يَخرجُ من اللَّفظ)**: زاد البخاريُّ المقرئ على الجملة السَّابقة: **(على ما يَخرج من اللَّفظ)**[2].

3 . **(لا مبيَّنة ولا مدغَمة، بين ذلك)**: استعمل قالونُ[3]، وابنُ شنبوذ: (لا مبيَّنة ولا مدغَمة، بين ذلك) [4] في وصفهما لكيفية أداء القاف من قوله تعالى: [أَلَمْ نَخْلُقكُم] [المرسلات 20].

4 . **(إدغام الطاء في التاء مع تبقية إطباق الطاء)**: قالها الدانيّ في نحو: [أَحَطتُ][5].

الظاهرة الثانية من ظواهر طَلَب التخفيف: نَقْلُ الحرَكة

نقلُ الحركة أحدُ طرُق التخفيف التي استَعمَلَتها العربُ في الكلام. ومعناه انتقالُ الحركة من موضعٍ إلى موضعٍ غالباً ما يكون سابقاً عليه. وأكثرُ استعمالاته خاصٌّ بـ:

1 . نَقْل حركَةِ الهمزة إلى ساكنٍ قبلَها كقولك في الأرض: أَلَرْض.

2 . ونقل حركة الإعراب إلى ساكنٍ قبلها عند الوقف كقولك في هذا بَكْرٌ، ولم يَضْرِبْهُ: هذا بَكُرْ، ولم يَضْرِبُهْ.

والأوَّلُ مُستَعمَلٌ بكثرةٍ عند القُرَّاءِ دون الثاني.

استعمل لنقل الحركة عدة ألفاظ، منها:

1 . (الإلْقاء) 2 . (التحويل) 3 . (الإتباع) 4 . (الطَّرْح) 5 . (النَّقل) 6 . (الوَصْل) 7 . (القَلْبُ) 8 . (الرَدُّ).

1 . المصطلح الأوَّل لظاهرة نقل الحركة: (الإلقاء)

من المشترك اللَّفظيّ. من أصلِه اللُّغويّ أن يدلَّ على النَّبْذِ. ألقَيتُهُ إلقاءً: نَبَذتُهُ.

استُعمِل: (الإلقاءُ) في أكثر من معنى، منها:

(1) المبسوط ص 93.
(2) المبسوط ص 95.
(3) جامع البيان 2/ 710 .
(4) جامع البيان للداني 2/ 710.
(5) جامع البيان 2/ 710 .

1 . الحذف 2 . نقل الحركة 3 . قصرُ صلة هاءِ الضَّمير 4 . تسهيل الهمزة

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإلقاء) = الحذف

استعمله كثيرٌ من العلماء لا يُحصَون، منهم: أبو عمرو بن العلاء[1]، والخليل[2]، وسيبويه، والفرَّاءُ[3]، وأبو عبيدة[4]، والأخفش[5]، والزجَّاج[6]، وابن السرَّاج[7]، وابن خالويه[8].

مثال: قال سيبويه:" وأمَّا دَخَلْتهُ دُخُولاً، وَولَجْتُهُ وُلُوجاً، فإنما هي: وَلَجْتُ فيه، ودَخَلْتُ فيه، ولكنَّه **أَلْقَى** (في) استخفافاً كما قالوا: نُبِّئتُ زيداً، وإنما يريدُ نُبِّئتُ عن زيدٍ"[9].

2 . المعنى الثاني لـ: (الإلقاء) = نقل الحركة

استعمله من العلماء: سيبويه[10]، ووَرْشٌ[11]، والأخفشُ[12]، وابن السكِّيت[13]، والمازنيُّ[14]، وأبو العباس محمد بن أحمد بن واصلٍ البغداديُّ[15]، والمبرِّد[16]، والزجَّاجُ[17]، وابن السرَّاج[18]، وابن دُرَيدٍ[19]، وابن مجاهدٍ[20]، وأبو جعفر النحَّاس[21]، وأبو عليٍّ القالي[22]، والسيرافيُّ[23]، والأزهريُّ[1]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[2]،

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة 2/ 274 .
(2) العين 4/ 269 .
(3) معاني القرآن 1/ 15 .
(4) مجاز القرآن 2/ 28 .
(5) العروض ص 115 .
(6) معاني القرآن وإعرابه 1/ 89 .
(7) الأصول 1/ 114 .
(8) الحجة ص 130 .
(9) الكتاب 4/ 10 .
(10) الكتاب 3/ 545 و 550 و 4/ 158 و 422.
(11) نقَل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 148 .
(12) العَروض ص 133 .
(13) إصلاح المنطق ص 168 .
(14) نقَل ذلك عنه ابن جني في المنصف 1/ 267 .
(15) نقل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 585 .
(16) المقتضب 1/ 235 و 244 و 248 .
(17) معاني القرآن وإعرابه 2/ 434 و 5/ 200 .
(18) الأصول 2/ 361 و 367 و 3/ 278 و 283.
(19) الجمهرة 2/ 413 و 3/ 22.
(20) السبعة ص 148 و 287 .
(21) إعراب القرآن 1/ 188 و 190 و 278 و 290 و 2/ 66 و 119 و 3/ 57 و 313.
(22) البارع ص 134 .
(23) إدغام القراء ص 37 وما ذكره الكوفيون من الإدغام ص 82 و شرح كتاب سيبويه 1/ 194 و 2/ 83.

والرُّمَّانيُّ[3]، وابن جنيّ[4]، وطاهرُ بنُ غَلْبُون[5]، وابن زنجلة[6]، وابن سفيانٍ القيروانيُّ[7]، ومكيٌّ[8]، والمالكيُّ[9]، والدانيُّ[10]، والقرطبيُّ[11]، وأبو العزّ القلانسيُّ[12].

مثال: قال سيبويه:"وتقولُ: (أَقْرِئَ بَاكَ السَّلامَ)، بلغة أهل الحجاز؛ لأنهم يُخَفِّفونهما. فإنما قلتَ: (أَقْرِي)، ثمَّ جِئتَ بـ: (الأب)، فحَذَفْتَ الهمزةَ، **وألقَيْتَ الحركةَ** على الياء"[13].

3 . المعنى الثالث لـ: (الإلقاء) = قصرُ صلة هاءِ الضَّمير

استعمله من العلماء: الأخفشُ، قال:" وقد قال قَومٌ: [إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِين]، **فألقَوا** الواوَ، وشَبَّهوا الساكنَ بالياءِ والواوِ والألفِ. وهذا ليس بجيّدٍ في العربية، وأجوَدُه: [مِنْه, نَذِيرٌ]، تُلْحِقُ الواوَ، وإن كانت لا تُكتَب"[14].

4 . المعنى الرابع لـ: (الإلقاء) = تسهيل الهمزة

استعمله من العلماء: يونس بن عبد الأعلى، قال:"إذا التقت الهمزتان في حرفَين، أو كلمة **فألْقِ** إحداهما" اهـ.

قال الدانيُّ معلِّقاً: "يريدون بتَركِها وإلقائها: تسهيلَها"[15].

2 . المصطلح الثاني لظاهرة نقل الحركة: (الوَصْلُ)

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حتى يَعْلَقَه. ووَصَلْتُه به وَصْلاً،

(1) معاني القراءات 2/ 69 و 180 .
(2) الحجة 2/ 450 و 5/ 185 و 6/ 42 والتكملة ص 5 و 33.
(3) معاني الحروف ص 111 .
(4) سر صناعة الإعراب 2/ 490 والمنصف 2/ 314 و المحتسب 1/ 241 و 2/ 158.
(5) التذكرة 1/ 70 و 2/ 395 و 577.
(6) الحجة ص 476 .
(7) الهادي 1/ 69 و 105.
(8) التبصرة ص 61 و 70 و 101 والرعاية ص 133.
(9) الروضة 1/ 315 و 469 .
(10) التحديد ص 150 و التيسير ص 31 وجامع البيان 2/ 635.
(11) الموضح ص 121 .
(12) الإرشاد ص 267 .
(13) الكتاب 3/ 550 .
(14) معاني القرآن 1/ 178 .
(15) التعبير والتعليق في جامع البيان للداني 2/ 516 .

والوَصلُ: ضدّ الهِجْران. وتقولُ: وصَلْتُ الشيءَ وَصلاً، والموصولُ به وِصْلٌ، بكسر الواو[1].

استُعمِل: (الوَصْل) في أكثر من معنى، منها:

1 . ضد الوقف 2 . صلة هاء الضمير 3 . صلة ميم الجمع 4 . نقل الحركة 5 . المدّ المتَّصِل

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الوَصْل) = ضدّ الوقف

استعمله كثيرٌ من العلماء لا يُحصَون، منهم: أبو عمرو بن العلاء[2]، والخليل[3]، وسيبويه، والكسائيّ[4]، وعليّ بن نصر الجهضميّ[5]، والفرَّاء[6]، والأخفش[7]، وابن السكّيت[8]، وأبو هشام الرفاعيّ[9]، وأحمد بن صالح[10]، والمبرِّد[11]، وابن السرَّاج[12]، وابن مجاهد[13]، وابن خالويه[14]، والدانيّ[15]، وغيرهم.

مثال: قال سيبويه عن هاء النُّدبة في مثل: وازَيْدَاه:"واعلم أنَّك إذا **وَصَلْتَ** كلامَك ذَهَبتْ هذه الهاءُ في جميع النُّدبة"[16].

2 . المعنى الثاني لـ: (الوَصْل) = صلة هاء الضمير

استعمله كثيرٌ لا يُحصَون، منهم: إسماعيلُ بن جعفر القارئ[17]، وحفصُ بن المغيرة الأسديُّ[18]، وورشٌ[19]، والفرَّاء، وخلف بن هشام البزَّار[1]، والمبرِّد[2]، وابن مجاهد[3]، ومكيّ[4]، والدانيُّ[5]، وإسماعيلُ بن

(1) مقاييس اللغة ص 1055 (و ص ل).
(2) السبعة لابن مجاهد ص 701 .
(3) الكتاب لسيبويه 3/ 525 .
(4) إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 262 .
(5) السبعة لابن مجاهد ص 701 .
(6) معاني القرآن 1/ 172 .
(7) القوافي ص 11 .
(8) إصلاح المنطق ص 303 .
(9) جامع البيان للدانيّ 2/ 595 .
(10) السبعة لابن مجاهد ص 573 .
(11) المقتضب 1/ 399 .
(12) الأصول 2/ 164 .
(13) السبعة لابن مجاهد ص 188 .
(14) الحجة ص 246 .
(15) المكتفى في الوقف والابتدا ص 175 .
(16) الكتاب 2/ 222 .
(17) السبعة لابن مجاهد ص 481 .
(18) جامع البيان للداني 2/ 436 .
(19) السبعة لابن مجاهد ص 481 .

خلَف[6]، وابن بلِّيمة[7]، وغيرهم.

مثال: قال الفرَّاء عن مذاهب العرب في هاء الضمير:"والوجهُ الأكثرُ أن **تُوصَلَ** بواوٍ، فيقال: كَلَّمْتُهُو كَلاَماً"[8].

3. المعنى الثالث لـ: (الوصل، الصِّلة) = صلة ميم الجمع

استعمله الكسائيُّ، وورشٌ[9]، وأبو محمد حجاج بن محمد المصيصيّ[10]، وابن مجاهد[11]، وابن خالويه[12]، وابن سفيان القيروانيُّ[13]، ومكيّ[14].

مثال: قال الكسائيُّ في كتاب المعاني:"العربُ **تَصِلُ** ما كان نحو: (مِنكُمُو)، و(عَنكُمُو)، و(قُلْتُمو)، و(حُيِّيتُمو)، وما أشبهه، ويَقْطَعُون... **ولا تَصِلْ** كلَّ القرآن فيكونَ كلُّ القطعِ خطأ، ولا تَقطع كلَّ القرآن فيكون كلُّ الوصلِ خطأ، تَفْعَلُ ذا وذا، وكلٌّ حسنٌ..."[15]. فالوصلُ هو إلحاق ميم الجمع بواو، والقطعُ هو الإسكانُ في أحد معانيه.

4. المعنى الرَّابع لـ: (الوَصْل، المَوصول) = نقل الحركة

استعمله: أبو سعيدٍ سقلابُ بن شيبةَ المصريّ[16]، وورْشٌ[17]، ومحمد بن عبد الله الحيريّ، والحسن بن

(1) جامع البيان للدانيّ 2/ 435 .
(2) المقتضب 1/ 174 .
(3) السبعة ص 207 .
(4) التبصرة ص 56 .
(5) التحديد ص 124 .
(6) العنوان ص 42 .
(7) تلخيص العبارات ص 94 .
(8) معاني القرآن 1/ 223 .
(9) السبعة لابن مجاهد ص 109 .
(10) جامع البيان للداني 2/ 348 .
(11) السبعة ص 108 .
(12) إعراب ثلاثين سورة ص 32 .
(13) الهادي 1/ 58 .
(14) التبصرة ص 58 .
(15) جامع البيان للداني 2/ 379 .
(16) نقل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 471 .
(17) نقل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 471 .

داود النقَّار[1].

مثال: قال محمَّد بن عبد الله الحيريُّ:" [قُلَ اتَّخَذْتُمْ] في البقرة، و[فإنُ احْصِرْتُم]، و[أنَ ادُّوا إِلَيَّ] في الدخان: **مَوصولة**" اهـ.

قال الدانيُّ معلِّقاً:"يعني أنَّه يُلْقي حركةَ الهمزة فيهنَّ على اللاَّمِ والنُّون"[2].

5 . المعنى الخامس لـ: (الوَصْل) = المدّ المتَّصل

استعمله قالون تعبيراً عن اجتماع المدّ والهمز في كلمة واحدة مما يُعرف في عصرنا بالمدِّ المتَّصِل، قال عن مذهب نافع في حروف المدّ:"إذا مَدَّهنَّ **يَصِلُ** المدّ بالهمز، ويَمُدّ" اهـ.

قال الدانيُّ معلِّقاً:"يعني في المتَّصِل"[3].

وهذا من أقدم النصوص التي تُعدُّ إرهاصةً لولادة مصطلح: (المد المتَّصِل).

3 . المصطلح الثالث لظاهرة نقل الحركة: (الطَّرْحُ)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على نَبْذِ الشيءِ وإلقائه. يقال: طَرَحَ الشيءَ يَطْرَحُهُ طَرْحاً[4].

استُعمل: (الطَّرْحُ) في أكثر من معنى، منها:

1 . الحذف 2 . جزءٌ مشاركٌ في نقل الحركة.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الطَّرْح) = الحذف

استعمله من العلماء: نافع المقرئ[5]، والخليل[6]، وسيبويه[7]، والكسائيّ[8]، والفرَّاء[9]، وأبو زيدٍ اللُّغويّ[10]، والأخفش[11]، وابن قتيبة[12]، والمبرِّد[1]، وثعلب[2]، والزجَّاجُ[3]، وابن السرَّاج[4]، وابن مجاهد[5]،

(1) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 564 .
(2) التعبير والتعليق في جامع البيان للدانيّ 2/ 638 .
(3) التعبير والتعليق في جامع البيان للداني 2/ 443 .
(4) مقاييس اللغة ص 612 (ط ر ح).
(5) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 1/ 88 .
(6) العين 1/ 327 و 2/ 189 و 209 و 247 و 3/ 197 و 233 و 4/ 91 .
(7) الكتاب 2/ 208 .
(8) نقل ذلك عنه أبو عبيد في الغريب المصنف في اللغة 2/ 130 .
(9) معاني القرآن 1/ 1 .
(10) النوادر ص 472 .
(11) العَروض ص 145 .
(12) أدب الكاتب ص 290 .

والزجَّاجيّ[6]، والقاليُّ[7]، وابن خالويه[8]، والأزهريُّ[9]، وابن مِهران[10]، وابن جنيّ[11]، وطاهر بن غَلْبون[12]، وابن زنجلة[13].

مثال: قال الخليل:"ونَاقةٌ عَوْسَرَانِيَّة، وهي التي تُرَكَّبُ قبل أن تُراضَ، والذَّكَرُ: عَيْسَرانيٌّ، كالمنسوب، وإن شئتَ **طَرَحْتَ** الياءَ وضَمَمْتَ السِّينَ كما تَضُمُّ الخيزُران فتقول: عَيْسُران"[14].

2 . المعنى الثاني لـ: (الطَّرْح) = نقل الحركة

استعمله من العلماء: سيبويه[15]، والمازنيُّ[16]، والمبرِّدُ[17]، والزجَّاج[18]، وابن السرَّاج[19]، وابن دُرَيد[20]، وابن خالويه[21]، والأزهريُّ[22]، وابن جنيّ[23]، وابن زنجلة[24].

مثال: قال سيبويه في تخفيف: (هو يَرمي إخْوانَهُ):"وعلى هذا تقول: (هُوَ يَرْمِ خْوانَهُ)، تَحذِفُ الهمزةَ **ولا تَطْرَحُ** الكسرة على الياء، لِما ذكرتُ لك، ولكن تَحذِفُ الياءَ لالتقاءِ الساكنين"[25].

---

(1) المقتضب 1/ 186 .
(2) مجالس ثعلب 1/ 164 .
(3) معاني القرآن وإعرابه 1/ 81 .
(4) الأصول 1/ 133 .
(5) السبعة ص 179 .
(6) شرح جمل الزجاجي ص 308 .
(7) البارع في اللغة ص 169 .
(8) الحجة ص 62 .
(9) معاني القراءات 1/ 121 .
(10) المبسوط ص 133 .
(11) المحتسب 2/ 109 .
(12) التذكرة 1/ 76 .
(13) الحجة ص 104 .
(14) العين 1/ 327 .
(15) الكتاب 3/ 256 .
(16) نقل ذلك عنه الفارسيُّ في الحجة 1/ 139 .
(17) المقتضب 1/ 242 و 244 و 271 و 296 و 377.
(18) معاني القرآن 1/ 65 و 2/ 185 و 434 و 3/ 312 و 4/ 289.
(19) الأصول 2/ 139 .
(20) الجمهرة 3/ 64 .
(21) الحجة ص 64 .
(22) معاني القراءات 1/ 178 و 2/ 45 .
(23) المنصف 2/ 103 .
(24) الحجة ص 331 .
(25) الكتاب 3/ 556 .

ومثالٌ آخَر على نقل الحركة إلى ما بعدها قولُ سيبويه:"فإنما ألْقَوا الكسرةَ فيما كان مكسورَ الفاءِ على العَيْناتِ وحَذَفُوا الفاءَ، وذلك نحو: عِدَةٍ وأصلُها: وعِدْةٌ، وشِيَةٍ وأصلُها وشِيْةٌ، فحَذَفُوا الوَاوَ **وطَرَحُوا** كسْرَتَها على العَين، وكذلك أخَوَاتُها"[1].

4 . المصطلح الرابع لظاهرة نقل الحركة: (التحويلُ)

من المشتركِ اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُ (التحويل) اللُّغويُّ على تحرُّكٍ في دَوْرٍ. حَالَ الشَّخْصُ يَحُولُ، إذا تحرَّكَ، وكذلك كلُّ متحوِّلٍ عن حالةٍ. وحَوَّلْتُهُ تحويلاً: نَقَلتُهُ من موضعٍ إلى موضع[2].

استُعمِل: (التحويل) في أكثر من معنى، منها:

1 . الإبدال، واستُعمِل في أكثر من موطنٍ، منها: إبدالُ الحروف، وقلبُ النُّونِ ميماً عند الباءِ.

2 . نقل الحركة.

1 . المعنى الأوَّل: التحويلُ = الإبدال:

واستُعمِل في أكثر من موطنٍ، منها:

الموطنُ الأوَّل: إبدالُ الحروف:

استعمله من العلماء: الخليلُ[3]، وسيبويه[4]، والكسائيُّ[5]، والفرَّاءُ[6]، وأبو عبيدة[7]، وأبو زيدٍ اللُّغويُّ[8]، والأخفش[9]، وابن السرَّاج[10]، وابن دُرَيد[11]، وابن مجاهدٍ[12]، وأبو بكر ابن الأنباريّ[13]، والأزهريُّ[14]، وابن

(1) الكتاب 3/ 370 .
(2) مقاييس اللغة ص 271 (ح و ل) والمصباح المنير ص 157.
(3) العين 4/ 76 و 243 و 316 و 8/ 248.
(4) الكتاب 3/ 265 .
(5) نقَل ذلك عنه ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص 132 .
(6) معاني القرآن 2/ 16 .
(7) مجاز القرآن 1/ 296 .
(8) النوادر ص 510 .
(9) معاني القراءات 1/ 273 .
(10) الأصول 3/ 259 .
(11) الجمهرة 1/ 12 .
(12) السبعة ص 138 .
(13) الأضداد ص 267 .
(14) معاني القراءات 1/ 137 .

خالويه[1].

مثال: قال سيبويه:"ولكنَّك لو قَلَبْتَ العينَ حاءً فقُلتَ في: امْدَحْ عَرَفَة: امْدَحَّرَفَة جَازَ، كما قُلتَ: اجْبَحِّنَبَهُ، تريدُ: اجْبَهْ عِنَبَهُ، حيث أدْغَمتَ **وحَوَّلْتَ** العينَ حاءً، ثمَّ أدغَمْتَ الهاءَ فيها"[2].

الموطنُ الثاني: قلبُ النُّونِ ميماً عند الباءِ:

استعمله من العلماء: سيبويه، وابن السرَّاج[3].

مثال: قال سيبويه:"وإذا كانت [النُّونُ] مع الباءِ لم تَتَبيَّن، وذلك قولك: شَمْباء والعَمْبر؛ لأنَّك لا تُدْغِمُ النُّونَ، وإنما **تُحَوِّلُها** ميماً"[4].

2 . المعنى الثاني: التحويل = نَقْلُ الحركة:

استعمله من العلماء: الخليلُ، وسيبويه[5]، والفرَّاء[6]، والأخفش[7]، والمازنيُّ[8]، وابن قتيبة[9]، والمبرِّد[10]، والزجَّاجُ[11]، وابن السرَّاج[12]، وأبو بكر ابن الأنباريّ[13]، وابن جنيّ[14]، وابن زنجلة[15].

مثال: قال الخليل:" وقال الله جلَّ وعزَّ: [ظَلْتَ علَيْهِ عاكِفاً]، وقُرِىء: (ظِلْتَ عليه). فمَن فَتَحَ فالأصلُ فيه: ظَلِلْتَ عليه، ولكن اللامَّ حُذِفَتْ لثِقَل التضعيفِ والكسرِ، وبَقِيَت الظاءُ على فتحِها. ومن قَرَأ: (ظِلْتَ) بالكسرِ **حَوَّلَ** كسرةَ اللاَّمِ على الظاءِ"[16].

5 . المصطلح لخامس لظاهرة نقل الحركة: (الإتباع)

(1) الحجة ص 69 و 185.
(2) الكتاب 4/ 345 .
(3) الأصول 3/ 418 .
(4) الكتاب 4/ 455 .
(5) الكتاب 4/ 345 .
(6) معاني القرآن 2/ 342 .
(7) معاني القرآن 2/ 515 و 558 .
(8) نقَل ذلك عنه ابن جنيّ في المنصف 1/ 248 .
(9) أدب الكاتب ص 471 .
(10) المقتضب 1/ 244 .
(11) معاني القرآن 3/ 375 .
(12) الأصول 3/ 267 و 278 .
(13) الأضداد ص 130 .
(14) المنصف 2/ 223 .
(15) الحجة ص 577 .
(16) العين 8/ 148 .

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على التُّلُوِّ والقَفْو، يقال: تَبِعْتُ فلاناً، إذا تلَوتَه واتَّبعتَه، وأتبعتُه، إذا لحِقتَه، والأصلُ واحدٌ، ومن أهل العربية من يجعلُ المعنى فيهما واحداً[1].

استُعمِل: (الإتباع) في أكثرَ من معنىً، منها:

1 . إتباع الكلمةِ الكلمةَ 2 . إتباع الحركةِ الحركةَ 3 . إشباعُ الحركات 4 . الإبدال 5 . صلةُ هاء الضمير 6 . نقل الحركة إلى الساكن قبلها 7 . إتباع الإمالة للإمالة 8 . مشاركٌ في صلة ميم الجمع.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإتباع) = إتباع الكلمة الكلمة

استعمله من العلماء: الخليل، وابن قتيبة[2]، وثعلبُ[3]، والزجَّاجُ[4]، وابن السرَّاجُ[5]، وأبو بكر ابن الأنباريّ[6]، والقالي[7].

مثال: قال الخليل:"يقال: هو حَسَنٌ بَسَنٌ، وهو **إتباعٌ**"[8].

2 . المعنى الثاني لـ: (الإتباع) = إتباعُ الحركةِ الحركةَ

استَعمله من العلماء: سيبويه، ومعاذُ بن مسلمٍ الهرَّاء[9]، والفرَّاءُ[10]، والأخفش[11]، والمبرِّدُ[12]، وثعلبُ[13]، والزجَّاج[14]، وابن السرَّاج[15]، وابن مجاهد[16]، والنحَّاسُ[17]، والسيرافيُّ[18]، وابن خالويه[19]، والأزهريُّ[1]، وأبو

(1) مقاييس اللُّغة ص 161 (ت ب ع).
(2) تأويل مشكل القرآن ص 236 .
(3) مجالس ثعلب 1/ 27 .
(4) معاني القرآن وإعرابه 5/ 260 .
(5) الأصول 2/ 136 .
(6) الأضداد ص 385 .
(7) الأمالي والنوادر 2/ 208 .
(8) العين 7/ 272 .
(9) نقَل ذلك عنه الزبيديُّ في طبقات النحويّين واللُّغويّين ص 126 .
(10) معاني القرآن 1/ 118 و 2/ 329 .
(11) معاني القرآن 1/ 209 و 2/ 558، والقوافي ص 84.
(12) المقتضب 1/ 320 و 2/ 187- 188.
(13) مجالس ثعلب 2/ 396 .
(14) معاني القرآن وإعرابه 2/ 214 .
(15) الأصول 1/ 61 و 2/ 137 و 3/ 336 .
(16) السبعة ص 109 .
(17) إعراب القرآن 1/ 278 و 2/ 404 و 142 و 3/ 23 و 412.
(18) شرح كتاب سيبويه 1/ 166 .
(19) الحجة ص 92 و 232 وإعراب ثلاثين سورة ص 18 .

عليٍّ الفارسيُّ[2]، وابن جنيّ[3]، وطاهرُ بن غَلْبون[4]، والثعالبيُّ[5]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[6].

مثال: قال سيبويه:"وأمّا مُنْذُ فضُمَّتْ لأنَّها للغاية، ومع ذا أنّ مِن كلامِهم أن **يُتْبِعُوا** الضمَّ الضمَّ، كما قالوا: رُدُّ يا فتى"[7].

قوانينُ الإتباع بالحركات:

1 . إتباع الحركات يُناظِرُ الإدغام في العملِ من وجه واحد: سيبويه[8].

2 . الإتباع ليكون الصَّوت من جنسٍ واحدٍ وضَرْبٍ واحد: أبو عليٍّ الفارسيُّ[9].

3 . (الحركةُ إذا كانتْ للتقريبِ من الحرف لم تُكْرَه، ولم تكنْ بمنزلةِ ما لا تقريبَ فيه): أبو عليٍّ الفارسيُّ، قالَها في بعضِ أنواعِ الإتباع الذي يُغيّرُ البناءَ إلى ما يُستَكرَه أو ما لا يوجَدُ عربيَّةً ، ككسرِ أوَّل: (شِيُوخ، وجِيُوب، وشِعِير)[10].

4 . (قد يُخَالفُ الإعرابُ لإيثار تقريبِ الصَّوتِ مِن الصَّوت): ابن جنيّ، قالها في: (الحمدُ لله)[11].

3 . المعنى الثالث لـ: (الإتباع) = إشباع الحركات

استعمله من العلماء: الأخفش، قال عن مَذْهَبِ العرب في إنشاد الشِّعر:" أمَّا إذا أرادوا الحِداء والغِناء والترنُّم فإنَّ كلَّهم **يُتْبِعُ** الرَّوِيَّ المضمومَ واواً، والمفتوحَ ألفاً، والمكسورَ ياءً"[12].

4 . المعنى الرَّابع لـ: (الإتباع) = الإبدال

استعمله من العلماء: الأخفش[13]، والمازنيُّ.

مثال: قال المازنيُّ عن إبدال تاء الافتعال زاياً في ازتَجَر:"فإذا كان قبل هذه التاءِ زايٌ أبدلْتَ التاءَ دالاً،

(1) معاني القراءات 1/ 142 و 294 .
(2) التكملة ص 5 والحجة 6/ 42 .
(3) المنصف 2/ 223 والخصائص 2/ 77 والمحتسب 2/ 137.
(4) التذكرة 1/ 177 .
(5) فقه اللغة ص 372 .
(6) أسرار العربية ص 147 .
(7) الكتاب 3/ 287 وانظر: 4/ 178 .
(8) الكتاب 4/ 107 .
(9) الحجة 1/ 127 .
(10) الحجة 2/ 282.
(11) الخصائص 2/ 145 .
(12) القوافي ص 104 وانظر ص 11 .
(13) معاني القرآن 1/ 199 .

مثل: ازْدَجَر، ومُزْدَجَر، ومن **أَتْبَعَ** التاءَ الحرفَ الذي قَبْلَها أبدلَ منها الزَّاي، فقال: ازَّجَرَ، وهو مُزَّجِرٌ"[1].

5 . المعنى الخامس لـ: (الإتباع) = صلة هاء الضمير

استعمله من العلماء: المبرِّدُ، قال عن إلحاق الهاءِ بواوٍ أو ياء:"فإن كانتْ قبْلَها كسرة جاز أن **تُتْبِعَهَا** واواً أو ياءً أيّهما شئتَ؛ أمَّا الواوُ فعَلى الأصلِ الذي ذكرتُ لك، وأمَّا الياءُ فلِقُرْبِ الجِوار؛ لأنَّ الضمَّةَ مُسْتَثقلَةٌ بعد الكسرةِ، والناسُ ـ عامّةً ـ للكسرةِ والياءِ بعدَها أكثرُ استعمالاً"[2].

6 . المعنى السَّادس لـ: (الإتباع) = نَقْلُ الحركةِ إلى ساكنٍ قبلها

استعمله من العلماء: الزجَّاجُ[3]، والزجَّاجيُّ[4]، وأبو البركات ابن الأنباريّ.

مثال: قال أبو البركات الإنباريّ:"**والإتباعُ**: وهو أن تحرِّكَ ما قبلَ الحرفِ الأخير إذا كان ساكناً حركةَ الحرفِ الأخيرِ في الرَّفعِ والجرِّ، نحو: هذا بَكُرْ، ومرَرْتُ بِبَكِرْ"[5].

7 . المعنى السَّابع لـ: (الإتباع) = إتباع الإمالة الإمالة

استعمله من العلماء: عبد المنعم بن غَلْبون، قال عن علَّة إمالة ألف كُسَالى من أجل إمالة الألف المرسومة ياءً بعدها:"فحجَّةُ مَن أمال لام الفعلِ، أنَّه من أجل الألف التي صُوِّرَتْ في السَّوادِ ياءً، وهي زائدةٌ على لام الفعل، فلمَّا أمال الألف التي بعدَ لام الفعلِ، أمال لامَ الفعلِ، **فأَتْبَع** الإمالةَ الإمالة. فإمالةُ لام الفعلِ من أجل الزائدةِ التي بعدها"[6].

8 . المعنى الثامن لـ: (الإتباع) = صلةُ ميمِ الجمع

(ضمُّ ميم الجمع **وإتباعُها** واواً في اللَّفظ): إسماعيلُ بن خَلَفٍ الأندلسيُّ[7].

6 . المصطلح السادس لظاهرة نقل الحركة: (القَلْبُ)

من المشترك اللَّفظيّ. من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على ردِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة. قَلَبْتُ الثوبَ قَلْباً، وقَلَبتُ الشيءَ: كَبَبتُه، وقَلَّبتُ الشيءَ تقليباً[8]. قال الخليل:" والقَلْبُ: تَحويلُك الشيء عن وجْهه، وكلامٌ

(1) نقَل ذلك عنه ابن جنّي في المنصف 2/ 330 .
(2) المقتضب 1/ 175 وانظر: 1/ 399 .
(3) معاني القرآن وإعرابه 1/ 206 .
(4) شرح جمل الزجاجي ص 374 .
(5) أسرار العربية ص 204 .
(6) الاستكمال ص 116 .
(7) العنوان ص 41 .
(8) مقاييس اللغة ص 828 (ق ل ب).

مَقلُوبٌ، وقَلَبْتهُ فانقَلَبَ، وقَلَّبْتُه فَتَقَلَّبَ"[1].

استُعمِل: (القَلْب) في أكثر من معنى، منها:

1 . إبدال حرف بحرف، وهذا باب كبير يدخل ضمنه عدة ظواهر، وتمثِّل معانٍ صوتية كبرى، منها: إبدال تاء الافتعال، والقلب المكانيّ، وقلب النون ميماً عند الباء، وإبدال الحروف، ، وغير ذلك من المعاني التي تندرج تحت معنى الإبدال بمفهومه العام.

2 . نقل الحركة، وهو المقصود هنا.

3 . مشاركُ في التعبير عن الإدغام الكامل.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (القَلْب) = إبدال حرف بحرف، واستُعمِل في أكثر من موطنٍ، منها

1 . الموطن الأوَّل لـ: (القَلْب) = إبدال تاء الافتعال

استعمله من العلماء: الخليل، والمبرِّد[2].

مثال: قال الخليل:"وظُلِمَ فلانٌ فاظَّلَمَ، أي احتَمَلَ الظُّلْم بطِيب نفسه، افتَعَلَ وقياسه: (اظتَلَمَ)، فشُدَّدَ **وقُلِبَتْ** التاءُ طاءً فأُدْغِمَت الظاء في الطاء"[3].

2 . الموطن الثاني لـ: (القَلْب) = القلب المكاني، ويعني تغيير أمكنة الحروف وإبدالها

استعمله من العلماء: الخليل، وسيبويه[4]، والمبرد[5]، وابن فارس[6].

مثال: قال الخليل:"والعربُ تقولُ: نَأَى فلانٌ يَنْأَى، إذا بَعُدَ. وناءَ عنّي، بوزن (نا ع) على **القَلْب**"[7].

3 . الموطن الثالث لـ: (القَلْب) = قَلْبُ النُّونِ ميماً عند الباءِ

استعمال مصطلح: (**القَلْبِ**) لهذه الظاهرة هو لسيبويه، وهو الذي جعل أحكام النُّون الساكنة والتنوين أربعة أحكام، وهي الإظهار، والإدغام بغنة وبلا غنة، وقلبُ النُّون ميماً خالصةً عند الباء، وإخفاء النُّون عند الحروف الخمسة عشر، وتابعه على ذلك أصحابه من البصريّين وكثيرٌ من القراء والمجوِّدين من متابِعيهم،

(1) العين 5/ 171 .
(2) المقتضب 1/ 229 .
(3) العين 8/ 163 .
(4) الكتاب 3/ 465 .
(5) المقتضب 1/ 167 .
(6) الصاحبي ص 329 .
(7) العين 8/ 393 . وانظر: 8/ 251 .

على حين أنَّ الكوفيّين يجعلون أحكام النُّون الساكنة والتنوين ثلاثة: الإظهار والإدغام المحْضُ، والإخفاء، ويشمل هذا الأخير: الإدغام بغنة، وقلب النُّون ميماً عند الباء، وإخفاء النُّون عند الحروف الخمسة عشر، وقد مضى بيانُ ذلك في مصطلح: (الإخفاء)، وما دخَل من الوهم في الأداء عند بعض القراء نتيجة اختلاف المذهبَين.

استعمل هذا المصطلح من العلماء: سيبويه، وابن السرَّاج[1]، وأبو جعفر النحَّاس[2]، وأبو عليّ الفارسيّ[3]، ومكيّ[4]، والدانيّ[5].

قال سيبويه:" وتُقلَبُ النُّونُ مع الباءِ ميماً... ولم يجعلوا النُّونَ باءً؛ لِبُعدها في المخرج، وأنها ليست فيها غنةٌ. ولكنَّهم أبدَلوا من مكانها أشبهَ الحروف بالنُّون وهي الميم، وذلك قولهم: مَمْبِكَ يريدون: مَن بِكَ، وشَمْباء وعَمْبَر، يريدون شنباء وعنبر"[6].

وذكَر الدانيُّ أن أحد أحوال النون الساكنة والتنوين"أن **يُقلَبا ميماً خالِصةً** من غير إدغام، وذلك عند الباء خاصّةً، وسواء كانت النونُ معها في كلمة أو كلمتَين، نحو قوله:[وَيُؤْمِنۢ بِاللهِ]، و[مِنۢ بَعْدِ ذَلِكَ]، و[مِنۢ بَيْنِهِمْ]، و[أَنبِهُمْ]، و[أَنبِونِي]، و[أَنبَتَكُمْ]"[7].

فقوله (خالصةً) يُبيِّن لك أنَّها ميم ظاهرةٌ تَتِمُّ بإطباق الشفتين .

وعرَّف ابن الطحان الأندلسيُّ القَلْبَ، فقال:" القَلْبُ: عبارةٌ عن الحُكْمِ المشهورِ من الأحكامِ الأربعةِ المختَصَّةِ بالنُّونِ الساكنةِ والتنوينِ، **وهو إبدالهُما عند لقائهما الباءَ ميماً خالصةً، تعويضاً صحيحاً، لا يَبقَى من النُّونِ والتنوينِ أثرٌ**"[8].

وهذا التأكيد من ابن الطحَّان في آخر كلامه يرُدُّ على من يتوهَّم أن المراد بهذا الحكم هو إخفاء ذات الميم.

ولنا أن نقول لهؤلاء: إذا كان المرادُ من جَلْب الميم التقريبَ بين النُّون والباءِ والتحبيبَ بينهما، فما وجه العلَّة في إخفاء هذا الشفيعِ المحبِّب ؟ أليس في إخفائه نقضٌ للعلَّة التي جيء به من أجلِها ؟

(1) الأصول 3/ 416 .
(2) إعراب القرآن 3/ 173 .
(3) التكملة ص 287 .
(4) التبصرة ص 118 .
(5) التحديد ص 150 .
(6) الكتاب 4/ 453 .
(7) جامع البيان 2/ 734. وفي قول الدانيّ: (ميماً خالصةً) ردٌّ واضِحٌ على الذين يقرؤون بلا إطباقٍ للشفتَين في النون عند الباء.
(8) مرشد القارئ ل 7/ أ .

وهذا التساؤلُ الأخير أكَّده سيبويه في حديثه عن اجتماع الميم الساكنة عند الباء حيث ذكر أنَّ الميم تَبقى كما هي ولا تُقْلَب، إذ كيف تُقلب وهي التي لجُئ إليها عند اجتماع النُّون مع الباء، قال سيبويه:" فالميمُ لا تُدغَم في الباءِ، وذلك قولك: أكرِم به؛ لأنهم يَقلبون النون ميماً في قولهم: العَنبر ومَن بَدا لك. فلما وقَع مع الباء الحرفُ الذي يَفِرُّون إليه من النون لم يُغَيِّروه، وجعلوه بمنزلة النون إذ كانا حرفي غنة "[1].

4 . الموطن الرابع لـ: (القَلْب) = إبدال الحروف عموماً

استعمله من العلماء: سيبويه، والأخفش[2]، والمازنيُّ[3]، وأبو حاتم السِّجستانيّ[4]، وابن قتيبة[5]، وغيرهم.

مثال: قال سيبويه: "هذا بابُ ما تُقْلَبُ الواوُ فيه ياءً إذا كانت متحركةً والياءُ قبلها ساكنة، أو كانت ساكنةً والياء بعدها متحركة"[6].

2 . المعنى الثاني لـ: (القلب) = نقل الحركة

استعمله: هشامُ بن معاوية الضَّرير، وأبو جعفر النحَّاس[7].

قال هشام في توجيه ضمة نون (نحنُ):"الأصل: نَحُنْ، قُلِبتْ حركة الحاءِ على النُّون وأُسكِنت الحاءُ"[8].

3 . المعنى الثالث لـ: (القَلْب) = مشاركٌ في الإدغام الكامل:

تقدَّم استعمال الدانيّ لـ: (القلب الصحيح) تعبيراً عن ذلك.

7 . المصطلح السابع لظاهرة نقل الحركة: (النَّقْلُ):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تحويلِ شيءٍ من مكانٍ إلى مكانٍ، ثمَّ يُفرَّعُ ذلك، يقال: نَقَلتُهُ أنقُلُهُ نَقْلاً، ونَقَلَ الفرسُ قوائمَهُ[9].

استعمله من العلماء: الكسائيُّ[10]، والفرَّاءُ بلفظ: **(نقل الإعراب)**[11]، والأخفش[12]، وابن السِّكِّيت[1]،

(1) الكتاب 4/ 447 .
(2) معاني القرآن 1/ 394 .
(3) المنصف لابن جني 2/ 242 .
(4) البارع للقالي ص 425 .
(5) تأويل مشكل القرآن ص 344 .
(6) الكتاب 4/ 365 .
(7) إعراب القرآن 1/ 259 و 285 و 2/ 358 و 3/ 397 .
(8) نقَل ذلك عنه النحَّاس في إعراب القرآن 1/ 189 .
(9) مقاييس اللغة ص 1004 (ن ق ل).
(10) نقَل ذلك عنه ابن الأنباريّ في إيضاح الوقف والابتدا 1/ 459 .
(11) معاني القرآن 2/ 96 و 379 و 3/ 213 .
(12) معاني القرآن 2/ 468 .

وثعلبُ[2]، والزجَّاج[3]، وابن السرَّاج[4]، وابن مجاهد[5]، وأبو بكر ابن الأنباريّ[6]، والزجَّاجيّ[7]، والسيرافيُّ[8]، وابن خالويه[9]، والفارسيُّ[10]، وعبد المنعم بن غَلْبون[11]، وابن جنيّ[12]، وطاهرُ بن غَلْبون[13]، وابن سفيان القيروانيُّ[14]، ومكيٌّ[15]، والمالكيُّ[16]، والدانيُّ[17]، وابن رشيق القيروانيُّ[18]، وأبو مَعْشر الطبريُّ[19]، وإسماعيلُ بن خلَف[20]، وابن بلّيمة[21]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[22].

وهذا من المصطلحات التي اشترك في استعمالها رجالُ النَّحو من البصريّين والكوفيّين، والقرَّاءُ، والبلاغيُّون.

مثال: قال الفرَّاء:" فأمَّا مَن قال: (يَخَطِّفُ)، فإنه **نَقَل** إعرابَ التاءِ المدغَمة إلى الخاءِ، إذ كانت منجزمةً"[23].

أي نقَل حركة التاء المفتوحة المدغَمة في يَخْتَطِفُ إلى الخاء الساكنة.

8 . المصطلح الثامن لظاهرة نقل الحركة: (الرَّدّ)

(1) إصلاح المنطق ص 35 .
(2) نقَل ذلك عنه ابن جنيّ في الخصائص 3/ 142 .
(3) معاني القرآن وإعرابه 2/ 464 و 3/ 118 .
(4) الأصول 1/ 116 و 3/ 278 و 283 .
(5) السبعة ص 696 .
(6) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 197 و الأضداد ص 130 .
(7) شرح جمل الزجاجيّ ص 164 .
(8) إدغام القراء ص 37 .
(9) الحجة ص 64 و 74 و 130 وإعراب ثلاثين سورة ص 3 و 100.
(10) الحجة 1/ 324 و 348 و 2/ 97 والتكملة ص 251.
(11) الاستكمال ص 190 .
(12) المنصف 1/ 249 والمحتسب 1/ 196.
(13) التذكرة 1/ 123 .
(14) الهادي 1/ 88 .
(15) التبصرة ص 338 .
(16) الروضة 1/ 469 .
(17) التحديد ص 150 .
(18) العمدة 2/ 311 .
(19) التلخيص ص 157 .
(20) العنوان ص 48 .
(21) تلخيص العبارات ص 30 .
(22) الإنصاف في حلّ مسائل الخلاف 2/ 731 .
(23) معاني القرآن 1/ 18 .

ابن مِهران[1]، وتقدَّم.

ومن الجُمَل التي استُعمِلتْ للتعبير عن نَقلِ الحركة:

1 . (**فتحُ اللاَّمِ من غَير همز**): قالها أبو سلمة عبد الرحمن بن إسحاق في نقلِ فتحة همزة [الأوَّلِين] إلى ما قبلَها بعد حذف الهمزة، لِتَصير: (أَلَوَّلِين)[2].

2 . (**الوقف بغير همزٍ**): قالها أبو سلمة عبد الرحمن بن إسحاق أيضاً في نقلِ فتحة همزة [قَدْ أَفْلَح] إلى ما قبلَها بعد حذف الهمزة عند الوقف، لِتَصير: (قَدَفْلَح)[3].

3 . (**فتحُ الياء من غير تشديدٍ**): قالها أحمد بن يحيى الملقَّب بثعلب في نقلِ فتحة همزة [شَيا] إلى ما قبلَها بعد حذف الهمزة، لِتَصير: (شَيَا)[4].

4 . (**فتحُ اللام**): قالها أبو ربيعة محمد بن إسحاق (راوي البزّي وقنبل) في نقلِ فتحة همزة [الأرْض] إلى ما قبلَها بعد حذف الهمزة، لِتَصير: (أَلَرْض)[5].

الظاهرة الثالثة من ظواهر طلب التخفيف: العلاقةُ بين الحركات وحروف المد

في لغة العرب ستُّ مصوِّتات، ثلاثة منها مصوِّتات طويلة هي حروف المدِّ الثلاثة، وثلاثة قصيرة هي الفتحة والضمَّة والكسرة.

وقد أدرك المتقدِّمون أنَّ علاقة الحركات بحروف المدِّ علاقةٌ كمِّية، الحركاتُ من جنسِ حروفِ المدِّ

(1) المبسوط ص 102 و 260.
(2) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 618 .
(3) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 618 .
(4) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 599 .
(5) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 618 .

شكل رقم (68) المصوتات العربية الأصلية من خلال نطق القرَّاء

والعكسُ صحيح، وقد تناولوهما من جهتَين:

1 . إشباعٌ للحرَكةِ حتى يتولَّدَ حرفُ مدٍّ.

2 . اجتزاءٌ لحرفِ المدِّ ليَرجِع حركةً قصيرةً.

وتمثَّلت هاتَان الجهتَان في عدَّة ظواهر صوتيَّة رصَدَها النحويُّون في كلام العرب، وشكَّلَ بعضُها أبواباً كبرى في علم القراءات، منها: صلةُ هاءِ الضمير وقَصْرُها في نحو: (مِنْهُو أو مِنْهُ)، وصلةُ ميمِ الجَمع نحو: (عليهِمُو)، وياءاتُ الزوائد نحو: (يَسْرِي أو يَسْرِ).

وجاءتْ مصطلحات العلماء لِتُبيّنَ هاتَين الجهتَين.

وقد أثبت التحليل الطيفيّ لهذه المصوّتات من خلال نطق خمسةٍ من القرَّاء هذه العلاقة بينها، وأظهرت النتائج أن ترددات الألف المرقَّقة والفتحة المرققة للحزمتين الأولى والثانية عند أغلب القرَّاء هي التي أظهرت تمايزاً واضحاً، أمَّا باقي المصوّتات فلم تُظهر هذا الفرق. ويمثِّل شكل رقم (68) هذه العلاقة.

الجهة الأولى: الألفاظ المستعملة لإشباع الحرَكةِ حتى يتولَّدَ حرفُ مدٍّ

استعملت له عدة ألفاظ، منها:

1 . (الجرّ) 2 . (الإثبات) 3 . (الإتْمَام) 4 . (الإتباع) 5 . (الإشباع) 6 . (التمطيط) 7 . (التوفية) 8 . (البَسْط)

1 . المصطلح الأوَّل لظاهرة إشباع الحركة: (الجرّ)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

2 . المصطلح الثاني لظاهرة إشباع الحركة: (الإثبات)

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصله اللُّغويّ على دَوام الشيءِ واستقرارِه. يقال: ثَبَتَ ثَبَاتاً وثُبُوتاً، ويتعدَّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: ثبَّتَهُ وأثبتَهُ إثباتاً[1].

استُعمِل: (الإثباتُ) في أكثر من معنى، منها:

1 . إشباعُ الحركات في أواخر الكلمات 2 . الإثبات ضدّ الحذف، وهو الأصل 3 . صلة ميم الجمع 4 . صلة هاء الضمير 5 . تحقيق الهمز 6 . الزيادةُ في المدّ 7 . المدُّ 8 . قصر صلة هاء الضمير.

ملاحظة: أكثر هذه المعاني ترجِع إلى معنى الإثباتِ الذي هو ضدّ الحذف.

(1) مقاييس اللُّغة ص 175 (ث ب ت) والمصباح المنير ص 80.

1 ـ المعنى الأوَّل لـ: (الإثبات) = إشباعُ الحركات في آخر الكلمات:

استعمله من العلماء: عيسى بن عمر الثقفيُّ[1]، والخليل[2]، وسيبويه[3]، والكسائيُّ[4]، وعليُّ بن نَصرٍ الجَهضميُّ، والفرَّاءُ[5]، والأخفشُ[6]، وأبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهانيُّ[7]، والمبرِّدُ[8]، والزجَّاج[9]، وابنُ مجاهدٍ[10]، والنحَّاس[11]، والسيرافيُّ[12]، وابن خالويه[13]،وأبو الفضل الخزاعيُّ[14]، والمالكيُّ[15]، وأبو مَعْشرٍ الطبريُّ[16].

أمثلة: قال سيبويه عن مذهب العرب في الياءات التي تُحذَفُ من الكلام ـ قبل ظهور مصطلح: (ياءات الزوائد) ـ مقرِّراً قاعدة ذلك:"وجميعُ ما لا يُحذَفُ في الكلاَم وما يُختارُ فيه أن لاَّ يُحذَفَ يُحْذَفُ في الفَواصِل والقَوَافي.

فالفواصلُ قول الله عز وجل: [وَالَّيلِ إذا يَسْرِ]، و [مَا كُنَّا نَبْغ]، و [يَوْمَ التَّنَادِ]، و [الكَبيرُ المتَعَال]. والأسماءُ أجدَرُ أن تُحذَفَ؛ إذ كان الحذفُ فيها في غيرِ الفَوَاصِلِ والقَوَافي، وأما القوافي فنحو قوله وهو زهير:

وأراكَ تَفْرِى ما خَلَقْتَ وبَعْضُ القوم يَخْلُقُ ثم **لا يَفْرْ**

وإثباتُ الياءاتِ والواواتِ أقيسُ الكلامين. هذا جائزٌ عربيٌّ كثير"[17].

وقال الجهضميُّ:"سمِعتُ أبا عمرٍو [بن العلاء] يقرأ: [يَسْرِي] يَقِفُ عليها؛ لأنَّها رأسُ آيةٍ، فإذا كان

(1) نقل ذلك عنه الزجاجيّ في مجالس العلماء ص 201 .
(2) العين 8/ 399 .
(3) الكتاب 3/ 301 و 4/ 167.
(4) نقَل ذلك عنه ابن الأنباريّ في إيضاح الوقف والابتدا 1/ 262 .
(5) معاني القرآن 3/ 37 .
(6) معاني القرآن 1/ 239 .
(7) نقَل ذلك عنه أبو بكر بن أبي داود في المصاحف 1/ 416 .
(8) نقَل ذلك عنه النحَّاس في إعراب القرآن 2/ 442 .
(9) معاني القرآن وإعرابه 3/ 77 و 300 و 4/ 369 و 5/ 86.
(10) السبعة ص 164 و 544 .
(11) إعراب القرآن 2/ 442 و 5/ 101.
(12) شرح كتاب سيبويه 2/ 131 .
(13) الحجة ص 131 و 200 .
(14) المنتهى ص 627 .
(15) الروضة 2/ 535 .
(16) التلخيص ص 252 .
(17) الكتاب 4/ 184 .

وسط الآيةِ أشبَعَها الجَرَّ [الكسر]، مثل: [مَا كُنَّا نَبْغِ]، **يُثبِتُ** الياءَ"[1].

ف: (إشباعُ الجرِّ) نظيرُ: (**إثبات** الياء)، والله أعلم.

وقال الفرَّاء عن ألف: [لَكِنَّا]:"ومن العربِ من يقولُ: (أنَا قُلْتُ ذلك)، بِتَمَامِ الألِفِ، فقرئَتْ [لَكِنَّا] على تلك اللُّغة، **وأثْبَتُوا** الألفَ في اللُّغتَين في المصحَف، كما قالوا: (رأيتُ يزيدَا)، و[قَوَارِيرا]، **فثَبَتَتْ** فيهما الألفُ في القولَين[2] إذا وَقَفتَ. ويَجوزُ الوقوفُ بغيرِ ألفٍ في غير القرآن في: أنا"[3].

ف: (تمامُ الألف) هو نظيرُ: (**إثباتُ** الألف)، والله أعلم.

وذكَر الأخفشُ مذاهب العرب في ذلك، فقال:"وأمَّا قولُهُ: [وَتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونَا]، [وأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ]، **فتَثبُتُ** فيه الألفُ؛ لأنهما رأسُ آيةٍ لأنَّ قوماً من العرَبِ يَجعَلُونَ أواخرَ القَوَافِي إذا سَكَتُوا عليها على مثْلِ حالِها إذا وَصَلُوها، وهم أهلُ الحجاز. وجميعُ العربِ إذا تَرَنَّمُوا في القوافي **أثْبَتُوا** في أواخِرِها الياءَ والواوَ والألف"[4].

وهذه النُّصوصُ جميعاً تَشهَدُ بأنَّ ما يقرؤه القرَّاءُ اليومَ من إثبات حروف المدِّ وحذفِها في أواخر مثل هذه الكلمات ممَّا نقَلوهُ روايةً جارٍ على مذاهب العرب في لغتِها.

2 . المعنى الثاني لـ: (الإثبات) = الإثبات ضدّ الحذف

استعمله من العلماء: الخليلُ[5]، وسيبويه[6]، وعباسُ بن الفضل[7]، والكسائيُّ[8]، والفرَّاءُ[9]، والأخفشُ[10]، وابن السكِّيت[11]، وابن قتيبة[12]، والمبرِّد[13]، وثعلبُ[14]، والزجَّاج[15]، وابنُ السرَّاج[1]، وابن

(1) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 684 .

(2) أي عند مَن يُثبِتُ الألف ومَن يحذِفُها وصلاً حيث اتفقا على إثباتِها وقفاً متابعةً للرَّسم. وأثبت الألفَ فيها وصلاً ابنُ عامر وأبو جعفر ورُوَيس، وقرأ الباقون من العشرة بحذْفها. وأجمعوا كلّهم على إثباتِها وقفاً.

(3) معاني القرآن 2/ 144 .

(4) معاني القرآن 1/ 241 .

(5) العين 7/ 143 و 8/ 308 .

(6) الكتاب 2/ 242 .

(7) نقَل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 664 .

(8) ما تَلحنُ فيه العامَّة ص 125 .

(9) معاني القرآن 1/ 1 .

(10) معاني القرآن 1/ 282 .

(11) إصلاح المنطق ص 295 .

(12) أدب الكاتب ص 220 .

(13) المقتضب 4/ 247 .

(14) مجالس ثعلب 1/ 211 .

(15) معاني القرآن وإعرابه 1/ 179 و 5/ 367 .

مجاهدٍ[2]، وابن خالويه[3]، والأزهريُّ[4]، وابن مِهرانٍ[5]، ومكيُّ بن أبي طالب[6].

مثال: قال الزجَّاجُ عن كلمة: [أرءَيْتَ]:"وقُرِئَتْ: (أَرَيْتَ)، والاختيارُ: [أرءَيْتَ] **بإثبات** الهمزة الثانية..."[7].

3. المعنى الثالث لـ: (الإثبات) = صلة ميم الجمع

استعمله من العلماء: سيبويه، قال:"وإذا كانت الواوُ والياءُ بعد الميمِ التي هي علامةُ الإضمار كنتَ بالخِيار: إن شئتَ حَذَفْتَ، وإن شِئْتَ **أَثبَتَّ**، فإن حَذَفْتَ أسكنتَ الميم"[8].

4. المعنى الرَّابع لـ: (الإثبات) = صلة هاء الضمير

استعمله من العلماء: سيبويه[9]، الأخفشُ[10]، والزجَّاجُ[11]، والنحَّاس[12]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ.

مثال: قال الفارسيُّ:"**إثباتُ** الواو في: [يَرَهُ] بعدَ الهاء هو الوجهُ، كما تقول: أَكْرَمَهُو، وضَرَبَهُو، **فتُثْبِتُ** الواو بعدَ الهاءِ في الوصل"[13].

5. المعنى الخامس لـ: (الإثبات) = تحقيق الهمز

من التعبيرات التي شاركَ فيها هذا المصطلح للتعبير عن تحقيق الهمز:

. (**لا يُثبتُ** الياءَ في: اللائي): من قول الكسائيّ، وسليمانَ بنِ داودٍ.

قال الدانيُّ معلِّقاً: "وقَولُهُما هذا يَدُلُّ على الهَمز لا غيرَ؛ لأنهما إن كانا أرادا بقولهما: (**لا يُثْبِتُ** الياءَ التي بعد الهمزة التي **يُثْبِتُها** أهل الكوفة وابن عامر)، فإنها لا تكونُ ثابتةً ثم تُحذَفُ إلا مع الهمزةِ، فإذا حُذِفَتْ بَقِيَت الهمزةُ على حالِها من التحقيق. وإن كانا أرادَا بالنَّفيِ الياءَ التي تُجعَلُ خلَفاً من الهمزةِ في

(1) الأصول 1/ 356 .
(2) السبعة ص 104 و 262 .
(3) الحجة ص 62 .
(4) معاني القراءات 2/ 110 .
(5) المبسوط ص 134 .
(6) التبصرة ص 223 .
(7) معاني القرآن وإعرابه 5/ 367 .
(8) الكتاب 4/ 191 و 193 .
(9) الكتاب 4/ 190 .
(10) معاني القرآن 1/ 178.
(11) معاني القرآن وإعرابه 1/ 432 و 4/ 116.
(12) إعراب القرآن 2/ 464 و 489 و 3/ 208 و 4/ 135 .
(13) الحجة 6/ 430 .

مَذْهَبِ من سهَّلَها فقد حقَّقا بذلك الهمزَ وأَوْجَبَاهُ"[1].

يعني: على أساس أنَّ مذهبَهما تحقيقُ الهمزة في مثل هذه الكلمة، والله أعلم .

واستعمله أبو عليٍّ الحسنُ بن الحُباب بن مخلدٍ الدقَّاق[2].

واستعمله ابن خالويه، قال عن قوله تعالى: [أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ] [ص: 8]:"يُقرأ بهمزتَين: الأولى مفتوحة والثانية مضمومة. وبهمزةٍ واحدة. وبهمزة وواوٍ بعدها... فالحُجَّةُ لمن **أثبتَ** الهمزتَين أنَّهُ أتى بالكلام على أصلِه ووفَّاهُ ما أوجَبهُ القياسُ له"[3].

6 . المعنى السادس لـ: (الإثبات) = الزيادةُ في المدِّ

استعمله أحمد بن يزيد الحُلوانيُّ، وقالونُ[4].

قال الحُلوانيُّ بإسناده إلى ابن كثيرٍ:"إنَّه كان لا يَمُدُّ حرفاً لحرفٍ، ويَذهَبُ بالحرفِ الأوَّل، **ولا يُثبِتُهُ**، مثل: [بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ]... يُسْقِطُ الحرفَ الأوَّل أصلاً **ولا يُثبِتُهُ، ويُثبِتُ**: [قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ]: يَمُدُّها"[5].

فالإثباتُ يعني الزيادةَ في المدِّ المنفصل، ونفيُهُ يعني نفيَ الزِّيادة في المدِّ.

والدليلُ على ذلك قولُ الدانيّ معلِّقاً: "ولعلَّهم أرادوا حذفَ الزيادة لحرفِ المدِّ وإسقاطَها، فعبَّروا عن ذلك بحذفِ حرفِ المدِّ وإسقاطِه مجازاً"[6].

7 . المعنى السابع لـ: (الإثبات) = المدّ

استعمله من العلماء: ابن خالويه، والدانيُّ[7].

وقال ابن خالويه:"قوله تعالى:[بِما عَقَّدتُّمُ] [المائدة: 89] يُقرأ **بإثبات** الألف والتخفيف، وبطرْحِها والتشديد"[8].

8 . المعنى الثامن لـ: (الإثبات) = قصر صلة هاء الضَّمير

(1) انظر التعبير والتعليق في المخطوط من جامع البيان ل 208/ ب .
(2) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 536 .
(3) الحجة ص 305 .
(4) نقل ذلك عنه ابن غَلْبون في التذكرة 2/ 273 .
(5) جامع البيان 2/ 446 - 447 .
(6) جامع البيان 2/ 446 .
(7) جامع البيان 2/ 458 .
(8) الحجة ص 134 .

استعمله من العلماء: النحَّاس، قال عن قراءة مَن حذَف همزة [أَرْجِه] وقصَر الصِّلةَ:"ويَجُوز حذْفها **وإثبات** الكسرةِ"[1].

فقوله: (**وإثبات** الكسرة) فيه إشارةٌ إلى قصرِ صلةِ هاءِ الضمير، والله أعلم.

3 . المصطلح الثالث لظاهرة إشباع الحركة: (الإتمام)

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ الأصل اللُّغويّ على الكمال، يقال: تمَّ الشيءُ، إذا كَمَل[2].

استُعمل: (الإتمامُ) في أكثر من معنى، منها:

1 . الإثبات 2 . الحركة الكاملة 3 . صلة هاء الضمير 4 . إشباع الحركات 5 . الزيادة في المدّ.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإتمام) = الإثبات ضدُّ الحذف

استعمله من العلماء: الخليلُ، وسيبويه[3]، والفرَّاءُ[4]، والمازنيُّ[5].

مثال: قال الخليل:" الطَّسْتُ في الأصل طَسَّةٌ، ولكنّهم حَذَفُوا تَثْقيلَ السِّين فخفَّفُوا، وسَكَنَتْ فظَهَرت التاءُ التي في موضع هاء التانيث لسكون ما قبلَها، وكذلك تَظْهَرُ في كلِّ موضعٍ سَكَنَ ما قبلها غيرَ ألفِ الفتحِ، والجمعُ: الطِّساس. ومن العرَب من **يُتِمُّ** الطَّسَّةَ فيُثَقِّلُ السِّينَ ويُظْهِرُ الهاءَ"[6].

2 . المعنى الثاني لـ: (الإتمام) = الحركةُ الكامِلةُ

استعمله من العلماء: سيبويه، وابن السرَّاج، والدانيُّ.

قال سيبويه في وصف تسهيل الهمزة المفتوحة بينَ بينَ:"اعلم أنَّ كلَّ همزةٍ مفتوحةٍ كانت قبلها فتحة فإنك تجعلُها إذا أردتَ تخفيفَها بين الهمزةِ والألفِ السَّاكنةِ، وتكونُ بِزِنَتِها محقَّقةً غير أنَّك تُضَعِّفُ الصَّوتَ **ولا تُتِمُّهُ** وتُخْفي؛ لأنَّكَ تُقَرِّبُها من هذه الألف. وذلك قولُك: سَأَلَ في لغة أهل الحجاز إذا لم تُحَقِّقْ كَمَا يُحَقِّقُ بنو تميمٍ، وقد قرأ قبل بَيْنَ بَيْنَ"[7].

وتابعَه الدانيُّ[8].

(1) إعراب القرآن 3/ 179 .
(2) مقاييس اللُّغة ص 152 (ك م ل).
(3) الكتاب 4/ 336 .
(4) معاني القرآن 1/ 200 .
(5) نقَل ذلك عنه ابن جنيّ في المنصف 2/ 242 .
(6) العين 7/ 182 .
(7) الكتاب 3/ 541 .
(8) المقنع ص 137 .

وعرَّف ابن السرَّاج الرَّومَ بأنَّه:"صوتٌ ضعيفٌ ناقِصٌ، فكأنَّك تَرُومُ ذاك **ولا تُتْمِمْهُ**"[1].

وعرَّف الدانيُّ اختلاسَ الحركة بأنَّه:"ضَعفُ الصَّوتِ بالحركةِ **بلا إتمامٍ**"[2].

3. المعنى الثالث لـ: (الإتمام) = صلة هاء الضمير

استعمله من العلماء: سيبويه، والأخفش[3]، والمبرِّد[4]، وابن السرَّاج[5].

مثال: قال سيبويه:"فإذا كان قبْلَ الهاءِ حرف لينٍ، فإنَّ حذفَ الياءِ والواوِ في الوصلِ أحسنُ... **والإتمامُ** عربيٌّ"[6].

4. المعنى الرَّابع لـ: (الإتمام) = إشباع الحركات

استَعمله من العلماء: الفرَّاءُ، والمازنيُّ[7]، وابن قتيبة[8].

مثال: قال الفرَّاءُ عن قوله تعالى: [بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي]:"و[بِمَا] تكونُ في موضع (الذي)، وتكون (ما) و [غَفَرَ] في موضع مصدر. ولو جَعَلْتَ (ما) في معنى (أيّ) كان صواباً. يكونُ المعنى: لَيْتَهم يَعلَمُونَ بأيِّ شيءٍ غَفَرَ لِي رَبِّي. ولو كان كذلك لجَازَ له فيه: (لِمَ غَفَرَ لي رَبِّي) بنُقْصَانِ الألِفِ كما تقول: سَلْ عَمَّ شِئتَ، وكما قال: [فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ]، وقد **أتَمَّهَا** الشاعرُ وهي استفهامٌ، فقال:

إنا قَتَلْنَا بِقَتْلاَنَا سُرَاتَكُم أهلَ اللِّواءِ **ففِيمَا** يَكثُرُ القَتْلُ"[9]

ظاهرٌ من النصِّ أنَّ استعمالَ الفرَّاءِ لِلَفظِ: (**إتمام** الألف ونقصانِها) فيه إدراك حقيقيٌّ لعلاقة الحركات بحروف المدِّ .

5. المعنى الخامس لـ: (الإتمام) = الزيادة في المد

استعمله من العلماء: ابن جنيّ، وأبو العلاء الهمَذانيُّ.

قال ابن جنيّ عن الزيادة في مدِّ: [والدَّوابُّ] [الحجّ: 18]:"ويدُلُّ على أنَّ زيادةَ المدِّ في الألف جارٍ

(1) الأصول 2/ 372 .
(2) جامع البيان 2/ 409 .
(3) معاني القرآن 1/ 178 .
(4) المقتضب 1/ 401 .
(5) الأصول 2/ 379 .
(6) الكتاب 4/ 189.
(7) نقَل ذلك عنه ابن جنيّ في المنصف 1/ 283 .
(8) أدب الكاتب ص 234 و 250.
(9) معاني القرآن 2/ 374 .

مجرى تحريكها أنَّك لو أظهرْتَ التضعيفَ فقلتَ: دَوابِب لقَصَرْتَ الألف. وإذا أدغَمْتَ **أثْمَمْتَ** صدى الألف فقلتَ: (دَوابّ)؛ فصارت تلك الزّيادة في الصَّوتِ عِوضاً من تحريك الألف"[1].

وقال أبو العلاء الهمَذانيّ عن المدِّ المتَّصِل:"فأمَّا الآتي من كلمة واحدةٍ فنحو قولِه: [مَآءً] [البقرة: 22]... ونظائرها، وأجمَعَ القرَّاءُ على **إتمام** هذا المدِّ وإشباعِه"[2].

4. المصطلح الرابع لظاهرة إشباع الحركة: (الإتباع)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم .

5. المصطلح الخامس لظاهرة إشباع الحركة: (الإشباع)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على امتلاءٍ في أكلٍ وغيره، شَبِعَ شِبَعاً، ثمَّ اشتُقَّ من ذلك، فمنه قول النبيّ ρ:"المتَشَبِّعُ بما ليس عنده كلابسِ ثَوْبَيْ زُورٍ"، يريد: المتكثِّرُ بما ليس عنده. ويتعدَّى بالهمزة فيقال: أشبَعْتُهُ إشباعاً بمعنى أطعَمتُه حتى شبِع وامتلأ، وفي المعاني: وفَّيتُه حقَّه[3].

استُعمِل: (**الإشباع**) في أكثر من معنى، منها:

1 . مشاركٌ في التأنِّي في القراءة مع تجويد الحروف 2 . مشاركٌ في تعريف الجهر 3 . تطويل الحركة حتى يتولّد حرف مدّ 4 . المحافظة على الحركة كاملة بلا نقصٍ أو زيادة 5 . مشاركٌ في تحقيق الهمزة 6 . مشاركٌ في الإمالة الكبرى 7 . المحافظة على المدّ 8 . زيادة المدّ في حروف المدّ 9 . مرتبة الطول في المدّ 10 . مشاركٌ في الإدغام المحض 11 . تجويد الحروف وإعطاؤها حقوقها من السكون والحركة وغير ذلك 12 . مشاركٌ في الضغط على المشدَّد.

ملاحظة: مشاركة: (الإشباع) في ظاهرة المدِّ يأتي على ثلاثة معان:

1 . المحافظة على ذوات حروف المدِّ 2 . تطويلُ حروف المدِّ بلا تحديدٍ لمقدار هذا التطويل 3 . درجةُ الطُّول في المدِّ.

ومشاركة: (الإشباع) في ظاهرة الحركة، يأتي على معنيين:

1 . تطويل الحركة حتى يتولَّد حرفُ مدٍّ، وهذا يدخلُ ضِمنَه: صلة هاء الضمير، وصلة ميم الجمع، والياءات الزوائد.

2 . المحافظة على الحركة كاملة بلا نقصٍ أو زيادة.

(1) المحتسب 2/ 76 .

(2) التمهيد ص 286 .

(3) مقاييس اللُّغة ص 526 (ش ب ع)، والمصباح المنير ص303.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإشباع) = مشاركٌ في التأنِّي بالقراءة مع تجويد الحروف:

استعمله من العلماء: الخليلُ، ويونسُ بن حبيبٍ الضبيّ[1]، والفرَّاءُ.

مثال: قال الخليلُ:"**وأشبَعتُ** القراءةَ والكتابةَ، أي: وفَّرْتُ حروفَها"[2].

وقال الفرَّاء:"والعربُ تُدْغِمُ اللاَّمَ مِن (هل) و(بل) عند التاءِ خاصة، وهو في كلامهم عالٍ كثيرٌ، يقول: (هل تدري وهتَّدْرِي)، فقَرَأَها القُرَّاءُ على ذلك، وإنَّما أستَحِبُّ في القراءةِ خاصةً تبيانَ ذلك؛ لأنَّهما منفصلان لَيْسا من حرفٍ واحدٍ، وإنَّما بُنِيَ القرآنُ على الترَسُّلِ والترتيلِ **وإشباعِ** الكلام، فتِبيَانُهُ أحبُّ إليَّ مِن إدغامه، وقد أَدْغَمَ القُرَّاءُ الكِبَارُ، وكلٌّ صَوَابٌ"[3].

وهذا من النُّصوصِ النَّادرة التي لها أهميَّة كبيرة في توضيح الفرق بين أسلوبِ الخطاب الذي كانت تتكلَّمُ به العرب، وبين الأسلوب الصوتيّ الذي نزَل به القرآنُ الذي يَعتمِدُ على التأنِّي وعدم العجَلة في قراءته مع المحافظة على تجويد الحروف، قال تعالى: [وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلاً] [الإسراء: 106].

2 . المعنى الثاني لـ: (الإشباع) = مشارِكٌ في تعريف الجهر

استعمله سيبويه في تعريف المجهور، في لفظ: (**إشباع** الاعتماد)، وتقدَّم الحديثُ عن ذلك في مصطلح: (الاعتماد).

3 . المعنى الثالث لـ: (الإشباع) = تطويل الحركة حتى يتولَّد حرفُ مدٍّ

استعمله من العلماء: سيبويه، وابن كيسان[4]، وابن السرَّاج[5]، والسيرافيُّ[6]، وابن خالويه[7]، وابن جنيّ[8]، وابن زنجلة[9]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[10]، ومكيٌّ[11]، وابن رشيقٍ القيروانيُّ[12]، والقرطبيُّ[13]، وأبو البركات ابن

(1) نقَل ذلك عنه أبو عبيد في الغريب المصنَّف في اللغة 2/ 226 .
(2) العين 1/ 266 .
(3) معاني القرآن 1/ 441 .
(4) نقَل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن 4/ 8 .
(5) الأصول 3/ 540 .
(6) شرح كتاب سيبويه 1/ 110 .
(7) الحجة ص 198 و 245 .
(8) الخصائص 2/ 315، والمنصف 1/ 42، والمحتسب 1/ 68.
(9) الحجة ص 81 .
(10) المنتهى ص 409 .
(11) الرعاية ص 99، والكشف 1/ 33.
(12) العمدة 2/ 311 .
(13) الموضح ص 197 .

الأنباريّ[1].

قال سيبويه:"فأمَّا الذين **يُشْبِعُونَ** فيُمَطِّطُونَ، وعلامتُها واوٌ وياءٌ، وهذا تَحْكُمُهُ لك المشافَهةُ. وذلك قولك: يَضْرِبُ.. وها، ومِن مَأْمَنِ..يكَ"[2].

وهذا المعنى لمصطلح: (**الإشباع**) هو أشهرُ معنىً من بين المعاني الأخرى التي استعملها العلماء.

ويُشاركُ معنى تطويلِ الحركة في التعبير عن الياءات الزوائد:

استعمله من العلماء: عليُّ بنُ نصرٍ الجهضميّ، قال:"سمِعتُ أبا عمرٍو [بن العلاء] يقرأ: [يَسْرِيْ] يَقِفُ عليها؛ لأنَّها رأسُ آيةٍ، فإذا كان وسط الآيةِ **أشبَعَها** الجَرَّ [الكسر]، مثل: [مَا كُنَّا نَبْغِيْ]، يُثبِتُ الياءَ"[3].

والتعبير عن صلة هاء الضمير:

استَعمله من العلماء: عباسُ بنُ الفضل[4]، وورشٌ، وأحمد الحُلْوانيُّ[5]، وابن مجاهد[6]، وابن خالويه[7]، وابن مهران[8]، وطاهر بن غَلْبون، وابن سفيان[9]، والمالكيّ[10].

قال ابنُ غَلْبونٍ:"وقرأ الكوفيُّون وابن عامرٍ: [سَيِّئُهُوْ] بضمِّ الهمزة، وبالهاء مضمومةً **مُشْبَعةً** من غير تنوينٍ..."[11].

4. المعنى الرابع لـ: (الإشباع) = المحافظة على الحركة كاملة بلا نقصٍ أو زيادة

استعمله من العلماء: أحمد بن صالح[12]، وابن مجاهدٍ، وأبو مزاحم الخاقانيُّ[13]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[14]،

(1) الإنصاف 1/ 17 .
(2) الكتاب 4/ 202.
(3) نقل ذلك عنه ابن مجاهد في السبعة ص 684 .
(4) السبعة ص 481 .
(5) نقَل ذلك عنهما ابن مجاهد في السبعة ص 694 .
(6) السبعة ص 212 .
(7) الحجة ص 159 و 199 و 308 .
(8) المبسوط ص 145 .
(9) الهادي 2/ 247 .
(10) الروضة ل 79/ أ .
(11) التذكرة 2/ 406 .
(12) نقَل ذلك عنه ابنُ سفيان القيروانيّ في الهادي 1/ 51 . وقد وقع ابن سفيان في الوهم حين فهِم من الإشباع في قول أحمد بن صالح معنى إشباع الحركات حتى يتولَّد حرف مدٍّ، وقد ردَّ قولَه مكيٌّ في الكشف 1/ 33، والدانيُّ في جامع البيان 2/ 363، وابنُ الطفيل في شرحه على قصيدة أبي الحسن الحصريّ 2/ 52 .
(13) منظومة الخاقاني ص 26 .
(14) الحجة 4/ 400 .

وابن مهران[1]، وابن جنيّ[2]، وطاهرُ بن غَلْبون[3]، ومكيٌّ[4]، والدانيُّ[5]، والقرطبيُّ[6]، وابن بلّيمة[7].

مثال: قال ابنُ مجاهدٍ عن مذاهب القرَّاء:"واختلَفوا في كَسرِ الهمزةِ واختلاسِ حركتِها **وإشباعِها** في قوله: [إِلَى بَارِئِكُم]"[8].

5 . المعنى الخامس لـ: (الإشباع) = مشارك في تحقيق الهمزة

قال أبو بكرٍ الأصبهانيُّ (صاحب ورشٍ): "[فَأَذَّنَ]: **مُشْبَعُ** الهَمْزَة"[9].

6 . المعنى السادس لـ: (الإشباع) = مشارك في الإمالة الكبرى

استَعمله من العلماء: ابنُ مهران[10]، وأبو عليّ الفارسيُّ[11]، وابنُ سفيان القيروانيّ.

قال ابن سفيان عن مذهب أبي عمرو بن العلاء في الإمالة:"وكان يُميلُ الراءَ من [الر] حيث وقع، والهاء من [كهيعص]، والهاءَ من [طه] فهذا جميعُ ما **أَشبَع** فيه الإمالة، وأمَّا ما قرأه بين اللَّفظين..."[12].

واضحٌ أنَّ المرادَ من **الإشباعِ** هو الإمالةُ الكبرى، والذي بيَّن ذلك هو لفظ: (بين اللفظَين)؛ إذ يعنُونَ به الإمالةَ الصُّغرَى.

7 . المعنى السابع لـ: (الإشباع) = المحافظة على المدِّ

كما استَعمل بعضُ العلماء مصطلح: (**الإشباع**) للمحافظة على الحركة القصيرة دون توهينٍ أو اختلاس استَعمله بعضٌ آخَر للمحافظة على ذات حرف المدِّ، منهم: مكيٌّ[13]، والدانيُّ، والقرطبيُّ.

مثال: قال الدانيُّ:"فإذا لم يَلْقَ همزة ولا حرفاً ساكناً، مُظهَراً أو مُدْغَماً، أُشْبِع اللَّفظُ به، وأُعطِي من المدِّ

(1) المبسوط ص 122 .
(2) الخصائص 1/ 72 .
(3) التذكرة 2/ 253 .
(4) التبصرة ص 148 .
(5) جامع البيان 3/ 818 .
(6) الموضح ص 191 .
(7) تلخيص العبارات ص 66 .
(8) السبعة ص 155 .
(9) نقل الدانيُّ ذلك في المطبوع من جامع البيان 2/ 555.
(10) الغاية ص 476 .
(11) الحجة 1/ 399 .
(12) الهادي 1/ 142 .
(13) التبصرة ص 75 .

والتمكين بمقدارِ ما فيه من ذلك، مِن غير زيادةٍ في **الإشباع**، ولا تكلُّفٍ في التمطيط"[1].

وقال القرطبيُّ:"ومتى سَمِعتَ التحريضَ على **إشباعِ** المدِّ في موضعٍ ما وليس بممدودٍ، فاعلمْ أنَّ المرادَ بذلك توفيةُ حقِّه من غير إفراطٍ ولا تَفريطٍ، لعلَّةٍ توجِبُ ذلك"[2].

8 . المعنى الثامن لـ: (الإشباع) = زيادة حروف المدِّ

يختلِفُ تقديرُ الزِّيادةِ في المدِّ بحسب مَذْهَبِ كلِّ قارئٍ في المدِّ وسرعة قراءته.

استَعمَل بعضُ القرَّاء مصطلح: (**الإشباع**) للتعبير عن الزيادة في حروف المدِّ مطلقاً دون ضبطٍ لهذه الزيادة، منهم:

مكيٌّ[3]، والدانيُّ[4]، وإسماعيلُ بن خلَف[5]، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[6].

9 . المعنى التاسع لـ: (الإشباع) = مرتبةُ الطُّولِ في المدِّ

يقسِّمُ القراءُ الزيادة في المدِّ إلى عدَّة درجاتٍ، منها درجةُ الطُّول في المدِّ.

استَعمَل بعضُ القرَّاء مصطلح: (**الإشباع**) للتعبير عن مرتبةِ الطُّول في المدِّ، منهم: أبو عليّ الرازيّ[7]، ومكيٌّ[8]، والدانيُّ[9].

مثال: قال الدانيُّ:"ومِن أهل الأداء ـ أيضاً ـ مَن **يُشبعُ** مدَّ الميم في قوله: [الم الله] في أوَّل آل عمران، على مذهب الجميع... ومنهم مَن لا **يُشبعُ** مدَّها اعتماداً على حركتِها. وكذا مِنهم مَن لا يُبالِغ في **إشباع** مدِّ العين في قوله: [كهيعص] و [عسق]؛ لانفتاحِ ما قبل يائها، ومنهم مَن يُبالِغُ في **إشباع** مدِّها لأجل الساكنَين، والمذهبان في الكلِّ جيِّدان صحيحان"[10].

10 . المعنى العاشر لـ: (الإشباع) = مشارِكٌ في الإدغامِ المَحض

استَعمله من العلماء: الدانيُّ، قال عن الذَّالِ الساكنةِ مع الظاء:"فإذا التَقى بالظاءِ أُدغِمَ **وأُشبعَ**

(1) التحديد ص 120 .
(2) الموضح ص 133 .
(3) التبصرة ص 60 و 65 .
(4) التمهيد ص 286 .
(5) العنوان ص 43 .
(6) التبصرة ص 297 .
(7) السبعة ص 134 .
(8) التبصرة ص 68 و 297 و 315.
(9) جامع البيان 2/ 483 و 487.
(10) التحديد ص 123.

إدغامُه، وذلك في قوله: [إِذ ظَّلَمُوا أنفُسَهُمْ]"[1].

لعلَّه يريد به أن لا يَبْقَى أثرٌ من صوتِ الحرف الأوَّل.

11 . المعنى الحادي عشر لـ: (الإشباع) = تجويد الحروف وإعطاؤها حقوقها من السُّكون والحركة وغير ذلك

استعمله من العلماء: الدانيُّ، والقرطبيُّ.

مثال: ذكَر عبد الوهَّاب القرطبيُّ عدَّة مواضع نبَّه فيها على العنايةِ بأصوات الحروف، وإعطائِها حقَّها من الحركة والسُّكون، قال عن عبارات القرَّاء التي تَحُضُّ على تحقيق الحركة والسكون:"وإذا وقَفْتَ على أمرِهم **بإشباعِها** [أي: تحقيق الحركة] في موضعٍ مَّا وعلى حرفٍ مَّا، فلأنَّها تَخْفَى فيه وتَعْسُرُ على آلةِ النُّطقِ بها أكثرَ ممَّا تَخْفَى وتَعْسُرُ عليها في غيرِه.

وكذلك السُّكونُ يَظْهَرُ في حالٍ ويتَلاَشى في أُخرى، ويَسْهُلُ النُّطقُ به على حرفٍ ويَستَعْصِي على آخَر، فحَقِّقْ ذلكَ أتمَّ تحقيقٍ لِيَعتَدِلَ ميزانُكَ فيه، وتَمْرَنَ ألْفاظُكَ عليه"[2].

12 . المعنى الثاني عشر لـ: (الإشباع) = مشاركٌ في الضغط على المشدَّد

استعمله من العلماء: عبد الوهَّاب القرطبيُّ، وذلك في عدَّة مواضع، منها:

1 . **إشباعُ** التشديد على المشدَّدِ بعْدَ حرفِ المدِّ، نحو: [دابَّة][3].

2 . **إشباع** التشديد على الواو والياء المشدَّدتين وبعد كلِّ واحدةٍ مثلَها، نحو: [بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ]، و [العَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ][4].

3 . **إشباعُ** التشديد على الباء المشدَّدة، نحو: [مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ][5].

4 . **إشباعُ** التشديدِ في جميعِ ما تَقَارَبَ مخَرجُهُ من الحروف، أو جَمَعَهُ وصفٌ واحدٌ؛ ليَخْلُصَ بَعْضُهُ من شَائبةِ بعضٍ: القرطبيّ[6].

5 . **إشباعُ** التشديدِ فيما كان له مَزِيَّةٌ من إطباقٍ وتَفَشٍّ وتكريرٍ؛ لحِفظِ المزيَّةِ له: القرطبيّ[7].

(1) التحديد ص 141 .
(2) الموضح ص 192 . وانظر: ص 194 وما بعدها.
(3) الموضح ص 142 .
(4) الموضح ص 143 .
(5) الموضح ص 148 .
(6) الموضح ص 149 .
(7) الموضح ص 149 .

وقد ذكَر القرطبيُّ احترازاً في إشباع التشديد وتخفيفِهِ، فقال:"ومتى سَمِعتَ من أئمَّةِ القراءةِ تحريضاً على المبالغة في التشديدِ في موضعٍ مّا فاعلم أنَّ المرادَ بذلك تَوقّي الإخلالِ بحُكْمِهِ لا الإفراطُ المخرِجُ له عن حدِّهِ لِداعٍ اقتَضى ذلك وأَوجَبَهُ، وكذلك متى سَمِعْتَ مَن يَنْدُبُ إلى التجافي عن الحرفِ المشدَّدِ والتخفيف فاعلَمْ أنَّ مرادَهُ حسنُ التأتّي له، والتحذيرُ من طُغْيانِ اللِّسانِ بالإمعانِ فيه والتَّمْضيغِ به، أوْ لمِثلِ ذلك من العِلَل"[1].

ونظيرُ: (**إشباع** التشديد) حديثاً ما يُطْلِقُهُ علماءُ الأصواتِ المعاصرون على درجةِ قوَّة النَّفَس التي يُنطَقُ بها صوتٌ أو مقْطَع فيما يُعرَفُ بـ: (النَّبْر) و: (الارتكاز)، وهما ترجمتان للكلمة الانجليزيَّة (Stress).

ويُقرّرون أنَّهُ ليس كلُّ صوتٍ أو مَقطع يُنطَقُ بنفسِ الدَّرجة، فهناك من الأصوات والمقاطع ما يُنطَقُ بارتكازٍ أكبر، ويتضمَّنُ طاقةً أعظمَ نسبياً، وبالتالي يتطلَّبُ من أعضاء النُّطق الخاصَّة جهداً أعنفَ في النُّطق بالإضافة إلى زيادة قوَّة النَّفَس.

فالصَّوتُ أو المقطَعُ الذي يُنطَقُ بارتكازٍ أكبرَ مِن سواه في كلمةٍ من الكلمات يَبْرُزُ بُرُوزاً موضوعياً من سائر الأصوات أو المقاطع التي يُجاوِرُها[2].

6 . المصطلح السادس لظاهرة إشباع الحركة: (التمطيط)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على مدِّ الشيء[3].

استُعمِل: (التمطيط) في أكثر من معنىً، منها:

1 . من العيوب العامَّة التي نهى القراء عنها 2 . إشباع الحركة 3 . التكلُّف والتزيّد في الكلام 4 . الحركة الكاملة. 5 . من العيوب الخاصة التي نهي القراء عنها في الحركات وحروف المدّ 6 . الزيادة في المدّ. 7 . من أساليب القراءة الجائز الإقراء بها.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (التمطيط) : من العيوب العامَّة التي نهى القراء عنها

مرادفٌ للتشديق بدليل ما ذكروه من أنَّ رجلاً قرأ على حمزة، "فجعَل الرجلُ يتشدَّق، فقيل له: يا حمزة، هذا التحقيق؟ فقال: لا هذا **التمطيط**"[4].

واستعمله أيضاً: أحمد بن نصرٍ الشَّذائيُّ[5]، وأبو العلاء الهمذانيّ[1].

(1) الموضح 141 - 142 .
(2) انظر: علم اللغة لمحمود سعران ص 189 .
(3) مقاييس اللُّغة ص 929 (م ط ط).
(4) التمهيد ص 134 .
(5) التحديد ص 92 .

2 . المعنى الثاني لـ: (التمطيط) : إشباع الحركة

قال سيبويه:"فأمَّا الذين يُشْبِعُونَ **فيُمَطِّطُونَ**، وعلامتُها واوٌ وياءٌ، وهذا تَحْكُمُهُ لك المشافَهةُ. وذلك قولك: يَضْرِبُ.. وها، ومِن مَأْمَنِ..يكَ"[2].

3 . المعنى الثالث لـ: (التمطيط) : التكلُّف والتزيّد في الكلام

استعملها الجاحظُ كأحد الألفاظ التي تدلُّ على التكلُّف والتزيُّد في الكلام[3].

4 . المعنى الرابع لـ: (التمطيط) : الحركة الكاملة

استعمله أبو عليٍّ الفارسيُّ، والدانيُّ[4]، والقرطبيُّ[5] تعبيراً عن الحركة الأصليَّة الكاملة .

مثال: قال أبو عليّ:"واعلم أنَّ الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعمِلون في الضمَّة والكسرة منهما ضربَين، أحدهما: الإشباعُ **والتمطيط**، والآخر: الاختلاس والتخفيف، وهذا الاختلاسُ والتخفيف إنَّما يكون في الضمَّة والكسرة، فأما الفتحة فليس فيها إلا الإشباع، ولم تُخَفَّف الفتحةُ بالاختلاس كما لم تُخفَّف بالحذف"[6].

5 . المعنى الخامس لـ: (التمطيط) : من العيوب الخاصَّة التي نَهى القرَّاء عنها في الحركات وحروف المدّ

فمن عيوب التمطيطِ في الحركات زيادتُها وإشباعُها إلى أن تصير حرفَ مدٍّ، ومن عيوب التمطيط في المدِّ أن يُتجاوَز به الحدّ المنقول في القراءة.

فمن الأول: قولُ الدانيّ عن تخفيف سرعة القراءة إذا توالَتِ الحركات:"وإذا تَوالتِ الحركاتُ تُرُسِّلَ بهنَّ من غير **تمطيطٍ** ولا هَذْرمة، كقوله: [أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا]، وهي ستُّ فتحاتٍ، وفتحة الكاف سابعة"[7].

وتابعَه: القرطبيُّ[8]. وهذه الدقائقُ تشهَدُ بصحَّة ما يُعلِّمه مجيدو القراءة اليوم؛ حيث يُنبِّهون طلاَّبهم إلى هذه المواضع.

(1) التمهيد ص 188 .
(2) الكتاب 4/ 202.
(3) البيان والتبيين 1/ 102 .
(4) التحديد ص 95 .
(5) الموضح ص 192 .
(6) الحجة 2/ 83 . وانظر: 4/ 401 .
(7) التحديد ص 137 .
(8) الموضح ص 122 .

ومنه أيضاً قول الدانيّ عن [إِيَّاكَ نَعْبُدُ]:"وقرأت الجماعةُ بإشباعِ كسرةِ الكافِ وضمَّة الدالِ من غير **تمطيطٍ**، والذي حكاه أحمدُ عن قالون من الاختلاسِ، لم يُرِدْ به تضعيفَ الصَّوتِ بالحركةِ، ولا إسراعَ اللَّفظِ بها، وإنَّما أرادَ أن لا **يُمطَّطَ** الصَّوتُ بها، فيتولَّدَ بذلك **التمطيط** بعد الكسرة ياءٌ، وبعد الضمَّة واوٌ"[1].

ومن الثاني: قول الدانيّ:"والمتكلَّفُ حقُّه أن يُزادَ في تمكينِ الألف والياء والواو على ما فيهنَّ من المدِّ الذي لا يُوصَلُ إلى النُّطقِ بهنَّ إلا به، مِن غير إفراطٍ في التمكينِ ولا إسرافٍ في **التمطيط**، وذلك إذا لقِيَهنَّ الهمزات والحروف السواكن لا غير"[2].

وقوله عن مذهب الحَدر في القراءة، أي الإسراع:"وإنَّما يَستعمِلُ القارئُ الحَدْرَ والهَذْرَمة، وهما سرعةُ القراءة مع تقويم الألفاظ وتمكين الحروف، لتَكثُر حسناتُه، إذ كان له بكلِّ حرفٍ عشرُ حسَناتٍ، وذلك بعد معرفتِه بالهمزِ من غير لَكْزٍ، والمدّ من غير **تمطيطٍ**، والتشديد من غير تَمضيغٍ، والإشباعِ من غير تَكلُّف"[3].

وقال القرطبيُّ:"وقد بقِيَ الأنَ أن نُبيِّن ما يُستَكْرَهُ في المدِّ ونُنبِّه عليه لِيُجتَنَب... فنقول: ينبغي أن يكون الصَّوتُ في المدِّ سليماً من ترعيدٍ **وتمطيطٍ**، خالصاً من اضطرابٍ وتهزيزٍ، صافياً من إجراء النَّفَسِ معه وتكديرِ رَونقِه به..."[4].

6 . المعنى السادس لـ: (التمطيط): الزيادة في المدّ

قال الدانيُّ عن مذهب القراء في المدِّ مع الهمزة:"إلاَّ أنَّهم في زيادةِ التمكين **وتَمطِيطِه** وإشباعِه على مقدارِ طباعِهم، ومذاهبِهم في التحقيق والحَدْر"[5].

7 . المعنى السابع لـ: (التمطيط): من أساليب القراءة الجائز القراءة بها

قدَّم القرطبيُّ عدداً من المصطلحات الصَّوتية أوردها عن شيخِه أبي عليٍّ الأهوازيّ، ولم أجِدْها مجموعةً عند غيره، فقد نَقَلَ عنه روايةً جعَل فيها القراءةَ على عشرة أساليب، منها خمسة يجوز الإقراء بها، قال:"وخمسةٍ منها أجاز الأئمَّةُ الإقراء بها، ونُقِلَتْ عنهم على اختلافٍ فيها، وهي: التحقيق، واشتقاقُ التحقيق، والتجويد، **والتمطيطُ**، والحَدْرُ"[6].

وشرح القرطبيُّ أسلوب القراءة بالتمطيط، فقال:"وأمَّا **التمطيطُ** فهو أن يُضيف ـ إلى ما ذكَرتُه في حروف

(1) جامع البيان 2/ 362 .
(2) التحديد ص 98 .
(3) التحديد ص 71 .
(4) الموضح ص 134 .
(5) جامع البيان 2/ 439 .
(6) الموضح ص 211 . وقد دلَّنا ابنُ الباذش على أنَّ أبا عليٍّ الأهوازيّ هو صاحبُ هذا التقسيم. (انظر: الإقناع 1/ 554 – 562).

المدِّ واللِّين ـ المدَّ مع جَرْيِ النَّفَس فيه... ولا تُدرَكُ حقيقةُ **التمطيطِ** إلا مشافهةً، وهو على نحو ما يُقرأ به عن ورشٍ عن نافعٍ من طريق المصريّين عنه.

ومن **التمطيط** أيضاً أن يَثْبُتَ القارئُ على الإعراب في موضع الرَّفع والنَّصْب والخفض، مثلُ قوله تعالى: [مَلِكِ يَومِ الدِّين] و [مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ]، و[مَا مَنَعَكَ أَن]، ونحو ذلك حيث كان . وأمَّا البصريُّون والبغداديُّون والخراسانيُّون والأصبهانيُّون فإنَّهم يأخذون عن ورش عن نافعٍ بغير **تمطيط**"[1].

7 . المصطلح السابع لظاهرة إشباع الحركة: (التَّوْفِيَة)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على إكمالٍ وإتمامٍ. منه الوَفاءُ: إتمامُ العَهْدِ وإكمالُ الشَّرْطِ، ووَفَّى: أَوْفَى فهو وَفِيٌّ؛ ويقولون: أَوْفَيتُكَ الشَّيءَ تَوفيةً، إذا قَضَيْتَهُ إيَّاهُ وافياً، وتَوَفَّيتُ الشَّيءَ واستَوْفَيْتَهُ؛ إذا أَخَذْتَهُ كلَّهُ حتى لم تَتْرُكْ مِنْهُ شيئاً، ومنه يقالُ للمَيِّتِ: تَوَفَّاهُ الله[2].

استُعمِل: (التَّوْفِيَة) في أكثر من معنى، منها:

1 ـ إشباع الحركة. 2 ـ إعطاءُ الحروف حقوقَها من الإعراب والتجويد والمدّ.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (التوفية) = إشباع الحركة:

استَعمل ابن جنيّ: (**التَّوفية**) بمعنى إشباع الحركة القصيرة حتى يتولَّد حرفُ مدٍّ، قال:"وروَينا عن قُطْرُب أنَّ منهم مَن يقولُ: شُمُّ يا رَجُلُ. فإن تَذَكَّرْتَ على هذه اللُّغةِ مَطَلْتَ الضمَّةَ **فَوَفَّيتَها** واواً، فقلتَ: شُمُّو..و"[3].

2 . المعنى الثاني لـ: (التوفية) = إعطاءُ الحروف حقوقها من الإعراب والتجويد والمدّ:

استَعمَل ابنُ زَنْجَلَة: (**التَّوفِية**) في بيانِ حُجَّةِ من أوضَحَ حركةَ الرَّاءِ في نحو: [بارِئِكُمْ] و [يأمُرُكُمْ]، قال:"**لِيُوَفَّى** كلُّ حرفٍ حقَّه من الإعراب"[4].

واستَعملَه الدانيُّ في بيان معنى التجويد، وأنَّ التنبيه على تصحيح النُّطق في الأداء القرآنيّ سنَّةٌ متبعةٌ، فمِن ذلك ما ذكَرهُ بسَنَدِهِ عن هشامِ بنِ بُكَير في مجلسِه مع الإمام عاصم بن أبي النَّجود القارئ، قال هشام:"كنتُ عندَ عاصمٍ ورجلٌ يَقْرَأُ عليه، قال: فما أنكَرْتُ من قراءتِه شيئاً، قال: فَلَمَّا فَرَغَ قال له عاصمٌ: والله ما قرَأتَ حرْفاً.

(1) الموضح ص 214 - 215 .

(2) مقاييس اللُّغة ص 1060 (و ف ي).

(3) الخصائص 3/ 132 . ونسبتُ لفظ: (فوفَّيتها) لابن جنيّ احترازاً، ويحتملُ أن يكونَ من ألفاظ قطرب، والله أعلم .

(4) الحجة ص 97 .

قال أبو عمرو [الدانيُّ]: يُريدُ أنَّك لمْ تُقِمِ القراءةَ على حَدِّها، ولَمْ **تُوَفِّ** الحروفَ حقَّها، ولا احتَذَيْتَ مِنهاجَ الأئمَّةِ من القُرَّاءِ، ولا سلَكْتَ طريقَ أهلِ العِلْمِ بالأداء"[1].

واستَعملَه القرطبيُّ في التنبيه على **توفيةِ** حروفِ المدِّ حقَّها مِن غير إفراطٍ ولا تفريطٍ. فمِن ذلك ما ذكَرَهُ عن إعطاءِ المدِّ حقَّهُ في الألفِ المديَّةِ، في نحو: [العَادُونَ] و [أوذِينَا]، قال:"فينبغِي أن يُقِيمَها القارئُ ويَقطَعَها، ويَسْلُكَ في اللَّفظِ بها النَّمَطَ الأوسَطَ، فَلاَ يُهْمِلَ **تَوْفِيَةَ** التمكينِ حقَّهُ فَتَصْغُرَ وتصيرَ فتحةً، ولاَ يُبَالِغَ في ذلك ويَسْتَقْصِيَ فتَحُوَّلَ مَدَّةً، بل يُوفِّرُ عليها من المدِّ ما هو طَبْعُها وصِيغتُها"[2].

8 . المصطلح الثامن لظاهرة إشباع الحركة: (البَسْطُ)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على امتداد الشيءِ في عِرَضٍ أو غَير عِرَض، فالبِساطُ ما يُبسَطُ، والبَسْطَةُ في كلِّ شيءٍ: السَّعَة[3].

استَعمله من العلماء: ابنُ فارس، قال:"العربُ **تَبْسُطُ** الاسمَ والفعلَ فتزيدُ في عدد حروفِهما. ولعلَّ أكثرَ ذلك لإقامةِ وزنِ الشِّعر وتسويةِ قوافيه، وذلك قول القائل:

ولَيلةٍ خامِدةٍ خُمُوداً طَحْياءَ تُغْشي الجَدْيَ والفُرْقُودا

فزاد في (الفَرْقَدِ) الواوَ، وضمَّ الفاء؛ لأنَّه ليس في كلامِهم: فَعْلُول، ولذلك ضمَّ الفاء" [4].

الجهة الثانية: الألفاظ المستعملة لتقصير حرفِ المدِّ ليَرجِع حركةً قصيرةً

عرَف المتقدِّمون أنَّ حرفَ المدِّ إذا قُصِّر فسيرجع حركةً قصيرةً، وكانوا يُنبِّهون على أنَّ هذه الحركة القصيرة تدلُّ على حرف المدِّ الذي أُخِذت منه، قال الخليل:" اللاّئي ممدودةٌ، وقد تَخرُجُ الياءُ، فيقالُ: اللاِّءِ، **بكسرةٍ تَدُلّ على الياء**"[5]. تأمَّل قوله: (ممدودة) أليس فيه معنى إشباع الحركة؟ ثم انظر إلى الفقرة الأخيرة في قوله: (بكسرةٍ تدلُّ على الياء)، أليس فيه إدراكاً لتلك العلاقة القائمة بين الحركة وحرف المدّ؟

ومثالٌ آخر تقدَّم في مصطلح: (الإتمام)، عن استعمال الفرَّاء لـ: (الإتمام والنُّقصان)[6]، وفيه إدراك حقيقيٌّ لتلك العلاقة.

وإنَّ كثرةَ النُّصوص الورادة عنهم في هذا الشأن، وكثير من المصطلحات التي تقدَّمت، وكثيرٌ منها سيأتي

(1) التحديد ص 83 – 84 . وانظر ص 87 و 116 .
(2) الموضح ص 100 وانظر: ص 105 و 133 .
(3) مقاييس اللُّغة ص 116 (ب س ط).
(4) الصاحبيّ ص 380 .
(5) العين 8/ 141 .
(6) معاني القرآن 2/ 374 .

في الفصل السادس لتُوضِّح إدراكهم الصحيح لطبيعة الحركة وحرف المدّ، وأنَّ الفرقَ بينهما في الصَّوتِ فرقٌ كمِّيٌّ، ويختلفان بالفرق الوظيفيّ الذي يؤدِّيه كلٌّ منهما، أعني في تأثيرهما على معاني الكلمات.

وكان ابن جنيّ من أهل العربية، والقرطبيّ من أهل التجويد قد وضَّحا تلك العلاقة، وكلامهما في هذا الجانب يُلخِّصُ فكرة المتقدِّمين عنها، قال ابن جنيّ:"اعلم أنَّ الحركات أبعاضُ حروف المدِّ واللِّين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنَّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمَّة، فالفتحةُ بعض الألف، والكسرةُ بعضُ الياء، والضمَّةُ بعضُ الواو... ويدلُّك على أنَّ الحركاتِ أبعاضٌ لهذه الحروف أنَّك متى أشبَعْتَ واحدةً منهنَّ حدث بعدها الحرفُ الذي هي بعضَه، وذلك نحو فتحة عين: عَمَرَ، فإنَّك إن أشبَعتَها حدَثَتْ بعدها ألف، فقلت: عَامَر..."[1].

وتَرجَم القرطبيّ تلك العلاقة في كيفيَّة أداء الحرف المتحرِّكِ في أداء القرآن الكريم، حيث نهى القرَّاءَ عن المبالغة في إشباع الحركةِ بحيث تصيرُ حرفَ مدٍّ، ولا يُخفَضَ الصَّوتُ بها فتتحوَّل إلى السُّكون، يعني في اتجاهين متعاكِسَين، قال:"الذي ينبغي أن يَعتمِده القارئُ من ذلك أن يَحفَظَ مقاديرَ الحركاتِ والسَّكَناتِ، فلا يُشبِعَ الفتحةَ بحيث تصيرُ ألِفاً، ولا الضمَّةَ بحيث تَخرج واواً، ولا الكسرةَ بحيث تتحوَّلُ ياءً، فيكونُ واضِعاً للحرفِ موضعَ الحركةِ، ولا يُوهنَهَا ويَختَلِسَها ويُبَالِغَ فيَضْعفُ الصَّوتُ عن تأديتِها ويتلاشى النُّطقُ بها وتتحوَّلَ سكوناً"[2].

الألفاظ المستعملة لظاهرة تقصير المدِّ ليرجع حركةً قصيرةً:

استعمل لظاهرة تقصير المدِّ ليَرجِع حركةً قصيرة عدَّة ألفاظ، منها:
1 . (غير التطويل) 2 . (القَصر، المقصُور) 3 . (النُّقصان والنَّقص) 4 . (الاكتفاء) 5 . (الاجتزاء) 6 . (الإنباء)

1 . المصطلح الأوَّل لظاهرة تقصير المدِّ: (غير التطويل)

من النُّصوص الخطيرة التي تقدَّمت في هذا الشأن استعمال تميم بن حذلم التابعيّ الجليل لفظ: (التطويل، وغير التطويل) في حكايته قراءة ابن مسعود . رضي الله تعالى عنه . في قوله تعالى: [وَكُلٌّ آتُوهُ دَٰخِرِينَ] ، قال الفرَّاء:"حدَّثَني عدَّةٌ، منهم: المفَضَّلُ الضبِّيُّ، وقَيسٌ، وأبو بكرٍ، كلُّهم عن جَحشِ بنِ زيادٍ الضبِّيّ عن تميمِ بنِ حَذْلَمَ (ت 98 هـ)، قال: قرأتُ على عبدِ الله بن مسعودٍ: [وَكُلٌّ ءاتُوهُ دَٰخِرِينَ]، **بتَطْوِيلِ الألِف**. فقال: [وَكلٌّ أَتَوْهُ] **بغير تَطْويل الألِفِ**"[3].

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 17 - 18 .

(2) الموضح ص 191 .

(3) معاني القرآن 2/ 301. والقراءتان متواترتان: قرأ بالمدِّ حفص وحمزة وخلف، وقرأ الباقون بالقصر .

الألف: الهمزة. والمعنى: أنَّه لما مَدَّ حركتَها، رَدَّهُ ابنُ مسعودٍ τ عن ذلك إلى عدمِ المدِّ، بحسب ما تلقَّاهُ من النبيِّ ρ .

ألا يدلُّ هذا النصّ القديم من القرن الأوَّل الهجريّ على إدراكهم تلك العلاقة بين الحركات وحروف المدّ؟

2 . المصطلح الثاني لظاهرة تقصير المدِّ: (القَصْر، المَقْصُور)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصله اللُّغويّ على شيئين: ألاَّ يَبْلُغَ الشيءُ مَداهُ ونهايتَه، وعلى الحَبس، والمعنيان متقارِبان، فمن الأوَّل: القِصَرُ خلافُ الطُّول، يقول: هو قَصيرٌ بَيِّنُ القِصَر، ويقال: قَصَّرْتُ الثَّوبَ والحَبْلَ تقصيراً. ويقال: قَصَّرتُ في الأمرِ تقصيراً: إذا تَوانيت، وقَصَرْتُ عنه قُصوراً: عَجَزتُ، وأقْصَرْتُ عنه: إذا نَزَعتَ عنه وأنتَ قادرٌ عليه، وكلُّ هذا قياسُه واحدٌ، وهو ألاَّ يَبْلُغَ مدى الشيء ونهايتَه. ومن الثاني: القَصْرُ: الحَبسُ، يقال: قَصَرْتُ، إذا حبستَه، وهو مقصورٌ: أي محبوسٌ[1].

القصرُ والمدُّ مصطلحان متلازِمان متقابِلان عند المتقدِّمين في الغالب: إذا استُعمِل: (القَصرُ) بمعنى الإسكان فيكون: (المدّ) بمعنى الحركة، وإذا استُعمِل: (القصرُ) بمعنى الحركة فـ: (المدُّ) بمعنى ذاتِ حرف المد، وإذا استُعمِل: (القصرُ) بمعنى ذاتِ المد فيكون: (المدّ) بمعنى الزيادة.

ومن هذه المقدِّمة استُعمل: (القَصْرُ) في أكثر من معنى، منها:

1 . الحركة القصيرة 2 . المد الطبيعيّ 3 . الإسكان 4 . قصر صلة هاء الضمير، وهي تابعة للأوَّل.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (القَصر، المقصور) = الحركة القصيرة

استعمله: الخليل[2]، والفرَّاء، والبزّيّ[3]، وابن قتيبة[4]، والزجَّاج[5]، وابن الأنباريّ[6]، والأزهريّ[7]، وابن مهران[8]، وعبد المنعم بن غَلبون[9]، وطاهر بن غَلْبون[10]، وأبو الفضل الخزاعيّ[11]، وابن سفيان القيروانيّ[1]،

(1) مقاييس اللغة ص 860 (ق ص ر).
(2) العين 7/ 184 .
(3) التيسير ص 200 .
(4) أدب الكاتب 378 .
(5) معاني القرآن وإعرابه 4/ 220 .
(6) الأضداد ص 63 .
(7) معاني القراءات 2/ 280 .
(8) الغاية ص 350 .
(9) الاستكمال ص 254 .
(10) التذكرة 2/ 269 .
(11) المنتهى ص 389 .

والدانيّ[2]، وابن بلّيمة[3]، وأبو العز القلانسيّ[4]، وأبو العلاء الهمذانيّ[5].

مثال: قال الفرَّاء عن مذاهبِ القُرَّاء في: [لآتَوْها]:" فقَرأ عاصمٌ والأعمشُ بِتَطْوِيلِ الألِف. **وقَصَرَها** أهلُ المدينة: [لأَتَوْهَا]، يريدُ: لفَعَلُوها. والذين طَوَّلُوا يقولون: لما وقَعَ عليها السؤالُ وَقَع عليها الإعْطَاء، كما تقول: سألتَنى حاجةً فأعطَيتُكَها وآتيتُكَها"[6].

أليس في هذا النصِّ فهمٌ صحيحٌ لطبيعة العلاقة بين الحركة وحرف المدّ في تلك الفترة المبكِّرة؟ بل إنَّ اللَّفظَين المستَعمَلين المتقابِلَين ليدلاَّ على ذلك.

2 . المعنى الثاني لـ: (القَصر، المقصور) = المد الطبيعيّ، وهو مرتبة من مراتبِ المدّ

استعمله: يحيى اليزيديُّ[7]، وابن مجاهد[8]، والأزهريّ[9]، وطاهرُ بن غَلْبون، ومكيّ[10]، والمالكيّ[11]، والدانيّ، وابن بلِّيمة[12]، وأبو العلاء الهمذانيّ[13].

مثال: قال طاهر بن غَلبون:"قوله: [فَلَمَّا أضَاءتْ] **بِقَصْر** [فلمَّا]، وبِمَدِّ [أَضَاءَتْ]"[14]. يعني بقَصْرِ المنفصل، وبمدِّ المتصل.

والقَصْرُ بهذا المعنى هو الذي عُرِف بين القرَّاء، وبقِيتْ دلالتُه إلى عصرنا الحاضر، قال الدانيُّ عن طاء: [طه] وياء: [يس]:"فلا خلاف بين أهل الأداء في تمكينِ الألفِ التي في آخرِه، وهو التمكينُ الذي هو صيغتُها من غير زيادة. والقرَّاءُ يُسَمُّون هذا الضربَ قَصْراً لنُقصانِ مدِّه"[15]. ويكون عكس هذا المعنى الزيادة في المدّ.

---

(1) الهادي 2/ 231 .

(2) التيسير ص 77 . وانظر: جامع البيان 2/ 464 ففيه تفصيلٌ نفيسٌ عن دلالة هذا المصطلح، وما حصَل فيه من الوهم عند بعض القراء نتيجة اتفاقه في اللَّفظ مع القصر المعروف عند القراء .

(3) تلخيص العبارات ص 72 .

(4) الإرشاد ص 584 .

(5) التمهيد ص 304 .

(6) معاني القرآن 2/ 337 .

(7) جامع البيان للدانيّ 2/ 473 .

(8) السبعة ص 134 .

(9) معاني القراءات 1/ 468 .

(10) التبصرة ص 77 .

(11) الروضة 1/ 463 .

(12) تلخيص العبارات ص 26 .

(13) التمهيد ص 286 .

(14) التذكرة 1/ 106 .

(15) جامع البيان 2/ 486 .

وقسَّم الدانيُّ المدَّ إلى طبيعيٍّ ومتكلَّف، وعرَّف الطبيعيّ بأنَّه هو الذي يُسمَّى **مقصوراً** عند القرَّاء مبيّناً وجهَ تسميته بذلك، وموضّحاً كيفية قياسِه، قال:"فالطبيعيُّ حقُّه أن يؤتى بالألف والياء والواو التي هي حروف المدِّ واللِّين مُمَكَّناتٍ على مقدار ما فيهنَّ من المدِّ الذي هو صيغتُهنَّ، من غير زيادةٍ ولا إشباعٍ، وذلك إذا لم تَلْقَ واحدةٌ منهنَّ همزةً ولا حرفاً ساكناً، ويُسمِّي هذا الضَّربَ القراءُ **مقصوراً**؛ لأنَّه قُصِر عن الهمزة الموجِبة لزيادتها في الإشباع لخفائها وشدَّتها، أي حُبِس عنها ومُنِع منها. ومِن ذلك قوله تعالى: [حُورٌ مَّقْصُوراتٌ في الخِيَام]، أي محبوسات. ويُقدِّرونَه مقدارَ ألفٍ إن كان ألِفاً، ومقدارَ ياءٍ إن كان ياءً، ومقدارَ واوٍ إن كانَ واواً"[1].

وصاغَ ابن الطحَّان الأندلسيّ من كلام الدانيّ تعريفَ **القَصْر**، فقال:"**والقَصرُ**: عبارةٌ عن صيغة حرفِ المدِّ واللِّين، وهو المدُّ الطبيعيّ"[2].

وفي ختام هذا المعنى أضيفُ كلمةً إليه، وهو أنَّ هذا المعنى قد يكون إرهاصاته وبداياته عند من ألَّفوا في المقصور والممدود من أصحاب العربية، وهم متقدِّمون عن أكثر هؤلاء الذين ذكرْتُهم، ويحتاج الأمر إلى مزيد بحث وتفتيش للتأكُّد من هذه الملاحظة.

3. المعنى الثالث لـ: (القَصر، المقصور) = الإسكان

استعمله: الوليدُ بن مسلم الدمشقيّ، وابن غالب محمد الصيرفيّ[3]، وابن مجاهد[4]، وطاهر بن غَلبون[5].

مثال: قال الوليدُ بن مسلم الدمشقيّ في حكايته مذهبَ ابن عامر في: شَطْأَهُ، قال:" شَطْأَهُ: **مقصورةٌ** مهموزة".

قال الدانيُّ معلِّقاً:"يريد **بالقَصْر**: إسكانَ الطاء، كما يُريدُ بمدِّها: تحريكَها"[6].

4. المعنى الرَّابع لـ: (القَصر، المقصور) = قصر صلة هاء الضمير

استعمله: أحمد بن صالح.

قال ابن مجاهد:"وقال أحمد بن صالح، عن ورشٍ وقالون: [يَرْضَهُ لَكُمْ]: الهاءُ مَقْبُوَّةٌ، **مقصورةٌ** غيرُ ممدودةٍ"[7].

(1) التحديد ص 98 .
(2) مرشد القارئ ل 6/ ب .
(3) جامع البيان للداني ل 127/ ب .
(4) السبعة ص 191 .
(5) التذكرة 2/ 278 .
(6) التعبير والتعليق في جامع البيان للدانيّ ل 227/ ب .
(7) السبعة ص 209 .

يعني بالمُقْبُوّة: المضمومة، وهي لغة أهل المدينة، يُسمُّون الضمّ: القَبْو[1]. ومعنى **مقصورة** أنَّها غير مشبَعة الحركة، غيرُ ملحقةٍ بحرف مدّ.

3. المصطلح الثالث لظاهرة تقصير المدِّ: (النُّقصان والنَّقص)

استعمله: الكسائيُّ، والفرَّاء[2]، وابن قتيبة.

مثال: سُئل الكسائيُّ عن الوقف على قوله: [يأَبَت]، فقال:"بالهاءِ والتاءِ، قال: والهاءُ أحبُّ إليّ، قال: والوجهُ لمن وَقَف بالتاءِ أنَّ العربَ تقولُ: يا أبتي، وإذا **نَقَصَ** الياءُ وُقِف بالتاء"[3].

وقد مرَّ استعمالُ الفرَّاءِ لـ: **(النُّقصان)** في مصطلح: (الإتمام).

وقال ابن قتيبة:"واعلمْ أنَّ الحرفَ يتَّصِلُ بـ: (ما) اتصالاً لا يتصِلُ بغيرِها، تقول إذا استَفهمتَ: فيمَ ضربتَ؟ **فتُنقِصُ** الألفَ، وإذا كانت في غير الاستفهامِ أتْمَمتَ، فتقول: جئتُ فيما سألتُكَ"[4].

4. المصطلح الرَّابع لظاهرة تقصير المدِّ: (الاكتِفَاء)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على الحَسْبِ الذي لا مُستزادَ فيه. يقال: كَفاكَ الشيءُ يَكْفِيكَ، وقد كَفى الشيءُ يَكْفِي كِفايةً فهو كافٍ: إذا حصَل به الاستِغْناءُ عن غيرِه. واكتَفَيتُ بالشيءِ: استَغنَيتُ به أو قَنِعْتُ به"[5].

استعمله: الفرَّاءُ، وأبو بكر بن الأنباريّ[6]، وابن خالويه[7]، والمالكيّ[8]، والدانيّ[9].

مثال: قال الفرَّاءُ:"وقوله: [واخْشَونِي...] [البقرة: 150]، أُثْبِتتْ فيها الياءُ، ولم تَثبُتْ في غيرها، وكلُّ ذلك صوابٌ، وإنما استَجازوا حذفَ الياءِ؛ لأنَّ **كسرةَ النُّونِ تَدُلُّ عليها**، وليستْ تَهَيَّبُ العربُ حذفَ الياءِ من آخرِ الكلامِ إذا كان ما قبلَها مكسوراً، مِن ذلكَ: [رَبِّي أَكْرَمَنِ] و [أَهَانَنِ] في سورة "الفجر" وقوله: [أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ]، ومِن غَير النُّونِ: [المنادِ] و [الدَّاعِ]، وهو كثيرٌ، **يُكْتَفَى من الياءِ بكسرةِ ما قَبْلَها، ومِن الواوِ بِضَمَّةِ ما قَبْلَها**، مثل قوله: [سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة]، و [يَدْعُ الإنسَانُ]، وما أشبهه"[10].

---

(1) قال ابن فارس في مقاييس اللغة ص 843:"يقال: قَبَوتُ الشيءَ: جمَعتُه وضمَمْتُه، وأهل المدينة يُسَمُّون الرَّفعَ في الحركاتِ قَبْواً، وهذا حرفٌ مَقْبُوّ" اهـ .

(2) معاني القرآن 2/ 374 .

(3) جامع البيان للداني 3/ 913 .

(4) أدب الكاتب ص 234 .

(5) مقاييس اللغة ص 896 (ك ف ا) والمصباح المنير (ك ف ا).

(6) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 263 .

(7) الحجة ص 195 .

(8) الروضة 2/ 655 .

(9) الإدغام الكبير ص 50 .

(10) معاني القرآن 1/ 90 .

5. المصطلح الخامس لظاهرة تقصير المدّ: (الاجتزاء)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الاكتِفاء بالشيءِ. يقال: اجتَزَأْتُ بالشيءِ اجتزاءً، إذا اكتفيتَ به، وأجزَأني الشيءُ إجزاءً، إذا كَفَاني[1].

استعمله: ابن خالويه[2]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[3].

مثال: قال ابن خالويه في توجيه قوله: [المتَعَالِ]، من غير ياء:"وله أن يقول: إنَّ العربَ تَجتزِئُ بالكسرة من الياءِ، فلذلك سقَطَت الياءُ في السَّواد"[4].

6. المصطلح السادس لظاهرة تقصير المدّ: (الإنبَاءُ)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على الإتيان من مكان إلى مكانٍ. يقال للذي يَنبَأُ من أرضٍ إلى أرض نابئٌ. وسيلٌ نابئٌ: أتى من بلدٍ إلى بلد. ومِن هذا القياس النَّبأ: الخبر؛ لأنَّه يأتي من مكانٍ إلى مكانٍ. والنَّبْأةُ: الصَّوتُ، وهذا هو القياس، لأنَّ الصوتَ يجيء من مكانٍ إلى مكان[5].

استعمله ابنُ زنجلة، قال:"وقرأ ابن عامر ونافع وحمزةُ وعاصمٌ: [يَرْضَهُ] مِن غير إشباعٍ، اكتَفَوا بالضَّمَّةِ؛ لأنَّها **تُنبئُ** عن الواو"[6].

الظاهرة الرابعة من ظواهر طَلَب التخفيف: تقريب الحركات وحروف المدّ من بعضِها

هذه الظاهرة من أوسع ظواهر الخفَّة، وتندرج تحتَها عدَّة ظواهر، وتُعنى بميل الحركات إلى الحركات وحروف المدّ إلى حروف المدّ، كالألف تُقرَّبُ من الياء بالإمالة، وتقرَّب الواو من الياء بما يُعرَف بإشمام الحركات، وكان المتقدِّمون من النحويّين والقرَّاء قد تناولوا هذه الظواهر، وجاءت منثورة في أقوالهم وكتبهم، لكن أوَّل مَن جمَعها تحت سماء واحدة من أصحاب المدرسة النَّقلية ابن جنيّ، والفارابيّ من أصحاب المدرسة العقليَّة، ولنبدأ بحديث الفارابيّ لأنَّه هو المتقدِّم زمنياً.

المصوِّتات المعيارية عند الفارابيّ

كان الفارابيُّ على علمٍ واسعٍ بالموسيقى وصناعة الأنغام الإنسانية، وساعدَته هذه المعرفة في أن يضَع معياراً عالمياً للأصوات الذائبة في اللُّغات الإنسانية، فكان لابدَّ منه أن يُبيِّن هذه الأصوات الفرعيَّة،

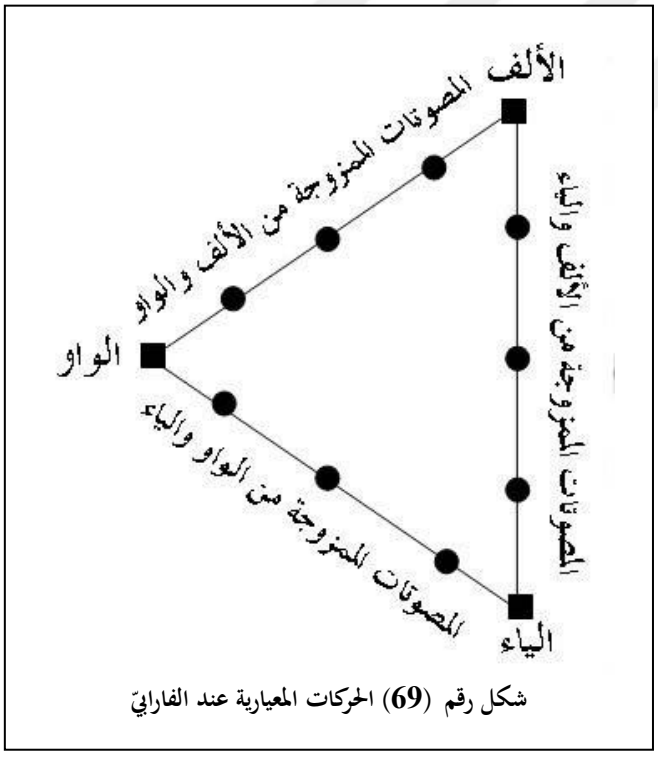
(1) مقاييس اللغة ص 197 (ج ز أ).
(2) الحجة ص 165و 191 و 218 و 224 .
(3) الإنصاف 1/ 385 .
(4) الحجة ص 201 .
(5) مقاييس اللغة ص 973 (ن ب أ).
(6) الحجة ص 619 .

قال:"وجلُّ النَّغَم الإنسانيَّة، فإنَّما تُسمَعُ مقترِنةً ببعضِ المصَوِّتاتِ، أو ببعضِ ما هو ممتدٌّ من غير المصوِّتات"[1].

وكان يعني بالمصوِّتاتِ الأصواتَ الذائبةَ، أعني الحركات وحروف المدِّ، ويعني بما هو ممتدٌّ من غير المصوِّتاتِ اللاَّمَ والميمَ والنُّونَ؛ لأنَّه قال عنها: إنَّها حروفٌ تَمتدُّ بامتداد النَّغَم[2]. ويعني بقوله: (جل النَّغم الإنسانية) أنَّه يُقدِّمُ معياراً قياسياً للحركات، ومن هنا سبق هذا المقياس حركات دانيال جونز بحوالي ألف سنة. ولئن كانت كتب علم الأصوات المعاصِر تحتفِلُ بمعيار جونز وتقيس عليه حركات اللُّغات، فإنَّه ليكفينا فخراً أنَّ علماءنا كانوا السبَّاقين إلى وضعِ هذا المعيار.

وقسَّم الفارابيُّ المصوِّتات إلى طويلة وقصيرة، وبيَّن أن القصيرة هي التي تُسمَّى الحركات في العربية، فتكون الطويلة هي حروف المدّ بداهةً، قال:"والمصوِّتاتُ منها قصيرةٌ ومنها طويلةٌ، والمصوِّتاتُ القصيرةُ هي التي تُسمِّيها العربُ الحركاتِ"[3].

تحدَّث الفارابيُّ عن المصوِّتات الطويلة فقط؛ لأنَّها هي التي تمتدُّ مع النَّغم في صنعة الغناء والموسيقى، ونبَّه إلى أنَّ القصيرة لا تختلِف عن الطويلة إلاَّ في عدم الامتداد، فإذا متدَّت فهي هي، قال:"وأمَّا المصوِّتات القصيرةُ فإنَّها لا تَمتدُّ مع النَّغَمِ ما دامتْ على قِصَرِها، فإذا ساوَقَت النَّغمةَ امتدَّتْ حتى لا يُفرَقَ بينها وبين الطويلَة"[4].



شكل رقم (69) الحركات المعيارية عند الفارابيّ

قدَّم الفارابيُّ اثنتي عشرة حركة سمَّاها بالمصوِّتات، وذكر أنَّ حاصل الأنغام الإنسانيّة مجموعٌ فيها، وسأمثِّل مقياس الفاربيّ على مثلَّث أصنعُه من كلامِه لزيادة الإيضاح، وبمثِّله شكل رقم (69).

بدأ الفارابيّ بتحديد الملامح العامَّة لهذا المثلَّث، فقال:"والمصوِّتات الطويلة منها أطرافٌ، ومنها ممتزجةٌ عن

(1) الموسيقى الكبير ص 1073 .
(2) الموسيقى الكبير ص 1072 .
(3) الموسيقى الكبير ص 1072 .
(4) الموسيقى الكبير ص 1074 - 1075 .

الأطراف" [1].

يعني بالأطراف حروف المدّ الثلاثة الأصليَّة، وهي: ألف المدِّ، وواوُ المدِّ، وياءُ المدّ.

ثم بيَّن طبيعةَ اتجاه الصَّوت في هذه الأطراف الثلاثة الأصلية لهذا المثلَّث، فقال:"والأطرافُ ثلاثةٌ، إمَّا الطرفُ العالي، وهو الألفُ، وإمَّا الطرفُ المنخفضُ، وهو الياء. وإمَّا المتوسِّطُ، وهو الواو" [2].

وهذا التعيينُ بهذه الاتجاهات راجعٌ إلى نظرة المتقدِّمين لطبيعة اتجاه الصَّوت في هذه الثلاثة، حيث يستعلي في الألف، كما مرَّ في مصطلح: (الاستعلاء) من قبل. ويتسفَّل الصَّوت في الياء، ويتجه إلى الأسفل، كما مرَّ في مصطلحات: (الاستفال)، ولذلك جعلَه الفارابيُّ الطرفَ المنخفض. أمَّا الواو فهو في وضعٍ وسطٍ بين الألفِ والواو.

بعد ذلك عيَّن الفارابيُّ المصوِّتات التي تقَع بين هذه الأطراف الثلاثة الأصلية، فقال:"والممزوجةُ، إمَّا ممزوجةٌ من الألفِ والياء. وإمَّا من ياءٍ وواوٍ. وإمَّا من ألفٍ وواوٍ" [3].

ثمَّ قسَّم هذه الأصوات الممزوجة إلى ثلاثة تقَع على كلِّ ضلعٍ واصلٍ بين المصوِّتات الأصليَّة في المثلَّث، فثلاثةٌ بين الألف والياء؛ مصوِّتٌ مائلٌ إلى الألفِ، وآخَرُ إلى الياء، ومصوِّتٌ وسطٌ يَقَعُ بين هذين المائلَين، وجعَل مِثْلَ ذلك بين الألف والواو، ومِثلهما بين الواو والياء، ليصبح مجموع هذه المصوِّتات تسعة ، يُضاف إليها المصوتات الأصليَّة الثلاثة، فيصبح المجموع العام اثني عشر مصوِّتاً هو المجموع الذي يستعمله بنو البشر في أنغامهم، قال:"وكلُّ واحدٍ من هذه الثلاثةِ الممتَزِجة، إمَّا مائلةٌ إلى أحد الطرَفين، أو متوسِّطةٌ غيرُ مائلةٍ، والمائلةُ إمَّا إلى هذا وإمَّا إلى ذاك. ولما كانت المصوِّتاتُ الممتزجةُ بالجملة ثلاثة، وأصنافُ كلِّ واحدٍ منها ثلاثة صارتْ جملتُها تسعة" [4].

وهذه التسعة يمكن ملاحظتها على المثلَّث بوضوح.

وكان الفارابيُّ بمعرفته الواسعة بالأنغام قد بيَّن أنَّ هذه المصوِّتات التسعة يُمكن أن تنقسمَ أيضاً، وتتقارب تقارُباً، لكنَّ السَّمعَ لا يستطيعُ أن يُميِّز بينها بحيث يَجعلُها مصوتات مستقلَّة، فطالب بالاقتصار على هذه المصوِّتات التسعة، قال:"وقد يُمكنُ أن يَنقَسِم كلُّ واحدٍ من هذه، غير أنَّ مسموعاتِ أقسامِها تتقاربُ تقارُباً لا يُميِّزُ السَّمعُ بين فصولها، ولذلك ينبغي أن يُقتَصَر منها على هذه التسعة، ويُجمَع إليها الأطرافُ الثلاثة فتصير أصنافُ المصوِّتات الطويلة المنفصلة بفصولٍ بيِّنةٍ في السَّمعِ اثنَي عشر مصوِّتاً" [5].

(1) الموسيقى الكبير ص 1073 .
(2) الموسيقى الكبير ص 1073 .
(3) الموسيقى الكبير ص 1073 .
(4) الموسيقى الكبير ص 1074 .
(5) الموسيقى الكبير ص 1074 .

كانت هذه المصوّتات هي التي تُستعمل في اللُّغات الإنسانيَّة عند ترنُّمها وغنائها، وننتقل الآن إلى اللُّغة الخاصَّة، أعني اللُّغة العربية لنرى ما هو مستَخدمٌ فعلاً من هذه المصوّتات، وهو جانبٌ قد غطَّاه أصحابُ المدرسةِ النَّقليَّة من أهل العربية والقراءات.

المصوّتات العربية

تنقسم المصوّتات العربيَّة إلى ثلاثةٍ أصليَّة طويلة هي حروف المدِّ الثلاثة وثلاثة قصيرة هي الفتحة والضمَّة والكسرة، وكنت قد تحدَّثتُ عنها في ظاهرة علاقة الحركة بحرف المدِّ.

وهذه الأصليَّة يميلُ بعضُها إلى بعضٍ فينتُج عنها مصوّتاتٌ فرعيَّة، وهي التي جمَعها ابن جنيّ في مكانٍ واحدٍ بعد أن ذكَرها مَن قبلَه مفرَّقة، وهي أربعُ حركات أو مصوّتات:

1 ـ ألف الإمالة: وهي الفتحة المشوبة بشيءٍ من الكسرة والألفُ التي بعدها تبعٌ لها كالألف الممالة في: عِابد وعِارف.

2 ـ ألف التفخيم: وهي الفتحة المشوبة بشيءٍ من الضمَّة والألفُ التي بعدها تبعٌ لها كألف التفخيم نحو الواو في: قُام.

وتمتنعُ إمالةُ الكسرةِ والضمَّةِ نحوَ الفتحة في اللُّغة العربية، وعلَّل ابن جنيّ ذلك بأنَّ الفتحةَ أعمق الحركات، والكسرةُ بعدها، والضمة بعدهما، فجاز الانطلاق من الفتحة إليهما بحسب تصعُّدِ الصَّوت، أي من الداخل إلى الخارج، دون العكس.

3 ـ الكسرةُ المشوبة بالضمَّة نحو: قيل وبيع، وقال عن الياء بعدها إنَّها مَشوبةٌ بروائحِ الواو، على ما تقدَّم في الألف.

4 ـ الضمَّةُ المشوبة بالكسرة، وقال عن الواو بعدها إنَّها مَشوبةٌ بروائحِ الياء في نحو (عُوِ) من: بمذعورٍ .

قال ابن جنيّ:"وهذا مذهبُ سيبويه، وهو الصَّوابُ؛ لأنَّ هذه الحروف تَتبَعُ الحركات قبلها، فكما أنَّ الحركةَ مَشوبةٌ غيرُ مُخْلَصَةٍ، فالحرفُ اللاَّحِقُ بها أيضاً في حُكمه"[1].

واستعمل القرَّاءُ الحركات الثلاث الأولى التي ذكرها ابن جنيّ دون الرابعة، مع مراعاة أنَّهم في ألف التفخيم لا يَصِلون إلى درجة استدارة الشفتَين معها، ولا إلى الفتح المبالَغ فيه للفم؛ بل نَهَوا عن ذلك، واستعمَلوا التفخيمَ المناسبَ لحروفه، وسيأتي معمليّاً كيفية هذا التقريب من الواو في نُطقِ القرَّاء، وأنَّه مرتبطٌ بالتردُّد بالدرجة الأولى، وسَيَظهر عِظمَ التوفيق الذي حَصَل للمتقدِّمين في ملاحظاتهم الدَّقيقة عن هذه

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 53 .

الألف.

وقسَّم القرَّاءُ الفتحةَ المشوبةَ بالكسرة، أي الألف التي تَميل إلى الياء إلى قسمين:

1 ـ ألف الإمالة الصَّغرى أو الألف المقلَّلة، وهي التي تَقعُ بين الألفِ والإمالةِ الكبرى.

وانقسمتْ مذاهبُهم فيها إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ بعضُ القرَّاء قسَّم هذه الإمالة إلى قسمَين: 1 ـ إلى الفتحِ أقرب. 2 ـ إلى الإمالة الكبرى أقرب.

2 ـ بعضهم لم يعترِف بهذه الإمالة؛ بل جعلها تحت دائرة الفتح.

3 ـ أكثرُهم يعترِفون بها كإمالةٍ واحدةٍ فقط تقعُ بين الألفِ والإمالة الكبرى.

2 ـ الإمالة الكبرى، وهي التي تقع بين الإمالةِ الصُّغرى والياءِ، وهذه لا خلاف عند القراء فيها.

كان ما سبق مقدِّمة للحديث عن الألفاظ المستعملة لكلِّ مصوِّتٍ ممتزجٍ أو فرعيٍّ، وهي ألفاظٌ كثيرةٌ اشتركَ فيها طوائف العلماء من نحويِّين وقرَّاء، وهذه الألفاظ جُمِعت من كتبٍ متنوِّعة، ولولا توفيق الله ومعونته لصعبَ حَصرُها في مكان واحدٍ.

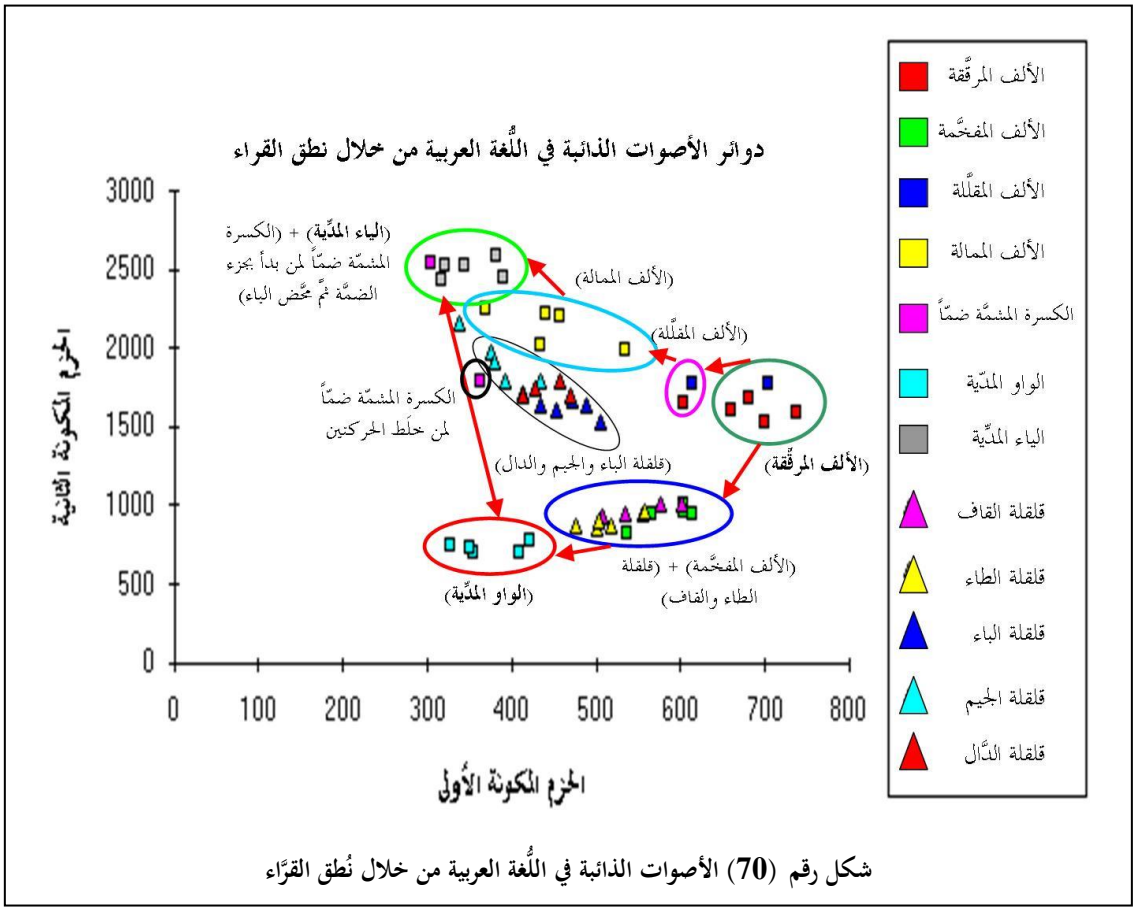
ومن أجل أن تكون هذه الألفاظ واضحةً للأذهان، ولتبيُّنِ دقَّةِ القرَّاء الأوائل في وصفِ قراءتِهم وصحَّة ما يَقرؤه القرَّاء اليوم من أداءٍ مطابقٍ لتلك العبارات آثَرت تمثيلَ هذه المصوِّتات على رسمٍ توضيحيٍّ من واقع القراءة القرآنيَّة التي يُقرأ بها اليوم، واخترتُ لذلك خمسةً من مجيدي القراءة المتصل سندهم بالنبيِّ ρ ، ومن بيئاتٍ متعدِّدة، اثنين من دمشق وأطرافِها، واثنين من اليمن، وواحد من مصر.

وكان قرَّاء اليمن ومصر يحملون إجازةً برواية حفصٍ عن عاصمٍ من طريق الشاطبيَّة، ولذلك اقتصَر نُطقهم على ما يعرفونه من الحركات الأصليَّة ـ أعني ألف المدِّ المرقَّقة والمفخَّمة وواو المدّ وياء المدّ ـ والفرعيَّة كألف الإمالة في: [مجريها]، ومتمِّمات الحروف كأصوات القلقلة.

أمَّا قارئا الشام فهما يحملان إجازةً بالقراءات العشر من طريقَي الشاطبيَّة والدرَّة، فاتسع نُطقهما بذلك ليشمل ألف الإمالة الصغرى، والكسرة المشوبة بالضمَّة في نحو: [قِيل]، ويجب أن أُنَوِّه هنا إلى أنَّ هناك مذهبَين في الأداء في نُطقِ هذه الكسرة:

المذهب الأول: يبدأ بنطق القاف المكسورة، ويضمّ الشفتين لتخرجَ حركة ممزوجةً من صوتي الواو والياء.

المذهب الثاني: يبدأ بضمِّ الشفتين في القاف ثمَّ ينطق بعدها ياء مدّية صحيحة، فلا تَخْرُجُ ممتزجةً بل



شكل رقم (70) الأصوات الذائبة في اللُّغة العربية من خلال نُطق القرَّاء

تتكوَّن من جزءين منفصِلَين، يعني الإشمام لا يكون إلا في الأوائلِ ثمَّ تَتمحَّضُ الياءُ بعد ذلك.

ومَثَّلَ هذان القارئان هذين المذهَبين.

تفضَّل القرَّاءُ بالذهاب إلى مكان التسجيل (الاستديو) لأخذِ عيّناتٍ صوتيَّة نقيَّة، بعد ذلك قمتُ بفرز هذه العيّنات، وأدخلتُها في الحاسوب، للتحليل الطيفيّ لها، وحساب ترددات الحزمة الأولى والثانية لكلِّ مصوّتٍ. ثمَّ قمت بإدخال القياسات في برنامج (EXCEL) المعروف، بغرض تمثيل هذه التردُّدات على رسمٍ توضيحيٍّ حقيقيّ، فكان هذا الشكل رقم (70) الذي يُمثِّل موقع هذه المصوّتاتِ.

ولا بدَّ من وضعِ مدخل لهذا الرَّسم قبل الحديث عن ألفاظ العلماء.

1 . وضعتُ دائرةً ملونةً حول كلّ مصَوّتٍ أو مصوّتين اقتربا في التردُّدات، وصعُب التمييز بينهما.

2 . تمثِّلُ النقاطُ الخمس ضمن الدائرة القرَّاءَ أصحابَ التجربة، وهناك نقطتان خاصتان انفَرَدَ بهما جامعا القراءات العشر.

3 . على يمين الرَّسم قائمة بنوع المصوّت الذي قرأه القرَّاء إن كان ألفَ إمالة أو غيرها.

4 . تُمثِّل اتجاهات الأسهم بين الدوائر الأوجهَ الجائز استخدامها في اللُّغة العربية، بحسب كلامِ ابن جنيّ السابق، وبحسب ما نَعرِفه من وصف المتقدِّمين لهذه المصوِّتات، ونُطقِ القرَّاء المستعمل.

الألفاظ العامَّة المستعملة في تقريبِ الحركات وحروف المدّ إلى بعضها:

استَعمل المتقدِّمون لتقريب المصوِّتات من بعضها حتى يمتزجا عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (الإشمام) 2 . (الإمالة) 3 . (الإشراب) 4 . (النَّحو، الانتِحَاء) 5 . (التقريب) 6 . (الخَلْطُ، المخالَطة) 7 . (الإيماء) 8 . (المزْجُ، الممازَجة، الامتِزَاجُ) 9 . (الشَّوْبُ)

1 . المصطلح الأوَّل لتقريب الحركات وحروف المدّ من بعضها: (الإشمام):

مصطلحٌ كبيرٌ، وأغلبُ المعاني التي استُعمِل فيها هي من الظواهرِ الصوتيَّة الكبرى في طلبِ التخفيف.

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على المقارَبَة والمدَاناة. تقول: شَمَمتُ الشيءَ فأنا أشمُّه، والمشَامَّةُ: المفاعلَة من شامَمْتُه، إذا قاربْتَه ودنوتَ منه[1].

استُعمل: (الإشمام) في أكثر من معنى، منها:

1 . الوقف بالرَّوم 2 . اختلاس الحركة 3 . الوقف بالإشمام 4 . إشمام الحركة في الحرف المتحرِّك 5 . مشاركٌ في الإمالة الصُّغرى 6 . مشاركٌ في الإمالة الكبرى 7 . تسهيل الهمزة عند الوقف 8 . إشمام الحركة في الحرف السَّاكن في الوصل 9 . قصر صلة هاء الضَّمير 10 . إشمام الحروف (تقريب الجوامد من الجوامد) 11 . الوقف بنقل الحركة 12 . إثبات ياءات الزوائد 13 . ألف التفخيم المائلة نحو الواو

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإشمام) = الوقف بالرَّوم

هو أحد طرق الوقف على الكلمة عند العرب، وظاهرةٌ من ظواهرِ الخفَّة في كلامِها، وهو الوقف بحركة ضعيفةٍ في السَّمع على آخرِ المتحرِّك.

وهذا المعنى هو مذهبٌ مستعمل عند أكابر القرَّاء، منهم: عاصم بن أبي النَّجود، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوب الحضرميّ، وخلف بن هشام[2].

استعمل لفظ: **(الإشمام)** بمعنى روم الحركة: الخليل، وسُليمُ بن عيسى، وعبيدُ بن عقيل[3]، ومحمدُ بن

(1) مقاييس اللُّغة ص 500 (ش م م).

(2) انظرهم في إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 385 والحجة لابن خالويه ص 79 ، وجامع البيان للداني 3/ 941 .

(3) السبعة ص 677 .

الحسن بن هلال الملقَّب بمحبوب[1]، وخلف بن هشام البزَّار، وأحمد الحُلْوانيُّ[2]، وابن مجاهدٍ[3]، وأبو بكر بن الأنباريّ[4]، وأبو علي الفارسيّ[5]، وأبو الفضل الخزاعيُّ[6]، وأبو مَعْشرٍ الطبريّ[7].

عرَّفه الخليلُ بن أحمد فقال: "**والإشْمام**: أن **تُشِمَّ** الحرفَ السّاكن حرفاً[8] كقولك في الضَّمَّة: (هذا العَمَلُ)، وتَسْكُت، فتَجد في فيك **إشماماً** للاّم، لم يَبْلُغْ أن يكونَ واواً، ولا تَحريكاً يُعْتَدُّ به، ولكنْ **شمّة** من ضَمَّةٍ خفيفة. ويَجوز ذلك في الكَسْر والفتح أيضا"[9].

فهذا يدلُّ على رَوْمِ الحركةِ المسموعةِ؛ لأنَّ الإشمامَ بلا صوتٍ لا يكونُ في الفتح والكسر.

كما أنَّ هذا النصَّ النادر عن الخليل أستاذ سيبويه يُثْبِتُ أنَّ مصطلح: (الرَّوم) لم يستَعمل قبل سيبويه، وأنَّ لفظ: (**الإشمام**) هو الذي كان متداوَلاً بين القرَّاء لكيفيَّتَين من كيفيات الوقف على الكلمة، أعني الوقفَ بروم الحركة، والوقف بالإشمام، قال الدانيُّ:"والإشارةُ إلى الحركات في الوقفِ في مذهبِ القرَّاءِ تكونُ رَوماً، وتكونُ إشماماً"[10]. والإشارةُ والإشمام واحدٌ.

ويوضِّحُ نصُّ الخليل أيضاً أنَّ جَعْلَه الرَّومَ في المكسور والمفتوح هو من مذهبه، وتابعَه عليه سيبويه، ولذلك يجب أن تصحَّح النِّسبة في قول الشاطبيّ: (وعند إمام النَّحْوِ في الكلِّ أُعمِلا) من سيبويه إلى الخليل.

واكتسبَ هذا اللَّفظ بهذا المعنى أهميَّةً تعليميَّةً، قال خلف بن هشام:"حدَّثَنا سُلَيمُ بن عيسى الكوفيُّ عن حمزةَ بنِ حبيبٍ الزيَّات أنَّه كان يُعجِبُهُ **إشمامُ** الرَّفْعِ إذا وقف على الحروف التي تُوصَلُ بالرَّفْعِ، مثل قول الله تعالى في فاتحة الكتاب: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ]، **يُشِمُّ** الدالَ الرَّفعَ... وسَمِعتُ عليّ بن حمزة الكسائيَّ يُعجِبُه ذلك. وبعض القرَّاء يَسْكُتُ عليه بغير **إشمام** الرَّفع، ويقول: إنَّما الإعرابُ في الوصلِ، فإذا سَكَتُّ [وقفتُ] لم **أُشِمَّ** شيئاً. قال خلف: وقولُ حمزة والكسائيُّ أعْجَبُ إلينا؛ لأنَّ الذي يَقرأ على مَن يَتعلَّمُ منه إذا قرأ عليه **فأشمَّ**

(1) جامع البيان للداني 3/ 941 .
(2) المنتهى للخزاعيّ ص 218 .
(3) جامع البيان للدانيّ 3/ 941 .
(4) إيضاح الوقف والايتدا 1/ 449 .
(5) الحجة 6/ 392 .
(6) المنتهى ص 216 .
(7) التلخيص ص 192 .
(8) هذا من أقدم النُّصوص التي سمَّت الحركات حروفاً . وذكَر ابن جنّي أنّ متقدّمي النحاة كانوا يُسمّون الحركات حروفاً . انظر : سر صناعة الإعراب 1/ 17 .
(9) انظر العين 6/ 224 .
(10) جامع البيان للداني 3/ 944 .

الحروفَ عَلِمَ مُعلِّمُه كيف قراءته لو وصَلَ، والمستَمِعُ أيضاً ـ غير المعلِّم ـ يَعْلَمُ كيف كان يَصِلُ الذي يَقرأ"[1].

فقوله: (والمستمع...) يدلُّ على أنَّ هذه الحركةَ هي حركةٌ مسموعة.

ويؤيِّدُ هذا قولُ خلف أيضاً:"سَمِعتُ الكسائيَّ **يُشِمُّ** الكسرَ إذا وقف في قولِه: [كَمَاءٍ أنزَلنَاهُ مِن السَّماءِ]: [كَمَاء]"[2].

والكسرُ لا يكون إلا في الرَّوم كما هو معروفٌ في مذاهبِ القرَّاء.

2 ـ المعنى الثاني لـ: (الإشمام) = اختلاسُ الحركة

استعمله: الخليل[3]، وسيبويه[4]، ويحيى اليزيديّ[5]، وعبيد بن عقيل، والأخفش[6]، وروح بن عبد المؤمن[7]، وعبيد الله الهاشميّ[8]، وابن مجاهد[9].

قال عبيد بن عقيل عن اختلاس الحركة:"وكذلك: [وَيُزَكِّيكُمْ ويُعَلِّمُكُمْ] **يُشِمُّها** شيئاً من الرَّفعِ. قال: وكذلك: [يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ]، **يُشِمُّ** العينَ شيئاً من الضمِّ"[10].

3 ـ المعنى الثالث لـ: (الإشمام) = الوقف بالإشمام

هذا المعنى هو أشهر المعاني التي وضِع لها هذا المصطلح، ويعني ضمّ الشفتين بعد سكون الحرف، من غير صوتٍ يُسمَع إشارةً إلى الحركة المضمومة.

استعمله: سيبويه، والأخفش[11]، وابن السرَّاج[12]، وأبو جعفر النحَّاس[13]، والسيرافيُّ[14]، وأبو عليّ الفارسيّ[15]، وابن جنيّ[1]، وطاهر بن غَلْبون[2]، وابن سفيان القيروانيُّ[3]، ومكيّ[4]، والدانيّ[5]، وإسماعيل بن

(1) إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 386 .
(2) إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 391 .
(3) العين 8/ 92 .
(4) شرح كتاب سيبويه للسيرافيّ 1/ 196 .
(5) السبعة لابن مجاهد ص 300 .
(6) معاني القرآن 2/ 462 .
(7) السبعة ص 389 .
(8) السبعة ص 156 .
(9) السبعة ص 326 .
(10) السبعة لابن مجاهد ص 156 .
(11) معاني القرآن 2/ 606 . والعروض ص 117 .
(12) الأصول 2/ 372 .
(13) إعراب القرآن 3/ 207 .
(14) إدغام القرَّاء ص 29 .
(15) التكملة ص 19 .

خلف[6]، وأبو العلاء الهمَذانيّ[7].

بدأ سيبويه بذكْرِ الأوجه الجائزة في الوقف على المرفوع، قال:"فأمَّا المرفوعُ والمضمومُ، فإنه يُوقَفُ عندَهُ على أربعةِ أوجهٍ: بالإشمامِ، وبغيرِ الإشمامِ كما تَقِفُ عند المجزومِ والساكنِ، وبأن تَرُومَ التحريكَ، وبالتضعيف"[8].

ثمَّ بدأ سيبويه بشرحِ ماهيَّةِ هذا الإشمام، وكما تعوَّدنا من خلال الفصول الماضية، فإنَّ كلامَه يمثِّلُ المحور الأساسيَّ الذي انطلَق منه مَن بعده، قال عن سبب اختيار الضمَّة للإشمام دون الفتحة والكسرة:"وإنما كان ذا في الرَّفعِ؛ لأنَّ الضمَّةَ من الواوِ، فأنتَ تَقْدِرُ أن تَضَعَ لِسانَك في أيِّ موضعٍ من الحروفِ شِئتَ، ثمَّ تضمَّ شفتَيكَ؛ لأنَّ ضَمَّكَ شَفَتَيكَ كتحريكِكَ بعضَ جَسَدِك، وإشمامُك في الرَّفع للرؤيةِ وليس بصوتٍ للأُذُن. ألا تَرَى أنَّك لو قُلتَ: هذا مَعْنٌ، فأَشْمَمْتَ كانت عند الأعمى بمنزِلَتِها إذا لم تُشْمِم، فأنت قد تَقْدِرُ على أن تَضَعَ لِسَانَكَ موضعَ الحرفِ قَبْلَ تَزْجِيَةِ الصَّوتِ ثم تَضُمَّ شفَتَيك، ولا تَقْدِر على أن تفعلَ ذلك ثم تُحَرِّكَ مَوضِعَ الألفِ والياءِ"[9].

نستخلصُ من هذا النصِّ عدة أمور، منها:

1 . الإشمام ليس بصوتٍ إنَّما هو تحريك الشفتَين بالضمِّ بعد سكون الحرف.

2 . العمل الظاهر للشفتين في الضمة هو الذي سوَّغ الإشمام لأنه لرؤية العين، والمبصِرُ هو الذي يُدرِكُه لا الأعمى.

3 . يَمْتَنِعُ الإشمامُ في الألف والياء لأنهما من داخل الفم، فلو أشار الإنسان بعد سكون الحرفِ بحركة الفتح أو الكسر لما فَعَل شيئاً.

ولم تخرجُ أقوال العلماء عن قولِ سيبويه بشيءٍ إلا في توضيح بعض الألفاظ.

4 . المعنى الرابع لـ: (الإشمام) = إشمام الحركة في الحرف المتحرّك

(1) الخصائص 2/ 145 .
(2) التذكرة 2/ 529 .
(3) الهادي 1/ 63 .
(4) التبصرة ص 57 .
(5) التحديد ص 81 .
(6) العنوان ص 64 .
(7) التمهيد ص 264 .
(8) الكتاب 4/ 168 .
(9) الكتاب 4/ 171 .

هو نوعُ من إمالة الياء إلى الواو، وذلك في أفعال ما لم يُسمَّ فاعلُه، نحو: (قِيل وبيع وحيل وسيء).

استعمل لفظ: (الإشمام) بهذا المعنى: سُلَيم بن عيسى[1]، والمبرِّد[2]، وابن مجاهد[3]، والزجَّاج[4]، وابن خالويه، وأبو عليّ الفارسيّ[5]، ومكيّ[6]، والمالكيّ[7]، والدانيّ[8].

مثال: قال ابن خالويه:"[وَإِذَا قِيلَ لَهُم]، يُقرأ وما شاكلَهُ من الأفعال بالكسر. وبإشمام أوَّلِه الضمّ... وقد قرأ بعضُ القرَّاء ذلك بكسرِ بعضٍ، وضَمِّ بعض"[9]. وهذا يحتملُ المذهبين اللَّذَين ذكرتهما للقرَّاء، لكن بدؤه بجزء الكسر يدلُّ على أنَّ الحركةَ متجهةٌ من الياء إلى الواو، والله أعلم.

ويختلف القرَّاء المعاصرون حول كيفيَّة النُّطق بهذا الإشمام هل هو اتجاه من الكسرة إلى الضمة بأن يُنْحَى بكسر أوائل هذه الأفعال نحوَ الضمَّةِ، وبالياء بعدها نحوَ الواو؟ أم جزءُ الضمَّة مقدَّمٌ ثمَّ يَتلُوهُ جزءُ الياءِ المحضةِ، يعني صوتان منفصلان؟ يعني الخلافُ يَنحَصِرُ في تعيين حركة البدء، وفي الصَّوتِ اللاَّحِق.

أكثرُ أقوالِ العلماءِ وأوصافُهم التفصيليَّة ـ التي اطلعتُ عليها ـ تَنصُرُ المذهبَ الأوَّل، وتَنطَبِقُ على الحركة المتجهة من الياء إلى الواو في شكل رقم (70) لاحظ المربع الصَّغير الزهريّ اللَّون المحاط بدائرة سوداء بين الواو الياء، أغلبُ أوصافِ العلماءِ التفصيليَّة تَصُبُّ في هذا المربَّع.

وأنا أضعُ النُّصُوصَ الصَّريحة الواضحة ـ التي لا تحتملُ التأويل من كلام أكابر المتقدِّمين من النحويِّين والقرَّاء ـ بين سادتي قراء القرآن الكريم ليُبَيِّنوا هذا الأمر الدَّقيق، وبالله التوفيق والسَّداد.

ـ قال ابن جنيّ:"وأمَّا الكسرةُ المشُوبة بالضمَّةِ فنحو: [قيل]، وبيعَ، و[غِيضَ]، و[سِيق]. **وكما أنَّ الحركةَ قبل هذه الياء مَشوبةٌ بالضمَّة، فالياءُ بعدها مَشوبةٌ بروائحِ الواوِ على ما تقدَّم في الألف...** وهذا مذهبُ سيبويه، وهو الصَّوابُ؛ لأنَّ هذه الحروف تَتبَعُ الحركات قبلها، فكما أنَّ الحركةَ مَشوبةٌ غيرُ مُخْلَصَةٍ، فالحرفُ اللاَّحِقُ بها أيضاً في حُكمه"[10].

ـ وكان ابن جني قد ذكَر مذهباً للأخفشِ في الحركة الرابعة التي لا يَقرؤها القرَّاء في نحو: بمذعور، وهي

(1) السبعة لابن مجاهد ص 179 ومعاني القراءات للأزهريّ 1/ 195 .
(2) المقتضب 1/ 244 .
(3) السبعة ص 178 .
(4) معاني القرآن وإعرابه 5/ 200 .
(5) الحجة 1/ 379، والتكملة ص 17 .
(6) التبصرة ص 146.
(7) الروضة ل 72/ ب .
(8) التيسير ص 125 .
(9) الحجة ص 69 .
(10) سر صناعة الإعراب 1/ 53 .

المتجهة من الواو إلى الياءِ، حيثُ كان الأخفشُ يُشِمُّ ضمةَ العينِ الكسرةَ ثمَّ يجعل الواو خالِصةً، وهو شبيهٌ بما يَفعله أصحابُ المذهب الثاني من القرَّاء . وإن كان اتجاه الحركة بالعكس . يُشِمُّون قاف [قيل] الضمَّ، ثمَّ يَجعلون الياءَ خالِصةً بعد ذلك، قال ابن جنيّ عن ذلك:"وأمَّا أبو الحسن فكان يقول: مرَرْتُ بمذعورٍ، وهذا ابن بور، **فيُشِمُّ الضمَّةَ قَبْلَ الواوِ رائحةَ الكسرةِ، ويُخَلِّصُ الواوَ واواً محضةً ألبتة**. وهذا تَكلُّفٌ فيه شدةٌ في النُّطق، وهو مع ذلك ضعيفٌ في القياس. فهذا ونحوُه ممَّا لا بدَّ في أدائه من مشافهةٍ توضِحُه وتَكشِفُ عن خالِصِ سرِّه"[1].

. وقال طاهرُ بن غَلْبون عن كيفية الإشمام في مذهبِ مَن أشمّ:"يَبتدِئون بالكَسرِ ثمَّ يُشِمُّونَ الضمَّ في هذه الحروفِ حيث وقَعَتْ"[2]. فعيَّن حركة البدء من الكسرة إلى الضمَّة.

. وقال الدانيُّ:"الإشمامُ في: [قيل]:إمالةُ الكسرةِ نحوَ الضمِّ قليلاً، وليسَ بضَمٍّ خَالِصٍ"[3].

. وبيَّنَ الدانيُّ معنى إشمام الأوائلِ الضمَّ في كلام الأئمة السابقين، فقال:" فأمَّا الإشمامُ في قوله: [قيل] ، و[سِيءَ]، ونظائرهما، على مذهبِ من أشَمَّ أوَّلَهُ الضَّمَّ دلالةً على الأصل، فحقُّه أن يُنْحى بكسرةِ فاءِ الفعلِ المنقولةِ من عينهِ نحوَ الضمَّة، كما يُنحى بالفتحةِ من قوله: [مِنَ النَّارِ] و [مِن نَّهَارٍ] وشبهِهما، إذا أُريدت الإمالةُ المحْضةُ نحوَ الكسرةِ، فكذلك يُنحى بالكسرةِ إذا أريد الإشمامُ نحوَ الضمَّةِ؛ لأنَّ ذلك كالمِمال سواء. وهذا الذي لا يجوز غيرُه عند العلماءِ من القرَّاء والنَّحويّين"[4].

فتسوية الدانيّ بين الكسرة المشوبة بالضمَّة، وبين الفتحة الممالة يدلُّ على أنَّها حركة ممزوجةٌ طويلةٌ لا صَوتين منفصلَين.

. وقال الدانيُّ:" قال:"وحقيقةُ الإشمامِ في هذه الحروفِ أن تُنْحَى بِكَسرِ أوائلِها نحوَ الضمَّةِ يسيراً دلالةً على أنه الضمُّ الخالِصُ قبْلَ أن تُعَلّ، كما يُنْحَى بفتحةِ الحرف المِمَال نحوَ الكسرةِ قليلاً إذا أُرِيدَ ذلك؛ ليَدُلَّ على أنَّ الألفَ التي بعد الفتحةِ منقلِبةٌ عن ياءٍ، أو لِتَقرب بذلك من كسرةٍ وَلِيَتْها، وما عدا هذا في حقيقته فباطلٌ. والعبارةُ عن ذلك بالرَّفعِ والضَّمِّ، كالعبارةِ عن الإمالةِ بالكسرة والإمالة والإضجاع وهي مجاز واتساع"[5].

. وقال عبد الوهَّاب القرطبيُّ:"وممَّا يَليقُ إيرادُهُ بهذا الموضعِ الياءُ التي يُنْحى بالكسرةِ التي قَبْلَها نحوَ الضمَّة، فتخرجُ بين الياء وبين الواوِ في نحو قولنا: بيع وقيل، وما أشبه ذلك؛ لأنَّها من فروع الياء، كما أنَّ

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 53 .
(2) التذكرة 2/ 249 .
(3) المقنع ص 132 .
(4) التحديد ص 97 .
(5) جامع البيان ل 112/ ب .

الممالَ من فروعِ الألفِ"[1].

5 . المعنى الخامس لـ: (الإشمام) = مشاركٌ في الإمالة الصُّغرى

. (**إشمام الكسر**): سُلَيم بن عيسى[2]، وقتيبة بن عبد الرحمن[3]، وخلف بن هشام[4]، وأحمد الحُلوانيّ[5]، وأبو عليّ الدقَّاق[6].

. (**إشمام الإضجاع**): خلَف بن هشام، وابن مجاهد[7].

قال ابن مجاهدٍ:"وكان نافع **يُشِمُّ** الزايَ من: [فَزَادَهُم] **الإضْجاعَ** في رواية خلف عن إسحاق، وابنِ جمازٍ، وإسماعيلَ بن جعفر، عنه. وكذلك أخوات: [فَزَادَهُم]، لا مفتوح ولا مكسور"[8].

فقول ابن مجاهد: (لا مفتوح ولا مكسور) دلَّ على أنَّ: (**إشمام الإضجاع**) في قولِ خَلَفٍ يعني الإمالةَ الصُّغرى، والله أعلم.

. (**إشمامُ الكسرَ قليلاً**): خلفُ بن هشام[9]، وأحمد بن صالح، وقالها في: [صَغيرًا] عند الوقف[10].

. (**إشمام الإمالة**): ابنُ غالب الصَّيرفيّ[11]، وطاهر بن غلبون[12]، والدانيُّ[13].

. (**إشمام الخفضِ الذي هو أقربُ إلى التفخيم**): أبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهانيّ[14].

. (**إشمام الراءِ الكسر**): أحمد بن يوسف التغلبيّ، قالها في: [الأبْرار] [15].

. (**إشمام الجيم شيئاً من الكسر**): هارون بن موسى الدمشقيّ، قالها في: [مُزجاة] [16].

---

(1) الموضح ص 84 .
(2) جامع البيان للداني 3/ 795 .
(3) جامع البيان للداني 3/ 883 .
(4) جامع البيان للداني 3/ 795 .
(5) جامع البيان للداني 3/ 795 .
(6) جامع البيان للداني 3/ 805.
(7) السبعة ص 556 .
(8) السبعة ص 142 .
(9) جامع البيان 3/ 786 .
(10) جامع البيان للداني 3/ 883 .
(11) المنتهى للخزاعيّ ص 217 .
(12) التذكرة 1/ 199 و 229 و 230 .
(13) جامع البيان للدانيّ 3/ 828 .
(14) جامع البيان للدانيّ 3/ 795 .
(15) جامع البيان 3/ 808 .
(16) جامع البيان للداني 3/ 782 . وانظر المخطوط منه ل 162/ أ .

وكلُّ هذه المواضع تصِف الألف المقلَّلة في شكل رقم (70).

6 . المعنى السادس لـ: (الإشمام) = مشاركٌ في الإمالة الكبرى:

. (**إشمام الإضجاع**) أبو بكر الأصبهانيّ، قال الدانيُّ:"وقال الأصبهانيُّ عن ورش: [بَلَى] بإشمام الإضجاع[1]، وقياسِ ذلك: [عَسَى]، و[مَتى]، و[أنَّى]، وسائرِ حروف المعاني"[2] . وإذا صحَّ هذا اللَّفظ عن الأصبهانيّ دون ما في بعضِ النُّسخ، فيعَدُّ من المشترك اللَّفظيّ الذي يُطلَق على الإمالة الصغرى والكبرى معاً، والله أعلم.

7 . المعنى السابع لـ: (الإشمام) = تسهيل الهمزة عند الوقف

استعمله: الكسائيُّ[3]، وخلف بن هشام البزَّار.

مثال: قال خلفٌ:"وقريشُ لا تَهمزُ، ليس الهمزُ من لغتِها، وإنَّما همَزت القرَّاءُ بلغةِ غيرِ قريشٍ من العربِ، فإذا كانت الهمزةُ في آخر الحرفِ، فإشمام الحرفِ الإعراب **بغيرِ إشمام الهمزِ** أحبُّ إلينا"[4].

هنا استعمل خلف: (الإشمام) بمعنى الوقف بروم الحركة في قوله: (إشمام الحرف الإعراب). واستعمله بمعنى تسهيل الهمزة في قوله: (**بغير إشمام الهمز**).

8 . المعنى الثامن لـ: (الإشمام) = إشمام الحركة في الحرف السَّاكن في الوصل

استعمله: سيبويه، ويحيى اليزيديّ[5]، وخلفُ بن هشام[6]، وابن مجاهد، والأزهريُّ[7]، وابن زنجلة[8]، والدانيّ[9].

قال سيبويه: "وقال الراجز:

متى أنام لا يُؤَرِّقْني الكَرِي ليلاً ولا أسمعُ أجْراسَ المطِي

(1) أثبَتَ محقِّق جامع البيان في الصُّلْب: (بإشمام الإضجاع)، وأشار إلى نسخةٍ أخرى في الهامش بلفظ: (بإشباع الإضجاع)، وأرجّح هذا اللَّفظ الثاني لأنَّه هو الأصلح لمعنى الإمالة الكبرى، أمَّا : (إشمام الإضجاع) فهو أصلح للإمالة الصغرى كما ذكرتُ من قول خلف بن هشام، والله أعلم.

(2) جامع البيان للدانيّ 3/ 765 . وقال ابن الجزريّ في النشر 2/ 42: وانفَرَدَ بإمالته أيضاً أبو الفرج النهروانيّ عن الأصبهانيّ عن ورشٍ، فخالَفَ سائرَ الرُّواة عنه اهـ.

(3) إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 419 . وانظر النشر 1/ 465 .

(4) إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 392 . وانظر: جامع البيان للدانيّ 2/ 496 .

(5) جامع البيان للداني 2/ 429 .

(6) السبعة ص 396 .

(7) معاني القراءات 2/ 105 .

(8) الحجة 424 .

(9) التيسير ص 28 .

كأنَّه قال: إن يكن متِّي نومٌ في غير هذه الحال لا يؤرِّقْني الكرىُ كأنَّه لم يَعُدَّ نومَه في هذه الحال نوماً.

وقد سمعنا من العرب مَن **يُشِمُّه** الرَّفْعَ كأنه يقول: متى أنامُ غيرَ مُؤرَّق"(1).

ذكَر ابن جنيّ أنَّ معنى : (الإشمام) في قول سيبويه هو ضمُّك الشفتَين وسكون القاف من غير صوتٍ يُسْمَع، لا حركةً مختلَسةً، قال: "ولو كان الإشمامُ كالإخفاءِ لكانت القافُ في زنةِ متحرِّكٍ، كما قال أبو عثمان [المازنيّ]: ولو كانت كذلك لانكَسَر الشِّعْرُ؛ لأنَّك كنتُ تَجعَلُ الجزءَ الذي هي فيه: "مُتفاعِلُن"، فتخرُجُ من الرَّجَزِ إلى الكامل، وهذا محالٌ. فلولا أنَّ الإشمامَ في تقديرِ السُّكون لما جازَ الإشمامُ في القاف"(2).

وبيَّن سيبويه هذا في موضعٍ آخر فبعد أن تحدَّث عن إشمام الساكن في الوقف ذكَرَ أنَّ من العرب مَن يُشِمُّ الحرفَ الساكنَ في الوصلِ، قال:"وقد يُسَكِّنُ بعضُهم في الشِّعر **ويُشِمُّ**"(3).

ونظيرُ ذلك عند القرَّاء ما قاله ابن مجاهد، قال:"قرأ عاصمٌ في روايةِ أبي بكر: [مِن لَّدُنِهِي]، بفتح اللاَّم، **وإشمامِ** الدالِ الضمَّةَ، وكسرِ النُّونِ والهاءِ، ويَصِلُ الهاء بياءٍ في الوصلِ، ولم يَقرأ بذلك أحدٌ غيرَه"(4).

قال الدانيُّ شارحاً كيفيَّة ذلك:"والإشمامُ ههنا، وفي الموضعِ الذي في النِّساء، والموضِعَين اللَّذَين في هود والنَّحل على روايةِ الكسائيِّ عن أبي بكرٍ يكونُ إيماءً بالشفتين لا غير؛ لأنَّ الدالَ ساكنةٌ خالصة السُّكون، بدليلِ كسرِ النُّونِ بعْدها للساكِنَين، فلا يَقرَعُ لذلك السَّمع، ولا يُدرِك معرفتَه إلا البصيرُ دون الأعمى"(5).

وسيأتي في مصطلح: (الإيماء) أنَّ هذا الإيماء بالشفتين يكون بعد سكون الحرفِ كإشمام الوقف تماماً، ومن أدلة ذلك ما ذكره أبو عليّ الفارسيُ أنَّ إشمام: [تأمنَّا] في الوصل نظير إشمام: (مَعْنٌ) في الوقف(6)، وقوله عن توجيه: [تأمنَّا]:"وجهُه أنَّ الحرفَ المدغَمَ بمنزلة الحرفِ الموقوفِ عليه من حيثُ جمَعها السُّكون، فمن حيث أشمُّوا الحرفَ الموقوفَ عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراجِ أشَمُّوا النُّونَ المدغَمَة في: [تأمنَّا]..."(7).

وكذلك ما ذكره مكيّ من أنَّ الإشمام في: [مِن لَّدُنِهِي] بمنزلة (زَيْدْ) في الوقف(8).

9. المعنى التاسع لـ: (الإشمام) = قصر صلة هاء الضَّمير

(1) الكتاب 3/ 95 . والكَرِي: هو المكارِي، وهو الذي يُكريك دابَّتَه، والكراء: الأجر.
(2) المنصف 2/ 191 .
(3) الكتاب 4/ 204 .
(4) السبعة ص 388 .
(5) جامع البيان ل 183/ أ . .
(6) الحجة 1/ 212 .
(7) الحجة 4/ 400 .
(8) التبصرة ص 247 .

استعمله: قالون[1]، وعمرو بن الصبَّاح، وخلفُ بن هشام[2]، وإسماعيل القاضي[3]، وابن اليتيم الحسن بن المبارك[4].

قال ابن مجاهد:"وروى أبو حفص [عمرو بن الصباح] عن حفص، عن عاصم: [يَرْضَهُ لَكُمْ]، **يُشِمُّ** الضَّم"[5].

10 . المعنى العاشر لـ: (الإشمام) = إشمام الحروف (تقريب الجوامد من الجوامد)

1 . في تقريب الصَّاد المهموسة من الطاء والدال المجهورتين بقلبها زاياً مفخَّمةً في نحو: [الصِّرٰط] و [المصَيطِرون] و [أَصْدَق]، عند بعض القرَّاء، بأن تكون كالظاء العامِّية التي يتحدَّثُ بها أهل الشام ومصر في مثل: (الظالم)، وهذه بعض التعبيرات التي استُعمل فيها هذا اللَّفظ بهذا المعنى:

. **(إشمام الزَّاي)**: محمد بن الجهم السمَّري[6]، وخلاَّد بن خالد[7]، وعبد الله بن ذكوان[8]، وأبو عبد الله محمد بن الهيثم الكوفيّ قاضي عُكْبَرا[9]، وابن خالويه[10]، وابن مهران[11]، وابن زنجلة[12]، وأبو الفضل الخزاعيّ[13]، وأبو معشر الطبريّ[14]، وأبو العز القلانسيّ[15].

. **(إشمام الصاد الزَّاي)**: خلاَّد بن خالد[16]، وأبو عمر الدوريُّ[17]، وأحمد الحُلوانيّ[18]، وابن مجاهد[19]،

(1) جامع البيان ل 134/ أ .
(2) السبعة ص 210 .
(3) السبعة ص 209 .
(4) السبعة ص 560 .
(5) السبعة ص 211.
(6) جامع البيان للدانيّ ل 230/ أ .
(7) جامع البيان للدانيّ ل 230/ أ .
(8) امع البيان ل 229/ ب .
(9) جامع البيان للدانيّ 2/ 366 .
(10) الحجة ص 369 .
(11) الغاية ص 138 .
(12) الحجة ص 80 .
(13) المنتهى ص 228 .
(14) التلخيص ص 246 .
(15) الإرشاد ص 202 .
(16) السبعة ص 106 .
(17) جامع البيان للداني 2/ 365 .
(18) جامع البيان للداني ل 141/ أ .
(19) السبعة ص 186 .

والأزهريّ[1]، وأبو عليّ الفارسيّ[2]، وابن مهران[3]، وطاهر بن غَلْبون[4]، والدانيّ[5]، وإسماعيل بن خلَف[6]، وابن بلّيمة[7]، وأبو العزّ القلانسيّ[8]، وأبو العلاء الهمَذانيّ[9].

. **(إشمامُ الصاد)**: اللَّفظ بها بين الصَّاد والزَّاي: ابن مجاهد[10].

. **(إشمام الصَّاد رائحة الزَّاي)**: ابن جنيّ[11].

. **(إشمام الصَّاد شيئاً من الزَّاي)**: ابن جنيّ[12].

. **(إشمام الصَّاد لَفظ الزاي)**: مكيّ[13].

2 . في تقريب السين المرقَّقة من الطاء المفخَّمة بقَلْبِها صاداً في نحو: [الصِّرٰط] و [المصَيطِرون] أيضاً:

. **(إشمام السِّين)**: ابن مهران[14]، وأبو الفضل الخزاعيّ[15].

11 . المعنى الحادي عشر لـ: (الإشمام) = الوقف بنقل الحركة

استعمله: أبو حاتم الرازيّ المقرئ، وخلف بن هشام[16]، وأبو عليّ الفارسيّ[17].

قال أبو حاتم الرازيّ:"قرأ أبو عمرو: [بِالصَّبِرْ] يُشِمُّ الباء شيئاً من الجرِّ ولا يُشبِع" اهـ.

قال ابن مجاهد معلِّقاً:"هذا الذي قال أبو حاتم لا يجوزُ إلاَّ في الوقف، لأنَّه يَنقُلُ كسرةَ الرَّاءِ إلى

(1) معاني القراءات 1/ 212 .
(2) الحجة 2/ 348 .
(3) المبسوط ص 83 .
(4) التذكرة 2/ 308 .
(5) جامع البيان 2/ 365 .
(6) العنوان ص 67 .
(7) تلخيص العبارات ص 23 .
(8) الإرشاد ص 202 .
(9) التمهيد ص 275 .
(10) السبعة ص 106 .
(11) سر صناعة الإعراب 1/ 50 .
(12) اخصائص 2/ 144 .
(13) الكشف 1/ 34 .
(14) المبسوط ص 84.
(15) المنتهى ص 230 .
(16) السبعة ص 696 .
(17) الحجة 6/ 439 .

الباء"[1].

12 . المعنى الثاني عشر لـ: (الإشمام) = إثبات ياءات الزوائد

استعمله قتيبة بن عبد الرحمن.

قال الدانيُّ:"وقال قتيبةُ عن الكسائيّ: [وَاتَّقُونِ]، **يُشمُّها** الياءَ في الإدراج"[2].

13 . المعنى الثالث عشر لـ: (الإشمام) = ألف التفخيم المائلة إلى الواو

هو نوعٌ من إمالة الألف إلى الواو.

استَعمله أبو جعفرٍ النحَّاس في توجيهه لقراءة الحسن البصريّ: [كهيعص] بتفخيمَ الألف من (يا) نحو الواو:" قال: كان الحسنُ **يُشِمُّ الرَّفعَ**، فمعنى هذا أنَّه كان يُومِئُ، كما حكى سيبويه أنَّ من العربِ مَن يَقولُ: (الصَّلَوة والزَّكَوة) يُومِئُ إلى الواو، ولهذا كُتِبتْ في المصاحفِ بالواو"[3].

2 . المصطلح الثاني لتقريب الحركات وحروف المدّ من بعضها: (الإمالة)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصله اللُّغويّ على انحرافٍ في الشيء إلى جانبٍ منه[4].

استُعمِل في أكثر من معنى، منها:

1 . إمالة الألف إلى الياء دون تحديد نوعها 2 . الترقيق 3 . إشمام الحروف 4 . مشاركٌ في الإمالة الكبرى 5 . مشاركٌ في الإمالة الصغرى 6 . إشمام الحركات 7 . إمالة الألف نحو الواو

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإمالة) = إمالة الألف إلى الياء دون تحديد نوعها

وهو مصطلحٌ عامٌّ مشهور، وظاهرةٌ من ظواهر طلب التخفيف. وهو اللَّفظ الذي استعمل كثيراً لهذا المعنى.

استعمله من العلماءِ كثيرٌ لا يُحصَون، منهم: أبو عمرو بن العلاء[5]، والخليل[6]، وسيبويه[7]،

(1) السبعة ص 696 .
(2) جامع البيان للداني ل 129/ ب .
(3) إعراب القرآن 3/ 4 .
(4) مقاييس اللُّغة ص 936 (م ي ل).
(5) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 5/ 331 .
(6) العين 3/ 9 .
(7) الكتاب 3/ 278 .

والكسائيُّ[1]، ويحيى بن آدم[2]، والأخفش[3]، وأبو عبيد بن سلاَّم[4]، وخلف بن هشام[5] ، والمبرِّد[6]، وابن مجاهد[7]، وابن شنبوذ[8]، والأزهريّ[9]، وأبو عليّ الفارسيّ[10]، وأبو الفضل الخزاعيّ[11]، وغيرهم.

ويَلْزَمُ أن أُنَبِّه إلى أنَّ المتقدِّمين عندما تستعمل لفظ: (الإمالة) إما أن يقولوا بإمالة الحركة، أو إمالة حرف المدّ، أو إمالة الحرف الصحيح، فمثلا: كلمة: [فَزَادَهُمُ]: من العلماء مَن عبَّر بإمالةِ الفتحةِ، ومنهم مَن قال بإمالةِ الألف، ومنهم مَن قال بإمالة الزاي، وكلُّهم يقصِد كيفيَّةً واحدةً من الأداء.

وهنا تنبيه هامٌّ أن من هذه المصطلحات ما إذا أُطلِق في كتب النحو فيرادُ به الإمالة إلى الياء دون تحديد نوعها؛ إذ هناك نوعان للإمالة: صغرى وكبرى، فالصُّغرى تكونُ أقربُ إلى الألف، والكبرى تكون أقرب إلى الياء. ومنها ما إذا أُطلِق في كتب القراءات فهو متروكٌ لمذهب القارئ في الإمالة، وإلى السِّياق الذي ورَد فيه المصطلح. لكن في الغالب الأعمّ إطلاق لفظ الإمالة يَصْرِف الأذهان إلى الإمالة الكبرى.

من الذي استعملوا لفظ: (الإمالة) بمعنى الإمالة الكبرى، وكشف السِّياق هذا: الزجَّاج[12]، والنحاس[13]، وابن خالويه[14]، وعبد المنعم بن غلبون[15]، وطاهر بن غَلْبون[16]، ومكيّ[17]، والدانيّ[18]، وإسماعيل بن خلف[19].

ومن تعريفات الإمالة:

(1) الموضح لمذاهب القراء ل 15/ ب .
(2) جامع البيان 3/ 779 .
(3) القوافي ص 70 .
(4) السبعة لابن مجاهد ص 154 .
(5) التذكرة لابن غلبون 1/ 171 .
(6) المقتضب 2/ 280 .
(7) السبعة ص 259 .
(8) المنتهى للخزاعي ص 245 .
(9) معاني القراءات 1/ 253 .
(10) الحجة 3/ 16 .
(11) المنتهى ص 204 .
(12) معاني القرآن وإعرابه 5/ 299 .
(13) إعراب القرآن 5/ 248 .
(14) الحجة ص 70 .
(15) الاستكمال ص 514 .
(16) التذكرة 1/ 172 .
(17) التبصرة ص 120 و 169 .
(18) جامع البيان 1/ 47 .
(19) العنوان ص 61 .

. **(الإمالة هي تقريب الألف من الياء)**: سيبويه[1].

. **(الإمالة: أن تُقَرِّبَ الحرفَ مما يُشَاكِلُهُ من كسرةٍ أو ياء)**: المبرِّد[2].

. **(الإمالة: إمالة الألفِ نحو الياءِ والفتحةِ نحوَ الكسرة)**: ابن السرَّاج[3].

ومن قواعد الإمالة:

. **(الإمالة تعادل إشراب الصاد والشين زايا في التقريب)**: أبو علي الفارسيّ[4].

. **(الإمالة باب تخفيف كالإدغام وترك الهمز)**: الدانيّ[5].

. **(الإمالة دخلت في الكلام لتجانس الصوتين)**: ابن جنيّ[6].

2 . المعنى الثاني لـ: (الإمالة) = الترقيق

استعمله: داود بن أبي طيبة.

قال الدانيُّ:"وروى داودُ بنُ أبي طيبةَ، عن ورشٍ، عن نافعٍ، وعن ابن أبي كيسة عن سُلَيم، عن حمزةَ **إمالةَ** اللاَّمِ من اسم الله تعالى ، إذا وَلِيَه كسرة، نحو: [بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيم]، و[الحَمْدُ لله] ، و[عَنْ ءَايتِ الله]، وما أشبهه. ولم يُرِدِ الإمالةَ المِحْضَةَ، وإنَّما أراد ترقيق اللاَّمِ لا غير"[7].

3 . المعنى الثالث لـ: (الإمالة) = إشمام الحروف

استعمله: أبو هشام الرفاعيّ[8]، وابن مجاهد.

مثال: قال ابن مجاهد:"وأمَّا **إمالةُ الصاد إلى الزَّاي**، فلأنَّ الصاد وإن كانت من حروف الإطباق فهي مهموسة، والطاء مجهورة، فقُلبت الصادُ إلى حرفٍ مجهورٍ مثلها مؤاخٍ للصَّادِ بالصَّفير ليكون مجهوراً كالطاء"[9].

4 . المعنى الرابع لـ: (الإمالة) = مشاركٌ في الإمالة الكبرى

(1) الكتاب 4/ 117 .
(2) المقتضب 3/ 46 .
(3) الأصول 3/ 160 .
(4) التكملة ص 223 .
(5) الموضح 24/ أ .
(6) المنصف 1/ 42 .
(7) جامع البيان للداني 2/ 363 .
(8) جامع البيان للدانيّ 2/ 367 .
(9) السبعة ص 108 .

. **(الإمالة إلى الكسر)**: ابن شنبوذ[1]،

. **(إمالة الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة)**: أبو علي الفارسي[2] .

. **(الإمالة المحضة)**: المالكيُّ[3]، والدانيُّ[4].

وعرَّفها الدانيُّ بأنَّها"التي يستعمِلُها القراءُ، وهي دون الكسر الصحيح"[5].

. **(الإمالة الشديدة)**: الدانيُّ[6].

. **(الإمالة الخالِصَة)**: الدانيّ ونبَّه إلى أحد الأوجه المقروء بها في نحو: [بُشْرَى]، [دَارُ القَرَارِ]، فقال:"ومِنهم مَن **يُخْلِصُ الإمالة**"[7].

. **(الإمالة المُشبعة)**: الدانيّ[8]، والقرطبيّ[9]. قال الدانيُّ:"وأمَّا الممالُ فعلى ضربين: مُشْبَعٍ وغير مُشبعٍ. فالمشبَع حقُّه أن يؤتى به بين الكسر الشديد الذي يُوجب القلب لشدتِه، وليس له إمامٌ، وبين الفتح الوسط الذي ذكَرناه ووصَفنا حقيقته.

وغَيرُ المشبَع حقُّه أن يؤتى به بين الفتح الوسط وبين الإمالة التي دون الكسر. ويُسمِّي القرَّاءُ هذا الضَّرْب: (بين اللَّفظَين، هما المذكوران"[10].

. **(الإمالة الكبرى)**: ابن الطحان الأندلسيّ، وعرَّفها بقوله:" الإمالةُ الكبرى: حدُّها أن يُنطَقَ بالألفِ مركبةً على فتحةٍ تُصْرَفُ إلى الكسرةِ كثيراً، ونهايةُ ذلك الصَّرْفِ أن لا يُبالَغَ فيه حتى تَنقَلِبَ الألفُ ياءً"[11].

وكلُّ هذه التعبيرات إنَّما تَصِف المنطقة الواقعة بين ألف الإمالة الصُّغرى والياء المدية، ومِثّلها الدائرة الزرقاء السَّماوية اللَّون الواقعة بين ألف الإمالة الصُّغرى والياء المدية على شكل رقم (70).

5. المعنى الخامس لـ: (الإمالة) = مشاركٌ في الإمالة الصغرى

(1) المنتهى للخزاعي ص 240 .
(2) الحجة 1/ 399 .
(3) المطبوع من الروضة 2/ 507.
(4) التحديد ص 100 - 101 والمطبوع من جامع البيان 2/ 363 و 3/ 818.
(5) التحديد ص 100 - 101.
(6) الموضح ل 1/ ب .
(7) جامع البيان 3/ 833 و 841 و 898 والتحديد ص 156 .
(8) الموضح في اختلاف القراء ل 18/ ب .
(9) الموضح في التجويد ص 83 .
(10) التحديد ص 101 .
(11) مرشد القارئ ل 8/ أ .

(**إمالة بين بين من غير إشباع**): نصير بن يوسف[1].

. (**الإمالة قليلاً**): ابن شنبوذ[2]، وابن مهران[3]، وطاهر بن غلبون[4]، والدانيّ[5].

. (**الإمالة بين بين**): ابن خالويه[6].

. (**الإمالة اللَّطيفة**): تقدَّم في: (اللُّطف).

. (**الإمالة إشماماً**): عبد المنعم بن غَلبون[7]، وطاهر بن غلبون[8]، والدانيّ[9].

. (**الإمالة الوَسَط من غير إسراف**): طاهر بن غَلبون[10].

(**الإمالة المتوسِّطة**): الدانيّ[11].

(**إمالة الفتحة قليلاً بين اللَّفظَين**): الدانيّ[12].

(**الإمالة اليسيرة**): الدانيّ[13].

(**إمالة الفتحة يسيراً بين بين**): الدانيّ[14].

(**الإمالة الصغرى**): ابن الطحان الأندلسيّ، وعرَّفها بقولِه:"**الإمالةُ الصُّغرى**: حَدُّها أن يُنطَقَ بالألفِ مركبةً على فتحةٍ تُصْرَفُ إلى الكسرةِ قليلاً. والعبارة المشهورةُ في هذا : (بين اللَّفظَين). ومعنى (بين اللَّفظَين): بين الفتحِ الذي حَدَّدْنَا وبينَ الإمالةِ الكبرى"[15].

وكلُّ هذه التعبيرات إنَّما تَصِف المنطقة الواقعة بين ألف الفتح وألف الإمالة، ويمثِّلها الدائرة الزهرية اللَّون

(1) جامع البيان للداني 3/ 832 .
(2) المنتهى ص 245 .
(3) الغاية ص 464 .
(4) التذكرة 1/ 230 .
(5) جامع البيان 3/ 825 .
(6) إعراب ثلاثين سورة ص 116 .
(7) الاستكمال ص 258 .
(8) التذكرة 2/ 475 .
(9) التيسير ص 51 .
(10) التذكرة 1/ 233 .
(11) جامع البيان 3/ 832 .
(12) التيسير ص 55 .
(13) ا
(14) جامع البيان ل 147/ أ .
(15) مرشد القارئ ل 8/ ب .

الواقعة بين ألف الإمالة الكبرى والألف المرقَّقة على شكل رقم (70).

6 . المعنى السادس لـ: (الإمالة) = إشمام الحركات

استعمله أبو علي الفارسيّ[1].

7 . المعنى السابع لـ: (الإمالة) = إمالة الألف نحو الواو

استعمله: ابن جنيّ[2]، وأبو العلاء الهمذانيّ[3].

3 . المصطلح الثالث لتقريب الحركات وحروف المدّ من بعضها: (الإشراب)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

4 . المصطلح الرابع لتقريب الحركات وحروف المدّ من بعضها: (النَّحْوُ، الانتِحَاء)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ على القَصْد، ونَحَوتُ نَحوَه، ولذلك سُمِّي نَحوُ الكلام، لأنَّ صاحبَه يَقْصِدُ أصولَ الكلام فيَتكلَّمُ على حسب ما كانت العربُ تَتَكلَّمُ به. ومن الباب: انتَحى فلانٌ لفلانٍ: قَصَده وعرَضَ له[4].

استعمل في أكثر من معنى، منها:

1 . تسهيل الهمزة 2 . الإمالة 3 . ألف التفخيم المائلة إلى الواو 4 . تقريب الجوامد من الجوامد كإشمام الصاد زاياً 5 . إشمام الحركات 6 . من العيوب التي نهى القراء عنها

ملاحظة: يجمع هذه المعاني معنى عام هو تقريب الأصوات من بعضها.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (النَّحو، الانتِحاء) = تسهيل الهمزة

استَعمل: (**النَّحوَ**) في تسهيل الهمزة، يعني تقريبها إلى أحد حروف المدّ المناسب لحركتها: سيبويه، ويحيى اليزيديّ[5]، والمبرِّد، وابن مجاهد[6]، وأبو طاهر[7]، وابن زنجلة[8]، ومكيّ[9].

(1) الحجة 1/ 348 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 50 .
(3) التمهيد ص 275 .
(4) مقاييس اللغة ص 980 (ن ح و).
(5) التبصرة لمكي القيسيّ ص 102 .
(6) جامع البيان للداني 2/ 531 .
(7) جامع البيان للداني 2/ 531 .
(8) الحجة ص 91 .
(9) الرعاية ص 148 .

مثال: قال سيبويه:"وتقولُ: (غُلامُ وبِيكَ) إذا أردتَ: غُلامُ أبيك. وإنما منَعَكَ أن تَجعَلَ الهمزةَ ههنا بَيْنَ بَيْنَ، من قِبلَ أنها مفتوحةٌ، فلم تستَطِع أن **تَنْحُوَ بها نَحْو الألف** وقبلها كسرةٌ أو ضمّة"(1).

وقال المبرّد عن الهمزة المسهَّلة بين بين المفتوحة في: أأَن، والمضمومة في لَؤُم، والمكسورة في يَئِسَ:"والمخفَّفة بوزنِها محقَّقة، إلاَّ أنَّك خفَّفتَ النَّبرةَ؛ لأنَّك **نَحَوْتَ بها نَحْوَ الألف**... فإن كانت قبلها فتحةٌ وهي مضمومةٌ **نَحَوتَ بها نحوَ الواو**... فإن كانت مكسورةً وما قبلها مفتوحٌ **نَحَوتَ بها نحوَ الياء**"(2).

فقوله: (خَفَّفْتَ النبرة) فيه إدراكٌ دقيق لتسهيل الهمزة، وأنَّه تقريب الهمزة إلى الحركة بأخْذِها طابعَها.

2 . المعنى الثاني لـ: (النَّحو، الانتِحاء) = الإمالة

استعمله سيبويه، وأبو علي الفارسيّ(3)، والدانيّ(4).

مثال: قال سيبويه:" ومما يُمِيلون أَلِفَه كلُّ شيءٍ كانَ من بناتِ الياءِ والواوِ ممَّا هما فيه عينٌ، إذا كان أوّل فَعَلْتُ مكسوراً، **نَحَوْا نحوَ الكسرِ، كما نَحَوْا نحوَ الياءِ** فيما كانت ألفُه في موضع الياء، وهي لغةٌ لبعض أهل الحجاز. فأما العامَّة فلا يُمِيلون"(5).

وشبَّه الفارسيّ كسرَ الهاء في : [فيه] للياء قبلها بالإمالة من حيث اتحادُ العلَّة، قال:"فكما **نَحَوا بالألفِ نَحْوَ الياءِ** بالإمالة من أجلِ الكسرةِ أو الياءِ، كذلك كسروا الهاء للكسرةِ والياء، وذلك حسنٌ لِيَتَجَانَس الصَّوتانِ ويَتَشَاكَلا"(6).

3 . المعنى الثالث لـ: (النَّحو، الانتِحاء) = ألف التفخيم المائلة إلى الواو

استعمله: الزجَّاجُ(7)، وابن جنيّ(8)، وأبو العلاء الهمَذانيّ.

مثال: قال أبو العلاء عن هذه الألف:"وإنَّما **يَنْحُو بالألفِ نَحْوَ الواوِ** مَن لا يَقْدِرُ على تحويلِ لِسانِه، وأمَّا مَن يُمكِنُهُ أن يقرأ القراءةَ المعهودةَ فلا"(9).

4 . المعنى الرابع لـ: (النَّحو، الانتِحاء) = تقريب الجوامد من الجوامد كالصاد من الدال بإشمامها

(1) الكتاب 3/ 543 .
(2) المقتضب 1/ 292 .
(3) الحجة 1/ 379 .
(4) الموضح لمذاهب القراء ل 1/ أ .
(5) الكتاب 4/ 120 .
(6) الحجة 1/ 207 .
(7) معاني القرآن وإعرابه 3/ 217 .
(8) الخصائص 2/ 351 .
(9) التمهيد ص 275 .

زاياً

استعمله ابن مجاهد، قال:"وكذلك القولُ في: [قَصْدُ] و[يُصْدِرَ] و[يَصْدِفُونَ]، مَن **نَحا بها نحو الزَّاي** فلعلَّة الهمسِ والجهر"[1].

5 . المعنى الخامس لـ: (النَّحو، الانتِحاء) = إشمام الحركات

استعمله أبو علي الفارسيّ، وابن جنيّ[2]، والدانيُّ[3].

مثال: قال الفارسيّ:"ومثله أيضاً قولُ من قال: (قيل) **فانْتَحى بالكسرةِ نَحْوَ الضمَّةِ**، ليَدُلَّ على أنَّ الأصلَ: فُعِلَ"[4].

6 . المعنى السادس لـ: (النَّحو، الانتِحاء) = من العيوب التي نهى القراء عنها

من العيوب التي نهى القراء عنها تقريبُ حركةٍ إلى حركةٍ دون وجهٍ أدائيٍّ، قال القرطبيُّ في باب الحركات والسكون:"وممَّا يُستَكرَه في هذا الباب أيضاً أن يَنْحُوَ [أي القارئ] بحركةٍ ما نحو الأخرى إلاَّ ما وَرَدتْ به العربيةُ ممَّا تقدَّمَ ذِكْرُه لمن كان لغتَهُ أو طريقَهُ وروايتَهُ. فأحسِنْ تَخليصَكَ لبعضِها . حسب ما وجب . من شوائبِ بعضٍ"[5].

5 . المصطلح الخامس لتقريب الحركات وحروف المدّ من بعضها: (التقريب)

من المشترك اللَّفظيّ تقدَّم.

6 . المصطلح السادس لتقريب الحركات وحروف المدّ من بعضها: (الخَلْطُ، المخالَطة)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على ضدِّ تنقية الشيء وتهذيبه، تقول: خَلَطتُ الشيءَ بغيره فاختَلَط، ورجلٌ مِخْلَطٌ، أي حسن المداخَلَة للأمور، وخلافه المزْيَل. والخَليطُ: المجاوِر[6].

استُعمِل: (الخَلْطُ، المخالطة) في أكثر من معنى، منها:

1 . اتِّصالُ مخرج بمخرج 2 . فصاحة اللِّسان 3 . تقريب الصَّوت من الصَّوت في الجوامد والذَّوائب 4 .

(1) السبعة ص 108 .
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 54 - 55 .
(3) التحديد ص 96 .
(4) الحجة 1/ 380 .
(5) الموضح ص 193 .
(6) مقاييس اللغة (ج و ر).

الحروف الفرعية الستة المستحسنة 5 . من العيوب التي نهى القراء عنها 6 . مشاركٌ في تعريف الإدغام.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الخَلْط، المُخالَطة) = اتِّصال مخرج بمخرج

استعمله:سيبويه، والفارسيّ، ومكيّ، والقرطبيّ،

قال سيبويه:"وحرفان **يُخَالِطان** طرفَ اللِّسان... واللَّذان **خَالَطَاها**: الضادُ والشينُ[1].

كان كلامُ سيبويه حافزاً لمكيّ أن يُسمِّي الضاد والشين بـ: **(المُخَالِطَين)**؛ "لأنَّهما يُخالِطان ما يَتَّصِلانِ به من طرفِ اللِّسان"[2].

ونقَل القرطبيُّ عبارةَ مكيّ، ولقَّب الضاد والشينَ بـ: **(المُخَالِطة)**[3].

وذكَر سيبويه أنَّ الشين تستطيل حتى **تُخالِط** أعلى الثنيَّتَين[4].

وتابعَه: أبو عليّ الفارسيّ[5].

وذكَر المبرِّد أنَّ الميم تخالِف الباء **لمخالطَتِها** الخياشيم بما فيها من الغُنَّة[6].

وذكَر طاهرُ بن غَلْبون أنَّ الخاء والغين لمَّا كانا **يُخالطان** حروف اللِّسان أخفى نافعٌ الغين والخاء عندهما[7].

وهذا يُثبت ما ذكرتُه سابقاً في أعضاء النُّطق عن مخرجي الغين والخاء من أنَّهما في منطقة أقصى اللِّسان؛ إذ المخالطَة تُفيد ذلك المعنى.

وكان القرطبيُّ قد وضَّح أنَّ اللاَّمَ **تُخالِطُ** أكثر الحروف في طرف اللِّسان، ولذلك اختيرت علماً للام المعرفة، قال عن مشابهة اللاَّم للألف:"وإنَّما اختَصَّت الرَّاء واللاَّم بالترقيق والتفخيم دون غيرهما من الحروف لشَبه بينهما وبين الألف. أمَّا اللاَّمُ فإنَّه انحَرَف واستطال حتى **خالط** أكثرَ الحروفِ، ولهذا جُعِل علَماً للتعريف فأشبَهَ الألفَ بذلك"[8].

2 . المعنى الثاني لـ: (الخَلْط، المُخالَطة) = فصاحة اللِّسان

(1) الكتاب 4/ 457 .
(2) الرعاية ص 135 .
(3) الموضح ص 96 .
(4) الكتاب 4/ 479 .
(5) الحجة 1/ 130 .
(6) المقتضب 1/ 310 .
(7) التذكرة 1/ 187 .
(8) الموضح ص 110 .

تقدَّم تعريف اللِّسان الصحيح عند إخوان الصفاء بأنَّه المتحرِّكُ إلى جِهَةِ كلِّ حرفٍ بعَيْنه بلا **خَلْطٍ**"[1].

3 . المعنى الثالث لـ: (الخَلْط، المُخالَطة) = تقريب الصَّوت من الصَّوت في الجوامد والذوائب

استعمله مكيّ، حيث لقَّب الصادَ المشمَّة زاياً بـ: (الصاد التي **يُخالِطُ** لفظُها لفظَ الزَّاي)[2].

وعرَّف ألف التفخيم وألف الإمالة، بقوله:" الألفُ المفخَّمةُ: هي ألفٌ **يُخالِطُ** لَفظَها تفخيمٌ يُقرِّبُها من لفظِ الواو، كما كانت الألفُ الممالةُ ألفاً **يُخالِطُ** لَفظَها ترقيقٌ يُقرِّبُها من الياء، فهي نقيضةُ الألفِ الممالة"[3].

4 . المعنى الرابع لـ: (الخَلْط، المُخالَطة) = الحروف الفرعية الستة المستحسنة

لقَّبها مكيٌّ بذلك، فقال:"الحروف المشرَبة: ويقال لها **المُخالِطة**... وهي الحروف الستَّة التي ذكَرنا أنَّ العربَ اتَّسَعتْ فيها فزادَتها على التسعة والعشرين، نحو: الصاد بين الصَّاد والزاي، وهمزة بين بين، وشبه ذلك، فهي مُشربةٌ بغيرِها، وهي **مخالِطةٌ** في اللَّفظِ لغيرِها، وهي مخالَطةٌ لأنَّ غيرَها **يُخالِطُها** في اللَّفظ"[4].

5 . المعنى الخامس لـ: (الخَلْط، المُخالَطة) = من العيوب التي نهى القرَّاء عنها

استعمله مكيٌّ، والقرطبيّ.

مثال: قال مكيّ:"وإذا سكنت الجيمُ وأتت بعدها تاءٌ، وجبَ أن يَتَحفَّظَ القارئُ بإخراجِ الجيم من موضعِها، وإعطائها حقَّها، وإن لم نَفعَل ذلك سارَعَ اللَّفظُ إلى أن **يُخالِطَ** لَفظُ الجيمِ لفظَ الشِّينِ، وذلك لبُعد ما بين الجيم والتاء في المخرجِ والصِّفة"[5].

ونبَّه القرطبيُّ على تخليص الحروف، وعدم **مخالطة** بعضِها بعضاً، قال عن حروف الحلق:"وجميعُ حروف الحلقِ يُعانى عند النُّطق بها نوعُ مَشَقَّةٍ، وهي قريبةُ المخارجِ، فيُحتَرَزُ من **مخالطةِ** بعضِها لبعضٍ بتخليصِ بيانِها"[6].

6 . المعنى السادس لـ: (الخَلْط، المُخالَطة) = مشاركٌ في تعريف الإدغام

عرَّف ابنُ الطحَّان الأندلسيّ الإدغام بأنَّه"عبارةٌ عن **خَلْطِ** الحرفين وتصييرِهما حرفاً واحداً"[7].

(1) الرسائل 3/ 145 .
(2) الرعاية ص 109 . وانظر: ص 218 .
(3) الرعاية ص 109 .
(4) الرعاية ص 130 .
(5) الرعاية ص 177 .
(6) الموضح ص 103 .
(7) مرشد القارئ 6/ ب .

7 . المصطلح السابع لتقريب الحركات وحروف المدّ من بعضها: (الإيماءُ)

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصلُه اللُّغويّ على الإشارة، يقال: وَمَأْتُ إليه وَمْئاً، وأومَأتُ إيماءً أومِئُ، إذا أشرتُ إليه بحاجبٍ أو يدٍ أو غيرِ ذلك[1].

استُعمِل: (الإيمَاءُ) في أكثرَ من معنًى، منها:

1 . الرَّوْم . 2 . إشمام الضمّ في الحرفِ المتحرّك 3 . تفخيم الألف نحو الواو 4 . إشمام السُّكون الضَّمَّ في وسط الكلمة وفي الوقف.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإيماء) = الرَّوم

ذكَر المبرِّدُ أنَّ المنادى المحذوف ياؤه: (يا غلام) يَلْتَبسُ بالمفرَد إذا وُقِف عليه بالسُّكون، حتى مع الرَّوم، قال:"وإن رامَ الحركةَ فإنَّ ذلك دليلٌ غيرُ بيّنٍ؛ لأنَّه عملٌ **كالإيماء**"[2].

واستَعملَه أبو الفضل الخزاعيُّ للتعبير عن الرَّوم في المرفوع والمجرور، قال:"وقد عرَّفتُك أنَّ حمزةَ يَمُدُّ الممدودَ، ويُشيرُ إلى الرَّفعِ والخَفْضِ بعد المدِّ من غير رَومِ الهمزةِ، كأنَّه **يُومئ** في المرفوعِ إلى الواو، وفي المخفوضِ إلى الياء"[3].

ونقَل عبارتَه: أبو مَعْشَرٍ الطبريُّ[4].

2 . المعنى الثاني لـ: (الإيماء) = إشمام الضمّ في الحرفِ المتحرّك

استَعملَه النحَّاس في اعتراضِه على ما رُوي عن حمزة أنَّه جمَع بين الضمّ والكسرِ في جيم: [جيُوهِنَّ]، قال:"فأمَّا ما رُوي عن حمزة من الجمَع بين الضمّ والكسرِ فمُحالٌ، لا يَقْدِرُ أحدٌ على أن ينطِق إلا على **الإيماءِ** إلى ما لا يَجُوز"[5]. يعني الإشارة بالشفتَين إلى حركة غير الضمَّة لا يجوز.

3 . المعنى الثالث لـ: (الإيماء) = تفخيم الألف نحو الواو

استَعمله أبو جعفرٍ النحَّاس في توجيهه لقراءة الحسن البصريّ: [كهيعص] بتفخيمَ الألف من (يا) نحو الواو:" قال: كان الحسنُ يُشِمُّ الرَّفعَ، فمعنى هذا أنَّه كان **يُومِئُ**، كما حكى سيبويه أنَّ من العربِ مَن يَقولُ: (الصَّلَوة والزَّكوة) **يُومِئُ** إلى الواو، ولهذا كُتِبتْ في المصاحفِ بالواو"[6].

(1) مقاييس اللُّغة ص 1067 (و م أ) والمصباح المنير ص 673 .
(2) المقتضب 4/ 247 .
(3) المنتهى ص 218 .
(4) التلخيص ص 193 .
(5) إعراب القرآن 3/ 134 . وقد ردَّ هذه الرِّواية ابن مجاهدٍ في السبعة.
(6) إعراب القرآن 3/ 4 .

4 ـ المعنى الرابع لـ: (الإيماء) = ضمُّ الشفتين بعد سكون الحرف في وسط الكلمة وفي الوقف

استَعملَ أبو جعفر النحَّاس: (الإيماء) للتعبير عن إشمام الحرف الساكن الفتحةَ بعد إدغامه في: [أتُحَاجُّونَّا] في قراءة ابن مُحَيصِن[1].

ولا أدري كيف يتأتَّى ذلك في الفتحة ؟!

واستَعمل الدانيُّ: (**الإيماء** بالشفتَين) في التنبيهِ على إظهار الساكن قبل الإشارة بالشفتَين إلى الحركة المضمومة، في نحو: [تَأْمَنَّا]، ووقفاً في نحو: [نَسْتَعِينُ]، قال:"وأمَّا المشَمُّ من الحروف في حال الوصل أو الوقف، فحقُّه أن يُخْلَصَ سكُون الحرف ثمَّ **يُومَى** بالعُضْو ـ وهما الشفتان ـ إلى حركتِه لِيَدُلَّ بذلك عليها من غير صوتٍ خارجٍ إلى اللَّفظ، وإنَّما هو تهيئةٌ بالعُضو لا غير، ليُعلَم بالتهيئة أنَّه يرادُ المهَيَّأُ له، ولا يَعرِف ذلك الأعمى، لأنه لرؤية العَين. ويَختَصُّ به من الحركاتِ الرَّفعُ والضمُّ، لا غير، لأنهما من الواو، والواو تَخرُج من الشفتَين، وفيهما تُعالَجُ"[2].

وبيَّن الدانيُّ أنَّ للقرَّاء في كلمة: [تَأْمَنَّا] مذهبان: أحدهما ضمّ الشفتين بعد النُّون الأولى الساكنة المدغمة، والثاني فك الإدغام يعني نونان متحرِّكتان لكن يخفضُ الصوتُ بالنُّون الأولى ويتعجَّل بها، وهو الاختلاس، قال الدانيُّ:"وقد اختَلَف علماؤنا من القراءِ والنَّحويّين في كيفيَّة الإشارةِ إلى حركة المدغَم، فقال بعضُهم: يكون **إيماءً** إليها بالشفتَين من غير إحداث شيءٍ في جسم الحرفِ، فجعَلوا ذلك إدغاماً صحيحاً؛ لأنَّ الإيماء بالعُضوِ لا يكونُ إلا بعد تسكين الحرف رأساً. وقال آخَرون: حقيقة الإشارة في ذلك أن تكون بالحركة إلى الحرفِ لا بالعُضو إليها؛ لأنَّ ذلك آكَدُ في البيان عن كيفيَّتِها، فجعَلُوا ذلك إخفاءً لا إدغاماً صحيحاً..."[3].

وهذا النصُّ واضحٌ جداً في وصفِ كيفيَّة أداء الإشمام في مذهبِ مَن أَدغم؛ إذ اشتَرَط السُّكونَ للحرف ثمَّ يتلوه تحريك الشفتَين بالضمِّ، لا ما يَفعلُه بعضُ القرَّاء اليوم مِن ضمِّ الشفتَين أثناء سكون الحرف، خاصَّة الساكن في وسط الكلمة، كالنُّون الأولى المدغَمة في نحو الكلمة القرآنيَّة: [تَأْمَنَّا]، ودال: [لَدُنهِ] في رواية شعبة عن عاصم.

قال الدانيُّ عن هذه الأخيرة:"والإشمامُ ههنا [الكهف] وفي الموضعِ الذي في النِّساء، والموضعَين اللَّذين في هود والنَّمْل على رواية الكسائيِّ عن أبي بكرٍ يكونُ **إيماءً** بالشفتَين لا غير؛ لأنَّ الدالَ ساكنةٌ خالِصةُ السُّكونِ، بدليل كسرِ النُّون بعدها للسَّاكِنَين، فلا يَقْرَعُ لذلك السَّمعَ، ولا يُدرِكُ معرفتَه إلاَّ البصيرُ دون

(1) إعراب القرآن 1/ 267.

(2) التحديد ص 96، وانظر ص 170 .

(3) الإدغام الكبير ص 84 .

الأعمى"[1].

واستَعملَ الدانيُّ: (الإيماء) في تعريفِ الإشمام، فقال:"الإشمام: **إيماءٌ** بالشفتَين إلى الحركةِ بعْدَ إخلاصِ السُّكُون"[2].

وتابعه القرطبيُّ، قال:"لأن الضمَّ من الشَّفَتَين، وإذا **أَوْمَأَ** بشفتِه نحوَهُ أمْكَنَ **الإيماءُ**، وأدركَهُ الرَّائي وإن انقَطَعَ الصَّوتُ؛ لأنَّ الرائيَ يُدرِكُ مخرجَ هذه الحركة، وهو الشفتان"[3].

8 . المصطلح الثامن لتقريب الحركات وحروف المدّ من بعضها: (المَزْجُ، الامتِزَاجُ، المُمازجة)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على خَلْطِ الشيءِ بغيره، ومَزَج الشَّرابُ يَمزُجُه مَزجاً. وكلُّ نوعٍ من شيئين مِزاجٌ لصاحبِه[4].

استعمل: (المزج، وألفاظه) في أكثر من معنى:
1 . ما يتعلَّق بنظرية العناصر الأربعة. 2 . الحرف المختلط بغنَّة 3 . تقريب المصوِّتات من بعضها. 4 . التأليف بين الحروف. 5 . من عيوب الأداء المنهيّ عنها في القراءة .

1 . المعنى الأوَّل لـ: (المَزْج، المزاج) = ما يتعلَّق بنظرية العناصر الأربعة

تقدَّم الحديث عنها في الباب الأول عند الحديث عن المدرسة العقليَّة .

2 . المعنى الثاني لـ: (المَزْج، الممتزج) = الحرف المختلط بغنَّة

استعمله ابن دريدٍ، ذكَر أنَّ اللاَّم والنُّون والرَّاء "**مُمْتَزِجاتٌ** بصوتِ الغُنَّة"[5].

ولا يَتجه لي كيفية امتزاج اللام والرَّاء بالغنَّة إلاَّ إن كان لهجةً أو عيباً نُطقياً؛ لأنَّ هذين الحرفين ليس من طبيعتهما أن يختلطا بغنة.

3 . المعنى الثالث لـ: (المَزْج، الممتزِج) = تقريب الحروف الذائبة من بعضها

استعمله الفارابيُّ، وهو الذي تحدَّثتُ في هذه الظاهرة وشكل رقم (69)، أعني المصوِّتات الممزوجة.

4 . المعنى الرابع لـ: (المَزْج) = التأليف بين الحروف

(1) جامع البيان ل 183/ أ – ب .
(2) التحديد ص 169 .
(3) الموضح ص 209.
(4) مقاييس اللغة ص 947 (م ز ج).
(5) الجمهرة 1/ 7 .

استعمله ابن جنيّ بمعنى التأليف بين الحروف، قال:"وهذا فصلٌ نذكُرُ فيه مذهبَ العربِ في **مَزْجِ** الحروفِ بعضِها ببعضٍ، وما يجوز من ذلك، وما يَمتنع، وما يَحسنُ، وما يَقبُحُ، وما يَصِحُّ"[1].

5 . المعنى الخامس لـ: (المُمازجة) = من عيوب الأداء المنهيّ عنها في القراءة

استعمله القرطبيُّ حيث نَهى عن ممازجةَ الحروف بعضها ببعض، وخاصةً إذا جاور المرقَّق المفخَّم، قال عن التاء:"ويُتَجنَّبُ أن **يُمازِجه** الطاء والدالُ لقُرب المخرج"[2].

9 . المصطلح التاسع لتقريب الحركات وحروف المدّ من بعضها: (الشَّوْبُ)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الخَلْطِ. يقال: شُبتُ الشيءَ أشوبُهُ شَوباً، قال أهل اللُّغة: وسُمِّيَ العسلُ شَوباً؛ لأنَّه كان عندهم مِزاجاً لغيره من الأشرِبة[3].

استُعمل: (الشَّوب) في أكثر من معنى، منها:
1 . تقريب المصوِّتات من بعضها. 2 . من العيوب المنهيّ عنها في القراءة

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الشَّوْب) = تقريب المصوِّتات من بعضها

استعملَه ابنُ جنيّ في شرح الحركات الفرعية التي قدَّمتها في أوَّل هذه الظاهرة، كالفتحة المشوبة بشيء من الكسرة... الخ[4].

2 . المعنى الثاني لـ: (الشَّوْب) = من العيوب المنهيّ عنها في القراءة

استعمل مكيٌّ: (**الشَّوب**) في النَّهي عن خلطِ أصوات الحروف مما هو خارجٌ عن خطِّ الأداء الصحيح للقرآن المجيد، قال في تصفية القاف من الكاف:"وإذا وقعت الكافُ بعدها أو قبلَها وجَب بيانُها لئلاَّ **يَشوبَها** شيءٌ من لَفظِ الكافِ لقُربها منها، أو **يَشوب** الكافَ شيءٌ من لفظِ القاف، نحو: [خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ]"[5].

كان استعمال مكيّ لهذا اللَّفظ حافزاً للقرطبيّ أن يتوسَّع في استعماله، حيث لاحظَ تأثير بعض الحروف على بعض في تلاوة بعض الناس، فحذَّر من ذلك في أكثر من مَوطنٍ، واخترع لذلك مصطلحاً سمَّاهُ: (**شوائب الحروف**)، ويعني به تأثيرَ الحرف على الحرف بالمجاورة، قال:"فأمَّا حسنُ التخلُّصِ من

(1) سر صناعة الإعراب 2/ 811 .
(2) الموضح ص 102 .
(3) مقاييس اللغة ص 519 (ش و ب).
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 52 - 53 .
(5) الرعاية ص 171 .

دخولِ **شوائبِ الحروفِ** بعضِها على بعضٍ فيكونُ التنبيهُ عليه بعْدَ ذِكْرِ السَّبب الموجِبِ لها، فنقول: السببُ في ذلك أن يَجتَمِع حرفانِ امتازَ أحدُهُما عن الآخَرِ بمزيَّةٍ مَا، إمَّا بتفخيمٍ أو إطباقٍ أو تفَشٍّ أو غير ذلك، مع إمكان تلك المزيَّةِ فيه، لأنَّ الحرفَ بسبب اتِّحادِه بما جاوَرَه يَجْذِبُه إلى حَيِّزِهِ ويَسلُبُه المزيَّةَ الخاصَّةَ به، أو يَدخُلُ معهُ فيها، أو يَحدُثُ بينهما حرفٌ يُشبِههما، والذي ينبغي أن يَعتَمِدُه القارئُ في ذلك حسنُ التخَلُّصِ منه بإفرادِ كلٍّ منهُما بمزيَّتِهِ والتعمُّلُ لإيرادِهِ بخاصِّيته"[1].

وهذا الكلامُ النَّفيسُ جداً يُظهِرُ المناهجَ الدَّقيقةَ التي يَستعملُها القرَّاءُ في أدائهم في تخليصِ الحروف بعضِها من بعض.

دائرة الفتح ضد الإمالة:

دائرةُ (الفتح ضد الإمالة) تَشمَلُ الألفَ المرقَّقة والألفَ المفخَّمة باعتبار هذه الدائرةِ مقابلةً لدائرتَي الألف الممالة، ودائرة الألف المفخَّمة المائلة نحو الواو؛ فالكلمتان القرآنيتان: [وَالضُّحَى] و [طَغَى] عند عدم الإمالة تكون الألف الأولى مرققة والثانية مفخَّمة، ويُسمَّيان عند القرَّاءِ: مفتوحَين غير ممالين في هذه الحالة، يَعرِفُ ذلك أدنى شادٍ لعلم القراءات.

وعند إمالتهما إلى الياء يقعان في دائرتي الألف المقلَّلة الصغرى أو الكبرى بحسب الرواية التي يَقرأ بها القارئ.

قال الدانيُّ:"وأمَّا **المفتوحُ** فحقُّه أن يؤتى بين منزلتَين، بين التفخيم الشديد الذي يَستعمِله أهلُ الحجاز في نحو: الصلاة والزكاة فيَنْحُون بالألف نحو الواو من شدة التفخيم. وهذه اللغة لا تُستَعمَل في القرآن لأنَّه لا إمام لها. وبين الإمالة المحْضة التي يَستعمِلُها القرَّاء، وهي التي دون الكسر الصَّحيح"[2].

فقوله هذا يدلّ على أنَّ الألف المرقَّقة والمفخَّمة التي يستعمِلُهما القرَّاء تقعان في دائرةٍ واحدة؛ لأنَّهما لا يَميلان إلى غيرهما من المصوِّتات، غاية الأمر في الألف المفخَّمة أنَّها تَتَّخِذُ وضع الإطباق من تقعُّرٍ لوسط اللِّسان والتضييق الكبير في الحلق، والألفُ المرقَّقة لا يُستَعمَلُ فيها ذلك، وتقدَّم شرحُ ذلك في ظاهرة التفخيم والترقيق.

الألفاظ المستعملة للفتح ضد الإمالة

استُعملت له عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (الألف) 2 . (التفخيم) 3 . (الفتح) 4 . (النَّصْب) 5 . (التضخيم) 6 . (الفتح الخالِص، إخلاص

(1) الموضح ص 177 .

(2) التحديد ص 100 - 101 .

الفتح) 7 . (الفتح اللَّطيف) 8 . (الفتح المستحسن) 9 . (الفتح المتوسِّط، الفتح الوسَط) 10 . (الفتح البَيِّن) 11 . (الفتح الخفيف)

1 . المصطلح الأوَّل للفتح ضد الإمالة: (الألف)

من المشترك اللَّفظيّ، استُعمِل: (**الألف**) للتعبير عن أكثر من معنى، منها:

1 . (الألف المدِّيّة)، 2 . (الهمزة)، 3 . (الفتح ضدّ الإمالة).

1 . المعنى الأوَّل: لـ (الألف) = الألف المدِّيّة:

استعمالُ هذا اللَّفظِ للألفِ المدِّيةِ يَصعب تتبُّعه تاريخيّاً لقِدَمِه وكثرةِ استعمالِه.

2 . المعنى الثاني: لـ (الألف) = الهمزة:

استعمالٌ قديم مشهورٌ، من ذلك حديث النبيّ ρ عن ثواب قراءة القرآن:"لا أقولُ [الم } حرفٌ، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ "[1]. فالألف في [الم } هي الهمزة.

وعن تميمِ بنِ حَذْلَمَ (ت 98 هـ)، قال: قرأتُ على عبدِ الله بن مسعودٍ: [وَكُلٌّ آتُوهُ دَاخِرِينَ]، بتَطْوِيلِ **الألِف**. فقال: [وَكلٌّ أَتَوْهُ] بغير تَطْويل **الألِفِ**"[2].

ومن العلماء الذين استخدموا (**الألف**) وأرادوا الهمزة: نافعٌ المقرئ[3]، والخليل[4]، وسيبويه[5]، والكسائيّ[6]، وأبو عبيدة[7]، والأخفش[8]، وابن مجاهد[9]، وأبو بكر ابنُ الأنباريّ[10]، وغيرهم.

وركَّب الفرَّاء من الألف والهمزة لفظ: (**الألف المهموزة**)[11]، وهو يريدُ الهمزة.

ولعلَّ كتابة الألف والهمزة برمزٍ واحدٍ . قبل ضبط الخليل للهمزة برأس العَين . له دورٌ في التعبير عنهما بلفظٍ واحدٍ، واستمرَّ تأثير ذلك الاستعمال إلى ما بعد الخليل.

(1) أخرجه: الترمذي في فضائل القرآن 5/ 161 .

(2) معاني القرآن 2/ 301. والقراءتان متواترتان: قرأ بالمدِّ حفصٌ وحمزةُ وخَلَفٌ، وقرأ الباقون بالقصر .

(3) نقل ذلك ابن الجزريّ في غاية النهاية في طبقات القراء 1/ 308.

(4) العين 5/ 79.

(5) الكتاب 2/ 229.

(6) ما تلحن فيه العامَّة ص 101.

(7) مجاز القرآن 1/ 108.

(8) معاني القرآن 1/ 200.

(9) السبعة ص 200.

(10) إيضاح الوقف والابتدا 2/ 579.

(11) معاني القرآن 1/ 29.

وربَّما جمَع بعضُ العلماء الألف والهمزة في نصٍّ واحدٍ تحت لفظ: (الألف)، من ذلك قول سيبويه: "أمَّا ما لحِقَتْه **ألفا** التأنيث فحُنْفَساء وعُنْصَلاءُ وقَرْمَلاءُ"[1]، فألفا التأنيث: الألف والهمزة.

ونقَل الدانيُّ عن ورشٍ وسِقْلاَبٍ قولَهما: "وإذا لقِيتْ **ألفٌ ألفاً** قُطِعتا من غير مدٍّ ".

قال الدانيُّ معلِّقاً: ومعنى قولهما: (وإذا لقيت **ألفٌ ألفاً**)، أي: إذا لقِيَتْ ألفٌ همزةً، ومعنى قولهما: (قطِعتا من غير مدٍّ)، أي: طوِّلت الألف، وحقِّقَت الهمزة، من غير أن يزاد في مدِّ حرف اللِّين بعدها على ما فيه من المدِّ الذي لا يوصَل إليه إلا به"[2].

ويدلُّ تفسيرُ الدانيّ على أن استعمال (**الألف**) للتعبير عن الهمزة قد قلَّ في زمنه، وإلا ما احتاج لأن يفسِّره.

وعبَّر العلماء أيضاً بلفظ: (**الألف**) عن أنواع الهمزة، كهمزة الوصل، والقطع، والاستفهام... الخ[3]، ومن الألفاظ التي استعملها العلماء أيضاً لبعضِ أنواع الهمزة ما يلي:

1 . (**ألف الوصل**) بمعنى همزة الوصل: استعمله الخليل[4]، وسيبويه[5]، والأخفش[6]، وابن قتيبة[7]، والمبرِّد[8]، والزجَّاج[9]، وابن السراج[10]، وابن مجاهد[11]، وأبو بكر ابن الأنباريّ[12]، والسيرافيّ[13]، ومكّيّ[14]، وابن بلّيمة[15]، وغيرهم.

(1) الكتاب 3/ 423.
(2) المطبوع من جامع البيان 2/ 471.
(3) انظر: الخليل في العين 1/ 47، وسيبويه في الكتاب 1/ 99 و 3/ 234، ومعاني القرآن للفرَّاء 1/ 1 و 199، ونوادر أبي زيد ص 146، ومعاني الأخفش 1/ 153 و 200 وإصلاح المنطق لابن السكيت ص 30، والأضداد لأبي حاتم السجستاني ص 131، والمبرد في المقتضب 1/ 182، وثعلب في مجالسه 1/ 83.
(4) العين 1/ 49.
(5) الكتاب 3/ 323.
(6) العَروض 133.
(7) أدب الكاتب ص 215.
(8) المقتضب 1/ 170.
(9) معاني القرآن وإعرابه 1/ 39.
(10) الأصول 2/ 82.
(11) السبعة ص 153.
(12) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 151.
(13) إدغام القراء ص 22.
(14) التبصرة ص 61.
(15) تلخيص العبارات ص 23.

واستَعمل سيبويه لها أيضاً لفظ: (**الألف الخفيفة**) [1]، وهو من المشترك اللَّفظيّ، وتابعه: ورشٌ[2]، والفرَّاء[3].

واستُعمل لفظ: (**الألف الخفيفة**) بمعنى الألف المديَّة، استعمله: الأخفش[4]، وتابعه: ابن مجاهد[5]، وابن خالويه[6].

2 . (**ألف القطع**) بمعنى همزة القطع: استعمله: الخليل[7]، وابن قتيبة[8]، والنحاس[9]، وابن خالويه[10]. واستَعمَل الخليل لها أيضاً لفظَي: (**الألف التي تُبنى للقطع**)[11]، و(**الألف المقطوعة**)[12]، وتابعه على الأخير: الفرَّاء[13]، والأخفش[14]، والمبرِّد[15]، وابن مجاهد[16].

واستعمل الكسائيُّ لها لفظ: (**الألف الشديدة**) [17]، وتابعَه: ورشٌ[18].

وقد عدَّ الثعالبيُّ من هذه الأنواع سبعة عشر نوعاً، كلُّها بلفظ (**الألف**)، خلَط فيها بين الهمزة والألف[19].

وتتبُّع هذه الأنواع تاريخياً يَصْعُب حَصرُه، ولعلَّ فيما قدَّمتُه كفاية، والله المستعان.

---

(1) الكتاب 3/ 523.
(2) نقل ذلك الدانيُّ في جامع البيان 2/ 376.
(3) معاني القرآن 1/ 70.
(4) معاني القرآن 2/ 579.
(5) السبعة ص 154.
(6) الحجة ص 197.
(7) العين 8/ 197.
(8) أدب الكاتب ص 224.
(9) إعراب القرآن 1/ 167.
(10) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص 222.
(11) نقَل ذلك القالي في البارع ص 175.
(12) العين 3/ 349.
(13) معاني القرآن 2/ 354.
(14) العَروض ص 133.
(15) المقتضب 1/ 219.
(16) السبعة ص 153.
(17) نقل ذلك الدانيُّ في المطبوع من جامع البيان 2/ 379.
(18) نقَل ذلك الدانيُّ في المطبوع من جامع البيان 2/ 376.
(19) فقه اللغة ص 344 - 345. وهي: ألف الوصل، وألف القطع، وألف الأمر، وألف الاستفهام، وألف التعجُّب، وألف التثنية، وألف الجمع، وألف التعدية، وألف لام المعرفة، وألف المخبِر عن نفسه، وألف الحينونة، وألف الوجدان، وألف الإتيان، وألف التحويل، وألف القافية، وألف الندبة، وألف التوجع والتأسُّف.

3 . المعنى الثالث لـ (الألف) = الفتح ضدّ الإمالة:

من استعمالات القرنِ الأوَّل الهجريّ. استعمَلَهُ التابعيُّ المشهور إبراهيمُ النخَعيُّ بهذا المعنى، قال:"كانوا يَرَون أنَّ **الألفَ** والياءَ في القراءة سواء". قال الدانيّ: يعني بالألفِ والياءِ التفخيمَ والإمالة"[1].

وتابعَه: يحيى بن آدم (صاحب شعبة)[2]، وقتيبةُ بن مهران صاحب الكسائيّ في وصفه لمذهب الكسائيّ "أنَّه كان يَقِف في قوله: [وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ] على (الألف)، وذكَر باقي الباب بالياء"[3]، ومحمدُ بن سعدان، وأبو عمرَ الدُّوريُّ، وأحمدُ بن جُبيرٍ الأنطاكيُّ، وكلُّهم من القراء[4].

وهذا الاستعمال للمصطلح يعطي ظلالاً كيف كان اللَّفظُ الواحِدُ عند العرب يُطلَق على معانٍ كثيرةٍ، وأنه من خصائص العربية.

2 . المصطلح الثاني للفتح ضد الإمالة: (التفخيم)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

3 . المصطلح الثالث للفتح ضد الإمالة: (الفتح)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

4 . المصطلح الرابع للفتح ضد الإمالة: (النَّصب)

من المشترك اللَّفظيّ، يدلُّ أصله اللُّغوي على إقامة شيءٍ وإهدافٍ في استواءٍ. يقال: نَصَبتُ الرُّمحَ أنصِبُهُ نَصْباً. وناقةٌ نَصْبَاء: مرتَفعةُ الصَّدر, ويقول أهل العربية في الفتحِ: هو النَّصْبُ، كأنَّ الكلمةَ تَنتَصِبُ في الفمِ انتِصاباً[5].

استُعمل: (النَّصْبُ، الانتصاب) في أكثر من معنى، منها: 1 . الفتح والنصب الإعرابيّ 2 . الفتح ضد الإمالة

1 . المعنى الأوَّل لـ: (النَّصْب) = الفتح والنصب الإعرابيّ

هذا المصطلح قديمٌ يَرْجِعُ عهدُه إلى الصَّحابةِ ψ حيثُ ذكَر عبد الله بنُ بُرَيدةَ بن الحصيب رضي الله عنهما عن أبيه بُرَيدةَ، قال:"كُنَّا نُؤمَرُ، أو كانوا يؤمَرونَ أن نتعلَّمَ القرآنَ، ثمَّ السنَّةَ، ثمَّ الفرائضَ، ثمَّ العربيةَ:

(1) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 2/ ب .
(2) نقَل ذلك الدانيُّ في جامع البيان ل 131/ أ .
(3) نقَل ذلك الدانيُّ في الموضح ل 40/ ب .
(4) نقَل الدانيُّ نصوصَهم في جامع البيان ل 131/ أ.
(5) مقاييس اللغة ص 992 (ن ص ب).

الحروفَ الثلاثةَ، قلنا: وما الحروفُ الثلاثة ؟ قال: الجرُّ والرَّفعُ **والنَّصْبُ**"[1].

والنصُّ يُشيرُ إلى أنَّ علمَ العربيةِ حينئذٍ يتمثَّلُ في هذه الثلاثة، فالأرجحُ أن يكون المقصودُ بها الإعرابَ على أواخر الكلمات؛ لأنه المميّزُ للغةِ العرب، وربَّما يُقصدُ بها الحركات.

وهذا النصُّ النَّفِيسُ يَرُدُّ ما هو مشهورٌ في الكتبِ من أنَّ **حروفَ النَّصبِ**، والجرِّ، والرَّفعِ، والجَزْمِ من وَضْعِ أبي الأسودِ الدؤليّ[2].

والقصَّةُ التاريخيَّةُ لهذا المصطلح تُبَيّنُ أنَّ مصطلحَ: **(النَّصب)** مِن قَبْلِ سيبويه[3] كان ينُوبُ عن التحريكِ بالفتحة، وعن علامة الإعراب، لا فرقَ في ذلك بين أوَّلِ الكلمة أو وسَطِها أو آخرِها، فربَّما عُبِّر بـ: **(النصْب)** عن التحريك بالفتحة في أوَّل الكلمة أو وسطِها، وربَّما عُبِّرَ به عن الإعراب على أواخِر الكلمات كالفعل المضارع المنصوب.

استعمَل ذلك العلماءُ والقُرَّاءُ من قبلِ سيبويه حتى أستاذه الخليل، استَعمل ذلك، فمِن ذلك قولُه:"ويقال للمَنْخُوبِ: النِّخَبُ، النون مجرورة، والخاء **منصوبةٌ**، والباءُ شديدة"[4]. يعني النون مكسورة، والخاء مفتوحة، والباء مشددة.

بل وحتى سيبويه استَعمله في بعض المواضع النادرة بمعنى الفتح، قال:"وسألتُ الخليلَ عن: (مَعَكُمْ ومَعَ)، لأيِّ شيءٍ نصبتَها؟ فقال..."[5].

2 . المعنى الثاني لـ: (النَّصْب) = الفتح ضد الإمالة

استعمله: الخليل، وسيبويه، وإسماعيل القاضي[6]، والمبرِّد[7]، وابن السرَّاج[8]، وأبو علي الفارسيّ[9].

مثال: ذكَر الخليلُ أنَّ"الكلمةَ **المنصُوبةَ** يُرْفَعُ صَوْتُهَا إلى الغار الأعلى"[10].

وقال سيبويه:"وسألتُ الخليلَ عن العَشَا الذي في العينين، فقال: عَشَوانِ؛ لأنَّه من الواو، غير أنهم قد

(1) التمهيد في معرفة التجويد ص 210 .

(2) طبقات النحويّين واللُّغويّين للزبيديّ ص 21 .

(3) من المعلومُ أنَّ التقسيمَ إلى علاماتِ إعراب وبناء هو مِن وضعِ سيبويه، ذكَرَ ذلك السيرافيُّ، فقال:"اعلم أن سيبويه لقَّب الحركات والسُّكون هذه الألقاب الثمانية..." (شرح كتاب سيبويه 1/ 65).

(4) العين 4/ 279 .

(5) الكتاب 3/ 286 .

(6) جامع البيان للداني ل 142/ ب .

(7) المقتضب 3/ 42 و 46 .

(8) الأصول 3/ 164 و 167 .

(9) التكملة ص 227 .

(10) العين 7/ 136 .

يُلْزِمون بعضَ ما يكون من بنات الواو **انتِصَابَ** الألفِ ولا يُجيزون الإمالة تخفيفاً"[1].

ومن هنا كان هذا المصطلح للخليل، وتابعه عليه سيبويه.

وقال سيبويه عن جواز الإمالة فيما كان أصله ياء وامتناعه فيما كان واوياً :"لأنه ليس شيءٌ من بَنَاتِ الياءِ يَلْزَمُهُ **الانتِصَابُ** لا تَجُوزُ فيه الإمالةُ، إنما يكون ذلك في بنات الواو"[2].

وقال:" واعلَم أنَّ ناساً ممّن يُميلُ في: يَضربُها ومنّا ومنها وبِنا، وأشباه هذا ممّا فيه علامةُ الإضمار إذا وَصَلوا **نَصَبُوها**"[3].

5 . المصطلح الخامس للفتح ضد الإمالة: (التضخيم)

استعمله الزجَّاج[4].

6 . المصطلح السادس للفتح ضد الإمالة: (الفتح الخالص، إخلاص الفتح)

تقدَّم في: (الفتح).

7 . المصطلح السابع للفتح ضد الإمالة: (الفتح اللَّطيف)

تقدَّم في: (الفتح).

8 . المصطلح الثامن للفتح ضد الإمالة: (الفتح المستحسن)

تقدَّم في: (الفتح).

9 . المصطلح التاسع للفتح ضد الإمالة: (الفتح المتوسط، الفتح الوسَط)

تقدَّم في: (الفتح).

10 . المصطلح العاشر للفتح ضد الإمالة: (الفتح البيِّن)

تقدَّم في: (الفتح).

11 . المصطلح الحادي عشر للفتح ضد الإمالة: (الفتح الخفيف)

تقدَّم في: (الفتح).

2 . دائرة الإمالة:

(1) الكتاب 3/ 387 .

(2) الكتاب 3/ 388. وانظر: 4/ 126 و 143.

(3) الكتاب 4/ 126 .

(4) معاني القرآن وإعرابه 3/ 63 .

دائرةُ الإمالة تَشمَلُ الألفَ المقلَّلة أو الممالة إمالةً صغرى (الزهرية اللَّون)، والألفَ الممالة إمالة كبرى (الزرقاء السماوية)، على شكل رقم (70).

الألفاظ المستعملة للإمالة:

استُعمل للإمالة دون تحديد نوعها عدة ألفاظ، منها:

1 . (الياء) 2 . (الكسر) 3 . (الإمالة) 4 . (البطح) 5 . (الإضجاع) 6 . (الإجناح) 7 . (الترقيق).

ملاحظة: هذه الألفاظ إذا أطلقت فهي في الغالب الأعم للإمالة الكبرى بدليل الألفاظ المستعملة للإمالة الصغرى التي تجعَلُ بعض هذه الألفاظ طرفاً في الوصف.

1 . المصطلح الأوَّل لظاهرة الإمالة: (الياء)

من المشترك اللَّفظيّ.

استُعمل لفظ: (الياء) للتعبير عن أكثر من معنى، منها:

1 . الياء 2 . الألف المقصورة 3 . الهمزة. 4 . الهمزة المسهَّلة المكسورة. 5 . الإمالة.

1 . المعنى الأوَّل لـ (الياء) = الياء

استعمالُ هذا اللَّفظِ لحرف الياء هو الأصلُ، ويَصعب تتبُّعه تاريخيّاً لقِدَمِه وكثرةِ استعمالِهِ.

2 . المعنى الثاني لـ (الياء) = الإمالة

من استعمالات القرنِ الأوَّل الهجريّ. استعمَلَهُ التابعيُّ المشهور إبراهيمُ النخَعيُّ بهذا المعنى، قال:"كانوا يَرَون أنَّ الألفَ **والياءَ** في القراءة سواء". قال الداني: يعني بالألفِ **والياءِ** التفخيمَ والإمالةَ"[1].

وتابعَه: قتيبةُ بن مهران صاحب الكسائيّ في وصفه لمذهب الكسائيّ "أنَّه كان يَقِف في قوله: [وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ] على الألف، وذكَر باقي الباب **بالياء**"[2]، وعُبيد بن عقيل[3].

وهذا النصُّ يعطي صورةً واضحة كيف كان المتقدِّمون من الرَّعيل الأوَّل ψ يُعبِّرون باللَّفظ الواحدِ عن أكثر من معنى، وأنَّه من خصائص العربية.

3 . المعنى الثالث لـ (الياء) = الهمزة المسهَّلة المكسورة:

(1) الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة ل 2/ ب .

(2) نقَل ذلك الدانيُّ في الموضح ل 40/ ب .

(3) السبعة ص 688 .

استعمله من العلماء: المفضَّل الضبِّيّ، وورشٌ، وأحمد بن صالح[1]، وابن مجاهد[2]، وابن خالويه[3]، والأزهريّ[4].

مثال: قال المفضَّل في روايته عن عاصم:" [أئن ذُكِّرْتُمْ]: بهمزةٍ بعدها **ياءٌ**، والكافُ مشدَّدة"[5].

وقال ورشٌ:"الهمزة الثانيةُ من [أَءِذَا] **ياءٌ**"[6].

4 . المعنى الرابع لـ (الياء) = الألف المقصورة:

استَعمل لفظَ **(الياء)** للتعبير عن الألف المقصورة: الخليلُ[7]، وسيبويه[8]، والفرَّاء[9]، وأبو عبيدة[10]، والزجاج[11]، وابن مجاهد[12]، وابن خالويه[13].

واستعمل الخليل لفظ: **(الياء المرسَلة)** للتعبير عن ذلك أيضاً[14].

ولعلَّ استعمالها للألف المقصورة هو من قبيل تأثير الرسم الكتابي بسبب إمالتها في اللَّفظ ، قال ابن مجاهد: "فإذا كانت الراء بعدها همزة، وبعد الهمزة **ياءٌ** كَسَر الهمزة وفتح الراءَ" اهـ.

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ في تفسير عبارةِ ابن مجاهد السَّابقة: يريد **بالياء**: الألفَ، ولعلَّه سمَّاها ياءً؛ لأن الكُتَّاب يكتبونها ياء، وذلك نحو: [رأى أيديَهم]"[15].

5 . المعنى الخامس لـ (الياء) = الهمزة:

استعمالُ لفظ: (الياء) للهمزةِ هو من قَبِيل تأثيرِ الرَّسم الكتابي، وهو إحدى دلالات الخطِّ التي ذُكِرَتْ في التمهيد، فعُبِّرَ بصُورَةِ الحرفِ عن الحرف.

(1) السبعة ص 139 .
(2) السبعة ص 485 و 499 و 540 .
(3) الحجة ص 173 و 198 و 273 .
(4) معاني القراءات 1/ 137 و 413 .
(5) السبعة ص 540 .
(6) السبعة ص 139 .
(7) العين 4/ 327.
(8) الكتاب 3/ 213.
(9) معاني القرآن 1/ 161.
(10) مجاز القرآن 1/ 310 و 1/ 316.
(11) نقل ذلك عنه النحاس في إعراب القرآن 2/ 124.
(12) السبعة ص 146 و 420.
(13) الحجة ص 159.
(14) نقل ذلك عنه الخوارزميُّ في مفاتيح العلوم ص 55.
(15) الحجة 1/ 382.

استَعمَل الخليلُ: (الياء) وهو يريدُ الهمزة المرسومة على ياء، قال:"وكَبْشٌ صَافٌ، ويومٌ رَاحٌ، أي: صائفٌ ورائِحٌ، فطَرَحَ **الياءَ**، ولم يُحْدِثْ في الإعرابِ شيئاً وتَرَكَهُ على رَفْعِهِ"[1].

واستَعمل أحمدُ بن واصِلٍ البغداديُّ، وداودُ بنُ أبي طيبةَ، وأبو الأزهر عبد الصَّمد بن عبد الرحمن، وأبو يعقوبُ يوسف بن موسى الأزرق، لفظ: (**الياء**) للتعبير عن الهمزة، قال الدانيُّ:"وروى أحمدُ [يعني ابنَ واصل] أيضاً عن قالونَ [طَائِفٌ]: **الياءُ** مكسورةٌ، وروى عن ورشٍ [نَائِمُون]: **الياءُ** مكسورةٌ...قال أبو عمرو: وقد يُمْكِنُ أن يُريدَ أحمدُ بقوله في [طَائِفٌ] و[نَائِمُون]: **الياءُ** مكسورةٌ الهمزةَ، على طريق الاتِّساعِ، ألا تَرَى أن المصنِّفين كثيراً ما يقولون في نحو:[إنَّ] و [إنَّهُ] و [إيمان] و [إدبار]: بكَسْرِ الألفِ، يريدُون الهمزةَ، **فعبرَّوا عَنها بصُورَتِها**. وممَّا يُؤَيِّدُ ذلك أن أبا الأزهرِ، وأبا يعقوب، وداودَ قالوا عن ورشٍ في قوله: [وَمَكْرَ السيِّئِ]: مجرورةَ الياءِ، يُريدُون الهمزةَ لا غيرَ، فعَبَّرُوا عنها بصورَتِها مجازاً واتِّساعاً، فكذلك عَبَّرَ عنها أحمدُ بذلك في الحرفَين"[2].

2 . المصطلح الثاني لظاهرة الإمالة: (الكسر)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

3 . المصطلح الثالث لظاهرة الإمالة: (الإمالة)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

4 . المصطلح الرابع لظاهرة الإمالة: البطح

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

5 . المصطلح الخامس لظاهرة الإمالة: (الإضجاع)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على لُصوقٍ بالأرضِ على جَنْبٍ، ثمَّ يُحمَلُ على ذلك. يقال: ضَجَعَ ضُجُوعاً، والمرَّةُ الواحدة الضَّجْعة، ويقال: اضطَجَع يَضطجِعُ اضطجاعاً. وأَضْجَعتُ فلاناً: إذا وضعت جَنبَهُ بالأرضِ، وكلُّ شيءٍ تَخْفِضُهُ فقد أَضْجَعتَه[3].

استُعمل: (الإضجاع) في أكثر من معنى، منها: 1 . الكسر 2 . الإمالة

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الإضجاع) = الكسر

(1) العين 5/ 270 .

(2) جامع البيان ل 237/ أ .

(3) مقاييس اللغة ص 586 (ض ج ع)، ولسان العرب 8/ 219 (ض ج ع).

استعمله: الخليل، ويونسُ بن عبد الأعلى[1]، وإسماعيل بن إسحاق القاضي.

مثال: ذكر الخُوارزميُّ عن الخليل أنَّه يُسَمِّي: **(الإضجاع)** لكلِّ كسرٍ في أوساط الكلم، نحو باء: الإبِل[2].

وقال ابن مجاهد:"وأخبرنا القاضي إسماعيل، عن قالون: [يُؤَدِّهِ إليكَ] و[نُوَلِّهِ] و[نُصْلِهِ]، يُشِمُّ الهاءَ **الإضجاعَ**"[3].

يريد أنَّ قالون يقصِر صلة هاء الضمير، وعبَّر عن كسرِها بـ: (الإضجاع).

2 . المعنى الثاني لـ: (الإضجاع) = الإمالة

استعمله: ابن جمَّاز، وإسماعيل بن جعفر[4]، وخلفُ بن هشام[5]، وابن قتيبة[6]، وابن مجاهد[7].

مثال: قال ابن جمَّاز عن إمالة نحو: [خَابَ] :"كان نافعٌ **يُضْجِعُ** من ذلك كلِّه قولَه تعالى: [خَابَ]"[8].

6 . المصطلح السادس لظاهرة الإمالة: (الإجناح)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الميْل والعُدوان. يقال: جَنَحَ إلى كذا، أي: مال إليه، وسُمِّي الجَناحان جَناحَين لميلهما في الشِّقَّين، والجُناح: الإثم، سُمِّيَ بذلك لميله عن طريق الحَقِّ[9].

استُعمِل **(الإجناح)** بمعنى: الإمالة دون تحديد لنوعها عند الخليل[10]، والمبرِّد[11]، وأبي عليّ الفارسيّ[12]، وابن جنيّ بلفظ: (الجُنوح بالإمالة إلى الياء)[13].

واستَعمَل أبو عليٍّ الفارسيُّ: **(المبالغة في الإجناح)**[14] و **(الإجناح الشَّديد للألف)** [15] للتعبير عن

(1) جامع البيان ل 121/ ب .
(2) مفاتيح العلوم ص 54 .
(3) السبعة ص 209 .
(4) السبعة ص 142 .
(5) السبعة ص 142
(6) تأويل مشكل القرآن ص 59 .
(7) السبعة ص 688 .
(8) السبعة ص 142 .
(9) مقاييس اللُّغة ص 209 (ج ن ح).
(10) نقل ذلك سيبويه عنه في الكتاب 3/ 278.
(11) المقتضب 3/ 49 و 3/ 375.
(12) الحجة 1/ 399.
(13) المحتسب 2/ 36.
(14) الحجة 1/ 406.
(15) الحجة 6/ 229.

الإمالة الكبرى.

7 . المصطلح السابع لظاهرة الإمالة: (الترقيق)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

الألفاظ المستعملة للإمالة الصغرى

استُعمِل للإمالة الصغرى ألفاظ كثيرة، تقدَّم كثيرٌ منها أثناء البحث، وتتعلَّق ألفاظُ هذه الإمالةِ بالفتح ضد الإمالة وبالإمالة الخالصة، فلو كان التعبير عن الإمالة بالكسر، وعن الفتح بالتفخيم الذي هو ضد الإمالة فسيكون التعبير عن الإمالة الصغرى بـ: (بين الكسر والتفخيم)، ولو كان التعبير عن الإمالة الكبرى بالإمالة، وعن الفتح ضد الإمالة بالفتح، فسيكون التعبير عن الإمالة الصغرى بـ: (بين الكسر والفتح)... وهكذا. ولدقة هذه الإمالة كَثُرَتْ ألفاظُها، وكلُّها تدور حول الألف المقلَّلة في شكل رقم (70).

وإليك بعضاً من هذه الألفاظ:

أوَّلاً: . المجموعة التي شارك فيها لفظ: (الفتح) في الإمالة الصغرى:

1 . (**الفتحُ غيرُ المُشبَع**): أوَّلُ لفظٍ استُعمل لهذه المجموعة من خارجة بن مصعب (ت 168 هـ).

2 . (**لا يَفتحُ الرَّاء جداً في القراءة**) 3 . (**المفتوحُ شيئاً**) 4 . (**مفتوحة وسطاً من ذلك**) 5 . (**لا فتح شديد ولا بَطح**) 6 . (**لا مفتوحة ولا مكسورة، وهي إلى الفتح أقرب**) 7 . (**الفتح قليلاً**) 8 . (**لا مفتوحة ولا مكسورة**) 9 . (**يفتحُ ولا يُسرِف**) 10 . (**جزماً مفتوحة الحاء قليلاً**) 11 . (**لا مفتوحة ولا مكسورة وسطاً من ذلك**) 12 . (**لا يَفتحُ ولا يُميلُ، بل وسطاً من ذلك**) 13 . (**الفتح اللَّطيف بإشارةٍ إلى الكسر**) 14 . (**الفتح المتوسِّط**)

واللَّفظُ الأخيرُ: (الفتح المتوسِّط) من المشترك اللَّفظيّ استعمله الدانيُّ على أنَّه الفتح ضدّ الإمالة، كما تقدَّم في الفتح الذي يستعمِله القراء.

ملاحظة: تقدَّمت هذه الألفاظ جميعاً مع أصحابها في مصطلح: (الفتح).

ثانياً: المجموعة التي شارك فيها لفظ: (التفخيم) في الإمالة الصغرى:

1 . (**بين الكسر والتفخيم**) أوَّلُ لفظٍ استُعمل لهذه المجموعة من سُلَيم بن عيسى (ت 188 هـ).

2 . (**بين التفخيم والتضجيع**) 3 . (**إلى التفخيم أقرب**) 4 . (**بين الإمالة والتفخيم**) 5 . (**إشمامُ الخَفض الذي هو أقربُ إلى التفخيم**) 6 . (**التوسُّط بين الإمالة والتفخيم**) 7 . (**لا يُبالِغُ في تفخيمها**)

ملاحظة: تقدَّمت هذه الألفاظ مع أصحابها في مصطلح: (التفخيم).

ثالثاً: المجموعة التي شاركَ فيها لفظ: (الإشمام) في الإمالة الصغرى

1 . (**إشمام الكسر**) أوَّلُ لفظٍ استُعمل لهذه المجموعة من سُلَيم بن عيسى (ت 188 هـ).

2 . (**إشمام الإضجاع**) 3 . (**إشمامُ الكسر قليلاً**) 4 . (**إشمام الإمالة**) 5 . (**إشمام الخفضِ الذي هو أقربُ إلى التفخيم**) 6 . (**إشمام شيئ من الكسر**).

ملاحظة: الكسرُ والخفضُ والإضجاعُ هنا بمعنى الإمالة الكبرى.

رابعاً: المجموعة التي شاركَت فيها ألفاظ: (اللَّطافة) في الإمالة الصغرى

1 . (**الكَسْر اللَّطيف**) أوَّلُ لفظٍ استُعمل لهذه المجموعة من قُتيبة بن مِهران (ت 205 هـ)

2 . (**التَلْطِيفُ**) 3 . (**اللَّطَافَةُ**) 4 . (**الفتح اللَّطيف بإشارَةٍ إلى الكسر**) 5 . (**الإمالة اللَّطيفة**) 6 . (**الكسر اللَّطيف من غير إفراطٍ**) 7 . (**الإمالة اليسيرة اللَّطيفة**) 8 . (**الإمالة قليلاً لَطيفاً**) 9 . (**الإمالة اللَّطيفة بينَ بينَ**) 10 . (**الإلطاف**) 11 . (**المُلَطَّفات**)

ملاحظة: تقدَّمت هذه الألفاظ جميعاً مع أصحابها في مصطلح: (اللُّطف).

خامساً: المجموعة التي شاركَ فيها لفظ: (الإمالة) في الإمالة الصغرى

1 . (**إمالة بين بين من غير إشباع**) أوَّلُ لفظٍ استُعمل لهذه المجموعة من نُصَير بن يوسف (ت 240 هـ).

2 . (**الإمالة قليلاً**) 3 . (**الإمالة بين بين**) 4 . (**الإمالة اللَّطيفة**) 5 . (**الإمالة إشماماً**) 6 . (**الإمالة الوَسَط من غير إسراف**) 7 . (**الإمالة المتوسِّطة**) 8 . (**إمالة الفتحة قليلاً بين اللَّفظَين**) 9 . (**الإمالة اليسيرة**) 10 . (**إمالة الفتحة يسيراً بين بين**) 11 . (**الإمالة الصغرى**)

ملاحظة: تقدَّمت هذه الألفاظ جميعاً مع أصحابها في مصطلح: (الإمالة).

سادساً: ألفاظٌ اخرى مستعملة للإمالة الصُّغرى:

1 . (الكسر)

تقدَّم في مصطلح: (الكسر).

2 . (كما يخرج من الفم فيما بين ذلك وسطاً من اللَّفظ)

عبَّر أصحابُ نافعٍ، وأصحابُ ورشٍ عن الإمالة الصُّغرى بهذه الجملة: (كَمَا يَخْرَجُ من الفَم فيما بَينَ ذلِكَ وسَطاً من اللَّفظ).

استَعمَل ذلك منهم: داودُ بن أبي طيبة، وأبو الأزهر عبد الصَّمد بن عبد الرَّحمن، وأبو يعقوب الأزرق[1].

ومعنى قولِهم: (كما يَخرُجُ من الفم): أي بخِلْقَةِ الحرفِ المِمَال المدِّية الطبيعيَّة من غير زيادة أو نقصٍ، ويؤيِّدُ ذلك تعريف أبي مَعْشَرٍ الطبريّ للتمكِين، وهو المدُّ الطبيعيّ في إحدى دلالاته، قال:"ومعنى التَّمكِين: كما يَخْرُجُ من الفم على حسبِ صَوْت القارئ"[2].

وفسَّر الدانيُّ الجزءَ الثاني من العبارةِ، أعني قولَهم: (فيما بين ذلك وسَطاً من اللَّفظ)، أنَّهم يقصِدون به الإمالةَ الصُّغرى، ونبَّه على أنَّ هذا التعبيرَ وإن كان واحداً بين تلامذةِ نافع ـ ممَّن وافق ورشاً في الإمالة ـ وتلامذةِ ورشٍ، فإنَّ أداءهُم ليس واحداً، فتلامذةُ نافعٍ يُميلون إمالةً صُغرى إلا أنَّها إلى الفَتْحِ أقْرَبُ، وتلامذةُ ورشٍ يُميلون إمالةً صُغرى إلا أنَّها إلى الإمالة الكُبرى أقْرَبُ.

قال الدانيُّ:"ومَعنَى قَولِ أصحابِ وَرْشٍ عنه عن نافعٍ في هذا الضَّرْبِ وفي غَيرِهِ من المِمَال: (فيما بَين ذلك وَسَطاً من اللَّفْظ)، أي: فيما بَيْنَ الفَتْحِ الذي يَستَعْمِلُهُ ابنُ كَثيرٍ وعَاصِمٍ وبين الإمالة التي يَستَعْمِلُهَا حمزةُ والكسائيُّ إلا أنه إلى الإمالةِ أقرَبُ .

ومعنى قَولِ مَن وَافَقَ وَرْشاً مِن أصحابِ نافعٍ على تلك العبارة: فِيما بَين ذلكَ الفَتحِ وبَينَ تلكَ الإمَالةِ إلا أنه إلى الفتحِ أقربُ"[3].

ولتوضيحِ ذلك يُنظَرُ إلى الضِّلْع الواصِلِ بين الألف والياء في مثلَّث الفارابيّ للمصوّتات شكل رقم (69)، يمكن اعتبار النقطة القريبة من الألف المديَّة هي ألف الإمالة الصُّغرى التي هي إلى الفتح أقرب، ويمكن اعتبار النقطة التي قبلها ألف الإمالة الصغرى التي هي إلى الإمالة الكبرى أقرب.

3 . (الاختلاس)

تقدَّم في: (الاختلاس).

4 . (بين اللَّفظين)

تقدَّم في الألفاظ المستعملة لظاهرة الترقيق.

5 . (التَّقْلِيل):

(1) نقل الدانيُّ هذا التعبير عنهم في المطبوع من جامع البيان 3/ 764 – 765 ، والمخطوط منه ل 130/ أ ، و 147/ أ، و 188/ أ ، و 200/ أ. والذين ذُكِروا في النصّ هم أصحابُ ورش، أمَّا أصحاب نافع فقد ذكرهم الدانيُّ في جامع البيان 3/ 802 ، لكنِّي أهملتُ ذكرَهم لعدم تصريحهم بهذا التعبير، والله الموفِّق .

(2) التلخيص ص165 . وانظر: التبصرة لمكّيّ ص60 و64 .

(3) المطبوع من جامع البيان 3/ 765 .

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على نزارةِ الشيء. قلَّ الشيءُ يَقِلُّ قِلَّةً فهو قليل. وقَلَّلَه وأقلَّه: جعَلَه قليلاً[1].

استعمله الشاطبيُّ في منظومته.

قال عن مذهب ورش في ذوات الياء إذا كانت رأس آية:

وَلكِن رُؤُوسُ الآيِ قَدْ **قَلَّ** فَتحُها لَه غَيْرَ ما (هَا) فِيهِ فَاحْضُرْ مُكَمَّلا

يعني بـ: (قلَّ فتحُها) يعني أُميلَتْ إمالةً صُغرى.

وقال عن مذاهب القراء في نحو: [الأبْرَار] المكسورة:

وَإِضْجَاعُ ذِي رَاءَيْنِ حَجَّ رُوَاتُهُ كَالابْرَارِ **وَالتَّقْلِيلُ** جَادَلَ فَيْصَلا[2]

فذكرُه لـ: (التقليل) مقابل (الإضجاع) هو الذي ميَّز هذا اللَّفظ، وخصَّه بالإمالة الصغرى.

الألفاظ المستعملة للإمالة الكبرى

ذكَرتُ من قبل أن ألفاظ الإمالة إذا أُطلِقت فإنَّها في الغالب تنصرفُ إلى الإمالة الكبرى، وبعضُها يَكشفه السِّياق، أو مذهبُ القارئ العامّ. غير أنَّ بعضَ العلماء أراد أن يُخصِّص تلك الألفاظ العامَّة حتى لا تَنصَرِفَ إذا أوردها إلاَّ إلى الإمالةِ الكبرى، فمن هذه الألفاظ:

1 . **(الألف التي تُمال إمالة شديدة)**: سيبويه[3].

2 . **(الكسر الشديد)** 3 . **(الكسر بين الكسرين)**

تقدَّما في مصطلح: (الكسر).

4 . **(الإمالة إلى الكسر)** 5 . **(إمالة الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة)** 6 . **(الإمالة المحضة)** 7 . **(الإمالة الشديدة)** 8 . **(الإمالة الخالِصَة)** 9 . **(إخلاص الإمالة)** 10 . **(الإمالة المُشبعة)** 11 . **(الإمالة الكبرى)**

ملاحظة: تقدَّمت هذه الألفاظ جميعاً مع أصحابها في مصطلح: (الإمالة).

12 . **(الإشباع)**

تقدَّم في مصطلح: (الإشباع).

13 . **(إشمام الإضجاع)**

(1) مقاييس اللغة ص 823 (ق ل ل)، ولسان العرب 11/ 563 (ق ل ل).

(2) الشاطبية ص 26 – 27 .

(3) الكتاب 4/ 432 .

تقدَّم في: (الإشمام).

14 . **(الإجناح الشديد)**، 15 . **(المبالغة في الإجناح)**

تقدَّما في مصطلح: (الإجناح).

وكلُّ هذه الألفاظ إنَّما تُعبِّر عن الألف الممالة التي عبَّر عنها نُطق القراء الخمسة في الدائرة السماوية اللَّون في شكل رقم (70).

الألفاظ المستعملة لإمالة الياء إلى الواو أو إشمام الكسرة الضمَّة

ويُعرَف ذلك عند القرَّاء بالإشمام نحو: (قيل).

1 . **(الضمّ)** 2 . **(الرَّفع)** 3 . **(الإمالة)** 4 . **(الإشراب)** 5 . **(الإشمام)** 6 . **(الانتحاء، النَّحو)**

شاركتْ هذه الألفاظ في التعبير عنها، وتقدَّمتْ جميعاً.

الألفاظ المستعملة لإمالة الألف إلى الواو

1 . **(الرَّفع)** 2 . **(الضمّ)** 3 . **(الإمالة)** 4 . **(الإشراب)** 5 . **(الإشمام)** 6 . **(الانتحاء، النَّحو)** 7. **(الإيماء)** 8 . **(المخالَطة)**

شاركتْ هذه الألفاظ العامة في التعبير عنها، وتقدَّمتْ جميعاً. أمَّا الألفاظ الخاصة فهي:

9 . **(ألف التفخيم)** 8 . **(الألف المفخَّمة)**

من المشترك اللَّفظيّ. تقدَّما في: (التفخيم).

10 . **(الفتح الشديد)** 11 . **(الفتحُ الجافي)**

تقدَّما في (الفتح).

12 . **(التفخيم الشديد)**

تقدَّم في: (التفخيم).

وهذه الإمالة المتجهة نحو الواو لا يقرأ بها القراء المعاصرون، ولم يجرِ تمثيلُها على المرسم الطيفيّ، لكنِّي أرجِّحُ أن تكون بين الألف المفخَّمة والواو المدية في شكل رقم (70) .

نتائج الفصل الرابع:

1 . عرَض هذا الفصل لكثيرٍ من ظواهر التخفيف وتحقيق الانسجام، وخاصة فيما يتعلَّق بالحروف

الذائبة.

2 . جمع هذا الفصل عدَّة ظواهر كبيرة . كالإمالة وإشمام الحركات . في ظاهرةٍ واحدة هي التقريب بين المصوّتات.

3 . بيَّن هذا الفصل التعبيرات الدقيقة التي يَستعملُها القرَّاءُ لتبيين كيفيَّة الأداء، كمثل تعبيرات الإمالة الصُّغرى.

4 . هذا الفصلُ هو واقعٌ فعليٌّ للألفاظ المستعملة لدى طوائف العلماء على اختلاف مشاربهم المعرفيَّة.

5 . كشف هذا الفصل أنَّ ألفاظ التقريب بين الأصوات تتسع دلالاتها لتشمل ظواهر صوتية كبيرة كمصطلح الإشمام .

6 . بيَّن هذا الفصل المساحة الواسعة التي يستعملها العلماء في الألفاظ الصوتية وكيف أنَّها مهما دارَت وتنوَّعت فهي تَرجِع إلى معانيها اللُّغوية الأولى.

7 . كَشفَ هذا الفصل عن ألفاظٍ مجهولةٍ لدى كثيرٍ من الدارسين، أعني الألفاظَ المستعملة عند القرَّاء.

8 . حاول هذا الفصل أن يحلَّ إشكالات أدائية عند القرَّاء كإخفاء ذات النون والميم عند الباء.

الفصل الخامس

العيوب الصوتية والنطقية والاحترازات عنها

الفصل الخامس: العيوب الصوتية والنطقية والاحترازات عنها

عيوب النطق وأمراض الكلام

التطوُّر اللُّغويُّ ناموسٌ من نواميس الحياة يُصيبُ اللُّغاتِ جميعاً، وذلك للأسباب التي ذكَرتُها في أوَّل الدِّراسةِ، لكنْ هناك من التطوُّرات اللُّغويَّة الفرديَّة ما تأباه الجماعةُ اللُّغوية، ويعدُّونَه من الانحرافات النُّطقيَّة، وهذه الانحرافات إمَّا أن تكون عيوباً في أصل الخِلْقَة كالتأتأة والفأفأة واللُّثغة، أو للعُجمة أو للمخالطةِ بغير أبناء اللُّغة أو غير ذلك من الأسباب.

وكانت العربُ تَخْشى اللَّحْنَ والخطأَ في كلامِها، وقد رُوِيتْ في ذلك رواياتٌ تَزخَرُ بها كتبُ البلاغة كالبيان والتبيين للجاحظ، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرِّد، وغيرها.

وجاء وصفُ عيوبِ النُّطقِ في ثنايا كتب المعاجم، فقد ذكَر الخليلُ كثيراً من الألفاظ التي استعملتها العرب تعبيراً عن العيوب النُّطقيَّة، وجاء ذلك في ثنايا كلام سيبويه، ويُعدُّ الجاحظُ أوَّلَ من أفرَد لها فصولاً في كتابِه العظيم البيان والتبيين ثمَّ تبعه المبرِّدُ في كتابه الكامل، ومن الرَّسائل المتخصِّصة التي ألَّفها المتقدِّمون في عيوب النُّطق رسالة الكندي في اللُّثغة، وكتاب: بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القرَّاء لابن البنَّاء، وقد نقَل فيه بعضَ العيوب التي تصيب اللِّسان وبعض علاجاتها تحت باب: (وصف العوارض باللِّسان والحيلة في إذهاب بعضها من الإنسان)، ولا يزال المجال مفسوحاً للكشفِ عن مَزِيدٍ من الرَّسائل والكتب التي تحدَّثت عن هذا الجانب.

مقارنة بين مفهوم المتقدِّمين والمعاصرين في العيوب النُّطقية والأمراض الكلاميَّة[1]:

يبدأ معظمُ الأطفال النُّطقَ بكلمات قصيرة عندما يقتربون من عامهم الأول، وقد يتأخَّر بعضهم بضعة شهور على الرغم من كونهم طبيعيِّين، ويعود هذا إلى الفروق الفرديَّة في مختلف أنواع النموِّ والتطور، وإلى طبيعة شخصيَّة الطفل في أثناء تطوّره، وإلى العوامل البيئية والوراثية التي قد تؤثِّر على هذه المقدِرات.

ويتطوَّر النطقُ لدى الأطفال في الفترة 2 – 4 سنوات من العمُر؛ إذ إنه في هذه الفترة يَستعمل مفرداتِه المتطوِّرة بسرعة ليتفاعل مع البيئة المحيطة به، ومع هذا فإن سرعة اكتساب الطفل للمفردات لا تتناسب مع قدراته العقلية المتطوِّرة وقدرتِه على الفهم؛ مما ينتجُ عن هذا تلكؤ الطفل وحدوثُ التأتأة.

إن التأتأة وعدمَ الاسترسال في الكلام تُعتبر من الخصائص الطبيعيَّة للتطوّر اللُّغوي أحياناً، إذا لم تَزدد

(1) الأفكارُ الرئيسة لهذه النقطة ملخَّصةٌ من مقالة بعنوان (مشاكل النطق وعلاجها عند المسلمين وبعض مصطلحات عيوب النطق) للدكتور محمود الحاج قاسم محمد في المجلة الثقافية الصادرة عن الجامعة الأردنية، عدد (41)، شهر ذو الحجة 1417 هـ – ربيع الأول 1418 هـ (ص 411 - 415).

شدتُها، وتبقى الفرصةُ أمام الطفل متاحةً للتخلُّص منها لغاية عمر سبع سنوات.

أشار الجاحِظُ إلى هذا الذي يَحْصُلُ للطِّفل بقولِه:"والذي يَعْتَرِي اللِّسَانَ مِمَّا يَمْنَعُ من البَيَانِ أمورٌ:

منها: اللُّثْغَةُ التي تَعْتَرِي الصِّبْيَانَ إلى أن يَنْشَؤُوا، وهُو خِلافُ ما يَعْتَرِي الشيخَ الهَرِمَ المِاجَّ، المِسْتَرْخِي الحَنَك، المرتَفِعَ اللِّثَة، وخِلافُ ما يَعتَرِي أصحابَ اللَّكَنِ من العَجَم، ومَن يَنشَأُ من العرَب معَ العَجَم"[1].

وكذلك أشار الكنديُّ إلى لثغة الطِّفلِ كاشِفاً عن الغرضِ من تأليف رسالته، قال:"اعلم يا أخي ـ فدَتكَ نفسي ـ أنَّ اللُّثغةَ تَظهَرُ في لغة العربِ في عشرةِ أحرفٍ للمُسِنّين، والأصاغرِ في أكثر من ذلك في المنطقِ. ولقد عَسُرَ على الشُّيوخ أن يَعْلَموا ما اللُّثغة ؟ وما العلَّةُ في الطِّفل أنَّه إذا قلتَ بين يدَيه مرَّةً ومرَّتَين خبراً حَكَى قولَكَ في ذلك وهو لا يَعلَمُ أين يَنبغي له أن يَضَعَ لِسانَه من الأماكنِ الواجبةِ للنُّطق؟... وقد لَخَّصْنا في ذلك قدرَ الطاقة، والعلَّةَ التي حَدَتنا إلى ذلك ليُعرَفَ حقيقة ما قَصَدنا مِن ذلك، ويعودَ عِلْمُه على السَّامعِ له"[2].

وأرجَع أبو بكرٍ الرازيُّ لثغةَ الطِّفلِ إلى صغَر اللِّسان، قال عن اللِّسان:"والصَّغيرُ يكون ألثغَ؛ لأنَّه يقصر بالحروف، كالذي يَعْرِضُ للصبيان عند قِصَرِ ألسنتهم كالأَلْثغ، فإذا كبِروا فصحوا ذهَبت اللُّثغة"[3].

أما اضطرابات الكلام أعني: عيوبَ النُّطق التي يَقصدُها علماءُ النفس وأطباءُ الأطفال فإنها اضطراباتٌ طويلةُ المدى في إنتاج الكلام المتَّزن المعتاد. وهناك نظريات تفسِّر أسباب هذه الظاهرة يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: أسبابٌ وِرَاثية من أحد الأبوَين، أو الأجداد عن طريق المورِّثات الجينيَّة في الكروموسومات.

ثانياً: أسبابٌ أو عواملُ عضوية، وتُجْمَل في:

1 ـ عيوبٌ في أعضاءِ الاستقبال (الجهاز السمعيّ)، والأعضاءِ الطرَفية للإنتاج (الجهاز الكلامي)، ويُضمِّنون في هذه الفئة من الاضطرابات: اللجلجةَ، واللَّعثمة، واضطراباتِ القراءة.

2 ـ الإصابات والأعطاب المخِّية ذات البؤَرِ المحدودة أو المنتشرة. ويَقَع ضمن هذه الفئةِ: المتخلِّفون عقلياً؛ إما لأسباب دماغيَّة، أو نتيجة نقصٍ في إفراز بعض الغدد الهرمونيَّة، كنقص الغدَّة الدَّرقية مثلاً.

ثالثاً: أسباب وظيفية، وهذا يَعني أن قدرة الفرد على التعبير تتأثَّر بعوامل غيرِ عضوية، مثل بعض المرضى النفسيِّين، وخصوصاً مرضى الفِصام.

(1) البيان والتبيين 1/ 51 - 52 .

(2) رسالة في اللُّثغة ص 528 .

(3) الحاوي في الطب 3/ 208 .

وقد اهتمَّ أطبَّاءُ العرب بالعوامل العضويَّة، وكيفية مداواتها العلاجية، فعيوب الكلام عندهم تحدث نتيجة:

1 ـ آفةٍ نَالَتِ الدِّماغ، وتَرجع إلى: وَرَمِ الدِّماغِ، كالسِّرسام (التهاب الدِّماغ).

2 ـ أمراضِ اللِّسان: وتَرجع إلى تشنُّج عصَبه، أو خللٍ في أصل الخِلْقة، أو نتيجةِ ضربةٍ أو سقطةٍ أدَّت إلى تضرُّر أو قَطع عصَب اللِّسان. وربَّما تَرجِعُ إلى أمراضِ اللِّسان، كأورام أو قروحٍ فيه، أو استرخاء أو تشنُّج في عضلته، أو قِصَر الوتَرة التي تحته، أو تشوُّهه كعِظَمه أو قِصَره[1].

ومن النُّصوصِ النادرة التي تدلُّ على تشخيصِ أمراضِ اللِّسان ما ذكَره الطبيبُ المجوسيُّ مخاطباً الطبيبَ المتمرِّنَ، قال:"ثمَّ تَنْظُرُ من بعد ذلك إلى لِسانه وتَستَنطِقُهُ لتَعرِف بذلك كلامَهُ وفصاحتَه، فإن كان كلامُه بلُثغةٍ أو ثِقَلٍ أو ليس يُبَيِّنُ كلامَهُ جيداً، فينبغي أن يُنظَرَ لعلَّ ذلك من قِبَلِ صِغَر السِّنّ، وإن لم يكُن ذلك فإنَّه يدلُّ على غِلَظِ اللِّسان وإمَّا على قِصَرِه، وإما على أنَّ جزءاً منه قد انقَطَع، أو لآفةٍ قد عرَضَتْ للعصَب... وتفَقَّدْ أيضاً اللِّسانَ لعلَّكَ تَجِدُ فيه آثارَ قروحٍ قد اندَمَلَتْ، فإن كان ذلك فاسألْ صاحبَه عن السَّببِ فيه؛ هل كان قرحةٌ عرَضتْ في لسانِه، أو ورمٌ انفَجَر واندَمَل؟ فإن قال: إنَّ ذلك كذلك، وإلاَّ (فاختَبر) ظَنَّك به لعلَّ ذلك من قِبَلِ صَرَعٍ، فإنَّ الإنسانَ إذا صُرِعَ ربَّما عَضَّ لِسانَهُ فجَرَحَه، فينبغي أن يُبحَثَ عن ذلك"[2].

4 ـ أمراض اللَّهاة، وقطعها نتيجة إصابتها بحادثة أو جراحة. فمِن ذلك ما ذكَرهُ الزَّهراويُّ أن من أسباب الإضرار بالصَّوت قطعُ اللَّهاة، والطبُّ المعاصر لا يُعطي أيَّ دَوْرٍ للَّهاةِ في عمليةِ الإضرارِ بالصوت، قال:"وكذلك قَطْعُ اللَّهاة هو مرضٌ من نُقصانِ عددٍ، ويكونُ سبباً لآفةٍ تَدخُلُ على الصَّوت"[3].

5 ـ أمراضِ الحَنجرة، وترجِع إلى: آفةٍ تَحدُث في عضَل الحنجرة، كابتلالها عقب النزلات، أو لورمٍ فيها، أو عَقِب الصياح، أو آفةٍ تحلُّ بالعصَب، نتيجةَ جراحةٍ، أو لضربةٍ وسقطةٍ عليها[4].

6 ـ أمراضِ الجهاز التنفُّسيّ، لعلَّة في عضَل التنفُّس، أو الرِّئة وقصَبتها[5].

7 ـ أمراضِ الأسنان، كقَلْعِ الأضراس، أو انكسار الثنايا، قال الجاحظ عن نُطقِ الأهتَم، وهو الذي انكسرَتْ ثناياه من أصولِها:"وليس شيءٌ مِن الحروفِ أَدْخَلَ في باب النَّقْصِ والعَجْزِ مِن فَمِ الأَهْتَمِ مِنَ الفَاءِ

(1) انظر: رسالة في اللُّثغة للكنديّ ص 531.
(2) كامل الصناعة الطبية 1/ 46 .
(3) التصريف لمن عجَز عن التأليف 1/ 25.
(4) الحاوي للرازي 3/ 170 .
(5) الحاوي في الطب للرازي 3/ 170 .

والسِّين إذا كانا في وسط الكلمة"[1].

ومِن ذلك ما ذكَرهُ الزَّهراويُّ أن من أسباب الإضرار بالكلام قلعُ الضِّرْس، وسنَّ في ذلك قانوناً، **وهو أنَّ الأعضاء قد تشترك في العلل بعضها ببعض**، قال:"وقد تشتركُ الأعضاءُ في العِلَلِ بعضِها ببعضٍ... والضِّرسُ المقلوعةُ هو مرضُ نقصانِ عدد، ويكونُ سبباً لآفةٍ تَحدث على الكلام" [2].

وقد عَزَا الكنديُّ الأمراض الكلامية إلى ثلاثة أسباب:

1 . "تكون لقُوَى النَّفْس الناطِقة[3] فيَزولُ عن الحالِ الجاري المجرى الطبيعيّ.

2 . تكون لضعف النَّفس الناطقة، فلا تَقْدِرُ أن تُحرِّك العضَل تحريكاً شديداً فيَفسدَ لذلك النُّطق.

3 . إما لزيادة آلة النُّطق وإما لنُقصانها[4].

أما الموسيقيُّون من المتقدِّمين فقد اهتمُّوا بعيوب الحَنجَرَة والحُلُوق والنَّفَس لتأثيرها المباشر على الصَّوت وصنعةِ الغِناءِ.

وأما علماء اللُّغة والبلاغة والتجويد والقراءات، فقد اهتمُّوا بوصف عيوب الجهاز السَّمعيّ والكلاميّ، سواءُ أكانت عيوباً خَلقيَّة، أو مكتسَبة، أو خارجةً على الخطِّ الأدائيّ الذي كانت تتكلَّم به العربُ وقت نزول القرآن، وقد اهتموا . وخاصةً المجوِّدون منهم . بالتمرينات والتدريبات النُّطقية التي تساعِد على تصحيح الكلام.

وفي هذا الجانبِ بيَّن العسكريُّ أنَّ إلْفَ الآذان للخطأ والعيبِ اللُّغويّ هو الذي يَجعلُه مقبولاً مستساغاً، فنحن نفهم كلام الأعاجم إذا تحدَّثوا العربيَّة لإلف آذاننا على الخطأ، أمَّا العرب الأوائل فلا يكادون يَفهمون ذلك، قال العسكريُّ معلِّقاً على قول العتَّابيّ (كلُّ مَن أفهَمَك حاجتَك فهو بليغٌ):"ولو حمَلْنا هذا الكلام على ظاهرِه للَزِمَ أن يكون الأَلْكَنُ بليغاً؛ لأنَّه يُفهِمُنا حاجتَهُ، بل يَلْزَمُ أن يكونَ كلُّ الناس بُلَغَاءَ حتى الأطفال؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ لا يَعْدَمُ أن يَدُلَّ على غَرَضِه بعُجْمَتِه أو لُكْنتِه، أو إيمائه، أو إشارتِه، بل لَزِم أن يكون السِّنَّورُ بليغاً؛ لأنَّا نستدِلُّ بضُغائه على كثيرٍ من إرادته، وهذا ظاهرُ الإحالة.

ونحنُ نَفْهَمُ رَطَانةَ السُّوقيّ، ومَجْمَجةَ الأعجميّ للعادةِ التي جَرَتْ لنا في سماعِها، لا لأنَّ تلك بلاغة؛ ألا ترى أنَّ الأعرابيَّ إن سَمِع ذلك لم يَفْهَمْهُ، إذ لا عادةَ له بسماعِه"[5].

(1) البيان والتبيين 1/ 47 .

(2) التصريف لمن عجَز عن التأليف 1/ 25.

(3) النَّفسُ الناطِقة عند المناطقة: هي الجَوهرُ المجرَّدُ عن المادَّة في ذواتِها مقارنةً لها في أفعالها. (التعريفات ص 244).

(4) رسالة في اللُّثغة ص 531 .

(5) الصناعتين ص 20 .

ولا شكَّ أنَّ هذا الجانب من العيوب النُّطقية الخَلْقية والمكتسبة قد أفرَزَ عدداً كبيراً من المصطلحات والألفاظ والتعبيرات التي تَستَحقُّ الدِّراسة والبحث.

الألفاظ العامَّة التي تدلُّ على الخطأ والعيب في الكلام

استعمل المتقدِّمون عدَّة ألفاظ للتعبير عن الخطأ والعَيب، منها: 1 ـ (اللَّحن) 2 ـ (الحَضْرَمة)

المصطلح الأوَّل للخطأ والعيوب: (اللَّحن)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على شيئَين: أحدهما: إمالة شيءٍ من جهته، ويدلُّ الآخَرُ على الفطنةِ وذكاء.

فمن الأوَّل: إمالةُ الكلامِ عن جهته الصَّحيحة في العربية: يقال: لَحَن لَحْناً. ومنه قولهم: طيِّبُ اللَّحْنِ، وهو يَقرأ بالألحانِ، وذلك أنَّه إذا قرأ كذلك أزال الشيءَ عن جهتِه الصحيحةِ بالزِّيادة والنُّقصانِ في ترنُّمِه. ومنه أيضاً: فَحْوى الكلامِ ومعناه، قال الله تعالى:[وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ الْقَوْلِ]. وهذا هو الكلامُ المورَّى به، المزالُ عن جهة الاستقامةِ والظُّهور. ولحَنتُ بلَحنِ فلانٍ: تكلَّمتُ بلغتِه. ولَحَنتَ له لحْناً: قلتُ له قولاً فَهِمَهُ عنِّي وخَفِيَ على غَيره من القَوم.

والأصلُ الآخَرُ: اللَّحَنُ، وهي الفِطنة، يقالُ: لَحِنَ يَلْحَنُ لَحَناً، وهو لَحِنٌ ولاحِن، وفي الحديث: "لعلَّ بعضَكم أن يكون ألْحَنَ بحُجَّتِه من بعض"[1].

استُعمِل: (اللَّحنُ) في أكثر من معنى، منها:

1 ـ الخطأ ومجانبة الصَّواب ثمَّ توسَّع عند علماء التجويد لينقسم إلى جليٍّ وهو خطأ الإعراب، وخفيٍّ وهو الخطأ التجويديّ.

2 ـ تصحيحُ الكلام وتعلُّم العربية.

3 ـ الألحان في الموسيقى، وشاركِه: (الألحان والتلْحين).

1 ـ المعنى الأوَّل لـ: (اللَّحْنُ) = الخطأ ومجانبة الصَّواب في الإعراب والأداء:

بدأتْ إرهاصاتُ هذا المصطلح باستعمال الصَّحابةِ ψ لهذا المصطلح، فمنهم: أبو بكر الصدِّيق، وعثمانُ ابنُ عفَّان[2]، وأبو الدَّرداء.

(1) مقاييس اللغة (ل ح ن) ص 916 والمصباح المنير ص 551 .

(2) انظر: تأويل مشكل القرآن ص 50 .

قال أبو بكر الصدِّيق:"لأن أقرأ وأسقِطَ أحبُّ إليَّ من أن أقرأ **وأَلْحَن**"(1).

وروى أبو الدَّرداء في حديثه عن النبيّ ρ أنَّه سَمِع رجلاً قرأ **فلَحَن**، فقال:"أرشِدوا أخاكم"(2).

وجرى العلماء على هذا الاستعمال(3)، ثمَّ اتسع هذا المصطلح بمجيءِ ابن مجاهدٍ، فكان أوَّلَ مَن قسَّم اللَّحْنَ في أداء القرآن الكريم إلى جليٍّ وخفيٍّ، قال:"اللَّحنُ في القرآن لحنان: جليٌّ وخفيٌّ، فالجليُّ: لحنُ الإعراب، والخفيُّ: تركُ إعطاء الحرفِ حقَّه من تجويد لفظِه"(4).

فالخطأُ التجويديُّ هو خَطَأٌ صوتيٌّ ليس له في الغالب تأثيرٌ على المعنى، أمَّا الخطأُ الإعرابيُّ فهو خطأٌ وظيفيٌّ يؤثِّر على المعنى.

وتبِعَ ابنَ مجاهدٍ في هذا التقسيم كثيرٌ مِن علماء التجويد، منهم: السعيديُّ(5)، والدانيُّ(6)، وعبد الوهَّاب القرطبيُّ(7)، وأبو العلاء الهمذانيُّ(8) وغيرهم. بل إنَّ منهم مَن كان منهجُ كتابه قائماً على فكرةِ معالجةِ اللَّحن الخفيّ كالقرطبيّ.

وقد عالجَ الدكتور غانم قدُّوري الحمد هذا المصطلح بشكلٍ مُسهَب وبهذا الاعتبار عند علماء التجويد، فليُراجع ثمَّه(9).

2 . المعنى الثاني لـ: (اللَّحْنُ) = تصحيحُ الكلام وتعلُّم العربية:

من استعمالات الصَّحابةِ أيضاً، منهم: أبيُّ بن كعبٍ، وعمرُ بن الخطاب، وعبد الله بن عباس ψ أجمعين.

قال أبيُّ τ:"تَعَلَّموا **اللَّحْنَ** في القرآن كما تَعَلَّمُونَه"(10).

ورُوِيَ عن عمرَ بن الخطَّاب τ أنَّه قال:"تَعَلَّموا السُّنَنَ والفرائضَ **واللَّحْنَ** كما تَعَلَّمون القرآن"(11).

(1) نقله أبو العلاء الهمذانيّ في التمهيد ص 202 .

(2) نقله أبو العلاء الهمذانيّ في التمهيد ص 196 – 197 .

(3) منهم الفرَّاء في معاني القرآن 2/ 302 ، والأخفش في معاني القرآن 2/ 599، والمبرد في المقتضب 2/ 132 والزجاج في معاني القرآن وإعرابه 2/ 335.

(4) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في التحديد ص 116 .

(5) التنبيه على اللحن الجلي والخفيّ ص 1 .

(6) التحديد ص 116 .

(7) الموضح ص 57 .

(8) التمهيد ص 237 .

(9) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 50 وما بعدها.

(10) انظر: إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 15، والتمهيد للهمذانيّ ص 206 .

(11) انظر: إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 15، والتمهيد للهمذانيّ ص 203 .

وقال أبو العالية الرياحيُّ: كان ابن عباسٍ ت يأخُذُ بيدي ونحنُ نَطوفُ حول البيتِ، فيُعلِّمُني **لحنَ الكلام**"[1].

كلُّ هذه النصوص شكَّلتْ بداياتٍ ومقدِّمات لظهور علم النحو، وأرى أنَّ التأريخ له يبدأ من عندها.

3 . المعنى الثالث لـ: (اللَّحْنُ، الألحان، التلْحين) = الألحان في الموسيقى:

قال الخليلُ:" واللَّحْنُ والألحانُ: الضُّروبُ منَ الأصواتِ الموضوعة"[2].

و(**التلحينُ**) ذكَر عبد الوهَّاب القرطبيُّ أنَّها من الخمسةِ التي نَهَى أئمَّةُ القراءةِ عن الإقراء بها، وهي: **الترعيدُ، والترقيصُ، والتطريبُ، والتلحينُ، والتحزين**، إذ ليس فيها أثرٌ ولا نقلٌ عن أحدٍ مِنَ السَّلَف ψ بل ورَد عن بَعْضِهِم أنَّه كَرِه القراءةَ بذلك[3].

وعرَّف القرطبيُّ أسلوب القراءة **بالتلحين** فقال:"وأمَّا **التلْحينُ**، فهو الأصواتُ المعروفةُ عند مَن يُغَنِّي بالقصائدِ وإنشادِ الشِّعر، وهي من ثمانية ألحانٍ، وقد أتى القرآن بتاسعٍ، وليس هو في موضعِ أصواتهم، والذي يُلَحِّنُ إذا أتى باللَّحْنِ لا يَخرج منه إلى سواه"[4].

ومَرْجع هذا إلى علم الموسيقى، وأوردتُه لأنَّه غدا مصطلحاً موسيقياً يُطلَقُ على بابٍ من أبواب الموسيقى، وله أنواعٌ وتقسيمات[5].

2 . المصطلح الثاني للخطأ والعيوب: (الحَضْرَمةُ)

قال الأصمعيُّ:"**حَضْرَمَ** في كلامِه **حَضْرَمةً**: إذا لَحَن وخالَف الإعراب"[6].

وقال ابن دُرَيد:"**والحَضْرَمةُ**: اللَّحنُ في الكلام وإفسادُه، كلامٌ **مُحَضْرَمٌ**"[7].

وذكَر ابنُ فارس أنَّ أصل **الحَضْرَمة**، كأنَّه تشبيهٌ بالحاضِرة الذين لا يُقيمونَ إعرابَ الكلامِ[8].

ومع أنَّ هذا المصطلح فيه دليلٌ على التطوُّر اللُّغويِّ في التخفُّفِ من الإعرابِ، وأنَّ الكلام يُفهَم من خلال السِّياق إلاَّ أنَّ بعضَ العلماءِ نبَّه على قيمة الإعراب في توضيح معنى الكلمات، قال الزجَّاجيُّ:"فأمَّا

(1) انظر: إيضاح الوقف والابتدا لابن الأنباريّ 1/ 25، والتمهيد للهمذانيّ ص 208 .
(2) العين 3/ 229 .
(3) الموضح ص 211 . وقد دلَّنا ابنُ الباذش على أنَّ أبا عليٍّ الأهوازيّ هو صاحبُ هذا التقسيم. (انظر: الإقناع 1/ 554 – 562).
(4) الموضح ص 212 .
(5) انظر: الموسيقى الكبير ص 68 و85 و 1180 وحاوي الفنون ص 20 و 31 و 41 – 42 .
(6) نقَل ذلك عنه أبو عبيد في الغريب المصنف ل 73/ ب .
(7) الجمهرة 3/ 328 .
(8) مقاييس اللغة ص 282 (ح ض ر م).

مَن تَكَلَّم من العامَّة بالعربيةِ بغير إعرابٍ فيُفهَمَ عنه، فإنَّما ذلك في المتعارفِ المشهور والمستَعمَل المألوفِ بالدِّراية. ولو التجأ أحدهم إلى الإيضاح عن معنىً ملتَبِسٍ بغيره، من غير فَهْمِه بالإعراب، لم يُمْكِنه ذلك، وهذا أوضحُ من أن يُحتاجَ إلى الإطالة فيه"[1].

الألفاظ التي تدلُّ على أمراض الكلام

ترجع ألفاظ عيوب الكلام التي ذكرها المتقدِّمون إلى خمسة أقسام:

1 . الألفاظ التي تدلُّ على العجز عن الكلام والحبسة في اللسان.

2 . الألفاظ التي تدلُّ على اللُّثغة في بعض الحروف.

3 . الألفاظ التي تدلُّ على الكلام من الأنف

4 . الألفاظ التي تدلُّ على العُجمة وعدم البيان.

5 . الألفاظ التي تدلُّ على التقعُّر والتشدُّق في الكلام.

أوَّلاً: الألفاظُ التي تدلُّ على العَجز عن الكلام والحُبسة في اللِّسان

ذكَر إخوان الصفاء عن عيوب النُّطق أنَّها غير متَّفقٍ عليها، قالوا:"والناسُ فيها مختلِفون، وغير متَّفقين في الحروفِ التي يَقع الخطأُ فيها والعُدُولُ بها عن استوائها إلى خلافِها، وهي أعراضٌ كثيرةٌ تَختصُّ اللِّسانَ، وتَعرِضُ فتُفسِدُ الكلامَ، وهي زَمانةٌ لازِمةٌ، مثلُ الخُلْسةِ، والفأفأةِ، والتمتمةِ، والعُقْلَة، والحُكْلَة، والرُّتَّة، واللُّثغة، وما أشبه ذلك"[2].

ومن أجل هذا فإنَّني سأذكُر أشهرَ الألفاظ التي وردَت على ألسنةِ العلماء.

استَعمل المتقدِّمون عدَّة ألفاظٍ لوصفِ احتباس اللِّسان عن الكلام، منها:

1 . (التَّعْتَعَةُ) 2 . (العُقدة في اللِّسان) 3 . (الضَّزَزُ) 4 . (الهَتْهَتَةُ) 5 . (الهَتْهَتةُ) 6 . (التَّهْتَهةُ) 7 . (الفَدَامَةُ) 8 . (اللَّجْلَجةُ) 9 . (الفَهَاهَةُ) 10 . (البَلْدَمُ) 11 . (الحَصَرُ) 12 . (الحُكْلَةُ) 13 . (الخَرَسُ) 14 . (الرَّبَقُ) 15 . (الرُّتَّةُ) 16 . (الرَّتَجُ) 17 . (التَّعَتُّتُ) 18 . (العِيُّ) 19 . (اللَّفَفُ) 20 . (تَعَسُّرُ اللِّسانِ) 21 . (العُقْلَةُ) 22 . (الحُبْسَةُ) 23 . (الخُلْسَةُ) 24 . (الترخيم) 25 . (الزُغموم) 26 . (الثِّقَلُ في اللِّسان) 27 . (بَرَمُ اللِّسان) 28 . (وَعْثُ اللِّسان).

ملاحظة: أكثر هذه الألفاظ موجودٌ في المعاجم، لكنَّني ذكَرتها لاستعمال أكثرها في كتب البلاغة

(1) الإيضاح في علل النحو ص 96 .

(2) الرسائل 3/ 113 .

والتجويد.

1 . اللَّفظ الأوَّل للعجز والحُبسة في اللِّسان: (التَّعْتَعةُ)

استَعملَه النبيُّ ρ في تبيين ثواب الذي يَقرأ القرآن، وهو عليه شاقٌّ، قال υ: الماهرُ بالقرآنِ مع السَّفَرَة الكِرامِ البَرَرة، والذي يَقرأ القرآن **يَتَتَعْتَعُ** فيه، وهو عليه شاقٌّ، فله أجران"(1).

وقال الخليلُ:"**التَّعْتَعَةُ**: أن يَعْيَا الرَّجُلُ بكلامِهِ، ويَتَرَدَّدُ من عِيٍّ أو حَصَرٍ، ويقال: ما الذي تَعْتَعه؟ فتقولُ: العِيّ"(2).

وقال القرطبيُّ:"**والتَّعْتَعةُ**: حكايةُ صوتِ العَيِيّ والأَلْكَن"(3).

2 . اللَّفظ الثاني للعجز والحُبسة في اللِّسان: (العُقدَةُ في اللِّسان)

قال الخليل:"ورجُلٌ **أعقَدُ**، وقد **عَقِدَ يَعْقَدُ عَقَداً**، أي في لِسَانه **عُقْدَةٌ** وغِلَظٌ في وسَطِهِ فهو عَسِرُ الكَلاَم، قال الله عزَّ وجلَّ: [واحْلُلْ **عُقْدَةً** من لِّسَانِي]"(4).

وقال أبو عبيدة في تفسير دعاءِ موسى υ في الآيةِ السابقة:"مَجَازُ **العُقْدَةِ** في اللِّسانِ: كلُّ مالم يَنطَلِقْ بِحرفٍ، أو كانت منه مُسْكَةٌ مِن تَمْتَمَةٍ أو فَأْفَأَةٍ"(5).

3 . اللَّفظ الثالث للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الضَّزَزُ)

قال الخليلُ:"**الأضَزُّ**: الذي لا يستطيع أن يُفَرّجَ بين حَنَكَيْهِ إذا تَكلَّم، وهي من صَلابة الرأس فيما يقالُ... والفعل **ضَزَّ يَضُزُّ ضَزَزاً**"(6).

وقال ابن قتيبة:"**والضَّزَزُ**: لُصُوقُ الحنك الأعلى بالحَنَك الأسفلِ، فإذا تَكَلَّمَ تكادُ أضراسُه العُليا تَمَسُّ السُّفلى"(7).

4 . 6 اللَّفظ الرابع إلى السادس للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الهَتْهَتةُ والتَّهْتَهَةُ والهَثْهَثةُ)

قال الخليلُ:" **والهَتْهَتَةُ والتَّهْتَهَةُ** تقالُ في الْتِواءِ اللّسان"(8). وقال:" **والهَثْهَثَةُ**: بعضُ كلامِ الأَلْثَغ"(1).

(1) التمهيد ص 151 .
(2) العين 1/ 82 .
(3) الموضح ص 219 .
(4) العين 1/ 140 .
(5) مجاز القرآن 2/ 18 .
(6) العين 7/ 5 .
(7) أدب الكاتب ص 137 .
(8) العين 3/ 349 .

وقال القرطبيُّ: "**الهَثْهَثةُ والهَتْهَتةُ** بالثاءِ والتاء: حكايةُ التواءِ اللِّسانِ عند الكلامِ"[2].

وواضحٌ التداخُلُ بين معاني المصطلحات عند السَّابقِ واللاَّحِق.

7 . اللَّفظ السابع للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الفَدَامَةُ)

قال الخليلُ:" **الفَدْمُ**: العَيِيَّ عن الحُجَّةِ والكلامِ، **وفَدُمَ فَدامةً**، والجميعُ **فُدْمٌ**"[3].

8 . اللَّفظ الثامن للعجز والحُبسة في اللِّسان: (اللَّجْلَجةُ)

قال الخليل:"**واللَّجلجةُ**: كلامُ الرَّجُل بلِسانٍ غيرِ بَيِّنٍ، وهو **يُلَجْلِجُ** لِسَانَه، وقد **تَلَجْلَجَ** لسانُه... وكلامٌ **مُلَجلَجٌ**: مُخْتَلِطٌ"[4].

وتابعَه: ابنُ دُريد[5]، والزمخشريُّ[6].

وقال الجاحظُ:"قال محمدُ بنُ سلام الجُمَحِيُّ: كان عُمَرُ بنُ الخطاب ـ رحمه الله ـ إذا رأى رجلاً **يَتَلَجْلَجُ** في كلامه قال: خَالِقُ هذا وخَالِقُ عمرِو بنِ العاصِ واحدٌ"[7].

وقال الثعالبيُّ:"**اللَّجْلَجَةُ**: أن يكون فيه عِيٌّ وإدخالُ بعضِ الكلام في بعضٍ"[8].

وتابعه القرطبيّ[9].

9 . اللَّفظ التاسع للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الفَهَاهَةُ)

قال الخليل:"رجُلٌ **فهٌّ وفَهِيهٌ**: إذا جاءتْ منه سَقْطَةٌ أو جَهْلَة من العِيّ. ورجلٌ **فَهٌّ**: عَيٌّ عن حجّته. وامرأة **فَهَّةٌ**... **وقد فَهَّ يَفَهُّ فَهاهَةً وفَهّاً وفَهَّةً وفَهِهْتَ** يا رجل"[10].

وقال أبو زيدٍ:"**الفَهُّ**: العَيِيُّ الكليلُ اللِّسان"[11].

وقال القرطبيُّ:"والفَهَهَةُ والحَصَرُ سواءٌ: العِيُّ"[1].

---

(1) العين 3/ 350 .
(2) الموضح ص 219 .
(3) العين 8/ 54 .
(4) العين 6/ 20 .
(5) الجمهرة 1/ 135 .
(6) أساس البلاغة ص 559 .
(7) البيان والتبيين 1/ 32 .
(8) فقه اللغة ص 129 .
(9) الموضح ص 219 .
(10) العين 3/ 356 .
(11) النوادر ص 470 بإسقاط: (الكليل)، ونقَل ذلك عنه كاملاً أبو عبيد في الغريب المصنف ل 10/ ب .

10 . اللَّفظ العاشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (البَلْدَمُ)

قال الخليل: هو "الثقيلُ في المنطِق، البَلِيدُ المِخْبَر"[2].

11 . اللَّفظ الحادي عشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الحَصَرُ)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الحبسِ والمنع[3].

استعمله من العلماء: الخليل، والجاحظ[4]، والعسكريُّ[5].

قال الخليلُ: "**حَصِرَ حَصَراً**، أي عَيَّ فلم يَقْدِر على الكلام"[6].

12 . اللَّفظ الثاني عشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الحُكْلَةُ)

استعمله من العلماء: الخليل، والأصمعيُّ، والجاحظ، وابن دُرَيد، وإخوانُ الصفاء، والثعالبيُّ، وعبد الوهَّاب القرطبيُّ، والزمخشريّ.

واختلَفتْ تعريفاتُهم ما بين عُجمةٍ في الكلام، أو غِلَظٍ في اللِّسان، أو حُبسةٍ مع عَجزٍ، أو لُثغةٍ،كالتالي:

قال الخليل:"تقولُ في لسانِه **حُكْلَةٌ**، أي: عُجْمَة"[7]. وتابعَه: الأصمعيُّ[8]، والزمخشريّ[9].

وقال الجاحظُ:" يقال: في لِسانِهِ **حُكْلَةٌ**، إذا كان شديدَ الحُبْسَةِ مع لَثَغٍ"[10].

وقال ابن دُريد:"**الحُكْلَةُ**: غِلَظٌ في اللِّسان، يقال: في لِسانِه **حُكْلَةٌ**، أي غِلَظٌ، وجعَلَهُ رؤبةُ اللِّسانَ بِعَينه، فقال:

لَو أنَّني أُعطِيتُ عِلْمَ **الحُكْلِ** عِلْمَ سُلَيمانَ كلامَ النَّمْلِ"[11].

وقال إخوان الصفاء:" **الحُكْلَةُ**: نُقْصَانُ آلةِ المنطِقِ، وعَجْزُها عن أداء اللَّفظ"[12].

---

(1) الموضح ص 220 .
(2) العين 8/ 104 .
(3) مقاييس اللغة ص 249 (ح ص ر).
(4) البيان والتبيين 1/ 5 و 12 و 2/ 189 و 191.
(5) الصناعتين ص 31 .
(6) العين 3/ 113 .
(7) العين 3/ 63 .
(8) نقل ذلك عنه أبو عبيد في الغريب المصنف ل 10/ ب .
(9) أساس البلاغة ص 137 .
(10) البيان والتبيين 1/ 217 .
(11) الجمهرة 2/ 184 و 3/ 330 .
(12) الرسائل 3/ 118 .

وجمَع الثعالبيُّ بين التعريفات السابقة بقولِه:"أمَّا اللُّكْنَةُ **والحُكْلَةُ** فهما عُقدةٌ في اللِّسان وعُجمةٌ في الكلام"[1].

ونقَل كلامَه القرطبيُّ[2].

13 . اللَّفظ الثالث عشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الخَرَسُ)

من المشتركِ اللَّفظيِّ. تقدَّم.

14 . اللَّفظ الرابع عشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الرَّبَقُ)

قال أبو عمرو الشيبانيُّ:"الرَّبَقُ: العِيُّ، تقول: إنَّه لَرَبِقُ الكلامِ: إذا كان عَيِيًّا"[3].

15 . اللَّفظ الخامس عشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الرُّتَّةُ)

ذكر ابن فارسٍ أنَّ الراءَ والتاء ليس أصلاً (ر ت)، لكنهم يقولون: الرُّتَّةُ: العجلةُ في الكلام، ويقال هي الحُكْلَةُ فيه"[4].

استعمله من العلماء: الخليلُ، والفرَّاء[5]، والجاحظ[6]، والمبرِّد، والرازيُّ، وابن المنادي، والثعالبيُّ، والقرطبيُّ وغيرهم.

وأقوالهم فيها دائرةٌ بين الحُبسةِ في اللِّسان، والعجَلة في الكلام وإدخالِ الحروف في بعضِها.

قال الخليلُ:" الرُّتَّة: عَجَلةٌ في الكلام، وتقول: رجلٌ أَرَتٌّ ورَتَّ يَرُتُّ رَتّاً"[7].

وقال المبرِّد:"**والرُّتَّةُ** كالرَّتَجِ تَمنَعُ أوَّل الكلامِ، فإذا جاء منه شيءٌ اتَّصَل"[8].

وأرجَع الطبيبُ أبو بكرٍ الرازيُّ: **(الرُّتَّةَ)** إلى عِظَم اللِّسان، قال:"فإنَّ اللِّسان العظيمَ يكونُ صاحبُهُ لا يُخرِجُ الحرفَ ولا يُرْسِلُ لسانَه جيداً، ويكونُ **أرتَّ**"[9].

وعرَّف ابنُ المنادي، وهو من أئمَّة القراءة،: **(الأرتَّ)** واصفاً له كيفيةَ مداواة ذلك عند القراءة،

(1) فقه اللغة ص 128 .
(2) الموضح ص 218 .
(3) الجيم 2/ 12 .
(4) مقاييس اللغة ص 379 (ر ت).
(5) معاني القرآن 2/ 178 .
(6) البيان والتبيين 1/ 12 .
(7) العين 8/ 106 .
(8) الكامل 1/ 500 .
(9) الحاوي 3/ 208 .

قال:"**والأرتُّ**: وهو الذي يُدغِمُ حرفاً في حرفٍ، فإنَّه يَجِبُ أن يُصِرَّ حين القطعِ لِيَتمكَّنَ بمدافعَةِ النَّفَس علواً، ثمَّ يأخذَ في قراءتِه ولْيُعلِ مِن صوتِهِ قليلاً في تعاهدٍ حَسَنٍ وإقدامٍ على قراءتِه"(1).

وقد عرَّف الثعالبيُّ **الرُّتَّةَ** بأنَّها"حُبْسَةٌ في لسان الرَّجُلِ وعَجَلَةٌ في كلامِه"(2). ونقَل ذلك القرطبيُّ(3).

16 . اللَّفظ السادس عشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الرَّتَجُ)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على إغلاقٍ وضِيقٍ(4).

قال الخليلُ:"وفي كلامِه رَتَجٌ، أي تَتَعْتُعٌ وإعْياءٌ"(5). وتبِعه: العسكريُّ(6)، والزمخشريُّ(7).

وقال المبرِّد:"**والرُّتَّةُ** كالرَّتَجِ تَمنَعُ أوَّل الكلامِ، فإذا جاء منه شيءٌ اتَّصَل"(8).

17 . اللَّفظ السابع عشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (التَّعَتُّتُ)

قال الخليلُ:" **وتَعتَّتَ** فلانٌ في الكلام **تَعتُّتاً**: تردَّد فيه ولم يَستمرَّ في كلامه"(9).

18 . اللَّفظ الثامن عشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (العِيُّ)

هو العَجْزُ عن المنطق والكلام السليم.

قال الخليلُ:" والعِيُّ مصدر العَيِّ وفيه لغتان: رجل عَيٌّ بوزن فَعْلٍ وعَيِيٌّ بوزن فَعيل"(10).

وقال ابن دُرَيد:"والعِيُّ ضدُّ البلاغة"(11).

وقد جعَل الثعالبيُّ العِيِّ في أوَّل درجاتِ البَكَم، فقال:"رجلٌ عَيٌّ وعَيِيٌّ، ثمَّ حَصِرٌ، ثمَّ فَهٌّ، ثمَّ مُفْحَمٌ، ثمَّ لَجْلاجٌ، ثمَّ أبْكَمٌ"(12).

19 . اللَّفظ التاسع عشر للعجز والحُبسة في اللِّسان: (اللَّفَفُ، الألَفُّ)

(1) نقَل ذلك عنه ابن البنَّاء في بيان العيوب ص54 .
(2) فقه اللغة ص 128 .
(3) الموضح ص 218 .
(4) مقاييس اللغة ص 420 (ر ت ج).
(5) العين 6 / 91 .
(6) الصناعتين ص 31 .
(7) أساس البلاغة ص 219 .
(8) الكامل 1/ 500 .
(9) العين 1/ 82 .
(10) العين 2/ 271 .
(11) الجمهرة 1/ 115 .
(12) فقه اللغة ص 130 .

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على تَلَوِّي شيءٍ على شيءٍ. يقال: لَفَفْتُ الشيءَ بالشيءِ لَفًّا، ولَفَفْتُ عمامتي على رأسي، ويقال: جاء القومُ ومَن لَفَّ لَفَّهم، أي مَن تأشَّبَ إليهم، كأنَّه التفَّ بهم، ويقال للعَيِيّ: ألَفُّ، كأنَّ لسانَه قد التفَّ، وفي لسانِه لَفَفٌ. والألَفُّ: الذي تدانى فَخِذاه من سِمَنه، كأنَّهما التفَّتا. ويقال للرَّجل الثقيل البطيء: ألَفُّ. واللَّفيفُ: ما اجتمع من النَّاس من قبائل شتى. والألفاف: الشَّجَرُ يَلْتَفُّ بعضُه ببعضٍ[1].

قال أبو زيد: **الألفُّ**: العَيِيُّ، وقد لفِفتُ لَفَفاً[2].

وقال المبرِّد:"**واللَّفَفُ**: إدخالُ حرفٍ في حرف"[3].

وقال الثعالبيُّ: "أن يكون في اللِّسان ثِقَلٌ وانعِقادٌ"[4].

ونقَل كلامَه القرطبيُّ مستبدلاً بـ (ثقلٌ): (عَجَلةٌ)[5].

20 . اللَّفظ العشرون للعجز والحُبسة في اللِّسان: (تَعَسُّرُ اللِّسان)

هو نظيرُ الثِّقَل في اللِّسان.

استعمله الكنديُّ في وصفِ ثقَلِ اللِّسان، وأرجَع هذا العَيب إلى تشنُّجٍ أو استرخاء، وسيأتي الحديثُ عنهما[6].

وأرجعَ الكنديُّ العلَل التي تُصيبُ الحروف الصحيحة إلى هاتَين العِلَّتَين، فقال:"إنَّ تَعَسُّرَ اللِّسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعيّ يكونُ مِن عرَضَين لازِمَين: إمَّا مِن **تشنُّجٍ**، وإمَّا **لاسترخاءٍ**.

فأمَّا **التشنُّجُ** فهو أن يأتيَ الإنسانُ بألفاظٍ غيرِ تامَّةٍ.

وأمَّا **الاسترخاءُ** فهو أن يأتِي الإنسانُ بألفاظٍ زائدةٍ خارجةٍ عن المجرى الطبيعيّ على غير نظامٍ.

فأمَّا **التشنُّجُ** فمِثْلُ القائلِ في موضعِ الراءِ اللامَ، ومثالُ ذلك قولُ القائل في موضعِ السِّين الشِّين. ومن الكلام ما لا يُحصى كثرةً"[7].

وبمقتضى كلام الكنديّ فإنَّ: (التشنُّج) يُعَدُّ سبباً رئيساً للّثغة في الراء والسِّين.

21 . اللَّفظ الواحد والعشرون للعجز والحُبسة في اللِّسان: (العُقْلَةُ)

(1) مقاييس اللغة ص 902 - 903 (ل ف ف).
(2) الغريب المصنف ل 10/ ب .
(3) الكامل 1/ 500 .
(4) فقه اللغة ص 129 .
(5) الموضح ص 220 .
(6) رسالة في اللُّثغة ص 523 .
(7) رسالة في اللُّثغة ص 523 .

قال المبرّد:"الْتواءُ اللِّسان عند إرادةِ الكلام"[1].

وقال إخوان الصفاء عن صاحب هذا العَيب:"وإذا عَجَز عن سرعةِ الكلامِ قيل: في لسانِهِ **عُقْلَةٌ**"[2].

22 . اللَّفظ الثاني والعشرون للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الحُبْسَةُ)

أقوالهم فيه دائرةٌ ما بين احتباس الكلام، والعجَلة فيه.

قال المبرّد:"**والحُبْسَةُ**: تَعَذُّرُ الكلام عند إرادتِه"[3].

وفسَّرها ابنُ دُريد بالرُّتَّة[4].

وقال القرطبيُّ:"وأمَّا الرُّتَّةُ **والحُبْسَةُ** فهما عُقْلَةٌ في اللِّسان وعَجَلةٌ في الكلام"[5].

23 . اللَّفظ الثالث والعشرون للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الترخيمُ)

قال المبرّد:"والترخيمُ: حذفُ الكلام"[6].

24 . اللَّفظ الرابع والعشرون للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الزُّغموم)

ذكَر ابن دُرَيد أن الرَّجُلَ العَيِيّ يُطلَق عليه: **(الزُّغموم)**[7].

25 . اللَّفظ الخامس والعشرون للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الخُلْسَةُ)

قال إخوان الصفاء عن صاحب هذا العيب:"وإذا كان الكلامُ يَثقُلُ على الرَّجُل قيل: في لسانِه خُلْسةٌ"[8].

26 . اللَّفظ السادس والعشرون للعجز والحُبسة في اللِّسان: (الثِّقَلُ في اللِّسان)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

27 . اللَّفظ السابع والعشرون للعجز والحُبسة في اللِّسان: (بَرَمُ اللِّسان)

(1) الكامل 1/ 500 .
(2) الرسائل 3/ 119 .
(3) الكامل 1/ 500 .
(4) الجمهرة 3/ 300 .
(5) الموضح ص 218 .
(6) الكامل 1/ 500 .
(7) الجمهرة 3/ 381 .
(8) الرسائل 3/ 119 .

قال الزمخشريُّ:"وهو بَرِمُ اللِّسانِ: للعَيِيِّ"[1]. وهو من المجاز عنده.

28 . اللَّفظ الثامن والعشرون للعجز والحُبسة في اللِّسان: (وَعَثُ اللِّسانِ)

قال الزمخشريُّ:"ورجلٌ **وَعْثُ** اللِّسانِ: إذا عَجَز عن الكلام"[2]. وهو من المجاز عنده.

ثانياً: الألفاظ التي تدلُّ على اللُّثغة في بعض الحروف

استَعمل المتقدِّمون عدَّة ألفاظٍ لمن يُخطئُ بعضَ مخارج الحروف ومواضِع النُّطق، أو يُكرِّرُ حرفاً بعينِه، منها:

1 . (اللُّثغةُ) 2 . (الثَّعْثَعَةُ) 3 . التَّمْتَمَةُ) 4 . (الفأفأةُ) 5 . (اللَّيَغُ والألْيَغ).

1 . اللَّفظ الأوَّل للعجز النطقيّ في بعض الحروف: (اللُّثْغَةُ)

وهي إبدالُ حرفٍ بحرفٍ كعيبٍ نُطقيّ لا ظاهرةٍ لغويَّة. قال المبرِّد:"**واللُّثغة**: أن يُعدَلَ بحرفٍ إلى حرفٍ"[3].

وقد نبَّه الجاحظُ إلى قصور الكتابةِ وعَجْزِها في تصوير اللُّثغة، قال عن اللُّثغة بالشِّين:"فأمَّا التي هي على الشِّين المعْجَمَة، فذلك شيءٌ لا يُصَوِّرُهُ الخطُّ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفةِ، وإنما هو مخرجٌ من المخارجِ، والمخارجُ لا تُحصى ولا يوقَفُ عليها"[4]. وقال عن اللُّثغة بالراء التي كانت لواصل بن عطاء أحد أئمَّة المعتزلة:"وأمَّا اللُّثغة الخاصَّة التي كانت تَعرِضُ لواصل بن عطاء... فليس إلى تصويرِها سبيلٌ. وكذلك اللُّثغة التي تَعرِضُ في السِّين... فإنَّ تلك أيضاً ليست لها صورةٌ في الخطِّ تُرَى بالعَين، وإنَّما يُصَوِّرُها اللِّسانُ وتتأدَّى إلى السَّمْع"[5].

وهو بهذا يُسجِّلُ سبقاً على الصوتيِّين المعاصِرين الذين يعدُّون الأشكال الكتابيَّة ثانويَّةً بالنِّسبة إلى رموز الكلام المَلْفُوظة[6].

أسبابُ اللُّثغة وعلاجُها:

أرجَع الكنديُّ أسباب اللُّثغة إلى زيادةٍ في طول أعضاء النُّطق أو نقصٍ فيها، وهذا يَجعلُها تُخطِئُ مخارجَ الحروف ومواضِع النُّطق.

(1) أساس البلاغة ص 37 .
(2) أساس البلاغة ص 682 .
(3) الكامل 1/ 500 .
(4) البيان والتبيين 1/ 28 .
(5) البيان والتبيين 1/ 30 .
(6) انظر: علم اللغة لمحمود سعران ص 55.

وعدَّ الكنديُّ سبباً ثالثاً وهو ضعفُ آلة النُّطق نفسِها، بمعنى أن تَفْقِدَ العضلاتِ النُّطقيَّة قدرتَها على التحرُّك، لكنَّ الكنديَّ لم يَجعلْ هذا سبباً رئيسياً، قال:"واعلَم يا أخي أنَّ اللُّثغة إنَّما تَعرِضُ من سبَبَين: إمَّا لنُقصانِ آلة المنطقِ، وإمَّا لزيادتِها فلا تَقدِرُ على تَسريح الأماكنِ الواجبةِ للنُّطقِ مثل: مقاديمِ الأسنان وجميع الأماكنِ الواجبة للنُّطق... وقد تَعْرِضُ اللُّثغة أيضاً من جهةٍ أخرى مِن ضعفِ العُضو المنطقيّ، وليس هذا مِمَّا يَجري على في الأكثرِ، وإنَّما يُحَدُّ الشيءُ بالحدِّ الأكثر"[1].

وذكَر ابنُ المنادي أنَّ من اللُّثغة ما يكونُ علاجُها يسيراً ومنها ما يكون شاقاً لا يَنفعُ فيه العِلاج، قال:"وأمَّا **اللُّثغةُ** في بعض حروف التهجّي، فإن كانت عسيرةً لم يَنجَحْ فيها الدَّواءُ، وكان الاحتيالُ في إذهابِها شُغلاً غيرَ ربيحٍ، وإن كانت يسيرةً سَهُلَ علاجُها، ونَقَصتْ نُقصاناً بيّناً"[2].

وبيَّن ابنُ المنادي أنَّ **اللُّثغة** تكون أكثر ما تكون في الحرفِ السَّاكن، وحاول أن يُقدِّم في ذلك علاجاً عاماً، مُنبِّهاً في النِّهاية أنَّه إذا لم تَنفَعْ مع **الألْثغِ** الطريقة العلاجيَّة التي قدَّمها له فالأحسنُ له أن يَخفِضَ صوتَه بالحرفِ المعيبِ، قال:"وأقوى ما يكونُ في شيءٍ مِمَّا ذكَرْناه إذا كان ساكناً، وهو في حال الحركةِ أكثرُ مَمَراً على اللِّسان والصَّوت، فلْيَحتَل المبتلَوْنَ بذلك في إذهابه، وإن كان ذا خِفَّة، بِتَهَجِّي ذلك وتقطيعِه، ولْيَستعمِل صاحبُ كلِّ حرفٍ من الحروف المنقلِبة طرفَ لِسانِه، مُسْنِدَه بحَنَكِهِ وفكَّيْهِ فيُحرِّكهما لِيتبَعَهُ صُعاقُ الحروفِ المفقودةِ فيه. فإذا جاهدَ ذلك بطولِ السَّعي وتكريرِ التثقيلِ فانتَفَعَ به وإلاَّ فلا بُدَّ له من الدُّنُوِّ إلى الصَّوابِ، فإن لم يَغلِبْ شهوتَه لدَفعِ ذلك عنه فلْيَخفِضْ صوتَهُ بالحرفِ المعلُولِ، ولْيَجهَر بما سواه، فإنَّ تجويدَه للعليلِ زيادةٌ في علَّته، وإذا كان ذلك فهمْسُهُ أصلَحُ من جهره"[3].

عدد الحروف التي تكون فيها اللُّثغة وأسماؤها:

اختلف المتقدِّمون في الحروف التي تَقَعُ فيها اللُّثغة ما بين مقصِّرٍ ومُطوِّل، فالخليل وسيبويه ومن تابعهما عدَّا حرفاً أو حرفَين، والجاحظُ أربعةَ أحرف: (القافُ والسِّين واللاَّمُ والرَّاء)[4]، والكنديُّ عشرةَ أحرفٍ: (العين، والسين، والشِّين، والكاف، والصاد، والجيم، والحاء، والراء، والقاف، والزَّاي)[5]، وابنُ المنادي جعَلَها في عشرة أحرف أيضاً، غير أنَّه أسْقَطَ من حروفِ الكنديّ الجيمَ والزايَ والقافَ، واستَبْدَلَ بها: الغينَ واللاَّمَ والياء[6].

وسأعرِضُ فيما يلي الحروف التي تَعرِضُ فيها اللُّثغة وإلى أيِّ الحروف تُبدَلُ بدءاً من أوَّل من ذكَر ذلك:

(1) رسالة في اللُّثغة ص 528 .
(2) بيان العيوب ص54 .
(3) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص55 – 56 .
(4) البيان والتبيين 1/ 28 .
(5) رسالة في اللُّثغة ص 528 - 529 .
(6) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .

1 . السين ⇐ ث ش:

ذكَر الخليلُ أنَّ الأَلْثَغَ يُبدِلُ السينَ ثاءً[1]. قال الجاحظُ عن صاحبِ ذلك:" فاللُّثغةُ التي تَعْرِضُ للسينِ تَكُونُ ثاءً، كقولهم لأبي يَكْسُوم: أبي يَكثُوم، وكما يقولون بَثْرَة، إذا أرادوا: بَسْرَة. وبِثْمِ الله، إذا أرادوا: بسم الله"[2].

وتابعَ الخليلَ: الجاحِظُ كما تقدَّم، وابنُ فارس[3]، والثعالبيُّ[4].

وتابعَ الخليلَ أيضاً: ابنُ المنادي وزاد أنَّه يُلْثَغ بها إلى **شينٍ** أيضاً[5].

2 . اللاَّم ⇐ ي ك:

ذكَر سيبويه أنَّ **الأَلْثَغَ** يُبدِلُ اللاَّمَ ياءً[6]. وتابعَه ابن المنادي[7].

وتابعَه: الجاحظُ وزادَ أنَّه **يُلْثَغ** بها إلى **كافٍ** أيضاً، قال عن صاحبِ ذلك:"وأما **اللُّثْغَة** التي تَقَعُ في اللاَّم، فإنَّ مِن أهلِها مَن يَجعَلُ اللاَّم ياءً، فيقولُ بَدَلَ قولِه اِعْتَلَلْتُ: اِعْتَيَيْتُ، وبَدَلَ جَمَلْ: جَمَيْ. وآخَرُونَ يَجْعَلُونَ اللاَّمَ كافاً، كالذي عَرَضَ لِعُمَرَ أخي هِلاَلٍ فإنَّهُ كان إذا أرادَ أن يقولَ: ما العِلَّةُ في هذا؟ قالَ: مَكْعِكَّةُ في هذا؟" [8].

3 . الراء ⇐ ي ل غ ذ ظ ن:

ذكَر سيبويه أنَّ **الأَلْثَغَ** يُبدِلُ الرَّاءَ ياءً[9]. وتابعَه: الفارسيُّ[10].

وتابَعَ الجاحظُ سيبويه، وزادَ أنَّه **يُلْثَغُ** بالرَّاء إلى أربعة أحروفٍ: الياءُ، والغينُ، والذال، والظاءُ، فكلمة (مرَّة) **يُلْثَغ** بها إلى: مَيَّة، ومَغَّة، ومَذَّة، ومَظَّة[11].

ورتَّب الجاحظُ درجات **اللُّثغة** بالرَّاء في هذه الأحرف بدءاً من الأثقلِ إلى الأخفِّ، فذكَر أنَّ اللُّثغة

(1) العين 4/ 401 .
(2) البيان والتبيين 1/ 28 .
(3) معجم مقاييس اللغة 5/ 234 .
(4) فقه اللغة ص 128 .
(5) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .
(6) الكتاب 4/ 137 و 453 .
(7) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .
(8) البيان والتبيين 1/ 29 .
(9) الكتاب 4/ 137 و 453 .
(10) التكملة ص 227 والحجة 6/ 84 .
(11) البيان والتبيين 1/ 29 .

بالياء هي أثقلُها، ثمَّ الظاء، ثم الذال، وأنَّ الغينَ أخفُّها، وقال عن صاحب اللُّثغة بالغَين:" ويُقالُ إنَّ صاحبَها لو جَهِد نفسَه جهدها، وأحدَّ لِسانَه، وتكلَّفَ مخرجَ الرَّاء على حقِّها والإفصاح بها، لم يكُ بعيداً من أن تُجيبَه الطبيعةُ، ويؤثِّرُ فيها ذلك التعهُّدُ أثراً حسناً"[1].

وسمَّى الكنديُّ اللاثغَ بالرَّاءِ: **ذو العقل**[2].

وتابعَ المبرِّدُ سيبويه، وزاد أنَّه يُلثَغ بها إلى لامٍ أيضاً[3]، وتابعَه: الثعالبيُّ[4]، والقرطبيُّ[5].

4 . القاف ⇐ ط:

قال الجاحظُ:"اللُّثغة التي تَعْرِض للقافِ فإنَّ صاحبَها يَجعَلُ القافَ طاءً، فإذا أراد أن يقولَ: (قلتُ لهُ) قالَ: (طُلْتُ له)، وإذا أرادَ أن يقولَ: (قالَ لِي) قال: (طَالَ لِي)" [6].

وسمَّى الكنديُّ اللاثغَ بالقاف: **ذو الحَبْس**[7].

5 . الجيم:

سمَّى الكنديُّ اللاثغَ بالجيم: (**المَدْمومُ**) دون أن يَبيِّنَ لنا إلى أيِّ الحروف يُلْثَغُ بها[8].

6 . العين ⇐ ء:

أحد الحروف التي يُلْثَغُ بها عند الكنديّ، وقال ابن المنادي:"ومنهم مَن يُبدِلُ العينَ في منطِقِه همزةً، والغَين كذلك "[9].

7 . الشين ⇐ ت:

أحد الحروف التي يُلْثَغُ بها عند الكنديّ[10].

وقال ابنُ المنادي: "ومنهم من يَنطقُ بالشين تاءً"[11].

(1) البيان والتبيين 1/ 30 .
(2) رسالة في اللُّثغة ص 529 .
(3) المقتضب 1/ 355 .
(4) فقه اللغة ص 128 .
(5) الموضح ص 218 .
(6) البيان والتبيين 1/ 29 .
(7) رسالة في اللُّثغة ص 529 .
(8) رسالة في اللُّثغة ص 529 .
(9) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .
(10) رسالة في اللُّثغة ص 528 - 529 .
(11) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .

8 . **الكاف ⇐ ق ي:**

أحد الحروف التي يُلْثَغُ بها عند الكنديّ[1].

وقال ابن المنادي: "ومِنهم مَن يَلْثَغُ بالكاف فيخرِجها الصَّوت في طريقة القاف سواء... ومنهم مَن يُخرِجُ الكاف، وهي مِن أقصى فيه مِن مَدْرَجة الياءِ الكائنةِ في أدنى الفم"[2].

9 . **الصاد ⇐ ز:**

أحد الحروف التي يُلْثَغُ بها عند الكنديّ[3]. وذكَر ابنُ المنادي أنَّه يُلْثَغُ بها إلى زايٍ[4].

10 . **الحاء ⇐ خ:**

ذكرها الكنديّ[5]، وقال ابن المنادي:" ومنهم مَن يُخرِجُ الحاءَ مُزَحْلَقَةً بالصَّوتِ في مدرجةِ الخاء"[6].

11 . **الزَّاي:**

أحد الحروف التي يُلْثَغُ بها عند الكنديّ[7].

12 . **اللُّثغة بالغَين ⇐ ع ء:**

سمَّى الكنديُّ اللاَّثغ بالغين: (**المُناغِي العَيُّ**) [8]. وقال ابن المنادي: "ومنهم مَن يَلثَغُ بالغَين فيخرِجها الصَّوت في طريقة العين"[9].

13 . **الياء ⇐ س:**

ذكَر ابنُ المنادي أنَّه يُلْثَغُ بها إلى سينٍ[10].

14 . **الثاء ⇐ ف:**

كعيبٍ نطقيٍّ لا إبدالٍ لغويٍّ، وقد بيَّن القرطبيُّ ذلك بقوله:"وقَد يَجعَل بعضُهُم الثاءَ فاءً، فيقولُ في

(1) رسالة في اللُّثغة ص 528 - 529 .
(2) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .
(3) رسالة في اللُّثغة ص 528 - 529 .
(4) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .
(5) رسالة في اللُّثغة ص 528 - 529 .
(6) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .
(7) رسالة في اللُّثغة ص 528 - 529 .
(8) رسالة في اللُّثغة ص 529 .
(9) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .
(10) نقَل ذلك عنه ابنُ البنَّاء في بيان العيوب ص54 – 55 .

ثلاثةٍ: فَلاَفةٍ، وهو لَثَغٌ قبيحٌ فضلاً أن يقال إنَّه لحنٌ خفيٌّ. فأمَّا ما ذكَر أهلُ اللُّغة مِن أنَّ بعضَ العرب يُبدِلُ الثاءَ فاءً، فيقولون في جَدَثٍ: جَدَفٍ، وفي ثومٍ: فُومٍ، فإنَّ ذلك غيرُ مُطَّرِدٍ، بل هو موجودٌ في أحرفٍ يسيرةٍ خاصَّةٍ، ومنقولٌ فيها نَقلاً يُحْفَظُ ولا يُتجَاوَزُ"[1].

2 . اللَّفظ الثاني للعجز النُّطقيّ في بعض الحروف: (الثَّعْثَعَةُ)

قال الخليل: هي "حِكايةُ كلامِ الرَّجل يَغلِبُ عليه الثاءُ والعينُ، فهي لُثغةٌ في الكلام"[2].

3 . اللَّفظ الثالث للعجز النُّطقيّ في بعض الحروف: (التَّمْتَمَةُ)

عند الخليل هي إلى لفظٍ كأنَّه التاء والميمُ، وعند غيره هي التلعثمُ بالتاء فقط.

قال الخليلُ:"**والتَّمْتَمةُ** في الكلام ألاّ يُبَيِّنَ اللِّسانُ يُخطِىءُ موضِعَ الحرف فيَرجِعَ الى لفظٍ كأنَّه التاءُ والميم"[3].

وقال الأصمعيُّ: "إذا تَتَعْتَعَ اللِّسانُ في التاءِ فهو **تَمْتَامٌ**"[4].

وكذا قال المبرّد:"**التَّمْتَمَةُ**: التردُّدُ في التاء"[5].

ووصَف ابنُ المنادي العلاج للذي **يُتَمْتِمُ** عند قراءةِ القرآن، قال:"وإن كان **تَمْتاماً**، وهو الذي يُكَرِّرُ التاءَ، فإنَّه يَستَعمِلُ مثلَ ما ذكَرناه من الأرتِّ وزيادة . بحسب قوَّة العارضِ . من كلِّ ما يَدفَعُه به، فيُشَدِّدُ صوتَهُ، ويَمُدُّ نفَسَهُ، ويُصَلِّبُ فكَّيه، فإن كانت التمتمةُ تَبقى بفَكَّيْه طويلاً أطْبَق فاهُ وابتَلَع ريقَه وأخرَجَ الكلام بين ذلك قليلاً قليلا، فإذا عَلِقَ بلسانِهِ فَلْيُقِمْ صدرَهُ ورأسَهُ بتمديدٍ، ولْيَجتنبِ الشُّغْلَ بَغَيرِ دَرسِهِ إلى منتهى مرادِه، ولْيَتَّقِ من المأكَلِ ما يكونُ عَوْناً لِدَائِهِ، وليتناولْ من الأدويةِ أدهنَها له، ولْيُراقِبْ كثرةَ الكلام ما استطاعَ، فإن تَدَرَّجَ بذلك وإلاَّ فليس بعد الاجتهاد حالٌ. والفأفاءُ هو الذي يُكرِّرُ الفاءَ، مثلُ ذلك"[6].

4 . اللَّفظ الرابع للعجز النُّطقيّ في بعض الحروف: (اللَّيَغُ والألْيَغ)

أقوال العلماء دائرةٌ فيها ما بين نوعٍ من اللَّثَغ، أو عدم البيان.

فمن الأوَّل قول الخليل:" الأَلْيَغُ: الذي يَرْجِعُ لِسَانُه إلى الياء"[7].

(1) الموضح ص 102 .
(2) العين 1/ 84 .
(3) العين 8/ 111 .
(4) نقَل ذلك عنه الجاحظ في البيان والتبيين 1/ 31 .
(5) الكامل 1/ 500 .
(6) بيان العيوب ص54 .
(7) العين 4/ 449 .

وقد ذكَر الجاحظُ عن رجلٍ أنَّه كان يَجعَلُ اللاَّم ياءً، والراءَ ياءً، قال:"وربَّما اجتمعتْ في الواحدِ لُثغةٌ في حرفَين، كنحو لثغة (شوشى)، صاحب عبد الله بن خالدٍ الأمويّ، فإنَّه كان يَجْعَلُ اللاَّمَ ياءً والرَّاء ياءً. قال مرَّةً: مَوْيَايَ وَيِيُّبَيّ، يريدُ: مَولاَي وليُّ الرَّبّ"[1].

غير أنَّ القرطبيَّ نقَل عن أبي عمرو أنَّ هذا المصطلح يُطلَق على الذي لا يُفصِحُ بالكلامِ[2].

وتابعَه الزمخشريُّ[3].

5. اللَّفظ الخامس للعجز النُّطقيّ في بعض الحروف: (الفأفأة والتأفيف بالفاء)

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على تَكَرُّهِ الشيء والضَّجَرِ منه[4].

قال الخليلُ:" **الفَأْفَأَةُ** في الكلام: إذا كان الفاءُ يَغْلِبُ على اللِّسان، **فَأْفَأَ** فلانٌ في كلامه **يُفَأفِئُ فَأْفأةً**. ورجلٌ **فَأْفاء** وامرأة **فأفاءةٌ**"[5].

وكذا قال الأصمعيُّ[6]، والكنديُّ[7]، وابن قتيبة[8]، والمبرِّد[9]، وابن دُرَيد[10].

وعرَّف ابنُ المنادي **الفأفاء** واصفاً له طريقة معالجة ذلك:"**والفأفاء** هو الذي يُكرِّرُ الفاءَ، مثلُ ذلك"[11]. أي: علاجُه مثل علاج التمتام.

واستعملَه القرطبيُّ كعيبٍ أدائيّ في النَّهي عن المبالغة في وضعِ الثنايا العُليا على الشفة السُّفلى عند إخراج الفاء، لئلاَّ يخرجَ الصوتُ والنَّفَس عن الحدِّ[12]، وسمَّاه: (**التأفيف** في الفاء). وذكَر في موضعٍ آخر أنَّه نقلَه عن أئمَّةِ القراءة[13].

ثالثاً: الألفاظ التي تدلُّ على الكلام من الأنف

(1) البيان والتبيين 1/ 30 .
(2) الموضح ص 220. ولعلَّ أبا عمرو هنا هو أبو عمرو الشيبانيُّ صاحب كتاب الجيم، وهو من أئمَّة اللغة.
(3) أساس البلاغة ص 579 .
(4) مقاييس اللُّغة ص 29 (أ ف ف).
(5) العين 8/ 407 .
(6) نقل ذلك عنه الجاحظ في البيان والتبيين 1/ 31 .
(7) رسالة في اللُّثغة ص 530 .
(8) أدب الكاتب ص 137 .
(9) الكامل 1/ 500 .
(10) الجمهرة 1/ 169 و 3/ 286 .
(11) بيان العيوب ص54 .
(12) الموضح ص 116.
(13) الموضح ص 124.

استَعمل المتقدِّمون عدَّة ألفاظ لمن يتكلَّمُ مِن أنفه، منها: 1 . (الغُنَّة) 2 . (الخُنَّةُ والخَنْخَنَةُ) 3 . (الأغنّ).

1 . اللَّفظ الأوَّل للكلام من الأنف: (الغُنَّةُ)

من المشترك اللفظيّ، تقدَّم.

2 . اللَّفظ الثاني للكلام من الأنف: (الخُنَّةُ والخَنْخَنَةُ)

عند الخليل هي كالغنَّة[1]، وعند المبرِّد[2]، وابن دُريدٍ هي أشدُّ من الغنَّة[3].

وعلَّل الكنديُّ لوجودِ **الخَنَنِ** في الكلام، فقال:" وأمَّا **الأخنُّ** فإنَّ النَّفَسَ يَسبِقُ إلى الخياشيم"[4].

وعرَّف الثعالبيُّ **الخَنْخَنة** "بأن يتكلَّم الرَّجُلُ مِن لَدُن أنفِه، ويقالُ: هي أن لا يُبيِّن الرجُلُ كلامَه **فيُخَنخِنُ** في خياشيمه"[5].

وجعَل ابنُ الطحَّان الموسيقيُّ: (**الخُنُونةَ**) من العيوبِ التي لا يَصْلُح معها تعلُّم صنعةِ الغِناء[6].

3 . اللَّفظ الثاني للكلام من الأنف: (الأغنّ)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

رابعاً: الألفاظ التي تدلُّ على العُجمة وعدم البيان

استَعمل المتقدِّمون عدة ألفاظٍ للأجنبيِّ الذي يتكلَّمُ بلغة العرب أو العربيّ الذي لا يُفصِح في كلامه، منها:

1 . (العُجْمَةُ) 2 . (العَرَمْرَمُ) 3 . (العَفْتُ) 4 . (العَفْطُ) 5 . (اللُّكنةُ) 6 . (الغُتْمَةُ) 7 . (الغَمْغَمةُ والتَّغمغُم) 8 . (التَّجَمْجُم) 9 . (الحُكْلَةُ) في إحدى معانيها 10 . (الطُّمطُمانيَّةُ) في إحدى معانيها. 11 . (اللُّخلُخانيَّة) في إحدى معانيها.

1 . اللَّفظ الأوَّل للعُجمة وعدم البيان: (العُجْمَةُ)

قال الخليل:"**والأعْجَمُ**: الذي لا يُفصح. وامرأةٌ **عَجماءُ**: بيّنة **العُجمة**"[7].

(1) العين 4/ 142 .
(2) الكامل 1/ 500 .
(3) الجمهرة 1/ 71 و 3/ 189 .
(4) رسالة في اللُّثغة ص 530 .
(5) فقه اللغة ص 129 .
(6) حاوي الفنون 137 – 138 .
(7) العين 1/ 237 .

وقال ابن دُرَيدٍ:"**والعُجْمَةُ**: انعقادُ اللِّسان عن الكلام، وربَّما سُمِّيَ الأخرسُ **أعجمَ**"(1).

وذكَر ابنُ جنيّ أنَّ **العَجَمِيَّ** هو الذي لا يُفْصِحُ، وكذلك غيرُ العربيِّ وإن فَصُحَ"(2).

2 . اللَّفظ الثاني للعُجمة وعدم البيان: (العَرَمْرَمُ)

قال الخليل:"**والعَرَمْرَمُ**: الشديدُ العُجْمَةِ الذي لا يُفصِحُ"(3).

3 . اللَّفظُ الثالث للعُجمة وعدم البيان: (العَفْتُ)

قال الخليل:"**العَفْتُ** في الكلام كاللُّكْنَةِ، **عَفَتَ** الكلامَ **يَعْفِتُهُ عَفْتاً**: وهو أن يكسرَهُ، وهي عربيّةٌ كعربيّةِ الأعجميّ أو الحبشيّ أو السّنديّ ونحوه إذا تكلّف العربية. وقال ابن القريَّةِ: لا يَعْرِفُ العربيةَ هؤلاء الجَرَاجِمَةُ الطّمْطمانيُّون الذين يَلْفِتُونَها لَفْتاً **ويَعْفِتُونَها عَفْتاً**"(4).

4 . اللَّفظ الرابع للعُجمة وعدم البيان: (العَفْطُ)

قال الخليل:"**والعافِطَةُ**: الأَمَةُ؛ لأنَّها **تَعْفِطُ** في كلامِها كما **يَعْفِطُ** الرَّجُلُ الألْكَن... والرَّجُلُ **العُفَاطِيُّ** هو الألْكَنُ الذي لا يُفصِحُ، وهو **العَفَّاطُ**. ويقال: **يَعْفِطُ** في كلامه **عَفْطاً**، و يَعْفِتُ كلامَهُ عَفْتاً، وهو عفّاتٌ **عَفّاطٌ**"(5).

5 . اللَّفظ الخامس للعُجمة وعدم البيان: (اللُّكْنَةُ)

أقوالُ العلماء فيها دائرةٌ بين العُجْمة في الكلامِ والثِقَلِ في اللِّسان.

قال الخليل:" **اللُّكْنة**: عُجْمة **الأَلْكَن**، وهو الذي يؤنِّثُ المذكَّرَ ويُذَكِّرُ المؤنَّثَ، ويقال: هو الذي لا يُقيم عَرَبِيَّتَهُ لعُجْمةٍ غالبةٍ على لِسانه، وهو **الأَلْكَنُ**"(6). وتابعَه المبرِّد بقوله:"**اللُّكنةُ**: أن تعترِضَ على الكلامِ اللُّغة الأعجميَّة"(7).

وكذلك عرَّفه إخوان الصفاء، قالوا عن الألْكَن:"وإذا أَدْخَلَ بعضَ حروفِ العربِ في حروفِ العجم قيل في لسانِه **لُكْنَةٌ**"(8).

(1) الجمهرة 2/ 104 .
(2) المحتسب 2/ 12 .
(3) العين 2/ 137 .
(4) العين 2/ 74 .
(5) العين 2/ 74 .
(6) العين 5/ 371 .
(7) الكامل 1/ 500 .
(8) إخوان الصفاء 3/ 119 .

أمَّا ثِقَلُ اللِّسان فقد أشار الكنديُّ إلى دَوْرِ عضلات اللِّسان في التسبُّبِ في **اللُّكنة** في الكلام، قال:"وذلك أن العضَل المحَرِّكةَ لهذا العُضوِ لا تُطِيقُ حملَهُ، وتُحَرِّكُه وتَنْقُلُه عن الأماكنِ الواجبَةِ للنُّطْقِ، فيَعْرِضُ مِن ذلك **اللَّكَنُ** في الكلام"(1).

وذكَّر أبو بكرٍ الرازيُّ أنَّ اللِّسان العريضَ جدّاً يكونُ صاحبُهُ **أَلْكَنَ**(2).

وعرَّف ابنُ دُرَيدٍ **اللَّكَنُ** موفِّقاً بين ما تقدَّم، قال:"**اللَّكَنُ**: ثِقَلُ اللِّسان كالعُجْمَة. رجلٌ **أَلْكَنُ** وامرأةٌ **لَكْناءُ** مِن قومٍ **لُكْنٍ**"(3).

6 . اللَّفظ السَّادس للعُجمة وعدم البيان: (الغُتْمَة)

قال الخليلُ:"**الغُتْمةُ**: عُجْمةٌ في المَنْطِقِ. ورجلٌ **أَغْتَمُ وغُتْمِيٌّ**، أي لا يُفْصِحُ شَيئاً"(4).

وقال الزمخشريُّ:" **الغُتْمَةُ**: وهي العُجْمَةُ في المنطِقِ، من **الغَتْمِ**، وهو الأخذُ بالنَّفَس"(5).

7 . اللَّفظ السابع للعُجمة وعدم البيان: (الطُّمْطُمَانيَّةُ والطَّمْطَمَةُ)

أقوال العلماء دائرةٌ فيها ما بين العُجمة في الكلام أو لغة لبعض القبائل.

قال الجاحظُ:"قال معاويةُ يوماً: مَن أفْصَحُ الناسِ؟ فقال قائلٌ: قَوْمٌ ارتَفَعُوا عن لَخْلَخَانِيةِ الفُرَاتِ، وتَيَامَنُوا عن عَنْعَنَةِ تَمِيمٍ، وتَيَاسَرُوا عن كَسْكَسَةِ بَكْرٍ، ليْسَتْ لهم غَمْغَمَةُ قُضَاعَة، ولا **طُمْطُمَانِيَّةُ** حِمْيَر. قال: من هم ؟ قال: قريشٌ. قال: ممَّن أنت ؟ قال: من جرم. قال: اجْلِس"(6).

أشار جليسُ معاوية بن سفيان τ إلى أنَّ **الطمطمانيَّة** هي لغة حِميَر، ولم يُفَسِّرْ لنا ما معناها.

واكتفى الخليل بقوله إنَّها لغةُ الأعجَمِ، قال الخليل: "**والطِّمْطِمُ والطِّمْطِمِيُّ والطُّمْطُمانيُّ**: هو الأَعْجَمُ الذّي لا يُفْصحُ"(7).

وكذا قال المبرِّدُ:"والطَّمْطَمةُ: أن يكونَ الكلامُ مُشبِهاً لكلام العَجَم"(8).

وفسَّر الثعالبيُّ **الطمطمانيَّة** في كلام حِمْيَرٍ بأنَّها إبدالُ لام التعريفِ ميماً، قال:"**الطُّمْطُمانيَّةُ** تَعْرِضُ في لغة

(1) رسالة في اللُّثغة ص530 .
(2) الحاوي في الطب 3/ 208 .
(3) الجمهرة 3/ 170 .
(4) العين 4/ 398 .
(5) أساس البلاغة ص 445 .
(6) نقَل ذلك الجاحظ في البيان والتبيين 3/ 176 .
(7) العين 7/ 409 .
(8) الكامل 1/ 500 .

حِمْيَر، كقولِهم: طَابَ امْهَواءُ. يريدون: طاب الهواءُ"[1]. ونقَل ذلك القرطبيُّ، وزاد:"وبعضُ العربِ يقولون فيما رواه الأحمرُ: **طَانَهُ** الله على الخَيرِ **وطَامَهُ**، أي: جَبَلَهُ. فيُبدلون من النُّونِ ميماً، وأنشَدَ:

أَلاَ تِلْكَ نَفْسٌ **طِينَ** منها حَيَاؤُهَا"[2]

8 . اللَّفظ الثامن للعُجمة وعدم البيان: (الحُكْلَةُ)

العُجمة في إحدى معانيها. وقد تقدَّم.

9 . اللَّفظ التاسع للعُجمة وعدم البيان: (الغَمْغَمَةُ والتَّغَمْغُمُ)

كالطمطانية أقوالُ العلماء فيها دائرةٌ ما بين العُجمة في الكلام أو لغةٌ لبعض القبائل.

نسبَها جليسُ معاوية بن سفيان τ كظاهرةٍ لَهْجِيَّةٍ إلى قُضاعة[3].

أمَّا أبو عبيدٍ ومَن تابعَه فجعلوها من الألفاظ التي تُطلَق على مَن لا يُفصِح.

قال أبو عبيد القاسمُ بن سلام:"**والتَّغَمْغُمُ**: الكلامُ الذي لا يُبيَّنُ، والتجَمْجُمُ مثلُه"[4].

قال المبرِّد:"**والغمغمةُ**: أن تَسمع الصَّوتَ ولا يَبِينُ لك تَقْطِيعُ الحروف... فقد تكون من الكلامِ وغيرِه؛ لأنَّه صوتٌ لا يُفهَمُ تقطيعُ حروفِه"[5].

10 . اللَّفظ العاشر للعُجمة وعدم البيان: (التَّجَمْجُمُ)

ذكَر أبو عبيد أنَّه مثل التغمغُم، يعني عدم الإفصاح وإبانة الكلام[6].

11 . اللَّفظ الحادي عشر للعُجمة وعدم البيان: (اللّخلخانيَّة)

كالطمطانيَّة أقوالُ العلماء فيها دائرةٌ ما بين عجمةٍ في الكلام أو ظاهرةٍ لهْجيَّةٍ لبعض القبائل.

نسبَها جليسُ معاوية بن سفيان τ كظاهرةٍ لَهْجِيَّةٍ إلى أهل الفُرات دون أن يُبَيِّن ماذا يَفعلون؟[7]

وذكَر الثعالبيُّ أنَّها لغةُ أعرابِ الشِّحر وعُمان، كقولهم في ما شاء الله كان: مَشَا الله كان[8]. ونقَل ذلك

(1) فقه اللغة ص 129 .
(2) الموضح ص 221 . ويعني: طِيبَ .
(3) نقَل ذلك الجاحظ في البيان والتبيين 3/ 176 .
(4) الغريب المصنف ل 9/ ب .
(5) الكامل 1/ 500 .
(6) الغريب المصنف ل 9/ ب .
(7) نقَل ذلك الجاحظ في البيان والتبيين 3/ 176 .
(8) فقه اللغة ص 129 .

القرطبيُّ[1].

أمَّا الخليل ومَن تابعَه فقد ذكَر أنَّها تُطلَق على الذي لا يُفصِحُ، قال الخليلُ:"واللَّخْلَخَانِيَّةُ: العُجْمةُ، يقال: رجُلٌ لَخْلَخانيٌّ، والمرأةُ بالهاءِ، أي : لا يُفْصِحَان"[2].

وتابعَه: أبو عبيدٍ القاسمُ بن سلاَّم[3].

خامساً: الألفاظ التي تدلُّ على التقعُّر والتشدُّق في الكلام

ذكَر الجاحظُ عدَّة ألفاظٍ وصَفها بأنَّها من أقبح اللَّحن، قال:"ثمَّ اعلَمْ أنَّ أقبحَ اللَّحن لَحْنُ أصحابِ **التَّقعِيرِ، والتَّقْعِيبِ، والتَّشْدِيقِ، والتمْطِيطِ، والجَهْوَرَة، والتَّفْخِيمِ**. وأقبَحُ من ذلك لَحْنُ الأعاريبِ النازِلينَ على طُرُقِ السَّابِلَةِ وبِقُرْبِ مَجَامِعِ الأسواق"[4].

وسآتي على أكثر هذه الألفاظ فيما يلي:

استُعمِلت عدَّة ألفاظٍ للتشدُّق والمبالغة في الكلام، منها:

1 . (التشديق، التشَدُّق) 2 . (المِقْمَقة) 3 . (التَّقْعير) 4 . (التقْعِيب) 5 . (الفَضْغُ 6 . (اللَّهَع) 7 . (التَّبَلْتُع) 8 . (التمطيط)

1 . اللَّفظ الأوَّل للتكلُّف والتزيُّد في الكلام: (التشدق، التشديق)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على انفراجٍ في شيء. من ذلك: الشِّدقان للإنسان، وهما جانبا الفم، أو هما لحمُ باطنِ الخدَّين من جانبَي الفم، وقيل: هما ملتقى الشفتَين. والشَّدَق: سَعةُ الشدَق، ورجلٌ أشْدَقُ، وخطيبٌ أشْدَق[5]. وقال رسول الله ρ:"إنَّ مِن أحَبِّكُمْ إلَيَّ وأقرَبِكُم منِّي مَجلِساً يوم القيامة أحاسِنَكُم أخلاقاً، وإنَّ أبغَضَكُم إلَيَّ وأبعَدَكُم مِنِّي مَجلساً يوم القيامةِ الثَّرْثارونَ، **والمُتشدِّقون**، والمتَفَيْهِقُونَ، قالوا: يارسول الله قَد عَلِمنا الثَّرثارون **والمُتَشَدِّقون** فما المتَفَيهِقُون؟ قال: المتكبِّرون"[6].

أي: المتَوسِّعون في الكلام من غير احتياطٍ واحترازٍ لِما في ذلك من الكذب.

(1) الموضح ص 221 .

(2) العين 4/ 398 .

(3) الغريب المصنف ل 10/ ب .

(4) البيان والتبيين 1/ 102 .

(5) مقاييس اللُّغة ص 531 (ش د ق) ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان ص16. وانظر: العين 5/ 34، والجمهرة 2/ 269، والصِّحاح 4/ 1500، والمحكم 6/ 95، ولسان العرب 10/ 172.

(6) سنن الترمذيّ 4/ 325 رقم الحديث (2018).

استُعمِل: (التشدُّق والتشديق) في أكثر من معنى، منها:

1 ـ التكلُّف والمبالغة في الكلام. 2 ـ عيب من عيوب القراءة.

1 ـ المعنى الأوَّل لـ: (التشديق والتشدُّق): التكلُّف والمبالغة في الكلام:

عدَّه الجاحظُ من عيوب البلاغة؛ لِما فيه من التفاصُح بلا أهليَّة[1].

1 ـ المعنى الثاني لـ: (التشديق): عيب من عيوب القراءة:

هذا العيب خاصٌّ بالقرَّاء الذين يتكلَّفون في القراءة ويُضيِّقون بها أنفاسَهم ممَّا سيأتي ذكره في العيوب التي يأتي بها القرَّاءُ.

وقد نهى القراء عن التشديق في القراءة، حتى المبالغِين منهم في تحقيق الحروف والمدّ كحمزة بن حبيب الزيَّات لم يُنقلْ عنه أنَّه كان يَخرجُ عن حدِّ القراءة، فمن ذلك ما ذكروه من أنَّ رجلاً قرأ على حمزة، "فجعَل الرجلُ **يتشدَّق**، فقيل له: يا حمزة، هذا التحقيق؟ فقال: لا هذا التمطيط"[2].

ووصَفَ أحمد بنُ نصرٍ الشذائيُّ قراءة حمزة، قال:"فصِفتُها المدُّ العَدْلُ والقَصْرُ والهمزُ المقَوَّمُ والتشديدُ المجَوَّدُ، بلا تَمطيطٍ ولا **تَشْديقٍ**، ولا تَعليةِ صوتٍ ولا تَرْعيدٍ، فهذه صفةُ التحقيق"[3].

وفسَّرَ ابن البنَّاء هيئة التشديق في القراءة، فقال:"ومن العيوب: **التشديقُ**، وصِفتُهُ تَطويلُ الحروفِ في تمييلِ أيمنِ الشِّدقَين أكثرَ من تَمييلِ الأيسرِ، والاستعانةِ بهما عند المخفوضِ، أو التنقُّلِ من خفضٍ إلى فتحٍ، مثل: [إنَّ وَلِيِّ اللهُ] [الأعراف]، أو إلى رفعٍ، مثل قوله: [والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ] [الكهف]"[4].

2 ـ اللَّفظ الثاني للتكلُّف والتزيُّد في الكلام: (المَقْمَقَةُ)

قال أبو عبيد القاسمُ بن سلام:"قال الفرَّاء:"**والمُقَامِقُ**: الذي يتكلَّمُ بأقصى حَلْقِه[5].

ونقَل ذلك الثعالبيُّ[6]، والقرطبيّ[7] بلفظ: **(المَقْمَقة)**.

3 ـ اللَّفظ الثالث للتكلُّف والتزيُّد في الكلام: (التَّقعير)

(1) البيان والتبيين 1/ 12 و 102.
(2) التمهيد ص 134 .
(3) التحديد ص 93 والتمهيد للهمَذانيّ ص 131 .
(4) بيان العيوب ص 39 .
(5) الغريب المصنف ل 10/ ب .
(6) فقه اللغة ص 129 .
(7) الموضح ص 219 .

من المشترك اللَّفظيّ. تقدَّم.

4 . اللَّفظ الرابع للتكلُّف والتزيُّد في الكلام: (التَّقْعِيب)

قال ابن منظور:"**والتقْعِيبُ** في الكلام: كالتقعيرِ. **قَعَّبَ** فلانٌ في كلامه وقعَّرَ، بمعنىً واحد"[1].

استعمله الجاحظ[2]، وابن قتيبة[3].

5 . اللَّفظ الخامس للتكلُّف والتزيُّد في الكلام: (التمطيط)

من المشترك اللَّفظيّ. تقدَّم.

6 . اللَّفظ السادس للتكلُّف والتزيُّد في الكلام: (الفَقْفَقَةُ)

قال ابن دُرَيدٍ:"من قولهم: **تَفَقْفَقَ** الرجُلُ في كلامِه **وفَقْفَقَ** فيه، إذا تَفَعَّر، وهو نحو الفَيْهَقَة"[4].

7 . اللَّفظ السابع للتكلُّف والتزيُّد في الكلام: (الفَضْغُ)

قال ابنُ دُرَيدٍ:"ورجلٌ **مِفْضَغٌ**: إذا كان يتَشَدَّقُ ويَلْحَنُ كأنَّه **يَفْضَغُ** الكلام"[5].

8 . اللَّفظ الثامن للتكلُّف والتزيُّد في الكلام: (اللَّهَع)

استَعمله ابن دُرَيد، قال:"وقال قومٌ: بل اللَّهَعُ كلامٌ صحيحٌ غيرُ مقلوبٍ. وكأنَّ **اللَّهَعَ** عندهم مثلَ التبَلْتُع، وهو التشدُّقُ في الكلامِ والتَّفَيْهُقُ فيه"[6].

9 . اللَّفظ التاسع للتكلُّف والتزيُّد في الكلام: (التَّبَلْتُع)

استَعمله ابن دُرَيد في تفسير: (اللَّهَع) كمرادف له[7].

الألفاظ التي تدلُّ على عيوب النُّطق في الأداء القرآنيّ

ترجع ألفاظ عيوب النُّطق في القراءة إلى:

1 . الألفاظ العامَّة التي تدلُّ على عيوب الهيئات الجسدية وعيوب الأصوات.

(1) لسان العرب 1/ 684 .
(2) البيان والتبيين 1/ 12 و 102 .
(3) أدب الكاتب ص 16 .
(4) الجمهرة 1/ 161 .
(5) الجمهرة 3/ 95 .
(6) الجمهرة 3/ 141 .
(7) الجمهرة 3/ 141 .

2 . الألفاظ التي تدلُّ على عيوب الحروف من حيث التجويد.

3 . الألفاظ التي تدلُّ على عيوب أساليب القراءة.

أوَّلاً: الألفاظ العامَّة التي تدلُّ على عيوب الهيئات الجسديَّة وعيوب الأصوات

ذكَر ابن البنَّاء البغداديُّ عدَّة عيوب يَلزَمُ القارئ أن يَحترِزَ عنها عند أداء القرآن، ونبَّه على أنَّ هذه العيوبَ قد كرهها العلماءُ بالقراءةِ وذَوُو المعرفةِ بالأخذِ، وذكَروا فيها التصانيفَ، وناهيك بصاحِبنا أبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن المنادي (336هـ) فإنَّهُ أخَذَ من الحظِّ الأوفرِ والنَّصيبِ الأكثرَ"[1].

قال ابن البنَّاء:"وأمَّا عيوبُ الأصوات التي يَجبُ أن يجتنبَها، فمن ذلك:

1 . **الجهرُ الصَّاعِق.**

2 . **والغَصُّ الزَّاهِق.**

3 . **واستكدادُ الصَّوتِ حتى يَنقَطِع،** ونقلُهُ من حالٍ إلى حالٍ في تباعُدِ الانتقال، وربَّما أفضى به ذلك إلى اختلاجِ الصَّدر والكتِفَين، وتغيُّر اللَّون والعين، وتَدِرُّ عروقُه، وتَفسُدُ حروفُه"[2].

4 . "**استراطُ الرِّيق.**

5 . **إخراجُ الصَّوتِ من قصبةِ الحلْقِ مختلَساً إلى (الرَّفَه)**"[3].

ثمَّ ذكَر ابنُ البنَّاء عيوبَ الهيئاتِ تحت باب: (العيوب الفَظِعة في النَّفْس التي يَجِبُ أن يَجتنبَها القارئ حين القراءة والدَّرْس)

قال: "من ذلك:

1 . **تحريكُ الرَّأس عن يمينٍ وشمالٍ،** كالالتِفاتِ، أو تَحريكُهُ بِزَعْزَعَةٍ مِن سُفْلٍ إلى عُلْوٍ أو عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، كالإيماءِ بنَعَمْ ولا في المخاطَبات.

2 . **ومنه عُبُوس الوَجْهِ وتَقطيبُه.**

3 . **وتَصغيرُ العَينَين.**

4 . **وتَعَالي أعالي الخدَّين.**

(1) بيان العيوب ص 39 .

(2) بيان العيوب ص 37 .

(3) بيان العيوب ص 38 .

5 . وتَلْوِينُ الحاجِبَين.

6 . وتَعْوِيجُ الشفتَين.

7 . **وإقامةُ العنُقِ وإحناؤه** بما يَخرُجُ عن العادة المألوفة والشاكِلة المعروفة.

8 . والزَّحْفُ والتنقُّلُ مِن جِلْسَةٍ إلى خلافِها كثيراً.

9 . والعَبثُ بالأصابعِ والشَّعَر"[1].

ووصَف ابنُ البنَّاء البغداديُّ الهيئةَ المحمودة والطريقةَ المقصُودةَ في الأداء، فقال:"أحمدُ الأشياءِ عاقبةً، وأسدُّها ثاقبةً، وأعدلُها طريقةً، وأجملُها خليقةً، هو المضيُّ على سننٍ واحدٍ يَقْبَلُهُ الغائبُ والشاهِدُ:

لا تمضيغَ ولا تَضْجِيع، ولا تَمْطِيطَ ولا تقطيع، ولا عُلُوَّ صوتٍ ولا خُفُوت، ولا خروجَ من نُطقٍ إلى سُكُوت"[2].

وذكر ابنُ البنَّاء أنَّ الطريقة المحمودة في القراءةِ هي إمَّا بالطَّبعِ أو الاكتساب، والاكتسابُ يكونُ بمجالسةِ القرَّاء، والرِّياضةِ بمجالِس العلماء، والسماعِ ممَّن وُهِبتْ له تلك الطريقةَ المحمودةَ[3].

أمَّا أبو العلاء الهمَذانيُّ فقد عابَ بعضَ قُرَّاءِ عصْرِهِ الذين نعَتَهم بالمتَكَلِّفين، مِمَّن يَظنُّون أنَّهم يُجوِّدون القرآن بالقيام بحركاتٍ حسِّية ونُطقيَّة ليست من التجويد في شيء، قال:"ثمَّ إنِّي ألْفَيتُ جماعةً من المتكلِّفين من قرَّاء زماننا قد اعتَمدوا في حِفظِ القرآن على المصحفِ، وفي علومه على الصُّحُفِ، فالمتناهي منهم إذا **حرَّكَ رأسَهُ، وضَيَّقَ عند القراءة أنفاسَهُ، ودَرَّتْ أَوْدَاجُه، واحتَدَّ مزاجُهُ،** وأفْرَطَ في الحركاتِ، ورَعَّدَ المدَّاتِ، وغَلَّظَ الرَّاءاتِ واللاَّماتِ، يَرى أنَّه قد بالَغَ في تجويدِ القراءةِ وترتيلِها وتحقيق التلاوةِ وترسيلِها"[4].

ثانياً: الألفاظ التي تدلُّ على عيوب الحروف من حيث التجويد

1 . المصطلح الأوَّل لعيوب الحروف من حيث التجويد: (المَضْغُ والتَّمْضِيغ)

الأصلُ اللُّغويُّ هو المِضْغُ للطَّعام، ومَضَغَه يَمضَغُه، والمِضَاغُ: الطعامُ يُمْضَغُ، والمِضَاغَةُ: ما يَبقى في الفم ممَّا يُمضَغ[5].

جاء رجلٌ إلى نافعٍ فقال: تأخُذُ عليَّ الحَدْرَ، فقال نافعٌ: ما الحَدْرُ؟ ما أعرفُها، أَسْمِعْنا. قال: فقرأ الرجلُ،

(1) بيان العيوب ص 36 .
(2) بيان العيوب ص 39 .
(3) بيان العيوب ص 40 .
(4) التمهيد ص 130 .
(5) مقاييس اللغة ص 951 (م ض غ).

فقال نافعٌ: الحَدْرُ، أو قالَ حَدْرُنا، أن لا نُسْقِط الإعرابَ، ولا نَنفي الحروفَ، ولا نُخفِّفَ مشدَّداً، ولا نُشَدِّدَ مخفَّفاً، ولا نَقصِرَ ممدوداً، ولا نَمُدَّ مقصوراً، قراءتُنا قراءةُ أكابرِ أصحاب رسول الله ـ ρ ـ سَهْلٌ جَزْلٌ، **لا نَمْضَغُ** ولا نَلُوكُ، نَنْبِرُ ولا نَبْتَهِرُ، نُسهِّلُ ولا نُشَدِّدُ، أصاغِرُ عن أكابر، مَلِيٌّ عن وَفِيٍّ، دينُنا دينُ العَجَائز، وقراءتُنا قراءةُ المشايخ، نَسْمَعُ في القرآن، ولا نَستَعمِل فيه بالرَّأي، ثمَّ تلا نافعٌ: [قُل لَّئِنِ اجتَمَعَت الإنسُ والجِنُّ عَلَى أن يَأتُوا بِمِثْلِ هذا القُرآنِ] إلى آخر الآية"[1].

وهذا الوصفُ الطويلُ لنافع يدلُّك على الطريقة الدَّقيقة التي يَستعمِلُها أكابرُ القراء في نَقلِ القرآن العظيم، وأنَّ القراء لا يَقرؤون بالتشهِّي ممَّا يَظنُّه ـ مع الأسف ـ بعضُ الدارسين اليوم، أو أنَّهم متأثرون في ذلك بلهجاتِهم، [كَبُرَتْ كلمةً تَخْرُجُ مِن أفْواهِهِم].

ولفظ: (**المضْغ**) في قول نافع لا تُعرَفُ هيئتُه سوى أنَّه المبالغة والتكلُّف في إخراجِ الحروف؛ لأنَّه في مقابلِ اللَّوك، وهو أهْوَنُ المِضْغِ[2].

وكان أحمد بن نصرٍ الشَّذائيُّ قد استَعمَل: (**التمضيغ**) في وصف قراءةِ أبي عمرو، قال:"وأمَّا صفةُ من يَنتَحِلُ قراءةَ أبي عمرو فالتوسُّطُ والتدويرُ، وهمزُها سليمٌ من اللَّكْزِ. وتشديدُها خارجٌ عن **التمضيغِ**، بِتَرَسُّلٍ جَزْلٍ وحَدْرٍ بَيْنَ سَهلٍ، يَتلو بعضُها بعضاً"[3].

فخصَّص معنى (**التمضيغ**) بالمبالغة في التشديد. وهكذا استعمله الدانيُّ والقرطبيُّ في معرضِ النَّهي عن المبالغة في التشديد بحيث يَخرج عن رونقِ القراءة.

قال الدانيُّ في معنى النَّهي عن ذلك:"وإنَّما يَستعمِلُ القارئُ الحَدْرَ والهَذْرَمة، وهما سرعةُ القراءة مع تقويم الألفاظ وتمكين الحروف، لتَكثُر حسناتُه، إذ كان له بكلِّ حرفٍ عشرُ حسَناتٍ، وذلك بعد معرفتِه بالهمزِ من غير لَكْزٍ، والمدّ من غير تمطيطٍ، والتشديد من غير **تَمضيغٍ**، والإشباعِ من غير تَكلُّف"[4].

ويدلُّك على هذا المعنى قول القرطبيّ عن إشباع التشديد وتخفيفِه، فقال:"ومتى سَمِعتَ من أئمَّةِ القراءةِ تحريضاً على المبالغة في التشديدِ في موضعٍ مّا فاعلم أنَّ المرادَ بذلك تَوقِّي الإخلالِ بحُكْمِهِ لا الإفراطُ المخرِجُ له عن حدِّهِ لِداعٍ اقتَضى ذلك وأَوجَبَهُ، وكذلك متى سَمِعْتَ مَن يَنْدُبُ إلى التجافي عن الحرفِ المشدَّدِ والتخفيف فاعلَمْ أنَّ مرادَهُ حسنُ التأنِّي له، والتحذيرُ من طُغْيانِ اللِّسانِ بالإمعانِ فيه **والتَّمْضيغِ** به، أوْ لمِثْلِ ذلك من العِلَل"[5].

(1) التحديد ص 93 .
(2) لسان العرب 10/ 484 (ل و ك).
(3) نقَل ذلك الدانيُّ في التحديد 93 .
(4) التحديد ص 71 .
(5) الموضح 141 - 142 .

ونقَل أبو العلاء الهمَذانيُّ صفة قراءة أبي عمرو بن العلاء بمِثل ألفاظ الدانيّ إلا أنَّه جعَل هذا العيبَ عامّاً في القراءة، قال:"وأمَّا صفةُ قراءة أبي عمرو ويعقوب فجَزْلةٌ سهلةٌ مُدَوَّرةٌ متوسِّطةٌ بين الحَدْرِ والترتيل، خارجةٌ عن اللَّكْزِ **والتمضيغ**"(1). فرَجَع هذا اللَّفظُ في قوله إلى معنى (المضغ) الذي ذكَره نافعٌ.

أمَّا ابنُ البنَّاء فقد عرَّف: (**التَّمضِيغ**) بأنَّه:"تَعرِيضُ الشِّدقَين كالمتَزَحِّرِ والضَّاحِكِ المخافِت"(2).

2 . المصطلح الثاني لعيوب الحروف من حيث التجويد: (اللَّوكُ)

يدلُّ المعنى اللُّغويُّ على أنَّه أهْوَنُ المِضْغ(3).

استعمل نافعٌ: (**اللَّوك**) في مقابل (المِضغ) في النصِّ الذي ذكَرتُه هناك(4). ولعلَّه يريدُ به عدم توضيح الحروف والضَّعف في إخراجِها.

3 . المصطلح الثالث لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الابتهار)

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على الغَلَبةِ والعُلُوِّ. ابْتَهَرَ فلانٌ في فلانٍ ولفلانٍ إذا لم يَدَع جهداً ممَّا لفلانٍ أو عليه، وكذلك يقال ابتَهَلَ في الدُّعاء(5).

جاء في حديث نافع . الذي تقدَّم في لفظ: (المضغ) . قوله: (نَنبِرُ **ولا نَبْتَهِرُ**)(6).

يُريد نافعٌ . والله أعلم . أنَّ القرَّاء يَهمزون لكن لا يُبالِغون ولا يُسرِفون في إخراجِ الهمزة.

واستعمله الدانيُّ في النَّهي عن المبالغة في إخراج الهمزة والهاء، قال عن الهمزة:"فينبغي للقارئ إذا هَمَز الحرفَ أن يأتيَ بالهمزة سَلِسةً في النُّطق، سهْلةً في الذَّوقِ، مِن غَير لَكْزٍ **ولا ابتِهارٍ** لها، ولا خروجٍ بها عن حدِّها ساكنةً كانت أو متحرِّكةً"(7).

وقال عن الهاء:"فإذا أتتْ ساكنةً أو متحرِّكةً فينبغي للقارئ أن يُنْعِمَ بيانَها، مِن غَير تكَلُّفٍ **ولا ابتِهارٍ**"(8).

4 . المصطلح الرابع لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الضَّغطُ)

(1) التمهيد ص 187 .

(2) بيان العيوب ص 38 . والتزَحُّر في اللُّغة هو صوتُ النفَس إذا تُنُفِّسُ بشدَّة (مقاييس اللغة ص 448 ز ح ر).

(3) لسان العرب 10/ 484 (ل و ك).

(4) التحديد ص 93 .

(5) مقاييس اللغة ص 140 (ب ه ر) ولسان العرب 4/ 82 .

(6) التحديد ص 93 .

(7) التحديد ص 118 .

(8) التحديد ص 123 .

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

5 . المصطلح الخامس لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الهَتُّ)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

6 . المصطلح السادس لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الترفيهُ)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

7 . المصطلح السابع لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الاعتمادُ)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

8 . المصطلح الثامن لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الإشرابُ)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

9 . المصطلح التاسع لعيوب الحروف من حيث التجويد: (التطنين):

تقدَّم ذِكرُه في الطَّنين.

10 . المصطلح العاشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (التغليظ):

تقدَّم ذكره في: التفخيم.

11 . المصطلح الحادي عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (اللَّكْزُ)

قال الفيوميُّ: "لَكَزَهُ لَكْزاً، من باب قَتَل، ضَرَبَهُ بِجُمْعِ كفِّه في صَدرِه، وربَّما أطلِقَ على جميعِ البدَن[1].

كان أحمد بن نصرٍ الشَّذائيُّ قد استَعمَل: **(اللَّكْز)** في وصف قراءةِ أبي عمرو، قال:"وأمَّا صفةُ من يَنتَحِلُ قراءةَ أبي عمرو فالتوسُّطُ والتدويرُ، وهمزُها سليمٌ من **اللَّكْزِ**. وتشديدُها خارجٌ عن التمضيغِ، بِتَرَسُّلٍ جَزْلٍ وحَدْرٍ بَيِّنٍ سَهلٍ، يَتلو بعضُها بعضاً"[2].

فخصَّص معنى **(اللَّكْز)** بالمبالغة في إخراج الهمزة فوقَ حقِّها. وهكذا استعمله: السعيديُّ[3]، والدانيُّ[4]، والقرطبيُّ، وأبو العلاء الهمَذانيُّ[5] في معرضِ النَّهي عن المبالغة في إخراج الهمزة بحيث يُخرِجُها ذلك عن رونقِ

(1) المصباح المنير ص 558 .

(2) نقَل ذلك الدانيُّ في التحديد 93 .

(3) التنبيه على اللحن الجليّ والخفيّ ص 9 .

(4) التحديد ص 71 و 118 .

(5) التمهيد ص 187 و 286 و 292 .

القراءة.

قال القرطبيُّ عن الهمزة:"وينبغي أن تُخْرِجَها مع النَّفَسِ إخراجاً سَهْلاً مِن غَير كُلْفَةٍ ولا عُنفٍ، وتَجْتَنِبَ فيه **اللَّكْزَ** والهَتَّ في مثل قوله تعالى: [اهْدِنا الصِّرٰطَ المستَقيم]، ولا تُرِقّهْ عنها فتتَلاشى"(1).

وأظنُّهُ يَقْصِدُ به هنا الاجتناب عن عَصْرِها وضَغْطِها الشَّديد في المخرج الذي يَقْتَضي إخراجَها بعُنفٍ، والله أعلم.

أمَّا ابنُ البنَّاء فوسَّع من دلالة: (**اللَّكْزَ**)، إذ جعَلَهُ للهمزة، ولكلِّ حرفٍ يُخرجُه صاحبُه بجهدٍ عضليٍّ زائدٍ عن حدِّه، فعرَّف **اللَّكزَ** بأنَّه"الابتداءُ بقَلْعِ النَّفَس والختمِ به، وكذلك المبتدئ بصياحٍ مديدٍ والخاتِمِ به، وإن لم يكن فيه **لَكْزٌ**، وحقيقةُ **اللَّكْزِ** دَفعُ الحرفِ بالنَّفَس عند شدَّةِ إخراجٍ له به، وهو في الاستئنافِ أقوى منه في القَطْعِ.

ومن صفة **اللَّكزِ** وهو شبيهٌ بالوَكْزِ الإبلاغُ في الهمزة المتحرِّكة فوقَ حقِّها، وكسوةِ الهمزةِ الساكنةِ ضِيقاً ربَّما أخرجَها عن السُّكون إلى التحريك"(2).

12 . المصطلح الثاني عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الإسْمَان، والتسمِين، والسِّمَن):

من المشترك اللَّفظيّ. تقدَّم.

13 . المصطلح الثالث عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الزَّمْر):

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على جنسٍ من الأصوات. الزَّمْرُ والزمَّار: صوتُ النَّعامة، يقال: زَمَرَتْ تَزْمُر وتَزْمِرُ زِماراً(3).

من العيوب التي استُعملت في الميم، قال القرطبيُّ:"الميمُ من حروف الشَّفة، وفيها غُنَّةٌ، ويَدخُل عليها بذلك شبه الزمزمة **والزَّمْر**، فيُراعى ذلك فيها ويُجتَنب"(4).

14 . المصطلح الرابع عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (شوائبُ الحروف):

استعمله عبد الوهَّاب القرطبيُّ، وتقدَّم في : (الشَّوْب).

15 . المصطلح الخامس عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (النَّسْنسة بحروف الصَّفير)

جعَلَها القرطبيُّ من عيوبِ الصَّفير في الصاد والسين والزاي، قال عن ذلك:"وبعضُهم يُغيِّرُها بما هو

(1) الموضح ص 123 . وانظر: ص 66 .
(2) بيان العيوب ص 37 – 38 .
(3) مقاييس اللغة ص 439 (ز م ر).
(4) الموضح ص 120 .

أخفى مِن ذلك بأن يُبقيها على حدودِ مخرجِها، لكن **يَضْغَطُ** الصَّوتَ الخارجَ من بين الثنايا، فيصيرُ الصَّفيرُ بها أدَقَّ من المعتادِ، وهو الذي يُسَمَّى **النَّسْنَسَة**"[1].

16 . المصطلح السادس عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الإقلاق)

يدلُّ على الانزعاجِ. يقال: قَلِقَ يَقْلَقُ قَلَقاً، أي اضطَرب. وأقْلَقَهُ الهَمُّ: أَزعَجَه[2].

استعمله ابن جنيّ، والقرطبيّ.

قال ابن جنيّ:"وسبيلُكَ إذا أردتَ اعتبارَ صدى الحرفِ أن تأتيَ به ساكناً لا متحرِّكاً؛ لأنَّ الحركةَ **تُقْلِقُ** الحرف عن موضعهِ ومُستَقَرِّه"[3].

كان هذا اللَّفظ من ابن جنيّ دافعاً للقرطبيّ أن يستعمله وأن يَستعمِل إلى جنبه: (الإزعاج) في التنبيه على بعض العيوب التي يَفعلها القراء، من تحريكٍ للحرفِ الساكن، وكلُّ هذه الألفاظ تدلُّ على هذا المعنى من الاضطراب وعدمِ الاستقرار.

قال القرطبيُّ عن حقِّ الراءين إذا اجتمعتا:"وكذلك ينبغي أن تُلَخِّصَ الرَّاءين إذا اجتمعتا والأولى متحرِّكة والأخرى ساكنة في مثل قوله: [أَقْرَرْتُم] [فَفَرَرْتُ]، وتُظْهِرَ الأخيرةَ منهما من غير زيادةٍ في التعمُّلِ تصيرَ بك إلى التكلُّف، ولا هَذْرَمةٍ تُزْعِجُ السُّكون **وتُقْلِقُه**"[4].

17 . المصطلح السابع عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الإزعاج)

يدلُّ أصله على الإقلاق وقلَّة الاستقرار. يقال: أزعَجْتُهُ أزْعِجُهُ إزْعاجاً[5].

استعمله القرطبيُّ، قال:"اللاَّمُ إذا سَكَنتْ في غير إدغامٍ يَجب أن تُحسنَ تخليصَها في إظهارٍ وبيانٍ، وتتَوقَّى في ذلك **إزعاجَ** سكونِها وتَنفيرَه، فإنَّ هذه الحال أسرعُ شيءٍ بها إلى الحركة"[6].

ومن ذلك قولُه عن حقوق الحرف المظهَر في القراءة:"فأمَّا كيفيةُ اللَّفظِ بالمظهَرِ فأن يكون قَطعُكَ مخرج الحرفِ المظهَر بإسكانِه وأخذُكَ في الحرفِ المتحرّك بعْدَهُ في زمانٍ واحدٍ ووقتٍ واحدٍ من غيرِ إبطاءٍ يُوهِمُ التشديدَ، أو **إزعاجٍ** يأخُذُ بك إلى الإقلاقِ والتحريك. هذا مع إخلاصِ سكون السَّاكنِ وإشباع حركةِ المتحرّك"[7].

(1) الموضح ص 113 .
(2) مقاييس اللغة ص 831 (ق ل ق) و المصباح المنير ص 514 .
(3) سر صناعة الإعراب 1/ 6 .
(4) الموضح ص 168 . وانظر: 72 و 158.
(5) مقاييس اللغة ص 434 (ز ع ج).
(6) الموضح ص 158 . وانظر: ص 72 .
(7) الموضح ص 158 .

18 . المصطلح الثامن عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الطَّحْرُ)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على الحَفْزِ والرَّمْيِ والقَذْفِ. يقولون: طَحَرَت العينُ قَذاها، إذا قَذفتْ به. والطَّحيرُ : النفَسُ العالي، وسُمِّيَ بذلك لأنَّ صاحبَه يَطْحَرُ[1].

عرَّفه ابن البنَّاء بأنَّه:"إخراجُ الحروف بالنَّفَس قَلْعاً من الصَّدْر، ولَرُبَّما خفِي بأكثرها مخرجُ الحاء والهاء لِما يُبالَغُ في إخراجِها من الشِّدَّة، ومنهم مَن يَفتَحُ لذلك فَاهُ حتى كأنَّهُ يُصَايِحُ مخاصِماً له في إغضاب"[2].

19 . المصطلح التاسع عشر لعيوب الحروف من حيث التجويد: (الزَّحْر)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تنفُّسٍ بشدَّة. يقال: زَحَرَ يَزْحَرُ زحيراً، وهو صوتُ نفَسِه إذا تَنفَّسَ بشدَّةٍ، وزَحَرت المرأةُ بولدها عند الولادة[3].

قال ابن البنَّاء:"وصِفتُهُ تَمْديدُ الحروف خارجاً عن سننِ حدِّها حتى تَتَقَلَّصَ لذلك جِلْدةُ الوجه"[4].

20 . المصطلح العشرون لعيوب الحروف من حيث التجويد: (التَّكْلِيم)

من أصله اللُّغويّ أن يدلَّ على الجَرْحُ، وهو الكَلْمُ. والتَّكْلِيمُ هو التجريحُ[5].

قال ابن البنَّاء:"وصِفتُهُ تَجْعِيدُ الحروفِ بترقيصِ النَّفَس من مَعَاليقِ الأحشاء"[6].

والمعنى غامضٌ عندي، ولعلَّه يريد تقطيع النَّفَس عند النُّطق بالحروف فتخرج كأنَّها مُجَرَّحة، والله أعلم.

21 . المصطلح الواحد والعشرون لعيوب الحروف من حيث التجويد: (تَجْعِيدُ الحروف)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على تَقَبُّضٍ في الشيء. يقال: شَعرٌ جَعْدٌ، وهو خلافُ السَّبْط[7].

ذكَره ابن البنَّاء في شرحِ معنى: (التكليم)[8].

22 . المصطلح الثاني والعشرون لعيوب الحروف من حيث التجويد: (التشريب)

تقدَّم ذِكرُه في: (الإشراب).

ألفاظٌ نهى بعض القرَّاء عن استعمالها في الحروف وأكثرها مجهولُ الدَّلالة:

(1) مقاييس اللغة ص 608 (ط ح ر).
(2) بيان العيوب ص 38 .
(3) مقاييس اللغة ص 448 (ز ح ر)
(4) بيان العيوب ص 38 .
(5) مقاييس اللغة ص 874 (ك ل م) ولسان العرب 12/ 525 (ك ل م).
(6) بيان العيوب ص 39 .
(7) مقاييس اللغة ص 201 (ج ع د) .
(8) بيان العيوب ص 39 .

قدَّم القرطبيُّ عدة ألفاظٍ بمثابة احترازات نطقيَّة في أصوات الحروف، وأكثرُها كيفية نطقه غير مفهوم، وذكَر أنَّ أئمَّة القراءة وضعوها، وهي ألفاظٌ مشتقَّة من أسماء أصواتٍ لها في اللغة، قال:"وقد وضَع أئمَّةُ القراءة ألفاظاً اشتقُّوها من المعاني المستَكْرَهة في الحروف، ودَلُّوا بها على ما يَنبغي أن يُجتَنَبَ من التحريفِ الغالبِ عليها، وجعَلوا تلك الألفاظ كالألقاب لذلك، فقال:

1 . "ينبغي أن **لا يُنْبَرَ** بالألف[1].

2 . و**لا يُطبقَ** بالباء[2].

3 . **ولا يُجْهَرَ** بالتاء.

4 . **ولا يُثَرْثَر** بالثاء[3].

5 . ولا **يُجَرْجَر** بالجيم[4].

6 . **ولا يُنَحْنَحَ** بالحاءِ[5].

7 . **ولا يُؤَخَّخَ** بالخاء[6].

8 . **ولا يُرْخَى** بالدَّالِ[7].

9 . **ولا يُهْمَسَ** بالذَّال.

10 . **ولا يُهَرْهَرَ** بالرَّاء[8].

11 . **ولا يُنَزَّزَ** بالزَّايِ[9].

12 . **ولا يُنَسْنَسَ** بالسِّين[10].

(1) النَّبرُ في اللُّغة: صيحة الفزع. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 89).

(2) كأنَّه الحرص على ألا تُفخَّم لأن الإطباق يستدعي التفخيم.

(3) الثَّرْثرةُ في اللغة : كثرة الكلام والإسراع فيه. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 26).

(4) الجَرجرة في اللغة: تردُّدُ هدير الفَحْل، وهو صوتٌ يردِّدُه في حَنجرته، والجرجرة أيضاً: صوت البعير عند الضجَر، وحكاية صوتِ الفَحْ، وصوتُ جَرْعِ الإنسانِ للماء. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 29).

(5) النَّحنحة في اللغة: صوتُ الجَرْعِ من الحَلْق. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 90).

(6) في اللغة : أَخُّ كلمة تَكَرُّهٍ وتوجُّعٍ وتأوُّه، والتأخيخُ: القولُ: أخُّ. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 11).

(7) الإرخاء في اللُّغة: اللِّينُ والسهولة. فكأنّه الخوف من إذهاب شدَّتِها، والله أعلم .

(8) الهرهرة في اللغة: صوتُ الضَّأن، وهرهرةُ الأسد: ترديدُ زئيرِه، وهي التي تُسمَّى الغَرْغَرة، وصوتُ اللَّبن والماء عند الحَلْب. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 100).

(9) في اللغة: النَّزيز: صوتُ الظبي إذا عدا. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 91).

(10) النَّسنسةُ في اللغة زَجْرُ البعير لدى سَوْقِه، وتقدَّم مصطلح النسنسة بحروف الصَّفير كمصطلحٍ علميّ. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص

13 . **ولا يُنَشْنَشَ** بالشِّينِ[1].

14 . **ولا يُنَصْنَصَ** بالصَّادِ[2].

15 . **ولا يُعَضَّضَ** بالضَّادِ[3].

16 . **ولا يُحَطَّطَ** بالطاء[4].

17 . **ولا يُمَيَّلَ** بالظاء.

18 . **ولا يُعَنْعَنَ** بالعَين[5].

19 . **ولا يُغَرْغَرَ** بالغَين[6].

20 . **ولا يُؤَفَّفَ** بالفاءِ[7].

21 . **ولا يُقَلْقَلَ** بالقافِ[8].

22 . **ولا يُكَلْكَلَ** بالكافِ[9].

23 . **ولا يُغَلَّظَ** اللامُ إلا في اسمِ الله تعالى إذا انفتَحَ ما قبلَهُ أو انضمَّ.

24 . **ولا يُزَمْزَمَ** بالميمِ[10].

25 . **ولا يُؤَنَّنَ** بالنُّونِ[11].

---

91).

(1) النَّشنَشة في اللغة: صوتُ حركة الدُّروع والقِرطاس، وصوتُ المِقْلى والثَّوب الجديد. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 92).

(2) في اللُّغة: نَصْنَصْتُ الشيء حرَّكتُه، وكلُّ شيء قَلْقَلْتَه فقد نصْنَصتَه. (لسان العرب 7/ 99).

(3) العَضُّ في اللُّغة: الشدُّ بالأسنان على الشيء. (لسان العرب 7/ 188). فكأنهم يقصدون إذهاب رخاوة الضاد، والله أعلم.

(4) في اللُّغة: حَطَطْتُ الرَّحْلَ حطًّا: أنزلتُه من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ. (المصباح المنير ص 141) ولعلَّهم يقصدون النزولَ بها عن مرتبة التفخيم، والله أعلم.

(5) العنعنة ظاهرة لهْجِية عند بني تميم يُبْدِلون الهمزة عيناً. (فقه اللغة للثعالبيّ ص 129).

(6) من معاني الغرغرة في اللغة : الصوتُ مع بَحٍ، وصوت القدر عند الغليان. وحكاية أصوات الهند والسِّند في الحرب. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 70).

(7) انظر: الفأفأة والتأفيف من مصطلحات البحث.

(8) من معاني القَلْقَلة في اللغة شدة الصياح وصوت القُفل والمفتاح. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 78).

(9) الكَلَلُ في اللُّغة: الضَّعف. والكلكَل: الصدر من كلِّ شيء. (لسان العرب 11/ 596).

(10) من معاني الزَّمزمة في اللغة: صوت الأسد، وزمزمَ الفرسُ في صوتِه إذا كان يُطرِّب فيه، وتزمزمت الإبلُ تزمزُماً: هَدَرَتْ، والزمزمة أيضاً: صوت تتابُع الرَّعد ولهيب النار، وصوتٌ خفيٌّ لا يكاد يُفْهَمُ. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 50).

(11) من معاني الأنين في اللغة صوتُ الأُنَنِ والشاة. قال ابن السِّكيت: أنَّ أنيناً: أخرَجَ كلامَه ضعيفاً، وهو الأنينُ والأُنَان. (المعجم المفصَّل في الأصوات ص 16).

26 . **ولا يُتَفَلَّجَ** بالواو[1].

27 . **ولا يُتَهَوَّعَ** بالهاء[2].

28 . **ولا يُتلاشى** بالياء.

29 . **ولا يُلَيَّنَ** بالهمزة"[3].

ثالثاً: الألفاظ التي تدلُّ على التطريب والتلحين ممَّا نهى القراء عنه

قدَّم القرطبيُّ عدداً من المصطلحات الصَّوتية أوردها عن شيخِه أبي عليٍّ الأهوازيّ، ولم أجِدْها مجموعةً عند غيره، فقد نَقَلَ عنه روايةً جعَل فيها القراءةَ على عشرة أساليب، قال:"اعلم أنَّ القرآنَ يُقرأ على عشرةِ أضربٍ من القراءة: خمسةٍ منها نَهَى أئمَّةُ القراءةِ عن الإقراء بها، وهي: **الترعيدُ، والترقيصُ، والتطريبُ، والتلحينُ، والتحزين،** إذ ليس فيها أثرٌ ولا نقلٌ عن أحدٍ مِنَ السَّلَف ψ بل ورَد عن بَعْضِهِم أنَّه كَرِه القراءةَ بذلك"[4].

وذكَر القرطبيُّ أنَّ هذه الخمسة نهى القرآن عنها، كما أخبره شيخه أبو عليٍّ الأهوازيّ قال:"وأمَّا الإقراء به فلا يَجُوزُ، ولا بالتطريبِ ولا بالترقيص ولا بالتحزين ولا بالترعيد، قال الأهوازيُّ . رضي الله عنه .: على ذلك وجدتُ علماءَ القراءةِ في سائرِ الأمصار، قال: وسَمِعتُ أبا الفرجِ مُعافَى بنَ زكريا الحلوانيَّ يقول: حضَرتُ يوماً عند ابن مجاهدٍ وقرأ عليه قارئٌ فَطَرَّبَ، فقال له ابنُ مجاهدٍ: ما أطْيَبَ هذا.. أخْبِثْهُ لِبَيْتِكُم"[5].

استُعمِل للعيوب المنهيّ عنها في القراءة من تَطريبٍ واستعمال للألحان عدَّة ألفاظٍ، منها:
1 . (التحزين) 2 . (النَّبْر) 3 . (التطريب) 4 . (التغبير) 5 . (التلحين) 6 . (الترعيد) 7 . (الترقيص)

1 . المصطلح الأوَّل للعيوب المنهيّ عنها من التطريب واستعمال الألحان: (التحزين)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على خشونة الشيء وشدةٍ فيه، فمن ذلك الحَزْنُ، وهو ما غَلُظَ من الأرض، والحُزنُ

(1) في اللغة: فَلَجْتُ الشيءَ: شَقَقْتُه فِلْجَين، أي نِصفَين. (المصباح المنير ص 480). ولعلهم يقصدون إعطاء الواو حقها من ضم الشفتَين وعدم إرخائهما بها.

(2) التهوُّع في اللغة: التقيؤ بتكلُّفٍ. (المصباح المنير ص642). ولعلهم يقصدون النهي عن المبالغة في إخراج الهاء حتى تصل إلى درجة من يتقيأ.

(3) الموضح ص 124 . ولعلَّه يقصِدُ بالتليين: تخفيف الهمزة وعدم إعطائها حقَّها في مواضع التحقيق .

(4) الموضح ص 211 . وقد دلَّنا ابنُ الباذش على أنَّ أبا عليٍّ الأهوازيّ هو صاحبُ هذا التقسيم. (انظر: الإقناع 1/ 554 – 562).

(5) الموضح ص 213 .

معروف. يقال: حَزَنَني الشيءُ يَحزُنُني[1].

استُعمِل: (التحزين) في أكثر من معنى، منها:

1 . من أساليب قراءة النبيّ ρ . 2 . من الأساليب المنهيّ عنها في القراءة.

ملاحظة: أصبح هذا اللّفظ من ألفاظ التضادّ.

1 . المعنى الأوّل لـ: (التحزين) = من أساليب قراءة القرآن عن النبيّ ρ :

جمَع الحافظُ أبو العلاء الهمذانيُّ جملةَ أحاديث عن النبيّ ρ يحُثُّ فيها على القراءة **بالتحزين**، فعَن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ρ قال:"إنَّ أحسنَ الناس قراءةً؛ مَن قرأ القرآنَ **يَتَحَزَّنُ** به".

وقال رسول الله ρ :"إنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يُحِبُّ أن يُقرأ القرآن **بتَحزِينٍ**".

وهذا كلُّه يدلُّ على قراءةِ الخشوع والتدبُّر، والأحاديثُ الأخرى فسَّرت معنى **التحزين**، فقال رسول الله ρ لما سُئل: مَن أحسنُ الناس صوتاً بالقرآن؟ قال: مَن إذا سَمِعتَ قراءتَهُ رُئيتَ أنَّه يَخشى الله عزَّ وجلّ".

وقوله ρ :"إنَّ أحسنَ الناس صوتاً بالقرآنِ أخشاهم لله"[2].

قال أبو العلاء الهمَذانيُّ:"فليس المرادُ من ذلك هذا التطريبُ المكروه، والتلْحينُ المذمومُ، وإنَّما المرادُ به الترتيلُ، وتحسينُ الصَّوتِ، وحفظُ الحروف، ومراعاةُ الوقوف، إلى ما سوى ذلك من تجويد القراءة وتحسين التلاوة، مع استشعار الخَوف وارتداء الحُزن على ما رواه ابن عمر، وابن عباس، وجابرٌ، وبُرَيدة"[3].

2 . المعنى الثاني لـ: (التحزين) = من الأساليب المنهيّ عنها في القراءة.

لما كانت القراءةُ **بالتحزين** من الأمور المطلوبة في قراءة القرآن استغلَّ هذا الحثّ بعضُ القرَّاء المرائين، فصاروا يتصنَّعون قراءة **التحزين**، لِيُروا الناسَ أنَّهم خاشعون، فاستدعى ذلك من أئمَّة الأداء أن ينهَوا عن هذا الفعلِ، فصار لفظ: (**التحزين**) علَماً على هذا الأسلوب في القراءة، وتقدَّم أنَّ القرطبيَّ نقَل عن شيخه خمسة أساليب نهى القرَّاء عنها، ومنها: (**التحزين**)، قال القرطبيُّ مبيّناً علَّة النَّهي:"وأمَّا **التحزينُ** فإنَّه تركُ القارئ طِباعَه وعادتَهُ في الدَّرسِ إذا تلا، فيُلَيِّنُ الصَّوتَ ويَخْفِضُ النَّغْمَةَ كأنَّه ذو خشوعٍ وخضوع، ويَجري ذلك مجرى الرِّياء"[4].

2 . المصطلح الثاني للعيوب المنهيّ عنها من التطريب واستعمال الألحان: (النَّبر)

(1) مقاييس اللغة ص 242 (ح ز ن).

(2) جملة هذه الأحاديث السابقة في التمهيد في معرفة التجويد ص123 وما بعدها.

(3) التمهيد ص 123 .

(4) الموضح ص 213 .

من المشترك اللَّفظيّ. يدل أصلُه اللُّغويُّ على الرَّفعِ والعُلُوِّ. نَبَرَ الغلامُ: صاح أوَّل ما يترعْرَع، ورجلٌ نبَّارٌ: فصيحٌ جهيرٌ، وسُمِّيَ المِنبَرُ؛ لأنَّه مرتفعٌ ويُرفَعُ الصَّوتُ عليه. والنَّبرُ في الكلام: الهَمْزُ أو قريبٌ منه. وكلُّ مَن رَفَعَ شيئاً فقد نَبَرَهُ، ونَبرةُ المغنِّي رَفْعُ صوتِه عن خَفضٍ[1].

استُعمل لفظ: (النَّبر) في أكثر من معنى، منها:

1 . الهمز 2 . التلحين في القراءة 3 . الضغط على مخرج الحرف أو المقطع.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (النَّبر) = همز الكلمة

استعمله النبيُّ ρ قال الخليل:" **النَّبْرُ** بالكلام: الهَمْزُ. وفي الحديث: "أنَّ رجلاً قال: يا نَبِيء الله، فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا **تَنْبِرْ** باسْمي"، أي: لا تَهمِزْ"[2].

واستعمله من العلماء: سفيان الثوريّ[3]، ونافع المقرئ[4]، وسيبويه، والفرَّاء[5]، وابن السِّكِّيت[6]، وابن دُريد، وطاهرٌ بن غَلْبون[7].

2 . المعنى الثاني لـ: (النَّبر): التلحين في القراءة

"روي عن مالكِ بن أنسٍ أنَّه سُئلَ عن **النَّبْرِ** في قراءةِ القرآن في الصَّلاةِ، فأَنكَر ذلك وكَرِهَهُ كراهةً شديدةً، وأَنكَرَ رَفعَ الصَّوتِ به"[8].

لما كان أحدُ معاني النَّبر في اللُّغة رَفعُ صوتِ المغنِّي عن خفضٍ، وهو خاصٌّ بصنعة الغِناء، كَرِهَ مالكُ بن أنسٍ أن يُستَعمَل هذا في القراءة في الصَّلاة.

3 . المعنى الثالث لـ: (النَّبر) = الضغط على مخرج الحرف أو المقطع

استعمله من العلماء: المبرِّدُ، ومكيّ.

مثال: قال المبرِّدُ عن الهمزة المخفَّفة بين بين مبيِّناً أنَّ الفرقَ بينها وبين المحقَّقة هو في درجة

(1) مقاييس اللغة ص 971 (ن ب ر) ولسان العرب 5/ 189.
(2) العين 8/ 269 .
(3) نقل ذلك عنه الدانيّ في التحديد ص 118 .
(4) نقَل ذلك عنه الرمليُّ في تفسير القرآن ليحيى ونافع ومسلم ص 42.
(5) معاني القرآن 2/ 204 .
(6) إصلاح المنطق ص 16 .
(7) التذكرة 1/ 115 .
(8) نقل ذلك القرطبيُّ. في معرض النهي عن القراءة بالألحان . في الجامع لأحكام القرآن 1/ 11 .

الضَّغط:"والمخَفَّفَة حيثُ وَقَعَتْ بِوَزْنِها محقَّقَةً، إلا أنَّ **النَّبْرَ** بها أقلُّ؛ لأنك تُزِيحُها عن مخرجِ الهمزةِ المحقَّقَةِ"[1].

وقال مكيّ:"وإذا تكرَّرت الياءُ، وسكنَ ما قبل الأولى، والثانية ساكنة، وجَب بيانُهما والتحفُّظُ بإظهارهما برِفقٍ من غير تفكيكٍ ولا **نَبرٍ**، وذلك نحو قوله: [إنَّ الله لا يَستحي أن يَضْرِبَ مَثَلاً]... وكذلك إن تحرَّكت الثانية وتحرَّك ما قبلهما، نحو: [مَنْ حَيَ] في قراءة مَن أظهرهما. هذا كلُّه يجب التحفُّظُ ببَيانِه وإعطائه من الحركة حقَّه من غير تَعَسُّفٍ ولا **نَبرٍ**...الخ"[2].

فأنت ترى أنَّ مكيّاً يلتَقي مع الصوتيّين المعاصرين في مصطلح: (**النَّبر**) الذي هو ترجمةٌ للكلمة الانجليزيَّة (Stress)، ويُطلَقُ على درجةِ قوَّة النَّفَس التي يُنطَقُ بها صوتٌ أو مقْطَع، ويُقرِّرون أنَّهُ ليس كلُّ صوتٍ أو مَقطع يُنطَقُ بنفسِ الدَّرجة، فهناك من الأصوات والمقاطع ما يُنطَقُ بارتكازٍ أكبر، ويتضمَّنُ طاقةً أعظمَ نسبياً، وبالتالي يتطلَّبُ من أعضاء النُّطق الخاصَّة جهداً أعنفَ في النُّطق بالإضافة إلى زيادة قوَّة النَّفَس. والصَّوتُ أو المقطَعُ الذي يُنطَقُ بارتكازٍ أكبرَ مِن سواه في كلمةٍ من الكلمات يَبْرُزُ بُرُوزاً موضوعياً من سائر الأصوات أو المقاطع التي يُجاوِرُها[3].

3. المصطلح الثالث للعيوب المنهيّ عنها من التطريب واستعمال الألحان: (التطريب)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على خِفَّةٍ تُصيبُ الرَّجُل من شدَّةِ سرورٍ أو غيره. وقالوا: **طرَّبَ** في صوتِه، إذا مدَّهُ ورجَّعَه[4]. قال الخليل:" الطَّرَب: الشَّوْق. والطَّرَب: ذَهاب الحُزن وحُلول الفَرَح. طَرِب يَطْرَبُ طَرَباً فهو طَرِبٌ. **وطَرَّب** في غِنائه **تطريباً** إذا رَجَّع صَوْتَهُ، وأَطْرَبَني هذا الشَّيءُ"[5]. والترجيعُ في أحد معانيه هو التلحينُ.

قديمٌ استعمله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وأنسُ بن مالكٍ رضي الله عنه، فعَنِ ابن عباسٍ قال: "كان لرسول الله ρ مؤذِّنٌ **يُطَرِّب**، فقال رسول الله : (إنَّ الأذانَ سَهْلٌ سَمْحٌ، فإذا كان أذانُكَ سَمْحاً سهْلاً وإلاَّ فلا تُؤذِّن"[6].

ورُوِي عن زيادٍ النُّمَيريّ أنَّه جاء مع القرَّاء إلى أنس بنِ مالكٍ τ فقيل له: اقرأ، فرَفَع صوتَه **وطرَّبَ**، وكان رفيعَ الصَّوتِ، فكشَف أنسٌ عن وجهه . وكان على وجهه خرقةٌ سوداء . فقال: يا هذا، ما هكذا كانوا

(1) المقتضب 1/ 293 .

(2) الرعاية ص 180 - 181 .

(3) انظر: علم اللغة لمحمود سعران ص 189 .

(4) مقاييس اللغة ص 612 (ط ر ب) والمصباح المنير ص 370.

(5) العين 7/ 420 .

(6) نقل هذا الخبر القرطبيُّ في الجامع لأحكام القرآن 1/ 15. وعلَّق عليه بقوله: فإذا كان النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم قد مَنَع ذلك في الأذان فأحرى ألاَّ يُجوّزه في القرآن الذي حَفِظَه الرحمن اهـ.

يَفعلون. وكان إذا رأى شيئاً يُنكِرُه كشَف الخرقةَ عن وجهه"[1].

ورَوَى إسحاق بن إبراهيم في كتابه النَّصائح أنَّ سعيدَ بن المسيّب "سَمِع عمرَ بنَ عبد العزيز يؤمُّ الناسَ **فطَرَّبَ** في قراءتِه، فأرسلَ إليه سعيدُ يقولُ: أَصلحَكَ الله، إنَّ الأئمَّةَ لا تَقرأ هكذا، فتَرَكَ عمرُ **التطريبَ** بعدَ ذلك"[2].

وروي عن القاسمِ بنِ محمَّد أنَّ رجلاً قرأ في مسجد النبيّ ρ **فطرَّب**، فأَنكَرَ ذلك القاسمُ بنُ محمَّد، وقال: يقول الله: [وَإِنَّهُ لَكِتَبٌ عَزِيزٌ* لاَ يَأْتِيهِ البطِلُ مِن بَينِ يَدَيْهِ ولاَ مِن خَلْفِه تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] [فصلت: 41 - 42]"[3].

فعدَّ القراءةَ بالألحان من الباطل.

وقال إبراهيمُ بنُ يزيد النَّخَعيُّ:"القراءةُ **لا تُطَرَّبُ** ولا تُرَجَّع"[4].

كلُّ هذه الآثار تدلُّ على منع القراءة بالألحانِ واستخدام صناعة الموسيقى وفنِّ المقامات في تلاوة القرآن.

4. المصطلح الرابع للعيوب المنهيّ عنها من التطريب واستعمال الألحان: (التغبير)

من أصلِه اللُّغويّ أن يدلَّ على لونٍ من الألوان. والأَغْبَرُ: كلُّ لونٍ لونُ غبارٍ[5]. قال ابن دُريد:"**والتغبيرُ** صوتٌ يُردَّدُ بقراءةٍ وغيرها"[6].

استعمله الإمام الشافعيُّ ـ رحمه الله ـ قال الزمخشريُّ:"ويقالُ للَّذينَ يَتَنَاشَدُونَ الشِّعرَ بالألحانِ ـ فَيُطَرِّبُونَ، فيرَقُصُون ويُرَقِّصُون ويَرْهَجُون ـ **المُغَرِّرةُ**، ولتطريبهم: **التَّغبِيرُ**. وعن الشافعيّ ـ رحمه الله ـ: أرَى الزَّنادِقَةَ وَضَعُوا هذا **التَّغبِيرَ** لِيَصُدُّوا الناسَ عن ذِكْرِ الله وقراءةِ القرآن"[7].

وذكَره ابن رشيق القيروانيُّ في باب الإنشاد بالشِّعر[8].

5. المصطلح الخامس للعيوب المنهيّ عنها من التطريب واستعمال الألحان: (التلحين)

(1) نقل هذا الخبر القرطبيُّ في الجامع لأحكام القرآن 1/ 11 .
(2) لمحات الأنوار 1/ 418 - 419 .
(3) لمحات الأنوار 1/ 422 .
(4) الموضح للقرطبيّ ص 211 .
(5) مقاييس اللغة ص 781 (غ ب ر).
(6) الجمهرة 1/ 268 .
(7) أساس البلاغة ص 444 .
(8) العمدة 2/ 313 .

انظر: اللَّحن.

6 . المصطلح السادس للعيوب المنهيّ عنها من التطريب واستعمال الألحان: (الترعيد)

من المشتركِ اللَّفظيّ.

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على حركةٍ واضطرابٍ، وكلُّ شيءٍ اضطَرَبَ فقد ارتَعَدَ[1].

استُعمل: (الترعيدُ) في أكثر من معنى، منها:

1 . من العيوب التي نَهى القراء عنها. 2 . تعبير عن التكرير في الراء.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (الترعيد): من العيوب التي نَهى القراء عنها

استعمله من العلماء: أحمد بن نصر الشذائيُّ في وصفه لقراءة حمزة، ولم يُبيِّن المقصود منه[2]، ونقل ذلك أبو العلاء الهمذانيّ[3].

قال ابن البنَّاء:"وصِفتُهُ تَعليقُ الصَّوتِ بترديدِ الحَنْجَرة كأنَّه يَرُومُ منزلةً من التطريبِ، والحَذْرِ في إفسادِ الحروفِ، ومنعٍ لمَدَارِجِ الكلامِ من إمضائها على سواء"[4].

وقال القرطبيُّ:"وأمَّا **الترعيدُ** في القراءة فهو أن يَأتي بالصَّوتِ إذا قرأ مضطرباً، كأنَّه **يَرتَعِدُ** من بردٍ أو ألمٍ، وربَّما لَحِق ذلك مَن يَطلُبُ الألحانَ"[5].

وهذا يدلُّ على النَّهيِ عن تهزيز الصَّوت والتنغُّم به والتلوين الصَّوتيّ في القراءة في نفس الحرف، وخاصَّة حروف المدّ التي تَقبل ذلك، قال القرطبيُّ:"ينبغي أن يكون الصَّوتُ في المدِّ سليماً من **ترعيدٍ** وتمطيطٍ، خالصاً من اضطرابٍ وتهزيزٍ، صافياً من إجراء النَّفَسِ معه وتكديرِ رَونقِه به..."[6]. وتابعَه: أبو العلاء الهمَذانيّ[7].

2 . المعنى الثاني لـ: (الترعيد) = تعبير عن التكرير في الراء.

استعمله ابن سينا للتعبير عن اهتزاز طرف اللِّسان في الرَّاء، قال:"وإذا كان الحَبسُ أيْبَسَ وليس قويّاً ولا واحداً، بل يتكرَّرُ الحَبسُ في أزمنةٍ غيرِ مضبوطةٍ كان منه **الترعيداتُ** في الإيقاعات، وذلك لشدَّة اهتزاز

(1) مقاييس اللغة ص 390 (ر ع د) .
(2) نقل ذلك عنه الدانيُّ في التحديد ص 93 .
(3) التمهيد ص 188 .
(4) بيان العيوب ص 38 .
(5) الموضح ص 212 .
(6) الموضح ص 134 .
(7) التمهيد ص 130 .

سطح اللِّسان حتى يُحْدِثَ حبساً بعد حبسٍ غيرِ محسوسٍ حدَثَ الرَّاء"[1].

وهذا الوصفُ الدَّقيق يحلُّ إشكالا عند القرَّاء في إخفاء تكرير الرَّاء جملة، أو إبقائه، وما وجه النهي عن التكرار فيه؟ فجاء هذا النصُّ ليبيّن لنا أن التكرار هو اهتزازٌ خفيٌّ لطرفِ اللِّسان بحيث أنَّ اللِّسان لا يتجافى عن موضعه بل يهتزُّ سطح اللِّسان كما ذكر، وهذا الاهتزاز الخفيُّ هو الذي يُجري صوتَ الرَّاء، وأنَّ وجه النَّهي هو عن المبالغة في التكرار حتى يَنفَصِل طرفُ اللِّسان عن المخرج، والله أعلم. وقد تقدَّم الحديث عن الترعيد ضمن تكرير الرَّاء دون إفراده كمصطلحٍ مستقلٍ .

7 . المصطلح السابع للعيوب المنهيّ عنها من التطريب واستعمال الألحان: (الترقيص)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على النَّقزان. يقالُ رَقَصَ يَرْقُصُ رَقْصاً، ويقال: أرقَصَ البعيرَ: حمَلَهُ على الخَبَب. ورَقَّصَت المرأةُ ولدَها[2].

قال عبد الوهَّاب القرطبيُّ:"وأمَّا **الترقيصُ** فهو أن يَروم السُّكوتَ على السواكن ثمَّ يَنفُرَ مع الحركة كأنَّه في عَدْوٍ وهرولةٍ، وربَّما دخَل ذلك على مَن يُريدُ التجويد والتحقيقَ، وهو أدقُّ معرفةً من الترعيد"[3].

التدريباتُ النُّطقية وتصحيحُ الكلام

التدريبُ وتصحيحُ النُّطقِ سُنَّةٌ من سُنَنِ العربِ في كلامِها، فقد كانوا يَعْلَمُون أهمّيّة التدريب النُّطقيّ في الكلام في حفظِ ألسنتهم من التلكؤ اللُّغويّ والانحرافِ النُّطقيّ، ويَرَوْنَ أنَّ طولَ الصَّمْتِ يُفسِدُ اللِّسانَ، قال الجاحظُ مبيّناً أهمّيّة الرّياضةِ النُّطقيَّة:"وطولُ الصَّمْتِ يُفْسِدُ اللِّسان... وإذا تَرَكَ الإنسانُ القَوْلَ ماتَتْ خَواطِرُهُ، وتَبَلَّدَتْ نَفْسُه، وفَسَدَ حِسُّهُ. وكانُوا يُرَوُّونَ صِبيَانَهم الأرجازَ، ويُعَلِّمونهم المناقَلاَت، ويَأْمُرونَهُم بِرَفْعِ الصَّوتِ، وتحقيقِ الإعراب؛ لأنَّ ذلك يَفْتِقُ اللَّهَاةَ ويَفْتَحُ الجِرْمَ.

واللِّسانُ إذا أَكْثَرْتَ تَقْلِيبَهُ رَقَّ ولاَنَ، وإذا أَقْلَلْتَ تَقْلِيبَهُ وأطَلْتَ إسكَاتَهُ جَسَأَ وغَلُظَ. وأيَّة جارِحةٍ مَنَعْتَها الحركةَ، ولم تُمَرِّنْها على الاعتِمالِ، أصابَها من التعَقُّدِ على حسب ذلك المَنْعِ"[4].

وقد اهتمَّ علماء البلاغة والبيان بهذا الجانب وبيَّنوا أهميته في تحقيق الفصاحة في الكلام، ثم استلم أهلُ التجويد الرَّايةَ منهم فأحرزوا فيه السَّبْق، قال الدانيُّ: "فتجويدُ القرآن هو إعطاءُ الحروف حقوقَها، وترتيبُها مراتبَها، وردُّ الحرفِ من حروفِ المعجَم إلى مخرجِه وأصلِه، وإلحاقُه بنظيرِه وشَكْلِه، وإشباعُ لفظِه، وتمكينُ النُّطقِ به على حال صيغتِه وهيئتِه، مِن غير إسرافٍ ولا تَعَسُّفٍ، ولا إفراطٍ ولا تَكَلُّفٍ، وليس بَينَ التجويدِ

(1) أسباب حدوث الحروف ص 82 .

(2) مقاييس اللغة ص 397 (ر ق ص) والمصباح المنير ص 235 .

(3) الموضح ص 212 .

(4) البيان والتبيين 1/ 184 .

وتَرْكِه إلاَّ رياضةُ مَن تَدَبَّرَه بِفَكِّه"[1].

الألفاظ المستعملة لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ

استُعمِل لتصحيح الكلام والتدريبِ النُّطقيّ عدَّة ألفاظٍ، منها:

1 . (التجويد) 2 . (جَزْمُ الكلام)، 3 . (العِلاجُ)، 4 . (الإخلاص، التخليص، والتخلُّص) 5 . (الصافي، التصفِية) 6 . (التعمُّل، الاعتمال)، 7 . (التكلُّف)، 8 . (تفكيكُ الحروف، الفكّ)، 9 . (الإنعام)، 10 . (التلطُّف).

1 . المصطلح الأوَّل لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: (التجويد)

من المشترك اللَّفظيّ.

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على التسَمُّح بالشيء وكثرةِ العَطاء. قال الخليل: جَادَ الشّيءُ يَجُودُ جَوْدَةً فهو جَيِّد. وجاد الفَرَسُ يَجُود جُودةً فهو جَوادٌ. وجاد الجَوادُ من النّاس يَجُودُ جُوداً. وقومٌ أجْوادٌ. وجَوَّدَ في عَدْوِه تَجْويداً، وعدا عَدْواً جَواداً[2].

استُعمل في أكثر من معنى، منها:

1 . تحسين التلاوة وتصحيح النُّطق. 2 . علمُ التجويد الخاص بتصحيح التلاوة. وهو نتيجةٌ للمعنى الأوَّل. 3 . أسلوبُ من أساليب القراءة المحمودة.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (التجويد) = تحسين التلاوة وتصحيح النُّطق

استعمله من العلماء: حمزة بن حبيب الزيَّات، وابن مجاهد، والشَّذَائيُّ[3]، وأبو جعفر السعيديُّ.

قال حمزة الزيَّات:"تَعَلَّمْنا **جَوْدةَ القراءةِ** عند ابن أبي ليلى"[4].

وقال ابن مجاهدٍ:"اللَّحنُ في القرآن لحنان: جليٌّ وخفيٌّ، فالجليُّ: لحنُ الإعراب، والخفيُّ: تركُ إعطاء الحرفِ حقَّه من **تجويد لفظِه**"[5].

وقال السعيديُّ:"ويؤمَرُ القارئُ **بتجويد الضاد** من وغيرها، خاصةً إذا لقِيتها ظاء"[6].

(1) التحديد ص 68 .
(2) العين 6/ 169 ومقاييس اللغة ص 213 (ج و د).
(3) التحديد ص 93 .
(4) غاية النهاية لابن الجزريّ 2/ 165 .
(5) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في التحديد ص 116 .
(6) التنبيه على اللحن الجلي والخفي ص 33 .

2 . المعنى الثاني لـ: (التجويد) = علمُ التجويد الخاص بتصحيح التلاوة:

كان ما جاء في المعنى الأوَّل هو الإرهاصة والأساس الأوَّل لنشأة علم التجويد[1]. حيث ظهرت مؤلَّفات هذا الفنِّ المكتملة: كـ: (الرِّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة) لمكيّ بن أبي طالب القيسيّ، و(التحديد في الإتقان والتجويد) للدانيّ، و(الموضح في التجويد للقرطبيّ)، و(التمهيد في معرفة التجويد) لأبي العلاء الهمَذانيّ.

وتضمَّنت هذه الكتب كلّ ما يحتاجه قارئ القرآن من معرفة للأصوات وأحكام تركيبها، وكان الذي ينقصُها هو شيءٌ واحدٌ، وهو معرفة حدوث الصَّوت والأمور الفيزيائيَّة المتعلِّقة به.

وتقدَّم تعريفُ الدانيّ للتجويد، وعرَّف الهمَذانيّ **التجويدَ**، فقال:" **تَجْويدُ القراءة** وتَحْبيرُها: هو تَصحيحُ الحُروفِ وتقويمُها، وإخراجُهَا مِن مَخَارِجِها، وترتيبُها مراتبَها، ورَدُّها إلى أصولِها، وإلحاقُها بنظائرها، مِن غيرِ إفراطٍ يُؤَدِّي إلى التَّشنيع، ولا نقصانٍ يُفْضِي إلى التَّضْييع، بل بمُلاحَظَة الرِّفقِ والسُّهولة، ومجانَبَة الشِّدَّة والصُّعُوبةِ، ومَتَى ما أخَلَّ التَّالي بشيءٍ من وصفها فَقَد أزالَها عن حَدِّها ورَصْفِها. **والتجويدُ** زينةُ القِرَاءَةِ وحِلْيَةُ التِّلاَوَة"[2].

وقد أضاف الهمَذانيّ أموراً من شروط كمال القراءة، وهي: حُسْنَ الصَّوت، وجَودةَ الفَكِّ، وذَرَابَةَ اللِّسانِ وصحَّةَ الأسنان[3].

ولا أظنُّ أنَّ علم الأصوات المعاصر يعدُو هذه القضايا والأمور المتعلِّقة بتصحيح النُّطق، وإن كانت الأهداف والتعلُّقات مختلفةً ومتفاوتة بين العِلمَين.

3 . المعنى الثالث لـ: (التجويد) = أسلوبُ من أساليب القراءة المحمودة:

جعَل القرطبيُّ: (**التجويد**) من الأساليب الخمسة التي يُقرأ القرآن بها، في قوله:" وخمسةٍ منها أجاز الأئمَّةُ الإقراء بها، ونُقِلَتْ عنهم على اختلافٍ فيها، وهي: التحقيق، واشتقاقُ التحقيق، **والتجويد**، والتمطيطُ، والحَدْرُ"[4].

قال:"وأمَّا التجويدُ فهو أن يُضيفَ إلى ما ذكَرْتُه في الحَدر مراعاةَ تجويد الإعرابِ، وإشباع الحركات، وتَبيين السَّواكنِ، وإظهارِ بيان حركةِ المتحرِّكِ بغير تكلُّفٍ ولا مبالَغةٍ"[5]. وذكَر أن هذا الأسلوبَ هو كالأسلوبِ الذي وُصِفتْ به قراءةُ ابنِ عامر والكسائيّ.

(1) انظر: رحلة العلم الصَّوتيّ عند أصحاب المدرسة النَّقلية في الباب الأوَّل.

(2) التمهيد في معرفة التجويد ص 62 .

(3) التمهيد في معرفة التجويد ص 189.

(4) الموضح ص 211 . وقد دلَّنا ابنُ الباذش على أنَّ أبا عليٍّ الأهوازيّ هو صاحبُ هذا التقسيم. (انظر: الإقناع 1/ 554 – 562).

(5) الموضح ص 214 .

وأظنُّه يعني ما رواه الشّذائيُّ من وصفٍ لقراءة القراء السبعة[1].

2 . المصطلح الثاني لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: (جَزْمُ الكلام)

استعمل الخليل: (جَزْمَ الكلام)، بمعنى أن" تُوضَعَ الحروفُ في مواضِعها في بيانٍ ومَهَل"[2].

3 . المصطلح الثالث لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: المصطلح: (العِلاَجُ)

يدلُّ أصلُه اللُّغويّ على تمرُّسٍ ومزاوَلة في جفاء وغِلَظ. والعِلاج: مزاولةُ الشيء ومعالجَتُه. تقولُ: عَالَجْتُه عِلاجاً ومُعالَجَةً[3].

استُعمِل: (العِلاج) في أكثر من موطنٍ صوتيٍّ، منها:

1 . وصفُ خروج الألف والفتحة بلا إعاقةٍ من أعضاء النُّطق.

2 . التعبير عن تحقيق الانسجام بين الصَّوتَين في الفتحِ والإمالة.

3 . وصف تحريك الشفتين في الإشمام.

4 . زوالُ مخرج النُّون الفمويّ إذا جاء بعدها أحد حروف الإخفاء الخمسةَ عَشَر.

1 . المَوطنُ الأوَّل لـ (العلاج) = وصفُ خروج الألف والفتحة بلا إعاقةٍ من أعضاء النُّطق:

ذكَر سيبويه أنَّ الألفَ "ليسَ مِنهَا **علاجٌ** على اللِّسانِ والشَّفَة، ولا تُحَرَّكُ أبداً، فإنما هي بمنزلةِ النفَس"[4].

وتابعَه: مكيّ[5]، والقرطبيُّ[6].

وذكَر المبرِّدُ أنَّ"الفتحةَ **لا عِلاجَ** فيها"[7].

2 . المَوطنُ الثاني لـ: (العلاج) = التعبير عن تحقيق الانسجام بين الصَّوتَين في الفتح والإمالة:

استَعمل الدانيُّ: (**العلاجَ**) في وصف الغرض من الإمالة، قال عن إمالة الألف من أجل كسرة الراء في نحو [بِقِنْطَارٍ]:"فقَوِيتْ بذلك على اجتذابِ الألفِ على كسرتِها، فأمالَ ليُجانِس صوتَ كسرةِ الرَّاء،

(1) انظر: التحديد للدانيّ 92 - 93 .

(2) العين 6/ 73.

(3) مقاييس اللُّغة ص 668 (ع ل ج).

(4) الكتاب 4/ 335 .

(5) الرعاية ص 127 و 160 .

(6) الموضح ص 97 .

(7) المقتضب 1/ 255 .

فيَحْسُنُ بها السَّمع، ويخفُّ في النُّطق؛ ليكونَ العمل **والعلاجُ** بذلك من جهة واحدة"[1].

وقال عن سبب امتناع الإمالة في ألف [فَأَجَاءَهَا]:"فإنَّه لما قد اجتَمع في أوَّل هذه الكلمِ همزةٌ وفي آخرِها همزةٌ . والهمزةُ حرفٌ حلقيٌّ مِن حيّز الألف التي الفتحُ منها . فتَحوا ما بين الهمزتَين من الكلمة؛ طلباً للتخفيف، وكَونِ **العلاجِ** بالصَّوتِ فيها كلِّها من جهةٍ واحدةٍ، وهو الفتحُ"[2].

3 . المَوطنُ الثالث لـ: (العلاج) = وصف تحريك الشفتين في الإشمام:

استَعمله الدانيُّ للتعبير عن وصف ضمّ الشفتين في الإشمام، قال:"وأما الإشمام فهو لرؤية العَين لا غير... ويُستَعمَل فيما **يُعالَج** بالشفتَين من الحركات، وهو الرَّفعُ والضمُّ لا غَير"[3].

4 . الموطنُ الرَّابع لـ: (العلاج) = زوال مخرج النُّون الفمَويّ إذا جاء بعدها أحد حروف الإخفاء الخمسةَ عَشَر:

قال القرطبيُّ:"فهي متى سَكَنَتْ وجاء بعدها حرفٌ من هذه الحروفِ فمخرجُها الخَيْشومُ، **لا عِلاَجَ** على الفَمِ في إخرَاجِها"[4].

وقال:"ولو تكلَّف متكلِّفٌ إظهارَها وأخرجَهَا من الفَم لأمْكَنَ، ولكن **بعِلاَجٍ**، وهذا يَبِينُ بالمِحْنَة"[5].

4 . المصطلح الرابع لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: (الخالص والخُلوص والإخلاص والتخليص والتخلُّص)

يدلُّ أصلُها اللُّغويّ على تَنْقِيَةِ الشيءِ وتَهْذِيبه. يقولون: خَلَّصْتُه من كذا، وخَلَصَ هو[6]، وخلَّصتُه تخليصاً: نَحَّيْتُهُ من كلّ شيء ينشَبُ، وتخلَّصتُه كما يُتَخَلَّصُ الغَزْلُ إذا الْتَبَسَ[7].

والخالص والخُلوص من: خَلَصَ. والإخلاص والمخْلَص من: أخلَصَ. والتخليص والتخلُّص من: خَلَّص وتخلَّص.

واستعمالات هذه الألفاظ كثيرةٌ تَضيقُ بها هذه الدِّراسة، لكن حسبي أنِّي سأشيرُ إلى أشهرها.

1 . الموطنُ الأوَّل: إرادة الأصل:

(1) الموضح لمذهب القراء ل 8/ أ .
(2) الموضح ل 24/ أ .
(3) التحديد ص 170.
(4) الموضح ص 81 .
(5) الموضح ص 170.
(6) مقاييس اللُّغة ص 309 (خ ل ص).
(7) العين 4/ 187.

استعملَها سيبويه [1]، وأبو عثمان المازنيُّ[2]، والمبرِّد[3]، والزجَّاج[4]، والنحَّاس[5]، والأزهريُّ[6]، وابن خالويه[7]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[8]، وابن جنيّ[9]، وطاهرُ بنُ غَلْبون[10]، ومكِّيّ بن أبي طالب[11]، والدانيُّ[12]، وابن بلّيمة[13].

مثال ذلك: شرحُ مكّيّ لمعنى همزة بين بين، قال:"فلا هي همزةٌ **محقَّقَةٌ خالِصةٌ**، ولا هي حرفٌ آخَرُ **خالصٌ** غير الهمزة، لكنَّها في حال تخفيفها بين حرفَين بزنَتِها **محقَّقَة**"[14].

2 . الموطنُ الثاني: التحويل إلى أصل:

استعمله: سيبويه[15]، والأخفش[16]، والمبرِّد[17]، والزجَّاج[18]، وابن مجاهدٍ[19]،والنحَّاس[20]، والأزهريُّ[21]، وابن خالويه[22]، وأبو علي الفارسيّ[23]، وابن جنيّ[24]، ومكِّيّ بن أبي طالب[25]، والدانيّ[26].

(1) الكتاب 4/ 448.
(2) نقل ذلك عنه ابن جنيّ في المنصف 1/ 248 - 249.
(3) المقتضب 1/ 295.
(4) معاني القرآن وإعرابه 1/ 77.
(5) إعراب القرآن 1/ 211.
(6) معاني القراءات 2/ 352.
(7) الحجة ص 276.
(8) التكملة ص 252، والحجة 1/ 50 و 56 و 328 و 346.
(9) المنصف 1/ 249، والخصائص 2/ 351 - 352، و 3/ 138، والمحتسب 1/ 130، وسر صناعة الإعراب 1/ 49.
(10) التذكرة 2/ 250 و 484 و 567.
(11) الرعاية ص 108 و 110.
(12) المخطوط من جامع البيان ل 141/ أ، والمطبوع 2/ 366، والتيسير ص72 و 97 و 125 و 181، والتحديد ص 97.
(13) تلخيص العبارات ص 153.
(14) الرعاية ص 110 - 111. وفي كلام مكّيّ ردٌّ واضحٌ جليٌّ على مَن يظنُّ أن تسهيل الهمزة يكونُ بإبدالها هاءً.
(15) انظر: الكتاب 4/ 460 و 478 - 479.
(16) معاني القرآن 1/ 202 - 203.
(17) المقتضب 1/ 293 - 294.
(18) معاني القرآن وإعرابه 1/ 80 و 192 و 3/ 275.
(19) انظر: السبعة ص 105.
(20) إعراب القرآن 1/ 190.
(21) معاني القراءات 2/ 107.
(22) انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص 28.
(23) الحجة 1/ 50 و 354 و 2/ 244 و 4/ 101، والتكملة ص 37.
(24) سر صناعة الإعراب 1/ 50 و 2/ 573 و 817، والمنصف 1/ 103، والخصائص 2/ 230 و 351، والمحتسب 2/ 329.
(25) الرعاية ص 147.
(26) جامع البيان 2/ 609.

مثال ذلك: ذكَر المبرِّدُ أنَّ تخفيف الهمزة الساكنة في نحو: (رأس، وجُؤْنَة، وذِئب) يكون بإبدالها بحسب حركة ما قبلها، قال:"فإذا كانت ساكنةً فإنَّما تَقلِبُها على ما قبلَها، **فَتُخْلِصَهَا** ياءً أو واواً أو ألفاً"(1).

وذكَر الدانيُّ أن أحد أحوال النون الساكنة والتنوين"أن يُقلَبا ميماً **خالِصةً** من غير إدغام، وذلك عند الباء خاصّةً، وسواء كانت النونُ معها في كلمة أو كلمتَين، نحو قوله:[وَيُؤْمِنۢ بِالله]، و[مِنۢ بَعْدِ ذَلِك]، و[مِنۢ بَيْنِهِمْ]، و[أَنبِهُمْ]، و[أنبِونِي]، و[أنبَتَكُمْ]"(2).

3 . الموطنُ الثالث: بيان الشيء وإظهاره ونقاؤه:

استعمله: المبرِّدُ(3)، ومكّيّ(4)، والدانيُّ(5)، والقرطبيُّ(6)،وابن الطحَّان الأندلسيُّ (7).

مثال ذلك: تنبيهُ الدانيّ على إظهار الساكن قبل الإشارة بالشفتَين إلى الحركة المضمومة، وصلاً في نحو: [تَأْمَنَّا]، ووقفاً في نحو: [نَسْتَعِينُ]، قال:"وأمَّا المشَمُّ من الحروف في حال الوصل أو الوقف، فحقُّه أن **يُخْلَصَ** سكُون الحرف ثمَّ يُومَى بالعُضْو . وهما الشفتان . إلى حركتِه لِيَدُلَّ بذلك عليها من غير صوتٍ خارجٍ إلى اللَّفظ، وإنَّما هو تهيئةٌ بالعُضو لا غير، ليُعلَم بالتهيئة أنَّه يرادُ المهَيَّأُ له، ولا يَعرِف ذلك الأعمى، لأنه لرؤية العَين. ويَختَصُّ به من الحركاتِ الرَّفعُ والضمُّ، لا غير، لأنهما من الواو، والواو تَخرُج من الشفتَين، وفيهما تُعالَجَ"(8).

4 . الموطنُ الرَّابع: تنقية الحرف عن تأثير مجاوِرِه عند التركيب:

تقدَّم.استعمله: السعيديُّ(9)، ومكّيّ(10)، والدانيُّ(11)، والقرطبيُّ(12)، والهمَذانيّ(13). وجميعُهم من أئمَّة علماء التجويد.

مثال ذلك: تنبيهُ مكّيّ القارئَ على المحافَظة على بيان السِّين في مَوضِعها، بإظهار صفيرِها، في نحو: [

(1) المقتضب 1/ 294 وانظر: 1/ 302.

(2) جامع البيان 2/ 734. وفي قول الدانيّ: (ميماً خالصةً) ردٌّ واضِحٌ على الذين يقرؤون بلا إطباقٍ للشفتَين في النون عند الباء.

(3) المقتضب 1/ 330. وأصلُه قولُ سيبويه في الكتاب 4/ 454:"وتكونُ النون مع سائرِ حروف الفم حرفاً خفيّاً مخرجه من الخياشيم"اهـ.

(4) الرعاية ص 171.

(5) المطبوع من جامع البيان 2/ 442 و 475، والتيسير ص36، والتحديد ص99 و 104 و 148.

(6) الموضح ص 93 و 109و 158.

(7) مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ ل 8/ ب.

(8) التحديد ص 96.

(9) التنبيه على اللَّحن الجليّ واللَّحن الخفيّ ص 42.

(10) الرِّعاية ص 214.

(11) التحديد ص 162.

(12) الموضح ص 67 و 103 و 117 و 162 و 178 و 204 و 205.

(13) التمهيد في معرفة التجويد ص 290 و 294.

وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ] [وَأَسَرُّوا النَّجْوَى] لئلاَّ يصيران إلى لفظ قوله: [وَأَصَرُّوا واسْتَكْبَرُوا]، فَيجِبُ عليه أن **يُخَلِّصَهما** بذلك من لَفْظ الصَّاد؛ لأنَّهما من السرّ، والثاني من الإصرار[1].

5 . الموطنُ الخامس: الإدغام الكامل:

ومعناه: أن لا يبقى شيءٌ من الحرف الأوَّل، وهو الأصلُ في الإدغام.

لقَّب الدانيُّ الإدغام إذا كان كذلك بـ: **(الإدغام الخَالِص)** معرِّفاً إياه بأنه:"إدخالُ الحرفِ في الحرفِ، وتَغْيِيبُه فيه، فيَذهَبُ أثرُ الأوَّلِ منهما، ويُشدَّدُ الثاني"[2].

6 . الموطنُ السادس: تجويد الحروف:

ذكَر الرُّمانيُّ أن من الأحرف الفرعيَّة المستقبَحة مَن "يَجْري مجرى اللُّثغة في العَجْز عن إخراجِ الحرف على حقِّه، وهي الكافُ كالجيم، والجيمُ كالكاف. فهذا ضعيفٌ جداً لتَباعُدِ ما بين الحرفَين، وهو دليلٌ على العَجْز عن **إخلاصِ** الحَرفِ على حقِّه"[3].

7 . الموطنُ السَّابع: الفتح ضدّ الإمالة

تقدَّم في الفتح ضد الإمالة.

8 . الموطنُ الثامن: الإمالة الكبرى:

لقَّبها الدانيُّ بـ: **(الإمالة الخالِصَة)** [4]. ونبَّه إلى أحد الأوجه المقروء بها في نحو: [بُشْرَى]، [دَارُ القَرَارِ]، فقال:"ومِنهم مَن **يُخْلِصُ الإمالة**"[5].

5 . المصطلح الخامس لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: (الصَّافي، التصْفِية)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على خلوصٍ من كلِّ شَوْبٍ، من ذلك الصَّفاءُ، وهو ضدُّ الكَدَر[6].

1 . الموطنُ الأوَّل لـ: (الصافي، التصفية) = إرادة الأصل أوالتحويل إلى أصل:

استعملَها خلاَّدُ بن خالدٍ الكوفيُّ[7]، وابن مجاهدٍ[8]، وابنُ مهران[1]، وابن سفيان القيروانيُّ[2]، وأبو مَعْشَرٍ

(1) الرِّعاية ص 214.
(2) المطبوع من جامع البيان 2/ 687. وانظر: 2/ 409 والمخطوط من فرش الحروف ل 215/ أ.
(3) شرح كتاب سيبويه ل 190/ ب.
(4) جامع البيان 3/ 833 و 841 و 898.
(5) التحديد ص 156.
(6) مقاييس اللُّغة ص 545 (ص ف و).
(7) السبعة لابن مجاهد ص 107.
(8) السبعة ص 107.

الطبريّ[3]. وكلُّهم من القرَّاء.

مثال ذلك: ذكَر خلاَّدُ بن خالدٍ الكوفيُّ أنَّ سُلَيْمَ بن عيسى (أخصُّ تلامذةِ الإمام حمزة الزيَّات)"لم يكُن يُشِمُّ الصادَ الزايَ في القرآنِ كلِّه غيرَها[4]، **ويُصَفِّي** الصَّادَ في القرآن كلِّه"[5]. يعني: يقرأ بصادٍ في جميع القرآن إلا [الصِّرَاطَ].

2 . الموطنُ الثاني لـ: (الصافي، التصفية) = في بيان الشيء وإظهاره ونقائه:

استعملَها القرطبيُّ حيث نبَّه إلى أن يكونَ الصَّوتُ في المدِّ "**صافياً** من إجراء النَّفَسِ معه وتكدير رَوْنقِه به، سيَّما إذا كان مدَّتان بينهما همزةٌ في مثل قوله تعالى: [لِمَنْ يَخْشَى ءأنتُمْ]، [عَلَى ءاثَرِهِمْ]، [لَمَا ءاتَيْتُكُمْ]؛ لأن الصَّوْتَ بعد استيفاءِ المدِّ الأوَّل يكادُ يَضْعُفُ فيَسْتَنِدُ إلى إجراء النفَسِ معه. وربَّما كان عادةً مُسْتَكْرَهةً"[6].

3 . الموطنُ الثالث لـ: (الصافي، التصفِية) = في تصفية الحرف عن تأثير مجاوِرِه عند التركيب:

مكِّيّ[7]، والدانيُّ[8]، والقرطبيُّ[9]، والهمَذانيّ[10].

مثال ذلك: ذكَر مكِّيّ أنَّه"يَجِبُ على القارئِ أن **يُصَفِّيَ** لفظَ الصَّاد، ويعطِيَها حقَّها الإطباقِ والاستعلاء اللَّذينِ فيها"؛ لئلاَّ تَخْرُجَ إلى لفظ السِّين[11]. وكذلك إذا جاورها دالٌ"وجَبت المحافظةُ على **تصفية** لفظ الصاد لئلاَّ يُخالِطُها لفظُ الزاي... وذلك نحو: [قَصْدُ السَّبِيلِ]، [يُصْدِرَ]"[12].

6 . المصطلح السادس لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: (التَّعَمُّل، الاعتمال):

استعمله: الجاحظُ، وابن مجاهد، والدانيُّ[13]، والقرطبيُّ[14]، وأبو العلاء الهمذاني.

---

(1) المبسوط ص 158.
(2) الهادي 2/ 262.
(3) التلخيص ص 201 و 295.
(4) يقصد كلمة: [الصِّرَطَ].
(5) السبعة لابن مجاهد ص 107.
(6) الموضح ص 134.
(7) الرعاية ص 215 و 218 و 219.
(8) التحديد ص 146.
(9) الموضح ص 169.
(10) التمهيد ص 295.
(11) الرعاية ص215.
(12) الرعاية ص218.
(13) التحديد ص 111 و 129 و130.
(14) الموضح ص 100 و 158 و 167 و 202 .

مثال: قال الجاحظ:"واللِّسانُ إذا أَكْثَرْتَ تَقْلِيبَهُ رَقَّ ولاَنَ، وإذا أَقْلَلْتَ تَقْلِيبَهُ وأطَلْتَ إسكَاتَهُ جَسَأَ وغَلُظَ. وأيَّة جارِحةٍ مَنَعْتَها الحركةَ، ولم تُمَرِّنْها على **الاعتِمالِ**، أصابَها من التعَقُّدِ على حسب ذلك المَنْعِ"[1].

وقال ابن مجاهد:"النُّون الساكنة والتنوينُ تُبيَّنان عند الحاء والهاء والعَين ضرورةً من غير **تَعمُّل**"[2].

وقال الهمَذانيُّ عن الشِّين المتحرِّكة:"ويَجِبُ أن **يُتَعمَّلَ** لإنْعَامِها وتفَشِّيها، وذلك نحو قوله: [شُهَدَاءَ] [البقرة: 133] و [شُفَعَؤُاْ] [الرُّوم: 13 و [شَرَابٌ] [الأنعام: 70] ونظائرُها"[3].

7 . المصطلح السابع لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: (التكلُّف)

يدلُّ الأصلُ اللُّغويُّ على حَمْلِ الشيءِ على مشقَّة، كَلِفْتُ الأمرَ . من باب تَعِبَ . حمَلْتُهُ على مشقَّة. ويتعدَّى إلى مفعولٍ ثانٍ بالتضعيفِ، فيقال: كَلَّفتُهُ الأمرَ فتَكَلَّفَهُ، أي حمَّلْتُهُ إيَّاهُ على مشقَّة. والكُلْفَةُ: ما تُكَلَّفُهُ على مشقَّةٍ. والكُلْفَةُ أيضاً: ما يُتَكَلَّفُ مِن نائبةٍ أو حقٍّ[4].

استُعمِل: (التكلُّف) في أكثر من معنى ، منها:

1 . حَمْلُ الشيء على مشَقَّةٍ في النُّطق 2 . الاجتِهادُ في تجويد الحرفِ وتصحيح النُّطق ورياضة اللِّسان 3 . من عيوب النُطق 4 . المدُّ الفرعيُّ بسبب الهمزة أو السكون.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (التكلُّف) = تجويد الحرفِ وتصحيح النُّطق ورياضة اللِّسان:

عبَّر الجاحظُ بـ: (**التكلُّف**) عن التمرينات والتدريبات النُّطقيَّة، فذكَر أنَّه بطول استِعمال **التكلُّف** تَذِلُّ الجوارح، ومتى ترَكَ الإنسانُ شَمائِلَهُ على حَالِها، ولِسانَهُ على سَجِيَّتِهِ كان مقصوراً بعادَةِ المنشَأِ على الشَّكْلِ الذي لم يَزَل فيه[5].

وأطْلَق ابن قتيبة على علم التجويد: (**التكَلُّفَ**) لِما فيه من اجتِهادٍ لتصحيح النُّطق، والتدرُّبِ عليه من الذين ليس لهم طبعُ العرب، ولا فطرة النُّطق[6].

(1) البيان والتبيين 1/ 184 .

(2) التحديد للدانيّ ص 112 .

(3) التمهيد ص 296 .

(4) مقاييس اللُّغة ص 876 (ك ل ف)، والمصباح المنير ص 537 - 538 .

(5) البيان والتبيين 1/ 52 . ولعلَّ هذا النصَّ هو إرهاصةٌ لكلام الدانيّ في التحديد ص 68:"وليس بين التجويدِ وتركِه إلا رياضةُ من تَدَبَّرَه بِفكِّه" اهـ.

(6) تأويل مشكل القرآن ص 58 وسمَّى المجَوِّدين في موضعٍ آخَر بـ: (المتَكَلِّفين)، قال في ص 42:" لأنَّ المتقدِّمين من الصَّحابةِ والتابِعين قرؤوا بلُغاتِهم، وجَرَوا على عادتهم، وخَلَّوا أنفسَهم وسَوْمَ طَبَائعهم، فكان ذلك جائزاً لهم ولقومٍ من القرَّاء بعدَهم مأمونين على التنزيلِ عارِفين بالتأويل، فأمَّا نحن معشرَ المتكلِّفين، فقد جَمَعَنا الله بحُسنِ اختيار السَّلَف لنا على مصحفٍ هو آخرُ العَرْضِ، وليس لنا أن نَعْدُوَه" اهـ . ويُشبِهُ حديثُ ابن قتيبة حديثَ الفرَّاء من قبلِه بأنَّ القراءةَ من المولَّدين صناعةٌ. (معاني القرآن .

وفي مثلِ ذلك تحدَّث الأزهريُّ عن الفرق بين العربيّ المطبوعِ والحضَرِيّ **المتكلِّف**(1).

ويأتي هذا المصطلحُ في مرحلة سابقةٍ على مصطلحِ: (علمِ الأصواتِ والحروف) الذي كان ظهورُه في القرن الرَّابعِ الهجريّ، ومصطلح (علم التجويدِ) الذي كان أوَّلُ ظهورِه كمصطلحٍ علميٍّ في القرنِ الخامسِ الهجريّ(2).

وما قاله الجاحظُ وابن قتيبة يَكشِفُ عن العلاقةِ بين البلاغيّين وما قاله أهلُ التجويد في كتبِهم؛ حيث تعلَّقا بالاحترازات النُّطقيَّة وتصحيح النُّطق.

وقال مكيٌّ عن الضَّاد: "فمتى لم **يتكلَّف** القارئُ إخراجَها على حقِّها أتى بغَيرِ لفظِها، وأخلَّ بقراءتِهِ. ومَن **تكَلَّفَ** ذلك وتَمادَى عليه صارَ له التجويدُ بلَفْظِها عادةً وطَبعاً وسَجِيَّةً"(3).

واستَعمله القرطبيُّ، قال:"وأشبع بيان حركةِ الواوَين **بتكَلُّفٍ** وتثبُّتٍ في مثل قوله تعالى: [وَوُضِعِ الكتابُ]، [وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ]، وما أشبه ذلك"(4).

وذكَر أبو العلاء الهمَذانيُّ أنَّ الضَّادَ **يُتكلَّفُ** إخراجُها من أحدِ الشِّدْقَين، وهو عَسِرُ المخرج"(5).

2 . المعنى الثاني لـ: (التكلُّف) = الجُهدُ العضليُّ الشاقُّ المبذولُ على أعضاء النُّطق:

ذكَر ابنُ السرَّاج انَّ قراءةَ: [الصِّرْاطَ] بالصَّاد أخفُّ من إشمام الصاد زاياً، قال:"والاختيارُ عندي الصَّادُ؛ للخِفَّةِ والحُسنِ في السَّمعِ، وهو غيرُ مُلبِسٍ... وأمَّا القراءةُ بالمضارعَة التي بين الزَّاي والصاد، فعدَلْتُ عن القراءةِ بها؛ لأنَّه **تَكَلُّفُ** حرفٍ بين حرفَين، وذاك أصعبُ على اللِّسان"(6).

واستعمله أبو بكر ابن الأنباريّ(7).

ووصفَ ابن جنيّ الهمزة بأنَّها لما سَفَلَتْ في الحلق، وبَعُدَتْ عن الحروف كان النُّطقُ بها **تكلُّفاً**، أي شاقًّا(8).

وقال مكيٌّ عن الصَّاد: إنَّ اللَّفظَ بها أقوى وأكثرُ **تَكلُّفاً** على اللِّسانِ من السِّين لِما فيها من الإطباقِ

(1) انظر: معاني القراءات 1/ 136 .
(2) انظر: الدراسات الصَّوتية عند علماء التجويد ص 13 وما بعدها.
(3) الرعاية ص 185 وانظر: ص 220 .
(4) الموضح ص 200 .
(5) التمهيد ص 277 .
(6) الحجة لأبي علي الفارسيّ 1/ 50 - 51 .
(7) إيضاح الوقف والابتدا 1/ 236 .
(8) سر صناعة الإعراب 1/ 71 .

والاستعلاء[1].

وقال عن الضَّاد: "والضَّادُ أصعَبُ الحروفِ **تَكَلُّفاً** في المخرجِ، وأشدُّها صعوبةً على اللاَّفظِ"[2].

ونبَّه على الإدغام مِن غير **تكلُّفٍ شديدٍ** في الهاءَين إذا التقتا، نحو: [يُوجِّهه]، ونحوَ ذلك قالَ عن العينَين[3].

واستَعملَه أبو العلاء الهمَذانيُّ في حديثِه عن امتناع جَريِ النَّفَسِ مع المجهور حتى لو حُمِل على ذلك بالقوَّة، قال:"ألا ترى أنَّك لو **تَكَلَّفْتَ** الحرفَ مع جَرْيِ النَّفَسِ لم تَقْدِرْ عليه"[4].

3 . المعنى الثالث لـ: (التكلُّف) = من عيوب النُطق والأداء:

استَعمل محمد بن الهيثم أبو عبد الله الكوفيّ: **(التكلُّف المكروه)** كعيبٍ من عيوبِ القراءة في معرِضِ دِفاعِه عن الإمام حمزة بن حبيب الزيَّات[5]. ومعنى ذلك أنَّ هناك تكلُّفاً محموداً هو ما ذُكِر في النقطة السَّابقة.

وتابعَه: القرطبيُّ[6].

وجعلَ جعفرُ بن يحيى، وهو من علماء الأدب: **(التكلُّفَ)** أحدَ عيوب البلاغة[7].

4 . المعنى الرابع لـ: (التكلُّف) = المدُّ الفرعيُّ بسبب الهمزة أو السكون:

قسَّم الدانيُّ المدَّ إلى طبيعيٍّ **ومتكلَّف**، ويعني **بالمُتَكلَّفِ** المدَّ الذي يتوقَّف على سببٍ من همزةٍ أو سكونٍ، قال:"وأمَّا الممدود فعلى ضربَين: طبيعيٌّ **ومتكلَّفٌ**... **والمُتكلَّفُ** حقُّه أن يُزادَ في تمكينِ الألف والياء والواو على ما فيهنَّ من المدِّ الذي لا يُوصَلُ إلى النُّطقِ بهنَّ إلا به، مِن غير إفراطٍ في التمكينِ ولا إسرافٍ في التمطيط، وذلك إذا لقِيَهنَّ الهمزات والحروف السواكن لا غير"[8].

8 . المصطلح الثامن لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: (الإنْعَامُ)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُها اللُّغويُّ على تَرَفُّهٍ وطِيبِ عَيْشٍ وصلاحٍ. نَعِمَ عَيْشُهُ يَنْعَمُ: اتَّسَعَ ولانَ.

(1) الرعاية ص 216 .
(2) الرعاية ص 185 وانظر: ص 220 .
(3) التحديد ص 124 - 125 .
(4) التمهيد ص 280 .
(5) نقَل ذلك عنه أبو العلاء الهمَذانيُّ في التمهيد ص134 .
(6) الموضح ص 216 .
(7) الصناعتين للعسكريّ ص 53 .
(8) التحديد ص 98 .

ونَعُمَ الشيءُ نُعُومةً: لانَ مَلْمَسُهُ فَهُوَ ناعِمٌ. وأنعمَتُ عليه إنعاماً. ونَعَّمَهُ الله تنعيماً: جعَلَهُ ذا رَفَاهِيَةٍ. وإذا عَمِلْتَ شيئاً فأنْعِمْهُ، أي: أجِدْهُ، وأحسنَ فلانٌ وأنْعَمَ: أجَادَ وزَادَ على الإحسانِ[1].

استُعمِل لفظ: (الإنعام) في العناية بتجويدِ الأصوات وإظهارِها.

استَعمل الخاقانيُّ: (**الإنعام**) في التنبيه على إظهار صوتِ العَين والهاء، في منظومتِه الشَّهيرةِ التي تُعدُّ مِن أوَّل ما أُلِّفَ في علم التجويد[2]، قال:

"**وأنْعِمْ** بيانَ العَيْنِ والهَاءِ كُلَّمَا دَرَسْتَ وَكُنْ فِي الدَّرْسِ مُعْتَدِلَ الأمْرِ"[3].

وتابعَه أهلُ التجويد، فاستَعمله الدانيُّ بكثرةٍ في التنبيه على تجويد بعض الأصوات وبيانِها كنوعٍ من الاحترازات النُّطقيَّة، فمن ذلك: صوتُ الضَّاد، قال عنها:"وهو حرفٌ مستطيلٌ، مجهورٌ، مُطْبَقٌ، مُسْتَعلٍ، فينبغي للقُرَّاءِ أن يُلخِّصُوا لفظَه، **ويُنْعِمُوا** بيانَهُ"[4].

وقال عن السِّين إذا جاورَها حرفٌ من حروفِ الإطباقِ:"فإذا أتى ساكناً وبعْدَهُ حرفٌ من حروفِ الإطباقِ في كلمةٍ يَلْزَمُ **إنعامُ** تَلْخِيصِهِ، والتوصُّلِ إلى سُكُونِهِ في رِفقٍ وتُؤَدةٍ، وإلاَّ صارَ صاداً بالاختِلاَطِ"[5].

واستَعمله القرطبيُّ[6]، والهمَذانيُّ[7] أيضاً في التنبيه على الاحترازات النُّطقيَّة التي تكونُ عند أداء بعض الأصوات.

9 . المصطلح التاسع لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: (تفكيك الحروف، فكُّ الحروف)

قال الدانيُّ:"**وتَفكيكُ الحروف وفكُّها**: بيانُها وإخراجُ بعضِها من بعضٍ بتيَسُّرٍ وترسُّلٍ، من ذلك فكُّ الرقبةِ وفكُّ الأسير، لأنَّه إخراجهما من الرِّقِّ والأسر، وكذلك فكُّ الرَّهْنِ هو إخراجُه من الارتهان، وفكُّ الأعضاءِ هو إخراجُها من مواضِعِها، وفكُّ الكتابِ هو استخراجُ ما فيه"[8].

10 . المصطلح العاشر لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقيّ: (التلطُّف)

تقدَّم في صفات النُّطق .

(1) مقاييس اللُّغة ص 997 (ن ع م). وأساس البلاغة ص 643 والمصباح المنير ص 614 .

(2) انظر: ابن الجزريّ: غاية النهاية 2/ 320 - 321 .

(3) المنظومة الخاقانية ص 25 .

(4) التحديد ص 161 . وانظر مواضع أخرى استُعمِل فيها هذا المصطلح بالمعنى نفسه في تجويد بعض الأصوات: ص 123 و 125 و 127 و 135 و 137 و 141 و 145 و163 و 165.

(5) التحديد ص 147 .

(6) الموضح ص 66 و 114 و 115 و 116 و 122 و 204 .

(7) التمهيد ص 296 .

(8) التحديد ص 70. وأظنّ أنَّ هذا ما يقصِده ابن الجزريّ بقوله : إلا رياضة امرئٍ بفكِّه، أي الحرف.

المصطلحات المرتبطة بعمليَّة التعليم

استُعمل لعملية الأداء التعليميّ عدة مصطلحات، منها:

1 . (الأخذ)، 2 . (الأداء).

1 . المصطلح الأوَّل لعملية التعليم: (الأخذ)

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على حَوْزِ الشيء وجَيْبُهُ وجَمْعُهُ، ثم تتفرَّع من ذلك فروعٌ متقارِبةٌ في المعنى[1].

استُعمِل: (الأخذ) كجزء مشاركٍ في أكثر من معنى، منها:

1 . تصحيح النطق. 2 . تعريف ألف التفخيم وألف الإمالة.

المعنى الأوَّل لـ: (الأخذ) = جزء مشاركٌ في الملاحظة والتصحيح النطقيّ:

استعمل النبيُّ ρ لفظ: (الأخذ) في التعبير عن الملاحظة والاستدراكِ، فقد روى الصحابيُّ الجليلُ أبيُّ بن كعبٍ τ"أنَّ رسول الله ρ صلَّى بالنَّاس فتَرَكَ آيةً، فقال: أيُّكُمْ **أخَذَ** عليَّ شيئاً من قراءتي؟

فقال أبيٌّ: أنا، يا رسول الله. تَرَكْتَ آيةَ كذا وكذا.

فقال رسولُ الله ρ: قد عَلِمْتُ إن كان أحدٌ **أخَذَها** عليَّ، فإنَّكَ أنتَ هو"[2].

كان هذا اللَّفظُ من رسول الله ρ أحدَ الألفاظ التي استعملها الصحابةُ ψ ومَن بَعْدَهم في بيان الملاحظ الصوتيَّة التي يُلاحظُها الشيخُ على تلامذتِه في مقامِ التلقِّي والأداء على سبيلِ تصحيح النُّطق، فقد استَعمل الصَّحابيُّ الجليل عبدُ الله بنُ عمر ـ رضي الله عنهما ـ لفظ: (الأخذ) في نصّ خطير يُوضِّح كيفيَّة تلقين النبيّ ρ الدَّقائقَ الصوتيَّة لصحابته ψ، ونقلِهم ذلك إلى من بعدَهم، فعَن جبَلة بن سُحَيم (ت 125 هـ) قال: "قرأتُ على عبد الله بن عمر τ: [لِلْفُقَرَاءِ والْمَسَكِينَ] قال: **فأخَذَها** عليَّ بالمدِّ، ثمَّ قال: قرأتُها على رسول الله ρ كما قرأتَها، **فأخذَها** عليَّ كما **أخذْتُها** عليك، وفَغَر فاه"[3].

واستعملَه التابعيُّ الجليلُ أبو عبد الرحمن السُّلَميُّ في وصفه لطريقة قراءته على عليِّ بن أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: "قرأتُ على أمير المؤمنين عليٍّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ القرآنَ كثيراً، وأمسكتُ عليه المصحفَ فقرأ عليَّ، وأقرأتُ الحسنَ والحسَين ـ رضي الله تعالى عنهما ـ حتى قرآ عليَّ القرآنَ، وكانا يَدْرُسان على أمير المؤمنين عليٍّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ فرُبَّما **أخَذ** عليَّ الحرفَ بعد الحرف"[4].

(1) مقاييس اللغة ص 47 (أ خ ذ) .

(2) أخرجه أحمد في المسند 5/ 142 .

(3) الهمَذانيّ: التمهيد في معرفة التجويد ص 161.

(4) السبعة لابن مجاهد ص 68.

واستعمله أيضاً: قتيبةُ بن مِهران صاحبُ الكسائيّ[1]، وأبو محمَّد يحيى بنُ محمَّدِ بنِ قيسٍ العُلَيميُّ الأنصاريُّ الكوفيُّ[2]، وابن قتيبة، وعليُّ بن جعفر بن خُلَيع[3]. قال ابن قتيبة:" فأمَّا الغُلامُ الرَّيِّضُ والمسْتَأنِفُ للتعلُّم، فنَختارُ له أن **يُؤْخَذَ** بالتحقيقِ علَيه، مِن غير إفحاشٍ في مَدٍّ أو هَمْزٍ أو إدغام؛ لأنَّ في ذلك تَذليلاً لِلّسان، وإطلاقاً من الحُبْسَة، وحَلاًّ للعُقْدَة"[4].

المعنى الثاني لـ: (الأخذ) = جزء مشاركٌ في تعريف ألف التفخيم وألف الإمالة:

قال عبد الوهَّاب القرطبيُّ:"وأمَّا ألفُ التفخيم فهي ضدُّ ألف الإمالة؛ لأن الإمالة **يُؤخَذُ** بالألف فيها نحو الياء، والتفخيمُ **يؤخَذُ** بها فيه نحو الواو، وذلِك أن تُنحى بالفتحة التي قبلَها نحوَ الضمَّة، فتَخرُجُ هي بين الواوِ وبين الألف.

وزعَمُوا أنَّ كَتْبَهُمْ في المصحفِ: [الصَّلَوة] و [الزَّكَوة] ونحوَ ذلك بالواوِ على هذه اللُّغة"[5].

2 . المصطلح الثاني لعمليَّة التعليم: (الأداء):

يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على إيصال الشيءِ إلى الشيءِ، أو وُصولِه إليه من تلقاءِ نفسِه[6].

استَعمل الخاقانيُّ[7] في منظومته لفظ: **(الأداء)** في التعبير عن ما يؤدِّيه القارئ من ألفاظ التلاوة.

وهكذا استُعمِل عند أبي الفضل الخزاعيّ[8]، حتى غدا مصطلح: **(الأداء)** يُطلَق على ما يُتَعَلَّمُ قراءةً ومشافهةً على المشايخِ دون المنْصُوص في الكتبِ[9]، وأصبح شعاراً وسمةً للمحقِّقين من علماء القراءة، الضَّابطينَ لألفاظِ التلاوة أن يُنسَبوا إليه، ويُلقَّبوا به، فالسعيديُّ لقَّبَهم بـ: **(أهل الضبط والأداء)**[10] ولقَّبهم الدانيُّ[11]، والهمَذانيّ[12] بـ: **(أهل الأداء)**.

(1) انظر: التحديد للدانيّ ص 86.

(2) المطبوع من جامع البيان 1/ 319. والعُليميُّ هو شيخ القراءة بالكوفة، مقرئٌ حاذقٌ ثقة، أخذ القراءة عن شعبة، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين. (غاية النهاية 2/ 378 – 379).

(3) انظر: المطبوع من جامع البيان 1/ 138. وابن خُلَيع هو عليُّ بن محمَّد بن جعفر بن أحمد بن خُلَيع، أبو الحسن البغداديُّ، ثقة، مات سنة ست وخمسين وثلاثمائة. (غاية النهاية 1/ 566).

(4) تأويل مشكل القرآن ص 60.

(5) الموضح ص 83.

(6) مقاييس اللُّغة ص 50 (أ د ي).

(7) منظومة الخاقانيّ ص 18.

(8) المنتهى ص 392.

(9) انظر المطبوع من جامع البيان 3/ 941 والتحديد ص 82 – 83.

(10) التنبيه عى اللَّحن الجليّ والخفيّ ص 1.

(11) التحديد ص 87 و 118.

(12) التمهيد ص 300 و 306.

نتائج الفصل الخامس:

1 . الاهتمام بوصف العيوب عند المتقدّمين انصَبَّ على العوامل العضوية التي تسَبِّب هذه العيوب وكيفية مداواتها العلاجية.

2 . إنّ التفريق بين لُثغة الطفل واللُّثغة التي هي من العيوب ليَنُمُّ عن وعيٍ دقيق لِما هو طبيعيٌّ فطريٌّ وما هو عيبٌ نطقيّ. (مقدمة الفصل)

3 .كشف هذا الفصل عن اهتمام الرَّعيل الأوَّل بعيوب النُّطق ومعالجة أمراض الكلام.

4 .كشف هذا الفصل على تنبُّه بعض العلماء في أن بعض العيوب لا يَصلُح فيه التدريب النُّطقيّ. (اللُّثغة).

5 . اهتمام علماء التجويد بعيوب الأصوات وتجاوزهم ذلك إلى عيوب الهيئات ينبئ عن مناهج القراء الدقيقة في الأداء، وعن المستوى والذَّوق الصَّوتي الرَّفيع للوصول إلى الكمال في القراءة.

6 . حصَرَ هذا الفصل الأقسام التي تنضوي تحتها المصطلحات جاعلا عنواناً لكلِّ قسم، وهذا يوضِّح المعلومات وينظِّمُها في الذِّهن.

7 . القرآن الكريمُ له أسلوب صوتيٌّ في قراءته يعتمِدُ على التخشُّع والتدبُّر، وإنَّ استعمال الألحان والأنغام المطرِبة فيه ليُخرِجُه عن الغرضِ التعبديّ الذي أنزل من أجله، وهذا هو الغرض الذي من أجله نهى القراء عن استعمال ذلك فيه.

الفصل السادس:

الألقاب الصَّوتية للحروف الأصلية والفرعية

الفصل السادس: الألقاب الصوتية للحروف الأصلية والفرعية

هذا الفصل هو نافلةٌ للفصولِ السَّابقة، وأعني به الألقاب التي لقَّبها العلماء للحروف الجامدة والذائبة سواء أكانت حروفاً مفردةً أم مجموعةً. وقد انتشر كثيرٌ من الألقاب خلال الفصول الخمسة الماضية، وبقي منها ألقابٌ لم أذكُرها، وهي الألقاب الخاصة بالحروف الأصليَّة والفرعيَّة.

الحروف العربية:

سمَّى الخليل هذه التسعة والعشرين بـ:(**الحروفُ التي أُلِّفَتْ منها العربية**)[1]. ويدلُّ أصلُ التأليف في اللُّغة على انضمامِ الشيءِ إلى الشَّيء[2]. وسمَّاها ابن سينا بـ:(**حروف العرب**)[3].

وقسَّم سيبويه الحروفَ العربيَّة إلى أصولٍ وفروع، نناقِشُها فيما يلي:

الأصولُ هي الحروف التسعة والعشرون، سمَّاها سيبويه: (**أصل حروفِ العربية**)، والأصل يدلُّ على أساس الشيء[4].

وتابعَه أكثرُ من جاء بعده على هذا التقسيم من أهل العربية والتجويد، منهم: ابن السرَّاج[5]، وابن جنيّ مستعمِلاً: (**أصول حروف المعجم**)[6]، والقرطبيُّ: (**أصول الحروف**)[7].

وتنقسمُ الحروف الأصلية إلى قسمَين:

1 ـ حروفٌ أصليةٌ جامدة، وهي كلُّ الحروف غير حروف المدّ .

2 ـ حروفٌ أصلية ذائبة: وهي حروف المدّ الثلاثة وحركاتها منها.

أمَّا القسمُ الثاني فهو الحروف الفروع، "والحرفُ الفرعيُّ هو الصَّوت الأصليُّ الذي تتغَيَّرُ صفةٌ من صفاته الصَّوتيَّة، أو يَنتقل مخرجُه إلى مخرجِ صوتٍ مجاورٍ له. وذلك التغيُّرُ ناتِجٌ عن واحدٍ من ثلاثة أسبابٍ:

1 ـ المجاورةُ، مثل الصاد التي كالزَّاي في نحو (مَصْدَر)، والشين التي كالجيمِ في نحو (أشْدَق) فقد لَحِق الجهرُ كلاًّ من الصاد والشِّين المهموستَين لمجاورةِ الدال المجهورةِ.

2 ـ لغاتُ القبائل، مثل همزة بين بين، وألف الإمالة، وألف التفخيم.

(1) العين 1/ 58.
(2) مقاييس اللُّغة ص 70 (أ ل ف).
(3) رسالة أسباب حدوث الحروف ص 114.
(4) مقاييس اللُّغة ص 62 (أ ص ل).
(5) الأصول 3/ 399.
(6) سرّ صناعة الإعراب 1/ 41.
(7) الموضح ص 99.

3 . اللُّكْنة الأعجميَّة، مثل الطاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء"[1].

وأضيف إلى هذه الثلاثة سبباً رابعاً، هو الاستقلال بمخرجٍ دون مخرج كالنون الخفيَّة.

والحروف النَّاتجة عن السَّبَبَين الأوَّلَين والرَّابع من صميم لغات العرب، ولذلك جعلها سيبويه من الحروف التي تستحسنُ في تلاوة القرآن والأشعار، أمَّا الثالث فإن حروفَه لا تُستَحسن في تلاوة القرآن ولا الأشعار، لأنَّها حروفٌ أعجميَّة.

وقد ذكَر سيبويه أصلاً في كيفيَّة معاملة العربِ لهذا الثالث، حيث يُبدِلون الحرف الأعجميَّ بأقربِ حرفٍ إليه من العربية، قال:"فالبدلُ مطَّرِدٌ في كلِّ حرفٍ ليس من حروفهم، يُبدَلُ منه ما قَرُبَ منه من حروف الأعجميَّة"[2].

الألفاظ العامَّة الدالَّة على الحروف الأصلية والفرعية

وقبل أن أذكُرَ الحروفَ الأصليَّة وألقابَها وفروعَها أقول: إنَّ العلماء استعملوا للدلالة على الحروف الأصلية أو ما يَرجِع إلى أصل عدة مصطلحاتٍ أذكرُها فيما يلي:

استُعمِل لكلِّ شيءٍ يُرادُ فيه الأصلُ، أو التحويل إلى أصل عدَّةُ مصطلحات مترادفةٍ، منها:

1 . (الصَّحيح) 2 . (الخَالِصُ، المخْلَص، الخُلُوصُ، الإخْلاَصُ، التَّخْلِيصُ، التَّخَلُّصُ) 3 . (المحْضُ) 4 . (الصَّافِي، التَّصْفِيَةُ) 5 . (الصَّريح).

هذا هو المعنى العامّ، ثمَّ استُعمِل أكثرُ هذه الألفاظُ في عددٍ من المواطنِ الصوتيَّة الأخرى، منها:

1 . بَيَانُ الشَّيءِ وإظهارهُ. 2 . تَنْقِيَةُ الحَرْفِ عن تَأثيرِ مُجَاوِرِه عِنْدَ التَّرْكِيبِ. 3 . الإدْغَامُ الكَامِلُ. 4 . تَجْوِيدُ الحُرُوفِ. 5 . الفَتْحُ ضِدّ الإمَالَةِ. 6 . الإمَالَة الكُبْرَى.

وكلُّ هذه الاستعمالات تؤول في مجملها إلى المعنى الأوَّل.

1 . المصطلح الأوَّل للدَّلالة على الأصل: الصَّحيح:

من المشترك اللَّفظيّ. المعنى اللُّغويُّ كالصِّحَاح.

استُعمِل: (الصَّحيح) بمعنيَين: 1 . عكس الحروف المعتلَّة. 2 . إرادة الأصل، وهذا استُعمِل في أكثر من موطنٍ صوتيّ، منها: الحروف، والحركات، والإدغام الكامل، وفي العُضوِ السَّليم الخالي من الآفات.

1 . المعنى الأوَّل: عكس الحروف المعتلَّة:

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص 172 .

(2) الكتاب 4/ 306 .

يصعُب جداً حصرُ المستعمِلين له بهذا المعنى لشُهْرَتِه.

من الذين استَعملوه: الخليلُ، وسيبويه[1]، والمبرِّد[2]، وابن السرَّاج[3]، والسيرافيّ[4]، وابن خالويه[5]، وابن جنيّ[6]، والقرطبيُّ[7].

مثال: قال الخليل:"وتفسيرُ الثُّلاثِيِّ الصَّحيحِ أن يكون ثلاثةَ أحرفٍ، ولا يَكونَ فيها واوٌ، ولا ياءٌ، ولا ألفٌ لِيّنةٌ، ولا همزةٌ في أصل البناء؛ لأن هذه الحروفَ يُقَالُ لها: حُرُوفُ العِلَل"[8].

ب . المعنى الثاني: إرادة الأصل:

واستُعمِل في أكثر من مَوطنٍ صوتيٍّ، منها: الحروف، والحركات، والإدغام الكامل، وتجويد الحروف:

1 . الموطنُ الأوَّل: في الحروف:

نعَتَ القرطبيُّ الضاد الأصليَّة بـ: (الضاد الصَّحيحة) [9] في مقابل (الضاد الضعيفة) التي ذكرها سيبويه[10].

2 . الموطنُ الثاني: وفي الحركات:

استعمل الزَّجَّاج: (الكسر الصَّحيح)[11]، والفارسيُّ: (الضمَّة الصحيحة)[12] .

وعرَّف الدانيُّ الإمالة الكُبرى بأنها"دون الكسر الصَّحيح"[13].

3 . الموطنُ الثالث: وفي الإدغام الكامل:

تقدَّم.

(1) الكتاب 4/ 339.
(2) المقتضب 1/ 319.
(3) الأصول 3/ 358 و 376 .
(4) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 204- 205 .
(5) الحجة ص 186 .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 4.
(7) الموضح ص 91.
(8) العين 1/ 59.
(9) الموضح ص 84 .
(10) الكتاب 4/ 432 .
(11) معاني القرآن وإعرابه 5/ 331 .
(12) الحجة 1/ 345 - 346 . والطريف أنَّه استعمل في هذا الموضع ثلاثة ألفاظ للدلالة على الضمَّة الأصلية هي: الصحيحة، والخالصة، والمحضة.
(13) التحديد ص100 .

4 . الموطنُ الرابع: في العضوِ السَّليم الخالي من الآفات:

تقدَّم مصطلح: (اللِّسان الصَّحيح) في اللسان .

2 . المصطلح الثاني للدَّلالة على الأصل: (الخالص والخُلوص والإخلاص والتخليص والتخلُّص)

تقدَّم في الألفاظ المستعملة لتصحيح الكلام والتدريب النُّطقي.

3 . المصطلح الثالث للدَّلالة على الأصل: (المحض)

يدلُّ أصلُه اللُّغويّ على خُلُوص الشيءِ. منه اللَّبَن المِحْضُ: الخالِص. وعربيٌّ مَحْضٌ: خالِصٌ[1].

1 . الموطنُ الأوَّل: إرادة الأصل أوالتحويل إلى أصل:

استعمله النحاسُ[2]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[3]،وابن جنيّ[4]، وطاهر بن غَلْبون[5]، وابن سفيان القيروانيُّ[6]، ومكّيّ بن أبي طالب[7]، والدانيُّ[8]،وإسماعيل بن خلف[9].

مثال ذلك: استعمالُ أبي عليٍّ الفارسيُّ لـ: (الباء **المحضة**، والفاء **المحضة**) في حديثه عن تعريب العرَب للحرف الذي بين الفاء والباء[10].

2 . الموطنُ الثاني: في بيان الشيء وإظهاره ونقائه:

استعمله المبرِّدُ حيث ذكَر أن"الباءَ من الشفةِ **مَحْضَةٌ**"[11]. وكذلك ذكر أن نونَ الإخفاء محضةٌ من الخياشيم، قال:"وأما النونُ فإنَّ لها مخرجَين كما وصفت لك: مخرج الساكنة من الخياشيم **محضاً**، لا يَشْرَكُها في ذلك الموضع شيءٌ بكَمالِه. ولكنَّ النونَ المتحرِّكةَ، ومخرجُها مما يَلِي مخرج الراء واللام"[12].

3 . الموطنُ الثالث: في الإدغام الكامل:

(1) مقاييس اللُّغة ص 940 (م ح ض).
(2) إعراب القرآن 1/ 191.
(3) الحجة 2/ 164- 165.
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 52 و 97.
(5) التذكرة 1/ 65 و 116 و 2/ 308.
(6) الهادي 2/ 419.
(7) الرعاية ص 148.
(8) جامع البيان 2/ 512 و 580 و 611.
(9) العنوان ص 47.
(10) الحجة 2/ 164- 165.
(11) المقتضب 1/ 343.
(12) المقتضب 1/ 350.

تقدَّم في تركيب الحروف.

4 . الموطنُ الرَّابع: في الإمالة الكبرى:

تقدَّم.

4 . المصطلح الرَّابع للدَّلالة على الأصل: (الصافي، التصفية):

تقدَّم عند الحديث عن الألفاظ المستعملة للتدريب النطقيّ وتصحيح الكلام.

5 . المصطلح الخامس للدَّلالة على الأصل: (الصَّريح)

يدلُّ أصلُهُ اللُّغويُّ على ظُهورِ الشَّيءِ وبُرُوزِه. من ذلك الشَّيءُ الصَّريحُ، والصَّريحُ: المِحضُ الحسَب، وكلُّ خالصٍ صَريحٌ. وصَرَّحَ بما في نفْسِهِ: أظهَرَهُ[1].

فمن الذين استعملوها إرادة الأصل أوالتحويل إلى أصل:

1 . الموطنُ الأوَّل: في الحركات:

لقَّب ابنُ جنيّ الفتحةَ الأصليَّة والضَّمَّةَ الأصليَّة والكسرةَ الأصليَّة بـ: (الفتحة **الصَّريحةِ**) [2]، و(الضَّمَّة **الصَّريحة**)، و(الكسرةَ **الصَّريحة**)[3].

وتابعَه في الكسرة: أبو الفضل الخزاعيُّ[4]، وأبو مَعْشَرٍ الطبريُّ[5].

2 . الموطنُ الثاني: في الإبدال:

عبَّر ابن جنيّ عن إبدال الواو ياء بـ: (القَلْبِ **الصَّرِيح**) [6].

3 . الموطنُ الثالث: الحركة المشمَّة ضمًّا:

لقَّب ابنُ جنيّ الضَّمَّةَ المشمَّة ضَمًّا في نحو [قِيلَ]: (الضَّمَّةَ **غير الصَّريحة**) [7].

4 . الموطنُ الرَّابع: الإدغام الكامل:

تقدَّم في تركيب الحروف.

(1) مقاييس اللُّغة ص 568 (ص ر ح).
(2) سر صناعة الإعراب 1/ 97 .
(3) كلا الأخيرين في الخصائص 2/ 350 .
(4) المنتهى ص 218
(5) التلخيص ص 194 .
(6) الخصائص 3/ 161 .
(7) الخصائص 2/ 350 .

الألفاظ المستعملة لبعض حروف الهجاء

الألفاظ المستعملة للهمزة

استُعمِل للتعبير عن (الهمزة) عدَّة ألفاظٍ، منها: (النَّبْرَةُ، النَّبْر)، (الهمزة)، (الألف)، (الياء).

1 . المصطلح الأوَّل من مصطلحات الهمزة: (النَّبرة):

من المشترك اللَّفظيّ. يدل أصلُه اللُّغويُّ على الرَّفعِ والعُلُوِّ. نَبَرَ الغلامُ: صاح أوَّل ما يترعْرَع، ورجلٌ نبَّارٌ: فصيحٌ جهيرٌ، وسُمِّيَ المِنبَرُ؛ لأنَّه مرتفعٌ ويُرفَعُ الصَّوتُ عليه. والنَّبرُ في الكلام: الهَمْزُ أو قريبٌ منه. وكلُّ مَن رَفَعَ شيئاً فقد نَبَرَهُ، ونَبرةُ المغنِّي رَفْعُ صوتِه عن خَفضٍ[1].

استُعمل لفظ: (النَّبرة) في أكثر من معنى، منها:

1 . الهمزة المحقَّقة، وشاركه: (النَّبر) 2 . الهمزة المسهَّلة المختلسة الحركة 3 . الصُّوَيت الذي يَلْحَقُ الأصوات المقلقلة. 4 . النَّغمات الصوتية المصاحبة للكلام (Intonation)، وشاركه: (النَّبَرات).

1 . المعنى الأوَّل لـ: (النَّبرة، النَّبر) = الهمزة أو همز الكلمة:

استعمله النبيُّ ρ قال الخليل:" **النَّبْرُ** بالكلام: الهَمْزُ. وفي الحديث: "أنَّ رجلاً قال: يا نَبِيء الله، فقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا **تَنْبِرْ** باسْمي"، أي: لا تَهمِزْ"[2].

واستعمله من العلماء: سفيان الثوريّ[3]، ونافع المقرئ[4]، وسيبويه، والفرَّاء[5]، وابن السِّكِّيت[6]، وابن دُريد، وطاهرٌ بن غَلْبون[7].

مثال: وصفَ سيبويه الهمزةَ بأنَّها"**نبرةٌ** في الصَّدر تَخرجُ باجتهادٍ"[8] .

وعلَّل ابنُ دُريد لتسمية الهمزة **بالنَّبرة**، قال:"وسُمِّي الهمزُ في الكلامِ **نَبراً**؛ لعُلُوِّه على سائر الكلام"[9].

(1) مقاييس اللغة ص 971 (ن ب ر) ولسان العرب 5/ 189.
(2) العين 8/ 269 .
(3) نقل ذلك عنه الدانيّ في التحديد ص 118 .
(4) نقَل ذلك عنه الرمليُّ في تفسير القرآن ليحيى ونافع ومسلم ص 42.
(5) معاني القرآن 2/ 204 .
(6) إصلاح المنطق ص 16 .
(7) التذكرة 1/ 115 .
(8) الكتاب 3/ 548.
(9) الجمهرة 1/ 277 .

وقد انفَرَد الخوارزميُّ بأنَّ **النَّبرَةَ** عند الخليل هي "الهمزةُ التي تَقَعُ في أواخر الأفعال والأسماء نحو سبأ وقرأَ وملأَ"(1).

2 . المعنى الثاني لـ: (النَّبرة) = الهمزة المسهَّلة المختلسة الحركة:

استَعمل بعضُ المتقدِّمين لفظ: **(النَّبْرَة)** للتعبير عن الهمزة المخفَّفة، قال الخليل بن أحمد:"**النَّبْرَةُ** أَلْطَفُ وأَلْيَنُ وأحسنُ من الهمزة"(2).

وقال أبو محمَّد الخزاعيُّ عن أصحابه ممَّن روَوا عن ابن كثيرٍ القارئ المكيّ بواسطةٍ:"**والنَّبْرَةُ** عندهم دون الهمز"(3).

وقال ابن مجاهد توضيحاً لمن استَعمل هذا المصطلح من القرَّاء:"**والنَّبْرَةُ** عندهم همزةٌ ضعيفةٌ، كأنَّها همزةٌ بين بين، وليست بهمزة ثابتةٍ"(4). يعني: ليست محقَّقة.

وقال الفارابيُّ:"فإنَّ **النَّبرةَ** هي أيضاً همزةٌ بوجهٍ ما، وبينهما فرقٌ يسيرٌ"(5).

وقد خلُصَ الدانيُّ من ذلك كلِّه إلى أنَّ **النَّبْرَةَ** هي همزةٌ مسهَّلةٌ مختلَسةُ الحركة(6).

3 . المعنى الثالث لـ: (النَّبرة) = الصُّويت الذي يَلحَق الأصوات المقلقلة:

قال المبرِّد:"ومنها حروفٌ تُسْمَعُ في الوَقْفِ عندَها **نَبْرَةٌ** بعدَها، وهي حروفُ القَلْقَلَةِ، وذلك لأنها ضُغِطَتْ مَواضِعُها"(7).

وقال مكيّ في تعريف القلقلة:" القلقلة: ظهورُ صَوتٍ يُشبِهُ **النَّبرةَ** عند الوقف عليهن"(8).

5 . المعنى الخامس لـ: (النَّبرة، النَّبَرات) = النغمات الصوتية المصاحبة للكلام (intonation):

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم في الألفاظ المستعملة للانفعالات المصاحبة للكلام.

2 . المصطلح الثاني من مصطلحات الهمزة: (الهمزة)

(1) مفاتيح العلوم ص 55 .

(2) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 630.

(3) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 630.

(4) نقَل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 630. وجاء توضيح ابن مجاهد في معرض رواية الأصبهانيّ عن أصحابه عن ورشٍ عن نافعٍ، في حروف من الهمز **مَنبورةً**.

(5) الموسيقى الكبيرص 1117 .

(6) جامع البيان 2/ 631 .

(7) المقتضب 1/ 330 و 332 .

(8) الرعاية ص 124 .

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

3 . المصطلحُ الثالث من مصطلحات الهمزة: (الألِف):

من المشترك اللَّفظيِّ، تقدَّم.

4 . المصطلح الرَّابع من مصطلحات الهمزة: (الياء):

من المشترك اللَّفظيّ. تقدَّم.

الألقابُ التي لقِّبت بها الهمزة

لُقِّبت الهمزة بعدَّة ألقابٍ صوتيَّة، منها:

1 . (المضغوطة)، 2 . (المهتوت)، 3 . (المهتوف)، 4 . (الحرفُ الجرسيّ)، 5 . (الحرف الصَّوتيّ).

1 . اللَّقب الأوَّل للهمزة: (المَضْغُوطَة)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

2 . اللَّقب الثاني للهمزة: (المهتوت):

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

3 . اللَّقب الثالث للهمزة: المَهْتُوف:

كلمةٌ تدلُّ على الصَّوتِ الشديد، قال الخليل:" الهَتْفُ: الصَّوت الشديد. هَتَفَ يَهْتِف هَتْفاً وهتفتِ الحمامة: ناحت قال:

أإنْ هَتَفَتْ ورقاءُ ظلّت سهاهةّ تُبَكِّي على جُمْلٍ لوَرْقاء تَهْتِفُ"[1].

لقَّبَ مكيٌّ الهمزةَ بـ: **(المَهتُوف)**، بمعنى الصوت الشدَّيد؛ لأنَّ الهمزةَ لما ضُغِطتْ في مخرجها احتَاجَتْ إلى ظهورِ صوتٍ قويٍّ شديدٍ عند خروجِها، وهو معنى الهَتْف، قال:"وذكَرَ بعضُ العلماءِ في موضعِ المَهْتُوف: المَهْتُوت . بتاءَين . قال: لأنَّ الهمزةَ إذا رُفِّهَ عنها لانَتْ وصارَت إما واواً وإمَّا ياءً وإما ألفاً"[2].

4 . اللَّقب الرابع للهمزة: الحرف الجَرْسيّ:

لقَّبَ مكيٌّ الهمزةَ بـ: **(الحرف الجَرسيّ)**، قال:"وهو الهمزة، سُمِّيتْ بذلك لأنَّ الصوتَ يَعلو بها عند

(1) العين 4/ 34 .

(2) الرعاية ص 138 . وفي المطبوع: "لأن الهمزةَ إذا (وقفتَ) عليها..."، وذكر المحقِّقُ في الهامشِ كلمتَين تحتمِلان: (رُفِّه)، وهو ما يتَّفِقُ مع نصِّ الخليل.

النُّطق بها، ولذلك استُثقِلتْ في الكلام، فجاز فيها التحقيقُ، والتخفيفُ، والبدل، والحذف، وبين بين، وإلقاءُ الحركة"[1].

5 . اللَّقب الخامس للهمزة: الحرف الصوتيّ:

لقَّبَ مكيٌّ الهمزةَ بـ: (**الحرف الصَّوتيّ**)، قال:"فكأنَّه الحرفُ الصَّوتيُّ، أي المصَوَّتُ به عند النُّطق. وكلُّ الحروفِ يُصَوَّتُ بها عند النُّطق بها، لكنَّ الهمزةَ لها مزيَّةٌ زائدةٌ في ذلك"[2].

الألفاظ المستعملة للألف المدّية

استُعمِل للألف الميَّة عدَّة ألفاظ، منها:

1 . (الألف)، 2 . (الياء)، 3 . (الألف اللَّينة)، 4 . (المدَّة)، 5 . (الألف الممدودة)، 6 . (الألف المدّية)، 7 . (الألف الميِّتة)، 8 . (الحرف الهاوي)، 9 . (الفتحة)، 10 . (الألف الخفيفة)، 11 . (أمُّ الزوائد)، 12 . (الألف المصوِّتة)، 13 . (الألف الكبرى)، 14 . (الجَرِس)، 15 . (الألف الملساء).

المصطلحُ الأوَّل من مصطلحات الألف المدِّية: (الألف):

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

2 . المصطلحُ الثاني من مصطلحات الألف المدِّية: (الياء):

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم .

3 . المصطلحُ الثالث من مصطلحات الألف المدِّية: (الألف اللَّينة):

من تلقيب الخليل[3].

4 . المصطلحُ الرابع من مصطلحات الألف المدِّية: (المدَّة):

استعمله من العلماء: الخليل[4]، وتابعه: الفرَّاء[5]، والأخفش[6]، وأبو هشام الرِّفاعيّ[7]، وابن قتيبة[8]،

(1) الرعاية ص 133 .
(2) الرعاية ص 133 .
(3) العين 1/ 57 و 4/ 312 و 6/ 51 و 8/ 203.
(4) العين 1/ 163 و 4/ 102 و 6/ 295 و 7/ 142 و 8/ 93 و 8/ 214.
(5) معاني القرآن 1/ 208 و 3/ 171.
(6) العروض ص 121، والقوافي ص 114.
(7) نقل ذلك عنه الدانيّ في المطبوع من جامع البيان 2/ 586.
(8) أدب الكاتب ص 223.

والمبرِّد[1]، والزجاج[2]، وابن مجاهد[3]، وابن خالويه[4]، وابن جنيّ[5].

5 . المصطلحُ الخامس من مصطلحات الألف المدِّية: (الألف المدِّيَّة):

استعمله من العلماء: ابن دُرَيد، قال: "الألف المدية: جرسٌ بلا صَرْف"[6].

6 . المصطلحُ السادس من مصطلحات الألف المدِّية: (الألف الممدودة)

استعمله من العلماء: الخُوارزميّ، وعرَّفها بأنها "فتحةٌ مشبَعَة"[7].

7 . المصطلحُ السابع من مصطلحات الألف المدِّية: (الألف الميِّتة):

استعمله من العلماء: سيبويه[8]. أي: ماتت عن قبول الحركة.

8 . المصطلحُ الثامن من مصطلحات الألف المدِّية: (الحرف الهاوي):

من المشتركِ اللَّفظيّ. تقدَّم.

9 . المصطلحُ التاسع من مصطلحات الألف المدِّية: (الفتحة):

من المشتركِ اللَّفظيّ.

استعمل لفظ: (الفتحة) في أكثر من معنى، منها: 1 . الحركة القصيرة المعروفة. 2 . الألف المديَّة.

1 . المعنى الأوَّل لـ (الفتحة) = الحركة القصيرة المعروفة:

انظر مصطلح: (الفتح) في الألفاظ المستعملة لظاهرة التفخيم.

2 . المعنى الثاني لـ (الفتحة) = الألف المديَّة:

استعمله من العلماء: أبو محمد المسيّبيّ[9]، وتابعه: الكنديّ[10]. قال الدانيُّ: " وسَاغَتِ العبارةُ عن الألفِ بالفتحةِ من حيثُ كانت مأخوذةً منها، كما عبَّر النحويّون القدماءُ عن الحركاتِ بالحروفِ كذلك،

(1) المقتضب 1/ 298.
(2) معاني القرآن وإعرابه 4/ 165.
(3) السبعة ص 382.
(4) الحجة ص 65 و 161 و 198.
(5) المنصف 1/ 154.
(6) الجمهرة 1/ 7.
(7) مفاتيح العلوم ص 56.
(8) الكتاب 3/ 419.
(9) نقل ذلك عنه الدانيُّ في المخطوط من جامع البيان 160/ أ.
(10) رسالة في اللُّثغة ص 524 و 528.

فقالوا: العربيةُ على ثلاثةِ أحرف، وذلك مجازٌ واتساع "[1].

وهذا الاستعمالُ يَكْشف عن تصوُّرٍ دقيقٍ لعلاقة الحركة بحرف المدِّ من حيث اتِّحاد الهويَّة بينهما.

10 . المصطلحُ العاشر من مصطلحات الألف المدِّية: (الألف الخفيفة):

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم .

11 . المصطلحُ الحادي عشر من مصطلحات الألف المدِّية: (أمُّ الزوائد):

استعمله ابن ولاّد[2]. أي: أصل حروف الزيادة.

12 . المصطلحُ الثاني عشر من مصطلحات الألف المدِّية: (الألف المصوِّتة):

استَعمله ابن سينا، بالنَّظَر إلى وضوحها السَّمعيّ[3].

13 . المصطلحُ الثالث عشر من مصطلحات الألف المدِّية: (الألف الكبرى):

استعمله ابن سينا، في مقابل: الألف الصغرى، وهي الفتحة[4].

14 . المصطلحُ الرابع عشر من مصطلحات الألف المدِّية: (الجَرِس):

استعمله القرطبيّ[5]. ولعلَّه اشتقَّ لها هذا اللَّقب من قول الخليل:" فأما الألفُ اللَّينة فلا صَرْف لها، إنّما هي جَرْسُ مَدَّةٍ بَعْد فتحة"[6].

15 . المصطلحُ التاسع من مصطلحات الألف المدِّية: (الألف الملساء).

استعمله الحريريّ[7].

الأصوات الفرعيَّة للباء

1 . **(الباء التي كالفاء):** سيبويه[8]، والرمانيُّ[9]، والقرطبيُّ[10]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[1]،

(1) المخطوط من جامع البيان 160/ أ.
(2) الانتصار لسيبويه على المبرّد ص 224.
(3) أسباب حدوث الحروف ص 84.
(4) أسباب حدوث الحروف ص 126.
(5) الموضَح في التجويد ص 96.
(6) نقل ذلك عنه الأزهريّ في تهذيب اللُّغة 1/ 51.
(7) شرح ملحة الإعراب ص 98.
(8) الكتاب 4/ 432 .
(9) شرح كتاب سيبويه ل 190/ ب .
(10) الموضح ص 87 .

وهي من الحروف التي لا تُستَحسَنُ في تلاوة القرآن أو الأشعار، ولعلَّ هذا راجعٌ إلى عُجْمَتِها حيث ذكَر لها سيبويه نظيراً في الفارسيَّة، قال:"ويُبدِلُون من الحرفِ الذي بين الباء والفاء: الفاءَ نحو: الفِرِند، والفُنْدُق. وربَّما أبدلوا الباءَ؛ لأنَّهما قريبتان جميعاً، قال بعضُهم: البِرِند." [2].

وأظنُّ أنهما حرفان إما (P) المهموسة أو (V) المجهورة، ولما كان هذان الحرفان معدومَين في كلام العرب أبدلوهما إمَّا فاءً أو باءً عربيَّين، وهذا معنى قول سيبويه:"فالبدلُ مطَّرِدٌ في كلِّ حرفٍ ليس من حروفهم، يُبدَلُ منه ما قَرُبَ منه من حروف الأعجميَّة"[3].

وهذا الذي ولَّد مصطلح: (الفاء التي كالباء)، وتنبَّه القرطبيُّ إلى أنَّهما حرفين، فقال:"والباءُ التي كالفاءِ كثيرةٌ في لغة الفُرسِ وغيرهم من العجَم، وهي على ضربَين: أحدهما لفظُ الباءِ أغلبُ عليه من لفظِ الفاء، والآخَر لفظُ الفاءِ أغلبُ عليه من لَفظِ الباء"[4].

2 . **(الباء التي كالميم)**: ابن جنيّ[5]، وأبو العلاء الهمذانيُّ[6].

ولم يبيّنا ماهيَّتَها، ولعلَّها الباءُ المشربةُ غنةً كقراءةِ أحدِهم [ربِّ العلمين]: (رَمْبِ العالمين)، تخفيفاً لشدَّة الباء، والله أعلم.

3 . **(الباء المشدَّدة)**: ابن سينا.

قال:"من ذلك الباء المشدَّدة الواقعة في لغة الفرسِ عند قولهم (بيروزي)، وتحدثُ بشدٍّ قويٍّ للشفتَين عند الحَبس، وقَلْعٍ بعنفٍ، وضغطٍ للهواءِ بعُنْف"[7]. لعلَّه يَقصِدُ الباء المهموسة (P) إذ يَنطبِقُ وصفُه عليها.

الأصوات الفرعيَّة للجيم

1 . (الجيم التي كالكاف):

استعمله من العلماء: سيبويه[8]، وابن جنيّ[9]، والقرطبيُّ[10]، وأبو العلاء الهمذانيُّ[11]، وابن الأنباريّ[1].

(1) أسرار العربية ص 207 .
(2) الكتاب 4/ 306 .
(3) الكتاب 4/ 306 .
(4) الموضح ص 87 . وذكر المحقق أنَّ القرطبي نقَل هذا من شرح السيرافي للكتاب 6/ 450 .
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 46 .
(6) التمهيد ص 276 .
(7) أسباب حدوث الحروف ص 92 وانظر ص 86 عن الجيم الفارسية.
(8) الكتاب 4/ 432 .
(9) سر صناعة الإعراب 1/ 46 .
(10) الموضح ص 84 .
(11) التمهيد ص 276 .

2 . (الحرف الذي بين الكاف والجيم)، (الحرف الأعجميّ الذي بين الكاف والجيم):

عدَّ سيبويه (**الجيم التي كالكاف**) من الحروف التي لا تُستَحسَنُ في تلاوة القرآن أو الأشعار، وأظنُّ أنَّها هي ذات الجيم التي ذكَر لها نظيراً في الفارسيَّة قبل ذلك، ولقَّبها بـ: (**الحرف الذي بين الكاف والجيم**) و (**الحرف الأعجميّ الذي بين الكاف والجيم**)، قال سيبويه:" يُبْدِلُون من **الحرفِ الذي بينَ الكافِ والجيمِ**: الجيمَ لِقُرْبِها منها، ولم يكن من إبدالها بُدٌّ؛ لأنها ليستْ من حروفهم. وذلك نحو: الجُرْبُزِ والآجُر والجَوْرَب. وربَّما أَبدَلُوا القافَ؛ لأنها قريبةٌ أيضاً، قال بعضهم: قُرْبُزٌ، وقالوا: كُرْبَقٌ وقُرْبَق... وجعَلوا الجيمَ أولى لأنَّها قد أُبدِلتْ من **الحرفِ الأعجميّ الذي بين الكاف والجيم**"[2].

وبيَّن القرطبيُّ أنَّ الجيمَ التي كالكاف، والكاف التي كالجيم صوتٌ واحدٌ إلاَّ أنَّ أصلَ إحداهما الجيمُ وأصلَ الأخرى الكافُ[3].

ولعلَّ القرطبيَّ يَقصِدُ الجيم العدنية والقاهرية، وقاف عامة مدن المملكة فهما جميعاً صوتٌ واحدٌ إلاَّ أنَّ قاف أهل المملكة تميل قليلاً نحو القاف، لقولِه بعد ذلك:"ونرى اليوم مَن يتكلَّمُ بالقافِ بين القافِ والكافِ فيأتي بمثلِ لَفظِ الكافِ التي بين الجيم والكاف"[4].

وهذا الذي تنبَّه إليه ابنُ سينا في وصفِ: (الحرف الشبيه بالجيم) و (الكاف الخفيفة)، وسيأتي ذكرهما.

3 . (الجيم التي كالشين):

استعمله من العلماء: سيبويه[5]، وابن جنيّ[6]، والقرطبيّ[7]، والخفاجيُّ[8]، وأبو العلاء الهمذانيّ[9].

ولعلَّها الجيم الرِّخوة التي تُسمع من أهل سوريا.

4 . (الحرف الشبيه بالجيم):

من ألقاب ابن سينا، وصَفها بقوله:"وحروفٌ تشبهُ الجيم، وهي أربعة: منها الحرفُ الذي يُنطَقُ به في أوَّل البئر بالفارسيَّة، وهو "جاه"، وهذه الجيمُ يَفعلُها إطباقٌ من طرفِ اللِّسان أكثرُ وأشدُّ وضغطٌ للهواء

(1) أسرار العربية ص 207 .
(2) الكتاب 4/ 305 .
(3) الموضح ص 85 .
(4) الموضح ص 87 .
(5) الكتاب 4/ 432 .
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 46 .
(7) الموضح ص 84 .
(8) سر الفصاحة ص 19 .
(9) التمهيد ص 276 .

عند القَلْعِ أقوى، ونسبة الجيم العربية إلى هذه الجيم هي نسبةُ الكافِ الغير العربية إلى الكاف العربية"[1].

وهذا الوصفُ يدلُّ على جيمٍ شديدةٍ، ورجَّح الدكتور إبراهيم أنيس أن تكون الصَّوت الذي يُرمَز إليه في الانجليزية بـ: (CH) تش[2].

5. (الجيمُ التي تَضربُ إلى شبه الزَّاي):

6. (الجيمُ التي تَضربُ إلى شَبَهِ السِّين):

7. (الجيمُ التي تَضربُ إلى شَبَهِ الصَّاد):

هذه الجيماتُ الثلاثةُ السابقةُ من ألقاب ابن سينا، وهي جيماتٌ شديدةٌ رخوةٌ (مركَّبة) تبدأ بانحباس الجيم ويميلُ صوتُ إطلاقِها إلى الأصوات التي ذكَرها، فالأولى تميلُ إلى الزَّاي بأن تكون مجهورةً يهتزُّ فيها موضِعُها من اللِّسان، والثانية تَميلُ إلى السين بأن تكون مهموسةً، والثالثة تَميلُ إلى الصَّادِ بأن تزيد مساحة حَصر الصَّوت بسبب الإطباق، قال ابن سينا:"وها هنا أيضاً حروفٌ ثلاثةٌ تُشبِه الجيمَ، ليست في العربية ولا في الفارسيَّة، وكلُّها تُبْتَرُ عنها الفرقَعةُ التي في الجيم [أي: لا تَخرُجُ بانطلاق الهواء دفعة واحدة]، ويزول جَرْسُها إلى الهمسِ والصَّفير اليابس [أي: إلى الرَّخاوة والاحتكاك]، فتارةً تَضرِبُ إلى شبَهِ الزَّايِ بأن يَحدُث عن الهواء المولِّدِ للهمس هَزٌّ كالهَزِّ الذي في الزَّاي. وتارةً تَضْرِبُ إلى شَبَه السِّينِ بأن يُسرَّب الهواءُ الفاعِلُ لهيئةِ الجيمِ يابساً في خَلِلِ الأسنان دون تعرُّضِهِ لهَزٍّ شيءٍ. وتارةً تَضْرِبُ إلى شَبَهِ الصَّادِ لمِثْلِ ذلك وزيادةٍ في الإطباق"[3].

ولعلَّ الجيمَ التي تضْرِبُ إلى شَبَه الزاي في قولِ ابن سينا هي الجيمُ التي تُقَرَّب إلى الزايِ في قول سيبويه، أعني في: الأجْدَر[4]. وهي التي لقَّبها القرطبيُّ بـ: (الجيم التي كالزاي)، هذا مع ملاحظةِ أنَّ ابن سينا لم يعدَّها من حروف العرب.

ورجَّح الدكتور إبراهيم أنيس أن تكون هذه الجيمات أصواتاً مركَّبةً على التوالي: (DZ) في (DIPHTHONG)، و (KS) في نحو (EXPRESS)، و (كص) في نحو (EXULATATION)[5].

8. (الجيم التي كالزَّاي):

ذكرها القرطبيُّ، واستَدرك بها على سيبويه، هي والسين التي كالزَّاي، قال:"وتجيء الحروفُ على قياسِ ما

(1) أسباب حدوث الحروف ص 86 - 87 .

(2) الأصوات اللغوية ص 145 .

(3) أسباب حدوث الحروف ص 128. وانظر: ص 87 - 88.

(4) الكتاب 4/ 479 .

(5) الأصوات اللغوية ص 146 .

عدَّه سيبويه أكثرَ من ثلاثةٍ وأربعين؛ لأنَّه ذكَر في بابٍ قُبَيلَ آخِرِ الكتابِ السِّينَ النِي كالزَّايِ، والجيمَ التِي كالزَّايِ"[1].

الأصوات الفرعية للذال

(الذال التي كالثاء):

من تلقيب الأخفش[2]. وأظنُّ أنَّها تكون بأن يَغلِبَ همسُ الثاء عليها.

الأصوات الفرعيَّة للرَّاء

1 . الراء الغَينيَّة:

من تلقيب ابن سينا، قال عنها:"ومن ذلك راءٌ غَينيَّةٌ، نِسبتُها إلى الرَّاءِ والغَينِ نسبةُ الحرفِ المذكور قبلها إلى الزايِ والشِّين، وتحدُثُ بأن يُتَغَرغَر بالهواءِ التغَرْغُرَ الفاعِلَ للغَين، ثمَّ يُرَعَّدُ طرفُ اللِّسان، أو يَحدُثَ في صِفاقِ المِنخِرِ الداخلِ ذلك الارتعادُ، فتَحدُثُ راءٌ غَينيّةٌ"[3]. ولعلَّ هذا الوصفَ أكثرُ ما يَنطَبِقُ على نُطقِ الانجليز والأمريكان للرَّاء في كلمة: (FATHER)، والله أعلم.

2 . الرَّاء اللاَّمية:

من تلقيب ابن سينا، قال عنها:"وأيضاً راءٌ لامِيَّةٌ، تَحْدُثُ بألاَّ يُقتَصَرَ على ترعيدِ طرفِ اللِّسانِ فقط، بل تُرخى العضلات المتوسِّطةُ للِّسانِ وتُشنَّجُ الطرفيَّة حتى يَحْدُثَ تقبيبٌ ويُرسَلَ الهواءُ معتمِداً على ذلك التقبيبِ في الرُّطوبة فيه"[4].

وهذه الرَّاء مجهولةٌ لديَّ، ولا يتَّجِهُ لي نُطقُها.

3 . الراء المُطْبَقة:

من تلقيب ابن سينا، قال عنها:"**وراءٌ مُطْبَقةٌ** يُرَعَّدُ فيها لا الطرفُ من اللِّسان فقط بل وسطُه"[5].

لعلَّها الرَّاء المفخَّمة حيث تزيد المساحةُ التي يَشغَلُها اللِّسانُ بسبب الإطباق.

الأصوات الفرعيَّة للزَّاي

(الزاءُ الظائيَّة):

(1) الموضح ص 87 .
(2) التمهيد ص 277 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 129 - 130 .
(4) أسباب حدوث الحروف ص 130 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص 130 .

من تلقيب ابن سينا، قال عنها:"يكونُ وسطُ اللِّسان فيها أرْفَع، والاهتزازُ في طرفِ اللِّسان خفيٌّ جداً، وكأنَّهُ في سَطْحِه"[1].

ولعلَّها (الصَّادُ التي كالزَّاي) في قولِ سيبويه، والمقروءُ بها عند بعض القرَّاء في مثل: [أَصْدَق]، وهي عينُها الظاء التي تُسمَع من عامَّة أهل سوريا ومصر في مثل: (ظَلَمْنِي).

الأصوات الفرعيَّة للسِّين

1 . السِّين الصاديَّة:

من تلقيب ابن سينا، قال عنها: إنَّها"تَحْدُثُ من استعمالِ جزءٍ أكبرَ وأعرضَ وأبطنَ من اللِّسان"[2]. وفي وصفٍ آخر قال:"تحدُثُ من استعمالِ جزءٍ من اللِّسان أعرضَ وأطولَ إلى داخل"[3].

وأظنُّ أنها: (الصاد التي كالسِّين) في قول سيبويه[4] إلاَّ أنَّ أصلَيهما مختلفان: صادٌ في قول سيبويه، وسينٌ في قولِ ابن سينا.

وهذان الصَّوتان يَشتَرِكان جميعاً في هيئة الإطباق.

2 . السِّين الزائيَّة:

من تلقيب ابن سينا، قال عنها: "تَكثُرُ في لغة خُوارزم، وتَحدُثُ بأن تُهَيَّأ الهيئةُ التي تَحدُثُ عن مثلِها السِّين، ثمَّ يَحْدُثُ في العضلة الباطِحة للِّسان ارتِعادٌ، كما يَحدُثُ في الزَّاي فتَضْرِبُ إلى مشابهةِ الزَّاي"[5].

ولعلَّها السِّين التي تُقرَّبُ إلى الزَّاي في قول سيبويه، أعني: التزدير في التسدير[6]، وهي السِّينُ التي كالزاي في قول القرطبيّ[7].

ورجَّح الدكتور إبراهيم أنيس ان تكون السِّينَ التي يَنطِقها الأوزباكيُّون ذَوُو الأصول التركيَّة، وهي سينٌ جُهِرَ بها قليلاً[8].

الأصوات الفرعيَّة للشِّين

(1) أسباب حدوث الحروف ص 130 - 131 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص 88 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 129 .
(4) الكتاب 4/ 432 .
(5) أسباب حدوث الحروف ص 129 .
(6) الكتاب 4/ 478 - 479 .
(7) الموضح ص 87 .
(8) الأصوات اللُّغوية ص 147 .

1 . (الشين التي كالجيم):

من الحروف الفرعية المستحسنة عند سيبويه في تلاوة القرآن والأشعار[1].

تابعَه على لفظه: ابن السرَّاج[2]، والرمانيّ[3]، وابن جنيّ[4]، والقرطبيّ[5].

وسمَّاه المبرِّد: (الحرف المعترض الذي بين الشين والجيم)[6].

وسمَّاه مكيّ: (الحرف الذي بين الشين والجيم)[7].

وقد ذكَر عنها ابن جنيّ بأنَّها التي يَقلُّ تفشِّيها واستطالتُها[8]. وذكر أبو العلاء الهمذانيُّ بأنّها التي تتراجع نحو الجيم[9].

2 . الشِّينُ الزَّائيَّة:

من تلقيب ابن سينا، قال عنها: "ومن ذلك شينٌ زائيَّة تُسْمَعُ في الفارسيَّة عند قولِهم: (زرف)، وهي شينٌ زائيَّةٌ تَحُدُثُ عن تقريبِ اللِّسان من سطحِ الشَّجْر، وتهزيز سطْحِه، وإحداثِ الهمس فيه، فتبتدئ شيناً عند جزءٍ من اللِّسان، وتُختَمُ زاياً عند طرَفه"[10].

معنى هذا أنَّها صوتٌ مركَّبٌ مزدَوجٌ، ولعلَّه الشِّينُ التي تُقرَّبُ من الزَّاي في قول سيبويه، أعني في: أَشْدق[11].

الأصوات الفرعية للضاد

(الضاد الضعيفة)

عدَّها سيبويه من الحروف الفرعيَّة غير المستحسنة، قال عنها سيبويه:"إلاَّ أنَّ الضاد الضعيفة تُتَكلَّف من الجانب الأيمنِ، وإن شئت تكلَّفتَها من الجانب الأيسر وهو أخفُّ؛ لأنَّها من حافَّة اللِّسان مُطبَقة ، لأنك

(1) الكتاب 4/ 432 .
(2) الأصول 3/ 399 .
(3) شرح كتاب سيبويه ل 190/ ب .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 46 .
(5) الموضح ص 81 .
(6) المقتضب 1/ 330 .
(7) الرعاية ص 111 .
(8) سر صناعة الإعراب 1/ 50 .
(9) التمهيد ص 275 .
(10) أسباب حدوث الحروف ص 129 .
(11) الكتاب 4/ 479 .

جمَعت في الضاد تكلُّفَ الإطباقِ مع إزالته عن موضعه"[1].

ظاهر هذا يوحي بأن سيبويه يَصِف الضاد التي قلَّ تفخيمُها، كأخواتِها: الصاد التي كالسِّين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، لكنَّه لما لم يجِد لهذه الضاد نظيراً مرقَّقاً سمَّاها بهذا الاسم. وإلاَّ فما معنى شرحه لها بعد قوله: "وهذه الحروف التي تَمَّمْتُها اثنين وأربعين جيِّدُها ورديئُها أصلُها التسعة والعشرون، لا تُتَبيَّنُ إلا بالمشافَهة، إلاَّ أنَّ الضادَ الضَّعيفة... الخ"[2].

الأصوات الفرعيَّة للطاء

(الطاء التي كالتاء):

ذكر سيبويه من الحروف الفرعيَّة غير المستحسنة: (الطاء التي كالتاء)[3]، دون أن يُحدِّد ماهيَّتها، لكن نصوص العلماء بعد سيبويه، قد ألقَتْ بعضَ الضَّوءِ حولَها.

قال الأعلم الشنتمريّ:"وأما الطاء التي كالتاء، فإنها تُسمَعُ من عَجَم أهلِ المشرقِ كثيراً، لأنَّ الطاءَ في أصل لغتهم معدومة، فإذا احتاجوا إلى النُّطق بشيء فيه طاء تكلَّفوا ما ليس في لغتهم، فضعف نطقهم بها"[4].

الأصوات الفرعيَّة للظاء

(الظاء التي كالثاء)

من تلقيب سيبويه وهي من الفرعية غير المستحسنة التي قلَّ تفخيمها[5].

الأصوات الفرعيَّة للفاء

. (الفاءُ التي تكادُ تُشبِهُ الباء):

من تلقيب ابن سينا، قال عنها: "وها هنا فاءٌ تكادُ تُشبِهُ الباء، وتَقَعُ في لغة الفُرْسِ عند قولهم: (فزون) تُفارِقُ الباءَ بأنَّه ليس فيها حبسٌ تامٌّ، وتُفارِقُ الفاءَ بأنَّ تضييقَ مخرجِ الصَّوت من الشَّفةِ فيها أكثرُ، وضغطَ الهواء أشدُّ، حتى يكادَ يَحدثُ منه في السَّطحِ اللَّيِّن من الشَّفةِ فيها ارتِعادٌ"[6]. وهي تدخُل ضمنَ الباءِ التي كالفاءِ في قول سيبويه.

(1) الكتاب 4/ 432 .
(2) الكتاب 4/ 432 .
(3) الكتاب 4/ 432 .
(4) النكت في تفسير كتاب سيبويه 2/ 1245 .
(5) الكتاب 4/ 432 .
(6) أسباب حدوث الحروف ص 129 .

. (**الكاف الخفيفة**): من ألقاب ابن سينا[1]، وقد شرحها في موضعٍ آخَر بقوله:"أمَّا الكافُ التي يَستعمِلُها العربُ في عصرنا هذا بدلَ القاف، فهي تحدُثُ حيث تحدُثُ الكافُ إلاَّ أنَّها أدخلُ قليلاً والحبسُ أضْعَف"[2].

ومعنى: أدخل، أي باتجاه مخرج القاف، كما تقدَّم في اتجاهات المخارج.

وفي نصِّ ابن سينا دلالات مهمَّة جداً، منها أنَّ الانحراف النُّطقيّ بالقاف الفصيحة عند العرب قديمٌ من عصر ابن سينا أو قبله. ومنها أيضاً إبطالُ ادِّعاء المعاصِرين بأنَّ أصلَ قافِ القراء هي القافُ التي تُسمَع في مدن المملكة على حين أنَّ العكس هو الصَّحيح.

الأصوات الفرعيَّة للاَّم

الميم: لقَّبها الخليل بـ: (المطْبِقَة)، قال:"لأنَّها تُطْبِقُ الفمَ إذا نُطِق بها "[3].

اللاَّمُ المُطْبَقة:

من تلقيب ابن سينا، قال عنها:"وهاهنا لامٌ مُطبَقةٌ نسبتُها إلى اللاَّمِ المعروفة نسبةُ الطاءِ إلى التاء، وتكثرُ في لغةِ التُّرْكِ مأخوذةً على أنَّها حرفٌ آخَر، ويَستعمِلُها المتَفَيْهِقُ في لغة العربِ على أنَّها اللاَّمُ المعروفةُ بعينِها"[4].

وأظنُّ أنَّه يَقصِدُ اللام المغلَّظة أو المفخَّمة التي مرَّت في التفخيم.

الواو المدية

. (**الواوُ المُنَعِّمةُ للصَّوت**): ابن جنيّ[5].

. (**الواوُ المُصَوِّتةُ**): ابن سينا[6].

. (**الحرفُ المتَّصِلُ**): لقَّبها مكيٌّ بذلك أخذاً من كلام المبرِّد عن اتِّصال الواو بمخرج الألف[7]، قال مكيٌّ:"وهو الواوُ، وذلك لأنَّها تَهوِي في مخرجِها في الفم؛ لما فيها من اللِّين حتى تتَّصِلَ بمخرجِ الألف"[8].

(1) أسباب حدوث الحروف ص 86 .

(2) أسباب حدوث الحروف ص 74 .

(3) العَين 1/ 58.

(4) أسباب حدوث الحروف ص 131 .

(5) الخصائص 3/ 184 .

(6) أسباب حدوث الحروف ص 84 .

(7) قال في المقتضب 1/ 310: "لأن الواو تهوي من الشفة للفم؛ لما فيها من اللين حتى تتصل بأختيها الألف والياء" اهـ .

(8) الرعاية ص 138 .

وتابعه القرطبيُّ[1].

الواو غير المدية:

. **(الواوُ الصَّامتةُ)**: ابن سينا[2].

الياء المدية

1 . الياء المصوِّتة: ابن سينا[3].

الياء غير المدِّية:

1 . الياء الصَّامتة: ابن سينا[4].

الحروف الأصليَّة الجامدة

وهي الحروف التي تتحيَّزُ في مخارجِها، وهي غير حروف المدِّ واللِّين.

استُعمل للحروف الأصليَّة الجامدة عدَّة ألفاظ، منها:

(الصِّحَاحُ)، (الصَّحِيحُ)، (الجَامِدَةُ)، (السَّوَاكِنُ)، (غَيرُ المصَوِّتِ)، (حُرُوفُ السَّلاَمَة).

1 . المصطلحُ الأوَّل للحروف الأصلية الجامدة: (الصِّحَاح)

عكسُ : (المعتلَّة، والعِلَل، وحروف الاعتلال).

يدلُّ أصلها اللُّغويُّ على البراءة من المرضِ والعَيب، وعلى الاستواء. من ذلك الصِّحَّةُ: ذَهابُ السُّقم، والبراءةُ من كلِّ عَيب، والصَّحيح والصِّحاحُ بمعنىً[5].

وهكذا استَعمَل الخليلُ: **(الصِّحاح)**، في مقابل الحروف المعتلَّة التي هي دائمة التغيُّر، كأن بها مرضٌ، أو لكَونها تَتَغَيَّرُ بانقلاب بعضِها إلبعضٍ بالعِلَلِ الموجِبَة لذلك[6]، أعني بها حروفَ المدِّ والهمزة، قال الخليل:"فهذه صورةُ الحُرُوفِ التي أَلِّفَتْ منها العربيةُ على الوَلاَء، وهي تسعةٌ وعشرون حرفاً:

(ع ح هـ، خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م): فهذه الحروفُ **الصِّحَاح**.

(1) الموضح ص 95 .
(2) أسباب حدوث الحروف ص 84 و 124 .
(3) أسباب حدوث الحروف ص 84 .
(4) أسباب حدوث الحروف ص 84 و 124 .
(5) مقاييس اللُّغة ص 541 (ص ح ح).
(6) أسرار العربية لابن الأنباريّ ص 210 .

والعِلَلُ: (و، ا، ي، ء). فهذه تسعةٌ وعشرون حرفاً منها أبنيةُ كلامِ العرَب"[1].

والهمزةُ تعدُّ أحدَ الصِّحاح في حالتها المحقَّقة، أمَّا في حال إبدالها أو الترفيهِ عنها إلى حرفِ مدٍّ فهي معتلَّة، قال:" وأما الهمزةُ فمخرجُها من أقصى الحلق مَهْتُوتَةً مَضْغُوطَةً، فإذا رُفِّهَ عَنْها لاَنَتْ فصَارَت الياءَ والواوَ والألفَ، عن غير طَريقةِ الحُرُوفِ الصِّحَاح"[2]، واعتلَّ لها في موضعٍ آخَر بقوله:" لأنّ الهمزةَ مُعْتَلّةٌ لما يَدْخُلُ عليها من التّلْيينِ والسُّقُوطِ في مواضعَ كثيرةٍ"[3].

وانقسم العلماء بعد الخليل إلى فريقَين:

منهم من تابع الخليلَ في عدِّه الهمزة معها، كابن السرَّاج[4]، ومكّيّ[5]، والدانيُّ[6]، وأبو البركات ابن الأنباريّ[7]، وزاد مكّيٌّ عن قومٍ الهاءَ بحُجَّة انقلابها إلى همزة[8].

ومنهم من أخرجها منها، كابن دُرَيد[9]، والفارسيّ[10]، وابن جنيٍّ[11]، والحريريّ[12].

تابَع الخليلَ على لفظ: (**الصِّحاح**): ابن دُرَيد[13]، وابن جنيّ[14]، والقرطبيّ[15].

2 . المصطلحُ الثاني للحروف الأصلية الجامدة: (الصَّحيح)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

3 . المصطلحُ الثالث للحروف الأصلية الجامدة: (الجَامِدَة)

عَكْسُ الذَّائب والذَّوائب.

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على جُمود الشيء المائع من بَرْدٍ أوغيره. ثمَّ تُوُسِّع فيه فيقول العربُ للبخيل: جامِدَ

(1) العين 1/ 58.
(2) العين 1/ 52.
(3) العين 8/ 345.
(4) الأصول 3/ 311.
(5) الرعاية ص 128.
(6) التحديد ص 109 .
(7) أسرار العربية ص 209 .
(8) الخصائص 2/ 493.
(9) الجمهرة 1/ 6.
(10) التكملة ص 53 .
(11) المحتسب 2/ 36 .
(12) شرح ملحة الإعراب ص 91.
(13) الجمهرة 1/ 6 .
(14) الخصائص 2/ 493.
(15) الموضح ص155 .

المال، وعَينٌ جَمُودٌ وجامِدَةٌ: قليلةُ الدَّمْع[1].

استَعمَل الدانيُّ: (الحروف الجامدة)، للتعبير عن الحروف الأصليَّة غير الألف، والواو والياء في حالتَيهما المدّية وغير المدّية، قال:"وكُلُّهم يُحَقِّقُ الهمزةَ، ويُخْلِصُ السَّاكنَ قبلَها إذا كانا معاً في كلمةٍ واحدةٍ، سواء كان السَّاكنُ حرفَ مدٍّ ولِينٍ، أو حرفَ لِينٍ فقط، أو كان حرفاً جامداً، أو توسَّطَتِ الهمزةُ، أو وقَعَتْ طرَفاً... إلاَّ ما كان من مذهَب هشامٍ وحمزةَ في الوقف"[2].

فاستثنى حروف المدّ، وحرفَي اللِّين من الجوامدِ، إلا أنَّه ـ وهو مدركٌ لطبيعة حرفي اللِّين ـ ذكَر أنَّ الياءَ والواوَ المدّيَتين"إن انفتَح ما قبلَهُما زالَ عنهما معظَمُ المدِّ، وانبسطَ اللِّسانُ بهما، وصارا بمنزلةِ سائر الحروف الجامدة"[3].

ونقَل القرطبيُّ عبارتَه[4].

وللتفريق بين سكون حروف المدّ والصِّحاح استعمَل الدانيُّ لسكونِ الحروف الصِّحاح لفظ: (السُّكُون الجامِد)[5]، ولقَّب الحرفَ الصَّحيحَ إذا سكَن بـ: (السَّاكن الجامد)[6].

4 ـ المصطلحُ الرَّابع للحروف الأصلية الجامدة: (السَّواكِن)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على خِلاَفِ الاضطراب والحرَكة[7].

استُعمِل لفظ: (السَّواكِن) في أكثر مِن معنى، منها:
1 ـ الساكن من الحروف مدّاً كان أو غيرَ مدٍّ. 2 ـ الحروف الأصلية الجامدة. 3 ـ مجموعة: (ذال إذ ، دال قد، تاء التأنيث، لام هل وبل).

1 ـ المعنى الأوَّل: الساكن من الحروف:

سواء أكانت حروفاً جامدةً أم حروفَ مدّ. والمستعمِلون له بهذا المعنى يصعُبُ حصرُهم، منهم:

الخليل[8]، وسيبويه[9]، والفرَّاء[1]، وقتيبةُ بن مهران[2]، والأخفش[3]، والمبرِّد[4]، وابنُ جنيّ[5]، وغيرهم.

(1) مقاييس اللُّغة ص 206 (ج م د)، ولسان العرب 3/ 129 (ج م د).
(2) المطبوع من جامع البيان 2/ 639 – 640 . وانظر : 2/ 424.
(3) التحديد ص 132 . وسيأتي كيف تعامَلُ الواوُ والياءُ إذا كانتا غير مدّيَتَين.
(4) الموضح ص 121 .
(5) المطبوع من جامع البيان 2/ 410 .
(6) المطبوع من جامع البيان 2/ 458، و 3/ 882 ، والإدغام الكبير ص 55 .
(7) مقاييس اللُّغة ص 464 (س ك ن).
(8) العين 1/ 50 .
(9) الكتاب 3/ 543 و 546.

2 . المعنى الثاني: الحروف الأصلية الجامدة:

استَعمل الدانيُّ : (**السَّواكن**) كاستعمال: (الجامِدة)، حتى إنَّ النصَّ الذي تقدَّم قريباً . ويَحْكِي فيه أنَّ الواوَ والياءَ إن انفَتَحَ ما قبلَهما صارا بمنزلةِ سائرِ الحروف الجامدة . استَبْدَل فيه في مواضع أخرى لفظ: (الجامدة) بـ: (**السَّواكِن**)، قال:"ويَنْفَتِحُ ما قبلَهُما، فيزولُ بذلك معظمُ المدِّ عنهما، ويصيران كسائرِ الحُرُوف **السَّواكن** التي لا مدَّ فيها"[6].

3 . المعنى الثالث: مجموعة: (ذال إذْ ، دال قدْ، تاء التأنيث، لام هلْ وبلْ، حروفٌ قَرُبَتْ مخارجُها، النُّونُ السَّاكنةُ والتَّنوين):

هذه المجموعةُ يَذكُرُها المصنّفون في كتبِهم لتبيين مذاهب القرَّاء في إظهارها وإدغامها.

لقَّب الدانيُّ هذه المجموعة بـ: (**السَّواكن**)[7]، لسكون آخرها، ولقَّب الأربعةَ الأولى منها بـ: (**السَّوَاكن في الخِلْقَة**)[8]؛ لكَون السُّكونِ لا يَنْفكُّ عنها.

تابع ابنُ بلّيمة الدانيَّ على لفظ: (**السَّواكِن**) لكلِّ هذه المجموعة[9].

5 . المصطلحُ الخامسُ للحروف الأصلية الجامدة: (غَيْرُ المُصَوّت)

من المشترك اللَّفظيّ. يدلُّ أصلُه اللُّغويُّ على ما يدلُّ عليه المصوّت[10].

استُعمِل في معنيَين: 1 . الحروف التي ليس لها فَضْلُ صَوتٍ. 2 . الحروف الأصليَّة الجامدة.

1 . المعنى الأوَّل لـ: (غير المصوّت) = الحروف التي ليس لها فَضْلُ صَوتٍ:

استَعمَل ابنُ مجاهدٍ لفظ: (غَير المصَوّت) للحروف التي ليس لها فضلُ صوتٍ . مِن غنَّةٍ وإطباقٍ . كالرَّاء واللام، قال ابن مجاهدٍ:"النُّون السَّاكنةُ والتنوين مُدْغَمان عند اللاَّم والراء بغنةٍ وبغير غنَّة... وعادةُ القرَّاء أن لا يُظْهِروا الغنَّةَ عند الراء واللاَّم؛ لأنَّ في إظهارِها كلفةً؛ لتداخُلِ الحرفَين... وإظهارُ الغنَّةِ جائزٌ؛ لأنَّ الراءَ

(1) معاني القرآن 2/ 224 .
(2) نقل ذلك الدانيّ في جامع البيان 2/ 645 .
(3) معاني القرآن 1/ 340، والعروض ص 112 .
(4) المقتضب 1/ 345 .
(5) الخصائص 1/ 90 .
(6) المخطوط من جامع البيان ل 172/ أ . وانظر المطبوع 2/ 635 .
(7) التيسير ص 41 ، والإدغام الكبير ص 86- 89 .
(8) الكتاب 3/ 546.
(9) تلخيص العبارات ص 41 .
(10) انظر المصوّت في الحروف الأصليَّة الذَّائبة.

واللاَّم لا صوتَ لهما، فلا يُدْغَمُ مُصَوّتٌ في غير مُصَوّتٍ؛ فيُخِلَّ به، وإنَّما تَبْقى منه غنَّةٌ كما يَبْقى من المطْبَقِ ـ إذا رُمْتَ إدغامَه في غَيرِ مُطْبَقٍ ـ أثرٌ من الإطباق"[1].

وهذا المصطلح هو نظيرُ مصطلح: (**الأخْرَس**) الذي استعمَلَه الفرَّاء بهذا المعنى، فقد قال عن علَّةِ إبدال تاء الافتعال طاءً في نحو: اصطبر:"لأنَّ التاءَ حرفٌ أخْرَسٌ لا يَخْرُج له صَوتٌ، إذا بَلَوْتَ ذلك وجدتَّه، فكرِهُوا إدغامَ مُصَوّتٍ في حرفٍ أخرس، فلمَّا فاتَهُمُ الإدغامُ وجَدُوا الطاءَ معتدلةً في المخرجِ بين التاء والصَّاد، لتكون غير ذاهبةٍ بواحدٍ من الحرفَين"[2].

كذلك فإنَّ عكس هذا المصطلح ـ كما في النصِّ السابق ـ هو: (المصَوّت) وهو من تلقيب الفرَّاء للحروف التي لها فضلُ صَوتٍ، كالنُّون بسبب الغنَّة، والطاء بسبب الإطباق.

يُضافُ إلى ذلك كلِّه أنَّ ابن مجاهدٍ هو تلميذُ أحمد بن يحيى المعروف بـ: ثَعْلَب، شيخِ نُحَاةِ الكُوفة، وهو تلميذُ سَلَمَة بنِ عاصِم ، أخَصِّ تلامذةِ الفرَّاء .

2 ـ المعنى الثاني لـ: (غير المصوّت) = الحروف الأصليَّة الجامدة:

استعمل الفارابيُّ لفظ: (**غيرِ المُصَوّت**) عند تقسيمه الحروفَ إلى : مُصَوّتٍ وغيرِ مُصَوّت.

يعني بالمصوّت : الحركاتِ وحروفِ المدِّ، وذلك بالنَّظَر إلى وضوحِها السَّمعيّ.

ويعني **بغَيْرِ المُصَوّتِ**: باقي الحروف.

ثمَّ قسَّم الحروفَ **غير المصوّتة** إلى: حُرُوفٍ تمتدُّ بامتداد النَّغَم، كاللام والميم والنون، وحروفٌ لا تمتدُّ بامتداد النَّغَم، كالتاء والدال والكاف[3].

وقولُ الفارابيّ عن اللام والميم والنُّون أنَّها حروفٌ تَمتدُّ بامتدادِ النَّغَم هو نظيرُ ما يقوله الصوتيُّون المعاصِرون عنها، مِن أنَّها أصواتٌ انطلاقيَّةٌ نصف رنَّانة[4].

6 ـ المصطلحُ السَّادس للحروف الأصلية الجامدة: (حروف السَّلامة)

عكسُ المعتَلَّة. يدلُّ أصلُها اللُّغويُّ على الصِّحَّةِ والعافيَة. فالسَّلامةُ: أن يَسْلَمَ الإنسانُ من العاهةِ والأذى. قال أهلُ العِلْم: الله ـ جلَّ ثناؤه ـ هو السَّلامُ، لسلامته من العاهةِ والأذى[5].

(1) نقَل ذلك السيرافيُّ في إدغام القراء ص 57 .

(2) نقَل ذلك السيرافيُّ في كتابه: ما ذكَره الكوفيُّون من الإدغام ص 63 ، وانظر : ص 59 و 67 .

(3) الموسيقى الكبير 1072 .

(4) دراسة السمع والكلام لسعد مصلوح ص 204 .

(5) مقاييس اللُّغة ص 465 (س ل م).

استَعمَله ابنُ سفيان القيروانيُّ بمعنى الصَّحيح من الحروف[1]، قال:"وأمَّا السَّاكنُ، فإنَّه يقعُ على ضَربَين: أحدهما أن يكونَ حرفاً من حروف السَّلامة. أو حرفاً من الحروف المأخوذة منها الحركات، وهي الياء، والواو، والألف"[2].

وتابعَه: مكّيّ[3]، والدانيُّ[4].

الحروف الأصليَّة الذائبة

وهي الحروف التي لا تتحيَّز في مخارِجها، وهي الحركات وحروف المدِّ .

نظَر العلماء إلى حروف المدِّ واللِّين من ستِّ جهات:

مخرجها، واتساعه، وحرّية مرور الصوت، والوُضُوح السَّمْعيّ لها، وعلاقتها بالحركة، وتأثيرها على الأبنية. وتعدَّدتْ مصطلحاتهم بالنَّظَر إلى أحد هذه الستة.

الجهة الأولى: مخرج حروف المدِّ :

استُعمِل لحروف المدِّ بالنَّظَر إلى مخرجِها عدَّةُ مصطلحات مترادفةٍ، منها: الجَوْفيَّة، والهوائيَّة.

تقدَّما في أعضاء النُّطْق.

الجهة الثانية: اتِّساع مخارج حروف المدِّ:

استُعمِل لحروف المدِّ بالنَّظَر إلى اتِّساع مخرجها وحرّيَّة مرور الصَّوت فيها عدَّةُ مصطلحات مترادفةٍ، منها:

(الأحرفُ الجُوفُ)، (الهوائيَّة)، (الهَاوِية)، (الهَاوِي)، (الحُرُوفُ الخفيَّةُ)، (حُرُوفُ اللِّين)، (حرفُ اللِّينِ المجانِسُ له ما قبله)، (الحروف اللَّيِّنة)، (الذَّوائب)، (الحروف التي اتَّسعَت مخارجُها).

1 . المصطلح الأوَّل لاتساع مخارج حروف المدّ: (الأحرفُ الجُوف)

في اللُّغة: شيءٌ جُوفِيٌّ، أي: واسِعُ الجَوف، ودِلاءٌ جُوفٌ، أي: واسِعةٌ[5].

لقَّب الخليلُ حروفَ المدِّ والهمزة بـ: **(الأحرفِ الجُوف)** للتعبير عن اتِّساع مخارجها، قال:" في العربية

(1) الهادي 1/ 60 و 105 .

(2) الهادي 1/ 105 .

(3) تَمكِّين المدّ ص 57 .

(4) المطبوع من جامع البيان 2/ 431 و 595، والمقنع ص 68 .

(5) لسان العرب 9/ 36 (ج و ف).

تسعةٌ وعشرون حرفاً: منها خمسةٌ وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحيازٌ ومدارجُ، وأربعةُ أحرفٍ **جُوفٍ**، وهي: الواوُ والياءُ والألفُ اللَّينةُ والهمزةُ، وسُمِّيتْ **جُوفاً**؛ لأنها تَخرجُ من الجَوف، فلا تَقَعُ في مَدْرَجَةٍ مِن مَدَارج اللِّسان، ولا مِن مَدَارجِ الحَلْقِ، ولا مِن مَدرَج اللَّهاة، إنما هي هاويةٌ في الهَوَاء، فلَم يَكُن لها حَيِّزٌ تُنْسَبُ إليه إلا الجَوْف"[1].

وتابعَه: مكِّيّ[2]، والقرطبيُّ[3]. غير أنَّ مكِّيّاً لم يعدَّ الهمزةَ منها، ونسَبَ زيادَتَها إلى قومٍ لم يُسمِّهم.

وقد تقدَّم أنّ حديثَ الخليل عن الهمزة هو في حال تخفيفها بدليل أنَّه أخرجَ الهمزة من هذه الحروفِ في مَوضعٍ آخَر، قال:"والحُروفُ الثلاثة **الجُوفُ** لا صَوْتَ لها ولا جَرْسَ، وهي الواوُ، والياءُ، والألف اللَّينة. وسائرُ الحُرُوف مَجرُوسةٌ"[4].

2. المصطلح الثاني لاتساع مخارج حروف المدّ: (الهَوَائِيَّة)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

3. المصطلح الثالث لاتساع مخارج حروف المدّ: (الهَاوِيَة)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

4. المصطلح الرَّابع لاتساع مخارج حروف المدّ: (الهَاوِي)

من المشترك اللَّفظيّ، تقدَّم.

5. المصطلح الخامس لاتساع مخارج حروف المدّ: (الحروفُ الخَفِيَّة)

الخفاءُ من أصلِه اللُّغويّ أن يدلَّ على السِّتْر. خَفِيَ الشَّيءُ يَخْفَى، وأخفَيتَه، وهو في خِفْيَةٍ وخَفَاءٍ: إذا سَتَرْتَه[5].

أوَّلُ من جمَع جُمْلةَ حروفٍ تحت هذا اللَّقَب مكِّيّ بن أبي طالبٍ القيسيُّ، فقال:"الحروف الخفيَّة: وهي أربعةٌ: الهاءُ، وحروف المدِّ واللِّين... وقد ذكَر بعضُ العلماءِ أنَّ في الهمزةِ خفاءً يسيراً، وكذلك النُّونُ السَّاكنةُ فيها خفاءٌ"[6].

الحروف الخفيَّةُ: لقبٌ أُطْلِقَ على حروفِ المدِّ، والهاءِ، والنُّونِ، والميمِ، والهمزةِ عند الوَقْف.

(1) العين 1/ 57.
(2) الرعاية ص 142.
(3) الموضح ص 96.
(4) العين 6/ 51 .
(5) مقاييس اللُّغة ص 306 (خ ف ي).
(6) الرعاية ص127 - 128 .

أمَّا حروفُ المدِّ، فاستحقَّتْ هذا اللَّقَبَ؛ بسبَبِ اتِّسَاعِ مخرجِهَا، وعدَمِ وُجُودِ نُقْطَةِ اعْتِرَاضٍ حَقِيقيَّةٍ على أصْوَاتِها عَلَى طُولِ مجرى النُّطق، فخفِي مخرجُها لذلك. والهاءُ والنُّونُ مُلْحَقَتانِ ومُشَبَّهَتَان بها: الهاءُ لأنَّها هواءٌ، والنُّون للغُنَّة، أو الاستقلال بالغنَّة.

والميمُ مُلحقةٌ بالنُّون للغنَّة فقط.

وأمَّا الهمزةُ فالخفاءُ فيها لصَوتِها عند الوقف.

وإليك تفصيلَ ذلك:

أصلُ هذا المصطلح والإطلاق لسيبويه، وتابعَه: الأخفش[1]، والمبرِّد[2]، وابن السرَّاج[3]، والفارسيُّ[4]، ومكِّيّ[5]، والقرطبيّ[6].

قال سيبويه عن حروفِ المدِّ:"وهذه الثلاثةُ **أخْفَى** الحُرُوفِ؛ لاتِّساعِ مَخْرَجِهَا. **وأخْفَاهُنَّ** وأَوْضَعُهُنَّ مخرجاً: الألِفُ، ثمَّ الياءُ، ثم الواو"[7]. وفي موضعٍ آخَر قال:"وهذه الحروفُ غيرُ مهموساتٍ، وهي حروفُ لِينٍ ومَدٍّ، ومَخَارجُها متسعةٌ لهواءِ الصَّوت، وليس شيءٌ من الحروف أوسعَ مخارجَ منها، ولا أمَدَّ للصَّوت، فإذا وقَفتَ عندهالم تَضُمَّها بشَفَةٍ ولا لِسَانٍ ولا حَلْقٍ كضَمِّ غيرِها"[8].

أُنظُرْ إلى دقَّةِ قوله: (كضمِّ غيرها)، فهو قد لاحَظ استدارةً للشفتَين في الواو، وارتفاعاً لوسط اللِّسان في الياء غير أنها تحرُّكاتٌ لا تُعيق مرور الصَّوت، كإعاقةِ الحروف الجَوامد.

وأمَّا الألِف فلا اعتراضَ على الصَّوتِ فيها مطْلَقاً، ولذلك جعلها سيبويه بمنزلةِ النَّفَس. وفي مقارنةٍ صوتيَّة دقيقةٍ بينهما قال:"وإنَّما خَفَّت الألفُ هذه الخِفَّةَ؛ لأنه ليس منها علاجٌ على اللِّسان والشَّفة، ولا تُحرَّكُ أبداً، فإنَّما هِي بمنزِلة النَّفَس"[9].

وهكذا يقول المعاصِرون عن الألف أنَّها ليس لها ـ في الحقيقة ـ نقطةُ إنتاجٍ معيَّنةٌ على طول مجرى الهواء[10].

(1) القوافي ص11 و 78 .
(2) المقتضب 1/ 362 .
(3) الأصول 3/ 404 .
(4) الحجة 1/ 211 و 4/ 293 .
(5) الرعاية ص127 - 128.
(6) الموضح ص 97 .
(7) الكتاب 4/ 436 .
(8) الكتاب 4/ 176.
(9) الكتاب 4/ 335 .
(10) انظر: الكلام إنتاجه وتحليله لعبد الرحمن أيوب ص91، ودراسة الصوت اللُّغوي لأحمد مختار عمر ص 345 .

ومن هذه المشابَهةِ بين الألفِ والنَّفَس يأتي خفاءُ الهاء؛ لأن الهاء ما هي إلا نفَسٌ، قال الخليل:" وإنَّمَا اسْتَحْسَنُوا الهاءَ في هذا الضَّرْبِ لِلِينِهِا وهَشَاشَتِها، **وإنَّما هي نَفَسٌ لا اعتِيَاصَ فِيهَا**"[1]. وفي مقارنةٍ بين الهاء والياءِ من حروف المدّ قال الخليلُ:" ألا ترَى أن الياءَ مدّةٌ **والهاءَ نَفَسٌ**، ومِن هنالك صارَ مجرى الياء والواو والألف والهاء في رويّ الشِّعر واحداً"[2].

وهذه المشابهةُ الأكيدةُ بين الألف والهاء جعلَتْهما قريبان من منزلةٍ واحدةٍ في خفاءِ المخرَج، قال سيبويه:"لأن الهاء من مخرج الألف، وهي في **الخَفَاء** نَحْو الألف"[3]. واحتلَّت الهاءُ ـ من بَين هذه الحروف ـ المرتبةَ الثانيةَ من **الخفاء** عند بعض علماء التجويد[4].

أمَّا النُّون، فقد عدَّها سيبويه **خفيَّةً** في أكثرَ من موضِع[5]، بل أفردَ لغُنَّتِها مخرجاً مستقلاً هو المخرج السادس عشر من مخارج الحروف، سمَّاه: مخرج النُّون **الخَفِيَّة** أو الخَفِيفَة[6].

ويَرجِع **خَفاءُ** النُّون ـ عند سيبويه ـ إلى الغنَّة التي تَجري في الخيشوم كجريان حروف المدّ، ولذلك جعَل سيبويه الميمَ مثلَ النُّون في الخَفاء؛ لأنَّها مثلَها في الغنَّة، قال:"ومِثْلُ ذَلِكَ قولُهم: ثُمَّهْ، لأنَّ في هذا الحرف ما في أَيْنَ، أنَّ ما قبلَه ساكنٌ، وهي أشبهُ الحُرُوف بها في الصَّوت، فلذلك كانَتْ مِثلَها في **الخَفاء**"[7].

وقد نبَّه على هذه المشابهة بين الغنَّة وحروف المدِّ كثيرٌ من العلماء، قال السيرافيُّ عن النُّون:"وذلك أنَّها غنَّةٌ في الخيشوم، تَجري فيه كما تَجْري حروفُ المدِّ واللِّين في مواضِعِها... وهي أقربُ الحروف وأشبهُها بحروفِ المدِّ واللِّين"[8].

لكن ومع هذا التنبيه من العلماء، فإنَّ بعضَهم جعل **الخفاء** للنُّون دون الميم، ويَرْجِع سببُ ذلك إلى أنَّ النُّون لما كان لها مخرجان، مخرجٌ من اللِّسان، ومخرجٌ لغنَّتِها من الخَيْشُوم، وأمْكَنَ أن تَسْتَقِلَّ بمخرج الخَيْشُوم في الإخفاء عند حروف الفم، عُدَّ ذلك اتِّساعاً في مخرجها، وشُبِّهَت بحروف المدِّ في الخفاء، قال القرطبيُّ:"وأمَّا **الخفيَّةُ** فالهاءُ والألفُ والياء والواو، وذلك لاتِّساع مخرجهنَّ، وأوسَعُهُنَّ مخرجاً: الألفُ ـ لأنه لا

(1) العين 1/ 54 . وانظر: 3/ 355 و 4/ 102.

(2) العين 3/ 348 . وقد قدَّم أبو عليٍّ الفارسيُّ في الحُجَّة أكثرَ من دليلٍ على مشابهة الهاء لحروف المدِّ عموماً، والألف خصوصاً بدءاً من 1/ 62 وما بعدها .

(3) الكتاب 4/ 193 . وانظر: 2/ 421، و3/ 532، و 4/ 123 و 197.

(4) الموضح ص 97 .

(5) الكتاب 4/ 161، و 163.

(6) الكتاب 4/ 434 .

(7) الكتاب 4/ 161.

(8) المطبوع من شرح كتاب سيبويه 1/ 70 – 71. وانظر: 2/ 76 ، والانتصار لسيبويه على المبرد ص268، والخصائص 1/ 364، وسر صناعة الإعراب 2/ 438 .

عِلاج على اللِّسان فيها كالنَّفَس . ثمَّ الهاءُ، ثمَّ الياءُ، ثمّ الواوُ. وممَّا يَشْرَكُ هذه الحروفَ في **الخفاء**: النُّونُ إذا سكَنَتْ في غير إظهارٍ، ولا إدغامٍ، ولا قَلْب"[1].

وعلى هذا الرَّأي لا تُشَبَّهُ الميمُ بالنُّون في خفاء المخرج، وإن اتَّفَقا في الغنَّة؛ لكَوْنِها لا تستقلُّ بالخيشوم كما تستقِلُّ النُّون، قال الرُّمانيُّ:"ودليلُ كَوْنِها نوناً إذا خَرَجَتْ من الخياشيمِ دون الفم، أنَّه مخرجٌ يَخُصُّها دون جميع الحروف سواها، وإن وافَقَتْها الميمُ في الغنَّة، فليسَ للميمِ مخرجٌ من الخياشيم؛ لأنه لايُعتمَد لها إلا مُمَاسُّ الشفتَين، وليس كذلك النونُ؛ لأنه يُمْكِنُ أن يُعتَمَد لها من طرَف اللِّسان، ويُمْكِنُ أن يُعتَمَد لها من الخياشيم، وهو مخرجٌ يَخُصُّهَا دون غَيرها"[2].

ومعنى هذه الملاحظة أنَّ إطباق الشفتَين . أي مخرج الميم الشفويّ . ملازمٌ لها في كلِّ أحوالِها بخلاف النُّون، قال الدانيُّ:"ويسمَّى الميمُ: الحرفَ الرَّاجِع؛ لأنَّها تَرْجِعُ إلى الخيشوم لِما فيها من الغنَّة. وهي أقوى من النُّون؛ لأنَّ لفظَها لا يَزُول، ولفظُ النُّونِ قد يزولُ عنها، فلا يَبْقى مِنها إلا غُنَّة"[3].

وقد نبَّه المتقدِّمون على أمرَين في الهاء والنُّون:

أحدُهما: أنَّ الهاءَ لا يَجري فيها الصَّوتُ كجريانه في حروف المدِّ؛ لطبيعتها الهوائيَّة، ومع ذلك فهي مشبَّهةٌ بها، قال الأخفش:"شبَّهُوهُنَّ بالياءِ والواوِ والألفِ، وإن كانت الهاءُ لا يَجري فيها الصَّوتُ، فلأنها حرفٌ ضعيفٌ **خفيُّ** المخرَج، فأشْبَهَ **بخَفائِه** حروفَ اللِّين، ومع ذا أنَّ مخرجَها ومخرجَ الألِفِ واحدٌ"[4].

والثاني: أن اتِّساعَ مخرجِ الهاء والنُّون، وشبَهَهُما الكبيرَ بحروف المدِّ لا يُخرِجُهما عن طبيعة الحروف الجامدة، التي تَتَحَرَّك وتَسْكُن، قال أبو عليٍّ الفارسيُّ:"الهاءُ وإن كانت **خفيَّةً**، فليس يُخرجُها ذلك من أن تكونَ كغيرها من حروفِ المعجَم التي لا خفاءَ فيها . نحو الراء والضَّاد . وأنَّ الهاءَ والنُّونَ عند الجَميع في وزنِ الشِّعْر بمنزلة الرَّاء والضَّاد"[5].

معنى ذلك أنَّ هذين الصَّوتَين في نظام اللُّغة العربية يؤدِّيان وظيفةَ الأصْوَاتِ الجَامِدَة بغضِّ النَّظر عن طبيعتَيهما الصَّوتية[6].

أمَّا الهمزة **فالخفاءُ** فيها خفاءُ صَوتٍ عند الوقف عليها، قال سيبويه عن نَقْلِ حَرَكَةِ الهمزةِ إلى ما قبلَها

(1) الموضح ص97 .

(2) شرح كتاب سيبويه ل 199/ أ . وفي هذا النصّ دليلٌ على أنَّ إطباق الشفتين لا ينفكُّ عن الميم في جميع حالاتها، وفيه ردٌّ على مَن يُخفي ذاتَ الميم الساكنة عند الإخفاء.

(3) التحديد ص109 .

(4) القوافي ص78 . وانظر: ص11، وحجة الفارسيّ 1/ 75 و 4/ 293، والكشف لمكّيّ 1/ 42.

(5) الحجة 1/ 211 .

(6) في اللُّغة اليابانية يؤدِّي صوت الهاء وظيفة الحركات، فيصنِّفُه بعضُ العلماء على أنَّه حركة مهموسة دون اشتراط عنصر الجَهر. (دراسة السَّمع والكلام لسعد مصلوح ص198).

لبيانِ صَوتِها:" فلمَّا كانت الهمزةُ أبعدَ الحُروف، **وأخْفَاها** في الوقف حرَّكُوا ما قبْلَها؛ ليَكُونَ أبينَ لها. وذلك قولُهم: هُوَ الوَثُؤْ، ومِنَ الوَثِيءْ، ورَأَيْتُ الوَثَأْ"[1].

وقال الفرَّاء عن حذف الهمزة مِن دِفْءٌ :"وكُتِبَتْ بِغَيْرِ هَمْزٍ؛ لأنَّ الهمزةَ إذا سَكَنَ ما قبْلَها حُذِفَتْ مِنَ الكِتَاب، وذلك **لِخَفَاءِ** الهمزةِ إذا سُكِتَ عَلَيْها"[2].

ويَرجِع ذلك الخَفَاء إلى أنَّ الهمزة هي الحرفُ الوحيدُ . من بين الحروف الشَّديدة . التي لا تَمْلِكُ مرحلةَ إطلاقٍ للصَّوْت عند سكونِها، بل حبسٌ فقط، بحسبِ نطقِ مجيدي القراءةِ اليوم، ولذلك بيَّن بعضُ العربِ صوتَها بنقل حركتِها إلى ما قبلَها، والله أعلم.

6 . المصطلح السَّادس لاتساع مخارج حروف المدّ: (الحروف اللَّيِّنة) (حروف اللِّين)

. (**الحروف اللَّيِّنة**): من المشترك اللَّفظيّ. تقدَّم.

. (**حروف اللِّين**): تقدَّم عند الحديث عن: (اللِّين)، وهو من المشترك اللَّفظيّ.

. (**حرف اللِّين المجانِس له ما قبله**): تقدَّم عند الحديث عن: (اللِّين).

7 . المصطلح السَّابع لاتساع مخارج حروف المدّ: (الذَّوائب)

يدلُّ أصله اللُّغويُّ على السَّيَلاَنِ. ذابَ الشيءُ يَذُوبُ ذَوْباً وذَوَباناً فهو ذائبٌ، وهو خلافُ الجامِدِ المتصَلِّبِ. ويَتَعدَّى بالهمزة والتضعيفِ، فيقال: أَذَبتُهُ وذَوَّبتُهُ[3].

ذكَر صاحب الدراسات الصَّوتيَّة أنَّ أقدم من لقَّب حروف المدِّ بذلك هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازيّ (ت 454 هـ) حيث نقَل عنه ذلك أحمدُ بن أبي عمرَ الأندرابيُّ في كتابه: الإيضاح في القراءات[4].

ولعلَّ إرهاصاتِ هذا المصطلح مأخوذَةٌ من تلقيبِ أبي بكر الأصبهانيّ الهمزةَ المسهَّلة بـ: (**المُذابة**) [5]؛ لأنَّه من المعلوم أنَّ المقصود من التسهيل هو تقريبُ الهمزة من حرفِ المدِّ.

وقال أبو مَعشرٍ الطبريُّ:"**الذَّوَائِبُ**: أي حروفُ المدِّ واللِّينُ، وهي الواوُ الساكنةُ وقبْلَها ضمة نحو قوله: [قَالُوا ءامَنَّا]، والياءُ الساكنةُ وقبْلَها كسرةٌ نحو قوله: [وَفِي أَنفُسِكُمْ]، والألفُ الساكنة ولا يكون قبلها إلا

(1) الكتاب 4/ 177 . وانظر: 4/ 322 .

(2) معاني القرآن 2/ 96 . وانظر: حجة الفارسيّ 4/ 313 ، والرعاية لمكّيّ ص128 .

(3) المصباح المنير ص 211 .

(4) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد لغانم قدُّوري الحمَد ص 155.

(5) نقل ذلك عنه الدانيُّ في جامع البيان 2/ 515 .

فتحة نحو قوله: [إنَّا ءامَنَّا]" [1].

وقال أحمد بن أبي عمر الأندرابيُّ عن سبب تسميتِها بذلك:"سُمِّيتْ بذلك لأنَّها **تَذُوبُ** وتَلِين وتَمْتَدُّ، وما عداها جامدٌ لأنَّه لا يَلِينُ ولا يَذُوبُ ولا يَمتَدُّ"[2].

استعمله من العلماء أيضاً: أبو العلاء الهمَذانيّ[3].

8 . المصطلح الثامن لاتساع مخارج حروف المدّ: (الحروف التي اتَّسَعَت مخارجُها)

لقَّب ابن جنيّ حروفَ المدِّ بـ: (الحروف التي اتَّسَعَت مخارجُها) [4].

الجهةُ الثالثة: قَبول حروف المدِّ للمَدِّ:

استُعمِل لحروف المدِّ بالنَّظَر إلى مدِّها عدَّةُ مصطلحات مترادفةٍ، منها:

1 . المدَّة المستَطِيلة، 2 . المَمْطُولة، 3 . حروف المدِّ واللِّين.

1 . المصطلح الأوَّل لقبول المدّ: (المَمْطُولة)

يدلُّ أصلهُ اللُّغويُّ على مدِّ الشيء وإطالتِه، ومَطَلْتُ الحديدةَ أمْطُلُها مَطْلاً: مَدَدتُها، والمِطْلُ في الحاجة والمِمَاطَلَةُ في الحرْبِ منه[5].

لقَّبَ سيبويه حرفَ المدِّ بـ: (الحرفِ **المَمْطُول**) [6].

وتابعَه ابنُ جنيّ فذكَر أنَّ"الحروفَ **المَمْطُولةَ** هي الحروف الثلاثة اللَّيِّنة المصَوِّتة، وهي الألفُ والياءُ والواو"[7].

2 . المصطلح الثاني لقبول المدّ: (المدَّة المُستَطِيلة)

ابن جنيّ[8].

3 . المصطلح الثالث لقبول المدّ: (حروف المدِّ واللِّين)

(1) التلخيص ص 157 - 158 و 164.
(2) الإيضاح في القراءات ل 75/ أ .
(3) التمهيد ص 304 .
(4) سر صناعة الإعراب 1/ 8 .
(5) مقاييس اللُّغة ص 952 (م ط ل) .
(6) الكتاب 4/ 438 .
(7) الخصائص 3/ 124 و 128.
(8) سر صناعة الإعراب 1/ 31 .

تقدَّم عند الحديث عن مصطلح: (اللِّين).

الجهة الرَّابعة: الوضوح السمعيّ لحروف المدِّ:

استُعمِل لحروف المدِّ بالنَّظَر إلى وضوحِها السَّمعيِّ عدَّةُ مصطلحات مترادفةٍ، منها:

1 . المصَوِّتَات، 2 . النواطق، 3 . المصوِّتة، 4 . المصوِّت.

1 . المصطلح الأوَّل للوضوح السمعي لحروف المدّ: (المصَوِّتَات)

قسَّم الفارابيُّ **المصوِّتات** إلى قصيرة التي هي الحركات وطويلة التي هي حروف المدّ.

استَعمَل لفظ: (**المُصوِّتات**) لحروف المدِّ: ابن سينا[1].

2 . المصطلح الثاني للوضوح السمعي لحروف المدّ: (النَّوَاطِق)

من أصله أن يدلَّ على كلامٍ أو ما أشبههُ. نَطَقَ يَنطِقُ نُطْقاً[2].

لقَّب ابنُ الطحَّان الموسيقيّ حروف المدِّ بـ: (**النَّواطِق**)، قال:"والحروفُ المصوِّتةُ ثلاثةُ أحرفٍ: الألفُ والواو والياء. وهي التي تُسمَّى حروف المدِّ واللِّين عند العرب، وهي **النَّواطِقُ** التي تقَعُ على أواخرِ الكلامِ مُمْتَدَّةً في اللَّحنِ"[3].

3 . المصطلح الثالث للوضوح السمعي لحروف المدّ: (المصوِّتة)

استَعمَل لفظ: (**المُصوِّتة**) لحروف المدِّ: المبرِّد، والفارابيُّ [4].

قال المبرِّد:"فمِن حُرُوفِ البدَل حروفُ المدِّ واللِّين **المُصَوِّتة**، وهي الألف والواو والياء"[5].

4 . المصطلح الرابع للوضوح السمعي لحروف المدّ: (المُصَوِّت)

من المشتركِ اللَّفظيِّ. تقدَّم.

الجهة الخامسة: علاقة حروف المدِّ بالحركة:

استُعمِل لحروف المدِّ بالنَّظَر إلى علاقتِها بالحركة عدَّةُ مصطلحات مترادفةٍ، منها:

(1) أسباب حدوث الحروف ص 126 .
(2) مقاييس اللغة ص 995 (ن ط ق).
(3) حاوي الفنون ص 48 .
(4) الموسيقى الكبير ص 162 .
(5) المقتضب 1/ 199 و 257.

1 . (المصوّتات الطويلة)، 2 . (الحروف المأخوذ منها الحركات) 3 . (التَّوامّ)، 4 . (الكَوامِل)

1 . المصطلح الأوَّل لعلاقة حروف المدّ بالحركة: (المصوّتاتُ الطَّويلةُ)

لقَّبَ الفارابيُّ حروفَ المدِّ بـ: (**المُصَوّتات الطويلةِ**) في مقابل المصوّتات القصيرة التي هي الحركات[1].

2 . المصطلح الثاني لعلاقة حروف المدّ بالحركة: (الحروفُ المأخوذُ منها الحركات)

عرَّف السيرافيُّ حروفَ المدِّ واللِّين بأنَّها هي **الحروفُ المأخوذَةُ منها الحركات**"[2].

وتابعه: ابن سفيان القيروانيّ[3].

3 . المصطلح الثالث لعلاقة حروف المدّ بالحركة: (التَّوامّ)

يدُلُّ أصلُه اللُّغويُّ على الكمال، يقال: تَمَّ الشيءُ: إذا كَمَلَ، وأتَمَمتُهُ أنا[4].

لقَّبَ ابنُ جنيّ حروفَ المدِّ بـ: (الحروف **التوامّ**) في مُقابِل الحركات التي هي أبعاضٌ لحروف المدِّ واللِّين[5].

4 . المصطلح الرابع لعلاقة حروف المدّ بالحركة: (الكَوامِلُ)

لقَّبَ ابنُ جنيّ حروفَ المدِّ بـ: (الحروف **الكَوامل**) في مُقابِل النَّاقِصة التي هي الحركات[6].

الجهة السادسة: تأثيرُ حروفِ المدِّ في الأبنية:

استُعمِل لحروف المدِّ بالنَّظَر إلى تأثيرها في الأبنية عدَّةُ مصطلحاتٍ، منها:

1 . (المعتلَّة، حروف الاعتلال، العِلَل) 2 . (أمَّهات الزوائد)

1 . المصطلح الأوَّل لتأثير حروف المدّ في الأبنية: (المعتلَّة، العلل، حروف الاعتلال)

قال الخليل:"وتفسيرُ الثُّلاثيِّ الصَّحيحِ أن يكون ثلاثةَ أحرفٍ، ولا يَكونَ فيها واوٌ، ولا ياءٌ، ولا ألفٌ لِيّنةٌ، ولا همزةٌ في أصل البناء؛ لأن هذه الحروفَ يُقَالُ لها: **حُرُوفُ العِلَل**"[7]. فكلُّ كلمةٍ خاليةٍ من أحد حروف المدِّ أو الهمزةِ، فهي صحيحةٌ. والهمزةُ تعدُّ أحدَ الصِّحاح في حالتها المحقَّقة، أمَّا في حال إبدالها أو

(1) الموسيقى الكبير ص 1073 و 1097 و 1117.
(2) شرح كتاب سيبويه 1/ 69 و 110 و 215.
(3) الهادي 1/ 105 .
(4) مقاييس اللغة ص 152 (ت م م).
(5) سر صناعة الإعراب 1/ 17 و 75.
(6) سر صناعة الإعراب 1/ 17 .
(7) العين 1/ 59.

الترفيهِ عنها إلى حرفِ مدٍّ فهي معتلَّة، قال:" وأما الهمزةُ فمخرجُها من أقصى الحلق مَهْتُوتَةً مَضْغُوطَةً، فإذا رُفِّهَ عَنْها لاَنَتْ فصَارَت الياءَ والواوَ والألفَ، عن غير طَرِيقةِ الحُرُوفِ الصِّحَاح"[1]، واعتلَّ لها في موضعٍ آخَر بقوله:" لأنّ الهمزةَ مُعْتَلّةٌ لما يَدْخُلُ عليها من التّلْيينِ والسُّقُوطِ في مواضعَ كثيرةٍ"[2].

وانقسم العلماء بعد الخليل إلى فريقَين في عدِّ الهمزة من حروف العلَّة أو إخراجها منها: فمنهم من تابع الخليلَ في عدِّه الهمزة معها، كابن السرَّاج[3]، ومكِّيّ[4]، والدانيُّ، ولقَّبها بـ: (**حروف الاعتلال**)[5]، وأبو البركات ابن الأنباريّ، ولقَّبها بـ: (المعتلَّة)[6]. ومنهم من أخرجها منها، كابن دُرَيد[7]، والفارسيّ[8]، وابن جنيّ[9]، والحريريُّ متابعاً الدانيَّ في اللَّقب[10]. وزاد مكِّيٌّ عن قومٍ الهاءَ بحُجَّة انقلابها إلى همزة[11].

2 . المصطلح الثاني لتأثير حروف المدّ في الأبنية: (أمَّهاتُ الزَّوائد)

استعمَل ذلك سيبويه لحروف المدِّ؛ لأنهنَّ أصلُ حروفِ الزِّيادة[12].

(1) العين 1/ 52.
(2) العين 8/ 345.
(3) الأصول 3/ 311.
(4) الرعاية ص 128.
(5) التحديد ص 109 .
(6) أسرار العربية ص 209 .
(7) الجمهرة 1/ 6.
(8) التكملة ص 53 .
(9) المحتسب 2/ 36 .
(10) شرح ملحة الإعراب ص 91.
(11) الخصائص 2/ 493.
(12) الكتاب 4/ 323.

الخاتمة ونتائج البحث وتوصياته

خاتمة البحث ونتائجه وتوصياته:

لقد أردتُّ في هذا البحث أن أُظْهِرَ المِعَارِفَ الصوتيَّة عند المتقدِّمين من خلال المصطلحات التي قدَّموها، وأن أبيّن ما لهم من نظراتٍ دقيقةٍ عميقةٍ في تحليلِهم للظواهر الصَّوتيَّة تُضاهي تلك التي نَجِدُها في الكتب الصَّوتيَّة المعاصِرة، بل لعلَّها تَفوقُها أحياناً.

وكنتُ أرجو مِن وراء ذلك أن أُصَحِّحَ ما هو موجودٌ في بعضِ الكتبِ مِن زُهدٍ وانتِقَاصٍ، بل وسُخْرِيةٍ من معارفِ الأوائل رجاءَ أن تكون هناك نظرةٌ موضوعيةٌ في الحُكم على الأشياءِ.. نظرةٌ لا تَحْكُمُها العَصَبية للثقافة والهوى الأجنبيّ.. نظرةٌ مُنْصِفَةٌ تَضَعُ مَعَارِفَ عُلَمائنا في مَكانِها اللاَّئقِ بها.

والأمرُ الثاني الذي أردتُّ تحقيقَه هو أنْ ألفِتَ الأنظارَ إلى أنَّ الأمَّة يُمكِنُ أن تَنهَض بتراثِها الصوتيّ وتبنِيَ عليه في سبيل إرساء عِلمٍ صوتيٍّ عربيٍّ أصيلٍ في قضاياه وأبحاثه، جديدٍ في علومه ومعارفه.

والأمر الأهمّ هو التعرُّف على اللُّغة الضوتيَّة التي كان يُدَوِّنُ بها الأوائلُ معارفَهم الصَّوتيَّة.

وقد خرَج البحثُ بنتائجَ مهمَّة، منها:

1 ـ كشَف البحثُ عن اللُّغة الصوتيَّة التي كان يَكتُبُ بها المتقدِّمون، ومن هم أصحابُ التأثير في المصطلح الصَّوتيّ الذي اشتهرت ألفاظهم واستعملها من جاء بعدهم.

2 ـ كَشَفَ البحثُ من خلال المصطلحاتِ عن الأصولِ النظرية والعملية التي يقوم عليها العلمُ الصوتيُّ عند العرب من خلال الفصول الرئيسة التي تناولَها، فمن ذلك:

أ ـ ملاحظة الظواهر الطبيعيَّة، وذلك من خلال الكشف عن الجوانب الفيزيائيَّة للصوت وكيفيَّة حدوثه وإدراكه والمصطلحات المستعملة لذلك، والقوانين التي تَحكُمُ ذلك.

ب ـ الجانب التشريحيّ والكشف عن أهمِّ المعارف العلميَّة التي توصَّل إليها المتقدِّمون، ومقارنة ذلك بالمعارفِ الحديثة.

ج ـ ملاحظة الحروف ومخارجها وصفاتها والتأثيرات والعلاقات التي تَربِطُ بينها.

د ـ ملاحظة العيوب النُّطقيَّة وكيفية الاحتراز عنها.

3 ـ كَشَفَ البحثُ عن العلائقِ الصَّوتيةِ بين أصحاب العلوم المختلفة من لغويّين ونحويّين وبلاغيّين ومجوِّدين وقُرَّاء وأطباء وفلاسفة وموسيقيّين.

4 ـ كشَفَ البحثُ عن أصولِ الدَّرس الصوتيّ المعاصر، وبيَّن في أكثرَ من موطنٍ أنَّها أصولٌ قديمة، ربَّما تكون أقدم من العرب، وأنَّها تُشكِّلُ حلقةً من حلقات العِلم الصَّوتيّ على امتداده، وأنَّ الذي اختصَّ بذكر هذه الأصول هم أصحابُ المدرسة العقليَّة، ولذلك أرى أن تُستبدل العناوين التي تدلُّ على: (الحداثة) بـ:

(المعاصَرة)؛ لأنَّها هي التي تَصْدُق على علم الأصوات المعاصر.

5 ـ أثبت البحث أن عِلْمَ التجويد هو الحلقة الأخيرة التي يُمثِّلُها العلمُ الصوتيُّ عند أصحاب المدرسة النقليَّة، وأنَّ ظهورَه كان خاتمةً طبيعيَّة لما تقدَّمهُ بدءاً من التنبيه على اللَّحن في القرن الأوَّلِ الهجريّ إلى ظهور أبحاثٍ صوتيَّة في كتب النحو والصرف والبلاغة في القرون التي تلَتْهُ ثم انفرادُه بأبحاثه كعلم صوتيٍّ مستقلّ.

6 ـ يمكن أن تعد هذه الرسالة كنواة وفاتحة لغيرها من البحوث في كل مجالات اللغة، من خلال الرِّحلة التاريخيّة التي مرَّتْ بها المصطلحات الصَّوتية.

7 ـ من أهمِّ الأهداف التي حقَّقتها الدِّراسة شرح كلام المتقدِّمين ومقارنته بكلام المعاصِرين حتى يتحقق بذلك التواصل التاريخي.

8 ـ استعانة البحث بالرسومات التوضيحية ساعدت كثيراً في تقريب كلام المتقدِّمين إلى لغتنا الصوتيَّة الحديثة، وهي أحد أهداف الدِّراسة الأساسيَّة.

10 ـ قدَّم البحث خدمةً للعلمِ الصوتيّ في جمعه المصطلحات الصوتية تحت موضوعات كلِّية وجزئية.

11 ـ كشف البحث عن سعة اللُّغة العربية في معانيها وألفاظِها وذلك من خلال المشترك اللَّفظي والألفاظ المترادفة.

12 ـ أثبت البحث من خلال عرضه للمصطلحات أنَّه يُمكن تحديث مثل هذه المصطلحات، واستعمالها من جديد بلا ضَير في ذلك.

13 ـ كشَف البحث عن مصطلحاتٍ صوتيَّة جديدة، وعن استعمالاتٍ مجهولةٍ بعيدةٍ عن مذهب سيبويه، وخاصة للقرَّاء القدامى، وكيفية تعبيرهم عن قراءاتهم.

14 ـ أرجع البحث بعض المصطلحات إلى عصور قديمة يرجع بعضها إلى القرن الأوَّل الهجريّ.

15 ـ كشف البحث عن أساتذة المصطلح الصَّوتيّ في التراث العربيّ من خلال فصوله.

16 ـ أظهر البحث الدَّوائرَ الدَّلاليةَ بين ألفاظ اللُّغة وكيفيَّةَ حركتِها، وأثْبَتَ ارتباطَ المصطلح الصَّوتي في الغالب بأصوله المعجميَّة.

توصيات البحث

1 ـ جَرَت العادةُ في البحوث العلمية الجامعية أن يَضَع الباحثُ في آخر بحثه النتائجَ التي خرج بها من بحثه وتوصياته حول الموضوع الذي كتبه، وهذه النتائجُ والتوصياتُ منها ما يُعَدُّ معالمَ طريقٍ لِمَن أراد أن يبحث في الموضوع ذاته أو ما يَقْرُبُ منه، وتُوَفِّرُ عليه كثيراً من الجهد في اختيار موضوع رسالته. وحيث إنّه يَثقل على أيّ باحثٍ أن يَطَّلِع على نتائجِ وتوصياتِ جميعِ الرَّسائلِ الجامعيَّة التي قُدِّمَتْ فإنَّني أقتَرِحُ على كلّية اللُّغة العربية الموقّرة وقسم الدراسات العليا فيها أن تُجمع توصياتُ الرسائل الجامعية التي قدَّمها الباحثون في كافة المواضيع ليَخرُج لنا كتاب يَخدم الباحثين في مسيرتهم العلميّة، وفي اختيارهم لمواضيعهم، ويكون بمثابة دليلٍ إرشاديٍّ لهم والله الموفق .

2 ـ يتحتَّم على العلماءِ العالِمين بالتراثِ تَحْديثُ لغةِ العُلُوم الأصيلةِ لتُناسِب تغيُّراتِ العصر ذي الطابَعِ المعرفيّ الهائِل، وهذا التحديثُ لا يَكونُ في نبذ القديمِ جملةً، والذَّوَبان في ثقافات الغَير، واستبدال مصطلحات المتقدِّمين جميعاً بالمصطلحات الغربيَّةِ المعاصِرة فقط لغلَبتِها.

إنَّ هذا الذَّوبان تخاذلٌ مُشينٌ من أبناء اللُّغة عن أداء واجباتِهم تجاه ثقافتِهم ولغتهم وأمَّتِهم، وهو سببٌ رئيسٌ في عزوف الناس عن اللغة العربية اليوم، واستشراءِ اللُّغة الأجنبية، والتشدُّقِ بها، بل واستعمال مصطلحاتها، بلا ضرورةَ تُذكَر، سوى ضعفِ النفوس، والزهدِ باللُّغة العربيَّة، ولن يعطيَ العلمُ مقادتَه لأمَّةٍ كسولةٍ رضِيتْ أن تكون في آخر الرَّكْبِ وركَنتْ إلى ذلك، ولن تستعيدَ الأمَّةُ عافيتَها بوجودِ هذا التخاذُل والمرضِ؛ **فاللُّغةُ كائنٌ حيٌّ، تَمُوتُ بِتَخَاذُلِ أَهْلِهَا، وتَقَاعُسِهِمْ عَنِ النُّهُوضِ بها، وتأثُّرِهِمْ بالثَّقَافةِ الدَّخيلةِ عليهم،** قال ابنُ حزمٍ الأندلسيُّ:"إن اللغةَ يَسقُط أكثرُها ويَبطُلُ بسُقُوطِ دَوْلةِ أهلِها، ودخولِ غيرِهم عليهم في مساكنِهم، أو بِنَقْلِهِم عن ديارهم، واختلاطِهم بغيرهم، فإنَّما يُقَيِّدُ لغةَ الأمَّة وعلومَها وأخبارَها قوةُ دَولتها، ونشاطُ أهلِها، وفراغُهم، وأما من تَلِفَتْ دولتُهم، وغلَب عليهم عدوُّهم، واشتغَلوا بالخَوف والحاجةِ والذلِّ وخدمةِ أعدائهم فمضمونٌ منهم موتُ الخواطر، وربَّما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم"[1].

3 ـ إنّ ما نحتاجُه اليوم هو دراسةُ تراثِنا دراسةً واعيةً فاحصةً متأنيةً على كل مستويات العلوم، وتبويبُ معلوماته وتنظيمُها بشكلٍ واضحٍ ومُيَسَّر، ثم دراسةُ ما قدَّمه علماءُ الغرب من أبحاثٍ صوتيَّة دراسةً فاحصةً متأنيةً، ثم القيام بمقارناتٍ بينها لِنَصِلَ إلى معادلةٍ تُوَفِّقُ بين الماضي والحاضر، ولنَكُونَ بذلك قد قَدَّمْنا خدمةً جليلةً لِلُغتنا المقدَّسة، ورَبَطْنَا أنفسَنا وأجيالَنا بتراثِ آبائنا وأجدادنا، ووَقَفْنَا على أرضيَّةٍ صُلْبةٍ ثابتةٍ، لا تَعصِفُ بها تغيّرات الحاضر السريعة، للوصول إلى علمٍ صوتيٍّ عربيٍّ أصيلٍ بدلاً من الافتيات على موائد الغير كالغراب المقلّد.

(1) الإحكام في أصول الأحكام 34/1.

4 ـ أرجو من الدارسين المعاصرين أن لا يَتعجَّلوا في إصدار الأحكام على العلم الصَّوتِيّ العربيّ، وأن يَنظروا إلى المعارف الإسلامية عامة، قبل استصدارهم لهذه الأحكام، وأن لا يَجْعَلوا قِدَم الزَّمان حجاباً لهم عن العلمِ العربيّ، فالعلمُ يَعْلُو بالقيمة التي يَحملُها لا بالقِدَم والحداثة.

5 ـ من إحدى مشكلات المصطلح في بلادنا العربية أن لا يستطيع أبناءُ اللُّغةِ فهْمَ المصطلحاتِ العربية إلا بمرادفٍ أجنبيّ نتيجةَ الغزوِ الثقافي الأجنبي العارم أولاً، والتقليل من شأن العربية ثانياً، ونتيجة تدريس العلوم التطبيقية بلغةٍ غير العربية، كعلوم الطبِّ والهندسة، وهذا الذي جعلني أُتبعُ بعض المصطلحات في الدِّراسة بمرادفٍ أجنبيّ لعدم اتفاق الصَّوتيّين على مصطلحٍ موحّد، ممَّا يقتضي ضرورةَ تفعيل معاجمنا اللغوية، والالتفات إلى تدريس العلوم باللُّغة الأمّ.

6 ـ إذا لم يرتبط الصوتيُّون المعاصرون من الدارسين العرب بأبحاث العربية والتجويد ومصطلحاتها التي عنيت بالصَّوت، واقتصَروا على دراسة علم الأصوات المعاصر ومصطلحاته وأبحاثه فسيتسبَّبُون في عزلة أنفسهم عن لغةِ تراثِهم، وإحداث فجوة عميقةٍ بين الأجيالِ نُحِسُّ بإرهاصاتها اليوم، وهذا ما يَفرَحُ به أعداء اللُّغة ويتمنَّونَ حصولَه.

7 ـ أخشى ما أخشاه أن يكون الصَّوتيُّون من الدارسين العرب يشاركون ـ من حيث لا يشعرون ـ في بناء وإرساء علم الأصوات الغربيّ أكثر من مشاركتهم في بناء علمٍ صوتيّ عربيّ أصيل؛ لأنَّ كثيراً من الأبحاث الصَّوتية الهامَّة التي قدَّمها الدارسون العرب كرسائل جامعيَّة، كتُبتْ بغير لغة أصحابِها وربَّما على غير لغتهم، وهذا أمرٌ معروفٌ ـ مع الأسف ـ ولا يَحتاج إلى تدليل.

الفهارس والملاحق

1. الفهرس الهجائي للمصطلحات

2. مسرد وفَيات العلماء

3. فهرس المشترك اللَّفظيّ

4. إجازة الباحث بالقراءات العشر

5. فهرس المخطوطات والمطبوعات

الفهارس والملاحق

الفهرس الهجائيّ للمصطلحات

الائتلاف, 546, 548, 549
الابتهار, 733
الأبحُّ, 90, 152
أبْعَد, 333, 503
إبقاء الغُنَّة, 603, 609
إبقاء الغُنَّة مع الإدغام, 603
إبقاء صوتِ النُّون مع إظهار الغُنَّةِ عند الإدغام, 602
الإتباع, 248, 461, 557, 571, 611, 619, 620, 621, 622, 628, 635
الاتِّفاق, 392, 546, 551, 554, 597
الإثبات, 628, 630, 631, 632, 633
الاجتذاب, 563
الاجترار, 563, 569
الاجتزاء, 646, 651
الاجتِهادُ, 514, 756
إجراء الصَّوت, 401
الإجراء مجرى واحداً, 558
أجراس, 327
أجراس الحروف, 328
الأجرام, 109, 110
أجزاء الحُلُوق, 115, 122, 331
أجزاء الفَم, 115, 122, 157, 331
الأجزاء اللَّيِّنة من الشفة, 224
الأجَسُّ, 152
الإجناح, 55, 71, 689, 693, 697
الإجناح الشديد, 71, 697
أجناس الحروف, 64, 373
أجْوَف, 118
الاحتباس التامّ, 393
أحرفُ الجُوفُ, 790
الأحواز, 333, 341, 342
الأحياز, 221, 333, 341, 344
الاخْتِلاَسُ, 571
الأخذ, 42, 67, 96, 101, 335, 365, 369, 532, 760, 761
أخذ بالوجوه, 42, 96, 101, 335, 365, 369
آخِر, 333
آخِرُ الحَلْق, 144
آخر الحلق مما يلي الصَّدر, 147
آخر الحلق ممَّا يلي الفم, 151
آخر الصَّدر الأعلى, 127
آخرَ مَخْرَجِ الحَلْق وأقربها إلى الفم, 150
أخْرَج, 333
أَخْرَج من الفم, 165, 210
أخرس, 254, 394, 397, 398
إخفَاءُ, 571
إخفاء النُّون, 73, 116, 275, 495, 576, 577, 579, 581, 603, 606
إخْلاَصُ, 766
إخلاص الإمالة, 697
إخلاص الفتح, 453, 683, 689
إخْمَادُ, 571
أَخَنُّ, 227
أخْوَة, 546
أداء, 760, 761
إدارَةُ, 252, 292
إدخالُ, 571
إدخالُ النُّون والتنوينِ في الرَّاء إدخالاً شديداً ولا يَبقَى غُنَّة, 604
أدْخَل, 333
أدخلُ بطرفِ اللِّسانِ, 185
أَدْخَلُ في الفم, 165, 209, 210
أدخلُ في ظهرِ اللِّسان, 185
إدغام, 39, 55, 571, 572, 573, 574, 575, 576, 579, 584, 587
إدْغَامُ, 571
إدغام الأصغر, 75, 554, 555
إدغامُ الأكبرُ, 571

الإدغامُ التامُّ, 594
إدغامُ التنوين عند اللاَّم ويَبْقَى غُنَّة, 602
إدغام الحرف بأسره, 594
الإدغامُ الخالِصُ, 594
الإدغامُ الصَّحيحُ, 594, 595
الإدغامُ الصَّريح, 595
الإدغام الصغير, 555, 593
إدغام الطاء في التاء مع تبقية إطباق الطاء, 610
إدغامُ الغُنَّة, 604
إدغام القاف في الكاف، وقلبها كافاً خالصةً من غير إظهارِ صَوتٍ لها, 610
إدغام القاف وصوتها عند الكاف, 610
الإدغام الكبير, 72, 73, 126, 157, 167, 183, 192, 207, 217, 221, 248, 254, 275, 297, 374, 411, 423, 536, 552, 556, 563, 571, 572, 573, 576, 588, 589, 590, 592, 593, 594, 601, 609, 650, 680, 839
الإدغامُ المحْضُ, 594
الإدغامُ المستكمِلُ التشديد, 594, 595
إدغام النُّون عند الميم والراء وإخفاؤها عند اللام والواو والياء, 604
إدغام النُّونِ مع إظهار الغُنَّة في نفس الحرف الأوَّل, 602
إدغامُ النُّون والتنوين عند اللاَّم والرَّاء, 604
إدغامُ بغنَّة, 59, 602
إدغام بغير إشارة, 594, 596
إدغام بغير غُنَّة, 601
إدغام بلا إظهارٍ للغُنَّة, 601
إدغام بلا غُنَّة, 600, 601, 603, 606
الإدغام حتى لا يَبقى شيء, 594
الإدغام رأساً, 594, 596
الإدغام غير التامّ, 596
الإدغامُ غيرُ المستكمِل التشديد, 603
الإدغامُ مع إبقاء الغنة, 602
الإدغام من غير إظهار للغُنَّة, 602
الإدغامُ وذهابُ الغُنَّة, 601
أَدْنَى, 149, 333
أدنى الحلق, 144, 149, 150, 333
أَدنى الحلق مخرجاً من الفم, 149
أدنى الحلق ممَّا يلي الفم, 149, 150
أدنى الفم, 157, 159, 476, 720
أدنى حافَّةِ اللِّسان إلى منتهى طرفِه, 192
أدْنَى حروف الحَلْق إلى الفم, 150
أدنى طَرَفِ اللِّسان, 184
أدنى مخارج الحلق إلى الفم, 149, 150
أدنى مخارج الحلق إلى اللِّسان, 150
إذلاق, 195, 472
أذن, 92, 94, 95, 125, 231, 232, 236, 237, 309, 311, 313, 314, 360, 398
إذهابُ الغُنَّة, 601
ارتعاد, 500
ارتِفاعُ, 252, 274
ارتفاع اللِّسان ارتفاعةً واحدةً من غير مُهلةٍ ولا فُرْجَة, 589
ارتفاع اللِّسان بالحرفين ارتفاعةً واحدةً, 589
ارْتفاع اللِّسان عن الحَرْفَين ارتِفاعةً واحدةً, 589
أرحاء, 202, 219
أرحية, 191, 202, 219
إرخاء, 400, 403, 739
إرعاد, 500
أرْفَع, 333, 780
إزعاج, 736, 737
أسباب المصْفِرَة, 505
استثقال, 315, 592
استطالة, 505, 506, 511, 512, 513, 514
استعانة, 235, 408, 514, 519
استعلاء, 418, 419
استعمالُ الألسنة في ضربٍ واحدٍ, 558
استعمال الألسنة مرةً واحدةً, 558
استفال, 418, 419, 424, 425, 426, 427, 428, 653
استقبال, 534, 535, 702
أسفل الحلق, 147
أسْفَلُ الشَّفَتَين, 220, 223, 224
أسفل من أصول الثنايا قليلاً مما بين الثنايا, 205
أَسَلَةُ اللِّسَان, 184
إسْمَانُ, 444
أسنان, 201, 202
أسنان العليا, 202, 203, 290, 577

إشارةُ إلى الهمزة بالصَّدر, 127
الإشباع, 566, 628, 635, 636, 637, 638, 639, 640, 642, 649, 697
إشباع الاعتماد, 268, 378, 380, 636
الإشرابُ, 734
أشرف آلات الصَّوت, 140
الإشمام, 79, 80, 113, 220, 257, 261, 282, 294, 331, 352, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 663, 664, 665, 666, 668, 680, 694, 697, 698, 699, 750
إشمام الإضجاع, 663, 664, 694, 697
إشمام الإمالة, 663, 694
إشمامُ الخَفض الذي هو أقربُ إلى التفخيم, 450, 694
إشمام الزَّاي, 666
إشمام السِّين, 668
إشمامُ الصاد, 667
إشمام الصاد الزَّاي, 667
إشمام الصَّاد رائحة الزَّاي, 667
إشمام الصَّاد شيئاً من الزَّاي, 667
إشمام الصَّاد لَفظ الزاي, 667
إشمام الكسر, 663, 694, 698
إشمامُ الكسر قليلاً, 694
إشمام شيئ من الكسر, 694
أصداء, 319
أصداءُ الحروف, 356
الاصْطِدامُ, 240
الإصعادِ, 429
أصل الثنايا, 207
أصل اللِّسان, 133, 151, 187, 188, 189, 233
أصل حروفِ العربية, 765
أصنافُ الحروف, 373, 374
أصْوَاتُ, 325
أَصْوَاتُ التي يُرَكِّبُ الإنْسَانُ مِنْهَا الأَلْفَاظَ, 325
أَصْوَاتُ الحُرُوفِ المَقْطَّعَةِ المَسْمُوعَةِ فِي الكَلاَمِ, 325
الأَصْوَاتُ الدَّالَّةُ, 325
الأصوات الصدريّة, 127
الأَصْوَاتُ المَتَقَطِّعَةُ فِي مَخَارِجِ الحُرُوفِ, 325
الأَصْوَاتُ المَقْطَّعَةُ, 325
أصول الأضراس, 208, 218
أصولُ الثنايا, 205
أصول الثنايا السُّفلى, 217
أصول الثنايا العُلى, 205, 206, 207
أصول الثنايا العُلى مُصَعَّداً إلى الحنك, 205, 206, 207
أصول الثنايا العُلْيا, 205, 206, 207
أصول الثنايا العُلْيا مُصَعَّداً إلى الحنك, 207
أصول الثنيَّتَين, 205, 206, 207
أصول الثنيَّتَين من العُلْيَيْن, 205, 206
أصول الحروف, 765
أصول حروف المعجم, 765
أصول ما اللاَّم فوقه من الأسنان, 205
إضجاع, 664, 689, 692, 693, 697
أضراس, 163, 190, 191, 202, 208, 217, 218, 219, 485, 703
إطباقُ, 252, 289, 431, 432, 435, 438, 439, 442
إطباق الشفتَين, 284, 289, 497, 793
أطرافِ الثَّنايا، عُلْيَاهَا وسُفْلاَهَا, 211
أطراف الثنايا, 160, 193, 205, 209, 210, 211, 212, 213, 217, 293, 297, 298, 347, 490
أطرافَ الثنايَا العُلى, 212
أطراف الثنايا العُلْيا, 160
إطْفَاءُ, 571
إظهارُ الغُنَّة, 608
إظهار النُّون, 518, 579, 603, 606
إعادة, 252, 283
اعتدال, 89, 90, 546
اعتراض على الصَّوت, 394, 409
اعْتِمادُ, 252, 264
اعتمادُ على الحرفين المدغَمَين اعتمادةً واحِدة, 590
اعتماد على الحرفَين مرَّةً, 590
اعتماد في المدغَمَين على الآخِر اعتمادةً واحدةً, 590
اعتمال, 747, 755
اعْتِيَاص, 516
أعْراضُ, 373
أعضاء, 91, 97, 107, 110, 115, 122, 124, 167, 238, 303, 331, 704
أعضاء الصَّوت, 106, 108, 125, 128, 130, 132,

134, 137, 142, 153, 219, 225, 231
أعضاء النَّفَس, 108, 130
أعلى الثنيَّتَين, 205, 209, 676
أعْلَى الحَلْق, 149
الأغنّ, 255, 489, 492, 497, 498, 723
أفشى في السَّمع, 438
أقْدَم, 333
أقْرَب, 333
أقسامُ الحروف, 373, 375
أقْصَى, 183, 226, 333
أقصى الحَلْق, 144, 146
أقصى الحلق ممَّا يلي أعلى الصَّدْر, 144
أقصى الحلق ممَّا يلي الصَّدْر, 144
أقصى الفم, 157, 170, 474, 476
أقصى اللِّسان وما فَوقه من الحنك الأعلى, 186
أقصى حافة اللِّسان, 192
أقصى مخارج الحلْق, 144
أقصى مخارجِ الصَّوت, 144
الإقلاق, 736, 737
الاكتفاء, 566, 646
آلات, 92, 94, 107, 133, 142, 151, 311, 312, 320, 323, 370, 391
آلات التصويت, 96, 108, 331
آلات التصويت الإنسانيّ, 96, 108, 331
آلات الصَّوت, 108, 109, 137
آلات الكلام, 74, 108, 219
آلات النفَس, 108, 130
آلة, 107, 108, 112, 137, 138, 140
آلَةُ الأُولَى للصَّوْت, 140
الآلة الأولى من آلات الصوت, 138
آلَةُ التَّصْوِيت, 137
آلة التنفُّس والتصويت, 101, 133
الآلَةُ التي يَكُونُ بِها الصَّوْت, 140
الآلة التي يكون بها القرعُ, 108, 137
آلة السَّمع, 232
آلَةُ الصَّوت, 137
آلة الطبيعة, 109
الآلة الطبيعيّة, 109
آلةُ الكَلاَم, 179
آلةُ المَرْفُوع, 219, 224
الآلة المصوِّتة, 137
آلة النطق, 108
آلة النفَس, 130
آلة النفَس والصَّوت, 130
آلةٌ لحاسَّتَي المَذَاقِ والكَلاَم, 179
التِقَّاءُ, 252, 297
التقاء الثنايا, 298
التقاء اللام والعين على لفظٍ واحدٍ, 536, 539
التقاء جِرمَين لَيِّنَين, 298
الذي لا اسم له, 134
إلْزامُ, 252
إلزام اللِّسان موضعاً واحداً, 589
إلطاف, 695
ألف, 683, 770, 773
ألِف, 772
ألف التفخيم, 446, 448, 449, 451, 458, 654, 655, 657, 668, 674, 675, 677, 698, 760, 761
ألف التي تُبنى للقطع, 686
ألف التي تُمال إمالة شديدة, 697
ألف الخفيفة, 685, 773, 775
ألف الشديدة, 686
ألف القطع, 685, 686
ألف الكبرى, 773, 775
ألف اللَّينة, 773
ألف المدِّية, 328, 450, 773, 774, 775
ألف المصوِّتة, 773, 775
ألف المفخَّمة, 443, 448, 449, 683, 698
ألف المقطوعة, 686
ألف الملساء, 773, 775
ألف الممدودة, 773, 774
ألف المبِّتة, 773, 774
ألف الوصل, 685, 686
ألفاظ المزَيَّنة, 365, 369
إلْقاء, 611
أمُّ الذي يَعْرِضُ في الهَواء, 305
إلى التفخيم أقرب, 450, 694
أماكنُ الواجبةُ للنُّطق, 333, 346

إمالة, 657, 668, 669, 670, 671, 672, 673, 689, 692
الإمالة إشماماً, 672, 695
الإمالة الخالِصَة, 671, 697, 754
الإمالة الشديدة, 671, 697
الإمالة الصغرى, 444, 450, 451, 454, 456, 471, 586, 656, 664, 669, 672, 673, 693, 694, 695, 696
إمالة الفتحة قليلاً بين اللَّفظَين, 673, 695
إمالة الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة, 671, 697
إمالة الفتحة يسيراً بين بين, 673, 695
الإمالة الكبرى, 71, 450, 456, 458, 464, 465, 468, 471, 635, 638, 655, 657, 664, 669, 670, 671, 672, 673, 693, 694, 696, 697, 754, 769
الإمالة اللَّطيفة, 527, 672, 695
الإمالة اللَّطيفة بينَ بينَ, 695
الإمالة المتوسِّطة, 672, 695
الإمالة المحضة, 671, 697
الإمالة المشبعة, 671, 697
الإمالة الوَسَط من غير إسراف, 672, 695
الإمالة إلى الكسر, 671, 697
الإمالة اليسيرة, 673, 695
الإمالةَ اليسيرة اللَّطيفة, 527
الإمالة بين بين, 672, 695
الإمالة بين بين من غير إشباع, 672, 695
الإمالة قليلاً, 527, 672, 695
الإمالة قليلاً لَطيفاً, 527, 695
الامْتِحَان, 349
الامتِزَاجُ, 657, 680
الأمثال, 536, 538, 561
الأمْلَسُ, 152, 316
أمُّ الزوائد, 773, 775
أمَّهات الزوائد, 798
الأمواج, 307
أمواج الهواء, 307
أنابيبُ الرئة, 133
الإنباء, 646
الانبِسَاطُ, 252, 291
الانتِحَاء, 657
الانتِظامُ من مَوضعٍ واحد, 340, 557
انحدارُ, 427, 429
انحراف, 79, 489, 491, 492, 783
انحِشَاءُ, 571
انخفاض, 425, 427, 428, 429
انسِفال, 425
انضغاط, 240, 241, 242
انطباق, 99, 434, 435, 436, 437
انطباق الشفتَين, 288, 298
انطِلاَقُ اللِّسان, 181
إنعام, 747, 758, 759
أنف, 226, 230
انفتاح, 136, 185, 376, 393, 432, 434, 435, 438, 481
انفِرَاج أعلى الثنيَّتَين, 209
انقِساماتُ الحروف, 373, 375
انقضاء الاعتماد, 378, 380
أنياب, 217, 218
اهتزاز, 141, 172, 198, 238, 386, 411, 490, 492, 499, 501, 746
أوْسَطُ الحَلْق, 147
أَوْسَطُ اللِّسان, 183
أوَّل الأرحية, 219
أوَّل الحلْق, 147
أوَّلُ الحَلْقِ مِمَّا يَلِي اللِّسان, 149
أوَّل الحلق ممّا يلي اللِّسان, 150
أوَّل الصَّدر وآخر الحلق, 147
أوَّلُ الفَم, 149
أوَّلُ المخارج, 147
أوَّل حافَّة اللِّسان, 191
أوَّل مخارجِ الفم ممَّا يَلِي الحلْق, 165
إيماء, 657, 666, 678, 679, 680, 698
باء التي كالفاء, 766, 776
باء التي كالميم, 776
باء المشدَّدة, 113, 242, 289, 640, 776
باطن الثنايا, 205
باطنُ الشَّفَةِ السُّفْلَى, 220, 223
بخار الدخانيُّ, 121

بَرَمُ اللِّسان, 709, 716
بَسْط, 628
البطح, 689, 692
بُعْد, 333, 542
بغَير إدغام, 605
البَلْدَمُ, 708, 711
بِلَّةُ اللِّسان, 181
بيانُ الغُنَّة, 607
بيانُ النُّونِ أشدّ البيانِ عند اللاَّم والواو والياء, 607
بيانُ النُّون والتنوين عند اللاَّم, 608
بيان صَوت النُّون والتنوين, 609
بين الأسنان, 203
بين الأسنان العُلْيا, 203
بين الإظهار والإدغام, 610
بين الإظهار والإدغام على ما يَخرجُ من اللَّفظ, 610
بين الإمالة والتفخيم, 450, 694
بين التفخيم والتضجيع, 450, 694
بين الثنايا, 163, 205, 213, 214, 215, 216, 243, 483, 526, 736
بين الثنيَّتَين, 205, 206
بين الرِّخوة والشديدة, 405, 406, 407, 408
بين الكسر والتفخيم, 450, 693, 694
بين اللَّفظين, 471, 638, 696
بينَ بينَ, 36, 128, 350, 479, 480, 527, 574, 633
بين يدي الفم, 157, 159
التآخي, 546
التأليف, 548
التباعُدُ, 560
التباعد بالخاصِّية, 543
التباينُ, 560
تَبْقِيَةُ الغُنَّة, 609
تبيينُ الغُنَّة, 608
تبيين النُّون, 579, 607
تبيين غُنَّةِ النُّون والتنوين مع الإدغام, 603
التَّبَلْتُع, 727, 730
التجافي, 252, 253, 286, 287, 401, 402, 406, 640, 733
تجَافِي الشفتَين, 286
تجافي اللِّسان, 286, 287
التجافي عن الموضع, 286
تجافي للصَّوت, 286
تجانسُ الحرفين, 536
تجاور, 542, 592, 593
تَجْعِيدُ الحروف, 738
تَجَمْجُم, 724
تجويد, 747, 748, 749
تجْوِيفُ, 117, 121
تجويف آخر المَنْخِر, 225
تجويف الأذن, 122
تَحْت, 333
تحديدُ طَرَفَيْ ذلَقِ اللِّسَان, 195
تحزين, 741, 742
تَحْلِيق, 434, 437
تحويل, 617, 618, 686, 752, 766
تحويل الحركة, 611
تَحَلْحُل, 239
تَخَلُّصُ, 766
تخليص, 747
تَخْلِيصُ, 766
تدانِي, 541
تدبير, 564, 570
تراخي, 542, 543
ترخيم, 69, 709
ترسيّ, 134
ترعيد, 500, 741, 745, 746, 747
ترفيهُ, 519, 524, 734
تَرْفِيهُ, 524
ترقيص, 741, 746
ترقيق, 463, 468, 689, 693
ترك التبيان, 579, 607
تركُ التبيين, 607
تركُ التَّغْلِيظ, 463, 472
تركُ التفخيم, 463, 472
تركُّب, 546, 556
تَزَاحُمُ, 592
تَزَاحمُ الحرفَين في المخرجِ الواحدِ, 540
تسَفُّل, 425

تسْمِين, 444, 462
تشاكلُ, 553
التشَدُّق, 727
التشديق, 62, 727, 728
التشْرِيب, 477
التصَادُمُ, 240, 244
التصَعُّد, 420, 421, 435
تصَعُّد الألسنة, 418, 420
التصَعُّد إلى الحنك الأعلى, 420
التصفِية, 747, 755
766
تَصويبُ الأَلْسِنة, 425
التصويت, 324, 330, 331
التصويتات, 356, 363
التصويتات الأُوَل, 356, 363
التضخيم, 683, 688
التضعيف, 92, 500, 501
التضيِيقُ, 252, 287
تضييق الشفتَين, 288
التطأطؤ, 206
252, 294
التطريب, 740, 741, 742, 744, 745, 746
التطَعُّمُ, 349
التطنين, 734
تطْنِين النُّونات, 322
التطْويلُ, 252, 294
تَطْوِيلُ الألف, 59, 295
تطويل الشفتَين, 296
تَطويل المدِّ, 295
تطويل الهمزة, 295
التعَتُّتُ, 708, 713
التعْتَعَةُ, 708, 709
التعثُّر, 500
التعديل, 546, 552
تَعَسُّرُ اللِّسانِ, 708
التعمُّل, 747
التغبير, 741, 745
التغليب, 563, 569
التغليظ, 430, 444, 460, 461, 469, 734
التفخيم, 444, 445, 446, 448, 449, 450, 451, 683, 687
تفخيم الشديد, 448, 449, 454, 683, 698
تفَشِّي, 506
تفكيكُ الحروف, 747
تقارب, 449
تقْرِيب, 240
تقْعِيب, 727
تقعير, 444, 459, 460
تقْعير, 727
تقْلِيل, 696
تكافؤ, 546, 556
تكرير, 79, 376, 387, 488, 498, 499, 500, 501, 502, 745, 746
تكلُّف, 61, 451, 459, 641, 642, 728, 736, 747, 756, 757, 758
تكْلِيم, 737
تلاؤم, 546, 554
تلحين, 741, 743, 745
تلطُّف, 747, 759
تلطُّفِ, 529
تَلْطِيفُ, 695
تَمْتَمَةُ, 716, 721
تمطيط, 579, 628, 638, 641, 642, 643, 727, 728, 729, 758
تموُّج, 307
تمَوُّجُ, 305, 307
تمويج, 307
تناسُبُ, 546, 551
تنافُر, 543, 544, 545, 560
تناولُ من وجهٍ واحدٍ, 558
تنوين, 228, 492, 493
تنوينُ مُبَيَّنٌ غَيرُ مُدْغَمٍ, 607
تَهْتَهةُ, 708
توابع الألفاظ, 365, 369
توامّ, 797
توسُّط بين الإمالة والتفخيم, 450, 694
توفية, 628, 644
توفيق, 546, 551

توفيق بين الصوتين ليكونا من جهة واحدة, 558
ثَعْثَعَةُ, 716, 721
ثقب الأذن, 232
ثُقب العظم الحَجَريّ, 232
الثقَل, 95, 307, 313, 315, 352, 551, 714
الثقَل في اللِّسان, 316
716 ,709
الثنايا, 202, 204
الثنِيَّةِ, 204
الجاسِي, 152
الجامِدَةُ, 784
الجانب الأيمن والأيسر, 194
جَانِبَا الحنَك, 170
جَانِبَا اللِّسَان, 184, 193
جانبَا الأرحية, 219, 260
جَانِبَا الشِّدْق, 163
الجذب, 563
الجرّ, 464, 467, 563, 564, 565, 567, 628
جرّ الهاء, 566, 568
جرُّ الهاء بغيرِ إشباعٍ, 567
جرُّ الهاءِ كسراً, 567
جرُّ الهاء مع الإشباع, 566
جرُّ الهاء ولا يُشبِعُها, 567
جرُّ الهاءِ ووصلُها بياءٍ, 566
الجرْس, 324, 327, 363
الجرِس, 328, 773, 775
جَرْسُ الحرف, 356
الجِرْم, 107, 109, 110, 202, 204
الجرم الرَّطب اللَّين, 180
الجِرمُ الشبيه بلسان المزمار, 138
الجرْم الصَّلْب, 110, 202
الجرْمان اللَّيِّنان, 219, 224
الجروس, 327
جَرْيُ اللِّسان, 181, 182
الجزْءُ, 115, 116, 183
الجزْء الأمْلَس من الحنك, 167
جَزْمُ الكلام, 747, 749
جزماً مفتوحة الحاء قليلاً, 457, 694
الجِسْمُ الشَّبيهُ بِلِسَانِ المِزْمَار, 140
الجسمُ الغضرويّ المحيط بالثُّقب, 232
جَعْلُ الصَّوتِ على طريقةٍ واحدةٍ, 559
جَعْلُ النُّونِ غُنَّةً مُخفاةً غيرَ مُدْغَمَةٍ عند الياءِ والواوِ, 606
جَعلُ على لفظٍ واحدٍ, 558
جَفَاء اللِّسان, 287
جمْعُ, 252, 296, 341
جمع الشفتَين, 297
جمْع بين ساكنَين, 296
جَنْبَا اللِّسان, 184
جنس حروف أدنى الفم, 159
جَوْبة التي فيه الهواءُ الرَّاكد, 232
جوف الحَنَك, 118
جُوفِ الهوائيَّة, 119
جوْفيَّة, 790
جيمُ التي تَضربُ إلى شبه الزَّاي, 778
جيمُ التي تَضربُ إلى شَبَهِ السِّين, 778
جيمُ التي تَضربُ إلى شَبَهِ الصَّاد, 778
جيم التي كالزَّاي, 779
جيم التي كالشين, 246, 777
جيم التي كالكاف, 777
حابِس, 110
حَافَّةُ اللِّسَان, 191
حافَّتَي طرفِ اللِّسان, 193
حبس غير التامّ, 400
حبسات التامّة, 398
حبَساتٍ غيرِ تامَّةٍ, 403
حبْسَةُ, 708, 715
حِجَابُ, 129
حِجَاب الجَوف, 118
حِجاب الحاجِز, 128
حجَابُ الفَاصِل, 129
حدُّ المشترك بين اللَّهاةِ والحنك, 172
حدَّةُ والثِّقَل في الأصوات, 307
حذفُ الغُنَّة, 607
حرف, 357, 360
حرف الأعجميّ الذي بين الكاف والجيم, 777
حرفِ الترجيع, 499
حرفُ الجرسيّ, 772
حرف الذي بين الشين والجيم, 781

حرف الذي بين الكاف والجيم, 777
حرفُ الذي هو مثلُ ما بعدَه, 58
الحرفُ الذي هو مثلُ ما بَعْدَهُ, 536, 538
الحرف الرَّاجِع, 36, 229
الحرف الشبيه بالجيم, 289, 777, 778
الحرف الشديد الذي يجري معه غنة من الأنف, 488
الحرف الصَّوتِيّ, 772, 773
الحرف الفمَويّ, 156
حَرْفُ اللِّسان, 184, 199
حرف اللِّين المجانس له ما قبله, 415
حرف اللِّين غير المجانسِ له ما قَبْلَه, 415
الحرفُ المتَّصِلُ, 784
الحرف المتحرِّك, 96, 276, 335, 404, 585, 646, 657, 661
الحرف المتفشِّي, 509
الحرف المستعلي, 419, 425, 427
الحرف المعترض الذي بين الشين والجيم, 781
الحرف المكَرَّر, 536
الحرف المنفتح, 432
الحرف المهْتُوف, 126
الحرف الهَاوِي, 146
الحرف شديد يَجري معه الصَّوت لأنَّ ذلك الصَّوت غنَّةٌ من الأنف, 489
حرفٌ شديدٌ يَجرِي معه الصَّوتُ من الأنف, 407
الحرف يتكرَّر, 536
حرفا الانحراف, 491
حَرْفا الغُنَّة, 229
الحرفان السَّواء, 536, 539
الحرفَان اللَّذانِ تَضَعُ لسانَكَ لهما موضعاً واحداً لا يزولُ عنه, 536, 538
الحرفان اللَّذان تَضَعُ لهما مَوضعاً واحداً لا يَزولُ عنه, 58
الحرفان اللَّذان هما سواء, 58, 536, 539
الحرفان المتفشِّيان, 511
الحرفان المتماثلان في اللَّفظ, 536, 538
الحرفان المثلان اللَّذان هما سواء, 536
الحرفان ذوا اللَّفظ الواحد, 536, 539
الحرفَان على لفظٍ واحدٍ, 536
الحرفان على مثالٍ واحد, 536
الحرفان من جنسٍ واحدٍ, 536
الحرفان من مخرجٍ واحد, 540
الحرفَان من موضعٍ واحد, 536, 538
حرفَيِ الطَّلاقة, 474
حركةُ العرضيَّة, 306
حروف أقصى الفم من أسفل اللِّسان, 158, 186, 187
حروف أقصى اللِّسان, 183, 187
حروف الاستعلاء, 73, 352, 418, 420, 421, 422, 423, 424, 425, 594, 609, 610
حروف الأسْليَّة, 199
حروف الإطباق, 78, 117, 161, 421, 433, 434, 436, 437, 438, 442, 443, 446, 463, 507, 578, 671
حروف الاعتلال, 798
حروف الانخفاض, 428
حُرُوفُ التَّهَجِّي, 357
حروف التفخيم, 78, 433
حروف التي اتَّسَعَت مخارجُها, 790, 795
حروفُ التي أَلِفَتْ منها العربية, 765
حروف التي بين الرِّخوة والشديدة, 405
حروف التي تتماثلُ في اللَّفظ, 536, 538
حروف التي تَمتنعُ فيها الإمالة, 418
حروف التي تَمنعُ الإمالة, 418, 424
حروف التي تَمنعها الإمالةَ هذه السبعةُ, 424
حروف التي تُنسَبُ إلى اللِّسان, 183
حروف التي من مخرجٍ واحدٍ, 536, 539
حروفُ التي من مخرجٍ واحدٍ وليستْ بأمثالٍ سواء, 540
حروفِ التي هي أقربُ إلى خارجِ الفمِ من الرَّاء, 156
حروف الثنايا, 182, 205, 206, 213, 216, 513
حروف الجَوْف, 118
حروف الجَوْفِيَّة, 118
حروف الحلق, 143, 144, 186, 343, 475, 591, 678
حُرُوف الحُفْت, 520
حروف الخَفضِ, 520
حرُوفُ الخفيَّةُ, 790
حروف الذَّلاقة, 268, 475
حروفِ الذَّلَق, 195, 474
حروف الذُّلْق, 195, 197, 472, 473, 474, 475
حروف الذَّلَقيَّة, 475

حُرُوفُ السَّلاَمَة, 784
حروف الشفة, 221
حروف الشفتَين, 221
الحروف الصُّتم, 475
حروف الصَّفير, 269, 428, 503, 508
حروف العرب, 93, 355, 765, 779
حروف العِلل, 474
حروف الغُنَّة, 497
الحروف الفِخام, 446
حروف الفم, 155, 228, 476, 581, 753, 793
حروف الفمِ واللِّسان, 155
حروف القلقلة, 241, 384, 388, 397, 480, 481, 482, 483
حروف اللِّسان, 182, 183, 184, 205, 489, 577, 582, 677
حُرُوفُ اللِّين, 790
الحروف اللَّيِّنة, 414, 790, 794
الحروف المأخوذ منها الحركات, 797
الحروف المتَفَاوتة, 545
الحروف المتَفَرِّقَة, 197
الحروفُ المتقارِبةُ التي هي من مخرجٍ واحدٍ, 540
الحروف المتَنَاسِبَة, 197
حروف المدِّ واللِّين, 342, 352, 414, 415, 416, 518, 543, 643, 646, 649, 784, 789, 795, 796
الحروف المرتَفِعة, 155, 280
الحروف المرَكَّبة, 400
الحروف المستعلية, 418, 424
الحروف المستعلية التي تَمنعُ الإمالة, 424
الحروفُ المشْرَبة, 479
حُرُوفُ المعْجَم, 357
الحرُوفُ المعْجَمَة, 357
الحروف المفرَدة, 394
حُرُوفُ المقَطَّع, 357
الحرُوفُ المقَطَّعَة, 357
الحروف المنَّاعة, 418, 424
الحروف المهموسة, 387
الحروف الموانع, 418
حروف النَّفث, 63, 484
حُرُوفُ الهِجَاءِ, 357
حروف طرَفِ اللِّسان, 183
حروف طرف اللِّسان وأصول الثنايا, 197, 208
حروف طرف اللِّسان والثنايا, 197
حروف وسَطِ الفَم, 158
حروفُ وسَطِ اللِّسان, 183, 591
حروف وسطِ اللِّسان مِمَّا هو مُنْخَفِض, 191
حَصْر, 394
حصَرُ, 708, 711
حضْرَمة, 705, 707
حُكْلَةُ, 708, 711, 712, 724, 726
حلق, 118, 122, 125, 133, 142, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 151, 166, 188, 226, 233, 240, 280, 325, 332, 333, 349, 354, 363, 406, 411, 431, 434, 437, 442, 443, 474, 475, 521, 522, 524, 683, 757, 785, 798
حُلْقُوم, 133, 149, 188, 340
حلقية, 143
حلوق الإنسانيَّة, 151
حَنْجَرَةُ, 137
حنَك, 111, 166, 186, 345, 421, 436, 442
حنك الأسفل, 168
حنَكُ الأعْلَى, 166
حَيِّز, 333, 341
حَيِّزِ الأوَّل, 221, 341
حيِّزُ الشَّفَويّ, 221
خادِميُّ, 152
خاصِّيَّةِ القُصُور الذَّاتِيّ, 299
خَالِصُ, 766
خرَسُ, 708, 712
خَرْقُ, 117
خَرْق الأذن, 121, 232
خَرْقَ الأنف, 121
خَرْقَ الفم, 121
خفض, 428
خُفُوت, 519, 520
خَفيفةٌ غيرُ مُدغَمة, 605
خلْسَةُ, 708, 715

خَلْطُ, 657, 676
خَلَل الأسنان, 203
خَلَل الرَّبَاعِيَات, 217
الخلَّة, 70, 373, 374, 375
الخُلُوصُ, 766
الخُنَّةُ, 723
خَواصُّ الحروف، الخاصَّة, 373, 375
الخوَر, 523
الخَوَّار, 523
الخيَاشِيم, 226, 227
الخَيْشُوم, 116, 226, 227, 793
الدخول, 344, 571, 575
الدرَقِيّ, 136
الدفْنُ, 571
الدقيق, 127, 379
دُوَيْنَ طَرَفِ اللِّسان, 200
الدويُّ, 318, 319
الدويّ الحادِثِ من الهواءِ, 320, 495
الذال التي كالثاء, 779
ذَلَقُ اللِّسَان, 184, 194
الذلَقِيَّة, 195, 474
الذلِيقَةِ, 195, 474
الذوائب, 790, 795
الذوْقُ, 349
الذوْلَقِيَّة, 195, 474
الرئة, 33, 127, 130, 131, 132, 133, 134, 362
الرئتان, 124, 130, 238
الراء العَينيَّة, 500, 779
الراء اللاَّمية, 779
179
الراء المطْبَقة, 780
الراحميُّ, 152
رَأْسُ الحنَك, 170
رَأْسُ اللِّسان, 184, 198
الراوَنْدِيُّ, 152
الربَاعِيَات, 202, 217
الربَقُ, 708, 712
الرُتَّةُ, 708, 712, 715
الرتَجُ, 708, 713
الرخاوة, 293, 400, 401, 403, 406, 506, 510, 778
رخو, 152
رخوة, 286, 383, 393, 400, 401, 402, 403, 406, 407, 408, 498, 506, 508, 778
رد, 626
ردُّ, 252, 292
رَدُّ الحركة, 611
رطْبُ, 152
رطوبة, 98, 301, 304, 370
رطُوبَةُ, 301
ُرطُوبة الحنَكِيَّة, 168
رفْعُ, 252, 257, 270, 271, 274, 279, 280, 281
رفع الشفتَين, 278
رَفْعُ الصَّوت, 279
رفعُ اللِّسان بالحرفَين رفعةً واحدةً, 589
رفعُ اللِّسان رفعةً واحدةً, 275, 589
رفْعُ اللِّسان عن الحرفَين, 275, 589
رفعُ اللِّسان مرَّةً واحدةً, 589
رفع اللِّسان من موضعٍ واحدٍ, 340, 589
رفع بالحرفين, 276
رفْعَة, 273, 282
ريح, 78, 112, 117, 130, 238, 436, 437, 504, 509, 510
زاءُ الظائيَّة, 780
زاحِم, 113
زحْر, 737
زحْمُ, 113, 240, 245
زُغموم, 709
زمْر, 735
زوال, 252, 283, 284, 285
زيادةُ إدغامِ الغُنَّةِ حتى يُخَيَّلُ إليك أنهُ ليس في الحرفِ تنوينٌ رأساً, 604
سامِيَة, 422
سبيل, 333, 347, 393
سَطْحُ الحنك, 168, 169, 173
سَطْحُ الشَّفَة, 220, 223

سَطْحُ اللِّسان, 185
سَطْحُ باطنِ الشَّفَة, 224
سفال, 425
سَمَنُ, 444
السمُّوُّ, 418, 422
السوَاكِنُ, 784
السين الزائيَّة, 780
السين الصاديَّة, 780
السيَّال, 238, 304
شِبهُ النَّفخ, 483
شَجْر الفم, 160
الشجْرِيَّة, 160
الشجيّ, 152
الشخوص, 418, 422
الشُخُوص إلى الغار الأعلى, 422
الشدة, 270, 393, 396, 551
الشدّ, 252, 289
الشدْق, 161, 162, 163, 202, 222
الشديد الذي يَجري فيه الصَّوت, 409
405
الشديدة, 394, 524, 794
الشّدّ القويّ, 289
الشعِثُ, 152
الشفة السُّفلى, 203, 212, 224, 298, 464, 577,
723
الشفتان, 107, 125, 219, 220, 221, 224,
286, 679, 680, 753
الشفَهِيَّة, 220, 221
الشفَوِيَّة, 220, 221
الشقُّ, 163, 256, 430, 437
الشكلُ الكُرَوِيُّ, 305, 307
شوائبُ الحروف, 736
شوائب الصَّفير, 505
الشوْبُ, 657, 681
الشين التي كالجيم, 246, 781
الشينُ الرَّائيَّة, 781
الصاد التي كالسِّين, 780, 782
الصافي, 153, 747, 754, 755, 769
766 ,152
الصحَاحُ, 327, 784
الصحِيحُ, 784
الصدِئُ, 152
صَدْرُ الحنَك, 170
صَدْرُ اللِّسان, 184, 198
صدف المعْوَجّ, 232
صدى, 101, 125, 165, 317, 318, 319, 509
صدى المنبعثَ من الصَّدر, 125
صرْصُورِيّ, 152
صريح, 594, 595, 766, 769
صَّدر, 125
صَّوت, 324, 325
صِّياحيُّ, 152
صُعاقُ الحروف, 356, 364, 717
صُعُدَ مقاديم الأسنان, 202
صفات, 180, 241, 306, 373, 374, 376, 377,
418, 472, 476, 477, 488, 502, 503,
514, 519, 532, 546, 562
صِفَاق المنْخِر الدَّاخِل, 169
صفَّار, 347, 504
صفير, 69, 203, 351, 502, 504
صكَّة, 245
صلابة, 395, 409, 514, 515
صماخ, 122, 232
صوتَ الجَهِير, 127
صوت الحادُّ, 136
صَوْتُ الحرف الأصوات, 356
صوت الصَّدر, 378, 381, 386, 392, 485
صَوْتَ الفَم, 164
صوتٍ يُشبِهُ النَّبرةَ, 481
ضاد الصَّحيحة, 767
ضاد الضعيفة, 767, 782
ضزَزُ, 708, 709
ضعف الاعتماد, 378, 380, 402
ضغطُ, 734
ضِلْعا اللِّسان, 194
ضمُّ, 162, 252, 256, 257, 258, 259, 260,
261, 262, 263, 271, 518
ضمَّة الصحيحة, 767

ضمَّة الصَّريحة, 769
ضمَّةَ غير الصَّريحة, 769
ضواحك, 218
طاء التي كالتاء, 766, 782
الطائفة, 115
طبقُ الحنجرة ولسانها, 138
الطحْرُ, 737
الطرْح, 611, 615, 616
طرف الأسنان, 203
طرف الثنايا السُّفلى, 217
طَرَفُ الحنَك, 170
طرَفُ الشفتَين, 223
طَرَفُ اللِّسَان, 184, 195
طَرَفُ غَار الفم, 170
طرَفَا ذَلَقِ اللِّسان, 195
الطِّرْجهاليّ, 134, 136
الطليُّ, 152
الطمطُمانيَّةُ, 724
الطنين, 318, 320, 321, 322, 734
الظاء التي كالثاء, 782
ظَهْر اللِّسان, 184
العُجْمَةُ, 724, 725
العَدْل, 546
عديم الاسم, 134
عَذَبَةُ اللِّسان, 184, 200
العَرَض, 306
العَرْمَرْمُ, 724
العضل الجانبية التي بين الذي لا اسم له والطرجهالي, 137
العضل الخلفية التي بين الذي لا اسم له والطرجهالي, 136
العضلات المائلة والمستعرضة الطرجهالية, 137
العضَلةُ الإبْرِيَّةُ اللِّسَانية, 177
العضَلةُ الضِّرْسِيَّةُ اللاَّمِيَّة, 177
العضَلَةُ اللاَّمِيَّةُ اللِّسَانِيَّة, 177
العضَلَةُ المعَرِّضةُ للِّسان التي تأتي من الزوائد السَّهْمِيَّةِ, 177
العضلةُ المورِّبَةُ للِّسان التي تأتي من الضِّلْع السَّافِلِ من أضلاعِ العظمِ اللاَّميّ, 177
العضلتان المطوِّلتان للِّسان, 178
العُضْو, 107, 257
العضو الذي فيه القوةُ التي بها يُسمَع, 232
العُضو الذي هو آلة للنُّطق, 108
العُضو المنطقيّ, 108, 346, 574, 717
العَطَالة, 299
العَطْفَةُ, 252, 294
عَفْتُ, 724
عَفْطُ, 724
عُقدة في اللِّسان, 708
عُقْلَةُ, 708, 715
عُكَدَةُ اللِّسَان, 183
عِلاجُ, 747
علاجُ بالصَّوتِ من جهةٍ واحدة, 559
علاجُ من جهةٍ واحدةٍ, 559
عِلَل, 640, 733, 767, 798
علم الأصوات والحروف, 326
عملُ اللِّسان عملاً واحداً, 559
عملُ اللِّسان مرَّةً واحدةً, 559
عملُ اللِّسان من جهةٍ واحدة, 559
عملُ اللِّسان من موضعٍ واحدٍ, 559
عملُ من جهةٍ واحدةٍ, 559
عملُ من موضعٍ واحدٍ, 340, 558
عملُ من وجهٍ واحدٍ, 420, 557
عملُ والصَّوتُ من وجهٍ واحدٍ وجنسٍ واحد, 559
عِيُّ, 708, 711, 712, 713
غار الأعلى, 158, 166, 167, 169, 184, 226, 279, 322, 419, 422, 476, 489, 688
غارَ الحلق الأعلى, 142
غُثْمَةُ, 724, 725
غضروف الذي لا اسم له, 135
غضروف الشبيه بالتُّرس, 134
غضروف المتكئ على المجرى, 134, 139
غضروف المكبيّ, 135
غلَبة, 563
غَلْصَمَةُ, 188
غَمْزَةُ, 252, 290
غَمْغَمةُ والتَّغمغُم, 724
غُنَّة, 226, 492, 493, 494, 495, 723
غُنَّةُ, 723
غير التطويل, 646
غَيرُ المصَوِّتِ, 784

فاءُ التي تكادُ تُشبِهُ الباء, 783
فأفأةُ, 716
فتح, 444, 451, 454, 455, 456, 458, 683, 687, 694
الفتح البَيِّن, 683
الفتحُ الجافي, 459, 698
الفتح الخالص, 453, 689
الفتح الخفيف, 454, 683, 689
الفتح الشديد, 454, 458, 459, 698
فتحُ اللاَّمِ من غير همز, 626
458
فتحُ اللام, 458, 626
الفتح اللَّطيف, 453, 457, 683, 689, 694, 695
الفتح اللَّطيف بإشارةٍ إلى الكسر, 457, 694
الفتح المتوسِّط, 458, 683, 694
الفتح المستحسن, 453, 683, 689
الفتح الوسَط, 454, 683, 689
فتحُ الياء من غير تشديدٍ, 458, 626
الفتحُ غيرُ المشبَع, 456, 694
الفتح قليلاً, 457, 694
الفتحة, 773, 774, 775
الفتحة الصَّريحةِ, 769
الفُتُور, 519, 525
فِخَام حروفِ الشَّجْر, 160
الفَدَامَةُ, 708, 710
الفُرَج التي بين الأسنان, 203
الفُرْجَة التي بين طرفِ اللِّسان والثنايا العُلْيا, 214
الفَضَاءُ, 117
فضاء الخيشوم, 225
الفَضْغُ, 727, 729
الفضل الدخانيُّ, 121
الفكّ, 747
الفم, 154, 219, 220
153
الفَهَاهَةُ, 708, 710
فُوَيق, 205, 213, 214, 215, 216, 333
فُوَيق الثنايا, 205, 213, 214, 215, 216
فُويق الرَّباعِيَة, 217
فُويق الضَّاحك, 219
فُوَيْق الضَّاحك والناب والرباعيَة والثَّنِيَّة, 216
فُويق النَّاب, 217
القارع, 107, 111, 114
قَاعُ الفَم, 161
قالع, 111
قَرْع, 111, 112, 239, 240, 242, 243, 244, 250
قصبةَ الرئة, 133
قَصر, 646, 647, 648, 649
قَطِيعُ, 153
قلب, 622, 623, 624, 625
قَلْبُ الحركة, 611
قَلْبُ الصَّحيح, 594
قَلْعُ, 240
قَلْقَلة, 480, 740
قوَّةَ الاعتماد, 268
قوَّةُ من جهةٍ واحدةٍ, 559
كاف الخفيفة, 777, 783
كان يَجُرُّ الهاء... وكان أكثر قراءته الجرَّ, 567
كان يُدغِمُ الظاءَ في التاءِ فيكون تاءً واحدةً مشدَّدة, 609
كأنَّهُ يُدْغِمُها قليلاً, 605
كَرَوانيُّ, 153
كَزازَةُ, 514
كسر, 463, 464, 466, 467, 468, 689, 692, 695
كَسْرُ, 463, 464
كسر الشديد, 671, 697
كسر الصَّحيح, 449, 454, 683, 767
كسر اللَّطيفَ, 526
كسر اللَّطيف من غير إفراطٍ, 695
كسر بين الكسرين, 697
كسرةَ الصَّريحة, 769
كُلْفة, 517, 608
كما يخرج من الفم فيما بين ذلك وسطاً من اللَّفظ, 695
كَوامِل, 797
لا أُدْغِمُ النُّونَ عند الواو, 605
لا فتح شديد ولا بَطح, 457, 694
لا مفتوحة ولا مكسورة, 457, 694
لا مفتوحة ولا مكسورة وسطاً من ذلك, 457, 694

لا مفتوحة ولا مكسورة، وهي إلى الفتح أقرب, 457, 694
لا يُبالِغُ في تفخيمها, 451, 694
لا يُبَيِّنُ التنوين, 607
لا يُبَيِّنُ الغُنَّة, 606
لا يُدْغِمُ التنوينَ في اللاَّم حيثُ وقَعَ, 605
لا يُدْغِمُ الغُنَّةَ, 605
لا يُدغِمُ النُّونَ والتنوينَ عند شيءٍ من هذه الحروف, 605
لا يُسقِطُ التنوينَ في شيءٍ من القرآن ولا يُشْبِعُه, 605
لا يُطْفِئُ هذه النُّونُ عند الأحرفِ الأربعة
الياء والواو والرَّاء واللاَّم, 605
لا يَفتحُ الرَّاء جداً في القراءة, 457, 694
لا يَفتحُ ولا يُميلُ، بل وسطاً من ذلك, 457, 694
اللامُ المِطْبَقة, 783
اللثة, 175, 214, 341, 702
اللثغةُ, 716
اللثويَّة, 175
اللجْلَجةُ, 708, 710
اللحن, 84, 126, 145, 148, 150, 167, 173, 190, 192, 212, 222, 223, 227, 242, 269, 329, 339, 374, 381, 451, 462, 478, 595, 705, 706, 727, 745, 753, 761, 802, 843
اللحن الأجَشّ, 227
اللخلُخانيَّة, 724
اللدْنَات, 530
اللدْنَة, 529
اللزُومُ, 252, 253, 254, 255, 256
لزوم اللِّسان موضعاً واحداً, 340, 589
اللسان, 70, 171, 176, 186, 193, 195, 233, 352, 411, 431, 512, 708, 768
اللسان الصَّحيحُ, 182
لسان المزمار, 138, 139, 140, 188, 189, 390
اللطافة, 526, 695
اللطْفُ, 519, 526
اللطيف, 453, 526, 527, 528, 695
اللفظُ الواحدُ والقوَّةُ الواحدة, 558
اللفظ من مَوضعٍ واحدٍ, 340, 558
اللفظُ من وجهٍ واحدٍ, 558
اللفَفُ, 708, 714
اللفيفُ, 571, 575
اللكْزُ, 734
اللكنةُ, 724, 725
الناعِمُ, 153
اللهاة, 99, 104, 108, 118, 142, 169, 170, 171, 172, 188, 189, 198, 233, 304, 330, 343, 464, 703, 790
لهَع, 727, 729, 730
لهوات, 104, 169, 171, 188, 189, 344, 464
لوكُ, 733
ليغُ والأَلْيَغ, 716, 722
ليكون الصَّوتُ من جنسٍ واحدٍ وضربٍ واحدٍ, 558
ليكونَ الصَّوتُ نوعاً واحداً, 559
ليكونَ اللِّسانُ من جهةٍ واحدةٍ, 559
ليكون عملاً واحداً, 558
لينُ, 342, 410, 414, 416, 417, 739
لينة, 114, 220, 223, 400, 401, 406, 409, 410, 413, 414, 416, 468, 796
مؤاخاة, 546, 547
مؤونة, 514, 518
ما بين تماسِّ أطراف الأسنان, 204
ما بين طرفِ الثنايا وأصولِها, 214
ما فوق أقصى اللِّسان من الحنك الأعلى, 167, 169, 172
ما فوق الثنايا, 215
ما يلي حافة اللِّسان من الحنك الأعلى, 174
مبادئ الألحان, 344
مبالغة في الإجناح, 71, 693, 697
مبايَنة, 544
مبدأ, 333, 344
مَبطوحٌ, 470
مُبَلْبَلُ, 153
متباعدان, 542
مُتَبَايِنَان, 544
متجانسان, 536, 537
مُتَفَاوِتة, 545
متفشِّية, 511
متكافئة, 546, 556
متنافران, 542, 545
مُتَيَسِّر, 153

مثلان, 58, 536
مَجَارِي, 124
مَجَارِي الحُرُوف, 124
مجانس, 536, 537
مجانسة, 546, 554
مجانسة الحرفين, 536
المجَاوَبات, 318
المجرورُ بياءٍ في اللَّفظ, 567
مجرورةُ الهاء, 567
المجرى, 118, 122, 123, 124, 333, 494, 504, 704, 714
مَجْمَعُ الحروف, 179
المحَابِسُ, 107, 110
المحْبِس, 110, 138, 333, 348, 437, 441
المحْضُ, 52, 766, 768
المحَلُّ, 333, 346
المحْنَة, 353
المخَالِطة, 511, 676
المخالَطة, 657, 676, 677, 678
المختَبِقُ, 153
المخرج, 342
المخرج الأوَّل, 147
المخرج الثالث من الحَلْق, 149
المخرج الثالث من مخارج الحلق, 150
المخرجُ الثاني من الحلق, 147
المخرج الثاني من الحلقِ ممَّا يَلي الفَم, 147
المخْفَتة, 520
المخَلْخَلُ, 153
المخْلَص, 766
المدَارِج, 343
مَدارِجِ الحروفِ الخُفْتِ, 446, 520
المدّ اللَّطيف, 529
المدَّة, 773, 774, 795, 796
المدَّة المستَطِيلة, 795, 796
المدْرَج, 333, 343
مَدْرَجَةِ الحُرُوفِ الفِخامِ, 446, 520
مَذْلُ اللِّسَان, 181
المذْلَقَة, 341, 473, 476
المرتَعِدُ, 153
المرتفِعة, 273
المرونةُ, 302
المزَاحَمَةُ, 240
المزايَلَة, 252
المزْجُ, 657, 680
مُسْتَدَقُّ اللِّسان, 184, 200
مُستَدَقِّ طرف اللِّسان, 200
مستعلِية, 249, 423, 430, 431
مستعينة, 36
مسْتعينة, 519
مُستفِلة, 425, 520
مُسْتَقَرُّ الحرف, 333, 346
مسْتَوي من الحروف, 486
مَسَّ غيرَ الصَّادِق, 243
مسْلَكُ, 333, 347
مَسْمُوعة, 328
مشاكلة, 546, 552
مُشْرَبَ, 479
مشربة, 383, 384, 477
مُصاقَبة, 546, 556
مصَاكَّة, 240, 245
مُصَلْصَلُ, 153
مصْمَتة, 476, 516
مُصَهْرَج, 153
مصَوِّت, 400, 404, 405, 438, 788, 797
مصَوِّتَات, 796
مصوِّتات الطويلة, 652, 654, 797
مصوِّتة, 94, 96, 151, 325, 789, 796, 797
مضارعة, 546, 547
مضاعفة, 328, 500
مَضَايِقَ حَلَلِ الأسنان, 203
مضْغُ, 732
مضغوط, 240, 241, 242
مضْغُوطة, 240
مُطْبَقة, 278, 279, 432, 433, 435, 441, 500, 520
مطْبِقة, 154
المظْلِمُ, 153
المعتلَّة, 766, 767, 784, 785, 798

المعْتَمَدُ, 333
المعْجَم, 326, 357, 359, 360
المعْقُوم, 560
المغْتَصُّ, 153
المفتوحُ شيئاً, 457, 694
المفتوحة, 431, 434, 458, 462, 626, 633, 674
المفتوحة وسطاً من ذلك, 454, 457, 694
مَقَاديم الأسنان, 202
مَقاديم الأسنان العليا, 202
مَقَادِيمُ الحَنَك, 170
المقاربة, 540, 542
المقارَبةُ بالخاصَّة, 542
المقارَبةُ من جهةِ الخاصَّة, 542
المقاربةُ من جهة المخرج, 542
المقاطع, 330, 333, 334, 335, 336, 337, 641, 744
المقاوَمة, 237, 301
المقَدَّم, 202, 291, 333
مُقَدَّم الأسنان, 202, 291
مقدَّمُ السَّطحِ المُمْتدِّ على الحنك, 170
مقدَّمُ الغَار الأعْلَى, 170
مقدَّم الفم, 157, 158, 159, 187
مُقَدَّمُ اللِّسان, 184
المقروع, 300
المقصُور, 646
المقَطَّع, 357, 360
المقْطَعُ, 333, 334, 337, 338
المقْطَعَ الطَّوِيلَ, 96, 336, 405
المقْطَعَ القَصِيرَ, 96, 335, 404
المقَعَّرات, 460
مقعَّرات أجزاء الأنف, 225
المقَعْقَع, 153
المقْمَقة, 727, 729
المكان, 333, 346
المكرَّر, 488, 489, 491, 498, 499, 501, 539
المكْمَنُ, 333, 344
الملاءمة, 546, 554
ملتقى الثنايا, 298
الملَطَّفات, 527, 695
المماثَلة, 536
الممازَجة, 657
المَمَاسَّةُ, 240, 243
مُمْطُولة, 795
ممَّا بين الثنايا, 205, 207, 213, 504
ممَّا بين الشفتَين, 219
ممَّا فوق وسَط الحلْق دانياً إلى الفم, 151
ممَّا يُجاوِرُها, 333
ممَّا يُحاذيها, 333
ممَّا يَليها, 333
مِن فَوْقِ وَسَط الحَلْقِ مع أوَّل الفم, 149, 150
المناسَباتُ, 310, 546, 552
المناسَبَةُ, 546
المنافِذ الضيِّقَة بين خَلَلِ الأسنان, 203
مُنتَهَى الصَّوْت, 144
مُنْتهَى طَرَفِ اللِّسان, 184
المنحرف, 376, 405, 406, 488, 489, 490
المنْخِر, 231, 320, 495
المنخَفِض, 428
المنطبِقة, 433
المنْطَفِئُ, 153
المنْعَصِرُ, 153
المنفتحة, 279, 433, 435
المنفَذُ, 333, 346
المهتوت, 522, 772
المهتوف, 521, 772
المواطِنُ, 333, 348
الموافقة, 546, 551
الموج الناقل للصَّوت, 307
المؤْضِعُ, 293, 333, 338, 340
مَوْضِعُ أكثرِ الحُرُوف, 179
مَوْضِعُ التَّغَرْغُر, 149
الموضِع الذي ينالُه هواء التَّهَوُّع, 148
الموضِع الذي ينالُه هواء التنَحْنُح, 148
موضعُ الريح والنفَس, 130
النابي, 116, 153, 311, 317
النبر, 641, 741, 770
النبرات, 335, 365, 368, 770, 772
النبرة, 481, 742, 770, 771, 772

النبوة, 500
نُبُوُّ اللِّسان عن المدغم نبوةً واحدةً, 589
النحو, 51, 56, 355, 378, 626, 657, 674, 675, 698, 841
نَحْوُ النَّفخة, 483
النسْنَسة, 243
النسْنسة بحروف الصَّفير, 736
النصَاعةُ, 514
النصْب, 123, 455, 683, 687, 688
النطْع, 168
النطْعِيَّة, 169
النطفيُّ, 153
النعْمَةُ, 519, 530
النغَم, 152, 153, 313, 329, 330, 335, 337, 367, 368, 544, 550, 652, 789
النغمة, 328, 329, 330, 494
نَغْمَةُ الحرف, 356
النفخ, 85, 90, 311, 377, 386, 388, 480, 484, 485
نفَسُ الحرف, 356
النقشُ العرَضيُّ, 306
النقصان, 646, 650
النقل, 493, 611
نقل الحركة, 292, 293, 451, 571, 611, 613, 615, 616, 617, 619, 622, 625, 626
النواطق, 796
النون الخفيَّة, 227, 228, 494, 496
النون المتحرِّكَة, 156, 228
نونٌ ساكنةٌ تَظْهَرُ عند اللاَّم, 607
النون مُبيَّنةٌ غيرُ مُدْغَمة, 607
الهَاوِي, 412, 790, 791
الهاوية, 790
الهَتُّ, 519, 521, 522, 734
الهَتْهَتَةُ, 708
الهَتْهَتةُ, 708, 710
الهجَاءُ, 357
الهشاشة, 519
الهفْوُ, 519, 525
الهَمْزَةُ, 252, 290, 291
الهمس, 55, 141, 289, 362, 383, 390, 391, 392, 393, 439, 532, 547, 552, 781
الهَهَّةُ, 519, 523
هواء, 119, 120, 324, 326
117
الهواء البارد, 120, 130
هواء الجَوف, 119
هواءُ الحرف, 356
هواء الحلق, 120
الهواء الصَّافر, 504
هَواء الصَّوْت, 120
الهَواءُ الفَاعِلُ للصَّوْت, 120
هواء الفم, 120
الهوائيَّة, 101, 119, 124, 132, 134, 188, 231, 312, 391, 790, 794
الهُوِيُّ, 410
الواوُ الصَّامتةُ, 784
الواوُ المصَوِّتةُ, 784
الواوُ المنَعِّمةُ للصَّوت, 784
وَرَاء, 333, 598
وسَطُ الحَلْق, 147
وسَطُ الحنك, 169, 173
وسط الفم, 157, 158, 159, 160, 422
وَسَطُ اللِّسَان, 183
الوَصْل, 383, 384, 611, 613, 614, 615
الوَضْع, 275, 299, 316
وَعْثُ اللِّسان, 709, 716
الوقف بغير همزٍ, 626
الوَقْفَة اللَّطيفةَ, 528
وقوعُ الألسنة مَوقِعاً واحداً, 557
الياء, 689, 690, 691, 770, 772, 773
الياء الصَّامتة, 784
الياء المصوِّتة, 784
يُدْغِمُ النُّونَ والتنوينَ عند الواوِ والياءِ, 603
يَدي الفم, 159
يفتحُ ولا يُسرِف, 457, 694

مسرد وفيات الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث

الأعلام	الوفاة
النبي صلى الله عليه وسلم	11
إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النَّخَعيّ	96
ابن أبي ليلى محمد بن عبد الرحمن	148
ابن أبي مريم نصر بن علي بن محمد الشيرازيّ	565
ابن أشته محمد بن عبد الله أبو بكر الأصبهاني	360
ابن الباذش أبو جعفر أحمد بن عليّ بن أحمد بن خلف	540
ابن البنَّاء أبو عليّ الحسن بن أحمد	471
ابن الجزَّار الطبيب أحمد بن إبراهيم	399
ابن الخياط أبو بكر أحمد بن محمد	320
ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل	316
ابن السِّكِّيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق	244
ابن الطحَّان الأندلسيّ أبو الأصبغ عبد العزيز بن عليّ السُّماتي	560
ابن الطحان الموسيقيّ	450
ابن المنادي أبو الحسن أحمد بن جعفر	334
ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق	438
ابن الهيثم محمد أبو عبد الله الكوفي قاضي عكبرا	249
ابن الوزَّان النحوي أبو القاسم إبراهيم بن عثمان	346
ابن بِلّيمة أبو علي الحسين بن خلف بن عبد الله	514
ابن جَمَّاز أبو الرَّبيع سليمان بن سالم	171
ابن جنيّ أبو الفتح عثمان	392

ابن حَزم أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد	456
ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد	370
ابن دُرَيد أبو بكر محمد بن الحسن الأزديّ	321
ابن رُشْد أبو الوليد محمد بن أحمد	595
ابن رشيق أبو عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ الأزديّ	456
ابن سفيان أبو عبد الله محمد بن سفيان القيروانيّ	415
ابن سيده أبو الحسن عليّ بن إسماعيل	458
ابن سينا أبو عليّ الحسين بن عليّ	428
ابن شريح أبو عبد الله محمد بن شريح بن أحمد الأندلسيّ	476
ابن شنبوذ أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصَّلت	328
ابن عامر عبد الله بن عامر الدمشقيّ اليحصبيّ	118
ابن فُلَيح عبد الوهاب بن فُلَيح بن رياح المكيّ	251
ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم	276
ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس	324
ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن بن مُحَيصن السهميّ	123
ابن مِقْسَم أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب	354
ابن مَلْكَا أبو البركات هبة الله بن عليّ بن مَلْكا البغداديّ	547
ابن مِهرَان أبو بكر أحمد بن الحسين	381
ابن وَاصِل محمد بن أحمد أبو العباس البغداديّ	273
ابن ولاَّد أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد	332
أبو الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن راوي ورش	231
أبو الأسود الدؤليّ ظالم بن عمرو	69
ابن الأنباريّ أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباريّ	577
أبو الحسن العلاَّف البصريّ عليّ بن محمد	396
أبو الدرداء عُوَيمر بن قيس رضي الله عنه	32

أبو الطيِّب عبد الواحد بن عليّ اللُّغوي	351
أبو العالية رفيعُ بن مِهران الرياحيّ	93
أبو العباس أحمد بن خلف بن عيسون	531
أبو العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسيّ	521
أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذانيّ العطَّار	569
أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصفهانيّ	356
أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعيّ الجرجانيّ	408
أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار المعروف بابن الأنباريّ	328
أبو بكر الصديق رضي الله عنه	13
أبو بكر بن الأزهر	325
أبو بكر محمد بن الحسن الزَّبيدي	379
أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ	130
أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل	338
أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي	322
أبو حمدون الطيب بن إسماعيل راوي اليزيدي	240
أبو حيان التوحيديّ	380
أبو ذَرّ الغفاري رضي الله عنه	32
أبو ربيعة محمد بن إسحاق	294
أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة	403
أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاريّ	215
أبو طاهر عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم	349
أبو عبد الرحمن السُّلَميّ التابعيّ المشهور	74
المسيَّبيّ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد	236
أبو عبد الله محمد بن عيسى الأصبهانيّ	253
أبو عبيد القاسم بن سلاَّم	224

أبو عبيدة معمر بن المثنَّى	209
أبو عمر الدوريّ أبو حفص، راوي أبي عمرو بن العلاء	246
أبو عمرو الشيبانيّ	216
أبو عمرو بن العلاء البصريّ القارئ المشهور	154
أبو عون الواسطيّ محمد بن عمرو	269
أبو مروان محمد بن عثمان بن خالد (راوي قالون)	241
أبو مَعشر عبد الكريم بن عبد الصَّمد الطبريّ	478
أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه	44
أبو هشام الرفاعيّ محمد بن يزيد بن رفاعة	248
أبو يوسف يعقوب الأعشى	200
أبيُّ بن كعب رضي الله عنه	35
أحمد بن جبير الأنطاكيّ	258
أحمد بن زهير صاحب التاريخ	279
أحمد بن سهل الأُشنانيّ	307
أحمد بن صالح أبو جعفر المصريّ	248
أحمد بن فارس اللُّغويّ	395
أحمد بن يزيد الحلوانيّ	250
أحمد بن يعقوب التائب المقرئ	340
الأخفش سعيد بن مسعدة	215
الأخفش الأصغر عليّ بن سليمان	315
إخوان الصفاء (أخذت منهم أقدمهم وفاة)	373
الأزرق يوسف بن عمرو بن يسار أبو يعقوب	240
الأزهريّ أبو منصور محمد بن أحمد	370
المسيّبي أبو محمد إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن	206
إسحاق بن إبراهيم الموصلي الموسيقي	235

إسماعيل بن جعفر القارئ	180
إسماعيل بن حماد الجوهري	393
إسماعيل بن خلف أبو طاهر	455
الأصبهانيّ أبو بكر محمد بن عبد الرحيم صاحب ورش	290
الأصمعي عبد الملك بن قريب	215
الأعمش أبو محمد سليمان بن مهران الأزديّ	148
أمُّ سلَمة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها	62
أنس بن مالك رضي الله عنه	93
الأهوازيّ أبو عليّ الحسن بن عليّ بن إبراهيم	446
أيوب السختيانيّ	131
بريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه	63
البزيّ أحمد بن محمد عبد الله بن أبي بزَّة	250
التغلبي أحمد بن يوسف راوي ابن ذكوان	275
تميم بن حذلم	98
ثابت بن أبي ثابت	250
الثعالبيّ أبو منصور عبد الملك بن محمد	429
ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد	291
الجاحظ عمرو بن بحر	255
الجرميّ أبو عمر صالح بن إسحاق	225
الحريريّ أبو محمد القاسم بن عليّ	516
الحسن البصريّ أبو سعيد	110
الحسن بن الحباب بن مخلد الدقاق أبو علي	301
حفص بن المغيرة الأسديّ راوي قراءة عاصم	180
حمزة بن حبيب الزيَّات القارئ المشهور	156
خارجة بن مصعب	168

الخاقانيّ أبو مزاحم موسى بن عبيد الله	325
الخزاعي أبو محمد إسحاق بن أحمد	308
الخفاجيّ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان	466
خلاد بن خالد أبو عيسى الصيرفيّ الكوفيّ راوي قراءة حمزة	220
خلف الأحمر	180
خلف بن هشام البزّار (القارئ العاشر)	229
الخليل بن أحمد الفراهيديّ	170
الخُوارزميّ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف	380
الخياط القاسم بن أحمد بن يوسف أبو محمد التميمي	291
الداجوني الكبير محمد بن أحمد أبو بكر الضرير الرملي	324
الدانيّ أبو عمرو عثمان بن سعيد	444
داود بن أبي طيبة صاحب ورش	223
الرازي أبو بكر محمد بن زكريا الطبيب	313
الربيع بن الخيثم رضي الله عنه	89
الرمانيّ عليّ بن عيسى	384
الزجَّاج أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ	311
الزجاجيّ عبد الرحمن بن إسحاق النهاونديّ	337
زِرُّ بن حُبَيش رضي الله عنه	82
الزمخشريّ محمود بن عمر بن محمد الملقب بجار الله	538
الزهراويّ الطبيب خلف بن عباس الأندلسيّ	427
الزينبيّ محمد بن موسى أبو بكر	318
سبط الخياط أبو محمد عبد الله بن عليّ	541
السِّجِستانيّ أبو حاتم سهل بن محمد	248
السعيديّ أبو الحسن عليّ بن جعفر	410
السفَّاح أبو العباس الخليفة العباسيّ	136

سفيان الثوريّ رضي الله عنه	161
سقلاب بن شيبة أبو سعيد المصري	191
سَلَمة بن عاصم	271
سُلَيمُ بن عيسى راوي حمزة	188
السُّهَيليّ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله	581
السوسيّ أبو شعيب صالح بن زياد	261
سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان	180
السِّيرافيّ أبو سعيد الحسن بن عبد الله	368
الشاطبي القاسم بن فيرُّه	590
الشافعيّ محمد بن إدريس	204
الشذائيّ أبو بكر أحمد بن نصر بن منصور	370
شعبة أبو بكر بن عياش	193
الشعبيّ عامر بن شراحيل	105
الشمُّونيّ أبو جعفر محمد بن حبيب	241
الشنَبوذِيّ أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم	388
الشنتَمَرِيّ يوسف بن سليمان	476
الشهرستانيّ أبو الفتح عبد الكريم	548
صاعد بن أحمد الأندلسي أبو القاسم	462
طاهر بن عبد المنعم ابن غلبون الحلبيّ	399
الطبريّ محمد بن جرير	310
الطبري الطبيب أبو الحسن أحمد	400
عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما أم المؤمنين	58
عاصم بن أبي النَّجود القارئ المشهور	127
عباس بن الفَضل	186
عبد العزيز بن جعفر أبو القاسم المعروف بابن أبي غسان	412

عبد القاهر الجرجانيّ أبو بكر	471
عبد الله ابن ذكوان الدِّمشقيّ	242
عبد الله بن السائب رضي الله عنه	70
عبد الله بن عباس رضي الله عنه	68
عبد الله بن عمر رضي الله عنه	73
عبد الله بن كثير القارئ المشهور	120
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	32
عبد الله بن مغفل رضي الله عنه	60
عبد المنعم ابن غلبون الحلبيّ	389
عبد الوهاب القرطبيّ	462
عبيد بن عقيل أبو عمرو الهلاليّ	207
عثمان بن عفان رضي الله عنه	35
العسكريّ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل	395
عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه	40
عليّ بن نصر الجهضميّ	189
عليّ بن يزيد بن كيسة أبو الحسن	202
عمر بن الخطاب رضي الله عنه	23
عمر بن شبة أبو زيد النميريّ	262
عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد	101
عمرو بن الصبَّاح بن صُبيح الضَّرير	221
عيسى بن عمر الثقفيّ	149
الغزاليّ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسيّ	450
الفارابيّ أبو نصر الفيلسوف الموسيقي	339
الفارسيّ أبو علي النحوي شيخ ابن جني	377
الفرَّاء أبو زكريا يحيى بن زياد	207

القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني أبو الحسن	415
قالون أبو موسى عيسى بن مينا	220
القالي أبو عليّ إسماعيل بن القاسم	356
قتيبة بن مهران أبو عبد الرحمن صاحب الكسائيّ	205
قدامة بن جعفر أبو الفرج	320
قطرب أبو عليّ محمد بن المستنير	206
قنبل أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن المكيّ المخزوميّ	291
الكسائيّ أبو الحسن عليّ بن حمزة	189
الكنديّ يعقوب بن إسحاق الفيلسوف	260
المازنيّ أبو عثمان بكر بن محمد	247
مالك بن أنس رضي الله عنه	179
المالكيّ أبو عليّ الحسن بن محمد	438
المبرِّد محمد بن يزيد	285
مجاهدُ بن جبر التابعيّ المشهور	104
المجوسي عليّ بن العبَّاس الطبيب	384
محمد ابن كَيسان أبو الحسن	299
محمد بن الحسن بن يونس أبو العباس النحوي المقرئ	332
محمد بن سعدان أبو جعفر الكوفيّ	231
محمد بن سلاَّم الجمحيّ	231
محمد ولد أبي عمر الدُّوريّ أبو بكر	260
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه	60
المفضَّل الضبِّي أبو العباس المفضل بن محمد بن يَعلى	168
مكي بن أبي طالب القيسيّ	437
المهدويّ أبو العباس أحمد بن عمَّار	440
نافع أبو رُوَيم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم اللَّيثيّ	169

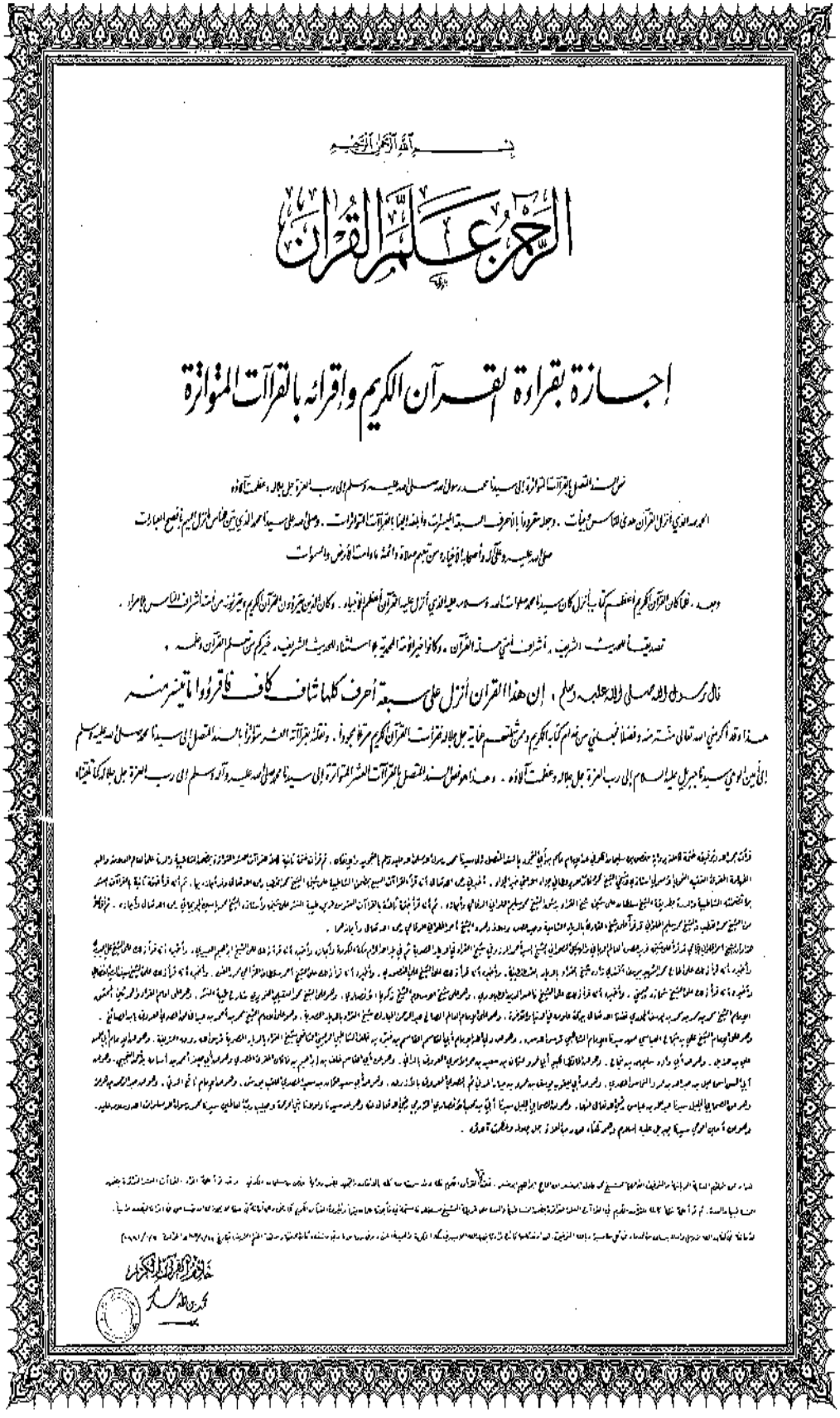
النحَّاس إسماعيل بن عبد الله أبو الحسن القارئ	285
نُصَيرُ بن يوسف أبو المنذر الرازيّ	240
النقَّار الحسن بن داود بن الحسن بن عون الكوفي المعدل	349
هارون الأعور أبو عبد الله	170
هارون بن موسى الأخفش الدمشقي	292
هشام بن عمَّار الدمشقيّ ، راوي ابن عامر القارئ المشهور	245
هشام بن معاوية الضرير	209
ورش أبو سعيد عثمان بن سعيد	197
يحيى اليزيديّ أبو محمد يحيى بن المبارك	202
يحيى بن آدم بن سليمان أبو زكريا الصّلحي	203
يحيى بن علي ابن المنجّم الموسيقيّ	300
يعقوب الحضرميّ أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد	205
يوحنا ابن ماسويه الطبيب	243
يونس بن حبيب الضبيّ شيخ سيبويه	183
يونس بن عبد الأعلى أبو موسى	264

فهرس مصطلحات المشترك اللفظي

1 . الإتمام
2 . الإثبات
3 . الاختلاس
4 . آخر الحلق
5 . الإخفاء
6 . الإدخال
7 . الإدغام
8 . الإدغام الصَّغير
9 . الاستعلاء
10 . الاستقبال
11 . الإشراب
12 . أصول الثنايا
13 . الإطباق
14 . أطراف الثنايا
15 . الاعتِبار
16 . الاعتِماد
17 . الأغنّ
18 . الألف
19 . ألف التفخيم
20 . الإلقاء
21 . الإمالة
22 . الانتحاء
23 . الانحِدار
24 . الانحراف
25 . الانخفاض
26 . الإنعام
27 . الأنف
28 . الإيماء
29 . البطح
30 . بين اللَّفظَين
31 . التجافي
32 . التجويد
33 . التحزين
34 . التحويل
35 . الترفيه
36 . التشديق
37 . التصويت
38 . التفخيم
39 . التفشّي
40 . التقريب
41 . التقعير
42 . التكرير
43 . الثِّقَل
44 . الجرّ
45 . الجَرْس
46 . الجزء والأجزاء
47 . الحرف
48 . حروف الثنايا
49 . الحروف الذُّلق
50 . الحروف اللِّيّنة
51 . الخُفوت
52 . الخَلط والمخالَطة
53 . الدَّوِيّ
54 . الذَّوق والذَّواق
55 . الرَّدّ
56 . الرُّطوبة
57 . الرَّفع
58 . رفعُ الصَّوت
59 . الزَّحم والمزاحمة
60 . الزَّوال
61 . السَّواكن
62 . الشَّدّ
63 . الشِّقّ
64 . الصَّحيح
65 . الصَّدى
66 . الصَّفير
67 . الصَّوت
68 . الضغط
69 . الضمّ
70 . الطرح
71 . الطنين
72 . الغُنَّة
73 . غير المصوِّت
74 . الفتح
75 . الفتح المتوسِّط
76 . الفتحة
77 . الفم
78 . فُوَيق الثنايا
79 . القَصر
80 . الكسر
81 . اللَّحن
82 . اللُّزوم
83 . المجاري
84 . المشرَبة
85 . المصوِّت
86 . المضغوطة
87 . المقْطع
88 . الموضع
89 . النَّبْرة
90 . النَّحو
91 . النَّصْب
92 . النَّغْمة
93 . النَّفخ
94 . الهاوي
95 . الهَتّ
96 . الهمزة
97 . الهمس
98 . الهواء
99 . الهُوِيّ
100 . الوَصل
101 . الياء

ملاحظة: يمكن الرجوع إلى أماكن هذه المصطلحات بواسطة الفهرس الهجائيّ الذي تقدَّم.

إجازة الباحث بالقراءات العشر المتواترة



بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن

إجازة بقراءة القرآن الكريم وإقرائه بالقراءات المتواترة

نص السند المتصل بالقراءات المتواترة إلى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رب العزة جل جلاله وعظمت آلاؤه

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس وبينات . وجعله متعبدا بالأحرف السبعة المبشرات وأيده أيضا بالقراءات المتواترات . وصلى الله على سيدنا محمد الذي بين بفاخر المعجزات أنزل عليه أفصح العبارات

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الجد والمثابرة ومن تبعهم صلاة دائمة ما دامت الأرض والسموات

وبعد . فما كان القرآن الكريم أعظم كتاب أنزل ، كان سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي أنزل عليه القرآن أعظم الأنبياء . وكان الذين يتعهدون القرآن الكريم ويتعبدون من أمته أشراف الناس بلا مراء .

تصديقا لهذا الحديث الشريف ، أشرف أمتي حملة القرآن ، وكانوا خير أولئك الحملة باستثناء الحديث الشريف ، خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف فاقرؤوا ما تيسر منه

هذا وقد أكرمني الله تعالى منته منه وفضلا لجنابي من بينهم كتابه الكريم ومن شيوخهم عناية جل جلاله بقراءات القرآن الكريم مرتلا مجودا . وتلقيت بقراءاته العشر متواترا بالسند المتصل إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام إلى رب العزة جل جلاله وعظمت آلاؤه . وهذا هو السند المتصل بالقراءات العشر المتواترة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى رب العزة جل جلاله كما تلقيناه

المراجع العلميَّة

من المخطوطات والمطبوعات

المراجع العلمية من المخطوطات والمطبوعات

الكتب المخطوطة

1. شرح كتاب سيبويه، لعليّ بن عيسى الرمانيّ (ت 384 هـ)، نسخة في جامعة الملك سعود، الرياض، رقم الميكروفيلم (3532/ 5)، مصوَّرة عن المكتبة الوطنية، فيينا – لوبنشتاين، رقم 2442.
2. الغريب المصنَّف في اللغة، لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم (ت 224 هـ)، نسخة مصورة عن المكتبة الظاهرية بدمشق، رقم (7100).
3. مرشد القارئ إلى تحقيق علم المقارئ، لأبي الأصبغ عبد العزيز بن عليّ السُّماتيّ الشهير بابن الطحَّان (ت بعد 560 هـ)، نسخة تشستربيتي.
4. الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت 444هـ)، نسخة المكتبة الأزهرية، القاهرة، رقم (103) 7661 قراءات.

الكتب المطبوعة:

1. القرآن الكريم، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
2. الإبدال لأبي يوسف يعقوبَ بن السِّكِّيت، تحقيق د. حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1398 هـ = 1978 م .
3. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407 هـ = 1987 م.
4. إحصاء العلوم، لأبي نصرٍ الفارابيّ (ت 339 هـ)، تحقيق د. عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1968 م.
5. إحصاء العلوم، لأبي نصرٍ الفارابيّ (ت 339 هـ)، شرح د. عليّ بو ملحم، دار ومكتبة هلال، ط1، 1996 م.
6. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد عليّ بن أحمد بن حزم الظاهريّ (ت 456 هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان.
7. أخبار النحويين البصريين، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت 368 هـ)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط1، 1405هـ = 1985م.
8. اختلاف القراء في اللام والنون، لأبي الحسن عليّ بن جعفر السعيديّ (ت 410 هـ)، مطبوعٌ ضمن: رسالتان في تجويد القرآن ، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمَّار – الأردن، ط1، 1421 هـ = 2000م.
9. أدب الكاتب، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ)، تحقيق: محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة، ط2، 1405هـ = 1985م.
10. إدغام القراء، لأبي سعيد السيرافيّ (ت 368هـ)، تحقيق: محمد علي الرديني، دار أسامة، دمشق، ط2، 1406هـ = 1986م.
11. الإدغام الكبير في القرآن لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت 44 هـ)، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، 1414 هـ = 1993 م .
12. إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، لأبي العزّ محمد بن الحسين بن بندار الواسطيّ القلانسيّ (ت 521 هـ)، تحقيق: عمر حمدان الكُبَيسيّ، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط1، 1404 هـ = 1984 م .

13. أساس البلاغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت 538 هـ)، دار الفكر، بيروت، 1409 هـ = 1989م.

14. أسباب حدوث الحروف، لأبي عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا (ت 428 هـ)، تحقيق محمد حسان الطيان و يحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1403 هـ = 1983 م.

15. الاستشراق والتاريخ الإسلاميّ، د. فاروق عمر فوزي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ط1، 1998م.

16. الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عزّ وجلّ في مذهب القراء السبعة في التفخيم والإمالة وما كان بين اللَّفظَين مجملاً كاملاً، لأبي الطيِّب عبد المنعم بن عبد الله بن غَلْبون (ت 389 هـ)، تحقيق د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، ط1، 1412 هـ = 1991م.

17. أسرار العربية، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت 577هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ = 1997م.

18. إصلاح المنطق، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السِّكِّيت (ت 244 هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط4، دار المعارف.

19. الأصوات اللغوية، تأليف: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة، 1981 م.

20. الأصوات عند سيبويه (بحث)، لعبد الرحمن أيوب، أبحاث ألقيت في ندوة هيئة التدريس، قسم اللغة العربية، كلية عبد الله بايسيرو ـ كانو، ج1، أيار، 1975 م .

21. الأصوات، كمال بشر، ط7، دار المعارف، القاهرة، 1980 م.

22. الأصول في النحو، لمحمد بن سهل بن السراج (ت 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1407هـ = 1987م.

23. الأضداد لمحمد بن القاسم الأنباريّ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1411 هـ = 1991 م .

24. إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت 338هـ)، تحقيق: زهير زاهد ، عالم الكتب ، بيروت، ط3، 1409هـ = 1988م.

25. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت 370 هـ)، دار المنار.

26. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1989 م.

27. أعمال مجمع اللُّغة العربية بالقاهرة، تأليف: د. محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط1، 1988 م .

28. الأغاني لأبي الفرج عليّ بن الحسين الأصفانيّ (ت 356 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1418 هـ = 1997 م .

29. الأمالي والنوادر، لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم القاليّ، دار الجيل، ط2، 1407 هـ = 1987 م.

30. الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي (ت 380 هـ)، دار مكتبة الحياة.

31. الأمصار ذوات الآثار، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الدمشقيّ (ت 748 هـ)، تحقيق: قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1406 هـ = 1986م.

32. الانتصار لسيبويه على المبرد، لأحمد بن محمد بن ولاد التميميّ (ت 332 هـ)، تحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416 هـ = 1996م.

33. الإنصاف في حل مسائل الخلاف بين النحويّين: البصريّين والكوفيّين، لأبي البركات الأنباري (ت 577هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

34. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلّ، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباريّ النَّحويّ (ت 328هـ)، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390 هـ = 1971 م.

35. الإيضاح في علل النَّحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ (ت 337 هـ)، تحقيق د. مازن المبارك، دار النفائس، ط5، 1406 هـ = 1986 م.

36. البارع في اللغة، لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم القالي (ت 356 هـ)، تحقيق هاشم الطعَّان، مكتبة النهضة، بغداد، ودار الحضارة العربية، بيروت، ط1، 1975 م.

37. البحث اللُّغويّ عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط4، 1402 هـ = 1982م.

38. بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء، لأبي علي الحسن بن أحمد بن البناء، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان – الأردن، ط1، 1421 هـ = 2001 م.

39. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ)، دار الفكر للجميع، 1968م.

40. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحب الدِّين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسينيّ الواسطيّ الزَّبيديّ الحنفيّ، تحقيق علي شيري، دار الفكر - بيروت، 1414 هـ = 1994 م.

41. تاريخ الأدب العربي، تأليف كارل بروكلمان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

42. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، تأليف د. حسن إبراهيم حسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط7، 1964 م .

43. تاريخ العلم ،لجورج سارتون،دار المعارف، القاهرة، ط3، 1978م.

44. تاريخ الموسيقى الشرقية، لسليم الحلو، منشورات دار مكتبة الحياة.

45. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدَّينوَريّ (ت 276 هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط3، 1401 هـ = 1981 م .

46. التبصرة في القراءات، لأبي محمد مكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت 437 هـ)، تحقيق د. محي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط1، 1405 هـ = 1985م.

47. التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت 444 هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمَّان - الأردن، ط2، 1420 هـ = 1999 م .

48. التذكرة في القراءات الثمان، لطاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت 399هـ)، تحقيق: د. أيمن رشدي سويد، ط1، 1412هـ = 1991م.

49. التصريف لمن عجز عن التأليف، للطبيب أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي (ت حوالي 400 هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت - ألمانيا، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج 31، طبع بالتصوير عن مخطوطة بشير آغا رقم (502)، مكتبة السليمانية، استانبول .

50. التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت 816 هـ)، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

51. تفسير الطبريّ = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبريّ، دار الفكر، 1408 هـ = 1988 م.

52. تفسير ما بعد الطبيعة، لأبي الوليد محمَّد بن أحمدَ بنِ محمدِ بنِ رُشْدٍ الأندلسيّ، تحقيق موريس بوجاس، بيروت، 1967 م .

53. التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط2 1986م.

54. التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأسئلة الفقهية، ، لأبي محمد عليّ بن أحمد بن حزم الظاهريّ (ت 456 هـ)، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1959 .

55. التكملة (وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضديّ)، لأبي عليّ الحسن بن أحمد الفارسيّ (ت 377 هـ)، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، 1401 هـ = 1981 م .

56. تلخيص الخطابة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 595 هـ)، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات بالكويت، ودار القلم، بيروت.

57. تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع، لأبي عليّ الحسن بن خلف بن عبد الله ابن بَلِّيمة، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط1، 1409 هـ = 1988م.

58. التلخيص في القراءات الثمان، لأبي مَعْشَر عبد الكريم بن عبد الصَّمد الطبريّ (ت 478 هـ)، تحقيق د. محمد حسن عقيل موسى، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، ط1، 1412 هـ = 1992 م .

59. تمكين المدِّ في آتى وآمن وآدم وشبهه، لمكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت 437 هـ)، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، ط1، 1404 هـ = 1984 م .

60. التمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزريّ (ت 833 هـ)، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1407 هـ = 1986 م .

61. التمهيد في علم التجويد، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزريّ (ت 833 هـ)، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405 هـ = 1985 م .

62. التمهيد في معرفة التجويد،لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني (ت 569هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط1، 1420هـ = 2000م.

63. التنبيه على اللَّحن الجليّ والخفيّ، لأبي الحسن عليّ بن جعفر السعيديّ (ت 410 هـ)، مطبوعٌ ضمن: رسالتان في تجويد القرآن ، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، دار عمَّار – الأردن، ط1، 1421 هـ = 2000م.

64. تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزيّ، نسخة المسجد النبويّ الشريف، المدينة المنورة.

65. تهذيب اللغة، للأزهريّ (ت 370 هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مراجعة محمد علي النجار،

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.

66. التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت 444 هـ)، عناية أوتوبرتزل، در الكتاب العربي، ط3، 1406 هـ = 1985 م.

67. جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت 444 هـ)، من أول الكتاب إلى أوَّل فرش الحروف، إعداد عبد المهيمن عبد السلام طحَّان، رسالة دكتوراه مقدَّمة إلى كلِّية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرَّمة، 1406 هـ.

68. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413 هـ = 1993 م .

69. جمال القرَّاء وكمال الإقراء، لعلم الدين عليّ بن محمد السَّخاويّ (ت 643 هـ)، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط1، 1408 هـ = 1987 م.

70. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزديّ البصريّ (ت 321 هـ)، دار صادر، بيروت.

71. الجيم، لأبي عمرو الشيبانيّ، تحقيق عبد العليم الطحاويّ وزميله، مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1395 هـ = 1975 م .

72. حاوي الفنون وسلوة المحزون، لأبي الحسين محمد بن الحسن الشهير بابن الطحَّان الموسيقيّ (ت بعد 449 هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج 52، طبع بالتصوير عن مخطوطة فنون جميلة 539، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1410 هـ = 1990 م.

73. الحاوي في الطب، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازيّ (ت 313 هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1375 هـ = 1955 م .

74. الحجة في القراءات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370 هـ)، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط2، 1397 هـ = 1977م.

75. الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (377هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي ، وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق،بيروت، ط2، 1413هـ = 1993م.

76. حجَّة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغانيّ، مؤسَّسة الرِّسالة، ط4، 1404 هـ = 1984 م.

77. الحروف، لأبي نصر الفارابيّ (ت 339 هـ)، حققه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت.

78. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ (ت 392 هـ)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

79. الخلاف بين النحويين، تأليف د.سيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1405 هـ = 1984 م.

80. الدراسات الصوتيَّة عند علماء التجويد، تأليف د. غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، 1406 هـ = 1986 م.

81. دراسة السمع والكلام، لسعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، 1400 هـ = 1980 م .

82. دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، نقله إلى العربية صالح القرمادي، نشر مركز الدراسات النحوية الاقتصادية والاجتماعية، 1966 م.

83. الدَّقائق المحكمة في شرح المقدِّمة الجزرية في علم التجويد، لزكريا بن محمد الأنصاريّ الشافعيّ (ت 926 هـ)، تحقيق د. نسيب نشاوي، 1400 هـ = 1980 م .

84. دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجانيّ (ت 474 هـ)، قرأه وعلَّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط2، 1410 هـ = 1989م.

85. الرِّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، تحقيق: أحمد فرحات، دار عمار، عمان – الأردن، ط2، 1404هـ = 1984م.

86. رسائل إخوان الصفاء وخلاَّن الوفاء، لإخوان الصَّفا، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

87. رسالة في اللُّثغة، ليعقوب الكندي (ت 260 هـ)، تحقيق محمد حسان الطيان، ضمن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 60، ج3، شوال 1405 هـ = يوليو 1985 م.

88. الرسالة، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ (ت 204 هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

89. الروضة في القراءات الإحدى عشرة، لأبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكيّ (ت 438 هـ)، رسالة دكتوراه للباحث نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، كلية أصول الدين، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، 1415 هـ.

90. زاد المسافر وقوت الحاضر (المقالات الثلاث الأولى)، للطبيب ابن الجزار (ت 400 هـ)، تحقيق محمد سويس والراضي الجازي، نشر: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات . بيت الحكمة سنة 1986م.

91. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازيّ (ت 322 هـ)، علَّق عليه:

حسين بن فيض الله الهَمْدانيّ، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط2، 1957 م .

92. سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ (ت 392هـ)، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم ، دمشق – بيروت، ط1، 1405هـ = 1985م.

93. سرّ الفصاحة، لابن سنان الخفاجيّ (ت 466 هـ)، شرح وتصحيح عبد المتعال الصّعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، 1389 هـ = 1969م.

94. شرح الفارابي لكتاب أرسطوطاليس في العبارة، لأبي نصر الفارابيّ (ت 339 هـ)، نشر ولهلم كوتش اليسوعي و ستانلي مارو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1960م.

95. شرح الهداية، لأبي العباس أحمد بن عمَّار المِهْدَوِيّ (ت نحو سنة 440 هـ)، تحقيق: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1416 هـ = 1995 م.

96. شرح جمل الزجاجيّ، لأبي محمد ابن هشام الأنصاريّ (ت 761 هـ)، تحقيق د. علي محسن مال الله، عالم الكتب، ط1، 1405 هـ = 1985م .

97. شرح شافية ابن الحاجب، لرضى الدين الاستراباذيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402 هـ = 1982 م .

98. شرح كتاب سيبويه (القسم المطبوع منه)، لأبي سعيد السيرافي (ت 368هـ) ، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

99. شرح ملحة الإعراب، لأبي محمد القاسم بن عليّ الحريريّ (ت 516 هـ)، تحقيق د. أحمد محمد قاسم، مكتبة دار التراث للنشر والتوزيع، ط2، 1412 هـ = 1991 م.

100. الشفاء، لأبي عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا (ت 428 هـ)، الجملة الأولى في المنطق: الفن الأول: المدخل، مراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق قنواتي وآخرين، المطبعة القومية 1371 هـ = 1952م. الفن الثامن: الخطابة، مراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق محمد سليم سالم، وزارة المعارف العموميّة، الإدارة العامة للثقافة، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1954م. الفنّ التاسع: الشعر، تحقيق عبد الرحمن بدويّ، القاهرة 1966م. القسم الخاص بالطبيعيات، مراجعة إبراهيم مدكور، تحقيق محمود قاسم.

101. الصاحبيّ، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (ت 395 هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

102. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأبي العباس أحمد بن عليّ القلقشنديّ (ت 821 هـ)، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، المطبعة الأميرية، القاهرة.

103. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1403هـ = 1983م.

104. الصِّحاح، لإسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1399 هـ = 1979 م.

105. طب الرازي / دراسة وتحليل لكتاب الحاوي، شرح وتعليق محمد كامل حسين ومحمد عبد الحليم العقبى، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

106. طبقات الأمم، لأبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسيّ (ت 462 هـ)، ضمن مجلة المشرق الكاثوليكية، بيروت، السنة الرابعة عشرة، 1911 م .

107. طبقات النحويّين واللُّغويّين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيديّ الأندلسيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2 .

108. طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلاَّم الجُمَحيّ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة.

109. العَروض، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت 215 هـ)، تحقيق: أحمد محمد عبد الدايم عبد الله، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1405 هـ = 1985 م.

110. علم الأصوات العام، لبسام بركة، مركز الإنماء القوميّ، بيروت.

111. العلم العربي وأثره في تطور العلم العالمي، لألدوميلي، نقله إلىالعربية محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجَّار، جامعة الدول العربية.

112. علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربيّ، لمحمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت.

113. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، (ت 456هـ)، دار الجيل، بيروت – لبنان.

114. العنوان في القراءات السبع، لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاريّ الأندلسيّ (ت 455 هـ)، تحقيق د زهير زاهد وزميله، عالم الكتب، ط2، 1406 هـ = 1986 م.

115. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) ،تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، ط1، 1408هـ = 1988م.

116. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لموفق الدين أحمد بن أبي القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ)، عناية محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، ط1، 1419 هـ = 1998 م.

117. غاية النِّهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزريّ (ت 833 هـ)، نشر ج . برجستراسر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط3، 1402 هـ = 1982م.

118. الغاية في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانيّ (ت 381 هـ)، تحقيق محمد غياث الجنباز، دار الشواف للنشر والتوزيع، ط2، 1411 هـ = 1990 م.

119. غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم (ت 224 هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1406 هـ = 1986 م.

120. فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبيّ (ت 430 هـ)، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، 1392 هـ = 1972 م.

121. الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النَّديم، تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت.

122. في خُبْرِ صناعةِ التأليف، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكنديّ (ت 260 هـ)، تحقيق د. يوسف شوقي، دار الكتب، القاهرة، 1969 م .

123. الفيزياء للأدباء، تأليف د. خضر محمد عبد الرحمن الشيبانيّ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، 1416 هـ = 1996 م.

124. القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزآباديّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407 هـ = 1987 م.

125. القانون في الطب، لأبي علي الحسين بن علي بن سينا (ت 428 هـ)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، تحقيق: إدوار القش، 1413 هـ = 1993 م.

126. القطع والائتناف، لأبي جعفر النحَّاس، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1413 هـ = 1992م.

127. كامل الصناعة الطبية، لأبي الحسن عليّ بن العباس المجوسي (ت 384هـ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت – ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث.

128. كتاب السبعة في القراءات ، أحمد بن موسى بن مجاهد (ت 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط2، القاهرة.

129. كتابُ الصِّناعتين الكتابة والشِّعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكريّ، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط2، 1404 هـ = 1984 م.

130. كتابُ القوافي، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت 215 هـ)، تحقيق: د. عزة حسن،

مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1390 هـ = 1970 م.

131. كتاب الملل والنحل، لأبي الفتح عبد الكريم الشهرستاني (ت 548هـ) مكتبة خياط، بيروت.

132. كتاب تلخيص النفس، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 595 هـ)، تحقيق الفرد. ل. عبري، المكتبة العربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1994 م.

133. كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، 1317 هـ.

134. كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ = 1983م.

135. الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، لأبي محمد مكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت 437 هـ)، تحقيق د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط4، 1407 هـ = 1987 م.

136. الكلام إنتاجه وتحليله، لعبد الرحمن أيوب، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1984 م.

137. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدِّين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ = 1994 م.

138. اللُّغة، ج. فندريس، تعريب الدواخلي والقصَّاص، المكتبة الفيصلية.

139. ما تلحن فيه العامة لأبي الحسن عليّ بن حمزة الكسائيّ (ت 189 هـ)، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1403 هـ = 1982 م .

140. ما ذكره الكوفيُّون من الإدغام، لأبي سعيد السيرافيّ (ت 368 هـ) تحقيق د. صبيح التميميّ، دار البيان العربي، جدة، ط1، 1405 هـ = 1985 م.

141. المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانيّ، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط2، 1408 هـ = 1988 م.

142. المبهج في القراءات الثمان، لأبي محمد عبد الله بن عليّ البغداديّ، المعروف بسِبط الخيَّاط (ت 541هـ)، تحقيق د. وفاء قزمار، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1404 هـ.

143. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنَّى (ت 210 هـ)، عناية د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

144. مجالسُ العلماء، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ (ت 337 هـ)، تحقيق أ. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ط2، 1403 هـ = 1983 م.

145. مجموعة الشافية من علمي الصَّرف والخط، للجاربرديّ وآخَرون، عالم الكتب، بيروت.

146. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ) ، تحقيق: علي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر ، ط2، 1406هـ = 1986م.

147. المحكم والمحيط الأعظم في اللُّغة، لعليّ بن إسماعيل بن سِيدَه (ت 458 هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وحسين نصَّار، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

148. مخارج الحروف وصفاتها، لأبي الأصبغ السُّماتيّ الإشبيليّ المعروف بابن الطحَّان، تحقيق د. محمد يعقوب تركستاني، ط2، 1412 هـ = 1991 م.

149. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللُّغويّ، تأليف د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1405 هـ = 1985 م .

150. مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغويّ (ت 351 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2.

151. المزْهِرُ في علوم اللُّغة وأنواعُها، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطيّ (ت 911 هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزملائه، دار الفكر.

152. المستصفى من علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505 هـ)، تقديم وضبط الشيخ إبراهيم محمد رمضان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت . لبنان.

153. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن عليّ المقرئ الفيوميّ (ت 770 هـ)، المكتبة العلميَّة، بيروت – لبنان.

154. المصطلح الصوتيّ في الدراسات العربية، تأليف د. عبد العزيز الصِّيغ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1421 هـ = 2000 م .

155. المعالجات البقراطية للطبيب أبي الحسن الطبريّ (القرن الرَّابع الهجريّ)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت – ألمانيا الاتحادية، يصدرها فؤاد سزكين، سلسلة عيون التراث، مج 47/ 1، طبع بالتصوير عن مخطوطة ملك مليّ 4474، مطبعة شتراوس – ألمانيا.

156. معاني الحروف، لعليّ بن عيسى الرمَّاني النحويّ (ت 384 هـ)، تحقيق د. عبد الفتاح شلبي، دار الشروق، جدة.

157. معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهريّ (ت 370 هـ)، تحقيق: د. عيد مصطفى

درويش، دار المعارف، ط1، 1412 هـ = 1991م .

158. معاني القرآن ، ليحيى بن زياد الفراء (207هـ) ، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار.

159. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت 311هـ) ، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي ، عالم الكتب بيروت، ط1، 1408هـ = 1988م.

160. معاني القرآن، للأخفش سعيد بن مسعدة (ت 225 هـ)، تحقيق: د. عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405هـ = 1985م.

161. المعتبر في الحكمة لأبي البركات هبة الله ابن عليّ بن مَلْكا البغداديّ (ت 547 هـ)، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1358 هـ.

162. المعجم المفصَّل في الأصوات، تأليف كوكب دياب، نشر: جرّوس برس، ط1، 1416 هـ = 1996م .

163. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، ط1، 1422 هـ = 2001 م.

164. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411 هـ = 1991 م.

165. معيار العلم في المنطق، لأبي حامد الغزالي (ت 505 هـ) ، شرح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ = 1990م.

166. المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي أبي الحسن عبد الجبار (ت 415 هـ)، ج5 الفرق غير الإسلامية، تحقيق محمود محمد الخضيريّ، القاهرة، 1965م. ج16 إعجاز القرآن، تحقيق أمين الخولي، القاهرة 1965م.

167. مفاتيح العلوم، لمحمد بن أحمد الخوارزميّ (ت 380هـ) ، دار المناهل بيروت،ط1، 1411هـ = 1991م.

168. المفصَّل في علم اللُّغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت 538 هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1410 هـ = 1990 م.

169. مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، لأحمد بن فارس (ت 395 هـ)، تحقيق د. فيصل دبدوب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1386 هـ = 1967 م .

170. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت 285 هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة

الأوقاف، القاهرة، ط2، 1399م.

171. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيوت، ط2، 1415 هـ = 1995 م.

172. المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النَّقط، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت 444 هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

173. مناهج البحث في اللغة، تأليف د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1400 هـ = 1979م.

174. المنتهى، لأبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعيّ الجرجانيّ، رسالة دكتوراه للباحث محمد شفاعت رباني، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1415 هـ = 1995 م .

175. المنصِف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازنيّ، لأبي الفتح عثمان بن جني النحوي (ت 392هـ)، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1373هـ = 1954م.

176. منظومة الإمام الخاقاني في التجويد، لأبي مزاحم الخاقانيّ (ت 325 هـ)، ضمن قصيدتان في تجويد القرآن، تحقيق د . عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، دار مصر للطباعة، ط1، 1421 هـ.

177. منظومة الشاطبية المسمَّاة: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للقاسم بن فيرُّه بن خلَف الشاطبيّ (ت 590 هـ)، حققه الشيخ محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، ط1، 1409 هـ = 1989 م .

178. منظومة المقدِّمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يَعلمه، للإمام محمد بن محمد بن محمد ابن الجزريّ (ت 833 هـ)، حققه د . أيمن رشدي سُوَيد، طبع دار نور المكتبات، ط3، 1422 هـ - 2001 م .

179. المواقف في علم الكلام، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت.

180. موسوعة تاريخ العلوم العربية، لعدد من العلماء، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 1997 م.

181. الموسيقى الكبير، لأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (ت 339هـ)، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبه، دار الكب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

182. الموضح في التجويد، لعبد الوهاب القرطبي (ت 461هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار ، عمان – الأردن، ط1، 1421هـ = 2000م.

183. الموضح في وجوه القراءات وعللها، لأبي عبد الله نصرِ بن عليّ المعروف بابن أبي مريم (ت بعد 565 هـ)، تحقيق د. عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة، ط1، 1414 هـ = 1993 م .

184. نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ (ت 581 هـ)، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الرياض للنشر والتوزيع.

185. نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت 337هـ)، تحقيق :كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3 .

186. النكت في تفسير كتاب سيبويه، للشنتمَريّ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط1، الكويت، 1407 هـ.

187. النَّشر في القراءات العشر، لشمس القراء محمد بن الجزريّ (ت 833 هـ)، أشرف على مراجعته الشيخ العلامة محمد علي الضباع، دار الكتاب العربيّ.

188. نهاية الإقدام في علم الكلام، لمحمد الشهرستانيّ (ت 548 هـ)، صحَّحه الفرد جيوم، بغداد.

189. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد الجزريّ المعروف بابن الأثير (ت 606 هـ)، تحقيق د. محمود الطناحي وزميله، دار الفكر، بيروت.

190. النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاريّ اللغويّ (ت 415 هـ)، تحقيق د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1401 هـ = 1981 م .

191. الهادي في القراءات السبع، لأبي عبد الله محمد بن سفيان الهواريّ القيروانيّ المقرئ (ت 415 هـ)، د. يحيى عبد الرزاق غوثاني، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن والعلوم الإسلامية، السودان، 1417 هـ = 1996 م .

192. الوجيز لأبي عليّ الحسن بن عليّ بن إبراهيم الأهوازيّ الدمشقيّ (ت 446 هـ)، تحقيق د. سمير معبّر، رسالة دكتوراه، بريطانيا.

Phonetic Terminology In The Language Heritage In The Arabs Stuy Summary:

All praise unto Allah the Lord of the Worlds. May the best Blessings and fullest greetings be upon our master Mohammed as well as upon all his Kindreds and Companions.

Hence, this is root study that disclose the language of the first phoneticians and reveal their phonetic knowledge and terminology within an extended phase of time i.e., from the first century to the sixth century Higria year; utilizing the modern technology data in its service such as explanatory illustrations, spectral analysis and other modern means. My selection to such study is due to my zeal on books of phonetic heritage in order not to loose the intimate relation with them because of their language and terminology and to draw the attention to the fact of the possibility of establishing a genuine Arabic phonics which are free of defaults, clear of deformity, distant of deriving or copying from western culture which adopt the objectives of joining the world cultures to its culture. No doubt that encyclopedic knowledge of the ancestors and their participation in more than one field of science caused the distribution of the phonetic data into various sciences; the period of the present specialization has as well hid from us their phonetic science and divided its judgment thereon. The avoidance of this lays on the total review of our overall heritage.

The parts and chapters of this study were prepared as follows:

1- ***Preface:*** I have dealt with: phonetic terminology- its: origin, definitions, indications, characteristics and ambiguities. Then a brief introduction for the history of Arabic science which is a main prelude for disclosing the traditional and intellectual sciences effect on the phonetic terminology.

2- ***Historical study of the phonetic terminology- tackled through two parts:***

First Part: effect on the phonetic terminology: I have dealt with the phonetic science stage in two schools that formed the phonetic science in the Arabs; they are: the traditional and intellectual schools. In this part, I reviewed the phonetic terminology, views and efforts of the scholars of these two schools.

Second part: *Phonetic terminology - it comprises six chapters*:

First chapter : Phonation organs and the phonetic use therefor.

Second chapter: The physical and pronunciation bases of the phone and letter

Third chapter : phonetics qualities

Fourth chapter: phonetics formation

Fifth chapter : Phonetic and phonation defects and cautions

Sixth chapter : Phonetic surnames of the original and sub-original letters.

Conclusion: it includes: the study results, recommendations, index and appendices.

Allah Sufices me and on Him I depend in this tiresome journey which I hope, if set right and ripen its fruit, will be a core for a series of studies in our various sciences.